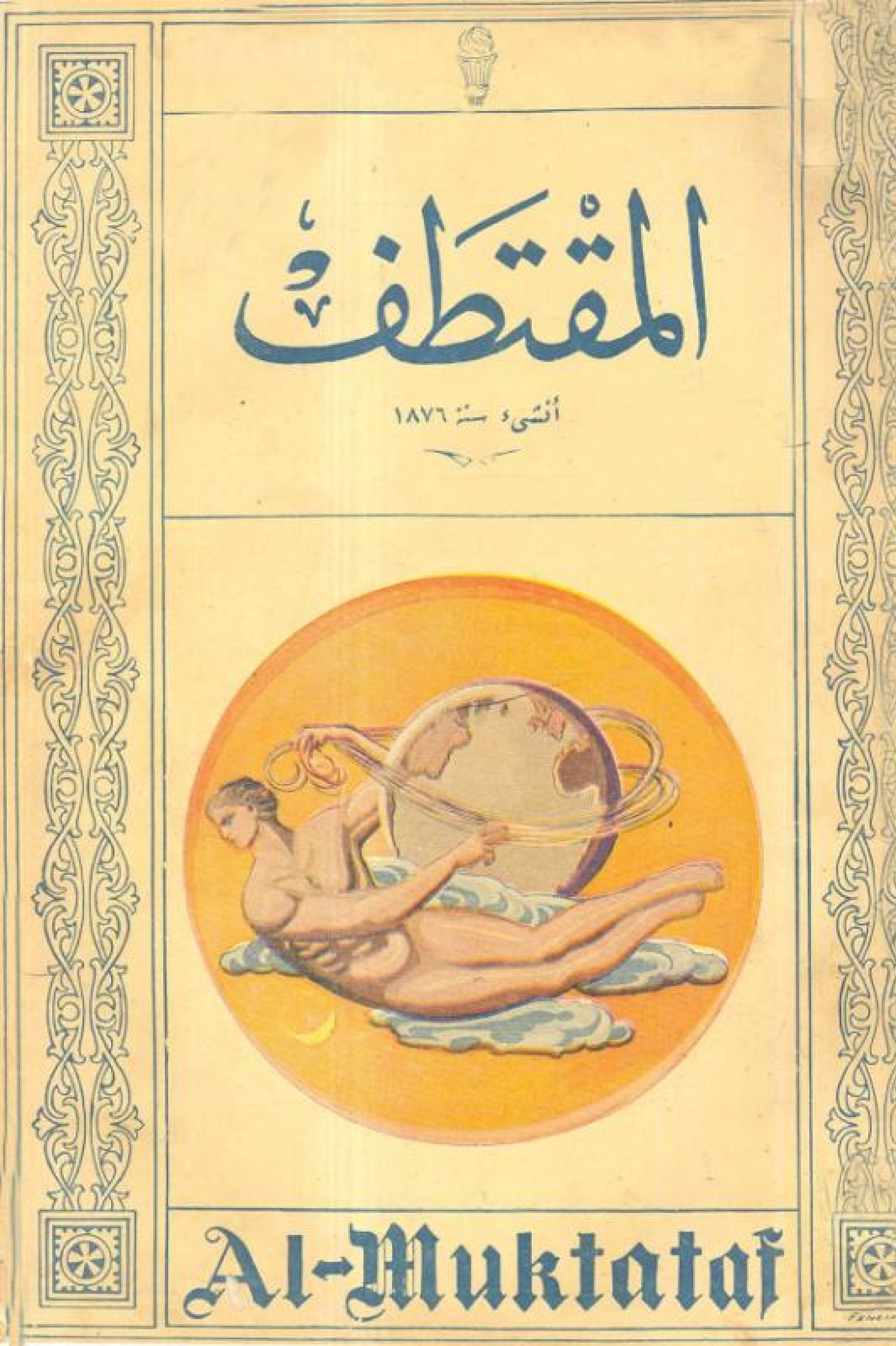


المقتطف
أنشئ سنة ١٨٧٦
Al-Muktataf

المقتطف

الجزء الاول من المجلد التاسع والعشرين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٣ شوال سنة ١٣٢١

الفيلسوف هربرت سبنسر

اتانا نعيُ فريد العصر ووحيد الدهر شيخ الفلاسفة والباحثين ونابغة القدماء والمحدثين الفيلسوف هربرت سبنسر فكأَنما نعي الينا اعظم فقيد في مصر كما شق منعاهُ على اهل كل صقع وقطر لانهُ ان كانت انكلترا قد فقدت بفقدهِ اعقل ابنائها فقد فقد العالم بموتهِ اعظم رجالهِ وزال آخر فيلسوف من فلاسفة القرن التاسع عشر بزوالهِ وبقي مكانهُ في المجتمع الانساني فارغاً والبعد بينهُ وبين اقرب الناس اليهِ عظيماً شاسعاً فلا يعلم الاَّ الله كم عصر يمر قبل ان يرزق العالم من يقوم مقامهُ او يجود الدهر بمثلهِ من النوابغ الذين يظهرون في الارض هدًى للنفوس ومشكاة للعقول

لا حرج اذا قلت ان فقيد العالم امتاز بقوة عقلهِ وسعة علمهِ وسمو مبادئهِ وحسن سيرتهِ وكبر همتهِ وعظم جهدهِ وتمام زهدهِ وابتعادهِ عن امجاد العالم الباطلة ورغبتهِ في خدمة العالم والحقيقة والفضيلة. فقد شهد لهُ باكثر من ذلك من لا أَعدّ في بحر علمهم قطرة ولا احسب في طود فضلهم ذرة. اشار اليهِ العلامة داروين الطائر الصيت في مشارق الارض ومغاربها بقولهِ "فيلسوفنا الكبير" وقال جون ستيورت مل الفيلسوف الانكليزي الاقتصادي في وصفهِ انهُ "دائرة للمعارف ومحيط للعلوم" ولقبهُ هنري ورد بيتشر من نوابغ الاميركيين "بملك الفلاسفة في هذا العصر" وحار الاستاذ مكوش الفيلسوف الاميركي الكبير في قوة عقلهِ فكان يقول "ان عقلهُ جبار العقول" وقال الرئيس برنارد في كلامهِ عنهُ "ولست اوفيهِ حقهُ ان قلت انهُ اشد اهل هذا العصر تبحراً واثقبهم رأياً وفكراً لانهُ اعظم من قام في الارض حجًى واوسع بني البشر عقلاً ونهًى". ولو شئت سرد الاقوال على هذا النمط لضاق عنها المقام وسئم طولها القراء

ولا غرو فقد شاد سبنسر للفلسفة اسمى صروح توصلت اليها عقول البشر ففاقت فلسفتهُ

فلسفة ارسطو وسبينوزا وكنت وهيجل وشوبنهاور واوغست كونت وغيرهم من اقطاب الفلسفة الذين نبغوا في العصور الغابرة والايام الحاضرة وقد بناها على أُسس الحقائق العلمية لا على القضايا المركبة من مواد الفرض والظن والحدس والتخمين وسماها فلسفة الفهم او التركيب واودعها بطون عشرة مجلدات ضخمة قضى على تدنيفها وتأليفها ستاً وثلثين سنة عدا الزمن الذي قضاهُ قبل ذلك على تأليف الفصول والاجزاء العديدة التي ادرجها فيها . ومدارها كلها من اولها الى آخرها على ان الارتقاء من البسيط الى المركب ومن المتماثل الى المتنوع هو سنَّة هذا الكون وان كل ما فيهِ من السديم الذي يقال ان الارض كونت منهُ الى الانسان اكمل الكائنات الارضية باقوالهِ وافعالهِ وافكارهِ وتصوراتهِ وآرائهِ ومعتقداتهِ جارٍ على تلك السنة وخاضع لها

توفي هربرت سبنسر في مدينة بريطن قرب لندن صباح الثلثاء في ٨ دیسمبر ۱۹۰۳ في الرابعة والثمانين من عمرهِ ولم يكن الاَّ ممرضتهُ وكاتم سرهِ (سكرتيره) حين وفاتهِ بجانب سريرهِ وكان موتهُ عاقبة الانحلال الطبيعي لا لمرض من الامراض فانهُ ضعف في اواخر عمرهِ ولزم السرير منذ اشهر ولكن لم يشتد الضعف عليهِ الاَّ قبل وفاتهِ بايام ولم يسمع بنشر شيء عن صحتهِ حتى انذر الطبيب بقرب الاجل فجعلت الجرائد اليومية تنشر النشرات الصحية عنهُ الى ان ادركتهُ منيتهُ . ولم يذع نعيهُ حتى توالت التعازي البرقية على منزلهِ من بلاد الانكليز ومن سائر الممالك والاقطار وابنتهُ جرائد العالم المتمدن اعظم تأبين وقد رأينا في الاخبار الاخيرة ان ملك ايطاليا ارسل رسالة برقية الى منزلهِ يتأسف فيها على فقدهِ شديد الاسف ويذكر ما له في نفسهِ من الوقار والاحترام وابنهُ مجلس نواب ايطاليا فتكلم فيهِ بعض اعضائهِ ثم وكيل المعارف فرئيس المجلس بلسان الدولة والامة ثم ارسل وزير المعارف في ايطاليا يأمر سفيرها في لندن بارسال رسالة تعزية بوفاتهِ

واوصى سبنسر قبل موتهِ ان تحرق جثتهُ وان لا توضع الازهار على نعشهِ ولا يلبس احد السواد حداداً عليهِ وان يؤَبنهُ صديقهُ الحميم المستر جون مرلي الفيلسوف السياسي المشهور باقوال وجيزة ساعة دفنهِ . واتفق ان مورلي كان غائباً حينئذٍ في صقلية لا يستطيع الوصول يوم دفنهِ فابنهُ المستر ليونارد كورتني من اصدقائهِ على مسمع جمهور من فطاحل العلماء ونخبة رجال الادب والفضل

وتُشبَّه حياة هربرت سبنسر بسلسلة كل حلقة من حلقاتها العديدة فعل من اعظم الافعال التي اتمها وسط الشدائد والمشقات والاهوال فقد جاهد في بدء امرهِ جهاد الابطال في قتال الفقر وقهر العسر لانهُ لم يكن ذا ثروة يعتمد عليها ويتفرغ للفلسفة آمناً شر الفقر وهمّ الحاجة وابتدأ بتصنيف كتبهِ وطبعها وهو قليل المال فلم يقبل الناس على مشتراها كما هو شأنهم في كل

بحث دقيق عويص تخسر بطبعها اكثر ما كان عندهُ من المال وقال في هذا الصدد انهُ لما بلغ الثلاثين من عمره واراد ان يطبع كتابةً عن الاحوال التي لا غنى عنها لسعادة الانسان لم يجد صاحب مطبعة ولا صاحب مكتبة يطبعهُ على نفقتهِ كما هو المعتاد مع المؤلفين الاوربيين لان ابحاثهُ فلسفية عويصة فطبعهُ على نفقتهِ وكان عدد نسخ الطبعة الاولى ٧٥٠ نسخة فقط فكسدت كساداً شديداً ولم تنفق الاَّ بعد اربع عشرة سنة. وبعد طبعهِ بخمس سنوات طبع كتابهُ في الفلسفة العقلية (السيكولوجيا) واهدى عدداً كبيراً من ٧٥٠ نسخة طبعها منهُ وظل ما بقي منها اثنتي عشرة سنة حتى نفد ثم طبع مجموع مقالات لهُ ولكنهُ لم يطبع غير ٥٠٠ نسخة منها حذراً من الخسارة كأنهُ علم بالاختبار ان كتبهُ تشبه كتب مؤلفي الشرق في الرواج ومع ذلك لم تنفق هذه ايضاً الاَّ بعد مضي عشر سنوات وستة اشهر على طبعها

على ان ذلك لم يكن ليثنيهُ عن عزمهِ بل انهُ لما بلغ الاربعين من العمر عقد النية على طبع فلسفتهِ واعلن انهُ يطبع اربعة اجزاء سنويًّا منها للمشتركين ثم يصدرها في مجلدات للمشترين. فخسر على المجلدات الثلثة الاولى منها كما خسر على ما طبعهُ قبلها حتى رأَى انهُ اوشك ان يمسي صفر اليدين وانهُ واقع في الافلاس لا محالة اذا لم يتدارك امرهُ بالحكمة فاعلن للمشتركين انهُ اوقف اصدار فلسفتهِ وبقي منغّص العيش يتحسر ولكن شاء القدر ان لا يحرم العالم ثمرات عقلهِ فاصاب مالاً بميراث فاستأنف في الحال ما كان قد اوقفهُ ولم يطل عليهِ المطال حتى اخذت كتبهُ تروج بعد طول الكساد وجعل يربح منها ما يستعين بهِ على طبع غيرها حتى استرد نفقات طبعها بعد اربع وعشرين سنة فقضى ربع قرن يجدُّ بلا اجرة ولا مكافأة ولا مطمع غير اثبات ما يعتقدهُ حقًّا وخدمة نوع الانسان

ولو كان الفقر وحدهُ خصمهُ لهان ولكن اعترض لهُ خصم اشد منهُ واعند وهو الضعف والسقام فانهُ لشدَّة ما اجهد دماغهُ بالاشغال العقلية لم يطبع كتابهُ في الفلسفة العقلية حتى اصابهُ ضعف عصبي شديد منعهُ عن الشغل العقلي مدة سنة ونصف وتركهُ بين صحيح وعليل حتى انهُ لما اعلن عزمهُ على اصدار مجلداتهِ العشرة الفلسفية بعد ذلك بخمس سنوات كان ضعف الاعصاب قد ازمن معهُ فلم يكن يستطيع الشغل غير ثلاث ساعات او اقل في اليوم ولذلك كانوا يعدون نجاز عملهِ العظيم ضرباً من المحال ولم يكد يصدر الفصل الاول من المجلد الاول منها حتى عاودهُ الضعف العصبي بشدة اضطرتهُ الى الانقطاع عن الاشغال مدة من الزمان غير انهُ قابل العلل والسقام بالاحتراس ومداراة صحتهِ وترتيب اشغالهِ ومعيشتهِ والمحافظة على قوتهِ ليبذلها كلها في شغلهِ فقضى حياتهُ يعتل احياناً اسابيع واحياناً اشهراً او

سنين ثم يعود الى التصنيف والتأليف حتى اكمل عملهُ العظيم سنة ١٨٩٦ وعاش بعد اكمالهِ اعواماً اثبت فيها فائدة الاعتناء والمداراة في حفظ الصحة والحياة وسط العلل والسقام

ويتبادر الى الوهم ان هذا الفيلسوف عاش عيشة النساك لا يعاشر احداً ولا يهتم بامور العالم ولا يبالي بما يجري حولهُ من الحوادث او ما يجدُّ من المسائل والمشاكل والواقع انهُ بقي طول ايامهِ شديد الاهتمام بحوادث الايام كثير الخوض في المسائل العمومية سياسية كانت او اجتماعية حتى انهُ لما عادهُ صديقهُ المستر ليونارد كورتني قبل وفاتهِ باربعة اسابيع جعل سبنسر يحدثهُ في السياسة المالية التي هي شغل الانكليز الشاغل في هذه الايام ويستنكر سعي البعض في تقييد حرية التجارة لانهُ مناقض للحرية الشخصية. ولما هاجت الحرب بين الانكليز والبوير انتصر للبوير على قومهِ وتحسر وتأسف على ذهاب قوتهِ وعجزهِ في شيخوختهِ عن الجهاد لمنع تلك الحرب او ابطالها قبل استفحال شرها فانهُ كان اشد الناس كرهاً للحروب لاعتقادهِ انها من اسباب تقهقر العمران ولا يجيزها الاَّ اذا كانت دفعاً للتعدي على الوطن ويكرهُ نظام الجندية بحجة انهُ من عوامل الاستبداد وانهُ يقيد الحرية ويحول دون الاستقلال ويلقي البوار في الصناعة والتجارة ويضعف حركة الاعمال. وكان ايضاً خصماً الاشتراكيين في مذهبهم يعدهُ ضرباً من الاستبداد ويقول ان كل فرد من افراد الهيئة الاجتماعية يجب ان يكون حرًّا مطلقاً من كل قيد الاَّ ما يقيدهُ عن التعدي على حرية غيرهِ

وكان يقول انهُ يجب على الانسان ان يجعل العلم والعمل واسطة لادراك السعادة والنعيم لا ان يجعلهما غاية حياتهِ. وكان يخص بعض وقتهِ بالراحة من عناء الاشغال ويقصد نادي "الاثينيوم" يتسلى فيهِ بلعب البلياردو وكان مولعاً بلعبهِ ويقصد ايضاً مشاهدة التمثيل ويفضل الهزلي منهُ على سواهُ فينظر الى العاب الناس الهزلية ويغرب في الضحك. وكان يحب زيارة الاخصاء ويحدثهم حديثاً طليًّا يسحر بهِ سامعيهِ. وقد امتازت احاديثهُ ببساطتها وخلوها من كل ما تُشتم منهُ رائحة الكبر والادعاء وكان مغرماً بسماع الموسيقى ويحسن التصوير والتلوين بالماء ويحب صيد السمك بالصنارة من الجداول والغدران

وكان يجري في التأليف احياناً على طريقة غير مألوفة فيذهب مع كاتبهِ الى بحيرات اسكتلندا وهناك يملي عليهِ ربع ساعة ثم يترك الشغل العقلي ربع ساعة يركب فيهِ قارباً ويجذف حتى تنشط الدورة الدموية بحركة التجذيف الرياضية ثم يعود الى الاملاء. وكذلك كان يأخذ كاتبهُ معهُ في لندن الى ساحة تلعب فيها الالعاب الرياضية فيملي عليهِ قليلاً ويلعب قليلاً. والَّف فصولاً كثيرة من فلسفتهِ العقلية وهو يتنزه صباحاً في حديقة متحف التاريخ الطبيعي

بلندن وكان يحسب ان املاء الف كلمة صباح كل يوم شغل كافٍ قبل الظهر

وكان لا يقرأ كثيرًا ولكنهُ يستوعب ما يقرا وقلما كانت تفوتهُ قراءة ما له علاقة بابحاثهِ. قال مرة لو كنت اكثر من القراءة كغيري لكانت معارفي قليلة كمعارفهم

غير انهُ مال الى العزلة في اواخر سني حياتهِ وامتنع عن معاشرة الناس ولم يكن يقابل غير افراد من اخص الاخصاء وبعض القصاد من اقاصي البلدان لان الكلام كان يتعبهُ ويضنيهِ فيضطر الى تقصيرهِ حفظاً لصحتهِ ولكن ظلت الموسيقى تسليتهُ العظمى فكانت سيدة من الضاربات على البيانو تأتي بيتهُ كل يوم وتضرب له بعض الالحان

هذا وقد اسعدني الحظ بمقابلتهِ ومحادثتهِ غير مرة في بريطن منذ اربع سنوات . ورأيتهُ حنطي اللون اشهل العينين مستقيم الانف كبير الرأس اصلعهُ من الامام ولكن شعره طويل في ما بقي يكاد يغطي اذنيهِ فيزيد منظره جلالاً ووقارًا وقد اطلق عارضيهِ وكان لا يزال اشمط لم يبيض شعره بالشيب تماماً . وبقي طول ايامهِ اعزب وعاش مثالاً للعفة والفضيلة يقول ويفعل ويعمل بما يعلّم ولم يحد يمنةً ولا يسرةً عن المبادىء التي كان يوصي الناس باتباعها ففاق في فضلهِ كما فاق في عقلهِ . وبقي صحيح الادراك حاد الذهن الى ان جاءتهُ ساعة النزع فغاب حينئذٍ عن وجدانهِ حتى وافتهُ المنية وحجبتهُ بحجب الابدية

وقد كتب ترجمة حياتهِ بيدهِ واوصى بطبعها بعد مماتهِ فبات العالم ينتظر التعزي بها عنهُ والتأسي عن فقدهِ بتجلي عرائس فكرهِ

سليم مكاريوس

[المقتطف] وفي الرابع عشر من الشهر أُتي بجثة سبنسر الى المحرق في مدينة لندن حيث جرت العادة ان تحرق جثث الناس بوصية منهم لان ذلك انفع لصحة الاحياء من دفنها في التراب . ولم يلبس احد من مشيعي الجنازة لباس الحداد عملاً بوصيتهِ واجتمع جم غفير عند المحرق من اصدقائهِ ومريديهِ مثل مسز وردالكاتبة الشهيرة والمستر ليونلد كورتني احد وزراء انكلترا السابقين وارملة تندل وارملة غرانت الن . ومن مشاهير العلماء السر تسلتون دير والاستاذ جمس ذوَر والسر هنري طمسن والسر ميخائيل فوستر والدكتور رتشرد غارنت والمستر فرنسيس غالتون والاستاذ ملدولا والاستاذ وليم هدصن وكثيرون غيرهم . ولما وُضع التابوت امام باب المحرق وقف المستر ليونلد كورتني وأبّن الفقيد بالخطبة التالية قال ما ترجمتهُ

لستُ اهلاً للقيام بهذا الواجب الاشرف الذي دعيت له . وعليَّ ان اعترف بذلك بصدق واخلاص في فاتحة الكلمات التي سأتلوها على مسامعكم . ولا يحق لي ان ادعي بانني درست مؤلفات سبنسر الدرس الواجب ولا لي الشرف ان اكون من عداد تلامذتهِ . وانتم تعلمون

انهُ رغب اولاً في ان يكون المؤبن لهُ رجلاً آخر رجلاً نعرفهُ كلنا ونحترمهُ ألا وهو جون مورلي ولو كان هو المتكلم الآن لكان كلامهُ جديرًا بفقيدنا ومآثرهِ · ولكن اشتغالهُ الدائم اربع سنوات متواليات انهك قوتهُ واضعف صحتهُ فاضطرَّ ان يطلب الراحة والعافية بالسفر في البحر المتوسط وبلغتهُ وفاة هربرت سبنسر وهو في سواحل صقلية وقد استراح من عناء الاشغال وعاد اليهِ نشاطهُ المعتاد ولكن الشقة طويلة فيستحيل عليهِ ان يصل الى هنا اليوم لو كرَّ الينا راجعًا · فقيل لي ان الفقيد اوصى بان اقوم مقام جون مورلي اذا تعذر عليهِ حضور جنازتهِ وبلغني هذا الخبر منذ اربعة ايام وانا في العاصمة الشمالية وكنت غائصًا في بحار الاشغال منهمكًا في مهام اخرى ولكنني لم ارَ لي بدًّا من ان البي هذه الدعوة ومنذا اطلب العفو منكم عمَّا يبدو مني من القصور فاني ليخور عزمي ويعروني الوجوم حينما اتصوَّر مقدار الجماهير الغفيرة من العلماء والادباء في كل الاقطار الحاضرين معنا الآن نفسًا ان لم يكن جسدًا لكي يعربوا عن الشكر والمسرَّة عما للفقيد من الفضل عليهم· ولكنني لا احجم عن ذكر بعض الشيء مما لهُ علاقة خاصة بالفقيد· فلقد تعرَّفت بهِ منذ سنوات كثيرة وبعد اكثر من عشرين سنة عاشرتهُ فتمكنت عرى المودة بيننا لاسيما بعد ان دخلت في عائلة كان فيها ضيفًا كريمًا وصديقًا حميمًا ورأى بناتها يجاوزن سن الطفولة فالصبوة فصرت شريكًا لهنَّ في ما يعلمنهُ من امرهِ وزادت مودتنا احكامًا وصداقتنا تمكنًا ولاسيما في السنوات الاخيرة اذ كنت ارتشد بارائهِ في اشغالي العمومية

واول ما يخطر على بال من ينظر الى حياة سبنسر هو الإعجاب بالكتب الكبيرة التي صنَّفها والشكر والمسرَّة لانهُ عاش حتى اتمها. فانهُ ما من احد من الفلاسفة ابتدأ عملاً كبيرًا مثل عملهِ واستطاع ان يقوم بهِ الى آخرهِ. حتى لقد حسب الناس ان اللائحة التي نشرها سنة ١٨٦٠ عمَّا عزم على تأليفهِ من الكتب حلم لا يرجى اتمامهُ لما قد يعترضهُ من العقبات الجمَّة . وقد اعترضتهُ هذه العقبات فقام ضعف صحتهِ في وجههِ واضطرَّهُ الى تأجيل عملهِ ان لم يكن الى العدول عنهُ· ولم يكن على ثروة طائلة تكفي للانفاق عليهِ فنفد ما عندهُ من المال سريعًا · وقد سهل التغلُّب على العقبة الثانية لانهُ حالما اعلن عزمهُ على توقيف التصنيف والنشر جاءتهُ المساعدة المالية الكافية فان قرَّاء كتبهِ كانوا قد زادوا اكثر مما ظن فاجتمع مريدوهُ في اميركا وقدَّموا لهُ مالاً لاستمرار العمل وزاد المبيع من كتبهِ حالاً فربح منها ما يكفي لطبع باقيها · اما اعتلال صحتهِ فبقي عقبة كبيرة في سبيل الاسراع في تأليفهِ لانهُ اضطرَّ ان يقتصر على ساعات قليلة كل يوم وان ينقطع احيانًا عن التأليف زمانًا طويلاً · ومن الغريب انهُ استطاع ان يؤلف ما الفهُ مع ما كان في صحتهِ من الاعتلال · وقد مرَّ ست وثلاثون سنة من حين شرع في تأليفهِ

هذه الكتب الى ان اتمها . ولا غرابة في ذلك نظرًا الى اتساع نطاقها وغزارة مادتها فان كل حوادث التاريخ ومسائل العلم ومطالب الفلسفة وشعائر الاديان وكل الدرجات التي تدرَّج فيها ارتقاء الانسان جُمِعت معًا واستُنتِجت منها نتيجة بديعة ساطعة وهي كيف نشأ العالم . فبهذا الاتفاق الذي وجدهُ سبنسر بين مصادر متخالفة وبهذا الارتباط الذي بيَّنهُ بين موارد منفصلة متشعبة قامت عظمتهُ وشعر الالوف من قرَّاء كتبهِ المتتابعة باكتشاف اسلوب عظيم بديع للارتقاء لم يكن معروفًا من قبلُ . وان كان البعض قد ظنوا ان هذا البحث يصل الى حد لا يتعداه او انهُ قاصر عن ايضاح بعض الغوامض او ضعيف في بعض المقدمات فلا شبهة في ان جمهور القراء في العالم المتمدن كلهِ مقتنع تمام الاقتناع ان سبنسر افاد بمؤلفاتهِ واختطَّ خطة جديدة للبحث سيكون لها شأن كبير في تعليم الناس وتهذيبهم

نعم ان اول ما نُعجب بهِ في مؤلفات سبنسر هو اتساع نطاقها وقوة حجتها وشمول النتيجة الساطعة التي وصل اليها ولكن يجب ان لا ننسى ان غرضهُ الاول والاعظم منها انما كان نفع نوع الانسان . فلما ترجَّح لهُ ان صحتهُ لا تمكنهُ من اتمام مؤلفاتهِ كلها بادر الى اتمام الفرع الذي حسبهُ انفع من غيرهِ لنوع الانسان وهو البحث عن الاصول التي تبنى عليها المعاملات الشخصية والسياسية (العمومية) لان غايتهُ القصوى كانت اكتشاف الاصول الحقيقية التي تبنى عليها المعاملات فلما رأى ان عمرهُ قد ينقضي في الاعمال التمهيدية فلا يصل الى مقصدهِ الجوهري تركها وبادر اليهِ . وكانت الاصول التي وصل اليها في بحثهِ التمهيدي قد فتحت لهُ السبيل للوصول الى هذا المقصد لان توازن القوى الطبيعية الذي وجد انهُ يعلّل كل الحركات المادية رأى لهُ مثيلًا في توازن القوى المتسلطة على نوع الانسان في ارتقاء جماعاتهِ . ورأى ان المزية الكبرى هي الحرية الشخصية وان عليهِ ان يقاوم بكل جهدهِ اعتداء ما وضعتهُ الجماعات من القوانين التي تعارض مصالح الافراد . ويحق لنا ان نقول انهُ عرف ما سيأُول اليهِ الارتقاء اخيرًا ولكننا لانستطيع كانا ان نجاريهُ في تطبيق هذه المبادىء على احوال الناس . واننا لنجهل امر المستقبل ولا نعلم من الحاضر الّا القليل ومع ذلك نثق ان النظام سيسود في مستقبل الايام من غير عنف وان الحرية الشخصية ستكون تامة . وعلينا في الوقت الحاضر ان نمنع كل اعتداء عليها

ورأى في اخريات ايامهِ ما احزنهُ من سير البعض على خطة تخالف مبادئهُ ولو ظاهرًا وتكلم قُبَيل وفاتهِ مع سيدة كانت اولًا من اتباعهِ ثم مالت الى حزب القائلين بجمع رأس المال [1] فقال لها لقد افترقنا ولكنني اعلم اننا نقصد الى غاية واحدة ولو طلبناها في سبيلين مختلفين .

---

(١) حزب من الاشتراكيين يقول بان راس المال يجب ان يكون ملكًا للجماعة كلها لا للافراد

فقالت نعم وقد تُكتشف طريقة اخرى للوصول الى هذه الغاية غير طريقتك وغير طريقتنا ·
فقال لها نعم قد يكون ذلك · ويظهر من هذا ان عقله بقي حتى الاسبوع الاخير من عمره
مستعداً لقبول الآراء الجديدة

ولا بدّ لنا ونحن واقفون امام هذا الجسد الذي سيصير بعد قليل حفنة من الرماد ان نتبع
سبنسر في ما حاوله اخيرًا من اكتشاف حلٍّ لمسائل الحياة العويصة . والفصل الاخير من
كتابهِ الاخير يتعرَّض لهذه المسائل ويعرض رايهُ فيها وحكمهُ في غوامض الكون · فقد
افصح فيهِ عما خامرهُ من الدهشة حينما نظر في هذا الكون الواسع الذي لا حدَّ لهُ وفي شرائعهِ
الخالدة التي كانت قبل الخلق والنشوء · والآن وقف عقلهُ عن عملهِ وبطل ما يدلُّ على الشعور
بالموجودات فهل يبقى وجدانهُ بعد زوال آلتهِ وهل الروح التي كانت في هذا الجسد خالدة
مثلهُ غير فانية او ترجع الى القوة الازلية التي صدرت منها كما تصدر الشرارة من النار · وان
كانت لا تفنى في المستقبل افليس انها لا تستطيع ان توجد من نفسها كما لا تستطيع ان تفنى ·
استاذنا لا يعلم ذلك ولا يدَّعي علمهُ لانهُ فوق طور العقول · وقد تزيد معارف الناس ويقل
ما يجهلونهُ على توالي العصور ولكن المجهول يبقى كثيرًا جدًّا بالنسبة الى القليل الذي نعلمهُ . وقد
يتصل الناس الى معرفة شيء مما يُحسَب الآن في عداد ما لا تدركهُ الافهام ويبقى السر الاعظم
وراء طور العقول ولكننا لا نُعفَى من الاشتغال في النهار قبل ان يدركنا الليل · واذا امكننا
الاشتغال فليكن شغلنا في ما هو شريف ونافع في ما يزيد حياة الناس قوةً واتساعًا ويعلي
شان الفضيلة · هذا هو السبيل الذي سار فيهِ سبنسر فانهُ وقف نفسهُ لخدمة ابناء نوعهِ مثل
افضل الرجال المنتمين الى مذهب ديني مخصوص · فالوداع الوداع ايتها النفس الخالدة الآثار التي
لا تزال تكلمنا وسيبقى صوتها مسموعًا مدى العصور التالية

ولما اتمَّ هذه الخطبة فُتح باب المحرق وزُجَّ النعش فيهِ ثم وقف رجل هندي اسمهُ شياماجي
كرشناڤرما وقال "كلمتين من رجل هندي بعد الخطبة البليغة المؤثرة التي سمعناها من الخطيب ·
ان اسم سبنسر يدور على لسان كل واحد من ابناء بلادي المتعلمين · وانا نفسي مديون دينًا كبيرًا
لهذا الرجل العظيم الصالح الذي نندب كلنا فقدهُ · وعلامةً لاحترامي لهُ اهب هبة طفيفة دليل
الشكر لهُ وهي الف جنيه اقدمها الى مدرسة اكسفرد التي تعلمت فيها يخصص ريعها لخطابة تخطب
سنويًا تذكارًا لهذا المحسن على نوع الانسان · واذا لم تقبل مدرسة اكسفرد ذلك مني فاني
ساعرضهُ على مدرسة لندن وارجو من اصدقاء سبنسر ان يساعدوني في اقناعها بقبول ذلك ·
واشكركم في الختام لانكم سمحتم لي باظهار ما للفقيد عليَّ من الفضل في هذا الموقف الرهيب"

قيمة التربية

خطبة تليت في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت وقت الاحتفال بتنصيب رئيسها

نعمة من نعم التربية الحديثة حلّت على هذا العاجز فدمجتهُ في زمرة خطباء الليلة وشرفتهُ بالمثول امامكم ليخطب في التربية ويجتلي قيمتها وما هو الاّ صوت صارخ في المنتدى فاسمعوا لهُ واعتبروا القول دون قائله

اول ما جال في خاطري ان اسأل ما هي التربية وما هي الغاية من التربية وكيف يتوصل الى تلك الغاية . وعلى هذه الاسئلة الثلاثة اجيب واشرح باختصار او تطويل على ما يناسبني فان اصبت في الاجوبة عند جميعكم فقد نطقت بحقيقة راهنة لا يختلف فيها اثنان وان اصبت عند قوم واخطأت عند آخرين فقد ابديت رأياً وما اكثر الآراء والمرتئين في الدنيا . وان لم أصب عند احد فقد صففت كلاماً وازعجت كراماً وما اكثر صافي الكلام ومزعجي الكرام

السؤال الاول — ما هي التربية — والجواب على هذا لا يقتضي الاقتباس من اقوال العلماء والفلاسفة الذين بحثوا في التربية ووضعوا لها الحدود والاقسام فان تلك الاقوال مع ما هي عليهِ من المأثرة لا تزيد كثيرًا على معنى التربية البسيط المتعارَف الذي يتناولهُ المتعلمون والاميون · وهذا جلي في قولنا ربَّى الشجرة او الخروف او الولد ومعنى التربية في كل ذلك (المساعدة على النمو) . فان الذي يربي الشجر او الخراف يقوم بتجهيزها بالغذاء والهواء على قدر ما توصلت اليهِ معرفتهُ في فن التربية حتى تنمو وتبلغ الغاية التي يتوخاها واذ ذاك فهي لا تطلق الاّ على ما كان ذا حياة في عالمي النبات والحيوان اذ لا يقال ربى الحجر والخشب . فالتربية اذًا المساعدة على النمو

السؤال الثاني — ما هي الغاية من التربية والجواب على هذا ايضاً اتناولهُ من الامثلة السابقة فان مربي الشجر او الخراف او غيرها يتولى تغذيتها وخدمتها حتى يتم لها الوصول الى النماء الكامل عندما تردّ الى مربيها ومن حولهُ جزاء اتعابهِ وثمرة خدمتهِ · فالغاية اذًا من كل تربية ايصال المربى الى كمال النماء والحياة

السؤال الثالث — كيف يُتوصل الى تلك الغاية — هنا تتردد الافكار وتتضارب الخواطر ويقف الباحث موقف الحيران يصور فكرًا على الورق ثم يضرب على فكر حتى يستقصي في البحث ويرجح لديهِ شيء مثل الحقيقة يعتصم بهِ ويبرزهُ الى عالم الظهور · لان تعريف التربية وغايتها قلما يُتنازع فيهما انما النزاع كل النزاع في كيفية الوصول الى تلك الغاية وهذا ما يهتم بهِ علماء

التهذيب والتربية في ايامنا الحاضرة ويحرون تقريره ُ . وعليهِ فانا اذكر خلاصة ما رجع عندي واترك تفصيلهُ حتى اجيء الى ذكر المدارس ولكم ان تقبلوهُ او تحوّروهُ او ترفضوهُ فاقول

يُتوصل الى غاية التربية بدرس طبيعة المربى وتجهيزهِ بما يناسب تلك الطبيعة من الوسائط الداخلية والخارجية ويقويها حتى تبلغ اشدها في وجهة الكمال . فينتج اذ ذاك ان كما تركبت طبيعة المربى صعب القيام بالتربية . وعليهِ فتربية الانسان من اصعب التربيات وادقها وابعدها عن درجة الكمال لانها تتناول — هذا اذا كانت تربية حقيقية — طبائعهُ الثلاث معاً الجسدية والعقلية والادبية وتحاول التوفيق بينها فلا ترقي هذه على نفقة تلك ولا تقوّي واحدة لتضعف اخرى

والمطّلع على تاريخ التربية الباحث في شؤونها وارتقائها يرى ان الاقدمين خبطوا فيها العشواء واساؤوا تناولها وفهمها فصرفوا هممهم الى تقوية الطبيعة الجسدية ولم يتنبهوا لغيرها. ولا غرو فقد كان تنازع البقاء في السيادة يقضي عليهم بوجوب ذلك واستمروا كذلك احقاباً متعاقبة . ثم اخذت الطبيعة الادبية تنمو وتتقوى وتستنير بالوحي والالهام فظهرت نواهي الدين واوامرهُ واعتصم الناس بالشعائر الخارجية والطقوس التقليدية ولم تنجلِ لهم الحقائق لان عقولهم كانت مظلمة ومداركهم قاصرة وما زالوا يخلطون الاوهام والسفه والاباطيل بالحقائق حتى فتح الله على بعض ذوي الادمغة الكبيرة فابصروا شعاعاً من نور العلم وتجلت لهم بعض الحقائق الطبيعية فنطقوا بما ادركوا وخلطوا فيما نطقوا وتناول منطوقهم الخلف فزاد عليهِ وناولهُ لغيرهِ وما زالوا كذلك حتى صار المنطوق مخطوطاً ثم مطبوعاً . وظهرت الفلسفة الحديثة فاصلحت تربية الطبيعة العقلية وهبَّ الاصلاح الديني فقوَّم الطبيعة الادبية وهكذا استقامت التربية على وجه مجمل لانها اصبحت تتناول طبائع الانسان الثلاث فاستقامت بذلك احوال المدنية وامتد العمران — هذا ملخص تاريخ التربية

ونرى اليوم ان البلاد التي ادركت قيمة التربية واخذت باسبابها الصحيحة واعتبرت طبائع الانسان الثلاث قد رقت في مراقي العمران الى درجة لا تدانيها فيها بلاد اخرى . والتي لم تزل ترقي طبيعة على نفقة اخرى وتنزل الاوهام منزلة الحقائق وتتبع التقليد في ذلك ولا تفسح للتربية الحقيقية مجالاً فيها قد توقف عمرانها واستولى عليها الانحطاط والمشاهَد يغني عن الشاهد هنا اقف عند هذا الحد واتناول التربية بوجه عام فاقول

التربية اول ما تكون بيتية يتولاها الوالدان او المهذبة وهي اساس التربية المدرسية وانجح ما تكون اذا اعتُبرت فيها فطرة الولد واميالهُ وقواهُ العقلية والجسدية وتكيفت على ما يوافق تلك الفطرة والاميال بحيث تقوّم اودها وتزيد في نشاطها فاذا تنبه المربي الى كل هذا ونظر بباصرتهِ

الولد الصغير وبصيرتهِ الرجل الكبير الذي سيكون منهُ ووضع نصب عينيهِ مستقبل الولد واقام على تربيتهِ لينشئهُ رجلاً نافعاً للهيئة التي يسكن فيها حاسباً اياه وديعة لا ملكاً يحق لهُ مطلق التصرف فيهِ — وديعة يطالبهُ بها الخالق جلَّ وعلا وتسلّمها منهُ الهيئة البشرية — فعندئذٍ يبذل مجهودهُ وجل ما وصلت اليهِ معرفتهُ ويستعين بغيرهِ ايضاً ليحسن القيام بتربيتهِ وتهذيبهِ

ولعل في هذا النادي من يتبادر الى ذهنهِ الاعتراض على مقالي ان الوالد لا يحق لهُ مطلق التصرف في ولدهِ لان الولد من بركات الله على الوالد فهو ملكهُ بشرع الطبيعة والعادة . فمثل هذا اقول اني ارى عكس ما ترى فالوالد هو للولد ومن واجباتهِ ان ينشئهُ ويربيهُ ويقيم عليهِ حتى يشب ويقوى على العمل والاستقلال عنهُ . والى مثل هذا يرى كثيرون من عقلاء الاوربيين والاميركيين فيعتبرون بقاء الولد عيالاً على ابيهِ مضرًّا بهِ وبالهيئة ولذلك فهم يتركونهُ وشأنهُ يجاهد في عالم الاعمال ليحصل رزقهُ ويقيم لنفسهِ بنفسهِ حيزًا من المكانة والاعتبار . ويتصرف الوالد باموالهِ فينفق منها في سبل الخير والنفع العام وكثيرًا مالا يورث منها لاولادهِ الاَّ النزر

هكذا نرى العجماوات جميعها تلد اولادها وتقيم على تنشئتها فتدافع عنها بحياتها ان اقتضت الحال حتى تكبر وتقوى على الاستقلال عنها فلا تعود تعرفها . ومن هذه الحقيقة الطبيعية العامة انتقل الى النقطة المهمة في خطابي الليلة وهي ان التربية الصحيحة هي ما انشأت في المربى القوى والصفات والاخلاق والعوائد التي تدفع بهِ الى العالم البشري رجلاً عالماً عاملاً اميناً عارفاً نفسهُ محترماً حقوقهُ حتى يتمكن من احترام حقوق غيرهِ . وكل تربية لا ترمي الى هذه الغاية النبيلة ما هي بالتربية الصحيحة والقيّمون عليها يعوزهم اصلاحها

اما التربية المدرسية فهي ايصال المعرفة الى الفرد وتدريبهُ على استخدامها والانتفاع بها . والغاية منها ان يعرف الفرد الواجب عليهِ نحو نفسهِ ونحو الخالق والمخلوق ويكون مستقيماً في معاملاتهِ صادقاً في افكارهِ واقوالهِ — مخلوق ضعيف لا يدري من الوجود الاَّ انهُ يأكل ويشرب وينام . حيوان ناطق ذو نفس لا يشعر بمطاليبها وقوًى لا يدري كيف يديرها تسوقهُ التدابير فيدخل المدرسة ويتنشق هواءها ويغتذي بغذائها ويتناول ذرائع التهذيب والتربية فيها فينمو عقلهُ وتستنير بصيرتهُ وينفتح قلبهُ وتتسع مداركهُ ويرى ما يُرى وما لا يرى حتى يحس انهُ اصبح كبيرًا قويًّا بالنسبة الى ما كان وصغيرًا ضعيفاً بالنسبة الى ما سيكون يخرج الى العالم وينخرط في مهامهِ فيبرهن عن علمهِ بعملهِ . في مثل هذا يظهر فضل التربية ومقدار قيمتها في من يتخرجون في المدرسة ثم يخرجون منها ليكونوا منائر حيثما حلوا . في من يعتمد عليهم

في ادارة الاعمال الخطيرة والمساعي العظيمة . في من يخلصون لوطنهم ويعملون على تعزيزهِ . فعليكِ السلام ايتها التربية الحقيقية القائمة بترقية البشر وايصالهم الى كمال الحياة وعلى ابنائك وبناتك الصادعين باوامرك المتولين تهذيب الولدان والشبان والشابات خير تحية . وانت ايها المفتش عن اصول التربية الصحيحة الدائب في جمع فروعها الراغب في استثمارها ارعني سمعك واصغِ الى ما اوحتهُ اليَّ تلك التربية فلعلك تسمع ما ينطبق على مبتغاك ويحقق لك مناك . وانتِ ايتها الكلية القائمة في راس بيروت الجميلة الموقع الرافعة الى عنان السماء ابنية قلاع في القوة عرائس في الجمال . المتسعة الارجاء الغنية بالمال والرجال ما هو مأربكِ والى اية غاية ترمين ؟ هل اقتِ في بلادنا للاتجار كما فعل الكثيرون ؟ او هل طويتِ نيتك على امركة السكان كما يزعم الجاهلون او حللتِ بين اظهرنا لتشربينا كرهَ لغتنا وامتنا كما فعل آخرون ؟ كفى ايتها الملكة البهية اني اقرأ جوابك في عينيك وارى مأربك في اعمالك واستجلي غايتك في رجالك . فاعلمي اذًا انهُ مهما تقوَّل عليكِ بعض الخلق ونسبوا لك من الغايات فكل عاقل مخلص يراكِ كما انت ملكة التربية وام التهذيب ومنارة المشرق ومنبت الرجال

بقي لي ان ابين قيمة التربية المدرسية وفوائد التخرج في المدارس ولذلك القي هذا السؤال — لماذا نأتي المدرسة . هل نأتي المدرسة لغاية اذخار المعرفة والاطلاع على الحقائق التاريخية والطبيعية ؟ للحصول على الانكليزية مثلاً او الافرنسية او الالمانية فقط ؟ هل نأتي المدرسة لنرقي اذواقنا في الملبس والمأكل والمشرب والمأوى فقط ؟ هل نغدو ونروح الى المدرسة كي يقال عنا انهم ابناء مدرسة من شباب العصر ؟ هذا كل ما نرمي اليهِ ؟ اهذا كل ما يعلق على اذهاننا من التربية المدرسية ؟ ان كانت هذهِ غايتنا وذاك تأثير المدارس علينا فبئست الغاية غايتنا ولا حبذا المدارس القائمة بتهذيبنا

اما اذا كنا نأتي المدرسة لكي نقف على ما وصلت اليهِ معارف البشر اجمالاً — لكي نعي من تلك المعارف ما يناسب مقدرتنا العقلية والجسدية ويمكننا حسن العمل في الحياة — لكي نتدرب على الترتيب وتتميم الواجب وافتداء الوقت — لكي نتعود حب المطالعة والبحث على كل ما سما قدرهُ وحسن ذكرهُ — فعندئذٍ نكون قد عرفنا قيمة التربية ونهجنا سبلها واعتصمنا باسبابها وبتنا من اهلها واعوانها . وليت شعري كم يبلغ عدد الذين يؤمّون المدارس في بلادنا وهذه الغايات في رؤوسهم او بالاحرى كم يبلغ عدد المدارس نفسها التي تبلغ تلامذتها الى هذه الغايات ؟ هنا اقف واترك الجواب لكل سامع

فيا ايها الآباء والامهات والاوصياء والمعلمون والمعلمات والاساتذة وارباب المدارس القائمين

بتربية صغار الحاضر وكبار المستقبل · هل ادركتم قيمة التربية البيتية والمدرسية وشعرتم بعظم المسؤولية المتعلقة بها ؟ هل عرفتم ان سعادة الامة وشقاءها في ايديكم؟ هل حسبتم بسمو مركزكم عند كل عاقل كخدام التربية وعمالها القابضين على ازمة العقول والعواطف والاخلاق والعوائد؟ ناشدتكم الله اذاً ان توسعوا حدودكم وتتناولوا من تربون يد المحبة والامانة والصبر ولا تنظروا الى ما يربحكم في الحال وكثيراً ما يتعبكم في المآل . بل انظروا الى صالح المربى العام — الى صالح الانسانية الكامنة فيهِ — الى ترقية الهيئة التي هو فرد من افرادها · عندئذٍ تتساهلون وتشدّدون وتقاصون وتكافئون فيكون مجمل اعمالكم آيلاً للخير والتهذيب وتكونون انتم في دائرة التربية القويمة · ولا تهتموا فقط بما يفعل المربى وهو تحت مراقبتكم لان هذا طرف من اطراف التربية لا يؤمن التشبث بهِ · واياكم وان تضغطوا عليهِ كثيراً لئلاّ تتبدل فيهِ صفات الشجاعة والامانة وحرية الفكر الى صفات الجبن والمخاتلة والرياء ويصبح ملاكاً حين تكون عليهِ الرقباء وشيطاناً حين يخلو لهُ الجو ويأمن العيون · علموا من تربون كيف يقضون اوقات فراغهم · دربوهم على الملاحظة والاستفهام عن الغامض · عودوهم على ادراك المسؤولية التي عليهم نحو نفوسهم ونحو من حولهم ونحو خالقهم . انشئوهم حتى يدركوا ان هذه المسؤولية تكبر بكبرهم وتصغر بصغرهم وان لا نجاح بدون زيادة المسأولية · افهموهم ان كل انسان اخوهم من جبلتهم وانهُ قد يختلف عنهم بالعقيدة والعوائد وقوة الادراك ولكنهُ يبقى اخاهم في الانسانية ذا نفس خالدة وحقوق مقدسة · قولوا لهم ان الاختبار الشخصي هو الاختبار الذي يدوم وان كل من سار على الدرب وصل · لقنوهم ان البخت قد يساعد الانسان للحصول على مركز سامٍ لكنهُ قلما يساعدهُ على البقاء فيهِ · وان الرزق الذي يكتسبهُ الانسان بماء جبينهِ هو الرزق الذي يدوم ويثمر ويجعل حياة سعيدة تكتنفها الحكمة والنزاهة والاعتدال

هذه هي اسباب التربية الحقيقية وهذه هي التربية التي تعتمدها مدرستنا الكلية · وليكن معلوماً ان الكلية لا تخرج تلامذتها وترسلهم الى العالم الفسيح ليشخصوها بالعمليات فقط بل بالآداب الصحيحة والرجولة والانسانية والتهذيب العام . لان صيت المدرسة وسمعتها الحسنة لا يتوقفان على ما يضيفهُ ابناؤها الى عالم العلم والمعرفة مثلما يتوقفان على ما يفعلون بين الناس وما يظهرونهُ من ضروب الشجاعة والامانة والاستعداد والمقدرة على العمل

هاكم الامة الفرنسوية فهي مع ما اشتهرت بهِ من العلماء والفلاسفة والصناع والمخترعين على اختلاف مناصبهم قد احست حديثاً بفساد بعض مباديها في التربية المدرسية فنهض المسيو ديمولان احد علمائها منذ بضع سنين وانتقد مبدأ التربية في فرنسا واظهر نقائصهُ في كتابهِ سر

تقدم الامم السكسونية — ذلك الكتاب الذي قامت له الخواطر وقعدت وترجم الى اشهر اللغات الاوربية حالما تداولته الايدي بعد نشرهِ قد ابان فيهِ مؤلفهُ ان قيمة التربية لا تقوم فقط بكثرة المواد التي تلقى في ذهن التلميذ ولا بمقدرة الاساتذة في الفروع التي يدرسونها بل بالروح التي تبثها المدرسة في التلامذة . الروح التي تفتح قلوبهم وتنير عقولهم وتجعلهم يعتمدون على ذواتهم في تطلب المجد والرفعة وتريهم ان ليس في الوطن وحده يحيا الانسان بل في كل بلد من بلدان المعمور . وان الجاه والغنى والرفعة ان كانت تتأتى للفرد في وطنهِ فأحرِ بها ان تتأتى له في غير وطنهِ حيث يعتمد على نفسهِ ويتفرغ لتوخي غايتهِ

من كل هذا نسج الموسيو ديمولان كتابهُ ونشرهُ في طول بلادهِ وعرضها فتجاوزها الى كل البلدان المتمدنة واحدث دوياً في الاندية العلمية لان ناسجهُ قد طرق فيهِ باباً لم يطرقهُ احد غيرهُ من كتبة الافرنسيس إذ ابان لامتهِ انها دون الامم السكسونية في التربية المدرسية

فمن هو الموسيو ديمولان فينا الذي يقوم ويفحص مدارس بلادنا الابتدائية والثانوية والعالية الوطنية والاجنبية وينقد طرق التربية فيها فيفرز الرديء من الجيد ويحض ارباب التهذيب على نبذ الاغراض الجنسية والتعصبات المذهبية وصرف النظر في وجهة التربية القويمة التي تنشئ للامة والوطن وللعالم باسرهِ رجالاً اشداء امناء نحو نفوسهم ونحو بني جنسهم . فاذا اردت ان تميز بين التربية القويمة والمعوجة تخالط القائمين بامر التربية وافحص عن شخصيتهم وقف على كيفية تدريسهم واطلع على الكتب التي يدرسونها والفروع التي يبسطونها لدى الطلبة . انظر كيف يعاملون المربى وباي روح يقدمون الارشاد واية غايات ينصبون قدام من يربون واي سلوك يستحسنون امزج كلما يستخدمونهُ في سبيل التربية وخضهُ ثم شمهُ وذقهُ فان كنت تستطيبهُ وتستطعم فيهِ طعم الرجولة الحقة فاعلم ان التربية قويمة ونتائجها حسنة مفيدة . والاَّ فهي مزيج من الاعمال والافكار القاصرة

واذا اردت تربية ابنك في مدرسة ما فاسأل عن المدرسة التي تنزل تلامذتها منزلة بنيها لا منزلة خدامها — المدرسة التي تنير عقول التلامذة وتفتح بصائرهم بما تلقنهم اياهُ من المعارف النافعة والفوائد الجليلة . المدرسة التي تدرب تلامذتها على العمل والرياضة البدنية وتقودهم الى المعاشرة الصالحة وتقضية ساعات الفراغ بالاشياء المفيدة — المدرسة التي تشرب بنيها روح الشجاعة الادبية والمثابرة على العمل — وخلاصة القول ضع ابنك في مدرسة ترقي فيهِ ما وهبهُ اياهُ الخالق من القوى العقلية والجسدية بحيث ينشأ لا كما شاء التعصب بل كما شاء العلم الصحيح في بحبوحة الاخاء والمساواة والحرية — والسلام

بولس الخولي

حقوق المؤلفين

لاهل العلم وارباب القلم الذين يكبون على التأليف والتصنيف حقوق يتنعمون بها ويجنون منها ثمرات تعبهم العقلي وجهادهم الفكري كسائر ارباب الفنون والصنائع من مخترعين ونقاشين ورسامين ومستنبطين ونحو ذلك. وهذه الحقوق هي لهم بمقام عقار يتصرفون فيه كيف شاؤوا من بيع واسقاط وتنازل لايجوز لاحد الانتفاع به بلا تصريح منهم او شراء صحيح شرعي. ولا تقتصر هذه الملكية على صنف واحد من المصنفات بل تشمل جميع المؤلفات العقلية على اختلاف انواعها واوضاعها مخطوطة كانت او مطبوعة وتدخل فيها الروايات التمثيلية والاغاني وما كان من امثالها. وقد اعتبروها ملكية خصوصية منفردة عن غيرها كل الانفراد ودعوها باللاتينية "sui generis" وتأويله الشيء الذي من جنسه الذي لا يختص الا بذاته

وقولنا منفردة عن غيرها يعني انها ليست سوى احتكار وقتي او امتياز زمني بخلاف الملكية الجارية على بقية الممتلكات من اراضٍ وعقارات وامتعة فهي مطلقة دائمة لا تزول بمرور الزمان ولا هي خاضعة لحكم الوقت والاجل بل لعدة شروط الزامية او لبعض اجراءات قانونية يحتم على ذويها تتميمها حفظاً لحقوقهم وصدا لغارات المعتدين عليها. وهي مرعية الجانب مصونة الرتبة والمقام تحميها من مطامع الطامعين جملة نصوص قانونية وبنود رسمية سواء كان بقيمة التعويض التي يقتضي تعيينها للمؤلف او للمستحقين بعد وفاته او بانفاذ العقوبة المنصوص عنها في القانون

كانت حكومة فرنسا في السنين الغابرة قد منحت امتيازات لجماعة المؤلفين والطباعين وخصت بهم دون غيرهم حق النشر بالطبع. الا ان تلك الامتيازات كانت قابلة للنسخ والتبديل ومعرضة للتعديل والتحويل وكثيراً ما كانت تستبدل برخصة بسيطة ليس من شأنها ان تضمن للمؤلف تمام حقه كما هو وارد في قانونها الموضوع (اي الامتيازات) بل كانت تحفظ له ضمانة الى حدٍ محدود بمعنى انهُ لم يكن ليقدم احد على نشر التأليف قبل حصوله على الرخصة المشار اليها. وفضلاً عن ذلك فانها اصدرت اوامر وقوانين تنطق جميعها بحقوق المؤلفين والمستنبطين وحقوق ورثائهم من بعدهم في الموضوعات العلمية والفنية وتمنع تمثيل الروايات على المراسح بغير اذن سابق من اصحابها او اتفاق معهم. وزد عليه أن عقدت جملة معاهدات دولية لضمانة حقوق المؤلفين وحمايتها بالتبادل والاشتراك من سطو الساطين

واعتبر قانون العقوبات الفرنسوي نشر كل كتاب بلا اذنٍ من مؤلفه جنحة وتزويراً حيث قال في المادة الخامسة والعشرين بعد الاربعماية "كل من تجاسر على نشر كتابٍ بالطبع مخالفة

للقوانين واللوائح المتعلقة بملكية المؤلفين يُعد عملهُ هذا تزويرًا وكل تزوير هو جنحة" . وفي المادة السابعة والعشرين من بعد الاربعماية "عقوبة مرتكب التزوير تقوم بدفع ماية فرنك على الاقل والفي فرنك على الاكثر . وتقوم عقوبة البائع بدفع ٢٥ فرنكًا على الاقل و٥٠٠ فرنك على الاكثر" ... الى آخر ما جاء في المادة . وفي المادة الثامنة والعشرين منهُ بعد الاربعماية "كل مدير جوق او صاحب مرسح تمثيل وكل جمعية ممثلين تمثل على مرسحها روايات نكثًا بالقوانين واللوائح المختصة بملكية المؤلفين تعاقب بدفع غرامة ٥٠ فرنكًا على الاقل و٥٠٠ فرنك على الاكثر وبضبط الايراد الحاصل ." وفي المادة التاسعة والعشرين منهُ بعد الاربعماية "في الحالات المبينة في المواد المتقدم ذكرها يسلم حاصل الايراد المضبوط الى المالك (يعني صاحب العمل او التأليف) ليقوم مقام تعويض عن الضرر الذي يلحق بهِ . اما باقي التعويض الذي يطلب لهُ بعد حاصل الايراد (اذا كان هذا الايراد غير كافٍ) او مجموعهُ في حالة عدم بيع الاشياء المضبوطة وعدم حجز شيءٍ من الايراد فتتخذ فيهِ الاجراءات الاعتيادية الجارية في المحاكم

والقانون الذي سنتهُ حكومة فرنسا سنة ١٧٩٣ اوجب على كل مؤلف ان يودع نسختين من تآليفهِ حفظًا لحقوقهِ ويقوم هذا الايداع بتسليم النسختين الى نظارة الداخلية او الى محافظة المدينة او الى قلم الضبطية في المراكز الاخرى تبعًا لمحل اقامة المؤلف . وجاء في احدى مجلدات البنديكت الفرنسوية Pandectes Françaises في الكلام على "الملكية الادبية الفنية الصناعية" في مادة الايداع ان الشروط المطلوب تتميمها من المؤلفين لا بدَّ منها حفظًا لحقوقهم. الاَّ ان عدم تتميمها لا يترتب عليهِ ضياع الحقوق بل ينشأُ عنهُ نقص او ضعف في الانفراد بالتمتع بها . وطبقًا لقانون سنة ١٧٩٣ المذكور توجد طريقتان للايداع الاولى تقضي باجرائهِ والاَّ سقط حق المؤلف او ضاعَ واصبح عموميًا لا خصوصيًا والثانية تقضي بان عدم اجرائهِ لا يترتب عليهِ ضياع الحق

وللمؤلف ان ينتفع بمؤلفاتهِ مدة حياتهِ ويتنازل عن حقوقهِ فيها لزيدٍ او لعمرٍو من الناس بناء على شروط يتفق عليها . وبعد وفاتهِ يبقى حقهُ محفوظًا مدة خمسين سنة ثم ينتقل الى ورثتهِ (الاَّ في حالة وجود وصية او صك آخر ينفي ذلك) . وبعد مضي الخمسين سنة يصبح حق الانتفاع بمؤلفاتهِ حقًا عموميًا . وكذا الحال اذا كانت تركتهُ قد آلت الى الحكومة حقًا واستحقاقًا دون مراعاة هذه المدة او اذا كان قبل مضي المدة المذكورة قد آل الى الحكومة الحق الذي كان محفوظًا لوكلاء تركة المتوف . وتستثنى من ذلك حقوق المتنازل لهم من المتوف او من مداينيهِ .

وفي حالة وجود مساعدين للمؤلف المتوفى اشتركوا بالعمل معهُ مدة حياتهِ تجري مدة الخمسين سنة المشار اليها من يوم وفاة آخر مساعد . واذا كان حق التأليف راجعاً لاحدى الدوائر او الجمعيات العلمية او الفنية او للحكومة او لمقاطعة او معاملة من المقاطعات والمعاملات ونحو ذلك فمدتهُ طبقاً للشرائع والقوانين هي عين المدة المحدودة للفرد الواحد بمعنى ان هذا الحق يمكن ان يكون محصوراً في احدى الجمعيات لكنهُ يصير عمومياً متى انقرضت او انحلت بالكيفية المشروحة آنفاً . وهو يشمل بجزئياتهِ وكلياتهِ ناشر التأليف بالطبع اذا كان هذا التأليف غفلاً (يعني ما كان اسم مؤلفهِ مجهولاً) او اذا نشر بعد موت مؤلفهِ . اما الذي يكون قد ترجم تأليفاً حق الانتفاع بهِ عمومياً فهو شبيه بصاحبهِ الاصلي من حيث الترجمة فقط على ان لا حق لهُ اذ ذاك بمنع غيرهِ من ترجمة الكتاب عينهِ ترجمةً اخرى باللغة عينها

ونشر التأليف بلا اذن سابق من مؤلفهِ او من المتنازل لهُ عنهُ يسبب لهما ضرراً مادياً وادبياً ويعتبر في آنٍ واحد جنحة بداعي التزوير فالذي يقدم عليهِ يعرّض نفسهُ للاجراءات القانونية التي تتخذ ضدهُ . اما الدعوى المدنية فحق اقامتها للمؤلف او لصاحب التنازل عن التأليف . ولكل منهما حينئذٍ ان يختار ثلاث حالات اما المحاكم المدنية او محكمة الجنح او المحاكم التجارية اذا كان العمل الذي ينشأ عنهُ النزاع تجارياً . واصحاب الامتياز الذين يطالبون بتعويض عمّا يصيب حقوقهم من الاذى والضرر يجب عليهم حتماً ان يثبتوا حالة الضرر . غير انهُ تسهيلاً لهذا الاثبات يجوز لهم ان يقبضوا على النسخ المزورة بواسطة رجال البوليس او قضاة الصلح . واما اقامة الدعوى بالجنحة لمحاكمة المتهم بالتزوير فمن اختصاص النيابة العمومية وليست خاضعةً قانوناً لشكوى من اصابهُ الضرر . فكان للنيابة والحالة هذه ان تباشرها من تلقاء نفسها سواء قدمت الشكوى او لم تقدم . على انهُ في الطريقة العملية الجارية لا تطلب النيابة محاكمة المتهم بالجنحة الّا اذا طلب صاحب الحق او الامتياز ذلك وهو اذا سكت عن هذا الطلب يكون لسكوتهِ اعتباران اما انهُ قبل بان تنتفع العامة بتأليفهِ وذلك ما يقوم مقام تصريح خفيٍّ منهُ واما ان يكون قد اعطى هذا التصريح لاحد دون علم الآخر

وقانون الجنح الفرنسوي لا يعتبر العمل الذي نحن بصددهِ جنحةً الّا اذا اجتمعت فيهِ هذه الشروط الثلاثة وهي اولاً نشر التاليف بطبع جزئهِ او كلهِ . ثانياً ان ينشأ عن نشرهِ ضرر للمؤلف وثالثاً ان ينوي الناشر الاضرار بالمؤلف . على ان ارباب الشرائع والقوانين قد توسعوا في تاويل هذه الحالات الثلاث فقالوا فيما يختص بطلب التعويض عن الضرر انهُ ليس من اللازم لاقامة الدعوى ان يكون الضرر قد حصل او تمَّ بل يكفي ان يعتبر حصولهُ ممكناً . و بالتالي فان

صفة التزوير تنحصر في كل عمل حرمهُ القانون من شأنهِ الحاق الضرر بالتاليف الذي يُنتج لمؤلفهِ منفعةً مالية

انتحال اسم المؤلف او اخفاؤهُ — للمؤلف حق لا نزاع فيهِ بوضع اسمهِ على تاليفهِ ولا يجوز لاحد انتحالهُ او اخفاؤهُ بلا قبول منهُ. ومن خالف ذلك فللمؤلف الحق بان يرفع شكواهُ ضدهُ لاسترداد اسمهِ (حكم محكمة السين الصادر في ١٩ اكتوبر سنة ١٨٢٨ وحكم ٣٠ مارس سنه ١٨٣٥ والقانون الفرنسوي المسنون في ٢١ مارس سنة ١٨٨٨ الخ ...)

وهذا الحق محفوظ للمؤلف حتى في حالة تنازلهِ لاحدى المطابع عن جميع حقوقهِ في التأليف اذ لا يخفى ان الحق في هذه الحالة ليس حقًّا ماليًّا بل هو ادبي محض يمس سمعة المؤلف ويضر باسمهِ (حكم محكمة السين الصادر في ٢٤ فبراير سنة ١٨٨٨). فيتضح مما تقدم ان المؤلف ليس لهُ فقط ان يطالب بحقهِ صاحب المطبعة او صاحب التنازل لهُ عنهُ بل لهُ ايضاً ان يطالب كل شخص آخر غيرهما

والاحوال المذكورة مرعية بتمامها في حالة اشتراك احد الكتاب بالعمل مع المؤلف. فلا يجوز للمطبعة والحالة هذه او لمدير جوق التمثيل ان يحذف اسماء الذين اشتركوا بالعمل او ان يبدل ترتيب اسماء المؤلفين

واخفاء اسم المؤلف يعتبر جنحة مدنية الا انهُ لا يمكن اقامة الدعوى عنهُ امام محكمة الجنح لان الامر في هذه الحالة لا يعد تزويرًا اذ من شروط التزوير افتراض حصول نشر التأليف بلا اذن المؤلف. وتغيير اسم المؤلف او ابدال اسم كاتب بآخر اشد ضررًا من اخفائهِ. كذلك لا يسقط حق المؤلف باقامة دعواهُ بسبب انقضاء مدة طويلة من تاريخ ذلك الابدال او من تاريخ عدم ذكر اسم المؤلف الحقيقي على التاليف (الاعداد ١٦٣٧ و١٦٣٩ و ١٦٤٠ و١٦٤٥ من المجلد المذكور آنفًا)

وتسآل البعض عن هل اذا نشر احد كتابًا باسم مؤلف غير حقيقي يعد عملهُ هذا جنحة؟ فانكر ذلك المسيو جاستامبيد Gastambide قائلاً "ان الفاعل لا يطلب منهُ سوى التعويض عن الضرر الذي يكون قد سببهُ للمؤلف الحقيقي" وناقضهُ باتايل Pataille حيث قال: "نسبة المؤلَّف الى مؤلِّف لم يكتبهُ قصد زيادة انتشارهِ وتكثير رواجهِ لا يُعدُّ عملاً تزويريًّا" وهو بازاء الجمهور يعتبر خدعةً وكذبًا يدخلان في طبقة تزوير الاسماء وادخال الغش على نوع البضاعة المباعة. اما بازاء المؤلف فيعتبر انتحالاً لاسمهِ وهو اكبر ضرر يمكن ان يلحق بسمعتهِ غير انهُ قد تقرر في حكمين صادرين من محكمتي باريس والسين ان استعمال اسم الغير هو عين

التعدي على ملكية المؤلف وانهُ يجب في هذه الحالة اخفاء التأليف لانهُ نسب زوراً الى غير مؤلفهِ مع تعيين قيمة التعويض عن الضرر الناشيء . وجاء في احد الحكمين المذكورين المؤرخ في ٢٦ دسمبر سنة ١٨٧٦ ما نصهُ " عمل الشيء الممنوح قانوناً يزول ويتلاشى بمجرد نشرهِ بالطابع وعليهِ يعتبر الطابع هو الفاعل المسؤول عنهُ . الاّ انهُ لما كان الطابع قد ارتكب هذا الجرم بواسطة الكاتب الذي سلّم اليهِ التأليف جاز ادخالهُ معهُ في الدعوى للحكم عليهما بالاشتراك "

ومما يحسن الالماع اليهِ ان الخطيب او مؤلف الروايات التمثيلية يجوز لهما ان يمنعا ايّاً كان من كتابة شيء ما اثناء الخطابة او التأليف (العدد ٩٥٧ من المجلد المذكور)

وفي اوربا وغيرها من البلاد المتمدنة لم يكتفِ محبو العلم والادب بوجود القوانين المسنونة من الحكومة حفظاً لحقوق المؤلفين بل نهضوا هم انفسهم فالفوا الشركات والجمعيات لحماية حقوق اولئك المؤلفين . وسبقهم الى هذا العمل الخطير مؤلفو الروايات التمثيلية وموقعو الالحان والانغام فقام منهم الكتّاب والفوا بينهم شركة اساسية نظامية سنوا لها القوانين اللازمة دفاعاً عن حقوقهم المقدسة . فأكرم بما فعلوا وانعم وكأنهم علموا بعد الخبر والخبر ان لا شيء اقوى لديهم من اتحادهم وعقد خناصرهم على هذا العمل لحماية مؤلفاتهم وكتاباتهم والمطالبة بحقوقهم اذا مسّت الحاجة اليها او كأنهم هبوا اليهِ مدفوعين بعامل حبّ الاعتناء على حد ما قيل " ما حكّ جلدك غير ظفرك "

فما احقّ جماعة المنشئين في الديار المشرقية لاسيما مؤلفي الروايات التمثيلية منهم بأن يتألفوا ويتآلفوا لانشاء جمعية تفي بالغرض المقصود وتردّ عنهم غارة الاعداء الطامعين فلقد طالما سُلبت حقوقهم وتمثلت رواياتهم على المراسح العربية فابتلعت نتائجها المادية افواهُ المعتدين . ثم اذا انتبهت الحكومة المصرية الى هذه الخلة فسدتها بادخالها في قانون العقوبات بعض موادّ تتعلق بردع وتأديب المعتدين على حقوق الكتبة والمؤلفين خصوصاً في هذه الفرصة حيث التحوير والتعديل في قانوني العقوبات وتحقيق الجنايات قائمان على قدم وساق حلّ ذلك محل العدل والانصاف حذواً لسائر الممالك الغربية وتنفيذاً لاحكام العمران او مراعاة لشروط المدنية

الاسكندرية سليم عوّاد

اصل الاعتقاد بوحدانية الله

من اوضح مزايا هذا العصر واجلّ مفاخره توجيه نظر علمائه الى البحث عن الاصول في كل ما يتعلق بالشؤون البشرية وما يدخل دوائر العلوم على اختلاف اجناسها وانواعها وتعدد جهاتها ومناحيها . فلم يغادر اهل التحقيق والتنقيب من شعاب الاستقصاء ما لم ينضوا اليه الركاب ولا اغفلوا من مجاهل الاستقراء مضيقاً الاّ سلكوه حتى تمهد العقاب وينجلي الغامض وتذلّ الصعاب

وفي جملة ما وقفنا عليه تقصّي الاعتقاد بالتوحيد عند اشهر الامم بالارض ونشوئه مع نشوء القوى العاقلة في الانسان من اصل غاية في البساطة والابهام تلبّسهُ اوهام الحدس والترجيم حتى تجلّت منهُ شمس اليقين واصبح حقيقةً علميةً عند ارسخ العلماء بل بديهةً عقلية بحكم جميع العقلاء

ولما كانت عمدة البحث في هذه المسائل الاستقراء فقد اجمع اكفاء المنقطعين الى درس عقائد الامم والشعوب من قبل زمن التاريخ على ما ايد الرأي المشهور ان لا امة على وجه الارض تخلو من الاعتقاد بقوةٍ او قوًى تفوق الطبقة البشرية تضبط امورها وتتولى شؤونها عامةً وخاصة حتى تفزع اليها وتعتمد عليها رغبةً او رهبةً

والذي يستلفت نظر المنصفين من علماء الطبيعة ان عقيدة التوحيد كان منشأها النظر الى الطبيعة نفسها حتى ان المشهور من قول سبنسر عن (القوة التي لا تُعرف) انهُ لا يفيد الاّ ان الله سبحانهُ يجلّ بذاته وصفاته عن درك الادراك خلافاً لمن توهم في ذلك القول ارادة الكفر والإلحاد

اما بيان نشوء هذا الاعتقاد الجليل على ما انتهى اليه بحث المجتهدين فهو على وجه التلخيص ان اول خاطر يمر في قلب الانسان الاعتقاد على شيء هو قوة خارجة عنهُ بنى ذلك على انهُ وُجد في عالم يحوي قوًى تفوق قوى البشر وتتسلط على حياتهم بحيث لا يستطيعون الى التصرّف منها سبيلاً . ومهما يكن من اعتقاد الانسان الضعيف بقوّة ارادته واقتداره على التغيير في مجرى بعض الحوادث والتبديل بالقليل من شؤونه فانهُ يعود اخيرًا عودة العاجز الصاغر والخاضع الذليل لتلك القوى الفائقة ويرى انهُ تحت طائلة عقابها في كل ما يخالفها من فعاله . ثم يبدو لهُ بدليله العقلي ان تلك القوى الخارجة عنهُ كانت قبل ان وُضع في مهده وستبقى بعد ان يُدرج في لحده . وعلى الجملة فان الانسان يُدرك بالفطرة ان الكون شيء مستقل عنهُ اليه

اتى ومنهُ يمضي وانهُ في ذلك المجيء وهذا المضيّ وفي كل ما يصدر عنهُ معتمد على شيء غير ذاته

وهذه الخواطر البديهة في النفس البشرية عامة شاملة للناس اجمعين وليس من فرق جوهري فيها بين الكبير والصغير ولا بين الانسان القديم الوحشي ولا بين الحديث المتمدن الانيس . نعم ان الاول كان عاجزًا عن تقرير خواطره الساذجة وتحريرها في مثل هذا النسق كما يستطيع الثاني الاَّ ان المعنى بجوهره واحدٌ في الانسانين كليهما . لان صورة هذا الوجود الذي نسميهِ بالعالم او الكون بما فيهِ من القوى البديعة النظام انما حصلت للانسان الحديث بعد مرورها على اطوار من تقليب النظر والاستدلال ولم تكن الاَّ نتيجة العلم القانوني الذي تكامل مدى هاتيك الادوار . ومع ان الانسان القديم لم يكن يرى من امور العالم المنظور الاَّ لمعةً من قبس بالقياس الى الحديث كان لديهِ عالم صغير على قدر ما كان لنفسهِ الصغيرة من مجال النظر ومبلغ المدارك والرغبات . فلم يكن يفوتهُ ان عليهِ واجبات يؤديها لتلك القوى التي تجلُّ عن ادراكهِ بسموها وجلالها . وكان يفقهُ ان مصدر جميع افعالهِ ارادة بشرية يكنها فؤادهُ . وجملة القول هنا ان فلسفة الانسان الاول في هذا الشأن لم تكن بعيدة عن فلسفة الانسان الحديث في جوهرها بعد ان انار لهُ ضياء العلم والتهذيب . وكان من امكان ذلك الانسان القديم ان يدرك ايضًا ان الباعث لهُ على العمل هو الرغبة يقودها العقل . وعلى نفسهِ قاس حال الشمس والريح والجمد والبرق وسائر المظاهر الطبيعية فمثلها ذوات عاقلة فائقة في العظمة وجلالة الشأن وان لها معهُ علاقة السائد بالمسود

وقد درجت جرثومة هذه الفلسفة اللاهوتية من مهدها عند الاوائل واخذت بالنمو والانتشار فعمَّت شعوب المعمور وترسخت اصولها ودامت قرونًا الى ما بعد ازمنة التاريخ ولم تطرح ثوبها هذا الخشن الاَّ تدريجًا حتى مرَّ الانسان على اطوار تمدنهِ وبلغ من شأنهِ ذراهُ . وما زلنا الى اليوم نرى اصول هذه الفلسفة متمكنة في نفوس الامم الدنيا في مراقي المدنية والقبائل الوحشية . ففي ميثولوجيا شعوب اليونان و بلاد الهند وهنود اميركا الشمالية وسكان جزائر البحر الجنوبي كانت تمثّل الشمس انسانًا يحمل القوس والنبال . والغيوم جبابرة من الطير . والعواصف تنينًا فاغرًا فاهُ . ويرى اهل التحقيق ان ليست حكايات الآلهة والابطال وسيَر الغيلان والجن والعفاريت الاَّ بقايا تجمَّعت من ميثولوجيا الطبيعة وقد بقيت اصولها وراء حجب النسيان ادهارًا حتى اماطها البحث الجديد وابرزها الى العيان

ثم ان تشخيص المظاهر الطبيعية ازداد رسوخًا في اذهان اسلاف البشر القدماء باعتقاد الارواح الذي يسوغ عدُّهُ من اول ثمار الاجتهاد الفكري من باب الحدث والتخمين . ولقد

شهد السياح انهُ مع خلو بعض القبائل من الدين الدستوري لم تخلُ قبيلة من الاعتقاد بوجود الارواح · واصل هذا الاعتقاد على ما يرجح ان الانسان الاول تصوَّر بما استنتج من فلسفته في الطبيعة ان لكل انسان ذاتاً قرينةً له في الوجود (على مالا يزال اعتقاد بعض عامتنا الى اليوم) غير ذاته تسمى بالذات الثانية · وبهذا يفسّر ظهور الاباء والرفاق والاعداء في الاحلام بعد ان صاروا من سكان القبور . فكان النائم يزعم ان روحهُ في حلمه تلاقي روح احد اولئك الثانية فتجري معها حديث السلفاء او تشاركها في مأدبة الافتراس · ومن هذا نشأ الاعتقاد بوجود عالم دائم من الارواح وهو عامٌّ عند جميع القبائل غير المتمدنة · والظاهر ان علة تعميمهِ ورسوخهِ هي منتهى مدارکهم اجمعين · وعلى هذا الاعتقاد ايضاً كانت تبنى اوهام قبائل المتوحشين بتعليل الامراض العصبية كالهستيريا وداء النقطة والخيالات والاصداء حتى صور الوجوه والاشباح المنعكسة عن سطوح المياه الراكدة

ومن هذه الخطوة في الاعتقاد خطا الاقدمون الى الاعتقاد بسكنى تلك الارواح في الريح والبرق والرعد حتى تمثلوا اشخاصاً ذوات نفوس متخلقة بما يشبه اخلاق البشر وافكارهم · والذي يؤيد حقيقة تولد هذا الاعتقاد من سابقهِ بالطبع كونهُ عاماً بلا استثناء عند جميع قبائل الارض في اول اطوارها · وكان مما استنتجهُ الاقدمون بالضرورة ان القوة التي تستاصل الاشجار وتسوق السحاب في عرض السماء لا بدَّ ان تكون ذات نفس تشبه نفس الانسان وان النار التي تلتهم الاكواخ شخصٌ ذو قوةٍ عاقلةٍ عاقب اصحابها باحراقها فينبغي لهم استرضاؤهُ بالذبيحة ودعاء الابتهال · والحاصل انهُ لم يكن لذلك الانسان الخشن القديم من محيدٍ عن اعتقاد النار مشاركة للانسان بوجود النفس وقوى العقل والادراك ولم تفرق فلسفتهُ بين الروح الانسانية والهيئة النار

ثم تبين للباحثين ان الاوائل كافةً كانوا يعتقدون بخلود روح سيد القبيلة (او قرينة ذاتهِ) بعد الموت وبدوام عنايتها بشؤون القبيلة تردُّ عنها هجمات الاعداء وتثيب ابطال الوغى وتعاقب الخونة وانذال الرجال · فكانوا يترضونها باقامة الحفلات كما تترضى الرعية ملكها العلي الشأن ويعتقدون ان كل اساءة تقع من قبلهم كالتقصير في اداء العبادة او الهزيمة في الحرب كانوا يجازون عنها اما بسيل جارف او نار محرقة او مجاعةٍ شاملة ايذاناً بسخط ذاك السيد عليهم

وعلى هذا الوجه كانوا يشركون الارواح المتلبسة بقوى الطبيعة بارواح اسلافهم على ما يؤخذ من خرافات (ميثولوجيا) الاقدمين · في اساطير السقيدا ان البيريس او الآباء تسكن الجوّ مع ياما ابي البشر الاول عاكفةً على تدبير شؤونهم فتسوق اليهم غيوث الرحمة احياء

للزرع والضرع او تحبسها عنهم عقاباً لهم بالجدب والقحط . ومن عقائدهم بتلك الارواح انها كانت تلازم العواصف والرياح في حركاتها كما يحفّ جيش الحرس بالاله ؤودان جبار الصيد

وكان قدماء اليونان يعتقدون بان الجو الازرق (اورانوس) ابو الالهة والناس اجمعين. وكان مزج عبادة السلف بعبادة الطبيعة شاملاً لاقدم امم الارض . وقد بقيت لهذه العبادة السيادة المتحكمة في كثير من اديان الامم الوثنية مع تقلّب صورها على مدى الازمان كما هو مشهور في ديانة اهل الصين واليابان وقدماء الرومان . الاّ ان الرومان في اواخر ايامهم اتخذوا الالهة المتحوّلة عن مظاهر الطبيعة معبودات لهم ايضاً مع الهتهم الخاصة في بيوتهم . غير انهم كانوا يحترمون ايضاً الهة غيرهم من الامم المعلومة لهم حتى صارت عبادة هذه الامة الفريدة المقام في تاريخ التمدّن عبارة عن مزيج من الاديان والعبادات المختلفة بحيث ادّى هذا الامتزاج الى تفانيها وتلاشيها . فتمهّد بذلك الطريق الى ظهور ديانة اوضح برهاناً واعلى سلطاناً تريد الخطوة القربى الى حقيقة التوحيد . ذلك ان الشؤون السياسية في امة الرومان كان لها حظ في اسباب ارتقائهم الى عقيدة التوحيد الحقيقي ناشئة عما سبقها من الاعتقاد بالارواح وتاليه الطبيعة في اطوار الانسان الاولى . وهذا دليل على ان التوحيد في نظر التاريخ الاجتماعي لم يرتقِ عن اصلهِ — عبادة الطبيعة والسلف — إلاَّ على سلم التدريج البطيء شان كل مظاهر الارتقاء

ومن ذلك كلهِ نرى انهُ كان من الطبيعي لبلوغ الفكر البشري هذه المحجّة العليا من عقيدة التوحيد ان يدرك شيئاً من حقيقة السماء والارض وما بقي من مظاهر الكون . وقد تأتّى مبلغ هذا الارتقاء وظهرت انوارهُ لامم التمدن قبل العصر المسيحي وطلع فجرهُ على عقول جماعة من عظام فلاسفة اليونان الراسخين المتبصرين حتى انهُ يقال ان مدارس الاسكندرية مدى قرنين قبل المسيح وقرنين بعدهُ كانت مناراً لمثل هذه المباحث الجليلة . وقال بعضهم ان ما ادركتهُ من تلك الحقائق الفلسفية بقي هو المعوَّل عليهِ في ما يلي من القرون الى ايام الفيلسوفين العظيمين باكون وديكارت وان قادة العقول عند اليونان منذ اناكساغوراس وسقراط وافلاطون كانوا على الحقيقة من اهل التوحيد . فانهم ما عتّوا ان اعملوا النظر في حقائق المظاهر الطبيعية حتى رأوا ان مثل الخلائق البشرية مصادر لها . ثم على توالي الاستدلال اهتدوا من طبائع الوجود ووحدتها العامة الى وحدة خالقها وضابط شؤونها غير انهم بحكم النقص في كل بداية اسندوا اليهِ صفات طبيعية مع شيء من الصفات الانسانية

الاَّ ان النظر العقلي لم يكن هو السبب الوحيد في الانتهاء الى التوحيد بل كان يشاركهُ ايضاً الاعتقاد بحماية الالهة التي نشأت عند قدماء اليونان بالارتقاء السياسي من عبادة السلف.

فحين كانت القبائل تنتظم امة سياسية كان ينشأ معها الاعتقاد بالآلهة الحامية لها او كان الاعتقاد باله احد تلك القبائل يتغلب على غيره من شركائه حتى كان يؤول الامر الى اجتماعهم على اتخاذه الهاً واحداً للامة كلها. قال بعض المحققين ان من الشواهد الجلية على ذلك ما آل اليه امر العبرانيين في انتهائهم الى عبادة الكائن السرمدي الحي القيوم (يهوه). قالوا ومن اشهر عقائدهم الاصلية على ما يؤخذ من توراتهم ما يشيد القول بتعدد الآلهة الذي غلبت فيه عبادة السلف على عبادة الطبيعة. فقد كان للترافيم (والآلهة الحامية للعيال) التقدم في بادىء الامر على آلهة الطبيعة ثم غلبت عبادة هذه الآلهة كالبعل ومولوك وغيره على الاولى. وكان عندهم ان (الوهيم) بصيغة الجمع خالق الكون وان بنيه يتزوجون بنات الناس على ما جاء في التاريخ السابق للطوفان وان الاله الحامي لهم يهوه احد (الالوهيم) ورب اجناد السماء. وكان من اعتقادهم فيه ان نبيهُ المختار يغلب بحوله ويمينه القادرة وذراعه المرتفعة لان الههم هذا اعظم من آلهة الامم تجاوريهم وانهُ هو الاله الحق وحدهُ ومن ذلك انتهوا الى توحيده وصار اسمهُ الاعلى علماً على الوحدانية

وأُمة اليهود هذه كانت من ارق الامم فطنةً وذكاء فانهم منذ عهدهم الاول ادركوا شان الوطنية وفاقوا سائر الشعوب بشدة العصبية القومية والمبادي الادبية. وكان ما ادركوهُ من الاعتقاد بيهوه المنتشر في اسفارهم اسمى من سائر ما ادركهُ سواهم من امم الارض قبل المسيح. وكان من طبيعة الامران يتغلب هذا الاعتقاد تدريجاً في العالم الروماني على ما سبقهُ من تعدد الآلهة لكن لم يقوَ سلطان التوحيد العبراني على العقول ولم يحظَ باحسن القبول حتى جردهُ من ملابسات الخصائص الشعبية اليهودية يسوع الناصري واخرجهُ من قيود التحديد بولس الرسول. وهذا ما اردنا الوصول اليه من نشوء عقيدة التوحيد بالاستقراء وقد بقي من تاريخ ارتقائها وتحقيق صفات الوحدانية الذاتية من الوجه العلمي الفلسفي ما قد يهم الوقوف عليه لكننا اقتصرنا من هذا البحث على ما مرَّ وربما عدنا اليه

دمشق الشام　　　　متري قندلفت

العلاج بالطعام

يذهب كثيرون من اهالي هذا القطر كل سنة الى اوربا لكي يعالجوا في الاماكن المشهورة بنفع مائها او هوائها ويبقون كلمة العلاج الاوربية (كير) على حالها فيقول احدهم ذهبت لكي اعمل الكير في كارلسباد او مرنباد اوما اشبه يريدون انهم ذهبوا اليها لكي يعالجوا فيها. وقد ابنا غير مرة ان الفائدة التي ينالها المرء هناك حاصلة من الراحة والتدابير الصحية لا من قوة دوائية في ماء تلك الاماكن او في هوائها . ووقفنا الآن على مقالة لاحد كتّاب الانكليز في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية اعرب فيها عن مثل هذا الرأي وعزّزهُ بالادلة العلمية

قال بعد وصفهِ كارلسباد وفنادقها الكبيرة والصغيرة والذين يقصدونها سنويًّا من كل انحاء اوربا " ان العلاج يقوم بشرب ثلاثة اكواب من الماء في كلٍّ منها مئتا غرام وبين الواحد والآخر ثلث ساعة ويكون فيها غالبًا غرام من بي كربونات الصودا وغرام ونصف من كبريتات الصودا وقليل من البوتاسا والليثيا . واذا مزجت ثلاثة اكواب من الماء العادي بغرام من بي كربونات الصودا وغرام ونصف من كبريتات الصودا صارت مثل ماء كارلسباد نفعًا واذا أُضيف اليها عشر قمحات من ثترات الليثيا صارت انفع من ماء كارلسباد او غيرها من الاماكن التي يقصدها الناس للتداوي بمائها

" والذي يفيد الفائدة الكبرى في كارلسباد انما هو تدبير الطعام بل تقليله لانهُ لا يدبَّر على اسلوب خاص ولكن يقلَّل كثيرًا حتى يصير دون الكفاف "

ثم بيَّن فائدة الطعام للجسم ومقدار ما فيهِ من الغذاء وان الانسان المعتدل القامة الذي يعمل عملاً معتدلاً يكتفي برطل من الزبدة كل يوم فان لم يأكل سواهُ اغتذى جسمهُ بهِ اغتذاء كافيًا وبقي قادرًا على عملهِ وكذلك يكتفي بثلاثة ارطال من الخبز او اللحم او برطلين من الخبز ورطل من اللحم او برطلين من الخبز وثلث رطل من الزبدة او ما يقوم مقامها كالزيت والجبن . واذا اقام من غير عمل كفاهُ ثلثا رطل من الزبدة او رطلان من الخبز او رطلان من اللحم . واذا كان جسمهُ كبيرًا وعملهُ شاقًّا كفاهُ رطل وثلث من الزبدة او اربعة ارطال من الخبز او اربعة من اللحم

والغرض من الطعام انماء جسم الصغير وتعويضهُ مما يندثر منهُ بالعمل صغيرًا كان او كبيرًا فان القوة للعمل آتية من الطعام وقد حسبوا ان في الرطل من الزبدة ٣٤٠٠ درجة من الحرارة العملية ويراد بذلك ان فيهِ ما يكفي لاحماء الكيلوغرام من الماء ٣٤٠٠ درجة او لاحماء

٣٤٠٠ كيلوغرام من الماء درجة واحدة بميزان سنتغراد . وهذه الحرارة اذا استعملت كلها فهي كافية لرفع عشرة ملايين رطل قدماً واحدة او اربعين طناً مئة قدم او تكفي الانسان المعتدل القامة ليصعد بها جبلاً ارتفاعهُ خمسون الف قدم . لكن القوة التي في الطعام لا تستخدم كلها للعمل وانما يستخدم منها نحو ثمنها كما ان الآلة البخارية المتقنة الصنع تستخدم نحو ثمن القوة المذخورة في الفحم الذي يحرق فيها . وما بقي من قوة الطعام يُنفق في جعل العرق يتبخَّر من الجسم وفي تحريك اعضائهِ المختلفة ولاسيما الاعضاء الرئيسة كالقلب والرئتين ويذهب كثير منها بالاشعاع

والطعام بالنسبة الى جسم الانسان كالفحم الحجري بالنسبة الى الآلة البخارية لكن الطعام اغلى من الفحم سبعة اضعاف او ثمانية على الاقل اذا كانت قوتهما واحدة

والرطل المذكور هنا هو الرطل الانكليزي ويمكننا ان نبدلهُ بمئة وخمسين درهماً تسهيلاً للحساب وعليهِ فالانسان المعتدل القامة المعتدل العمل يكتفي في يومهِ باربع مئة وخمسين درهماً من الخبز من غير ادم واذا كان كبير الجسم كثير العمل فستمئة درهم من الخبز تكفيهِ فيعيش عليها يوماً بعد يوم الى ما شاء الله . وهذا ينطبق على المشاهد عندنا فكثيراً من ترى العامل يعمل النهار كلهُ في عمل شاق واذا جاء الظهر فتح مزودهُ واخرج منهُ خبزاً قفراً لا ادام معهُ او معهُ قليل من البصل والزيتون فيأكل ويشرب ثم يقوم الى عملهِ

واذا كان الامر كذلك فما فائدة الطعام الذي يزيد عن الكفاف . لا فائدة منهُ غير إتعاب المعدة واكثار الدهن في الجسم حتى يسمن ويصير عرضةً الادواء

وقد دبَّر الكاتب طعامهُ مرةً وقصرهُ على ما يكفي لتغذية جسمهِ وحسب ما في كلٍّ من انواعهِ من الغذاء الكامل فكان كما يأتي

الفطور

لبن	٣٠	درهماً	فيها	١٨	جزءا من الف جزء من الغذاء الكامل
سكر	٠٧٫٥	〃	〃	٢٥	〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃
زبدة	١٠٫٥	〃	〃	٧٠	〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃
خبز محمص	٢٠	〃	〃	٤٩	〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃
سمك	٣٠	〃	〃	٢٢	〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃
بيضة	١٩٫٥	〃	〃	٢٧	〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃
مربى	٢٧	〃	〃	٧٩	〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃
والجملة	١٤٢٫٥	〃	〃	٢٩٠	〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃

الغذاء

خبز	٣٠	درهماً	فيها	٧٠ جزءا من الف جزء من الغذاء الكامل
لحم	٣٠	«	«	٦٤ « « « « « « «
بطاطس	٢٧	«	«	١٩ « « « « « « «
بودينو	٣٠	«	«	٧٠ « « « « « « «
والجملة	١١٧	«	«	٢٢٣ « « « « « « «

العشاء

خبز	٣٠	درهماً	فيها	٧٠ جزءا من الف جزء من الغذاء الكامل
شوربا	٧٥	«	«	٢٠ « « « « « « «
سمك	٢٧	«	«	٢٢ « « « « « « «
مقبِّلات	١٩٫٥	«	«	٤١ « « « « « « «
لحم	٣٧٫٥	«	«	٨٠ « « « « « « «
لوبياء	١٥	«	«	٢٠ « « « « « « «
قاصعين	٠٧٫٥	«	«	١٧ « « « « « « «
جبن	١٥	«	«	٥٥ « « « « « « «
زبدة	١٠٫٥	«	«	٧٠ « « « « « « «
اثمار مسكَّرة	١٥	«	«	١٦ « « « « « « «
والجملة	٢٥٢	«	«	٤٤٠ « « « « « « «

ومجموع ذلك كلهِ ٥١١ درهماً ونصف درهم من الطعام فيها ٩٥٤ جزءا من الف جزء من الغذاء الكافي للرجل المعتدل القامة والعمل. الأ ان الكاتب ذكر انهُ شرب الشاي مع فطوره ولم يذكر مقدارهُ ولا قدْر ما فيهِ من الغذاء وهو قليل جداً وذكر ايضاً انهُ اكل خضراً مع الغذاء والغذاء فيها قليل ايضاً لا يعتدُّ بهِ وانهُ شرب خمراً مع العشاء فاذا كان فيها ستة في الالف فقط من الغذاء صار الغذاء في طعامهِ ٩٦٠ في الالف من الغذاء الكامل . وقال ان ذلك اكثر مما يحتاج اليهِ رجل في سنهِ لانهُ فوق الخمسين وهو قليل العمل وان جسمهُ يكتفي لو كان في غذائهِ ثمانمئة جزء من الف او ثمانية اعشار الغذاء الكامل . ووزن الطعام الذي كان يقدَّم لهُ في كارلسباد فوجدهُ كما في هذا الجدول

القطور

بيضتان وزنهما	٤٠	درهماً	وفيهما	٥٥	جزءا من الف من الغذاء الكامل
نصف رغيف	٢٣	"	"	٦٠	" " " " " " "
فنجان لبن	١١٥	"	"	٢٤	" " " " " " "
اثمار مسكرة	٧٧	"	"	٢٠	" " " " " " "
والجملة	٢٥٥			١٥٩	

الغداء

سمك	٣٧	درهماً	فيها	٣٠	" " " " " " "
لحم	٦٠	"	"	١٢٠	" " " " " " "
بازلاً	٤٨	"	"	٤٠	" " " " " " "
اثمار	٦٦	"	"	١٥	" " " " " " "
خبز	٢٧	"	"	٦٩	" " " " " " "
زبدة	١٫٥	"	"	١٠	" " " " " " "
والجملة	٣٠٢٫٥	"	"	٢٨٤	" " " " " " "

العشاء

لحم	٢٨	درهماً	فيها	٤٥	" " " " " " "
لوبياء	٢٨	"	"	٤٠	" " " " " " "
خبز	٢٧	"	"	٦٩	" " " " " " "
الجملة	٨٣			١٦٣	" " " " " "

فثقل طعام اليوم كلهِ ٥٤٠ درهماً ونصف درهم فيها ٦٠٦ اجزاء من الف جزء من الغذاء الكامل ولذلك قلَّ غذاؤهُ ٣٤٨ جزءا كل يوم عمَّا كان يأكلهُ قبلاً ولم يُسمَح لهُ بشرب الشاي والقهوة والخمور . ومعلوم ان ذلك يدعو الى نحول الجسم فان كان المرءُ سميناً قلَّ سمنهُ رويداً رويداً . والكاتب قلَّ ثقلهُ خمسين درهماً كل يوم وبلغت القلة ١٥٠٠ درهم في شهر من الزمان فعاد الى بلادهِ وعاد الى الطعام الكافي فاستردَّ ما خسرهُ في كارلسباد . ثم صنع ماء مثل مائها وجعل يشربهُ واقتصر من الطعام على ما كان يأكلهُ فيها مقداراً ونوعاً وجعل يمشي كما كان يمشي هناك فخسر من ثقلهِ في اسبوعين نحو ٧٥٠ درهماً اي جرى لهُ وهو في بلاد الانكليز ما جرى لهُ في كارلسباد تماماً . فما يناله الانسان في اماكن العلاج يناله في بيتهِ ايضاً

كان اذا دبَّر ماءه واقتصد في طعامهِ واكثر من الرياضة وانقطع عما يشغل البال من الاشغال والوسائل الاخرى التي تستخدم في اماكن العلاج كالحمّامات والدلك واساليب الرياضة لا تخلو من فائدة ولكنها تفيد كذلك اينما استعملت والفائدة الكبرى من الراحة ومن الاقتصاد في الطعام على ما دون الكفاف اذا كان العقل معيًى من الاشغال والجسم مضنًى من كثرة الطعام

غرائب الطباعة

يُعذَر الكاتب اذا عاد الى هذا الموضوع مرةً بعد أُخرى لان ما كتبهُ فيهِ منذ عشر سنوات لا يفي بوصف الطباعة الآن نقول ذلك ولا نعني الطباعة في هذه البلاد ولا في غيرها من بلدان المشرق لان التغير فيها قليل والارتقاء بطيء وهو في بعضها تقهقر وانما نعني الطباعة في البلدان الراقية مراقي النجاح كانكلترا وفرنسا والمانيا واميركا ولاسيما اميركا حيث بلغ هذا الارتقاء الغاية القصوى

فقد كان في الولايات المتحدة الاميركية منذ ثلاث سنوات اكثر من اثنين وعشرين الف دار للطباعة رأس مالها ٢٩٣ مليون ريال وهي تنفق على موادها وعاملها ومستخدميها نحو ٢٧٠ مليون ريال في السنة وتربح ربحًا طائلاً جدًّا لم يذكر مقدارهُ ونحو نصف ربحها من الاعلانات والثلث من ثمن الجرائد والمجلات وما بقي من ثمن الكتب واجور المطبوعات

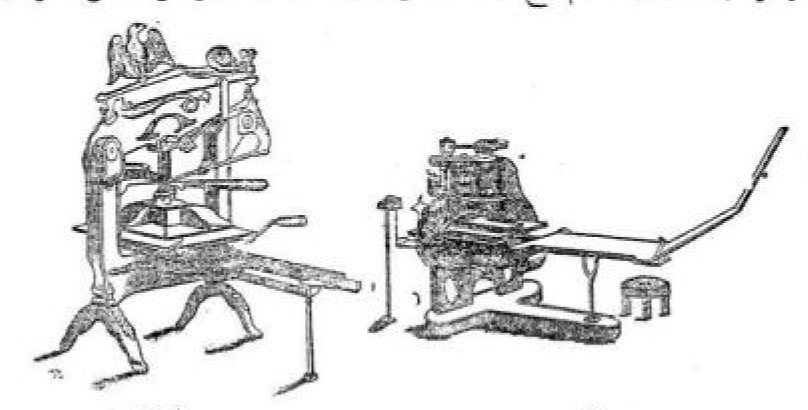
وكان عدد المجلات وصحف الاخبار حينئذٍ ٢١٢٧٢ وصفت ادارة الاحصاء ١٨٢٢٦ منها فاذا عدد الجرائد اليومية من هذه الثمانية عشر الفًا ٢٢٢٦ والاسبوعية ١٢٩٨٩ والشهرية ١٨١٧ والتي تصدر مرتين في الاسبوع ٦٣٧ والتي تصدر ثلاث مرات في الاسبوع ٦٢ والتي تصدر مرة كل ثلاثة اشهر ٢٣٧ . واكثر هذه الجرائد والمجلات سياسي اخباري وبعضها علمي او ديني او تجاري اوزراعي او طبي

وكان يطبع من الجرائد اليومية اكثر من ١٥ مليون نسخة كل يوم ومن الجرائد الاسبوعية نحو ٤٠ مليونًا كل اسبوع ومن المجلات الشهرية نحو ٤٠ مليونًا كل شهر . ولا بدَّ من ان يكون قد زاد كل ذلك زيادة بالغة في السنوات الثلاث الاخيرة قياسًا على السنوات التي قبلها . ولا نخطئ اذا قدرنا ان كل بيت من بيوت الولايات المتحدة الاميركية يصلهُ نسخة من الجرائد اليومية على الاقل وثلاث من الجرائد الاسبوعية وثلاث من المجلات الشهرية على وجه التعديل

ولم تصل الطباعة الى هذا المدى الا بعد ان أُتقنت معداتها كلها اي آلات الطباعة نفسها

وآلات جمع الحروف وسبكها وآلات عمل الورق وكل فصل من هذه الفصول بلغ من الاتساع والاتقان حدًّا لا نستطيع تصورهُ في هذه البلاد ولا بالحلم فان المطابع وُجدت عندنا قبلما وجدت في اميركا ومع ذلك لا نزال نجلبها من الخارج واسرع مطبعة منها لا تطبع ثلاثة آلاف نسخة في الساعة واما المطابع الاميركية فتصنع كلها في اميركا و بلغ من سرعتها ان الواحدة منها تطبع مئة وخمسين الف نسخة في الساعة الواحدة من جريدة كبيرة فيها ثماني صفحات

وتاريخ الطباعة قديم يمتدُّ الى اواسط القرن الخامس عشر وكانت المطبوعات الاولى على تمام الاتقان في شكل حروفها واستواء سطورها وجلاء رسمها على الورق ولكن آلات الطباعة كانت غاية في البساطة والبطء ولم تبلغ درجة المكبس البسيط الاَّ في اواخر القرن الثامن عشر حين



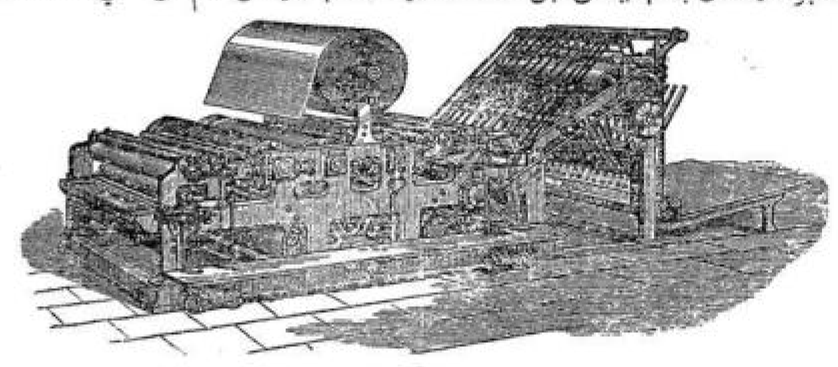
(٢) آلة كولمبيا (١) آلة ستنهوب

صنع ارل ستنهوب الآلة المنسوبة اليهِ وهي المرسومة في الشكل الاول وفيها لولب وثقل مركَّب ثم رجل اميركي الآلة المسماة مطبعة كولمبيا وهي المرسومة في الشكل الثاني ولا تزال مستعملة حتى الآن

ولو وقف الاختراع عند ذلك الحد لما تقدمت العلوم والمعارف عشر معشار ما تقدمتهُ في هذا العصر ولكن اخترعت المطبعة ذات الاسطوانة سنة ١٨١٢ واستعمل البخار لادارة مطبعة التيمس سنة ١٨١٤ واضطرَّ المستر ولتر صاحب التيمس ان ينقل اجزاء هذه الآلة سرًّا الى بناء مجاور لمطبعتهِ خوفًا من ان يراها العمال ويعلموا الغرض منها فيعتصبوا و يضربوا عن العمل او يكسروها . ولما صارت الساعة السادسة صباحًا كان الطباعون واقفين على المطابع منتظرين الطبوع فجاءهم صاحب التيمس وقال ان الجريدة قد طبعت بالبخار فاذا لجأوا الى العنف فقد استعدَّ لهم واذا اخلدوا الى السكينة ابقاهم في خدمتهِ . وكانت تلك المطابع

تطبع ١١٠٠ نسخة في الساعة . ثم زادت المطابع اتقاناً الى ان صنع الكولونل هو الاميركي آلتهُ المشهورة سنة ١٨٤٨ ويوضع الورق فيها لفات كبيرة فتطبعهُ وتقطعهُ وكانت تطبع خمسة عشر الف نسخة في الساعة وهي المرسومة في الشكل الثالث

ومن ثم الى الآن وآلات الطباعة تزيد تركيباً واتقاناً حتى ان الآلة من آلات هُوْ تطبع الآن مئة وخمسين الف نسخة من جريدة فيها ثماني صفحات كما تقدَّم وهي مؤلفة من آلتين كاملتين تستعملان معاً كانهما آلة واحدة تأخذ كلٌّ منهما ورقها من ثلاث لفات كبيرة عرض كل لفة منها كافٍ لطبع اربع صفحات من جريدة كبيرة وبين قسمي الآلة آلة لطي الجرائد المطبوعة والصاق بعضها ببعض قبل ذلك اذا اريد الصاقها وفي كل قسم من قسمي الآلة اثنتا



(٣) آلة هو

عشرة اسطوانة قائمة بعضها فوق بعض ثلاث طبقات في كل طبقة اربع اساطين يمر الورق بينها من ثلاث لفات من الورق فيطبع من كل لفة نسختان ومن اللفات الست التي في قسمي المطبعة ١٢ نسخة تطبع في وقت واحد عن اثنتي عشرة اسطوانة سبكت حروف الجريدة عليها كما سيجيء. وطول هذه الآلة ٣٥ قدماً وعرضها ٩ اقدام وعلوها ١٧ قدماً وفيها نحو خمسين الف قطعة مختلفة فاذا طبعت ١٥٠٠٠٠ نسخة في الساعة فكل اسطوانة من اساطينها الاثنتي عشرة تطبع ١٢٥٠٠ نسخة في الساعة وهذا ليس بالقدر الفائق في سرعتهِ لاننا شاهدنا مطابع من معمل مرينوني تطبع الواحدة منها ثلاثين الف نسخة في الساعة عن اسطوانة واحدة

ولا يخفى انهُ لا بدَّ من مطابع تبلغ سرعتها هذا الحد اذا اريد طبع جريدة يطبع منها اكثر من مليون نسخة في بضع ساعات كجريدة الدايلي ميل ونحوها. لكن الكتب والمجلات التي يراد اتقان طبعها لا تطبع على مطابع سريعة الى هذا الحد لان الزمن الذي يمد بهِ الحبر على الحروف ويلامسها

الورق غير كافٍ لجعل الطبع بالغاً حدَّهُ من الوضوح فتستعمل لها مطابع اقل سرعة واكثر دقة

ويتلو مطابع الجرائد في السرعة مطابع اوراق الاشغال ونحوها فان منها ما يطبع خمسة عشر الفاً في الساعة عن قالب واحد من الحروف لكنها تلتقم ورقها من نفسها والمطابع العادية قلما تطبع اكثر من الفي نسخة في الساعة لان الطابع يلقمها الورق بيده وهو لا يستطيع ان يسرع اكثر من ذلك

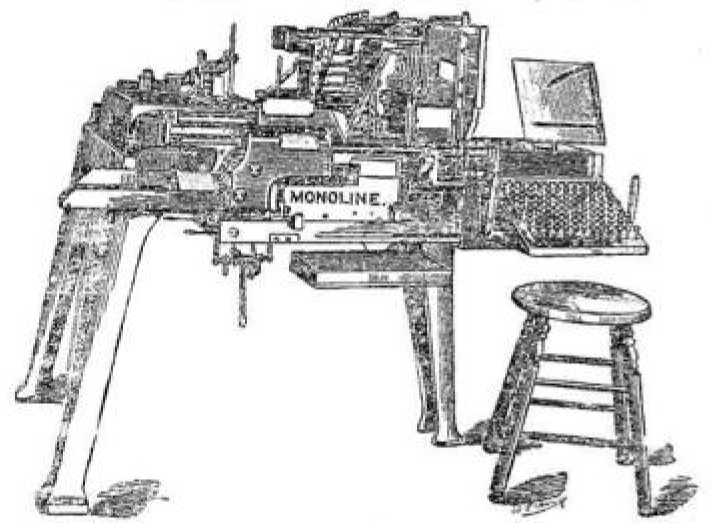
ومن آلات الطباعة ما يطبع بالوان كثيرة في وقت واحد فتخرج منهُ الصور الكثيرة التزويق خالية من كل شائبة كأنها صُوّرت بالقلم . وكانت الالوان تُطبع لوناً لوناً الواحد بعد الآخر فصارت كلها تطبع الآن بآلة واحدة كثيرة الاساطين يحبّر كل قسم منها بلون مخصوص فلا تختلّ الالوان ولا تتمازج

نأتي الآن الى وصف ركن آخر من اركان الطباعة هو سبك الحروف وجمعها . ولو كتبنا هذا الفصل منذ عشر سنوات ما استطعنا ان نجمع بين السبك والجمع لانهما كانا صناعتين مستقلتين تمام الاستقلال كما لا يزالان في كثير من المطابع

وكانت حروف الطباعة تسبك باليد اولاً في قالب يمسكهُ السبّاك بيده ويفرغ المعدن الذائب فيهِ بملعقة ثم صار المعدن الذائب يدفع في ثقب القالب بمنفخة وسنة ١٨٢٢ صنعت اول آلة لسبك الحروف ولم تتقن الاتقان الكافي الاَّ سنة ١٨٨٨ حينما صنعت آلة لعمل الامهات من كل المقاسات عن حرف واحد فسهل وجود مقاسات كثيرة من كل نوع من الحروف مما مقاسهُ نقطتان فقط الى ما مقاسهُ ٧٢ نقطة

والمطابع التي تطبع مئات الالوف من جريدة يومية لا تستطيع ان تفي بالمراد مهما كانت سرعتها فائقة اذا طبعتها عن طبع (فورم) واحد من الحروف ولذلك استنبطت طريقة لسبك طبوع كثيرة عن الطبع الواحد ووضع كلٍّ منها في آلة طباعة. والطريقة الشائعة الآن لسبك هذه الطبوع ان يمهَّد الطبع ويوضع عليهِ ورق سميك مبلّل ويضغط عليهِ قليلاً فتؤثر الحروف في الورق ويصير الورق قالباً للسبك فيوضع ضمن اسطوانة مجوفة واثر الحروف فيهِ الى الداخل ويوضع ضمن هذه الاسطوانة اسطوانة اخرى تبعد عن الورق نحو عقدة ويفرغ معدن الحروف بينهما فيكون منهُ نصف اسطوانة مجوفة الحروف بارزة من محيطها فتهذَّب جوانبها وتوضع على اسطوانة المطبعة ويكرَّر ذلك مراراً عن طبع واحد من الحروف فاذا كرّر ست مرات كان منهُ ست اساطين متماثلة توضع في ست مطابع متماثلة او في مطبعة واحدة من مطابع "هُوْ" حتى اذا كانت سرعة كلٍّ منها عشرين الفاً في الساعة فسرعتها كلها مئة وعشرون الفاً في الساعة فاذا دارت خمس ساعات متوالية طبعت ستمئة الف نسخة ولولا ذلك ما كان في الامكان طبع

هذا المقدار من الجريدة الواحدة بقي امر واحد يتعلق بهذا الركن وهو ترتيب الحروف او جمعها فانهُ عمل بطيء شاق ويُظنّ لاول وهلة انهُ ليس في الامكان ابدال يد جامع الحروف بآلة ميكانيكية سريعة لاتساع صناديق الحروف واختلاف الحركات التي تلزم لانتقاء كل حرف منها ووضعهِ في المصف مما لا يستطيعهُ الا الانسان المتمرّن. لكن عقول ارباب الاختراع لا تقف عند حد على ما يظهر فاخترعت آلة ذات مفاتيح كمفاتيح البيانو او آلة الكتابة يحركها الصانع باصابعهِ فتجمع امهات الحروف المطلوبة وتنظمها سطراً واحداً وتسبك عليها ذوب المعدن فيكون منهُ سطر كامل ثم تعاد الامهات الى اماكنها وتوزع لكي تستعمل مراراً اخرى ·



(٤) آلة المونوطيب

والصانع الماهر يجمع بهذه الآلة نحو ستة آلاف حرف في الساعة فاذا عمل ثماني ساعات بلغ ما يجمعهُ بها ثمانية واربعين الف حرف اي نحو ٤٨ صفحة من صفحات المقتطف وهو لا يجمع بيدهِ غير ثلاث صفحات ويُصنع الآن الف آلة من الآلات المسماة باللينوطيب تنفق كلها · وصار لهذه الآلة تنوعات اخرى اشهرها المونوطيب والجرانوطيب

الركن الثالث عمل الورق ولا يسعنا المقام الآن لوصف الآلات الحديثة التي استنبطت لعمل الورق وانما نكتفي بقولنا انها جارت الصحافة في السرعة والاتساع حتى ان المعمل الواحد من معامل الورق الكبيرة يصنع ٣٥٠ طناً من الورق في اليوم وصار اكبر اعتماد الوراقة على رب الخشب والجريدة التي يطبع منها مليون نسخة كل يوم يصنع ورقها من خشب ٢٥٠٠ شجرة

الراديوم

من مقالة للسر وليم رامسي نشرت في جريدة الدايلي مايل الانكليزية

يعذرني القراء اذا اعدت على مسامعهم قصة اكتشاف الراديوم لانها مملوءة بالفكاهة والفائدة ولانها اول فصل من مجلد سيكتب في هذا الموضوع في مستقبل الايام

يبدأ تاريخ اكتشاف الراديوم بالمسيو هنري بكرل . فان اشارة من المسيو بوانكاري الرياضي الشهير نبهت خاطره الى امر جليل . وذلك انهُ اذا لُفَّ اللوح الفوتوغرافي بورق اسود او بغيره مما يحجز عنهُ النور ثم عُرِّض الاورانيوم (وهو معدن نادر الوجود) او لمركباته اثر هذا المعدن او مركباتهُ في اللوح الفوتوغرافي ولو كان ملفوفاً بما يحجب عنهُ النور. ووُجد ايضاً انهُ اذا ادنيت هذه المركبات من الكتروسكوب مكهرب افرغت الكهربائية منهُ . والالكتروسكوب صندوق معدني جوانبهُ من الزجاج وفيهِ ثقب يدخلهُ سلك يحمل الكهربائية . والصمام الذي يسد الثقب ويمسك السلك يصنع من الكبريت او شمع الختم الاحمر او من مادة غيرهما لا تنقل الكهربائية . ويعلق على طرف السلك قطعتان من ورق الذهب بحيث يراهما الناظر من جوانب الصندوق الزجاجية

فاذا هيجتَ الكهربائية بواسطة الاحتكاك في قطعة من شمع الختم ثم لمستَ بها الطرف الخارجي من السلك حمل مقداراً قليلاً من الكهربائية ونقلهُ الى الورقتين الذهبيتين فتدفع كل منهما الاخرى وتنفصلان مندفعتين بهيئة الرقم (٨) ثم اذا لمست طرف السلك نقلت يدك الكهربائية الى جسمك وارتدت الورقتان الى مكانهما الاصلي

ويمكن الوصول الى هذه النتيجة نفسها بان تضع داخل الصندوق ملحاً او معدناً يحتوي على شيء من الاورانيوم . وقد لاحظت مدام كوري البولونية نزيلة باريس ان سرعة التصاق الورقتين الذهبيتين تختلف باختلاف المعادن التي فيها اورانيوم وان هذه السرعة لا يمكن ان تكون مسببة عن اكسيد الاورانيوم وحدهُ بل يجب ان يكون لها سبب آخر وعزمت على ان تحقق ذلك عملياً فحللت هذا المعدن الى العناصر المركب منها وهي الاورانيوم والحديد والرصاص والباريوم والبزموت وغيرها وامتحنت تأثير كلّ منها على حدة . وظنت في اول الامر انها تأثرت قوة التفريغ الكهربائي الى مركبات البزموت ونسبتها الى عنصر فيها سمتهُ بولونيوم نسبةً الى وطنها بولونيا . وقد ثبت هذا الاكتشاف لانهُ لم يقم من ينقضهُ . ولكن مقدار البولونيوم الذي يمكن

الحصول عليهِ قليل جدًّا وفصلهُ عن البزموت من صعاب الامور . ثم اكتشفت عنصرًا ثانيًا في مركبات الباريوم فيهِ قوة عظيمة للتفريغ الكهربائي وهو اكثر وجودًا من البولونيوم. اطلقت عليهِ اسم "الراديوم"

والراديوم عنصر حقيقي مستوفٍ لكل الشروط التي يطلق عليها هذا الاسم واملاحهُ تشبه املاح الباريوم وقد شاهد كلٌّ من المسيو ديمارسي والاستاذ رنج والسر وليم كروكس طيف هذا العنصر واستنتجت مدام كوري ان ثقلهُ الجوهري يبلغ ٢٢٥ اي ان الجوهر الفرد منهُ اثقل من الجوهر الفرد من الهيدروجين مئتين وخمسة وعشرين ضعفًا . والاورانيوم اثقل العناصر من هذا القبيل فان ثقلهُ الجوهري يبلغ ٢٤٠ . وهنالك اسباب تدعو الى الظن بان ثقل الراديوم الجوهري قد يزيد على ٢٥٠ وان القطعة التي حلَّلتها مدام كوري ونظرت الى طيفها قد تكون غير خالية من عنصر الباريوم الذي لا يزيد ثقلهُ الجوهري على ١٣٧

ولما كانت هذه الابحاث جارية مجراها اكتشف زوجها المسيو كوري والدكتور شميد عنصرًا آخر من خواصهِ تفريغ الالكتروسكوب من الكهربائية . وهذا العنصر هو الثاليوم وثقلهُ الجوهري ٢٣٢ . ومن خصائص املاحهِ انها اذا أُجري عليها مقدار من الهواء اكتسب قوة التفريغ ودام كذلك وقتًا قصيرًا

ثم تناول هذا الموضوع الاستاذ رذرفورد والمستر سودي في كندا باميركا ووجدا انهُ اذا بُرِّدت انبوبة بواسطة الهواء السائل ثم أُجري فيها الهواء المكتسب قوة التفريغ فقدَ تلك القوة. ولكن يبقى في الانبوب غاز فعَّال في تفريغ الكهربائية واذا احمي الانبوب دفع منهُ هذا الغاز. ويتولَّد من املاح الراديوم غاز مثل هذا ولكن قوتهُ على تفريغ الكهربائية ثابتة اثبت من القوة التي في الغاز المتولد من املاح الثاليوم فان ما يصدر عن املاح الثاليوم يتلاشى في بضع دقائق اما ما يصدر عن املاح الراديوم فيدوم شهرًا. وهذا الغاز يتكاثف اذا برد وينير من نفسهِ واذا اصاب جسمًا جعلهُ ينير مثلهُ

وقد اكتشف المسيو كوري وزوجتهُ ان الراديوم يبقى دائمًا اشد حرارة مما يحيط بهِ . وهذا يدل على انهُ يخسر من قوتهِ خسارة مستمرة واذا اذبنا قليلاً منهُ في الماء انصرف جانب من قوتهِ الى حل جزء من الماء الى عنصريهِ الاصليين الاكسجين والهيدروجين . ثم بيَّن الاستاذ رذرفورد والمستر بارنس ان ثلثي حرارة الراديوم ناتجان عن الغاز الذي يصدر منهُ . واستنتج رذرفورد وسودي ان الغازات التي تتولَّد من الراديوم تماثل الارغون في خواصها وظنا وجود مماثلة بين عنصر الهاليوم والعناصر التي تشع النور والحرارة

وقد اكتشفت الهاليوم سنة ١٨٩٥ وهو احد الغازات التي تكون مع الارغون ولما اتى المستر سودي في اوائل الصيف الماضي ليشتغل معي امتحنا صحة ما ظانهُ هو والاستاذ رذرفورد فكللت اعمالنا بالنجاح . ووجدنا ان الغازات الجديدة الصادرة عن الراديوم لا يرى فيها طيف الهاليوم ولكن حينما تبدأ بالانحلال يرى الهاليوم فيها بكميات قليلة جدًّا ثم تزداد شيئًا فشيئًا

ومعلوم انهُ يتركَّب من الكربون والهيدروجين مركَّبات كثيرة في واحد منها ثلاثون جوهرًا من الكربون واثنان وستون جوهرًا من الهيدروجين وهو اكثر المركبات المعروفة جواهر . ومن المرجح او المؤكد انهُ لو وجد مركَّب فيهِ ٢٠٠ جوهر من الكربون و٤٠٢ من الهيدروجين لانحلَّ من نفسهِ وتولَّدت منهُ الحرارة . ومن المظنون انهُ كما يوجد حدٌّ لمقدار الجواهر التي تكون في المركبات كذلك يوجد حد للثقل الجوهري (لان الالفة الكيماوية او قوة التجاذب بين الجواهر المختلفة لا تقوى على جذب العدد العديد منها وكذلك قوة الجذب بين الدقائق الاصلية التي يتكوَّن منها الجوهر الفرد لا تقوى على جذب تلك الدقائق اذا زادت على حد محدود) فالعناصر التي ثقلها الجوهري كثير كالثوريوم والاورانيوم والراديوم (اي التي في كل جوهر فرد منها مئتان او اكثر من الدقائق الاصلية او الالكترونات) تنحلُّ جواهرها من نفسها الى ما هو ابسط منها لان قوة التجاذب فيها لا تكفي لحفظها فتتولَّد منها الحرارة والنور . ولا يُعلم من هذه البسائط التي تنحلُّ اليها الاَّ غاز الهاليوم الذي يتولَّد من الراديوم

ولكن هل يمكن ارجاع هذه البسائط الى العناصر التي تخرج منها ذلك امر لا يعلم حتى الآن . ومعلوم ان الذهب من العناصر الثقيلة الجواهر فاذا حدث فيهِ تحويل فيكون بانحلالهِ الى فضة ونحاس لا باستحالة الفضة والنحاس اليهِ . الاَّ ان الحدس وحدهُ لا يكفي في هذا البحث ولا بدَّ من متابعة التجارب ليزداد ما نعرفهُ عن العناصر واستحالتها . انتهى

[المقتطف] وخلاصة ما تقدَّم ان الراديوم عنصر بسيط مثل سائر العناصر البسيطة كما يظهر بكل الادلة التي يستدلُّ بها على بساطة العناصر ومع ذلك تنحلُّ جواهرهُ ويخرج منها عنصر آخر لان جواهرهُ ثقيلة جدًّا الجوهر منها مثل ٢٥٠ جوهرًا من الهيدروجين وزنًا وهذا يدل على انها مؤلفة من الكترونات كثيرة كما ابنا في مقالة اخرى موضوعها جواهر الاجسام ومتى كثرت الدقائق ضعف التجاذب بينها فينفصل بعضها وقد اتضح ان الدقائق المنفصلة من الراديوم تكون مثل عنصر الهاليوم وهذه اول خطوة خطاها العلم في اثبات استحالة العناصر وكون بعضها مركبًا من البعض الآخر

ائمة اليمن

لست اريد من هذه السطور ذكر تاريخ بلاد اليمن القديم او الحديث او ذكر ما انتاب تلك البلاد منذ عهود متوغلة في القدم لان ذلك قد بسط في المطولات من كتب التاريخ وغاية ما اريد تدوينهُ في هذه العجالة لمحة من تاريخ الائمة في بلاد اليمن

لما كانت بلاد اليمن آهلة بالزيديين فهم يسوقون الامامة في اولاد فاطمة . قال في كتاب الملل والنحل ما خلاصتهُ "الزيدية اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهُ ساقوا الامامة في اولاد فاطمة ولم يجوزوا ثبوت امامة غيرهم الاَّ انهم جوَّزوا ان يكون كل فاطميٍّ عالمٍ زاهدٍ شجاعٍ سخيٍّ خرج بالامامة اماماً واجب الطاعة سواءٌ كان من اولاد الحسن او من اولاد الحسين وعن هذا قالت طائفة منهم بامامة محمد وابرهيم الامامين ابني عبد الله بن الحسن بن الحسين الخ

وعلى هذه القاعدة جرى الزيديون في بلاد اليمن منذ القديم ولا زالوا على ذلك . وفي اوائل القرن العاشر للهجرة استولت دولة البرتغال على البحر الاحمر وحاربت الدولة العامرية في كثير من سواحلهِ واستولت على ركن وبعض البلاد في جهة عدن وتهامة وعمان وحينئذٍ استنجد السلطان "عامر" اليمني صاحب اليمن بالسلطان الغوري صاحب مصر على دفع دولة البرتغال فامدَّهُ في سنة ٩١٠ هـ بعمارة بحرية مؤلَّفة من ٥٠ سفينة وبجيش كامل العدد والعدد تحت قيادة امراءٍ من الجراكسة . فاستخلصوا البلاد من البرتغاليين ولكنهم طمعوا فيها فصدق فيهم المثل "كالمستجير من الرمضاء بالنار" . ونشبت الحرب بينهم وبين الدولة العامرية وكانت القوة الغالبة لهم فثبتوا في البلاد التي استخلصوها من ايدي البرتغال ومنها امتدوا الى داخل الجزيرة فملكوا الحديدة ولحيَّة وزبيد وقمران وباقي جهات عسير وتهامة وفتحوا صنعاء . وكل البلاد التي دخلت في حوزة الدولة العثمانية اخيرًا . على ان اولئك الجراكسة بقوا في حروب وقلاقل مع الاهالي والامراء العامريين الى ان انقطع عنهم المدد من مصر حين زوال الدولة الغورية واستيلاء السلطان سليم خان الثالث عليها كما ان العصبة العامرية ضعفت ايضاً بتوالي الحروب والاحن وكادت تنحل فثبت الجراكسة عدة سنين في اليمن بعد انقراض اصل دولتهم في مصر الى ان قام في اليمن شرف الدين الحسيني وبايعهُ الناس على الامامة وانبثت دعاتهُ في انحاء اليمن وعدن وتهامة وبايعوا لهُ الامراء والقبائل فاجتمعت عليهِ الكلمة وانعقدت لهُ القلوب فنادى

بالحملة على الجراكسة وساق عليهم جيوشهُ واخرجهم من البلاد كلها فتم لهُ الاستقلال في جميع انحاء اليمن ونجران وتهامة وعمان . ثم فشى الطاعون في مكة المكرمة وهو المعروف بالطاعون الكبير وبقي عدة سنين مات فيهِ خلق كثير حتى خلا ثلثا صنعاء قاعدة الامامة من السكان وامسى كثير من المدن والبلاد قاعاً صفصفاً لاساكن فيهِ

وفي خلال ذلك ارسلت الدولة العثمانية جيشاً واسطولاً الى البحر الاحمر واستولت على سواحلهِ بلا معارض وتم لها الاستيلاء على عسير وتهامة بكل سهولة

ثم تجرد الامير مظهر لاسترداد البلاد واضافتها الى " حضرموت " من جهة واستولى اخوهُ على معظم تهامة من جهة اخرى وبقي والدهما الامام في صنعاء معتزلاً الامارة الى سنة ٩٧٥ هـ حين اتمَّ الامير مظهر استرداد البلاد بحيث لم يبقَ في حوزة الدولة العثمانية سوى الساحل الاسفل من عسير وذلك الى سنة ١٠٤٥ هـ وحينئذٍ تركت الدولة العلية الخطة اليمنية كلها واستقل الامراء الحسينيون في الولاية على البلاد واحداً بعد واحد ونخذ؟ا بعد نخذ اولهم الامام محمد المؤيد بن قاسم من سنة ١٠٤٦ الى سنة ١٠٥٤ هـ

ثم الامام المتوكل اسمعيل الى سنة ١٠٧٨

ثم الامام المؤيد الثاني ابن المتوكل الى سنة ١٠٩٧

ثم الامام الناصر الى سنة ١١٢٧

ثم الامام حسين بن قاسم الى سنة ١١٣٠

ثم الامام قاسم بن حسين الى اوائل سنة ١١٣٩

ثم الامام منصور الى نهاية سنة ١١٣٩

ثم الامام عباس بن الامام ناصر الى سنة ١١٨٩

ثم الامام منصور بن عباس الى سنة ١٢٢٩

ثم الامام عبد الله المهدي الى سنة ١٢٤٦

ثم انتقلت الامامة الى علي بن المهدي فخلع وبعدهُ الى ناصر بن عبد الله فقتل . وبعدهُ الى محمد بن المتوكل الى سنة ١٢٦٢

وآنئذٍ اختلَّ امر الامامة والامارة بدخول العساكر العثمانية الى تلك الجهات وبعد محاربات امتدت الى سنة ١٢٨٨ استتب الامر للعثمانيين في البلاد كلها . على ان اهاليها لا يزالون ينادون بالامامة وزعيمهم الآن امامهم حميد الدين

طرابلس الشام　　حكمت شريف

الدكتور فنسن والعلاج بالنور



ذكرنا بين الاخبار العلمية في الجزء الماضي ان الدكتور فنسن أُعطي جائزة نوبل الطبية ومقدارها مئتا الف فرنك . وقد اعطيها لانهُ اكتشف طريقة جديدة للعلاج جاءت وافية بالغرض المقصود منها . وقد ذكرنا هذا الاكتشاف وتدرُّجهُ في مراقي الكمال من حين ظهر الى الآن كما يعلم القراء ورأينا ان نلخص ذلك الآن ونضيف اليهِ ما تتم بهِ الفائدة

ان الدكتور فنسن يدير الآن خمسة مستشفيات في كوبنهاغن بنتها حكومة الدنمارك للمعالجة بالنور. وقد عكف منذ سنة ١٨٩٠ على البحث عن فائدة النور العلاجية واول نتيجة وصل اليها فائدة النور الاحمر في الجدري وقد ثبتت هذه النتيجة بتوالي التجارب وشاع استعمال النور الاحمر في كل مكان فازال الصديد الذي يتكوَّن من بثور الجدري وقلَّل الندوب التي تبقى منهُ وقصَّر مدتهُ . ثم وجد ان الاشعَّة الكيماوية فائدة كبيرة في شفاء الذئب الاكَّال ونحوهِ من الآفات الجلدية . واخيرًا اكتشف اكتشافهُ المشهور وهو معالجة الامراض الميكروبية التي تصيب سطح الجلد باشعة النور الكيماوية وهذا الاكتشاف مبنيٌّ على الحقائق التالية وهي

اولاً ان الاشعة الكيماوية ولاسيما الاشعة البنفسجية والتي فوقها تميت الميكروبات فقد وجد ان نور الشمس وقت الظهيرة يميت الميكروبات في ساعات قليلة. والنور الكهربائي الساطع (القوسي) يفعل فعل نور الشمس من هذا القبيل ولكن نور الشمس والنور الكهربائي لا يقويان على قتل الميكروبات العائشة في الجلد ولو قويا على قتلها لكانت الامراض الجلدية الميكروبية

تشفى كلها في فصل الصيف . فوجد انهُ يجب جمع النور وتركيزهُ بواسطة آلة خاصة حتى يكون فيهِ المقدار الاكبر من الاشعة الزرقاء والبنفسجية وما فوقها لكي يستطيع قتل الميكروبات . فان هذا النور المجموع المتركز سواء كان نور الشمس او نوراً كهربائياً يقتل الميكروبات في بضع دقائق بعد ان كان لا يقوى على قتلها الاَّ في بضع ساعات . ثانياً ان الاشعة الكيماوية تسبب التهاباً في الجلد . ثالثاً انها تستطيع خرق الجلد والوصول الى اللحم

وتقسم معالجة فنسن الى نوعين المعالجة بنور الشمس والمعالجة بالنور الكهربائي ففي المعالجة بنور الشمس يكون في الآلة بلورة مقعرة قطرها ٣٠ سنتمتراً الى اربعين ومعها لوح زجاجي مستوٍ وبينها وبينهُ محلول كبريتات النحاس النشادري الازرق فيكون جانب من هذا السائل مسطحاً والجانب الآخر محدباً اي يكون منهُ عدسية محدبة من احد سطحيها ومستوية من الآخر

ولا بدَّ من تبريد النور بنزع اشعة الحرارة منهُ لكي لا يحرق الجلد وهذا تفعلهُ هذه العدسية لانها ماء سائل كما تقدم والماء يمتص اشعة الحرارة واللون الازرق الذي فيهِ يمتص اكثر الاشعة الحمراء والصفراء وتبقى الاشعة الزرقاء والبنفسجية وما وراءها وهذه هي الاشعة الفعالة في العلاج ولا يزول منها شيء كثير بمرورها في السائل الازرق . ويسهل رفع العدسية وخفضها وجعلها افقية او عمودية حتى تقع الاشعة التي تجتمع بها حيثما يراد ان تقع من الجلد

واذا احتجبت الشمس بالغيوم يستعمل النور الكهربائي بدلاً منها فان القنديل المعد لذلك تتفرع منهُ اربعة فروع كل منها كالتلسكوب وفيهِ بلورات من الكوارتز لانهُ اصلح من الزجاج لمرور الاشعة التي وراء البنفسجي وهي اقتل من غيرها للميكروبات . ولكن لا يمكن تبريد الاشعة الكهربائية بالماء الازرق لانهُ يمتص الاشعة التي وراء البنفسجي فتبرَّد بالماء المقطر ويكون الماء جارياً حتى لا يسخن كثيراً . ومع هذه التدابير لتبريد نور الشمس والنور الكهربائي يبقى فيهما من الحرارة ما يضرُّ الجلد فلا بدَّ من تبريده ايضاً . والاساليب المستعملة لذلك مختلفة والقناديل مختلفة ايضاً وثمن القنديل منها من ثلاثة جنيهات الى خمس مئة جنيه

وقد افاد العلاج بالنور في انواع الذئب والاكنة والحمرة والقروح الخبيثة وكل الذين شفوا بهِ لم يعاودهم الداء الذي شفوا منهُ . وكان المصابون يعالجون بعد ان يتمكن الداء منهم اما الآن فيعالجون حالما يظهر الداء فيهم فيكون شفاؤهم اقرب منالاً

وقد بلغ عدد الذين عرضوا للعلاج في مستشفى فنسن ٨٠٤ شفي منهم ٤١٢ شفاء تاماً وشفي ١٩٢ شفاء غير تام . ويظهر من ذلك ان اكثر من سبعة اعشار الذين عولجوا بالنور استفادوا من العلاج بهِ والذين يعالجون بهِ في بداءة العلة يشفون كلهم

مستقبل الطيران

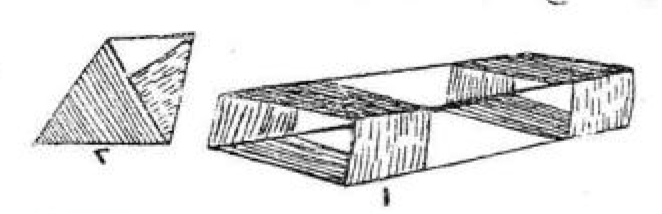
ان مسألة طيران الانسان من المسائل الكبيرة التي تركها القرن التاسع عشر لتحلّ في القرن العشرين . وقد حاول الناس حلها على اربعة اساليب الاول الطيران بواسطة اجنحة تماثل اجنحة الطير : وقد كان شؤماً على الذين حاولوهُ فاوردهم حتفهم . والثاني الطيران بواسطة البالون : وهو شائع ومحاولوهُ كثار وآمالهم كبيرة وقد قووا حديثاً على الذهاب بهِ من فرنسا الى انكلترا ولكن اذا عصفت العواصف او اشتدَّت الرياح فركوب البالون ضرب من الجنون . والثالث الطيران بواسطة آلات متحركة تجري في الهواء كما تجري السفن في الماء : ومن هذا القبيل الآلة التي صنعها مكسم صاحب المدفع المشهور والآلة التي صنعها لنغلي العالم الطبيعي الشهير وقد عجزت كلتاها عن الوفاء بما يطلب منهما بعد ان أُنفقت عليهما النفقات الطائلة

والاسلوب الرابع اقدم الاساليب وابسطها وهو الطيران بواسطة الطيارة: فلا يخفى ان الطيارة التي يتسلَّى بها اولادنا وكنا نتسلَّى بها مثلهم لما كنا في سنهم تطير في الهواء من نفسها وتحلّق الى اعالي الجو ما دامت متصلة بخيطها. ويقوى شدُّها اذا كانت كبيرة حتى تقطع خيطها او ترفع الولد الممسك بها عن الارض . وقد حاول كثيرون استخدامها للطيران بها ولكن لم يبلغ احدهم في تجاربهِ ما بلغهُ الدكتور الكسندر غراهم بل مستنبط التلفون فقد شرع في هذه التجارب سنة ١٨٩٩ ولا يزال عاكفاً عليها وعندهُ ان الطيارة ستحلّ مسألة الطيران فتكون آلة لركوب الهواء كما ان السفينة آلة لركوب الماء وان الطيارة التي تحمل انساناً وآلة بخارية والريح تهب بسرعة عشرة اميال في الساعة تحمل الانسان وآلة بخارية وتجري بهِ عشرة اميال في الساعة . وهذا الامر لم يثبت بالامتحان حتى الآن ولكن لاشبهة في ان الطيارة التي تطير بحركة الهواء والريح ضدها تطير ايضاً اذا تحركت هي ضدَّ الهواء كما ترى اذا عجز الهواء القريب من سطح الارض عن حمل الطيارة فان الولد يجري بها الى الجهة المخالفة اي يحركها ضد الهواء فيحملها الهواء ويطيرها . فاذا علقنا آلة بخارية صغيرة بطيارة وجعلناها تدير رفاصاً وتدفع الهواء حمل الهواء الطيارة والآلة معاً ورفعهما وسار بهما الى الجهة المخالفة لحركة الرفاص

واستعمل الدكتور بل اولاً طيارة كالصندوق وهي التي استنبطها المستر هرغريف في استراليا سنة ١٨٩٢ وقد رسمنا طيارة مثلها في الشكل الاول وهي تطير ما دامت صغيرة ولكن اذا كبرت ضعفت قوتها عن الطيران حتى اذا صار حجمها مثل حجم غرفة صغيرة لم تعد تستطيع حمل نفسها لسبب طبيعي معلوم وهو ان ثقل الاجسام يتوقف على مقدار حجمها واما مقاومة

الهواء لها او مقاومتها للهواء فتتوقف على مساحة سطحها . واذا كبر الجسم لم يزد سطحهُ كما يزيد حجمهُ فاذا صنعنا جسمين مكعبين من الخشب احدهما متر مكعب والثاني ثمانية امتار مكعبة وكان ثقل الاول قنطارًا فثقل الثاني ثمانية قناطير ولكن اذا كانت مساحة سطح الاول ٦ امتار مكعبة فمساحة سطح الثاني ٢٤ مترًا فقط لا ٤٨ مترًا . اي اذا زاد الثقل ثمانية اضعاف فمساحة السطح تزيد اربعة اضعاف فقط لان الثقل يزيد على نسبة مكعبة واما السطح فيزيد على نسبة مربعة . فلما رأى الدكتور بل ذلك أُسقط في يدهِ وقال ان طيران الانسان بطيارة ضرب من المحال ما لم يكتشف معدن جديد غير معروف او قوة جديدة غير معروفة فيخف الثقل او تزيد القوة على دفع الهواء

واهتمَّ بايجاد سبيل للتخلص من هذا الناموس وذلك بعمل طيارة كبيرة مؤلفة من طيارات صغيرة فتزيد السطوح كما يزيد الثقل فوجد انهُ اذا تألفت الطيارة من صناديق كثيرة



(١) صندوقان من صناديق هرغريف (٢) الشكل المثلث

او من علب كثيرة كان قوامها ضعيفًا حتى اذا عبث النسيم بها تلوّت اضلاعها وتجعَّدت فضاقت سطوحها وزاد ثقلها بالنسبة اليها ما لم تكن اضلاعها متينة جدًّا وحينئذٍ يزيد ثقلها كثيرًا فضلاً عن ان اجزاءها المختلفة يخالف بعضها بعضًا في طيرانها ولذلك فتكثير عدد الصناديق في الطيارة الواحدة لا يفي بالمراد . ومن ثم جعل يجرّب اشكالاً اخرى يؤلف الطيارة منها فامتحن الاشكال المستديرة والمسدسة الجوانب والمثمنتها وذات الاثني عشر جانبًا وغير ذلك فلم تفِ بغرضهِ الاَّ الاشكال المثلثة اي التي لها اربعة جوانب كل جانب منها مثلث فان هذا الشكل امتن من صندوق هرغريف واخف فدفعهُ كما ترى في الشكل الثاني وذلك بوضع ثلاثة عيدان متساوية على سطح مستوٍ في شكل مثلث وربطها من زواياها ووضع ثلاثة عيدان مثلها على زواياها الثلاثة وضمها من الاعلى وربطها معًا ومع الثلاثة الاولى فيكون من ذلك شكل هرمي لهُ اربعة سطوح مثلثة متساوية يغطَّى سطحان منها بنسيج رقيق صفيق فيكون من ذلك الطيارة المطلوبة . فاذا ضمَّت الى طيارات كثيرة من شكلها وحجمها وجمع بينها

بعوارض تربطها بعضها ببعض كان من ذلك طيارة كبيرة مؤلفة من طيارات صغيرة كثيرة السطوح فتطير في الهواء بقوة تعادل مجموع القوات التي تطير بها اجزاؤها الكثيرة فضلاً عن متانتها فتطير بسهولة وترتفع ارتفاعاً عمودياً وتبقى ثابتة في الهواء ولو عصفت بها الرياح ولا تقاوم اجزاؤها بعضها بعضاً كما لو كانت في شكل الصناديق

فيمكن تكبير الطيارة اذاً الى ما لا نهاية له بتكثير اجزائها وتبقى على متانتها وتزيد قوتها بزيادة اجزائها حتى تحمل اناساً كثيرين. فمن الطيارات الاولى التي صنعها الدكتور بل كذلك طيارة حملت رجلين ورفعتهما عن الارض فاضطرا ان يتركا حبلها ولولا ذلك لحلّ بهما ما لا يودان. واطارها مرةً اخرى بحبل جديد متين قطارهُ نحو سنتمتر فقطعتهُ حالاً ثم صنع طيارات اكبر منها واقوى فوجد قوتها تزيد بزيادة حجمها

وقد صنع في الصيف الماضي الوفاً من الطيارات الصغيرة مما طولهُ ٢٥ سنتمترًا الى ما طولهُ متر لكي تؤلَّف منها الطيارات الكبيرة . واضلاعها من الخشب المتين وجوانبها مغطاة بنسيج من الحرير الاحمر فاذا جمعت معاً وصنع منها طيارة كبيرة واطيرت ظهرت عن بعد كعصابة من الطيور محلقة في الجو. وصنع طيارات اخرى اضلاعها من انابيب الالومنيوم وهو معدن خفيف جداً يساوي الخشب خفة ولكنهُ امتن من الخشب كثيرًا. والطيارات الكبيرة تبنى من هذه الطيارات الصغيرة كما تبنى البيوت من القرميد فان من الطيارات الكبيرة التي صنعها ما طولهُ ٢٥ قدماً وارتفاعهُ ١٥ قدماً وعرضهُ كذلك وقد نوّع اشكالها على اساليب شتى لكي يصل الى امتن الاشكال واثبتها في الهواء . فصنع منها ما اذا هبّت الريح عليه صاف وارتجف ثم صعد في الجو صعوداً عمودياً كأنهُ السهم فوق الى العلى حتى يقف فوق رأس الذي اطارهُ ثم اذا التفّ حبلهُ نزل رويداً رويداً الى ان يقف على يده

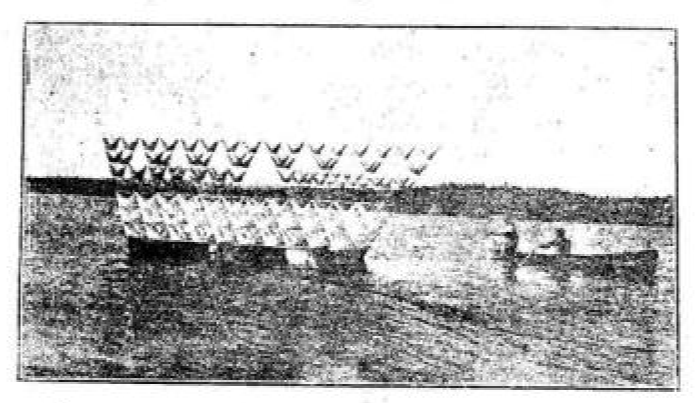
ووجد بالاختبار انهُ اذا تألفت الطيارة من اجزاء صغيرة جدًّا فذلك اصلح من تأليفها من اجزاء كبيرة والاجزاء تنطوي بعضها على بعض فتصير مساحتها صغيرة جداً فيسهل على الانسان ان يتأبط طيارة طولها اربعة امتار او خمسة اذا طواها كذلك

الاّ ان الطيارات الكبيرة التي قوّتها كافية لحمل الناس لا تشرع في الطيران ما لم تجرِ اولاً قرب سطح الارض كما ان الطائر الكبير لا يستطيع الطيران ما لم يجرِ هنيهة حتى يكتسب الزخم من مقاومة الهواء. وهذا الامر معروف مشهور حتى اذا وضعت فريسة لنسر في حفرة من الارض ووقع فيها ليفترس الفريسة لم يعد يستطيع الطيران لانهُ لا يجد مجالاً يجري فيهِ. ومهما بلغ الانسان من اتقان الآلة الطيارة لا يستطيع ان يفوق الطيور فيجب اجراء الآلة

اولاً قرب سطح الارض الى ان تكتسب الزخم المراد من مقاومة الهواء فترتفع فيهِ من نفسها . هذا اذا كانت كبيرة وكان الهواء ساكناً واما اذا كانت صغيرة او كان الهواء ريحاً عاصفة فانها ترتفع من نفسها من غير ان تجري قرب الارض

ثم ان الطيارة الكبيرة جداً كالمرسومة في الشكل التالي لا يستطيع الانسان ان يسير بها ولا ان يحملها و يعرضها للريح لكي تطير فرأى الدكتور بل ان يضعها على ثلاثة زوارق و يربطها بحبل بزورق بخاري ويجري بهِ فتكتسب الزخم حالاً وتطير

وقد صنع ثلاثة زوارق من نوع الطيارات المثلثة الجوانب وغطاها بالمشمع حتى لا يدخلها الماء واوصل الطيارة بها كما ترى في الشكل التالي وكانت هذه الطيارة مؤلفة من ٢٧٢ طيارة صغيرة الصفوف العليا منها حمراء والسفلى بيضاء ولما اعدَّ كل شيء واراد ان يطلق البخار



في الزورق البخاري لكي يجري بالطيارة قرب سطح الماء اولاً هطل مطر غزير فبلَّلها واثقلها حتى ظن الحضور ان طيرانها في تلك الحال من المحال وطلبوا من الدكتور بل ان يؤخر هذا الامتحان الى فرصة اخرى . فلم يفعل بل اجرى الزورق البخاري وللحال ارتجفت الطيارة ثم نهضت من الماء وعلت في الجو على طول الحبل الذي كانت مربوطة بهِ وحملت الزوارق الثلاثة معها . وزاد هطول المطر حينئذٍ حتى لم يعد تصويرها ممكناً

وثبت من ذلك ان الدكتور بل صنع طيارة يمكن تكبيرها الى اي حد أُريد وان هذه الطيارة تطير بسهولة وتحمل ثقلاً كبيراً لان ماء المطر الذي وقع عليها وتجمَّع في الزوارق وُزن بعد نزولها فكان اربعة وستين رطلاً ولم يركب احد في هذه الزوارق ولكن لو ركب احد لصعدت بهِ والطيارة الموسومة في الشكل المتقدم ليست اقوى ما صنعهُ على حمل الاثقال بل صنع

طيارة اخرى سماها فكتور الاول تطير والريح ساكنة لا تحرّك اوراق الشجر واذا هبّت بسرعة ١٥ ميلاً في الساعة وقفت الطيارة في الجو فوق خيطها وشدّت به بقوة فائقة . وطول هذه الطيارة ثلاثة امتار وعرضها ثلاثة امتار وعلوها متر وثقلها ١٢ ليبرة فالقدم المربعة من سطحها تحمل ٣٥ غراماً من ثقلها . وفي البط البري القدم المربعة تحمل ٩٠٠ غرام من الثقل فيبقى في الطيارة قوة تكفي لحمل اضعاف ثقلها . وما من طيارة صنعها والثقل فيها يزيد على خمسين غراماً لكل قدم مربعة من سطحها اما الطيارات التي صنعها غيره فالثقل فيها يزيد على الف غرام لكل قدم مربعة من السطح

فقد صنع آلة للطيران تفوق الطيور خفة وقوة وتكاد تماثل البعوض في خفتها بالنسبة الى اتساع سطحها وبقي عليه ان يضع فيها آلة متحركة ويجعلها تحرك لولباً او رفّاصاً هوائياً ويجلس انسان في فسحة كبيرة في قلب الطيارة ويدير الآلة لتحرك الرفّاص كما يشاء فيسير قرب سطح الارض او يعلو في الجو ويسير فيه الى اية جهة اراد بسرعة عشرة اميال او خمسة عشر ميلاً في الساعة . فاذا تمّ له ذلك فيكون قد ماثل الطيور في طيرانها وهذه غاية ما يصل اليه الانسان في الطيران

الامير بشير الشهابي

لما كنا نكتب الفصول الوجيزة المتوالية عن خرائب الشام كان يعرض لنا هذا السؤال كما كتبنا بضعة اسطر منها وهو "لماذا خربت تلك المدائن وانقرض اكثر سكان البلاد" . ولا بد من ان يكون هذا السؤال عينه خطر لكثيرين من القراء فاجابوا عنه حسب تضلعهم من التاريخ وتمرنهم على الاستقراء والاستنتاج . ولقد وددنا مراراً ان ننشر تاريخ تلك البلاد لا كما هو وارد في الاسفار التي كتبها ابناؤُها بل كما ينظر اليه مَن اطّلع على تاريخ الامم وعرف الاسباب التي تأول الى تقدمهم او تأخرهم وكنا نحجم عن ذلك ونتهيبهُ لما يقتضيه من المشقة ولان مجال البحث فيه واسع جداً لا يوفى حقهُ الا في مجلد او مجلدات . لكن وقع في يدنا في هذه الاثناء كتاب قديم لكاتب انكليزي دقيق النظر اقام في بلاد الشام سنين كثيرة ومات فيها وهو الكولونل تشرتشل من سلالة دوق ملبرو الشهير فرأينا في هذا الكتاب ما يراه الباحث الجيولوجي في طبقات الارض من المتحجرات فيستدل بها على اشكال الحيوانات الباقية منها وطبائعها . فان في ترجمة كل رجل من الرجال الذين ذكرهم فيه كالجزار والامير بشير والامير

حيدر وظاهر العمر ما يدلُّ دلالة واضحة على الاسباب التي خرَّبت بلاد الشام واورثتها الدمار المستمر لانهُ ذكر حوادث حياتهم كما هي ولم يسدل عليها حجاب الخوف من الحكام كما يفعل مؤرخونا فرأينا ان نحذو حذوهُ في كتابة الفصول التالية مقتطفين حوادثها من التواريخ المتداولة كتاريخ الاعيان في جبل لبنان وتاريخ الامير حيدر ليرى ابناء الشام الاسباب التي قوَّضت اركان بلادهم ويطالبوا بمنع ما لا يزال جارياً على منوالها فنقول

نشأ الامير بشير الشهابي والوالي على عكاء والخطَّة التي منها جبل لبنان رجل يلقَّب بالجزار لشدَّة فتكهِ وشراسة اخلاقهِ . وكان على جبل لبنان رجل من آل شهاب اسمهُ الامير يوسف خلا لهُ الجو بعد ان فتك بمناوئيهِ في الامارة وسمل عيني اخيهِ فخاف الجزار ان لا يبقى مناظر لهذا الامير ولا يبقى لهُ هو سبيل الى قسمة اهالي البلاد حزبين وابتزاز الاموال منها ثم بلغهُ ان فيها شابًا مقداماً من آل شهاب اسمهُ الامير بشير يصلح ان يكون رئيس حزب فيها فسرَّهُ الخبر وجعل يكاتبهُ ويرغبهُ في الولاية . وكان الامير يوسف قد اناط بالامير بشير جمع الاموال الاميرية مرارًا فاظهر من الشدَّة والقسوة ما حببهُ الى الجزار . وتوالت الخطوب على الامير يوسف ومات بعض الرجال الذين كان يعتمد عليهم فوهن عزمهُ واراد التنازل عن الولاية فجمع مناصب البلاد وطلب منهم ان يختاروا لهم والياً غيرهُ على رواية صاحب تاريخ الاعيان فاختاروا الامير بشيرًا وكان عمرهُ احدى وعشرين سنة وكان الجزار يميل اليهِ كل الميل ويرغب في جعلهِ والياً على لبنان ولهُ معهُ رسائل ودسائس فاحضرهُ الامير يوسف واشار عليهِ ان ينزل الى عكاء ويتوشح بخلعة الولاية على البلاد . وقد ايَّد تشرشل هذه الرواية من حيث حث الامير يوسف للامير بشير على الذهاب الى عكاء لكنهُ ارتاب في اخلاص الامير يوسف كأنهُ يحسب انهُ بعث بالامير بشير الى عكاء وهو يظن انهُ لا يعود منها

ورحَّب الجزار بالامير بشير وقلَّدهُ الولاية على جبل لبنان وخلع عليهِ واصحبهُ بالف عسكري من المغاربة والارنؤوط وحثهُ على طرد الامير يوسف من البلاد لكي يستحكم الخلاف بين الاميرين ويناوئ كلٌّ منهما الآخر ويتزايدا في ما يرشوانهِ بهِ على جاري العادة . فداس الامير بشير ما في طبعهِ من الشهامة وكرم الاخلاق وعاد بهذا الجيش الى دير القمر فالتفَّ حولهُ زعماء المشايخ الجنبلاطية والعمادية والنكدية وجعل يطارد الامير يوسف وانصارهُ من مكان الى آخر

وبلغ الجزار ان الاميرين يتظاهران بالعداء ويبطنان الصداقة فكتب الى الامير بشير في ذلك فجاءهُ الجواب ومعهُ رؤوس القتلى من رجال الامير يوسف محمولة على بغلين . فلما وصلت

الرؤوس اليهِ كذَّب ما قالتهُ الوشاة وعلم انهُ اصاب في اختيارهِ رجلاً لا يصادق خصمهُ ولا يشر في البلاد سيما يقطع عنهُ در خيراتها يدلك على ذلك ان الامير يوسف كتب الى الجزار يستعطفهُ فاستدعاهُ الجزار الى عكاء حالاً ولما وصلها امنَّهُ واكرمهُ وعين لهُ العلائف فاقام عندهُ خمسة اشهر ولسان حالهِ يقول للامير بشير اما ان ترضاني باكثر مما ترضاني خصمك او اخلعك من الولاية واعطيها لهُ . ثم تمَّ الاتفاق بين الجزار والامير يوسف على ستة آلاف جنيه يدفعها الامير يوسف سنويًا وخلع الجزار عليهِ خلعة الولاية فكتب الى وجوه البلاد يخبرهم بذلك ففرحوا لان الامير بشيرًا كان قد ارهقهم بمطالبهِ وحسبوا ان الامير يوسف يكون ارأف منهُ ولم يدروا ان الاثنين فرسا رهان يسوقهما والي عكاء الى تخريب البلاد وابتزاز ما فيها من الاموال . فاضطرَّ الامير بشير ان يهرب من وجه الامير يوسف فسار الى بلدة اسمها نيحا ونزل على صديقهِ الشيخ قاسم جانبلاط ثم سار الى عكاء وعرض على الجزار ان يدفع الزيادة التي قبل بها الامير يوسف ودفع اليهِ الفي جنيه نقدًا . فابرقت اسرَّة الجزار وعلم ان حيلتهُ نجحت فعزل الامير يوسف للحال وامر باعتقالهِ وقلَّد الولاية الامير بشير فعاد الى دير القمر والتقى بالقادمين لاستقبال الامير يوسف فامر بالقبض عليهم واخذ اسلحتهم ولما وصل الى دير القمر قبض على من وجدهُ من حزب الامير يوسف وسجنهم وارسل المحصلين لتحصيل الاموال التي تعهَّد بها للجزار واخذ يصادر انصار خصمهِ فثارت البلاد عليهِ فقابلها بحد الحسام وبعساكر الارنؤوط الذين جاء بهم من عكاء

وكان الجزار قد خرج للحج على جاري عادتهِ يقيم الفريضة من جهة ويخرب البلاد ويقتل العباد من اخرى شأن كثيرين من الذين يتخذون فرائض الدين وسائل للفتك والكسب . فكتب اليهِ الامير بشير انهُ لا يستطيع ان يحكم البلاد ويجمع الاموال التي تعهد لهُ بها ما دام الامير يوسف يشير اهاليها عليهِ بد ساسهِ . وبلغهُ الكتاب وهو في طريق الحج في المزاريب فكتب الى نائبهِ في عكاء ان يشنق الامير يوسف . ثم ندم على ما فرط منهُ لان بقاء الامير يوسف لازم لغرضهِ وهو بقاء خصمين يتناظران في تخريب البلاد وتفريق كلمتها فكتب الى نائبهِ بالغاء الامر الاول لكن نفذ السهم وشُنق الامير وعمرهُ اربعون سنة والجزار صنيعة الامير يوسف كما سنبينهُ في تاريخ الجزار ومع ذلك لم يستنكف من قتلهِ لما رأى لهُ مصلحة في ذلك

واستعرت نار الحرب بين اهالي الجبل ورجال الامير بشير ومعهم جنود الجزار وظلت اكثر من سنتين الى ان كتب وجهاء البلاد الى الجزار ان يولي عليهم الامير حيدر والامير قعدان الشهابيين وانهم يدفعون اليهِ الاموال الاميرية حسب عادتها واربعة آلاف كيس منجمة على ست سنوات . فاجابهم انهُ انفق اموالاً طائلة على الجنود بسبب عصيان الاهالي

فان دفعها اليهِ الاميران ارسل اليهما خلعة الولاية . فرضي الاميران بذلك وارسلا اليهِ نفقات الجنود وصكًا بار بعة آلاف كيس واربعةً من جياد الخيل فارسل اليهما خلعة الولاية وامر بحجز الامير بشير في صيداء وسار الى الحج . فجعل الاميران همهما الاول جمع الاموال وزادا عليها نصف مال وغرشين في جزية كل انسان فارهقا اهل البلاد حتى كادوا يجهرون بالعصيان . وكان جرجس باز الديراني مدبرًا لاولاد الامير يوسف فكتب الى الجزار يلتمس منهُ الولاية لاولاد سيدهِ وارسل اليهِ مئة الف غرش وتعهد بدفع الاموال الاميرية كلها فبعث اليهم بخلعة الولاية

وزاد الاضطراب في البلاد حتى اضطرَّ اهلها ان يكتبوا الى الجزار يطلبون منهُ اعادة الولاية الى الامير بشير فاجابهم الى طلبهم وجهَّز الامير بشير بالجنود وبعث بهِ الى الجبل فنشبت الحرب بينهُ وبين جنود الامراء وانصارهم فدارت الدائرة عليهم وكاد النصر يعقد لهُ في البلاد كلها وتمهد لهُ الامور وهذا ما لا يرضاهُ الجزار فكتب الى اولاد الامير يوسف ان يحضروا ليوليهم البلاد كما كانوا فحضر الامير حسين والامير سعد الدين الى ساحل بيروت فارسل خلع الولاية اليهما وسار الامير حسين الى دير القمر ومعهُ مدبرهُ جرجس باز وسار الامير سعد الدين الى جبيل ومعهُ مدبرهُ فرنسيس باز واعتقل الجزارُ الامير بشيرًا واخاهُ الامير حسنًا وسجنهما وسار الى الحج ولما عاد منهُ امر باطلاقهما لانهما تعهدا لهُ بثمانية آلاف جنيه وخلع على الامير بشير خلعة الولاية واصحبهُ بعسكر وكان ذلك سنة ١٧٩٥ فعاد الى لبنان وطارد الامراء اولاد الامير يوسف وجمع الاموال وبعث بها الى الجزار

من يقرأ تاريخ تلك الايام لا يجد فيها الأ حربًا دائمة بين اهالي لبنان يوقد نارها والي دمشق او والي عكاء الأ ان المكر والغرر والرشي والضرب في ميادين القتال ومن وراء المتاريس والادغال لم تكن كل ما لجأ اليهِ اهالي البلاد وزعماؤهم بل كثيرًا ما كانوا يتجاوزون الى الخديعة والغدر كما حدث في نكبة النكدية اولاد الشيخ كليب النكدي الذين قتلهم الامير بشير غدرًا . وقد وصف تشرتشل بك نكبتهم وصفًا بليغًا قال فيهِ

استدعى الامير بشير امراء البلاد ومشايخها وزعماءها الى اجتماع عام في بيت الدين في الثالث والعشرين من شهر فبراير سنة ١٧٩٥ (١) وفي اليوم المعين اقبلوا يتهادون على ظهور جيادهم وكلٌّ منهم محفوف بحاشيتهِ ورجال بطانتهِ وبينهم عشرة من المشايخ النكدية المشهود

(١) جعلها تاريخ الاعيان سنة ١٧٩٧ وتاريخ الامير حيدر سنة ١٧٩٦ والصواب سنة ١٧٩٧ اذا كان التاريخ الهجري الذي ذكرهُ الامير حيدر صحيحًا

لهم بالبسالة والحنكة حتى اذا انتظم عقد الجمع قيل لهم ان الامير دخل مجلسهُ وهو يدعو زعماء العشائر اليهِ فتقاطروا الواحد بعد الآخر حسب مقاماتهم وكانوا ينزعون اسلحتهم قبل دخولهم والامير يرحّب بهم على جاري عادتهِ . وقدّمت لهم القهوة والمرطبات والشبقات ولكن كان الخوف والوجوم سائدين على الجميع كلهم يتوقعون امرًا ذا بال. ثم نهض الامير وخرج من المجلس وتبعهُ الشيخ بشير جانبلاط والمشايخ بنو عماد واراد النكدية ان يتبعوهم فأقفل الباب في وجوههم وأُخرجوا وقتلوا واحدًا واحدًا (٢). فهابت البلاد الامير وخلدت الى السكينة وزاد سكونها لان الجزار شُغل عنها بمجيء الفرنسوية الى مصر سنة ١٧٩٨ ومجيء البوارج الانكليزية الى عكاء لحمايتها منهُ سنة ١٧٩٩ ثم مجيء بونابرت اليها بجيوشهِ فامسى الجزار محتاجًا الى مساعدة الامير ورجال لبنان وكتب اليهِ يستنجدهُ فاعتذر بعدم طاعة اهل البلاد لهُ اذ بلغهم تولية اولاد الامير يوسف بدلاً منهُ

وكتب السلطان سليم منشورًا عامًا اتهم بهِ الفرنسويين بالكفر والفجور والطغيان واستنهض همة رعاياه لمحاربتهم. وقد اثبت تاريخ الامير حيدر هذا المنشور برمتهِ وكتب السلطان ايضًا الى نائب طرابلس الشام منشورًا يقول فيهِ

"ليكن معلومًا ان الفرنسويين صمموا على اخذ مصر القاهرة وما يليها من البلاد والآن قد اختلسوا يافا وغزة والرملة وملحقاتها وعلى زعمهم الفاسد يريدون تدمير امة الاسلام وهدم كعبتها وجوامعها فاقتضت صداقة المحب الصادق والخل الموافق اجلّ الاحباب وكريم الانساب سعادة اخينا المحترم سلطان الانكليز المفخم المتحد معنا باخلاص الطوية على تدمير الامة الفرنسوية انهُ لغزير مكارمهِ ووافر مراحمهِ قد سيَّر مع عمارتنا الهمايونية عمارة انكليزية واقام عليها ساري عسكر افتخار الامراء الكرام في الطائفة المسيحية وعظيم الكبراء الفخام في الملة العيسوية جناب محبنا المحترم السنيور بلام سدني سمث الاكرم فوجهناهُ من لدنا بالتفويض الخاقاني والتوقيع السلطاني مشيرًا مطلقًا في نظام تلك الديار كما يراهُ بعين الاعتبار فليملم الخاص والعام حسن صداقتهِ مع الاسلام والاعانة لنا على الدوام . اعلموا ذلك واعتمدوهُ غاية الاعتماد والسلام

وظن اهالي لبنان ان الفرنسويين جاءوا لينقذوهم من ظلم الجزار خصوصًا وظلم الولاة العثمانيين عمومًا ففرحوا بقدومهم وباعوهم الطعام والخمر وكذلك فرح المتاولة حكام بلاد بشارة وبلاد صفد الأ ان الدروز سكان لبنان انقسموا الى قسمين قسم ظاهر الفرنسويين وقسم عاداهم

(٢) ويظهر من تفصيل تاريخ الاعيان وتاريخ الامير حيدر ان الذين قتلوا من آل عماد حينئذٍ خمسة لا عشرة ثم قتل خمسة آخرون بعد ايام

فزاد الشقاق بينهم . وكتب بونابرت الى الامير بشير يطلب منهُ نجدةً فلم يجبهُ بشيءٍ فكتب اليهِ ثانيةً يعاتبهُ لانهُ لم يردَّ جواب كتابهِ الاول ووقع هذا الكتاب الثاني في يد متسلم صيداء فارسلهُ الى الجزار فعلم انهُ اساء الظن بالامير

ووصل السر سدني سمث الى عكاء بالبوارج الانكليزية في ١٥ مارس سنة ١٧٩٩ وابلى رجالهُ بلاء حسنًا فرسخ في عقول الاهالي والحكام ان الانكليز ابطال حرب واهل نجدة فيحسن الالتجاء اليهم والاعتقاد بهم . واتفق ان رجلاً من اهالي لبنان كان آخذًا خمرًا الى الجنود الفرنسوية فقبض عليهِ التلاحقة من مشايخ لبنان قرب نهر الدامور وسلموهُ لمتسلم بيروت فانزلهُ في سفينة وارسلهُ الى الجزار فرأى سفينة انكليزية قادمة الى بيروت فوقف يستغيث بمن فيها وكان السر سدني سمث في تلك السفينة فأمر باطلاقهِ وسألهُ عن شأنهِ فقال لهُ انهُ من جبل لبنان فسألهُ عن حاكم الجبل فقال لهُ انهُ الامير بشير ووصف لهُ مكارم اخلاقهِ . فكتب السر سدني سمث كتاب مودة الى الامير وارسلهُ مع هذا الرجل وطلب منهُ ان يرسل اليهِ رجلاً يعتمد عليهِ ليوقفهُ على ما في نفسهِ . فسرَّ الامير بهذا الكتاب وارسل اليهِ رجلاً من اهالي الشوف اسمهُ حسن ورد ومعهُ هدية فاخرة وكتاب يعرب فيهِ عن اخلاصهِ وثقتهِ بالامة الانكليزية وطلب منهُ ان يحميهُ من جور الجزار . قال تشرتشل ان السر سدني سمث طلب حليفًا قويًّا فوجدهُ يستغيث بهِ لينقذهُ من جور والٍ ظالم لكن ذلك لم يحط من منزلة الامير في عينيهِ لانهُ علم ان مقامهُ السياسي كتابع للجزار اوهمهُ في هذا الضعف فاكرم رسولهُ غاية الاكرام ووعدهُ بان يكون واسطة بينهُ وبين الجزار ولا يدع الجزار يتعرض لهُ بسوءٍ وارسل اليهِ هدية مع الرسول وكان ابن اختهِ قد جُرح في حصار عكاء فارسلهُ معهُ ليستشفي بهواء لبنان فلقي من العناية والتجلَّة والاكرام ما اقنع السر سدني سمث بصدق ولاء الامير فصار من اقوى انصارهِ

وقال صاحب تاريخ الاعيان وحضر القبطان سمث (السر سدني سمث) الى بيروت فتوجه اليهِ ابن اختهِ وحدَّثهُ بما صنعهُ الامير معهُ من الجميل والكرامة . ثم ان الامير كتب اليهِ يدعوهُ الى دارهِ فاجابهُ ان بوابهُ الى الطريق فحضر الامير الى عين عنوب وارسل اليهِ بعضًا من الامراء والمشايخ لملاقاتهِ واصحبهم بخيل لركوبهِ وركوب اصحابهِ فجاء الى عين عنوب بمئتي جندي من جماعتهِ والتقاهُ الامير باطلاق البارود واحتفل بهِ احتفالاً عظيمًا وقدَّم لهُ هدايا نفيسة فهاداهُ بانفس منها وطاب نفسًا وبقي عندهُ ثلاثة ايام ثم ودَّعهُ وسافر الى عكاء وكلم الجزار في امرهِ فلم يجبهُ الى شيءٍ فتركهُ مغتاظًا وسافر الى الاسكندرية

وكتب منها الى الصدر الاعظم والتمس منهُ ابقاء الامير بشير واليًا على لبنان وردع الجزار عن اذاه . الّا ان الجزار عاد الى مصادرة الامير وعزم على خلعهِ وتولية اولاد الامير يوسف . وفي اثناء ذلك قدم يوسف باشا ضيا الصدر الاعظم بالجيوش العثمانية الى حلب فكتب اليهِ الامير بشير وارسل اليهِ خيلاً جيادًا مع رجلين من اعوانهِ قدماها لهُ وطلبا منهُ صنوخاطرهِ على الامير وردع الجزار عن المظالم في جبل لبنان . ولما وصل الوزير الى حماه بعث الامير اليهِ هدية اخرى ولما بلغ دمشق بعث اليهِ هدية ثالثة فانعم عليهِ بولاية جبل لبنان ووادي التيم وبلاد بعلبك وبلاد البقاع وبلاد المتاولة واعدًا اياهُ بانهُ يبقى واليًا عليها يرسل اموالها الى خزينة الدولة رأسًا كما كانت الحال في عهد الامراء المعنيين ولا يكون لولاة سورية سلطة عليهِ . لكن هذه المواعيد كانت عرقوبية ولعلَّ الباب العالي اوجس خيفة من كتابة السر سدني سمث عن الامير بشير فعضد الجزار على مقاومتهِ فعاد الى دس الدسائس في الجبل وعادت نار الحروب الاهلية الى الاستعار . وبعد معارك يطول شرحها تمكَّن الجزار من ايصال اولاد الامير يوسف الى دير القمر مع ستة آلاف جندي من الجنود العثمانية وذلك في اواخر سنة ١٧٩٩ فاضطر الامير بشير ان يهرب من وجههم باعوانهِ ويلجا الى كسروان وبلغ السر سدني سمث ذلك فكتب اليهِ كتابًا عربيًا اثبتهُ الامير حيدر في تاريخهِ وهذه صورتهُ

من سميث ساري عسكر سلطان بلاد الانكليز ونائب حضرة السلطان سليم الى الاخ الحبيب الامير بشير الكلي الشرف والاحترام

اما بعد فانني لما وصلت الى بيروت سألت عن احوالك يا اخي وصديقي المحبوب فبلغني ما توقع لك من احمد باشا الجزار فانهُ قد ولّى مكانك اولاد الامير يوسف وطردك من الولاية التي انعمت بها عليك الدولة العثمانية عن نصرها فحالاً صرت اتوجه الى غزة لمواجهة اخينا الصدر الاعظم وقائم مقام الدولة العلية . وان شاء الله عن قريب تصل مني الاخبار التي تسرك . ولا تظن يا اخي الحبيب ان انقطاعي عنك لسبب غير كثرة الحروب والاتعاب التي حصلت لي في ابي قير والاسكندرية وذلك لعدم اسعاف الجزار باشا اياي لانهُ تعهد انهُ يوجه اليَّ الاسعاف بالمراكب والذخائر وآلات الحرب ونكث وعدهُ وعهدهُ . والآن قد صار عدوًا لي وللدولة العلية لان العهد بيننا ان عدو الدولة عدو الدولتين وصديق الدولة صديق الدولتين . وانت يا اخي كن براحة بال ان شاء الله قريبًا تنال كل ما ترغب فيهِ . وقد تركت لك مركبًا في بيروت لاجل كل ما يلزمك من الذخائر وغيرها . وان شاء الله لا ابطئ عنك في الاخبار . وانا اعلم ان بعض الوشاة في دولتك يوصلون صورة كتابتي هذه الى جزار باشا . ولكن فليعلم

انهُ سيحل بهِ الندم وتنزل عليهِ النقم وقد حررت لك هذه الاسطر من ظهر الطامور في ٥ كانون الاول (ديسمبر) ولا بد ان تخبرني دائماً عنك والسلام

وحضر امر من عبدالله باشا العظم والي دمشق بهذه الصورة "صدر المرسوم المطاع الواجب القبول والاتباع الى امراء ومشايخ وشيوخ عقل وعقال ورعايا جبل الشوف بوجه العموم كي يعلموا . انهُ قد طرق مسامعنا ما ارتكبتموهُ من العداوة في قبولكم اولاد الامير يوسف ولاةً عليكم وبلغنا ان البعض منكم قد اشتركوا معهم في القيام بهذه المهمة مع انكم تعلمون ان جناب ولدنا الامير بشير المحترم معين من لدن الدولة العلية اعز الله انصارها ورفع شوكة اقتدارها . وان كل من خرج من تحت اوامره يكون قد وقع تحت غضب حضرة مولانا السلطان نصرهُ العزيز الرحمن . ولاجل ذلك قد اصدرنا اليكم مرسومنا هذا في حال وقوفكم عليهِ يجب ان تتركوا ما عندكم من العصيان . وتذكروا ما حلَّ بقومكم في سالف الزمان . وكيف سبيت النساء وقتلت الاطفال لما عصى الدولة الامير فخر الدين ابن معن في ايام الكجك احمد . وسوف ترد اليكم العساكر كالبحار الزواخر ان لم ترجعوا الى جناب ولدنا المشار اليهِ طائعين . وتكونوا لاوامره سامعين . واعلموا انهُ هو المؤيد عليكم وانهُ قد صار من رجال الدولة العلية . ويجب على العاقلين منكم ان يفتكروا في عواقب الامور ولا تكونوا كمثل قوم غدروا بانفسهم . وان لم تفعلوا ما امرتكم بهِ تندموا حيث لا ينفعكم الندم وتكون خطيئة النساء منكم والاطفال في اعناق الرجال فاحذروا من الخلاف . واعتمدوا مرسومنا هذا غاية الاعتماد والسلام "

قال الامير حيدر في تاريخهِ ان الامير بشيراً لم يكترث لكتاب عبد الله باشا لعلمهِ ان اهالي البلاد لا يعبأون بهِ لخوفهم من الجزار ولان انقسامهم يعجزهم عن مقاومتهِ . ثم اتاه رسول من قنصل الانكليز في طرابلس بكتاب من السر سدني سمث يطلب منهُ ان يأتي الى غزة لمواجهة الصدر الاعظم ويقول لهُ انهُ ارسل اليهِ سفينة الى طرابلس ليركب بها فركب السفينة وسار الى غزة ولما وصل الاسكندرية رحَّب السر سدني سمث بهِ والتقاهُ باطلاق المدافع ورحَّب بهِ الصدر الاعظم ايضاً وقال لهُ انت اعز رجال الدولة وخصيص مولانا السلطان وقد بلغني انك صاحب حمية وحماسة وغيرة فكن طيب الخاطر . ثم دعاهُ مدبر الصدر الاعظم اليهِ واجلسهُ بجانبهِ واقسم لهُ ان الصدر الاعظم قد اتخذهُ بمنزلة ولد لهُ

وعاد الامير بشير من الاسكندرية ومرَّ على يافا وبيروت ووصل الى قبرص وصوَّر الانكليز صورتهُ حينئذٍ واهدى اليهِ السر سدني سمث مالاً طائلاً لنفقاتهِ . وكان الصدر الاعظم قد كتب الى والي قبرص ليكرمهُ غاية الاكرام فبقي فيها نصف سنة وعاد بهِ السر سدني

سمث الى الاسكندرية ومنها الى طرابلس فاقام في بلاد عكار الى ان اشتدَّ غيظ اهالي الجبل من ابني الامير يوسف لشدَّة ما ارهقاهم بهِ ولجأوا الى الثورة وامتنعوا عن دفع الاموال الاميرية · ورأى الامير بشير ان كل ما نالهُ من الصدر الاعظم والاميرال الانكليزي لا يجديهِ نفعاً ما لم يسترضِ الجزار بالمال فعاد الى استرضائهِ لكن الجزار لم يرضَ الاَّ بعد حروب كثيرة كادت تقضي على ما بقي في الجبل من الرمق كأن غرضهُ الاول بعد ابتزاز اموال العباد تقليل عددهم حتى لا ينصروا امة اجنبية · ودرى اهالي الجبل بذلك فاتفقوا بعد خراب البصرة على ان يكون الامير بشير والياً على لبنان كلهِ ولا يكون للاميرين ابني الامير يوسف الاَّ بلاد جُبيل وتمَّ الصلح بينهم على هذه الصورة وبلغ الجزار ذلك فتمزَّق غيظاً وعاد الى دس الدسائس في البلاد وبعث بالجنود لنصرة ولدي الامير يوسف ومدبرهما جرجس باز فاستعرت نار الحرب واحتدم لظاها اياماً كثيرة الى ان رأى جرجس باز "انهُ اذا ملك البلاد بسيف الدولة لا يقدر على تقدمة الذخائر والنفقات والدولة لا تقنع منهُ بالقليل ولا بالكثير وان بلص البلاد مثل العادة رحل الناس منها وتولاَّها الدمار" فراسل الامير بشيراً في العود الى الصلح وخادع الجزار حتى استرجع جنودهُ · واجتمع الامير بشير واعوانهُ بجرجس باز واعوانهِ في عيناب وتصالحوا وتصافوا وساروا الى دير القمر وبقي الامير هناك وذهب جرجس باز الى جبيل لان شروط الصلح تقضي بان يكون الامير حسين بن الامير يوسف والياً على بلاد جبيل وجرجس باز مدبراً لهُ · وعلم الجزار بهذا الاتفاق فخاف عاقبتهُ لانهُ لا يستطيع ان يسود على لبنان الاَّ بالشقاق فجعل ينتظر الفرص لذلك فسنحت لهُ حالاً لان بعض الشهابيين رغبوا في الولاية وانحاز اليهم العادية وكتبوا الى الجزار يلتمسون الولاية للامير عباس اسعد فاجابهم الى ذلك · وبلغ الشيخ بشير جانبلاط ما فعلوهُ فاتفق مع الامير تعدان وارسلا الى الجزار يطلبان الولاية للامير سليمان فاجابهم الى ذلك ايضاً وكان لسان حالهِ يقول اذا كثرت الاحزاب كثر الراشون واناً شر اجتماع الكلمة

وكانت بلاد الشام كثيرة الخير في ذلك الوقت لانها كانت طريق التجارة من اوربا الى الهند ومن الهند الى اوربا فصبرت على تلك الرزايا السود ولولا ذلك ما استطاعت البقاء بضعة سنوات ونار الحروب الاهلية دائمة الاستعار

وذهب الامير عباس الى عكاء ومعهُ العادية فرحَّب الجزار بهِ والبسهُ خلعة الولاية وانفذ معهُ عسكراً الى صيداء واعطاهُ كتاباً الى سليمان باشا واليها ليكون قائداً للعسكر وانفذ الشيخ فارس العاد بالفرسان الى البقاع ونشبت نار الحرب بين جنود الامير بشير وجنود الجزار

فدارت الدائرة على جنود الجزار فعاد الى دس الدسائس في الجبل وايقاع الفتن فيهِ فنجح بعض الشيء ثم وافتهُ منيتهُ في اوائل سنة ١٨٠٤ واستراحت البلاد منهُ ولكنها لم تسترح من غيره من الولاة ولو لم يبلغ احد مبلغهُ في الظلم والبطر . وخلف الجزار رجل اسمهُ اسمعيل باشا اراد الاستقلال وخلع نير الدولة فكتبت الى الامير بشير تثبت ولايتهُ على لبنان وما ولاهُ من البلاد وقالت انهُ تحقق لها صدق خدمتهِ وحسن استقامتهِ وعلو همتهِ وامرتهُ ان يساعد ابرهيم باشا والي دمشق على طرد اسمعيل باشا من عكاء . وكتب اليهِ يوسف باشا ضيا الصدر الاعظم بمثل ذلك فجمع ستة آلاف مقاتل عاون بها ابرهيم باشا فدارت الدائرة على اسمعيل باشا فقتل وولي سليمان باشا بدلاً منهُ فكتب الى الامير انهُ وجد صكوكاً كثيرة عليهِ وعلى اقاربهِ باموال طائلة فاجابهُ الامير مقرًّا بصحة الصكوك لكنهُ قال ان الجزار كان يدفع اليهِ المال فلا يعطي بهِ بيانًا بل كان يقول اني امرت بتقييده الى نهاية الحساب . وبعد مراجعات شتى واقامة البينات الكثيرة تمَّ الاتفاق على مبلغ يدفعهُ الامير مخالصة فاستدان حرير اقاربهِ وباعهُ واوفى بهِ ما تمَّ الاتفاق عليهِ

ومرَّت ثلاث سنوات وامور الجبل بين بين لا صفاء ولا كدر لكن الضغائن بقيت كامنة والخصوم يتحينون الفرص ورأى الامير بشير انهُ لا بدَّ من وقوع الشقاق بينهُ وبين اولاد الامير يوسف ما دام جرجس باز في قيد الحياة لان الرجل كبير النفس ولهُ حزب كبير في البلاد فعزم على الايقاع بهِ ولو غدرًا

قال الامير حيدر في تاريخهِ ما ملخصهُ

ان جرجس باز قام بخدمة الامراء اولاد الامير يوسف الشهابي حتى اقامهم على ولاية البلاد ثم شاطرهم الامير بشير الحكم فاقتصروا على ولاية بلاد جبيل وما يليها وكانوا قاصرين في السن والرأي وكان جرجس باز مدبرًا لهم خادمًا في القول ومخدومًا في العمل لانهم كانوا يأتمرون بامره في كل افعالهم لا يصدرون امرًا الاَّ باذنهِ وكان لهُ السلطة المطلقة عليهم حتى في ملابسهم وخيلهم وسلاحهم ونفقاتهم ولم يكن في يدهم امر ولا نهي ولا خاتم يختمون بهِ ما يكتب باسمائهم من رقاع الديوان بل كانت اختامهم بيدهِ يكتب ويختم كما يشاء بغير اذن منهم فكان لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون . وكان هذا الرجل حاذقًا كريم النفس والدسلس الاخلاق طيب الحديث يأخذ لقاؤُهُ بقلوب الناس فيميلون اليهِ . وكان متلافًا يستهلك الاموال غير محتفل بها في الشدة والرخاء وكان للناس طمع بكرمهِ حتى ربما أُهدي اليهِ فرس او سيف او ثوب فيتناولهُ بعض حاشيتهِ قبل ان يراهُ ثم يخبره بهِ فيقول لهُ بارك الله لك فيهِ . وكان

طروبًا يحب الملاهي والغناء فلا يخلو محلهُ من منشد الاَّ نادرًا وفيهِ تيه واقدام فلا يبالي بامر ولا يراعي جانب مَن يراعَى جانبهُ . وكان اخوهُ عبد الاحد باز يقرب منهُ في هذه الصفات الاَّ انهُ لم يكن يجاريهِ في النباهة وكان مسرفًا كثير البذخ في الملابس يستبدل في اليوم الواحد خمس حلل كاملة من العامة فما يليها . وطابت لهما الايام زمانًا طويلاً وعظمت منزلتهما ومال اليهما كثيرون من عمد البلاد فاستطالا ولم يكن للامير بشير حرمة عندهما فكان يضمر لهما السوء

واتفق في تلك الايام ان المشايخ بني تلحوق اغاظوا الامير فارسل اليهم رجالاً يطلب منهم اموالاً طائلة وكذلك اغتاظ من المشايخ بني عبد الملك فارسل عليهم رجالاً يضيقون عليهم تأديبًا لهم وكان جرجس باز يحرضهُ على الانتقام منهم فرحلوا من منازلهم ونزلوا على اخيهِ الامير حسن في غزير وسألوهُ ان يتوسط في امرهم فأتى دير القمر ليتوسط بينهم وجرى حديث جرجس باز بين الامير واخيهِ لان جرجس باز كان يغريهِ بالايقاع بهم واراه كتبًا كتبوها الى والي عكاء وشاية بهِ وكان والي عكاء قد اطلعهُ عليها او سلمهُ اياها فتم الاتفاق بين الاميرين على الايقاع بالاخوين في يوم واحد وهو الخامس عشر من شهر ايار (مايو) سنة ١٨٠٧ وكان جرجس باز في دير القمر واخوهُ عبد الاحد في جبيل وتحوَّط الاميران لذلك تحوطًا يدلُّ على مقدرة الاخوين وكبر حزبهما في البلاد وما لهما فيها من الجاه والكلمة النافذة فتظاهر الامير بشير بالغيظ من العادية والتلاحقة واوعز اليهم ان يلجأوا الى جرجس باز ليتوسط امرهم فلجأوا اليهِ فاجابهم حياء وكرم اخلاق وخاطب الامير في ذلك فاجابهُ ان يكتبوا صكًّا على انفسهم بالمال المطلوب منهم الى مضي شهر فكتبوا الصك وكان الامير قد اخبرهم بما اطلعهُ عليهِ جرجس باز من امر المكاتيب التي ارسلوها الى عكاء واتفق معهم على ان يوقع بهِ ويعفيهم من الاموال التي طلبها منهم فحالفوهُ على ذلك وحسب جرجس باز انهُ فاز في استرضائهِ واصطنع اولئك المشايخ وذاع الامر في البلاد . ثم قام المشايخ الى جبيل مدعين انهم ذاهبون اليها ليلتمسوا من الامراء اولاد الامير يوسف ان يتوسطوا لهم في ترك ما تعهدوا بهِ للامير في الصك وبلغ جرجس باز ذهابهم فارسل كتابًا الى اخيهِ عبد الاحد الاَّ يقبلهم . ولما وصلوا الى غزير سار معهم الامير حسن الى جبيل وارسل رجالاً من خدمهم يلهون من في باب المدينة بالشراء واللعب مخبرين عن قدوم مشايخهم نزلاء على الامراء اولاد الامير يوسف لكي لا يقفل بابها في وجوههم فلما اقبلوا على المدينة حذَّر احد خدام الامراء عبد الاحد قائلاً ان هؤلاء القادمين جم غفير فيخشى ان يكونوا قاصدين شرًّا فليقفل باب المدينة في وجوههم او اخرج انت منها بحواليك فاجابهُ ان هؤلاء هم المشايخ اليزبكية وقد قدموا نزلاء علينا واراه

كتاب اخيهِ وظلَّ في غفلتهِ . ووصل المشائخ الى باب المدينة وهجموا برجالهم على دار عبد الاحد وهجم الامير حسن برجالهِ على القلعة وفيها الامراء اولاد الامير يوسف فلما راى عبد الاحد الهاجمين على دارهِ ايقن بالهلاك فتقلّد سلاحهُ حالاً وجعل يطلق الرصاص على الهاجمين عليهِ فقتل رجلاً منهم وجرح آخر ولما رأَى تكاثرهم عليهِ القى بنفسهِ من نافذة فادركوهُ وقتلوهُ ونهبوا دارهُ . ودخل الامير حسن القلعة وقبض على اولاد الامير يوسف

وفي الساعة التي دخل فيها الامير حسن مدينة جبيل استدعى الامير بشير جرجس باز للنظر في بعض المهام فحضر وجلس عنده ساعة . ثم خرج الامير من مجلسهِ واغلق الباب وامر اعوانهُ الدروز ان يدخلوا ويقتلوهُ فدخلوا وخنقوهُ وامر ايضاً بقتل مدبرهِ واثنين من اعوانهِ لانهُ كان يخشى شرهم فهاج اهالي دير القمر وماجوا وهجموا على سراي الامير بشير فالتقام من فيها بالبنادق فاضطروا ان يعودوا عنها

قال الامير حيدر وتأسف الناس على جرجس باز لانهُ كان كريماً قاضياً للحاجات وكان اصحابهُ يخشون من مثل هذا الامر ويحذرونهُ وينذرونهُ ووُجد في منطقتهِ كتاب من الشيخ طاهر عطا الله ينصحهُ فيهِ من غائلة الامير بشير وهو لا يلتفت الى ذلك حتى قضي الامر فصحَّ فيهِ قول الشاعر

وإذا رأيت مقدَّرًا من قادر وفررت منهُ فنحوهُ كان السرى
ان المقدَّر كائن لا ينجي ولك الامان من الذي ما قدرا

وجار الامير بشير على الامراء اولاد الامير يوسف وسمل اعينهم ومنعهم من التزوج خوفاً من اعقابهم واستولى على املاكهم وعيَّن لهم من ريعها نفقةً معلومة ووضع عليهم حرّاساً يمنعونهم من مواجهة الناس فوقعت رهبتهُ في القلوب وبسم لهُ الدهر . وتوفي اخوهُ الامير حسن سنة ١٨٠٨ وعمرهُ ثلث واربعون سنة ووصفهُ تاريخ الاعيان بانهُ "كان عاقلاً فطناً فصيحاً محباً للعلم والعلماء كريماً سديد الرأي شديد البأس ابيّ النفس صعب القياد وكان ركناً لاخيهِ في كل امر" فالتمس الامير بشير ولاية بلاد جبيل لابنهِ الامير قاسم من والي طرابلس فقلدهُ اياها. اما العادية فندموا على قتل جرجس باز لانهم لم ينالوا شيئاً بقتلهِ فهاجر زعماؤهم الى مصر. وقدم عبد الله بن مسعود الوهابي التميمي من الحجاز الى حوران فاستنجد سليمان باشا والي عكاء بالامير بشير فانجدهُ بخمسة عشر الف مقاتل من اهالي لبنان لكن ابن مسعود عاد من حيث اتى من غير قتال . وستاتي تتمة حديث الامير بشير في الجزء التالي



الامير بشير الشهابي

الحرفة وتوابعها

في الفروق بين الحِرْفة والصناعة والخِدْمة والمهنة والسيطرة والولاية والمصلحة

قد يتردد المستعمل حتى يحار وتطول حيرتهُ في مواضع استعمال هذه الكلمات على التعيين فرأيت ان اجمعها واحرِّر معانيها في هذه النبذة وهذا ما ظهر لي فيها

١ً (الحِرْفة) في الصحاح الحِرفة الصِناعة والمحترِف الصانع وفلان حرِّيفي (بتشديد الراء بشكل القلم لا نصًّا وهو يقتضي كسر الحاء ايضًا حتى يكون كصِدِّيق) اي معاملي وهو يحرف لعيالهِ اي يكسب من ههنا وهنا . والحُرْف بالضمّ الاسم من قولك رجل محارَف بفتح الراء اي منقوص الحظّ وكذلك الحِرفة بالكسر . اه

قلت والذي يفهم من السياق ان الحريف اي المعامل اي الذي يعمل بما تعمل بهِ انت حَرِيف بفتح الحاء وكسر الراء مخفَّفة كشريك وكذلك ذكرهُ المصباح والقاموس كما سيجيء . واما الحرِّيف بتشديد الراء فهو ما يلذع اللسان بحرافتهِ كما ذكرهُ هو (الصحاح) قبيلهُ بقولهِ والحُرْف بالضم - حبّ الرشاد ومنهُ قيل شيءٌ حرِّيف بالتشديد للذي يلذع اللسان بحرافتهِ وكذلك بصل حرِّيف ولا تقل حريف

وفي القاموس . الحِرفة بالكسر الطُعْمة والصناعة يُرْتزَقُ منها وكل ما اشتغل الانسان بهِ وضَرِيَ يسمَّى صَنْعةً (صوابهُ صِناعة) وحِرفةً لانهُ ينحرف اليها . وحريفكَ (بتخفيف الراء بشكل القلم لا نصًّا) معاملك في حرفتك والمحرِف والمحترَف الموضع يحترف فيهِ الانسان و يتقلب ويتصرَّف اه .

قلت ويتحصل منهما ان الحرفة اعمّ من الصناعة لقول الصحاح يحرف لعيالهِ يكسب من ههنا وههنا وقول القاموس الحرفة الطعمة فتكون الحرفة عبارة عن كل وجه يتقلب الانسان فيهِ ويتصرَّف للكسب حتى تشمل التجارة والزراعة ووكالات الدعاوي وتعليم العلوم والسمسرة والدلالة والطبابة والقبالة وفتح الحمّامات والقهاوي والمتفرّجات والطباخة في السوق وشواية اللحم ودقّ الحمص وكواية الثياب وتشقيق الحطب بالاجرة ودلالة الدليل في الطرقات وكيالة الحبوب والقبانة حتى كناسة الاسواق والطرق لمن يتعيش منها . وكثير من هذه المذكورات لا يسمَّى صناعة كما سيجيءُ

٢ً (الصِناعة) في الصحاح الصناعة حرفة الصانع وعملهُ الصنعة بفتح الصاد وسكون النون (اي ما يكون من عمل الصانع كالخزانة والصندوق من عمل النجار يسمَّى صنعةً) ورجل صنيع

اليدين وصنيع اليدين صانع حاذق وامرأة صناع اليدين اه . وفي القاموس صنع الشيء صنعاً عمله والصناعة ككتابة حرفة الصانع وهو صنع اليدين وصَنَعُ اليدين وصنيع اليدين وصناعهما حاذق في الصنعة من قوم صنعى الايدي بضمة وبضمتين وبفتحتين وبكسرة واصناع الايدي وامرأة صناع اليدين ماهرة بعمل اليدين وامرأتان صناعان ونسوة صنع ككتب والاولى كقذال وقُذُل كما في الصحاح اه

تنبيهات . في كلام القاموس هذا اولاً قوله حاذق في الصنعة صوابهُ في الصناعة لان الصنعة ما يخرج من عمل الصانع كالصندوق من عمل النجار وانما يقال فلان حاذق في النجارة لا حاذق في الصندوق . وثانياً ان قوله رجل صناع اليدين لم يقلهُ غيره والمعروف ان هذه الصفة خاصة بالمرأة كحصان ورزان . وثالثاً قوله هو من قوم صنعى الايدي بضمة فيكون وزنهُ (فُعلَى) وبضمتين فيكون (فُعُلَى) وبفتحتين فيكون (فَعَلَى) وبكسرة فيكون (فِعلَى) ولا شيء منها معدود ولا معروف في ابنية جموع التكسير فكلها تساهل منهُ رحمهُ الله والصحيح اصناع كما قالهُ اخيراً وافعال يأتي جمعاً للصفات المستعملة استعمال الاسماء فيكون صِنع كنكس وصَنَع كبَطَل وصَنيع كشريف وكلها تجمع على افعال ولو كان (صَنعى) هذا معروفاً لما قالوا ليس لنا من الجموع على فِعلَى سوى حِجلى وظِربى

قلت ويتحصَّل من الصحاح والقاموس ان الصناعة عبارة عن عمل يدوي يجريهِ الصانع في صَنعتهِ ويكون مما يغيّر في ذات المصنوع كالطحانة والخبازة . والطباخة او في صفتهِ كالنجارة والحدادة والصياغة . وفي هذه وامثالها يسمَّى المصنوع باسم غير اسم مادتهِ وقد يكون عمل الصانع مما يغيّر في صنعة المصنوع حتى يصير صنفاً من نوعهِ يتميز عنهُ بتلك الصنعة ويكسبهُ اسماً خاصاً كعمل الصبَّاغ ومجلّد الكتُب وكوَّاء الثياب ومن ثمَّ يكون الخط والنقوش بالحفر والتصوير بالشمس وبالالوان صناعة

واعلم انهُ وان كانت الصناعة في الاصل لما هو عمل بالايدي فقد توسعوا في استعمالها واطلقوها ايضاً على العمليَّات وهذا مما يشملهُ قول القاموس وكل ما اشتغل الانسان بهِ وضري يسمَّى صنعة (اي صناعة) وحرفة وقولهُ ايضاً " رجل صنع اللسان محرَّكة ولسان صَنَع يقال للشاعر ولكل بليغ " انتهى كلام القاموس وفي فروق حقي الصناعة بالكسر العلم الحاصل بالتمرُّن قال السيوطي الصناعة حرفة الصانع وعملهُ الصنعة وكل علم مارسهُ الرجل سواء كان استدلالياً او غيرهُ حتى صار كالحرفة لهُ يسمَّى صناعة . وقال صاحب الكشَّاف في تفسير قولهِ تعالى (لبئس ما كانوا يصنعون) لا يسمَّى كل عامل صانعاً ولا كل عمل يسمَّى صناعة حتى يتمكن فيهِ

ويتدرّب وينسب اليهِ . وقال التفتازاني في حواشي الكشّاف معلومات العلم ان حصلت بالتمرّن على العمل فربما خُصَّت باسم الصناعة . او بمجرّد النظر والاستدلال فبالعلم . وقد يقال الصناعة لما تدرّب فيهِ صاحبهُ وتمكن او لما يكون المقصود الاصليُّ فيهِ هو العمل . وبالجملة للصناعة تعلّق بالعمل ولذا قالوا الصناعة ملكة نفسانية يقتدر بها الانسان على استعمال موضوعات ما نحو الغرض من الاغراض صادراً عن البصيرة بحسب ما يتمكن فيها . انتهى كلام الفروق

٣ (الخدمة) الخدمة عبارة عن عمل الخادم وتصرّفهِ في حاجات مخدومهِ فهي غير الصناعة . واصحاب الصحاح ومختارهِ والمصباح والاساس لم يضبطوا الخدمة نصّاً واطلاقهم يرجح الكسر او يعينهُ لانها مثل الحرفة واما القاموس فقال خدمهُ خدمة بالكسر ويفتح . قلت ولا يجري على الالسنة في لفظ الخدمة سوى الكسر وجمعها خدَم كسدرة وسدر وهو يدل على اصالة الكسر فيها

واعلم اولاً ان خدمة الخادم ان كانت في عمل معين من حاجات مخدومهِ مما هو من قبيل الصناعة كالطباخة والخياطة للمخدوم خاصةً يصحُّ ان تُسمّى ايضاً حرفةً وصناعة واما اذا لم تكن في عمل معيّن او كانت في عمل معين ليس من قبيل الصناعة كمشترى الحاجات من السوق مثلاً وصف السفرة وجمعها فيصحُّ ان يسمى حرفة ولا يسمّى صناعة

وثانياً ان الخادم من قبيل الصفة المطلقة الغير الملحوظ فيها التذكير والتأنيث كالنصف والايم والعانس وان شئت فقل مما جرى مجرى الاسم . ففي الصحاح الخادم واحد الخدَم غلاماً كان او جاريةً وفي القاموس هو خادم وهي خادم وخادمة واختدم خدم نفسهُ وفي المصباح هو خادم غلاماً كان او جاريةً والخادمة بالهاء قليل

وثالثاً انهُ لم يجئ جمع خادم الا على خدَم وخدّام ومقتضى ذلك انهُ لا يجمع على خدمة ككتبة وهو الواقع

٤ (المهنة) في الصحاح المهنة بالفتح الخدمة وحكى ابو زيد والكسائي المهنة بالكسر وانكرهُ الاصمعي وفي المصباح المهنة اخصُّ من المهن مثل الضربة والضرب وقيل المهنة بالكسر لغة وانكرها الاصمعي . وفي القاموس المهنة بالكسر والفتح والتحريك وككلمة الحذق في الخدمة والعمل . وقالوا كلهم مهنهُ خدمهُ والماهن الخادم وامتهنت الشيء ابتذلتهُ . وتفرّد المصباح بقولهِ وهو في مهنة اهلهِ اي في خدمتهم وخرج في ثياب مهنتهِ اي في ثياب خدمتهِ التي يلبسها في اشغالهِ وتصرفاتهِ

واعلم انهُ من مادّة (مهن) يأتي مهن بفتح العين ومضارعهُ كيمنع وينصر ومصدرهُ المهن كالضرب ومنهُ المهنة والماهن . ومهُن بضم العين ماضياً ومضارعاً ومصدرهُ المهانة ومنهُ المهين

بمعنى الحقير والضعيف والقليل والمبتذل . ومن ثم يكون الامتهان بمعنى العمل والحذق فيهِ في قولك امتهنت العمل الفلاني اي اتخذتهُ مهنةً من مهن المفتوح عين الماضي . ولا شيء فيهِ من الصغار . والامتهان بمعنى الابتذال والاذلال والاحتقار في قولك امتهنت فلاناً او الثوب من مهُن المضموم العين ولا شيء فيهِ من الحذق

ويتحصل مما تقدَّم اولاً ان المهنة تطلق على الخدمة والصناعة غير انها لا تطلق عليهما الاَّ مع اعتبار الحذق فيهما فيكون الماهن في خدمة الحاذق فيها والماهن في صناعة الحاذق فيها

وثانياً ان مثل التجارة ووكالة الدعاوي والخطابة والتأليف وانشاء ما ينشر في الجرائد وسائر امثال هذه المذكورات ادخل في معنى المهنة منها في معنى الحرفة — واذا اطلقت المهنة على نحو الرياسة والوزارة والامارة وقيادة الجيوش والقضاء وادارة المعامل والقيام على المهام الدولية او العمومية فلا يكون اطلاقها هذا باعتبار العمل البدني ولكن باعتبار ما تستلزمهُ من اعمال النظر والامر والنهي بحسب ذلك

وثالثاً ان انكار الاصمعي كسر ميم المهنة غير وجيهٍ اولاً لانهُ نقلهُ ابو زيد والكسائي وهما امامان مثلهُ بل ابو زيد اعرف واوثق منهُ في اللغة . وثانياً لان القياس يقتضيهِ فهي كالحرفة والخدمة وهما بالكسر . وثالثاً لان جمعها مِهَن كسدرة وسدر وهو قياس جمع فعلة بالكسر وجاء ايضاً مهُن كغُرَف والضم فيهِ من تناوب الضمة والكسرة المحل الواحد. واما جمع فَعلة بالفتح فقياسهُ الفِعال بكسر الفاء كحربة وحراب وما جاء منهُ على فِعَل كبدرة وبِدَر نادر لا يقاس عليهِ وان اعتبر فيها بناء المرَّة كما يلوح من كلام المصباح تعين جمعها على فعلات كحلسة وجلسات وكلها ادلَّة على بطلان انكار الاصمعي

٥ْ (الوَلاية) بالكسر والفتح وان كان الكثير على الالسنة الكسر عبارة عن السلطة والإمرة على عملٍ ما من الاعمال البدنية او المعنوية فهي غير الحرفة وغير الخدمة لدلالتهما على العمل البدني دونها وانما هي تدل على الإمرة على العمل امرًا ونهياً في الشيء المولَّى عليهِ

٦ْ (السيطرة) عبارة عن السلطة على العمل بمعنى الاشراف عليهِ وتعهدهِ وكتابة وحفظ ما يجرى فيهِ من زيادة ونقص وتجديد وازالة ونحو ذلك ويرادفها الآن في اصطلاح السياسة الدولية النظارة وفي لسان العامَّة الخَوْلية

٧ْ (المصلحة) عبارة عمَّا يترتب على الفعل (من الخير والنفع) وما يبعث على الصلاح ومن هذا سمي ما يتعاطاهُ الانسان من الاعمال الباعثة على نفعهِ مصلحة لهُ . قلت وعلى هذا فالمصلحة اعمُّ من كل ما ذكر من هذا القبيل . والله اعلم

ظاهر خيرالله الشويري

مصادر جديدة للقوة

زاد استعمال الفحم الحجري في هذه الايام ايام المعامل الكبيرة زيادة عظيمة حتى بلغ ما ما يُحرَق منهُ سنويًّا اكثر من سبع مئة مليون طن فيُخشى ان تنفد مصادر الفحم وتفرغ المناجم التي يستخرج منها فتتعطل المعامل ويتوقف العمل ويقضى على التمدن الحديث بالتقهقر والانحطاط .

ولا بدَّ من ان يزيد ثمن الفحم قبل ذلك زيادة تمنع كثيرين من استعماله ولذلك حوَّل الناس انظارهم نحو مصادر جديدة وابواب غير مطروقة لعلهم يتمكنون من استبدال الفحم بشيء اقل منهُ نفقة او يتوصلون الى طرق جديدة يقتصدون بواسطتها في ما يحرقونهُ منهُ

ولا يخفى ان الجانب الاكبر من الفحم الذي يحرق في المعامل او في البيوت يذهب سدًى في شكل دخان وغاز وحرارةٍ فيطير الغاز السام الى الهواء فيفسدهُ ويسقط الدخان على المنازل فيسودها وتتفرق الحرارة في الفضاء فلا يستفيد احد منها . فلا مشاحة ان ثروة عظيمة تنتظر المخترع الذي يتوصل الى اكتشاف طريقة يقتصد بها في ما يُحرَق من الفحم

ومصادر القوى الطبيعية كثيرة والفحم واحد منها وتناوهُ القوة المائية اي قوة انحدار الماء ونفقاتها اقل من الطفيف الآن تحويلها الى كهربائية ونقلها الى الاماكن البعيدة يستوجب نفقات طائلة وزد على ذلك ان الماء المنحدر لا يوجد في كل مكان ولا في الاراضي المستوية

ويمكن استخدام قوة الرياح الا ان حركتها غير منتظمة وتقتصر فائدتها على ادارة المطاحن ورفع المياه وقد استعملت لذلك منذ زمن طويل

وزيت البترول قد يقوم مقام الفحم الحجري فيُستغنى بهِ عنهُ ولكنهُ لا يقل عنهُ كثيرًا في النفقة وهو مع ذلك يستعمل في بعض المعامل الكبيرة

ولا يخفى ان الحديد يسبك من حجارتهِ بصهرها في اتاتين عظيمة تحمى نهارًا وليلاً . وقد كان الغاز الناتج من اشغال الفحم فيها ينبعث بمقادير عظيمة الى الهواء المجاور فيفسدهُ ويلبس الارض والمنازل المجاورة لون الحداد . اما الآن فقد تنبه ارباب الاختراع الى هذه الخسارة فبادروا الى تلافيها . فترى امام بعض المسابك الكبيرة آلات عظيمة مما قوتهُ مئة حصان الى ما قوتهُ ١٥٠٠ حصان تتناول هذا الغاز الذي كان يذهب ضياعًا وتحولهُ الى قوةٍ ثم تنقل هذه القوة بصفة كهربائية الى البلدان المجاورة فتدير المعامل وتضيء المنازل . ولم تزل المعامل التي تستخدم غاز المسابك فتحولهُ الى كهربائية قليلة العدد الآن الا انها في ازدياد دائم فلا تمضي سنوات قليلة حتى تصبح ذات شأن كبير في العمران . والغازات المنبعثة من المسبك الواحد

التي كانت تضيع سدًى تكفي لتسيير خمس قاطرات الى عشر. وتخسر بريطانيا وحدها من مسابكها قوة تعادل قوة ستمئة الف حصان يوميًا . وتخسر الولايات المتحدة اكثر من ذلك وهذا شأن كل مسابك الحديد في المسكونة . فلو استعملت هذه القوة الضائعة حق الاستعمال لقلّ ما ينفقهُ الناس الآن على الفحم قلة بالغة

وقد بدت منافع الآلات الغازية فانتشر استعمالها انتشارًا عظيمًا وقامت مقام كثير من الآلات البخارية ولذلك فقد تحولت انظار اصحاب الثروة نحو انشاء معامل كبيرة لاستخراج الغاز الرخيص لتدار بهِ الآلات البخارية بدلاً من الفحم

ومن مصادر القوة القليلة النفقة الغاز الحديث الاستعمال المسمى غاز موند . فانهُ يستخرج من كسر الفحم الرخيص الذي لا يزيد ثمن الطن منهُ على سبعة شلنات . ويستخرج منهُ غاز ومواد اخرى تباع باثمان غالية وفي هذا زيادة اقتصاد في نفقة استخراج الغاز . وعلى افواه مناجم الفحم الحجري مقادير كبيرة من هذا الفحم الناعم الرخيص الثمن الذي يمكن تحويلهُ الى قوة باقل نفقة فتحوّل هذه القوة الى كهربائية وتنقل الى المدن والمعامل والمركبات الكهربائية

ويمكن ايضًا حرق فضلات المدن وتحويل حرارتها الى قوة تدار بها الآلات وتسير بها المعامل كما يُفعل في بعض المدن الان . والمستقبل امام هذه القوة واسع لان فضلات المدن كثيرة يضيق بها السكان ذرعًا فيرحبون بكل سبيل يزيلها ويحولها الى قوة نافعة

واستخدام حرارة الشمس من اهم ما يبحث فيهِ الباحثون في هذا الصدد وهي مسألة قديمة العهد الاَّ ان طريقتها لم تخرج بعد من حيز الامتحان الى حيز العمل التجاري . وقد صنع بعضهم مرآة مخروطية الشكل واسعة السطح تعرَّض لاشعة الشمس فتعكسها وتجمعها على مرجل نحاسي ملآن ماء فيغلي الماء في المرجل بالحرارة المصبوبة عليهِ فيتولد منهُ البخار ويدير آلة بخارية . وتدار هذه المرآة بآلة كالساعة فتبقى متجهة الى الشمس ويبقى وجهها مصوَّبًا نحوها . وقد تبين ان كل مئة قدم مربعة من سطح هذه المرآة يجمع من حرارة الشمس ما يعادل قوة حصان واحد . ويعترض على الآلات الشمسية ان الشمس تحتجب بالغيوم اياماً واسابيع في بعض الاماكن ولا يسهل استعمالها في البلدان الحارَّة كالقطر المصري وبلاد السودان حيث تشرق الشمس دوامًا لكثرة العواصف التي تثير الغبار والرمال وتغشي بها سطح المرآة

وجوف الارض مخزن عظيم للحرارة وقد اشار بعض العلماء باتخاذ الوسائل التي تمكن الانسان من استخدامها . فقال بعضهم بحفر آبار عميقة في الارض وسكب الماء فيها واستخدام البخار المتولد منهُ وقد يظهر ان هذا العمل مستحيل لذاتهِ ولكن ستبدي لك الايام ما كنت

جاهلاً والمستقبل ابو العجب فلا بد من ان يكشف الانسان ابواباً يتوصل بها الى استخدام حرارة الارض . فاذا تمَّ لهُ ذلك وجد فيها مخازن قوة لا تنفد

وفي المد والجزر ميدان واسع لبحث المهندسين ويقول الخبيرون ان فيهما من القوة ما اذا عرف البشر كيفية استخدامهِ قام مقام كل القوى التي يستخدمها الانسان من الفحم والغاز والبترول وغيرها . والذي يسعدهُ الحظ فيصل الى استنباط لاستعمال هذه القوة يجد فيها اوسع ابواب الثروة . واقرب الطرق المعروفة للآن ان تقام آنية كبيرة في مكان عالٍ يصل اليهِ المدُّ فيملاها ثم ينصب الماء منها وقت الجزر رويداً رويداً فيكون من انصبابهِ قوة عظيمة حسب مقدارهِ وارتفاع آنيتهِ

والامواج مصدر آخر ولا بد ان يتصل الناس الى استخدام قوتها . وحينئذٍ تبنى المعامل على شواطئ البحار فتستخدم قوة الامواج المتلاطمة لتسيير آلاتها وتستغني عن دخان الفحم ورائحة المداخن او تحوَّل قوة الامواج الى كهربائية وتوزع في البلاد فتضيء المنازل وتدير المعامل وتجر المركبات كما تفعل الشلالات



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

تصحيح وهم

بينما كنت أطالع الجزء التاسع من المجلد الثامن والعشرين من مقتطفكم الازهر وارشف منهُ زلال العلوم والمعارف اذ وقع نظري على عنوان (بحث في الكامل) للكاتب الفاضل محمد افندي كرد علي فوجدتهُ بحثاً جليلاً وعنواناً نبيلاً فجلت في معمعانهِ وانست من قطف الخوانهِ حتى عثرت في اثناء البحث على قولهِ منظومةُ اي منظوم كتاب الكامل للمبرد في صحيفة ٧٢٥ وهذه عبارة الموما اليهِ بعينها

يظهر ان المبرد طالع كثيرًا من دواوين العرب وانتقى طرفًا صالحًا منها فجاء ما وقع اختياره عليهِ زبدة الزبد كما هو الشأن في ديوان الحماسة الذي اختارهُ ابو تمام الطائي من شعر العرب العرباء. ومن الانموذجات ما نقلهُ من طريف شعر الحرث بن ظالم من قولهِ وكأنهُ شعر معاصر

فلما فقدت الصوت منهم واطفئت　　مصابيح شبت بالعشي وانور

الى تمام ما اوردهُ من هذه القصيدة التي هي لعمر ابن ابي ربيعة المخزومي الذي ولد ليلة وفاة عمر ابن الخطاب رضي الله عنهُ فقيل اي حق رفع واي باطل وضع واول القصيدة

امن آل نعم انت غاد فمبكر　　غداة غد ام رائح فمهجر

وهي اشهر من نار على علم وفاتحة ديوان المخزومي بها فالعجب من حضرة الكاتب المنتقد كيف نسبها لشاعر جاهلي واعجب بطلاوة شعره بقولهِ وكأنهُ شعر معاصر ولو علم ناظمها لما اخذهُ العجب اذ صاحب نعم لهُ في رقة الشعر وعذوبتهِ شأن سامى كيوان وجل نظمهِ على هذا النمط وان تكن هذه القصيدة سيدة شعرهِ . وكأني بحضرة الفاضل توهم ما اوردهُ المبرد بالكامل في شرح ابيات لعمر في الجزء الاول من كتابهِ صحيفة ٣٨٢ من قصيدة اولها

قال لي صاحبي ليعلم ما بي　　أتحب القتول اخت الرباب

الى قولهِ بها

ثم قالوا تحبها قلت بهرا　　عدد النجم والحصى والتراب

فوصل الى شرح هذا البيت وقال وها كلامهُ بعينهِ

وقولهُ عدد النجم والحصى والتراب فيهِ قولان احدهما انهُ اراد بالنجم النجوم ووضع الواحد في موضع الجمع لانهُ للجنس كما تقول اهلك الناس الدرهم والدينار وقد كثرت الشاة والبعير وكما قال الله عز وجل ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وقال الشاعر

فباتت تعد النجم في مستحيرهِ　　سريع بايدي الآكلين جمودها

يريد النجوم والوجه الآخر ان يكون النجم ما نجم من النبت وهو ما لم يقم على ساق والشجر ما يقوم على ساق واليقطين ما انتشر على وجه الارض قال الله جل وعز والنجم والشجر يسجدان وقال الحرث ابن ظالم للأسود ابن المنذر ابن ماء السماء

اخصيي حمار بات يكدم نجمة　　ايؤكل جيراني وجارك سالم

ثم قال ومن ظريف شعرهِ . والضمير راجع الى عمر لا الى الحرث اذ بيتهُ استشهاد على ما ذكرهُ من شرح بيت عمر المذكور آنفًا ليس غير . ولو اردت سرد كتب الأدب لأتيت بدلائل جمة على صحة ما نقتهُ وحسبي الآن ما رسم اقوى دليل وبرهان

ولما كنت اضن بكاتب بليغ نظير محمد افندي كرد علي ان يكتب شيئاً لم يسبره بمسبار التروي والامعان خصوصاً في مجلة مثل المقتطف هي طليعة المجلات جئت بكلماتي هذه الانتقادية كي تكون تنبيهاً وصوناً للشعر الشهير عن اختلاف النسب واضاعة الحسب على اني لا انكر ان الجواد قد يكبو والحسام قد ينبو وللرجل في عالم الادب مكاناً اعلى وفي عقوة الانشاء شجاعة من البيان اجلى

منتقد عارف

دوران الارض

محاورة واستفتاء

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

جرى حديث بيني وبين احد ادباء طرابلس الافاضل امين افندي عز الدين اتينا فيهِ على ذكر حركة الارض ودورانها فقال حضرتهُ ان ذلك لم يزل بعدُ ظنياً ولم يرتقِ الى درجة القطع واليقين وربما اتى زمن يرجعون فيهِ عن القول بحركة الارض ودورانها . فقلت لهُ ان ما ذكرتهُ هو زعم غير علماء الفلك في عصرنا الحاضر اما هم فصريح عباراتهم القطع واليقين . فانكر ذلك واكد لي انهم غير قاطعين وان ذلك ظاهر في اقوالهم حتى ان اصحاب المقتطف انفسهم كانوا اشاروا الى ذلك في بعض الاجزاء الاخيرة من مقتطفهم . فقلت لهُ ان تلك الاجزاء عندي وسأنظر فيها ثم تصفحت المجلد ٢٦ من المقتطف وراجعت ما ذكرتهُ دائرة المعارف على كلمة (ارض) وكتبت اليهِ وكتب اليَّ . والكتابان طي كتابي هذا

لم ارد فيما كتبت الى ذلك الاديب سرد الادلة وبيان جهة دلالتها ومحاولة اقناعهِ بان الارض تتحرك او تدور وانما اردت نقل بعض اقوال علماء هذا الفن من حيث تشف عن الجزم بحركة الارض ودورانها

فابى حضرتهُ الا الخوض في تلك الادلة وتزييفها وبيان جهة الضعف فيها فنعل ونسب للمقتطف نصاً استنتج منهُ ان الارض ثابتة عند اصحابهِ كما ترون في كتابهِ. فما حقيقة هذا النص؟ وما هو القول الفصل في المسئلة ؟ وهل ان نقض ذلك الاديب للادلة المذكورة مقبول عند العلماء وينطبق على اصولهم

الحديث في ان الارض ثابتة او متحركة ان عدهُ قوم من قبيل اللغو او الهزل نظراً لاعتقادهم الجازم بحركتها فهو عند آخرين لم يزل في طور الحدس والتخمين وان القول بامكان ثباتها جد وما هو بالهزل كما يظهر من كلام ذلك الاديب

فهل يتسع صدر المقتطف الاغر لدرج الكتابين فيهِ موافاة لرغبة ذلك الفاضل ثم يبين لنا الحق فيما ذكر بحيث يعقلهُ القارئ بلا تعب و يتناولهُ الذهن عن كثب · واقبلوا احترام احد مشتركي مجلتكم باسكلة طرابلس الشام عبد القادر مغربي

الكتاب الاول

عزيزي امين افندي

راجعت اجزاء السنين الاخيرة من المقتطف فوجدت في الجزء التاسع من المجلد السادس والعشرين الصادر في اواسط سنة الثلاثمائة والتسع هجرية صحيفة ٧٦٣ ما نصهُ

(حركات الارض) يظن عامة الناس ان الارض ثابتة لا تتحرك "والحقيقة" انها تتحرك اثنتي عشرة حركة وهي (١) دورانها على محورها مرة كل ٢٤ ساعة (٢) دورانها حول الشمس مرة كل (٣٦٥¼) يوم . ثم اتى على ذكر بقية الحركات واحدة فواحدة

وراجعت في دائرة المعارف كلمة (ارض) فوجدت اصحابها يقولون تحت عنوان (آراء المتأخرين) ما نصهُ

والارض في الظاهر مستقرة و"بالحقيقة" سابحة غير معلقة بسلاسل ولا مرفوعة على عمد محاطة بالاجرام الفلكية والفضاء — وتقطع اكثر من الف ميل في الدقيقة

فانت ترى ان لفظ "الحقيقة" ورد في العبارتين المذكورتين · ولا جرم انها تدل على كون حركة الارض مقطوعاً بها عند المتأخرين من علماء هذا الفن· فهل يطمئن الفاضل لهذين النصين ويحكم معي بان المتأخرين يذهبون الى حركة الارض على وجه القطع واليقين لا الظن والتخمين او يبقى متردداً في الامر واني اعيذ انصافهُ من اختيار الخطة الثانية

ان اصحاب الدائرة اسهبوا في بيان حركات الارض وانواع الحركات ومما قالوهُ في هذا الصدد ما يأتي : ومن اهم الادلة "المحسوسة" على حركة الارض ودورانها حول الشمس انحراف النور المنبعث من الاجرام الفلكية الخ · ومن الادلة على دورانها الآلة المسماة جيروسكوب الخ ومن براهين دوران الارض على محورها ميل الاجسام الساقطة من محل مرتفع جداً ميلاً قليلاً الخ وقد ثبت هذا بالامتحانات المتتابعة في الاماكن العديدة من الاشخاص الكثيرين وحاصل الكلام ان الارض وبقية السيارات تدور حول الشمس

فان كان وراء هذا كلهِ لدى حضرة الاديب الفاضل نصوص تفيد ان حركة الارض لم تتعدَّ بعدُ طور الظن والتخمين فليتحفنا بها فنكون لهُ من الشاكرين وفوق كل ذي علم عليم

عبد القادر مغربي

الرد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبهِ اما بعد فقد كان آخر العهد بيننا فيما تذاكرنا من دوران الارض ان قلت للاخ حفظهُ الله ان دورانها ظنيٌّ وان اصحاب المقتطف اشاروا الى ذلك في احد الاجزاء الاخيرة وانكرت قطع الاخ بدورانها من غير نظر في الادلة او اعتماد على استفاضة صحيحة . ثم اتاني من لدنك كتاب فيهِ نصان وبعض دلائل على دورانها وفيهِ ما عدا ذلك دعوتي الى القطع بدورانها وتعويذي من اختيار غيرهِ كأن الكتاب جاء بسلطان مبين مع انهُ لم يصعد بالمسئلة من حيزها الظنيّ قامة خنصر وليصغَ الاخ الى ما اقول

اما انحراف النور المنبعث من الاجرام الفلكية فهو ناشئ من سير الاجرام فوق الارض منحرفةً ولذلك فان اشعة الشمس لا تنحرف في الصيف لسيرها فوق الارض عمودية وذلك هو سبب الحر صيفاً والبرد شتاء وقد نص عليهِ المقتطف فقال ان الشمس تسير فوق الارض مائلةً نحو الجنوب في فصل الشتاء وتسير عمودية على الارض في فصل الصيف الخ ولعلهُ يعين لكم الجزء الذي ذكر ذلك فيهِ ان سألتموهُ . فقد رأيتم منشأ انحراف النور وسمعتم نص المقتطف في سير الشمس فوق الارض فهو ظاهر في ثبوت الارض لان احداً لم يقل بسير الشمس حول الارض مع القول بدورانها حول الشمس والقائلون بدوران الارض ذاهبون الى ان الشمس تدور على محورها لا فوق الارض منحرفةً وهاانا ذا اعيذك من ان يخفى هذا عليك

واما ميل الاجسام الساقطة فلم اكن احدس ان سببهُ يخفى على مثل الاخ قبل اليوم فان ذلك شيء فرغت منهُ اقلام العلم الطبيعي ولو كان هذا من امارات دوران الارض لمال كل ساقط مع ان الساقط في الخطوط السمتية لا يميل قطعاً وانما يميل ما سقط في غيرها لانهُ حينئذٍ يكون نتيجة قوتين احداهما متصلة وهي جاذبة الثقل والاخرى منقطعة وهي المسقطة . ونتيجة هاتين القوتين خط منحنٍ كما بين في محلهِ ولا نعلم فيهِ منازعاً حتى الساعة

واما الآلة المسماة جيروسكوب فانَّى لنا ان نقتنع بها او نقطع بمكتشفها ونحن نعلم في كثير من المسائل التي بحثت عنها الآلات والمراصد خلافاً او رجوعاً عنها بعد ذلك ولعلك تذكر الاختلاف في تعيين ميل المنطقة وفي حجم الكواكب وفي تعيين مدة دوران الزهرة او تذكر الرجوع عن اشتمال الشمس على غاز الاكسجين او غير ذلك مما لست على ذكر من جميعهِ ولا اجد من حاجة لمراجعتهِ فاسردهُ عليك فكم من مسئلة قطع بها القوم ثم عادوا للظنون

واما لفظ (الحقيقة) التي جاءت في نصي المقتطف ودائرة المعارف في جانب الدوران

فهي كما لا تصلح حجة على مدعي التخمين والظن فيدعى الى تغيير معتقده لا تشهد على قائلها هنا بقطعهِ في اضافتها اليهِ شهادة واضحة لانهُ يجوز ان يكون جاريًا في تقريرها على الصحة الاخيرة ويؤيد ما قلناهُ ما ذكرناهُ عن المقتطف من النص في دوران الشمس والاشارة الى ثبوت الارض . ومن العجب في هذا الفصل ان الاخ قطع بهذين النصين ان المتأخرين من العلماء قاطعون بدوران الارض مع انهما لا يتم بهما الاستقراء وليس فيهما ذكر الاجماع ولعل الذي اعجلهُ ان يقول ذلك لذة الرد عليَّ اذ قلت ان المسئلة لم تزل في حيز التخمين حتى ان من علماء اوربا من ينازع بذلك واما ما طلبتم من النصوص على مدعاي فقد قلت لكم اني لا اذكر اين وجدت ذلك في المقتطف وليس عندي الآن مما انا منهُ على ذكر الاَّ ما في صفوة الاعتبار من ان المسئلة ظنية وان اصحابها مقرُّون بذلك . وانا لا اجد حاجة لسرد النصوص ان كانت المسئلة يراد الوقوف عليها من طريق البصيرة فان مجرد تزييف الدلائل على دورانها كافٍ للقطع بظنيتها. ولكم ان تبعثوا اليَّ ما تجدونهُ من الدلائل فان وجدت ما ابطلهُ بهِ نصًّا كما رأيتم الآن او اجتهادًا بما قرأتهُ من فن الهيئة فعلت والاَّ رجعت الى القطع بدورانها خضوعًا للادلة ولا ابالي بعد ذلك لو اجمعت اوربا على خلافهِ. ذلك ما اختارهُ لنفسي في جميع المسائل العصرية فان كان لكم في ذلك اقتناع فبها وان ابيتم الاَّ الاقتناع بالنصوص فقد كفاني في تصحيح دعواي نصًّا ما نقلتهُ عن صفوة الاعتبار والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اخوكم

محمد امين عز الدين

[المقتطف] يظهر مما كتبهُ هذان الفاضلان انهما مختلفان في كون علماء الفلك من الاوربيين قاطعين بدوران الارض على محورها ودورانها حول الشمس او غير قاطعين وفي ان المقتطف قاطع معهم بهما او غير قاطع . والذي نعلمهُ ان علماء الفلك قاطعون بذلك مقتنعون بصحتهِ ونحن مقتنعون معهم . ولا نتذكر اننا خالفنا ذلك في كل ما كتبناهُ في هذا الموضوع الاَّ اذا راعينا الظاهر احيانًا ووصفنا سير الشمس كأنها هي الدائرة من الشرق الى الغرب

والادلة على دوران الارض على محورها كثيرة نذكر منها خمسة ونفرض ان القارئ مسلّم بكروية الارض لاننا لا نظن ان احدًا من قرَّاء المقتطف ينكر ذلك الآن

الدليل الاول انهُ اذا وقعت اجسام ثقيلة كرصاص البنادق من اماكن عالية لا بقوتين بل بقوة واحدة وهي القوة الجاذبة نحو مركز الارض كأن كانت مربوطة بخيوط دقيقة وقطعت الخيوط بمقراض او بلهب شمعة فانها لا تصل الى سطح الارض الذي تحتها في خط سمتي تمامًا

بل تنحرف الى الشرق دواماً. ولا يُعلَّل انحرافها الاَّ بدوران الارض على محورها من الغرب الى الشرق فانها اذا دارت كذلك فكل ما هو متصل بها دائر معها كما ان كل ما في السفينة يسير معها في سيرها وكل ما على ظهر الفرس يجري معهُ في جريهِ ولكن النقطة العالية عن سطح الارض تكون اسرع من الواطئة في هذا الدوران لانها تكوّن دائرة اكبر من دائرة النقطة الواطئة والدائرتان تدوران دورتيهما في وقت واحد فالعليا اسرع من السفلى. ولما كانت قطع الرصاص في المكان العالي كانت مشاركة لهُ في دورانهِ السريع حول محور الارض ويقضي ناموس الاستمرار بان تبقى على سرعتها فاذا وصلت الى المكان الواطىء كانت سرعتها الى الشرق اشد من سرعتهِ فتتجاوزهُ وتقع شرقيهُ والتجارب تؤيد ذلك

والثاني ان الانهار الجارية من الشمال الى الجنوب او من الجنوب الى الشمال تميل مياهها الى الاعتداء على ضفافها الشرقية او الغربية حسب كونها سائرة من اماكن قريبة من خط الاستواء الى اماكن بعيدة عنهُ او بالعكس. فنهر النيل مثلاً يعتدي على ضفتهِ الشرقية حتى بلغ الجبل الشرقي في جانب كبير من واديهِ. وهذا شأن سائر الانهر ويعلل ذلك في نهر النيل بان مياههُ الجارية من الجنوب الى الشمال متحركة مع الارض ايضاً الى الشرق. والجهات الجنوبية من القطر المصري اسرع في حركتها الى الشرق من الجهات الشمالية لان الاولى اقرب الى خط الاستواء من الثانية وسرعة الارض عند خط الاستواء نحو الف ميل في الساعة وعلى ستين درجة من العرض ٥٠٠ ميل فقط ففي جريانها من الجنوب الى الشمال تميل الى الشرق ايضاً لان سرعتها الى الشرق اشد من سرعة الاماكن التي تصل اليها. ولو كان نهر النيل جارياً من الاسكندرية الى الخرطوم لاعتدى على ضفتهِ الغربية ونحرها حتى يصل الى الجبل الغربي من واديهِ

والثالث ان الرياح الهابَّة من الشمال الى جهة خط الاستواء ومن الجنوب الى جهة خط الاستواء ايضاً تنحرف الى الغرب وهي الرياح التجارية التي تسير بسفن التجار الشراعية من اوربا الى اميركا. وسبب انحرافها ان سرعتها بدوران الارض الى الشرق وهي في جهات القطبين ابطأ من سرعة الارض الى الشرق في جهات خط الاستواء فتتأخر عن الجهات التي تصل اليها وتصير جهتها غربيَّة ولا يعلل سيرها كذلك الاَّ بدوران الارض على محورها

والرابع تقدير المدفعية الذين يطلقون المدافع دوران الارض حين يطلقون مدافعهم من الشمال الى الجنوب او من الجنوب الى الشمال. فاذا كانوا واقفين في طرابلس مثلاً واطلقوها من الجنوب الى الشمال اضطروا ان يسددوها الى نقطة غربي الغرض فتقع عليهِ والاَّ فان سدَّدوها الى الغرض تماماً وقعت شرقيهُ واذا اطلقوها من الشمال الى الجنوب فعلوا ضد ذلك

والخامس دليل فوكول في تجربتهِ المشهورة وهي انهُ اذا عُلق جسم ثقيل كرقاص الساعة بسلك دقيق جدًا وحُرّك حتى يخطر شمالاً وجنوبًا لم يبقَ خطرانهُ في سطح واحد بل ينحرف سطح الخطران رويدًا رويدًا بالنسبة الى ما يوضع تحتهُ ولا يعلل ذلك الاَّ بدوران الارض على محورها

وعليهِ فدوران الارض على محورها امر مقرَّر يحسب الناس حسابهُ في بعض اعمالهم . والادلة عليهِ اثبت علميًا من الادلة على وجود ما نراهُ امامنا من المرئيَّات فانك اذا رأيت رجلاً امامك من غير ان تلمسهُ او تشمهُ او تسمع صوتهُ فالدليل الوحيد على وجودهِ رؤْيتك لهُ لكنك حينما تراهُ انما تشعر بالصورة المنقولة الى دماغك . وهذه الصورة قد تكون واردة الى عينيك من الشخص نفسهِ او من صورتهِ المعكوسة عن مرآة او تكون صورة قديمة محفوظة في ذاكرتك رأيتها بتهيج عصبي كما يرى الناس الخيالات والتخيلات ولا حقيقة لها في الخارج

ثم ان تعاقب الليل والنهار لا يعلَّل الاَّ بامر من امرين احدهما دوران الارض على محورها مثل السيَّارات الاخرى التي تدور على محاورها والثاني بقاء الارض ثابتة ودوران الشمس والسيارات والنجوم كلها حول الارض مرةً كل اربع وعشرين ساعة . ويُعلم من ادلَّة رياضية قاطعة ان جرم الشمس اكبر من جرم الارض ٣٣٢ الف مرةً وبُعدها عنها نحو ثلاثة وتسعين مليون ميل وكذلك كلٌّ من المشتري وزحل ونبتون واورانوس اكبر من الارض كثيرًا وابعد من الشمس عنها . والنجوم الثوابت شموس كلٌّ منها اكبر من الشمس وابعادها شاسعة جدًا عنا حتى ان النور على سرعتهِ الفائقة يقتضي وصولهُ منها الينا سنين كثيرة ففرضُنا دوران هذه الشموس والكواكب حول الارض مرة كل اربع وعشرين ساعة ابعد عن المعقول من فرض الوف من الكرات النارية الكبيرة كل منها قدر كرة الارض تدور كلها حول حبة من الرمل لتنيرها نهارًا وليلاً

نعم لو كانت الشمس كرة صغيرة كالبطيخة والكواكب والنجوم نقط صغيرة وبعدها كلها عن كرة الارض بضعة اميال لما كان في تصوُّر دورانها حول الارض اقل صعوبة بل كان دورانها الظاهر حقيقيًا . اما وقد قامت الادلة الرياضية القاطعة على ان الشمس وكل نجم من النجوم اكبر من الارض الوفًا من المرات وابعادها عن الارض شاسعة جدًا تقدر بالملايين الكثيرة من الاميال فالعقل الذي يعلم ذلك كلهُ لا يستطيع ان يسلم بدوران الشمس والنجوم حول الارض مرةً كل اربع وعشرين ساعة

اما دوران الارض حول الشمس فالدليل العلمي عليهِ انحراف نور الكواكب الواصل الى

الارض فاذا كانت الارض لا تدور حول الشمس فالكواكب تظهر في اماكنها المعينة لها بالحساب وان كانت تدور في فلكها حول الشمس فهي تقطع ١٩ ميلاً في الثانية من الزمان (ويعلم ذلك بقسمة محيط فلكها على عدد الثواني في السنة) والنور يقطع نحو ١٩٢ الف ميل في الثانية واذا بلغ كوكب سمت الراس لم يظهر فيه في الثانية التي يبلغهُ فيها بل يظهر منحرفاً عنهُ ٢٠ً من القوس. وليس لذلك علة معقولة سوى انحراف النور في الثانية من الزمان نحو ٢٠ً من القوس كما يظهر بحساب المثلثات ولا سبب لهذا الانحراف سوى سير الارض في فلكها ١٩ ميلاً في تلك الثانية وهذا غير ميل اشعة الشمس باختلاف الفصول

وهناك امور اخرى كثيرة كمبادرة الاعتدالين والكبو وانتقال نقطتي الرأس والذنب لا تعلل كلها تعليلاً معقولاً الاَّ بدوران الارض حول الشمس

الكوليرا بين طرابلس وحماه

لا تسل ان تدُر كؤوس النفادِ فامور الحياة طوع النفادِ
يزعم الجاهلون ان لا يصدَّ الداء فضل النهى وحسن العتادِ
واشد الفساد ان تجد العقل مطيعاً لداعيات الفسادِ
فاذا اشتدت النوائب امسى الحمق في الرأي مالكاً للقياد
لا ارى هذه البسيطة الاَّ سهلَ حربٍ لعسكر الاضدادِ
وبقاء الحياة فيها دليلٌ لثباتٍ وقوةٍ في الجلادِ
والذي يرهبُ المنية يسعى نحوها وهو راغبٌ في البعادِ
وعذاب الاجساد في الناس ضعفٌ في نفوس الاجساد يوم الجهاد
انَّ دون الفلاحِ للجبن خرطاً سهلهُ كانَ مثل خرط القتادِ
أرأيت الانسان يسلك في الارض احتفاظاً بهِ سبيل الرشادِ
ثمَّ يهوي فريسة الداء والداء ضعيف القوى بهذا الطرادِ
انما الداء سائرٌ نحو مرمىً وهو الجهلُ واشتداد العنادِ
فاذا امنَّا فلا بدع ان يفـني الوفا من هذه الاجسادِ
جاءنا ساعياً كما جاء ظماً نْ مياهاً في قاحلات البوادي
وعجيبٌ في الضيف ان لا يطيل المكث والناس في رضىً ووداد
مهدوا في سبيلهِ السبل حتى خيل ان الزوار "جندُ الجهادِ"

وَذَرُوهُ لنعلهِ يتمادى فالى ما يزدادُ هذا التمادي
يا مليك العباد رفقاً فانَّ احوج الناس يا مليك العبادِ
دقَّ فتكُ الحمام في القوم أوتاد هلوعٍ أطنابها في الفؤادِ
بطل السعي في جميع النواحي وعلا في الجميع سوق الكسادِ
واستتبت للنائبات عروشٌ آهِ من بطش تلكمُ الاجنادِ
يلهبُ المرء فقرهُ فكأنَّ الضيف في قلبهِ كوري الزنادِ
يترك البيت اهلهُ في سهادٍ والطوى قد نعى لذيذ الرقادِ
هائماً في دجى الظلام وقد أعلى الظلام خيام جيش السوادِ
يطلب الموت اذ يرى الموت خيرًا رُبَّ موتٍ حلاهُ ضيق الايادي

انيس الياس الخوري

استلفات نظر

قد يدور من الكلام في المجالس الخاصة ما ينبه الفكر الى انشاء مقالات تقتضي الحال ان تنشر في مجلة ذات شان تنبيهاً للعوام وايقاظاً لهم من سبات الغفلة والغرور وكشفاً لحجاب الخطاء عن بصائرهم

رأيت الناس يزدرون من يخالف عادة جارية في البلاد ولا يزدرون من يخالف وصية من وصايا الشريعة المعترفة عندهم . فلو زاروا غنياً وقدَّم لهم (سيكارةً) من الخر الدخان الجبيلي واطيبهِ خرجوا من عندهِ وهم يقولون ما ابخلهُ وما اشحهُ يا لضياع الغنى عندهُ ماذا يفعل بكل هذا المال أيستصحبهُ الى القبر ام ينفقهُ وهو تحت التراب من يشرب اليوم دخاناً بلدياً الاَّ البخلاء فان اهل الحرف والخدام بل والحمالين في الاسواق لا يشربون الاَّ الدخان الاسلامبولي

وكذا لو رأوا غنياً حاملاً بيدهِ شيئاً الى منزلهِ قالوا بعداً لمثل هذا وسحقاً ان دخلهُ كذا وكذا في السنة من فائدة مالهِ او من ربح تجارتهِ او من أجر دورهِ ومخازنهِ وهو مع ذلك يفعل هذا

وكذا اذا عرفوا انهُ مكبٌّ على الاعمال مثابر على الاشغال لا يكثر من قصد المنازه العامة ولا يجلس مجالس المقامرة ولا يهتمُّ بمجاراة الزيّ في ثيابهِ واثاثهِ صبوا على رأسهِ الفاظ الذم والطعن وهكذا يفعلون بهِ لو رأوهُ عند احد من جيرانهِ في صميم الحرّ في القباء بغير جوارب ويرمونهُ بالهمجية والخشونة

ليت شعري من الذين ينتقدون مثل هذه المخالفات . وينكرون مثل هذه المغايرات . هم اهل هذا العصر الذي يسميهِ الصغير والكبير عصر الحرية . فان صحَّ انهُ عصر الحرية وان صحَّ ايضاً ان المرء حرٌّ ان يفعل ما لا يخرج بهِ عن حدود الشريعة حرٌّ ان يفعل ما لا يضر بغيرهِ فبأيّ وجهٍ ينفخون في ذمهِ بالابواق واي شريعة تأذن لهم ان يقيموا قيامتهُ ويتعاونوا للتشنيع عليهِ والازراء بهِ وتسويد صيتهِ ولم يأتِ محرَّماً ولم يفعل منكراً

نعم في طباع البشر ان يستنكروا ما شذَّ عن العادة وندَّ عن المألوف ولو الى ما هو اصلح وانفع لهم مما اعتادوا والفوا فهم يحملون اعباء العادة وربما رزح الكثير منهم تحتها ولا يجرؤون على كسرها محاذرة ان تنطلق عليهم الالسن بالطعن والتنديد وتصح مغايرتهم قصة المتسلين واحدوثة المتسليات هذا يقول ما احط نفسهُ وهذه تقول هذا دون

قد علمت ماذا يفعلون بمن يحيد عن اصطلاح لهم معروف ومنهج عندهم مألوف . وعرفت كيف يقذفون عليهِ قذائف الامتهان والاحتقار لكن قد بقي ان نذكر لك انهم لا يبالون بمن يشذُّ عن شريعةٍ يكفل لهم حفظها بالسعادة ويمدّ عليهم الاعتصام بها ظلَّ الأمن والراحة فنقض العهود ونكث الوعود والحنث في الايمان اذا ادَّت الى ان تكسب الواحدة عشرة وتخسر الآخر الفاً اجترأ عليها طمعاً في العشرة ولم يبالِ بمن عاهدهُ او وعدهُ او اقسم لهُ . فان كان ليّن الطباع اخترع لصاحبهِ عذراً كاذباً ليخلص من تبعة عتابهِ ومؤاخذتهِ وان كان فظَّ الاخلاق انكر العهد والوعد والحلف وقال لهُ متى عاهدتك او وعدتك او حلفت لك . انت تدَّعي عليَّ ذلك لتعرّف الناس اني لا اقف عند قولي لست دوناً منك فافعل مثل هذا . فيحسب ان هذا الانكار يدفع عنهُ الملام ويبقي التبعة على صادق يطالبهُ بعهد ابرمهُ معهُ او وعدٍ حدَّدهُ لهُ . وكلاهما اي المعتذر عن نقض ميثاقهِ ونكث ميعادهِ او المنكر لما يهجم على ذلك لا يترهب فضيحة ولا يخاف هتيكةً ولكنهُ اذا قدَّم لزائرهِ سيكارة جبيلية تعتريهِ حمرة الخجل فيملأ الدنيا اعتذاراً من هذه الزلة الكبيرة والجريمة الغليظة واذا وقف يوماً بخادمهِ امام دكان الجزار ليقطع لحمة بيتهِ يقيم لمن يراهُ هناك من معارفهِ او اصحابهِ الف سبب اضطرهُ الى اتيان هذا المنكر والف حجة الجأتهُ الى فعل هذا القبيح كأن وراءهُ الاسقاط من الحقوق البشرية والحطّ عن رتبة الانسانية

وقد تكون في ذمة هذا المتناهي في المدنية ومجاراة العادات العصرية حقوق للناس فيحتفظها او مكافأة على ايدٍ لهم عليهِ فيهملها او مناصرة لذي حق فيخذلهُ

على انك اذا اطلت النظر في حالة هذه الايام ربما عذرتهُ لان قوام التهذيب والمدنية

اليوم انما هو التدقيق في متابعة الازياء والتزام المظاهر المجحفة براحة الحياة الجارّة التنغيص على العدد الاوفر من عباد الله

فياما احرى اصحاب الجرائد والخطباء ان يكثروا من نشر المقالات والقاء الخطب في هذا الشأن عسى ذلك ان يحرك الجمعيات الادبية ويبعثها لاتخاذ الوسائل المنقذة من هذا الوباء الجارف فهم اقدر الناس على بث الآراء ونشرها في الاطراف البعيدة

واني على ثقة ان كلامهم في هذا الباب لما يروّح القلوب ويجرّئ النفوس ويزيد الجرائد والكتّاب والخطباء رفعة قدر ويجعل لهم مرتبةً عاليةً في الصدور فيستميلون الناس بلين مقالهم ولطف كلامهم وقوة برهانهم الى التخلص من هذه الآفة المهلكة فيسمعون الثناء عليهم بكل لسان ويشيع لهم في الناس هذا الاحسان . الا وان العوام والخواص من الرجال والنساء والادباء والاديبات قلَّ ما يخلو لهم مجلس من شكوى التشبه وكثرة النفقات التي تستثقلها كواهل ارباب البيوت المتوسطي الحال وكفى بذلك دليلاً على ان الكلام في هذا الامر لا يذهب سدًى

هذا واعلم ان ليس الغرض مما قلنا ان يعيش الموسر عيش المعسر ولا ان يدع الوجيه العالي المقام مهامَّهُ ويذهب كل يوم الى السوق في قضاء حوائج بيتهِ فان عندهُ من الخدَم ما يغني في ذلك غناءهُ بل جلُّ القصد ان يُعاب من يتجاوز حدود الشرائع ويشذ عن سنن الآداب وان يراهُ القوم في المنزلة التي انزل نفسهُ فيها وعليهِ ما نسج لذاتهِ من ثياب الخزي وذلك حتى لا تنكسر شكيمة الاخلاق العالية ولا تمتهن الفضائل الغالية وحتى لا تذل الامانة وتعزّ الخيانة وحتى لا يكرم الجهال ويحتقر العلم لامور اشد ما يستنكر منها انها تشير الى الشح او رقة الحال والله الهادي الى سواء السبيل

عفيفة
سعيد الخوري الشرتوني

المخللات والمربيات

حضرة السادة الافاضل اصحاب مجلة المقتطف

ان المخلل الذي نصنعهُ في بيوتنا لا يصير مثل المخلل الافرنجي لان الافرنجي يبقى مدة طويلة بدون ان يتغير ومخللنا لا يبقى كذلك وايضاً المخلل الافرنجي تبقى لون الاثمار والخضر فيهِ على حالها الطبيعية فالخيار يبقى اخضر اللون والجزر يبقى احمر ايضاً بخلاف مخللنا وكذلك المخلل الافرنجي يكون اشد حموضة من مخللنا فيكتفي الانسان منهُ بشيء زهيد لا يثقل على المعدة فنرجو ان تذكروا لنا كيف يعمل المخلل الافرنجي وكذلك نرجو ان تذكروا لنا كيف نعمل

المربيات الافرنجية فقد رأينا بعض الاثمار معقدة بالسكر وموضوعة فمن علب من تنك (صفيح) كأنها في حالتها الطبيعية كذلك ان تكتبوا لنا فصولاً بهذه المواضيع في باب تدبير المنزل فانها تفيد اكثر السيدات
ربة بيت

(المقتطف) لقد كتبنا فصولاً كثيرة في هذه المواضيع وسنعيد الكتابة فيها قريباً

باب الزراعة

مغازل القطن في العالم

نشر مجلس التجارة في اميركا الجدول التالي ذكر فيهِ عدد مغازل القطن في الدنيا وزيادتها من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠٣

	سنة ١٨٩٩	سنة ١٩٠١	سنة ١٩٠٣
بريطانيا العظمى	٤٥ ٤٠٠ ٠٠٠	٤٦ ١٠٠ ٠٠٠	٤٧ ٢٠٠ ٠٠٠
بقية اوربا	٣٢ ٥٠٠ ٠٠٠	٣٣ ٣٥٩ ٠٠٠	٣٤ ٠٠٠ ٠٠٠
المجموع	٧٧ ٩٠٠ ٠٠٠	٧٩ ٤٥٠ ٠٠٠	٨١ ٢٠٠ ٠٠٠
الولايات الاميركية الشمالية	١٤ ٣٩٠ ٠٠٠	١٥ ٠٥٠ ٠٠٠	١٥ ٢٠٠ ٠٠٠
الولايات الاميركية الجنوبية	٣ ٩٨٧ ٧٣٥	٥ ٨١٩ ٨٣٥	٧ ٠٣٩ ٦٣٣
المجموع في الولايات المتحدة	١٨ ٣٧٧ ٧٣٥	٢٠ ٨٦٩ ٨٣٥	٢٢ ٢٣٩ ٦٣٣
الهند	٤ ٧٢٨ ٣٣٣	٥ ٠٠٦ ٩٣٦	٥ ١٠٠ ٠٠٠
اليابان	١ ١٨٧ ١٥٩	١ ٢٥٠ ٠٠٠	١ ٤٥٠ ٠٠٠
الصين	٦٠٠ ٠٠٠	٦٠٠ ٠٠٠	٦٠٠ ٠٠٠
مجموع ما في الهند والصين واليابان	٦ ٥١٥ ٤٩٢	٦ ٨٥٦ ٩٣٦	٧ ١٥٠ ٠٠٠
كندا	٦٣٨ ٢١٢	٦٨٠ ٠٠٠	٧٠٠ ٠٠٠
المكسيك	٤٩١ ٠٠٠	٥٠٠ ٠٠٠	٥٠٠ ٠٠٠
مجموعهما	١ ١٢٩ ٢١٢	١ ١٨٠ ٠٠٠	١ ٢٠٠ ٠٠٠
مجموع العالم كله	١٠٣ ٨٢٢ ٤٣٩	١٠٨ ٧٥٦ ٧٧١	١١١ ٧٨٩ ٦٣٣

ويظهر من هذا الجدول ان الزيادة مستمرة في عدد المغازل فزادت من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠٠ نحو مليوني مغزل ومن سنة ١٩٠٠ الى ١٩٠١ نحو ثلاثة ملايين مغزل ومن سنة ١٩٠١ الى ١٩٠٢ نحو مليوني مغزل ومن سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩٠٣ نحو مليون ومئة الف مغزل وجملة الزيادة نحو ثمانية ملايين مغزل او نحو ثمانية في المئة من مجموع المغازل كلها ونصف هذه الزيادة في الولايات المتحدة الاميركية فانها بلغت فيها اربعة ملايين مغزل والنصف الآخر في انكلترا وبقية البلدان

زراعة القطن

من مقالة لمستر فودن سكرتير الجمعية الخديوية (تابع ما في الجزء الحادي عشر)

﴿ في البرازيل ﴾ كان القطن يزرع في بلاد البرازيل ويعتمد عليهِ فيها الى ان ناظرتها الولايات المتحدة الاميركية · واراضي البرازيل صالحة لزرع القطن ولكن طرق النقل فيها غير مسهلة . وقطنها جيد نوعاً ولكن الاهالي لا يعتنون بجمعهِ وحزمهِ . والهمة مبذولة الان لتلافي ذلك ولا يبعد ان يزيد زرعهُ فيها ويزيد الاعتناء بهِ ايضاً

﴿ في المكسيك ﴾ يبلغ محصول القطن من بلاد المكسيك الان نحو ٢٥٠ الف قنطار لا غير الأ ان الهمة مبذولة الاكثار من زرعهِ . وقطن المكسيك نظيف وشعرتهُ ضاربة الى الصفرة ولكنها خشنة

﴿ في بيرو ﴾ يرسل قطن بيرو الى الولايات المتحدة والى انكلترا . وشجرهُ فيها يبقى في الارض سبع سنوات وشعرتهُ متوسطة متينة لكنها خشنة مجعدة كالصوف فيسمَّى بالصوف النباتي ويمزج بالصوف في بعض المنسوجات وتباع كأنها صوف صرف · والمنسوجات الصوفية التي فيها من هذا القطن لا تنكمش كثيراً كالصوف الصرف · وبعض هذا القطن يكاد يكون احمر في لونهِ يتوقف سعرهُ على سعر الصوف ويبلغ حاصلهُ نحو ٢٥٠ الف قنطار في السنة يرسل اكثرها الى انكلترا · وينبت في بيرو ايضاً نوع جيد من القطن مثل قطن سي ايلند وشعرتهُ طويلة ولكنها ليست جيدة كالقطن الاميركي الذي من هذا النوع · وينبت فيها نوع آخر من بزر القطن الاميركي

﴿ قطن افريقية وغيرها ﴾ مصر اوسع البلدان الافريقية في زراعة القطن والمظنون ان القطن يجود في اماكن اخرى من قارة افريقية كما في اوغندا والسودان وقد جُرِّب زرع القطن

المصري في السودان من العفيفي والعباسي واليانوفتش فبلغ حاصل الفدان اربعة قناطير الى خمسة . ويتحسن زرعه الآن في اماكن كثيرة

﴿بقية البلدان﴾ ويزرع قليل من القطن في جاوى وغينيا البريطانية وفي بلاد اليونان واسبانيا وايطاليا ومالطة وصقلية وازمير وما جاورها من اسيا الصغرى وبعض الاماكن في استراليا

هذا وكل شعرة من شعر القطن مثل انبوب دقيق ضُغط حتى التصقت جوانبهُ وفُتل حتى صار كلولب وعلى فتلهِ هذا تتوقف مزية القطن في النسج لانهُ يشتبك بعضهُ ببعض حينما يغزل فتصير خيوطهُ متينة واذا لم ينضج القطن جيداً لا يكون فيهِ هذا الانفتال فلا تكون خيوطهُ متينة ولذلك فشعر القطن الجيد يكون مفتولاً فتلاً منتظماً على طولهِ

ثم ان القطن الجيد يقتضي ان تكون شعرتهُ طويلة متينة دقيقة حسنة اللون من ثخن واحد ويكن القطن خالياً من العفاشة والنفاشة

اخص الانواع التجارية من القطن

﴿السي ايلند﴾ هذا اجود انواع القطن وهو يزرع في اميركا على جزائر رملية صغيرة عند ساحل كارولينا الجنوبية وجورجيا وعلى بعض السواحل في تينك الولايتين وفي ولاية فلوريدا . واذا زرع بعيداً عن البحر لم يبقَ في جودتهِ . ومحصولهُ قليل جداً فيقوم غلاء ثمنهِ مقام كثرة المحصول . ولا يُعلم اصلهُ بالتحقيق ولكن يعلم انهُ حينما أُدخل الى اميركا لم يكن كما هو الآن وقد بلغ ما بلغهُ من الجودة بالانتقاء والاعتناء . ومقدار محصولهِ قليل لا يزيد على ٤٠٠ الف قنطار مع ان محصول اميركا من القطن يبلغ ٥٠ مليون قنطار او ٥٥ مليوناً . والقطن الطويل الشعر محصور في هذا القطن والقطن المصري . ويختلف طول شعرتهِ من عقدة ونصف الى عقدتين ونصف وهو اسمر ضارب الى الصفرة ولكن سمرتهُ اقل من سمرة القطن المصري . والشعرة دقيقة جداً متينة حريرية فتلها منتظم نوعاً . ويستعمل هذا القطن لغزل خيوط الخياطة وحبك الطرج وغزل الخيوط الدقيقة جداً والخيوط المتينة التي ينسج منها شراع المراكب وبطانة اطر البيسكل واكياس البريد . وبزرهُ نظيف لا كبزر القطن الاميركاني ولذلك يحلج كما يحلج القطن المصري . ويعتنى بجمعهِ وحلجهِ وحزمهِ اعتناء خاصاً ليبقى نظيفاً . وقد يبلغ ثمن القنطار منهُ اربعين ريالاً والغالب ان ثمنهُ يزيد خمسين في المئة الى مئة في المئة على ثمن القطن الاميركاني فان كان ثمن القطن الاميركاني ١٤ ريالاً فثمنهُ ٢٠ الى ٣٠ ريالاً . ومن المحتمل انهُ يمكن ابلاغ القطن المصري الى درجة هذا القطن بالاعتناء والانتقاء وسنعود الى هذا الموضوع

﴿القطن الاميركاني العادي﴾ ويسمى بالابلند وهو يزرع في الولايات الجنوبية وعليهِ اعتماد

الغزالين في كل مكان لان اكثر قطن الدنيا منهُ . ومنهُ تنسج اكثر المنسوجات القطنية . وشعرتهُ قصيرة يبلغ طولها من عقدة الى ثلاثة ارباع العقدة ويختلف طولها باختلاف الاماكن واختلاف الرطوبة والجفاف في المكان الواحد . ولونهُ ابيض وشعرهُ منتظم طولاً اي انهُ من طول واحد تقريباً ويحلج بمحالج ذات مناشير لانهُ شعرهُ لاصق ببزورهِ . والهمة مبذولة الآن في اميركا للوصول الى نوع من القطن شعرتهُ اطول من شعرة هذا القطن وذلك بالانتقاء والتجنيس

والقطن الذي يزرع في وادي المسسبي طويل الشعرة نوعاً يشبه القطن المصري من هذا القبيل فيبلغ طول شعرته ١ ١/٨ الى ١ ١/٢ عقدة ويبلغ محصولهُ الآن نحو نصف مليون قنطار ولكنهُ يحلج بالمحالج ذات المناشير فيتقطع شعرهُ . ونوعهُ احط من نوع القطن المصري فلا هو لامع مثلهُ ولا هو اسمر مثلهُ . والسمرة ضرورية في ما يستعمل لهُ القطن المصري كالجوارب والقمصان المحبوكة حبكاً ولذلك لا يخشى ان هذا القطن يقوم مقام القطن المصري وعلى القطن الاميركاني العادي المعوَّل في اسواق القطن

❊ القطن المصري ❊ ليس في الامكان زيادة ما يزرع من القطن المصري حتى يناظر القطن الاميركاني ولكن تبقى المنزلة الاولى للقطن المصري من حيث نوعهُ . وقد كان القطن يزرع في القطر المصري قبل سنة ١٨٢٠ ولكن كانت زراعتهُ قليلة ضيقة النطاق وكان نوعهُ وطنياً وفي تلك السنة أُدخل الى القطر المصري قطن جديد يسمى قطن نحو او جومل . ثم أُدخل قطن السي ايلند ويقول البعض انهُ أُتي ايضاً ببزر من قطن بيرو الشديد السمرة فنتج من هذه الانواع كلها النوع المسمى بالاشموني نسبة الى اشمون ثم تولدت من القطن الاشموني انواع جديدة اهمها القطن العفيفي وزراعتهُ اكثر انتشاراً من غيره

والقطن المصري طويل الشعر طول شعرته من قيراط وربع الى قيراط وخمسة اثمان القيراط فهي اقصر قليلاً من شعرة قطن السي ايلند واطول من شعرة القطن الاميركاني العادي (ابلند) وفيها تجعّد قليل ومزيتها في لونها ولا يُعلم من اين اتاها اللون الاسمر ويقال في اميركا ان القطن المصري تحصل بتجنيس القطن السي ايلند بقطن بيرو الاسمر . واذا زرعت تقاوي القطن المصري في بلاد اخرى زال منها اكثر لونها . وشعرة القطن المصري منتظمة في ثخنها ويغزل منهُ خيوط الخياطة وتحبك منهُ القمصان والجوارب وتنسج منهُ المنسوجات التي يلزم ان تكون صقيلة ناعمة لان ملمسهُ حريري ويمزج بالحرير في كثير من المنسوجات الحريرية . وكلما زاد الطلب على المنسوجات الرفيعة زاد الطلب على القطن المصري . والاميركيون انفسهم

يأخذون جانباً كبيراً من القطن المصري فيستعملون ثلثهُ في نسج المنسوجات الدقيقة وثلثهُ في حبك القمصان والجوارب والثلث الباقي في غزل خيوط الخياطة والخيوط التي تستعمل في نسج المنسوجات المخلوطة من الحرير والقطن او من الصوف والقطن

ويقال جملة ان شعر القطن المصري طويل دقيق متين حريري لامع منتظم ولكنهُ لا يستعمل في كل ما يستعمل لهُ القطن الاميركاني ومزيتهُ الكبرى في لونهِ الاسمر

✻القطن الهندي✻ هذا القطن حقير في نوعهِ ولا يستعمل الاَّ للمنسوجات الرخيصة الثمن وقلما يبلغ طول شعرتهِ سبعة اثمان العقدة والغالب ان طول شعرتهِ ثلاثة ارباع العقدة ولونهُ الغالب ابيض لكنهُ خشن ووسخ واساليب زرعهِ غير متقنة فاذا اتقنت فلا يبعد ان يجود نوعهُ

✻انواع اخرى✻ وقد بقيت انواع اخرى من القطن كالقطن الروسي وطول شعرتهِ عقدة وهو نظيف ولونهُ جيد . والقطن الصيني وطول شعرتهِ من نصف عقدة الى ثلاثة ارباع العقدة وهو خشن ولكنهُ نظيف . والقطن الياباني وهو مثلهُ . والقطن البرازيلي وهو متوسط في طول شعرتهِ وقد يبلغ طولها احياناً عقدة وثمن عقدة ولكنهُ خشن ولونهُ ضارب الى الصفرة ويمزج احياناً بالقطن الاميركاني ويقال انهُ يزيدهُ متانة . وقطن المكسيك خشن مصفر وشعرتهُ اقصر من شعرة القطن البرازيلي

وقطن بيرو مختلف الانواع فالنوع المسمى قطن بيرو سي ايلند طويل الشعر حريرية متينهُ ولكنهُ ليس نظيفاً ويبلغ طول شعرتهِ ١ ١/٢ عقدة . والقطن الخشن خشن جداً ويمزج بالصوف

زرع القطن في اميركا

يزرع القطن في ولايات فرجينيا وكارولينا الشمالية والجنوبية وفلوريدا والاباما ومسسبي ولويزيانا وتكساس واركنساس وتنسي وطول هذه البلاد من الشرق الى الغرب ١٣٠٠ ميل وعرضها من الشمال الى الجنوب ٥٠٠ ميل وفيها سهول واسعة جداً يمكن اعدادها لزرع القطن والارض التي يزرع فيها القطن الآن كانت حراجاً فقطع الشجر منها ونقبت وحرثت وفي كل مزرعة من مزارع القطن ارض مصلحة يزرع القطن فيها وارض غير مصلحة لا يزال الشجر نامياً فيها ويقتضي تصليحها قطعة منها . والارض المعدة للزراعة ضيقة جداً بالنسبة الى الارض التي لم تعدَّ لها . ففي الجهات الشرقية ارض مساحتها نحو ٣٤ مليون فدان تعلو ٦٦ متراً من سطح البحر نصفها اراضٍ زراعية ولكن لا يزرع منها الاَّ عشرها ووراءها ارض تعلو ١٣٠ الى ١٤٠ متراً من سطح البحر مساحتها ٤٠ مليون فدان سدسها اراضٍ زراعية ولكن لا يزرع منها الاَّ

ربعها وقس على ذلك سائر الاراضي الزراعية اي ان المزدرع قليل جداً بالنسبة الى غير المزدرع او غير المعد للزراعة

والاماكن التي يزرع القطن فيها قليلة السكان جداً في الميل المربع منها حسب احصاء سنة ١٨٩٠ نحو ٢٤ نفساً وسكان الميل المربع في القطر المصري ٩٣٠ نفساً وفي بلاد بلجكا وهي اكثر البلدان الاوربية سكاناً ٦٠٠ نفس . ويتحصل مما تقدم ان القطن الاميركاني يزرع في بلاد واسعة جداً مساحتها ٤٠٠ مليون ميل مع ان زراعتهُ لا تزيد على ٢٩ مليون فدان ولو اكثر السكان هناك وامكن استخدام العدد الكافي منهم لزرع القطن وخدمتهِ لزاد محصولهُ جداً لان الاراضي التي تصلح لزراعتهِ واسعة جداً ويقال انهُ يمكن ان يتضاعف محصولهُ

والاباعد التي يزرع فيها القطن هناك صغيرة جداً قلما تزيد مساحة الابعدية منها على مئة فدان ونحو نصف الاطيان يزرعهُ مالكوهُ والنصف الآخر يؤجر ويزرعهُ المستأجر . والسكان هناك بعضهم بيض وبعضهم سود لكن البيض اكثر من السود في اكثر الاماكن . وحيث يكثر البيض تكون الاباعد كبيرة وحيث يكثر السود تكون الاباعد صغيرة مساحة الابعدية منها خمسون فداناً فاقل والاباعد الكبيرة آخذة في القلة والصغيرة في الكثرة

ومتوسط ثمن الفدان من الاطيان التي يزرع القطن فيها ١٢٥ غرشاً والقطن يزرع في نصفها فقط فكأن ثمن الفدان منها ٢٥٠ غرشاً والغالب ان ايجار الفدان يبلغ ثمانين غرشاً فيبلغ ثلث ثمن الارض والغالب ايضاً ان زارعي القطن فقراء يستدينون ثمن السماد واجرة الانفار ولا يستطيعون ان يخدموا الارض الخدمة الواجبة لكن هذه الاحوال آخذة في التحسن

وكان زارعو القطن يقتصرون على زرع الارض الواحدة سنة بعد سنة حتى تضعف ولا تعود تأتي بمحصول كافٍ فيتركونها وينتقلون الى غيرها اما الان فصاروا اكثر اعتناء بالحرث والتسميد حتى لا تخور الارض من توالي الزرع وزادت الاموال بين ايادي المزارعين حتى لم يعودوا يستدينون كما من قبل . ولكن لا تزال قلة الانفار مانعاً يمنع التوسع في زراعة القطن

والارض التي يزرع القطن فيها كان اكثرها حراجاً فقطعت اشجارها ونقبت وأُعدت لزرعهِ ولا تزال قرامي الاشجار في بعضها واذا أُريد ان تتسع الارض الصالحة لزرعهِ فلا بدَّ من قطع الاشجار منها

ومتى قطعت الاشجار من الارض تحرث وتزرع اولاً ذرةً ثم قطناً . ويختلف مقدار النفقة اللازمة لقطع الاشجار منها واعدادها للزراعة من مئة غرش الى ثمانمئة غرش لكل فدان اي ان قطع الاشجار من الارض يزيد على ثمنها في الغالب لكن الخشب الذي

يقطع منها يباع في بعض الاماكن فيفي بجانب من نفقات قطعهِ . ولا تجود الزراعة في الارض الجيدة الاَّ في السنة الثالثة او الرابعة بعد تصليحها

والارض التي يزرع فيها القطن مختلفة من الرملية الخفيفة الى الطفالية الثقيلة . ومن الرقيقة الجافَّة الى العميقة الرطبة . ولكنها لا تصلح كلها لهُ على حدٍ سوى ففي الارض الرملية يكون النبات صغيرًا ومحصولهُ قليلاً وفي الارض الثقيلة يكون المحصول كثيرًا ولكن اذا زاد ثقل الارض صار قطنها خشناً واذا كثر ريها اما بوقوع المطر الغزير او بالري الكثير كبر شجر القطن وقلَّ محصولهُ . واحسن الاراضي لزرع القطن هناك الاراضي الرملية الطفالية التي طبقتها السفلى طفالية تمنع صرف الماء منها بسرعة

ويروى القطن غالبًا بماء المطر فيقع منهُ في اشهر الصيف من مايو الى سبتمبر نحو ٢٢ عقدة وهي تعدل ٢٢٠٠ طن لكل فدان وذلك يعادل ست ريَّات او سبع ريات في القطر المصري . ونجاح القطن هناك يتوقف على مقدار الماء وتوزيعهِ مدة شهور الصيف وعلى شدة الحر . ولابدَّ من ان يكون الهواء حارًّا رطبًا حتى يجود القطن ولا يكون الفرق بين حرارة النهار والليل كثيرًا

وتقسم حياة القطن الى قسمين الاول زمن النمو والثاني زمن البلوغ ففي الزمن الاول يستفيد القطن من الحرارة فاذا تغير الهواء بغتةً من الحر الى البرد اضرَّ بهِ ووقف نموهُ . فاذا بلغ النبات اشدَّهُ وانتهى الزمن الاول صار البرد مفيدًا على ما يقول الاميركيون وكذلك ازدياد الفرق بين النهار والليل في الحرارة لان ذلك يساعدهُ على تحويل الغذاء الى لوز وقطن . اما في القطر المصري فالحرارة لازمة لنا في الخريف لانضاج اللوز كلهِ واذا خفنا من زيادة نمو القطن امكننا ان نوقف نموهُ بمنع الماء عنهُ اما في اميركا فالماء من المطر وهو غير خاضع لهم . والمطر الغزير في اول نمو القطن الاميركاني يضرُّ بهِ كما يُضرُّ القطن المصري بالري الغزير في اول نموهِ . والمزارعون في اميركا تحت رحمة المطر فقد يقع غزيرًا جدًّا في اول الزرع فيضر بالموسم وقد يقع غزيرًا جدًّا في اواخرهِ فيضر بهِ ايضًا

❊ تعاقب الزرع ❊ ويزرع القطن في بعض الاماكن سنة بعد سنة بعد اخرى ولا تترك الارض لتستريح الاَّ في فصل الشتاء بين الزرعة والزرعة ولا يزال محصولها على حاله لحسن خدمتها وتسميدها بل هناك اراضٍ زُرع القطن فيها اربعين سنة متوالية ولم ينقص محصولها . والبعض يزرعون القطن مرةً كل سنتين والبعض مرة كل ثلاث سنوات

وفي الاماكن التي لزرع قطن السي ايلند يزرع القطن مرة كل سنتين وتترك الارض بينهما

بوراً فتنبت فيها الاعشاب البرية وترعاها المواشي الى فصل الشتاء من السنة التي يزرع القطن فيها فتخدم استعداداً له٠ ولا تُزرع ذرة ولا حنطة بين سنتي القطن لان الاراضي المعدَّة لزرع الحنطة والذرة واسعة جداً ولان الانفار قلال والاجرة غالية فلا يزرع الناس هناك من الحبوب الاَّ ما يلزم لمعيشتهم ومعيشة مواشيهم

ويقال انهُ ظهر بالامتحان ان زرع القطاني لا يفيد اراضي القطن الاَّ اذا زرعت مرةً كل اربع سنوات فتزرع قطناً في السنة الاولى وتبوَّر في الثانية وتزرع قطناً في الثالثة وقطاني في الرابعة٠ والقطاني التي تُزرع نوع من الباميا او اللوبيا فيتعرش على اشجار القطن وترعاهُ المواشي ويقول الناس هناك ان زرع القطاني يفسد نوع القطن ويؤخر جنيهُ٠ وهذا يدعوني الى ذكر شيءٍ يتعلق بالقطر المصري من هذا القبيل وهو ان الارض الضعيفة اذا زرعت برسيماً قبل القطن فلا شبهة في ان زرعهُ فيها يفيدها٠ ولكن الارض القوية تستفيد من تبويرها او من زرع الذرة فيها قبل القطن اذا سُمدت جيداً اكثر مما تستفيد من زرع البرسيم قبل القطن لان القطن يحتاج الى ارض مخدومة جيداً محروثة قبل زرعهِ بمدة وهذا يتعذر اذا كانت الارض مزروعة برسيماً ٠ والغالب ان القطن الذي يزرع بعد البرسيم يكون شديد النمو والخصب ولكن لا يكون محصولهُ كبيراً

واذا زرعوا القطن كل سنة ثالثة فيكون التعاقب بين المزروعات هكذا — يُزرع في السنة الاولى قطن وفي الثانية ذرة واوت وفي الثالثة ذرة وباقياء او باقياء وحدها وفي الرابعة قطن وهكذا

والغالب ان هذا التعاقب يتبع ثلاث مرات مدة تسع سنوات ثم تعبر الارض تزرع قطناً سنة بعد سنة على التوالي ٠ وقد شاع الان الميل الى زرع القطاني علفاً للمواشي عساها تغني عن السماد

❊ اعداد الارض لزرع القطن ❊ الجميع متفقون في اميركا على وجوب حرث الارض وخدمتها جيداً ٠ ويقولون ان الحرث يجب ان يكون والارض جافة على قدر الامكان لكي لا تتكوَّن فيها القلاقيل ٠ ومتى حرثت الارض جيداً تخطط ويجعل البعد بين الخط والخط اكبر مما يجعل في القطر المصري فانهُ يُجعَل متراً ونصف متر اي يجعل نحو اربعة خطوط في كل قصبتين ٠ ويجعل البعد بين الخطوط في القطن العادي (الابلند) ١٣٠ سنتمترا اي نحو خمسة خطوط في القصبتين ٠ اما في القطر المصري فالبعد بين الخطوط من ٩٠ سنتمتراً الى ٨٠ او اقل من ذلك فيكون في كل قصبتين ثمانية خطوط الى تسعة وفي الاراضي الضعيفة يجعل عشرة خطوط في القصبتين

ولا بدَّ من ان يكون البعد بين اشجار القطن كافياً لنموها وان يكون قليلاً على قدر الامكان حتى لا يقل مقدار الشجرات في الفدان عما يحتملهُ . فيتوقف مقدار البعد على حالة الارض

ويبعدون الخطوط في اميركا ولكنهم يقربون الاشجار بعضها من بعض في الخط الواحد فيجعلون البعد بين الخط والخط ١٣٠ سنتمترًا والبعد بين الشجرة والشجرة في الخط الواحد ٣٠ سنتمترًا الى ٤٠ في الارض الضعيفة و٤٥ سنتمترا في الارض القوية

وفي السهول التي في وادي المسسبي حيث يكبر شجر القطن يجعل البعد بين الشجرة والشجرة ٦٠ او ٧٠ سنتمترًا وهناك يجود القطن في بعض الاراضي الجيدة حتى يبلغ محصول الفدان الواحد عشرة قناطير . ونحن مقتنعون ان القطن المصري يجود جداً اذا جُعل البعد بين الخطوط نحو متر في الارض الجيدة و٨٥ الى ٩٠ سنتمترًا في الارض الضعيفة . ويجعل البعد بين شجر القطن ٥٠ سنتمترًا في الارض القوية و٤٠ سنتمترًا في الارض الضعيفة

ويحسب الاميركيون انهُ اذا زاد البعد بين الخطوط وقلَّ بين الاشجار في الخط الواحد بكَّر جني القطن وزادت تصافيهِ ولذلك اذا تأخروا في زرع القطن لسبب من الاسباب ضيقوا البعد بين اشجارهِ لكي يعوضوا عن تأخر الزرع

وقد امتحنت الحكومة الاميركية امتحانات كبيرة في ولاية جورجيا مدة خمس سنوات حيث يزرع القطن في ثلاثة ملايين فدان فوجدت ان المحصول الاكبر يكون متى كان البعد بين الخطوط ١٣١ سنتمترًا فقط . وكان حاصل الجنية الاولى من القطن القريب ٥٩٣ رطلاً وحاصل الجنية الاولى من القطن البعيد ٢٢١ رطلاً ثم زاد الحاصل في الجنية الثانية من القطن البعيد وقل من القطن القريب . وتدلُّ التجارب كلها على انهُ تحصل فائدة للقطن المصري من زيادة البعد بين الخطوط وعدم زيادتهِ بين الشجرات في الخط الواحد

وتخطط الارض كما تقدم بمحراث شبيه بالمحراث المصري يجرهُ بغل واحد ويعاد حرثها في الخطوط انفسها حتى يصير عمق كل خط ١٢ عقدة (بوصة) ويلقى السماد في الخطوط . واذا كان كثير الكمية ضعيف الفعل كالسماد البلدي بسط على الارض كلها قبل تخطيطها ولكن هذا السماد قليل فيستعمل السماد الكيماوي كما تقدم يوضع في عربة صغيرة تجرُّ فوق الخط فيقع السماد منها فيهِ ثم يشق جانبا الخط بمحراث فيقع التراب منهما على السماد ويتألف من ذلك المسطبة التي يزرع القطن فيها . ويكرر هذا الحرث الجانبي حتى تتكوَّن خطوط المساطب التي يزرع فيها القطن والغرض من ذلك كلهِ خدمة الارض جيدًا وتنعيم ترابها بالحرث المتوالي

حتى ان الخط الواحد يحتاج الى مرور المحراث احدى عشرة مرة ومن حيث ان البعد بين الخطوط ١٣٠ سنتمترًا فسير المحراث في الفدان الواحد في هذه الحرثات الاحدى عشرة مسافة طولها ٢٢ ميلاً والبغل الواحد يسير في نهاره ١٧ ميلاً وهو يجر محراثًا خفيفًا فالمحراث الواحد يحرث ويخطط ١٩ قيراطًا الى ٢٠ قيراطًا من الفدان في النهار او ٢٠ فدانًا في الشهر وعندهم ان البغل الواحد يكفي لزرع عشرين فدانًا من القطن

ومساطب القطن في اميركا اعرض من مساطبهِ في القطر المصري واوطأ فالمجال فيها اوسع لنمو الجذور. وارتفاع المسطبة عن الارض ١٥ سنتمترًا وعمق الخط الذي بين المساطب ١٥ سنتمترًا عن الارض فيكون ارتفاع المسطبة عن الخط الذي بجانبها ٣٠ سنتمترًا. واذا أُريد زرع القطن سنة بعد سنة جعلت مسطبة القطن في السنة الثانية في منتصف المسافة التي بين كل مسطبتين بعد ان يوضع السماد فيها

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

الفصل الثالث

الربائط والربط

يُستعمل الرباط لثلاثة اغراض ١ُ لسند الاعضاء ٢ُ لتثبيتها بعضها مع بعض ٣ُ لتضميدها

وتُصنع الربائط من مواد مختلفة بحسب ما يُقصد منها. ومن هذه المواد: —

الفلانلا — وتستعمل غالبًا في داء المفاصل (الروماتزم) حيث يُراد الليونة والراحة في تضميد العضو تحت جبار الجبس

والبفت الابيض — ويستعمل لنظافتهِ

والبفت الاسمر — وهو ارخص ثمنًا

والشاش — ويستعمل في جبار الجبس وهو متين ومرن وجزيل الفائدة في الدثي

قواعد رئيسية للربط

١ً قف مقابل المصاب والعضو الذي تريد ربطهُ

٢ً ابدأ بلف الرباط من طرف العضو وسر بهِ نحو القلب

٣ً ليكن ضغطك على العضو متساويًا واذا لزم ان يكون الضغط غير متساوٍ فابدأ بالرباط مشدودًا وانتهِ بهِ رخوًا

٤ً اجعل الوجه الخارجي من اللفافة نحو العضو

٥ ابدأ دائمًا من داخل او مقدم العضو ولف الرباط الى الجهة الخارجية

٦ أحكم دائمًا تثبيت الغيار حينما تبدأ

٧ دع اللفافة قريبة من العضو على قدر الامكان فيمكنك بذلك ان تساوي في الضغط على العضو

٨ لا تشد مرة وترخ اخرى

٩ لا تلف الرباط طاقًا فوق طاق بل لتغطِ كل لفة حول العضو ثلث ما قبلها

١٠ كلما حسن منظر الرباط زادت الراحة الناتجة عنهُ اذ يظهر للمصاب انهُ قد أُحسن استعمالهُ

ملاحظة · يمكنك دائمًا مشترى الربائط من الاجزاخانات ويمكنك ان تستحضرها في البيت من المواد التي ذكرتها لك وهي البفت والشاش والفلانلا · ويبلغ طول لفافة الرباط العادية نحو ثماني اذرع ويختلف عرضها باختلاف الاعضاء المقصود لفها بها فلتكن لفافة الضلع بعرض ست اصابع ولفافة الساق اربع والذراع ثلاث والرأس اصبعين ولفافة الاصبع عرض الابهام

الربط

اسهل طرق الربط استعمال الرباط المثلث الشكل المعروف باسم رباط اسمرك الجراح الالماني · وقد يكون هذا الرباط من اية مادة اردتها ويختلف حجمهُ من المنديل المطوي بشكل مثلث الى قطعة قماش طولها اربعون عقدة ومقطوعة بشكل مثلث · ويمكن طيهُ على اشكال مختلفة واستعمالهُ لاي عضو كان من الجسم · فقد يستعمل كرافعة للذراع وقد يستعمل للراس او لليد او للرجل الى غير ذلك · فاذا اردت استعمالهُ لربط الراس فضع الطرف الواحد الى الامام فوق الجبهة وأْتِ بالطرفين الآخرين واربطهما في الامام ثم خذ الطرف الاول وارجعهُ الى الوراء فوق الرباط واشكلهُ بدبوس ليثبت

ولربط القدم ضعها في وسط المثلث موجهًا اصابع القدم نحو رأسهِ · ثم اطوِ هذا الراس الى ان يصل الى الكاحل واربطهُ بالطرفين الآخرين · وطرق استعمال هذا الرباط المثلث

عديدة لا حدَّ لها ولاسيما في العوارض التي تعرض للانسان

نبحث الآن في طرق الربط العادية ونبدأ بلفافة الاصبع

الاصابع — لف الرباط اولاً حول المعصم من الجهة الانسية الى الوحشية ثم اوصلهُ من جهة المعصم الانسية (الامامية) الى طرف الخنصر ومن هناك لفهُ حولهُ بشكل لولبي الى ان تبلغ اصلهُ ثم لفهُ حول المعصم وعد بهِ الى الاصبع الثاني وافعل كما فعلت بالاول وهكذا حتى تلف العدد الذي تريدهُ من الاصابع

الابهام — اذا كان ما تريد ربطهُ من الابهام الجهة الامامية منهُ فلف الرباط حول المعصم مبتدئاً من الجهة الانسية (الامامية) الى الجهة الوحشية (الخلفية) ثم حول الابهام . واذا كانت الجهة الخلفية هي التي يراد ربطها فلف الرباط حول المعصم من الجهة الخلفية الى الامامية ثم لفهُ حول الابهام مبتدئاً من طرفهِ الى اصلهِ بشكل لولبي واعقد الرباط عند المعصم

المعصم والساعد — ابدأ بان تضع طرف الرباط على المعصم على جانب الابهام ثم لفهُ حول راحة اليد بين الابهام والبنصر ثم حول المعصم ثم حول الراحة ثم على الساعد

المرفق — ثبّت الرباط اولا بان تلفهُ مرةً حول الساعد تحت المرفق ثم ادنهِ من المرفق حتى يمس طرفهُ ثم لفهُ مرة فوق المرفق ثم مرةً تحتهُ ثم فوقهُ وهكذا حتى تنتهي ثم لفهُ مرة حول الذراع وثبتهُ هناك وحين تربط المرفق ليكن الذراع بشكل زاوية

الكتف — ابدأ بلف الرباط مرةً حول الصدر ثم لفهُ حول الذراع الى ما فوق حتى تدنو من الكتف على مسافة اصبعين ثم حول الابط المقابل ثم عد الى الذراع ولف الرباط حولهُ ثم حول الكتف

الثدي — لف الرباط مرة حول الجسم تحت الثدي الذي تريد تضميدهُ ثم اجز الرباط فوق الثدي الى الجانب الاخر من العنق الى ما وراء الظهر ثم حول الجسم ثانية ثم فوق الثدي كما في المرة الاولى وهكذا الى ان تنتهي . وان اردت ان تضمد الثديين معاً تخذ رباطاً ثانياً وابدأ بهِ من الجانب الآخر وافعل كما فعلت في الاول ولا تنسَ ان ترفع الثدي وتثبتهُ وقت لفهِ

ويربط الثدي اما لسبب خراجات فيهِ وفي هذه الحال يجب ان يكون الرباط رخواً غير مشدود او لايقاف اللبن وفي هذه الحال يجب ان يشد الرباط شداً ثابتاً

العنق (مؤخرهُ) . قد ينمو في مؤخر العنق دمامل وخراجات ومن الامور الصعبة ربطها لان الرباط هناك معرض للزلق . وهذه كيفية وضع الرباط . قف وراء المصاب مواجهاً الدمامل ولف الرباط مرةً حول عنقهِ ثم حول جبهتهِ على مساواة حاجبيهِ ثم حول عنقهِ ثانية

ثم فوق الحاجبين ثم لفهُ عدة مراة حول راسهِ وثبتهُ بدبوس الامن

العينين . حين ربط العينين لا تنسَ ان تجعل الضغط على الجبهة وليس عليهما . فاذا اردت وضع الرباط على العينين فابدأ اولاً بتثبيتهِ حول الجبهة ثم اجز اللفافة تحت الاذن ثم ارفعها ولفها حول العين

الساق . اذا كان القسم الاسفل من الساق هو المراد ربطهُ فابدأ بظهر القدم لتثبيت الرباط حتى لا يزلق الى فوق . واذا كان القسم الاعلى فابدأ بتمكين الرباط من تحت الركبة

الركبة . ابدأ بلف الرباط مرةً تحت الركبة ثم اجزهُ منحرفاً الى ما فوق الركبة ولفهُ مرة ثم عد الى تحت الركبة ولفهُ مرةً ثانية ثم اجزهُ الى فوق الركبة كما في المرة الاولى وهكذا الى ان تتم وضع الرباط ثم مكنهُ فوقها

اربية الفخذ . لف الرباط مرة منحرفاً حول البطن ثم فوق الوركين ثم بين الساقين وعلى الاربية واجزهُ من جهة الظهر ثم لفهُ ثانية حول البطن وثبتهُ

المخللات

تنتق الخضر والبقول التي يراد حفظها في الخل وتغسل جيداً بماء بارد نقي وتنقع في الماء والملح مدة ثم تجفف وتوضع في زجاجات واسعة الفم ويصبُّ عليها الخل بعد اغلائهِ وتطييبهِ

والخل المستعمل لذلك يجب ان يكون من النوع الجيد المستقطر من العنب ويفضَّل الخل الابيض على الاحمر ويضاف الى كل رطل منهُ نصف اوقية من الملح النقي . واذا اريد تطييبهُ اضيف اليهِ قليل من الفلفل والزنجبيل وجوز الطيب فاذا كان مقدار الخل الف درهم وجب ان يكون الفلفل ١٢ درهماً والزنجبيل ستين درهماً واربع جوزات من جوز الطيب المقطع توضع كلها في الخل ويسخن على النار قبل وضع الخضر فيهِ

ويصب الخل على الخضر وهو سخن وتسدُّ الزجاجات التي يوضع فيها سداً محكماً بفلين جيد ويربط فوقها غشاء كغشاء المثانة او ورق صفيق مزيَّت وحينما يبرد ما في القنينة تغط الفلينة في شمع الختم الذائب لكي لا يدخلها الهواء

واذا كانت الخضر من الكرنب والقنبيط وما اشبه فيصب الخل عليها بارداً او فاتراً ولا يصب سخناً . ولا داعي لنقعها في الملح قبل وضعها في الخل او تنقع فيهِ وقتاً قصيراً

ولا توضع المخللات في الآنية المعدنية ولا في آنية الخزف المدهون بدهان رصاصي . ويجب حفظ المخلَّلات من الهواء على قدر الامكان . ولا تنزع من آنيتها بملعقة معدنية . والغالب ان

المخللات تكتسب اللون الاخضر من اضافة املاح النحاس اليها او من اغلائها في آنية نحاسية وكل ذلك ضار بالصحة . ويمكن ان تكتسب لوناً اخضر بوضع اوراق العنب معها او اوراق الاسبانخ ويحسن ان تضاف ملعقة صغيرة من زيت الزيتون الى كل زجاجة فيها مخلل فان الزيت يمنع وصول الهواء الى المخلل . وسيأتي تفصيل عمل كل نوع من المخللات في الجزء التالي

حساب البيت

البيت مملكة صغيرة لا تحسن ادارتهُ ما لم يكن عند ربتهِ دفتر تقدّر فيهِ ميزانية السنة بالاتفاق مع زوجها وتعين ما يلزم للنفقة الشهرية من ثمن طعام وكساء واجرة خدم ومنزل ومدارس وما اشبه وتترك فضلة او مالاً احتياطياً لما يمكن ان يزيد على ذلك اجرة الطبيب وثمن الدواء . ثم تبذل جهدها حتى لا تتجاوز في النفقات اليومية والشهرية القدر الذي عينتهُ لذلك حسبما يسمح بهِ دخل زوجها . وعليها ان تكتب كل يوم كل ما تصرفهُ فيهِ بالتفصيل وتراجع اسعار ما تشتريهِ او يشتريهِ الخدم وتقابلها على اسعار السوق حتى تمنع كل غش وحيف . فاذا فعلت ذلك من اول السنة الى آخرها انتهت السنة وميزانيتها على غاية الضبط

ولا يخفى انهُ ليس من الحكمة ان ينفق اهل البيت اكثر من ثلثي دخلهم مهما كان قليلاً ويترك الثلث الثالث الى حين الشيخوخة والضيق والمرض . واذا كان الدخل كبيراً يكفي نصفهُ او ربعهُ لنفقات البيت فليس من الحكمة ان تزاد النفقات فوق ذلك سدى لان المال الذي يوفر قوة يلجأ المرء اليها بل تلجأ البلاد اليها حتى ان عظمة الممالك تقاس بعدد من فيها من الاغنياء و بمقدار ثروتهم فانهم هم عماد عزها و بثروتهم تعمل الاعمال الكبيرة النافعة كالسكك والترع والخزانات وما اشبه

ولا يُنتظر من الرجل ان يتولى حساب بيتهِ مع حساب اعمالهِ بل ينتظر من زوجتهِ ان تتولى هذا الحساب وتقتصد في النفقات على قدر جهدها

نصائح للامهات

لا تظهري لاولادك انكِ تحبين واحداً منهم اكثر مما تحبين غيرهُ لان ذلك يلقي النفرة بينهم و يوقد الغيرة والبغض

لا تعدي اولادك بشيء وتتأخري عن انجازهِ ولا توعديهم بقصاص اذا اذنبوا وتعدلي عنهُ

لا تدعي اولادك ينسبون اليك قلة الانصاف بمؤاخذتكِ بعضهم ومسامحتكِ البعض الآخر بل عامليهم كلهم على السواء

لا تخرجي الطفل في مركبتهِ للنزهة الاَّ اذا كان الهواء حارًّا او معتدلاً واما اذا اشتدَّ البرد فحمل الطفل على الذراعين خير من اخراجهِ في مركبة

لا ينام المرء اذا كانت قدماهُ باردتين جدًّا وكذلك الطفل الصغير لا ينام وقدماهُ باردتان فافركي قدميهِ بيديكِ حتى تسخنا ثم لفيهما بطرف قيصهِ اذا كان طويلاً ويجب ان يكون من الفلانلا او البسيهِ جوربين من الصوف وذلك خير من وضع زجاجة ماء سخن في فراشهِ

اذا بكى الطفل فقد يكون من عطش لا من جوع فاعرضي عليهِ الماء بملعقة صغيرة نفي تسع مرات من عشر يشرب الماء ويطفىء عطشهُ ويسكت

باب التقريظ والانتقاد

المكاري والكاهن

قصة فكاهية ادبية وضعها شاب سوري بل شاعر اوربي في صيغة من النثر العربي ضاقت الفاظها على معانيها فلجأ كاتبها الى التراكيب العامية احيانًا كثيرة ومع ذلك بقي فيها من صور الخيال ودقائق المعاني ما لا يستوضحهُ الاَّ من مارس لغةً اجنبية ولا غرابة في ذلك فان الكاتب شاعر ولكن بلغة اجنبية ألاَ وهو امين افندي ريحاني مترجم رباعيات ابي العلاء

ومدار الرواية على مكارٍ لبناني ركب مع كاهن في مركبة واخذ يعيبهُ ويندّد بهِ ويتهمهُ بالنفاق والرياء الى ان ثارت سورة الغيظ في رأس الكاهن فطرح رداء الكبر بل رداء الرياء وظهر فيهِ الانسان الغضوب بكل مظاهره فرفع عصاهُ وضرب المكاري بها فهش لهُ المكاري حينئذٍ وقال لهُ اذًا قد صرت مثلي فانت الآن اخي وارشدهُ من حيث لا يدري الى ان الناس كلهم اخوة ولا يحسن ان تفرّق بينهم القلانس والطيالس ومن قوله لهُ حينئذٍ "اضرب ثانيًا وثالثًا اضرب ايها الاخ العزيز ها هو خدي الاسير · قد برهنتَ لي الآن انك انسان ولستَ كاهنًا ولذلك صرت احبك واعتبرك · اضربني او عانقني · ارمني خارج العربة او ضمني الى صدرك ... انا اخوك وانت اخي ولستَ ابي · ابونا الذي في السموات هو ابو الجميع" · فترك الكاهن ما كان فيهِ وعكف على عمل المبرات وبعد اسبوعين درى بهِ رؤساؤهُ وقالوا ان بهِ جنة فقبضوا عليهِ ووضعوهُ في دير يسجنون فيهِ المجانين · قال

الكاتب هذه قصة الكاهن الذي لم يسمح لهُ ان يكون صالحاً اكثر من اسبوعين لكن برَّ ساعة خير من حياة طويلة تقضى في النفاق والتمويه على عباد الله

وحبذا لو اعيد تنقيح هذه القصة وحذف منها ما يؤلم بعض القرَّاء فانها قد تفيد اكثر من المجلدات الضخمة

كتاب دليل الفردوس

هو خطب ومواعظ انشأها وجمعها حضرة الاب المحترم الخوري افرام ايض وكيل بطريرك السريان بمصر وقال انهُ حذا فيها حذو خطباء القرن التاسع عشر والعشرين . الاَّ ان ما قرأناهُ من خطب خطباء هذين القرين قلما ينطبق على بعض ما وقع نظرنا عليهِ من هذهِ المواعظ كقولهِ "من قال ان الزيجة افضل من البتولية فليكن محروماً" . وكقولهِ "ان التاريخ يثبت دخول الارواح الخبيثة في البشر . وان الله يسمح بذلك تمجيدًا لكمالاتهِ ونفعاً لكل طبقات البشر" . وفي هذه المواعظ كثير من النصائح الادبية الواجبة الاتباع وهي في مجلدين كبيرين مطبوعة طبعاً حسناً

رواية الميت الحي

هذه الرواية من تأليف الكاتب الشهير اسكندر ديماس عرَّبها حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي لبيب امين الكتبخانة الخديوية والتزم فيها السجع وقال في خاتمتها ان المؤلف قصد بها ان يشرح شهوات النفس الامَّارة بالسوء ويشير الى انها ليست مما يرشد اليهِ العقل السليم بل مما يوسوس بهِ الشيطان الرجيم . والرواية مختصرة جدا تجيء في اربعين صفحة

كتاب زجر النفس لهرمس الحكيم

الكتاب قديم ومؤلفهُ مجهول وقد وقف حضرة الاب الفاضل الخوري فيلمون الكاتب على النسخ التي وجدت منهُ وهي اثنتا عشرة نسخة فاستخلص منها نسخة اسد واضبط واشكل باصلها فعلَّق عليها شرحاً وحواشي تفسر غامضها وتبين مقاصدها وطبعها ونشرها فاستحق الشكر الجزيل . والكتاب صغير فيهِ اربعة عشر فصلاً كلها مخاطبات للنفس وزواجر عما يضرُّها ومرغبات في ما ينفعها على منهاج والفلاسفة الاولين كقولهِ "يا نفس ان من غرس شجرة الصبر اثمرت لهُ ثمر الظفر وفاز بالغلبة وان اسعد السعداء من سما الى شيء فظفر بهِ ومن غرس

شجرة الفشل اثمرت له ثمر الحرمان وان اشق الاشقياء من سما الى شيء فحرمهُ . يا نفس اقتني الصبر والتعب في عبادة الله الواحد فهو هناء لعيشك وغناء لراحتك وصفاء لحياتك . — واحذري ان يحوطك الملل والضجر فتخرجي عن حد الوحدانية وتكثر آلهتك ومن كثرت آلهتهُ كثرت خدمتهُ واشتدَّ تعبهُ ونصبهُ وتوفرت همومهُ وتشعثت نفسهُ فهلك " . والكتاب كلهُ على هذا النسق

الباكورة السورية

في اللغة الالمانية

هو كتاب مسهب وضعهُ حضرة الاديب اسبر افندي ضومط احد معلمي مدرسة الايتام السورية بالقدس الشريف جمع فيهِ كل ما يلزم لتعليم اللغة الالمانية لابناء اللغة العربية مستعيناً على ذلك باجدّ مؤلفات الالمان واحسنها وقد ضمنهُ قواعد اللغة الالمانية وتمارين كثيرة يتمرَّن بها الطالب والحقهُ بقاموس عربي والماني فيهِ اكثر من اربعة آلاف كلمة فنهنئ حضرتهُ بما وُفق اليهِ من تأليف هذا الكتاب وعسى ان ينتفع بهِ طالبو اللغة الالمانية

الآداب

خطبة نفيسة لحضرة الكاتب الاديب جرجي افندي نقولا باز تلاها في جمعية شمس البر في بيروت في اوائل العام الماضي وقد طبعها واهداها الى حضرة الكاتب المجيد فرح افندي انطون منشئ مجلة الجامعة . وفيها كثير من الشواهد المقتبسة من اقوال كبار الحكماء والكتَّاب شرقاً وغرباً . وقد قال في خاتمتها ان التربية الادبيَّة هي السبيل الوحيد لنهوضنا من سبات الجهل والتأخر . والتربية الادبية منذ الحداثة اهم واثمن شيء في العالم . وافتتحها وختمها بقول الشاعر

لكل شيء زينة في الورى   وزينة المرء تمام الادب

نتيجة ديوان المساحة

هي نتيجة او رزنامة لسنة ١٩٠٤ وضعها ديوان المساحة باللغة الانكليزية وجمع فيها اشتات الفوائد التي لا يستغنى عنها ولاسيا في دوائر الحكومة كاوقات الاعياد الرسمية ومواعيد دفع الاموال الاميرية وعوائد الاملاك واسماء معتمدي الدول وقناصلها واسماء المديريات والمراكز والبنادر والمدن والمستشفيات والاسواق والموالد الى غير ذلك مما يطول شرحهُ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) ترجمة كتب سبنسر

دسوق . نخله افندي نحاس هل تُرجمت كتب الفيلسوف هربرت سبنسر الى العربية واين تباع اذا كانت ترجمت وطبعت

ج لم تترجم ولكن اعلن حضرة نجيب بك شقرا المحامي انهُ ترجم كتاب سبنسر في التعليم وسيشرع في طبعهِ قريباً

---

(٢) ماء الكلب

مصر . الخواجا ميخائيل بساراتي جاء في الجزء الاول من حياة الحيوان الكبرى بهامشهِ هذهِ العبارة وهي "بئر الكلب الكلِب بقرية من قرى حلب اذا شرب منها من عضهُ الكلب الكلِب برئ وانها مشهورة قال بعض اهل القرية اذا لم يجاوز المكلوب اربعين يوماً وشرب منها برئ اما اذا جاوز الاربعين مات ان شرب . وذكر انهُ شاهد ثلاثة انفس مكلوبين فشربوا فشفي منهم اثنان كانا لم يبلغا الاربعين ومات الثالث وكان قد جاوز الاربعين واهل القرية يشربون من هذهِ البئر" . فهل يوجد ماء يشفي من عضة الكلب الكلِب وهل يمكن ان توافونا باسم القرية لكي نجلب الماء منها

ج لم نجد الكلام الذي نقلتموهُ في النسخة التي عندنا من حياة الحيوان الكبرى وحبذا لو اخبرتمونا في الكلام عن اي حيوان ذُكر . ثم ان الكلاب الكلبي نادرة جداً فمن عشرة كلاب يزعم انها كلبة قد لا يوجد كلب واحد كلِب . والذين تعقرهم الكلاب الكلبي لا يكلبون كلهم بل يكلب منهم نحو خمسة في المئة اذا لم يعالجوا العلاج الشافي . فترون من ذلك ان مجال التدجيل واسع جداً في مداواة الذين تعقرهم الكلاب لان اكثرهم لا يكلبون فيزعم ان العلاج الذي عولجوا بهِ شفاهم من الكلَب ولذلك كثرت علاجات الكلَب وتنوَّعت في كل البلدان وعند كل الامم وليس منها علاج معقول مؤيَّد بالامتحان الاَّ علاج باستور . والدميري غفر الله لهُ ذكر في كتابهِ حياة الحيوان الكبرى من الخرافات والاوهام ما لا يصدقهُ عاقل حتى نظن ان كثيراً من ذلك مقحم فيهِ غير مذكور في

اصلهِ على عادة البعض من كتابة ما يعثرون عليهِ في حواشي ما عندهم من الكتب ثم يأتي الناسخ فيدخل تلك الحواشي في المتن وهي ليست منهُ

---

(٣) حبة حلب

كفر الزيات . ناشد افندي ابرهيم . شاهدنا عائلة حلبية في وجوه جميع افرادها شامة "خال" الأ صغيرهم المولود في مصر ويزعمون ان ذلك حادث من تأثير الاستقاء من مياه حلب فهل لزعمهم شيء من الصحة ام تلك العلامة وراثية

ج لم نسمع بوجود خال في وجوه الحلبية ولكن يكون في وجوههم غالبًا اثر حبة حلب المشهورة وهي تصيب اكثر سكان حلب والبلاد المجاورة لها

(٤) ضرر المياه المقطرة

ومنهُ . ذكرتم في عدد سابق ان المياه المرشحة ترشيحًا دقيقًا مضرَّة بالصحة لما ينقد منها من الاملاح فاي مرشح تستحسنون استعمالهُ طبيًّا لتنقية المياه

ج لم نقل ان المياه المرشحة مضرَّة بل نقلنا ان المياه المقطرة مضرَّة والفرق كبير بين التقطير والترشيح فيراد بالتقطير تبخير الماء بالحرارة كما يتبخر في الآلة البخارية ثم تبريد البخار حتى يعود ماء فان الماء اذا تبخَّر لم يصعد مع بخارهِ شيء من الاملاح الذائبة فيهِ والماء الذي يتكوَّن من بخارهِ يكون خاليًا من الاملاح ومن هذا القبيل ماء آلات التقطير وماء المطر وهي التي قيل انها مضرة اما الترشيح بمرشح باستور وبالازيار المصرية فلا يزيل الاملاح من الماء بل تبقى فيهِ لانها ذائبة ولذلك لا يكون شربهُ مضرًّا

(٥) كفاية العوام

ومنهُ . افيدونا عن اسم كتاب طبي عربي يصح استعمالهُ عند غيبة الطبيب ويكون وافيًا بالمراد

ج وجدنا ان كتاب الدكتور ورتبات كفاية العوام من احسن الكتب الموضوعة لذلك وهو وافٍ بالمراد

(٦) حرق جثة سبنسر

ومنهُ . ما الذي حمل سبنسر على توصيتهِ بحرق جثتهِ وما هو مذهبهُ الديني

ج حملهُ على ذلك مراعاة صحة الاحياء على ما يظهر لان دفن الجثث في المدافن وتعريضها للفساد المستمر الى ان تنحلَّ كلها لا يمنع انتشار الغازات الفاسدة منها في الهواء واضرار الاحياء الذين يتنفسونهُ . والفساد الطبيعي في القبر نوع من الاحتراق لكنهُ بطيء جدًّا والاحتراق بالنار سريع . الأ ان الذين لم يألفوا عادة حرق الموتى ولا قويت فيهم قوة التغلب على العادات والمعتقدات السابقة يستقبحون هذه العادة . ولم يكن سبنسر يدين بدين من الاديان المعروفة لكن رجال

الدين المسيحي ابنوه في كنائسهم بعد وفاته احسن تأبين وقالوا انهُ انتقل بالبحث الفلسفي المجرّد الى اثبات وجود الخالق الذي لاتدركهُ العقول وانهُ كان مثالاً للفضيلة والتقوى

(٧) الالكترون والبروتوبلازم

ومنهُ . ما علاقة الالكترون بالبروتوبلاسم وهل يستطيع الطبيعيون ان يكوّنوا مادة حية تتولّد منها اشكال حيوية

ج يظهر من بحث بعض العلماء الاميركيين ان للالكترونات شأناً في تكوُّن البروتوبلازم او في جمع دقائقهِ بعضها مع بعض واظهار ظواهر الحياة فيها من غير تلقيح لكن لا يزال هذا البحث في بداءتهِ ولا سبيل للحكم بان تكوين الحيوان من المواد غير الحية ميسور للانسان . وان تيسر تكوين الاحياء الدنيا البسيطة التركيب جداً لا يتيسر تركيب الاحياء العليا الكثيرة التراكيب لان كثرة تراكيبها تقتضي زمناً طويلاً جداً

(٨) تأثير الكواكب

ومنهُ . ما هو تأثير الكواكب في الناس

ج لا يظهر انها تؤثر فيهم تأثيراً يشعر بهِ لبعدها الشاسع وقلة القوة الواصلة منها الى الارض ما عدا الشمس فان كل القوى الارضية واصلة الينا منها ويصلنا من القمر شيء قليل جداً من القوة المستمدة اصلاً من الشمس

(٩) تأثير الطلاسم

ومنهُ . بما تعللون ظواهر الطلاسم

ج ان كانت الطلاسم تؤثر في احد فيكون التأثير للوهم اي ان علتهُ داخلية لا خارجية . ثم ان اكثر ما يروى عن تأثير الطلاسم اذا بُحث عنهُ البحث المدقق وُجد غير صحيح

---

(١٠) النخل في اميركا

كفر البطيخ . ميخائيل افندي الياس نعمان . هل ينمو نخل البلح في اميركا ولا يتغيّر طعمهُ كما يتغير طعم العنب

ج ان ديوان الزراعة الاميركي مهتم بنقل النخل الى اميركا وزرعهِ فيها وقد لقينا احد علمائهم منذ مدة فسألنا عن الاساليب الممكنة لنقل شجر النخل الى اميركا وزرعهِ فيها حيث الاقليم حار يماثل اقليم القطر المصري . اما العنب الذي زرع هناك فقد بلغنا من السوريين الذين ذاقوهُ انهُ طيب الطعم مثل العنب الشامي

---

(١١) موقع الفردوس

منتريل بكندا . الخواجه جرجس حنا جرجور . اين موقع الفردوس الذي كان فيهِ آدم وحواء في ابتداء الخليقة وكم سنة مضت من ابتداء الخليقة الى يومنا هذا ومن خلق آدم الى الآن ومن هي امرأة قايين بن آدم

ج ليس لهذه المسائل جواب علمي .

وعلماء الديانة المسيحية فريقان الفريق الواحد يقول ان كل ما ذكر في سفر التكوين بل في اسفار موسى الخمسة منقول عن البابليين او عن احاديث قديمة كانت متواترة عند اليهود ولا دليل على صحتها غير التواتر والفريق الثاني يقول ان المذكور في اسفار موسى صحيح ولكنهم مختلفون في تطبيقهِ على الواقع وهم مذاهب شتَّى . ومما يراهُ جمهور العلماء ان الانسان وجد على هذه البسيطة منذ اكثر من عشرة آلاف سنة ويرجح كثيرون منهم انهُ وجد منذ الوف كثيرة من السنين . والذين يقولون بصحة ما جاء في اسفار موسى مختلفون في تعيين موقع الفردوس وادلتهم كلها من قبيل الظنون او الترجيحات . اما امرأة قايين فيجب ان تكون اختهُ حسب مدلول التوراة

(١٣) صقل الحديد

بيروت . كامل افندي بطرس هلال . ما هي الطريقة التي يصقل بها الاوربيون الفولاذ فيجيء لامعاً بهذا المقدار

ج هي الصقل بالسنباذج (السنفرة) يبدأ بالسنباذج الخشن ثم يتدرَّج الى انعم انواعهِ واخيرًا يتم الصقال بالجير (الكلس) البندقي اوالروج او أكسيد القصدير الابيض . والغالب ان السنباذج يمسك بقطعة من معدن الاجراس او من الرصاص ويمسح الفولاذ من الروج اخيرًا بقطع من الخبز ثم بفرشاة ناعمة

(١٣) تلبيس الحديد

ومنهُ . هل يلبَّس الفولاذ بمعدن آخر قبل صقلهِ

ج يلبَّس احيانًا بالنكل فيظهر لونهُ كالفضة اذا صُقل وذلك بالبطرية الكهربائية من مغطس فيهِ مذوب كبريتات النكل النشادري وقد بطل استعمال البطريات الكهربائية الآن في معامل التلبيس الكبيرة وابدلت بمحرك كهربائي (دينامو) . وطرق التلبيس بالنكل معروفة وقد شرحناها غير مرة في بعض الاجزاء الماضية

(١٤) الطبعات الكثيرة

مصر . جرجس افندي بشارة . رأيت رواية باللغة الفرنسوية قيل فيها انها طُبعت ٣١٥ مرة منذ سنة ١٨٩٥ الى الآن فهل ذلك صحيح وهل توجد كتب اخرى طبعت هذا المقدار من المرات

ج يحتمل ان يكون ما ذكر في هذه الرواية صحيحاً لان بعض الروايات الشهيرة يطبع كل اسبوع تقريباً وقد يباع من الرواية الواحدة مليون نسخة فلا عجب اذا طبعت مئات من المرات . ويحتمل ان لا يكون صحيحاً لان طابعي الكتب قد يبقون صفحات الكتاب معدة للطبع وكلما نفدت الف نسخة او اكثر منها كرروا طبعهُ وكتبوا انهُ طبع جديداً وقد رأينا اصحاب الجرائد اليومية في

جنيهًا يبقون جرائدهم على المطبعة وكلما ورد تلغراف جديد ادخلوهُ في الجريدة وقالوا انها صارت طبعة جديدة حتى يرغب الناس فيها

(١٥) صورة القاتل

ومنهُ . يقال انهُ اذا قُتل شخص ونُظر في عينهِ قبل مضي ساعة ترى صورة القاتل مطبوعة في انسان العين فهل ذلك صحيح

ج اذا رأَى المقتول القاتل قبلما اغمض عينيهِ ترتسم صورتهُ على شبكية عينهِ ولكنها لا تلبث الاَّ لحظة ثم تزول

(١٦) عيدان الكبريت

ومنهُ . قرأْت في بعض الجرائد ان عود الكبريت يمرُّ تحت يد ستين الف عامل او ستة آلاف عامل قبلما يصل الى يد الجمهور أليس في ذلك مبالغة

ج اذا عُدَّ كل الذين يعملون في استخراج الفصفور والكبريت والغراء وقطع الخشب وتقطيعهِ وعمل العيدان منهُ ثم تغطيسها في الغراء والكبريت والفصفور وعمل العلب لها وجمعها ورزمها وحزمها فلا يبعد ان يُعَدَّ عدد العمال بالمئات ان لم يكن بالالوف ولكن اذا اريد عمال العيدان فقط في معامل الكبريت فعددهم قليل جدًّا . فقد شاهدنا معملاً في سويسرا يصنع فيهِ كل يوم ٢٥٠٠٠ صندوق من صناديق الكبريت وليس فيهِ سوى ٢٥ عاملاً واكثرهم من النساء والآلات كلها تدار بآلة بخارية قوتها ١٥ حصانًا

(١٧) اشهر مؤَلفات سبنسر

المنيا . حنا افندي بطرس . ما هي اشهر مؤَلفات سبنسر

ج

المبادىء الاولى	First Principles.
مبادىء البيولوجيا مجلدان	Principles of Biology.
مبادىء السيكولوجيا مجلدان	Principles of Psychology.
مبادىء علم الاجتماع ثلاثة مجلدات	Principles of Sociology.
مبادىء الادبيات مجلدان	Principles of Ethics.
درس السيولوجيا	The Study of Sociology.
علم التعليم	Education.
مقالات شتى ثلاثة مجلدات	Essays.
الانتظام الاجتماعي	Social Statics.
الانسان ضد الحكومة	The Man v. The State.
السيولوجيا الوصفية في ثمانية مجلدات كبيرة	Descriptive Sociology

ولهُ ايضاً . كتب الشعائر الدينية والسياسية وكتب اخرى ومقالات شتى واكثر هذه الكتب طبع مرارًا كثيرة فكتاب التعليم طبع ٣٢ مرة وكتاب المبادىء الاولى سبع مرات



الظواهر الفلكية لشهر يناير

	اليوم	الساعة	الدقيقة	
البدر	٣	٧	٤٧	صباحاً
الربع الاخير	٩	١١	١٠	مساء
الهلال	١٧	٥	٤٧	"
الربع الاول	٢٥	١٠	٤١	"

عطارد نجم المساء في اوائل الشهر ويقترب من الشمس في الخامس عشر منهُ حتى لا يعود يرى ثم يصير نجم المساء

الزهرة تشرق قبل الشمس بنحو ثلاث ساعات

المريخ يبقى ظاهرًا بعد غياب الشمس ساعتين

المشتري يرى جليًا في اوائل الليل

زُحل يرى في اوائل الشهر ولكن موقعهُ لا يصلح لرصده

وفي الساعة التاسعة مساء يكون برج الثور قرب سمت الراس والنهر قرب الافق

السينماتوغراف في الطب

استعمل مدرسو الجراحة في باريس السينماتوغراف لاظهار الاعمال الجراحية امام طلبة علم الجراحة فتصوَّر العملية الجراحية في كل درجاتها من اولها الى اخرها وتظهر هذه الصور امام الطلبة على التوالي فيخالون انهم واقفون في غرفة العمليات الجراحية يرون العملية كما يعملها الجرَّاحون

اتساع العلوم

قال الرئيس اليوت ان نطاق المعارف صار اوسع من ان يحيط بهِ الانسان ولو عاش مئة عمر وقد اتسع في القرن التاسع عشر اكثر مما اتسع مدة ثلاثين قرنًا قبلهُ فصار يستحيل على الانسان ان يعرف كل شيء وغاية ما يمكنهُ تعلمهُ جيدًا علم واحد او بعضهُ وشيء من الالمام ببقية العلوم

صوت الرعد

ظهر من التجارب في اميركا ان صوت الرعد القاصف ناشئ اكثرهُ عن انحلال بخار الماء وطولهُ يتوقف على ما في الهواء من الرطوبة . قال الاستاذ تروبردج انهُ استعمل بطرية فيها عشرون الف حلقة وكان يفرغها بين قطبين من الخشب بعد ان لفهما بالقطن وبلَّهُ بالماء فاذا كان البعد بين القطبين عشرة سنتمترات مرَّ الشرر بينهما متواصلاً ولهُ صوت يصمُّ الآذان حتى اضطرَّ المجرّب ان يسد اذنيهِ حذر الصواعق فلم يكفهِ ذلك فربط رأسهُ ايضاً برباط سميك من الصوف . ولعلَّ

الصوت حادث من احتراق غاز الهيدروجين والاكسجين اللذين انحلَّ اليهما الماء بواسطة الكهربائية . ولذلك فصوت الرعد حادث اكثرهُ من انحلال البخار الى عنصريهِ واشتعالهما

الهواء في جسم الطيور

كتب بعضهم الى جريدة السينتفك اميركان يقول انهُ سلخ كثيرًا من الطيور فوجد تحت جلودها خلايا كثيرة يجتمع فيها الهواء وقال ان الطيور تتحكم بهذا الهواء كما تتحكم بالهواء في رئاتها بالتنفس فيعينها على الطيران لاسيما وانهُ خفيف جدًّا لان ابدانها سخنة

الماس جنوبي افريقية

بلغت قيمة الماس المستخرج من مناجم ده بيرس في جنوبي افريقية في العام الماضي خمسة ملايين وربع من الجنيهات وربحت الشركة منها مليونين وثلث مليون من الجنيهات

مرض المواشي

يظهر من تقرير مصلحة الصحة ان مرض المواشي فتك بنحو اثنين وعشرين الفًا من البقر الى آخر العام الماضي . هذا ما اتصل علمهُ برجال الحكومة ولكن يظهر ان المرض افتك من ذلك كثيرًا ولاسيما بمواشي الوجه القبلي حتى ان كثيرين من الذين عندهم سبعون او ثمانون ماشية لم يبقَ عندهم الا ثلاث او اربع منها وقام كبار المزارعين يهتمون بجلب وابورات للحرث من اوربا واميركا

نور الحباحب

لاحظ المسر اوليفرلدج ان الحباحب تطفئ نورها قبلما يومض البرق بنحو ثانية او ثانية ونصف من الزمان ثم تنيره بعد ذلك بثانية او ثانية ونصف . وطلب من الباحثين في الامور الطبيعية ان ينتبهوا لذلك عساهم يروا ما راه

الجوائز العلمية

تعطي فرنسا كل سنة من الجوائز العلمية للمشتغلين بالعلم ما يبلغ ٣٧١٥٠٠ فرنكًا اي ١٤٨٦٠ جنيهًا وهذه الجوائز مختلفة من مئتي فرنك الى مئة الف فرنك . وعندها جائزتان قيمة كلٍّ منهما مئة الف فرنك الواحدة جائزة غزمن وهي من ريع مال وقفة لمن يكتشف طريقة لمخاطبة مَن في السيارات غير المريخ فاذا لم يحدث ذلك فتعطى مئة الف فرنك لمن يكشف اهم اكتشاف في علم الفلك . والثانية جائزة برين وقد وقف المال الذي تؤخذ المئة الف فرنك من ريعهِ لمن يكتشف دواء للكوليرا او طريقة لاتقائها . والجوائز العلمية تعطى للرجال والنساء على حدٍ سوى وللفرنسويين ولغيرهم من غير تمييز ففي سنة ١٨٩٥ اعطيت جائزة خمسين الف فرنك للورد ريلي والاستاذ رامسي الانكليزيين لانهما اكتشفا عنصر الارغون وسنة ١٨٩٧ أُعطي الدكتور ولرجائزة باركن وهي ٣٤٠٠

فرنك على مقالة قدَّمها لمدرسة الطب والجراحة

واكبر الجوائز العلمية جوائز نوبل الاسوجي مخترع الديناميت وهي خمس كل منها ثمانية آلاف جنيه تعطى سنويًّا كما ابناه غير مرة. وقد وهب المستر كارنجي داره العلمية بوشنطون مليوني جنيه لتنشيط العلوم ولا يبعد ان يعطى جانب كبير من ريعها جوائز للعلماء

والجوائز العلمية شائعة في كل الممالك الاوربية لكن مقدارها قليل حتى في البلاد الانكليزية التي ينتظر ان تفوق غيرها بسبب غنى اهلها

الماء والمغنطيس

يقال ان في ولاية انديانا باميركا ثلاثة ينابيع اذا وضع الحديد في مياهها صار مغنطيسًا. ومياه هذه الينابيع تحوي كثيرًا من غاز الحامض الكربونيك فاذا عُرِضت للهواء خرج الغاز منها ورسب فيها اكسيد الحديد المغنطيسي فاذا زال الغاز كلهُ من الماء لم يعد الحديد يتمغنط بوضعهِ فيهِ. ويظن ان الحديد موجود في هذا الماء بصورة الكربونات وهو الذي يكسب القوة المغنطيسية لما يوضع فيهِ من قطع الحديد

الوراثة والوسط

ذكر السر صموئيل ولكس في جريدة اللانست الطبية انهُ انتقل الى منزل تنمو شجرة كبيرة بجانبهِ فتحجب النور عنهُ فقطعها ولما نظر في خشبها رأى ان لبها ليس في وسط الساق بل قريب من الطرف المحاذي للبيت وحلقات الخشب التي حولهُ صغيرة ضيقة في جهة البيت وكبيرة واسعة في الجهة الاخرى. ومقتضى الطبع في الاشجار كلها ان يكون اللب في وسط الساق تمامًا وتكون حلقات الخشب منتظمة حولهُ على السواء لكن الوسط الذي نمت فيهِ هذه الشجرة جعلها تخالف مقتضى الطبع وتتسع في الجهة التي يأتيها منها النور والهواء وتضيق في الجهة المحاذية للبيت حيث يقل النور والهواء. وهذا شأن الانسان فان قانون الوراثة او قانون الطبع يخضع للوسط الذي يعيش فيهِ وللعشراء الذين يعاشرهم واذا لم يشب اولادنا مثلنا ولا شبوا على ما نريد فاللوم علينا لاننا ربيناهم في وسط غير الوسط الذي ربينا فيهِ وسمحنا لهم ان يعاشروا اناسًا على غير ما نحب

الكهربائية بدل البخار

يظن كثيرون من المهندسين انهُ اذا حُوِّلت قوة البخار الى كهربائية في محطات سكك الحديد الكبيرة ثم سيرت قطارات سكك الحديد بالكهربائية بدلاً من تسييرها بالبخار كان من ذلك اقتصاد كبير في النفقات. وقد ثبت هذا الامر بالامتحان مدة ثلاثة اشهر في سكة من سكك الحديد العلوية في نيويورك فكانت نفقات التشغيل ٢٨٠ الف

جنيه فهبطت الى ٣٦٠ الف جنيه وكان الدخل ٥٧١ الف جنيه فصار ٦٥٤ الف جنيه فزاد الربح اكثر من مئة الف جنيه في ثلاثة اشهر وكانت زيادة الدخل من زيادة السرعة لانها زادت ٢٥ في المئة . فعسى ان تنتبه ادارة سكة الحديد المصرية الى ذلك لعلها تجد فيهِ ما يقلل النفقة ويزيد الربح

التلغراف الارضي

استنبط اثنان من الالزاس تلغرافاً تنقل الاشارات البرقية بهِ لا بالاسلاك المعدنية كالتلغراف العادي ولا بالاثير المنتشر في الجو كتلغراف مركوني بل بالارض نفسها فينزَّل القطبان في الارض فتتكوَّن حولها امواج كهربائية تنتشر الى بعد شاسع حسب قوَّة المجرى الكهربائي . ويصح هذا الاستنباط اذا كانت الامواج الكهربائية تندفع الى الجهة الامامية فقط لانها اذا كانت تندفع الى الجهات الجانبية ايضاً تمَّ الاتصال الكهربائي بين القطبين في المكان الذي تتولَّد فيهِ ولم تنتقل الى المكان الآخر

الزرنيخ في البيض

اثبت المسيو غوتيه ان الزرنيخ موجود في كل الاجسام الحيَّة فقال المسيو غبريل برتران انهُ اذا كان الزرنيخ موجوداً في الاجسام الحية فهو موجود في البيض ايضاً لان فراخ الطيور تتكوَّن منهُ ولا تتناول شيئاً من غيرهِ وجعل يبحث في بيض الدجاج فوجد فيهِ شيئاً قليلاً من الزرنيخ في المح والزلال والقشر الرقيق المحيط بهِ . وعليهِ فاكتشاف الزرنيخ في معد بعض الناس الذين يقال انهم ماتوا سمّاً بهِ ليس دليلاً على انهم ماتوا مسمومين بهِ الاَّ اذا كان مقدارهُ كبيراً

عجائب الالكتروفون

لما خطب المستر تشمبرلين خطبتهُ المشهورة في برمنهام منذ عهد قريب نقلت الخطبة كلها بنصها الى جرائد لندن وطبعت فيها ونشرت بعد ان اتمَّ تلاوتها بسبع وعشرين دقيقة لا غير والبعد بين برمنهام ولندن ١١٣ ميلاً . شرع الخطيب في الخطابة الساعة ٨ والدقيقة ١٠ مساء واتم خطبتهُ الساعة ١٠ والدقيقة ٥ ونُقل كلامهُ حرفاً حرفاً بالالكتروفون الى جرائد لندن بالتدريج فبلغها آخرهُ الساعة ١٠ والدقيقة ٢٠ وعند الساعة ١٠ والدقيقة ٣٢ كانت الخطبة كلها قد جمعت حروفها وسبكت وطبعت في الجرائد وعرضت للبيع . وتم هذا العمل العجيب بوضع آلات الالكتروفون امام الخطيب في النادي الذي كان يخطب فيهِ ووصلت هذه الآلات باسلاك التلفون المتصلة بالخط الاصلي الواصل الى مدينة لندن ومنهُ الى مكاتب الجرائد وقام في كل مكتب عشرة يسمعون الكلام ويكتبونهُ كتابة مختصرة ويتراوحون كل دقيقتين ومتى كتب الواحد

منهم ما سمعهُ يمضي بهِ حالاً ويكتبهُ كتابة عادية وتوسلهُ لجامعي الحروف باللينوتيب فظهرت الخطبة في تلك الجرائد قبلما اوصلها التلغراف الى غيرها بساعة وخمس دقائق وهذا من اعجب ما ذكر عن نقل الاخبار

القوة ومياه المطر

نشرنا بين مقالات هذا الجزء مقالة عن القوى الطبيعية وفاتنا ان نذكر بينها قوة مياه المطر لو جمعت في خزانات تبنى لها على جوانب الجبال فاذا بنيت هذه الخزانات على ارتفاع سبع مئة متر فقط عن سطح البحر جمع فيها من الماء ما قوة انحداره تساوي عشرة آلاف مليون حصان تشتغل يوماً بعد يوم على مدار السنة وعلى توالي السنين. وكل الفحم الحجري الذي يستخرج من الدنيا سنويًّا لو حرق في آلات بهذه القوة لما كفاها اكثر من نصف يوم

الترع البحرية الكبيرة

(١) ترعة السويس شُرع فيها سنة ١٨٥٩ وتمت سنة ١٨٦٩ وبلغت نفقات حفرها واتمامها نحو ٢٠ مليون جنيه ما عدا اعمال السخرة. بلغ محمول السفن التي مرَّت فيها سنة ١٨٧٠ نحو ٦٥٥ الف طن وبلغ محمول السفن التي تمرُّ بها الان سنويًّا نحو ١٤ مليون طن وتوزع ربحاً على حاملي اسهمها اكثر من مليوني جنيه كل سنة

(٢) ترعة كنستات وبطرس برج شرع فيها سنة ١٨٧٧ وتمت سنة ١٨٩٠ وبلغت نفقاتها مليوني جنيه

(٣) ترعة كورنثس شرع فيها سنة ١٨٨٤ وتمت سنة ١٨٩٣ وبلغت نفقاتها مليون جنية

(٤) ترعة منشستر تمت سنة ١٨٩٤ وبلغت نفقاتها ١٥ مليون جنيه ويبلغ صافي دخلها السنوي الآن نحو ستمئة الف جنيه

(٥) ترعة القيصر ولهلم بين بحر البلطيك والبحر الشمالي تمت سنة ١٨٩٥ وبلغت نفقاتها ثمانية ملايين جنية ويبلغ دخلها نحو مئتي الف جنية

مؤتمر البعوض

عُقد مؤتمر في السادس عشر من دسمبر الماضي في مدينة نيويورك للبحث عن افضل الطرق لاستئصال البعوض من الدنيا تخلصاً من شره. فمن لنا بمصور ماهر قوي المخيلة يصور بني آدم بخيلهم ورجلهم يجمعون قواهم على هذه الحشرات الصغيرة وهي تغالبهم وتقوى عليهم وقد يجدون بعد اللتيا والتي ان البعوض يضرُّ من وجه وينفع من وجوه اخرى فيأكل من الميكروبات ما لو بقي في الهواء لابتلى الناس باشد مما يبتليهم به البعوض

نعل من غير مسامير

استنبط احد الاميركيين نعلاً لماسيور

من الحديد تشد بها في اعلى الحافر فيحذى الفرس بها من غير مسمار وتنزع حينما يراد نزعها كأنها الحذاء يلبسهُ الرجل ويخلعهُ

الراديوم والنور

يظهر انهُ لا حدَّ لغرائب الراديوم فقد ظهر الآن من غرائبهِ انهُ يؤثر في بعض المركبات الكيماوية فيغير لونها ولو لم يغير تركيبها فاذا وضع انبوب فيهِ بروميد الراديوم في ملح الطعام صار لون الملح برتقاليًّا واذا وضع في كلوريد البوتاسيوم صار لونهُ بنفسجيًّا واذا وضع في بي كربونات الصودا او متا يسلفيت البوتاسيوم صار لونهما بنفسجيًّا ضاربًا الى الحمرة ذلك كلهُ من غير ان يمتزج بها

آثار مصرية

اكتشف المسيو ليغرن المفتش في مصلحة الآثار المصرية تمثالاً من الغرانيت في هيكل الكرنك عليهِ صورة حاكم مدينة طيبة وامرأتهِ وبينهما ابنتهما وذلك في عهد تولية الملك تحوتمس الثالث وامنوفيس الثاني . والتمثال بديع النقش متقن الرسم وهو مملوءٌ بالكتابات الهيروغليفية الواضحة . واكتشف ايضاً آثارًا للملك امنوفيس الاول . ويظهر ان تحت هذه الآثار آثارًا أُخرى لدول قديمة

دار الآثار العربية

احتفل بافتتاح دار الآثار العربية في ٢٨ من شهر دسمبر بمشهد كبير حضرهُ الجناب الخديوي ونظار حكومتهِ وجناب اللورد كرومر وكثيرون من الكبراء الوطنيين والاجانب ووقف سعادة مدير الاوقاف رئيس لجنة حفظ الآثار العربية وتلا خطبة وجيزة ابان فيها اهتمام الامم المتمدنة بحفظ آثار قدمائها وقال ان الديار المصرية جارتها الآن في هذا المضمار لكي تحفظ للمدنية العربية تلك الايادي التي طالما طوقت بها جيد العالم المعاصر فاهتمت بجمع شتات ما تفرَّق من الآثار العربية وزادت عنايتها بتلك البقايا الاثرية فالَّفت لحفظها وللنظر في شؤونها لجنة جمعت من كبار رجال الاعمال وصفوة القوم ما قلَّ ان يجتمع مثلهُ . ثم شكر الجناب الخديوي على اتمام هذه الدار وطلب من سموه ان يفتتحها رسميًّا فاجابهُ الجناب الخديوي شاكرًا لهُ ولحضرات اعضاء اللجنة وافتتح الدار رسميًّا . فدخلها الحضور وتفرقوا في غرفها يشاهدون ما فيها من بقايا الصناعة العربية من الرخام المنقوش والمجوَّف والخشب المحفور والمطعَّم والآنية الزجاجيَّة والنحاسيَّة وادوات العظم والعاج والعقيق والكهرباء والمنسوجات المختلفة بعضها حسن يدلُّ على مهارة في الصناعة تفوق ما وصل اليهِ ابناءُ هذا القطر الآن كالآنية الزجاجية الملونة بالمينا والازيار الرخامية وبعضها في حد السذاجة والخشونة كبعض المنقوشات الخشبية والحجرية . وسنأتي على وصفها بالاسهاب في الجزء التالي

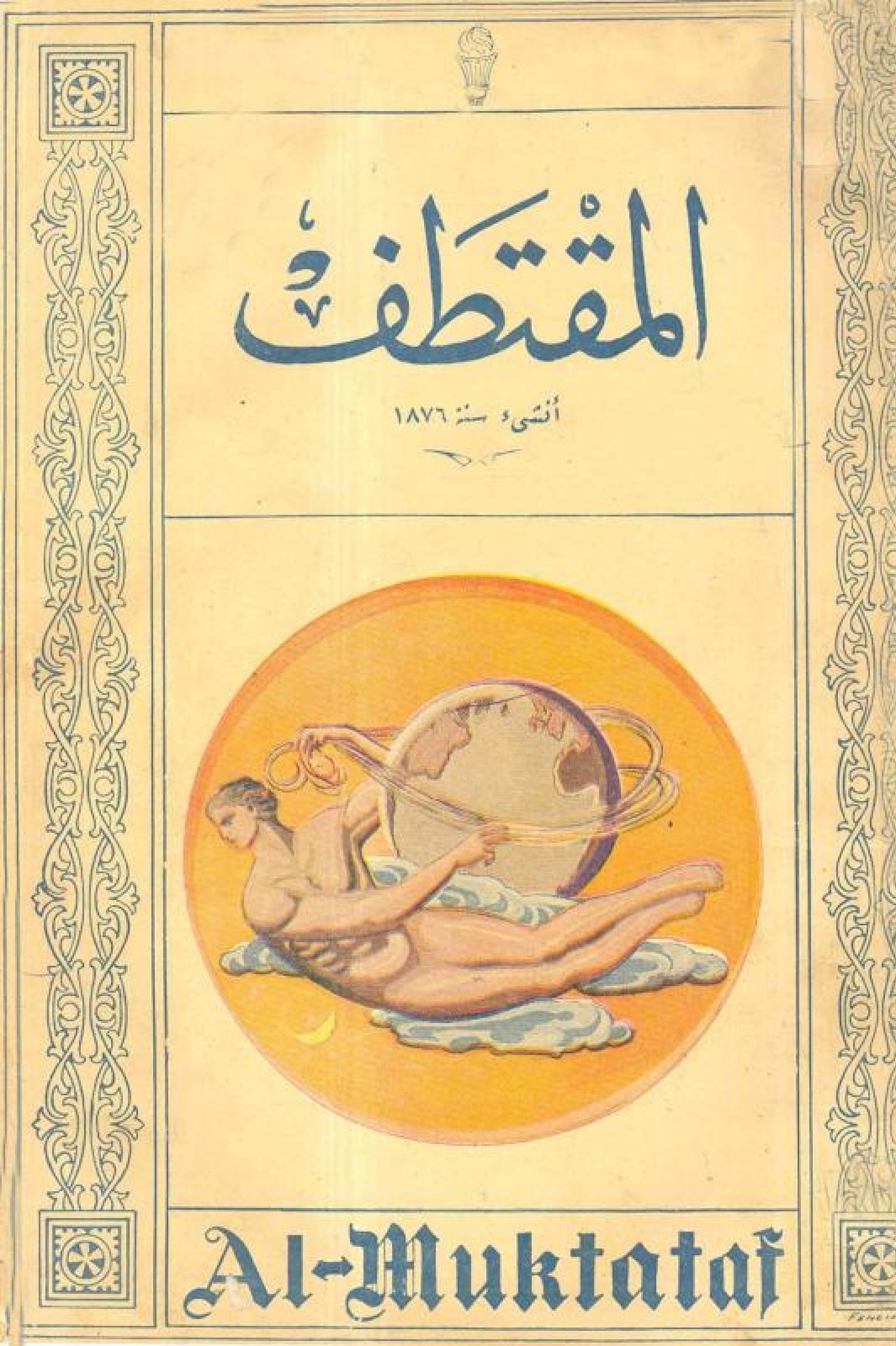
اتلاف الآثار

كنا نطالع بالامس تاريخ الامير حيدر الشهابي الذي طبع حديثاً فعثرنا فيهِ على وصف بعض اثار كشفت قرب بعلبك قال "وفي هذه السنة (١٨٠٠) مرَّ اناس بالقرب من مدينة بعلبك الى جهة الجنوب في مكان يقال لهُ عمود الذهب فرأوا حفرة في الارض فتأملوها واذا فيها علامات توهموا انها كنز وكانوا ثمانية انفس فحفروا في ذلك المكان حتى انتهوا الى باب من حجر عليهِ صخرة فرفعوها ودخلوا واذا مغارة محفورة في صخر وسعها نحو سبع اذرع وفي جانبها ناووسان كبيران من حجر طول الواحد منهما اربع اذرع ونصف وعلى كل واحد منهما غطاء من حجر على هيئة قبة مثلثة وفوق الغطاء سلسلة من حديد مقفولة بقفل مستدير قد علاهُ الصدأ من تمادي الايام فكسروها ولم يقدروا على رفع الغطاء حتى كسروهُ فوجدوا في الناووس الواحد ميتاً قد بلي وصار تراباً الأ عظامهُ وعلى وجههِ غشاء من ذهب رقيق جداً وفي يدهِ خاتمان من ذهب حجر الواحد منها احمر والثاني ازرق منقوش عليهِ صورة طائر وفي الناووس الاخر ميتاً كالاول وعلى وجههِ غشاء من ذهب ايضاً وفي يدهِ خاتم من ذهب وحجرهُ اخضر فاخذوا الجميع . ثم اتوا الى الجانب الاخر من المغارة فوجدوا ثلثة نواويس من رصاص ثخن الواحد منها ثلثة اصابع وطولهُ ذراع وربع وفوقها اغطية من حجر عليها كتابة مجهولة فكسروا تلك الاغطية واذا في النواويس موتى قد صاروا تراباً . ولم يجدوا عليهم شيئاً ولكن وجدوا بين ذلك التراب قطعاً من الذهب صغيرة كالعدس . ووجدوا ايضاً في الجانب الاخر من المغارة ناووساً صغيراً جداً من رصاص وعليهِ كتابة مثل تلك فكسروهُ ولم يجدوا فيهِ الاّ شيئاً كالتراب . واخذوا تلك النواويس الرصاصية ورجعوا الى بعلبك واقتسموها فكانت قنطاراً واربعين رطلاً والذهب واحداً وعشرين مثقالاً فباعوا الرصاص للمكارين بثلاثين من الفضة . وتلك الكتابة التي على النواويس فلم يعرفها احد من الافرنج ولا من الاروام ولا من اليهود . واما حجارة الخواتم فقالت الصاغة ان الازرق منها فيروز والاحمر عقيق" وعليهِ فاتلاف الآثار الذي كان جارياً في القطر المصري واشار اليهِ عبد اللطيف البغدادي كان جارياً ايضاً في القطر الشامي

رواية المقتطف

سنشرع من الجزء التالي في نشر رواية ادبية فكاهية تناسب موضوع المقتطف

فهرس الجزء الاول من المجلد التاسع والعشرين



المقتطف
أنشىء سنة ١٨٧٦
Al-Muktataf

المقتطف

الجزء العاشر من المجلد التاسع والعشرين

١ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٤ — الموافق ٢١ رجب سنة ١٣٢٢

كتاب روزبري عن نبوليون

تمهيد

لما ذكرنا اسماء المشاهير في العام الماضي مرتبة حسب شهرتهم ومقدار ما كُتب عنهم في التواريخ ودوائر المعارف الاوربية والاميركية كان اسم نبوليون اولها فهو باجماع اهالي اوربا واميركا اشهر انسان قام في المسكونة

وقد يُظن ان ما كُتب عنهُ منذ مئة عام الى الآن استغرق كل ما يمكن ان يكتب في هذا الشان وان الكتّاب والمؤرخين لم يتركوا شاردة ولا واردة ولم يفرطوا بشيء بل زادوا القول على ما في مجالهِ من السعة وصوّروا حول هامة نبوليون هالات من المجد استنزفت كل صور الخيال. لكن ظهر من عهد قريب كتاب كتبهُ اللورد روزبري عن اخريات نبوليون جاء مصداقاً للقول المأثور "كم ترك الاول للآخر" لا لان اللورد روزبري اتى باخبار جديدة لم يأتِ بها غيرهُ بل لانهُ محّص ما كُتب في هذا الموضوع ونقّاهُ مما ادخلتهُ فيهِ الاوهام والاغراض ونسقهُ تنسيقاً بديعاً وابدى فيهِ من حسن الانتقاد واصالة الرأي ما يندر نظيرهُ

واسم اللورد روزبري مشهور عند قراء المقتطف بنوع عام وعند المصريين منهم بنوع خاص وهو تلميذ غلادستون وخليفتهُ في زعامة الاحرار من الانكليز وفي رئاسة نظارهم قبل ان اعتزل السياسة . وقد طالعوا بعض خطبهِ مترجمة او ملخصة وعرفوهُ بقوة العارضة وحسن البيان ولكن قد لا يعلم جمهورهم انهُ من كبار الكتّاب . وهذه مزية للانكليز على غيرهم من الامم وهي ان كثيرين من زعمائهم في السياسة هم من زعمائهم ايضاً في الانشاء فيجمعون بين وزارتي السيف والقلم ولذلك ترجح سياستهم على سياسة غيرهم

وقد اتفق لنا ان طالعنا هذا الكتاب ونحن في مكان يشرف على بحر الروم حيث اصطدمت بوارج نبوليون ببوارج الانكليز خصومهِ الالداء الذين تعقبوهُ من حين خفق علَم النصر فوق رأسهِ الى ان أُخمدت انفاسهُ في منفاهُ . واصطدمت قبلها بوارج مصر ببوارج رومية وامتزجت مياهُ البحر بدماء الابطال من عهد رعمسيس الكبير الى عهد نبوليون خاتمة الفاتحين العظام . طالعناهُ فعجبنا من انصاف المؤلف ومهارتهِ في استنباط الحقائق وكشف الغوامض فرأينا ان نقتطف منهُ ماتجيزهُ لنا حقوق التلخيص

(١)　نفي نبوليون

بدأ اللورد روزبري كتابهُ بفصول ذكر فيها رفاق نبوليون والذين كتبوا اخبارهُ في منفاهُ وشرح اطوارهم وبيَّن انهم لم يكتفوا بذكر الحوادث كما هي بل زوَّقوها باذواقهم وزادوا عليها من مخترعاتهم . ويظهر لنا مما قالهُ في عرض كلامهِ عنهم ان اكثرهم كانوا جواسيس عليهِ او صاروا جواسيس يتجسسون امورهُ ويتاجرون باخبارهِ

ولما اتمَّ الكلام عليهم شرع في الكلام على نفي نبوليون فقال " ان الانكليزي ليأسف لان حكومة بلادهِ رضيت بان تحرس نبوليون في منفاهُ ويزيد اسفهُ لانها قامت بهذه الحراسة على اسلوب مهين وبواسطة اناس شكسي الاخلاق فان كان الفرنسيون يتغاظون من ذكر جزيرة القديسة هيلانة فنحن الانكليز نتألم من ذكرها ونتوجع . ولكن قد لا نستطيع في هذه الايام ان نحكم حكماً صائباً في ما كانت عليهِ الاحوال في ذلك الحين فان انكلترا انفقت على مقاومة نبوليون وارسالهِ الى جزيرة البا اكثر من ثماني مئة مليون جنيه ثم اضطرت ان تنفق كثيرًا من الملايين قبل ان تغلبت عليهِ عدا ما خسرتهُ هي وسائر اوربا من النفوس الذين لايقل عددهم عن مليونين فكان على الدول المتحالفة ان تمنع افلاتهُ باية واسطة كانت لئلا يعود الى سابق عهدهِ ويضرم نار الفتنة في اوربا كلها . الاَّ ان خوف اوربا منهُ يزيدهُ شأناً ورفعة قدر

ولما سلَّم نبوليون نفسهُ لانكلترا بعد واقعة وترلو كتب لورد لفربول رئيس وزرائها الى لورد كاسلراي وزير الخارجية فيها يقول حبذا لو استلم ملك فرنسا بونابرت وقتلهُ شنقاً او رمياً بالرصاص لعصيانهِ . ثم كتب اليهِ ثانية يقول " ان كان ملك فرنسا لايرى من نفسهِ المقدرة على معاملة بونابرت كما يعامل العصاة فنحن نأخذ على انفسنا حراستهُ " . وشكر اللورد روزبري ربهُ لان الوزارة الانكليزية لم تسلم نبوليون لملك فرنسا لكي يقتل رمياً بالرصاص كما قتل المرشال ناي الفرنسوي

ولم يكن نبوليون ينتظر ان ينفى الى جزيرة القديسة هيلانة بل كان يحسب ان الانكليز يسمحون له بالسكن في بلادهم كاحد الناس فيقضي غابر عمره في الصيد والقنص منقطعاً عن السياسة ومشاغلها. لكن الحكومة الانكليزية لم تكن تأمن جانبهُ وهو على اميال قليلة من فرنسا ولا كانت تخلص من المشاكل القضائية التي تجرها عليها اقامتهُ في بلادها . وقد دلت الدلائل بعدئذٍ على انهُ كان قاصدًا ان ينتهز اول فرصة تسنح له ليعود الى فرنسا ويضرم نار الفتنة فيها على البوربون . وزد على ذلك انهُ لو اقام في انكلترا لالتف الناس عليهِ من كل صوب من مريديهِ والمعجبين بهِ فيضعف بذلك شأن وزارة المحافظين الذين قهروهُ . ولم يكن يخلو من الانصار حتى في البلاد الانكليزية فقد كتب لورد لفربول الى لورد كاسلراي في هذا الصدد يقول " انك تعلم من اخلاق الناس في هذه البلاد ما يقنعك بان بونابرت يصير موضوع اعجابهم وقد تتعلق قلوبهم بهِ في مدة اشهر قليلة " . وتقاطر عليهِ الزوار لما وصل بليموث فأيَّد ذلك راي لورد لفربول وكان هو يعلم هذا فقال وهو في جزيرة القديسة هيلانة انهُ لو اقام في بلاد الانكليز لسبى قلوب اهاليها . وظهر ذلك جليًّا على بحارة السفن الانكليزية التي سار فيها الى جزيرة البا والى انكلترا وجزيرة القديسة هيلانة فانهم كانوا يحبون بهِ و يدعون له بطول العمر . وزد على ذلك ان ولي عهد انكلترا الذي كان نائب ملكها حينئذٍ كان ميالاً اليهِ حتى قال لورد كيث امير البحر انهُ لو التقى بنبوليون وكلمهُ نصف ساعة لصار من اعز اصدقائهِ . وجملة القول انهُ لو سُمح لنبوليون ان يقيم في انكلترا لكان منهُ خطر كبير على الوزارة الانكليزية وعلى الحكومة الفرنسوية ولو سُمح له ان يقيم في اوربا او في اميركا لما أخلد الى السكينة لان طبعهُ يأباها او لاغتالتهُ يد خصومهِ ولذلك اتفقت الآراء على ابعادهِ الى جزيرة القديسة هيلانة حفظاً للسلم العام

ولما أُخبر بعزم الحكومة الانكليزية على ارسالهِ الى هذهِ الجزيرة اغتاظ وقال انهُ لا يذهب اليها حيًّا ثم رضخ لاحكام القدر وقابل بلواهُ بالصبر . وأُمر الذين اخذوهُ الى الجزيرة ان يعاملوهُ كجنرال متقاعد ولا يلقبوهُ الا بلقب الجنرال بونابرت . وصعد الى ظهر السفينة يمشي حاسر الرأس فبقي الضباط جالسين ولم يكشفوا رؤوسهم ولم يعاملهُ اميرال السفينة بالاكرام في اول الامر ثم احبهُ وصار يكرمهُ وقال انهُ كان اقل الركاب شكوى من تقلبات الهواء واشتداد الانواء

وكان بحارة السفينة يسيرون فيها على غير رضاهم وقد جاهروا بالعصيان قبل خروجها من مرفإِ بليموث وأُجبروا على البقاء فيها بالقوة ولذلك لا عجب اذا عانى الاميرال المشاق في قيادتهم

وارضاء نبوليون ومنع اتصالهم بهِ . ووصلت السفينة بهِ الى الجزيرة بعد تسليمهِ بثلاثة اشهر وبقي في حراسة اميرالها الى ان وصل الجزيرة والٍ جديد وهو السر هدسن لو

(٢) السر هدسن لو

قال لورد روزبري فما ذُكر احد في التاريخ ذكرًا غير مشكور كما ذكر "لو" هذا فان نحسهُ جعلهُ يقبل هذا المنصب الذي كان صعباً على سواه ويستحيل النجاح فيهِ عليهِ فقد كان شكس الاخلاق سريع الغضب لا يعرف طرق المجاملة وقد قال نبوليون عنهُ حينما وقع نظرهُ عليهِ ان عينهُ كعين ضبع اخذت في فخ . وقالت لادي غرانفل وقد رأتهُ بعد عودتهِ من الجزيرة بسنتين ان وجههُ مثل وجه الشيطان . ولكن الحكومة التي كانت تود ان يقتل نبوليون شنقاً او رمياً بالرصاص لا يكبر عليها ان تختار لحراستهِ رجلاً مثل هذا وربما لم تكن تجد غيرهُ يقبل بهذا المنصب المحفوف بالمكاره . ومما يثبت ما قيل عن شكاسة اخلاقهِ شهادة دوق ولنتون فقد قال عنهُ انهُ كان جاهلاً احمق حسودًا سيّئ الظن . وشهادة الاميرال ملكلم ومندوبي فرنسا والنمسا وروسيا فقد قال الاميرال ملكلم انهُ وجد الجزيرة مملوءة بجواسيس لو وقال المندوب الفرنسوي انهُ كان يستحيل على انكلترا ان تجد رجلاً اشكس اخلاقاً منهُ . وقال عنهُ المندوب النمسوي انهُ منغص العيش دائمًا ولا يجد لهُ مسرَّة الاَّ بتنغيص عيش غيرهِ فالانكليز يخافونهُ والفرنسويون يضحكون عليهِ والمندوبون يشكون منهُ والكل متفقون على انهُ نصف مجنون . وكان المندوب الرومي يودهُ وتزوج ابنة زوجتهِ لكنهُ قال عنهُ انهُ متعب جدًا لا يُحتَمل لفرط سخافتهِ ويستحيل عليهِ ان يسالم احدًا لانهُ لا يرى في الناس الاَّ الخيانة والغدر

ومما يدل على سخافة عقلهِ انهُ ابى ان يكلم المندوبين الاَّ بالانكليزية وكان المندوب الفرنسوي لا يعرف كلمة من الانكليزية و "لو" يحسن الفرنسوية . وبقي مصرًّا على رأيهِ واخيرًا عرض على المأمور الفرنسوي ان يخاطبهُ باللاتينية بناء على انها كانت اللغة الرسمية في القرن السادس عشر . واعطى بعضهم للمندوب الفرنسوي بزورًا من اللوبياء البيضاء والخضراء ليزرعها فاوجس لو من ذلك شرًّا وحسبهُ دسيسة زاعمًا ان البزور البيضاء تشير الى البوربون لان علمهم ابيض والخضراء تشير الى نبوليون لانهُ يلبس غالبًا سترة خضراء

ومما يدل على سخافة عقلهِ ايضاً وسوء سلوكهِ انهُ دعا نبوليون مرة للعشاء عندهُ وارسل الدعوة الى الكونت برتران على هذه الصورة " اذا سمح الجنرال بونابرت فالسر هدسن لو ولادي لو يسرَّان بشرف مشاركتهِ لهما في العشاء اكرامًا للكونتس يوم الاثنين المقبل الساعة السادسة مساء وهما يطلبان من الكونت برتران ان يوصل هذه الدعوة الى الجنرال ويخبرهما عن

جوابهِ " وأخبر برتران نبوليون بها فتأفف وقال ما اقل عقلهُ لا ترسل اليهِ جواباً. والكونتس المشار اليها هنا هي زوجة لورد موير حاكم الهند · اي ان لو اولم وليمة اكراماً لهذه الكونتس ودعا الامبراطور نبوليون ليحضر الوليمة اكراماً لها ولم يكتفِ بذلك بل لقبهُ باللقب الذي يعلم انهُ يغيظهُ ويغيظ فرنسا كلها وهو يحسب انهُ احسن صنعاً · وكفى بذلك دليلاً على سخافة عقلهِ ان لم يكن على قلة ادبهِ

ولا شبهة في ان السر هدصن لو كان يقصد خدمة بلادهِ لكنهُ جوزي منها جزاء سنمار على ما قال لورد روزبري فأرسل الى سيلان بعد وفاة نبوليون ولما انقضت مدة خدمتهِ لم يعطَ خدمة اخرى ولا أُعطي معاشاً · ومرَّ وهو راجع من سيلان على البيت الذي كان فيهِ نبوليون فوجد انهُ صار مزرباً للدواب

وظهر كتاب الدكتور اوميرا عن منفى نبوليون وقد صوَّب فيهِ سهام الذم للووالتنديد بهِ فعدَّ ذلك قذفاً وطلب محاكمة المؤلف ولجأ الى اثنين من المحامين فقالا لهُ عيّن لنا اماكن القذف فاخذ يقرأ الكتاب ولما تيسر لهُ تعيين اماكن القذف قال القضاة ان زمن رفع هذه الدعوى قد فات فاضطرَّ ان يدفع النفقات ولا ينال شيئاً · وطلب من الحكومة ان تدافع عنهُ فلم يلقَ مجيباً واخيراً دافع عنهُ واحد بكتاب كبير في ثلاثة مجلدات لكن الكتاب ظهر بعد وفاتهِ بتسع سنوات فلم يستفد منهُ وهو ضخم مملٌّ لا يقرأهُ احد

(٣) مسألة اللقب

واسهب لورد روزبري في مسألة تلقيب نبوليون بلقب جنرال فقال ان كل دول الارض ما عدا انكلترا اعترفت بنبوليون امبراطوراً لفرنسا غير انها كانت مستعدة ان تعقد معهُ صلحاً كامبراطور والبابا نفسهُ مسحهُ امبراطوراً وقد أُعطي كل المزايا التي تعطى لاصحاب هذا اللقب سياسياً ودينياً وكان اعظم امبراطور قام في اوربا بعد شارلمان والالقاب التي منحها في فرنسا اعترف بها الذين خلفوهُ فكأنهم اعترفوا بسلطتهِ على منحها · وولنتون نفسهُ كان يلقب اخاهُ بلقب ملك فلم يكن انكار الحكومة الانكليزية عليهِ لقب الامبراطور الأَّ من قبيل السخافة ومثل ذلك تلقيب البارلمنت لهُ بنبوليون بونابرته Buonaparté كأَنهُ اراد ان يجردهُ من الجنسية الفرنسوية ايضاً

وما عَنَتْهُ الحكومة الانكليزية بالجبة اجراهُ السر هدصن لو بالقنطار وجرى على خطتهِ الى ما بعد وفاة نبوليون فان اتباعهُ ارادوا ان يكتبوا على تابوتهِ اسمهُ نبوليون مجرَّداً من كل لقب فابى لو ذلك وقال بل اكتبوا معها بونابرت فابوا هم ايضاً وتركوا التابوت من غير اسم

وعدَّد لورد روزبري امثلة كثيرة من هذا القبيل ثم نصب ميزان الجدَل واورد حجج الذين دافعوا عن الحكومة الانكليزية في اغفالها لقب الامبراطور وعززها بكل ما يمكن من ادلتهم حتى يظن القارئ انهُ لم يبقَ للمخالفين كلام يقولونهُ ثم انقضَّ على تلك الحجج بالشواهد التاريخية والنتائج العقلية فقوضها تقويضاً. وها نحن موردون بعض ما اوردهُ ليظهر منهُ كيف يجول امراءُ الكلام في ميادين الجدل. نقل اولاً كلام السر ولتر سكوت كاتب سيرة نبوليون وهو

"لا شيء يدعو بريطانيا لمجاملة اسيرها وتلقيبهِ بلقب ضنَّت عليهِ بهِ حينما كان زمام الامبراطورية الفرنسوية في يدهِ"

ثم قال "ان مفاد عبارة سكوت ان بريطانيا غير مضطرَّة ان تجامل نبوليون حينما لم تعد ترجي منهُ نفعاً وهي لم تجاملهُ حينما كانت تنتظر منهُ النفع مع انها كانت ترغب في تلك المجاملة حينئذٍ لانها فوَّضت الى لورد يرموث ولورد لودرديل ان يخابرا الامبراطور نبوليون سنة ١٨٠٦ وكان لقب الامبراطور مرعيًّا في مؤتمر شاتيلون الذي أُرسل اليهِ كلٌّ من نبوليون ونائب ملك الانكليز نائبًا مفوَّضًا. ولو لم يوجس نبوليون شرًّا لعقدت المعاهدة فيهِ وامضاها الفريقان

ثم ان بريطانيا اعترفت بنبوليون امبراطورًا في جزيرة البا لان نائبها السر نيل كمبل كان يلقبهُ في المحررات الرسمية بجلالة الامبراطور نبوليون S. M. l'Empereur Napoléon "

وقال السر ولتر سكوت انهُ لو اعترفت بريطانيا بنبوليون امبراطورًا لاضطرَّت ان تعاملهُ كامبراطور ولم يعد في وسعها الاحتفاظ بهِ كاسير وقال ان ذلك سبب جوهري لانكارها عليهِ لقب الامبراطور. فردَّ عليهِ لورد روزبري بقولهِ "ان الحكومة التي تعدُّ هذا السبب جوهريًّا خالية من كل جوهر لانهُ لم يكن يتعذَّر عليها ان تجد في حكم نبوليون سوابق تجيز لها سجنهُ مع تلقيبهِ بلقب امبراطور كما سجن هو فرديننـد ملك اسبانيا. واذا قال نبوليون حينئذٍ انني انا لم اعترف بفرديننـد ملكاً جارتهُ الحكومة الانكليزية في ذلك وقالت انها هي لم تعترف بنبوليون امبراطورًا وزد على ذلك ان في اوربا متسلطاً تفوق سلطتهُ سلطة الملوك لان ملوك اوربا يعترفون انهُ نائب الله على الارض وهو بابا رومية وهذا البابا قد توَّج نبوليون امبراطورًا ومع ذلك فان نبوليون قبض عليهِ وسجنهُ ولم يقل احد كيف يسجن البابا وهو صاحب التاج المثلث ولا انحطَّ شأن البابوية بذلك فلم يكن اذًا سبيل للامبراطور نبوليون ان يعترض على انكلترا لسجنها اياهُ وهو امبراطور لانهُ هو سار على هذه الخطة قبلها"

وقال السر ولتر سكوت انهُ لو لقبت انكلترا نبوليون امبراطور فرنسا فماذا يكون شأن الملك

لويس الثامن عشر وملك اي مملكةٍ يكون. فاجاب اللورد روزبري "اولاً ان نبوليون لم يلقب نفسهُ امبراطور فرنسا بل الامبراطور نبوليون. وثانياً ان ملك الانكليز بقي يلقب نفسهُ وتلقبهُ حكومتهُ بملك فرنسا مع انهُ كان على فرنسا ملك معترَف بهِ وهو لويس الخامس عشر وخلفهُ لويس السادس عشر فكيف حقّ للحكومة الانكليزية ان تلقب ملكها بملك فرنسا وعلى فرنسا ملك شرعي. ولم تترك انكلترا تلقيب ملكها بملك فرنسا الاَّ على عهد نبوليون ولعلها فعلت ذلك ارضاء لهُ. ولكن الحكومة الانكليزية احسنت في انها لم تجادل نبوليون بادلة السر ولترسكوت والاَّ لثار نبوليون في وجهها كالاسد وافسد حجتها من تاريخها وبيَّن لها انهُ ابقى لملك شارل الرابع القابهُ مع انهُ وضع اخاهُ يوسف بدلاً منهُ على عرش اسبانيا"

ثم ذكر السر ولتر سكوت حكم مؤتمر برلين بتجريد نبوليون من الحقوق المدنية وحسبانهِ عدوًّا لنوع الانسان ومقلقاً للراحة لانهُ نقض الاتفاق الذي جُعل بموجبهِ امبراطوراً على جزيرة البا وعدَّ السر ولتر سكوت ذلك دليلاً على ان اوربا جرَّدت نبوليون من كل الالقاب. فردَّ عليهِ لورد روزبري بقولهِ "ان نبوليون لم ينقض ذلك الاتفاق بل نقضتهُ حكومة فرنسا لانها تعهدت ان تدفع اليهِ مليوني فرنك كل سنة والى عائلتهِ مليونين ونصف مليون وتعطي ابنهُ دوقية بارما وبياشنزا وغواستلا فيلقَّب برنس تلك الدوقيات وذلك كلهُ مقابل تنازل نبوليون فلم تقم بشيءٍ مما تعهَّدت لهُ بهِ فهي البادئة بنقض العهود. وكان امبراطور روسيا وامبراطور النمسا ووزير انكلترا يطلبون من حكومة فرنسا ان تقوم بعهودها فيجيبهم الوزير تليرند انهُ يخاف ان يرسل المال الى نبوليون فيستعملهُ في حشد الجنود ثم يقول لمولاهُ الملك اننا نتذرَّع بالمطل فتضطر انكلترا ان تدفع المال من جيبها. وقد صرَّح لافايت ان البوربون قصدوا ان يحملوا نبوليون على عمل منكر حتى يفتكوا بهِ وكانوا يفكرون في طريقة يغتالونهُ بها. ولذلك فالمحالفون هم الذين نقضوا المعاهدة لا نبوليون فهم اولى منهُ بالحرمان من الحقوق المدنية ان كان حرمانها نتيجة نقض المعاهدة

ثم ان الامة الفرنسوية لم تصادق على حكم ذلك المؤتمر بل ايَّدت رغبتها في عودة نبوليون اليها وتولي شؤُونها وخروج البوربون منها بالصوت العام (بلبيسيت) فكيف تستحل الدول الاخرى ان تغض الطرف عن ارادة امة باكلها

وقد يقال انهُ ان كانت الحكومة الانكليزية قد اساءت في انكارها على نبوليون لقب امبراطور فنبوليون اساء ايضاً في انهُ لم يترفَّع عن هذه الطفائف لاسيما وان شهرتهُ كانت قد طبَّقت الخافقين ورسَّخ لهُ في التاريخ اسماً لا ينالهُ كيد خصومهِ بمكروه. وهو احتجاج حسن

لاسيما وان اسم نبوليون كان قد صار فوق كل الالقاب · ويذكرنا هذا بما فعلهُ الامبراطور كارلس الخامس لما تنازل عن الملك وزهد بالدنيا فانهُ طلب ان لا يُلقَّب بعد ذلك بلقب الامبراطور وصنع ختماً جديداً عُطلاً من صورة التاج · واهديت اليهِ مرةً طاقةٌ من الازهار فرفضها لانها كانت موضوعة في سلَّة عليها رسم التاج · ويُردُّ على ذلك بان كارلس ابن الملوك الصيد ورث الملك عن آبائهِ واجدادهِ فسواء تربع على عرش الملك او لم يتربع عليهِ فدم الملوك جارٍ في عروقهِ لا ينكرهُ احد عليهِ · وزد على ذلك انهُ كان قد زهد في الدنيا وطلب ان يصير راهباً واما نبوليون فكان عصامياً وقد نال ما نال من الملك والسودد بقوة ذراعهِ وجنانهِ وكان لقب الامبراطور غاية ما بلغهُ بعد الجهد والعناء فلم يسهل عليهِ تركهُ اطاعة لعدو منتقم · وهو لم ينظر الى ذلك فقط بل نظر الى ما هو اهمّ منهُ واجلّ شأناً وذلك انهُ حسب ان انكار هذا اللقب عليهِ اهانة للأُمَّة الفرنسوية التي لقبتهُ بهِ وانكار لحقها في اختيار ملكها ولسني المجد التي قضتها في عهدهِ ولا يُقصَد بهذا الانكار الاَّ محو آثار ذلك المجد من تاريخ فرنسا · واذا لم يكن هو امبراطوراً فلا يكون جنرالاً لان الامة التي لقبتهُ امبراطوراً هي التي لقَّبتهُ جنرالاً · وموقف نبوليون في حجتهِ هذه ثابت لا يتزعزع

وقد قال السر ولتر سكوت ان نبوليون رضي ان يقيم في بلاد الانكليز متخفياً (incognito) مثل الملك لويس الثامن عشر الذي سمى نفسهُ كونت ليل فلماذا لم يقم متخفياً في جزيرة القديسة هيلانة · وردَّ اللورد روزبري عليهِ بقولهِ "ان نبوليون طلب ان يقيم متخفياً في جزيرة القديسة هيلانة باسم الكولونل مويرون او باسم بارون دوروك ودامت المخابرة في ذلك مع السر هدصن لو عدة اسابيع · ويقال ان لو عرض على نبوليون ان يسمي نفسهُ "كونت ليون" وكاد نبوليون يقبل بهذا الاسم لو لم ينبههُ احد رجالهِ الى ان كونت ليون لقب لرئيس كنيسة ليون الكبرى فقال اذاً لا يحق لي ان انتحل لقباً لغيري · واخيراً ابت الوزارة الانكليزية على نبوليون ان يتلقب بلقب منتحل مهما كان لان الملوك يفعلون ذلك · فاللوم في كل ما حدث من مسألة اللقب عائد على الوزارة الانكليزية لا على نبوليون ولا على لو . ولما رأى لو ان المسألة لم تحل الغى كلمة جنرال من مكاتباتهِ وصار يسميهِ نبوليون بونابرت بلا لقب ولا كنية كأنهُ هيُّ بن بيّ"

هذا وكل ما ذكرناهُ في هذه المقالة مقتطف من كتاب اللورد روزبري ولو لم نشر اليهِ في كل فقرة وسنتم الاقتطاف منهُ في الجزء التالي

المهاجرة الى اميركا

كتب الدكتور الن مكلولن من اطباء مصلحة الصحة في الولايات المتحدة الاميركية مقالة وجيزة في هذا الموضوع قال فيها: — كان الذين يؤمون الولايات المتحدة الاميركانية قصد استيطان ثغورها بعد معاهدة باريس التي عقدت سنة ١٧٨٣ يسمَّون بالمهاجرين. وكانوا يسمَّون قبل حرب الثورة بالمستعمرين والفرق بين التسميتين سياسيٌّ. فان المستعمر كان مهاجرًا يروم انشاء وطن جديد له في بلاد جديدة مع بقائهِ من رعايا وطنهِ الاصلي. واما المهاجر فكان يسعى الى تغيير رعويتهِ واستبدالها برعوية جديدة. ولا تزال حكومة ايطاليا الى الآن تعدُّ الايطاليين الذين هاجروا بلادها واستعمروا الولايات المتحدة ولم يغيروا جنسيتهم من جملة رعاياها. وهذا هو معظم الفرق بين المستعمر والمهاجر

ولم يكن في ذلك الزمان مدن كبيرة مزدحمة بالسكان يقصدها البهال كما هي الحال عليهِ في هذه الايام ولا كان هناك معامل كبيرة او مناجم تستدعي عمل العمال لان البلاد كانت براريَّ وحراجًا لم تطأها قدم انسان ماعدا منطقة ضيقة على الساحل وكان المهاجرون الاولون قومًا لا تثني لهم المصاعب همة ولا تلوي عزيمة فنحتوا الجبال بيوتًا ومهدوا لهم سبلًا في قلب الغابات الكثيفة دون ان يرجوا اجرًا او شكورًا بل كل ما كان يندبهم الى العمل همة قعساء ورغبة في تأسيس وطن جديد يكفيهم مؤونة ما كانوا يلقون من الذل والنكد والاضطهاد في وطنهم القديم وعليهِ فقد كان المستعمر الاول حطابًا وفلاحًا ترك خلفهُ مشاقَّ كثيرة من مثل الخدمة العسكرية الالزامية والاضطهاد الديني والجنسي والضرائب الثقيلة الحمل والحروب الاهلية ونظام الاقطاعات ووجد في مقرهِ الجديد ملكًا مشاعًا واستقلالًا تامًّا لا يشوبهُ اضطهاد ولا اضغان جنسية او دينية وحرية شخصية واحترامًا لحقوق الفرد بلا نظر الى مقامهِ الاجتماعي. فهذه المزايا الجليلة وامثالها حملت الالوف على المهاجرة حتى قدَّروا ان عدد الذين هاجروا الى الولايات المتحدة من اوربا بلغ ١٥٠ الفًا بين سنة ١٧٨٣ و سنة ١٨١٠ وكان معظمهم من الجزائر الانكليزية والباقون من الالمان والفرنسويين واهالي اسوج ونروج

ثم انقطع سيل المهاجرة او كاد من انكلترا بسبب اشتباكها مع الولايات المتحدة في حرب سنة ١٨١٢ ثم عادت المياه الى مجاريها بعد انتهاء الحرب فدخل الولايات المتحدة نحو ٢٠ الف مهاجر. وطغى السيل بين سنة ١٨٣١ و سنة ١٨٤٠ وجعل يزيد على التوالي حتى بلغ معظمهُ في العشرين سنة التالية وكان سبب الزيادة ابتلاء ارلندا بالجدب والقحط واشتداد ازمة

الصنّاع في المانيا وثورة سنة ١٨٤٨ واكتشاف مناجم الذهب في كليفورنيا

وبلغت مهاجرة الارلنديين الربى بين سنتي ١٨٤١ و ١٨٥٠ فكانت ٤٦ في المئة من مجموع المهاجرين ثم جعلت تنخفض حتى صارت ٤ في المئة . واما الالمان فما زالوا يهاجرون افواجاً حتى سنة ١٨٨٠ وما بعدها بسنوات قليلة فبلغوا حينئذٍ ٣٠ في المئة من مجموع المهاجرين ثم تناقص عددهم حتى بلغوا الآن ١٠ في المئة من المهاجرين . وقس على ذلك اهالي اسوج ونروج

ولما تناقص عدد المهاجرين من البلدان المذكورة اخذ عدد المهاجرين من ايطاليا والنمسا وروسيا يزيد فدخل الولايات المتحدة ٣٦٣١ ايطالياً و ٧٦٥٨ نمسوياً و ٨٩٨١ روسياً سنة ١٨٧٥ ثم زاد ذلك العدد زيادة عظيمة حتى بلغ عدد المهاجرين الايطاليين ٢٣٠٦٢٢ نفساً والنمسويين ٢٠٦٠٠١ والروس ١٣٦٠٩٣ سنة ١٩٠٣ اي ان عدد المهاجرين الايطاليين والنمسويين والروس كان ٩ في المئة من مجموع المهاجرين سنة ١٨٧٥ فصار اليوم نحو ٦٧ في المئة منهُ

وقد كان المهاجرون الاولون يختلفون كل الاختلاف عن مهاجري هذه الايام فان الاولين كانوا زرّاعاً وفلاحين كما سبق القول ولكن اكتشاف مناجم الفحم الحجري والحديد جعل الحاجة ماسّة الى صنف آخر من الناس يسمَّى بالعمال وزادت الحاجة الى العمال بمد سكك الحديد في البلاد . ثم ان زيادة المعامل الصناعية جعلت مهرة الصنّاع ومهندسي الآلات الميكانيكية في كل قطر يهاجرون الى الولايات المتحدة افواجاً . فكانوا لازمين للبلاد في بادئ الامر . اما الآن فلا لزوم لهم بعد بل ان مزاحمتهم للصناع الاميركيين تضايق هؤُلاء وتسدُّ ابواب التكسب والارتزاق في وجوههم

هذا وان سرعة نماء المدن الكبيرة في الخمس والعشرين سنة الماضية حملت صنفاً آخر من الناس على المهاجرة وهو صنف الحَلَم الانساني الذي يعيش على غيرهِ ولا يعتمد على نفسهِ في معيشتهِ . وعليهِ يمكن قسمة المهاجرين الذين يهاجرون الى الولايات المتحدة هذه الايام الى اربعة اقسام . الاول الفلاحون . والثاني العمال . والثالث الصنّاع . والرابع الحَلَم . فالفلاحون يشتملون على الذين يعملون في المزارع والذين يستأجرون الاراضي او يشترونها قصد استغلالها والاقامة فيها . والعمال هم جميع الذين يعملون في المناجم والمعامل واعمال البناء العظيمة . وهذان القسمان لازمان ولاغنى عنهما لتقدم فلاحة البلاد وصناعتها . والقسم الثالث يشتمل على المهندسين الميكانيكيين وحذاق الصناع وارباب الحرف والمهن وغيرهم من الذين يهاجرون الى اميركا ويزاحمون الاميركيين في صنائعهم . وهو ليس لازماً لتقدم البلاد وقد لايكون ذا قيمة

فيهِ . واما القسم الرابع فلا قيمة لهُ البتة كما يدل اسمهُ عليهِ بل انهُ مضرٌ بجسم البلاد وهو يتضمن الحدّادين والشحاذين والبطّال وسائر الذين يتجمعون في المدن الكبيرة فلا يستطيعون عملاً بدنيًا شاقًا او لا يريدونهُ فهؤلاء عبءٌ ثقيل على عاتق المجتمع الانساني وضررهم بجسم الامة على نسبة عددهم

ويقال في الختام ان احوال اوربا الاجتماعية والسياسية تعين كمية المهاجرة الى اميركا وكيفيتها . فالبلاد التي حكومتها عادلة ورعيتها ناجحة لا يهاجر عدد كبير من اهلها منها والذين يهاجرون منهم هم من الطبقة الدنيا وذوي الفقر والمسكنة . وخير مثال لذلك المانيا فان اثراءها ونموّ روح الوطنية في صدور الاهالي ورضاءهم عن حكومتهم كل ذلك قطع سيل المهاجرة منها الى اميركا او قلّلهُ كثيرًا . والذين يهاجرون منهم الآن دون الذين كانوا يهاجرون منذ ٢٥ سنة . وخير لاميركا ان يؤمها الفلاحون الاقوياء الابدان من بلدان معارفها قليلة من ان يؤمها فاسدو الاخلاق والمجرمون والمرضى بامراض معدية واصحاب العاهات من بلدان درجة العلم والمعارف فيها عالية مرتقية

واليوم يهاجرون الى اميركا الفلاحون كما كانوا يهاجرون اليها فيما مضى ويهاجر اليها العمال والبلاد محتاجة اليهم فتقبلهم على الرحب والسعة ويهاجر اليها ايضاً رغماً عنها كلُّ افاق لا يستطيع المعيشة في غير المدن الكبيرة . انتهى كلام الدكتور مكلولن

وكأن الكاتب اشار في القسم الرابع من هذه الاقسام الى معظم الذين هاجروا الى اميركا من الشرق الادنى سواء كان ذلك من سورية او غيرها والى اكثر اليهود الذين هاجروا اليها من روسيا فان جمهورهم من اهل الطبقة الدنيا الذين لم يتعلموا ولم يتهذبوا

قلنا ان معظم الذين هاجروا الى اميركا كانوا على مثل ما وصفنا لا كلهم لان بين الذين هاجروا اليها عددًا عديدًا من الذين كانت غايتهم من المهاجرة طلب الرزق بالوسائل القانونية وشعارهم الصدق والامانة في المعاملة ورأس مالهم العلم والتهذيب والفضائل التي تلقوها في الوطن وربوها في ديار الغربة . ومن هؤلاء من عاد الى وطنهِ لينفع قومهُ ومنهم من آثر البقاء في اميركا وتجنس بالجنسية الاميركية حاسباً ان وطن الانسان حيث يكتسب رزقهُ وينال حريتهُ ويأمن على نفسهِ ومالهِ . فامثال هؤلاء يجلهم الاميركيون ويحترمونهم ويحسبونهم منهم فيهم

على انهُ لو كان فقراء سورية يقصدون اميركا للعمل في ارضها او في معاملها لعدهم الاميركيون من القسمين الاولين اللذين قال الكاتب فيهما انهما لازمان للبلاد لاغنى لها

عنهما ولقدومهم على الذين يقصدونها للاتجار ولو كانوا اكثر منهم مالاً واسمى تربية واوفر تهذيباً وذلك ميسور لفلاحي سورية نظرًا الى اعتيادهم حراثة الارض والى تسهيل الحكومة الاميركية سبل الحراثة والزراعة في وجه كل من يريد احترافهما في بلادها

وقلنا الشرق الادنى احترازًا من الشرق الاقصى وخصوصاً الصين فان الصينيين يملاؤون اطراف الولايات المتحدة الاميركية ويحترفون بعض الحرف السهلة مثل كيّ الثياب وما اشبه ولكنهم يتقنونها حتى يسابقوا الاميركيين فيها ويسبقوهم لاسيما وانهم يقتضون اجرة اقل مما يطلبهُ الاميركيون لان نفقاتهم زهيدة لا تكاد تذكر في جنب نفقات الاميركيين فلذلك يكرههم هؤلاء ويعدونهم دخلاء متطفلين على موائد رزقهم . واذا كرهوهم فانما يكرهون فيهم تقتيرهم وقناعتهم بالقليل من الربح وشظف معيشتهم

فعسى ان يهتم السوريون المهاجرون الى اميركا بابتياع الاراضي الزراعية واستغلالها كما فعلوا في هذا القطر فيعدوا من الطبقة الفضلى بين المهاجرين . لان الخيرات التي ينالها ارباب الزراعة يستخرجونها من التراب والماء والهواء فتصير بضاعة ثمينة بعد ان كانت ضائعة وتزيد بها ثروة البلاد وقوتها

اكليل الغار

—لكوكب البحار—

مرثاة للاميرال مكاروف بقلم تولستوي الفيلسوف الرومي الشهير نظمت ببعض تصرف اخذًا عن جريدة المحبة الغراء

أبكي ابا الهيجاء اوحد عصرهِ من كان غنم الدهر طاعة امرهِ
والنصر خادنهُ لآخر عمرهِ والآن لجُّ البحر مدرج قبرهِ
فيهِ مكاروفٌ ثوى بسلام

ذاك المحيط القاتم المتموجُ في عمقهِ الاجيال تلوًا تدرجُ
كيف احتوى من للخطوب يفرّجُ ولدى الوغى بدم العداة يضرّجُ
ويبيدهم بالصارم الصمصام

ولهُ اعدَّ النصرُ اكليلَ العلا ليبيت بالمجد الاثيل مكلَّلا
وعليهِ شعب الروس بات معوّلا ورجوهُ بالاعدا البغاة منكّلا
فيردهم فرقًا بغير نظامِ

لكنما حكم القضاء له انبرى وبغير ابطاء بنكبتهِ جرى
ما امهلتهُ الحادثات ليبهرا هذا الكيان وكلَّ افكار الورى
بالحزم والتدريب والاقدامِ

هل هابَ منهُ الدهرُ ضدًّا يقلقُ ام بات شخص الموت منهُ يفرقُ
لما رآهُ وهو منهُ الاسبقُ لبلوغ ارواح العدى اذ يطبقُ
بجموعهم كالليث بالاغنامِ

أم أثقل الغبراء وازنُ مجدهِ فشكت قصورًا دون محمل جدهِ
فسما وطُهْر النفس اثر بُردهِ نحو السماء مخلفًا من بعدهِ
جثمانهُ فوق المحيط الطامي

ولذاك بات بهِ المحيط يفاخرُ ولحرصهِ اضحى عليهِ يحاذرُ
من ان تمدَّ الى بهاهُ نواظرُ مع درّهِ في لجّهِ هو ذاخرُ
جسمًا كنوزَ العالمين يسامي

هذي الطبيعة كاشفتهُ أمرها فرأتهُ ممتدًا ليكشف سرها
حذرُ العظيم من الاعاظم جرّها لحياتهِ الجلّى توجهُ ضرّها
فعنا الجريُّ لنافذ الاحكامِ

اذ ان اسرار الطبيعة فائقه لغموضها تعنو العقول الرائقه
واذا رأيتم من امور شائقه فلتلك جاءتها عزائمُ صادقه
ان العظيمة من اخي الاعظامِ

الزيتُ من طول اشتعالٍ ينضبُ والفيضَ من نهر جفافُ يعقبُ
والنور من طول الانارة يغربُ وكذا حياة اخي العظائم تذهبُ
اذ يستضيق الارضَ كلُّ همامِ

يا من باسرار الحياة تحيّرا وعن البلوغ لكنهِ ذلك قصّرا
عبثًا تحاول كشف ما قد أضمرا ليستْ حياة المرء الاَّ مظهرا
للوهمِ يتلوهُ الردى كمنامِ

في كل عصر سابق ظن الملا ان الكمال لهم أتمّ وأكملا
بوسائل من ارضنا لهمُ انجلى أو جاءهم وحيًا يساق من العلا
لكن ترى يا معشر الانامِ

اين الكمال لنا يزف حقائقه هل في قلوب بالقساوة دافقه
اضحت لسفك دم الخلائق عاشقه لا رحمةٌ ام في قلوب زنادقه
باثارة الهيجاء ذات غرامِ

بل اين هاتيك المبادي الصالحه هل في ثغور بالتبسُّم طافحه
عن السن بظلي المفاسد جارحه او اعينٍ فيها الشراسة واضحه
ما بلّها دمع مدى الايامِ

وتنهُّدُ البحر العميق وان علا زادت عليهِ تنهدات بني الملا
وسكونهُ ان طال ليس ليعدلا لسكون هاتيك الفرائس للبلا
تطفو عليهِ وهي ذات زحامِ

يا قبةَ الافلاك هيَّا أرعدي طول الزمان و بالسحاب تلبدي
يا موجُ بالانواء دوماً ازبدِ ياريحُ هبي دون كل تقيُّدِ
كزئير ليثٍ عاث بالانعامِ

يا كلَّ اعماقٍ بهذي الابحر او فوقها بالضر فيضي وأزخري
وجميعَ ما يفني ويردي أحضري فجميعُ هذي مثل عقدة خنصرِ
بازاء فتك معاشر الظلاَّمِ

نبذوا العهود وبالشرور تسلحوا ولبعضهم بعضاً جيوشاً سرَّحوا
بالسخط والقتل الذريع تطوحوا لتمدن منهُ العواطف تجرحُ
لفسادهِ بدلَ الضيا بقتامِ

ارض كساها الخصب اجمل حلةٍ والريُّ غادرها باكمل بهجةٍ
خيراتها وفرت لاهل الهمةِ كي يشكروا وهاب كل عطيةٍ
وموزع الافضال والانعامِ

مالي اراها للابالس ملعبا حصن هنالك شيَّدوهُ مقببا
وامامهُ حفروا الخنادق والظبى شهرت وتنظيم الدفاع ترتبا
وتهيأُوا لكريهةٍ وصدامِ

وبواسلٌ للقا العداة تجمهروا وسيوفهم باكفهم قد اشهروا
وضيا الغزالة فوقها يتسعرُ مرأًى جميل للنواظر يبهرُ
فيهِ يرى المفتونُ ربَّ هيامِ

وعليهم تلك الملابس تسطعُ والنفس من الحانهم تتشجعُ
حركاتهم حسب النظام توقَّعُ وعلى رؤوسهم المغافر تلمعُ
فتزيدهم حسناً ورفع مقامِ

عزفوا بالحانٍ هنالك شائقه وتلت قواطر بالكتائب دافقه
وعلى رؤوسهم البيارق خافقه وغدت باسرع من سقوط الصاعقه
ترمي البنادق مثل حب غمامِ

بدت البواتر والمدافع لعلعت والحصد هاتيك المواكب أسرعت
ودم الخلائق كالبحار تجمعت الهام طارت والحشاشة قُطِّعت
والقتل حلل دون بعض ملامِ

الخيل تصهل والمدافع ترعدُ وبنادقٌ نيرانها لاتبردُ
وصليل اسياف وثمة مشهدُ شبح الفنا والموت بات يعربدُ
بقبيح منظرهِ على الاقوامِ

للقيصر المحبوب والاوطان لا تتوقفوا فالى الامام معجلا
هذا شعارهمُ وآخر ما انجلى من قولهم لما احيطوا بالبلا
حيُّوا المنون تحيَّة البسّامِ

وصدورهم فتحت لنار عداتهم والبشر منطبع على جبهاتهم
ونجيعهم يجري على وجناتهم وخلاله يبدو نبا نصراتهم
ماحجبته صفرة الاعدامِ

صاحوا لقيصرنا وحب مواطنِ نحو الامام تقدموا بتعاونِ
لبلادنا والملك دون تهاونِ هجموا وقد داسوا بقلب ساكنِ
قتلى لهم اشلاؤهم كركامِ

وطئت ركامهمُ الخيولُ بلا جزعْ وتحمس الفرسان ثم بها اندفعْ
فالى الامام الى الامام بلا هلعْ صوت المبوق والطبول قد انقطعْ
ودم الفوارس صبغة الاعلامِ

وهنت ايادي القوم من مشق الظبي ووهت عزائمهم ومركبهم كبا

لكنهم زادوا لذاك تصلُّبا بلغوا حصوناً شيدت فوق الربى
من حولها الاشلاء كالآكامِ

***

اعماقَ ممتد السكون قد اخترق لهف يصم الاذن بل يدمي الحدق
وصدور آلاف بأنّات الحرق هتفت بحشرجة المنية واندفق
منها النجيع باوجع الالامِ

ضوء المشاعل مذ بدا يتوقد برزت مراءً للفرائص ترعدُ
أخوانِ كلٌ منهما يتوسدُ زند الشقيق ببهجة تتصعدُ
وبد تشد براية وحسامِ

وبكل صدر منهما قد اغمدا نصل لمقبضهِ اغارَ وانجدا
رهط الصليب هناك اسرع منجدا وجدوا صليبهما اشد توردا
وتوقداً لجثوا على الاقدامِ

صلّوا امامهما باوفر رهبةٍ فمحا عيونهما بكل مشقةٍ
هتفا بقولهما لآخر مرةٍ لبلادنا ولمكنا ذي الرحمةِ
هيا بنا هيا بنا لامامِ

الليل خيم فوق هاتيك البقع والموت غشاها بجلباب الجزع
سحَرًا بها سرب الجوارح قد وقع لمدافن الابطال بالجوع اندفع
يلقى باشلاها الذ طعامِ

رجل هناك مضرَّج بدمائهِ فوق الثرى والسيف في احشائهِ
مع ضعف عينيهِ يرى بازائهِ جيش الجوارح هم في اعضائهِ
يقتاتُ من ذاك الفؤاد الدامي

اظفارها في جسمهِ قد اسرعت من فوق عظم الصدر لحماً مادعت
وكذا حشاشة قلبهِ العاني رعت وبدت ثقوبٌ في حشاهُ أودعت
من نار اعداهُ الرصاص الحامي

قد أنَّ لكن ليس اذنٌ تسمعُ نادى فجاوبهُ نعيق يجزعُ
من سرب طير فوقهُ تتجمعُ كوليمة فيها الجوارح ترفعُ
ما بين لحم سائغ وعظامِ

وبصدرهِ النفس الاخير تصعدا وختام ما قد فاه فيهِ مرددا
لمواطني ولقيصري روحي الفدا فالى الامام الى الامام الى العدى
فالموت في صدرِ العداة مرامي

***

هذي الحروب وهذه اهوالها مهما تقلب بالنتائج حالها
للشعب حقًّا ضرها ووبالها ويل لمن يعزى لهُ اشعالها
فلإِثمهُ من افظع الآثام

ولطم غدا الوهم المضل يصورُ ان الردى فيها فخار اكبرُ
اذ خيلوهُ فضيلة لا تنكرُ بمسرةٍ وشجاعة تتسعرُ
كأس الردى ارتشفوا ككأس مدامِ

مهما تضاربت المذاهب في الورى في امرها والنهي عنها كررا
فلها البقاء بكل عصر قدرا وجدت مع الانسان مذ وطئ الثرى
في عصر تنوير وعصر ظلامِ

فخروجها بجفاف اخر دمعةِ اذ تنتهي للذاتِ كل محبةِ
وتزول في كل مطامع بشريةِ هذا هو الانسان حسب الفطرةِ
ثم الكمال لهُ من الاوهامِ

ان الكمال هو الحقيقة في البشرْ وحياتنا وهم فليس بمنتظرْ
ان يدرك الوهمُ الحقيقةَ فالفكرْ في الارض تأمل بالكمال لما ظفرْ
ستنالهُ في عالم الاحلامِ

لا لا سيدركهُ متى العيش انصرمْ وبقبرهِ اضحى يمازجهُ العدمْ
ويفيق من نوم يطول على الالمْ ليعيش في دار السعادة والنعمْ
حيث الحقيقة تزدهي بدوامِ

***

يكفيك في التيه احتمالاً للكمدْ هيا مكاروف استرح حتى الابدْ
يكفي عنا يا نفسَ ذيَّاك الاسدْ ثقلَ الحياة خلعتِ مع ثقل الجسدْ
ولكِ الكمال بدا بكل تمامِ

بجمال صورتهِ كسيت مجلاَ وضيا الحقيقة بالكمال لك انجلي

معها امتزجت بلطف حسنٍ قد حلا عظمت ملذتهُ لذلك في الملا
ما ادركتهُ مدارك الافهامِ

فالآن انت الكوكب المتألقُ بسما الفضاء لك السناء المشرقُ
باشعة ذهبية تتدفقُ ارشد نفوساً بالشقا تتحرّقُ
في مرتع لتزاحم وخصامِ

في مدلهمّ الكون تائهة الفكرْ فمن الكمال أُعد لها بعض الصورْ
لتبيتَ مدركةً لبعض المنتظرْ من بهجة سموية فيها الظفرْ
لك في العلا منقادةً بزمامِ

فلكِ الهنا يا خير نفس طاهرهْ يا ذات هاتيك المزايا الباهرهْ
ان كانت الافكار مني قاصرهْ في وصفها فالنفس منا حائرهْ
بالوهم طي محابس الاجسامِ

هذا وانتِ طليقة بتحررِ ليست تقيد في الفضاء الاكبرِ
خوضي بحار اللا نهايةِ وامخري والتيهَ والاخطارَ لا تحذري
كلاً ولا تخشي من الالغامِ

واذا جرت سفن الحياة الحائرهْ في موج ابحار الوجود الزاخرهْ
وغدا القتام لها يجر مخاطرهْ واليك قد رفعت عيوناً غائرهْ
من داجيات الهم والاسقامِ

فاجعل لمرساها الامين لها هدى بشعاع نور من سناك توقدا
لجميع من فيها يغبّط للمدى لك كوكب الابحار ذكراً امجدا
ترداده الذاكي كنشر خزامِ

بك يقتدون فيبذلون الانفسا وتدوم انت مبيناً ومدرِّسا
حق المواطن كي نراهُ مقدّسا وعلى المدى ذكراك ليست تُنتسى
ذكرى همامٍ باسلٍ مقدامِ

بسبيل امتهِ وملك بلادهِ في الحرب قد سفكت دماء فؤادهِ
ويرى امتداد الكون في آمادهِ بك كوكباً لم يخبُ نور سدادهِ
مجداً لامتهِ مدى الايامِ

أذن الانسان

وتعليل عدم حركتها

نشر الدكتور ولترسمث من اساتذة مدرسة لابك فورست مقالة في هذا الموضوع في مجلة العلم العام الاميركية قال فيها ما خلاصتهُ

حديث الاذن حديث ذو شجون وتاريخها مختلف الوجوه . سَلْ عالمًا من علماء النشوء والارتقاء يخبرك ان اصل فتحة الاذن في الانسان فتحة خيشوم الدعموص الذي ارتقى الانسان منهُ وان المادة الغضروفية التي تتألف الاذن فيها نمت على سطح الرأس الخارجي وجهزت بعضلات مختلفة تغير حركتها وتكيف شكلها كما في الفرس مثلاً فان اذنيهِ تتحركان مثل عينيهِ بل هما اسهل حركةً منهما ويمكن تحريك كل منهما في جهة مختلفة بخلاف العينين كأن الطبيعة قصدت قديمًا ان تكون اذنا جدّ الانسان مثل اذني الفرس من حيث سهولة حركتهما فجهزتهما بالمادة الغضروفية والعضلات اللازمة لتحريكهما ولكنها غيرت فيما بعد قصدها فاستردت ما وهبت. نعم ان المادة الغضروفية باقية حيث كانت ولكن قوة التحريك زالت. ومن الناس من يستطيع تحريك اذنيهِ بعض التحريك الأ ان ذلك يوجب اشمئزاز المشاهدين ونفورهم لندورهِ وخروجهِ عن حدّ المألوف

وربَّ سائل يسأَل لماذا فقد الانسان قوة تحريك اذنيهِ . أيعد ذلك تقهقرًا في سلَّم الارتقاء ام خسر تلك القوة ليربح امرًا اعظم لا يمكن ربحهُ بلا تلك الخسارة . وعندي انهُ يمكن الاستدلال على اسباب التغير الذي طرأ على الاذن وعلى ان الانسان ربح ربحًا عقليًّا لاتعدُّ الخسارة شيئًا في جنبهِ . ولتبيين ذلك الربح نبحث اولاً في ما خسرهُ الانسان من المزايا على اثر فقد الاذن لحركتها واهمية تلك الخسارة تتضح من مقابلة الاذن بالعين . فان العين دائمة التحرك وعلى ذلك يترتب امران مهمان الاول انهُ يمكن تحريك العين من جهة الى اخرى عند ارادة فحص الاشياء ونقدها . وليست اقسام العين المختلفة على نسبة واحدة في قوة البصر بل ان القسم الاوسط منها احدُّ بصرًا من الاطراف . وعليهِ فاذا اراد احد التحديق الى شيءٍ غير مواجه لهُ ادار عينيهِ نحوهُ لتقع اشعة النور الخارجة منهُ على القسم الاوسط منهما . وهذا التغيير في حركة العين يتمُّ بالسرعة والدقة اللازمتين و يعين العين على اتمام الغرض المقصود منها

والامر الثاني المترتب على تحرك العين رؤيتها ما يقع تحت نظرها المتسع بغاية الترتيب

والانتظام . وقد يظهر ان علمنا بمركز الاشياء النسبي انما هو طبيعي او غريزي فان كثيرًا من صغار الحيوانات ترشد خطواتها بنفسها من حين ولادتها فتأمن العثار والزلل بخلاف طفل الانسان . نعم ان في جهاز الطفل العصبي استعدادًا لادارة حركاتهِ المستقبلة ولكنهُ لا يستطيع ان يكيّف حركاتهِ مطاوعة للوسط المحيط بهِ كما يفعل فرخ الدجاجة مثلاً بل يدرك علاقتهُ بالاشباح الخارجية بالتعلُّم والاختبار. ولسنا نعلم ماهية شعور الطفل بالنور لاوّل رؤيتهِ اياهُ ولكنهُ بعض شعورنا العادي يقاربهُ فقد قال احد العلماء الالمانيين ان شعورنا باللون عند تحديقنا الى اللون الازرق في قبة السماء يشبهُ صوتًا موسيقيًا اي اننا نشعر باللون فقط ولا نتصوَّر مكانًا لهُ والمرجح ان شعورنا بالمناظر التي حولنا لاول رؤيتنا لها يشبه ذلك الشعور. ولو كانت العين ساكنة لا تتحرك لما رأت من الاشباح التي حولها سوى الوان متتابعة . ولكن اذا كانت تتحرك وتتنقل بين الالوان فانها تمرُّ من صورة الباب الى صورة الجدار فالشباك وهلمَّ جرًّا فيرتسم في الذهن سلسلة صور معروضة للنظر على الدوام ومرتبة ترتيبًا محدودًا . وعليهِ فان شعورنا بالاشباح التي حولنا منتظمة ومرتبة مسببٌ عن تحرُّك العينين

ومثل ذلك يقال في حاسة اللمس فاننا ندرك حجم الاشباح التي نلمسها بتداول الانامل لها ولا ندرك العلاقة المكانية التي بين تلك الاشباح إلاَّ بلمسها مرارًا طردًا وعكسًا

اما الاذن البشرية فانها ثابتة لا تتحرك وعليهِ فهي لا تستطيع ان تأتي حركات معكوسة لاستقبال الاصوات مثل الحركات التي تدير العين من موضعها سريعًا لتستقبل اشعة النور الصادرة عن المرئيات . ثم ان تصوُّر المكان بالصوت تصوُّر صعب جدًّا حتى انكر كثيرون ان للصوت صفة مكانية ولكن لايمكن اثبات ذلك لاننا نستطيع تعيين مكان الصوت وندرك ما اذا كان عن يميننا او يسارنا او خلفنا او امامنا وكذلك ندرك اختلاف حجم الاصوات . على ان ادراك صفة الصوت المكانية لا يقاس بحاستي اللون واللمس في دقتهما وجلاء حدودهما فما هو حجم الرعد مثلاً . نعم ان هذا السؤَال يظهر بلا معنى لاول وهلة ولكنهُ ليس خاليًا من المعنى كما يظن فاننا نقول مثلاً ان دمدمة الرعد ملأَت السماء . وسبب ظهور السؤَال المذكور بلا معنى هو غموض صورة الصوت من حيث الاتساع

واذا حللنا هذا الغموض وجدنا اننا نقدر ان نعين مكان الصوت تمامًا بسبب عدم تحرك الاذن . وكلنا نعلم ما هناك من الصعوبة في تعيين جهة الصوت الغريب الاَّ اذا ساعدت العين الاذن على ذلك . فان صوت جرس الدرَّاجة يتركنا حائرين لاندري من اين اتى حتى نرى الدراجة باعيننا وكثيرًا مايحدث اننا نسمع الصوت لا من جهة الجسم الصائت بل من

الجهة المقابلة له ٠ فيرى من ذلك ان الاذن لا تقابل بالعين من حيث الدقة والضبط في تعيين الجهة ٠ وان فقدها للعضلات التي تديرها لاستقبال امواج الهواء من حيث تأتي افضى الى نقصها الحاضر في تعيين مركز الصوت وباتت خسارتها مزدوجة ٠ فالخسارة الاولى تظهر من قول داروِن "ان توجيه كثيرٍ من الحيوانات آذانها الى جميع الجهات يفيدها اكبر فائدة لانها تعرف بهِ جهة الخطر وتسعى في اتقائهِ" والخسارة الثانية لها علاقة شديدة بالاولى فانهُ لو كانت الاذن متحركة مثل العين والانامل لا شبهتهما في ترتيب الصور المكانية التي تحدثها وفي جلاء حدودها ولو لم تبلغ مبلغهما في ذلك

على ان داروِن يرى ان الانسان كسب مزية تعوّض بعض ما خسرهُ بفقد الاذن لحركتها وتلك المزية هي زيادة السهولة في تحريكهِ رأسهُ الى جميع الجهات ٠ نعم ان حركة الرأس تعين على البصر والسمع ولكنها لا توازي حركة اعضاء الحواس نفسها ٠ فان الرجل الذي تصاب رجلاهُ بالشلل قلما يتعزى عن مصابهِ بتعيين حمال خصوصيّ له يحملهُ حيث شاء ٠ ومما يجب الالتفات اليهِ في هذا الصدد ان العين تتمتع بحركات الرأس وهي لم تفقد حركتها

ولننتقل الآن الى البحث في الربح العقلي الذي نتج عن تلك الخسارة وهذا الربح هو الانتباه لتوالي الاصوات فان الصوت يقع فجأة على آذاننا ثم يزول و يتلوهُ آخر يختلف عنهُ في صفتهِ فندرك الصوتين ونميز بينهما ٠ واذا اصغينا الى جسم صائت انحصر اهتمامنا في الانتباه لاصواتهِ المتتابعة ٠ وهذا يتضح من سماعنا للخطب التي تتلى امامنا فاننا نسمع اصواتاً تحدث في وقت واحد تقريباً ولكن الخاصة الغالبة من خصائص شعورنا بها هي ان تنوعها يحدث في سلسلة متتابعة ٠ فالسمع اذاً حاسة زمانية اي يُدرَك بهِ زمان الاصوات ولو بقيت الاذن متحركة لكان السمع حاسة مكانية تُدرك اماكن الاصوات ولكن لا يُدرَك زمنها بل تُدرَك كأنها حدثت في وقت واحد

هذا من جهة شعور الاذن بالاصوات ٠ واما من جهة شعور العين بالمرئيات فاننا ننظر الى شبح من الاشباح ومادمنا ننظر اليهِ فان شكلهُ يبقى واحداً لا يتغير وقد يظهر انهُ لم يتغير ولو نظرنا اليهِ بعد يوم او شهر او سنة ٠ على ان العين تميز ما يطرأ على بعض الاشباح من التغير فاننا كثيراً ما نرى سحب الصيف تتكون ثم تضمحلّ في السماء واغصان الاشجار تتحرك من جهة الى اخرى ولكن البصر حاسة مكانية واهتمام العين انما هو بالاشكال وعلاقتها بعضها ببعض بخلاف الاذن فانها عضو حاسة زمانية ٠ فلو فرض ان العين مُرّنت لتهتم اهتماماً خصوصياً بالتغيير الذي يطرأ على الاشباح التي امامها لوجب ان تمتنع عن الحركة وان تبقى محدقة الى تلك الاشباح

والصور والاشكال الخصوصية التي يتخذها تتابع الاصوات وتشعر الاذن بها ولَّدت اللغة والموسيقى . فاللغة مؤلفة من اصوات متتابعة وفائدتها تفوق كل وصف ويتلوها الموسيقى فان ماتشعر بهِ من الارتياح للانغام الموسيقية يتوقف على الشعور بتتابع الاصوات

وربَّ معترض يسأل وما قولكم في الحيوانات الدنيا التي ليس لها آذان خارجية او لها آذان لا تتحرك . وفي الجواب على هذا السؤال يلزمنا ان نميز بين الحيوانات التي لم يكن لها آذان متحركة البتة وبين الحيوانات التي كان لها آذان متحركة ثم فقدت آذانها حركتها فان كلامنا متجه الى هذه الاخيرة اما الطيور التي لم يكن لها آذان متحركة فانها شديدة السمع ومعلوم انها شديدة الولع بالموسيقى فهي كالانسان من هذا القبيل لان آذانها ثابتة فتدرك تتابع الاصوات . ومما يذكرهنا ان كثيرًا من الطيور تقلد الاصوات حتى صوت الانسان وهي وان تكن لاتدرك معنى ما تقلده ولكنها تدرك تتابع الاصوات

وقد يظهر لاول وهلة ان السعدان والقرد شذَّا عن القاعدة المتقدمة فانهما فقدا قوة تحريك الاذن مثل الانسان ولكنهما لا يستطيعان النطق مثله . واذا كان ذلك كذلك فانهما فقدا شيئًا لم ينالا عوضًا عنهُ كما نال الانسان . ولكن لا يغرب عن البال ان العلماء العقليين لا يزالون يجهلون امورًا كثيرة عن حياة القرود العقلية فان بعض انواع القرود تجتمع جماعات تأخذ في الصياح معًا وتلتذ بهِ وهي لا تصيح قصد طرد العدو عنها بل تفعل ذلك عن تروٍّ قصد الغناء وزعيمها يبدأُ اللحن . ثم ان السعادين تاتي اصواتًا أُخرى غير ما تقدم تدلُّ على ادراكها للاصوات . ذكر الاستاذ هيكل انهُ سمع بعض القرود تصوت اصواتًا غريبة تشبه بعض الاصوات التي ينطق بها قبائل البوشمان عند الكلام . وكتب المستر غارنر مقالة في "كلام السعادين" قال فيها ان الاصوات التي تحدثها السعادين هي اصوات ذات مقاطع وصادرة عن تروٍّ وقصد . والسعادين توجهها دائمًا الى فرد معين بقصد افهامهِ اياها على ما يظهر . ثم تنتظر الجواب فاذا لم تظفر بهِ كررت الاصوات مرارًا . وهي تنظر عادة الى الشخص الذي تخاطبهُ ولا تحدث تلك الاصوات اذا كانت منفردة او قصد التسلية . وتفهم الاصوات الصادرة عن السعادين التي من نوعها حتى اذا قلدها الانسان . والغالب ان كل عمل من اعمال السعادين يصحبهُ صوت خاص بهِ . وقال المستر غارنر في مؤلف آخر الفهُ بعد ان درس طبائع القرود في مواطنها الاصلية ان الشمبانزي ينطق بخمس وعشرين كلمة الى ثلاثين كلمة وقد ادعى انهُ تعلم عشرًا منها حتى انهُ يستطيع ان يخاطب القرود بها

ووصف المستر رومانس كيفية غناء القرد المعروف بالشمبانزي فقال ان اغنيتهُ مؤلفة من

صعقات وصيحات سريعة عالية يرددها وهو يفحص الارض برجليهِ · وقال داروِن ان نوعين من القرد المعروف بالجيبون يستطيعان الغناء

ومما يهمُّ ذكرهُ في الكلام على ترقية قوى النطق في القرود ان القرود متقدمة على مادونها من الحيوانات في احوالها الاجتماعية كما يشهد بذلك السياح والذين عنوا بتربيتها · ولكن معرفتنا لتلك الاحوال ناقصة وما نعرفهُ منها كافٍ لان يدلنا على ان صفة الاجتماع فيها وثيقة العرى · وحيث تكون الحياة الاجتماعية كذلك فهناك يترقى استعمال الاصوات. ويظهر لاول وهلة ان ما ربحتهُ القرود في استعمال اصواتها لا يساوي مافقدتهُ بسبب تغير آذانها وصيرورتها غير متحركة ولكن لا يمكن الجزم بذلك نظرًا الى ما لترقية قوة النطق من الاهمية

وخلاصة ما تقدم ان فقد الاذن لحركتها افضى الى زيادة الانتباه لتوالي الاصوات وانتهى باستعمال اللغة والموسيقى · وان شكل الاذن كان ملائمًا في بادىء الامر للوسط المحيط بها فتغير فيما بعد مطاوعة لشروط الارتقاء في درجاتهِ التي هي اسمى وارقى · ولا ريب ان شكلها الحاضر اكثر ملاءمة للقيام بالمطالب العقلية العليا

بنك رويستون

ان سبيل الشر لايخلو من معالم الخير ولاسيما في اولهِ وهذا مارآه النهام فان محبة زوجتهِ وابنتهِ لهُ والنظر الى مقامهِ بين اقرانهِ شغلا بالهُ تلك الليلة واليوم التالي ليصرفاه عما عقد نيتهُ عليهِ · وكأن ابنتهُ لم تتودد اليهِ قبلاً كما توددت تلك الليلة ولم تعرب عما يكنهُ قلبها لهُ من الحب والاكرام كما اعربت حينئذٍ حتى خيل لهُ احيانًا انها عارفة مافي ضميرهِ وتريد صرفهُ عنهُ · وقامت في الصباح واحضرت لهُ الطعام على جاري عادتها لان امها تتأخر في نومها عادةً وجعلت تصف مقدار حبها لهُ وشكرها على تربيتهِ اياها وقالت انها اتفقت مع خطيبها على ان لا يأخذا منهُ درهمًا بل يعيشا بكدهما لان معيشة الفقر تزيد تعلق كلٍّ منهما بالآخر والاعتماد على محبتهِ · فقال لها هل يضرك ان اعطيك في آخر كل سنة بضعة الوف من الريالات لتسديد حسابات السنة قال ذلك وهو يحاول المزاح فطوقتهُ بذراعيها وقالت لهُ كلاَّ يا ابي ولا نريد ان نعلق قلوبنا على المال لانهُ لا يسعد احدًا هوذا انت غنيٌّ وعندك اموالــ كثيرة ولكنني لا اراك اسعد حالاً من غيرك · اني احبك الآن من كل قلبي ولكن لو كنت فقيرًا لزادت محبتي لك اضعافًا

فلما سمع منها هذا الكلام ضاقت انفاسهُ وكاد يغمى عليهِ ولكنهُ تجلد وودعها وخرج من البيت قبل ميعاد خروجهِ منهُ ولم يكد يخرج حتى التقى باثنين من مديري البنك فقالا لهُ انهما أتيا ليذكراهُ بانهُ مضى على البنك خمس وعشرون سنة حينئذٍ وقد قرَّ قرارهم في مجلسهم الاخير على ان يحتفلوا بذلك تلك الليلة وطلبوا منهُ ان يحضر الاحتفال ليقدموا لهُ فيهِ تذكارًا يدلُّ على شكرهم لهُ لان البنك نجح بادارتهِ نجاحا تامًّا ثم صافحاهُ وسارا وهما يقولان الى اللقاء . فودعهما واذا بصوت من داخلهِ يقول لهُ اعترف لهما بواقعة الحال واخبرهما عمَّا حل بالبنك وارح ضميرك ولا ترتكب هذا الوزر العظيم . هذا صوت الضمير هبَّ من رقادهِ وحاول الانتصار عليهِ فلم يصغ اليهِ بل قال قضي الامر

وعند الظهر ارسل يطلب غداءهُ من البيت ولم يشأ ان يعود ويتغدَّى فيهِ على جاري عادتهِ . ودخل عليهِ كالڤري حينئذٍ وقال انهُ يهتم باسم البنك اكثر مما يهتم بأمر نفسهِ وان الاجرة التي يأخذها تزيد على حاجاتهِ وقد وفَّر منهُ مبلغاً وزادهُ ببعض الاشغال التجارية فبلغ عشرين الف ريال وهو على قلتهِ بالنسبة الى ديون البنك يسد ثغرة صغيرة وكم من حصاة صغيرة سندت خابية كبيرة . وانهُ بلغتهُ اشاعات مؤدَّاها ان البنك في خطر مبين

فضاق صدر النهام وقال لهُ اليك عن هذا الفضول اتجهل من انا حتى تأتيني بالاشاعات والخرافات ألم اقل لك انهُ لاخوف علينا أو تظن ان اللصوص عقدوا النية على سلبنا والأَمْ تخاف أو تريد ان تقدم لي نقودك لكي تسدَّ بها الثغرة التي ولدتها اوهامك

فاحمرَّ وجه كالڤري لكنهُ قال ارجو ان لا تغتاظ مني لاني لم اقصد ان اغيظك وغاية ما اتمناهُ في هذه الدنيا ان اخدمك فاسمح لي ان ادفع المبلغ الطفيف الى البنك فانهُ لا يضرهُ

فضحك النهام ضحكة الاستهزاء لكنهُ لم يرَ لهُ مناصاً الآن من ان يكذب على صرَّافهِ فقال لهُ اني شاكر لك على ما تبديهِ من الغيرة ولكن اجلس واسمع ما اقولهُ لك ولم اقلهُ قبلاً لاني احسب انهُ ليس من شأنك ولكنني ارى الآن ان ثقتي بك تخولني اطلاعك عليهِ . انظر هذا الدرج فان فيهِ ما يساوي مليونين ونصف مليون من الاوراق المالية وهي مثل نقود الحجر تمامًا وساضعها اليوم في خزانة البنك بيدي . نعم ان البنك عمل اعمالاً كبيرة خسر فيها ولكنهُ عمل اعمالاً اخرى ربح منها كثيرًا ونحن الآن في سعة اكثر مما كنا في اي وقت آخر ولا اقول اننا بمأمن من كل خطر ولكنني اقول واؤكد اننا في سعة . كان يجب ان لا اخبرك بهذا الامر لا سيما واني لم اخبر المديرين بهِ فارجو ان لا تخبر بهِ احدًا . ولماذا لا تزال عابسًا تعال للعشاء معنا غدًا فان بنتنك يكون في نيويورك لحضور الجمعية الطبية . ولا تكلمني بعد

الآن عن ضيقة البنك والاموال التي وفرتها · اذهب الآن بسلام

فخرج كلفري وبقي النهام وحده وقد تشدد وقسي قلبهُ واسكت ضميرهُ

اما كلفري فخرج من عند المدير غير مطمئن البال نعم ان المدير نفى خوفهُ من جهة واحدة ولكنهُ كان قد سمع ان اثنين من اللصوص المشهورين بسرقة البنوك جاء المدينة منذ يومين· سمع هذا الخبر متسلسلاً معنعناً من صديق لهُ مستخدم في شركة الضمانات وهذا سمع الخبر من صديق لهُ في دائرة البوليس السري ومفاد الخبر ان اثنين من اللصوص الكبار خرجا من نيويورك ووجهتهما تلك المدينة · وقد يكون الخبر كاذباً ولذلك لم يتجاسر ان يخبر المدير بتفاصيلهِ ولكنهُ لم يستطع ان ينفيهُ من ذهنهِ فطار النوم من عينيهِ تلك الليلة وقام وخرج من غرفتهِ ومشى في طريق البنك وكان الفصل صيفاً ولكن كان الظلام دامساً لانهُ لم يكن القمر مشرقاً وكانت الغيوم كثيرة متلبدة قرب الافق وكان الى جانب البنك بناء كبير خرج السكان منهُ لان اصحابهُ عزموا على هدمهِ وكانت ابوابهُ مفتوحة والخارج من البنك يستطيع ان يمرَّ فيها فيصل الى الشارع المقابل بطريق مختصر

وهناك حارس موقفهُ امام باب البنك وغفير من رجال البوليس يمشي في ذلك الشارع ذهاباً واياباً فيصل الى باب البنك مرة كل عشر دقائق · فوقف كلفري هناك هنيهة ولم يرَ الحارس ولا رأى الغفير فاستغرب ذلك واوجس شرًّا ثم سمع وقع الخطى فوقف في مكانهِ وبعد قليل وصل الماشي اليهِ واذا هو الدكتور بنتنك خطيب اوليفيا كان راجعاً من عيادة مريض فلما رأى كلفري خاطبهُ قائلاً ما اوصلك الى هنا بعد نصف الليل أانشغال البال او الحاجة الى استنشاق الهواء النقي · وكان صوتهُ رناناً مطرباً فانعش فؤاد كلفري وكان كلفري عادلاً ينصف الناس وقد رأى من حسن شمائل هذا الشاب ماحببهُ اليهِ رغماً عن انهُ اخذ الفتاة التي يحبها فقال لهُ ان بالي مشغول من جهة البنك فقد بلغني ان عصبة من اللصوص اتت هذه المدينة ولا ارى الحارس ولا الغفير ولا يخلو الامر من دسيسة على ما اظن

فنظر اليهِ بنتنك وقال باسماً اتظن ان اللصوص في البنك الآن

فقال كلفري ان نفسي تحدثني بالدخول ليطمئن بالي

فقال بنتنك اسمح لي اذًا ان ادخل معك فان اثنين اصلح من واحد وقد كان لي بعض الشأن في الصراع ونحن في المدرسة فهل المفاتيح معك

فقال كلفري اني شاكر فضلك نعم اني واثق بان لا اساس لاوهامي ولكن ما الحيلة وانا

لا استطيع طردها ولا ضرر من الحذر فاذا اردت فتعال معي · قال ذلك وفتح الباب ودخل هو وبنتنك

⁂

اتمَّ دكستر غون تدبيرهُ على غاية الاحكام كما يفعل القوَّاد المحنكون فرشا الحارس وتخلص منهُ وسلط على الغفير شاباً ارلندياً من قومهِ جاء يدَّعي ان عندهُ نقوداً ويريد ان يستشيرهُ في كيف يبتاع بها وظيفة في البوليس فقضى معهُ ساعات في خان قريب من البنك واتى غون الى البنك ومعهُ رجل واحد من اتباعهِ ففتحاهُ واخذا يعالجان الخزانة وهي كبيرة كالحصن المشيد ولكنها غير مصنوعة حسب الاساليب الحديثة فلا يتعذر فتحها بالمثقب والعفريت. وفي اقل من ربع ساعة فتحا بابها وقد تعبا في ذلك تعباً كبيراً وتصبَّب جبيناهما عرقاً ولكنهما لم يحسبا للتعب حساباً لان امامهما ثروة تغنيهما وتأذن لهما بالسكن في بلاد المكسيك او شيلي آمنين مطمئنين بالراحة والهناء

ولما فتحت الخزنة قال رفيق غون ما اسهل فتحها عار علينا ان نأخذ شيئاً منها ونحن لم نتعب لهُ · فقال لهُ غون ما ادرانا مافيها لانني لا اصدق ما قالهُ لي ذلك المنافق

ومرَّت عليهما بضع دقائق وهما يفتحان دروج الخزنة وما فيها من الاوراق فلم يريا شيئاً من الاوراق المالية واخيراً قال رفيق غون هو ذا اوراق بثلثمئة ريال · فقال أثلثمئة فقط واين البقية وعاودا التفتيش فافرغا الخزنة كلها من كل مافيها ولم يجدا فيها غير الثلاثمئة ريال ووقفا وكلٌّ منهما ينظر الى رفيقهِ مبهوتاً · واخيراً جعل رفيق غون يشتم ويلعن وقال غون لقد خدعتنا يا النهام ولكنك ستندم حيث لاينفع الندم انت الآن عند الموسرين تشرب كؤوس المسرات ولكنني ساسقيك دماً قبل رجوعك الى بيتك · ولم يكد يفرغ من الكلام حتى صرخ رفيقهُ قائلاً " اتوا علينا " وحاول اغلاق الباب لكن بنتنك كان من الاشداء المشهورين فدفع الباب بكتفهِ ومنع اغلاقهُ فضربهُ اللص بمطرقة كانت في يدهِ فحاد من طريقها فاصابت رأس كلفري وكادت تصرعهُ ثم هرب وفتح باباً سرياً في مؤخر البنك وخرج منهُ وترك غون وحدهُ فقال بنتنك لغون سلّم لنا فتسلم · وكانت عيناهُ تتلألآن في وجه ملئهُ البشر وبين اعطاف كلها قوة وبسالة وكانهُ وهو كالجواد المتحفز للسباق

فقال لهُ غون اليك عني ايها الشاب فلا ثار لي عليك ولا اريد بك سوءاً دعني اذهب بسلام فاننا لم نأخذ شيئاً من البنك

وكان بنتنك واثقاً من نفسهِ انهُ خبير بفن الصراع فدنا من غون فرآهُ يضع يدهُ في

جيبهِ بحيث يوضع المسدَّس عادةً ووقف الاثنان متقابلين وغون اقوى من بنتنك كثيرًا ولكن بنتنك امهر منهُ بفنون المصارعة فتماسكا وتصارعا فصُرع غون ووقع تحت بنتنك وقبض بنتنك على خناق غون وكاد يخنقهُ ولما وقع غون اتت يدهُ اليمنى تحتهُ فجمع قوتهُ واخرجها من تحتهِ وتناول بها مسدسهُ وقال لبنتنك اتركني حتى اذهب بسلام فقال لهُ بنتنك لا اتركك فوضع المسدس في صدرهِ واطلقهُ فاصاب منهُ مقتلاً فانحلت يدا بنتنك ورماهُ غون عنهُ ونهض ونهض كلفري حينئذٍ وهجم عليهِ فرفسهُ برجلهِ على ساقيهِ فالقاهُ على ظهرهِ وخرج ونهض كلفري فرأى نفسهُ وحدهُ مع القتيل فقال اواه لماذا لم يقتلني لقد عرفتهُ يا الهي يا الهي

***

عاد النهام تلك الليلة من الوليمة بعد نصف الليل وفي جيبهِ صحيفة من الفضة عليها كتابة منقوشة تعرب عن شكر مجلس المديرين لهُ لكي تبقى تذكارًا لاولادهِ من بعدهِ. وقف في ذلك الاحتفال مبالغًا في البشاشة وطلاقة الوجه وخطب خطبة اختلب الالباب بفصاحتها ونكاتها جوابًا للخطب التي قدمت لهُ. وفتح ساعتهُ وهو راجع الى بيتهِ وقال ترى هل قضي الامر وعزم ان يمرَّ في الشارع الذي فيهِ البنك ولو طالت بهِ الطريق ليرى ماجرى. جسارة لا تستغرب ممن طوَّح نفسهُ في الشر مثلهُ. ولما دنا من شارع البنك رأى رجلاً مارًّا في شارع آخر مقاطع وهو غون نفسهُ ولو اسرع قليلاً لا لتقى بهِ ولكن قدرت لهُ النجاة منهُ لان غون كان عازمًا على الفتك بهِ

ووقف امام البنك وهو يقول في نفسهِ لقد كِلت لهذا اللص الصاع صاعين على اهانتهِ لي فاخذ حشفًا وسوء كيلة ولا يستطيع الشكوى والاموال التي سرقتها من اللص تقضي حاجاتي في الاسابيع الاولى الى ان يتدبر امر البنك قال ذلك وسار في طريقهِ. وكان كلفري في غضون ذلك يجمع مابقي فيهِ من الرمق ليخرج من البنك وينادي الحراس فخرج ونادى ولكن النهام كان قد ابعد عنهُ فلم يسمع صوتهُ.

ولما وصل النهام الى بيتهِ فتح الباب خلسة ودخل غرفتهُ واتكأ في سريرهِ يضرب اخماسًا لاسداس وهو عالم ان الناس كلهم يرثون لهُ فترد عليهِ رسائل التعازي من كل مكان ويقوم المديرون فيعقدون الاجتماع بعد الاجتماع واخيرًا يجمعون لهُ مالاً كافيًا و يعيدون انشاء البنك ويبقونهُ مديرًا لهُ. وتتزوج اوليفيا في الخريف وتمضي مع زوجها للنزهة في اوربا ثم يتبعهما و يستريح من عناء الاشغال. فبدا السرور على وجههِ واسلم نفسهُ للنوم

وقامت اوليفيا في الصباح على جاري عادتها وخرجت الى الرواق تستنشق رائحة الورد

وتنتظر خطيبها ليمرّ بها فتحييهُ وتعطيهُ اجمل وردة عندها . وقطفت الوردة ووقفت في انتظاره لكنهُ لم يمرّ بها في الوقت المعتاد ثم مرّ احد باعة الجرائد التي تصدر في الصباح فلما رآها ذُعِر منها والقى جريدة امامها وسار مسرعاً فاستغربت ذلك منهُ وتناولت الجريدة بيدها ودخلت لتعطيها لابيها وفتحتها في الطريق ونظرت فيها فرأت عنوان المقالة الاولى بحروف سوداء كبيرة فقرأتهُ ووقفت جامدة كالصنم وهي تظن ان عينيها خدعتاها وضعفت يداها عن حمل الجريدة فجمعت قوتها وادنت الجريدة من وجهها وامعنت نظرها فيها فرأت الكلمات ترقص امامها فعادت تحدق فيها ثم صرخت قتلوهُ قتلوهُ يا ابي يا ابي ووقعت مغمى عليها والجريدة الى جانبها

***

النهام في مكتبتهِ وكلڤري واقف امامهُ . وقد مضى اسبوع على سرقة البنك وجرى التحقيق واخذ رجال البوليس يفتشون عن القاتل . ودفن بنتنك . وقف كلڤري بطلب منهُ امام النهام المدير فقال لهُ المدير تفضل اجلس اني لا اقابل احداً في هذه الايام ولكن انت مستثنى اظنك اتيت لتسأل عمَّا قرّ عليهِ القرار من جهة تنظيم البنك . لم يتم شيء حتى الآن والمسألة في يد المديرين ولا استطيع ان اهتم بها لان زوجتي مريضة وابنتي تشغل بالي تفضل اجلس

فقال كلڤري لا اجلس بل ابقى واقفاً باذنك . عندي امور اريد ان اطلعك عليها ولم ارَ من الحكمة ان اطلع عليها احداً غيرك . فقال النهام هذا الامر لا يعنيني وليس هو من شأني فاذهب الى رئيس البوليس واخبرهُ بما تعلمهُ

فقال كلڤري غير ملتفت الى كلام المدير . اولاً لا اريد ان اعود الى البنك

فقال المدير اذاً تريد شهادة مني فاني اكتبها لك عن طيب نفس

وماذا تريد ان تفعل هل تريد ان تتاجر بما تعلمهُ

فقال كلڤري حاشا لي ان افعل ذلك وانت تعلم اني لا افعلهُ ولما سئلت لم اذكر شيئاً يلقي اقل شبهة عليك لانني لو فعلت لوجدت القانون عاجزاً عن ان ينالك ولكن انت وانا وذلك اللص نعرف من انت وماذا فعلت وسوف تبقى معرفة ذلك محصورة فينا . انك ابوها ويجب ان تبقى مغشوشة فيك وخير لي ان اقتلك بيدي من ان تسيء الظن بك ولقد فضلت ان اطلعك على ما اعلمهُ من امرك . اما اللص فلا بدَّ من نجاتهِ والاَّ افشى سرك وعليك ان تحمي الرجل الذي قتل خطيب بنتك وتبقى متظاهراً بالفضل كما انت اكراماً لها . ولو قتلت نفسك لانفضح امرك . وعليك ان تدعها تعتنقك وتقبلك كل صباح وكل مساء كما كانت تفعل دائماً وتتظاهر

امامها بالصلاح · اما الشرائع البشرية والنواميس البشرية فلا تصل اليك ولا يمكنها ان تقاصك باشد مما تقاص انت نفسك بهِ فقد متَّ موتاً ادبياً ودخلت ابواب الجحيم من الآن ومع ذلك عليك ان تتظاهر بانك حيٌّ وبانك من الملائكة لا من الابالسة اما انا فلا اريد منك شيئاً وانما اريد ان اكلمك عن الليلة التي قبل ليلة السرقة فقد زارك رجل تلك الليلة واستقبلتهُ في بيتك

طنّت اذنا النهام لما سمع هذا الكلام وجاشت نفسهُ وكاد يغمى عليهِ وقال بصوت خافت أصحيح ذلك قد يكون صحيحاً فانني استقبل كثيرين هنا

فقال كلفري كنت مارًّا امام الباب لما خرج منهُ فرأيت وجههُ رأيتهُ جليًّا حتى لا انساهُ ولو مرَّت السنون ثم رأيتهُ نفسهُ في الليلة التالية فعرفتهُ

فتولَّت النهام الرعدة فامسك كرسيهُ بيدهِ مخافة السقوط عنهُ وقال هل رأيتهُ فاجابهُ كلفري نعم رأيتهُ وعرفتهُ لما وضع مسدسهُ في قلب بنتنك واطلقهُ وكنت اود ان يلحقني بهِ لانني عرفت دخيلة هذا الامر . لقد كنت اعتقد فيك غير ما رأيت · اللهمَّ صبرًا

فوقع كلامهُ كالصاعقة على النهام لكنهُ تجلَّد وانتصب في كرسيهِ وقال لهُ قل ما هو مرادك · قال ذلك وصمت بغتة كأنهُ حصر عن الكلام وغادرتهُ الفصاحة التي انطقتهُ بما نطق · ثم قال هذا ماخطر لي ان اقولهُ ولا اعلم تماماً ماذا قلت وسابقى في هذه المدينة حتى اذا احتاجت الى مساعدتي لا اتأخر عنها اما انت فلن تعود تراني

قال ذلك ومشى ليخرج فقال لهُ النهام لقد كنت احسبك صعلوكاً ضعيف الرأي ولكن فاضت عليك الآن قوة علوية لكي تخجلني وتقتلني ولست آسفاً لانك عرفت امري بل انني مسرور لانهُ يوجد من يعلم حق العلم اني مراءٍ وجبان وشرير وحسناً تفعل يبقائك في هذه المدينة حتى تقع عيني عليك من وقت الى آخر فاتذكر من انا · وانهُ ليصعب عليَّ جدًّا ان ابقى محتفظاً باسمي وحياتي ولكنني سافعل ذلك الى أن اموت كمدًا · اذهب يحفظ الله

عاش النهام بعد ذلك ثلاث سنوات فقط ولما مات ظهر كأنهُ شيخ هِمٌّ ولا تزال زوجتهُ وابنتهُ في قيد الحياة عاكفتين على اعمال البر وكلفري يزورهما من وقت الى آخر · وفي غرفة اولمبيا صورة ابيها وخطيبها وهما سلوتها من الدنيا تحيطها بالازهار كل يوم

انتهت القصة ومغزاها اوضح من ان يبيَّن · فكم من امرىءٍ تظنهُ معدن الصلاح ومحتد الفضل ويظهر بين الناس في هذا المظهر ولا يبالي وهو ذئب في ثياب الحملان

ذئب تراهُ مصلياً وإذا مررت بهِ ركعْ
يدعو وجلُّ دعائهِ ما للفريسة لا تقعْ

وكم من رجل يُعدّ من اهل المناصب الذين حازوا الشهرة بالجد والمثابرة او من ارباب الاموال الذين اغتنوا بالحذق والتدبير وهو لص انتحل المعارف او سرق الاموال او زوّر او مان تخدع الناس ولم يكشف امره . والضمير لا يؤنب على محرَّم الاّ قبل التوغل في ارتكاب المحارم والعاقل مشغول بنفسهِ عن كشف عيوب غيرهِ

سياسة المدرسة

أَلفت العالمة الفاضلة مس لاكرانج رئيسة مدرسة البنات الاميركية في طرابلس الشام عدة مقالات بالانكليزية ضمنتها اراء اشهر كتبة هذا العصر في فن التعليم مثل سبنسر وغيره فآثرت نشر خلاصة مقالة منها في المقتطف الاغر وموضوعها "سياسة المدرسة" ليقف عليها اساتذة المدارس ومديروها قالت

من المدارس ما تكون بهجةً للمعلم والتلميذ معاً . فيدرس التلامذة فيها برغبة ونشاط ويرجعون الى بيوتهم مساء وقلوبهم متعلقة بالمدرسة . ومن المدارس ما هي على خلاف ما ذكرنا . فان فيها من التشويش والكسل وسوء التصرف ما يحير المعلم ويتعبهُ حتى يشعر ان مدرستهُ اكره مكان في العالم فيأخذ يعد الايام كأنهُ مسجون في احد السجون

يستطيع الانسان ان يعمل عملاً ميكانيكيًّا وقلبهُ بعيد عنهُ ولكن هذا لا يتهيأ لهُ في معاملة الاخوان حيث ينبغي ان تظهر محبتهُ لعملهِ بعينيهِ وشفتيهِ وصوتهِ ويديهِ . والمحبة هي المفتاح الذهبي لكل قلبٍ والمعلم الذي لا يحب تلامذتهُ لا يمكنهُ اتقان التعليم . ولا حاجة الى اعلان المحبة بالشفاه فانها تظهر في الاعمال واللهجة والصوت بل تقرأُ على محيا المعلم وهو ينظر الى تلامذتهِ

وعلى المعلم ان يتذكر ان الطاعة الحقيقية لا تكون اجبارية . راقب جوادًا وهو يروَّض تجد ان المروض لا يخوفهُ بل يبدي ارادتهُ لهُ بجدٍ فحالما يدرك المراد ويشعر انهُ قادرٌ على اتمامهِ يجري في عملهِ

والمعلم اذا راقب تلامذتهُ في ساحة اللعب يرى ان احدهم يتخذ امر القيادة على نفسهِ والبقية ينقادون اليهِ عن طيب نفس ليس لانهُ فائق القوة بل لان لهُ الصفات التي تخولهُ القيادة كالرزانة والسطوة والثقة بالنفس وغيرها . فالمعلم المقتدر يتمكن من جذب التلامذة اليهِ ولا سيما الكبار منهم الذين يتهيأ لهُ بواسطتهم اقامة رأي عام يهون عليهِ تدبير المدرسة .

والتلميذ يسر اذا شعر انهُ قادر على مساعدة معلمهِ

ومن الممكن ان تصير الطاعة عادةً في التلامذة · فيعتادون على الجلوس بهدوء والنهوض معاً والسير بنظام والتكلم باحترام · وعلى المعلم ان لا يطلب من التلميذ طاعة عمياء بل ليطلب منهُ الطاعة لقوانين يراها التلميذ انها سنت لخيرهِ · وعليهِ مراعاة التلامذة عند سن كل قانون لان للقوانين علاقة بهم · فهم اذا احسوا ان اساس القانون حب السلطة نفروا من الرضوخ لهُ · فالطاعة ينبغي اذاً ان تكون عن رضى القلب لا كرهاً · وعلى المعلم قبل طلب الطاعة ان يتأكد اصابة طلبهِ ثم يجري في تنفيذهِ باظهارهِ العزم والجد ولهيئة المعلم اهمية كبرى . قال احد النظار المقتدرين " ان الذي لا يمكنهُ ان ينظر الى عين تلميذهِ لا يستطيع ان يتسلط عليهِ "

واذا فعل التلميذ امرًا مستقبحاً فعلى المعلم ان لا يضيع رشدهُ · فان رزانة الربان وتسلطهُ على نفسهِ هما اللذان ينقذان المركب حين الخطر . وقوة المعلم تتضاعف الف مرة اذا استطاع ضبط نفسهِ ضبطاً كاملاً في الاحوال المهيجة

ليكن قصد المعلم من التسلط على التلامذة خيرهم وعليهِ ان يراقبهم بانتباه ليتمكن من معرفة درجة اقتدارهم · فاذا وجد منهم ضعفاً فاللوم عليهِ لانهُ يكون غير قادر على تحويل انتباههم اليهِ وعلى بسط الكلام وايضاح المعاني · فان هذه النواقص اذا وجدت في المعلم كانت عقبات في سبيل التلامذة ولابد من تنسيق الدروس اوقات التسميع تنسيقاً حسناً والاَّ كانت سبباً لخراب المدرسة

المرغبات

ان المعلم الذي يقتصر على حث النبهاء والمجتهدين يخطئ الغرض لان هؤلاء لا يحتاجون الى محركات ومرغبات · وعليهِ فان اعطاء الجوائز امرٌ معترضٌ عليهِ لانهُ من قبيل ترغيب النبهاء وتثبيط عزائم البلداء الذين هم اولى بالحث والتحريك · هذا ناهيك عن ان الظفر بالجائزة يحرّك في الظافر الاعجاب والكبرياء فينظر الى من دونهُ نظر الازدراء وربما كان جهادهُ في الدرس ومحافظتهُ على القانون لمجرد طلب التفوّق والفوز لا لطلب المعرفة والسلوك الحسن لذاتهما · وكم من مرة يرى التلامذة ولداً حاملاً جائزة مع علمهم انهُ اقل منهم استحقاقاً او اجتهاداً · وافضل المرغبات وابسطها العلامات (النقط) الاسبوعية والشهرية والسنوية التي تظهر منزلة الدارس · واسمى المنشطات الادبية الترغيب في الحصول على رضى الوالدين والمعلمين والرغبة في التقدم والنجاح وعمل المستقيم وحب خير الآخرين وغير ذلك من الامور النبيلة

التأديب والقصاص

اذا عجز المعلم عن التسلط على التلامذة فهو غير قادر على التربية والتنظيم وعدم اقتداره هذا لا يقوم مقامهُ التوبيخ والتعنيف والضرب . ومن الاغلاط التي يغلب صدورها من بعض المعلمين هي الانتهار وهو ليس تأديباً بل هو مخالف للتأديب . ومن اكبر المصائب التي على المعلم احتمالها هي الغلاظة التي تصبح احياناً وقاحة والغلاظ في المدرسة قلائل ولكنَّ واحداً منهم يكفي لاتعاب المعلم كما تكفي ذبابة واحدة لاقلاق الحصان . فاذا وجد من يتعمَّد الخشونة في المدرسة ويستهين باوامر المعلم فعلى المعلم ان لا يعاملهُ بمثل خشونتهِ بل ليظهر الاستغراب ما امكنهُ بهيئة ممزوجة بخيبة الامل . تكلم مع التلميذ على انفراد ولكن لا تطلب منهُ ربط نفسهِ بوعدٍ اذ لعلَّهُ يريد الاصلاح ويأبى الارتباط بوعد . وليس من الحسن تكثير القوانين في المدرسة

ولا بدَّ لكل مدرسة من قوانين فمن الضرورة تعيين قصاصات على مخالفتها غير انهُ ليس من الضروري جعل القصاص صارماً بل ليكن مساعداً في تدريب التلميذ على إطاعة القانون . فاذا كان التلميذ كسلان او مزعجاً فاستبقهِ بعد انصراف المدرسة واستوضح منهُ فاذا كان عذرهُ حقًّا او هو ليس من اهل السوابق فاصرفهُ . واياك ان تحجز عليهِ بروح الانتقام دعهُ يشعر انهُ انما يُقاصص على الذنب لا على اغاظة المعلّم

وقد تقضي الحال ان يعترف التلميذ علانيةً بذنبٍ ارتكبهُ ولكن مثل هذا الاعتراف يحتاج الى مزيد حكمة وانتباه لئلاَّ يتولَّد عنهُ الرياء او التذمر او العصيان جهاراً . وانواع القصاصات كثيرة الاَّ ان الضرب ينبغي ان يكون آخر ما يلجأ اليهِ . والحذر من ضرب الولد على رأسهِ او دفعهِ او هزّهِ او قرصهِ او جذب اذنهِ لان هذه الامور انما تستعمل بغضبٍ فتكون عواقبها وخيمة هذا ناهيك عن انها معاملة وحشيةٌ تحط بقدر المعلّم والتلميذ . والحذر من القصاصات التي تطول آلامها ومن استعمال التهكُّم والسخرية فانها تولّد اردأ الاحساسات . وعلى المعلم حين اجراء القصاص ألاَّ يكون عليهِ ادنى مظاهر الغضب لئلاَّ يكون القصاص انتقاماً وتشفياً . ومن المستحسن تأخير القصاص الصارم الى وقت يمكن التلميذ من التأمل بالذنب والمعلّم من ضبط نفسهِ ليكون على اتم الهدو والسكينة . ولا يبرح من البال ان الغاية من القصاص هي اصلاح المعتدي وردع الغير عن التشبُّه بهِ فاذا كان القصاص فعّالاً انتج ندامةً وخضوعاً

والتوبيخ اللطيف من افعل القصاصات وخير استعمالهِ على انفراد لان توبيخ التلميذ على

مشيهدٍ من ارفاقهِ يدعوهُ الى المقاومة وكما قلّت القصاصات في المدرسة دلّ ذلك على الزيادة في حسن ادارتها

والنظام من لوازم السلطة الحسنة . والسكون ليس بنظام . فقياس النظام إنما هو العمل اي ان افضل نظام هو الذي بواسطتهِ يتم افضل عمل

ومن اللياقة ان يكون المعلم بشوشاً مبتسماً . يظن البعض ان السلطة تستدعي ظهور الانسان بمظهر الصرامة والاستبداد وهذا غلط . ان المعلم الذي يمكنهُ ابهاج التلامذة وايقاظ اذهانهم للمعرفة يمكنهُ ان يتسلط عليهم

التسميع

على المعلم ان يعلّم جيداً ما يعلّمهُ وان يستعد لكل درس . والموضوع مهما كان قديماً على المعلم اظهارهُ بمظهر جديد منعش . والاولاد من طبعهم حب العلم فاذا ابدوا تمللاً من درس فذلك دليل على ان وقتهُ لم يأتِ . فالدروس يلزم ان تكون مناسبة لسن المتعلم ودرجة ارتقائهِ . وعلى المعلم ان يجري في تسميعهِ على طريقة يشغل بها الفرقة كلها ويطلب ان يكون التسميع خالياً من الغلط واجوبة المسائل محكمة تمام الاحكام لئلا يتعود التلميذ على الدرس السطحي فيعتاد الغلط ويفقد اعتبار النفس . وعلى المعلم ان لا يتبع خطةً في التسميع يعرف منها كل واحد من التلامذة متى يأتي دورهُ وان لا يسمح بالمجاوبة لاحد من غير تسميتهِ ولا بمعارضة تلميذ آخر لان هذا من ضروب الخشونة . ونختم هذهِ المقالة بذكر بعض امورٍ يجب على المعلم اجتنابها

(١) لا تسأل التلامذة مسئلة سخيفة لا تحتاج الى جواب (٢) لا تسأل الاذكياء اكثر من البلداء (٣) لا تستعمل لهجة الآمر (٤) لا يأخذك الملل في اصلاح سقطات التلامذة (٥) لا تتأخر عن طلب الصفح من تلميذ اسأت اليهِ (٦) لا تغمض الطرف عن الحسنات وتفتحهُ عند النظر الى السيئات بل اكثر من النظر الى ما هو صالح (٧) لا تحاول تهدئة المدرسة بالخبط على الطاولة او بدق الجرس (٨) لا تذنّب تلميذاً على عمل شيء انت تفعلهُ

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتيَ مثلهُ عارٌ عليك اذا فعلت عظيمُ

طرابلس الشام جرجس الخوري المقدسي

المدرسة الكلية الاميركانية

في بيروت

يتعذر على الكاتب ان يوفي هذه المدرسة حقها من الوصف في مقالة او مقالات فان ذلك يقتضي مجلداً ضخماً وانما نقول في هذا الصدد ان ارض المدرسة تشغل مساحة تزيد عن مساحة حيّ من احياء القاهرة كالاسماعيلية او التوفيقية وفيها ثلاثة عشر بناء نصفها كبير فخيم وموقعها في رابية تشرف على البحر غرباً بشمال وهواؤها صحيّ وكل هذا مما يندر اجتماعهُ في المدارس الكبيرة

مضى على هذه المدرسة نحو ٣٨ عاماً وهي سائرة سيراً حثيثاً الى الامام فقد كان عدد تلامذتها سنة انشائها ستة عشر فبلغوا هذا العام سبع مئة واربعين وكان فيها اولاً دائرتان وهما الدائرة العلمية والدائرة الطبية فصار فيها الآن خمسٌ وهي العلمية والطبية والصيدلية والاستعدادية والتجارية

وكان استاتذتها عشرة او اثني عشر فبلغوا اليوم نحو ٤٥ وكانت متاحفها صغيرة وادواتها قليلة ومكتبتها لا تكاد تذكر واللغات التي تعلمها الانكليزية والعربية فقط فصار فيها الآن صفوف اختيارية لدرس الفرنسوية والتركية والالمانية ايضاً وجمع في مكتبتها نحو خمسة عشر الف مجلد وبلغت ادواتها وعددها مبلغاً عظيماً من الاهمية واصبحت متاحفها من متاحف العالم المعدودة وخصوصاً متحفي النبات والجيولوجيا لوجود كثير من الرواميز النادرة الجامعة لنبات سورية وفلسطين و بعض الممالك الشرقية وهو ما لا وجود لهُ في غيرها

ويضيق بنا المقام لو شئنا وصف كيفية التعليم فيها وغاية ما نقولهُ هنا ان برنامجها مستوفٍ فهي تعلم الرياضيات بجميع فروعها كالهندسة والجبر وحساب المثلثات والمساحة والهندسة التحليلية والفلك وفيها مرصد تام الآلات والادوات لرصد الاجرام السموية وتعلم العلوم الطبيعية كالنبات والحيوان والكيمياء والجيولوجيا وتعتني بتدريس اللغتين العربية والانكليزية تمام الاعتناء من صرف ونحو ومعانٍ وبيان وبلاغة. ويمرن التلامذة على الكتابة الفصحى والالقاء فيها . اما العلوم فتدرس كلها باللغة الانكليزية

غير ان الذي امتازت بهِ هذه المدرسة وسبقت بهِ غيرها من مدارس الشرق وكثيراً من مدارس الغرب ايضاً هو روح التربية الصحيحة والاعتناء بآداب التلامذة وانماء العواطف الشريفة وعزة النفس فيهم واعدادهم لكي يكونوا رجالاً في العالم . فعند دخول التلميذ الى المدرسة

يعطيهِ الرئيس منشورًا طبع بعدة لغات وملخصهُ انك ايها التلميذ قد اتيت الى هذه المدرسة ليس كمن يأتي الى سجن بل كمن يأتي الى عائلة ومعلموك يهتمون ان يبلغوك اقصى درجات النجاح . فعليك اذًا ان تحافظ على قوانينها حتى يعيش جميع افراد هذه العائلة في هناء وراحة. واهم قوانينها هو هذا " ان كل تلميذ يسلك سلوك رجل اديب صادق شريف يحتقر الكذب ويغتنم الفرص التي تسنح لهُ للفائدة ويسر بمساعدة من حولهُ . فعند ما تدرس ادرس بنشاط وعند ما تلعب العب بنشاط . قد اشتهر تلامذة مدرستنا بالاستقامة في وقوفهم وكلامهم واعمالهم . ثم انك كثيرًا ما ستشعر بفتور العزم او تقع في مشاكل فاذا وقعت في شيء من هذا فلا تتأخر عن الالتجاء الى الرئيس او الى احد المعلمين اذ تجدهم يسرون بمساعدتك" . ويعين الرئيس لكل فرقة من التلامذة معلمًا يكون بمثابة صديق خاص لهم يلجأون اليهِ وقت الاتعاب والمشاكل . هذه هي طريقة استقبال التلامذة الداخلين حديثًا يأتي الواحد منهم غريبًا فيرى رئيس المدرسة ومعلميها يستقبلونهُ بالترحاب ويعاملونهُ بما لا مزيد عليهِ من اللطف والايناس وللرئيس ساعات معلومة كل يوم يستقبل فيها التلامذة يدخل عليهِ التلميذ ليشكو همومهُ ويقضي اشغالهُ فيرى هناك ابًا رؤوفًا وصديقًا نصوحًا يستقبلهُ بالدعة واللطف ويخلص لهُ النصح وما يلزم من الارشاد فيعود وملء جنبيهِ الشكر والنشاط بعد فتور الهمة والعزم . وليس هناك حاجب يحول بين التليمذ والرئيس او عوائد تلزمهُ مراعاتها مثل السلام العسكري والوقوف كما يقف الجندي امام ضابطهِ مما يثبط الهمم ويصغر النفوس ويجعل الانسان آلة ميكانيكية في يد من هو اعلى منهُ بل يجلس التلميذ بجانب الرئيس ويتحادثان بحرية تامة كما يتحادث الولد مع ابيهِ . وتحيي عقيلة الرئيس وغيرها من عقيلات المعلمين ليالي ساهرة لكل فرقة من فرق المدرسة لتعليم التلامذة آداب السلوك في الاجتماعات وتدريبهم على آداب المعاشرة فترى المعلمين وعقيلاتهم في هذه الليالي يبذلون الجهد في توفير وسائل السرور ويشتركون جميعًا في التوقيع على الآلات الموسيقية والغناء ولعب الالعاب حتى يشعر التلامذة كأنهم بين اقاربهم وخلانهم وكل هذا مما لا غنى عنهُ في اقتباس التمدن الحديث وتهذيب الاخلاق

والاهتمام بتثقيف عقول التلامذة وتهذيب اخلاقهم ليس باقل من الاعتناء باجسامهم ففي المدرسة استاذ ماهر للالعاب الرياضية وهو يروض اجسام التلامذة على احدث الطرق العلمية المعول عليها في مدارس اميركا . يزن التليذ في اول السنة ويقيسهُ بطرق مختلفة ثم يفرض لهُ نوع التمرين العضلي الذي يوافقهُ ولكل تليذ صحيفة خاصة بهِ يقيد فيها الاستاذ مقاس التليذ من وقت الى آخر لمعرفة الفرق . ولدى الاستاذ جدول فيهِ متوسط وزن ومقاس

خمسة آلاف شاب في اميركا بين السابعة عشرة والثلاثين من العمر فيقابل عليهِ اقيسة التلامذة في المدرسة . وقد ظهرت فائدة هذه الالعاب الرياضية حتى صار كثيرون من التلامذة مثل احسن شبان اميركا تقريباً في قوة العضل وخفة الحركة مع ما للاميركيين من السبق في هذا المضمار . وضمن اراضي المدرسة ميدان كبير متسع يلعب فيهِ التلامذة ولهم في السنة يوم مشهود يتقاطر اليهِ الناس لمشاهدة الالعاب المختلفة حتى بلغ عدد المتفرجين هذه السنة نحو الخمسة آلاف

وتهتم المدرسة اهتماماً عظيماً لتقرن العلم بالعمل فلا يكتفي الاساتذة بالقاء الدروس وعمل التجارب بانفسهم بل يدربون التلامذة على اجرائها هم ايضاً — ترى تلامذة صف التحليل الكيماوي وامام كلٍّ منهم الانابيب والادوات اللازمة للعمل وترى تلامذة صف الفحص المكرسكوبي وكلٌّ منهم يفحص بمكرسكوبهِ وتلامذة النبات يجمعون عدداً معلوماً من الرواميز النباتية ويرتبونها بحسب فصائلها وانواعها ويفعل مثل هذا تلامذة الحيوان والجيولوجيا . وتلامذة مدرسة التجارة يتمرنون على مسك الدفاتر تمريناً كافياً ويدرسون علم سياسة الاقتصاد وتاريخ التجارة وآدابها والنصوص القانونية التي يحتاج اليها التاجر فيخرج التلميذ منهم وقد المّ بمبادىء التجارة علماً وعملاً

ومما يميز هذه المدرسة استقامة المبادىء وحرية الافكار وهي وان كانت مسيحية وتفرض على جميع تلامذتها حضور الصلاة اليومية الاَّ انها لا تحاول حملهم على تغيير معتقدهم بل ان رئيسها يوصي كلاًّ منهم باتباع قواعد مذهبهِ على اختلاف مللهم ونحلهم فيسهل على المسلمين الصوم وقضاء سائر الفروض التي يوجبها الاسلام عليهم . والغاية التي تسعى اليها المدرسة هي جعل تلامذتها مثالاً في الامانة والاستقامة وصدق المعاملة ولطف الاخلاق حائزين لجميع صفات الرجولية مثل الاعتماد على النفس والشهامة واحتقار الكذب . وجميع مواعظ اساتذتها وخطبهم الادبية ترمي الى هذا الغرض وهي بعيدة بعد الارض عن السماء عن كل ما تُشتم منهُ رائحة التعصب الديني او الجدل . ومن الطف الاساليب في انماء محبة الحق والعدل انهُ اذا اذنب تلميذ عرض الاستاذ الامر على صف الادبيات وطلب اليهم ان يبدوا آراءهم في مقدار جسامة ذنبهِ والعقاب الذي يستحقهُ عدلاً وقد شهد لهم الاساتذة انهم غالباً يصيبون في احكامهم ولا تمنعهم صداقتهم للمذنب عن النظر في ذنبهِ نظراً خالياً من كل غرض وهوى

واغلب اساتذة هذه المدرسة من متخرجي اشهر المدارس الجامعة في اميركا وبينهم كثيرون من المعلمين السوريين الذين تخرجوا من المدرسة الكلية نفسها وكلهم يعيشون معاً على غاية

الوفاق والوئام بلا فرق ولا تمييز. ومما يجدر ذكره عنهم انهم ينتهزون الفرص للدرس والمطالعة ولهم جمعيات خاصة بهم يلقون فيها الخطب المختلفة في المواضع التي يدرسونها ويسعون جهدهم في طرق ابواب جديدة للبحث فاساتذة النبات والجيولوجيا والتاريخ جابوا سورية وفلسطين وحوران وجبل لبنان وجمعوا رموزًا وعاديات ثمينة جدًّا وبعضها فريدٌ في بابهِ لا وجود لهُ في متاحف بقية المدارس

ولا تزال المدرسة سائرة في سبيل التقدم باجتهاد وهمة رئيسها ومعلميها وبغيرة اهل الفضل واليسار من اهالي اميركا الذين ينفقون من اموالهم عليها بسخاء ويهتمون بنجاحها. فقد شرعت هذا العام في بناء مستشفى للنساء على احسن مثال وآخر للاطفال ومدرسة لتعليم الممرضات صناعة التمريض يقضين فيها ثلاث سنوات في الدرس والتمرين وستكون دروسها بالانكليزية وينوون في المستقبل بناء مستشفى خاصّ بامراض العين وآخر للامراض الجلدية

هذه طرفة من تاريخ هذه المدرسة ووصف حالها الحاضرة. نسأل الله ان يأخذ بناصر ذوي المروَّة والهمة والكرم لتعمر بيوت العلم في الشرق وتعود المعارف الى اهلها (سائح)

قوانين يوستنيانوس

(تابع ما قبلهُ)

الفصل العاشر في التصرف في الاملاك

ان عادة التصرف في الاملاك قد ادخلها القاضي تعديلاً لحق القديم او اثباتًا لهُ

(١ و ٢) من لم يدخلهم في الميراث الا القاضي لايصيرون ورثةً بحقٍ تام بل هم اشباه الورثة ويسمون واضعي اليد

(٣) ان التصرفات في الملك المبنية على كتاب الوصية هي الآتية. الاولى ما يعطاهُ الاولاد المسكوت عنهم وما يُدعى ضد الالواح. والثانية ما وعدهُ القاضي كلَّ المقامين ورثة شرعًا والمورّثين حسب الالواح. واما من ماتوا ولم يوصوا في الدرجة الاولى الورثة الحقيقيون. والذين امر القاضي بجعلهم ورثة فالقاضي يجيز لهم وضع اليد كالاولاد. ثم ان القاضي يجيز وضع اليد في الدرجة الثانية للورثة الشرعيين. وفي الدرجة الثالثة لعشرة اشخاص يفضلون على المعتق الاجنبي. وفي الدرجة الرابعة لاقرب ذوي الارحام. وفي الدرجة الخامسة لمن هو عضوٌ من العائلة. وفي الدرجة السادسة للمولى وللمولاة ولاولادهم واصولهم. وفي الدرجة السابعة

للزوج والزوجة . وفي الدرجة الثامنة لذوي ارحام المولى

(٤) لكن تصحيحاً لكل هذه الاحكام قد استحسنا وضع اليد مخالفة لما جاء في الالواح او موافقة له . واما الذين يموتون غير موصين فالاحكام الواردة في حق الاولاد وفي حق المتخذين ورثة شرعاً وفي حق الزوج والزوجة فما كان القاضي قد اوجد جملة انواع من وضع اليد عين زمناً محدوداً لطلب وضع اليد . سنة للاولاد والاصول الطبيعيين او المتبنين ومائة يوم لمن عداهم

(٥) اذا من له حصة في الميراث لم يطلب وضع اليد في هذه المدة المحدودة فتعطى تلك المدة الذين هم من هذه الدرجة نفسها . وان لم يكن هناك احد من تلك الدرجة فتعطى المهلة من هو في الدرجة التابعة وهلم جرّا . ولا يعد للطالب الا الايام التي يتمكن فيها من الطلب

الفصل الحادي عشر في الاقتناء بالتبني الاستدعائي

(١) متى ابو العائلة سلم نفسهُ بالتبني الاستدعائي فكل مالهُ من العروض والعقار والحقوق او كل ما يجب له كان في الشرع القديم يصير بحق تامّ ملك المتبني ما خلا ما يهلك او يبطل بتغير الحالة

(٢) اما في عهدنا فلم يبقَ لهُ سوى استغلال ما امتلكهُ الاولاد بسبب اجنبي عن الاب . فان مات المتبني استدعائياً في عائلتهِ المتبناة فكل ما كان له حق الملك ينتقل الى المتبني . مالم يكن هناك اشخاص آخرون يفضلهم قانوننا على الاب فيما لا يمكن ان يكتسبهُ من الاشياء

الفصل الثاني عشر فيمن تسلم اليهِ الاملاك المحكوم بها بسبب التحرير

اذا العبيد الذين اعتقهم مولاهم بكتاب لم يستعملوهُ لقبض الميراث التمسوا ان يقضى لهم بالاملاك محافظةً على الحرية قُبِل التماسهم

الفصل الثالث عشر في التركات الممنوعة الحاصلة من بيع الاملاك وفي مرسوم قلوديانوس[1]

مع السياق المألوف في الدعاوي[2] تختفي مبايعات الاملاك فيعطى الدائنون الحق ان يضعوا ايديهم على الاملاك باذن القاضي بالوجه الذي يظهر لهم انهُ الاصلح والانفع

(١) عامل روماني وُلد في السنة العاشرة قبل المسيح وقد جاء في ترجمته انهُ وضع عدَّة تدابير قضائية نافعة وقد مات مسموماً (٢) اي مع اختفاء المعاملات المتعارفة

الفصل الرابع عشر في العهود

لننتقل الى العهود · العهد رباط الشرع الملزم بالوفاء حسب قواعد الشرع المدني

(١) ان العهود بحسب التقسيم الاصلي قسمان مدنية وقضائية فالعهود المدنية هي التي تقررها الشرائع او يؤيدها الشرع المدني · والعهود القضائية هي ما يقررها القاضي بالتصرف بولايتهِ ويسمونها شرفية

(٢) وهي في التقسيم التالي اربعة اقسام لانها اما ان تقع بالمعاهدة او بشبه المعاهدة او بالجناية او بشبه الجناية · فالتي تقع بالمعاهدة تقوم بالشيء وبالقول وبالكتابة وبالرضا

الفصل الخامس عشر في بأي وجهٍ يتعهد بالالتزام بالشيء

التعهد بالشيء يقع بحصول القرض · وموردهُ الاشياء القابلة التثمين وزناً او عداً او ذرعاً والتي ترد بمثلها جنساً ونوعاً. وعن هذا العهد تنتج الدعوى الشخصية لاسترداد المسروق والمختلس والمغصوب

(١) من يقبل ما ليس لهُ ممن يفيهِ اياهُ خطاء يلتزم بالشيء ويحق لمن يتصرف فيهِ اقامة الدعوى الشخصية لاستردادهِ

(٢) من يأخذ شيئاً بقصد الاستخدام يلتزم بهِ · وعليهِ ان يحفظهُ حفظ العارية . والمستعير اذا فقدت العارية منهُ اتفاقاً يبقى ملتزماً بها (يريد اذا كان ذلك بسبب منهُ) ويجب على من اخذ شيئاً للاستخدام ان يبذل اتم العناية بحفظهِ لكنهُ لا يلتزم اذا طرأت قوة غالبة ولا في الاحوال الاتفاقية حين لا يقع الضرر بتعديهِ او تقصيرهِ [1] والشيء المأخوذ للانتفاع بهِ يعد عارية ان لم يعطَ او يوعد أجرة ما عليهِ

(٣) كذلك من يستودع شيئاً يلتزم بهِ ويؤاخذ بدعوى الوديعة ان وقع منهُ تعدٍ او تقصير [2]

(٤) الدائن المرتهن ملتزم بالرهن وملتزم ان يرد الشيء بصك الرهن · وقد تقرَّر ان

---

(١) هذا منطبق على قول الفقهاء ان الامانة اذا هلكت من غير تعدٍ لم يضمن الامين كالوديعة فهي امانة في يد المودَع فاذا هلكت من غير تعدٍ لم يضمنها لأن بالناس حاجة الى الاستيداع فان ضمناهُ يمتنع الناس من قبول الودائع فتتعطل مصالحهم

(٢) سئل فيما اذا كان لزيد الغائب وديعة عند عمرو فأذن له زيد في ارسالها اليهِ مع رجل امين يعتمد عليهِ ففعل ذلك فخرج على الرسول قطاع الطريق فنهبوا القافلة والامانة بالقهر والغلبة ولم يمكن دفعهم ويريد زيد ان يضمنها عمراً فهل حيث كان الامر كذلك لاضمان على عمرو (الجواب) نعم (تنقيح الفتاوى الحامدية) وفيها ايضاً اذا أبق عبد الوديعة فلا ضمان على المودع اذ قد جرى ذلك بدون تعدٍ منهُ ولا تقصير في حفظهِ

ليس عليهِ الاَّ بذل العناية بحفظهِ

الفصل السادس عشر في العهود القوليَّة

ينعقد العهد القولي بواسطة السؤال والجواب وذلك متى وقع الشرط على ان نُعطى او يُفعل لنا شيءٌ و يتخرج على هذا العهد أمران احدهما المطالبة برد الشيء المعيَّن اذا كان الشرط معيناً والآخر دعوى الشرط ان لم يكن الشرط معيناً

(١) يجوز ان يكتب الشرط في أي لغة متى كان المتعاقدان عارفين بتلك اللغة

(٢) الشرط اما ان يكون مطلقاً . واما ان يكون الى اجلٍ او مقيداً بحال . فصورة الشرط المطلق أن يقول هل وعدت ان تعطيني ليرةً وربما فعلى هذه الصورة تجوز المطالبة بالمبلغ حالاً واماَّ الشرط المضروب لهُ أجلٌ فيضم اليهِ يوم وفاء المبلغ . وصورتهُ ان يقول هل وعدت ان تعطيني ليرتين ونصفاً اوَّل اذار فلا تجوز المطالبة بالمبلغ والحالة هذهِ قبل حلول الأَجل

(٣ و ٤) الاشتراط المقيد بحالٍ هو التعهد المؤجل الى حادثة معينة ففي هذه الصورة لايكون للمتعهد لهُ الا الأمل في ان لهُ ديناً . ويجوز لهُ ان ينقل هذا الأمل الى وارثهِ

(٥) وعدتَ ان تعطيني في قرطاجنةَ فهذا كما يظهر وعد محضٌ وهو في الحقيقة يتضمن أجلاً . وهذا الأَجل ضروريٌّ للواعد لكي يتمكن من دفع المبلغ في قرطاجنةَ

(٦) الشروط المتعلقة بالزمان الحاضر او بالزمان الماضي تبطل الالتزام في الحال او توجب ان لا يتأخر التنفيذ بوجهٍ ما

(٧) يجوز ان يُقيد العهد حق بوقائع وحوادث لكن من الحكمة ان تُعلق عقوبات على تنفيذ ذلك العهد حق لا يتكلف المدعي اثبات حقوقهِ

الفصل السابع عشر في المتعاهدَين والمتواعدَين

يجوز ان يتفق شخصان او اكثر في عهدٍ واحد او وعدٍ واحد فبعد ان يسأل كلٌّ منهما او منهم يجيب الواعد ويقول "وانا أعدهُ هذا الوعد على هذا الوجه" فيقول يازيد هل تعد ان تعطيني ليرتين ونصفاً وياعمرو هل تعد ان تعطيني هذا المبلغ . فمتى اجاب كلٌّ منهما على انفراد "أنا أعد بذلك" تمَّ التعاهد

(١) في تعهدات من هذا النوع لكل من الدائنين حقٌّ في الكل وكلٌّ من المديونين مسؤول في الكل

(٢) المتشاركان في الوعد يجوز ان يكون احدهما ملتزماً على الاطلاق وان يكون الآخر ملتزماً عند اجلٍ او تحت شرط

الفصل الثامن عشر في عهد العبيد

(١) يحق للعبد ان يعاهد بالنيابة عن مولاه ويكسب لمولاه . وهذا الحقّ بعينهِ للاولاد الذين هم تحت ولاية والدهم

(٢) اذا كان العهد واقعاً على عمل فالعهد يتعلق بشخص المعاهد

(٣) العبد المشترك بين عدة موالٍ والمعاهد كسبهُ لكلّ منهم على قدر حصتهِ في رقبتهِ ما لم يكن قد عاهد بأمر واحدٍ منهم فقط او لواحدٍ سمّاهُ منهم فكسبهُ حينئذٍ لذلك الواحد الذي سماهُ

الفصل التاسع عشر في تقسيم العهود

توجد عهود أُخر (وهي شرعية . وقضائية . وعمومية)

(١) العهود الشرعية انما تصدر عن منصب القاضي فقط

(٢) العهود القضائية انما تصدر عن منصب القاضي الأعلى فقط

(٣) العهود المتفق عليها هي المذكورة في عقود المتعاقدين

(٤) العهود العمومية هي كالتي بها املاك القاصر تكون محفوظة او كالتي بها يجب انجاز الوعد

الفصل العشرون في العهود الباطلة

(١و٢) كلّ ما يوجد او يحتمل انهُ يوجد يجوز دخولهُ في العهد فلا فائدة للعهد فيما اذا تُعهّد لشخص ان يعطى شيئاً مفرداً لله تعالى او شيئاً دينياً او عمومياً او رجلاً حرًّا او شيئهُ الخاص

(٣) اذا وعد شخصٌ ان رجلاً يعطي او يصنع شيئاً فلا يلتزم بالوعد . واذا وعد ان يجعل ذلك الرجل يعطي فهو ملتزم بالوعد

(٤) اذا اشترط زيدٌ باسم من ليس هو تحت ولايتهِ فكأنهُ لم يشترط شيئاً وان اشترط باسم من هو تحت ولايتهِ فما حصل عن ذلك فهو راجع اليهِ

(٥) العهد باطل ان لم يجاوب الشخص عن الشيء الذي سئل عنهُ

(٦) كذلك متى عاهدت عمن هو تحت ولايتك او متى عاهد هو عنك فالعهد باطل

(٧) الاخرس لا يستطيع ان يعاهد صريحاً ولا ان يعد . وكذلك الاطرش

(٨) ليس المجنون باهلٍ لعهدٍ ما

(٩) يجوز للقاصر شرعاً ان يعاهد في كل امرٍ لكن يشترط ان يكون ذلك باذن الوصي حتى يصير ملتزماً شخصياً

(١٠ و ١١) متى ضمَّ شرط مستحيل الى العهد صار العهد غير شرعي

(١٢) العهد القولي الذي ينعقد بين الغائبين باطل

(١٣) بما ان العهود تصير شرعية بتراضي المتعاهدين نريد ان العهد المقطوع للالزام سواء كان بعد وفاة او ليلة وفاة المعاهد او الواعد يكون صحيحاً في كل حالٍ

(١٤) العهد المنعقد على وعدٍ مقابلٍ للوعد الاول شرعيٌّ صحيحٌ في مطلق الاحوال

(١٥) العهد بالهبة عند الوفاة على الصورة الآتية وهي أتعدني ان تهبني متى متُّ انا أو متى متَّ انت شرعيٌّ صحيح

(١٦) كذلك يكون العهد صحيحاً اذا علق على وفاة ثالث

(١٧) اذا كان وعد زيد مكتوباً في صك فيعتبر ذلك الوعد بمنزلة جواب على سؤال متقدم

(١٨) متى اشتمل العهد الواحد نفسهُ على اشياء متعددة فان اجاب الواعد "انا أعِد ان أعطي" تعيَّن عليهِ ان يعطي كلَّ تلك الاشياء المذكورة في العهد . واما ان اجاب "اني أُعطي واحداً او بعضاً منها" انعقد الالتزام على ما تعيَّن في الجواب

(١٩) انما وُضعت العهود ليكسب كلٌّ من المتعاهدين ما ينتفع بكسبهِ

(٢٠) متى تعهد احد الناس عن شخص ثالث وكان للمتعهد مصلحة في ذلك التعهد نريد ان يكون التعهد صحيحاً وذلك كما اذا تعهد مديون عن غريمهِ ولهُ منفعة من وراء ذلك التعهد فالتعهد صحيح

(٢١) من يَعِد ان شخصاً ثالثاً يعمل فلا يكون ملتزماً مالم يكن قد قيد وعدهُ باشتراط عقوبةٍ ما على نفسهِ ان لم ينجز الوعد[1]

(٢٢) لا يصحُّ تعهد احد بشيء سيملكهُ

---

(1) من قواعد ابن نجيم ما يطابق هذه القاعدة قال « المواعيد بصور التعاليق تكون لازمةً مثلاً لو قال رجل لآخر بع هذا الشيء لفلان وان لم يعطكِ ثمنهُ فانا اعطيهِ لك فلم يعطِ المشتري الثمن لزم الرجل اداء الثمن المذكور بناء على وعدهِ المعلق » (المجلة)

(٢٣) اذا اعتقد المتعهد انهُ تكلم عن شيءٍ والواعد يتكلم عن شيءٍ آخر بطل التعهد

(٢٤) الوعد بأمرٍ قبيح منكر غير صحيح شرعاً

(٢٥) متى قيّد العهد بشرط معين فاذا تم الشرط جاز لوارث المتعهد ان يتصرف. وكذا وارث الواعد

(٢٦) من يشترط ان يُعطَى لهُ في سنة معينةٍ او في شهرٍ معين يحق لهُ شرعاً ان يطالب بما اشترط متى انقضت السنة او الشهر

الفصل الحادي والعشرون في الكفالة

قد جرت العادة ان يؤخذ كفلاء ليكون المكفول لهُ على أتم الثقة والاطمئنان

(١) يصحُّ أخذ الكفالة في عامة العهود والالتزامات[1]

(٢) ان الكفيل ملتزم بما كفل. واذا تُوفي قام الوارث مقامهُ في الالتزام بما كفل بهِ[2]

(٣) الكفالة يجوز ان تتقدم العهد ويجوز ان تتأخر عنهُ

(٤) اذا تعدَّد الكفلاء[3] فكلٌّ منهم مطالَبٌ بالكل الاَّ ان مرسوم العاهل أدريان يلزم الدائن ان يطالب الموسرين منهم وقت ابتداء المخاصمة وكلاًّ منهم بحصتهِ

---

(١) في الفقه الاسلامي تصحُّ الكفالة بكل حقٍّ يمكن استيفاؤهُ من الكفيل · والكفالة بالمال جائزة معلوماً كان المال المكفول بهِ او مجهولاً فالاوَّل نحو كفلت لك منه المبلغ المذكور في هذا السند وقدرهُ الف ليرةٍ والثاني نحو كفلت لك عن فلانٍ ما ثبت لك عليهِ · وذلك بشرط ان يكون ديناً صحيحاً · وهو ما لا يسقط الاَّ بالأداء او الابراء · ومن مات وعليهِ ديون ولم يترك شيئاً فتكفل رجل عنهُ للغرماء لم تصح عند ابي حنيفة لأنَّ الدين سقط بموتهِ مفلساً · ولو ترك ما يفي ببعض الدين صحَّ بقدرهِ كما في ابن ملك

(٢) كذا في الفقه الاسلامي · اما الكفيل بالنفس فيبرأ من الكفالة بموت المكفول عنهُ لأنهُ سقط الحضور عن الاصيل فيسقط عن الكفيل · وكذلك يبرأ من الكفالة بموتهِ لانهُ لم يبقَ قادراً على تسليم المكفول بهِ بنفسهِ وما لهُ لا يصلح لايفاء هذا الواجب

(٣) وفي المادَّة ٦٤٧ من مجلة الاحكام العدلية ما نصهُ « لو كان لدينٍ كفلاء متعددة فان كان كلٌّ منهم قد كفل على حدةٍ يطالب كلٌّ منهم بمجموع الدين · وان كانوا قد كفلوا معاً يطالب كلٌّ منهم بمقدار حصتهِ من الدين · ولكن لو كان قد كفل كلٌّ منهم المبلغ الذي لزم في ذمة الآخر فعلى هذا الحال يطالب كلٌّ منهم بمجموع الدين · مثلاً لو كفل احدٌ آخر بألف ثم كفل ذلك المبلغ غيرهُ ايضاً فللدائن ان يطالب من شاء منهما · واما لو كفلا معاً فيطالب كلٌّ منهما بنصف المبلغ المذكور الاَّ ان يكون قد كفل كلٌّ منهما المبلغ الذي لزم ذمة الآخر. فعلى ذلك الحال يطالب كلٌّ منهما بالألف

(٥) لايجوز ان يكون الكفيل ملتزماً باكثر مما يلتزم بهِ المكفول عنهُ . ويجوز ان يكون ملتزماً بأقل مما يلتزم بهِ المكفول عنهُ والمديون يجوز ان يَعد وعداً مطلقاً والكفيل يَعِد وعداً مقيداً بشرطٍ لكن نقيض ذلك غير جائزٍ

(٦) اذا ادي الكفيل شيئاً عن المكفول رجع بهِ عليهِ بحجة انهُ دفعهُ بالوكالة عنهُ [1]

(٧) متى كتب زيد انهُ صار كفيلاً عن فلان اعتبرت كفالتهُ شرعية صادرة بحضرة الشهودة ووجب عليهِ القيام بها

الفصل الثاني والعشرون في العهود المكتوبة

الاستثناء لقلة عدد النقود لايمتدُّ بوجهٍ من الوجوه الى ماوراء السنتين

الفصل الثالث والعشرون في العقود الصادرة عن التراضي

العقود تنعقد بالتراضي[2] في البيوع والاجارات والشركات والوكالات اذ يكفي من يعقدون هذه العقود ان يبدوا رضاهم . فالعاقدان في هذه العقود يجب لكلٍّ منهما على الآخر بعلة الارتباط المتبادل ان يقوم بالواجب عليهِ للآخر بنية سليمةٍ وانصافٍ

الفصل الرابع والعشرون في البيع

ينعقد البيع فورَ الاتفاق على الثمن وأما البيوع التي تقيد بالكتابة فقد قررنا ان البيع لاينعقد الاَّ متى كان صك البيع قد كتب بيد المتعاقدين او بيد ثالث . وأما اذا كتب ذلك الصك على يد الموثق اي الصكاك فلا يعتبر البيع قد عقد في اجزائهِ كافة الاَّ اذا كان قد أُعطي شيءٌ على سبيل العربون فالذي يرجع عن اتمام العقد فان كان المشتري خسر ما أعطى . وان كان البائع أُلزم أن يرد ضعف ما أخذ . ومما لابدَّ منهُ تعيين ثمنٍ اذ لابيع بلا ثمنٍ

---

(١) يرجع الكفيل على الاصيل بما أدّى ان الكفالة بأمرهِ والاَّ لم يرجع عليهِ بما يؤديهِ لانَّهُ متبرّع بأدائهِ كذا في كتب الفقه الاسلاميّ عامة

(٢) كذا في الفقه الاسلاميّ واعلم ان البيع يكون بقولٍ او فعلٍ اما القول فالايجاب والقبول وهما ركنهُ ولذا لم يلزم بيع المكرَه وان انعقد بل هو بيع فاسد موقوف على اجازة البائع . واما الفعل فالتعاطي وحقيقتهُ وضع الثمن وأخذ المثمن عن تراضٍ منهما من غير لفظٍ (الدرّ المختار وحاشية ابن عابدين)

(١) يجب ان يعين الثمن · وقد تقرر في شرعنا انهُ كما جرى البيع على هذه الصورة وهي "لكي يعين الثمن فلان" كان البيع موقوفاً فاذا الشخص المذكور سمى الثمن نفذ البيع بحسب تثمينهِ فالشاري يقبض المبيع والبائع يقبض الثمن · ولكن اذا كان الامر بالعكس اي اذا لم يرد الشخص المسمى او لم يقدر ان يعين الثمن كان البيع في هذه الحال مردوداً كأنهُ لم يقع اذ لم يعين لهُ ثمن

(٢) ايضاً يجب ان يكون الثمن دارهم · وأما سابينوس وكاسيوس فقالا يجوز ان يكون الثمن اي شيء كان · ومن هنا أتى القول المشهور الدائر على السنة العوام وهو "البيع مبادلة الاشياء" واما بروكولوس فيقطع ان مبادلة الاشياء ضرب آخر من العقود مفترق عن البيع والرأي رأيهُ [١]

(٣) متى انعقد البيع صار المبيع حينئذٍ في عهدة المشتري ولو لم يستلمهُ بعد · وما طرأ على المبيع بدون غشٍ من البائع ولا تعدٍ منهُ فلا يُسأل عنهُ لكن متى حمل الغِرْيَل بعد البيع زيادةً على الارض فهي للمشتري لان الزيادة لمن عليهِ النقصان

(٤) يجوز ان يعقد البيع بشرطٍ وان يعقد مطلقاً [٢]

(٥) من يشتري مكاناً مقدساً ومحلاً دينياً أو عمومياً فشراؤهُ باطل . واما من يخدعهُ البائع فيشتريها على انها كسائر العقارات المملوكة للافراد فيجوز لهُ ان يقيم دعوى الشراء ليسترد الثمن الذي دفعهُ · وهذا الحكم مطرد فيمن يشتري الحرَّ على انهُ عبد [٣]

الفصل الخامس والعشرون في الاجارة

الاجارة تشبه البيع · وقواعدها نفس قواعدهِ وتنعقد متى اتفق على الاجرة [٤]

---

(١) يقال لهذا في الفقه الاسلامي "المقايضة" وقالوا في تعريفها هي مبادلة عرَض بعرضٍ فمن بادل زيداً كتاب نحوٍ بكتاب فقهٍ كان ذلك مقايضة

(٢) كذا في الفقه الاسلامي ولكن على التفصيل الآتي وهو ان البيع بشرطٍ يقتضيهِ العقد صحيح والشرط معتبر والبيع بشرط يؤيد العقد صحيح والشرط معتبر وكذا البيع بشرط متعارف وهو المرعي في عرف البلدة والبيع بشرطٍ لا نفع فيهِ لاحد المتعاقدين صحيح والشرط لغو (المجلة الفصل الرابع) وعند ابن شبرمة البيع والشرط جائزان على الاطلاق لحديث «المسلمون عند شروطهم» (٣) في الفقه الاسلامي بيع الوقف باطل لا فاسد كما هو صريح كلام القنية وفي حاشية ابن عابدين ان بعض مشايخ العصر افتوا بفسادهِ لا ببطلانهِ ولم نقبل فتواهم وفي المادة ٢١٠ من المجلة لو باع آدمياً حراً فالبيع باطل (٤) عرَّفها الفقهاء بقولهم «الاجارة بيع منفعةٍ معلومةٍ بعوضٍ معلومٍ»

(١) ما قلناهُ في البيع في شأن تعيين الثمن اذا فوّض الى حكم شخص ثالث نقولهُ في الاجارة اذا جعل تسمية الأجرة لحكم شخص ثالث

(٢) اذا سلمك شخص شيئاً معيناً لتنتفع بهِ او لتتمتع بهِ واخذ منك شيئاً آخر لينتفع بهِ او ليتمتع بهِ فهو نوع آخر من الإجارة . ويراعى في الدعوى نصّ العقد

(٣) وهذا يراعى ايضاً في التركات المسلّمة الى بعض اشخاص ليتمتعوا بها مؤبدًا بحيث انهُ ما بقيت الاجرة او الغلة تؤدى الى المالك لا يجوز ان يخرج الميراث لا الى المستأجر نفسهِ ولا الى وارثهِ ولا الى من باعهم المستأجر او وارثهُ او المعطى او المجعول مهرًا او المبيع بنوعٍ من سائر انواع البيوع

وفي شريعة زينون ان الاجارة الطويلة المدّة كانت عقدًا خاصًا تتبع فيهِ قواعد لهُ خاصة واذا بعض العقود كان مبنيًا عليها كان حكمها حكم هذا العقد . واذا لم يتفق على ما يطرأ من العيب او الخطر على الشيء كانت الخسارة الكلية على المالك والجزئية على المستأجر

(٤) اذا اتفق مع صائغ على ان الصائغ يصنع لهُ خاتم ذهب بوزن معيَّن وشكل معيَّن وانهُ يدفع لهُ ثمنهُ ليرتين ونصفاً كان ذلك عندنا بيعاً [١] . واما اذا كان الذهب لزيدٍ واتفق مع الصائغ على اجرة الصياغة فذلك اجارة

(٥) يجب على المستأجر ان يقوم بكل ما توجب عليهِ الشريعة بموجب العقد الذي عقدهُ واذا أُهمل شرطٌ في هذه الشريعة وجب انفاذهُ بمقتضى قوانين العدل والمساواة . ويتعين عليهِ محافظةً على الشيء ان يُعنى بهِ كعناية ربّ بيتٍ بأهل بيتهِ

(٦) متى توفي المستأجر اثناء مدة الاجارة يقوم وارثهُ مقامهُ في الاجارة ويصير حكمهُ كحكمهِ [٢]

(ستأتي البقية)

---

(١) وفي المادّة ٣٨٨ من المجلة « اذا قال شخص لأحد من اهل الصنائع اصنع لي الشيء الفلاني بكذا قرشاً وقبل الصانع ذلك انعقد البيع استصناعاً » وهذا موافق لما في الفقه الروماني كما رأيت

(٢) هذا مخالف لما في الفقه الاسلامي لانهُ اذا مات المؤجر او المستأجر تبطل الاجارة لكن اذا تعدّد المؤجر او تعدّد المستأجر تبطل بقدر الحصص . ولا تبطل في موت واحدٍ من خمسة الوكيل . والوصي . والأب . والقاضي في اجارة مال اليتيم . والقيم في اجارة مال الوقف (الفرائد البهية في القواعد الفقهية)

المغالاة بالصور

لقد يعجب الشرقي اذا قيل لهُ ان الصورة الواحدة التي لا تزيد مساحتها على متر مربع تباع احياناً بالف جنيه او اكثر الى عشرين او ثلاثين الف جنيه. ويزيد عجبهُ اذا علم ان تلك الصورة عينها كانت تباع ببضعة جنيهات وان صوراً مثلها لمصورين غير مشهورين قد لا تباع بعشرات الجنيهات . والسبب الاكبر للمغالاة بالصور تنافس الاغنياء في احراز مالا يحرزهُ غيرهم واهتمام باعة الصورة بترغيبهم في ذلك. ومن اشهر هؤلاء الباعة بيت كرستي في مدينة لندن وهو دلاَّل نشأ في اواسط القرن الثامن عشر وكان في اول امرهِ يبيع التحف والتركات على انواعها من الصور والاسلحة القديمة الى الخيل والمركبات والخنازير والبراميل ثم اقتصر على بيع الصور والتحف وجعل يعرض ما يريد بيعهُ في غرفة فسيحة ويدعو العظماء والاغنياء لمشاهدتهِ ولا يدع احداً من السوقة يمتزج بهم فزادت المنافسة بينهم رويداً رويداً حتى بلغت ما بلغتهُ الآن وصار محل كرستي مجمعاً للاشراف وارباب الثروة

وكانت اثمان الصور حينئذٍ طفيفة جداً. ففي اول مزاد أُقيم سنة ١٧٦٧ بيعت صورة من تصوير هلبين باربعة جنيهات وثمانية عشر شلناً وصورة من صور تشيان بجنيهين وشلنين وصورة من صور غويدو بجنيه وشلن . وبلغ ثمن كل ما بيع في يومين مئتين واربعة واربعين جنيهاً وثمانية عشر شلناً وهو لو بيع الآن لبلغ عشرات الالوف من الجنيهات. ثم زادت رغبة الاغنياء في ابتياع الصور وزادت مغالاتهم بها حتى ان صورة من صور رينلدز اخذ ثمنها مئة جنيه بيعت في المزاد سنة ١٨٢٨ فبلغ ثمنها الفاً ومئتي جنيه

ولما حدثت الثورة الفرنسوية جعل كثيرون من امراء فرنسا وعظمائها واغنيائها يبيعون ما عندهم من التحف فانتقل كثير منها الى انكلترا ووصل الى محل كرستي فبيعت صورتان منها بسبعة آلاف جنيه وهما من تصوير كلود . وشاع ذلك في اوربا فقال المصورون واصحاب الصور ان سوقها في مدينة لندن فقصدوها بصورهم من كل بلدان اوربا وجعلت الدول ترسل معتمديها الى محل كرستي هذا لتسترجع صور اهاليها باي ثمن كان كما حدث في صورة "الحبل بلا دنس" التي بيعت سنة ١٨٥٢ وكانت للمرشال صُلت فان حكومة فرنسا اشترتها بنحو ثلاثة وعشرين الف جنيه

قال احد الكتَّاب وقد دخل محل كرستي منذ عهد قريب ورأى الصور تباع فيهِ انهُ رأى هناك جماعة من اكبر رجال الانكليز مثل دوق دفنشير ومركيز لنسدون ونحوهما من عظماء

الامَّة وكثيرين من كبار المصورين ومبتاعي الصور لمتاحف اوربا واميركا . فأُتي اولاً بصورة لادي سليناباركر من تصوير غاينسبرو ووقف الدلال ومطرقة العاج في يدهِ ونادى الجمع قائلاً كم تدفعون فقال واحد الف جنيه وقال آخر الفاً وخمس مئة وآخر الفين وآخر الفين وخمس مئة وآخر ثلاثة آلاف وآخر ثلاثة آلاف وخمس مئة ووقفوا عند هذا الحد . فجعل الدلاَّل ينادي ويقول ثلاثة آلاف وخمس مئة جنيه ثلاثة آلاف وخمس مئة جنيه . فعاد الناس الى المزايدة وزادوا مئة بعد اخرى حتى أبلغوها ثلاثة آلاف وثماني مئة جنيه ووقفوا عند هذا الحد فرسا المزاد على احدهم . وهم يقولون ان الصورة ليست من احسن صور المصور غاينسبرو والاَّ لفاقت هذا الثمن كثيرًا لان احدى صورهِ وهي صورة دوقة دفنشير بيعت سنة ١٨٧٦ بعشرة آلاف ومئة جنيه وصورة اخرى وهي صورة لادي ملغراف بيعت سنة ١٨٩٥ بعشرة آلاف جنيه وهي نفسها بيعت بالف وسبعين جنيهاً قبل ذلك ببضع عشرة سنة

وتباع الصور والتحف غالبًا من مجاميع اصحابها اذا ماتوا ولم يستطع ورثتهم الاحتفاظ بها او اذا افتقروا او اصابتهم نائبة اخرى من نوائب الدهر . ولا يندر ان تباع التحف التي جمعها الملوك والامراء والعظماء لان الدهر في الناس قلَّب "ان دان يوماً لشخص ففي غد يتغلَّب" . وفي اوربا اناس عملهم التفتيش عن الصور القديمة في الاماكن المهجورة وابتياعها بارخص الاثمان والذهاب بها الى حيث تباع باثمان فاحشة . وكثيرًا ما تكون مزوَّرة صنعت في ايطاليا او المانيا وعزيت الى مصور قديم مشهور . ويقف صاحبها واصدقاؤُهُ يتزايدون في ثمنها الى ان يتقدَّم غرٌّ جاهل من اصحاب الملايين ويتزايد معهم فيرسو المزاد عليهِ

ويغالي اولئك الاغنياء بكل التحف النادرة كما يغالون بالصور ففي الربيع الماضي بيعت حقَّة صغيرة من حقق السعوط بستة آلاف واربع مئة جنيه وقد كانت للملك لويس الخامس عشر . وبيعت ثلاثة آنية من خزف سفر بعشرة آلاف جنيه وكاس من الزجاج المنقوش بالفين وستمئة جنيه

وقد يتزايد المشترون ويفرطون مغايظةً ثم يندمون ولات ساعة مندم . من ذلك ان بعضهم ابلغ صورة " دانيال في جب الأسود " التي صورها روبنس الى اربعة آلاف وتسع مئة جنيه فرسا مزادها عليهِ بهذا الثمن ثم باعها لصاحبها بالفي جنيه وقد بيعت هذه الصورة عينها قبل ذلك بمئتي جنيه . وكثيرًا ما تباع الصورة بثمن فاحش بناء على انها صورة حقيقية للصور المنسوبة اليهِ ثم توجد مزورة لا تساوي شيئًا . وقد تباع بثمن بخس لانها تكون مغطاة بالاوساخ ثم يظهر انها من اثمن الصور لكن ذلك صار نادرًا الآن لمهارة منتقدي الصور . وقد

باع محل كرستي هذا صوراً سنة ١٨٨٢ بلغ ثمنها اكثر من ستمئة الف جنيه . فاعجب بغنى امة تشتري من دلاّل واحد ما ثمنهُ ستمئة الف جنيه مما ليس من الحاجيات في شيء

وغني عن البيان ان صوراً يغالي الناس بها الى هذا الحد ويبتاعونها بالوف الجنيهات تتجه اليها انظار اللصوص فيحاولون اختلاسها بكل واسطة . وقد نجحوا في اختلاس كثير من الصور المشهورة من ذلك صورة كونتس دفنشير المشار اليها آنفاً . فان بعض اللصوص نزعوها من الاطار الذي حولها ولفُّوها وهربوا بها ثم وجدت وبيعت فاشتراها بيربنت مورغان المثري الاميركي

ومن ذلك ايضاً صورة مار انطونيوس وهي للمصور مورلّو واكبر صورهِ ومن اجملها وكانت في كنيسة اشبيلية الكبرى وقد عرض دوق ملبرو ان يشتريها بستة وثلاثين الف جنيه فلم تبَع لهُ . وسنة ١٨٧٤ شاع ان بعض اللصوص عازمون على سرقتها فضوعف الحرس الذي يحرسها واضيف اليهِ كلبان كبيران . وفي الخامس من شهر نوفمبر وجد خرق كبير فيها فان اللص قطع منها صورة مار انطونيوس وهي تصلح ان تكون صورة على حدتها . وبذلت الحكومة الاسبانية جهدها في التفتيش عن السارق والصورة المسروقة ونشرت صورتهما بالفوتوغراف في الآفاق فلم تقف لهما على اثر . وفي السنة التالية عُرِضت الصورة المسروقة للبيع في نيويورك باميركا والذي عُرِضت عليهِ عرف انها الصورة المسروقة واخبر قنصل اسبانيا بذلك واشتراها بمئتي جنيه وكان الذي باعها رجلاً اسبانياً فقبض عليهِ وظهر انهُ هو السارق وردت الصورة الى مكانها

ومنها صورة المجدلية متكئة تقرأ وهي اجمل صور المصور كورجيو سرقت من متحف درسدن سنة ١٧٤٧ هي وصورتان اخريان غيرها . والظاهر ان السارق لم يكن راغباً فيها بل في الحجارة الكريمة المرصعة بها فانها وجدت بعدئذٍ في تبّان واطارها منزوع منها . ومثل ذلك ما اصاب صورة من صور رفائيل فانها وجدت عند فلاح في ايطاليا سنة ١٨٢٦ وقد وضعها في شباك مكسور ليسدهُ بها ورآها عابر طريق فاستغرب وضعها في شباك مكسور وطلب ان ينظر فيها وكان خبيراً بالصور فعرف للحال انها صورة رفائيل التي صورها لبيت روفر

ومنذ خمس سنوات كان في متحف الصور الانكليزية المعروف بالرواق الوطني صورة سيدة واولادها الثلاثة من تصوير السر يشوع رينلدز اهدتها اليهِ لادي هملتون سنة ١٨٩٢ ثم اتضح ان لادي هملتون كان يحق لها ان تمتلك هذه الصورة ما دامت حية ولكن لا يحق

لما ان تبيعها ولا ان تهبها فاستردها اصحابها سنة ١٨٩٩ وباعوها لمستر يت بأثنين وعشرين الف جنيه

ولا تفسر مغالاة الناس بالصور والتحف الى هذا الحد الاَّ برغبة الاغنياء في الامتياز على غيرهم فيرون ذلك في احراز الاشياء النادرة او المنقطعة النظير وتقع بينهم المنافسة فيوصلون الصورة الى مئة الف جنيه وحقة السعوط الى ستة آلاف جنيه كما تقدَّم

العمر والتدابير الصحية

لم تبقَ شبهة في ان التدابير الصحية تطيل العمر. الاَّ ان اظهار ذلك بالارقام ليس سهلاً في هذا القطر كما هو سهل في غيره لأن احصاء السكان والمواليد والوفيات حديث فيهِ. اما البلدان الاوربية ولاسيما المدن الانكليزية فالاحصاء قديم فيها ودقيق وقد ظهر من احصاء الوفيات في مدينة لندن منذ ستين سنة الى الآن ان العمر آخذ في الازدياد فكان متوسط الوفيات السنوي نحو ٢٥ في الالف فصار الآن نحو ١٥ في الالف اي كان متوسط عمر الانسان ٤٠ سنة فصار الآن نحو ٦٦ سنة وهاك جدول متوسط الوفيات السنوي منذ سنة ١٨٤١ الى آخر العام الماضي

المتوسط السنوي بين سنة	١٨٤١و١٨٥٠	٢٤,٨
" " " "	١٨٥١و١٨٦٠	٢٣,٧
" " " "	١٨٦١و١٨٧٠	٢٤,٤
" " " "	١٨٧١و١٨٨٠	٢٢,٥
" " " "	١٨٨١و١٨٩٠	٢٠,٥
" " " "	١٨٩١و١٩٠٠	١٩,٣
المتوسط	١٩٠١	١٧,١
"	١٩٠٢	١٧,٢
"	١٨٠٣	١٥,٢

ويظهر من ذلك ان متوسط عمر الانسان كان نحو ٤٠ سنة بين سنة ١٨٤١ و ١٨٥٠

فصار نحو ٤٢ سنة بين ١٨٥١ و١٨٦٠ و٤٤ بين سنة ١٨٧١ و١٨٨٠ و٤٨ بين سنة ١٨٨١ و١٨٩٠ و٥٢ بين سنة ١٨٩٠ و١٩٠٠ ثم بلغ ٥٨ سنة ١٩٠١ ونحو ٦٠ سنة ١٩٠٣ . ومعلوم ان الوفيات لا تقع على معدَّل واحد في كل سنة من سني العمر بل الاطفال والشيوخ معرضون للموت أكثر من الشبان والكهول . وقد أُحصي عدد السنين التي عاشها الناس بعد ان بلغوا اعمارًا معلومة وذلك من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٩٠ ومن سنة ١٨٩١ الى سنة ١٩٠٠ فظهر انهم عاشوا في العشر السنوات الاخيرة اكثر مما عاشوا في العشر السنوات التي قبلها . فالطفل المولود حديثًا قُدِّر له من العمر اقل من اربعين سنة بين سنة ١٨٨١ وسنة ١٨٩٠ وواحد واربعون سنة بين سنة ١٨٩١ وسنة ١٩٠٠ وابن خمس سنوات قدِّر له خمسون سنة واربعة اعشار السنة في المدة الاولى وواحد وخمسون سنة وستة اعشار في المدة الثانية فزاد معدل العمر نحو سنة الى حد السنة الخامسة والعشرين واقل من ذلك فوقها . ولذلك لا عجب اذا ربحت شركات ضمان الحياة ربحًا طائلًا في السنين الاخيرة لان الاموال السنوية التي تتقاضاها من الذين تضمن حياتهم مبنية على متوسط العمر منذ ثلاثين سنة اي ان الانسان الذي كانت تضمن حياته وهو ابن عشرين سنة ولا تنتظر انه يعيش ايضًا أكثر من ٣٧ سنة صار يعيش تسعًا وثلاثين سنة فيزيد ربحها من السنويات فقط نحو ٦ في المئة ولا سبب ذلك الا شيوع التدبير الصحية وتقدم العلوم الطبيَّة وتوفر اسباب المعيشة . ولعلَّ ذلك جارٍ في القطر المصري ايضًا لشيوع التدابير الصحية فيهِ واهتمام الناس بتطبيب مرضاهم وتمريضهم . ولكن ليس عندنا حتى الآن احصاءات مدققة لاظهارهِ

ثم ان الفقر والمسكنة من اسباب قصر العمر والغنى والرفاهة من اسباب طولهِ . فالغني يعمّر أكثر من الفقير لانهُ اقدر منهُ على أكل الطعام المغذي وعلى اتقاء الامراض والتداوي منها وقد ثبت ذلك بالاحصاء ايضًا في جهتين من مدينة لندن الواحدة يسكنها الاغنياء والثانية يسكنها الفقراء فظهر ان اطفال الاغنياء يعيشون ٥١ سنة واطفال الفقراء ٣٦ سنة . واولاد الاغنياء الذين بلغوا الخامسة من العمر يعيشون ايضًا ٥٧ سنة واولاد الفقراء الذين من عمرهم يعيشون اقل من ٤٩ سنة وشبان الاغنياء الذين عمرهم عشرون سنة يعيشون ايضًا ٤٤ سنة واما شبان الفقراء الذين من عمرهم فلا يعيشون ايضًا الا ٣٦ سنة . ويقل الفرق رويدًا رويدًا بين الاغنياء والفقراء حتى يبلغ نحو سنتين فقط في الشيوخ الذين يبلغون ٧٥ سنة من العمر . ويظهر ذلك كلهُ في الجدول التالي وهو عن ثلاث سنوات — من سنة ١٨٩٧ الى سنة ١٩٠٠

	الاغنياء	الفقراء
متوسط ما يعيشهُ الطفل	٥٠٫٨	٣٦٫٥
متوسط ما يعيشهُ ايضاً ابن ٥ سنوات	٥٧٫٤	٤٨٫٧
" " " " " " ١٠ "	٥٣٫٣	٤٥٫٠
" " " " " " ٢٠ سنة	٤٤٫٢	٣٦٫٤
" " " " " " ٢٥ "	٣٩٫٨	٣٣٫٤
" " " " " " ٣٠ "	٣٥٫٥	٢٨٫٦
" " " " " " ٤٠ "	٢٧٫٥	٢١٫٩
" " " " " " ٥٠ "	٢٠٫٣	١٦٫٢
" " " " " " ٦٠ "	١٤٫١	١١٫٣
" " " " " " ٧٥ "	٧٫١	٥٫٢

اي لنفرض اننا نظرنا في تواريخ الف طفل من اولاد الاغنياء فنرى بعضهم يموتون حال ولادتهم وبعضهم في السنة الاولى من عمرهم وبعضهم في السنة الثانية او الثالثة او الرابعة وهلمَّ جرًّا وقد يعمر بعضهم مئة سنة او اكثر واذا جمعنا السنين التي عاشوها كلهم وجدنا مجموعها ٥٠٨٠٠ سنة . واذا فعلنا كذلك بالف مولود من اولاد الفقراء وجدنا مجموع السنين التي عاشوها كلهم ٣٦٥٠٠ سنة فقط

واذا اخذنا الف ولد من اولاد الاغنياء عمر كلٍ منهم عشر سنوات وجمعنا السنين التي يعيشونها كلهم بعد ذلك وجدنا مجموعها ٥٣٣٠٠ سنة . واذا اخذنا الف ولد من اولاد الفقراء عمر كلٍ منهم عشر سنوات وجمعنا السنين التي يعيشونها كلهم بعد ذلك وجدنا مجموعها ٤٥٠٠٠ سنة . واذا اخذنا مئة شيخ من شيوخ الاغنياء عمر كلٍ منهم ٧٥ سنة وجمعنا السنين التي يعيشونها بعد ذلك بلغ مجموعها ٧١٠٠ سنة واذا اخذنا الف شيخ من شيوخ الفقراء عمر كلٍ منهم ٧٥ سنة وجمعنا السنين التي يعيشونها بعد ذلك بلغ مجموعها ٥٢٠٠ سنة . (هذا في بلاد الانكليز واما في القطر المصري فمتوسط العمر اقل من ذلك كثيراً كما لا يخفى)

وليس المراد ان كل غنيٍ يعمر اكثر من كل فقير كلاَّ فان بعض الفقراء يعمرون اكثر من بعض الاغنياء وقد ترى شيخاً فقيراً عمرهُ مئة سنة او اكثر ولا ترى شيخاً غنياً بالغاً هذا العمر ولكن المراد ان مجموع السنين التي يعيشها جمهور كبير من الاغنياء هو اكثر من مجموع السنين التي يعيشها جمهور مثلهُ عدداً من الفقراء . وبعبارة أُخرى ان الامم الغنية يعمر افرادها اكثر مما

بعمر المراد الامم الفقيرة او ان الغنى يطيل العمر والفقر يقصره كما ان مراعاة التدابير الصحية تطيل العمر بنوع عام وعدم مراعاتها يقصره . فالعلم والغنى والراحة والرفاهة تأول كلها الى اطالة العمر وازدياد عدد السكان ولكنها قد تأول الى امر يقل بهِ عدد السكان وهو قلة المواليد اما لضعف في البنية او خوف من تعب الولادة ونفقات الاولاد . وهذا هو السبب الاكبر الذي ابقى عدد السكان في فرنسا على حالهِ منذ سنين عديدة الى الآن مع توفر اسباب الراحة والرفاهة لهم فاذا زالت الاسباب التي تقلل المواليد فالامم التي تعتني بالتدابير الصحية تعمر وتنمو اكثر من غيرها

حياة الجماد

من مقالة لمسيو داستر احد اساتذة مدرسة السوربون في باريس

يبدر الى الذهن لاول وهلة انهُ لا يمكن ان يكون بين الاجسام الحية وغير الحية مشابهة جوهرية اذ اي شبه بين الحجر والشجر والاسد فان مقابلة الحجر الجامد بالحيوان المتنقل والنبات النامي تنجلي عن اختلاف عظيم بينها وتوضح لنا ان بين الاجسام الحية وغير الحية بعداً شاسعاً

واول اختبار الانسان يؤيد هذا القول والابحاث السطحية توافقهُ فينشأ الطفل ويشب وهو يرى ان الحيوان والنبات يفرقان عن الجماد فرقاً عظيماً جداً . ولكن كلما زادت معارفنا زدنا ارتياباً في عظم ذلك الفرق وتبيَّن لنا انهُ لا تصح قسمة الاجسام الى حية وغير حية حتى صار العلماء يحدثونك عن حياة الجماد وهم انما يقولون ذلك لانهم يرون في بعض انواع الجماد كثيراً من اوصاف الحياة وفي اجسام اخرى دلائل خفية تدل على علاقة الاجسام الحية بغير الحية . مثال ذلك ان بعضهم رأى في الاجسام المتبلورة معظم اوصاف الاجسام الحية فان لها شكلاً محدوداً وميلاً الى اتخاذ ذلك الشكل دائماً واصلاحهِ مما يطرأ عليهِ من الطوارئ وحجمها يزيد من السائل الذي تتكون منهُ . واغرب من ذلك ان فيها جميع مزايا التوليد . وظهر لبعض العلماء الطبيعيين ان عدم تغير بعض الاجسام التي يظن عادة انها اصلب من غيرها وعدم تحركها مثل الزجاج والفولاذ والنحاس وغيرها انما هو امر ظاهري فقط . فان تحت سطح الجسم الذي يظهر لنا جامداً لا يتحرك دقائق تتزاحم وتتجاول وتترتب على اشكال محدودة مطاوعة لاحوال ما يحيط بها . وقد يمرُّ عليها سنين طويلة قبلما تتخذ لها شكلاً تبقى عليهِ دائماً

ولزيادة الايضاح نذكر الاوصاف الجوهرية التي تمتاز بها الاجسام الحية وهي الاوصاف التي يقال انهم وجدوها في الاجسام غير الحية ايضاً بلا زيادة ولا نقصان · ويقسم الكلام في ذلك الى سبعة ابواب تحتها فصول

الباب الاول

في الحياة عموماً وفيهِ فصلان

الاول آراء الاقدمين والشعراء · والثاني آراء الفلاسفة

﴿ آراء الاقدمين والشعراء ﴾ ان ما يقولهُ العلم عن مشابهة الاجسام غير الحية للاجسام الحية يطابق تصورات الاقدمين والشعراء في ذلك · فقد كان الاقدمون يعتقدون ان جميع الاجسام الطبيعية حية كانت او غير حية اعضاء جسم حيّ عامّ سموهُ بالجسم الحي الكبير احترازًا من الجسم الحي الصغير اي جسد الانسان · ونسبوا اليهِ قوة حيوية تدير حركاتهِ وتسلط على اعمالهِ وتشبه القوة الحيوية التي في الانسان · وقوةً عقلية تدرك تلك الاعمال وتشبه نفس الانسان · وقد كان لتلك الحياة العمومية او النفس العمومية شأن عظيم في نظام ما وراء الطبيعة الذي وضعوهُ · وجرى الشعراء ذلك المجرى فكان دأبهم تجسيم الاشياء الطبيعية لتقريبها من افهام الناس وتصوراتهم ونسبة الحياة او الروح الى ظواهرها فقال احدهم "لكل شيءٍ من الاشياء صوت فللريح صوت وللهب صوت وللامواج والاشجار والاحجار صوت · وهي تحيا ولكلٍ منها روح داخلهُ" وسموا اصوات الظواهر الطبيعية باسماء خصوصية مثل هزيم الرعد وحفيف الشجر وجعجعة الرحى وصرير الباب وزفير النار وما اشبه

﴿ آراء الفلاسفة ﴾ كان طاليس الفيلسوف اليوناني يعتقد ان كلَّ الاجسام الطبيعية ذات حياة وكذلك كبلر العالم الفلكي فانهُ كان يقول ان الكرة الارضية حيوان كبير يتأثر بحركات النجوم فيخاف دنوَّ بعضها منهُ ويبدي خوفهُ بالزوابع والعواصف والزلازل وان مدَّ البحر وجزرهُ تنفس ذلك الحيوان وانهُ يعرق ويفرز الفضول ويجري الدم في عروقهِ ويأكل وبعض طعامهِ ماء البحر فانهُ يبتلعهُ باقنية متعددة · على ان كبلر عاد عن هذه الخرافات في اواخر ايامهِ وقال انهُ انما عنى بروح الاجسام السموية القوة التي تحركها لاغيرُ

الآن الفصل بين الاجسام الحية وغير الحية بدأ من عهد الفلاسفة الذين ادخلوا في العلم مبدأ بقاء الحياة والارتقاء واولهم لبنتز فقد قال "انهُ لاتوجد مملكة غير آلية بل الموجودات كلها آلية تشمل جميع صور الجماد والنبات والحيوان · وان لاشيء خالٍ من الحياة بل الحياة عامة لكل شيء" فيترتب على هذا القول انهُ ليس ثمة فرجة او حلقة مفقودة في سلسلة الظواهر

الطبيعيَّة وان كلَّ شيءٍ يرتقي شيئاً فشيئاً وان الموجودات غير الآلية اصل الموجودات الآلية.
واما الحياة فلم تكن موجودة على وجه الارض دائماً بل ظهرت في احد العصور الجيولوجية بسبب ملاءمة الاحوال ولكن مبدأ بقاء الحياة يضطرنا الى التسليم بان الحياة لم تكن معدومة حقيقة بل حكماً وانها كانت على صورة اولية خفيَّة

وذهب بعض الفلاسفة المحدثين مذهب لبنتز فقالوا ان المادة الحية وغير الحية ليستا نوعين مختلفين بل صورتان من مادة واحدة مختلفتان في درجتهما وكثيراً مايكون اختلافهما قليلاً جدًّا. فاذا كانت المسألة مسألة اختلاف في الدرجة فلا تناقض كالبرد والحر فانهما ليسا متناقضين بل هما درجتان مختلفتان من درجات الحرارة

هذا وان مايحملنا على ازالة الحدِّ الفاصل بين المملكة الآلية والمملكة غير الآلية والاعتقاد بان في الجماد اصول حياة اولية هو نفس ما يحملنا على التسليم بانهُ ليس بين الظواهر الطبيعيَّة الاخرى فرق جوهري اساسيٌّ وغاية ما في الامر درجات تحوُّلٍ وانتقال بين الجسم الحي والجسم غير الحي والجسم العاقل والجسم غير العاقل والفكر وعدم الفكر والمدرِك وغير المدرِك. فهذا الانتقال من الشيء الى ضدهِ حسب الظاهر يخالف اختبارنا العادي ولكن الذين يعرفون ما للظواهر الطبيعية من الدرجات غير المتناهية يسلّمون بالانتقال المذكور. فلا عجب بعد هذا اذا حذا العالم حذو الفيلسوف وذهب الى ان في الجماد اثراً من الحياة وان فيهِ جميع الصفات الجوهرية التي تميز الاحياء. ولكن لابدَّ لهُ اولاً من ان يبرهن على وجود تلك الصفات بالمشاهدة والامتحان وعلى ان الجواهر الفردة ودقائق المادة ليست ميتة بل هي عناصر حيَّة متحركة لها صورة من صور الحياة الدنيا المشاهدة في جميع انواع المادة مثل الجذب والدفع والتأثر بالمؤثرات الخارجية وتغير قوة التوازن وتجمع الدقائق على اشكال منتظمة طبقاً لتراكيب محدودة وافراز مركبات كيماوية مختلفة

وذهب الفلاسفة في بيان اوجه المشابهة بين المادة الحية وغير الحية الى ابعد من ذلك فقالوا ان في قوى المادة غير الحية وخصوصاً القوى الكيماوية اثراً قليلاً من الاميال التي تتسلط على اعضاء الاجسام الحية اي الحس. فان ردَّ الفعل الذي يصدر عن المادة غير الحية يدلُّ عندهم على وجود نوع بسيط من الشعور تستطيع تلك المادة ان تميز بهِ بين النافع وضدهِ فتختار النافع وتنبذ الضار. وهذا هو المبدأ العام في حركة الاشياء وعليهِ الفيلسوف امبيد وكليس اليوناني. وديدرو وكبانه من الفلاسفة المحدثين ومعظم العلماء الماديين. فانهم التمسوا في ادنى المخلوقات غير الحية اثراً للحياة والقوة العقلية التي يبزغ شعاعها في فجر المخلوقات الحية

وقالوا ايضاً ان تمثيل المادة غير الحية للمادة الحية نتيجة طبيعية لصحة مبدأي بقاء الحياة والارتقاء. على ان في طي هذين المبدأين مبدأ آخر لا يصرّح اولئك الفلاسفة بهِ جهاراً بل ضمناً وهو انهُ مهما تعددت تراكيب العناصر لم ينتج منها مركَّبٌ جديدٌ يختلف في جوهرهِ عن جوهر العناصر التي يتركب منها . فديدرو وكبانه يقولان ان الانسان صلصال حيٌّ وهو ايضاً حيوان عاقل . ولما كان يستحيل نشوء العاقل من غير العاقل فلا بدَّ ان يكون الصلصال قد احتوى اصل العقل . ولكن ألا يمكن ان يكون العقل نتيجة ترتيب دقائق الصلصال . فاذا انكرنا ذلك وجب ان ننكر ايضاً ان اختلاف الترتيب والتنظيم في المادة المرتبة المنتظمة يفضي الى خاصة جديدة تختلف عن الخاصة التي كانت لها قبل ذلك الاختلاف . وقال فيلسوف آخران البروتوبلازم الحيّ انما هو مجموع عناصر بسيطة ولا بدَّ لتلك العناصر من ان تحوي مبدأ الحياة . وعليهِ فاذا لم تكن الحياة في كل عنصر فلا يمكن ان تنتج عن اتحاد العناصر وائتلافها

وقال العالم لدانتيك ان الانسان وسائر الحيوانات مجموع جواهر . واهون على المرء ان يسلّم ان الادراك الانساني ناتج عن مبادىء الادراك المتضمنة في الجواهر التي يتألف منها من ان يعدّهُ ناتجاً عن تركُّب عناصر لا اثر للادراك فيها . وقال هيكل ان الحياة عامة لكل المواد ولا يمكننا ان نتصور وجودها في مركبات المادة ما لم نتصور وجودها اولاً في العناصر التي تتركب المادة منها . واليك طريقة استدلالهم للوصول الى النتيجة المتقدمة

ان عوامل الترتيب والتجمع والتركيب لاتحدث في جسم مركَّبٍ شيئاً جديداً يختلف في جوهرهِ عن جوهر العناصر التي يتألف الجسم منها . والتجمع يكسب الجسم المركَّب خاصة هي نفس الخاصة التي في عناصرهِ البسيطة ولكن ارقى منها . على ان ما يعدّهُ بعضهم اولية تستغني عن البرهان ليس في الحقيقة اولية فهم يظنون قولهم ان ليس في المركَّب شيء لا يوجد في العناصر التي يتألف منها اولية بديهية لا تحتاج الى اثبات وهي في الحقيقة فرض يفرضونهُ . وقولهم ان ترتيب المادة وتجمعها على اشكال عجيبة لايحدثان فيها شيئاً جديداً قول يفتقر الى اثبات

ولنطبق هذا المبدأ على الكائنات المرتبة فنقول ان جميع الكائنات الطبيعية هي في الحقيقة ترتيبات ومجموعات مؤلفة من مادة واحدة . وينتج عن الفرض المتقدم انها تختلف بعضها عن بعض في الكمية والشكل لافي الكيفية او الجوهر اذ يمكننا ان ننتقل من واحد منها الى الآخر ولا نجد بينها ما يعترض في سبيلنا . فيظهر من ذلك ان ناموس بقاء الحياة نتيجة بسيطة للفرض الاساسي وهكذا يقال في ناموس النشوء الارتقاء

وهذه القاعدة ليست مختصة بفريق من العلماء دون الآخر فان لبنتز لم يكن من العلماء الماديين ومع ذلك فانهُ نسب الى عناصر المادة وجواهرها حياة بل نوعاً من الفكر . وكذلك الاب بوسكوتش اليسوعي واحد اساتذة كلية رومية فانهُ نسب الى الجواهر نوعاً من الحياة الدنيا . وسان توماس فانهُ قال ان للاجسام غير الحية نوعاً من الحركة والميل الى بعض الاشياء دون غيرها

الباب الثاني

وحدانية الاجسام الحية وغير الحية

وهناك طريقتان للبرهان على كون المادة الحية وغير الحية شيئاً واحداً في الجوهر . احداهما ان نظهر للعيان اشتقاق الاحياء العليا من الاحياء الدنيا وذلك يستلزم ان نصنع جسماً حيًّا تامًّا بجميع اجزائهِ سواء كان نباتاً حقيراً او حيواناً دنيئاً من مواد غير حية . فان استطعنا ان نفعل ذلك كان برهاناً لا يُرَدّ على ان جراثيم الحياة كامنة في دقائق الاجسام غير الحية . ولكن هذا غير مستطاع والعلم قاصر عنهُ . وهذه الطريقة هي ما يسمونها بالتولد الذاتي . فقد كان القدماء يعتقدون بها حتى بين الحيوانات المرتقية في سلّم الخلق وعليهِ قال فان هلمونت ان الفيران تخلق من الخرق الخلقة المخلوطة قمحاً باختمار لا تعرف كيفيتهُ . وذكر ديودورس انهم شاهدوا حيوانات تتولد من طمي النيل وهي غير تامة الخلقة . وكان ارسطو يعتقد بتولد بعض انواع السمك على هذه الطريقة . ورأى الراعي الذي ذكرهُ فرجيل الشاعر الروماني الشهير في قصائدهِ اسراب النحل تتولد من جنبي ثور ميت . وكانوا يعتقدون ايضاً ان الذباب يتولد من اللحم الفاسد والدود من الاثمار والامعاء

وطريقة التولُّد هذه نبذت الآن بعد ان ضربها باستور الضربة القاضية فانهُ أبان ان ابسط الاحياء المكروسكوبية خاضع للناموس العام وهو ان كل حيّ لمن حيّ آخر

على انهُ وان لم يتيسر للانسان اثبات طريقة التولد الذاتي او تولد الحي من غير الحيّ الاَّ ان هيكل يقول انها كانت الطريقة التي تولدت بها الاحياء الارضية قديماً حينما اخذت الكرة الارضية تبرد وقشرتها تجمد والبخار المائي المحيط بها يتكاثف فنشأ عن ذلك احوال ملائمة لظهور الاحياء الاولى التي تولدت منها الاحياء المعروفة تدريجاً . ويقدر اللورد كلفن ان ذلك جرى منذ عشرين او اربعين مليون سنة . ويقول معظم الفسيولوجيين انهُ اذا عرفنا تلك الاحوال تماماً وامكننا احداثها لم يبعد ان نتوصل الى نتيجتها اي ان نصنع جسماً حيًّا تامّ الاجزاء من المواد غير الآلية . والذين يذهبون هذا المذهب يقولون ان قصور التجربة والامتحان من هذا

القبيل انما هو وقتي وسببهُ قلة معرفتنا وضعف وسائطنا وعليهِ فليس ثمة مايدلُّ على ان احداث الحي من غير الحي مستحيل

اما اهل البيولوجيا فلا يرون هذا الرأي كلهم . بل ان عدداً كبيراً منهم يؤكدون انهُ يستحيل نشوء الحياة من اجتماع المواد غير الآلية بالقوى الطبيعية ويقولون انهُ لا يمكن ان تكون الحياة قد نشأت على وجه هذه الارض بفعل المادة غير الحية والقوى التي لاتزال تتسلط عليها الى الآن . ومن هؤلاء العالمان كوهن ورختر الالمانيان فانهما يقولان ان الحياة لم تنشأ في ارضنا بل نُقلت اليها من عالم آخر على صورة جراثيم تشبه الخلايا التي تتركب الاحياء منها عندنا على ما هو معلوم . وهي اما ان تكون قد نقلت الينا بواسطة الشهب والنيازك التي تنقضُّ علينا من الفضاء او انها وصلت الينا من الفضاء على صورة غبار كوني . وصاحب المذهب الاول كاتب فرنـوي اسمهُ الكونت دي سال جيون ومذهبهُ ليس بعيداً عن الصحة كما قد يبدر الى الذهن فان كلفن وهملتز وافقاهُ عليهِ على بعد شهرتهما وعظم خبرتهما بهذه الشؤُون . ثم انهُ يظهر من تحليل طيف السدام المختص بذوات الاذناب ان فيهِ مادة هيدرو كربونية . وقد وجدوا الكربون ونوعاً من المادة الآلية في كثير من النيازك ايضاً

ولكنَّ هناك اعتراضات كثيرة على هذا المذهب منها ان وجود الجراثيم الكونية مناقض لنواميس النشوء والارتقاء . ومنها ان الشروط اللازمة للحياة لا توجد في الاجسام التي بين السيارات (كالشهب والنيازك) . ومنها ان النيازك تحمى متى بلغت جوَّ الارض الى حدٍ ان حرارتها تميت كلَّ ما يمكن ان تنقلهُ الينا من الجراثيم . ولكن هلمهولتز يردُّ هذا الاعتراض بقولهِ ان حرارة النيازك سطحية لا تصل الى داخلها فتسلم الجراثيم التي هناك . اما المذهب الثاني فمذهب رختر وكوهن كما تقدم ومآلهُ ان الجراثيم الحية الاولى بلغت ارضنا ممزوجة بالغبار الكوني الذي يعوم في الفضاء ويتساقط الى الارض على الدوام . ومن الاعتراضات على هذا المذهب انهُ ان سلمت تلك الجراثيم بسقوطها البطيء من الحرارة الشديدة التي تصيب النيازك بسقوطها السريع بقيت معرضة لفعل اشعة النور وهي تقتل الجراثيم عادة

ومن العلماء من لا يسلّم باحد هذين المذهبين ولا يرى ما يوجب فرض انتقال الاحياء الاولى من العوالم الاخرى الينا بل يقول ان الاحياء وجدت على الارض في كل زمان حتى الزمان الذي كانت الارض فيهِ شعلة من نار ولكنها لم تكن نفس الاحياء التي نعرفها الآن اذ لا بدَّ ان تكون قد تغيرت تغيراً عظيماً على مر الدهور . فان الاحياء الاولى كانت تختلف كلَّ الاختلاف عن الاحياء الحاضرة التي يختلُّ نظامها بارتفاع الحرارة ارتفاعاً قليلاً .

وهذا المذهب يظهر اقرب الى الغرض منهُ الى الحقيقة واشبه بتصورات كبلر وغيره من اصحاب المذاهب الخيالية ولكنهُ مطابق من بعض الوجوه لآراء المحدثين في حياة المادة ووجه مطابقتهِ لها في ما ينطوي عليهِ من الارتقاء في مواد الكرة الارضية

وصاحب هذا المذهب برايرومن رأيهِ ان الاحياء الاولى وجدت في النار ثم طرأ عليها ما طرأ من التغيير فباتت على مثل ما نراها الآن. ومع ما طرأ عليها من التغيُّر العظيم لم يتغير عددها بل ان مجموع الاحياء في الكون بقي على ما كان عليهِ

هذه هي اراء الشعراء وعلماء ما وراء الطبيعة والفلاسفة في حيوية الاجسام غير الحية ولكن العلم الحديث ينظر اليها نظرًا آخر ويرى ان فيها اثرًا لعمل العوامل التي تتسلط على الاجسام الحية وخواصها الاساسية (ستأتي البقية)

مصطفى فهمي باشا ونجران باشا

نقلاً عن المقطم

لما اشتدَّ في العاصمة الحر ضاق منا الصدر وعيل الصبر فمللنا التحبير والتحرير ورحلنا عن العاصمة وهجرنا الهجير وجئنا رمل الاسكندرية النضير نشرح الصدور بنسيمهِ العليل ونتعش النفوس بشمأ لهِ البليل فالفيناه مصيفًا تمَّ اعتدالهُ وشغف القلوب جمالهُ وقرب على سكان العاصمة وصالهُ . البحر يرسل النسيم اليهِ والرياض والحدائق تنثر الورود عليهِ ولطف اهلهِ يجعلهُ جنة الانس للقادم اليهِ فحمدنا الله على انهُ كان نصيبنا في هذا الصيف ولم نحسر على فراقهِ كما تحسر الذين قصدوا اوربا فوجدوها شبه سقر من شدة الحر ولا عانينا من صروف الايام ما يعانيهِ المصطاف في بر الشام. واسعدنا الحظ بمنزل في الابرهيمية اجتمعت فيهِ اسباب النزهة والراحة والتسلية فالبحر يرغي ويزبد على اركانهِ وامواجهُ تتنفس نهارًا وليلاً تحت جدرانهِ والنسيم البليل لا ينقطع لحظة عن سكانهِ. وجماهير المتنزهين على الشاطىء يؤنسونهُ ساعات الوحشة ووقوعهُ بين الناس في اطراف المنازل يجعلهُ شبه قاعة الاجتماع لطالب التسلية والمحاضرة وشبه صومعة المعتزل لطالب التأمل والتفكير. ومما زاد توفيقنا بهِ توسطهُ بين صحب لنا من خيرة الانام وصفوة القوم الكرام فركوب الترام هنيهة من الزمان يوصلنا غربًا الى الاسكندرية حيث الاخوان والخلان يضيق عن عدهم المقام ويعجز عن وصف لطفهم اللسان. ويوصلنا شرقًا الى قصر حضرة الماثل الخواجا وهبي كرم الذي فاق قصور الرمل في عظمتهِ

وزخرفتهِ وزينتهِ والى منزل صهرهِ الوجيه الاديب الخواجا ديمتري خلاط ومنزل حضرة الوجيه الماجد الخواجا جورج كرم وحضرة صهرهِ الوجيه الخواجا الياس دياس ومن جهة اخرى الى قصر سعادة الهمام سابا باشا مدير البوسطة العام حيث لطف السكان يحكي بهجة المكان وغير ذلك كثير من المنازل والقصور حيث الاصدقاء والخلان مبثوثون الى ما وراء سان ستفانو والسراي عدا الخلان والجيران النازلين على قرب منا في الابرهيمية نفسها ونحوهم من الافاضل الذين سبونا بأنسهم ولطفهم واسرونا بجميلهم ومعروفهم في زياراتهم وأنسونا المحابر والاقلام ببهجة اجتماعاتهم وكرمهم في ولائمهم ودعواتهم وحسن مسامراتهم في منتزهاتهم

اخبار الجرائد المحلية

بينما كنا بالامس جالسين على شرفة تطل على البحر والامواج الخضر تتعالى تحت اعيننا ثم تنقلب وتصدم الصخر فتكسو الشاطئ حلة ناصعة البياض . ثم تعود وهي تعج وتغيب في اللج اذا الخادم قد اتانا حاملاً الجرائد المحلية التي تصدر في العاصمة والاسكندرية فقلبنا النظر فيها فاذا بعضها ينعي المرحوم نجران باشا الذي مثل في زمانهِ دوراً عظيم الشان على مرسح السياسة المصرية . وبعضها ينشر كتاباً من ابرهيم بك الهلباوي المحامي يفصح فيهِ عما يجد في نفسهِ من السرور بالسفر مع عطوفة مصطفى باشا فهمي رئيس نظار مصر في باخرة واحدة لان سفرتهُ يسرت عليهِ محادثة عطوفتهِ والتمتع برفقتهِ والاطلاع على آرائهِ القانونية والاجتماعية ويعترف في غضون ذلك بان كل ما كتبهُ وما قالهُ ايام ما كانوا يسمونهُ "بالنهضة المصرية" كان خطاء في خطاء واضغاث احلام صادراً عن قلة التجربة والاختبار وعدم معرفة حقائق الامور . ويقول ان الجفاء الذي كان يشعر بهِ ايام تلك "النهضة" عند نظرهِ "الى شخص عرف بانهُ موالٍ للاحتلال — يعني بهِ مصطفى باشا فهمي — قد تبدل الآن بمحبة واحترام حيث دلت التجارب على ان مقاومة الاحتلال ان لم تجلب ضرراً فلا تفيد فائدة . دلتنا التجارب على ان البناء الذي كنا نسعى لتدعيمهِ والاستظلال بظلهِ قائم على اساس ضعيف" اه

هذه الاقوال خطها قلم ابرهيم بك الهلباوي ونشرتها جريدة المؤيد في هذه الايام كما خط قلمهُ المقالات التي عنوانها "الى اي طريقٍ نحن مسوقون" ونشرتها جريدة المؤيد حين "النهضة" في هاتيك الايام

وتصفحنا جرائد اخرى سميت منذ ايام النهضة "بالجرائد الاسلامية" تمييزاً لها عن سائر الجرائد المصرية فالفينا فيها طعناً صارعاً في الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد ووصف سخط الرأي العام لما فعل بفضيلة السيد احمد عبد الخالق السادات ووصف سقوطهِ عند الجمهور

وانحطاط منزلة جريدته عند قرائها الى غير ذلك مما يشعر بان اصحاب " الجرائد الاسلامية " مصممون على اسقاط المؤيد وصرع صاحبه ومحق ثقة الجمهور به في هذه الايام كما رفعوا منزلته عند القراء واحلّوه محل الثقة منهم تارة باقلامهم واقوالهم وطوراً بافعالهم واموالهم ايام " النهضة "

اخبار طوتها الايام

فقراءة ما تقدم من الاسماء والاقوال هاجت اعماق النفس منا كما كانت الريح تهيج لجج البحر امام اعيننا واعادت الينا ذكرى حوادث مضت ورسوماً بقيت على لوح الذاكرة بعد ان طوت الايام اصحابها وعفت المنون آثارهم فتذكرنا ليلة من ليالي اكتوبر سنة ١٨٩٢ كنا قد انتهينا فيها من عناء يوم كثير الاشغال والهموم وجلسنا على شرفة المنزل في القاهرة نلتمس الراحة بالانفراد والسكون واذا جرس الباب يقرع فلما فتح الخادم دخل صديق تحت جنح الغسق وطلب مقابلتنا في الحال وكان رحمهُ الله من الاصدقاء الذين اشتد الوداد بيننا وبينهم فأدخله الخادم الينا بلا امهال وكانت لوائح القلق والاهتمام تلوح على وجهه . فما لبث ان جلس حتى كاشفنا بسره فقال علمت من فلان وفلان — وكلاهما ثقة عندكم في صحة الاخبار — انا مشرفون على انقلاب واضطراب واختلاط واختباط فان الجناب العالي مصمم على امر جلل وفعل خطير سيكون من بعده صراع شديد ونزاع كثير وقد عزم ان يجعل فاتحة تصميمه اسقاط الوزارة الفهمية واستبدال عطوفة مصطفى فهمي باشا رئيس النظارة بسعادة تجران باشا ناظر الخارجية فان تجران باشا حاز المكانة العظمى عند سموه منذ كان سموه يطوف الوجه البحري في سياحته النيلية وادرك المنزلة العليا في ثقته لانهُ اقنعهُ ان نفوذ الاحتلال يعلو في مصر ويتعاظم حتى فاق كل نفوذ سواه فيخشى على المصالح الخديوية والمصالح الوطنية ان تضيع بالاستسلام الى المحتلين ومطاوعتهم على مرادهم ولذلك يجب ان يعارضوا على يد وزارة وطنية قوية تناقشهم حساب كل كبيرة وصغيرة وتوقفهم عند حدهم بقوة الاتحاد وشدة المعارضة والجري على خطة مخالفة لخطة الوزارة الفهمية . قال صديقنا رحمهُ الله وانتم تعلمون ان سمو الامير جلس على الاريكة الخديوية منذ عهد غير بعيد آتياً من مدرسة الطريزيانوم في النمسا حيث كان يلقن المعارف والعلوم مع شبان مثله احداث في السن فلم يختبر الرجال ولا عرف بعد متاعب الملك ومصاعب الحكم فاعجبتهُ اقوال الذين زينوا لهُ الاستقلال والنهي وسهلوا عليهِ التخلص من الاحتلال ووعدوه ان ينيلوه ماتمنى بما يبدون من العزم والحزم في معارضة المحتلين فوثق سموه بهم وصمم على عزل مصطفى باشا فهمي وتقليد تجران باشا منصب رئاسة النظارة في اول فرصة

وكان صديقنا يورد في غضون كلامهِ حوادث مطابقة لاخبار كنا سمعناها و يشرح اموراً كانت قد اتصلت بنا ولكن خفي علينا مغزاها فما اتمَّ كلامهُ حتى ايقنا بصحة خبرهِ ونشرنا في الغد خبراً وجيزاً في المقطم ذكرنا فيهِ العزم على اسقاط الوزارة الفهمية صريحاً ولمحنا الى تقليد نجران باشا رئاسة النظارة وسائر ما تقدم من الكلام تلميحاً

فما ظهر هذا الخبر حتى ذاع ذلك السرُّ المكتوم وتحدَّث بهِ القريبون والبعيدون ووردت المسائل على ادارة المقطم تترى كما هو المعتاد في كل خبر يهيج الجمهور . واتفق ان عطوفة مصطفى باشا فهمي كان حينئذٍ في طريقهِ عائداً من مصيفهِ في اوربا فلما رست بهِ الباخرة في ميناء الاسكندرية كان بين الذين ذهبوا للقائهِ جماعة يحملون اعداد المقطم الحاوية الخبر فما انتهوا من السلام عليهِ حتى سألوهُ عن صحة الخبر فأجابهم انهُ لم يسمع ذلك الاَّ منهم وان خبر المقطم ربما كان طعماً لصيد بعض الطامعين بالوزارة لا اقلّ ولا اكثر . ثم جاء العاصمة وقال للمرحوم البارون مالورتي مدير المطبوعات حينئذٍ أرى ان المقطم قد نشر خبراً عارياً عن الصحة هاج بهِ الخواطر فيحسن تكذيبهُ . فكتب الينا البارون مالور في كتاباً بهذا المعنى ووصل الساعي بالكتاب ونحن نهمُّ بالركوب لبعض المقابلات . فتناولنا الكتاب ومررنا بالبارون في طريقنا فقابلنا بالعتب الشديد على نشرنا خبراً لا يضرُّ ولا يفيد قبل ان نحقق صحتهُ وقال اننا لو سألناهُ عنهُ قبل نشرهِ لاخبرنا انهُ من الاشاعات الباطلة البعيدة عن الصحة واطال رحمهُ الله في العتاب بما دلنا على انهُ لم يكن يعلم شيئاً مما كان جارياً في تلك الايام وطلب منا تكذيب الخبر في الختام

فتبسمنا وقلنا انك توافقنا يا جناب البارون على ان الجرائد انشئت لنشر الاخبار الصادقة لا لتكذيبها ولا لاخفاء الحقائق عن قرائها حتى لا يعلموا بوقوع خلاف بين اعضاء الوزارة او بعزم الامير على اسقاط الوزارة واقامة أُخرى مقامها

فقاطعنا في الكلام قائلاً اني اؤكد لكم ان الخبر غير صحيح ولولا ذلك لم اطلب تكذيبهُ

فاجبناهُ ونحن نؤكد لك ان الخبر صحيح ولولا ذلك لم ننشرهُ اذ لم نقدم على نشرهِ ونحن جاهلون عواقب نشرهِ . فقال اذاً قصدكم ان لا تكذبوهُ

قلنا هذا هو قصدنا ولو ساء عطوفة رئيس النظار ذلك منا لان عطوفتهُ يكون اول مستخف بنا اذا رآنا نكذّب خبراً اليوم ثم نعود فنثبت صدقهُ غداً . فقال ولكن الجرائد الاخرى تكذبهُ

قلنا افعل ما بدا لك وودعناهُ وانصرفنا والظاهر ان اجوبتنا اثنتهُ عن عزمهِ ولو لم تثنتا

اقواله عن عزمنا فانا لما فرغنا من مقابلاتنا وعدنا الى ادارة المقطم وجدنا منهُ كتاباً ثانياً يسألنا فيهِ ان نقابل رئيس النظار . فاستقبلنا عطوفتهُ عشيَّة ذلك النهار بوجه باسر خلافاً لما اشتهر عنهُ من مقابلة زائريهِ بوجهٍ بشوش وكلمنا كلاماً يقطر العتب بل الغضب منهُ زاعماً اننا قصدنا القاء الشقاق والنفور بين الاخوان المتفقين قضاء لمآرب بعض الطامعين واننا لم نزل متعمدين ذلك لامتناعنا عن تكذيب خبر ليس فيهِ من الصحة اثر

فساءنا ذلك الجفاء ممن لم نكن نسمع منهُ الا كل كلمة طيبة قبل هذه الحادثة ولم نرَ منهُ بعدها غير ما يسبي من اللطف والدعة ودماثة الاخلاق ولين الجانب على طول معرفتنا بهِ وكثرة محادثتنا له . ولكننا كظمنا الغيظ واجبناه بالايجاز قائلين اننا لم نقصد من نشر الخبر الا القيام بواجب الصحافة ولو لم نكن مقتنعين بصحتهِ لما تأخرنا عن تكذيبهِ . ومع ذلك فقد نشر الخبر وقضي الامر فما على عطوفتهِ الا الصبر فان كان كاذباً كذبتهُ الايام وان كان صحيحاً قبل عطوفتهُ عذرنا والسلام . ثم استأذنا وانصرفنا ونحن نتأفف من صناعة ان صدق صاحبها فيها سوَّد وجههُ وان لم يصدق اتعب ضميرهُ واغضب ربهُ

وبعد زمان غير طويل اخذ المستور في الظهور ووقع الجذب والدفع بين ولاة الامور على غير علم من الجمهور . ثم مرض مصطفى باشا مرضاً ثقيلاً في اواخر سنة ١٨٩٢ حتى لم يرجُ كثيرون لهُ الشفاء فاراد الجناب العالي تعيين المرحوم نجران باشا رئيساً لنظارهِ وابى جناب اللورد كرومر ذلك وكان من جراء ذلك ما كان مما لا يزال محفوظاً في الاذهان . وقامت الجرائد المصرية حينئذٍ على مصطفى باشا قومةً واحدة فلم تترك ذماً ولا لوماً ولا هجواً ولا هجراً الا رمتهُ بهِ وكان اقل طعن تطعن عليهِ بهِ قولها الخائن المائن العاصي مولاهُ الناكث عهود وطنهِ . وكانت جريدتا الاهرام والمؤيد حينئذٍ في طليعة الجرائد العربية الحاملة عليهِ والجرائد الاخرى تحذو حذوهما وتردد صدى اقوالها ولكن خالفها المقطم وثبت في وجه الاحزاب الرافعة رايات "النهضة" وظلَّ ينادي على رؤوس الاشهاد ان سياسة مصطفى باشا والافراد الذين يعدون على الاصابع لقلتهم من المجاهرين برأيهِ هي سياسة الحكمة والرشاد النافعة للامة والبلاد واما سياسة العداوة والمقاومة فعواقبها غير نافعة ولا مأمونة بل ربما كانت وخيمة

وليس من غرضنا ايراد ما كان من الصراع والقراع في ساحات الحرب التي اشتبكت فيها اقلام الادباء والكتّاب في هاتيك الايام وانما نقول ان ابرهيم بك الملباوي كان من الذين جالوا جولات عظيمة فيها وصالوا وطالوا وتحاملوا وتطاولوا تحت راية "النهضة" . ومن الاقوال السائرة عند الاوربيين ان التاريخ يعيد نفسهُ . وقد صحَّ هذا القول في صاحب المؤيد فان

من يتذكر الاقوال التي كان يطعن بها على مصطفى باشا فهمي وحزبهِ ايام "النهضة" ويقرأ الاقوال التي تطعن بها عليهِ الجرائد الاسلامية بسبب قضيتهِ مع السادات في هذه الايام يقول ان تلك الجرائد انما ترد اليهِ اقوالهُ وتكيل لهُ بالكيل الذي كان يكيل بهِ لغيرهِ. فليعتبر بذلك اصحاب الصحف الحديثة اليوم فرب اقوال يقولونها وصحفهم قليلة التأثير وضيعة الشان يجرعون سمها الزؤام بعد ما يعظم شأنها على مر الزمان

وبعد ما سقطت الوزارة الفهمية وعقبتها الوزارة الرياضية الاخيرة في ابان الانقلاب والاضطراب وهيجان البلاد صعد عطوفة مصطفى باشا فهمي في النيل وسافر الدكتور ملتن معهُ ليرضهُ و يعتني بهِ حتى يسترجع عافيتهُ ولما عاد الى العاصمة وصار قادرًا على مقابلة الزائرين عدناهُ في جملة الزائرين القليلين فصافحنا شديدًا وذكر الخبر وما جرى بيننا بسببهِ وقال اصبتم في ما نشرتم وفي ما فعلتم ولا تستغربوا شدة انكاري خبركم فسليم النية لا يظن في الناس الا سلامة النية

سياسة نوبار باشا

قلنا ان المرحوم نوبار باشا لم يقلد رئاسة النظار ولكنهُ بقي مدة خدمتهِ في الحكومة قوة محركة وحركة فعالة لهُ الكلمة النافذة والمكانة السامية عند الحضرة الفخيمة الخديوية حتى كانت احزاب "النهضة" تعدهُ اليد المديرة في الوزارة الرياضة الاخيرة . وشاع يومًا ان الحكومة المصرية ساعية في انقاص جيش الاحتلال او في ارجاعهِ عن هذه الديار وان نظارة الخارجية المصرية تفاوض نظارة الخارجية البريطانية رأسًا في ذلك فزرنا المرحوم نوبار باشا اول زيارة في منزلهِ وسألناهُ عن تلك الاشاعة فأجابنا بابداء الدهشة والاستغراب وافضى بنا ذلك الى حديث طويل تحققنا فيهِ بالخبر ما كنا نسمعهُ بالخبرَ عن حريتهِ في مجاهرتهِ بضميرهِ والتصريح برأيهِ وعن ذكائهِ وسرعة خاطرهِ وتسرعهِ في الامور وحدتهِ والاقدام على الاشياء قبل تقديرهِ موضع قدمهِ وعاقبة خطوتهِ . واعجبنا منهُ ما كان يبدو عليهِ من العظمة والهيبة التي يقال انهُ ورثها عن ملوك الأرمن اجدادهِ من جهة ابيهِ كما ورث حرية الضمير عن اجدادهِ الانكليز من جهة امهِ

ومن جملة الاقوال التي قالها لنا حينئذٍ في الدفاع عن سياستهِ وتخطئة السياسة التي يشير بها المقطم · اني انا وابي من قبلي صرنا مصريين ومصر صارت وطننا فلا نعرف لنا وطنًا غيرها. وخديويو مصر امراؤُنا واولياء نعمتنا. فحسن الوفاء والولاء يوجب عليَّ خدمة وطني والانتصار لاميري ومعارضة الاجنبي الطامع بأخذ وطني والحلول محل اميري فاذا فزت في معارضتهِ

فقد نلت المرام وان اخفقت فحسبي اني فعلت الواجب عليَّ وما افلحت . واما انتم فتشدون ازر الاجنبي على الوطني وتبغون انالة المحتلين حقوق الخديويين فسياستي ممدوحة ولو اخفقت فيها وسياستكم غير ممدوحة ولو فزتم فيها

فقلنا لهُ ليس الامر كذلك يا سعادة الباشا بل كلٌّ منا يغني على ليلاهُ ويخطئ من يتوهم منا ان غايتهُ اشرف من غاية سواهُ فكن على يقين ان ما نقصدهُ من الخير لاميرك ووطنك نقصدهُ نحن مثلك وما غيرتك عليهما باشد من غيرة غيرك ولكن الفرق بينك وبين غيرك هو في السياسة المؤدية الى ذلك فسعادتك تُنزل الى ساحة الصراع قويًا وضعيفًا اولهما الاجنبي وثانيهما الوطني ثم تطلب ان يكونا خصمين متعاديين وتفرض ان مصالحهما متناقضة طبعًا مع انها متفقة في اكثر الامور اتفاقًا لايكاد يكون لهُ مثيل بين مصالح فريقين متشاركين او متخالفين . وتحرّض بعد ذلك الوطني الضعيف على مبارزة الاجنبي القوي وتغري من لاسلاح معهُ بمهاجمة المحتمي في حصنهِ المدجج بسلاحهِ ثم تقول ان فاز الضعيف فقد نلنا المرام وان قهر وذلَّ فقد فعلنا الواجب علينا والسلام . ونحن نقول ان ذلك ليس من الصواب بل حسن السياسة يوجب على الضعيف الابتعاد عن التحرش بالقوي واجتناب كل امر يؤدي الى وقوع التنافر بينهما وتوخي كل واسطة توثق عرى الاتفاق والاتحاد بينهما . والقوي ليس هنا خصمًا للضعيف بل انهُ نصير لهُ يسالمهُ قولاً وفعلاً ويصون مصالحهُ ظاهرًا وباطنًا لان مصالح الضعيف مطابقة لمصالحهِ . فالواجب الذي لا يجوز للعقلاء ان يختلفوا فيهِ هو ان ينصحوا للضعيف دائمًا بمسالمة القوي والسعي في الانتفاع بقوتهِ وعلمهِ ومساعدتهِ واتخاذهِ صديقًا لاعدوًّا والاَّ كان الضعيف معهُ كالساعي الى حتفهِ بظلفهِ ونال القوي مرادهُ منهُ رغم انفهِ

فهزَّ نجران باشا رأسهُ اشارة الى عدم الموافقة على رأينا ولسان حالهِ يقول " ان سياستكم هذه كلها كلام " . وادمنا النظر الى عينيهِ هنيهة ثم حوَّلنا الطرف عنهُ ولسان حالنا يقول " وسياستكم خطاءٌ تظهرهُ الايام " واستأذنا وانصرفنا وكان ذلك آخر حديث بيننا

ثم مضت الايام والاعوام ونجران باشا يتوارى عن عيون الجمهور ويبعد عن مراكز ادارة القطر ومحافل السياسة عامًا فعامًا حتى نسيتهُ الجرائد وسكتت عن ذكرهِ الالسنة بعد ان بقي موضوع حديث الصحف والمجالس الخصوصية والعمومية زمانًا ولم يعد الجمهور يسمع عنهُ غير اخبار الذهاب والاياب في السفر او خبر ايلام وليمة او الدعوة الى وليمة وما اشبه . وقد رأى احزابهُ تنحلُّ وتضمحلُّ في غضون ذلك وسمع الزعماء والعقلاء فيها يعترفون بان سياسة مصطفى باشا فهمي كانت سياسة الصواب وان عطوفتهُ رأى بعين عقلهِ وبعد نظرهِ في الامور مالم

يروهُ م الاَّ بعد مضي بضعة عشر عاماً في الاخبار والاطلاع علي سير الاحوال · ووافتهُ منيتهُ فانتقل الى رحمة ربهِ بعد ما كتب ابرهيم بك الهلباوي قائلاً بلسانهم في جريدة المؤيد ان النفور الذي كانوا يشعرون بهِ من مصطفى باشا فهمي لانهُ اول شخص موالٍ للاحتلال قد تبدل بمحبة واحترام وان البناء الذي كانوا يسعون في تشييدهِ وتأييدهِ والاستقلال بظلهِ قائم على اساس ضعيف

ولما تأملنا هذا التغير في رأي الجمهور ونحن نتتبع ادوار تغيرهِ بسرور حانت منا التفاتة الى البحر فاذا موجة خضراء قد تعالت وتعاظمت حتى طغت على ما حولها ثم انقلبت وصدمت صخراً امامها فتنفست عليهِ وهي ترغي وتزبد وتطاير زبدها في الجو حتى اختفى الصخر عنا ولم يبقَ غير مائها وزبدها امام اعيننا · ولكن لم يكن الاَّ كلمح القبس حتى ارتدَّ ذلك الماء الى جوف البحر وغاب في لجهِ وانحسر عن الصخر فبان الصخر ثابتاً راسخاً في موضعهِ . فقلنا ما اشبه امر هذه الموجة بما يجري في تاريخ البشر من الحوادث والعبر فترانا نجتمع ونفترق ونختلف ونتفق ونهيج ونجيش ثم نسكن ونغيب في لجج بحر الدهر ولا يبقى الاَّ الحق والصواب ثابتين كالصخر

التصعيد في الجبال

اذا وضعتَ عصاً على اخمص طفل عمرهُ بضعة ايام انقبضت اصابع قدمهِ عليها كأنهُ يحاول مسكها · وقد يسهل رفع الطفل عن الارض بانقباض اصابع قدميهِ على العصا وتعلقهِ بها · ويقول البعض ان ذلك دليل على ان اسلاف الانسان الاولين كانوا يستعملون اقدامهم في اعتراش الاشجار كما يستعملون اياديهم وكما تستعمل القرود اياديها واقدامها . وسواء صحَّ هذا القول او لم يصح فالميل الى اعتراش الاشجار والتصعيد في الجبال غريزي في الانسان يظهر في صغارهِ ويرتاح اليهِ كبارهُ ويقدم عليهِ غير مبالٍ بما قد يؤدي اليهِ من المخاطر

يخطر على بالنا الآن ما فعلناهُ في سن الصبا فنستغرب إقدامنا عليهِ لولا هذا الخلق الفطري · وقفنا ذات يوم تجاه جبل صنين اعلى جبال لبنان فرأيناهُ شامخاً يناطح السحاب وكنا عند صفحهِ على مقربة من نبعهِ وقيل لنا ان الطريق الى قنتهِ بعيد طويل وانهُ قد يمكن الصعود اليها في خط مستقيم مواجهةً · فشرعنا نصعد ولا مرشد لنا ولا دليل ولا شيء يقينا من التدهور الاَّ اغصان البربريس الشائكة نتشبث بها في بعض الاحيان . وجانب الجبل هناك مفروش بفتات الصخور لا تثبت فيهِ قدم وتحتنا هوَّة زاد عمقها بارتفاعنا حتى صار الوفاً من الاقدام ومع ذلك

لم نبالِ بالخطر ولم ننفكّ عن التصعيد الى ان بلغنا القنة العليا · فاسترحنا هنيهة ثم عدنا أدراجنا وكنا نجلس على فتات الصخور فتنهار بنا مئة قدم او اكثر الى ان يتجمَّع كثير منها تحت اقدامنا ويقف عن الانهيار ثم نكرر ذلك فبلغنا سفح الجبل في دقائق ولا يفعل هذا من يقدّر العواقب

ويظهر هذا الميل على اشده في الذين يصعّدون في جبال الالب وهي مغطاة بالثلج والجليد · والثلج اذا تراكم بعضهُ فوق بعض وضغط اعلاهُ على اسفلهِ وكان ذلك على سفح جبل زحل على ذلك السفح زحلاً كأنهُ نهر بطيء الجريان فينحر جوانب الجبل بسيرهِ كما تنحرها انهر الماء فتتخلخل الصخور منها وتتدهور عليهِ ولذلك ترى الحجارة منتشرة على جانبيهِ · واذا بلغ شرفاً او بقعة منخفضة تشقق فظهرت فيهِ شقوق عميقة كالاودية كما ترى في هذا الرسم وقد رسم فيهِ نهر من انهر الجليد والحجارة منهارة على جانبيهِ والشقوق بادية فيهِ · والمصعدون في الجبال قد يمشون على هذه الانهار فتقع الصخور عليهم وتسحق رؤوسهم او يقعون في الشقوق فيدفنون في الثلج احياء ومع ذلك لا ينفكُّ الناس عن التصعيد في جبال الالب سنة بعد أُخرى



وقد وقفنا الآن على مقالتين موضوعهما التصعيد في جبال الالب للسيدة اوبري له بلُنْد شرحت فيهما بعض ما يلاقيهِ المصعدون من المشاق وهي من اخبر الناس في هذا الموضوع

ومن اكثرهم تصعيداً في الجبال فاقتطفنا منهما ما يلي

قالت الكاتبة ان التصعيد في الجبال احب الملاهي لانهُ اشدها خطراً فهو كصيد الاسود وركب السوابق لذتهُ في مخاطره

ويظهر مما يحدث سنوياً للمصعدين في جبال الالب ان التصعيد فيها لايخلو من الخطر ولكن الذين يؤْخذون فيهِ اما انهم اغفلوا الحذر الواجب او لم يسترشدوا بالادلة الاكفاء ومع ذلك اذا نفذ القدر بطل الحذر

حدث منذ عهد قريب ان شاباً انكليزياً صعد في جبال الالب الى اعلى مكان امكنهُ الوصول اليهِ وعاد راجعاً وكان معهُ دليلان ماهران احدهما امامهُ والآخر وراءهُ فوقع صخر كبير على رأس الدليل المتقدم فقتلهُ حالاً ودفعهُ الى هوَّة عميقة وكان الثلاثة ممسكين بحبل واحد فوقع الشاب والدليل الثاني فوق الدليل الاول نحو تلك الهوة ورأى الدليل الثاني شقاً كبيراً في الجليد قبل الوصول الى حافة الهوة وعلم انهُ ان استطاع ان يعلق بهِ فقد ينجو هو والشاب من الوقوع في الهوَّة وكانت السقطة قد رضَّضت مفاصلهُ ولكنها لم تذهب برشدهِ فتمكن من النزول في الشق هو ورفيقهُ المقتول والشاب الذي معهما ونهض للحال وانهض الشاب واخرج الرمل من فيهِ وصعد بهِ من الشق قبل ان يقع عليهما حجر يصرعهما لان الحجارة كانت تنهال من جانب الجبل تباعاً بسبب اشتداد الحر حينئذٍ وذوبان الجليد الممسك لها . وكان صعودهُ من الشق على تلك الصورة وليس معهُ شيءٌ يتعلق بهِ من الخوارق حتى ولو لم يكن جسمهُ مترضضاً . وظلاَّ يصعدان تسلقاً وتشبثاً الى ان بلغا مكاناً اميناً . وبقيا اسابيع كثيرة قبل ان شفيا من سقطتهما . وأُخرجت جثة رفيقهما من الشق في اليوم التالي بعد عناء شديد

هذا الشق نجي اثنين من الهلاك والشقوق في الغالب مهالك يهلك فيها المصعدون في الجبال كما حدث منذ عامين فان رجلين فرنسويين ودليليهما ضلُّوا الطريق في ليلة شديدة العواصف وكانوا في ابرد بقعة من جبال الالب فباتوا يمشون ذهاباً واياباً لكي لا يهرأهم البرد ا سنهُ هرأ الفرنسويين وبقي الدليلان حيين الى الصباح فنزلا عن الجبل وقد مزَّقت العواصف ثيابهما وجمد الدم والثلج على وجهيهما ولقيا في نزولهما جماعة من المصعدين فاخبراها عن موت رفيقيهما برداً في اعلى الجبل فاضاعت الجماعة رشدها واسرعت نحو ذينك المنكودي الحظ لعلها تجد فيهما رمقاً وكان الواجب عليها ان تترك الميت وتهتم بالحي فظلَّ الدليلان نازلين على ما بهما من الضعف . وبعد ساعة من الزمان كان في الوادي رجل بيدهِ نظارة ينظر فيها

الى الجبل فرأى رجلاً وقع في شق من شقوق الجليد وهو احد الدليلين والحال قام جماعة من اهل النخوة وصعدوا لتخليصهِ فوجدوا ان رفيقهُ وقع معهُ ايضاً واحدهما قتل والآخر لا يزال حيًّا فانقذوهُ بعد عناء شديد . والجماعة الاولى وجدت جثتي الفرنسويين على عشرين مترًا فقط من الطريق المطروق ولم تجد فيهما رمقاً فاضافت جبال الالب ثلاثة في ذلك اليوم الى عدد قتلاها . والغالب ان الذين يهرأهم البرد او يقعون في المهالك توجد جثثهم حالاً ولكن قد لا توجد ابدًا وقد توجد بعد زمن طويل . مثال ذلك ان رجلاً انكليزيًّا اسمهُ هنري اركريت صعد الجبل الابيض (منت بلانك) ومعهُ دليل وحاملان لحمل امتعتهِ وصعد معهُ صاحب الفندق ورفيق لهُ واختاروا طريقاً مختصرًا لان الوقت كان في اكتوبر والنهار قصير الاَّ ان ذلك الطريق كان كثير المخاطر يتجنبهُ المصعدون غالباً . فلما وصلوا الى مكان يكثر سقوط دحاريج الثلج فيهِ سقط عليهم دحروج كبير جدًّا فجرف اركريت ورفاقهُ الثلاثة واما صاحب الفندق ورفيقهُ فتمكنا بعصويهما ولم يجرَفا ولكن انقطع الحبل الواصل بينهما . ولما تنقى الهواء من قطع الثلج النازلة مع الدحروج نظرا حواليهما فلم يجدا اثرًا لاركريت ودليلهِ والحاملين اللذين معهُ ولكنهما رأيا الدحروج الذي جرفهما قد انبسط في مكان مطمئن تحتهما فنزلا اليهِ وبقيا ساعتين يفتشان فيهِ فوجدا جثة احد الحاملين فقط واضطرا ان يعودا الى الفندق فوجدا اخت اركريت هناك جالسة تصوّر وقد صعدت مع اخيها في اليوم السابق ونزلا سالمين . فدخل صاحب الفندق ليخبرها بما حدث لكن أُرتج عليهِ ولم يستطع الكلام فنظرت اليهِ وقالت اخي اخي ماذا جرى لهُ فقال لها تشجعي . فجثت على ركبتيها وطلبت المعونة من الله ثم قالت هات اخبرني بما توقع فاخبرها . واخذ المفتشون يفتشون عن جثث القتلى وظلوا عشرة ايام فلم يجدوا جثة اركريت واشتدت الانواء والعواصف فمنعتهم عن التفتيش . وبعد احدى وثلاثين سنة وجدت جثة هذا الرجل في سفح الجبل سار بها نهر الجليد رويدًا رويدًا الى ان بلغت الى هناك وعرفت مما وجد معها من امتعتهِ كازرار قميصهِ ونقود كانت في جيبهِ وقلم رصاص من الذهب ووجد منديلهُ ايضاً وعليهِ حروف مقتطعة من اسمهِ والفرقة التي هو منها لانهُ كان يوزباشياً في الجيش الانكليزي

ويحمل الذين يصعدون في جبال الثلج معولاً يحفرون بهِ حفرًا في الثلج لتقف اقدامهم فيها لان سطح الثلج يكون في الغالب صقيلاً تزلق الاقدام عليهِ ولاسيما اذا كان مائلاً . وقد يزلق الدليل ويقع المعول من يدهِ فيتدهور ويدهور تابعيهِ معهُ . وكثيرًا ما يقف على جرف من الثلج فينهار الجرف او ينكسر بهِ . فان الثلج قد يتصلَّب في بعض الاماكن وينهار

ما تحته رويداً رويداً فيبقى بارزاً من جانب الجبل كالافريز يقف المصعدون عليهِ ولا يحسبون انهُ بارز في الهواء لا شيء تحتهُ يسندهُ · حدث منذ بضع سنوات ان سائحاً كان يصعد في جبال الالب هو وامرأة اخيهِ ودليلان اسم احدهما هنسن واسم الآخر خرستيان والاربعة مرتبطون بحبل واحد · واتفق ان الرجل وامرأة اخيهِ والدليل خرستيان تقدموا ووقفوا على افريز من افاريز الثلج فسقط تحت اقدامهم ووقعوا على سطح صقيل من الثلج مائل جداً لا تثبت القدم عليهِ وكان لا بدَّ من تدهورهم كلهم الى اسفل الوادي الذي تحتهم وعمقهُ لا يقلُّ عن الفي قدم الاَّ ان الدليل الثاني الذي كان واقفاً وراءهم وثب حالاً الى الجانب الآخر من حرف الثلج فصار قادراً على حفظهم من الوقوع في الوادي اذا كان الحبل الذي ارتبطوا بهِ متيناً يحمل الثلاثة ولا يقطعهُ حرف الثلج وسقط المعول من يد الدليل الاول وقتما وقع الافريز بهِ لكن معول السائح بقي في يدهِ فلم يبقَ سبيل لنجاتهم الاَّ ان يرمي بهِ الى الدليل فيلتقطهُ ويحفر بهِ حفراً في الثلج تقف بها اقدامهم والاَّ فلا بدَّ من سقوطهم في الهاوية التي تحتهم حالما ينقطع الحبل بهم · وفعل الرجل ذلك فرمى بمعولهِ الى الدليل الاول فتلقاهُ هذا وجعل يحفر بهِ حفراً صغيرة في الثلج تثبت فيها الاقدام فصعد الثلاثة عليها ونجوا

وكثيراً ما يصاب المصعدون بدوار مثل دوار البحر فيسقطون عن الشواهق · حدث سنة ١٨٩٨ ان رجلاً اسمهُ نارودا مشهوراً بتصعيد الجبال صعد مع زوجتهِ وصديق لهُ في قنة صعبة جداً وكان قد بلغها ست نوبات قبل ذلك اما في هذه النوبة فكان منحرف الصحة فلم يكد يبلغ اعلاها حتى صرخ اني وقعت · ووقع على ظهرهِ وتدهور مئة قدم وكان رفيقهُ واقفاً تحتهُ فامسك بالحبل جيداً فشدَّ الحبل على ذراعهِ وقطع اصابعهُ واطلَّ الرجل وزوجة نارودا عليهِ فوجداهُ معلقاً بالحبل بيد واحدة وتحتهُ هوَّة عميقة جداً · وبعد عناء شديد وصلا اليهِ ووضعاهُ على سطح مستوٍ من الجليد وكان لا يزال في دوارهِ ولم يكن معهم طعام ولا شراب · وكانت الساعة الثانية بعد الظهر فجعل رفيقهُ وزوجتهُ يصرخان وينا ديان وظلاَّ ثلاث ساعات الى ان سمع البعض صوتهما واقبلوا لمساعدتهما ولم يتمكنوا من انزالهِ عن الجبل الاَّ في الصباح التالي وبات الليل كلهُ يهذي ولما بلغوا بهِ سفح الجبل اسلم الروح

وفي الصيف الماضي صعد ثلاثة الى هذه القنة ولم يشأْ دليل من الادلة ان يصعد معهم لصعوبة البلوغ اليها لكنهم بلغوها سالمين وبينما هم آخذون في النزول فاجأَتهم زوبعة من الثلج اضطرتهم ان يبيتوا هناك · وحاولوا النزول في اليوم التالي فلم يستطيعوا لكثرة الثلج فباتوا هناك ايضاً ولا غطاء معهم ولا شيء يقيهم ذلك البرد القارس ووجدهم البعض حينئذٍ وانقذوهم سالمين

وذكرت الكاتبة نوادر أُخرى من هذا القبيل وقالت في الختام ان التصعيد في جبال الثلج لا يكون محفوفاً بالمخاطر دائماً بل قد يكون كلهُ بهجة وحبوراً ولذلك يتعشقهُ الناس ولا ينفكون عنهُ

باب الزراعة

محصول القطن ومستقبلهُ

ان غلة القطن من الولايات المتحدة والهند ومصر تبلغ نحو سبعين مليون قنطار فيكون القطن المصري اقل من عشرها . والقطن الاميركاني وحدهُ نحو ٥٥ مليون قنطار والقطن الهندي نحو عشرة ملايين قنطار والقطن المصري من ستة الى سبعة ملايين قنطار

ويرد الى البلاد الانكليزية كل سنة من ١٨ الى ٢٠ مليون قنطار وقد كان الوارد في العام الماضي نحو ١٨ مليون قنطار فقط وهي ١٣ مليون ونصف من القطن الاميركاني ونحو ثلاثة ملايين من القطن المصري ونحو مليون من القطن الهندي ونصف مليون من سائر الاقطان . وكان الوارد سنة ١٨٩٨ نحو ٢١ مليون قنطار ثمانية عشر منها من القطن الاميركاني ونحو مليونين وثلاثة ارباع من القطن المصري ونحو ربع مليون من القطن الهندي

فاذا تمكَّن الاميركيون من العمل بما ينوون العمل بهِ وهو ان يكثروا معامل القطن في بلادهم حتى يغزلوا وينسجوا كل قطنهم فالقطن المصري كلهُ وضعفاهُ لا تفي بحاجة المعامل الانكليزية . واذا استطاعت المعامل الانكليزية ان تشتغل دواماً كما اشتغلت سنة ١٨٩٨ مثلاً وتجد اسواقاً لمنسوجاتها ومغزولاتها كلها لم تكتفِ باقل من عشرين مليون قنطار اي باكثر من ثلاثة اضعاف محصول القطر المصري

اما ازدياد معامل القطن في اميركا حتى تصير تغزل وتنسج كل القطن الاميركاني فامر قريب الوقوع لان هذه المعامل زادت ثمانية اضعاف منذ عشرين سنة الى الآن ولا يمنعها من الازدياد بسرعة ايضاً الاَّ كون الاسواق التجارية لم تفتح كلها حتى الآن للبضائع الاميركانية كما هي مفتوحة لغيرها او كون التجار الاميركيين لم يصلوا اليها حتى الآن او لم يروّجوا بضائعهم فيها ولكنهم سيفعلون ذلك بعد زمن غير طويل . ولذلك يهتم الانكليز الآن اشد الاهتمام

باكتشاف الاماكن التي يسهل زرع القطن فيها لكي يستغنوا بها عن القطن الاميركاني . وقد قال الاستاذ وندهام بنستن في تقرير رفعهُ حديثاً الى مجلس التجارة في البلاد الانكليزية ونشر في الكتاب الازرق انهُ يُرجح ان تزيد زراعة القطن في الهند ولا سيما في برما اذا بقي سعرهُ مرتفعاً كما هو الان ولكن اكثر القطن الذي ينبت في الهند الآن قصير الشعر لا يصلح للمعامل الانكليزية وانهُ لا يُحتمل ان تتسع زراعة القطن كثيراً في القطر المصري لان الاراضي الصالحة لهُ قد زرعت كلها تقريباً . وفي هذا القول الاخير نظر لانهُ لا يزال في الوجه البحري نحو نصف مليون فدان من الاراضي التي تصلح لزرع القطن . والاراضي التي يزرع القطن في ثلثها فقط الآن يمكن ان يزرع في نصفها اذا توفرت المياه واعتمد الزراعون على السماد الكيماوي حيث لا يوجد السباخ البلدي فيصير محصول القطن في الوجه البحري فقط سبعة ملايين او ثمانية ملايين قنطار . ومتى تمّت الاعمال اللازمة للري الصيفي في الوجه القبلي ايضاً فلا يبعد ان يصير محصول القطن المصري عشرة ملايين قنطار او نحو نصف ما يلزم للمعامل الانكليزية هذا اذا لم يرسل القطن المصري الى سائر معامل اوربا . لكن لا شبهة في ان معامل اوربا واميركا تأخذ نصفهُ على الاقل كل سنة فلا يبقى للمعامل الانكليزية غير خمسة ملايين قنطار او نحو ربع ما يلزم لها . وعليهِ فسيبقى القطن المصري رائجاً جدًّا ولو زاد محصولهُ على عشرة ملايين قنطار

وقد عدد الاستاذ بنستن الاماكن التي جُرّب فيها زرع القطن المصري والقطن الاميركاني في افريقية وجزائر الهند الغربية وجزائر بحر الروم وبلاد الهند ويظهر لنا مما ذكرهُ عنها كلها انهُ مهما بُذل من العناية لزرع القطن فيها لا يُنتظر ان يبلغ محصولهُ نصف محصول القطن المصري

فجزيرة قبرص مثلاً كان يصدر منها ١٨ الف قنطار في السنة وقت حرب اميركا ولا يصدر منها الآن سوى ثلاثة الاف قنطار فان كانت حرب اميركا لم تزد المحصول الا الى ١٨ الف قنطار فلا ينتظر ان يبلغ عشرة الآف قنطار الآن مهما كانت الوسائل وهو محصول ابعدية واحدة في القطر المصري

وجزيرة مالطة زرع فيها ٦٩٩ فداناً سنة ١٩٠٢ بلغ محصولها ٣٣٤٢ قنطاراً ولكن لا يعلم ما هو نوعهُ ولا ماهي مساحة الاراضي التي يمكن زرع القطن فيها . ثم ان الاراضي التي تصلح لزرع القطن في جزائر بحر الروم وفيها ماء كافٍ لريهِ وقت انحباس المطر تصلح ايضاً لزرع التبغ مثلاً وغلة فدان التبغ تساوي عشرة اضعاف غلة فدان القطن

السودان — يقال ان الاراضي الصالحة لزرع القطن في السودان واسعة جدًّا ولكن

ما الفائدة من اتساع الاراضي وفدان القطن يحتاج الى رجل واحد على الاقل للقيام بخدمته من حرث وزرع وخف وعزق وري وجمع او الى خمسة انفس من السكان . ففي القطر المصري يزرع القطن في نحو مليون وثلثمئة الف فدان وعدد السكان الذين يقومون بزراعتها كباراً وصغاراً لايقل عن ستة ملايين نفس . وعدد السكان في بلاد السودان حيث توجد الاراضي الصالحة لزرع القطن لايزيد على مليون نفس فاذا عملوا كلهم في زرع القطن على نسبة ما يعمل السكان في الوجه البحري من القطر المصري لم يستطيعوا ان يزرعوا اكثر من مئتي الف فدان . وفي مديرية البحيرة وحدها من القطر المصري اكثر من مئتي الف فدان تصلح لزرع القطن اذا باعتها الحكومة للاهالي واتتها بالماء الكافي . ولا ندري كيف يهتم ولاة الامور بزرع القطن في السودان وعندهم مئات الالوف من الافدنة في القطر المصري وعلى ساعات قليلة من الاسكندرية الى حيث ينقل القطن ولا يكلف نقلهُ ربع ما يكلفهُ نقلهُ لاصداره من السودان الى البحر . نعم انهُ يجب ان يرغب اهالي السودان في زراعة يستفيدون منها ولكن يجب ايضاً ان لايبالغ في فائدة شيء اذا كانت المبالغة تصرف الناس عما لم منهُ نفع كبير الى ما منهُ نفع قليل او غير محقق

الهند — بلغت مساحة الارض التي زرعت قطناً في العام الماضي في بلاد الهند نحو ١٧ مليون ونصف مليون وبلغ حاصل القطن منها نحو احد عشر مليون قنطار اي ان متوسط حاصل الفدان نحو ستين رطلاً من القطن الهندي الرخيص الثمن ولا ندري كيف يعيش الهنود الذين يزرعون هذا القطن او كيف يمكن ان تزاد زراعتهُ حيث لاتزيد غلة الفدان على ستين رطلاً . وما قيل عن الهند يقال عن اكثر البلدان التي يزرع فيها القطن الآن على قلة فان اتساع زراعته فيها امر بعيد لقلة حاصله وكثرة النفقات اللازمة لزرعه وعزقه وجمعه

قطن السودان

نرى لحكومة السودان اهتماماً شديداً بزرع القطن وهي تحسن صنعاً لان البلاد لا تعمر ولا تفلح ما لم يحصل منها شيء يمكنها اصدارهُ واخذ ثمنه نقوداً والقطن من اسهل الحاصلات الزراعية اصداراً وهو من اغلاها ثمناً فلا يذهب اكثر ثمنه اجرة لشحنه كما لو كان رخيصاً كالقمح والذرة . واذا استطاع مليون نفس من اهالي السودان ان يشتغلوا بزراعة القطن ويزرعوا مئتي الف فدان قطناً وبلغ محصولها مليون قنطار وبيع القنطار في ارضه بمئة وخمسين غرشاً بلغ دخل السودان من هذا الصنف مليوناً ونصفاً من الجنيهات

وقد وقفنا الآن على ما كتبهُ مدير التجارب الزراعية في شندي عن زراعة القطن هناك

ومفاده' انهُ زرع القطن المصري هناك ورواه' اخر رية في شهر فبراير الماضي فبلغ محصول الفدان المزروع من القطن العباسي ١٢٠٠ رطل والمزروع من القطن العفيفي نحو ٨٠٠ رطل والمزروع من اليوفتش ٧٠٠ رطل اي نحو ثلاثة قناطير وثلاثة ارباع القنطار من الاول وقنطارين ونصف من الثاني ونحو قنطارين وربع من الثالث (القنطار ٣١٥ رطلاً)

ولم تنتج نتائج حسنة من زرع القطن في الشتاء لان نموه' توقف تماماً في شهري دسمبر و يناير . والقطن الذي زُرع في اكتوبر لم يظهر الطرح فيهِ حتى شهر ابريل ولكن نموه' جيد وينتظر ان يبلغ محصول الفدان منهُ اربعة قناطير اذا امكن ريهُ مدة شهرين آخرين او ثلاثة . واذا قابلنا ما يزرع في الصيف بما يزرع في الشتاء وجدنا المزية لما يزرع في الصيف في شهر يوليو

ويزرع القطن في ابي حراز في الطمي المتخلف من فيضان البحر الابيض ولا يروى بعد ذلك ومحصوله' قليل جدًّا ولكن نوعه' ليس ادنى من انواع القطن السوداني

ويزرع القطن في طوكر في الارض التي يرويها خور بركة و يبلغ حاصل الفدان نحو ٦٠٠ رطل من القطن غير المحلوج تباع بنحو ٣٤٠ غرشاً

ويزرع القطن في مديرية بربر في السنين التي يكون فيها الفيضان عالياً . وقطن السودان يحتمل القيظ الشديد ولا يعلم هل يحتمل القطن المصري القيظ مثله' لو زرع هناك . والعادة ان يزرع القطن مع الذرة الشامية والذرة تظلل نبات القطن وتقيهِ ومتى بلغت ونزعت يروى القطن ويترك فلا يميتهُ القيظ والمظنون انهُ يمكن ايجاد نوع متوسط بين القطن المصري والقطن السوداني بالتلقيح فتجود شعرتهُ ويبقى يحتمل القيظ كالقطن السوداني والطريقة الفضلى لزرع القطن في السودان ان يزرع في شهر يونيو او يوليو في حوض تصل اليها المياه من الترع فيروى من الترع الى شهر اكتوبر . ثم يروى قليلاً في فصل الشتاء . وينتظر ان يبلغ محصول الفدان حينئذٍ اربعة قناطير الى خمسة . والارض التي تزرع قطناً هذه السنة تترك سنتين تروى فيهما ري الحياض فقط وتزرع قمحاً وقطاني

وكتب بعضهم عن زرع القطن على نهر رهد بين القضارف والقلاَّبات فقال انهُ رأى القطن مزروعاً في ٧٦٢ فداناً في القلاَّبات وان ثمن قنطار القطن غير المحلوج هناك ٣٤ غرشاً ويشتريهِ الاحباش ولكنهم لا يشترون ما فيهِ اقل صفرة فيكون ثمن القنطار المصري (٣١٥ رطلاً) نحو مئة غرش

وكيف التفتنا الى تقارير الذين جالوا في بلاد السودان نجد انهم متفقون على ان الارض تصلح لزرع القطن ولكن قلة الناس مانعة من ذلك . اما السكان فسيزيد عددهم مع الزمان

واما الارض فكونها صالحة للزراعة لا يفيد ان القطن يجود فيها ويكون نوعهُ جيداً لان جودة القطن تتوقف على امور كثيرة غير جودة الارض . ثم ان غلاء اجرة النقل سيبقى مانعاً كبيراً في سبيل زرع القطن في تلك الانحاء

موسم اميركا

بلغ موسم القطن الاميركي الذي انتهى في الشهر الماضي عشرة ملايين ونحو ١١ الف بالة فهو اصغر موسم منذ سنة ١٩٠٠ . وقد اخذت معامل اميركا ٤٠ في المئة منهُ ومعامل انكلترا ٣٦ في المئة ومعامل فرنسا ٧ في المئة وسائر اوربا ٢٧ في المئة . وقد كانت معامل اميركا تستعمل مليونين و ٥٠٠ الف بالة فقط منذ عشر سنوات فصارت تستعمل الآن اربعة ملايين بالة او اكثر . ويقال ان المقطوعية من القطن تزيد زيادة طبيعية بزيادة السكان تبلغ نحو مليوني قنطار كل سنة فاذا استمرَّت الحال على هذا المنوال عشر سنوات أُخرى احتاج الناس الى عشرين مليون قنطار فوق ما يستعملونهُ الآن فتصير المقطوعية كلها نحو ٩٠ مليون قنطار وهي الآن نحو ٧٠ مليون قنطار

قطن فلسطين

كتب قنصل الانكليز في القدس ان الناس ابطلوا زراعة القطن بعد انتهاء الحرب الاميركية مع انهُ كان يزرع قبل ذلك في كل بلاد الساحل من غزَّة الى صور في ارض طولها مئة ميل وعرضها من خمسة اميال الى عشرين ميلاً وعندهُ انهُ يمكن اقناع الاهالي بالعود الى زرعهِ وقد بلغ الصادر من فلسطين قبل الحرب الاميركية عشرين الف بالة في السنة وهو ابيض قصير الشعر ادنى من القطن المصري . انتهى

وقد رأينا القطن المزروع في اكثر بلاد الساحل حتى بلاد صافيتا وهو صغير اللوز قليل الحمل يعيش بعلاً ويبعد عن الظن ان يكثر الناس من زرعهِ الاَّ اذا ارتفع سعر القطن كثيراً كما ارتفع وقت الحرب الاميركية

فائدة في زراعة القصب

ثبت للدكتور كوبوس بعد التجارب في زراعة القصب ما يأتي

اولاً ان مقدار السكَّر في قصب السكَّر يختلف كثيراً وهو على اكثرهِ في العيدان الغليظة التي مرَّ عليها سنون كثيرة وهي تغرس غرساً

ثانياً ان مقدار السكَّر يزيد ايضاً بازدياد وزن القصب

ثالثاً اذا اختيرت العقل من القصب الثقيل الكثير السكَّر كانت العيدان النابتة منها كثيرة السكَّر ايضاً

رابعاً ان القصب المنتقى كذلك يسلم اكثر من غيره من المرض المعروف بمرض السره

التوت ودود الحرير

رفع حضرة الوجيه الخواجه خطار ثابت الى جناب المستر متشل انس وكيل المالية التقرير التالي عن زراعة التوت وتربية دود الحرير في ارض بسنديله بعد ما جرب ذلك نحو ثماني سنوات

" استلمت الارض في بدء سنة ١٨٩٧ وكان منها قسم كبير مستملحاً ولما كان شجر التوت لا يعيش في الارض السبخة رأيت من الواجب قبل كل شيء ان اهتم بتحليتها فاعددتها لزراعة الارز ولكن المزارعين الذين اتخذتهم لهذه الغاية لم يتمكنوا من القيام بخدمتها اذ ليس للارض الأساقيتان لا يمكن ان تقوما بريها كلها فاقتصروا على زراعة الارز في قسم منها وهو القسم الذي غرس شجرًا في السنة التالية سنة ٩٨ وكان هذا القسم جيد التربة من الاصل واما الارض السبخة فلم ينلها نصيب من زراعة الارز في تلك السنة وقد صادفت في مزاولة تحليتها صعوبات شديدة في السنين التالية لان المياه الصيفية التي لا تحلو التربة الأ بها كانت قليلة جدًّا في تلك السنوات فكان من ذلك اننا لم نتمكن من زراعة الارز في الارض السبخة ولا من ري الارض المغروسة ريًّا منتظماً فنشأ عن هذه الحالة القاهرة ان الوفاً من الشجر المغروس حديثاً مات عطشاً وقد تحققت الحكومة من ذلك فاضافت سنتين على ميعاد التجربة المقرر في العقد الاصلي حتى اصبحت سنوهُ اثنتي عشرة بدلاً من عشر واخيرًا تمَّ الغرس في الميعاد المتفق عليهِ

اما نمو الشجر فهو جيد جدًّا في الارض التي كانت تربتها حلوة من الاصل وهو كذلك جيد في الارض التي توفقنا الى تحليتها تماماً ولكنهُ لا يزال في الارض قسم تتخللهُ عروق سبخة مما يجعل شجرهُ بطيء النمو ونحن باذلون كل الاهتمام في سبيل تحليتهِ حتى يساوي باقي الارض والمأمول ان نصل الى هذه الغاية في وقت قريب بما نبذلهُ من الجهد والعناية . على ان نجاح شجر التوت في القطر المصري امر ثابت بالعيان لا يحتاج الى برهان لان التوت موجود في كل الجهات وهو بالغ فيها من النمو مبلغاً يقصر عنهُ كل التوت في كل جهات اوربا وسوريا . فالامر الذي يهم الكلام فيهِ بالنظر الى مسألة نجاح المشروع هو امر تربية الحرير وها نحن آتون على بيان نتيجة عملنا فيهِ

في ربيع سنة ١٩٠١ ربينا ثلاثين جراماً من بزر دود الحرير تجربة جديدة بعد التجارب المكرّرة التي كنا اجريناها في سنوات مختلفة قبل الاتفاق الذي عقدتهُ معنا الحكومة فكانت التربية داخل قاعة من قاعات السكن لا في خص (الخص عشة من بوص وحصير) فكان محصولها خمساً وثلاثين اقة من شرانق الحرير وهو محصول متوسط بالنسبة الى محصول اوربا وسوريا وبموجبهِ يكون محصول الفدان الذي استوفى شجرهُ حقهُ من النمو ٢٣٣ اقة (على اعتبار ان وزن ورقهِ ٦١٦٠ كيلو كناية عن ٨٠ حملاً) ومتوسط ثمن الاقة ١٧ غرشاً فتكون قيمة محصول الفدان ٣٩٦١ غرشاً يستنزل ربعهُ في المصاريف فيكون الصافي ٢٩٧٠ غرشاً

وفي سنة ١٩٠٢ كان التوت المغروس في سنة ٩٨ وسنة ٩٩ قد نما نمواً يأذن بتربية الدود للاستغلال لا للتجربة فقط فربينا خمساً واربعين علبة بزر تحوي العلبة منها خمسة وعشرين جراماً فكان محصولها ٨٧٤ اقة من الشرانق بيع قسم منها في مصر وقسم آخر في الزقازيق والباقي نسجناهُ اقمشة لحسابنا الخاص . ثم في سنة ١٩٠٣ ربينا ٦٠ علبة فكان محصولها ١٢٥٦ اقة ومحصول هاتين السنتين كان اقل من محصول سنة التجربة باعتبار نسبتهِ الى كية البزر واهمّ سبب في ذلك النقص هو ان الانفار الذين استحضرناهم من برّ الشام لتربية الدود لم يكن عددهم كافياً لتربية تلك الكمية الكبيرة والمصريون الذين يعملون تحت مناظرتهم ومناظرتنا كانوا على جهل تام بامر دود الحرير وتربيتهِ فكان سوء الخدمة مؤثراً على نتيجة المحصول ومع ذلك فتلك النتيجة تجعل محصول الفدان البالغ توتهُ النمو الكامل على متوسط محصول السنتين ٣٤٥١ غرشاً صاغاً يستنزل ربعها في مقابل المصاريف فيكون صافي ربعهِ ٢٣٨٩ غرشاً صاغاً

واما في السنة الحالية فاننا قد ربينا خمسة وسبعين علبة اي الفاً وثمانمائة وخمسة وسبعين جراماً من البذر فكان محصولها ٢٠٦٤ اقة وهو محصول جيد جداً والسبب في زيادة نجاحهِ عن السنتين السابقتين هو ان الانفار المصريين الذين كانوا يخدمون الدود كانوا قد اكتسبوا شيئاً من الخبرة في خدمتهم للدود في الموسمين السابقين فجاء عملهم في هذه السنة اوفى واقرب الى المرغوب . وقد بعنا محصول هذا الموسم بسعر ١٧ غرشاً الاقة فكان مجموع ثمنهِ ٣٥٠٨٨ غرشاً

وتتمة للفائدة يجب عليَّ ان اضيف الى هذه البينات ان ورق التوت الذي استخدم في تربية هذا الموسم الاخير انما هو الناتج من محصول اربعين فداناً فقط وهي التي مرَّ على غرس شجرها اربع سنوات فاكثر واما باقي الشجر فانهُ بالنظر الى حداثة عهدهِ ينتج حتى الآن كمية قليلة من الورق ليس لها شأن يذكر والاربعون فداناً المشار اليها لا تزال الآن في مقتبل صباها وسيزيد محصولها من الورق مع زيادة نموها سنة فسنة الى ان يبلغ اربعة اضعاف ما هو

عليهِ الآن او اكثر

هذا ويسرني ان اخبر سعادتكم بان كثيرين من الاهالي قد رغبوا في زرع شجر التوت في اراضيهم بعد ان رأوا باعينهم سير المشروع فكان مجموع ما بعتهُ من الاشجار حتى الآن ٣١٣٦٤ ولو امكنني تلبية كل الطلبات لزاد عدد المبيع عن ذلك كثيرًا ولكن الفسائل التي كنت احضرها في كل سنة كان يموت قسم كبير من شجرها عطشًا في زمن المناوبات وكنت احتاج سنويًا الى بضعة آلاف من الاشجار فالباقي لم يكن يكفي لاجابة كل الطلبات وعندي من الآن طلبات للسنة القادمة ما يزيد على عشرة آلاف شجرة . نعم ان معظم التوت الذي بعتهُ انما اشتراهُ الاهالي لاجل غرسهِ على اطراف اراضيهم ومجاري المياه والطرقات وجوانب المساكن والمساقي الأ انهُ في الحقيقة لا يرجى منهم الآن اكثر من ذلك لانهم لا يزالون جاهلين كيفية تربية الدود ونتائجهِ الحقيقية فلا يطلب منهم التوسع في زراعتهِ الى حد ان يشغلوا بهِ اراضيهم التي يستغلون منها القطن ولكن اذا كبر الشجر الذي غرسوهُ في حواشي تلك الاراضي وجربوا تربية الدود عليهِ اما بواسطة عملة من السوريين المقيمين بين ظهرانيهم او بواسطة بعض الفلاحين المصريين الذين يكونون قد تعلموا هذه التربية فانهم عند ما يرون ارباحهُ يتدرجون شيئًا فشيئًا الى غرسهِ في اراضٍ يخصصونها لهُ على النمط الذي يشاهدونهُ عندنا في الاراضي المخصصة للمشروع . واني اعتقد ان ارتفاع اسعار القطن في هذه السنوات الاخيرة كان سببًا لحصر كل اهتمام ارباب الزراعة في زراعة القطن نفسهِ . وهم الآن معذورون في ذلك اذ ليس من الحكمة وحسن التدبير ان يعدل المصري اليوم عن زراعة القطن التي تضاعفت ارباحها الى زراعة لم يختبرها و يعطل ربع ارضهِ ثلاث سنوات قبل ان ينال من محصول الزراعة الجديدة شيئًا يستحق الذكر ولكن اذا رجعت اسعار القطن يومًا الى حالتها القديمة (ونسأل الله ان لا ترجع) فحينئذٍ ينتظر انتشار زراعة التوت في القطر المصري الانتشار الذي يجعل وادي النيل مصدرًا من مصادر الحرير المهمة في العالم

على انهُ بالرغم عن ارتفاع اسعار المحصولات المصرية في الاوقات الحاضرة فانهُ لا يزال في ارض مصر متسع لزراعة شجر التوت وتربية دود الحرير وذلك في الاراضي الرملية التي لا تصلح للقطن ولا تنجح فيها الحبوب لان شجر التوت يعيش فيها وينمو نموًا يكفل الحصول على ايراد يعادل في كل سنة قيمة ثمن الارض نفسها ولذلك اقول انهُ وان دامت الاسعار الحالية على ما هي عليهِ بل لو زادت ارتفاعًا فان زراعة التوت لاجل تربية دود الحرير ستنتشر متى تحقق الاهلون فوائدها وعلموا بحقيقة ارباحها وهذا لا يتأتى الأ متى كثر عدد الفلاحين الذين

يزاولون تربية الدود لان استغلال الحرير من شجر التوت اقرب في الحقيقة الى الصناعة منهُ الى الزراعة والفلاح في الوقت الحاضر لا يشتغل بالطبع في تربية الدود الا لحساب غيرهِ كما هي الحالة عندنا في بسنديلة فاذا تعلم امكن ان ينقل هذه الصناعة الى حيث ينتقل. وقد اتفق لنا اننا في سنة ١٩٠٢ استغنينا عن جانب من الدود الذي كنا نربيهِ بسبب قلة الورق فطرحناهُ في جهة من الغيط فالتقطتهُ امرأة كانت اشتغلت عندنا في خدمة الدود في السنة السابقة وربتهُ على توت موجود في بلدتها المجاورة لعزبتنا فنجح واشترينا ما نتج عندها من الشرانق

وبالاختصار اقول في ختام هذا التقرير ان نجاح المشروع اصبح امرًا محققًا لاريب فيهِ وان اقبال الاهالي على شراء شجر التوت لغرسهِ في اراضيهم هو اول خطوة في سبيل انتشار هذه الزراعة المفيدة"

بسنديله في ٢٧ اغسطس سنة ١٩٠٤ خطار ثابت



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وإنهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُختار على المطوَّلة

ماهية الروح

جنابَ منشئي المقتطف الاغر

رأيت في الجزء التاسع من مجلتكم الغراء (شهر سبتمبر سنة ١٩٠٤) على الصحيفة ٨٢٥ سؤالاً من حضرة الفاضل الاديب بدران افندي احمد بالمنيا «عن ماهية الروح وما الذي يشابههُ» فالذي عنَّ لي

ان الروح ليس شيئًا يقوم بذاتهِ وانما هو نتيجة تركيب الجسم الحيواني الذي يتألف من مواد واخلاط على نسب مقدورة واوعية واجهزة مخصوصة فمتى تم التركيب هذا على الصورة التي احكم الله صنعها نتج الروح عنهُ فاذا عرض لهذا التركيب فساد فانهُ يعدم الروح

فمثل الروح كمثل الكهرباء التي تنتج من تركيب البطارية (الجهاز) ومعلوم ان الجهاز كثير التنوع فمنهُ ما يتألف من احماض ومنهُ ما هو من معادن الى غير ذلك مما ليس بخافٍ ولكن اراني في حاجة الى ايراد نوع منها — كنت عرفتهُ — استيفاء للعبارة فاقول لكي نحصل على كهربائية نركب جهازًا على الوجه الآتي

نأخذ كاسًا او وعاء من الزجاج او الخزف نضع في اسفلهِ قرصًا من النحاس مربوطًا من جانبهِ بشريط نحاسي ليكون طرفًا في نهاية الوعاء ثم نضع في هذا الوعاء على قرص النحاس جانبًا من سولفات النحاس (التوتية الزرقاء) حتى نصف الوعاء ثم نضع فوقهُ جانبًا من نشارة الخشب حتى يتم امتلاء الوعاء الأ قليلاً ثم نأتي بقرص من الزنك (المعدن المعلوم) يكون ثقيلاً ونضعهُ على النشارة مربوطًا من طرفهِ بشريط من المعدن نفسهِ ثم يتعهد هذا الوعاء بقليل من الماء كي يصل هذا الماء الى آخر الوعاء فيبلل النشارة والتوتية فمتى تخمَّر هذا التركيب إقبض باحدى يديك على طرف الشريط النحاسي وبالاخرى على الشريط الزنكي فمتى قبضت على هذا النحو شعرت بشيء هو الكهرباء

الفساد فقدان الكهرباء . اذا انقطع اي شريط من الشريطين او جفَّ الماء في الوعاء او نفدت فاعلية التوتية بمضي الزمن او حال حائل بين اتصال اي شيء من هذه المركبات الى غير ذلك فسدت الكهرباء فلا تعود تشعر بشيء اذا لمست الشريطين

ومعلوم انهُ اذا لم يحصل هذا التأليف المشتمل عليهِ التركيب لم تنتج الكهرباء اصلاً فاذا لمست النحاس بذاتهِ او التوتية بذاتها او الزنك او النشارة فلست بشاعرٍ شيئًا

فالخلاصة ان الكهرباء نتيجة التركيب وانهُ اذا عرض فساد لهُ لا تنتج معهُ الكهرباء

هكذا الروح نتيجة من تألف التركيب الجسماني فاذا فسد شيءٌ من مركباتهِ فقدت الروح لانهُ نتيجة ذلك التركيب فقد يكون الجسم الحيواني ملقىً امامك دون ان يفقد شيئًا من صورتهِ لانهُ فاقد الروح بفساد شيء مما اشتمل عليهِ من التركيب كما قد يكون الوعاء امامك على صورة مركبةٍ ولكن لا كهرباء فيهِ عند ما فسد شيءٌ من مركباتهِ ومن ثم قلت في ماهية الروح

وما الروح في الاجسام شيءٌ بذاتهِ　　يكون لهُ بعد الجسوم بقاء
ولكن من التركيب كان نتيجة　　تمثلها في وصفها الكهرباء

"فسبحان الذي بيدهِ ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير"

والسؤال حيث ان الامر ما تقدَّم فهل لعلماء اوربا ان يبحثوا في طريقة لحفظ هذا الروح اللطيف في جسمهِ بايجادهم اسبابًا لا يعرض معها فساد لذلك التركيب او على الاقل

يبقى الروح وقتاً اطول مما هو فان الامر كما قلتُ واقول فيهِ

لعمرك ما تلك الحياة رخيصةٌ   فصنها فما بعد الحياة حياةُ

محمد نور

المحامي

[المقتطف] ان الرأي الذي ابداهُ حضرة الكاتب الفاضل هو رأي الماديين . والعلم الطبيعي يميل اليهِ لاسيما بعد ان ظهر لهُ الآن ما يدلُّ على ان المواد كلها ظواهر من ظواهر الكهربائية اي ان الموجود حقيقة هو الكهربائية لاغير ومنها تتألف صور المواد على اختلافها فالرجل دقائق كهربائية مجموعة على صورة مخصوصة . والكتاب دقائق كهربائية اخرى مجموعة على صورة اخرى وهلمَّ جرًّا . وقد كانت خطبة الوزير بلفور رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني هذا العام في هذا الموضوع وربما عرّبناها في الجزء التالي

فسخ الخطبة

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

كثر لغط الجرائد الانكليزية في امر الخطبة والزواج وواجبات الخطيبين الواحد نحو الآخر على اثر فسخ الخطبة بين احد الموظفين الانكليز في الحكومة المصرية وابنة محافظ لندن وقد عثرت في احدى الجرائد الانكليزية على مقالة عنوانها " الزواج او عدمهُ " فرأيت ان اعرّبها لما حوتهُ من الفوائد الجمة . قالت الجريدة

" لو فرضنا ان رجلاً تحقق قبل زواجهِ بيومين ان خطيبتهُ لا تحبهُ او شعر من نفسهِ انهُ لا يحبها او رأى ان مهرها اقلُّ مما كان يؤمل . فماذا يفعل حينئذٍ

ولو فرضنا انهُ قرَّر فسخ الخطبة أَيبلغ الجرائد قرارهُ او يترك الامر لخطيبتهِ لتعلن هي فسخ الخطبة صوناً لاسمها وشرفها . فقد جاءتنا رسائل لنرى في هذا الموضوع ذهب الكتاب في بعضها انهُ يجب فسخ الخطبة والغاء الزواج حتى الساعة الاخيرة اذا ظهر ان الخطيبين ليسا متلائمين وانهُ يجب ان يترك فسخ الخطبة للخطيبة لتكون البادئة بهِ حفظاً لكرامتها . فان ذلك خير للخطيبين وأبقى . فكم من فتاة تحقق قبيل الزواج انها قبلت من لا يصلح لها ولا تصلح لهُ

فتساق الى حفلة الاكليل شهيدة الاعتقاد انهُ ليس من الشرف ان تنقض الخطبة بعد ابرامها. ولكن أليس كسر عرى الخطبة اشرف من كسر القلوب "

هذا ما قالتهُ الجريدة وقد ذيلت مقالها باقوال بعض مراسليها وهاك بعضها. قال مراسل بامضاء "القانون والنظام" انهُ لو كان الفتيات يرافعن الشبان الذين يخطبونهنَّ ثم يفسخون الخطبة لقلت حوادث فسخ الخطبة قبيل الزواج

وقال آخر مهما قلنا في ذم الشاب الذي يعلن فسخ خطبتهِ على رؤُوس الاشهاد قبيل الزواج لم نكن مبالغين في ذلك. فان عرى الخطبة تكاد تكون مثل عرى الزواج متانة في بعض البلدان فحبذا لو جرى مثل ذلك في انكلترا. ويجب ان تعقد الخطبة بموجب عقد قانوني شرعي وتعامل مثل سائر العقود في نظر القانون

وكتبت امرأة بامضاء "جدة" تقول كثيرًا ما نسمع بنقض عهود الخطبة هذه الايام ولا عجب في ذلك ولا غرابة ما دام الشبان لا يعتدون بالخطبة ولا يكترثون لها. وذلك لان بنت هذا الزمان لا يهولها تبدل خمسة او ستة من الخطباء عليها قبل زواجها. فيفقد الشبان ثقتهم بالبنات ولا يعدون نقض عهود الخطبة جرمًا كبيرًا ولو كان ذلك في ساعة الاكليل. ولما كان ذلك كذلك فلا عجب اذا فقد الزواج كثيرًا من رونقهِ وبهائهِ. انتهى

هذا راي الجريدة الانكليزية وهذه آراء مكاتبيها فهلاَّ اتحفنا كتابنا بآرائهم في هذه المسألة ولهم الفضل والمنة فانها من المسائل التي تشغل العقول والاذهان وتتكرر من آن الى آن فينشأُ عن تكرارها ضغائن واحقاد في الصدور ويمسي الزواج بها مضغة في الافواه وفضلة يستغنى عنها بدلاً من ان يكون ركنًا من اعظم اركان العمران. وربما ينفر الناس منهُ بدلاً من ان يكون فرضًا مقدسًا يحرصون على ادائهِ. ويبيت الحبُّ الذي هو اساس الزواج في كل ملة ونحلة ادنى الرذائل لا اسمى الفضائل كما هو في الحقيقة

(طالب)



فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهرٍ آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) الضعف والقوة والسمن والنحافة

طرابلس الشام . خليل افندي نحاس . نرى رجلاً نحيف الجسم لكنهُ قويٌّ وآخر سميناً لكنهُ ضعيف فماذا هذا الاختلاف في بنيتيهما وقوتيهما . وهل يمكن ان يصير السمين نحيفاً والنحيف سميناً وما هي التدابير اللازمة لذلك

ج ان الميل الى النحافة والسمن والقوة والضعف وراثي واكتسابي اما الوراثي فيكون اذا كان احد الوالدين سميناً او نحيفاً او قويًّا او ضعيفاً او كانا كلاهما كذلك . ولكن كون الوالدين سمينين لا يقضي ان يسمن اولادهما او ان يميلوا الى السمن لانهم قد لا يرثون ذلك الميل منهما او قد يقاومونهُ في الاستعمال . وما يقال عن الميل الوراثي الى السمن يقال عن الميل الوراثي الى النحافة والى القوة اوالضعف . والنحافة تكتسب بقلة الاكل وقلة النوم وكثرة الشغل العقلي وكثرة الرياضة البدنية . وافعل هذه الاسباب كلها قلة الاكل . والسمن يكتسب بكثرة الاكل وكثرة النوم وقلة الشغل العقلي وقلة الرياضة البدنية . وافعل هذه الاسباب كلها كثرة الاكل . والقوة تكتسب بكثرة الرياضة البدنية . والضعف بقلتها . وقد يأكل الانسان كثيرًا ولا يسمن لانهُ لا يهضم اكلهُ اما لقلة مضغهِ او لضعف معدتهِ او لضعف التمثيل في جسمهِ هذا اذا استعمل بقية الوسائل التي تعين على السمن

(٢) تقدم اليابانيين وتأخر الروس

ومنهُ . مرَّ الشهر السادس على الحرب في الشرق الاقصى واليابان لا تزال تتقدَّم الى الامام وقد اوشكت ان تجلي منشوريا باسرها وتطرد الروس منها . وكلٌّ يعلم ان الروس لم يفوزوا بمعركة مطلقاً فما هو سبب ذلك مع ما هو مشهور من بأسهم وشدتهم . واذا قيل ان ذلك يعزى الى قلتهم ووفرة اعدائهم افلا يسوغ لنا ان نقول ان المدافع يقدر ان يقف في وجه خمسة من المهاجمين

ج لا خلاف في ان السبب الاكبر لفوز اليابانيين كثرة عددهم وعُددهم فانهم

اكثر عدداً من الروس واكثر منهم مَدافع وقد كانوا كذلك في كل المواقع . ولا يصحُّ قولكم ان المُدافع يقدر ان يقف في وجه خمسة مهاجمين الاَّ اذا كان المُدافع داخل ابراج وحصون كما في بورت آرثر واما في المواقع التي لا تحميها الاسوار والحصون المنيعة فحال المهاجم اصلح من حال المدافع لان المهاجم يستطيع ان يختار الاوقات التي يهاجم فيها والجهات التي يهاجم منها فيجمع قوة عظيمة على هذا الموقع حتى يفوز بهِ ثم ينتقل الى موقع آخر وهلمَّ جرًّا ولذلك يهتمُّ كلٌّ من المتحاربين في عرض البلاد ان يكون مهاجماً حالما توازي قوتهُ قوة خصمهِ. ولا عبرة بما يفعلهُ كلٌّ من الخصمين لتحصين موقعهِ حينئذٍ لانهُ لا يكون حصوناً منيعة بل عقبات في طريق المهاجم تصدُّهُ قليلاً لكنها لا تمنع قنابل مدافعهِ ولا رصاص بنادقهِ

(٣) الاسطول الياباني والاسطول الروسي

ومنهُ . أَتظنون ان ستقوم قائمة للروس في البحر بعد نكبتهم الاخيرة اذا اجهز اليابانيون على ما بقي من اسطول بورت آرثر

ج ان اسطول البلطيك مثل اسطول اليابان قوة ان لم يكن اقوى منهُ فاذا استطاعت روسيا ان توصلهُ الى الشرق الاقصى وتوصل معهُ فحماً كافياً لهُ وحوضاً كبيرًا لاصلاحهِ فلا يبعد ان تقوى بهِ على اسطول اليابان

(٤) نهاية الحرب

ومنهُ . هل يستطيع الروس ان يجددوا الحرب بعد ان يخلوا منشوريا

ج نعم وهذه الحرب لا تنتهي باخلاء منشوريا بل بعجز احدى الدولتين عن مداومة الحرب ماليًّا او بتوسط دول اخرى ترى ان ما حدث للروس واليابان كافٍ لاضعافهما

---

(٥) ثديا الرجل

بيروت . عثمان افندي سنو . ما هي فائدة ثديي الرجل وهل لهما فائدة خصوصية او وجودهما اضطراري

ج لا فائدة منهما الآن ويحتمل انهما كانا في غابر الازمان كبيرين وكان الرجل يرضع اولادهُ كما ترضع المرأة اولادها ثم ابطل الرجل استعمالها لما تفرَّغ للحرب والاعمال الشاقة فضعفا رويدًا رويدًا الى ان صارا اثرين كما يحتمل انهما نموا وكبرا في المرأة فقط وبقيا في الرجل صغيرين لانهُ لم يستعملهما قط . والغالب انهما يتضخمان قليلاً في اول سن البلوغ وقد يدرَّان شيئاً من اللبن حينئذٍ ويسهل تفسير ذلك بالوراثة او بالعود الى الاصل

(٦) الوحام

ومنهُ . اصحيح ما يقال من ان المرأة تشتهي شيئاً في مدة وحامها من نوع المأكول او المنظور فيظهر لذلك اثر في المولود

ج كلاَّ ولكننا نظن انهُ يحدث من وقوع نظر الزوجين على شيءٍ ما وتكرُّر ذلك مرارًا كثيرة ان يظهر لصورة ذلك الشيء اثر في النسل وان هذا هو سبب تشكُّل بعض انواع الفراش بصور بعض الازهار التي تعيش بينها وسبب ترقُّط ابدان الحيوانات التي تقيم في الغابات حيث تظهر الاظلال مرقطة بما يتخللها من نور الشمس وسبب تلوُّن بعض الطيور بلون ما تعيش فيهِ من الارض كالحجل الذي يشبهُ لونهُ لون الارض تماماً . فاذا صحَّ هذا الظن وصدق على الانسان ايضاً علّل بهِ رسوخ جمال الوجه في بعض الامم وصيرورتهُ فيها وراثيًّا بعد ان كان صناعيًّا كزجج الحواجب وكحل العينين ولمى الشفتين ولم نرَ لاحد كلاماً في هذا الموضوع ولا مكنتنا الفرص من استقراء البحث فيهِ حتى الآن

(٧) قدم الانسان

ومنهُ . يظهر لنا مما نطالعهُ في بعض المجلات العلمية ان علماء الطبيعة يقولون بوجود الانسان على هذه البسيطة منذ الوف كثيرة من السنين . فكيف عرفوا ذلك هل رأوهُ في تاريخ مكتتب او استنتجوهُ استنتاجاً . وما اقدم تاريخ مكتتب . او ماهي الادلة التي استدلوا منها على قدم الانسان

ج ان في علم الانسان وعلم آثاره وعلم آثار الاحياء وعلم الفسيولوجيا الحيوانية وعلم الاجنة ادلة كثيرة على ان الانسان وجد على هذه البسيطة منذ الوف من السنين الاَّ اذا كان الخالق قد خالف في خلقهِ سنة سائر المخلوقات فخلقهُ دفعةً واحدةً كما هو الآن . فالآثار القديمة تدلُّ دلالة واضحة على ان الفرق بين اصناف الانسان الابيض والاسمر والاسود كان موجودًا منذ خمسة آلاف سنة كما هو موجود الآن تماماً واذا كان الناس من اب واحد وام واحدة فلا يحدث ذلك الاَّ في الوف من السنين . والآثار تدل ايضاً على ان الناس اتصلوا الى تنظيم الممالك وبناء المدن واتقان الصناعات وسن الشرائع منذ ستة آلاف سنة او اكثر . وهذه كلها من الامور التي لا يتدرج اليها الناس الاَّ في الازمنة الطويلة . وقد وجدت آثار الانسان في كهوف الارض مع عظام بعض الحيوانات المنقرضة في اماكن لا تعيش فيها تلك الحيوانات الآن وتدلُّ الدلائل على انها انقرضت منها في العصر الجليدي الذي عمَّ اوربا وشمالي اسيا . ويستدل من بعض الدلائل الفلكية على ان هذا العصر كان آخر مرة منذ نحو عشرة آلاف سنة فقد كان الانسان عائشاً هناك منذ اكثر من عشرة آلاف سنة

ثم ان جنين الانسان يتشكل على صور شتى فيكون مثل اجنة الاسماك والطيور

والوحوش ويكون جسمهُ مغطى بالشعر القزير قبلما يولد ويولد شبيهاً بجنين القرود ولا يفسر هذا التغيير تفسيرًا معقولاً الاّ بان الجنين يمرُّ في تكوُّنهِ على الاطوار التي مرَّت عليها انواع الحيوان في ارتقائها · هذا عدا ما في جسم الانسان من الاعضاء الاثرية التي لافائدة منها الآن ولكنها تدلُّ دلالة واضحة على انها بقايا اعضاء مفيدة ضعفت بعدم الاستعمال مدة الوف من السنين كشندؤتي الرجل المشار اليها في سؤال سابق فهما مثل الزربن اللذين في السترة الافرنجية من الوراء ومثل الازرار التي على الكمين فان هذه الازرار كلها لا فائدة منها الآن ولكن كان لها فائدة في غابر الزمن . فالزران اللذان الى الوراء كان ذيلا السترة يعلقان بهما لكي يظهر السيف الذي كان الناس يتقلدونهُ حينئذٍ والازرار التي على الاكمام وضعت عليها في ثياب الجنود اولاً وذلك لمنعهم من مسح انوفهم باكمامهم وتوسيخها بها

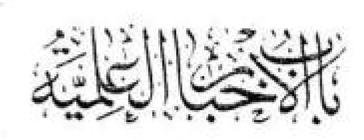
ولعلَّ التوراة اقدم تاريخ مكتوب كتابة · ومن الدروج المصرية ما هو اقدم منها ولكنهُ ليس تاريخاً · اما الآثار المصرية والبابلية المنقوشة نقشاً على الصخور والاجر فكثير منها اقدم من التوراة ويمتد تاريخ بعضها الى ستة الآف سنة قبل التاريخ المسيحي

---

(٨)　الالهام والتعلم

دمشق · احد المشتركين · بماذا يهتدي الانسان الى معرفة الدين الحقيقي هل من الهام يأتيهِ او مما يتعلمهُ من والديهِ ومعلميهِ فان كان الاول فاي لوم عليهِ اذا نشأ على ضلال ولم ينعم عليهِ بالالهام وان كان الثاني فايُّ لوم عليهِ وقد تعلم ما تعلمهُ من والديهِ ومن الذين حواليهِ

ج　قد يتعلم الانسان من والديهِ ومن الذين حواليهِ اموراً كثيرة يضرهُ الجري عليها ويقتبس عادات يضرهُ اتباعها كاهمال النظافة واهمال التدابير الصحية واكل المآكل الفاسدة فيضرُّ ولا يعذر بانهُ تعلم ذلك من والديهِ وجرى على خطتهم فانهُ أُعطي عقلاً يميز بهِ بين ماينفعهُ وما يضرهُ فيتمسك بالاول ويبتعد عن الثاني واذا اعتمد الانسان على عقلهِ وعلى ارشاد العقلاء فالغالب انهُ يجد في كل دين ما يأمرهُ بالمعروف وينهاهُ عن المنكر مما لو عمل بهِ لوفى بالغرض الذي وُجد لاجلهِ



مقام الانسان في الخليقة

الف الدكتور وليس كتاباً موضوعهُ "مكان الانسان من الكون" ذكر فيهِ القضايا الآتية وهي

(١) ان عالم الكواكب والاجرام السموية مجموع مرتبط الاجزاء لهُ امتداد محدود

(٢) ان النظام الشمسي واقع في مجرى المجرَّة نحو اواسطها . وعليهِ فالارض في مركز عالم الاجرام السموية تقريباً

(٣) ان الكون مؤلف من نوع واحد من المادة في جميع اجزائهِ وهو خاضع لنواميس طبيعية وكيماوية واحدة

هذه قضايا قال انها ثابتة لاتقبل الشك واما القضايا التي رجحها فهي

(١) ليس بين سيارات النظام الشمسي سيار مسكون او يصلح للسكن الا الارض

(٢) ليس في الكون شمس تتبعها سيارات مسكونة غير شمسنا

(٣) ان موقع الشمس المركزي ثابت لايتغير وقد يكون لازماً لوجود الحياة على الارض

وخلاصة ذلك كلهِ ان الانسان رأس المخلوقات العاقلة انما هو موجود في الارض دون غيرها من اجزاء الكون وان نوع الانسان غاية هذا الكون العظيم الواسع الاطراف الممتد الاكناف

والدكتور وليس من اشهر علماء الطبيعة وهو قسيم دارون في مذهب النشوء

تعاليم كنفوشيوس

كنفوشيوس فيلسوف الصين وحكيمها الكبير مضى عليهِ اكثر من الفي سنة ولاتزال تعاليمهُ محترمة في الصين كلها يجلها الصينيون ويخضعون لها خضوعهم لاعظم الشرائع والقوانين وهو مالم يسبق لهُ مثيل في تاريخ البشر لاسيما وان تعاليمهُ دنيوية محضة لاعلاقة لها بالدين . فانها تبحث في واجبات الناس بعضهم نحو بعض في هذه الحياة ولا تذكر شيئاً عن الله ولا عن الحياة بعد الموت . قيل سألهُ وزير من وزراء الدولة ما هي الحكمة فأجابهُ " ان الحكمة ان يقف كلُّ انسان نفسهُ على اتمام واجباتهِ نحو الناس ويحترم الارواح ان كان هناك ارواح ويبتعد عنها " وسألهُ تلميذ من تلامذتهِ عن عبادة الاسلاف فأجابهُ " ان كنت لاتستطيع ان

تخدم الناس فكيف تستطيع ان تخدم الارواح " وعاد هذا التلميذ فسألهُ عن حالة الانسان بعد الموت فأجابهُ " ان كنت لا تعلم ماهية الحياة فكيف تعلم ماهية الموت"

وقد جمع خلاصة تعاليمهِ في ثلاث كلمات وهي " لي · شو · تشنتز " ومعنى " لي " شريعة العمل الصالح الاولى والاخيرة وهي ان يعمل الانسان الواجب في الوقت الواجب والطريقة الواجبة وللسبب الواجب · وفسر كنفوشيوس نفسهُ معنى كلمة " شو " فقال هو " ان لا تفعل بالآخرين مالا تريد ان يفعلوا بك " ومعنى " تشنتز " الرجل الكامل والرجل الكامل لا يعمل عملاً دنيئاً في معاملتهِ للآخرين ولا يجلس في مجلس لا يستطيع ان يحافظ فيهِ على كرامتهِ · ولا يحتقر من دونهُ ولا يستجلب رضى من فوقهُ بوسائط دنيئة · وهو يصلح نفسهُ ولا يفتش عن عيوب الغير ولا يغتاظ من احد ولا يتذمر على الله ولا على الناس

مرض النوم

كتب الاستاذ راي لنكستر مقالة في مجلة كوورترلي الانكليزية جمع فيها خلاصة ما عُرف عن مرض النوم الى الآن فقال انهُ نشأ في بلاد الكونجو غربي افريقية فلم يكد يؤثر في الاهالي فلما انتقل الى اوغندا بات وباء قتالاً وقد مات بهِ اكثر من مئة الف نفس في السنوات الاخيرة · ولم يكتشف لهُ علاج شافٍ حتى الآن ولا عرف ان احداً من الذين اصيبوا بهِ شفي منهُ

اما اعراضهُ فهي تغير السحنة تغيراً واضحاً وتعاقب الحمى والم الرأس على المريض وقد يدوم على هذه الحال عدة اسابيع ثم يعسر عليهِ المشي والكلام ويستولي الارتعاش على لسانهِ ويديهِ وتزيد الحمى ويأخذهُ النوم فلا يستفيق الاَّ اذا أُوقظ لتناول الطعام · وبعد ثلاثة اشهر او اربعة من ابتداء المرض يقع في سبات عميق ويمتنع عن الاكل ويهزل جسمهُ وتظهر القروح عليهِ فيموت وهو على تلك الحال · وقد يدوم المرض من شهرين الى سنة

واما سببهُ فحُلَّم صغيرة ينقلها من انسان الى انسان نوع من الذباب يسمى تستزي والذبابة منهُ اكبر من الذبابة العادية بقليل وهي لا ضرر منها عادة الاَّ اذا وجدت الحُلَّم المذكورة فتنقلها من المريض الى السليم

اغنى القبائل

في الطرف الشرقي من لنج ايلند على مئة ميل من مدينة نيويورك بقية من هنود اميركا من قبيلة المنتوك التي كان لها شأن كبير في تاريخ تلك البلاد · عدد نفوس هذه البقية ثلثمئة وقد ابقت لهم الحكومة الاميركية ستة آلاف فدان يسكنون فيها ويعيشون منها

وتسمى رأس المنتوك الى الآن . ومنذ مدة ارادت شركة البواخر التي يرئسها المستر بيربُنت مورغان ان تجعل هذا الرأس محطاً لبواخرها الآتية من لفربول الى نيويورك فتقصر المسافة بين المدينتين مئة ميل فعارضها الهنود في ذلك وقام رئيسهم واسمهُ الملك فرعون يقاضي شركة البواخر وهو شاب درس في مدرسة يايل الجامعة وتخرج فيها واعتمد في دفاعهِ عن قبيلتهِ على معاهدة أُبرمت بين المنتوك والبيض سنة ١٦٦٢ يقال فيها ان رأس المنتوك يبقى لقبيلة المنتوك ملكاً ابديّاً . ومنذ خمسين سنة اغفل البيض هذه المعاهدة واستولوا على رأس المنتوك وداعتهم القبيلة فلم يحكم لها فرفع الملك فرعون دعواهُ الى المجلس الاعلى في وشنطون فحكم ان تعطى القبيلة بدلاً من تلك الارض ستمئة الف جنيه توزَّع على نفوسها بالسواء فيخص كل رجل وكل امرأة وكل ولد وكل طفل الف جنيه . واودع المال في خزينة الحكومة الاميركية وابيح لاعضاء هذه القبيلة ان ياخذوهُ منها او يبقوهُ فيها ويكتفوا بريعهِ

إطالة العمر

بين اساتذة مستوصف باستور في باريس استاذ اسمهُ متشنيكوف وقد اشتهر باكتشافهِ وظيفة الكريات البيضاء التي في دم الانسان فأبان انها اشبه بجيش يجول ويصول في الجسم ويكرُّ على الاعداء التي تحاول اغتيالهُ والفتك بهِ . فاذا دخل مكروبٌ الجسمَ انقضت الكريات البيضاء عليهِ واهلكتهُ ثم اغرقتهُ في تيار الدم المندفع اندفاع السيل واقتاتت بهِ وليس لها من غاية سوى حماية الجسم من غارات اعدائهِ . فاذا بُترت اصبع من الاصابع هبَّت الكريات الى مكان البتر باسرع من لمح البصر وجعلت ترأب الصدع وتلأم الجرح وتفتك بكل مادة ضارة تعلق بالاصبع فلا يبقى للمكروب مجال لدخول الجسم والنجاة منها الاَّ بقدر ما للبزاقة التي تسطو على خلية النحل من فرص النجاة من لسع حماتها

اما رأي الاستاذ متشنيكوف الذي بناهُ على هذا الاكتشاف فخلاصتهُ انهُ لا يمكن ان يطرأ على الجسم مرض الاَّ اذا ألمَّ بالكريات البيضاء ضعف يمنعها من مقاومة المكروبات فتتحوَّل الى اعضاء الجسم الحيوية وتقتات بها فتبيت عوناً للاعداء عليها لا لها . وعندهُ انهُ لا بدَّ ان يكتشف مصل تبقى الكريات البيضاء بهِ قوية شديدة فيسلم الجسم من شرّ الآفات والامراض ويطول بهِ عمر الانسان فبدلاً من ان يموت في سنّ السبعين يموت في سنّ المئة والاربعين . ويتبدَّل وجه هذا الكون وتدخل الفلسفة طوراً جديداً وتتغير المذاهب ويعود الانسان لا يخشى الموت بل يستقبلهُ بثغر مفترّ ووجه بسَّام فيرين على الابدان كما يرين الكرى على الاجفان لانهُ

يشبع من الحياة ويتعب فيرى الموت في صورة ملاك هابط عليهِ والشفاء في جناحيهِ

قال احد كبار العلماء مرة لبعضهم اني لا أرى سبباً يجعل الموت ضربة لازمة على الانسان . فلو ان صانعاً صنع جسم الانسان واراني لأبدي رأيي فيهِ لأعجبت بدقة صنعتهِ ولانتقدت عيباً واحداً فيهِ ورغبت اليهِ في اصلاحهِ . فان الجسم يبني في احد اطوار العمر اكثر مما يهدم ويبقى كذلك مدة طويلة ثم تنقلب الحال ولكن لماذا تنقلب وياخذ الجسم في الاندثار والانحلال فيعود وهو لا يستطيع اصلاح ما فسد وترميم ما تقوَّض وتجديد ما اندثر وتركيب ما انحلَّ

وقال احد الاطباء ان من اهم الامور لدوام الصحة الطعام الذي نأكلهُ ونستمد الغذاء منهُ . ولا نعلم حتى الآن ما اذا كان الطعام الذي نأكلهُ صالحاً لتغذية الجسم او غير صالح لها . على ان من القواعد المقبولة عموماً ان شرب الكحول مضرٌّ بالجسم والاكثار من أكل الاطعمة الحيوانية مفسد لقوامهِ مقوض لاركانهِ هادٌّ لبنيانهِ . والخبز الابيض لا فائدة منهُ البتة . ولكن هناك قوماً لا يرون هذا الرأي بل يقولون بفائدة الكحول واللحوم والخبز الابيض ويدافعون عنها جهد الطاقة . وهذا كلهُ يدل على ان العلم لا يزال بعيداً مراحل كثيرة عن حلّ سرّ الحياة

الكسوف القادم

اشاع بعض جرائد القطر المصري خطاء ان الشمس تكسف في شهر اغسطس الماضي في يوم يستحيل ان تكسف فيهِ لانها لا تكسف الاَّ في المحاق في آخر الشهر القمري او اولهِ . والصحيح ان الشمس كسفت في ٩ سبتمبر الماضي كسوفاً لا يعدهُ علماء الفلك مهمًّا لان الظلَّ وقع في الاوقيانوس الباسيفيكي ولم يصب جزيرة معروفة فلم تمكن مراقبتهُ ثم انتهى عند ساحل شيلي . وستكسف الشمس كسوفاً تامًّا في ٣٠ اغسطس القادم سنة ١٩٠٥ وهو الكسوف الذي ارادتهُ الجرائد المذكورة فقدمتهُ سنة على اوانهِ الحقيقي . وعلماء الفلك ينتظرونهُ بذاهب الصبر لسهولة مراقبتهِ ورصدهِ فان الظلَّ يبدأُ من جنوب خليج هدصن في اميركا الشمالية ويمتد شرقاً فيصيب الاوقيانوس الاتلنتيكي فشمالي اسبانيا بشرق فشمالي الجزائر فشمالي تونس فاصوان ثم ينتهي جنوبي بلاد العرب . وسيقصد اسبانيا كثيرون من علماء الفلك في اوربا واميركا لرصدهِ منها

اما في اصوان فان الكسوف يبدأُ الساعة ٣ والدقيقة ٢٦ والثانية ٢٨ بعد الظهر ويكون علو الشمس ٢٩ درجة ومدة الكسوف التام دقيقتين و ٣٣ ثانية

الموسم الاميركاني

متى قيل الموسم عُرف ان المراد بهِ القطن الذي ينتج سنوياً في الولايات المتحدة الاميركية من ١ سبتمبر الى ٣١ اغسطس في العام التالي وقد نشرنا في الجزء الماضي جدولاً ذكر فيهِ مقدار الموسم منذ ١٧ سنة الى الآن ومساحة الارض المزروعة . ووقفنا الآن على جدول آخر يظهر انهُ ادق من الاول ولو كان الفرق بينهما قليلاً وقد ذكر فيهِ مقدار ما بلغهُ الموسم في ٣١ اغسطس من كل سنة ومساحة الارض التي كان مزروعاً فيها

السنة	المساحة	الموسم بالات
١٨٩٥	٢٠١٠٧٠٠٠	٠٩٨٩٣٠٠٠
١٨٩٦	١٩٧٠٢٠٠٠	٠٧١٦٢٠٠٠
١٨٩٧	٢٠٠٥٨٠٠٠	٠٨٧١٤٠٠٠
١٨٩٨	٢٢٠٥٧٠٠٠	١١١٨١٠٠٠
١٨٩٩	٢٣١٧٤٠٠٠	١١٢٣٥٠٠٠
١٩٠٠	٢٤١٧٥٠٠٠	٠٩٤٣٩٠٠٠
١٩٠١	٢٦٥٣٤٠٠٠	١٠٤٢٥٠٠٠
١٩٠٢	٢٧٨٧٤٠٠٠	١٠٧٠١٠٠٠
١٩٠٣	٢٧٣٠٠٠٠٠	١٠٧٥٨٠٠٠
١٩٠٤	٢٨٩٩٨٠٠٠	١٠٠١١٠٠٠
١٩٠٥	٣٢٨٠٠٠٠٠	

ويقال ان الموسم الذي ابتدأ في اول سبتمبر هذه السنة وسينتهي في ٢١ اغسطس سنة ١٩٠٥ لا يزيد على ١١٢٥٠٠٠٠ مع انهُ لما صدر تقرير الحكومة عن حالة الزراعة في اغسطس كان المظنون انهُ يزيد على ١٢ مليون بالة او ١٢ مليون ونصف ولكن عرض لهُ من عوارض الحر والجفاف والمطر والدود ما افسد جانباً منهُ حتى لا يقدر الآن باكثر من احد عشر مليوناً وربع مليون والمعامل في اوربا واميركا تحتاج الى اكثر من ذلك وقد قدر بعضهم انها تحتاج الى ١١٤٥٠٠٠٠ بالة من القطن الاميركي ولذلك اخذت الاسعار ترتفع بعد ان هبطت كثيراً فارتفع سعر القطن المصري ايضاً وبلغ سعر الكنترانات المصرية حين كتابة هذه السطور نحو ١٥ ريالاً وبيع القنطار من القطن المصري بثلثمئة وستين غرشاً حيث كان يباع في العام الماضي في مثل ذلك اليوم بثلثمئة وخمسة وسبعين غرشاً ولذلك ينتظر ان لا ينقص ثمن القنطار هذا العام عن ثمنهِ في العام الماضي سوى ريال واحد

اطول الحيوانات عمراً

سمع احد العلماء منذ عدة سنوات ان في جزيرة سيشل قرب مدغسكر سلحفاة كبيرة ثقلها ٩٧٠ رطلاً مصرياً وان هناك ادلة تثبت انها عاشت بين الاهالي منذ ١٥٠ سنة وادلة اخرى ترجح ان عمرها ليس اقل من ٣٠٠ سنة . فقصد الجزيرة المذكورة يروم استئجار السلحفاة ليعرضها في معرض سنت

لويس باميركا · فرفض الاهالي ان يجيبوهُ الى طلبهِ لانهم يكرمونها ويجلّون قدرها · ولم يتحولوا عن رفضهم حتى تكفل لهم بان يعيدها اليهم سالمة · ولما وصلت الى اميركا وجدوا نخلة صغيرة اخذت تفرخ في ظهرها · وكيفية ذلك انها مولعة بالخوض في الوحول وكأن بعض الوحل وفيهِ نواةُ تمرٍ علق بظهرها وسقط في شقٍ عميق من شقوقهِ فأفرخت ونبتت فيهِ

ومما يدلُّ على ان عمرها يبلغ ٢٥٠ سنة او اكثر ضخامة بدنها وهيئة ترسها وحالتهُ وهو يتخذ عادة دليلاً لمعرفة عمر السلاحف

مجمع ترقية العلوم البريطاني

التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في مدرسة كمبردج في اواسط شهر اغسطس الماضي فخطب فيهِ المستر بلفور رئيس وزراء الانكليز الآن خطبة الرئاسة · وجعل مدار خطبتهِ على المذهب الجديد في المادَّة وهو انها كهربائية فبيّن ان معارف الناس المبنية على شهادة الحواس غير يقينية لانها تُنقض من وقت الى آخر وانهُ اذا أُريد البحث عن الامور اليقينية فذلك منوط بالفلسفة لا بالعلم الطبيعي وهو في ذلك كالمستجير من الرمضاء بالنارِ

طيارة حربية

اخترع عالم الماني اميركي طيارة تستعمل في الحرب وترسل الاشارات منها واليها بنوع من التلغراف الذي بلا اسلاك اكتشف حديثاً · وقد جربت امام امبراطور الالمان وحاشيتهِ وضباط البحرية ولم يسمح لاحد من عامة الاهالي بمشاهدة التجربة فاطيرت سبع طيارات باسلاك من النحاس الى علو ١٢ الف قدم وأُطير بعضها من قارب البريد الخاص بالامبراطور وكان يسير بسرعة ٣٠ ميلاً بحريًّا في الساعة واستعملت عدة لغات في الاشارات

الورق الياباني

يصنع اليابانيون من لحاء الاشجار انواعاً من الورق تفوق في جودتها ما يصنع منها في اوربا ولما كان غالب جدران منازلهم من الخشب فانهم يلصقون عليها نوعاً من الورق السخيف يحجب الريح ولا يحجب النور · والورق المزيَّت رخيص عندهم جدًّا ومتين وهم يستعملونهُ للوقاية من الامطار فيردُّ الماء كما يردُّهُ المشمع الَّا انهُ يفضل المشمع بخفتهِ والحمالون يلبسونهُ اثواباً يكلف الثوب منها نحو فرنك ويلبسهُ الواحد منهم سنة او اكثر بلا انقطاع · وتصنع اكياس الدقيق والقمح من نوع من الورق يعسر على الحشرات خرقهُ على ان احسن انواع الورق عندهم نوع يستعملونهُ مكان الجلد لوضع التبغ فيهِ وهو متين ليّن ويكاد يكون شفافاً

ساعة جديدة

اخترع احد الاميركيين نوعاً جديداً من

بعض المعارك الكبيرة في القرن الماضي

اولها معركة ليبسك سنة ١٨١٣ كانت الجنود الفرنسوية فيها ١٨٠٠٠٠ وخسرت ٢٥٠٠٠ بين قتيل وجريح وجنود اعدائهم ٣١٠٠٠٠ وخسروا ٤٥٠٠٠. ومعركة سادوى سنة ١٨٦٦ بين النمسويين والبروسيانيين تحارب فيها ٤٢٠٠٠٠ وبلغ عدد القتلى والجرحى ٣٢٠٠٠. ومعركة سيدان كان عدد الالمانيين فيها ١٨٠٠٠٠ وعدد الفرنسويين ١٢٠٠٠٠ وبلغ عدد القتلى والجرحى ٢٧٠٠٠ ومعركة سان بريفه تحارب فيها ٣٤٠٠٠٠ وبلغ عدد القتلى والجرحى ٢٧٠٠٠

لحم الدجاج

يظن العامة ان لحم الدجاج يختلف كثيرًا عن لحم البقر والضان في صفتهِ وفعلهِ وهضمهِ والحقيقة انهُ قلما يختلف عنها من هذا القبيل اما من جهة الهضم فانهُ اسهل هضمًا من لحم الضان والبقر ولكن قليلاً وكلما سمنت الدجاجة كان لحمها اعسر هضمًا والفراخ اسهل هضمًا من الدجاج الكبيرة وعضلاتها القليلة الحركة كعضلات الصدر اسهل هضمًا من العضلات الكثيرة الحركة كعضلات الفخذ

سفينة الدسكفري

وصلت الدسكفري الى البلاد الانكليزية عائدة من انحاء القطب الجنوبي وهي السفينة التي أُرسلت لاكتشاف مجاهل تلك الانحاء ومعرفة ما فيها من انواع الحيوان والنبات وما يحدث في جوها من الظواهر الجوية وقد وصفنا ما لاقاهُ ركابها من الشدائد في تلك الاصقاع. وحالما وصلت ارسل ملك الانكليز يهنئ قبطانها برجوعهِ سالمًا غانمًا وامر ان يصنع نشان يقلدهُ الذين يخدمون في الانحاء القطبية وسيقلد بهِ ضباط هذه السفينة وبحارتها جزاء لهم وترغيبًا لغيرهم في ما يرقي شأن بلادهم

القطن الصناعي

يصنعون في اوربا قطنًا من خشب نوع من الشجر وذلك انهم ينزعون من اغصان الشجرة وجذعها ما فيها من اللحاء والعقد ثم تحمى بالبخار ويضاف اليها محلول بي كبريتات الصودا حتى تلين وتبيض ثم تضغط وتدلك وتحمي ايضًا وتغمس في كلوريد الكلس وغيرهِ من المواد وتنقلب في حالات اخرى كثيرة فتخرج اخيرًا خيوطًا فتصمغ وتوضع بين اسطوانتين لتجفف وتصير نسيجًا يصلح لعمل الملابس منهُ ولكنهُ لا يكون متينًا كنسيج القطن

اطول اللحى

في الولايات المتحدة الاميركية رجل اسمهُ ثلتين تبلي طول لحيتهِ اكثر من احدى عشرة قدمًا . اطلقها في الحرب الاهلية ولم يحلقها بعد ذلك وهو يلفها في منديل من الحرير ويضعها في جيب قميصهِ

دود لوز القطن

رأى المستر كوك العالم بالحشرات ان في غواتيمالا نوعاً من النمل يأكل الدود الذي ينخر لوز القطن فينجي القطن منهُ فاهتمّ ديوان الزراعة في وشنطون بهذا الامر وعين اناساً للبحث فيهِ عساهم يصلون الى طريقة لاستخدام هذا النمل في استئصال دود القطن

نيران الغابات

كثيراً ما تشب النار في الغابات الكبيرة الملتفة الاشجار في اميركا وتندلع السن اللهب من كل جهة وتمتد بسرعة حتى تتصل باطراف الغابات ويذهب ما فيها طعم النار . ومن هذا القبيل نار شبت في حرجة من حراج اميركا سنة ١٨٢٥ فاحتدم ضرامها ظهر السابع من اكتوبر ولم يمضِ تسع ساعات حتى التهمت بقعة طولها ٨٠ ميلاً وعرضها ٢٥ ميلاً وفيها مليونان ونصف مليون فدان فهلك كل حي فيها حتى سمك الانهار التي تخترقها واحترق عدد من المدن ولكن اهلها نجوا ما عدا ١٦٠ نفساً منهم

وشبت نار اخرى في مكان آخر منها سنة ١٨٧١ فالتهمت بقعة مساحتها الفا ميل مربع واتلفت من الاملاك والاشجار ما قدروهُ بملايين الريالات واحترق نحو ١٥٠٠ نفس . واتلفت نار غيرها من الخشب ما قيمتهُ مليونا جنيه . وشبت نار اخرى في غرة سبتمبر سنة ١٨٩٤ فاتلفت ما قيمتهُ ٥ ملايين جنيه

سكة حديد الرأس ومصر

ورد في الجرائد الاخيرة ان القسم الاول من سكة الحديد التي كان سسل رودس اول من قال بمدّها بين مصر والرأس تمّ او كاد فانهم مدّوا الى الآن خطوط السكة على مسافة ١٦٠٠ ميل فبلغت ضفة نهر زمبيسي الجنوبية عند شلالات فكتوريا . وقد شرعوا في بناء جسر للسكة الحديدية فوق النهر المذكور ومتى أتموا بناءهُ اخذوا في بناء القسم الثاني من السكة وهو يمتد من نهر زمبيسي الى جهة بحيرة تنجنيكا وطولهُ ٢٥٠ ميلاً . وقد قدَّر سسل رودس ان طول الخط بين مصر والرأس يبلغ ٧٥٠٠ ميل فاذا طرحنا من ذلك ما مدوهُ منهُ او شرعوا في مدهِ جنوباً وما مدَّ منهُ شمالاً بقي نحو الفي ميل لم تمدَّ بعد

الدخان والصقيع

اثبت بعض رجال الزراعة ان الدخان يمنع الصقيع وما ينتج عنهُ من الضرر بالمزروعات وخصوصاً الكرم . وذلك بان تشعل النار في الارض التي يراد حفظ مزروعاتها مدة ايام البرد الشديد وبفضل اشعال المواد التي لا تشتعل بسهولة بل يتصاعد دخان كثيف عند احراقها مثل العشب الاخضر او اليابس الرطب . وقد ابانوا ان نفقة ذلك تقل كثيراً عن الخسارة التي تصيب المزروعات من الصقيع . وفي فرنسا يحرقون الزيوت الكثيفة التي تبقى بعد عمل الغاز في معامله

الساعات الكبيرة شاع استعمالهُ هذه الايام في المحلات التجارية المشهورة في نيويورك. والفرق الجوهري بينهُ وبين الساعات الاعتيادية الكبيرة هو ان الساعة منهُ لاعقربين لها يستدلُّ بهما على الساعة والدقيقة بل ان هناك ارقاماً تدلُّ على الوقت فارقام الساعات الى فوق وارقام الدقائق الى تحت. فاذا كانت الساعة ٨ والدقيقة ٢٥ ظهر رقم ٨ فوق رقم ٢٥ هكذا $\frac{8}{25}$

فرش الشوارع بالصمغ الهندي

فرش احد شوارع لندن بالصمغ الهندي (اللاستك) سنة ١٨٨١ فكانت نفقة اليرد المربع نحو جنيه ونصف للاساس ونحو ٥ جنيهات ونصف للصمغ ونفقة اليرد المربع في السنة نحو غرشين صاغ. وكان سمك الصمغ حينئذٍ عقدتين. وفي سنة ١٩٠٢ اخذ قسم من الصمغ المفروش في آخر الشارع قرب محطة سكة الحديد وفحص فوجد ان سمكهُ قلَّ نحو ٨/٥ العقدة حيث يكثر وطء اقدام الخيل. وفحصت اقسام اخرى مفروشة في وسط الشارع حيث تزدحم اقدام المارة ويكثر دوس الخيل فوجد ان سمكها قلَّ عقدة في بعض الاماكن وعقدة وربعاً في غيرها فاضطروا الى نزع الصمغ القديم وابدالهِ بصمغ جديد وطلبوا من الشركات المختلفة ان تقدم طلبات المناقصة ففعلت فكان اكثر طلب ١٧ جنيهاً ونصفاً ثمن اليرد المربع واقلهُ ٥ جنيهات ونصفاً

اكل الافاعي بعضها بعضاً

روت احدى الجرائد العلمية الانكليزية ان بعضهم شاهد الافاعي تأكل بعضها بعضاً وهذا ما لم يسمع بهِ قبلاً بل كلُّ ما سمع انها تأكل حيوانات ليست من نوعها. قالت الجريدة والمرجح انها لا تفعل ذلك وهي في حالتها الطبيعية

سنُّ الفيل

متوسط ما يصدر من ولاية الكنجو الحرة من العاج (سن الفيل) سنويًّا نحو ٦٤٧ الف كيلو منها ١٤٤ الفاً ترسل الى الهند والصين والباقي الى الاسواق الاوربية. وثمن الكيلو من السنّ العال ٣٠ فرنكاً ومن الوسط ٢٤ الى ٢٥ ومن الدون ١٣ الى ١٥

احصاء سكان فرنسا

يحصى سكان فرنسا مرة كلَّ خمس سنوات. وآخر مرة احصوا فيها كانت سنة ١٩٠١ فبلغوا حينئذٍ ٣٨ ٩٦١ ٩٤٥ نفساً اي انهم زادوا ٤٤٤ ٦١٣ نفساً عما كانوا عليهِ في الاحصاء الذي جرى قبل ذلك بخمس سنوات وكانوا قد زادوا ١٧٥ ٠٢٧ نفساً في الاحصاء الذي قبلهُ. وهذا النموُّ بطيءٌ جدًّا بالنسبة الى نموّ سائر الشعوب الاوربية

الفصل الرابع والعشرون

زَرْعُ الريح

وبعد انقضاء الحرب اجتمع ممثلو هذه الرواية في لندن لعرض الفصل الاخير منها . وكان غودارد قد شفي من جرحهِ البالغ ورجع اللورد ارلنفورد من نيس واخذ البرنس مكولوف يهيء الشرك الذي اعدهُ للتبييت على فريستهِ في اقرب وقت

فنعود بروايتنا على بدء في غرفةٍ صغيرةٍ بمنزل املي دشتون حيث لم يكن فيها في مستهل التمثيل سوى شخصين احدهما يروح ويجيء في عرض الغرفة مضطربًا والآخر جالس على كرسيهِ هادئًا . وكان الاول اللورد ارلنفورد والثاني الماجور هومر كرتر شقيق املي

فوقف ارلنفورد بغتة ودنا من كرتر وقال: —

— ايُّ شيطانٍ بعثك على السماح لاملي بالعودة الى انكلترا في مثل هذه الاوقات الصعبة ؟

— لكنك تعلم ياصديقي العزيز انهُ ليس لي عليها من السلطة اكثر مما لك . ويظهر انها تهتمُّ بتقرير الامر وفصل الخطاب . وقد الحت عليَّ في ذلك اشدَّ الالحاح . ولقد طالما حذرتك منها وانذرتك بشرها حين يمسها الغيظ ويحركها الروح

— لكني قادر مذ الآن ان أُوفي كل ما عليَّ من الديون واهاجر الى بلاد الجزائر

— هذا اذا وجدت املي سهلة القياد لاتعارض في انفاذ هذا المراد

— عليَّ تدبير الامر فلستُ اظنها تسبب لي تعبًا . أُنظر يا كرتر ! اروم منك ان تذهب الى المستر ريس وتخبره ُ اني لا استطيعُ الذهاب اليهِ اليوم . وربما ذهبتُ غدًا . على انهُ اذا كان جواده ُ كما وصفهُ لي فاني اشتريهِ

— لكنك قلت لي انك ذاهب الى الجزائر

— نعم لكني اتوقع الربح في السباق القادم

— فقام الماجور وخرج . ولم يلبث ارلنفورد وحده ُ طويلاً حتى دخلت املي دشتون فاقبلت عليهِ فاتحة ذراعيها وقالت : —

— الست مسرورًا برؤيتي ياجاك ؟

— وددتُ لوانكِ لم تأتِ

يالك من جافٍ غليظ الطبع قاسي الفؤاد ! أهكذا تقابلني بعد طول البعاد يا ناقض العهد وقليل الوداد

ثم اقتربت منهُ ووضعت يدها على كتفهِ . اما هو فتملص منها معرضاً وقال : —

— اعلمي ياعزيزتي انهُ كان يجب عليك ان لا تأتي الى هنا لانكِ بقدومكِ هذا تهدمين كل مابنيتهُ . فلماذا لم تبقي في باريس ؟

— لان حماقتي حملتني على الاهتمام بك وضعفي اوهمني انك تهتمُّ بي . فاعلم يا جاك ان اليوم الذي اتحققُ فيهِ انك عامل على خذلي وخداعي يكون عليك اشأم الايام . واخشى انك تحرجني فتخرجني الى مالا ارجع عنهُ ولو تجرعتُ كأس الحمام . فلا تضيقنَّ عليَّ النطاق لاني في ساعة غضبي اكون مرَّة المذاق وصعبة لا أُطاق

— املي ! املي ! خلي عنك التقعر فلسنا في شيء من التأنق في الصوت والافتتان في الحركات والاشارات ولا حاجة لك ان تذكريني احدى ممثلات الروايات !

— ولكني عندما اشرع في تمثيل " دوري " اضطرك الى الانتباه ولو بالرغم والاكراه . على انهُ قبل حلول الوقت اروم منك ايضاح امرين . فقد جئتك متوقعة انك تسرُّ برؤيتي لاني لم اصدِّق ما سمعتهُ عن علاقتك بتلك الفتاة الاميركية . والآن اطلب ان اسمع منك ما يثبت هذه الاشاعة او ينفيها . لا ارتاب في ان دناءتك تحملك على مخادعتي وانما ارتاب كل الارتياب في ان يبلغ منك الغرور مبلغاً يدفعك الى التعريض بنفسك لمغبَّة عداوتي وعاقبة حنقي . ولكن مالي ولهذا كلهِ . فلم اجئْ الى لندن للايعاد والتهديد . فقل لي هل انت عازم على الاقتران بتلك الفتاة ؟

— كلاَّ

فسرَّي عن املي وقالت : —

— هكذا كانت ثقتي بك . انتَ اجلُّ من ان تفعل هذا يا جاك . انت اجلُّ من ان تُقدم عليهِ . لم تذهب اتعاب سفري سدى . حقًّا لقد زال قلقي وصفا جوُّ قلبي من الكدر مع اني من البداءة لم اصدّق هذا الخبر . لكني لم استرح حتى تحققتُ الامر عياناً فنعمَّا انت رجلاً وبُورِك فيك انساناً

— والآن يا أملي فلنضع حدًّا لهذه الامور . واعلمي اني راجع الى امرأتي

— ماذا : أبجدٍّ تكلمني ؟

— نعم

— وانا بجدٍّ اقول لك انك لن تستطيع هذا ايضاً !

— اليك عن الطيش والرعونة واصغي الى كلامي بهدوء وسكينة فانّ احدى عمات زوجني وهبتها كل ما تملكهُ ونصحت لها ان تصالحني · فهل أضيع هذه الفرصة السانحة ولا انتهزها واحوالي كما تعلمين رديئة جداً ووكيلي لا يستطيع ان يمدَّني بمليم واحد · اذاً وافقيني على هذا الامر ولكِ مني خير الثناء واطيب الشكر

— او تخالني رهينة امرك · او في افتقارٍ الى خير ثنائك واطيب شكرك · أقلع — نعم أقلع عن هذا المقال ولا تعللنّ نفسك بالمحال وقد آن لك ان تصغي لي فاسمع فاحدثك بالواضح الجلي · اي جاك ارلنفورد اعلم اني طالما وطّنت نفسي على احتمال كل مشقةٍ وعناء لاجلك ومعك — على طريق المحبة . اما الآن وقد اتضح لي انك اتخذتني وسيلةً لقضاء مصالحك فاسمع ما عندي عليك . قد امتهنت نفسي لاجلك كثيراً واشبعتها تحقيراً وتعييراً فينبغي لك ان تجزيني على هذا الاحسان بالاحسان وتقترن بي من الآن

تعقلي يا املي ! فعلى الانسان ان يجعل غاية لمطمح نظرهِ ولا يتطاول على قصرهِ · وما كنت قط لابلغ هذا المبلغ من الجنون وانتهي الى هذه الدركة من الموت · فلي بعض الاصحاب وينبغي ان اكون عندهم محترماً

— اذاً انا لستُ اهلاً لك ! أنت الذي لا يقوى على دخول بيت احد الشرفاء الادباء في انكلترا — انت اللص — انت المنافق — انت "النصاب العيار" ! — أنسيت اني اعرف كيف قضيت على غودارد بالخراب والدمار ؟

— لست ابالي بما تعرفين لاني اردت الاهتمام بكِ فأبيتِ · ومعلوم ان المرأة التي تستميل رجلاً متزوجاً الى محبتها لا تنال من هذه المحبة في النهاية سوى شرمغبتها · فانا باذل الآن غاية جهدي في استرجاع مقامي واحترامي في الهيئة الاجتماعية وبعد خمس سنوات ينسى الناس ذكر ماضيَّ ولا يعود احدٌ يعهدني في شيء مما كنت عليهِ قبلاً . وكان يمكنكِ ان تدركي لاول وهلةٍ من تصريحي لكِ بعدم رغبتي في حضوركِ اني لا ارضاكِ —

واعترض تتمة كلامهِ دخول خادم بيدهِ رقعة دفعها الى السيدة املي فتناولتها ومزّقت غلافها بمزيد السرعة وطالعتها والغيظ يقيمها ويقعدها · ثم كتبت جوابها واعطتهُ للخادم فانصرف في الحال —

وبعد انصرافهِ ظهرت عليها لوائح الهدوء فقالت : —

— كنت اظنُّ ان كلاً منا يعرف الآخر جيداً . ولكن يظهر لي ان كلينا أبيح لهُ الآن

ان يطلع على ما كان يجهله من قبل . فعزمك الجديد على استرجاع مقامك بين الناس غريب جداً كما ان ماعزمت انا عليه الآن لاينقص عنه غرابة فبكل صراحة ارفض قبول ماعرضته علي

— يا عزيزتي املي ان اعظم ما دعاني الى التعلق بك توهمي انك على جانب عظيم من التعقل . فلست على شيء مما اعهده فيك من قبل وقد اطلعتك طلع امري

— وبعبارة اخرى انك تكرهني ! فالآن اخبرك بما انا صانعة. لست اقوى ان أكرهك على الاقتران بي . لكني لا ادعك تقترن بغيري . فقد طالما شددت ازرك في مقاصدك الرديئة وارتطمت لاجلك في ادناس دنايا وارجاس خزايا لم يكن مال العالم كله كافياً لاغرائي باغترامها واجترامها . وان كانت نفسك الأمارة بالسوء تسول لك انك قادر ان تقول لي " استودعك الله لم يبق لي من حاجة اليك " وتتوقع أن هذا يكون ختام الامر فانت أكبر مغرور واعظم جاهل بمثل هذه الامور . أو هذا ظنك في امرأة متعقلة — كما تفضلت بوصفك اياي — كانت على الدوام مستعدة لاستجلاب مسرتك وتكثير موارد الخير عليك ؟ وكانت وهي توجه قواها العقلية نحو ما فيه صلاحك ومنفعتك تعد متعقلة محبوبة ولكن حين وجهتها قليلاً الى الاهتمام بمصلحة نفسها حسبتها طائشة رعناء . أأكون متعقلة اذا سكت عنك الآن وهمت على وجهي في الارض متروكة وحدي لا منقذ لي ولا معين لكي تكون انت عضواً مكرماً في جسم الهيئة الاجتماعية ؟ يا للغرابة ! لقد ساء فألك وكذبتك نفسك

فنهض اللورد واخذ برنيطته وعصاه وتقدم نحو الباب يروم الخروج فخفت اليه واحاطته بذراعيها قائلة : —

— جاك . جاك . لا تذهب على هذا المنوال . عفواً فقد غاظك كلامي . عدني انك لا تذهب

فاجابها بخشونة : —

— لقد حدثتك بكل ما عندي . دعيني اذهب دعيني اذهب ثم دفعها بيده وخرج وفي اندفاعها زلت قدمها فسقطت بعنف شديد الى الارض وظلت هنيهة كمن اصابه دوار ثم تنهدت تنهداً عميقاً سرى عنها بعض كربها ونهضت خائرة القوى ضعيفة العزم حتى انها بالجهد استطاعت الوصول الى مكتبتها فلاحت منها التفاتة الى الرقعة الملقاة عليها فقالت بصوت جهير : —

آه يا جاك لو عرفت من ذا الذي ينتظر جواباً على الرقعة لكنت اشد تبصراً واوفر تعقلاً — لكنك ستعرف عما قليل وتندم حين لا ينفعك الندم

ثم قرعت جرساً امامها وفي الحال دخل القائداو بين غودارد فاسرعت الى استقباله بعدما تغلّبت على نفسها واخفت تأثرها من ذلك السقوط العنيف وقالت :—

— لا يسعك ان تصف شدة ابتهاجي برؤيتك . فقد كنتَ محسناً اليَّ اكثر مما استحق وقد بقيتُ الى هذه الدقيقة كافرةً بجميلك وجاحدة لمعروفك

فاجابها متلطفاً :—

— مسكينة ! لِمَ اراكِ مضطربةً ؟ ماذا اصابكِ ؟ وهل استطيع مساعدتكِ

— انك دائماً مصدر هذه العواطف الشريفة يا اوبين فللهِ درك من مفضال كريم الشمائل! وقد علمتُ مما كتبتهُ اليَّ انك قادم للسعي في حمل ارلنفورد على الاقرار بما جناه عليك وتروم مساعدتي . ولا ريب في انك تقدر هذه المساعدة حق قدرها

— نعم لان كثيرين باقون مرتابين في براءة ساحتي . وستعقد هذه الليلة جلسة في بيت المستر بركز لاجل هذه الغاية وارجو ان تكوني من اكبر المساعدين لي . لانكِ تعلمين براءتي

— نعم اعلمها وسابرهنها . اذهب الآن فاني انتظر زائرًا . لانني على اشتراكي في هذه المسألة فقد كان لي عذرٌ وهو محبتي لمن تعرفهُ . والآن — الآن — دفعني دفعةً صرعتني الى الارض ! آه !

— دفعكِ !

— نعم

— يا لهُ وحشاً ضارياً !

— لا بأس . اذهب الآن . ومساء نلتقي

وبعد خروجهِ قامت مرةً ثانيةً الى مكتبتها واخرجت منها غلافاً ومزقتهُ بسرعةٍ لا مزيد عليها واخرجت منهُ ورقة لعب وهي " ريّ‌ا السباتي "

وفيما هي تنظر اليها دخل الخادم وبيدهِ رقعةٌ فتناولتها متراخية متثاقلة وفي طرفة عينٍ هاج غضبها اذ تلت على الرقعة اسم " السيدة ارلنفود " . فالتفتت الى الخادم وزعقت بهِ:—

— هل قلت لها اني هنا

— كلاَّ ياسيدتي بل اخبرتها باني سانظر

— اذًا قل لها اني غائبة

ثم نادتهُ بعد ما كاد يخرج :—

— قف . ماذا تريد مني — هذه المرأة — هنا في بيتي ؟

وبعد ما وارت الورقة في جيبها امرت الخادم بان يدخل الزائرة اليها وحين دخولها قالت لاملي :—

— لا ريب في انكِ قلقتِ لزيارتي هذه ايتها السيدة ويجب عليَّ الاعتذار عن تطفلي عليكِ . لكنني لم اجد مندوحةً عن مقابلتكِ . ان — ان لي حاجة اطلبها منكِ

فاشارت اليها املي بما دلَّ على اصغائها الى كلامها واستتبعت تلك قائلة :—

— بلغكِ نبأ الاجتماع الذي ينعقد هذا المساء لاجل تبرئة اوبين غودارد

— نعم

— واظنكِ تكونين فيهِ

— نعم

— سمعتِ اني عازمة على الرجوع الى زوجي اللورد ارلنفورد

— نعم

— ان مقام اللورد موقوف على ما تقولينهُ أنتِ ولا اجهل حرج موقفك في مثل هذه الاحوال وارجو انهُ يأتي احسن اصلاح ممكن . وقد جئتكِ الآن متوسلةً اليكِ ان تمسكي عن التشديد عليهِ جهدكِ

— ماذا ترومين ان افعل

— مرادي ان لاتحاربيهِ بتلك الورقة

فمدت املي يدها الى جيبها واخرجت الورقت المعهودة ووضعتها امامها . فلما رأتها السيدة ارلنفورد صرخت :—

— هذا ما كنت اخشاهُ . ولا بدَّ ان يكون القائد غودارد عازم على اظهار الورقة التي معهُ — المكتوبة بخطي . فارحمي زوجي ولا تضيقي هذه البينة القوية الى تلك

— لقد كلمتني ايها السيدة بحرّية تامة فلي انا ايضاً ان اكلمكِ كذلك . فقد كنت عازمةً على صيانة هذه الورقة واخفائها حتى عن نفسي . ولكن منذ ساعةٍ تغيرت الاحوال

— ارجو ان تعودي الى —

— لا . دعيني افتكر

ثم حال دون افتكارها دخول الخادم يقول لها سرًّا ان البارونة التدورف خارجاً تنتظر الدخول فامرتهُ بادخالها والتفتت الى الس وقالت :—

— ان احدى السيدات قادمة لزيارتي في وقتٍ معيَّن لها من قبل . وعلى افكارها

يتوقف امر تصرفي في هذه الورقة فادخلي هذه الغرفة التالية غير مأمورة وبعد ذهابها اطلعك على ما يكون

— تقولين انها قادرة على تقرير فكركِ افلا تدعيني اجتهد في استمالتها نحوي ؟ فعلى المرأة ان ترفق بنت جنسها

— ليس الآن بل بعد اجتماعي بها على انفراد

فدخلت السيدة ارلنفورد الغرفة الملاصقة وجلست املي وحدها تنظر الى الورقة وتخاطبها :—

— لست اعلم لمن يكون نصيب الحصول عليكِ ؟ فكلٌ من ذينك الرجلين وهذه المرأة التي كانت الآن هنا يبذل في طريق نيلكِ مالاً جزيلاً . والشيطانة الجميلة يهمها الحصول عليكِ اكثر من كل واحد منهم . ترومين ايها البارونة التدورف ان اساعدكِ على رفع النقاب عن وجه ارلنفورد ولا تعلمين اني عازمة على بذل هذه المساعدة بملء الرغبى والمسرة

ثم دخلت الشيطانة الجميلة فتقدمت املي لاستقبالها قائلةً :—

— بغاية المحافظة على الوقت ايها البارونة . حسناً فعلتِ ولا يخامركِ ريبٌ في اني اقدر ثقتكِ بي حق قدرها وسوف ابرهن ذلك

— لقد برهنتهِ بكتمانك سرَّ تقلد غودارد قيادة الفرقة الطيارة حين قدومهِ الينا في مرقبنا السياسي قبلما برحنا الى نيس

— لكنني لم اعرف ذلك الا بعد ما تركني ارلنفورد في باريس ورجع الى لندن

— وحسناً ارتأينا ان نحملكِ على الارتياب في صدق هذا اللورد قبلما نطلعكِ على سرٍّ عظيم كهذا . فلا يخفى عليكِ اننا نحن النساء حينما نحبُّ —

— نعم . نعم . فهمت مرادكِ والآن تريدين ان اساعدكِ على اتمام شيء آخر

— نعم وارجو اني استطيع الاعتماد عليكِ

— ساجتمع بكِ هذه الليلة الساعة التاسعة في منزل المستر بركر وسيرى غودارد انهُ لا يكون لهُ هناك مساعد نظير املي دشتون

— توقعت اولاً اني سوف اتعب كثيراً في حملكِ على مساعدتنا لكنكِ تفضلتِ بقبول هذه المساعدة بملء الرضى على خلاف المنتظر ولستُ اسألكِ عن سبب ذلك . ولسوف ابرهن لكِ اني قادرةٌ هذه الخدمة قدرها . لان مرجع تبرئة غودارد اليكِ . ومعوَّل نجاحنا في نيلها عليكِ وسوف يسبب لكِ ذلك حزناً والماً وان سبب لنا فرحاً وابتهاجاً . لانكِ امرأة

وحيدة ليس لكِ شريك ولا معين على مجالدة هذه الخطوب . فارجو ان تثقي بانكِ في كل حين تستطيعين الاتكال على امرأة واحدةٍ تشاركك وتعضدك وان مست الحاجة تحميك وتلك المرأة هي التي تعرفينها باسم الشيطانة الجميلة .هذا و في اراكِ مضطربة كثيرًا فأشير عليكِ بأن تستريحي قليلاً وفي الساعة التاسعة أُرسل اليكِ مركبتي

— شكرًا لك . ساكون مستعدة في الوقت المعين

— اظنكِ لاتزالين محافظة على الورقة التي اعطاكِ اياها ارلنفورد

— هذه هي

— هل تسمحين لي بالحصول عليها ؟

— عندي سيدة تنتظر انصرافك لكي تعيد التماس الحصول على الورقة لتمزقها

— سيدة ! من هي ؟

— الكونتس ارلنفورد

— يهمني جدًا ان اقابلها . فتفضَّلي بدعوتها الى هنا وعرّفي كلاً منا بالاخرى

— ولكني اخشى حضور هذه المقابلة

— ادعيها واعتذري عن الحضور واتركينا وحدنا فاكفيكِ مؤونة الحيرة في امركِ وارفع عنكِ ثقل الاهتمام باجابة طلبها

— باي اسم ترومين ان تعرفي عندها ؟

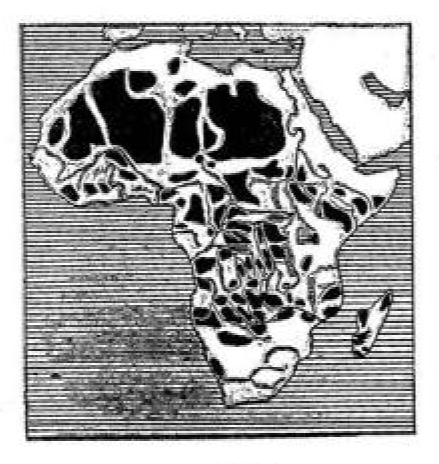
— باسمي الخاص — البرنس غالتزن

— ماذا !

— هذا هو اسمي الحقيقي . ولم يعرفهُ قبلكِ احد غير البرنس سكولوف . فذهبت املي وجاءت بالس وعرفتها بالاميرة غالتزن وتركتهما وحدهما وخرجت



افريقية سنة ١٨٠٠



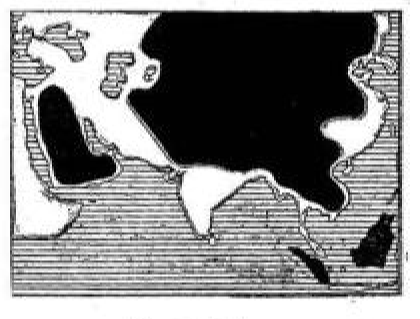
افريقية اليوم



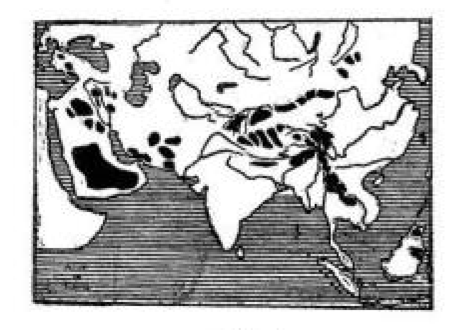
اميركا الشمالية سنة ١٨٠٠



اميركا الشمالية اليوم

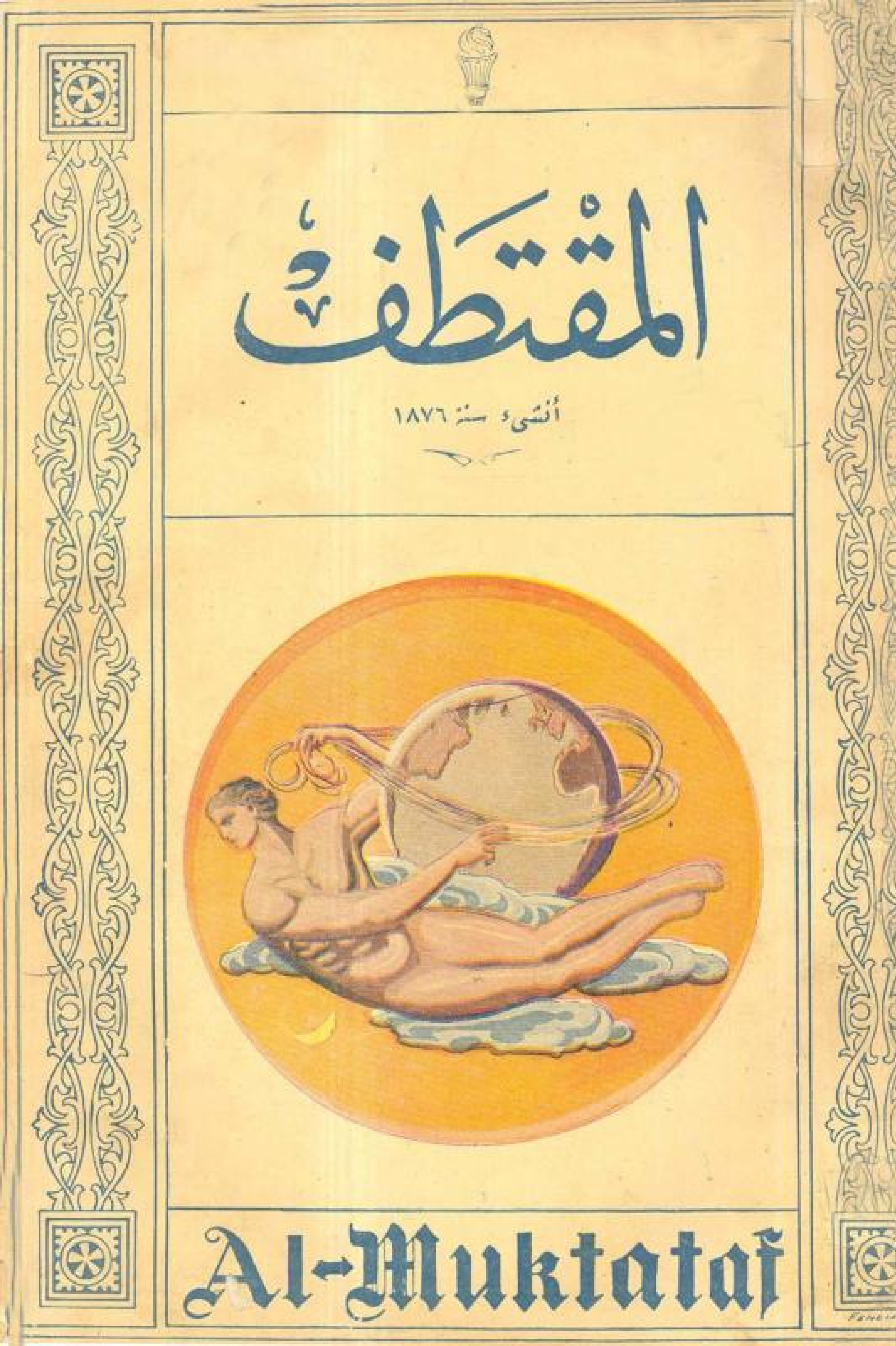


اسيا سنة ١٨٠٠



اسيا اليوم

فهرس الجزء العاشر من المجلد التاسع والعشرين


المقتطف
أنشىء سنة ١٨٧٦
Al-Muktataf

المقتطف

الجزء الحادي عشر من المجلد التاسع والعشرين

١ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٤ — الموافق ٢٣ شعبان سنة ١٣٢٢

تقدم الجغرافية

في القرن التاسع عشر

من قلم العالم جلبرت جروزفنر

كان القسم المعروف من اليابسة سنة ١٨٠٠ يبلغ نحو خمس اليابسة كلها وكانت الخرائط ترسم ويترك القسم المجهول بلا كتابة . فما جاءت سنة ١٩٠٠ حتى بلغ ما اكتشف من اليابسة عشرة اجزاء من احد عشر جزءا تقريباً فبقي جزء من احد عشر مجهولاً (انظر الرسم الذي في صدر هذه المقالة) . والجزء المجهول متفرق على سطح الارض بقعاً صغيرة وليس هناك مساحات واسعة لم تكشف الآ في جهة قطبي الارض الشمالي والجنوبي

والفرق بين القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر من هذا القبيل ان الاول اشتهر باكتشافاته البحرية والثاني اشتهر باكتشافاته البرية كما يتبين مما يأتي

افريقية

كانت قارة افريقية على الخارطة منذ مئة سنة بقعة سوداء تحفها حاشية بيضاء قليلة العرض مع قربها من اوربا ووقوع ساحلها الشمالي موازياً لساحل اوربا الجنوبي على مسافة ألف ميل وما ذلك الا لان رداءة اقليمها جعلت اسبانيا وفرنسا وانكلترا والبرتوغال يشحن باوجههن عنها ويتزاحمن على الاستعمار في أطراف اميركا والهند السحيقة وانما قصدن افريقية للاتجار بالرقيق فيها . اما الآن فقد اصبح معظم القارة معروفاً بفضل لفنستون وستنلي وباكر وسبيك ومنجو وغيرهم من اهل السياحة الذين جابوها طولاً وعرضاً فأناروا ظلماتها ولم يبق مظلماً سوى بقع صغيرة متفرقة لابد ان تكشف قريباً . وقد ضمت دول اوربا كل ميل منها الى املاكهن

بالطرق السلمية ماعدا المغرب الاقصى والحبشة على حين ان استعمار اميركا والهند كلفهن الوف الرجال وبدرات الاموال

واهم ما في تاريخ اكتشاف افريقية اكتشاف منابع انهرها الاربعة العظيمة وهي النيجر والزمبيسي والنيل والكنجو فان الرحالة بروس اخترق القارة في اواخر القرن الثامن عشر من البحر الاحمر حتى بلغ اعالي النيل الازرق في الحبشة (الاتبرة) ثم سار حذاء النهر حتى ملتقاه بالنيل قبلي بربر واستأنف السير من هناك الى القاهرة · اما الآن فقد اكتشف مجرى النيل على مدى طوله مسافة ٣٤٠٠ ميل · واكتشف ما طوله ٢٦٠٠ ميل من النيجر وبقي قسم صغير في اواسطهِ لم يكتشف بعد وما طوله ١٥٠٠ ميل من الزمبيسي ونحو ٣٠٠٠ ميل من الكنجو وهو نهر لا يفوقهُ حجماً الا نهر الامازون في اميركا الجنوبية

اما مكتشف مجرى النيجر فجراح انكليزي اسمهُ منجو بارك انتدبتهُ الجمعية الافريقية الانكليزية لذلك فسافر من غمبيا في غربي القارة سنة ١٧٩٦ الى مسافة مئات من الاميال وعاد الى انكلترا ثم استأنف السير سنة ١٨٠٥ فقطع نحو الفي ميل من النهر بقاربهِ ومعهُ اربعة من الرفاق حتى اذا كاد يبلغ منابعهُ هاجم الاهالي قاربهُ فانقلب بهِ وغرق قبل ان يدرك غايتهُ ويبلغ امنيتهُ

وبعد موت بارك قام دنهام وكلابرتون فسافرا من فزّان جنوباً الى الصحراء الكبيرة واكتشفا بحيرة تشاد ثم سارا الى سكوتو على النيجر · وتلاهما سائح فرنسوي اسمهُ كاليه فوصل مدينة تمبكتو سنة ١٨٢٨. ثم سائح آخر اسمهُ نختجال فسار من النيجر الى بحيرة تشاد وتوجه شرقاً مارّاً في وداي ودارفور والسودان المصري

على ان من اعظم المكتشفين لفنستون الرحالة الانكليزي الشهير فانهُ سافر الى افريقية سنة ١٨٤٠ وكان طبيباً مرسلاً فبدأ سياحتهُ من مدينة الراس وظلَّ يتوغل شمالاً فما جاءت سنة ١٨٤٩ حتى كان على بعد ٨٠ ميلاً من مدينة مفكنج جنوباً و ١١٠٠ ميل من مدينة الراس · واكتشف بحيرة نجامي وما زال يوالي السفر حتى بلغ ساحل الاتلنتيكي عند مدينة لواندا ثم عاد الى نهر الزمبيسي واكتشف الشلالات التي سماها باسم الملكة فكتوريا و بحيرتي نياساوشيرا اللتين يجري نهر الزمبيسي منهما

وسنة ١٨٥٩ سافر الضابطان الانكليزيان برتون وسبيك من زنجبار قصد اكتشاف بحيرة كثر التحدُّث بها في تلك الايام فبلغا بحيرة تنجنيكا ثم عادا الى زنجبار وافترقا فسافر برتون جنوباً وسبيك شمالاً برفقة صديق لهُ واكتشفا بحيرة فكتوريا نيانزا سنة ١٨٦١ · وفيما كانا

يدوران حولها وجدا نهراً كبيراً يخرج منها (البحر الابيض) ويجري شمالاً فسارا حذاءه حتى التقيا بالسر صموئيل باكر (باشا) وكان قد قدم من الخرطوم واستأنف باكر المسير غرباً حتى اكتشف بحيرة البرت نيانزا. وهذه البحيرة وبحيرة فكتوريا نيانزا هما البحيرتان اللتان يستمد النيل اكثر مائهِ منهما

وفي سنة ١٨٦٥ قصد لفنستون بحيرة تنجنيكا واكتشف بحيرتين اخريين ثم انقطعت اخباره عن اوربا فأوفد المستر غوردون بنيت صاحب جريدة نيويورك هرالد الرحالة ستنلي للتفتيش عنهُ كما هو معلوم فسافر ستنلي من زنجبار غرباً حتى بلغ يوجيجي على ساحل بحيرة تنجنيكا الشرقي فوجده فيها . ودار ستنلي حول بحيرة فكتوريا نيانزا ثم اكتشف بحيرة البرت ادورد وتوجه غرباً فبلغ نهر الكنجو وسار حتى ساحل الاتلنتيكي . وفي سنة ١٨٧٨ عاد يسعى في اجتياز افريقيا من الغرب الى الشرق للتفتيش عن امين باشا وانقاذهِ . فسافر من مصب الكنجو فرأى في سفرتهِ هذه جبال القمر

وتلاهُ سياح وروّاد آخرون فاكتشفوا بلاداً اخرى مجهولة منهم دونلدسن سمث فانهُ سافر من بربرة واكتشف الارض الواقعة بين بحيرة رودلف والنيل . ومنهم جروجان فانهُ اجتاز القارة من مدينة الراس الى القاهرة فكانت سياحتهُ هذه خاتمة الاسفار الافريقية المشهورة التي تمت في القرن الماضي

الاصقاع المتجمدة الشمالية

كان لروّاد الاصقاع المتجمدة الشمالية في القرن الماضي ثلاث غايات يرمون اليها الاولى اكتشاف طريق شمالية غربية توصل الى الهند . والثانية اكتشاف طريق شمالية شرقية . والثالثة بلوغ القطب الشمالي . اما الغايتان الاولى والثانية فتمتا لهم فان مكلور اكتشف طريقاً صعبة من بوغاز بيرين الى اوربا بين سنة ١٨٥٠ و١٨٥٣ والبارون نوردنسجولد العالم الاسوجي سار حذاء ساحل آسيا فوصل الاوقيانوس الباسيفيكي وكان ذلك حوالي سنة ١٨٨٠ . على ان اكتشاف تينك الطريقين لم يفد الناس فائدة تذكر ولا يبعد ان الطريق الثانية تفيد تجار الخشب والفرو وما اشبه من حاصلات البلدان الشمالية متى تقدمت تجارة سيبيريا

بقيت الغاية الثالثة اي اكتشاف القطب الشمالي وهي وان لم تتمَّ بعد الاَّ انها كادت تتمّ على ايدي ابطال المكتشفين مثل هول ولوكوود ونسن وامبروزي فان كلاًّ منهم تقدم نحو القطب عن سالفهِ حتى لم يبقَ بين القطب وآخر مرحلة بلغوها سوى ٣ درجات و٢٧ دقيقة وكان قد سبق هؤلاء الاربعة نفر من الرجال فاكتشفوا اماكن عديدة لم تكن قد اكتشفت

بعد اشهرهم مكنزي وبري وفرنكلين وروس . على ان أفجع اخبار تلك الاسفار ما ألمَّ بالسر جون فرنكلن ورفاقهِ وكانوا ١٢٨ نفساً . وتحرير الخبر انهُ ركب سفينتين هو وجماعتهُ في شهر مايو سنة ١٨٤٥ ثم انقطع خبرهم وامحى اثرهم . وعرف فيما بعد ان الجمد سدَّ المسالك على سفينتهم فمات فرنكلين في يونيو سنة ١٨٤٧ وكان عند جماعتهِ حينئذٍ زاد يكفيهم سنة ومات ٢٤ نفساً منهم ولما كان الجمد لا يزال يكتنف السفينتين عقدوا النية ان لا ينتظروا ذوبانهُ بل يفتحوا لانفسهم طريقاً . ولم يعلم شيءٌ عنهم بعد ذلك مع ان حملات كثيرة ارسلت برًّا وبحرًا للتفتيش عنهم في كل الجهات حتى اذا كانت سنة ١٨٥٤ التقى الرحالة راي بشابٍ من الاسكيمو فاخبرهُ هذا ان قومهُ رأوا منذ اربع سنوات ٤٠ رجلاً ابيض يجرُّون قاربًا في مكان معلوم . ولم يمضِ على ذلك اشهر قليلة حتى عثر الرحالة المذكورة على ثلاثين جثة من جثثهم

وفي سنة ١٨٥٠ أرسل مكلور وكولنسن للتفتيش عن سائر المفقودين من رجال الحملة من الغرب الى الشرق فلقي حملة قادمة من الشرق بقيادة السر ادورد بلتشر ولم يرَ هو ولا غيرهُ اثرًا لفرنكلين ولا سمعوا بما جرى لهُ مع انهم والوا البحث والتنقيب تسع سنوات متتابعة . الاَّ ان امرأة فرنكلين لم تيأس فجهزت سنة ١٨٥٩ حملة سارت بقيادة مكلنتوك فعثرت على هيكل انسان في بلاد الملك وليم وتوصل هوبسون الى معرفة ما جرى للحملة من سنة ١٨٤٥ الى ١٨٤٨ . وكانت نتيجة هذه الحملة معرفة مواقع الجزر الممتدة على الساحل الشمالي من اميركا الشمالية .

الاصقاع المتجمدة الجنوبية

حول القطب الجنوبي بقعة لم تطأها قدم انسان بعد وهي ضعف اوربا مساحةً ولا يعلم ما اذا كانت ارضاً يابسةً او بحرًا كبيرًا

واهمُّ الذين قصدوا تلك الاصقاع للاكتشاف الكبتن سمث فانهُ اكتشف جزائر شتلاند الجنوبية سنة ١٨١٦ وتلاهُ كثيرون غيرهُ واكتشفوا اراضي اخرى ابعدها على عرض الدرجة الثامنة والسبعين وكان الذي بلغ هذا العرض السر جيمس روس من مشاهير المكتشفين في الاصقاع الشمالية كما تقدم وذلك سنة ١٨٤٢ . ولم يتجاوز احد هذا الحدَّ الاَّ بورشجرافنك سنة ١٨٩٩ فانهُ بلغ عرض ٧٨ و ٥٠َ . وهذا اقصى ما وصل اليهِ انسان في تلك المجاهل السحيقة حتى آخر القرن الماضي

استراليا

استراليا قارة تساوي الولايات المتحدة الاميركية مساحة وعدد سكانها الانكليز الآن ستة ملايين لا غير . وفي اواخر السنة الاخيرة من القرن الماضي اتحدوا والفوا حكومة مستقلة

استقلالاً ادارياً. وقد كانت استراليا في السنة الاولى من القرن الماضي بلاداً مجهولة تسكنها قبائل همجية منحطة في سلم المدنية وجماعة من الانكليز متفرقة على ساحل البلاد المعروفة اليوم باسم نيوسوث ويلس واما سائر اقسام القارة فلم يكن يعرف عنها شيء

وفي اوائل القرن الماضي اكتشف الكبتن كنغ مصابّ انهر استراليا وسواحلها الشمالية والغربية وما بينها. وقام بعده ستيوارت فاكتشف نيوسوث ويلس واوغل في القارة حتى بلغ اواسطها وعاد فجدد الكرة واجتازها من جهة الى جهة سنة ١٨٦٢ فكان اول ابيض فعل ذلك وتلاه كثيرون فاكتشفوا اماكن مجهولة حتى لم يبق من القارة سوى اماكن قليلة لم تكتشف ومعظمها صحارى قاحلة

اميركا الشمالية

اهم الاكتشافات الجغرافية التي جرت في القرن التاسع عشر كان في اميركا الشمالية وخصوصاً الولايات المتحدة الغربية. ومعظم الفضل في ذلك عائد على المستعمر والمعدّن لا على الجغرافي ولا السائح المكتشف. وقد كانت البلاد الواقعة غربي نهر مسسبي والجبال الصخرية في جملتها مجهولة سنة ١٨٠١. فكانت كتب الجغرافية المعروفة حينئذٍ تصف اميركا الشمالية بانها بلاد "معظمها سهولة مستوية قليلة الانحدار ليس فيها من الجبال الشامخة غير الجبال الواقعة نحو القطب والجبال التي تخرق الولايات المتحدة الشرقية وتسمى جبال اليغاني"

الاّ ان كثيرين من الرواد والمكتشفين ساعدوا في اكتشاف بعض الاماكن المجهولة مثل وادي نهر مسوري والجبال الصخرية وكليفورنيا وغيرها. ومن اولئك الرواد فريمونت ولويس وكلارك وبيك وبونفيل وبويل وغيرهم كثيرون

اميركا الجنوبية

ليس بين القارات الست قارة يجهلها الناس الآن مثلما يجهلون هذه القارة مع انها كانت منذ مئة سنة اشهر القارات واعرفها ماعدا اوربا. فان الجزويت أوغلوا فيها بطريق الانهر التي تخترقها من كل جانب حتى بلغوا قلبها ورسموا خرائط الاماكن التي مروا بها

ومن اشهر مكتشفيها همبلت المشهور فانهُ ساح في كثير من بلادها وكان اول من توسع في تفسير كلمة "جغرافية" فأطلقها على وصف اقليم البلدان وهوائها وتوزُّع الحيوان والنبات فيها وطبيعة تربتها ولم يقتصر على رسم الانهر والجبال وغيرها كما ترسم الخرائط عادة. وتلاهُ مكتشفون آخرون مثل سبيكس ومارتيوس وشومبرج وكريفو فاكتشفوا كثيراً من الاماكن التي لم تكتشف قبلاً فصارت اميركا الجنوبية على مانراها الآن

اسيا

كان ماركو بولو الاوربيّ الوحيد الذي جاب جزءا كبيرًا من اسيا قبل سنة ١٨٠٠ . وما استهلَّ القرن التاسع عشر حتى أمها المكتشفون من كل ملة ونحلة ورسموا خارطتها بجامات مضبوطة في مجملها. وأوفدت روسيا عددًا عديدًا من الرجال للاكتشاف من الشمال الشرقي فقامت انكلترا تناظرها وارسلت رجالها من الجنوب . وربما كان اكتشاف مجاهل اسيا اصعب مراسًا وأبعد منالاً من اكتشاف مجاهل افريقية او استراليا او اميركا الشمالية لان الاجنبيّ كان يلقى فيها مئات من ملايين الشعوب والقبائل التي تختلف في طباعها واخلاقها عن متوحشي افريقية فتقف في سبيلهِ وتحول دون تقدمهِ

وفي سنة ١٨٢٩ دخل همبلت اواسط اسيا وسواحل بحر قزبين . وعقبهُ المرسل الفرنسوي هوك فعبر بلاد التبت سنة ١٨٤٤ — ١٨٤٥ وأقام عدة اشهر في لاسًا عاصمتها . وساح بلجراف في بلاد العرب حوالي سنة ١٨٦١ واجتازها من جهة الى جهة . ثم قام السائح جارنييه المشهور وساح في كبوديا والصين وقطع اكثر من ٥٠٠٠ ميل في بلاد لم يعرفها الغربيون قبلاً . وتلاهم كثيرون غيرهم مثل سفن هدن ورشتوفن وروكهل فاكتشفوا اقاليم كثيرة ومسحوها وعينوا مواقعها في الخارطات فاصبحت اسيا وهي تكاد تعرف كلها

الخاتمة

وغاية القول ان تقدم الجغرافية في القرن التاسع عشر كشف خبايا كل زاوية من زوايا الارض امام اهالي اوربا واميركا . بل ان تقدم العلوم الجغرافية فيهِ أماط النقاب عن اصل الارض وكيفية تكوُّنها . فان علم الجيولوجيا الذي يبحث في طبيعة قشرة الارض وتكوُّنها يخبرنا عن الدور الجليدي ويدلنا بواسطة البقايا المتحجرة على ان الحياة ظهرت في الارض منذ الوف الملايين من السنين . ثم ان علم الظواهر الجوية الذي يبحث في احوال الهواء المحيط بالارض وعلم اعماق البحار انما هما نتيجة تقدم الجغرافية في القرن الماضي . وسيكون مدار بحث الانسان في هذا القرن على سبر غور البحار لحلّ اسرارها وهتك استارها

الجواد العالم

كثر كلام الصحف في الشهر الماضي وما قبلهُ على جواد في برلين يقال انهُ يفهم ما يخاطب بهِ ويُسأل بعض المسائل الحسابيَّة فيجيب عنها بالدقة التامَّة . وقد كتب بعضهم رسالة من برلين الى مجلة المجلات الانكليزية في ٢١ سبتمبر الماضي قال فيها ما خلاصتهُ

لقد أُعطي هذا الجواد قوة التمييز . ويظهر هذا القول مدهشاً في بادىء الرأي ولكن لجنةً من اكبر الثقات في علم الطب البيطري تألفت لتحقيق ما يدَّعيهِ صاحبهُ وهو رجل من سكان شمالي برلين اسمهُ فن استن عكف منذ اربع عشرة سنة على درس غرائز الحيوانات ورأى منذ اربع سنوات ان جواداً روسياً من خيلهِ يميز كالعقلاء فجعل يعلمهُ ساعةً كل يوم فبلغ بهِ مبلغاً يفوق التصديق . وهو اصلاً من معلمي المدارس فاستخدم في تعليمهِ الوسائل التي تستخدم في المدارس الابتدائية اي اللوح الاسود والطباشير والاشياء التي يُعلَّم بها الصغار اسماء الالوان والروائح وما اشبه فعلَّمهُ كيفية جمع الارقام الحسابية وطرحها وضربها وقسمتها وهو يعلمهُ الآن الحساب العشري والنسبة البسيطة

وقد أُذن لي في فحص هذا الجواد مع اللجنة التي عينت لفحصهِ فزال من نفسي كل ما كان يخامرها من الريب لان افعالهُ اوضح من ان يكون فيها شيء من الخداع . وقد استعان صاحبهُ على تعليمهِ برجل اسمهُ شلِنغس وهو من من النابغين في تدبير الحيوانات فكان الجواد طوع امرهِ في كل شيء . وهو الآن يقرأ الكلمات المكتوبة ويميز بين انواع النقود ويعرف الوقت في الساعة واذا رأى صورة فوتوغرافية ثم رأى صاحبها بين جماعة ميزهُ عن غيرهِ

ولا ينطق ولكنهُ يجيب بالاشارات فاذا اراد ان يقول نعم حنا رأسهُ واذا اراد ان يقول لا انغضهُ ويدل على الاعداد بضرب حافر يدهِ اليمنى على الارض واذا اراد تأكيد شيء ضرب ايضاً بحافر يدهِ اليسرى . مثال ذلك ان صاحبهُ سأَلهُ كم هو مجموع اثنين واثنين فضرب اربع ضربات بحافر يدهِ اليمنى فقال لهُ صاحبهُ بل المجموع خمسة فاعاد الجواد بضرب اربع ضربات بيدهِ اليمنى وابدها باربع ضربات بيدهِ اليسرى

ثم طلب منهُ ان يقرأ كلمات كتبت لهُ على لوح فقرأها او عرف اين هي مثلاً كتبت اللجنة كلمات مختلفة وجعلت تلفظها لهُ كلمة كلمة من غير ترتيب وكلما لفظت كلمة دلَّها عليها . وعمل عملاً في الحساب العشري من غير غلط

ووُضعت امامهُ سلَّة كبيرة فيها خرق مختلفة الالوان فجعل يختار منها الخرق الملونة بالالوان

المطلوبة. وسئل كم واحد من الحضور بنظارات وكم منهم بغير بنظارات فاجاب من غير خطإٍ. وطُلب منهُ ان يشير الى سيدة على رأسها برنيطة خضراء فاشار اليها. وحاول بعض الضباط خداعهُ فاراهُ ريالاً وسألهُ كم الساعة فلم يخدع. وطُلب منهُ ان يأخذ خرقة كبيرة وينظف معلقةً بها فيعطى ما يحبهُ من الطعام فالتفت يفتش عن خرقة فوجدها في يد معلمهِ فأخذها منهُ وباسهُ كأنهُ يشكرهُ على ذلك ثم اسرع الى معلفهِ وجعل ينظفهُ بها وينفضها من الغبار وعاد الى صاحبهِ يطالبهُ بما وعدهُ بهِ ووقف ينتظر احضار الطعام لهُ بفارغ الصبر

وقد اراد بعض الاميركيين مشترى هذا الجواد ودفعوا ثمنهُ سبعة الآف وخمسماية جنيه فأبى صاحبهُ بيعهُ لان ليس غرضهُ الكسب بل تحقيق الامور العلمية. انتهى

وجاء في الجريدة المسماة عمل العالم ان هذا الجواد يميز بين المعادن المختلفة فاذا أُري قطعاً مختلفة من الذهب والفضة والنكل والنحاس ميز بينها بالضرب بحافرهِ فانهُ يضرب ضربةً واحدة للذهب وضربتين للفضة وثلاثاً للنكل واربعاً للنحاس. وأُري ريالاً قيمتهُ خمسة ماركات وقيل لهُ كم ريال منها تساوي ذهباً قيمتهُ عشرون ماركاً فضرب بيدهِ اربع ضربات. ويدل على الحروف الهجائية باعداد تقابل وضعها في الابجدية فالحرف الاول عددهُ واحد ولهُ ضربة والثاني عددهُ اثنان ولهُ ضربتان وهلمَّ جرًّا. واذا سألتهُ عن الوقت وكانت الساعة ١١ ونصفاً ضرب بيدهِ احدى عشرة ضربة وانتظر هنيهة ثم ضرب ثلاثين ضربة اي ثلاثين دقيقة. ويقال انهُ في قواهُ العقلية مثل ولد عمرهُ ثلاث عشرة سنة

هذه خلاصة ما جاء في مجلة المجلات. وجاء في جريدة السينتفك اميركان ما ينطبق على ذلك ولكنهُ مثلهُ خالٍ من التدقيق العلمي وبعضهُ في غاية الغرابة يُستبعَد حتى من العقلاء الذين لم يزاولوهُ مدة كمعرفتهِ اوراق اللعب ورقة ورقة ونسبة بعضها الى بعض ومعرفتهِ الدراهم الممسوحة من غير الممسوحة وقيل فيها ان الدكتور هنروث مدير بستان الحيوانات في برلين فحصهُ فحصاً مدققاً واقتنع بصحة ما ينسب اليهِ وبان ليس في الامر شيء من الخداع

ولم نقف حتى الآن على تعليل هذه الافعال لعالم نثق بهِ. واذا كانت خالية من كل خداع كما يقال امكن تعليلها بان صاحب الجواد او معلمهُ يتسلَّط على ارادتهِ تسلط المنوّم على المنوَّم فيأمرهُ بالحركات التي يريدها ولو عن غير قصد ويشير اليهِ بالرضى متى اتمها. وقد يفعل ذلك عن غير قصد او لا يشعر انهُ فعلهُ. ومعلوم ان الحيوانات الاليفة كالكلاب تنظر الى وجوه اصحابها وتفهم مرادهم من مجرَّد نظرها وتفهم ما يبدو فيها من امارات الاستحسان والاستهجان فلا يتعذر عليها ان تفعل ما يفعل هذا الجواد

كتاب روزبري عن نبوليون

(٤) مسألة المال

قال اللورد روزبري " انا اطلنا الكلام في مسألة اللقب لانها اصل كل الشرور فننتقل منها الى المسألة المالية وهي لحسن الحظ عرضية ولعلها كانت تابعة لمسألة اللقب كأن الوزارة الانكليزية قالت في نفسها انها ان ابقت لنبوليون لقب امبراطور اضطرت ان تنفق عليهِ نفقات طائلة ليقوم بمقتضيات ذلك اللقب ولكن كانت الحرب كثيرة النفقات فيجب ان يكون الاسير قليلها لاسيما انها كانت تنفق على السرهدصن لو اثني عشر الف جنيه في السنة فجعلت نفقات نبوليون وحاشيتهِ وعددها واحد وخمسون نفساً ثمانية الآف جنيه في السنة وقالت ان احتاج الى اكثر فلينفق من جيبهِ . ولقد كان ينفق من جيبهِ لان نفقاتهِ بلغت ١٨٠٠٠ او ١٩٠٠٠ جنيه في السنة هذا مع الاقتصاد الشديد لغلاء كل شيء في تلك الجزيرة فان ثمن الاشياء فيها كان اربعة اضعاف ما هو في غيرها . ولما رأى لو غلاء الاسعار جعل نفقات نبوليون مثل نفقاتهِ اي ١٢٠٠٠ جنيه في السنة وهو في ذلك اكرم من رئيسهِ لورد بترست وزير الحربية والمستعمرات لان لورد بترست امره ان لا يدفع من نفقات نبوليون سوى ٨٠٠٠ جنيه في السنة . وبلغ نبوليون ذلك فقال ليفعل ما يشاء بشرط ان لا يكلمني في هذا الموضوع . لانهُ كان يخشى ان يصل الخبر الى اوربا فيعود بالعار على فرنسا . وكان يفعل هناك كما كان يفعل وهو على سرير الملك اي انهُ كان يستدعي وكيل الخرج اليهِ و يطّلع على حسابهِ بالتدقيق ويقلل النفقات جهدهُ ولكنهُ لم يشأ ان يتذاكر في هذا الموضع مع سجانهِ

وزار نبوليون المائدة التي كان يأكل عليها اتباعهُ فرأى الطعام قليلاً لا يقوم بهم ولعلهم فعلوا ذلك قصداً فامر وكيل الخرج ان يبيع ما عندهُ من الآنية الفضيَّة فباع جانباً منها ولو نفسهُ حدَّد الثمن الذي بيعت بهِ . وقدّم الطعام الى نبوليون في صحاف من الخزف فاعتراهُ الخجل وعاف الاكل الآ ان وكيل الخرج كان قد خالف امر مولاهُ ولم يبع كل الصحاف بل ابقى جانباً منها فاتاهُ بالطعام فيها في اليوم التالي فسرَّ بذلك واكل على جاري عادتهِ

ويقال انهُ لما بيعت آنية نبوليون اوجس لو شرّاً وندم على ما فعل لانهُ خاف من ملامة الناس لهُ "

قال لورد روزبري " ان كل ما حدث كان من قبيل المغايظة فان نبوليون لم يكن مضطراً ان يبيع اناء واحداً لانهُ كان لهُ اموال طائلة في باريس وفي جزيرة القديسة هيلانة نفسها

ومع ذلك لا نلومهُ على ما فعل لانهُ حارب خصومهُ بسلاحهم على اسلوب تُجهُ فيهِ الانظار اليهِ فان يمهُ لا نيتهِ الفضية لابد من ان يشيع في الجزيرة كلها وتنتقل اخبارهُ الى اوربا فيشدد الناس النكير على الحكومة الانكليزية وقد نجح في ذلك. وحدث بعد هذا ان قلَّ الوقود عندهُ فامر خادمهُ ان يكسر سريرهُ ويوقدهُ وشاع الخبر في الجزيرة حالاً فأُسقط في يد لو وصار يتجنب مغاضبة نبوليون

"وكان نبوليون واسع الحيلة يلجأُ الى هذه الطفائف حينما تدعو الحال اليها مثل غيرهِ من عظام الرجال فكان مثلاً يسرُّ بكتابة مكاتيبهِ من قصور الملوك الذين غلبهم . ويدرس تواريخ بعض قوادهِ ثم يقابلهم وهم في اماكنهم في الجيش ويسميهم باسمائهم ويذكرهم بما فعلوا فيبتهجون بذلك. وكان في حروبهِ يشيع ان الدائرة دارت عليهِ حتى اذا بلغت الاشاعة وزراءهُ وتولاهم القنوط فاجأَهم باخبار النصر مفاجأَةً . ولما كان في موسكو يحيط بهِ النار والجوع ويتهدَّدهُ البرد والصقيع بعث الى فرنسا كتابة مسهبة عن اصلاح التياترو الفرنسوي لكي يقنع رجالهُ انهُ غير مبالٍ بما هو فيهِ ويقنع فرنسا انهُ يدبر امور المملكة صغيرها وكبيرها وهو في حومة الوغى"

وذكر لورد روزبري حديثاً لنبوليون مع الدكتور اوميرا الانكليزي ورجح صحتهُ وهو قول نبوليون لهُ "ان وزراءكم ارادوا ان ينسى الناس اسمي فاذكروهم بهِ بخلهم المتن وسوء تصرفهم ولو عقلوا لاباحوا لي ولرجالي ان ننفق قدر ما نشاء فاسكتونا واسكتوا الناس اجمع ولم تزد نفقاتنا على ١٦٠٠٠ او ١٧٠٠٠ جنيه في السنة". وطلب بعض الكتب التاريخة فارسلتها الحكومة الانكليزية اليهِ وحاسبتهُ بثمنها فلم يشأْ ان يدفعهُ ثم لما توفي استردتها وباعتها بثمن بخس ولو ابقتها لربحت منها ربحاً وافراً لان عليها كثيراً من الحواشي بخطهِ

(٥) تسليتهُ وامرهُ

قال نبوليون وهو في معركة استرلتز الشهيرة "ان الانسان لا يستطيع الحرب الاَّ سنين قليلة فانا لا استطيعها الاَّ ست سنوات اخرى ثم اضطرُّ ان انتحي عنها". ومن الغريب ان الايام حقَّقت صدق هذا القول فبعد واقعة استرلتز بست سنوات وشهر واحد اعلن الحرب على الروس فآب بالفشل واخذ نجم سعدهِ في الافول من ذلك الحين حتى ظن اعوانهُ انهُ اعتراهُ مرض اضعف همتهُ وثبط عزيمتهُ . ومن المحقق انهُ اخذ يسمن وصار يكثر من الأكل والنوم . والظاهر ان السرطان الذي اماتهُ وامات اباهُ من قبلهِ شرع ينمو في معدتهِ فيهيجها لطلب الطعام فزاد اكلهُ وزاد سمنهُ فقلَّ ورود الدم الى دماغهِ وتوليد الافكار فيهِ . وهذا

امرٌ عاديٌّ يصيب كل من كان عصبياً نحيفاً . ثم سمن وترهّل وزاد سمنهُ وهو في جزيرة البا لانهُ انقطع فيها عن الاشغال الشاقة وعكف على الملاذ فاتخذ سمنهُ دليلاً على اكتفاء مطامعهِ وضرب على بطنهِ بيديهِ في قصر التويلري وقال للذين حولهُ هل يبقى في الانسان مطامع بعد ان يصير سميناً مثلي . وثبت لاعوانهِ ان همتهُ فترت وعضب دماغهِ كلَّ عن المضاء فصاروا يتناجون في ذلك واصبحوا يجاهرون بهِ . وجعل وزراؤُهُ يدخلون عليهِ فيجدونهُ نائماً والكتاب في يدهِ بعد ان كان يبيت الليالي ساهرًا وهو على صهوة جوادهِ . وصار يكثر من الكلام ويفيض في الحديث كما مل من الشغل العقلي كأنهُ يجد في الكلام راحة وفكاهةً . وبلغ من ضعف عزيمتهِ انهُ وهو في جزيرة البا انتبه الى خيانة وزيرهِ فوشه ولام نفسهُ لانهُ لم يقتلهُ لكنهُ ابقى عليهِ لما عاد الى باريس ولم ينلهُ بمكروه . وفوشه هذا هو الذي خدعهُ وخانهُ وسلمهُ للانكليز . وكان نبوليون يعلم ذلك ولكنهُ ابقاهُ رئيساً للبوليس ولم يجسر على الاقتصاص منهُ

ولما استثقل متاعب الملك ودسائس الاعوان وضاق بها ذرعاً خرج بجندهِ للقتال لعلهُ يشفى من مرض الخمول مستشفياً من داء بداء ولكنهُ فعل فعلَ المقامر الذي تتكرَّر خسارتهُ وتضيق بهِ الدنيا فيخاطر بكل ما يملك دفعةً واحدة عساهُ ان يسترد ما خسرهُ او يبلغ حد الافلاس . ولم يبلغ ميدان القتال حتى خارت قواهُ فلم يعد يعبأُ بالبحث عن مواقع الاعداء ولا يهتم بسرعة الهجوم عليهم مع انهُ فاز في حروبهِ السابقة لاهتمامهِ بهذين الامرين . ولم تدر رحى الحرب حتى قال يظهر انهم اشتبكوا (Il parait qu'ils sont mêlés) وادار راس جوادهِ وخرج من ساحة الوغى وهرب الى باريس لا يلوي على احد فوصل قصر الاليزه الساعة السادسة صباحاً (في الحادي والعشرين من شهر يونيو) وقال " ان الجيش فعل فعال الابطال ولكن تولاهُ الاضطراب . وبلغ الجنون من ناي انهُ فادى بالفرسان " . ثم ارتمى في حمام من الماء السخن واستدعى وزراءهُ

ورآهُ لا فالت ذلك الصباح ووصف كيف قابلهُ قائلاً حالما رآني بادر اليَّ وهو يضحك كالمجانين ويقول يا الهي يا الهي ويرفع عينيهِ الى السماء ويمشي حول جدران الغرفة ثم لم تلبث هذه النوبة ان فارقتهُ فثاب اليهِ رشدهُ وسألني عمّا هو جارٍ في مجلس النواب . وكان يجب عليهِ ان يبادر الى المجلس قبلما يخلع ثيابهُ ويسحرهُ ببلاغة خطابهِ ويأمر بقتل فوشه لانهُ سبب هذه البلية ولكنهُ لم يفعل ذلك بل عقد مجلسهُ الخاص وفوشه يحرّض حزب المعارضين على مقاومتهِ واعوانهُ وذوو قرباهُ يتوسلون اليهِ ليبدي شيئاً من حزمهِ السابق وهو صامت لا يتكلم . وجعل المعارضون والخائنون والمتآمرون يلمّون شملهم ويجاهرون بمقاومتهِ وهو جالس لا يبدي

ولا يعيد وقد نزغت حيلتهُ وفارقتهُ عزيمتهُ . مركبتهُ واقفة على الباب لتسير بهِ الى مجلس النواب وهو جالس في مكانهِ لا يتحرَّك . واخيرًا قدّمت اليهِ ورقة التنازل عن الملك فامضاها بيدهِ وهو كأنهُ في بحران . فعل ذلك والجنود خارج القصر والشعب كلهُ يناديهِ لكي لا يتركهُ وهو لو قال كلمة واحدة لاستراح من خصومهِ كلهم في ساعة من الزمان او لأحدث في البلاد ثورة كالثورة المشهورة ولكنهُ لم يقل كلمة ولا فعل شيئًا بل ارسل مركبتهُ بين الجموع فارغة وخرج في مركبة اخرى الى قصر مالمازون Malmaison وجلس هناك يقرأ الروايات غير مهتم بالدفاع ولا بالهرب . واخيرًا عرض خدمتهُ على الحكومة الموقتة كجنرال فرفضت طلبهُ وامرتهُ بالخروج من البلاد فاطاع وخرج في ربع ساعة ووصل الى روشفور واقام فيها وهو لا يزال في بحرانهِ لا يعي على شيءٍ . وعرض عليهِ اخوهُ يوسف ان يهرب الى اميركا في سفينة اميركية كانت هناك وكان ذلك ميسورًا لهُ فلم يفعل . وعرض عليهِ الهرب في سفينة هولندية فلم يقبل وكان هناك بارجتان فرنسويتان فعرضتا عليهِ ان يهرب في واحدة منهما وتبقى الاخرى تشغل السفينة الانكليزية عنها لكنهُ لم يفعل شيئًا من ذلك بل سلَّم نفسهُ للانكليز وجلس على ظهر سفينتهم يقرأ في اوسيان Ossian وسارت بهِ السفينة وهو في بحرانهِ الى ان قابلت اوسنت فخرج من غرفتهِ ونظارة في يدهِ ووقف ينظر الى سواحل فرنسا من الساعة السابعة صباحًا الى الظهر اي الى ان غابت تلك السواحل عن نظرهِ فعاد الى غرفتهِ متكئًا على ذراع برتران وهو شاحب الوجه صامت لا يتكلَّم وعاودتهُ نوبات الخمول كل مدة اقامتهِ في جزيرة القديسة هيلانة فكان يقيم ساعات متوالية في فراشهِ او في حمامهِ ولم يعد يلبس ثياب النهار الاَّ بعد الظهر. ومع ذلك كانت الوزارة الانكليزية ونائبها السرهدصن لو في قلق دائم لئلاَّ يهرب من تلك الجزيرة و يقيم الدنيا عليها

وقد اختار الانكليز هذه الجزيرة لانها ابعد الجزائر عن اوربا واقفرها وحصَّنوها حتى صارت امنع من عقاب الجو وظلَّ السرهدصن لو يزيد في تحصينها ووضع المدافع فيها الى وفاة نبوليون مع انهُ قال للوزير كاسلراي قبل مغادرتهِ لندن انهُ لا يرى سبيلاً لهرب نبوليون من تلك الجزيرة الاَّ بخيانة حاميتها

والجزيرة صخر كبير مستدير في وسطهِ سهل بنيت فيهِ مدينة اسمها لنغوود يكتنفهُ خندق عميق يفصلهُ عما حولهُ ولا يوصل اليهِ الاَّ من طريق ضيق عرضهُ اقل من عشرين قدمًا وهو شديد التحدُّر حتى اذا دخل الجزيرة عشرة آلاف جندي فخمسون جنديًا يكفون لمنعهم من الوصول الى مدينة لنغوود ولا يوصل اليها الاَّ بهِ . وهناك آلاي من الجيش وفرقة من المدفعية .

والحراس يحيطون بالمدينة من كل ناحية ويزيد عددهم ليلاً حتى يصيروا حلقة متصلة حول المدينة وهناك سفينتان حربيتان تطوفان حول الجزيرة نهاراً وليلاً وبارجتان في المرفأين اللذين يمكن ان ينزل منهما الى السفن والحراس على كل قمة من قممها يرون كل سفينة آتية اليها عن بعد ستين ميلاً وكلما رأوا سفينة اطلقوا مدفعاً فانتبه الحراس والجنود والسفن الحربية. ولم يكن يسمح لسفينة اجنبية ان تدنو من تلك الجزيرة مهما كانت ولا لسفينة انكليزية الاَّ اذا كانت من السفن الحربية او سفينة مخصوصة آتية بالمؤونة والميرة للحراس . ومهما كان نوعها لا يسمح لها ان تخابر احداً في الجزيرة لاي سبب كان

ومع هذا الاحتراس والتضييق لم يكن يسمح لنبوليون ان يخطو خطوة في الجزيرة الاَّ ووراءهُ حارس انكليزي. واتفق مرةً انهُ خرج راكباً وخرج معهُ برتران وغورغو فتبعهم هذا الحارس وكان اسمهُ بوبلتون وطلب اليهِ برتران ان لا يدنو منهم كثيراً فابى وفيما هو يكلمهُ عدا نبوليون بجوادهِ وتبعهُ غورغو ولم يكن بوبلتون يحسن الركوب فلم يستطع ان يدركهما فاسرع الى الاميرال ككبرن امير البوارج الانكليزية الحارسة الجزيرة وشكا اليهِ امرهُ فضحك الاميرال منهُ ثم قال لهُ كن مطمئن البال ان بوارجي تكتنف الجزيرة حتى لو اراد الشيطان ان يخرج منها لتعذر عليهِ ذلك

ثم لما مرض نبوليون ولم يعد يخرج من غرفتهِ كثرت هواجس لو ووساوسهُ وخيل لهُ ان نبوليون هرب من لنغوود وتسلق الصخور ولا يبعد ان تقابلهُ سفينة غواصة تسير تحت الماء فيهرب فيها فكتب اليهِ في ٢٩ اغسطس سنة ١٨١٩ يقول لهُ لا بدَّ من ان يراك ضابط من الحراس كل يوم. وقد أمر هذا الضابط ان يدوس كل الموانع التي تمنع ذلك وانهُ اذا عارضهُ احد من حاشية نبوليون في اتمام مأموريتهِ أُخرج ذلك المعارض من الجزيرة حالاً وعُدَّ مسؤولاً عن كل ما ينتج من فعلهِ . وانهُ اذا لم يرَ ذلك الضابط نبوليون كل يوم حتى الساعة العاشرة صباحاً حق لهُ ان يدخل البيت الذي فيهِ نبوليون والغرفة التي هو فيها عنوةً . فاجابهُ نبوليون انهُ يفضل الموت على هذه الاهانة اي انهُ يقتل الضابط المشار اليهِ حالما يراهُ وكان ذلك في ٢٩ اغسطس . وفي ٤ سبتمبر اضطر لو ان يعدل عن عزمهِ ويستردَّ اوامرهُ . وذاق الضابط الامرَّين في مراقبة نبوليون فكان يوصوص من صائر الباب او من ثقب مفتاحهِ او من الكوة فيرى برنيطة نبوليون فيحكم انها على رأسهِ او يراهُ جالساً في حمَّامهِ . ورآهُ نبوليون مرةً وهو يرقبهُ كذلك ففتح الباب بغتةً وخرج اليهِ عارياً

وفي يومية هذا الرجل من المضحكات ما يعزُّ نظيرهُ. كتب مرةً انهُ بقي ذات يوم اثنتي

عشرة ساعة واقفاً على قدميهِ قبلما استطاع ان يرى نبوليون · وكتب في يوم آخر انهُ بقي واقفاً عشر ساعات على قصب رجليهِ عرضة لتهكم الخدم ولم يرَ نبوليون ·

الى هذا الحد بلغت الحماقة من الوالي حتى جعل ضباطهُ عرضةً للهزء والسخرية في قضاء امر لا داعي لهُ · ومن رأي اللورد روزبري انهُ لم يكن خوف من ان احداً يحاول انقاذ نبوليون لكن الاشاعات كانت كثيرة حينئذٍ عن عزم اناس على بناء سفينة تسير تحت الماء وتصل الى الجزيرة وتنقذ نبوليون منها وكان الوالي يضاعف الحرس كلما بلغتهُ اشاعة من هذه الاشاعات بل كانت الوزارة الانكليزية نفسها تقلق قلقاً شديداً لاشاعات مثل هذه وظلت في قلق الى ان ادركت نبوليون الوفاة · ويقال عن ثقة ان ربان احدى السفن عرض ان ينقذ نبوليون في قارب خلسة ويوصلهُ الى اميركا لكن نبوليون رفض ذلك رفضاً باتاً · وعُرضت عليهِ اساليب اخرى للنجاة فنظر اليها نظر الازدراء · نعم انهُ كان يود ان ينقذ من الاسر ولكنهُ كان يريد ان يحدث ذلك جهاراً بواسطة شريفة يأمن بها على حياتهِ بعد انقاذهِ واما لو هرب هرباً لتعقبهُ خصومهُ اين ذهب واوقعوا بهِ · والظاهر من قول منتلون ان نبوليون كان يعتقد بالقضاء والقدر ويقول ان كل شيء في كتاب مسطور وانهُ لا يموت الاَّ حيث قدر لهُ كأنهُ يردد قول الشاعر

ومن كانت منيتهُ بارضٍ فليس يموت في ارض سواها

وقال اخيراً لاتباعهِ بعد ان عرضوا عليهِ اساليب مختلفة للنجاة "خير لي ان اموت هنا شهيداً فان ذلك قد يعيد الملك الى ابني اذا بقي حياً" . وقال مرةً ان فيهِ بارقة امل بالنجاة اذا قوي حزب المعارضين في البارلمنت الانكليزي وتبوأت الاميرة تشارلوط اريكة الملك . وقد حسب ان هذه الاميرة تميل اليهِ لانها تزوجت بالامير ليوبولد الذي ودَّ مرةً ان يكون ياوراً لهُ

ولم يكن قليل الاماني بل كثيراً ما كان يهجس بالمحال قيل انهُ امر قوَّاد جيشهِ وهو في حرب الروس ان يقودوا بعض الفيالق وهو يعلم انها فنيت ولما قالوا لهُ في ذلك قال لهم لماذا لا تدعونني أُسرُّ باحلامي . ولما هاجمت جنود الاحلاف فرنسا قال للمرشال مكدونلد اني اعتمد على فيلقك فقال لهُ المرشال ألا تريد ان تستعرض هذا الفيلق فلا يأخذك استعراضهُ دقيقة لانهُ مؤَلف مني ومن ياور واحد وكل ما عندنا اربعة كراسي قش وطاولة خشب ابيض · وفي معركة سنة ١٨١٤ كان يقول لمارمون اذهب برجالك العشرة الآلاف فقال لهُ مارمون انهم الآن ثلاثة آلاف فقط فلم يلتفت اليهِ بل ظلَّ يقول انهم عشرة آلاف · ومع كل ذلك كان لهُ

مهابة عظيمة في قلوب كل من في جزيرة القديسة هيلانة . قال المندوب الروسي "ان لهذا الرجل المخلوع المأسور المكتنف بالحرّاس والحفّاظ من السلطة على كل الذين يدنون منهُ ما يُعجب ويُدهش فان كل ما في هذه الجزيرة يدلُّ على تفوُّق نبوليون وعظمتهِ . الفرنسويون يرتجفون من رؤيتهِ ويحسبون خدمتهُ منتهى السعادة . والانكليز لا يدنون منهُ الاَّ والرهبة تشملهم حتى حرَّاسهُ يتمنون ان ينظر اليهم نظرةً او يكلمهم كلمة وما من احد يستطيع ان يلتفت اليهِ التفات النظير الى نظيرهِ ". وزد على ذلك انهُ كان يدخل اكواخ الاهالي ويجلس معهم ويكلم الخدم والعبيد ويتحفهم بالهدايا ولما رأى الوالي ذلك ضيَّق عليهِ النطاق لئلاَّ تتعلق قلوب السكان بهِ فيعصوا اوامر الحكومة

الزهد في الحياة

في قطيعٍ نعجةٌ قد نتجتْ حملاً أبيض كالثلج النقي
رأمتهُ وسقتهُ لبناً فتقوّي نامياً ممّا سقي
شارفتهُ وعليهِ انعطفت حفظتهُ كسواد الحدقِ
عند ما أصبح شهراً عمرهُ وعن المربض لم يفترقِ
جاءهُ الراعي ومعهُ مدية وبها ينوي احتزاز العنقِ
فدعاهُ مستغيثاً خاشعاً عند ما القاهُ فوق الطبقِ (١)
قائلاً مولايَ رفقاً انني في حياتي لذَّةً لم أذقِ
ما رعيتُ العشبَ بل مازلتَ من ضرعِ أمي من لبانٍ استقي
ما برحتُ السجن يوماً واحداً ومع القطعان لم انطلقِ
أعفُ عني سنةً احيا بها مطمئناً في سراحٍ مطلقِ
لا يخاف الفوتُ مني وانا كل يومٍ عالق بالوهقِ (٢)
فاتقِ الرحمانَ في حقيَ او فاصنع الرحمة ان لم تتقِ

⁂

رفق الراعي بهِ وانطفأت جمرةٌ في طرفهِ المغرورقِ

(١) الطبق سطح الارض او ماعون مقعر من الخشب مثل الذي يضعهُ الجزَّار تحت العنق ليجتمع فيهِ الدم
(٢) الوهق حبل في طرفهِ أنشوطة يطرح على عنق الدابة لتوخذ بهِ

قال فاذهب وارتع كيف تشا ... واذكر الحمدَ لقلبي المشفقِ
فمضى يمرح عاماً كاملاً ... ينتشي في البرّ ريحَ الحبَقِ
شارباً من كلّ وِردٍ سائغٍ ... آكلاً من كلّ نبتٍ مورقِ
غادياً عند تباشير الضحى ... رائحاً عند دنوّ الغسقِ
لاجئاً في الحرّ للاظلال او ... عائذاً من مطرٍ في نفقِ
يلحق الراعي ويدري انهُ ... طعمة السرحان ان لم يلحقِ

***

بعد ان مرّت عليهِ سنةٌ ... قصد الراعي بقلبٍ قلقِ
قال ماضي العمر قد ادركتهُ ... جئتُ كي تخبرني عما بقي
هل أواتي العيش كالماضي تُرى ... جزعٌ في نكدٍ في رهقِ[1]
هكذا في سغبٍ[2] ولغبٍ[3] ... هكذا في نصبٍ او حرَقِ
ابداً في عطشٍ لا نشرب الـ ... ـماء الأ مفعماً بالرنقِ[4]
ان نغادر فرقاً حاق بنا ... لم نغادرهُ لغير الفرقِ
تارةً نهبط للقيعان في ... طلب القوت وطوراً نرتقي
في شتاءٍ بردهُ أرهقنا ... ما بهِ الأ انصبابُ الغَدَقِ[5]
لا نرى في قبّة الجوّ سوى ... غضب من مُرعدٍ او مُبرقِ
كان اخوانٌ لنا لم نسهم ... جرفوا بالعارض المندفقِ
اقبل الصيف فقلنا انفرجت ... فالتقانا بالهجير المحرقِ
ناب عن سيل شآبيب[6] الشتا ... من جلودِ الحيّ سيلُ العرقِ
وعلينا فوق ما نحن بهِ ... يرصد الذئب شعاب الطرُقِ
فاذا صادف منّا غرّةً ... جاءنا ينشبُ ناب الحنقِ
فكأن العمر بحرٌ مزبدٌ ... وكأني فوقهُ في زورقِ
ابداً في خطرٍ يرصدني ... ابداً في حذرٍ من غرقِ

---

(١) الرهق الاسم من الارهاق وهو حمل الانسان على ما لا يطيقهُ (٢) السغب هو الجوع مع التعب (٣) اللغب هو التعب الشديد والاعياء المنهك (٤) الرنق هو كدر الماء (٥) الغدق هو الماء الكثير (٦) واحدها شؤبوب وهو الدفعة من المطر

نكباتٌ قوَّضت جسمي ولم تُبقِ من روحيَ غير الرمقِ
طال عيشي المرُّ في داجيةٍ وانا ارقبُ وجه الفلقِ
هل لهذا الليل صبحٌ يُرتجى فرجٌ من ضوئهِ المنبثقِ
هل انا وحدي شقيٌّ يا ترى في ربى الارض ام الكلُّ شقي
هل ارجّي في حياتي زمناً خالصاً من حذرٍ او قلقِ
ام بواقي العمر مثل المنقضي ومواضيهِ هوادي اللحقِ

***

اقبل الراعي عليهِ قائلاً انما الايام مثل الحلَقِ
فاذا عشتَ قروناً عدّةً لستَ تلقى غير هذا النسَّقِ
راحت الدنيا على طلّابها وجدوها كالعقوق الابلقِ (١)
قبلك الكلُّ على سطح الثرى طلبوا السعد بسعيٍ مخفقِ
دفعوا ناب البلايا عنهمُ زمناً دفعَ ضعيفٍ متقي
صرعتهم نوبٌ ارواحهُم معها مهما تعمّرْ تزهقِ
كل حيٍّ في الثرى مهما يطل عمرهُ يأتِ لهذا المأزقِ (٢)
ان تجاهد زمناً سوف يجي زمنٌ مهما تجاهد تغرَقِ

***

فاجاب الحملُ النادمُ يا ليتني اخترت احتزاز العنقِ
ليت اني صرت نسياً مغفلاً ليتني متُّ بعامي الاسبقِ
خذ السكين واذبحني ولا تبقني رهن البلاء المحدقِ

دمشق الشام فارس الخوري

(١) الابلق العقوق اي الذكر الحامل وهو عبارة عما يستحيل وجوده
(٢) المأزق هو المضيق

عجائب الحرب

قيل ان رجلاً من اهالي اميركا طلب من رجل من هنودها ان يبارزهُ فكان اختيار السلاح من حق الهندي فاختار برميلاً من البارود يجلسان عليهِ كلاهما و يشعل باروده بهما. وهذا شأن المتحاربين في هذا الزمان فانهم كالجلوس على برميل من البارود يشعل ما فيهِ فينسفهم كلهم نسفاً

وكان المظنون ان دول الارض تتفق الى ذلك فلا تعود تتقاضى الى السيف والمدفع واللغم والطربيد بل تقيم بينها المحكمين المنصفين كما يفعل جمهور الناس عامتهم وخاصتهم بل كما يفعل عرب البادية ومتوحشو افريقية في غالب الاحيان . ولكن وراء هذه الجيوش المجيشة القائد والملك والصانع وصاحب الاموال وكلٌّ منهم يغني على ليلاهُ ولا يعبأُ بحياة سواهُ . الاول يسعى الى الامتياز على اقرانهِ وترفيع رتبتهِ ومقامهِ وتحلية صدرهِ بالنياشين والثاني يحاول اشغال قومهِ بالحروب والفتوح عن طلب الحكومة الدستورية والمشاركة في السيادة والثالث يصنع البنادق والمدافع واللغوم والطرابيد والبوارج والطرادات ولا تروج سوقها ولا تتوفَّر مكاسبها الاَّ اذا نشبت الحروب واقتضت استعمال الكثير منها. وصاحب الاموال يدين الدول في اوقات الضيق و يتقاضى منها الربا الفاحش و يعيش متنعماً بهِ هو واولادهُ من بعدهِ . كذا فعل بيت روشيلد وغيرهُ من البيوتات الكبيرة في اوربا واميركا وكذا تراكمت الديون الفاحشة على انكلترا وفرنسا وايطاليا وقام الوف من الاغنياء يتنعمون بجنى الملايين من الرعايا المساكين وجمهور الناس اغنام ترعاهم ذئاب

ويتعزَّى الكتَّاب احياناً كما نتعزَّى نحن بان قتلى الحروب الحديثة اقلُّ من قتلى الحروب القديمة . وهذا صحيح على اطلاقهِ ولكن لماذا لا تبطل الحروب مطلقاً وهي خالية من كل نفع لنوع الانسان وليس فيها الاَّ الضرر والضيم والالم والشقاء ولا يستفيد منها الاَّ اناس يُعدّون على الاصابع يضرمون نارها ويذكون اوارها لمال يكسبونهُ او لمجد ينالونهُ واكبر المخترعين يتنافسون في استنباط آلات الهلاك و يسخّرون لها اجمل ما اكتشفهُ عقل الانسان من حقائق العلوم الطبيعية والرياضية

من كان سنهُ بين الاربعين والخمسين من قراء هذه السطور يتذكر البندقية ذات الزناد تحشى من فمها بالبارود والرصاص. والمدفع المسبوك من الحديد او النحاس يحشى ببارود اسود يعمي دخانهُ الابصار وقنابل صغيرة مستديرة لا تُقذَف بالبارود الاَّ الى امد قريب. والبارجة

ذات الشراع تعبث بها الرياح وتخرقها القنابل فجاء العلم الطبيعي والرياضي وغيّر كل ذلك. صارت البنادق تحشى من خزنتها برصاصات كثيرة دفعةً واحدة ويوضع معها بارود لا دخان لهُ او يركّب في خزنتها آلة دوّارة تلقمها الرصاص باسرع من لمح البصر فتطلق الف رصاصة في الدقيقة . والمدافع الرشاشة ينصبُّ منها الرصاص كالمطر المطال . وصارت البوارج تدرّع بدروع من الحديد الصلب يبلغ سمكها قدمين او اكثر. وتبارى صانعو الدروع وصانعو المدافع والقنابل واستخدم الفريقان العلم الطبيعي والرياضي اولئك يصلّبون الحديد ويقسونهُ حتى لا يخدشهُ المبرد ولا يخرقهُ شيءٌ وهؤلاء يكبرون القنابل ويدققون رؤوسها ويطوّلون المدافع ويثخّنون جوفها حتى تصير القنابل تقع على الغرض بقوة تزحزح الجبال وتخرقهُ ولو كان اشد المعادن صلابةً . فبلغت الدروع حد ما تحملهُ السفن من حيث ثقلها ولا تزال تزيد صلابة بتوالي الاكتشافات العلمية ولا تزال القنابل تزيد ثقلاً وقوةً بتكبير المدافع وتطويلها واتقان عمل البارود

وقد استنبط المستر هدصن مكسيم باروداً جديداً تحشى بهِ القنابل فلا تنفجر متى اصابت درع البارجة الكبيرة كما تنفجر القنابل عادة بل بعد ان تخرقهُ وتدخل البارجة ومتى انفجرت تمزقت الوفاً من القطع وانتشرت قطعها في السفينة كرصاص البنادق وقتلت كل من تصيبهُ فهي القضاء المبرم على البوارج لانها تخرق دروعها وتنفجر فيها انفجاراً

وقد استخدم رجال الحرب التلغراف الذي لهُ سلك والذي لا سلك لهُ ولم يعودوا ينصبون لهُ الاعمدة كما كانوا يفعلون قبلاً بل صاروا يلقون اسلاكهُ على الارض فتبقى اقسام الجيش متصلة بعضها ببعض مهما تفرقت وتباعدت فهو آذان القواد والجنود يسمعون بعضهم بعضاً بهِ مهما شسعت الابعاد بينهم

واستخدموا النور الكهربائي فهو عينهم يرون بها ابعد الاشباح في الليل الدامس كما يسمعون بالتلغراف اخفت الاصوات في البعد الشاسع . تلقي البارجة اشعة نورها الكهربائي حولها على اميال كثيرة وتفتش بهِ عن نسافات العدو فترى نسافة مسرعة اليها تقطع لجج البحر بسرعة دونها سرعة السوابق وبين يديها طربيد فيهِ الموت الزؤام اذا وصلت اليها ورشقتها بهِ اوردتها حتفها في لحظة من الزمان . ومئات من الرجال وبدرات من الاموال وثمار العلم والصناعة تغوص في لجج اليم الى يوم يحشرون . لكن النور الكهربائي يكتشف النسافة قبل ان تدنو من غرضها وللحال تصوّب اليها المدافع وترشقها بمئات من القنابل دفعةً واحدة والنور الكهربائي مشرق عليها حتى لا تختفي عن الانظار الا حين تصيبها قنبلة وتدفنها في قلب البحار

وقد يقال كيف تصوَّب المدافع نحو الغرض في لحظة من الزمان وهي كبيرة ثقيلة كالجبال الرواسخ ثقل بعضها خمسون طنًا او ستون والجواب ان الكهربائية ربة العجائب قد استُخدمت لتسديد المدافع فتديرها كيف شاء المدير باسرع من لمح البصر وهي التي تضع القنابل فيها وتطلقها منها بما لا مزيد عليهِ من السرعة والإحكام

وكان الطربيد يسير في الماء بقوة ما فيهِ من الهواء المضغط فتكون سرعتهُ نحو نصف ميل في الدقيقة ثم ثقل ويبطؤُ سيرهُ فيُخشى ان السفينة التي اطلقتهُ تلحق بهِ في سيرها فينفجر تحتها ويغرقها. وقد استنبط المستر هدصن مكسيم مادة اطلق عليها اسم موتوريت يضعها في الطربيد بدل الهواء المنضغط فتكون سرعتهُ اشد مما لو سار بالهواء ويسير بها الى ابعد مما يسير بالهواء. واستنبط ايضاً قوارب طربيد تسير بهذه المادة فتكون سرعتها فائقة جدًّا وتغوص تحت الماء فاذا سلّح القارب منها بالطرابيد لم تنجُ منهُ بارجة مهما كان حجمها ومهما كانت سرعتها

هذه بعض عجائب الحروب الحديثة وكلها او اكثرها يستخدم الآن في الحرب الناشبة بين الروس واليابان. ثمار العلوم ونتاج العقول يقيِّد مئات الالوف باستخدامها ليقتل بها بعضهم بعضاً خدمة لنفر قليل من الملوك والقواد وارباب المال والاعمال

حياة الجماد

الباب الثالث

ترتيب الاجسام الحية وغير الحية وتركيبها الكيماوي

اول ما نسألهُ هنا ما هي صفات الجسم الحي الحقيقي التام . وما هي خواصهُ الاساسية . وهذه الصفات والخواص هي تركيب كيماوي معلوم وبناءٌ وشكل خصوصيان وارتقاءٌ لهُ مدة محدودة وآخرة هي الموت وقدرة الجسم على النموّ او الاغتذاء وعلى اخلاف النسل

وهنا سؤَالان آخران وهما اية خاصة من هذه الخواص هي الاهمّ في حدّ الحياة وتعريفها. واذا فقد الجسم الحيّ بعضها أفيكفي ذلك لتحولهِ الى جسم غير حيّ . والجواب عن ذلك نقول ان كلّ ما نعرفهُ عن تركيب المادة الحية وترتيبها متضمَّن في قانوني الوحدة الكيماوية التي للاجسام الحية. الاول ان الحياة انما تظهر في المادة الحية (بروتوبلازم) وبواسطتها. والثاني ان الحياة تحفظ في بروتوبلازم لهُ اعضاء الخليَّة التامة . ولو كان هذان القانونان مطلقين ومع

ان الحياة لا توجد الاّ في البروتوبلازم و بواسطتهِ وفي الخلية و بواسطتها لحكمنا ان الحياة مقصورة على المملكة الآلية ولكن ألا يمكن ان تظهر آثار الحياة في احوال وشروط اخرى اي في مادة ليست بروتوبلازماً وفي جسم لهُ تركيب يختلف عن تركيب الخلية و بعبارة اخرى في كائن ليس حيواناً ولا نباتاً . وهذا ما نريد ان نثبتهُ بالامتحان

ظهر من تجارب كثيرين من العلماء انهُ لا بدَّ للحياة من وجود الجسم الخلوي ونواتهِ اي لا بدَّ من ان تكون الخلية تامة التركيب صحيحة لتكون حية . ولكن ظهر ايضاً من تلك التجارب انهُ اذا فقدت الخلية صحتها لم يعقب ذلك الموت حالاً بل ان بعض الوظائف الحيوية يبقى جارياً مجراهُ في بروتوبلازم فقد نواتهُ وفي خلية مختلة وغير تامة. ثم انهُ اذا طحنت الخلايا وسحقت توقف معظم وظائفها عن العمل ولكن ظهر بالتجارب التي عملت في بعض نبات الخمير ان البروتوبلازم لا يموت ولو طحن واختلّت وظائفهُ الحيوية بل ان كثيراً من خواصهِ يبقى ظاهراً عليهِ

ومما لا ريب فيهِ ان بعض مظاهر الحياة يظهر خارج الخلية و بعيداً عنها اي في اجسام غير آلية و يصاحب ظهورها فيها اعراض تشبه اعراض المادة الحية . وقد ثبت بالمشاهدة والامتحان ان وجه الشبه بين اعراض الفئتين تامٌّ فان بعض العلماء أبان ان الاعراض المرافقة للبلورات والجراثيم البلورية تشبه اعراض الحياة كل الشبه

الباب الرابع

ارتقاء المادة الحية وغير الحية وتغيرها

من اشهر خواص الجسم الحيّ ارتقاؤُهُ وتغيرهُ المستمر . فانهُ يبدأُ ضعيفاً ثم ينمو و يرتقي ثم ينحط و يضمحل . ورب سائل يسأل هل هذا الارتقاء وهذا التغير خاصان بالجسم الحيّ ألا يطرأ على الجسم غير الحيّ ما يشبههما . والجواب عن ذلك لا يحتمل اقل ريب . فقد قال بيشات — ولم يصب كبد الحقيقة في ما قال — ان الخواص الحيوية وقتية ومن مزيتها افناء نفسها على مرّ الزمن . بخلاف الخواص الطبيعية فانها ازلية ابدية . فالاجسام غير الحية لا بداءة لها ولا نهاية لازمة ولا زمان محدوداً ولا ارتقاء بل تبقى غير متغيرة كالموت الذي هي صورتهُ

وهذا القول غير صحيح في الاجرام السموية مثلاً . فقد زعم القدماء ان الاجرام السموية لا يطرأ عليها تغير ولا فساد وبقي هذا الزعم متسلطاً على العقول حتى القرن السابع عشر حين

وجهَ الراصدون اول منظار اخترعهُ غليليو يرقبون بهِ وجه السماء فدهشوا لما رأوا في الفلك من التغير على حين انهم كانوا يعتقدون انهُ ثابت لا يتغير . اما نحن فلا يدهشنا ما يطرأ على الاجرام السموية من التغير آناً بعد آن فان مذهب لابلاس في اصل الافلاك بات معروفاً مشهوراً وما من احدٍ الاَّ ويعرف شيئاً عن تغير الاجرام السموية ودورانها المستمر . قال المسيو فاي ان الاجرام لم تكن موجودة منذ الازل بل كان لها زمان تكونت فيهِ ولا بدَّ ان تشيب وتهرم ثم ينطفئ سراجها اخيرًا

وعليهِ فان الاجسام غير الحية ليست ابدية لا تتغير . فان الاجرام السموية قابلة للارتقاء وارتقاؤها بطيء بالنسبة الى ما يشاهد على هذه الارض . ولكن اختلاف تلك النسبة المطابق لطول الزمان واتساع المكان مما لا تعدُّ مقاييسنا شيئاً مذكورًا في جنبهما لا يغيّر وجه المشابهة الجوهرية بين الامرين

ولكن ما لنا وللاجرام السموية البعيدة عنّا في البحث عن حركة الاجسام غير الحية المشابهة لحركة الاجسام الحية . ولنسأل علماء الفلسفة الطبيعية والكيمياء القريبين منا يجيبونا او لننظر الى ما حولنا تنكشف لنا الحقيقة باوجهها . اما علماء الجيولوجيا فان لداتيك يذكر جيولوجياً قسم الجمادات الى قسمين سمّى الاول منهما بالصخور الحية وهي الصخور التي يتغير تركيبها وترتقي مطاوعة لتأثير الظواهر الجوية فيها . وسمّى الثاني بالصخور الميتة وهي التي بعد ما مرَّت بها ادوار التغيُّر كلها بلغت دورًا وقفت عندهُ واستراحت راحتها الاخيرة ومن هذا القبيل الطفال . وذهب غيرهُ الى أبعد من ذلك فقال ان الصخور الحية تصاب بالمرض ويدركها الهرم ثم الموت . وبمثل هذا الكلام يتكلم باعة الجواهر هذه الايام عن بعض الجواهر الثمينة

اما اهل الكيمياء القديمة فقالوا في ذلك ما شاؤوا وزعموا ان انواع المادة المختلفة عاشت وبلغت واستحالت من نوع الى آخر

هذا والمشهور ان كلَّ شيءٍ في الكون لا ينقطع عن العمل والحركة وان سكون الاشياء الطبيعية امر ظاهري فقط سببهُ عجزنا عن الشعور بحركتها الداخلية فاننا لا نرى الدقائق والذرات التي تتألف منها لشدة صغرها مع انها في حركة دائمة – تخطر ذهاباً واياباً ويحلُّ بعضها محل بعض وتجتمع في صور وامكنة ملائمة لاحوال الوسط المحيط بها وهذه الحركة حقيقية لا وهمية وهي تنتج تعباً تعقبهُ راحة كما في الاجسام الآلية . واول من ذكر تعب المعادن او تعب مرونتها اللورد كلفن ونسب غيرهُ الى الاجسام غير الحية اوصاف الاجسام

الحية مثل انحناء الزجاج مطاوعة للضغط ومقاومة الفولاذ للانسحاب مدافعة عن نفسهِ من الانقصاف وما اشبه ذلك. ومنهم من نسب اليها الذاكرة وآخرون نسبوا اليها المستيريا في كلامهم على انفعالات الاجسام المعرضة للمغنطيسية او بعض القوى الميكانيكية. واعترف علماء الفلسفة الطبيعية الذين بحثوا في مرونة الاجسام كلهم ما عدا واحداً منهم ان تأثير قوة خارجية في جسم ما يتوقف على القوى التي فعلت فيهِ قبلاً لا على القوة التي تفعل فيهِ الآن وحدها . حتى قال احدهم ان قطعة من سلك الحديد تتذكر ان كانت قد سحبت او فتلت او طرأ عليها طارئ آخر الى مدة محدودة ثم تنسى ذلك

على ان أبسط الطرق للحكم في حركة المادة ان نشاهدها حيث دقائق المادة حرّة تتحرك كيف شاءت . وذلك فيما اذا نظرنا بالمكرسكوب دقائق الغبار الطافية على وجه سائل من السوائل او نقط الزيت العائمة على وجه الماء . فاذا كانت تلك الدقائق او النقط صغيرة جداً ظهرت قلقة مضطربة لا تستقرّ على حال ولا تنقطع عن الحركة البتة وهذه الحركة تسمّى "حركة برون" نسبة الى العالم الانكليزي برون فانهُ كان اول من اكتشفها وذلك سنة ١٨٢٧

والذي يأخذ نقطة من ماء النهر او البحر وينظر اليها بالمكرسكوب يندهش من كثرة حركة الاحياء المكرسكوبية التي فيها ولكنهُ يرى دقائق اخرى دائمة الحركة والاضطراب وهي ليست اجساماً حية بل غبار معدني ودقائق اخرى غير آلية . ولالتباس حركتها بحركة الاحياء المكرسكوبية كثيرًا ما اخطأها الباحثون فظنوها نوعاً من الحيوانات او البكتيريا على ان الخبيرين يسهل عليهم التمييز بينها وبين الاحياء الحقيقية فان حركتها اشبه بخطران الرقاص اي انها حركة لا ينتقل الجسم المتحرك بها من موضعهِ بخلاف حركة الاجسام الحية وكلما زاد حجمها بطؤَت حركتها او قلّ حجمها أسرعت حركتها حتى يعسر تتبعها . وقد قال بعضهم ان تلك الحركة لا تتوقف على طبيعة الدقائق المتحركة ولا على شكلها ولا على طبيعة السائل الذي تعلق بهِ بل على قوامهِ او درجة لزوجتهِ فانها اسرع في الكحول والاثير مما هي عليهِ في الحامض الكبريتيك والجليسيرين مثلاً . ومن الادلة على ان تلك الحركة ليست حيوية وجودها في السوائل التي أُغليت وفي الحوامض وغيرها من السوائل القاتلة للاحياء . ومن اهم صفاتها دوامها وعدم انتهاء مدتها فان صخور الغرانيت تتضمن بلورات من الكوورتز وكانت كل بلورة من تلك البلورات تحتوي عند تكونها على نقطة ماء وفقاعة من الغاز ولا تزال تلك الفقاعة تتحرك حركتها الخاصة من العصر الناري الى الآن (اي منذ ملايين من السنين)

ولا يعلم سبب هذه الحركة . فقد قال بعضهم ان سببها اهتزاز الارض نفسها ولكن غيرهُ

اثبت وجود تلك الحركة حيث لم يظهر على مرآة الزئبق التي توضع في مقاييس الهزات والزلازل اقل اضطراب يدل على اهتزاز تحت الارض. ثم ان الحركة لم تزد عند اهتزاز الارض وظهور اثر الاهتزاز على المقاييس المذكورة ولم تتغير بتغير النور والمغنطيسية والمؤثرات الكهربائية وغيرها من الطوارىء الخارجية

اذا اخذنا قطعة من الكوارتز تتضمن غازاً ظهر لنا انها جامدة لا اثر للحركة فيها ولكن اذا نظرنا اليها بالمكرسكوب اتضح لنا ان جمودها وهميّ لا حقيقي . فاننا ننظر الى الجسم الذي امامنا كما ننظر الى جمهور غفير من الناس عن بعد — نرى مجموعهم ولكننا لا نرى كلاً منهم بمفرده ولا نشعر بحركته ولو كان ذلك المجموع متحركاً . فاذا نظرنا اليهم بالتلسكوب رأيناهم جمعاً مائجاً مضطرباً . وزد على ما تقدم ان دقائق الاجسام لا تقتصر على الحركة داخل الجسم الذي يتألف منها بل انها تنتقل من جسم الى آخر مطاوعة للمؤثرات الخارجية مثل الثقل والضغط والجذب والفتل والنور والكهربائية وما اشبه . فمن التجارب التي عملت للدلالة على انتقال دقائق المادة بالثقل والضغط انهم وضعوا قطعاً من الفلين في قعر اناء صغير من الخشب وقطعة من الشمع الاسود الذي يستعمله صناع الاحذية فوق الفلين وحصى صغيرة فوق الكل . وبعد مدة وجيزة انقلب ذلك الترتيب فهبطت الحصى الى الاسفل وارتفعت قطع الفلين الى الاعلى وقطعة الشمع بينهما

وجرَّب بعضهم التجربة الآتية وهي انهُ اتى باسطوانة صغيرة من الرصاص ووضعها على قرص من الذهب ووضع الاثنين في مكان درجة حرارته مثل درجة غليان الماء فبقيا جامدين لان الذهب يذوب على درجة ١٢٠٠ س والرصاص على درجة ٣٣٠ س . وبقيا على تلك الحال شهراً ونصفاً ثم فحص الرصاص فوجد ان دقائق الذهب بلغت راس اسطوانته . وأبان آخر انهُ اذا وضع قرص من النحاس وقرص آخر من الزنك معاً وضغطا ضغطاً شديداً التحما عند سطحيهما المتماسين وهذا ما لا يحدث اذا كانت دقائقهما لا تتداخل

فهذه الشواهد وغيرها تدل على وجود حركة مستمرة بين دقائق الاجسام غير الحية وان تلك الحركة ترس يقيها الطوارىء الخارجية حفظاً لها كما هي الحال في الاجسام الحية . وان الاجسام غير الحية قابلة للتغير والتأثر مثل الاجسام الحية بل قد تكون اشد تأثراً منها احياناً فان الزئبق في الترمومتر يرتفع او يهبط لاقل تغير في حرارة الهواء مما لا يشعر به جسم من الاجسام الحية

الباب الخامس

الاجسام الحية والبلورات

قلنا في كلامنا على خواص الاجسام الحية ان اهم تلك الخواص ثلاث الاولى ان لها شكلاً خصوصياً. والثانية انها قابلة للنموّ والتغذية . والثالثة انها قابلة للتوليد . ففي عالم الجماد نقصر كلامنا على الاجسام المتبلورة لانها في وحدها ذات شكل خصوصي دون غيرها فنقول

ان للجماد ميلاً ظاهراً الى اتخاذ اشكال بلورية اذا كانت القوى الطبيعية التي يخضع لها منتظمة في اعمالها غير عرضة للطوارىء الفجائية . وهكذا يقال في الاحياء فانها لا توجد الاَّ في وسط منتظم سالم من العوارض والغِيَر الطبيعية . والجسم الحيُّ يميل منذ ظهوره الى اتخاذ شكل خصوصي رغماً عن العوارض والمصاعب التي يلقاها في طريق نموّهِ فيضمد جراحهُ ويصلح ما يطرأُ عليهِ من الفساد . وهذه الامور تعدُّ في عين الفيلسوف الطبيعي اهمّ خواصِ الجسم الحيّ لانها ادلُّ الدلائل على وحدانيتهِ . وقد يتبادر الى الذهن انها خاصة حيوية محصورة في الاجسام الحية لا تتجاوزها الى غيرها ولكنها ليست كذلك لانها من خواصّ الاجسام المتبلورة ايضاً

ولبيان ذلك نذكر بعض الشيء عن تكوُّن البلورات واتخاذها اشكالاً خصوصية للمقابلة بينها وبين الاجسام الحية . ويراد بالشكل في النبات والحيوان وعلم البلورات تجمُّع دقائق الاجسام على نظام محدود او هو الترتيب بعينهِ. فجسم الانسان مثلاً بناء يحتوي على ٦٠ مليون مليون مليون خلية تجد كلٌّ منها مكانها معدًّا لها . ويراد بالشكل ايضاً في علم البلورات الترتيب الذي تظهر البلورات فيهِ . وربما كان تجمُّع عناصر البلورات ابسط من تجمع دقائق الاجسام الحية ولكن البلورات ليست اقلّ ترتيباً وانتظاماً من الاجسام الحية

اما اوجه الشبه بين الاجسام الحية والبلورات فمنها ان الشكل البلوري يعيّن نوع الجماد كما ان الشكل التشريحي يعيّن الحيوان والنبات. ومنها ان تشابه اشكال الحيوانات والنباتات تدلُّ على تشابه اصلها ونوعها وهكذا يقال في البلورات فان تشابه اشكالها يدلُّ على ما بينها من صلة القربى. ومنها ان انواع الجماد المتشابهة في تبلورها وتركيبها الكيماوي يمكن ان يحلَّ بعضها محل بعض في البلورة الواحدة عند تكوُّنها فتمتزج معاً وامتزاجها هذا يقابل تزاوج الاحياء التي من نوع واحد . ومن اهمّ اوجه الشبه بين الاحياء والبلورات دفاعها عن نفسها واصلاح ما يطرأُ عليها من الفساد . فمن المشهور ان الجسم الحيّ يرمّ جراحهُ ويستردُّ ما فقدهُ ويجدّد الاجزاء التي تزال منهُ . وهكذا تفعل البلورة . فقد ابان بعض الباحثين ان البلورات تكوّن

من نواة اصلية كما يتكون الحيوان من الجنين وان الاجزاء التي تتكوّن منها تجتمع طبقاً لقواعد هندسية وعلى مثال ما يجري في البيضة التي يتركّب منها جسم الحيوان . على انهُ قد يطرأُ على البلورة طارىءٌ في خلال تكوُّنها فتتشوَّه ولكنها تصلح ذلك كما شاهد باستور . فقد قال انهُ اذا كسر قسم من بلورة ثم أُعيدت الى السائل الذي تكونت منهُ اخذ حجمها يكبر من كلّ جانب وخصوصاً من الجانب المكسور ولا تمضي ساعات قليلة حتى يتمّ جبر الكسر وانتظامهُ على مثل ما كان عليهِ قبلاً

الباب السادس

تغذية الجسم الحيّ والبلورة

قالوا وأصابوا ان خاصة التغذية اهم خواص الاحياء ولكن في البلورات عملاً يشبه عمل التغذية . فان البلورة تنمو من نواة اصلية كما قلنا سابقاً تقابلها الجرثومة في النبات والجنين في الحيوان . واذا وضعت تلك النواة في سائل من نوعها نمت بتمثيل مادة السائل وهي محافظة على شكلها وقد تبلغ حجماً كبيراً اذا عرفنا كيف نغذيها . وكثيراً ما يحدث ان جزءًا جديدًا من البلورة يصير نواة تمتصُّ من السائل الذي حولها فيتألف منها بلورة جديدة ملاصقة للأُولى واذا رفعت من السائل توقفت عن النمو مثل بزور النبات حتى اذا أُعيدت اليهِ عادت تنمو وتكبر . ونموها يتوقف على حرارة السائل الذي هي فيهِ فاذا برد نمت واذا أُحمي ذابت . وهذا يشبه ما يجري في الاحياء من بعض الوجوه

وقد يتبادر الى الوهم ان بين الجسم الحيّ والبلورة تناقضاً تامًّا في كيفية التغذية والنمو فان الجسم الحيّ يتغذّى بالمداخلة[1] والبلورة بالملامسة . وذلك لان البلورة مؤلفة من سطوح لا تتخللها المواد المغذية وعليهِ يتم عمل التغذية فيها بالملامسة الخارجية ويزيد حجمها بالاضافة اليها من الخارج . اما الجسم الحيّ فعلى ضد ذلك فان المواد المغذية تتخللهُ بسهولة لانهُ مؤلف من خلايا ذات صور واشكال مستديرة مرنة فالسوائل والغازات التي تصيبهُ من الخارج تستطيع دخولهُ بلا استئذان فيتمّ عمل التمثيل في جميع اجزائهِ ويزيد حجمهُ بزيادة كل حجر في بنيانهِ

على ان هذا التناقض الظاهر يقلّ اذا قابلنا ما بين الجماد البسيط في تركيبهِ والجسم الحي المركّب . ثم ان المداخلة والملامسة ليستا سوى واسطتين ميكانيكيتين يلجأُ الجسم الحي اليهما

(1) هي ما تسمى بالانكليزية Intussusception ويراد بها اغتذاء الجسم الآلي بالمواد غير الآلية بادخالها فيهِ كما يراد بها ما اطلق عليهِ علماء الطب اسم اندغام الامعاء اي دخول بعضها في بعض

على السواء طبقاً لحاجتهِ بلا تمييز بينهما . فان عظام الجسم تتغذى وتنمو بالاضافة اليها من الخارج وكذلك اصداف الحيوانات ذوات الاصداف وفلوس الزحافات والاسماك كما هي الحال عليهِ في البلورات . فالمداخلة والملامسة اذا واسطتان ميكانيكيتان لهما علاقة بالصفات الطبيعية التي للاجسام الحية والبلورات وهي الجمود في البلورات والخثور في البروتوبلازم . واذا قابلنا السائل غير الآكلي بالمادة الخاثرة الآكلية رأينا ان ما يضاف الى كليهما يتمّ امتزاجهُ بالمداخلة . مثال ذلك اننا اذا اضفنا نوعاً من الاملاح التي تذوب الى سائل ما تداخلت دقائق الملح في دقائق ذلك السائل . وعليهِ فليس في المداخلة امر جوهريّ خفيت حقيقتهُ على الافهام

الباب السابع

تولّد الحي والجماد . التولّد الذاتي

الحيّ انما يتولّد من الحيّ . والبروتوبلازم الذي فيهِ انما هو جزء من بروتوبلازم سابق لهُ والعناصر التي يتركب منها مسلسلة عن عناصر حيّ قبلهُ خلفاً عن سلف . ومثل هذا يقال في بعض البلورات فانها تتولد من بلورات سابقة وعليهِ يمكن ان تعدّ بمثابة نسل لها

هذا وان النموّ في الحيّ ناموس الحيوية الاساسي والتوليد النتيجة اللازمة عن النمو . والخلايا الحية لا بدّ ان تزيد وتتضاعف . ففي الاحياء البسيطة يتمّ التناسل بالانقسام او التجزوء . وفي الاحياء المركبة يتم باعضاء خصوصية . وربما ظهر ان ذلك مقصور على الحيّ دون الجماد وان التناسل او التوليد خاصة من خواص الحيّ يمتاز بها على الجماد . ولكن ذلك ليس كذلك كما يظهر مما يأتي

اذا اراد المشتغل بتربية المكروبات ان يربي نوعاً منها وضع بعضها في سائل التربية فنمت واثرت . واذا اراد تربية نوع من المكروبات التي توجد عادة في الهواء لم يضطرّ ان يضع شيئاً منها في السائل بل اذا ترك انبوبة السائل مفتوحة وقعت المكروبات عليهِ وتولدت فيهِ وتكاثرت وتولدها هذا يشبه ان يكون ذاتياً . وقد ابان بعض العلماء الطبيعيين ان بعض السوائل مثل محلول كبريتات الصودا وكبريتات المغنيسيا وكلورات الصودا تصلح لتربية بعض انواع البلورات . فالشبه بين الامرين ظاهر الاَّ ان هناك فرقاً مهماً وهو ان البلورات تتولد بسرعة عظيمة بخلاف المكروبات فانها تتولد ببطء

ومن اوجه الشبه بين الاثنين انهُ يمكن تلقيح سائل بالبلورات كما يمكن تلقيح سائل آخر بالمكروبات وان البلورات شديدة الصغر في حجمها مثل المكروبات . وقد قسمت السوائل التي

تذاب فيها الاجسام القابلة للذوبان الى قسمين قسم يبقى سائلاً لا يتبلور الاّ اذا لقح بالبلورات وقسم يتبلور من ذاتهِ بلا ادخال شيء اليهِ وهذا ما يسمى بالتبلور الذاتي وهو يشبه ما يسمى بالتولد الذاتي في الاحياء . خذ مثالاً لك الغليسرين فاننا لا نعلم ما هي الاحوال والشروط التي يتبلور فيها لاننا اذا بردناهُ لم يتبلور بل تحوَّل الى سائل كثيف على ما هو معلوم . وكل ما نعلمهُ عنهُ انهُ يتبلور ولكن تحت شروط واحوال نجهلها . ولم تكن بلورات الغليسرين معروفة قبل سنة ١٨٦٧ بل عرفت فجأة تلك السنة وقد ظهر بالتجربة انها تذوب على درجة ١٨ من ميزان سنتغراد فاذا لم تتخذ التدابير اللازمة لبقاء البلورات الموجودة منها الآن على تلك الحرارة ذابت كلها وانقرضت عن وجه الارض

فيظهر مما تقدم ان الجماد يشابه الحيّ مشابهة كثيرة في ظهورهِ وانتشارهِ وانقراضهِ . وهذه الامور تفضي الى نتيجة واحدة . فقد كانت البلورات قبل اجتماع الشروط والاحوال الملائمة لتولدها الذاتي تتولد من بلورات اخرى ليس الاّ كما ان المغنطيس كان يعمل قبل اكتشاف المغنطيسية الكهربائية بامرار المغنطيس على قطع الفولاذ . وعلى هذا المنوال كان القدماء يزعمون ان كلّ نار جديدة كانت تضرم من شرارة قبست من نار موجودة قبلاً . وما قالهُ القدماء في النار نقولهُ نحن الآن في الاحياء الارضية وهو انهُ ما من حيّ الاّ وقد اشتقّ من حيّ آخر موجود قبلهُ . ولا يبعد ان نرى الحي يتولد من غير الحي كما تتولد النار من غير النار

فلسفة الحرب الحاضرة

ونبذة من تاريخ اليابان

نشرت المجلة العمومية الفرنسوية فصلاً عظيم الفائدة عن الحرب الحاضرة فاخترت تعريبهُ لانهُ يشتمل على الاسباب التي حملت اليابان على امتشاق الحسام ومنازلة الروس في حرب عوان لا يعلم الاّ الله متى يكون منتهاها قالت

يخطئُ من يظن ان اليابان انما شهرت الحرب على روسيا لمجرد امتلاك كوريا فان السبب الاعظم في اقدامها على هذه الحرب هو ان تقدمها السريع في جميع فروع المدنية اضطرها ان تطلب خارج الجزر اليابانية الضيقة مكاناً فسيحاً يسعها وهي تبني بناء تمدنها وعمرانها لان

الشعب الياباني الذي اخذ يرتقي منذ ثلاثين سنة رأى نفسهُ محصورًا في بلادهِ وعليهِ يصح القول ان تقدم اليابان السريع اولد تلك الحرب

هذا ولم يسبق في تاريخ البشر ان امة خرجت في ثلاثين سنة من حضيض الجهل والفتن وتفضت عنها غبار الذل والمسكنة واقتدت باوربا فنظمت بلادها تنظيماً يضارع تنظيم اعظم البلاد المتمدنة حتى فاقت البعض منها بمراحل. بل لم تنظر في اي تواريخ من التواريخ ان امة نظمت جنديتها تنظيماً بديعاً وانشأت لنفسها عمارة بحرية ضخمة وفتحت المدارس في بلادها على اختلاف طبقاتها ونزعاتها و بلغت ما بلغتهُ اليابان في تلك المدة القصيرة حتى استطاعت الآن ان تقف في وجه اعظم دول الارض جاهاً وعزة وضخامة

في ثلاثين سنة انتقلت بلاد اليابان من استبداد القرون الوسطى التي كانت اوربا غارقة في لجحهِ الى ارقى تمدن حديث اي ان فلاحاً يابانياً عمرهُ الآن ستون سنة راى مالم يرهُ آباؤنا اي انهُ قضى شبابهُ كخادم حقير عاش في ايام شارلمان وشاخ بين الافكار والعادات الحديثة . ان هذا لشيءٌ عجاب

فان الجزر اليابانية كانت من مدة سبع وثلاثين سنة قائمة في وجه الشعوب الاوربية كارضٍ مضى عليها عشرون قرناً وهم لايعلمون من امرها شيئاً وكانت احوالها الداخلية تشبه احوال اوربا في زمن استبداد الامراء لان سلطة الامراء كانت في اليابان عظيمة وكان الاجانب يستوطنون بعض الثغور البحرية و يعيشون بمعزل عن البلاد الداخلية لان تكرر المذابح والثورات علمهم ان عاقبة التوغل في داخلية البلاد وخيمة حتى انهُ كان يهون على الانسان ان يسكن الصين ولا يسكن اليابان

فلم نسمع الا وثورة عظيمة قلبت نظام البلاد رأساً على عقب وغيرتهُ تغييرًا كلياً ذلك لان بعض اليابانيين وجدوا لداء بلادهم المستعصي دواء شافياً فقلبوا نظامها المختل وابدلوهُ بنظام جديد يشبه نظامات الغرب الحديثة فجاراهم امبراطورهم الحالي "موتسوهيتو" وغيّر وبدّل ونبذ تقاليد البلاد القديمة واقتبس من مدنية الغرب ما تمكن بهِ من انشاء مملكة عظيمة. منذ ذلك الحين سقطت اليابان القديمة وسقط معها نفوذ امرائها وهم في سبات وغفلة لا يعلمون معنى لهذا التغيير الفجائي . فاعلنت اذ ذاك مساواة اليابانيين جميعهم امام القانون واعلنت معها الحرية الشخصية وصار الامبراطور يحكم بمشورة برلمان او مجلس نواب ينتخب من افراد الامة وفتحت الثغور البحرية كلها في وجوه الاجانب وانتقلت عاصمة المملكة الى توكيو رسمياً . ذلك كلهُ جرى في بضعة اشهر ليس الا

فاهتمَّ اليابانيون بعد الثورة باصلاح البلاد لان الحكومة الحديثة تستلزم بلاداً احدث منها والحق يقال ان التفنن الغريب الذي اظهرهُ اليابانيون في هذا المجال يحير عقول ذوي الالباب ويقفي بالعجب العجاب . فضربت النقود وتأسست البنوكة وانتشر التعليم الصناعي ومد التلغراف والتلفون والسكك الحديدية والزراعية وانشئت المدارس والمجلات العلمية ونظمت البلاد وصار لها بوليس هو الآن في غاية من المهارة بل يضارع بوليس فرنسا والمانيا في الحذق والاستنباط

مدَّت السكك الحديدية اولاً بين طوكيو ويوكوهاما وذلك سنة ١٨٧٠ فربط بها اعظم ثغر لليابان بعاصمتها وبلغ طول الخط جميعهِ ٢٨ كيلو متراً . وفي سنة ١٨٨٠ كان طول سكك الحديد اليابانية ١١٧ كيلو متراً فبلغ ٣٠١٠ كيلو مترات سنة ١٨٩٠ و ٦٠٨٠ كيلومتراً سنة ١٩٠٣ وهذه الزيادة عظيمة مدهشة . وكان في البلاد سنة ١٨٦٨ خط واحد للتلغراف بين طوكيو ويوكوهاما وفي سنة ١٨٩٣ بلغ طول اسلاك التلغراف ١٣٥٧٦ كيلو متراً وفي سنة ١٩٠٣ بلغ عشرين الفاً وهذا التقدم سريع عظيم . ولم يكن للبوسطة الرسمية اثر في اليابان منذ ثلاثين سنة اما الآن ففيها الوف من المكاتب على غاية من الضبط والنظام

وعلى قدر ما كانت اليابان تتقدم في المدنية والاصلاح كانت لا تألو جهداً في تنظيم جنديتها وبحريتها والاقتداء بالدول الاوربية وخصوصاً فرنسا والمانيا مطمح انظارها ومقصد افكارها . فانشأت جيشاً عاملاً مؤلفاً من مئتي الف جندي ورديفاً يبلغ مئة الف جندي والغرض منهُ مساعدة الجيش العامل في الحرب . ومئة الف جندي من الجيش الاحتياطي يجمعون عند مسيس الحاجة . وفيها غير الجيوش المتقدمة ٤٦ اورطة من الطوبجية وتسعون الف جواد عدا المستشفيات والخدم والنقالين والحمالين . اما من جهة البحر فان التغيير عظيم ايضاً لان اليابان اشترت من اوربا ٧ بوارج حربية من الطبقة الاولى و ٧ مدمرات مصفحة على احسن طرز وابدع مثال و ١٧ بارجة حربية و ٣٠ نسافة هذا عدا كل ما زاد من البوارج والدوارع بعدئذٍ وهو كثير فدخلت اليابان بذلك في مصاف الدول البحرية العظمى

واغرب من هذا وذاك دقة الياباني في العمل ومهارتهُ في الاختراع والاستنباط بحيث لايمكن الاوربي ان يفوق عليهِ كثيراً . فالصناعة التي كان لايذكر لها اسم عندهم نمت ونقوت وعظمت الى حدّ ان معملاً واحداً في طوكيو باع من الحرير في سنة واحدة ما بلغ ٢٥ مليون فرنك ولما كانت اليابان مجموع جزائر كان عليها ان تزيد عدد بواخرها تسهيلاً للتجارة ففي سنة ١٨٩٠ كان عندها ٨٥٥ سفينة شراعية و ٥٨٠ باخرة فصار عندها في سنة ١٩٠١

اربعة آلاف سفينة شراعية و ١٤٠٠ باخرة فيالعظمة ذلك النمو في هذه المدة القصيرة

اما نتيجة هذه النهضة فكانت هكذا : ان اليابان انتصرت على الصين وكوريا في حرب منظمة واتحدت مع اعظم دولة بحرية في الغرب وزادت تجارتها الخارجية زيادة خارقة للعادة ففي ١٨٩٠ قدرت تجارة اليابان الخارجية بمبلغ ٣٥٠ مليون فرنك فبلغت عام ١٩٠٢ مليارًا و ٣٥٠ مليونًا اما اشغالها الداخلية فعظيمة ايضًا ويكفي شاهدًا لذلك ان نقول ان بنكًا واحدًا من بنوكة يوكوهاما دفع الى احد عملائهِ تحويلاً بالتلغراف بمبلغ ٧ ملايين ونصف مليون فرنك

ولكن هل تقدمت تلك البلاد هذا التقدم الباهر في جميع فروع المدنية دون ان يكلفها ذلك شيئًا . كلا فمن جهة زادت نفقات الجند زيادة عظيمة وتضاعف دينها وازدادت الضرائب وحب الاستخدام في دوائر الحكومة الى غير ذلك مما هو مشاهد في حكومات الغرب الكبيرة . ولكن هناك خطرًا عظيمًا يكبر يومًا فيومًا ويهدد حياة تلك الدولة الشابة الممتلئة دمًا وقوة وشعورًا ذلك ان مساحة الجزر اليابانية كلها تكاد تبلغ ٣٨٢ الف كيلومتر والذي يمكن زرعهُ منها ٥٠ الفًا فقط فاذا كان ازدياد السكان سنويًا يقدر بخمسمائة الف نسمة تعذر على تلك الجزر ان تقوم بمعيشة شعب يبلغ عددهُ ستون مليونًا بعد عشرين سنة فاصبح من المقرر الواجب على اليابانيين ان يهاجروا من بلادهم لطلب الرزق في بلاد اخرى حيث يستطيعون توسيع دائرة اشغالهم واعمالهم بفتح السبل في وجه تجارتهم وصناعتهم . فاذا سلمنا بوجوب المهاجرة فالى اي بلاد يهاجر اليابانيون

والجواب ان الياباني يطلب الشرق الاقصى برمتهِ من سنغافورة الى فلادفستوك والهند الصينية ضمن هذه الدائرة الواسعة . ورب قائل يقول ان تحقيق الاحلام اهون من تحقيق آمال اليابانيين فنقول ان اليابان كبرت الى حد صارت معهُ المهاجرة محتمة عليها لان المواليد تزيد سنة بعد سنة زيادة عظيمة تضطر الياباني الى تحصيل رزقهِ في غير جزرهِ الضيقة واذا علمنا انهُ يدين بدين الامم التي يحاول المهاجرة اليها ويتكلم بلغات تلك البلاد التي يريد الانضمام اليها سهل عليهِ هذا الاستعمار وهذا التوسع خصوصًا بعد ان ملكت اليابان زمام التجارة والصناعة في جميع الشرق الاقصى وضربت مصالح اوربا جمعاء بحروب مدنية لا تلبث ان تعود عليها بالفوائد خصوصًا بعد ان رأينا منها هذه العظمة وهذا التقدم في كل فن من الفنون

بيد انها لم تخط خطوة في هذا السبيل الا رأت امامها ان الجنس الابيض يناشبها حربًا عوانًا ويدافع عن مصالحهِ مدافعة اليائس لان اوربا واميركا تبيعان معًا للشرق الاقصى كل

سنة باحد عشر مليارًا من الفرنكات مخافتا ان تحل اليابان محلها في تلك الاسواق العظيمة بعد ان صارت الآن في غنى عن محصولاتهما لانها تكفي نفسها بنفسها وتزيد وتزاحم بضائع غيرها لرخص هذه البضائع عندها وهذا ناشئٌ من رخص اجور العمال في مصانعها . فتعذر اذ ذاك على اوربا واميركا منازلتها في حروب تجارية مثل هذه حتى اوشكت تجارتهما ان تبور في تلك الاصقاع

وظلت الحال على هذا المنوال منذ سبع سنوات واوربا تحسب لليابان حسابًا عظيمًا لحرمتها الانتفاع بنصرتها التي احرزتها على الصين وردتها داخل بلادها من غير ان تنال شبر ارضٍ من عدوتها وخصيمتها فسكتت اليابان لهذا الفشل وكانت لاوربا من جهة اخرى الصاع صاعين فطردت وكلاء المحلات الاوربية التجارية الذين عندها بان زادت الضرائب على بضائعهم فلما وجدوا ان لا باب لهم للربح بهذه الطريقة غادروا البلاد . وعجلت في اصلاح جيشها وتكبيره واعداد بحريتها وجابت بحار الشرق الاقصى كلها طلبًا للاتجار فهددت تجارة اوربا وزادت مهاجرة ابنائها لجميع السواحل الصينية والكورية خصوصًا

بمثل هذا ظنت اليابان انها انتقمت من اوربا انتقامًا هائلاً . ولكن " ما كل ما يتمنى المرء يدركه " فان سكة حديد سيبيريا التي لم يحلم اليابانيون بها قط اظهرت لهم ان اوربا قريبة منهم تهددهم تهديدًا عظيمًا لاسيما اذا تمكنت من ابتلاع منشوريا وكوريا والاشراف على البحر . منذ هذا الوقت تقررت الحرب واصبحت امرًا واجبًا لا بدَّ منهُ لان آمال اليابان واشغالها المتواصلة باتت مرتبكة وبلادها على شفا جرف هارٍ

اما الآن فلا يفكرن احد في ان الحرب الحاضرة هي بين روسيا واليابان فقط وان كوريا هي سببها . كلاّ فهي حرب بين جنسين الجنس الابيض والجنس الاصفر لاحتكار اسواق الشرق الاقصى والتوسع في المهاجرة والاستعمار فان فازت روسيا على اليابان فانما هي تشتغل لمصلحتها اولاً ولمصلحة اوربا ثانيًا . وان فازت اليابان عليها كان لها من وراء ذلك فوائد جمة تجعلها بعد زمن في غنى عظيم وعزٍ مقيم

طنطا　　جوزيف دهان

خطبة الوزير بلفور

(رأس الوزير بلفور مجمع ترقية العلوم البريطاني الذي التأم في اواسط اغسطس في مدرسة كمبردج الجامعة وخطب فيهِ خطبة انيقة جعل موضوعها "تأملات مبنية على الرأي الجديد في المادة" وهو الرأي الذي بسطناهُ منذ بضعة اشهر ومفادهُ ان جواهر المادة التي كان يقال انها جواهر فردة او اجزاء لا تتجزأ مؤلفة من دقائق كهربائية صغيرة جداً فالكهربائية اصل المادة او الهيولى . وهذا تعريب الخطبة)

ان هذا المجمع يلتئم غالباً في المدن المزدحمة بالسكان حيث تتذكر شدة ارتباط العلم الحديث بالصناعة الحديثة اذا جاز لنا ان ننسى ذلك اي ارتباط المباحث المجردة التي يشتغل بها رجال العلم باعمال المخترعين والصناع . وهذا امر لا بدَّ منهُ لانهُ لا يمكن نفي الارتباط التام بين العلم والعمل ما لم يُضرَّ الاثنان معاً ومن يستخف بما يستفيدهُ كلٌّ منهما من الآخر فليس هو بالصديق الحميم لهذا ولا لذاك

ولكن قد أُنشىء هذا المجمع لترقية العلوم فيحسن ان يختار لا لتئامهِ من وقت آخر مكان تتجه العناية فيهِ الى المباحث العلمية المجردة اكثر مما تتجه الى تطبيقها على العمل . وان كان الامر كذلك فلا مكان اصلح لهُ من دور هذه المدرسة القديمة الجليلة لانهُ ان كان للمكتشفات الطبيعية مقرٌّ فمقرها هنا وان كان للذين يعتقدون ان العلم الطبيعي هو علم العلوم واصلها دارٌ ترحّب بهم فهنا تلك الدار. وان لم اكن مخطئاً بتعرضي للمدرسة التي ربيتُ فيها فليس في المعمور بقعة مثل هذه اتصل بها بالدرس او بالتدريس عدد عديد من المشاهير الذين اكتشفوا الحقائق الطبيعية المفيدة . لا اقول شيئاً عن باكون نبيّ العصر الجديد ولا عن دارون كوبرنكس علم الحياة لان بحثي ليس في ما اضافتهُ هذه المدرسة الى العلوم بنوع عام بل في ما اضافهُ العلماء الطبيعيون الذين تعلموا او علّموا على رمية سهم من هذا المكان — من نيوتن في القرن السابع عشر الى كفنديش في الثامن عشر وينغ وستوكس ومكسول في التاسع عشر وكافن الذي يستحق عصرهُ ان يسمى بهِ الى رايلي ولارمور وطمسن وجمهور العلماء الذين معمل كفنديش مركز حلقتهم وآراؤهم العلمية تجعل اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن مثل اشهر القرون السالفة

وما هو البحث الذي عكف عليهِ هؤلاء الافاضل ورصفاؤهم من كل البلدان والى اي غاية كانت ترمي مباحثهم الطبيعية التي اشرتُ اليها . فقد طالما قيل ان غرضهم كشف

النواميس التي تربط الظواهر الطبيعية بعضها ببعض · ولكن هذا القول لا يُعرِب عن الحقيقة ولا هو وافٍ بالمراد فاولاً لا يصحّ ان يطلق اسم الظواهر على الامور التي لا تظهر لمخلوقات مشاعرهم ضعيفة مثل مشاعرنا ولم تظهر قط ولن تظهر ابداً · وهذا الخطأ لغوي راسخ يتعذَّر اصلاحهُ فاذا غضضنا الطرف عنهُ وجدنا خطأً آخر وهو ان اكتشاف النواميس الطبيعية هو كل ما يُطْلَب من البحث في الطبيعة · فان العالِم الطبيعي يطلب شيئاً آخر وراءها يحدث مع الظواهر ويتلوهُ من النتائج · يطلب شيئاً وراء النواميس التي تربط الحوادث الطبيعية وغرضهُ معرفة ما لهُ وجود طبيعي حقيقي اي معرفة الحقيقة الطبيعية وهذه الحقيقة قد يمكن ان تُدْرَك وقد يمكن ان لا تُدرَك ولكنها مستقلة عن الادراك وبها يقوم نظام العالم المادي الذي اتصالنا به طفيف جدًّا ولا يعتمد عليهِ . اما انهُ يُوجد شيءٌ لهُ وجود حقيقي فامر يعتقدهُ العلماء ولو انكرهُ الفلاسفة واذا فرضنا المحال وقلنا ان الانتقاد ينفي هذا الاعتقاد فالعلم كما يفهمهُ العلماء يزول ايضاً ولا يبقى لهُ وجود

وان كان الامر كذلك وان كان من اغراض العلم ولاسيما العلم الطبيعي ادراك العالَم الطبيعي في حقيقتهِ اي ادراك الحقيقة التي لها وجود حقيقي فيهِ فالمقابلة بين الصور العقلية المختلفة التي صُوِّرت بها هذه الحقيقة في العصور المختلفة ينبّه الذهن الى مسائل على غاية الاهمية · نعم انهُ لا يحقّ لي ان ابحث في ما كان من هذه المسائل فلسفيًّا محضاً لان المجمع ليس فلسفيًّا ولا يحقّ لي ايضاً ان ابحث في ما كان منها علميًّا محضاً لاني لست كفوءًا لذلك ولكن من هذه المسائل ما يقع بين بين ويحمل العالِم الطبيعي والفيلسوف المنقطع للفلسفة على التساهل لمن يعتدي على حرميهما مثلي كما سافعل في الدقائق التالية

ومرادي الآن ان اقابل بين صورتين من هذه الصور الاولى منهما تمثّل الآراء التي كانت متغلّبة في اواخر القرن الثامن عشر بعد ظهور كتاب المبادىء الذي وضعهُ نيوتن باكثر من مئة سنة وذاك الوقت متوسط بين ظهور ذلك الكتاب وبين عصرنا الحاضر · واظن انهُ لو سئل جمهور العلماء حينئذٍ ان يصفوا العالم الطبيعي كما يبدو لهم وكما يعتقدونهُ لقالوا على الراجح انهُ مؤلف من عناصر مختلفة ذات ثقل لها تراكيب كثيرة منتشرة في الفضاء تظهر على صور مختلفة بفعل الالفة الكيماوية والحرارة · ومهما اختلفت صورها فهي خاضعة لنواميس الحركة ومادتها لا تتغيَّر وهي تجذب وتنجذب من كل الجهات حسب ناموس الجاذبية العام مهما كانت الابعاد . وقد يضيفون الى هذه المادة ذات الثقل شيئاً لا ثقل لهُ وهو الحرارة وكانت تحسب حينئذٍ بين العناصر ويضيفون ايضاً سائلين هما السائلان الكهربائيان والذرات التي يتألف النور منها

وكان العلماء يتصورون ان الافعال تنتقل من مكان الى آخر من غير موصل ولم يكن احد يحلم حينئذٍ بما يقال لهُ حفظ القوّة . وقد بحثوا في الكهربائية والمغنطيسية بحثاً مهماً ولكنهم لم يعلقوا عليهما شأناً كبيراً ولا اضطرّوا الى فرض وجود الاثير لتكميل نظام الكون

ولكن حدث في ذلك الحين ما كان سبباً لتغيير عظيم في آراء الناس فان ينغ فتح باب المناظرة التي ادّت اخيراً الى اثبات مذهب امواج النور والى الاعتقاد بوجود مادّة بين الكواكب لايصال هذه الامواج . ولا يقتصر ذلك على اثبات مذهب صحيح ونقض مذهب فاسد بل يتناول امراً آخر وهو ادخال عنصر جديد شامل في صورة العالم على ما كان يتصورها العلماء حينئذٍ . وهذا العنصر الجديد غيّر كل الآراء القديمة ولا يزال يغيرها . فان نظام الكون حسب مذهب لابلاس يكفيهِ ان يكون الفضاء واسعاً الى غير نهاية والشموس واقمارها منتشرة فيهِ على ابعاد شاسعة بعضها تام التكوين وبعضها لا يزال آخذاً في التكوّن ولكن اذا كان الفضاء غير المتناهي مملوءاً بمادة متصلة الاجزاء فالحال تختلف تمام الاختلاف ولا بدّ من ان يستدل منهُ على امور اخرى لانهُ لا يمكن ان يظن ان هذا الاثير ان كان موجوداً حقيقة فهو انما وجد لكي يوصل الى عين الانسان الامواج التي اتفق انها تؤثر في عصب البصر . فقد فرض وجودهُ لهذه الغاية ولكن يستحيل ان يكون وجودهُ مقصوراً عليها ولذلك فالاشياء التي تمتاز بعضها عن بعض من حيث الشعور بها كالنور والحرارة والاشياء التي لا تؤثر في المشاعر مثل الامواج الكهربائية في التلغراف الذي لا سلك لهُ تختلف اختلافاً جوهرياً في الكم لا في الكيف كما هو معلوم الآن

وهذا ليس الكل ولا يداني الكل فاننا اذا فتنا القرن الذي يفصل سنة ١٨٠٤ عن سنة ١٩٠٤ وحاولنا رسم صورة العالم كما يتصورها بعض قادة الافكار الآن نجد انها تغيرت عما كانت عليهِ ولم يقتصر تغيرها على الاكتشافات الواسعة النطاق كالرأي الجوهري وتألف المادة من الدقائق وحركة دقائق الغازات ونواميس حفظ القوة وتوزعها بل تناول ما هو اهم من ذلك كثيراً تناول المقام الذي عرف للكهربائية والاثير في كل ما يدل على الحقائق الطبيعية التي يمكن البلوغ اليها

فقد كانت الكهربائية في نظر الفلاسفة الطبيعيين سنة ١٧٠٠ سبباً خفياً لبعض الظواهر الطفيفة وعرف حينئذٍ بل منذ عهد قديم ان بعض المواد كالكهرباء والزجاج تفرك فتصير تجذب الاجسام الخفيفة التي تقرّب منها . وبعد نحو خمسين سنة عرف فعل الكهربائية في الصواعق وبعد نحو مئة سنة من التاريخ الاول عرف انها تجري كالسائل وبعد مئة وعشرين سنة

منهُ عرف ان لها علاقة بالمغنطيس وبعد ١٧٠ سنة عرف ان لها علاقة بالنور والاشعاع الاثيري

والآن قام اناس يقولون ان الاجسام التي نراها بعيوننا ونلمسها بايادينا انما هي ظواهر حقيقتها الكهربائية وان الدقيقة التي كان الكيماويون يحسبونها جوهرًا فردًا او جزءًا لا يتجزأ انما هي مجموع من الدقائق الصغيرة وهذه الدقائق ليست مادة مكهربة بل كهربائية محضة وكلُّ مجموع يختلف عن غيرهِ في عدد ما فيهِ من دقائق الكهربائية وفي ترتيبها فيهِ ونسبة حركتها بعضها الى بعض والى الاثير وعلى هذه الاختلافات وحدها تتوقف الخواص التي يمتاز بها ما كان يسمَّى حتى الآن بالجوهر الفرد او بالجزء الذي لا يتجزأ . والجوهر الفرد خاضع لناموس التغيرُّ الشامل لكل ما في السماء والارض ولو كان تغيرُّهُ بطيئًا جدًّا يقتضي من الدهور ما لا يحسب معهُ الزمن الفلكي اللازم لبرد شمس من الشموس شيئًا مذكورًا

فان كانت المادة مجموعًا من الجواهر الفردة وان كان الجوهر الفرد مؤلفًا من الدقائق الكهربائية فما هي هذه الدقائق . قد تكون كما ارتأى الاستاذ لارمور تغيرات في الاثير اشبه بالعقد في مادة متصلة الاجزاء لاتنضغط ولا تتمدد . وسواء صح ارجاع المادة الى هذه الدقائق والوقوف عندها او لم يصح فهذه الدقائق غير منفصلة عن الاثير وتتوقف خواصها على اتصالها بهِ ويستحيل ان تكون كهربائية والاثير غير موجود

حقًّا ان هذا التغير عظيم جدًّا فمنذ مئتي سنة كانت الكهربائية العوبة علمية وهي الآن اصل المادة وجوهرها في نظر جمهور كبير من العلماء . ولم يثبت ان الاثير من عناصر الكون الأ منذ مئة سنة ومن المحتمل الآن ان يكون هو العنصر الذي يتألف الكون منهُ . ويترتب على ذلك امور في غاية الغرابة فقد كان يظن ان حجم الجسم شيءٌ ثابت لا يُعلَّل ولا يتغير مهما تغير جرم الجسم فلا يزيد ولا ينقص ومهما تجزأ فلكل جزء منهُ خواص الجسم كلهِ المادية مهما تغير ذلك الجزء شكلاً وجرمًا وتغيرت صفاتهُ الكيماوية والطبيعية

ولكن اذا ثبت ما تقدَّم عن حقيقة المادة فحجمها قابل للتعليل وقد علل فعلاً وهو ليس خاصةً من خواصها بل عرض عام ناتج عن النسبة بين الدقائق الكهربائية التي تتألف المادة منها وبين الاثير الذين يحيط بها . وهو دائم التغير بحركتهِ السريعة

ثم انا نعلم الرأي المشهور الآن من حيث اصل الشموس وسياراتها ونفاد القوة منها في شكل النور والحرارة وان الشموس المشرقة الآن هي في منتصف عمرها بين كونها سديمًا نشأت منهُ وبين الظلمة المدلهمة التي تصير اليها اخيرًا حينما تنفد القوة منها وتصير الى برد قارس . وان الشموس التي انقضى اجلها كذلك صارت في حالة السكون التام عناصرها جامدة لاتتحرك

و يستحيل عليها ان تعمل عملاً كيماويًا . ولا سبيل لها لتسترد شيئًا من القوة التي فقدتها ما لم يصدمها جرم سماوي او تنتقل الى فضاء تسخنهُ شموس اخرى .

ولكن اذا سلمنا بالمذهب الكهربائي تغيَّر كل ذلك لان ما يزول من قوة الدقائق المؤلفة منها الشموس بتحوُّلها الى حرارة اما بالتقلُّص بفعل الجاذبيةاو بالتفاعل الكيماوي او بقوة اخرى تفعل بين دقائق المادة وتبدُّد الحرارة في الفضاء الواسع على مر الزمن كل ذلك لا يزيل القوة كلها من دقائقها بل ان المقدار الذي يزول منها شيء طفيف جدًّا بالنسبة الى ما يبقى مخزونًا فيها فالجسم كلهُ تضعف قوتهُ ولكن القوة المذخورة في دقائقهِ لا يزول منها شيء بل يقيم بعضها مع بعض ساكنًا غير متحرّك ويكون في كلّ دقيقة منها من القوة الداخلية ما لا نفاد لهُ

ثم هب ان احد علماء الفلك كان يرقب الكواكب فرأى كوكبًا منها انبثق النور منهُ بغتةً واشتعل واستحال الى غاز يضيء مدة ثم ينطفئ فانهُ يدهش لهذا الحادث العظيم ولكن الدقائق التي تتكوَّن جواهر ذلك الكوكب منها تبقى على حالها وتبقى القوى التي تربطها بعضها ببعض غير مثلومة . والقوة العظيمة التي تزول من الكواكب باشتعالهِ لا تحسب شيئًا مذكورًا في جنب القوى الكامنة بين دقائق جواهرهِ

والقوى التي نعلمها ونبني حسابنا عليها هي اضعف القوى الطبيعية . وما الالفة الكيماوية وقوة التماسك التي تلتصق بها الجواهر بعضها ببعض سوى اثر طفيف من القوة الكهربائية التي تحفظ الدقائق من التجزوء . والجاذبية العامة التي تنقلص بها المواد السديمية فتتكون منها الشموس وسياراتها انما هي شيء طفيف بالنسبة الى قوتي الجذب والدفع اللتين بين الاجسام المكهربة وهاتان القوتان طفيفتان جدًّا بالنسبة الى قوتي الجذب والدفع اللتين بين الدقائق الكهربائية المؤلفة منها الجواهر . وحركات جواهر المادة التي تسبب الحرارة وعليها تتوقف الحياة وبها تتعلق اكثر الاعمال الصناعية في العصر الحاضر لا تُعدُّ شيئًا مذكورًا في جنب حركات الدقائق الاصلية التي تتألف منها الجواهر . والظاهر ان حركات الدقائق هذه بعيدة عن ان يصل اليها استعمالنا لاننا عائشون على الحد الموصل اليها ولا امل لنا باستخدامها يومًا ما فلا تدير معاملنا ولا تجرُّ مركباتنا ولكنها لا تقصر عن ان تنبه عقولنا فان السماوات العلى قد راعت الناس وراقتهم من قديم الزمان فاعجبوا بها وعبدوها ولكن اذا كان التراب الذي تحت اقدامنا مؤلفًا من عوالم لا تعدُّ ولا تحصى عناصرها في حركة دائمة فائقة السرعة ومع ذلك مرَّت الدهور وستكرُّ العصور ويبقى توازنها على حالهِ فغرائب ما نراهُ بعيوننا من حركات اجرام السماء

ليست اعجب من غرائب ما اراناهُ العلم الطبيعي حديثاً ولو بعين الاستنتاج

وسواءٌ ثبتت هذه الصورة التي رسمتها لكم رسماً غير جلي او زالت في دورها كما زال غيرها من صور الكون ورُسمت صورة اخرى بدلاً منها على السجل العلمي فكلنا يسلّم ان محاولة توحيد الطبيعة كما هو جارٍ الآن لمما يروق للعقول و يسرُّ بهِ المرء كما يسرُّ اذا صعد في عقاب شاقَّة ثم اطلَّ على سهل فسيح الرحاب تتخلَّلهُ الانهار وتتاخمهُ الهضاب . ولا اجسر ان اقول هل لهذه الرغبة في توحيد الكون وردّهِ الى اصل واحد بسيط مسوّغ عقلي فان البديهة لا تستلزم على ما اعلم ان يكون العالم المادي صوراً مختلفة لجوهر واحد لا تراكيب مؤلفة من ستين او سبعين عنصراً بسيطاً ولكن لماذا نسرُّ بالرأي الاول ولا نسرُّ بالثاني . فان العلماء كانوا دائماً غير راضين عن تعدُّد الاصول فرحَّبوا بكل ما يدلُّ على ان الجوهر الفرد مركَّب وان لجواهر العناصر كلها اصلاً واحداً تشترك فيهِ . وعندي ان هذا الميل النفسي ليس مما يُغضُّ الطرف عنهُ او يُستهان بهِ . فقد كان الفيلسوف جون مل يستخفُّ بالذين يستصعبون التسليم بان الافعال لا تصل من مكان الى آخر الاَّ بموصل وكان يقول ان الاختبار يرينا انها تصل من غير موصل فلماذا نفرض وجودهُ استلزاماً او موافقةً لغرض في النفس لا يؤيّدهُ دليل . هذا هو احتجاج مل ولا ردَّ عليهِ عندي . ومع ذلك فان اعتقاد فرَداي ان الافعال لا تنتقل من غير موصل ادَّى الى اكتشافات بديعة بُنيت عليها صنائعنا الكهربائية وما ترتأيهِ الآن من اصل المادة . والآن لا يسلّم العلماءُ بما استسهل مل التسليم بهِ وهو ان الاجسام تفعل بعضها ببعض من غير موصل بينها مع انهم لا يزالون يجهلون حقيقة التجاذب بين المواد

فما هو هذا الميل الى توحيد العناصر والمواد كلها والاعتقاد بان لها كلها اصلاً واحداً تردُّ اليهِ . هل هو هوًى في النفس يجب اطراحهُ او هو مفتاح لاسرار الكون لا يليق بالحكيم الاغضاء عنهُ . ذلك مما لا استطيع البحث فيهِ الآن لانهُ توجد مسائل اخرى يستلزمها الرأي الجديد واريد ان اوجه نظركم اليها في الدقائق الباقية

لا مشاحة ان هذا الرأي الجديد في اصل المادة وحقيقتها يخالف اختبار الناس تمام المخالفة . قُل لهم ان الكرة الارضية التي نحن عائشون عليها والاجسام الآلية التي من نصيبنا الاتصال بها مادمنا في هذه الحياة الدنيا مؤلفة كلها من دقائق كهربائية متفرقة في الفضاء بينها ابعاد شاسعة جدًّا بالنسبة الى اقطارها فلا يسهل عليهم تصور ذلك الاَّ بعد امعان النظر . وهو يخالف ايضاً الرأي الذي جرى عليهِ العلم حتى الآن وهذا الرأي هو ان صفات المادة على نوعين اولية وثانوية فالاولية كالحجم والشكل موجودة في المادة من غير التفات الى الناظر اليها والثانوية

كالحرارة واللون كان يظن انهُ ليس لها وجود ذاتي مستقل وما هي الأ نتائج ناتجة عن فعل الصفات الاولية بمشاعرنا وهنا خالف الراي الاختبار

ثم اشار الخطيب الى نزاع الفلاسفة في هذا الموضوع وفي وجود المادة وقال ان العلماء لم يجاروهم فيه لان العلم يفرض وجود المادة وصفاتها الى ان قام اصحاب المذهب الجديد الذين يقولون ان الجواهر الاصلية التي تتألف المادة منها ليست مادية بل هي اجزاء صغيرة من القوة الكهربائية فنفوا بذلك وجود المادة ولم يبقوا في هذا الكون غير القوة الكهربائية ٠ ورأيهم هذا في نفي المادة مبني على نتائج استنتجوها من الرأي الاول القائل بوجود المادة وذلك من المدهشات فان العلماء الطبيعيين يدَّعون انهم بنوا كل ارآئهم العلمية على الاختبار وهذا الاختبار انما هو شعورنا بالكون المادي لكن النتائج التي اوصل اليها مناقضة لهُ على خط مستقيم حسب الظاهر ٠ اي ان ما اتصلنا اليهِ من معرفة حقيقة الاشياء مبني على مالا حقيقة لهُ والصور العقلية التي نستخدمها في ايضاح هذه الحقيقة للغير منتزعة من تخيلات لاحقيقة لها ينهانا العلم عن الاعتقاد بها وتأمرنا الطبيعة باستعمالها

وصلنا الآن الى مسائل يجب ان يبحث فيها منطقياً ولكن علم المنطق لم يعبأ بها فلا يلام رجال العلم لانهم مشتغلون باكتشاف الاكتشافات لابتحليل المسلَّمات الاساسية التي يقتضيها اكتشاف هذه المكتشفات . ولا يلام الفلاسفة الباحثون في ما وراء الطبيعة لان آراءهم تتجه الى جهات اخرى ورغبتهم في حل فلسفة الكون ضعيفة ٠ وكيفما حلَّت المسائل التي يبحثون فيها بنوع خاص فحلها لايقرّب المشاكل التي اشرت اليها من الحل الحقيقي ولا يبعدها عنهُ ٠ فالعلماء الطبيعيون والفلاسفة الخياليون بعيدون عن البحث في هذه المسائل واما الفلاسفة المجرّبون فليسوا بعيدين عنها ولكنهم لم يحلوها ولا يظهر انهم فهموا انهُ توجد مسائل تستلزم الحل حاسبين ان مدار العلم انما هو البحث في الظواهر الطبيعية وانهُ يقضي ما يطلب منهُ اذا عرف الاسباب القريبة لان غرضهُ البحث عن نواميس الطبيعة لا عن حقيقتها واذا بحث عن حقيقة المذاهب العلية وكيفية الوصول اليها رأى ان البحث الاستقرائي الذي اعتمد عليهِ العلماء حتى الآن قليل الحقائق العلمية

ثم ان هناك امراً آخر اهتمُّ بهِ كثيراً ولو ظهر لي انهُ لا يهمُّ احداً غيري ٠ وهو ان معارفنا الطبيعية مبنية كلها على شعورنا ٠ وهذا الشعور يقنعنا بوجود العالم المادي ويرشدنا الى اوصافهِ ومقوماتهِ لكن شعورنا هذا مبنيٌّ على مشاعرنا فالذي ننظرهُ لا يتوقف على المنظور فقط بل على العين الناظرة ايضاً والذي نسمعهُ لا يتوقف على المسموع فقط بل على الاذن

السامعة ايضاً . غير ان العيون والآذان وكل الحواس نشأَت فينا وفي اسلافنا من انواع الحيوان بالطريقة البطيئة طريقة الانتخاب الطبيعي . وما يصحُّ على المشاعر يصحُّ على القوى العقلية التي مكنتنا من ان نبني على مدركات المشاعر بناء العلم العظيم . ومدار الانتخاب الطبيعي النفع كما لا يخفى فما كان نافعاً للنوع في جهاده لاجل البقاء حُفظ وتقوَّى وما هو غير نافع فهو عبءٌ ثقيل يزول مع الزمان . ومعلوم ان مشاعرنا ارتقت قبلما صرنا نستخدمها في البحث عن اسرار الحقائق الطبيعية بدهور كثيرة لان اكتشافاتنا في هذا الباب انما حدثت بالامس . فقوى الانتخاب الطبيعي الخالية من الادراك فعلت فعل المدرك المدبر في اعدادها مشاعرنا لادراك ما تدركهُ الآن وهي خالية من التدبير. فالصدفة العمياء قادتها الى تجهيز الانسان بالقوة الفسيولوجية والعقلية التي تؤَهلهُ للمباحث الطبيعية العالية . والعلم الطبيعي يدلنا على ان كل حاسَّة من الحواس وكل قوة من قوى العقل لا تساعدنا على الحرب والاكل واخلاف النسل انما هي فضلة زائدة عن القوى التي تساعدنا على ذلك فلم نعطَ المشاعر للبحث العلمي ولا ارتقت قوانا العقلية من قوى الحيوان الاعجم لقياس الافلاك وقسمة الجواهر

ولهذه الاسباب تجد ان ما يعتقدهُ الناس من امر العالم المادي الذي هم فيهِ ناقص بل هو خطأٌ تام . فقد عاشوا كلهم حتى آخر القرن الماضي في عالم من الوهم واوهامهم التي يهمنا النظر فيها الآن لا تتعلَّق بامور بعيدة او الهيَّة فائقة الادراك بل بامور نراها بعيوننا ونلمسها بايادينا — بامور الحياة العادية — الامور التي نختبرها وننظر اليها واثقين اننا نعلمها حق العلم. ولعل سبب ذلك ان وقوع هذه المحسوسات تحت ادراك المشاعر كان مانعاً في طريق الجهاد لاجل البقاء بدلاً من ان يكون معيناً لهُ او ان الكذب كان انفع من الصدق او انهُ لم يكن في الامكان البلوغ الى نتائج احسن من هذه مع ما نحن فيهِ من نقص الاعضاء. واذا صدقت هذه النتيجة فهي تشمل غير الحواس من وسائل المعرفة اي انها تشمل قوى العقل ايضاً. فان كان النشوء قد عجز عن ايجاد آلات يوثق بها لادراك الامور الاختبارية فكيف يعوَّل عليهِ في تجهيز العقل بما يلزم لهُ لاستخدام هذه الامور واستنتاج الاحكام العقلية منها

اعتبارات مثل هذه ان لم اكن قد ادمجتها ادماجاً يخرجها عن حد المفهوم تدلُّ دلالة قاطعة على عدم الانتظام في كل مذهب علمي عامّ يبنى على العلم الطبيعي وحدهُ . وسّعوا نطاق المعارف كما تشاؤُون وارسموا صورة الكون على ما تريدون وردوا كل ما فيهِ من المتخالفات الى صور الاثير المالىء الفضاء واستقصوا تاريخهُ الى زمن تولُّد الجواهر وبيّنوا كيف تفعل بها الجاذبية العامَّة فتكوّن منها السدام والشموس وكل كواكب السماء ثم كيف تجمَّعت هذه الدقائق في

كوكب منها وركّبت المركبات الآلية ثم كيف صارت المركبات الآلية اجساماً حية وكيف ارتقت الاجسام الحية على اساليب مختلفة فتولّد منها اخيرًا نوع من الحيوان ارقى من غيره وبعد قرون كثيرة نشأ من هذا النوع حفنة من العلماء فالتفتوا الى ما حولهم ونظروا الى العالم الذي انشأهم وعرفوهُ وحكموا عليهِ. افعلوا ذلك كلهُ فتكونوا قد اوجدتم العلم ولكنكم لا تكونون قد اوجدتم شيئاً يكفي لاقناع العقل تمام الاقناع لانهُ يبقى شيء لا تفسرهُ هذه السلسلة المتابعة الاسباب والنتائج تفسيرًا مقنعاً وهو اصل المعرفة نفسها فان العلم الطبيعي يحسب المعرفة نتيجة اشياء غير عاقلة لانهُ لا يعرف الاَّ الاشياء غير العاقلة ولكنهُ يضطرّ ان يحسب المعرفة شيئاً عقلياً والاَّ انتفى العلم نفسهُ : فالصعوبة الاولى هي استخراج معتقداتٍ من الاخبار ينقضها الاختبار نفسهُ . والثانية هي التوفيق بين اصل هذه المعتقدات وبين ما ندّعيهِ لها من الصحة لاننا كلما زدنا استقصاء في تعليل اصلها زدنا شكاً في صحتها وكلما زاد المذهب العلمي شمولاً زادت الصعوبة في اكتشاف الوسائل التي علّمناهُ بها استحكاماً

هنا الحدُّ الذي لا يتعداهُ العلم الطبيعي ووراء هذا الحد مجاهل لا يستطيع اكتشافها وانما هي من نصيب الفلسفة . وهي ليست من شؤُون هذا المجمع لاننا قد اجتمعنا لترقي المعارف في قسم من اقسامها الكبيرة فلا نفيدها بتشويش التخوم وتغيير الحدود التي تفصل عادة بين قسم وآخر

وقد يقال انني لم اجرِ على هذه السنَّة التي سننتها بل تخطيت الحدود التي يشتغل ضمنها علماء الطبيعة . فان كان الامر كذلك فمني العذر ومنكم الصفح ولقد كان غرضي الاول ان احرّك في نفوس الذين مثلي ليسوا من علماء الطبيعة المحنكين الاهتمام بالمذهب الجديد الذي هو اوسع نطاقاً من كل المذاهب التي تدعي ان الامتحان يؤيدها . وان كان الغرور قد حملني على الاشارة الى رأيي الخصوصي وهو ان العلم الطبيعي يزيد ميلاً في ارتقائهِ الى تفسير امور الكون تفسيرًا غير مادي فالذين يوافقونني اقل من غيرهم لا يضنون بالعفو عني

سكة الحجاز

رأت الدولة العثمانية ان بلاد اليمن والحجاز شاسعة عن مقر السلطنة ومنبعث القوة وان بعض قبائلها لا تنفك تبدي نواجذ الشر والنشوز كلما لاحت لها الفرص واهتبلت الغِرَر فيتعذر للحال تسريح الجيوش اليهما مئات من الاميال برًّا وبحرًا فارتأت منذ خمس سنين مدَّ خط حديدي من دمشق الى مكة وهي مسافة لا تقل عن الف وتسعمائة كيلو متر مدّت منها منذ شهر تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٣١٦ (١٨٩٩) حسابًا شرقيًا اربعمائة وستين كيلو مترًا . وقد احتفل في اليوم الاول من شهر ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٤ اي يوم ذكرى جلوس الحضرة السلطانية بوصول الخط من دمشق الى معان بحضور وفد سلطاني رافقتهُ في رحلتهِ وشهدت مع الشاهدين ان هذا العمل من خير ما تم على ايدينا من الاعمال في هذا العصر وهو وان لم يبلغ كمالهُ والكمال الآن كالطفرة محال فيكفي انهُ مثال من جهد المقلّ وعنوان على الثبات والجدّ

كان العقلاء يظنون بادىء بدء ان دون انشاء الخط الحجازي خرط القتاد وشرط الحداد لما عُرِف من ان القوم اهل اقوال لا افعال اذ قام لهم وعليهم من الماضي اكبر برهان على وناء الهمم وضعف النفوس ولكن لم يلبث هذا الظن ان انقلب يقينًا وصار ما يعدُّ من قبيل الخيال في حكم الحقيقة . وعلى نسبة ما كان يتم من الاميال والفراسخ كانت تتبدل لهجة الناس شرقًا وغربًا في الحكم على هذا المشروع . ولو لم يكن فيامدَّ الى اليوم من الخطوط الحديدية الاَّ اشارة الى ما في الامة العثمانية من القوة الكامنة والذكاء الفطري والعزائم التي متى دُعيت اجابت لكفى في إثبات الفضل والاشادة بالمحمدة . ولا عجب فالعثمانيون على اختلاف عناصرهم مؤلفون من ارقى السلائل البشرية التي استفاض ذكر اعمالها في القرون الغابرة . فحريٌّ بهم وبلادهم ما علمت من الاعتدال وزكاء التربة ان يتعلموا اذا علّموا وينجحوا اذا حسن تدريبهم وان لا تعجزهم مضاهاة ارقى الشعوب متى صحت منهم العزائم وحسنت قيادتهم

وكيفما كانت الغاية من انشاء هذه السكة فقد تلقتها الامة بانها اسلامية وطنية يقصدبها تخفيف وعثاء السفر عن حجاج المسلمين واستعمار البلاد . ولذلك بادر سكان الولايات العثمانية المسلمون فجمعوا او أُريدوا على ان يجمعوا اعانات للانفاق على الخط . وتلكأ اولاً بعض من جرت عادتهم ان يكونوا اول الباذلين في كل ما تريد الدولة القيام بهِ من الاعمال لانهم كانوا في شك من اتمام العمل . ولما اخذت امارات الهمة تبدو حينًا بعد آخر اخذ الجنود والمصريون

يشتركون في مد يد المعونة وقد جاد بعض المكتتبين بليرة وليرتين لكل كيلو متر ودفع بعضهم عشرة آلاف جنيه بدون ان يُعرَف اسمهُ . واذ ايقنت الدولة انهُ يتعذَّر انجاز العمل بالاعانات اخترعت طوابع واوراقاً ذات قيم للاستعمال في بعض الاحوال والاشغال ووضعت مكساً على امتيازات المعادن التي تعطى في البلاد وعلى الاراضي الاميرية التي تباع واخذت تتقاضى كل سنة عشر شهر ايار (مايو) من المأمورين الذين تتجاوز مشاهراتهم خمسمائة قرش من الملكيين والعسكريين

للخط لجنة علياء مقرها الاستانة وهي مرجع جميع الاعمال الادارية و بيدها فض الكليات والجزئيات ولهُ لجنة فرعية مقرها دمشق ترجع في شؤُونها الى لجنة الاستانة . و يعمل في الخط نحو اربعين مهندساً نصفهم من المسلمين العثمانيين جيء بهم اولاً بمثابة معاونين للمهندسين الاجانب فلما تبينت كفاءتهم بفضل رئيسهم المسيو مايسنر الالماني وظهر لهُ ان المهندس العثماني اذا مُرّن تأهل لمد احسن طرز من الخطوط الحديدية رقَّى رواتب بعضهم ورتبهم فجعل مختار بك رئيساً للمهندسين في خط حيفا . ويقول الخبيرون بانهُ سيكتفي بعد حين بالمهندسين العثمانيين في مد هذه السكة وغيرها اذ قد اصبح مهندسونا بعد ان كانوا يدرسون الهندسة نظريًّا في دار الهندسة بالاستانة يدرسونها اليوم عمليًّا . ولشدة تفاني المهندسين في التوفر على العمل مع إجادتهِ استحقوا ثناء الخاصة والعامة وأُعجب القوم بغيرة مايسنر الالماني وشريدر الفرنساوي ومختار واحمد ونوري العثمانيين وغيرهم من الرؤساء الذين لهم الاثر المحمود في اخراج هذا العمل من القوة الى الفعل وكانوا قبل لا يعرفون كيف يسيرون فغدوا اليوم بفضل الدربة والبحث كاحسن الدارسين المفتنين

اذا علمت هذا ساغ لك ان تقسم المهندسين الى فئتين اجانب ووطنيين كلهم سواء في الهمة وبعد النظر كما يقسم العملة الى قسمين قسم الجند النظامي الذي سخّر للعمل في الخط تحت نظارة ضباطهِ وقوادهِ وقسم عامة العملة من وطنيين وغيرهم ممن يستخدمهم الملتزمون والمقاولون. وبلغ عدد العاملين من الجند اربعة آلاف وخمسمائة وكان يعمل نحو خمسمائة عامل من غير الجند من دمشق الى عمان فلما تجاوزت الخطوط الحديدية هذه المدرة صار يشتغل فيهِ نحو الف عامل من عملة الملتزمين اما عدد الحيوانات العاملة فلا يعلم بالتمام . ويأخذ الجندي وضابطهُ اجوراً وأُعطيات تقبض رأس كل شهر فيتناول الجندي قرشاً صحيحاً عن كل متر مكعب من التراب حفراً واملاء وثلاثة قروش عن المتر المكعب من الصخر المتوسط واذا زاد الصخر صلابة تقدر اجرة عاملهِ عن كل متر من الثلاثة الى الستة قروش فيصيب الفرد والحالة هذه في الشهر نحو

جنيه عثماني . اما الضباط فقد خصص لهم لقاء كل متر يعمل تحت نظارتهم خمس بارات فيتناول رئيس المئة مثلاً من الستة جنيهات الى العشرة في الشهر بقدر ما لديهِ من الجند على حين لا يتجاوز راتبهُ الاصلي اربعة جنيهات

حدثني بعض الاجانب من عمال الخط قال ليس اصبر من الجندي العثماني على تحمل المشاق والقناعة بالقليل فالفرد يعمل عمل الجماعة من الغربيين وقد كان يمد من الخطوط الحديدية قبل الشهر الاخير كيلو متر ونصف كل يوم ثم زادت الهمة فصاروا يمدون كيلومترين ثم تدرجوا الى ثلاثة كيلو مترات حتى دهش الاهلون واخذوا يشبهون الخطوط الحديدية في سرعة تمديدها بانها سيل من حديد . وقد مرنت ايدي العملة كلهم فصاروا يمدون بعد الآن ثلاثة كيلو مترات في النهار بدون ريث ولا عجلة . ويكلف كل كيلو متر الفاً وخمسمائة جنيه عثماني يدخل في ذلك نفقات بناء المحطات واحواض المياه وغيرها من مرافق السكة وهي اقل قيمة تنفق على اقل خط حديدي في العالم . ولكثرة الموجود الآن في صندوق السكة من الدراهم واستكمال الادوات الاساسية عقدت نواصي الآمال بانهُ لا تمضي ثلاث سنوات الاَّ ويصل الخط الى المدينة

وبعدُ فان المسافة بين دمشق ومعان عشرة ايام لراكب المطايا من قصاد البيت الحرام وهذه المسافة هي ربع الخط بين معان ومدائن صالح والمدينة ومكة او ثلث الطريق بين دمشق ومعان ومدائن صالح والمدينة . وذرعها اربعمائة وستون كيلومترًا يقف القطار في ست وعشرين محطة وهي : القدم . الكسوة . دير علي . المسمية . جباب . خبب . المحجة شقرا . اذرع . خربة الغزالة . درعا . نصيب . المفرق . خربة السمرا . الزرقا . قصر عمان لُبَّن . جيزة . ضبعة . خان الزيبب . القطرانة . الحسا . جروف الدرويش . عنيزة . معان . وقد قطعها القطار هذه المرة في ست وعشرين ساعة وفي المكنة ان يجتازها في عشرين اذا وقف وقفاً معتدلاً في المحطات ولم ينفذ السير بحيث يكون عرضة للخطر . قال احد الموظفين في الخط من الاجانب لو عملت هذه السكة من الخط العريض (نورمال) اي بعرض ١٥٠ سنتمترًا لقطع القطار ثمانين كيلومترًا في الساعة فاجتاز المسافة بين دمشق ومعان في سبع ساعات اما خطنا هذا وعرضهُ ١٠٥ سنتيمترات فلا يقطع قطارهُ اكثر من خمسة وعشرين كيلومترًا في الساعة هذا مع سهولة الطريق الاَّ في النادر . ومن المقرر انهُ متى تمت الاعمال على محورها يمشي القطار اربعين كيلومترًا في الساعة . وسمعت بعض من لهُ علاقة بالخط يقول ان الدولة فكرت اولاً في عملهِ عريضاً ولما حسبت نفقاتهِ وجدتها ضعفي نفقة الخط الضيق

فاختارت الثاني لانهُ يقصد بهِ ان يكون خطاً حربياً لا خطاً تجارياً وان يكن ينفع الخط بين حيفا ودرعا ودمشق ومعان في رواج التجارة والزراعة لانهُ يسير في بلاد عمرانها طبيعي

***

من لم يلقِ نظرًا بليغاً في انحاء الخط وحناياهُ يظنّ ان الماء ناضب والحقيقة ان قلتهُ محسوسة على اديم الارض ومخزون في بطنها وهو غزير من دمشق الى معان اذا حفرت لهُ آبار ارتوازية او خزن في احواض وآبار ويوجد من معان الى مدائن صالح وهذا القسم الذي يعمل فيهِ الآن لا يتعدى المئة والخمسين كيلومترًا ويتعذر امهاء الآبار منهُ اما ماوراء ذلك من الكور الحجازية فالماء فيهِ كثير . ولذلك سلكت الدولة في هذا الخط طريق الركب الشامي الى الحجاز لانهُ اعمر من غيرهِ واكثر امواهاً بالطبع . حدثني احد الامراء ان في وادي سرحان على مسيرة اربعة ايام من محطة الحجة مياهاً غزيرة وان نهر الازرق يجري في تلك الانحاء ولا ينتفع بهِ حق الانتفاع وان الاهلين قد يسيرون خمس ساعات لورود الماء كما هو الحال في عين حامر وراء محطة خبب فان اهل جوارها يقصدونها من الاقاصي للاستقاء وانهُ كان طريق عجلات من بصري اسكي شام في حوران الى بصرة العراق وكان على كل ساعتين محطة وبئر ماء يستقي منهُ السفار . وفي قضاء السلط انهار عدة كما في احصاء الحكومة كالاردن والزرقا ووادي شعيب ووادي السير ومحات وعمان وحسبان تسقي اراضي تبلغ مساحتها نحو خمسمائة فدان فقط

هذا ما لقفتهُ من الثقات عن حالة الخط الحاضرة . ولقائل هل يكون لهذه المسالك التي لم تدمثها الخطا ولا اهتدت اليها القطا حظ من العمران بعد امتداد الخط الحديدي فيزرع في تلك الاصقاع الجرداء المرداء مايجود فيها من ضروب النباتات والثمار وتقام ثمت للصناعة مصانع وللتجارة اسواق وهل يؤثر هذا المشروع الاثر المطلوب في ثروة الاهلين ويمتعهم بطعم المدنية والراحة . نعم ان هذا سيكون ولكن لا في القريب العاجل شأن حركة الارتقاء في هذه البلاد فانها سائرة على مهل مناطة بالاتفاق والطبيعة لا بالتعمل واتخاذ الاسباب

وقد بدأ الاهلون في هذه الارجاء يدركون ماهية الربح وقيمة الكدح فترى بعض سكان البلاد المجاورة للخط يعملون في السكة مع العامل الاجنبي وباجرة تكاد تكون كاجرتهِ حتى ان الرجل الذي كان لهُ عشرون جملاً لا يستفيد منها الاَّ قروشاً معدودة في اوقات محدودة من السنة صار الآن بفضل غدوهِ ورواحهِ في اعمال السكة موسعاً عليهِ في الرزق يربح مئات القروش . وهكذا قل في سائر السوقة والباعة . اشترك في هذا الربح المجاورون للخط واصاب

سكان دمشق وبيروت والقدس وسائر بلاد فلسطين قسط وافر من هذه الارباح سواء كان من البياعات او المقاولات والالتزامات التي نشط بعضهم الى عقدها مع زعماء النظار على السكة وقد كانوا يتخوفون ذلك قبل فلما رأوا انتظام الاشغال وتأدية المطاليب في حينها بدون مطل ولا الحاف اخذوا يلتزمون عشرات من الكيلو مترات فيستفيدون ويفيدون

ضمني مجلس وشيخ قبيلة الحويطات استدللت منهُ على ذكاء اهل البادية قال لما رأى الدولة مدت السلك البرقي في دمشق الى المدينة منذ نحو ثلاث سنين استنتج ان مئات الافدنة الشاغرة الواقعة على طريق السلك في الناحية التي تنزلها عشيرتهُ لابد ان تملك وتسجل باسم احد في سجلات الحكومة فما كان منهُ الا ان خطط قسماً كبيرًا منها وفلح بعضها على حين كانت بورًا معطلة حتى اذا مر الخط الحديدي من ناحيتهِ ايضاً عمر لهُ دارًا فيما استصفاهُ من الفلاة ولكن ما اسرع ما اشرفت على الخراب فان قبيلة اخرى ممن يناصبنهُ العداء حملت على تلك الدار فخربتها جملة حتى عادت قاعاً صفصفاً . قال فلو كان لهذه البلاد امن لاطمأن السكان وعمروا كل ارض سهلة المأخذ قابلة للحرث والكرث . وحدث الثقات من العمال ان جميع الاراضي القابلة للفلاحة في لواء الكرك التي لا مالك لها ستضاف كامثالها الى الاراضي السلطانية الخاصة وتجعل اباعد مهمة وتفاتيش منظمة كما ان بعض اعيان دمشق استصفوا مئات من الافدنة ليستنبتوها

لاجرم ان الخط الحجازي يمر على ما يعلم من محطاتهِ ببلاد متوسطة في شهرتها وعمرانها ومن انعم النظر في مسيرهِ من حيث الجملة يجد انهُ مرَّ في ارض حوران وهي مخزن غلات سورية مشهورة بجودة حنطتها وطيب تربتها . وكان مركز لواء حوران اليوم وهو شمسكين (او شيخ مسكين المحرَّفة عن اشمشكين) مركز حكومة آل غسان قبل الاسلام على ما في احصاء الحكومة وفي معجم البلدان ان بصرى كانت قصبة هذه الكورة وما برحت "قراها ومزارعها وحرارها[1] منازل العرب وقد ورد ذكرها في اشعارهم" ويمر الخط في لواء الكرك الذي أُسس منذ زهاء عشر سنين واراضيهِ على ما في تقرير الحكومة مخصبة منبتة وهي على طريق القوافل من مصر الى الحجاز وانهُ كان لهُ شأن يذكر في القديم وقد جعل مركزًا للحكومة على عهد الصليبيين وقامت فيهِ بعض الحصون والقلاع ولما استولى عليهِ آل ايوب زاد حصانة وعمارة ولم يبقَ اليوم الا اثر طفيف من تلك القلاع والحصون يدل على ما كان في الاعصر السالفة من الترقي

(1) الارض الحرة بفتح الحاء هي ذات حجارة نخرة سود كالحرار والحرات

هذان اللواءان او المركزان هما من اعمال ولاية سورية فان يكن سمي لواء حوران باسم اقليمه ولواء الكرك باسم مركزه ففيهما بلاد كان الاولى بها ان تكون مراكز الحكومة وسينقل مقر حكومة حوران من شمسكين الى درعا كما نقل من الشيخ سعد قبلاً وذلك لاهمية درعا . ولعل مركز الكرك ينقل على حسب الاحوال فيصير في معان مثلاً . هذان اللواءان وان كان اسمها قليل الشيوع فان مساحتهما كبيرة يليق بهما لو كانا عامرين ان لا يكونا ولاية فقط بل ان يكونا ايالات قائمة برأسها وما اظن سويسرا اكبر مساحة من نصفها ولكن شتان بين بلاد استنبتت فيها الصم الصلاب فاخصبت وامرعت وغرست في ذرى جبالها القاحلة وآكامها المصخرة الوعرة صنوف الاشجار وبلاد قد تسير فيها اليوم واليومين والثلاثة ولا تجد فيها ماء تشرب منهُ ولا شجرة تستظل بها وبين بلاد تأوي ثلاثة ملايين من السكان المنوَّرين كلهم وبلاد ليس فيها نصف مليون ما فيهم خمسمائة رجل يقرأ ويكتب حتى بركاكة زائدة . وبين بلاد اقل من ما فيها راحة دائمة وعيش خضال يقصدها اعاظم سياح الارض للاستمتاع بمناظرها وراحتها وبلاد اقل ما فيها شن غارات تباع فيها الارواح بيع السماح وتفشي المحرمات والموبقات بحيث عدت بين اهلها من المستحب او المباح

اكثر سكان حوران اهل فلاحة يقيمون في الدساكر والقرى اما اهالي الكرك فمعظمهم بادية من اهل الوبر ينزلون الخيام والآطام تفرقوا عشائر وتجمعوا عصابات وقد يغير بعضهم على بعض على ما جرت بهِ عادة اهل البادية كلما بعدوا عن المعمورة . ومن عشائر حوران عشيرة زبيد وتعرف ايضاً بعرب اللجاة تقيم في اللجاة من اعمال بصرى الحرير وفئة من بني صخر يدعون الكعابنة وكذلك السرحان وولد علي والاشاجعة وهما من عنزة والطيار والعيسى والسردية والسوالمة والروالة والخريشة وفي لواء الكرك قبائل الحويطات وبني صخر وبني عطية والشرارات والمجالي ولم يحرث الارض من هؤلاء الا مشايخ بني صخر تملكوا بعض خرب في انحاء السلط قوةً واقتدارًا واخذوا يستغلونها وتفلح لهم وهم ابدًا يتنقلون في الفجاج والسهول مسيرة ايام فبينا تراهم قرب نجد او في سواد العراق اذا هم في البلقاء او حوران او ارض الشام انتجاعاً للكلاء وورود مناهل الماء

ولقد تبين لي ان سكان هذه البلاد وان فطر اكثرهم على حب الغارة ومد يد الاذاء بالحرام هم من اقرب الناس لقبول الحضارة وتأليف شاردهم . والذهن الخالي يسهل نقش ما تريد طبعهُ فيهِ من الافكار اكثر من الذهن المملوء بالخرافات والتقاليد . خذ لذلك مثالاً اهالي لواء الكرك فقد عودهم حسين حلمي باشا متصرفهم الاول ان لا يرشوا العمال وشدد النكير

عليهم في ذلك حتى حرج عليهم انزال فرسان الدرك واطعامهم فأتمروا بكل ما امرهم بهِ الأ انهم لم يرضوا الأ باقراء من ينزل عليهم من اولئك الفرسان وتقديم العلف لدوابهم مخافة ان يرموا بالشح على حين من عادتهم ضيافة من لا صلة بينهم وبينهُ من ابناء السبيل بدون عوض ولا غرض . فعربان الكرك والحالة هذه مثال الطاعة يتفانون في محبة الصادقين من الموظفين ولا يشكون الأ من سوء استعمال بعض مأموري المالية

كان لهذه البلاد حظٌ من المدنية قديماً يدرك ذلك من يجوب نواحيها ويستبطن خوافيها قال ياقوت والبلقاء كورة من اعمال الشام ووادي القرى قصبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وبجودة حنطتها يضرب المثل . قال محمد بن احمد البشاري عمان على سيف [1] البادية ذات قرى ومزارع ورستاقها البلقاء وهي معدن الحبوب والانهار بها عدة انهار وارحية يديرها الماء ولها جامع ظريف في طرف السوق مُسَقّف الصحن شبه مكة وقصر جالوت على جبل يطلُّ عليها وهي رخيصة الاسعار كثيرة الفواكه غير ان اهلها جهال والطرق اليها صعبة

وقال ياقوت والشوبك قلعة حصينة في اطراف الشام بين عمان وايلة والقُلزُم قرب الكرك وذكر يحيى بن علي التنوخي في تاريخهِ ان يقدور الذي ملك الفرس سار سنة ٥٠٩ الى بلاد ربيعة من طيء وهي باق والشراة والبلقاء والجبال ووادي موسى فعمرهُ ورتب فيهِ رجالهُ وبطل السفر من مصر الى الشام بطريق البرية مع العرب بعمارة هذا الحصن اه . وفي وسط قلعة الشوبك باب حجري قديم ينزل الى بئر فيهِ بثلثمائة وستين درجة وقد استعصت هذه القلعة على ابراهيم باشا المصري لما اراد فتحها ايام حملتهِ على سورية

اما وادي موسى المعروف عند الافرنج بيترا فهو كما جاء في تقرير الحكومة على اربع ساعات ونصف من معان مشهور بآثارهِ وعادياتهِ المدهشة وفيهِ من النواويس والقصور والهياكل ومدينة كلها من الصخر ما يدعو علماء الغرب الى شد الرحال اليها وقيل ان بعضهم نقل معهُ شيئاً من تماثيلها وحجارها المنقوشة . وفي قضاء درعات وقد بني فيهِ الآن محطة عظيمة للسكة ومعمل لتصليح ادواتها — آثار حمام قديم جسيم . وفي وادي الشلالة الفاصل بين درعا وعجلون من ناحية درعا مغاور قديمة على صورة غرف ومقاصير حربة بامتاع العيون بها وينبجس من هذا الوادي ماء عذب سائغ من مغارة حفرت في قطعة واحدة من الصخر منقطعة القرين وعرض هذه المغارة ثلاث اذرع وارتفاعها ست . انتهى معرباً عن تقرير الحكومة

(1) في القاموس السيف بالكسر ساحل البحر وساحل الوادي او لكل ساحل سيف او انما يقال ذلك لسيف عمان

وفي السلط عاديات كثيرة حرية بالنظر وفي هذا القضاء نحو ثلثمائة قرية خربة وآثار مغاور ومرسح في عمان على شكل هلالي نُقر في سفح جبل وهناك حصن على اكة وفي هذا القضاء ايضاً مياه معدنية كثيرة تصب كلها في بحيرة لوط وفي وادي معين حمام زرقاء معين ماؤهُ سخن اجاج معدني من جهة وعذب بارد من الجهة الثانية . وفي معين ومادبا وحسبان آثار كثيرة ظريفة . وفي شمالي قضاء الطفيلة وادي العفرة وفيهِ مناجم حديد وحمام معدني ينسب الى سليمان بن داود ثبت نفعهُ للامراض العصبية الى غير ذلك من الآثار المحيلة في صرخد واذرعات وبصرى وجرش وغيرها من البلدان التي كان لها مكانة من العمران في سالف الازمان

⁂

هذا اهم ماينبغي ان يقال في السكة الحجازية و بلادها . بقي ان اشير الى الخط بين حيفا ودرعا فاقول ان الحكومة العثمانية لما رأت شركة سكة الحديد بين بيروت ودمشق وحوران الفرنسوية تتصعب في نقل ادوات السكة وتشتط في تقاضي الاجور ابتاعت سكة حيفا من صاحب امتيازها الذي عجز عن تمديدها بمئة وخمسين الف جنيه عثماني وكان مدَّ منها تسعة كيلومترات وعمل منها ستون كيلومترًا من الاعمال الترابية ناقصة الأقليلاً . وسيكون طول هذا الخط من حيفا الى درعا مئة وخمسين كيلومترًا ومتى التصق الخطان الواحد بالآخر تتقدم حيفا وتقف بيروت عن رقيها لقرب حيفا من مصر والاستانة واوربا خصوصاً بعد تشييد مرفإٍ بحري في تلك المدينة الصغيرة الذي سيقام بايدي عثمانيين وعلى نفقتهم على مثال مرفإِ بيروت

وقد بدىء بالعمل في هذه السكة في ايار (مايو) سنة ١٣١٩ شرقية فمد منهُ الى الآن ثمانون كيلومترًا وقد تجاوز التراب الكيلومتر الخامس والتسعين وما دعا الى التريث الأ تأخر جسر اليرموك الحديدي في المعمل الموصى عليهِ فيهِ واذا حفرت جسور هذا الخط وهي ستة او سبعة كما ان انفاقهُ (تونل) ثلاثة وواحد في خط معان فالمأمول ان تسير القطارات وتتصل بدرعا في شهر نيسان (ابريل) القابل . اما المحطات التي يمر بها الخط فهي : حيفا . تل الشمام عفولة . بيسان . جسر المجامع . صماخ . الحمة . الكوية . تل الشهاب . درعا . نجز منها حتى الآن اربع محطات وصرف على جميع هذا العمل خمسة وثلاثون الف جنيه عثماني ويقدر ماسينفق على هذا الخط وحدهُ بثلثمائة الف ليرة عثمانية يضاف الى ذلك ثمن الامتياز . وقد جرى التزام الخط كلهِ ويعمل فيهِ الآن نحو ثلثمائة جندي

ويمر هذا الخط في ارض مخصبة للغاية ويقول بعض اهل النظر انها من اخصب ارض الله وفيها معادن كثيرة . هذا وحال الفلاح فيها على ضعف وخمول فما بالك لو عني باستنباتها على الطرق الحديثة وخصوصاً من حيفا الى مضيق الحمة وفيهِ مرج بني عامر واراضي بيسان والغور واصعب ارض فيهِ على المرور وادي اليرموك الذي يعمل فيهِ الآن ليل نهار وهو ممتد من مضيق الحمة الى تل الشهاب . قال احد الافاضل ومن عجائب هذا الوادي مياههُ الكثيرة المتردمة وغاباتهُ الكثيفة التي لم تمسسها يد . وفي تل الشهاب وزيزون (ام القصب) سبعة شلالات او ثمانية ارتفاع انحدارها عشرات من الامتار تدار بها نحو عشرين رحىً وتنفع لكل صناعة ويتأتى استخدام هذه الشلالات في عمل محرك كهربائي (دينامو) لإنارة المحطات البعيدة والقريبة بالكهربائية

والحمة مياه معدنية مشهورة منذ القديم تنفع الامراض العصبية والجلدية وهي احسن من حمامات كارلسباد في بوهيميا وحمامات بورصة في الاناضول وحمامات حلوان مصر . فيها على ما روى الثقات املاح كثيرة نافعة تدفع عادية اكثر الامراض وتلائم حرارتها معظم امزجة سكان الارض فتبدأ تدريجاً من ١١٣٦ الى ١١٥٦ درجة بميزان سنتغراد وشربها يقوي المعدة ويسهل الهضم

وتجتاز سكة حيفا بساحل طبرية في محطة صماخ ووادي الحمة وغير خاف ما لبركة طبرية من الاهمية التاريخية والدينية التي تستدعي السياح الى زيارتها ويقال انهُ متى تم الخط الحيفاوي تجعل شعبة من عفولة الى الناصرة قدر ثلاث ساعات فتحيا بذلك فلسطين وينتقل جانب كبير من التجارة اليها لاسيما اذا مدت شعبة من القدس الى عمان

ومضيق الحمة من اعمال جبل عجلون وحاضرة هذا الجبل اربد وكان اسمها في الاصل ايبلا اواربيل . وعلى مقربة من مكيس على ما ذكر المؤرخون مرسح للرومان ذو احجار محكمة الصنع . وخرابة جرش المشهورة هي من اعمال عجلون ايضاً أثرعنها رُواة الصنعة وجسامة البناء وهي اشبه بعاديات تدمر وبعلبك قيل انها عمرت زمن الرومانيين وان لم يثبت انها اشارة لمدنية قوم بعينهم . وفي اراضي مخيبة على ساعتين ونصف من قرية مكيس مياه معدنية كثيرة تنفع في شفاء النقرس والامراض الجلدية ومن العجيب ان معظم الحمامات المعدنية في هذا الاقليم منبعثة من جانب الغور الشرقي

وعلى الجملة فيجتاز الخط الحيفاوي ما عرف قديماً ببلاد الأُردن احد اجناد الشام الخمسة . جاء في معجم البلدان انها كورة واسعة منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك قال احمد

بن الطيّب السرخسي الفيلسوف هما اردنان أُردن الكبير واردن الصغير فاما الكبير فهو نهر يصب الى بحيرة طبرية بينهُ وبين طبرية لمن عبر البحيرة في زورق اثنا عشر ميلاً تجتمع فيهِ المياه من جبال وعيون فتجري في هذا النهر فتسقي اكثر ضياع جند الاردن فيما يلي ساحل الشام وطريق صور ثم تنصب تلك المياه الى البحيرة التي عند طبرية وطبرية على جبل يشرف على هذه البحيرة · فهذا النهر اعني الاردن الكبير بينهُ وبين طبرية البحيرة واما الاردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب وفي وسط الغور فيسقي ضياع الغور واكثر مستغلها السكر ومنها يحمل الى سائر بلاد الشرق · وعليهِ قرى كثيرة منها بيسان وقراوا واريحا والعوجاء وغير ذلك · وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين ويجتمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهرًا واحدًا فيسقي ضياع الغور وضياع البثينة ثم يمر حتى يصب في البحيرة المنتنة في طرف الغور الغربي · وللاردن عدة كور منها كورة طبرية وكورة جدرَ وكورة صَفّورية وكورة صور وكورة عكا وغير ذلك اه

وانت ترى ان البلاد التي دعيت بارض الغور وقد يصح بان تسمى بلاد القاع او الغوطة هي الارض الواقعة بين جسر المجامع الى تل الشهاب وهي منخفضة عن سطح البحر من مئة متر الى مئتين ولذلك يحبّذ مَن لم الفضل في التوفر على مد الخطوط الحديدية في تلك الكورة رغم فساد الهواء وحزونة هذه الارض وان لم تكن مساحتها طويلة كثيرًا · والناظر في المصوَّر المنشور آنفًا يرى ان السكة الحجازية بعيدة عن ساحل البحر الاحمر وانهُ كان الاولى ان تتصل السكة بالبحر الاحمر كما اتصلت بالبحر الابيض ويقال انهُ ستمد ناشطة او شعبة من معان الى خليج العقبة وهي لا تتجاوز مئة كيلو متر يبدأ بها بعد انجاز خط حيفا · والشائع ان كتائب الجند المرابطة في المدينة منذ مدة وعددها تسع كتائب سيسخر بعضها للعمل في الخط من مدينة الرسول على ما بينها وبين جونها وهي ينبع من البعد (مائتا كيلو) · وارتأى بعض المنتسبين لهذه الادارة ان البداءة من جدة الى مكة تزيد السرعة في العمل فان طوله لا يتجاوز خمسة وسبعين كيلو مترًا ويمكن تمديدهُ في سنة وتستحصل نفقاتهُ في سنتين او ثلاث من اجور النقل ويسهل تمديد الخط اكثر من سهولتهِ من جهة الشام لوجود جدة على الساحل وبهذا الفرع تكون قد مُدّت اهم ناشطة للخط العام · ويقول العارفون انهُ اذا بدئ بالخط من المدينة كما هو الآن في حكم المقرر تصرف الدولة بدل القرش الواحد قرشين ونصفًا

هذا ويرجى ان تدفع رواتب السرايا العاملة من الجند في اوقاتها على نحو ما تصرف الاعطيات لهم ولعلهُ لا تغمط حقوق المهندسين العثمانيين على ما عرف من اقتدارهم وغيرتهم

فيكون حظهم من الرواتب حظ الاجانب منها فليس من العدل ان ينال غير الوطني ثلاثة اضعاف راتب العثماني مع انهُ كما اكد غير واحد ليس دونهُ في الاجتهاد والمعرفة والاقربون اولى بالمعروف . ومما ينبغي احلالهُ محل النظر تنظيم حالة الجنود العاملين في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم ومساكنهم حتى لا تكون البادية مقبرة لهم كما كانت في السنتين الماضيتين وقد هلك مئات منهم لقلة الوقاية وعدم العناية . قال بعضهم وليس لهذا النقص من سبب وفي مخازن الاستانة ومستودعاتها الكثير من حاجياتهم كما ان الاوامر قاضية بان تدر عليهم المشاهرات الاصلية فاخذت تصرف في نقل المؤونة لهم التي لم يخصص لها ما يقوم بها . والحاجة ماسة ايضاً الى اقامة مستشفى نقال يمرض فيهِ العاملون في الخط ويقال انهُ سيقام مستشفى في معان وعساهُ يقام مستحم او حمام للعاملين . فخليق بمن يعمل في التراب والشمس الساعات الطويلة ان يستحم مرتين في الاسبوع . ولو أُعفيت لجنة دمشق من مراجعة لجنة الاستانة في كل عمل تريدهُ مما يؤدي الى تطويل احياناً يجلب بعض خلل اذاً لزادت السرعة في العمل

والغالب ان الدولة بعد انجاز السكة الحديدية ستسلمها الى شركة تجارية من حيفا فدرعا فعمان ومن دمشق الى معان وتبقي ما وراء ذلك من الخط الى مكة على نفقتها يدار بايدي عمالها وموظفيها كما جرت في خط حيدر باشا وازميد في الاناضول فانها لما استثمرتهُ على نفقتها خسرت ولما سلمتهُ لشركة حصرت نفقاتهِ وواردتهِ أخذ الربح ينهال انهيالاً . هذا والناس في اكثر مدن سورية يستبشرون خيرًا بارتباط اكثر مدنهم بعضها ببعض وخصوصاً البلاد الساحلية بالداخلية فدمشق متصلة ببيروت فحلب فالاناضول فالاستانة فيافا الى آخره ويؤمل بعض اهل النظر ان يركب الحاج بعد بضع سنين من الروم ايلي اي من تركيا اوربا القطار الحديدي فيمر بآسيا الصغرى فالحجاز لا يركب البحر اصلاً . وعسى ان تتم هذه الاماني كلها باتصال حاضرة سورية بحاضرة الحجاز او شمالي جزيرة العرب بجنوبيها او بلاد وصفها القرآن بانها « وادٍ غير ذي زرع » ببلاد جاء في التوراة انها « تفيض لبناً وعسلاً » والله اعلم بما كان وما سيكون

محمد كرد علي

قوانين يوستنيانوس

(تابع ما قبله)

الفصل السادس والعشرون في الشركة

تعقد الشركة عادةً اما على جميع الاموال [١] واما على عمل او مشروع واحد

(١) ان لم يقع اتفاق على تقسيم الربح او الخسارة فالشركاء على السواء وان عيّن لكلٍ نصيب قسم الربح او الخسارة على حسب التعيين الذي جرى الاتفاق عليهِ

(٢) يجوز بلا نزاع ان تُعقد الشركة على ان احد الشريكين يضع مالاً دون الآخر وان يكون الربح مع ذلك مشتركاً بينهما . ويجوز ايضاً ان تُعقد الشركة على ان احد الشريكين يأخذ جزءًا من الربح ولا يُطالب بالخسارة . ويراد بالربح ما بقي بعد النفقات والكُلف

(٣) من المعلوم انهُ اذا كانت الحصة معيّنةً في احدى حالتي الربح او الخسارة ومهملةً في حالةٍ أُخرى فالحالة المهملة تُقاس بالحالة المعيّنة [٢]

(٤) تبقى الشركة ما بقي الشركاء على النية التي بها عقدوا الشركة . مع ذلك اذا انكر احدٌ بغشٍ ومخادعةٍ الشركة ليستبد بالربح الحاصل يُجبر على جعل الربح مشتركاً لكنهُ اذا ربح من وجهٍ آخر فذلك الربح لهُ وحدهُ

(٥) تنفسخ الشركة بموت احد الشركاء . واذا كانت الشركة معقودة بارادة اكثر الشركاء فموت احدهم يفسخها حتى ولو كان الباقون اكثر اللهمَّ ما لم يكن قد وقع العقد على وجهٍ آخر [٣]

(٦) متى انعقدت الشركة على مشروع بعينهِ فمتى انتهى المشروع انتهت الشركة

---

(١) في الفقه الاسلامي الشركة اختصاص اثنين او اكثر بمحلٍ واحد وهي اما شركة املاك واما شركة عقود وهذه على اربعة أوجه مفاوضة وعنان وشركة وجوه وشركة صنائع . وشركة المفاوضة ان يشترك الرجلان ويستويا في مالها وتصرفها ودينهما وهذه تقابل الشركة في جميع الاموال عند الرومانيين

(٢) ان هذا موافق لما قال الفقهاء من حمل المطلق على المقيد (الدر المختار)

(٣) وفي الفقه الاسلامي « اذا مات احد الشريكين او جنَّ جنوناً مطبقاً تنفسخ الشركة لكن في صورة كون الشركاء ثلاثة او اكثر تنفسخ الشركة في حقّ الميت او المجنون وحدهُ وتبقى بين الآخرين . وتنفسخ الشركة بفسخ احد الشريكين لكن علم الآخر بفسخهِ شرطٌ فلا تنفسخ الشركة ما لم يكن فسخ احدهما معلوماً للآخر (المجلة)

(٧) من البيّن ان الشركة تنفسخ حين تستصفى اموالها كلها [١] (اي حين تُضبط)

(٨) اذا ركبت الديون احد الشركاء وسلّم موجوداته تنفسخ الشركة

(٩) الشريك مسؤول لشريكه [٢] عن اعماله ولو بعلة الخطاء وعلى الشريك ان يُعنى ويهتمّ باشغال الشركة مثل ما يُعنى ويهتمّ عادةً باشغاله الخاصة

الفصل السابع والعشرون في الوكالة

(١و٢و٣و٤و٥و٦) الوكالة تنعقد على خمسة اوجه . الوجه الاول لأجل العاقد فقط . والثاني لأجل العاقد ولأجلك . والثالث لأجل ثالث فقط . والرابع لأجل العاقد ولأجل ثالث . والخامس لأجلك ولأجل ثالث . فان كانت لاجلك فقط فالوكالة كلا وكالة وهي بان تكون مشورةً احرى من ان تكون وكالةً . هذا ولا يترتب عليه التزام . من يأمرك ان تقرض زيدًا مالاً فهو مسؤول او ملتزم بهذه الوكالة . وذلك انك لم تقرض زيدًا المال الاّ على وجه ان يعطيكهُ الآمر

(٧) الوكالة فيما يضادّ الآداب المحمودة غير ملزمة

(٨) لا يحقّ للوكيل ان يتخطى حدود الوكالة[٣]

(٩) تبطل الوكالة اذا ردّها الوكيل قبل ان يباشر شيئًا من اعمال الوكالة

(١٠) اذا توفي الموكّل او الوكيل والوكالة بحالها انفسخت الوكالة [٤] ولكن اذا انفذت الوكالة والموكّل قد مات وانت لم تعلم بموته جاز لك التصرّف بنص الوكالة

(١١) قبول الوكالة وردها اختياريٌّ . فان قبلها التزم ان يقوم بها . والاّ ردها اسرع

---

(١) وفي شرح القدوري « اذا هلك مال الشركة جميعه او احد المالين قبل ان يشتريا شيئاً بطلت الشركة لأنها تعينت بهذين المالين . فاذا هلكا مات المحلّ وفي هلاك احدهما بطل في الهالك لعدمه لأن صاحبه لم يرضَ ان يعطيه شيئاً من ربح ماله . وان اشترى احدهما بماله وهلك بعد مال الآخر فالمشترى بينهما على ما شرطا لأن الملك حين وقع وقع مشتركاً بينهما لقيام الشركة وقت الشراء فلا يتغير الحكم بهلاك المال الآخر بعد ذلك » (٢) الشريكان كل واحد منهما أمين الآخر . مال الشركة في يد كلّ منهما في حكم الوديعة فاذا تلف مال الشركة في يد واحدٍ منهما بلا تعدٍّ ولا تقصير فلا يكون ضامناً حصة شريكه (المجلة المادة ١٣٥٠)

(٣) هذا مطابق لما جاء في الفقه الاسلامي قال في المجلة في (المادة ١٤٧٩) اذا قيدت الوكالة بقيدٍ فليس للوكيل مخالفته (٤) ومثله ما جاء في المادة ١٥٢٧ من المجلة ينعزل الوكيل بوفاة الموكل . ولكن اذا تعلق به حق الغير لا ينعزل وفي المادة ١٥٣٠ تبطل الوكالة بجنون الوكيل او الموكل

ما يمكن ما لم تعارضهُ اسبابٌ قانونية تحول بينهُ وبين المبادرة الى ردها [١]

(١٢) يصحُّ ان تنعقد الوكالة مؤجلةً الى أجلٍ ما ويصحُّ ان تنعقد معلقةً بشرطٍ [٢]

(١٣) اعلم ان الوكالة ان لم تكن مجانيةً تحوّلت عقدًا آخر والمكافأة الموعودة تجعلها إجارةً

الفصل الثامن والعشرون في العهود المبنية على شبه العقد

لننظر في انواع العهود المبنية على شبه العقد

(١) اذا ادار زيدٌ أشغال غائبٍ صار بينهما اعمال متبادلة تُسمَّى الاعمال التجارية فلمالك الشيء حقّ اقامة الدعوى على ذلك الذي تصرّف في اشيائهِ ولمدير الاشغال ان يدّعي على المالك وكلتا الدعويين تحصل بدون وكالة . وذلك متى تقدَّم الواحد ليدير اشغال الآخر . وكما ان من يدير ادارةً صالحةً لهُ حقّ على من كان يدير لاجلهم كذلك عليهِ ان يقدّم حسابًا عن تصرُّفهِ وادارتهِ . وعليهِ ان يبذل غاية التحوُّط في ادارة اشغالهم

(٢) الاوصياء مسؤولون عن اعمال الوصاية . وذلك بشبه العقد . وفي هذه الحال الدعاوي متبادلة (اي لكل من الاوصياء والقاصرين ان يدّعي بعضهم على بعض) [١]

(٣) متى كان شيءٌ بدون عقد شركةٍ مشتركًا بين عدّة مُلّاكٍ فكل من هؤلاء الملاك مسؤول عند الآخر بسبب هذا الشيء تبعًا للتقسيم العمومي لانهُ احرز وحدهُ ثمار الشيء او لأن شريكهُ في الملك أنفق وحدهُ النفقات اللازمة لهذا الشيء نفسهِ فهو مطالبٌ بذلك

---

(١) وفي المجلة «اذا عزل الوكيل نفسهُ يلزم عليهِ ان يعلم الموكل بعزلهِ . وتبقى الوكالة في عهدتهِ الى ان يعلم الموكل عزلهُ (المادة ١٥١٠) (٢) كذا في الفقه الاسلامي . فاذا وكل زيدًا واستثنى اقرارهُ عليهِ جاز الاستثناء ومن ثمّ فلا يصحّ اقرار الوكيل على الموكل في هذه الصورة . ولو قال وكلتك ان تبيع دوابّي في شهر نيسان وقبل الوكيل ذلك يكون وكيلاً بحلول الشهر المذكور . واما قبل حلولهِ فليس لهُ ان يبيع . ولو قال وكلتك ان تبيع ساعتي هذه بالف قرشٍ تكون وكالة الوكيل مقيدةً بعدم البيع باقلّ من الف قرش (المجلة في باب الوكالة)

(٣) هذا موافق لما في الفقه الاسلامي وفي الاشباه «يقبل قول الوصيّ فيما يدّعيهِ بلا بينة الاّ في ثنتي عشرة مسئلة . ادّعى قضاء دين الميت او ادّعى قضاءهُ من مالهِ او ان اليتيم استهلك مالاً آخر فدفع ضمانهُ او أذن لهُ بالتجارةِ فركبهُ ديونٌ فقضاها عنهُ . او أدّى خراج ارضهِ في وقت لا يصلح للزراعة او جعل عبدهِ الآبق او فداء عبدهِ الجاني او الانفاق على محرمهِ او على رقيقهِ الذين ماتوا او الانفاق عليهِ مما في ذمتهِ وكذا من مال نفسهِ حال غيبة مالهِ واراد الرجوع او اتجر فربح ثمّ ادّعى انهُ كان مضاربًا فلا يكون لهُ في الربح شيءٌ الاّ ان يشهد عند التصرُّف انهُ يتصرّف فيهِ بالمضاربة . والأصل ان كلّ شيءٍ كان الوصيّ مسلطًا عليهِ فانهُ يصدَّق فيهِ بيمينهِ اذا لم يكذبهُ الظاهر واما ما لا يكون مسلطًا عليهِ فلا يصدّق فيهِ . اه بتصرُّف

بشبه العقد (١)

(٤) والأمر كذلك في حق من هو مسؤول لشريكه في الارث من اجل هذه الاسباب نفسها وذلك جرياً على سنة تقسيم الميراث العائلي

(٥) الوارث يُعتبر مسؤولاً بشبه العقد عن الشيء الموصى بهِ

(٦) كذلك من يؤدّى لهُ خطأً ما ليس لهُ يصح مديوناً بشبهِ العقد

(٧) ان القدماء قرّروا انهُ في الدعاوي التي يعظم فيها الذنب بعلّة الانكار لا يجوز ان يعاد ما كان قد دُفع بدون وجوب ولا استحقاق واما قانوننا فقد قطع كذلك فيما يتعلق بالوصايا فقط والودائع المتروكة للاماكن المكرّمة

الفصل التاسع والعشرون في بأي الاشخاص يكون لنا حق الاكتساب

اعلم أنّا نكسب لانفسنا بانفسنا وبمن هم تحت ولايتنا بحيث ان ما يكسبهُ العبيد يصير ملكاً خالصاً لنا . وما يكسبهُ الاولاد بالعمل تكون غلّتهُ للاب . وتبقى عينهُ ملكاً للابن . والاب يتصرّف مع ذلك في الملك و يديره (٢)

(١) نكسب لانفسنا بالاحرار و بالعبيد الذين نملكهم بنيةٍ سليمة متى كسبوا شيئاً بعملهم او كسبوهُ باستعمال ما نملكهُ

(٢) نكسب على هذا الوجه نفسهِ بالعبد الذي لنا غلّتهُ او استعمالهُ

من المقرّر ان العبد المشترك بين عدة موالٍ يكسب لهم على نسبة حصصهم في رقبتهِ الاّ اذا اشترط او متى قبل بالتسليم لواحدٍ منهم باسمهِ لانهُ حينئذٍ يكسب لهذا وحدهُ . واذا اشترط العبد بامر احد اسيادهِ فانما كسبهُ لمن امرهُ بذلك منهم

الفصل الثلاثون في بأي وجهٍ يزول الالتزام و يبطل العهد

يزول العهد و يبطل الالتزام بوفاء ما يجب وفاؤهُ ورد ما يجب ردّهُ . او متى ردّ المديون شيئاً مكان آخر برضا الدائن . ولا فرق فيمن يفي فان وفى المديون الاصلي برئ الكفلاء

---

(١) الملك المشترك متى احتاج الى التعمير والترميم بعمرهُ اصحابهُ بالاشتراك على مقدار حصصهم . اذا عمر احد الشريكين الملك المشترك باذن الآخر وصرف من مالهِ قدراً معروفاً فلهُ الرجوع بحصة شريكهِ واذا عمر بدون اذن من الشريك او من الحاكم يكون متبرعاً يعني ليس لهُ ان يرجع على شريكهِ بمقدار ما اصاب حصتهُ من المصرف سواء كان ذلك الملك المشترك قابل القسمة او لم يكن (المجلة)

(٢) لا خلاف في هذا بين الفقهين الاّ فيما يكسبهُ الابن ففي الفقه الاسلامي ما يملكهُ الابن بمالهِ فلهُ عينهُ وغلّتهُ

وان وفى الكفيل برئ الاصيل (١)

(١) ان العهد يزول بالتراضي. وهو وفاء وهميٌّ وهو لا يبرئ الا من العهود المنعقدة بالقول دون غيرها على ان العهد او الالتزام المتكوّن بسببٍ آخر يحوَّل شرطاً و يبطل بالوفاء الوهميّ

(٢) اذا دخل شرطٌ في عهدٍ ما يجوز ان ينقلب العهد عهدًا قوليًا وان يبطل بالتراضي

(٣) زد على ذلك ان الالتزام يبطل بتغيير العهد ولا جرم ان تداخل مديون جديد يوجد التزاماً جديدًا . والتزام العهد الاول ينتقل الى الثاني فيزول ولو كان العهد الثاني عهدًا باطلاً .متى تعهّد عن عبدٍ فالملتزم الاول يستمرّ ابدًاملتزماً على هذا الوجه عينه.واذا تعهدت عن الشخص الذي كان ملتزماً لك فتغيير العهد لا يتم الا اذا دخل شيء جديد في العهد الثاني . وذلك كأن يضاف او يُسقط عهد او مهلة او كفيل . واما قانوننا فقد صرّح ان تغيير عهدٍ سابق لا يقع الا بقدر ما يوضحهُ المتعاقدان

(٤) العهود المنعقدة بالتراضي تنحلّ بالتراضي (٢)

الكتاب الرابع

الفصل الاوّل في تبعات الجناية

بقي علينا ان ننظر في تبعات الجناية وشبه الجناية —كل ما يتأتّى عن الجناية مثل السرقة والاختلاس والضرر والاعتداء

(١) السرقة اخذ الشيء نفسهِ بالخداع او استعمالهُ فقط او وضع اليد عليهِ بقصد الانتفاع بهِ

(٢و ٣) السرقة ضربان صريحة ومستترة فالسارق الصريح هو الذي يؤخذ حال مباشرة

---

(١) لا جرم ان هذا منطبق كل الانطباق على احكام الفقه الاسلامي. لكن في شريعة موسى تبرأ ذمة المديون العبرانيّ اذا جاءت السنة السابعة سنة الابراء وان لم يفِ ما عليهِ لما جاء في الآيتين ٢ و ٣ من الفصل ١٥ من سفر تثنية الاشتراع . كلّ صاحب دينٍ فليبرئ صاحبهُ ما اقرضهُ لا يطالب صاحبهُ ولا اخاهُ اما الاجنبيّ فطالبهُ

(٢) وذلك كالبيع والاجارة والوكالة والشركة فاذا اتفق المتبايعان على فسخ البيع انفسخ . وفسخ البيع على هذا الوجه يسمى عند الفقهاء اقالةً الا ان الاقالة لا تصحّ ما لم يكن المبيع قائماً او موجودًا في يد المشتري وقت الاقالة فان كان المبيع قد تلف فلا تصحّ الاقالة . وكذا اذا اتفق المؤجر والمستأجر على حلّ عقد الاجارة او الوكيل والموكل على فسخ عقد الوكالة او الشريكان على ابطال الشركة فتصبح كل هذه العقود باطلةً وهذا ما لا يختلف فيهِ الفقه الروماني عن الفقه الاسلاميّ

السرقة والذي يُقبَض عليهِ في مكان ارتكاب السرقة ومن وهو لم يزل قابضاً الشيء ينظر او يقبض عليهِ من المالك او من ايٍّ كان قبل ان يصل الى حيث يقصد ان يحمله او يودعهُ. والسرقة التي لا تظهر سرقة مستترة

(٤ و٥) عقوبة السرقة الصريحة هي ان يُرَدَّ اربعة امثال المسروق وعقوبة السرقة المستترة ان يرَدّ مثلا المسروق [1]

(٦) السرقة ترتكب متى أُخذ مال الغير بدون ارادة مالكهِ

(٧و٨) قد تقرَّر ان من يتصرَّف في المستعار غير التصرُّف المعيَّن عند الاستعارة يرتكب السرقة ولكن بشرط ان يعلم المستعير أنَّ تصرُّفهُ ذلك مخالف لارادة المالك وانهُ لو علم المالك بذلك لما كان يأذن فيهِ . كما انهُ لا توجد سرقة اذا لم تقصد السرقة فمن يستعمل العاريّة استعمالاً مضادًّا لارادة المالك والمالك مع ذلك لا يرفض هذا الاستعمال فقد تقرَّر ان ذلك ليس بسرقةٍ

(٩) يُسرَق احياناً من ابناء الاحرار

(١٠) كذلك قد يسرق المرء شيئهُ المختصَّ بهِ

(١١) من يُشِر بالسرقة ويُعِن على ارتكابها يؤاخذ بها . واذا سهل امرؤٌ ارتكاب سرقة بدون قصد يكون مسؤولاً في ذلك فعلاً . واما من ليس لهُ في ارتكاب السرقة الاَّ الحث عليها والتجرئة على اتيانها فلا يؤاخذ بها

(١٢) من يختلس من أُصولهِ (كأبيهِ وجدهِ) ومن مواليهِ شيئاً فقد ارتكب السرقة لكن لا يترتب على ذلك دعوى السرقة حيث لا يجوز ان تقام بينهم دعوى ولا بعلة من العلل [2]

---

(١) ان الفقه الاسلامي لم يذكر للسرقة هذا التقسيم ولارتب عليها مثل هذه العقوبة قال في شرح القدوري « اذا سرق البالغ العاقل الناطق البصير ما قيمتهُ عشرة دراهم مضروبة او غير مضروبة من حرزٍ (وهو ما يمنع وصول يد الغير سواء كان بناء او حافظاً) لا شبهة فيهِ ولا تأويل بمرة واحدة اتحد المالك ام تعدَّد وجب عليهِ القطع » والقطع منصوص عليهِ في القرآن قال والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما . واذا قطع السارق والعين قائمة في يدهِ ردَّها على مالكها لبقائها على ملكهِ وان كانت هالكة لم يضمن . وعقوبة السارق في شريعة موسى والغاصب وجاحد الوديعة والامانة والضالة ان يردَّ الشيء بعينهِ ويزيد عليهِ خمسهُ ويعطيهُ للذي هو لهُ (سفر الاحبار الفصل ٦ والآية ٤ و ٥)

(٢) هذا يشبه قول الفقهاء « ومن سرق من ابويهِ او ولدهِ او ذي رحم محرم منهُ لم يقطع وكذلك اذا سرق احد الزوجين من الآخر او العبد من سيدهِ او من امرأة سيدهِ او من زوج سيدتهِ » (شرح القدوري)

(١٣) حق اقامة دعوى السرقة لمن لهُ الانتفاع من حفظ المسروق ولو لم يكن مالكه [١]

(١٤) من ثم ينتج ان للدائن حقًا ثابتًا على اقامة دعوى السرقة عند سلب الرهن ولو كان الغريم قادرًا على الوفاء

(١٥) اذا سرقت الثياب المسلمة للقصار لكي يبيضها او يحفظها او للخياط لكي يرفأها بأجرة مسماة فاقامة دعوى السرقة للقصار او الخياط لا للمالك اذ لا نفع لهُ بذلك فلهُ ان يطالب باسترداد شيئهِ بدعوى الاجارة . وقد تقرَّر ان الذي ينتصب خصماً في دعوى السرقة هو القصار او الخياط ان ضليعين بالوفاء . والاَّ فالذي ينتصب خصماً في دعوى السرقة انما هو المالك نفسهُ لان النفع انما هو لهُ [٢]

(١٦) ما قد قيل في القصار والخياط كان القدماء يرون ان من الواجب ان يقال في المستعير غير أنَّا تجرُّزًا وتحوُّطاً قد اصلحنا هذه المادة وخيرنا المالك المعير بين اقامة دعوى العاريَّة على المستعير وبين اقامة دعوى السرقة على السارق لكنهُ عقب ان يختار احد الامرين فليس لهُ ان ينتقل من دعوى جنائية الى أُخرى [٣]

(١٧) ليس الوديع بضامنٍ للوديعة لكنهُ يضمن مايقع من الضرر بتقصيرهِ وتعديهِ

(١٨) ان غير البالغ يحكم عليهِ بالعقوبة اذا ارتكب الجرم بفهمٍ

(١٩) ان دعوى السرقة تنحصر في طلب العقوبة . واما المالك فلهُ فوق ذلك المطالبة بالشيء المسروق واستردادهِ [٤]

الفصل الثاني في الاشياء المغصوبة

من يغصب مال احد [٥] تقم عليهِ دعوى السرقة على ان القاضي يوجد دعوى خاصة يقال لها دعوى الغصب نسبةً الى هذا الجرم وهو غصب المسروق . وتعطى اربعة امثال المغصوب

---

(١) هذا موافق لما جاء في المجلة ونصهُ « اذا غصب الوديعة او المستعار او المأجور او المرهون فللوديع والمستعير والمستأجر والمرتهن أن يدَّعي بأُولئك على الغاصب فقط ولا يلزم حضور المالك وليس للمالك ان يدَّعي وحدهُ بأُولئك ما لم يحضر هؤلاء » (٢) ليس هذا القيد في الفقه الاسلاميّ

(٣) ان قانون يوستنيانوس هذا مخالف لما في الفقه الاسلامي كما رأيت فيما علقنا على المادة (١٣)

(٤) هذا الحكم ايضاً مخالف لما ورد في الفقه الاسلاميّ على ما علمت

(٥) الغصب شرعاً ازالة يدٍ محقةٍ بيدٍ مبطلة في مالٍ متقوّمٍ محترم بغير اذن ، المالك لا بخفية فاستخدام العبد وتحميل الدابة غصبٌ

في السنة [1]. واذا انقضت السنة يرد المغصوب فقط . وفي اربعة امثال المغصوب تدخل قيمتهُ (اعني يرد المغصوب مع ثلاثة امثاله)

(١) لاتقام هذه الدعوى الاَّ عند الغصب او الاخذ بنية رديئة فمن يرى نفسهُ مالكاً لما غصبهُ وهو يعتقد انهُ مأذون لمالك أن يأخذ ولو غصباً شيئهُ من الواضع يدهُ عليهِ يجب ان يغتفر لهُ . مع ذلك مقرَّرٌ انهُ لايؤْذن لاحدٍ ان يغصب حق ولا الشيء الذي يظنهُ لهُ . فان خالف هذه القاعدة يفقد ملكية شيئهِ الذي انتزع غصباً ممن هو في يدهِ . وان لم يكن الشيء المغصوب لهُ فعليهِ عقب ردهِ تأدية قيمتهِ بحسب تثمينهِ

(٢) تقع هذه الدعوى سواءٌ كان الشيء جزءًا من الاملاك اولم يكن لكن يشترط ان تكون لهُ علاقة بالاملاك . ولا بدَّ ان نقول ان عامة الاحوال التي يختفي فيها اختلاس الشيء تُعطي سبيلاً لدعوى السرقة وتقع في هذه الاحوال نفسها الدعوى التي سبق لنا الكلام فيها

الفصل الثالث في شريعة اكويليا [2]

ان دعوى الضرر المسببة عن التعدّي مقرَّرة في الباب الاول من شريعة اكويليا وهذا نصُّ ماهنالك " ان احدٌ قتل تعدّياً عبد الغير او دابتهُ يحكم عليهِ ان يؤدّي لمولى العبدوصاحب الدابة اغلى قيمةٍ كانت لها تلك السنة [3] »

(١ و٢) يُعد قاتلاً من يقتل من دون حقٍ . من يقتل لصّاً وقد سُدَّ عليهِ باب التخلّص

---

(١) في الفقه الاسلامي يجب على الغاصب ردّ عين المغصوب في مكان غصبهِ لتفاوت القيم باختلاف الاماكن أو ردُّ مثلهِ ان هلك وهو مثليٌّ . وان انقطع المثل فقيمته يوم الخصومة اي وقت القضاء وعند ابي يوسف يوم الغصب وعند محمد يوم الانقطاع وقد عوّلت المجلة على قول ابي يوسف وتجب القيمة في القيميّ يوم غصبهِ اجماعاً وفي المجلة « ان صادف صاحب المال الغاصب في بلدةٍ أخرى وكان المال المغصوب معهُ فان شاء صاحبهُ استردَّهُ هناك . وان طلب ردَّهُ في مكان الغصب فمصاريف نقليتهِ ومؤونة ردّهِ على الغاصب »

(٢) كان سنة ٦٦ قبل الميلاد واشتهر بفصاحتهِ القضائية وبعلم الفقه وهو صفيُّ شيشرون وخرّيج مدرسة سيوس سيفولا

(٣) هذا موافق لمذهب الشافعي فعندهُ لا يقتل الحرُّ بالعبد ومخالف لمذهب ابي حنيفة قال في الدرّ المختار « فيقتل الحرُّ بالحرّ و بالعبد » وفي ردّ المحتار « ولنا اطلاق قولهِ تعالى ان النفس بالنفس فانهُ ناسخ لقولهِ تعالى « الحرُّ بالحرّ » وقد جرى ابو الفتح البستي على مذهب الشافعي فقال

خذوا بدمي هذا الغزال فانهُ ... رماني بسهمي مقلتيهِ على عمدِ
ولا تقتلوهُ انني انا عبدهُ ... ولم أرَ حرّاً قطُّ يقتل بالعبدِ

فردَّ عليهِ بعض الحنفية بقولهِ

خذوا بدمي من رام قتلي بلحظهِ ... ولم يخشَ بطشَ الله في قاتل العمدِ
وقودوا بهِ جبراً وان كنتُ عبدهُ ... ليعلمَ أنَّ الحرَّ يقتلُ بالعبدِ

منهُ فدم اللص هدرٌ (١)

(٣) لا يؤَاخذ من يقتل عرضاً ان لم يقع ذلك بتقصيرٍ من جهتهِ (٢)

(٤) و بناءً عليهِ فان قتل من يلعب او يتمرَّن يرمي السهام عبداً وهو مارٌّ فان كان هذا الحادث صادراً من جنديٍّ في المكان الذي اعتيد فيهِ التمرُّن على الرماية فتقرَّر انهُ لا جرم عليهِ . وان حدث مثل هذا الحادث من رجلٍ ليس بجنديٍّ يؤَاخذ بجنايتهِ

(٥) متى قتل الحطَّاب عبداً عابر طريق بسقوط فرع من الشجرة فان وقع هذا الحادث على طرف الطريق والحطَّاب لم يصح لينبه كان مستوجباً العقاب لتقصيرهِ (ستأْتي البقية)



قد رأَينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

بورت آرثر والحرب الحاضرة

سيديَّ الفاضلين

عثرت في الجزء التاسع من مقتطفكما الاغر على مقالة ضافية في " بورت آرثر والحرب الحاضرة " لجناب م . ع . ج كشف بها القناع عن كثير من الحقائق المتعلِّقة بالشرق

---

(١) وكذا في الفقه الاسلامي . قال في الخانية « رأَى رجلاً يسرق ماله فصاح بهِ ولم يهرب . او رأَى رجلاً ينقب حائطهُ او حائط غيرهِ وهو معروف بالسرقة فصاح بهِ ولم يهرب حلَّ لهُ قتلهُ ولا قصاص عليهِ » وفي الحاشية عن البحر « استقبلهُ اللصوص ومعهُ مالٌ لا يساوي عشرة حلَّ لهُ ان يقاتلهم لقولهِ (ص) قاتل دون مالك . واسم المال يقع على القليل والكثير »

(٢) وموجب هذا في الفقه الاسلاميّ الكفارة والدية على العاقلة وفي الدرّ المختار « والثالث خطا وهو نوعان اما خطأٌ في ظنّ الفاعل كأَن يرمي شخصاً ظنهُ صيداً او خطا في نفس الفعل كأَن يرمي غرضاً او صيدا فاصاب آدمياً او رمى غرضاً فاصابهُ ثم رجع عنهُ او تجاوز عنهُ الى ما وراءهُ فاصاب رجلاً او قصد رجلاً فأَصاب غيرهُ » . واما عند اليهود فيهرب الى احدى مدن الملجإِ كما في الفصل ٤ من سفر التثنية

الاقصى ونسبتهِ الى اوربا. وقد ذكر في عرض الكلام انتباه اليابانيين من غفلتهم الشرقية حتى بلغوا منزلة ارقى الدول قوةً ومنعةً راجع صفحة ٧٦٥ . على انهُ لوى عنان البحث الى التقريع بهم لانهم اقتحموا حرب الروس وحكم عليهم بالجهل والطيش والانخداع والبطر والتهور محمولين برياح الاهواء البريطانية حاسباً ان البريطانيين حملوهم على كره الروس كرهاً شديداً ودفعوهم الى حرب وبيلة العاقبة . ومواقع النظر في هذه المقالة عديدة منها

اولاً انكارهُ على الانكليز الاعجاب باليابان مع ان ذلك لم يحصر في الانكليز بل يشاركهم فيهِ جميع الامم الراقية ومنهم الاميركان والفرنسيس والالمان

وثانياً ايماؤُهُ الى ان الامة الانكليزية اجمع قصدت التغرير بالامة اليابانية حتى لم يتمالك اللورد سالسبري مجاراة لامتهِ ان كتب يمدح جنودهم . وهذا الفكر من اغرب صور الخيال ان امة برمتها اجمعت على خداع امة ناهضة حديثاً وتطويحها في مغامر التهلكة . وقد نسي ان في الامة الانكليزية الوفاً من افاضل الاتقياء ينكرون الحرب ويحرمون الاشتراك فيها وفي كل مداخلة سياسية . هذا عدا ما نعلمهُ عن الامة الانكليزية انها الاولى في حب الخير وخدمة الانسانية في امم الارض . ومن الامور المستحقة الالتفات انهُ جعل مدير دفة سياستها منقاداً لاميال امتهِ لا ان الامة محمولة بغرض سياستها فتأمل

وثالثاً ان الامة اليابانية انطلت عليها حيلة الانكليز فحملت كتابات الانكليز في قوة اليابان ومنعتها محمل الحقيقة والصحة فتوهمت بنفسها خلاف الواقع . وهذا من الغرابة بمكان وهو يماثل اغترار رجل فقير لا يملك شروى نقير بكتابة رجل آخر عنهُ انهُ غنيٌّ فوهم في نفسهِ الغنى وهبَّ لمناضلة اغنياء زمانهِ مخدوعاً بما كتب فيهِ . فتأمل الصورة التي صوَّر فيها الامة اليابانية . فلو فرضنا ان رجلاً سخيف العقل خدع بكتابة كاذبة فيهِ أفيمكن انطلاء الخديعة على الامة بامرها وهي مؤلفة من خمسين مليون نفس وفيهم الساسة والكتاب والمخترعون والمؤلفون وارباب النقد والتبصُّر الذين تبرهنت اهليتهم وكفاءتهم في كل مواضيع البحث والنظر

وقد ثبت بالاختبار ان أكابر الهيئة الاجتماعية صلاحاً وفضلاً هم المحسنون ظناً في الآخرين وان اكرم الناس يرون على الدوام الجانب الصالح من غيرهم . وان المدح على الاحسان خير من الذم على الاساءة لانهُ يحمل على كثرة الصلاح من اسهل الطرق . وهذا اساس مدح اللورد سالسبوري لجنود اليابان في حرب الصين سنة ١٩٠٠ فانهُ بمدحهم يحمل غيرهم على التمثل بهم فترتقي آداب الجندية . وذلك من المقاصد التي يليق نسبتها للورد سالسبوري . واني لا اقول بعصمة رجال السياسة والادب ولكني لا أرى سبباً كافياً لاتهام اللورد سالسبوري

والمستر ستد ومؤلفي الاسكلوبيذيا البريطانية وبقية الخطباء والوعاظ والادباء من امة الانكليز بقصد خداع اليابان والتغرير بهم . ولو فرض ان النتيجة كانت كما زعم جنابهُ لكانت غير مقصودة من اولئك . لان التصور الذي تضمنتهُ مقالتهُ من المستحيل تحقيقهُ . ولو كان قصد الانكليز كما فسرهُ حضرتهُ لكان اليابان شعروا بهِ واسقطوا اصحابهُ لان صاحب الغرض مهما تلوَّن لا يقدر ان يخفي غرضهُ والهيئة الاجتماعية مطبوعة على اعتبار الخلوص في المقاصد والاقرب لحكم العقل السليم هو ان اللورد سالسبري والمستر ستد ومؤلفي الاسكلوبيذيا البريطانية وغيرهم من كتاب الانكليز وخطبائهم انما تكلموا بخلوص وبساطة في مديحهم اليابان . ولم يقولوا فيهم الأَّ ما رأوهُ واقتنعوا بصحتهِ . وبعيد عن الروية ان كل كتابات الانكليز على اختلاف طبقاتهم مدة ربع قرن كانت متجهة لدفع اليابان الى حرب الروس

اما الحكم الذي ابرمهُ حضرتهُ على الامة اليابانية في حربها مع الروس وانها سعت الى حتفها بظلفها وان حداثة عهدها في النعمة والقوَّة ابطرتها وحملتها على التهور وخسارة نعمتها وقوتها الخ . فاقل ما يقال فيهِ انهُ مبتسر اعني ان جناب الكاتب اسرع قليلاً فان رحى المعارك لاتزال دائرة الى الآن فلو صبر الى انجلائها عن دحر اليابان وخذلانهم لكان حكمهُ أمتن واجدر بالقبول . لان "السيف اصدق انباء من الكتب" فهل اليابان مخدوعة من نفسها او من كتاب الانكليز ومدفوعة الى حرب الروس اغترارًا وان ذلك يعود عليها بالدمار ذلك من انباء الغيب يعلنهُ الزمان . فليس علينا الأَّ الانتظار

لاريب في ان دولة الروس من اعظم دول الارض في القوة الحربية بحرية وبرية وان فيها القواد المحنكين والضباط المدربين وهي دولة شريفة يعز عليها الانكسار ولو مهما كلفها الامر . ولا ريب في انها قادرة على تجييش مئات الالوف وارسالها الى اقصى الارض بوجه السرعة وامدادها بالمؤن والذخائر وهي الدولة التي لم ترجع من ميادين القتال الأَّ ظافرة . وخضوع الامة للقيصر ومحبتها لهُ امر جدير بالاعتبار ويحملنا على الثقة بقوة الحكومة وتمكنها من المثابرة على الحرب الى امد طويل . كل ذلك مقرَّر على اننا لانرى من سداد الرأْي والحكمة الجزم بدمار اليابان لان النصر بيد الله يؤتيهِ من يشاء وهو على كل شيء قدير . وعلى فرض ان اليابانيين محقوا محقًا ووردوا الحتف في هذه الحرب فقد يكون لومنا اياهم في غير محلهِ اذا كانوا اضطروا للدخول فيها . وعلى كل حال ارى ان جناب الكاتب قد حمل اليابان المساكين مالا طاقة لهم على احتمالهِ . وهم الامة الوحيدة في الشرق التي نهضت من غفلتها حسبما اثبت جنابهُ . فحريٌ بنا الرفق بها ولا نحسب نهوضها ذنبًا لئلا نثني عزم بقية امم المشرق الغافلة عن التمثل بها . على

انا من جهة ثانية لا نؤكد الفوز لليابان ولا نسلق الروس السنة حداداً ولا نتهمهم بالانخداع والغرور والتعدي · ومع اننا نرى اندفاق كتائب اليابان في اغوار منشوريا وانجادها ولا اندفاق السيول الجارفة · وقد طموا على روابيها وجبالها · وحلوا قلاعها وحصونها · واصلوا الروسيين ناراً حامية · وقذفوا عليهم سيولاً من الكرات الجهنمية · فزحزحوهم بعد معارك يشيب لها الولدان من شمولبو و بنغ ينغ وبنغامبو وانجو ويجو وانتونغ وطاكوشان وشانتونغ وطاليان وان ودالني وكنشو وتنشان ووافنكو وفوشو وسيوبان وسيمازي ودالينغ وشيلنغ وكينغ وطاكشياو وبن كوف ونيوشوانغ وهايشنغ ولياوينغ عدا الوقائع البحرية التي لم يثبت التاريخ نظيرها فانهم حطموا الاساطيل الروسية وفرقوها ايدي سبا واغرقوها وعظام قوادها في اعماق البحار · وانفردوا في السيادة البحرية في الشرق ولا تزال اعلام النصر خافقة فوق رؤوسهم براً وبحراً مدة ثمانية اشهر · مع كل ذلك لا نفخر بهم ولا نكفل لهم النصر نهائياً ولا ننسب لاعدائهم الطيش والغرور · ومن يعلم ماذا يجيء به الغد · ومن يعلم هل يكون النصر لروسيا او لليابان ومع ان لنا اساساً للظن لكننا لا نرى من باب الحكمة والانصاف ان نجزم بما نظنهُ ونبني عليهِ اللوم والتقريع بدول الارض العظيمة وفيها من الكتاب والادباء وقادة الافكار من لا نشق لم غباراً · واذا حكمنا بشيء واتت الايام بعكسهِ نضطر الى تغييرهِ بالم وخجل · فلندع اليابان والروس يبرهنون بالفعل مقدرتهم او اغترارهم وبعدها نحكم بما حدث ويكون حكمنا حقاً لا ريب فيهِ · وقد احسن من قال لا تحكموا في شيء قبل الوقت · وخلاصة ما اقولهُ اني استلفت نظر جنابهِ الى امرين

الاول تأويلهُ كل كتابات الانكليز على اختلاف طبقاتهم تأويلاً يصرفها الى التغرير باليابان ودفعهم الى الدمار فان ذلك يحط من كرامة الانكليز ويسلبهم كل حقيقة ادبية في كتاباتهم · ولا يسلم عقل بذلك

والثاني تشديدهُ النكير على اليابان لانهم تعرضوا لمناوأة الروس بداعي انهم ضعفاء عاجزون عن ذلك وحكمهُ الجازم بخذلانهم قبل الوقت · وفيما سوى ذلك اثني على همتهِ وفضلهِ وأوافقهُ في كثير من آرائهِ الفنية واهديهِ تحيتي واعتباري والسلام

حمص (باحث)

نفس العين وعين الاثر

قصيدة من نظم الشاعر المطبوع عزتلو فارس بك شقير قائمقام قضاء الكورة في لبنان نظمها تذكاراً للاحتفال باقامة تمثال العلامة الفاضل الدكتور دانيال بلس الرئيس الاول للمدرسة الكلية الانجيلية في بيروت

هل اثرٌ شاد المرء من حجرٍ — كأثرٍ شاد الفضل من بشرِ
فالنفس والعلم باقيان على — رغم التلاشي في العالم النظري
ليست اساطين بعلبكَّ لها — شان الاساطر عن أُلي الأَثرِ
ولا سنى الشمس ضاء في قمرٍ — كبارق العلم ضاء في فكرِ
ذاك بدا فانتهى الى قدرٍ — وذاك سارٍ نامٍ مع العُصُرِ
واللاهيولي يسمو بجوهره — عنها اقتفاء في السير والسِيَرِ
أجل حياة الارواح سامية — رغم انحطاط الاشباح في صغرِ
والفرق بين المثال من جمدٍ — وما بناهُ التثقيف من نفرِ
كالفرق ما بين العقل منطلقاً — والنقل قيد الحدود والصُوَرِ
لقد بنى دانيال خير بني الا — م وطان خير الآثار والأُثرِ
أنشا اراكين الفضل ثابتةً — ايات ما انشأوا يد الغيرِ
من كلّ فردٍ تشقّ نظرتهُ — حجاب ما الجهل حاك من حبرِ
فمن حكيمٍ شعاعُ حكمتهِ — يكشف ليل الضلال والغررِ
ومن طبيبٍ تلقى عيادتهُ — عوامل البرء موضع الخطرِ
ومصقعٍ خلتَ فوقَ منبرهِ — سحراً يريك الكلام من دُرَرِ
وشاعرٍ آخذٍ بلاغتهُ — بما تمنى من كل مبتكرِ
وناثرٍ لم يفق عبارتهُ — الاّ سموُّ الآيات في سورِ
وراسم رسمهُ الحقيقةُ لو — جاز حلول الارواحَ في صورِ
وحاسب قد وعت بصيرتهُ — ما كان اوعى في الصحف بالبصرِ
وزارعٍ يجعل السباخ على — حالٍ تسوم البذار بالبدرِ
وتاجر حرز مالهِ يدهُ — وفكرهُ حرز المدن والمدرِ
وسائس ساس أُمة بلغت — بهِ من الغاي كل مفتخرِ

هاتيك آثار دانيال وهل — من غرر فوق تلكم الغرر
ترى رأوا قطعة الرخام كفا — لفضل مسعاه الباهر الخطر
لا بل دروا انهُ اسحتال فقد — مدوا اليهِ بنان معتذرِ
وهو على فضلهِ ومفخرهِ — قابلهم بالوقار والخفرِ
اخواننا في الديار ليس لنا — عن شكرهِ غير الاقرار بالحصرِ
زحتم غطاءه عن الرخام لمن — زاح غطا جهل السمع والبصرِ
الراسخ الباذخ المقام اذا — عدَّت مقامات القدر والقدَرِ
العالم العامل المزين بهِ — حقيقة الخُبر صادق الخبَرِ
أبا هوردٍ لله درّك من — شيخٍ جليل بالحزم مدَّثرِ
يا أصل ذات ابنك الكريم يرى — آثارك الغرّ خير مفتخرِ
هورد يا خير من قفا سلفاً — قد فاح طيب ذكرهِ العطرِ
فكن له ابناً وللصفوف اباً — يرعاهم وسع الحرص والسهرِ
منبهاً من قوى خواطرهم — ما يستفكهُ النهى من الأُسرِ
وكن لهم مثل من دعاك لهم — فعاضهم بالفتا من الكبرِ
حذار شيخوخةٍ تدب الى — شباب آداب الانفس النضرِ
وكن كما كان حكمة ومضاً — وعش كما عاش سامي الوطرِ
ولا نقف عند حدِّ حالتنا — ان القوى ترتقي مع الدهرِ
ولا تشب ما نقوله سلفاً — قد زيَّنَ الله الغصن بالثمرِ
يا فرع أصلٍ ذكت عناصرهُ — من جوهر الناس لا من الحجرِ

اول تمثال في حمص

المرحوم الدكتور سليمان الخوري عيسى من رجال سورية النابغين خدم وطنهُ ودولتهُ خدمةً نصوحاً خلدت لهُ الذكر العطر والاحدوثة الطيبة وقد عرف قراء المقتطف الكرام شيئاً من ترجمة حياتهِ ومما نشرعنهُ في العدد السادس من السنة الماضية مشفوعاً برسمهِ . وبما ان الامم الراقية في سلَّم الحضارة والتمدن قد اعتادت ان تنصب لرجالها العظماء التماثيل والانصاب برهاناً على اعترافها بجميل اولئك الرجال الافاضل خدَمة الانسانية والوطنية فلم يمضِ على وفاة الفقيد مدة طويلة حتى تحركت عاطفة عرفان الجميل في نفوس بعض الوطنيين الغيورين على

تخليد ذكر المحسنين واقترحوا اقامة تمثال له يشترك فيهِ ابناء وطنهم كلهم . غير ان انجال الفقيد مع شكرهم هذه العواطف الشريفة التي اظهرها المواطنون وقدرهم اياها قدرها واعتبارها اعظم مشاركة في آلام مصابهم الفادح واكبر تعزية عنهُ فقد ابوا الاَّ ان يقوموا هم بنفقات هذا الاثر برًّا بوالدهم الذي اورثهم المجد التليد والطريف مكتفين من مواطنيهم بذلك الشعور الشريف وتلك العاطفة المقدسة عاطفة عرفان الجميل

ولما تمَّ صنع التمثال في اشهر معامل ايطاليا ووصل الى حمص تعيَّن يوم الاحد الواقع في ٧ اب (اغسطس) موعدًا للاحتفال برفع الغطاء عنهُ ووُزعت رقاع الدعوة على وجهاء المدينة ونبلائها للاشتراك في هذا الاحتفال الوطني الذي لم يسبق لهُ نظير . ولما أزفت الساعة المعينة من صباح ذلك اليوم تقاطر الناس زرافات ووحدانًا الى كنيسة القديس ايليان للروم الارثوذكس وبعد انتهاء القداس خرجوا الى المدفن المجاور الكنيسة حيث تمثال الفقيد على ضريحهِ . وكان في مقدمة الجمع سيادة الحبر السيد اثناسيوس متروبوليت حمص ومايليها وسائر اكليروسهِ الموقر

فلما وقف سيادتهُ بجانب الضريح ارتجل خطبةً نفيسة بيَّن فيها الغرض من اقامة هذا الاثر وعدَّد بوجيز العبارة خدمات الفقيد ثم أوعز الى حضرة الوجيه حبيب افندي مرهج ان ينوب عنهُ بكشف التمثال ففعل مرددًا قول المرنم الالهي : الصديق يكون لذكرٍ ابدي . فاذا هو تمثال نصفي فائق الاتقان يمثل الفقيد الكريم احسن تمثيل . ثم كلف حضرتهُ جناب الاستاذ حبيب افندي الخوري الانطاكي ان يقرأ بالنيابة عنهُ خطبةً كان قد اعدها لهذا الاحتفال البهيج . وعقبهُ في موقف الخطابة الدكتور كامل افندي لوقا والاستاذ يوسف افندي شاهين وكاتب هذه الرسالة فعدَّدوا صفات الفقيد الحسناء . ثم تقدم حضرة الدكتور كامل افندي الخوري نجل صاحب الاثر وشكر للحاضرين غيرتهم ومؤاساتهم وانعطافهم واثنى على فضلهم ومعروفهم واختتم كلامهُ بالدعاء لجلالة المتبوع الاعظم

رزق الله نعمة الله عبود

مقام العلم في اميركا

افتتحت مدرسة كولمبيا الجامعة في نيويورك سنتها المئة والحادية والخمسين بمنح رئيس اساقفة كنتربري رندال تومس دافيدسن د. ل رتبة دكتور في الشرائع

شهدت هذه الحفلة ورأيت اهل الدين واهل العلم يضمهم منبر واحد وعليهم الجبب بعصائبها الحريرية الملونة بحسب رتب اصحابها العلمية فكان رئيس الجامعة نكولاس مري بتلر

على كرسي مرتفع وعن يمينهِ رئيس اساقفة كنتربري واسقف نيويورك وعن شمالهِ الدكتور روبرت ودورد ورئيس الجامعة الروحي وخلفهُ بضع مئة من الاساتذة والمعلمين وامامهُ بضعة الوف من التلامذة والزائرين . وافتتحت الحفلة بترنيمة وصلاة ثم رحب الرئيس بالتلامذة وخطب الدكتور ودورد في المرامي المدرسية وبعد هذا وقف اسقف نيويورك ليقدم رئيس اساقفة كنتربري لاخذ الرتبة وخاطب الرئيس بما يأتي (بعدما ذكر انهُ اطلع على رأي بعضهم ان اميركا تحسب من منائيء الجنس البشري)

"سيدي — يسرني اعتقادي انهُ سواء كانت المدنية اشرقت اولاً على شواطيء القارات الشرقية او الغربية فانها اكتسبت من اسلافنا الانكلوسكسونيين مجداً لن يفنى . وجامعة كولمبيا هذه كانت تدعى بادىء بدء مدرسة الملك لان ملك بريطانيا جورج الثاني كان اول من القى بزور العلم فيها وكان اول من عينهُ من حلقة مديريها رئيس اساقفة كنتربري . وقد مضت السنون العديدة وتبدلت تلك المباديء الصغيرة بهذه المعاهد الكبيرة الاَّ انهُ لم يمرَّ في تاريخ هذا المعهد العلمي ساعة جليلة كهذه لان رئيس اساقفة كنتربري هو بيننا الآن ليرى بعينيهِ العمل الذي اسسهُ اسلافهُ الاماجد وعززوهُ . وهو بوظيفتهِ السامية وشهرتهِ الواسعة كعالم سيامي وروحاني يجلهُ الناس هناك وهنا وهؤلاء التلامذة سيزيدون في اجلالهِ ولا سيما بعد ما يلقي البركة على اسس معبدكم الجديد . فانا اقدمهُ ياسيدي لاني عالم انك سترحب بهِ عنا جميعاً وباسم دائرة امناء هذه الجامعة اسألك ان تمنحهُ رتبة الشرف رتبة دكتور في الشرائع "

عندئذ نهض الرئيس بتلر وبيده دبلوما الرتبة وخاطب رئيس الاساقفة باوصافهِ ورتبهِ الدينية والعلمية جميعها ثم سلمهُ الدبلوما وحالما فعل ذلك تقدم من خلفهِ اثنان من عمدة المدرسة وألبسا رئيس الاساقفة شارة الرتبة من الحرير الملون حسب الوان المدرسة . ثم تكلم رئيس الاساقفة بعد ما صفق لهُ الحضور طويلاً وقال

" لي اشرف ايها الرئيس ان اصير من عداد نائلي رتب جامعة كولمبيا ومع اني احدث من هؤلاء جميعاً فانا اقدمهم بعلاقتي برئاسة اسقفية كنتربري التي كان لها اليد الاولى في تدبير شؤون هذه الجامعة " ثم قال " تعلمون انهُ لايزال لدينا مسائل شتى ينبغي حلها على اني اعتقد ان مسائل عظيمة ولا سيما في سبيل التربية قد تمكنتم انتم من حلها بسرعتكم المعروفة ونحن لم نستطع اتقانها في اربعمائة سنة . واي رجل يقف تجاه هذا الجمهور العظيم ولا يتأثر من الافكار التي يوحيها اليهِ ? نعم نحن واقفون في فجر انور قرن مرَّ فيهِ العالم وعلى شفا اكتشافات عظيمة

ستظهر في عالم المعرفة والعلم ومن يا ترى سيفتح الابواب الجديدة ويستخدم قوى الطبيعة بطرق اكمل من ذي قبل لمنفعة البشر الاَّ اهل العلم انتم الذين اراكم امامي"

وبعد هذا مشى رئيس الاساقفة ورئيس الجامعة يتلوهما الاساتذة والمعلمون والتلامذة والزائرون الى موقع المعبد الجديد حيث جرت الترانيم والصلوات التبريكية وانقضت الحفلة

هذا خلاصة ما وقع في هذه الحفلة اوردتهُ مقدمة طويلة لنتيجة قصيرة احب ان اعلقها هنا وهي اجلال العلم واهلهِ والتباهي برتبهِ حتى من رؤساء الدين الفخام — وقوف رئيس كولمبيا على دكة صغيرة (وهو لا يزال في منتصف عمرهِ) وبيدهِ الدبلوما وامامهُ رئيس اساقفة كنتربري الطائر الصيت متوج ملوك انكلترا واقف بوقار ليتناول الدبلوما ويعتز بالانتساب الى المدرسة ومتخرجيها ويقر بشرف الرتبة التي خلعت عليهِ — كل هذه امور اثرت فيَّ تاثيرًا بالغًا كرجل دخل هذه البلاد حديثًا واثرة رجال الدين وسيطرتهم في الشرق لا تزال في خاطري. هذا ما حداني لكتابة هذه السطور ليقف قراء المقتطف في الشرق على نسبة اهل الدين الى اهل العلم في الغرب ويعلم كل شرقي لم يعلم هذا من قبل انهُ ما دام استبداد رؤساء الدين سائدًا في البلاد فضلاً عن استبداد الحكام فقد ضرب الله لتأخر سورية اجلاً غير مسمًّى

جامعة كولمبيا — نيويورك في ٣ اكتوبر سنة ١٩٠٤ بولس الخولي

رسوخ الاوهام

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

زرت احد معارفي بالامس فجرت امامي الحادثة التابعة بين ربة البيت واحدى زائراتها

ربة البيت — لا اعرف ماذا اعمل لابني فقد صار عمرهُ سنتين وهو لا يستطيع المشي حتى الآن

الزائرة — اني اصف لك شيئًا جرَّبهُ كثيرون من معارفنا وام فلان كان ابنها مثل ابنكِ فاستعملت لهُ هذا العلاج فمشى حالاً

ربة البيت — ما هو

الزائرة — خذي ابنكِ يوم الجمعة وقت صلاة الظهر وخطّيهِ فوق الكوانين في المطبخ قائلة ياشيخ مخل ياشيخ مخل وحياة الكباب والمحشي خلّ ابني يمشي

هذا ما سمعتهُ باذني. وواصفة هذا العلاج من بنات المدارس وتعرف اللغة الفرنسوية

طنطا سلامون حموي



تاريخ التمدن الاسلامي

الجزء الثالث

موضوع هذا الجزء " العلم والادب وما كان منهما عند العرب قبل الاسلام وما احدثهُ الاسلام من التغيير في القرائح والعقول وما نقل عن اللغات الاجنبيَّة من العلوم وما كان من تأثير التمدن الاسلامي في كل ذلك " وقال مؤلفهُ رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان انهُ " يشتمل على خلاصة تاريخ العلم والفلسفة والادب من اول عهد العمران الى ظهور الاسلام فضلاً عن تاريخها فيهِ "

ولا يخفى ان الموضوع واسع النطاق جدًّا لا يستوفى الاَّ في المجلدات الضخمة فان علماء اوربا الذين كتبوا في تاريخ العلوم وارتقائها وضعوا في تاريخ بعضها كعلم الهيئة وعلم الطب وعلم الكيمياء مجلدات كبيرة فلا ينتظر ان يدمج تاريخ العلم والفلسفة والادب من اول عهد العمران الى ان دالت دول الاسلام في نحو مئتي صفحة ناهيك عن انما يكتب في تاريخ كل علم لا يجيء وافياً بالمراد ما لم يكن كاتبهُ من المتبحرين في ذلك العلم الواقفين على كتب اهلهِ ومذاكراتهم في مسائلهِ المختلفة وما لم يطالع اشهر الكتب الموضوعة فيهِ. فعلى من يكتب تاريخ علم الكيمياء عند العرب مثلاً ان يطلّع على اشهر الكتب الموضوعة فيهِ قبلهم ثم على اشهر الكتب التي ترجموها والتي وضعوها ثم يسرد القضايا التي عُرفت قبل عهدهم والقضايا التي عرفوها هم كما فعل ديماس وبلثن وغيرهما . وقس على ذلك علم الهيئة وعلم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وعلم القطوع المخروطية وسائر العلوم الرياضية وكذلك علم الطب بكل فروعهِ . والاعتماد على الكتب العربية لا يشفي غليلاً لان تكريرها للقول ان العرب اشتغلوا بالعلم والحكمة والرياضة والطبيعة لا يفيد شيئاً وكذلك تعديدها لاسماء المؤلفين واسماء تآليفهم لا يكفي الباحث المحقق . و يظهر لنا ان هذا الجزء شبه مقدمة لما يمكن ان يكتب في هذا الموضوع بما يكفي من الاشباع وهو مع ذلك جامع لفوائد جمة وتحقيقات كثيرة مما لم نرهُ في غيرهِ من الكتب وبعضها مما لم يذكرهُ احد من الباحثين في هذا العصر غير المؤلف على ما يظهر لنا كاستقصائهِ الخبر عن حرق مكتبة

الاسكندرية الى ما قبل ابي الفرج الملطي فبرَّأَهُ مما اتهمهُ بهِ كثيرون من انهُ وضع الخبر .
والفصل الذي عقدهُ المؤلف لهذا الموضوع يشهد لهُ بدقة البحث وحسن النظر وقد رأينا ان
ننقل اكثرهُ عنهُ قال :

"جاء في تاريخ مختصر الدول لابي الفرج الملطي عند كلامهِ عن فتح مصر على يد عمرو بن
العاص ما نصهُ " وعاش (يحيى الغراماطيقي) الى ان فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية
ودخل على عمرو وقد عرف موضعهُ من العلوم فأكرمهُ عمرو وسمع من الفاظهِ الفلسفية التي لم
تكن للعرب بها أنسةٌ ما هالهُ ففتن بهِ وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمهُ
وكان لا يفارقهُ . ثم قال لهُ يحيى يوماً (انك قد احطت بحواصل الاسكندرية وختمت على
كل الاصناف الموجودة بها فما لك بهِ انتفاع فلا نعارضك فيهِ وما لا انتفاع لك بهِ فنحن اولى
بهِ) فقال لهُ عمرو (ما الذي تحتاج اليهِ) قال (كتب الحكمة التي في الخزائن الملوكية) فقال لهُ
عمرو (هذا ما لا يمكنني ان آمر فيهِ الاَّ بعد استئذان امير المؤمنين عمر بن الخطاب) .
فكتب الى عمر وعرَّفهُ قول يحيى فورد عليهِ كتاب عمر يقول فيهِ (واما الكتب التي ذكرتها
فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنهُ غنى وان كان فيها ما يخالف كتاب الله
فلا حاجة اليهِ فتقدم باعدامها) فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية
واحراقها في مواقدها فاستنفدت في مدة ستة اشهر فاسمع ما جرى واعجب "

" وليس في نص هذه العبارة التباسٌ ولكن الذين يحِلُّون العرب عن احراق هذه المكتبة
يطعنون في هذه الرواية وينسبون قائلها الى التعصب الديني وفي جملتهم جماعة كبيرة من
مؤرخي الافرنج وقد الفوا الرسائل والكتب في تجريحها . وخلاصة اقوالهم : ان ابا الفرج
المذكور هو اول من نسب حريق مكتبة الاسكندرية الى عمرو بن العاص وانهُ انما فعل ذلك
تعصباً للنصرانية وتحقيرًا للاسلام . وانهُ من اهل القرن السابع للهجرة وكان ابوهُ يهوديًا
وتنصر وشب ابو الفرج على النصرانية وارتقى في رتب الاكليروس الى الاسقفية ثم الف تاريخًا
في السريانية استخرجهُ من كتب يونانية وفارسية وعربية وسريانية واستخلص من هذا التاريخ
كتابًا في العربية سماهُ مختصر الدول — قالوا " وهو اول كتاب ذكرت فيهِ هذه القصة
وتناقلها عنهُ الافرنج الى هذه الغاية " وان ما جاء في هذا الشأن من اقوال عبد اللطيف
البغدادي والمقريزي وحاجي خلفه من مؤرخي المسلمين لا تعتبر مصادر مستقلة لان المقريزي
نقل عن عبد اللطيف حرفيًا وحاجي خلفه لم يذكر مدينة الاسكندرية وانما اشار الى ان
العرب في صدر الاسلام لم يعتنوا بشيء من العلوم الاَّ بلغتهم وشريعتهم حتى قال " ويروى

انهم احرقوا ما وجدوهُ من الكتب في فتوحات البلاد " وان عبد اللطيف البغدادي ذكر حريق المكتبة في عرض كلامهِ عن عمود السواري بغير تحقيق . ويزعم اصحاب هذا الرأي ان مكتبة الاسكندرية احرقها الرومان قبل الاسلام وانها لو احرقها العرب لذكرها مؤرخو المسلمين وخصوصاً كتّاب الفتوح والمغازي . اه

" لا ننكر ان بعض هذه المكتبة احترق قبل الاسلام ولكن ذلك لا يمنع احتراق باقيها في الاسلام . اما النصوص التي وردت في هذا الشأن فليس ابو الفرج اول من رواها كما توهم بعضهم . فان عبد اللطيف البغدادي طاف بمصر وكتب عن مشاهدها وآثارها وذكر احراق العرب لهذه المكتبة قبل ان يولد ابو الفرج بيضع وعشرين سنة لان ابا الفرج ولد سنة ١٢٢٦ م (٦٢٢ هـ) وعبد اللطيف زار مصر في اواخر القرن السادس للهجرة وهاك نص عبارتهِ « ورايت ايضاً حول عمود السواري من هذه الاعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حالها انها كانت مسقوفة والاعمدة تحمل السقف وعمود السواري عليهِ قبة هو حاملها . وارى انهُ الرواق الذي كان يدرس فيهِ ارسطوطاليس وشيعتهُ من بعدهِ وانهُ دار العلم التي بناها الاسكندر حين بنى مدينتهُ وفيها كانت خزانة الكتب التي احرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضي الله عنهُ »

" نعم ان عبارة البغدادي مختصرة وقد جاءت عرضاً لكنها تدل على وثوق قائلها بصحتها كانهُ اخذها عن مصدر موثوق بهِ ومعول عليهِ في ذلك العصر كالذي اخذ عنهُ ابو الفرج

" اما ابو الفرج فقد اتمَّ كتابهُ مختصر الدول في العربية في اواخر حياتهِ (توفي سنة ٦٨٤ هـ) وهو ليس مختصر تاريخهِ السرياني الاَّ من حيث اخبار الفتح لانه يزيد على النسخة السريانية باخبار كثيرة عن الاسلام والمغول وتاريخ علوم الروم والعرب وآدابهم . واما السرياني فهو عبارة عن اخبار الفتح فقط فاغفال ذكر احراق المكتبة فيهِ لا يدل على انهُ دخيل في النسخة العربية او دسهُ فيهِ بعض المتأخرين كما توهم بعضهم وانما ذكر في النسخة العربية لانهُ يتعلق باداب الروم والعرب التي ادخلها المؤلف في هذه النسخة كما تقدم

« وقد تبين لنا بالبحث والتنقيب ان ابا الفرج المذكور نقل تلك الرواية عن مؤرخ مسلم توفي قبلهُ بنحو اربعين سنة وهو جمال الدين ابو الحسن علي بن ابرهيم القفطي وزير حلب المعروف بالقاضي الاكرم ولد في قفط من صعيد مصر سنة ٥٦٥ وتوفي في حلب سنة ٦٤٦ هـ وللقاضي المذكور كتاب في تراجم الحكماء عثرنا على نسخة منهُ خطية في دار الكتب الخديوية مكتوبة سنة ١١٩٧ هـ وقرأنا فيها في اثناء ترجمة يحيي النحوي كلاماً في معنى كلام ابي الفرج

واكثر تفصيلاً منهُ وفيهِ شيءٌ عن تاريخ هذه المكتبة منذ انشائها — واليك نص قولهِ:

"وعاش (يحيى النحوي) الى ان فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية ودخل على عمرو وقد عرف موضعهُ من العلم واعتقاده وما جرى لهُ مع النصارى فاكرمهُ عمرو ورأى لهُ موضعاً وسمع كلامهُ في ابطال التثليث فاعجبهُ وسمع كلامهُ ايضاً في انقضاء الدهر ففتن بهِ وشاهد من حججهِ المنطقية وسمع من ألفاظهِ الفلسفية التي لم يكن للعرب بها انسة ماهالهُ . وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمهُ وكاد لايفارقهُ . ثم قال لهُ يحيى يوماً (انك قد أحطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الاجناس الموصوفة الموجودة بها فاما مالك بهِ انتفاع فلا اعارضك فيهِ واما ما لا نفع لكم بهِ فنحن اولى بهِ) فأمر بالافراج عنهُ . فقال لهُ عمرو (وما الذي تحتاج اليهِ) قال (كتب الحكمة في الخزائن الملوكية وقد اوقعت الحوطة عليها ونحن محتاجون اليها ولا نفع لكم بها) فقال لهُ (ومن جمع هذه الكتب وما قصتها) . فقال لهُ يحيى (ان بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك حبب اليهِ العلم والعلماء وفحص عن كتب العلم وامر بجمعها وافرد لها خزائن فجمعت وولى امرها رجلاً يعرف بابن مرة (زميرة) وتقدم اليهِ بالاجتهاد في جمعها وتحصيلها والمبالغة في اثمانها وترغيب تجارها ففعل واجتمع من ذلك في مدة خمسون الف كتاب ومائة وعشرون كتاباً ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها قال لزميرة اترى بقي في الارض من كتب العلم مالم يكن عندنا . فقال لهُ زميرة قد بقي في الدنيا شيءٌ في السند والهند وفارس وجرجان والارمان وبابل والموصل وعند الروم فعجب الملك من ذلك وقال لهُ دم على التحصيل فلم يزل على ذلك الى ان مات وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الامر من الملوك واتباعهم الى وقتنا هذا) . فاستكثر عمرو ماذكرهُ يحيى وعجب منهُ وقال لهُ (لايمكنني ان آمر فيها بامر الاَّ بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) وكتب الى عمر وعرفهُ بقول يحيى الذي ذكر واستأذنهُ ما الذي يصنعهُ فيها فورد عليهِ كتاب عمر يقول فيهِ (واما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنهُ غنى وان كان فيها ما يخالف كتاب الله تعالى فلا حاجة اليها فتقدم باعدامها) . فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية واحراقها في مواقدها وذكرت عدة الحمامات يومئذٍ وانسيتها فذكروا انها استنفدت في مدة ستة اشهر فاسمع ما جرى واعجب" انتهى كلام ابن القفطي

"وبمقابلة هذه الفقرة بكلام أبي الفرج يتضح لك ان أبا الفرج نقل قول ابن القفطي مختصراً . ولو قرأت الكتابين لعلمت ان أبا الفرج نقل كثيراً من زياداتهِ العلمية في كتابهِ

العربي عن كتاب ابن القفطي ككلامهِ عن ثيادوق طبيب الحجاج فان العبارة منقولة عن تراجم الحكماء حرفيًّا

"بقي علينا البحث في المصدر الذي نقل عنهُ ابن القفطي والغالب انهُ نفس المصدر الذي نقل عنهُ عبد اللطيف البغدادي لانهما كانا متعاصرين وعبد اللطيف سابقهُ لانهُ ولد سنة ١٥٥٧ وتوفي سنة ٦٢٩ هـ ولكن لسوء الحظ قد ضاعت تلك المصادر في جملة ماضاع من مؤلفات العرب . على اننا اذا تدبرنا ما ذكرهُ ابن النديم في كتاب الفهرست عن اخبار الفلاسفة الطبيعيين من حكاية انشاء مكتبة الاسكندرية يتضح لنا ان في جملة المصادر التي نقلت عنها تلك الرواية تاريخًا لرجل اسمهُ اسحق الراهب كان يبحث في اخبار اليونان والرومان وآدابهما . ومن جملة ما نقلوهُ عنهُ خبر انشاء مكتبة الاسكندرية على يد زميرة وهاك نصهُ .

« ان بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك فحص عن كتب العلم وولى امرها رجلاً يعرف بزميرة فجمع من ذلك على ما حكي اربعة وخمسين الف كتاب ومائة وعشرين كتابًا وقال لهُ ايها الملك قد بقي في الدنيا شيء كثير في السند والهند وفارس وجرجان والارمان وبابل والموصل وعند الروم » وهي نفس عبارة ابن القفطي فالظاهر انهُ اخذ انشاء المكتبة عن اسحق المذكور واخذ حريقها عن سواهُ . ولولا مانقلهُ ابن النديم عن اسحق الراهب من امر الفلاسفة لما علمنا بوجودهِ وظنناهُ لم يقل شيئًا كما ظننا المسلمين لم يذكروا شيئًا عن حريق مكتبة الاسكندرية على يد عمرو

"فيؤخذ مما تقدم ان حكاية احراق مكتبة الاسكندرية لم يختلقها ابو الفرج لتعصب ديني ولا دسها احدٌ بعدهُ بل هو نقلها عن ابن القفطي وهو قاضٍ من قضاة المسلمين عالم بالفقه والحديث وعلوم القرآن واللغة والنحو والاصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجبر والتعديل وكان صدرًا محتشمًا جمع من الكتب ما لا يوصف وكانوا يحملونها اليهِ من الآفاق وكانت مكتبتهُ تساوي خمسين الف دينار ولم يكن يحب من الدنيا سواها ولهُ حكايات غريبة عن غرامهِ بالكتب ولم يخلف ولدًا فاوصى بمكتبتهِ لناصر الدولة صاحب حلب . ولهُ مؤلفات عديدة في التاريخ والنحو واللغة وفي جملتها كتاب اخبار مصر من ابتدائها الى ايام صلاح الدين في ستة مجلدات وكتاب تراجم الحكماء الذي نحن في صددهِ . وان ابن القفطي وعبد اللطيف البغدادي اخذا عن مصدر ضائع . واما خلو كتب الفتح من ذكر هذه الحادثة فلا بد لهُ من سبب والغالب انهم ذكروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامي واشتغال المسلمين بالعلم ومعرفتهم قدر الكتب فاستبعدوا حدوث ذلك في عصر الخلفاء الراشدين فحذفوهُ

او لعلَّ لذلك سبباً آخر . وفي كل حال فقد ترجح عندنا صدق رواية ابي الفرج ". انتهى

ومعلوم ان نقل ابي الفرج عن ابن القفطي المعروف بالقاضي الاكرم لا يحل المسألة بل يبعد الاسناد درجة . ولا تزال هذه المسألة في معرض البحث لاسيما وان رواية ابن القفطي بعيدة عن التحقيق التاريخي وقد رجح الباحثون ان يوحنا النحوي المذكور فيها هو يوحنا فيلبونس الذي نشأ قبل الفتح باكثر من مئة سنة

والكتاب في مئتي صفحة بقطع المقتطف وهو حافل بالفوائد التاريخية جامع لزبدة كتب كثيرة وقد اسند المؤلف ما نقله الى المصادر التي نقل عنها وذكر الجزء والصفحة ولكنهُ اغفل ذكر الطبعة التي نقل عنها وبعض الكتب طبع مراراً فلا تنطبق صفحات الطبعة الواحدة على صفحات الطبعة الثانية . وتتمُّ الفائدة لو اشار في صدر الكتاب الى النسخ التي اعتمد عليها كما فعل صاحب كتاب حضارة الاسلام

ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد

لما كانت المكاتب العربيَّة حافلة بالكتب العلمية من مترجَم وموضوع كان تلخيص مواضيعها مسهلاً على الباحثين كما فعل مؤلف هذا الكتاب وهو الامام شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري السنجاري المتوفى سنة ٧٤٩ للهجرة فانهُ جمع مواضيع اكثر العلوم المعروفة لعصره في رسالة وجيزة وذكر فيها من اسماء الكتب المؤلفة في العلوم المختلفة ما يرشد طالب البحث عن علوم العرب والمنقول اليهم والمنقول عنهم فيسهل عليهِ استقصاء ما يريد استقصاءهُ . خذ مثالاً لذلك ما ذكرهُ عن علم الهندسة قال "هو علم يتعرَّف منهُ احوال المقادير ولواحقها واوضاع بعضها عند بعض ونسبها وخواص اشكالها والطرق الى عمل ما سبيلهُ ان يُعمَل بها واستخراج ما يحتاج الى استخراجهِ بالبراهين اليقينيَّة . وموضوعهُ المقادير المطلقة اعني الجسم التعليمي والسطح والخط ولواحقها من الزاوية والنقطة والشكل . واجزاؤهُ الاصلية عشرة" وبعد ان فصَّل هذهِ الاجزاء قال "ولم ارَ الى الآن كتاباً يشتمل على هذهِ الاجزاء العشرة لكن لو كمل تصنيف الاستكمال للمؤتمن بن هود رحمهُ الله لكان كافياً مغنياً واما كتاب الاستقصات لاقليدس فانهُ يحتوي على المهم من الجزء الاول والثاني والرابع والخامس والسادس والثامن واما الجزء الثالث فينفرد بهِ كتاب المخروطات لابلينوس والسابع ينفرد بهِ كتاب الاشكال الكرية لمالاناوس والجزء التاسع بعضهُ في الاستقصات وبعضهُ في كتاب الكرة والاسطوانة لارشميدس والجزء العاشر ينفرد بهِ كتاب الكرة المتحركة لاقطوقيوس"

ويظهر من ذلك ان كتب الرياضيات المحضة كانت الى عهد المؤلف ترجمات من كتب اليونان . ثم استطرد الى ذكر العلوم الممتزجة المبنيَّة على الرياضيات وسماها بالعلوم المتفرعة من الرياضيات وقال انها عشرة وهي علم عقود الابنية وعلم المناظر وعلم المرايا المحرقة وعلم مراكز الاثقال وعلم المساحة وعلم إنباط المياه وعلم جر الاثقال وعلم البنكامات وعلم الآلات الحربيَّة وعلم الآلات الروحانية · وذكر في علم عقود الابنيَّة كتاباً لابن الهيثم وكتاباً للكرخي وفي علم المناظر كتاباً لاقليدس وكتاباً لابن عيسى الوزير وكتاباً لابن الهيثم وفي علم المرايا كتاباً لابي علي بن الهيثم وفي علم مراكز الاثقال كتاباً لابن سهل الكوهي وكتاباً لابن الهيثم وفي علم المساحة كتاباً لابن الحلي الموصلي وكتاباً لابن المختار وكتاباً لارشميدس الخ · ويتضح من ذلك ان العرب اعتمدوا في الاصول على كتب اليونان واما الفروع فالفوا فيها كتباً كثيرة

وقد استفدنا من هذه الرسالة ان السموأل برهن على مسائل علم الجبر بالبراهين العددية والخيَّام برهن عليها بالبراهين الهندسية وحبذا لو ارشدنا احد الى حيث يوجد كتابا السموأل والخيَّام

هذا ومجال البحث في علوم العرب وما اقتبسوهُ وما وضعوهُ واسع جدًّا ولم نرَ لاحد في ذلك كلاماً شافياً حتى الآن فاذا اريد ان يُعرَف تاريخ العلوم عندهم وجب ان يبحث في كل علم منها على حدتهِ وتذكر قضاياهُ التي عرفها الناس قبلما تناولها العرب والقضايا التي زادها العرب فيهِ وبذلك لا بغيرهِ يعرف تاريخ العلم عندهم وينصفون فلا ينسب اليهم ما ليس لهم ولا يبخسون اشياءهم

وقد عني بطبع هذه الرسالة حضرة اسعد بك حيدر احد اعيان قضاء بعلبك بعد ان وقف عليها وصححها حضرة العالم المحقق طاهر افندي بن صالح الجزائري احد علماء دمشق

تهذيب النفس

خطبة للاستاذ الفاضل جرجس افندي همام احد اساتذة المدرسة الكلية الشرقية في مدينة زحلة القاها على طلبة المدرسة في احتفالها السنوي هذا الصيف . واوضح فيها ان النفس مولعة بالمعرفة والتدرُّج فيها ترقياً الى الكمال لان للانسان وجوداً معنوياً غير وجوده المادي والمدني · وهذا الوجود المعنوي هو الحياة الانسانية الحقَّة التي تقوم بتغذية النفس بالمعارف وتحليتها بالفضائل · فالتهذيب بالعلوم هو غاية النفس واليهِ تنزع وما احراها لهُ لانها لهُ خُلقت وبهِ تحيا وتتدرَّج في معارج الكمال · ومقام المرء من المجد والعلى هو حيث يجعل نفسهُ من سلَّم العلم والتهذيب · واستشهد الخطيب احياناً بسير الفضلاء لايضاح مرادهِ قال :

" كان دِكرت الفيلسوف الفرنسي يعتبر ذاتهُ كائناً مفكّرًا وسعى سعياً متواصلاً في تهذيب نفسهِ وترويض قواهُ العاقلة بُغية أن يجلو غامضاً او يحرّر مشكلاً او يحقق مظنوناً او يكشف عن نافع يعود على الناس بالخير . ولم يدُر في خلدهِ ان يعمل شيئاً رياء ولا سُمعةً ولذلك يتحاشى في اليسير الذي نشرهُ من مصنفاتهِ كل ما يؤدي الى نباهة الذكر والشهرة بين الناس . ونعم المبدأ الشريف مبدأهُ فان محبة الحق أمارة فارقة يمتاز بها من كان صادق العزم في تهذيب نفسهِ عمَّن سواهُ . ولذلك يستنكف من الدعوى انفةً واستكبارًا ويرى الابتهار عارًا . ينبذ القشور جانباً ويحرز لُباب المعارف . يكرهُ التلفيق والترميق في الاعمال ويميل الى الإجادة والإتقان لا طمعاً في استحسان الناس ولا ابتغاء المكافأة ولكن استناناً بسنّتهِ الذاتية التي اختطّها لنفسهِ . فان الافكار الصحيحة كالمبادىء القوية غايتها مقصورةٌ على نفسها لا تتخطاها الى المثوبة ولا الى حسن الاحدوثة "

والخطبة كلها على هذا النسق من بلاغة العبارة وحسن البيان

حدائق المنثور والمنظوم

كتاب انتقاهُ الاستاذ المحقق الشيخ سعيد الشرتوني من كتب البلغاء الموصوفين وفرسان البراعة المعدودين وارباب اليراعة المشهورين لكي يطالع في المدارس فيرسم في ذهن حافظهِ رواية ودراية ملكة الفصاحة والبلاغة بالغة حد النهاية وهو قسمان احدهما للمنثور وقد جعلهُ ثلاثة اجزاء والآخر للمنظوم ولم يذر مجالاً تجول فيهِ الاقلام ولا موردًا تحوم عليهِ حوائم الافهام الاَّ اثبت فيهِ ما يجمل بالكتّاب محاكاتهُ وتسهل لهم وعورة السبل معارضتهُ ومضاهاتهُ والحقهُ بمعجم نشر فيهِ ما ورد في الكتاب من الغريب

وحبذا لو الحق بالمعجم فصلاً ضمنهُ ترجمات الكتّاب الذين نقل عنهم ووصف الكتب التي نقل منها وذلك بالايجاز التام كأن يقول عن الغزالي مثلاً انهُ الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي صاحب كتاب احياء علوم الدين وكتاب تهافت الفلاسفة كانت وفاتهُ بطوس سنة ٥٠٥ للهجرة (١١١١ للميلاد) . وعن المستطرف هو كتاب المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين الابشيهي وقد اعتمدت على النسخة المطبوعة في ٠٠٠ سنة ٠٠ . وهلمَّ جرًّا

كلمات في سبيل الحياة

هو مقالات ادبية فلسفية للمنشىء الاديب احمد افندي حافظ عوض جرى فيها مجرى لورد افبري في كتابهِ المشهور سعادة الحياة الذي نقلنا بعض فصولهِ الى المقتطف . وقال ان مبحث

الحياة وسعادتها من اهم المباحث التي يجب ان توجَّه اليها انظار الامة المصرية من ابواب الاقتصاد والتدبير والسعي والنشاط اذ اننا اصبحنا لا نرى اللذة الأَّ في الاشياء المادية ولا نظن السعادة الأَّ بالثروة وما شاكلها مع ان اللذة توجد في كل شيء اذا نظر اليهِ الانسان بعين الحكمة والبصيرة " وان الذين ينصحون الناشئة بالتمسك بالفضائل وينتقدون على المدارس يجب عليهم ان يسعوا كذلك في ترقية الامة وتهذيب رجالها ليكون الآباء قدوة للابناء والاكابر قدوة للاصاغر . واما اذا لم تشيَّد للعلوم والمعارف اندية ولم ينشط العامل والنبيه ولم يجل المؤدب ولم تعطَ المراكز بالاستحقاق والكفاءة الشخصيَّة فلا ادب يفيد ولا اديب " .

والمقالات كلها على هذا النسق . وانَّا في حث الامة على اكتساب الماديات باتقان الزراعة والصناعة والتجارة لكي تغتني وتقوى يجب ان لا ننسى حثها على اكتساب الادبيات حتى تملكها الفضائل وتتَّصف بمكارم الاخلاق

تمريض المرضى

وضع هذا الكتاب حضرة السيدة الفاضلة ادلا ورتبات كريمة استاذنا الدكتور يوحنا ورتبات وقد نشر اولاً فصولاً في المقتطف ثم طبع على حدتهِ في كتاب صغير الحجم يسهل وضعهُ في الجيب واستعمالهُ في البيت ولا نبالغ اذا قلنا انهُ انفع الكتب المنزلية في حال المرض كما ان كتاب ابيها الدكتور ورتبات انفع الكتب المنزلية في حال الصحَّة . وقد اهدت المؤلفة كتابها هذا الى السيدة الفاضلة مدام الياس بك سرسق . وقالت في اهدائهِ انها فعلت ذلك تذكاراً للساعات السعيدة المفيدة التي قضتاها معاً في اعادة تنظم مستشفى ماري جرجس في بيروت وتدريب الممرضات الوطنيات . فان مدام سرسق هذه من السيدات السوريات المثريات المشهورات باعمالهنَّ الخيرية

والسيدة ادلا ورتبات المؤلفة من نوابغ بنات سورية تلقت دروس طب النساء وتمريض المرضى في اشهر المدارس الانكليزية وخدمت وطنها خدمةً جلَّى في تنظيم مستشفى ماري جرجس في بيروت وتأليف هذا الكتاب اقتداء بوالدها الفاضل الذي قلَّد جيد العربيَّة المتن بتآليفهِ الكثيرة فوق خدمتهِ الطويلة في المدرسة الكلية الاميركيَّة ومستشفاها . وقد استسمحنا حضرتها بنشر صورتها هنا وهي لابسة لبس الممرضات



ادلا ورتبات

الكلمات الايطالية في العربية

اهدى الينا حضرة الفاضل سقراط بك سبيرو مدير مصلحة الموانى والفنارات في الاسكندرية وصاحب القاموس المعروف باسمهِ — نسخة من كراس جمع فيهِ الكلمات الايطالية المستعملة في اللغة المصرية العامة . وقد قال في مقدمتهِ ان الكلمات التي استعارها المصريون من اللغة الايطالية اكثر عدداً مما استعاروهُ من سواها ما عدا التركية وذلك يدلُّ على ان الايطاليين كانوا اول من ادخل التمدن الغربي الى مصر

ومن الفوائد التي في هذا الكرّاس ان منشىء البوستة المصرية ايطالي واول رئيس للاستئناف المختلط ايطالي ايضاً وعدد الاوربيين في الاسكندرية ٤٦١١٨ الفاً وفي العاصمة ٣٥٣٨٥

هذا و يبلغ عدد الكلمات التي جمعها المؤلف ٤٠٠ كلمة او اكثر وهي في مواضيع مختلفة مثل الاكل والشرب واللبس والتجارة والاصوات التي ينادي الباعة بها في الشوارع واسماء الشهور والالآت والاسماء الجغرافية والاعلام وغير ذلك . وقد جعل كراسهُ تذكاراً للمرحوم الاستاذ فسك المشهور فنثني على حضرتهِ اطيب الثناء لاهتمامهِ بموضوع لا تنكر فائدتهُ اللغوية والاجتماعية



باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مقام المرأة في انكلترا

كتبت سيدة انكليزية مقالة في مجلة البودوار تحت هذا العنوان قالت فيها :

يذهب البعض الى ان الزمان الحاضر زمان يتمتع النساء فيهِ بحرية عظيمة . والحقيقة ان القيود التي لا تزال النساء مقيدات بها ثقيلة يرسفن فيها رغماً عن ارتقاء منزلتهن في المجتمع الانساني ومعظم ذلك الارتقاء انما هو في منزلة المرأة المتزوجة فان سلطتها على اولادها زادت

عما كانت عليهِ اولاً ولكنها ليست مساوية لسلطة زوجها عليهم . ولها الحقُّ في شراء الاملاك وبيعها كما لو كانت عزباء

ومن الحقوق التي نالتها حديثاً السماح لها بدخول المدارس العليا . وقد لقيت في ذلك اشدَّ المقاومة من الذين كانوا يزعمون ان الجهل وحدهُ يصون المرأة ولا تزال مدرستا اكسفورد وكمبردج تأبيان عليها رتبهما . ولكنها مساوية للرجل من هذا القبيل في معاهد العلم الاخرى

على ان عدد الوالدين الذين يميلون الى تعليم بناتهم العلوم العليا مثل بنيهم لا يزال قليلاً وليس السبب الاوَّلي في ذلك امر النفقات لان الاغنياء والفقراء سواء بهذا النظر . ثم ان حالة المرأة من حيث تعاطي الاعمال مظلمة مهما كانت مواهبها فان الحرف التي يسمح لها باحترافها قليلة والاجرة التي تأخذها صغيرة . وليس بين الحرف الشريفة حرفة يسمح لها بتعلمها سوى الطب

ومعظم البنات المتعلمات يمارسن التعليم وهنَّ اكثر عدداً من المعلمين في المدارس الابتدائية ولكن الاجور التي يتقاضينها تبلغ ثلثي اجور المعلمين مع ان الفريقين متساويان في الكفاءة ومقدار العمل . ووسائط ترقيهن قليلة فاذا خلت وظيفة ناظر في احدى المدارس التي يتعلم فيها الذكور والاناث معاً وقدم المعلمين والمعلمات الطلبات لنيل تلك الوظيفة رفض اصحاب الشأن النظر في طلبات المعلمات وعينوا الناظر من المعلمين

واغرب من هذا وذاك ان اجور المعلمات في المدارس العليا اقلُّ من اجور المعلمين في المدارس الابتدائية فهي قلما تزيد على مئة جنيه في السنة ومعظمها اقلُّ من ذلك كثيراً . واعلى مناصب التعليم محصور في الذكور مثل مناصب مفتشي الحكومة واساتذة الكليات الكبيرة . فقد سُمع رجل من رجال لجنة وكل اليها تعيين استاذ لالقاء الخطب على التلاميذ والتلميذات يقول "ليس عندنا من يصلح لذاك المنصب مثل السيدة فلانة لو كان تعيينها فيهِ ممكناً" ولا يثبط همة الفتاة وعزيمتها مثل معرفتها ان الرجال يحرمونها من مركز هي كفوءة لهُ لمجرد كونها أنثى

وبين النساء كثيرات يحترفن التمريض وهو مع صعوبتهِ لا يكسبن منهُ اكثر مما يكسب الخادم في المنازل . اما التجارة فان معظم اللواتي يشتغلن بها منهنَّ مستخدمات عند التجار لبيع السلع بالتفاريق . وقلما ترى امرأة تدير محلاً تجارياً والسبب في ذلك عدم وجود رأس المال اللازم للاعمال التجارية معها وقلة تمرنها واختبارها . فان التجار لا يسمحن لبناتهنَّ بالعمل في مكاتبهن ولا في مخازنهنَّ . ووسائط الترقي قليلة في وجوه كاتبات المحلات التجارية لانهنَّ لا يستخدمن

للترقي بل ليبقين عند قاعدة السلّم التجارية

والنساء المستخدمات في مصالح الحكومة مثل البوستة والتلغراف والتلفون وغيرها يأخذن اجورًا قليلة جدًا · ولا ريب ان أخذ النساء لاجور اقلّ من اجور الرجال يزيد المزاحمة التجارية والصناعية تعقدًا

والرجال الذين يقاومون استخدام النساء يعتذرون عن ذلك بقولهم ان النساء لا يطول بهنّ الزمان حتى يتزوجن ويصبحن معلقات بازواجهنّ وفاتهم ان الزواج غير ميسور للجميع لاسباب منها ان النساء اكثر عددًا من الرجال في انكلترا · ثم ان المرأة المتزوجة كثيرًا ما يموت زوجها او يمرض فتضطرّ ان تعول اولادها بنفسها · والمعروف الآن ان عدد النساء المستخدمات في المحلات التجارية والصناعية يزداد على التوالي وتحسين حالهنّ مسألة تشغل البال وتهيج البلبال

ثم اشارت الكاتبة في ختام مقالها الى حرمان المرأة الحقوق السياسية وانحطاط منزلتها الاجتماعية والعيوب الاقتصادية التي تنوء تحتها ووصفت لهذا الداء ان يسمح للمرأة بانتخاب النواب اسوة بالرجال اذ الانتخاب اساس الحرية واذا تمّ لها ذلك وصار لها نواب في مجلس الامة زالت النقائص والمساوئ التي تعصها وصلح حالها ومآلها

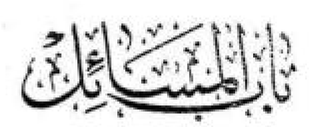
تهذيب البنات

وكتبت سيدة اخرى مقالة في تهذيب البنات في المجلة نفسها قالت فيها ان بين الرجال والنساء عددًا عظيمًا يهتمون بتربية كلابهم وخيلهم اكثر مما يهتمون بتربية اولادهم . على ان منهم كثيرين لا يدخلون تحت هذا الحكم بل يعنون بتربية اولادهم وتهذيبهم وينكبّون بكليتهم على ما فيه خيرهم ومصلحتهم . والاولون يظنون انهم اذا اطعموا اولادهم والبسوهم ورفهوهم فهناك تنتهي مسؤوليتهم وانهُ لا يطلب منهم شيء آخر بعد ذلك · فينشأ الاولاد على الخير او على الشرّ اذ لا وسط بين الاثنين ويتعلمون ويقتبسون مما حولهم حسنًا كان او قبيحًا ووالدوهم لا يشعرون الاً وقد تأصلت فيهم الاخلاق والعادات التي اقتبسوها اما للفخار واما للشنار

وكثيرًا ما سمعنا امًّا نكبت بابن او ابنة جلبا العار عليها وعلى بيتها تعول وتقول " اواه لماذا بلاني الله بهذا المصاب . ايّ ذنب جنيت وايّ وزر اقترفت حتى ابتليت بولد جلب عليّ المذلة والعار " والجواب على ذلك انها لم تنكب بولد عقوق لانها فعلت امرًا من الامور بل لانها لم تفعل . فكيف تؤمل الامّ التي تكل امر اولادها الى الخادمات اياماً واسابيع بل

اشهراً وسنين ان ينشأوا مثل الاولاد الذين يتولى والدوهم بانفسهم امر تربيتهم ومراقبتهم

الولد على ما ينشأ . علمهُ ألاَّ يحبَّ الاَّ الجميل فيشبَّ محباً للجميل كارهاً للقبيح . علمهُ الحبَّ ولا تعلمهُ غيرهُ فيشبَّ وهو لا يعرف البغض . ومن اول واجبات الوالدين ان يعلموا اولادهم كيف يستقبلون كوارث هذه الحياة ونوازلها و يعدُّونهم لها حتى اذا نزلت بهم لا يندبون سوء حظهم ولا يستسلمون لاهواء النفس . علّمهم ان المصائب انما تضرُّ بهم اذا تركت تمرّر نفوسهم وتحترق حجبها وانها ترقيهم وتجمل اخلاقهم اذا بشُّوا بوجوههم وهشُّوا لها . علّم البنت ان مصدر الرضى والانبساط والسعادة في هذه الحياة انما هو داخلها وانهُ في طوقها ان تجعل عيشها ابيض او اسود — انعم من النعيم او اشق من الجحيم . لنكن خير قدوة لاولادنا ولنستقبل نوب الدهر امامهم بثغر باسم وجاش رابط فان القدوة اشد تأثيراً في نفوسهم من جميع الآراء والمبادىء التي يعلّمونها بالقول



فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) خزان اصوان وقناطر اسنا

طنطا . الياس افندي جرجس مخائيل . هل تعلية خزان اصوان وعمل خزان بقرب اسنا يفيدان مديريتي قنا واصوان وهل عملها هو لجعل اراضي المديريتين تروى ريًّا صيفيًّا او لمنع الشراقي فقط

ج . الغرض من تعلية الخزان وبناء القناطر تكثير الماء الصيفي وتعليتهُ لتعميم الري الصيفي في مديريات الوجه البحري ومديريات الوجه القبلي الى حد قنا ولكنهُ لا يفيد في منع الشراقي فوق قنا

(٢) بنك النصيب الجديد

طنطا . ج . هل اوراق اليانصيب التي اكثر بنك النصيب الجديد الاعلان عنها ليس فيها اختلاس في السحب او غيره

ج . كلاَّ ولا يخشى ان بنكاً معتبراً يستعمل الغش والاختلاس ولا داعي للغش والاختلاس لان اصحاب القرعة او بنك

النصيب يكسبون مكسباً كافياً من الفرق بين الاوراق التي يبيعونها والاموال التي يدفعونها للرابحين فاذا جعلوا ثمن الاوراق مئة الف جنيه جعلوا قيمة الجوائز سبعين الفاً او ثمانين الفاً فقط فيكون الفرق ربحاً لهم ونفقات ينفقونها على ادارة العمل

(٣) الرجل والرضاعة

طنطا . الخواجه يوسف حديده . قرأنا في باب المسائل ردّاً على سؤال عثمان افندي سنو صفحة ٩١٦ ان الرجل كان يرضع اولادهُ كالمرأة في غابر الزمن فكيف ذلك والمرأة لا يوجد اللبن في ثدييها الاَّ بعد ما تلد فكيف يوجد اللبن في ثدي الرجل وهو لا يلد

ج . ليس الولادة شرطاً لوجود اللبن في الثدي لانهُ قد يوجد قبلما تلد المرأة او بعد ما تلد بسنين كثيرة . وامامنا الآن قطة ترضع من اختها واختها اكبر منها ولكنها لم تلد قط . وقد رأينا امرأة ارضعت ابن بنتها بعد ان مضى على آخر ولد ولدتهُ اكثر من ١٥ سنة والغالب ان اللبن يتولد في الثدي في زمن الولادة ليكون غذاء للطفل . هذا هو النظام الجاري الآن ولكن لا شيء يمنع انهُ لم يكن كذلك دائماً . وفي تضخم ثندوتي الفتى وقت بلوغهِ كتضخم ثديي الفتاة وقت بلوغها اشارة الى ان ثندوتي الرجل كانتا تكبران وتفرزان لبناً حين الحاجة اليهِ وذلك كلهُ من باب الظن او الترجيح لا من باب التأكيد

(٤) البيرا وشربها

زحلة . ابرهيم افندي ميخائيل عطا كيف تصنع البيرا وما هي المواد المستعملة في تركيبها واي الشعوب اكثر ولوعاً بها

ج . البيرا نقاعة مختمرة من الشعير وحشيشة الدينار . ينقع الشعير في قليل من الماء حتى يشرع يفرخ اي يتحوَّل بعض نشائهِ الى سكر ثم يجفَّف ويحمص ويطحن او يهرس ويصب عليهِ ماء سخن حتى يذوب كل ما يمكن تذويبهُ منهُ وتضاف حشيشة الدينار الى السائل ويغلى ثم يبرد حالاً . وقد وصفنا كيفية عمل البيرا بالاسهاب في الصفحة ٥٤٤ من المجلد الثالث عشر من المقتطف

واكثر الناس شرباً للبيرة الالمانيون ثم الانكليز فالفرنسويون فالروسيون . وقد حسبوا ما شربتهُ هذه الامم وغيرها سنة ١٨٩٩ فكان هكذا

الالمانيون	١٤٠٠	مليون جالون
الانكليز	١٢٠٠	" "
الفرنسويون	٢٠٠	" "
الروسيون	١٠٠	" "

ويشرب البلجيكي ٣٦ جالوناً في السنة والانكليزي ٣٠ جالوناً والالماني ٢٥ جالوناً والدنمركي ٢١ جالوناً والسويسري ١٢ جالوناً والاميركي ١٢ جالوناً والهولندي ٩ جالونات والفرنسوي ٥ والاسوجي ٢ والرومي ١

(٥) فن التعليم

ومنهُ . ماهي الكتب التي أُلفت وطبعت باللغة العربية في فن التعليم واين تباع

ج . لم يبلغنا انهُ أُلفت كتب في العربية في فن التعليم حتى الآن

(٦) عدد الاوربيين والامريكيين سنة ١٨٠٠ وسنة ١٩٠٠

سان بولو بالبرازيل . الخواجة جبران نعوم كم كان عدد نفوس كل مملكة من ممالك اوربا الكبيرة والولايات المتحدة في بداءة القرن التاسع عشر وفي بداءة القرن العشرين

ج . ترون ذلك في الجدول التالي وقد ذكرنا العدد فيهِ بالملايين

	١٨٠٠	١٩٠٠
روسيا	٣٨	١٣٠
الولايات المتحدة	٤ .	٠٧٧
المانيا	٢٥	٠٥٦
النمسا والمجر	٢٧	٠٤٤
بريطانيا	١٥	٠٤١
فرنسا	٢٧	٠٣٨
ايطاليا	١٨	٠٣٢
اسبانيا	١٢	٠١٨

(٧) نسبة الرسوم والصور الى الحقيقة

ومنهُ . ما هي القاعدة المتبعة في رسم الخزائن والمرايا ونحوها في دفاتر المعامل الصناعية اي ما هي نسبة الرسم الى الحقيقة

ج لا يظهر لنا انهُ توجد نسبة مضطردة لاننا رأينا دفاتر (كاتالوجات) مختلفة تكون الصور في بعضها كبيرة وفي بعضها صغيرة والغالب ان يكون القياس اربعة في المئة اي ان ما طولهُ اربعة سنتمترات في الرسم يكون طولهُ في المرسوم متراً . الاّ ان اكثر الرسوم يكون طولها وعرضها مكتوبين تحتها فتعلم النسبة بين الرسم والمرسوم بسهولة

(٨) الحروب

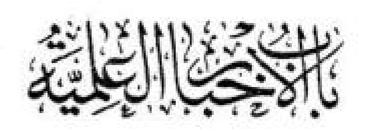
ومنهُ . يقول البعض ان الحروب من ضروريات الحياة ولولاها ما ارتقى نوع الانسان فهل ذلك صحيح

ج . ان الميل الى الحرب او الجهاد موروث في الانسان عن اسلافهِ الاولين ولا ندري ماذا كانت حال الانسان لولا الحروب ولكن لا شبهة في ان لها شأناً كبيراً في ارتقائهِ جسداً وعقلاً

(٩) النيازك

كانبرك بداكوتا (اميركا) الخواجه طنوس ابو رزق . ما هي النجوم التي تراها تتساقط في بعض الليالي

ج . هي حجارة صغيرة من بقايا نجم متكسّر او من مجاميع سابحة في الفضاء تجذبها الارض اذا دنت منها فتقع عليها وفي وقوعها تحتك بالهواء فتحترق من سرعة حركتها وتظهر منيرة وقد تكون كبيرة فتصل الى الارض واكثر مادتها من الحديد



الظواهر الفلكية في شهر نوفمبر

اوجه القمر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	١	١	١٣	صباحاً
الهلال	٧	٥	٣٧	مساء
الربع الاول	١٥	٢	٣٦	صباحاً
البدر	٢٣	٥	١٢	"
الربع الاخير	٣٠	٩	٣٨	"

تدخل الشمس برج الرامي في الثاني والعشرين من الشهر الساعة ٧ مساء

يكون عطارد قريباً جداً من الشمس في اوائل الشهر فلا يرى ثم يصير نجم المساء

والزهرة نجمة المساء تغرب بعد الشمس بنحو ساعتين

والمريخ يطلع الساعة ٢ والدقيقة ٣٠ صباحاً ويشرق كنجم الصباح

ويرى المشتري جنوباً الساعة الرابعة صباحاً

ويميل زحل الى الجنوب الساعة السابعة مساء ويغرب نصف الليل

اتساع الممالك الانكليزية

ازداد عدد سكان الممالك الانكليزية منذ اربعين سنة الى الآن بالنمو الطبيعي والفتوح اكثر من مئتين وعشرين مليوناً كما ترى في هذا الجدول

سنة	١٨٦١	عدد السكان	١٧٥	مليوناً
"	١٨٧١	"	٣٥٥	"
"	١٨٨١	"	٣٧٢	"
"	١٩٠١	"	٤٠٠	مليون

وكانت مساحة السلطنة الانكليزية سنة ١٨٦١ نحو ثمانية ملايين من الاميال المربعة فبلغت سنة ١٩٠١ نحو اثني عشر مليوناً فهي اكثر من خمس المسكونة كلها مع ان المملكة الانكليزية نفسها اي انكلترا واسكتلندا وارلندا لا تزيد مساحتها على ١٢١٠٨٩ ميلاً فسكان كل ميل منها يحكمون على سكان مئة ميل من المعمور

وقد يظن لاول وهلة ان الانكليز هاجروا الى البلدان القاصية وعمروها لان بلادهم ضاقت بهم. وهذا غير صحيح فان سكان انكلترا وويلس يبلغون نحو ٢٣ مليون نفس وفي انكلترا ووبلس ٣٧ مليون فدان فالبلاد الانكليزية اقل ازدحاماً من القطر المصري لان سكان القطر المصري عشرة ملايين ومساحة اطيانه نحو خمسة ملايين فدان

الاستاذ فنسن

يتذكر قراء المقتطف اسم الاستاذ فنسن مستنبط العلاج بالنور وقلَّ من يعلم منهم ان هذا الرجل قضى الايام يبحث ويمتحن وهو مريض بداء اليم وداء عقيم داء المفاصل وداء الاستسقاء مع ضعف في القلب والكبد لكنهُ بالغ في الحمية والتوقي حتى تمكن من تحقيق ارائهِ ثم وافتهُ منيتهُ في الرابع والعشرين من شهر سبتمبر الماضي وهو في الثالثة والاربعين من عمرهِ . وقد درس في مدرسة كوبنهاغن ثم صار استاذاً للتشريح فيها واتصل الى علاج الجدري بالنور الاحمر ثم اثبت فعل النور في قتل الجراثيم المرضية واستنبط القنديل الذي يستعمل لذلك . ولما منح جائزة نوبل لاكتشافهِ هذا وهي مئة الف ريال وهب نصفها للمستشفى الذي انشئ للعلاج بالنور مع انهُ ليس من اهل الثروة

عمر البيض

ذكرت احدى الجرائد الالمانية طريقة بسيطة لامتحان البيض اساسها ان الهواء الذي في "عقب" البيضة يزيد كلما قدم عهدها . وهي ان توضع البيضة في ماء مشبع بالملح ويوضع معها ميزان لقياس زاوية ميلها فاذا كانت جديدة بقي وضعها افقياً في قعر الاناء وكلما مرَّت الايام عليها ارتفع عقبها الى فوق ومالت الى الوضع العمودي . فالبيضة التي عمرها من ٣ ايام الى ٥ يرتفع عقبها وتكوّن زاوية ميلها ٢٠ درجة . والتي عمرها ٨ ايام تكوّن زاوية ميلها ٤٥ درجة . والتي عمرها اسبوعان تكوّن زاوية ميلها ٦٠ درجة . والتي عمرها ثلاثة اسابيع تكوّن زاوية ميلها ٧٥ درجة . والتي عمرها شهر تنتصب عمودية رأسها الى تحت وعقبها الى فوق

الاطعمة المغشوشة

عزمت حكومة الولايات المتحدة الاميركية على انشاء مستوصف كيماوي في نيويورك لفحص مواد الطعام التي ترد عليها من الخارج ومعرفة السليم من المغشوش منها . والذي حملها على هذا هو انهُ قدم نيويورك حديثاً ثلاث بواخر حاملة مواد طعام اشتبه فيها . وبعد الفحص الكيماوي وجدت مغشوشة فأُعيدت من حيث جيء بها

علاج مرض النوم

روى مكاتب جريدة الدايلي كرونكل الانكليزية في باريس ان الدكتور لافران من اطباء مستوصف باستور اكتشف دواء لمرض النوم ولقح بهِ حيوانات لقحت بمكروبات المرض فشفيت منهُ

الذكور والاناث

ظهر بالاحصاء ان عدد الاناث اكثر من

عدد الذكور في البلاد الانكليزية بنسبة ١٠٦٨ الى ١٠٠٠ . واذا قوبل بين الذكور والاناث الذين في سن الزواج اي بين ٢٥ و٣٥ فعدد الاناث يزيد على عدد الذكور بنسبة ١١١٤ الى ١٠٠٠ . والنساء اطول عمراً من الرجال فيزيد عددهنَّ على عددهم من سن ٨٥ فصاعداً بنسبة ١٦٩٣ الى ١٠٠٠

ضرر الاعشاب البرية

لا يخفى ان الاعشاب البرية التي تنمو بين المزروعات والاغراس تضرُّبها ضرراً كبيراً وقد بحث الدكتور سمرفل في هذا الموضوع في خطبة تلاها في مجمع ترقية العلوم البريطاني فبيَّن ان الضرر ناتج ليس عن اخذ الاعشاب للغذاء من الارض ولا عن اخذها الرطوبة منها ولا عن منعها حركة الهواء بل عن فعل سام تسمُّ بهِ المزروعات والاغراس. وربما ترجمنا خطبتهُ برمتها ونشرناها في الجزء التالي لما فيها من الفوائد الكثيرة

لون الشعر والصحة

بيَّن الدكتور شربسل في مجمع ترقية العلوم ان شقر الشعر اشد تعرُّضاً لامراض الطفولية من سود الشعر وان سود الشعر اشد تعرضاً للسل من الشقر وذلك بعد ما يجتازون سن الصبوة وان الشقر معرضون لامراض المفاصل والسمر للامراض الرئوية

اكبر الافيال

أُتي الى احد المراقء الالمانية بعظام فيل كان علوهُ ١٦ قدماً و٩ عقد من قدميهِ الى اعلى كتفيهِ فهو يزيد ٣ اقدام على اعلى الافيال التي وجدت قبلهُ

التعليم في اليابان

عدد سكان اليابان ٤٥ مليوناً وعدد سكان روسيا ١٤٠ مليوناً لكن عدد الاولاد الذين يتعلمون في المدارس في بلاد اليابان ٤٣٠٢٦٢٣ وعددهم في روسيا ٤١٩٣٥٩٤ فقط

توقيف المركبات

بحثت لجنة الاتوموبيل الفرنسوية عن المسافة التي تقف فيها المركبات التي تجرها الخيل اذا اريد توقيفها بغتةً ومركبات الاتوموبيل فوجدت انهُ اذا كانت السرعة سبعة اميال ونصف ميل في الساعة فالمركبة التي تجرها الخيل لا تقف تماماً الاَّ بعد ٣٠ قدماً واما الاتوموبيل فيقف بعد ١٠ اقدام اي اذا كانت مركبة واتوموبيل جاريين معاً واريد توقيفهما حالاً فالمركبة لا تقف الاَّ بعد ٣٠ قدماً واما الاتوموبيل فيقف بعد عشر اقدام واذا كانت السرعة ١٢ ميلاً في الساعة فمركبة الخيل تقف تماماً بعد ٤٣ قدماً و$\frac{1}{3}$ قدم واما الاتوموبيل فيقف بعد ١٦ قدماً و$\frac{3}{4}$ القدم

الفصل الخامس والعشرون

انتقام ثلث نساء

ولما خرجت املي افتتحت البرنسس غالتزن الكلام قائلة : —

— اظن انا كلتينا صديقتا القائد غودارد . واقول لكِ اني سأحضر الاجتماع المزمع ان ينعقد هذه الليلة . ولا ريب في انهُ سيكون مشهداً مزعجاً لكِ . لكننا سنغنم فيهِ متعة الابتهاج بتبرئة صديقنا

— يسرني انكِ تعرفينهُ . وعندي ان غودارد عنوان كل فضلٍ وكرامةٍ . ولقد قُدِّر لي وا اسفاهُ أن اكون سبباً لاصابتهِ باعظم ضرر

— اراكِ تبالغين في ذلك

— نعم اني لم اتعمدهُ ولكن النتيجة واحدة . ومن الغريب اني صبرت على حمل مصيبتي هذا الوقت الطويل كلهُ ولم ارزح تحت ثقلها الأ في تلك الدقيقة كما تعلمين . وفيما كنت عازمة على التصريح بانني انا التي اعطتهُ الورقة أُرتج عليَّ وخانني الكلام وغبت عن الصواب . ولست بناسية ماعشت هول تلك الساعة . فقد كان في امكاني ان أُبرئ ساحة غودارد بكلمة . وقد بذلت في ذلك غاية جهدي فذهب اجتهادي كلهُ باطلاً

— عندي انهُ خيرٌ لكِ ايها السيدة ان لاتحضري هذا الاجتماع . ولكِ فيهِ أصدقاء ينوبون عنكِ ويكفونكِ تحمل آلامٍ مبرحة

— لا بل يجب عليَّ الحضور لداعٍ لا يمكن غضُّ النظر عنهُ . وذلك ليس لاجل تبرئة صديقي القديم — اذ لهُ من ينوب عني في هذا الامر كما ذكرت — بل للمحاماة عمن لايجد محامياً ولا مدافعاً — عمن يكون وحيداً في حالة تحرك عواطفي لمساعدتهِ — وهو زوجي !

— وهل يمكنك الدفاع عنهُ ؟ فلم يبقَ زوجكِ لانكِ طالق

— انهُ ابو ابنتي . فايُّ طلاقٍ شرعيّ يمنع مساعدتي لهُ ؟ لعلكِ ترمينني بضعف القلب ولكن هذا ما أراهُ موافقاً لي ولستُ احول عما طبعتُ عليهِ من الشفقة والحنو

— لقد اخطأتِ مرادي ولعلكِ تدركينهُ اذا اخبرتك باني انا الشيطانة الجميلة

— الشيطانة الجميلة !

قالت السيدة ارلنفورد هذا بدهشة انهضتها على قدميها . فقالت البرنسس غالتزن : —

— هل راعكِ هذا ؟

— نعم راعني قليلاً لاني لم استعدّ لمقابلة تلك — الشهيرة

— اذاً لو عرفتِ من انا لم تهتمي بمقابلتي

— نعم لو عرفتُ لابيتُ الاجتماع بحاملة هذا الاسم — الشيطانة الجميلة — مخافة ان يفضي بنا اجتماعنا الى مالا يرضينا كلتينا لاني لستُ في شيءٍ من آرائك. ومع هذا كلهِ اعترف لكِ باني رأيتكِ تختلفين كثيراً عما توقعتهُ فيكِ

— اشكر لك هذا الاستدراك اللطيف . فقد صرَّحتِ بانهُ لاشيء في ظواهري يسلبني حق نظر الناس اليَّ بعين الاحترام — ولست بمنكرةٍ صلاحكِ وشرف عواطفك ولكنكِ قليلة الرفق ببنات جنسكِ . فلستُ ادري ماذا حملكِ على اساءة الظن في من لاتعرفين عنها شيئاً

— لا اعرف شيئاً ؟ — فقد سمعتُ —

— سمعتِ ؟ ولكن مرادي انكِ لم تعرفي وهذا يختلف عن السماع

— عفواً ولكن لا تنسي أن تلومي نفسكِ على ما يحدثهُ اسمك من التأثير في آذان السامعين .فمن ليس لها زوج —

— ان كان احترام المرأة مقصوراً على كونها ذات بعلٍ فانا حرية باكبر نصيبٍ منهُ . وفي عزمي ان أُطلعكِ على قصةٍ تسركِ الى الغاية فارعيني سمعكِ

فاظهرت السيدة الس علامات الإصغاء واخذت البرنسس غالتزن تقصُّ عليها ما يأتي: —

— " ان والدتي ماتت وانا بعد طفلة صغيرة . فعشت مع أبي في قصرنا في لادوكا لا ثالث لنا سوى فتاةٍ صغيرة جُعلَت خادمةً لي ولكنني اتخذتها رفيقةً وصديقةً . ففي احد الايام خرجت بي للتنزُّه واطالت شقَّة المسير حتى ابتعدنا كثيراً عن قصرنا وأوغلنا في الحراج المجاورة . وفيما نحن عازمتانِ على الرجوع سمعنا صوتاً بين الادغال انذرنا بوجود وحشٍ كبير مفترسٍ . ولم يلبث ان طلع علينا من الغاب دبٌّ هائل . فلما رأيناهُ مقبلاً نحونا التصقنا احدانا بالاخرى واستحوذ علينا خوف لم يغادر فينا شيئاً من الرشاد . ولكن لحسن حظنا لم نُبطئ أن سمعنا صوت بندقية على مقربة منا . ورأينا الدب مجندلاً بدمائهِ . ثم خرج من الغابة رجلٌ يهنئنا بالنجاة و يعتذر عما نالنا بسببهِ من الخوف والذعر . وسار في حمايتنا الى القصر فاكرم ابي ملقاهُ ولاسيما حينما بلغهُ انهُ من اسرةٍ كريمة ذات وجاهةٍ ومكانةٍ . وكان هذا الرجل انكليزياً وقد جاء روسيا للصيد . واذ كان نازلاً في جوارنا أخذ يتردد علينا يوماً بعد يوم حتى رأيتُ نفسي تعلقت بمحبتهِ . اما أخي الذي كان يكره هذا الانكليزي كرهاً

طبيعياً فكان قد تزوج تلك الفتاة — رفيقي وصديقي — وذهب بها الى بطرس برج حيث دُعي للانتظام في سلك الحرس السري . فلما اصبحنا وحدنا لم نكذّب أن اقتفينا مثال اخي فاقتوناً مراً اخوفاً من ابي الذي كان حريصاً جداً على شرف اصلهِ الغالتزي · وفي الشتاء انتقلنا جميعاً الى بطرس برج

" فلما رأى اخي ان هذا الانكليزي باقٍ معنا اوجس خوف العاقبة وعزم على طردهِ من بطرس برج واخذ ينتهز الفرصة لمخاصمتهِ حتى سنحت لهُ أحد الامساء في النادي . فحدث بينهما خصام شديد فحقر اخي زوجي كثيراً وامتهنهُ امتهاناً لا يصبر عليهِ أحطُّ الناس قدراً وادناهم شرفاً ودعاهُ الى مبارزتهِ وضرب لهُ اجلاً لذلك . لكنَّ زوجي بعد خروجه من النادي سعى في ما اوجب القبض على اخي اذ لا يصعب في بلادنا الشقيَّة سلب الانسان حريتهُ بل حياتهُ لوقوع اقلّ تهمةٍ عليهِ !

" فتصوّري — ما استطعتِ التصوّر — شقاء حالي وكم سجمتُ من الدموع السخية عندما بلغني هذا النبأ المشؤوم ولاسيما إذ تحققتُ انَّ اخي أُخذ بمكيدة زوجي ولم أعد انظرهُ فيما بعد لانهُ مات ! لأن المأخوذ في روسيا بذنبٍ سياسي وان لم تقم الادلة الكافية على جريمتهِ لا يتعذّر اغتيالهُ بطريقةٍ أُخرى · ومن ذلك العهد توجهت افكاري نحو غرضٍ واحدٍ — الانتقام

" اما زوجي فنُفي من روسيا وشاع ان اللصوص هاجموا مركبتهُ على التخوم فكسروها وقتلوهُ وحينئذٍ التمستُ لنفسي تسلية عن هذه المكاره وخضت بحر السياسة الطامي ووقفت على خدمة البرنس سكولوف باقي ايامي · وبالاختصار صرتُ " الشيطانة الجميلة " . وذلك ما حلّق بهِ طائر شهرتي واوقع في قلوب الكثيرين خوفي وخشيتي · لكني والحق يشهد بقيت مع انهماكي بالسياسة منصرفة نحو اصطناع المعروف واغاثة الملهوف وتعزية الحزين وتفريج كرب المتضايقين . ولا تسألي كم من حياةٍ انتشلت من وهاد القنوط على يدي ووقيت الارتطام بصخور اليأس الابدي . وفي إبّان متاعبي واضطراباتي اجتمعتُ بالقائد غودارد · وقد سرني اني كُفيت تبعة الجناية ولم تُلطخ يداي بدم زوجي "

فلما فرغت من حديثها نهضت السيدة ارلنفورد وقالت بلسان السآمة والضجر : —

— أراكِ اكرهتني على الاصغاء الى حديث لا يهمني البتة ولكنهُ مكدّرٌ لك فقط

— ستعدلين عما قليلٍ عن هذا الرأي . فقد اتخذت هذه الحادثة مثالاً يناسب موضوع بحثنا وشاهداً على قولي انهُ خيرٌ لكِ ان لا يكون لتعلق المرأة بزوجٍ دخلٌ في احترام الناس

لما لانك لم تكوني قط ذات بعل ! بل انت لنكد الطالع أمٌ ولدٍ بزواجٍ غير شرعي !

— انا ! كيف تجسرين —

— اسمعي فأُخبركِ كيف أجسر . ان الرجل الذي سبّب قتل اخي وقرينتهِ الحامل — الرجل الذي اتصيّدهُ من مكان الى آخر تصيد الضواري الجائعة باقٍ حياً ! هو الرجل الذي تظنينهُ زوجك وهو بالحقيقة زوجي !

— ويلاه ! اكذب ! لا يمكن ان يكون صحيحاً !

— اعلمي ان الرجل الذي جرّدني من اسمي وشرفي ومكانتي واكسبني شهرةً ينقبض مني لاجلها سيدات نظيرك و يعرضنَ عني بوجوهٍ باسرةٍ لا يبرح حياً وهو اللورد ارلنفورد المدعو قبلاً جون فاين

— انكِ تقولين هذا تشفياً وانتقاماً لاني غظتك بكلامي مع اني لم اتعمّد ذلك . فاجثو الآن امامك واتضرّع اليكِ ملتمسةً الوقوف على الحقيقة . فهل تقسمين لي ان ماتقولينهُ صحيح ؟

— أُقسم لكِ انهُ صحيح وسأُبينهُ بالادلة الكافية

ثم دخلت املي دشتون فوجدت السيدة ارلنفورد مغشياً عليها عند قدمي البرنسس غالتزن

وبعد نصف ساعة رجعت البرنسس غالتزن الى منزلها فوجدت البرنس سكولوف جالساً ينتظر قدومها بفروغ صبرٍ فلما رآها نهض لاستقبالها وقال : —

— قد جئت لاطلاعك على عراقيل جديدة عرضت لنا ولم يبلغك خبرها بعد — ما هي ؟

— ان مقام اللورد ارلنفورد تغيَّر من حيث علاقتهُ بزوجتهِ تغيُّراً مهماً — لا اظن

— بلغني ان السِ راغبة في ان تنسى الماضي وتعفو عما حدث وترجع الى زوجها

فاجابتهُ باسمة : —

— لست مصيباً ايها البرنس فيما نقلتهُ فالسيدة السِ لاتروم ان تنسى وتعفو وليست في شيءٍ من عزم الرجوع الى زوجها لانها لم تكن قط طالقاً

فاوجس البرنس خوف اختلالٍ في قوى البرنسس العقلية لكنهُ كتم اهتمامهُ بهذا الامر وقال لها بكل بساطةٍ : —

— لستُ افهم مرادكِ . أراكِ تتكلمين بالالغاز . — وتودُّ لها حلاً وتوضيحاً

— ممن اقف على ذلك ؟ — من السيدة ارلنفورد نفسها

— اودُّ الاجتماع بها فهل تظنينها تروم مقابلتي ؟

— لاريب في انها تسرُّ بمقابلتك كل السرور

— واين هي الآن ؟ هل لك ان تخبريني ؟ — هنا

— هنا ! اين ؟ — في هذه الغرفة امامك

— ناشدتك الله قولي لي ماذا ماذا تعنين بهذا ؟ — اعني اني انا هي

قالت هذا بكل بساطةٍ واستوت على كرسي مقابلهُ . فمرّت عليهما بضع دقائق لم يفوها فيها ببنت شفة . ثم وثب البرنس على قدميهِ وصرخ :—

— فهمت ! الآن فهمت ! تزوجت هذا الرجل في روسيا اليس كذلك ؟ — بلى

— وهذا الخبيث تمكّن من الوصول الى خزانتك وسرق كتابي — نعم

— هل يعلم بهذا أحد ؟

— نعم فقد قابلت المرأة التي ادّعى زواجها (الس) اليوم بعد الظهر واطلعتها على كل شيء لانهُ حان الوقت

— وماذا أصابها عند اطلاعها على هذا الخبر ؟ — كما تتوقَّع

— وعلى مَ عزمتِ الآن ؟

— انَّ هذا آخر ما عندي لحمل ارلنفورد على الإقرار بما جناهُ على غودارد وبعد إقرارهِ وتبرئة القائد المذكور لا يصعب عليَّ الغاء زواجنا لأنَّ طول المدة وعروض تلك الحوادث— هذا كلهُ يمكنني من التخلُّص منهُ . اما انت فلستَ في حاجةٍ الى مُساعدٍ على تنفيذ نوتك وادراك مرادك

— وبعد هذا ؟

فتورَّدت البرنسس واطرقت لا تبدي جواباً فقال :—

— لا بأس . فقد وعدتكِ اني اهتمُّ بما فيهِ سعادتك مؤثرًا هذا على الاهتمام بسعادة نفسي . وسوف ازيدكِ على هذا الامر برهانًا بعد برهان ما شاء الله من الزمان . في الساعة التاسعة نجتمع في منزل المستر بركز ولا بدَّ ان ارلنفورد يحاول بوقاحتهِ المعهودة الافلات من الاشراك التي نصبناها حولهُ . ولهذا ساذهب مسلَّحًا بافعل الوسائط واقوى الوسائل التي لنا في البوليس السري

— وهل تستطيع ذلك ؟ — هنا في انكلترا ؟

— أنسيت ان جون فاين كان لنكدالحظ عضوًا في الفرقة الثالثة ؟

— أنسيتَ أني لن أنسى هذا مدى العمر ؟

— إعلمي إذًا انهُ مع عدم وجود معاهدة رسمية بين الحكومتين في تسليم المذنبين فيد

جلالة القيصر تستطيع القبض على عبيدهِ اين كانوا · أُتركي هذه المسألة لي

— بمزيد الرضى والسرور · فاذاً الى المساء — عن قريب

وفي الساعة الثامنة جلس المستر سنستانوس بركز في مكتبتهِ يكتب رسالةً · وبعد ما فرغ القى يراعهُ من يدهِ وقوَّم ظهرهُ على كرسيهِ ورفع الرسالة بيدهِ وقال في نفسهِ بعدما اكمل تلاوتها :—

— هذا يكفي

وهذا تعريب رسالتهِ :—

" سيدي المستر سافيل

" يسوُّني ان اخبرك ان اللورد ارلنفورد يأبى انتهاز فرصة الفرار من الجلسة المراد عقدها هذه الليلة في بيتي · وقد عزم ان يشهدها مخوَّطاً ومعداً لها امضى اسلحة الدفاع · فان لم تكن اسلحتك امضى من اسلحتهِ تمكنت ابنة عمي — الفتاة الغبية الطائشة — من الحصول على ما يورثها الخراب والدمار ويوردها موارد التلف والبوار · ولا يغرب عنك انهُ وغد وقد بلغ غاية النذالة والدناءة وافرغ جعبة احتيالهِ في اجتذابها اليهِ معللاً نفسهُ بالتعويل عليها وتحويل كل اذيةٍ اليها وقد عجَّلتُ في اطلاعك على هذا لكي تكون على بصيرةٍ وتأتي الجلسة متأهباً للحمل عليهِ التأهب التام · وفي اقرب وقتٍ اتوقع زيارتهُ لي والسلام — صديقك المخلص سنستانوس بركز "

ثم طواها وعنونها باسم دك سافيل ودفعها الى الخادم وامرهُ بسرعة ايصالها الى صاحبها · ورجع يفتش اوراقهُ قائلاً :—

— اين وضعت كتاب تلك الفتاة الشقيَّة ؟

ولما وجدهُ فتحهُ وقرأ فيهِ ما تعريبهُ :—

" ابن عمي العزيز

" لا انكر فضلك العميم. لكنني بلغت من العمر ما يمكنني من العناية بنفسي. ولو رضيتك وصيّاً او قيّماً عليَّ لكنت اقترنت بك من سنين طويلة · و يسوُّني القول اني لا اقدر ان ارثي لحالة السيدة التي كانت زوجة للورد ارلنفورد · ويجب ان افضل العمل باشارة زوجها على اجابة التماسها والسلام "

— يالك من فتاةٍ شقيةٍ وجاهلةٍ غبيَّةٍ · ألا تعلمين اني لاجلك اتيتُ اوربا والآ كنتِ طوَّحتِ بنفسك الى دركات الشقاء والدمار · وأُخذتِ بخداع هذا الكاذب العيَّار · وانت

يا سيدي ارلنفورد اظنك بلغتَ غاية شوطك وقد أعددُت لك شركاً لا تقوى على الافلات منهُ . واني لأشكرك بل اشكر العناية التي قدرت لي ان أشاهد بداءة ونهاية أغرب حادثة جرت في لندن

واذ ذاك دخل الخادم يعلن قدوم دك سافيل فقال بركر : —

— اهلاً بالمستر سافيل . أراك جئت قبل الوقت . اذاً لم يصلك كتابي

— لم أرَ منك كتاباً . وقد جئت لاقف على مجرى الاحوال . واحضرت صورة الإقرار المطلوب من ارلنفورد توقيعهُ وهو في نسختين هاتان هما

فاخذهما بركر ونظر فيهما نظرة المتفحص وقال : —

— هل يكتفي غودارد باقرار كهذا ؟

— نعم يكتفي ان يوقع ارلنفورد هذا الاقرار ويبرح انكلترا في الحال

—وهل تظنهُ يفعل هذا ؟ — لا اعلم

— وعدني انهُ يكون هنا الساعة التاسعة . ولما نصحتهُ بالعدول عن طلب التزوج بابنة عمي وانذرتهُ بسوء العاقبة أبى قبول النصح ولم يبالِ بالانذار. فعسى البارونة التدروف أن تحقق ما قالتهُ لي من جهة حصولها على قوة كافية لردعهِ . واقول لك ان محاولة كبح جماحهِ وترويضهِ ليست من المنات الهينات

— ويسرني جداً انك تخلصت منهُ على رغم تعلق ابنة عمك بهِ

— كيف ؟ وهل تخلصنا منهُ ؟

— نعم فانهُ بعد الحادثة التي طرأت لم يعد يهمهُ الاقتران بها

— اية حادثة تعني ؟

— حادثة حصولهِ على ثمانية آلاف جنيه في السنة ! فهل دار في خلدك ان شرّ خلق الله يفوز بمحبة افضل النساء ؟ ان التي تروم الان الرجوع اليهِ وقد رضيت ان تعطيهُ ثمانية آلاف جنيه في السنة . وهي مستعدة لترك انكلترا معهُ

— متى تصل البارونة — الشيطانة الجميلة ؟

— في الوقت المطلوب . ان هذه المرأة سرٌّ غريب وقوتها فائقة الادراك . ولسوف تكون ليلتنا هذه ليلة شديدة الاهوال . وسأذهب الآن للتفتيش عن امرأتي وبعد ربع ساعة اعود

وبعد خروجهِ دخل الخادم واعلن قدوم اخي املي دشتوف فاخذت بركر الحيرة والانقباض وقال : —

— كرتر؟ الماجور هومر كرتر؟ اني اعرف الاسم بعض المعرفة واما مسماهُ فلا اذكرهُ

فقال لهُ الخادم :—

— يقول صاحب هذا الاسم انهُ يروم مقابلتك دقيقة واحدة

— قل لهُ يدخل

فدخل الماجور كرتر وقال :—

— اجتمعنا مرة في بيت اللورد ارلنفورد

— تذكرت الآن . فماذا تروم مني ؟

— ارسلني اللورد ارلنفورد لاخبرك بانهُ لا يستطيع الحضور في الوقت المعيَّن

— هكذا توقعت واظنهُ —

— عرض لهُ امرٌ لم يكن في الحسبان فجئتك معتذرًا عنهُ لئلاَّ تغتاظ من تأخرهِ في المجيء . ويسرني أن انتهز هذه الفرصة للبحث قليلاً في الحوادث الجارية المكدرة . فان السيدة ارلنفورد عزمت ان تعرض على زوجها شيئًا وقد نصحت لهُ ان يقبلهُ

— وهل يهمني اقتراحها هذا ؟

— الى الغاية لانهُ اذا تمَّ عدل ارلنفورد عن الاقتران بابنة عمك

— سمعت شيئًا من هذا منذ بضع دقائق . واظنك لا تجهل ان حرية ارلنفورد الشخصية تتوقف على الاجتماع الذي ينعقد هذه الليلة

— حريتهُ ؟

— في هذا الاجتماع يطلب منهُ الاقرار باشتراكهِ في المكيدة التي سببت خراب القائد غودارد . فاذا ابى الاقرار واصرَّ على الانكار اثبتنا الجرم عليهِ وعلى كل شريك لهُ في جنايتهِ

— اني على رغم صداقتي لارلنفورد مضطرٌ الى الاعتراف بشدة كدري من اشتراكهِ في تلك الحادثة المحزنة

— هكذا توقعت . وهذا ما جرَّأني ان التمس منك شيئًا بهذا المعنى . فاذا اردنا الاعتماد على شهادتك تعجيلاً لقضاء الامر فكم تطلب عليها ؟

— خمسماية جنيه

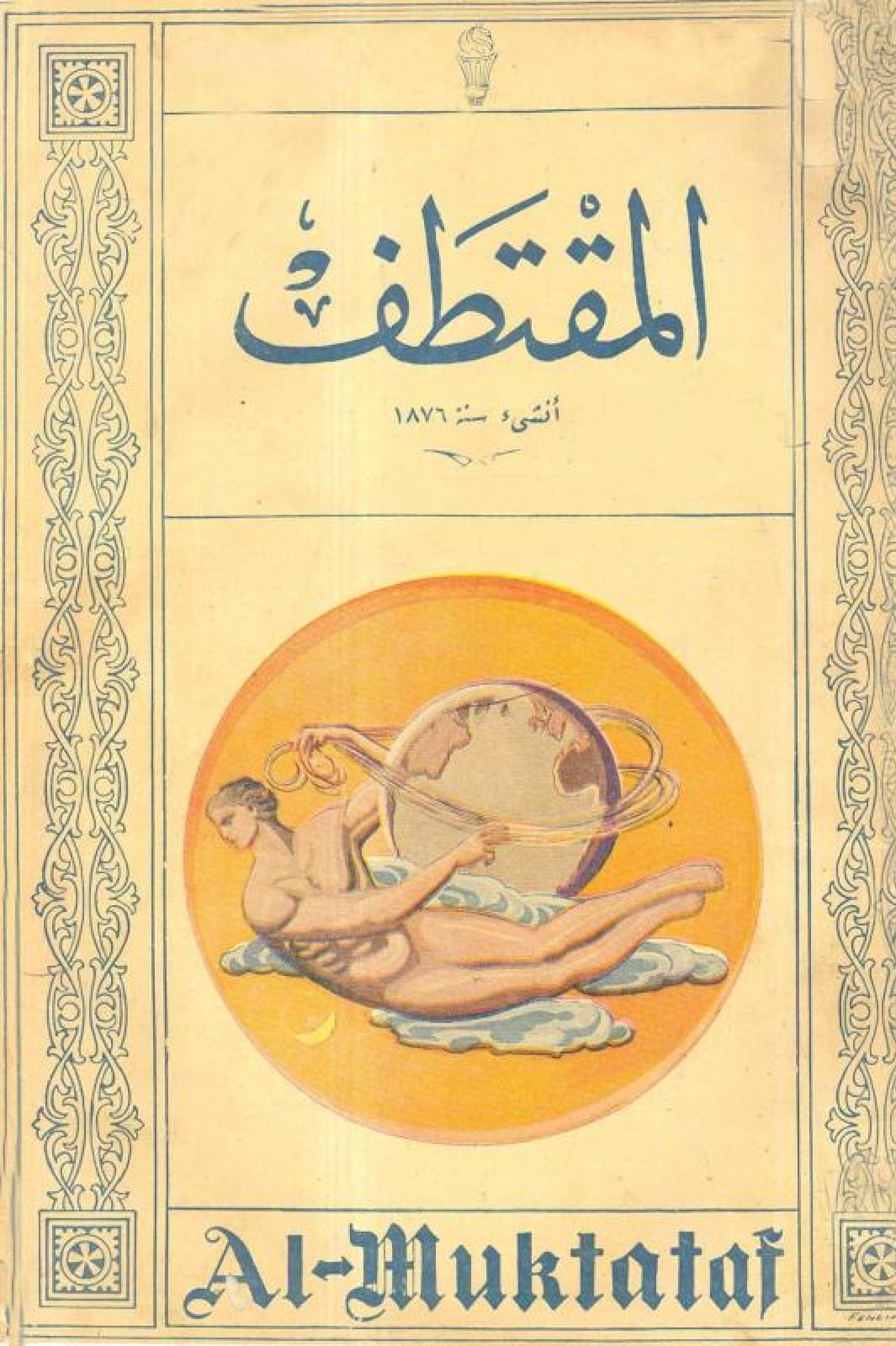
— ستحصل على هذا المبلغ بعد نهاية الاجتماع . واذا شئت فاذهب الآن وارجع بعد نصف ساعة

— سمعًا وطاعة



روزفلت رئيس الولايات المتحدة

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد التاسع والعشرين


المقتطف
أُنشىء سنة ١٨٧٦
Al-Muktataf

المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد التاسع والعشرين

١ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٩٠٤ — الموافق ٢٤ رمضان سنة ١٣٢٢

روزفلت رئيس الولايات المتحدة

انبأنا البرق منذ ايام قلائل ان اهالي الولايات المتحدة الاميركية انتخبوا الكولونل ثيودور روزفلت رئيساً لحكومتهم . وقد كان رئيساً لها منذ ثلاث سنوات آلت الرئاسة اليهِ بموت الرئيس السابق المستر مكنلي سنة ١٩٠١

والاميركيون الذين يشتركون في انتخاب الرئيس نحو عشرين مليوناً من النفوس وهم كل بالغ تقريباً يشتركون في انتخاب نوّاب لهم وهؤلاء ينتخبون الرئيس في شهر نوفمبر كل سنة رابعة لان مدة رئاسة الرئيس اربع سنوات

واذا حان ميعاد الانتخاب كل سنة رابعة قامت البلاد وقعدت وفيها حزبان كبيران الربليك (الجمهوري) والديموقراط (الشعبي) فيتفق كل حزب منهم على زعيم يرشحهُ لرئاسة الجمهورية و يشرع يستميل الناس اليهِ بالخطب والمواعيد فينتخب المنتخبون نوّابهم من هذا الحزب او من ذاك حسبما يميلون او يُرغَّبون الى ان يأتي يوم مخصوص من شهر نوفمبر فينتخب كل حزب من النواب واحداً من المرشحين والذي يقع لهُ العدد الاكثر من الاصوات يصير رئيساً . ورئيس الولايات المتحدة اقوى سلطة من كل الملوك والسلاطين ما عدا المستبدين منهم فهو رئيس ارقى امم الارض حضارةً واوفرها ثروةً وهو القائد العام لجنودها البرية والبحرية في السلم والحرب وبيدهِ تعيين جميع الموظفين في الوظائف الملكية والحربية ولا يقلُّ عددهم عن ثمانين الفاً . واليهِ المرجع في كل المخابرات الدولية ولهُ السيطرة على القوَّة التنفيذية وسنُّ القوانين والغاؤُها وتوطيد الامن في البلاد ولو باستخدام الجنود كلهم

وهذه الحقوق ليست حبراً على ورق بل للرئيس ان يستعملها وقتما يشاء وقد استعملها الرئيس روزفلت في السنوات الثلاث الماضية رغماً عن مقاومة جمهور كبير من النواب لهُ حتى

من حزبهِ فعقد اتفاقاً متبادلاً مع كوبا وحمل على الشركات المالية الكبيرة حملات منكرة في مجالس القضاء واضطرَّ اصحاب مناجم الفحم الى قبول التحكيم بينهم وبين العمال ومنع حكومة كولمبيا من ثورة يراد بها منع الحكومة الاميركية من فتح ترعة بناما

والاغنياء من الحزب الجمهوري لا يميلون اليهِ لانهُ شديد الوطأة عليهم ولكنهم لا يستطيعون ان ينالوهُ بمكروهٍ ولا يحاولون خذلهُ وقت الانتخاب لئلاَّ يفوز حزب الديموقراط عليهم ولا سيما بعد موت زعيمهم الآخر المستر هنا . ويقال انهُ لم يقم في الولايات المتحدة بعد الرئيس لنكن رجل اشهر من روزفلت او احب اليهم منهُ فهم يكرمونهُ ويجلّونهُ ويجاهرون بتفوقهِ عليهم ويعتقدون انهُ يستطيع كل شيء ولكنهُ لا يفعل الاَّ كل مكرمة . وهو من خاصة الاميركيين لا من عامتهم لكنهُ التصق بالعامة وفضَّل مصالحهم على مصالح الخاصَّة وفاق رجال وطنهِ في الصيد والقنص والحرب والسياسة

وقد آلت اليهِ الرئاسة اولاً بموت الرئيس مكنلي كما تقدم لانهُ كان نائباً لهُ ولولا ذلك ما اجمعوا على انتخابهِ حينئذٍ اما الآن والسلطة في يدهِ فيستحيل ان يُنتخب احد غيرهُ لانهُ يقال ان الاقامة في البيت الابيض منزل رؤَساء اميركا بمثابة ثلاثة اخماس اصوات الانتخاب . وزد على ذلك انهُ امتلك قلوب حزبهِ وكثيرين غيرهم باستقامتهِ وعدلهِ وبلاغة انشائهِ ورغبتهِ في تعزيز السلطة الاميركية حتى ان ما ينتقدهُ بهِ خصومهُ من انهُ رجل حرب يسعى في جعل الولايات المتحدة دولة حربية فاتحة زاد رغبة الناس في انتخابهِ

والذين يعرفونهُ حق المعرفة يقولون انهُ سياسي محنَّك وصديق مخلص وخلٌّ وفيٌّ وعدوٌّ لدود . لهُ قلم سيَّال صنَّف كتباً كثيرة تعدُّ في الطبقة الاولى بين مصنفات العصر وخدم بلادهُ في مناصب كثيرة . عُيِّن رئيساً للبوليس في مدينة نيويورك وكان فاسدًا فاصلحهُ وبذل في اصلاحهِ كل مرتخص وغالٍ ولم يراعِ كبيرًا ولا صغيرًا ولم يفعل احد فعلهُ قبلهُ ولا بعدهُ . وان كان في بوليس نيويورك شيء يُحمَد الآن فالفضل فيهِ لروزفلت . وهو الذي ادار رحى الحرب مع اسبانيا وخسَّرها اساطيلها بدل البارجة ماين التي اغرقتها . وبعد ان اضرم نار الحرب وهو مساعد في نظارة الحربية استعفى من منصبهِ وركب جوادهُ وقاد فرقةً من الفرسان وكان اول مَن صعد اكمة سان جوان . ثم صار حاكماً لولاية نيويورك فنائباً للرئيس مكنلي فخلفاً لهُ

ولما نشبت حرب الانتخاب للرئيس مكنلي (لان الانتخاب في اميركا حرب سلاحها الالسنة والاقلام وميادينها المنابر والجرائد) خطب روزفلت خمس مئة خطبة مئتين منها في ولاية نيويورك وحدها لان اكثر الاعتماد عليها في الانتخاب والبقية في سائر الولايات . وسار سبعة

عشر الف ميل وكان متوسط خطبهِ عشرين خطبة في اليوم . وقد سار في العام الماضي اربعة عشر الف ميل وتكلَّم في ٢٦٣ مدينة موضحاً آراءهُ للجمهور ومبيناً لهم الاسباب التي حملتهُ على فعل ما فعلهُ

اما مقامهُ في عالم التأليف وبين ارباب الانشاء فواضح من مؤلفاتهِ الكثيرة فانهُ درس في مدرسة هارڤرد الجامعة واتمَّ دروسهُ فيها سنة ١٨٨٠ وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة وانتخب حينئذٍ عضواً في مجلس نيويورك فاظهر ما امتاز بهِ من اصالة الرأي واستخدام السياسة لنفع البلاد ومقاومة الخصوم بالعنف الشديد وفعل ما يعدُّ فعلهُ واجباً مهما حال في وجههِ من الحوائل . فعرف الناس قدرهُ ورأوا فيهِ مقدرةً تفوق المعتاد فاحبَّهُ بعضهم وابغضهُ البعض الآخر ولكنهم تهيَّبوهُ كلهم واكرموهُ

والَّف كتابهُ الاول سنة ١٨٨٢ وتلتهُ كتب أُخرى في السنوات التالية . وسنة ١٨٨٨ انشأ اول كتاب سياسي بحث فيهِ عن سياسة البلاد بحثاً لم يُسبَق اليهِ وازاح الستار عن رياء المعدودين عمُد الامة وعن مفاسد نوَّاب الاغنياء واظهر مناقب الذين يُعدُّون دُخلاء لانهم مولودون خارج البلاد الاميركية . وشدَّد النكير على الاغنياء الذين يجتمعون في الاندية الكبيرة ويطلبون الاصلاح كأنَّ الاصلاح مادة تمسك باليد ثم ينصرفون كأنهم قضوا الواجب عليهم . وقال انهُ كما عرضت لهُ مشكلة خطيرة وانتخب لها لجنة حلها فثلاثة ارباع اللجنة من الارلنديين اي ان رجال الاعمال الذين يعتمد عليهم هم من الذين يُعدُّون دخلاء في البلاد

ثم توسَّع في هذا الموضوع والَّف فيهِ كتاباً كبيراً نشرهُ سنة ١٨٩٥ سمَّاهُ "مطالب اميركا" شرح فيهِ آراءهُ السياسية والاجتماعية فقال ان المجرمين الذين يرتكبون الجرائم ويقعون تحت طائلة القانون ليسوا بالذين يُخشى شرهم وانما يخشى شرُّ المضارب الذي يغتني بمخادعة غيرهِ ويرشو القضاة ويفسد القضاء لكي يموت وهو من كبار الاغنياء فانهُ اضرُّ بالبلاد من القتلة واللصوص وقاطعي الطرق . والذي يهيج العمال على الاعتصاب لا يفرق عن التاجر او صاحب المعمل الذي يضيق على مستخدميهِ ويمنعهم من الاستقلال . وحطَّ الى الدرك الاسفل من الخسَّة والدناءة الغنيَّ الذي يضحي كل شيء في سبيل جمع الثروة وقد قال في هذا الصدد ما ترجمتهُ

" لا شيء في الدنيا احقر واخس من الرجل الاميركي المتفاني في جمع المال فانهُ يهمل كل واجب ويغضي عن كل حق ويعكف على جمع الثروة واستخدامها في اخس الاعمال إما بالمضاربة وتخريب البيوت والشركات او بجعل ابنهِ يعيش عيشة البذخ والطيش والخلاعة والكسل او بشترى شاب خليع من ابناء البيوت الكبيرة زوجاً لابنتهِ . ويزيد شرُّهُ وضرُّهُ اذا

فعل فعلاً حميداً من وقت الى آخر كأن يبني مدرسة او كنيسة لكي يجعل الجهلاء ينسون قبائحهُ .رجل مثل هذا لا يعبأ بالعمَّال الذين يهتضم حقوقهم ولا بالبلاد التي يقوّض اركانها فهو لعنة على نفسهِ وعلى بلادهِ

" والرجل الذي يرى سياسة بلادهِ متدرجة من رديءٍ الى اردأ منهُ ولا يحرك ساكناً ويسمع عن ظلم الحكّام فيضحك ولا يبالي ويشاهد سوء الادارة وتعويج القضاء ولا يبذل جهدهُ في اصلاح الحال هذا الرجل ينقض عهد ولائهِ لبلادهِ وامتهِ ويُعِدُّ الطريق لخرابها ودمارها . والاغضاء عن الحق والواجب والتعامي عمَّا يؤول اليهِ الظلمُ والفسادُ من الشر والخراب نقيصتان من اقبح النقائص وهما من مزايا بعض الاميركيين الذين يعدون انفسهم في المصاف الاول بين الانام

" ويقرب من هؤلاء في الضرر الرجالُ الذين مطالبهم كلها مادية محضة فيقيسون كل شيءٍ بمقياس الربح المالي فلا يحسبون لشاعرٍ حساباً ولو كان انبغ شعراء العصر لانهم لا يرون ان البلاد تربح من شعرهِ ربحاً مالياً بل يفضلون عليهِ صانع المسامير وقد فاتهم ان الربح المالي لا يقوم مقام الفضائل القوميَّة ولا يحل المشاكل الاجتماعية

" ومنهم من يفضل المال على الشرف والمجد واصالة الرأي وحسن النظر في العواقب وكل المناقب التي تقوى بها الامم وتستعز ويزعم ان ملاك السلام نال بغيتهُ من الناس لما اقنعهم بجلب البضائع الاجنبيَّة التي ينقص ثمنها بعض الشيء عن البضائع الوطنية . ولا تتحرك في نفوسهم اقل عاطفة من العواطف التي ولَّدت الساسة والابطال والشعراء والادباء ورفعت مقام الامم واعلت كلمتها "

ثم توسَّع في هذا الموضوع في كتابهِ الاخير المسمَّى " بحياة الجد " وافاض في تزييف المعايب الاجتماعية والترغيب في الفضائل الادبية ولا سيما بعد ان القيت على عاتق الحكومة الاميركية اعباء جديدة باضافة جزائر فيلبين اليها

وسنة ١٨٨٤ ابتاع مزرعة تُربَّى فيها المواشي واقام فيها لكي يسترد صحتهُ ويروض جسمهُ وكانت المزرعة في اطراف البلاد حيث تقيم البقية الباقية من هنود اميركا فأثَّرت فيهِ المعيشة الخلوية وحملتهُ على تأليف نوعين من الكتب الواحد عن تخوم البلاد والمعيشة الخلوية في الصيد وتربية المواشي والثاني عن بعض الامور التاريخية . وتخلَّص من لوم الاميركيين لاخذهم البلاد من الهنود بقولهِ ان البلاد لم تكن للهنود وانما كانوا فيها رحَّلاً تنزل قبيلة منهم بقعة وتقتل مَن فيها وتتبع الصيد الى ان تقرضهُ او يقل فتتركها وترحل الى غيرها وشأنهم شأن البيض الذين يضربون في بلاد واسعة للصيد والقنص فان حقّ لهؤلاء ان يتملكوا كل بلاد اصطادوا فيها

حق لهنود اميركا ان يمتلكوا البلاد التي ضربوا فيها . لكنهُ لم يبرئ الحكومة الاميركية من الظلم والاعتساف في معاملتها للهنود ولا برَّأَ البيض من الجور والاعتداء عليهم

وطالع وهو هناك كتب كبار الطبيعيين الذين كتبوا عن الحيوان والنبات حتى يطبق المعارف التي جمعوها على ما يراهُ في تلك البقاع . وتابع الصيد والقنص حتى صار من امهر الفرسان واصبرهم على المشاق

ثم الف كتابهُ عن كيفية فتح البلاد الغربية من اميركا وتعميرها وهو كتاب ضخم في اربعة مجلدات جمع فيهِ من الحقائق التاريخية ومن اخبار روَّاد الحضارة وما لقوا من المشاق وما ذللوا من المصاعب ما جعلهُ من خاصَّة الكتب التاريخيَّة الموثوق بها . وقد ابان فيهِ بالادلة ان الحكومة الانكليزية كانت تقصد ان تبقى تلك البلاد قفارًا للصيد والقنص لكي لا تعمر فتقوى بها الولايات الشرقية لكن روَّاد الحضارة لم يقفوا عند حدٍّ بل فتحوا البلاد ومهَّدوا السبيل لتعميرها

هذا هو روزفلت الرجل والسياسي والمؤلف وقد شبَّههُ احد الكتاب باللورد كتشنر في قيادة الجيوش وتدبير الحروب وبامبراطور المانيا في سياسة البلاد والعباد وبالمستر تشمبرلين في اجراء الاصلاح العام دفعةً واحدة . ويسرُّ الاميركيين ان يكون رئيسهم جنديًا وسياسيًا ومؤلفًا لاسيما وانهُ يحبُّ المزاح ويلجأ اليهِ حينما يطلب الراحة من عناء الاشغال . قيل انهُ كان جالسًا مرةً مع احد الوزراء يبحثان في مسألة سياسية هامَّة فالتفت الى الوزير بغتةً وقال لهُ هل تعطيني برنيطة اذا وثبت من فوق هذا الكرسي . فقال الوزير نعم . فنهض روزفلت ووقف وراء الكرسي وقزَّ ووثب من فوقهِ ثم جلس وعاد الى الشغل ولم يقل شيئًا . ولما اتمَّا شغلهما قال لهُ الوزير ما دعاك الى ما فعلت فقال رأيت اني انا وانت نحتاج الى شيء من الراحة ورأيت نفسي في حاجة الى برنيطة جديدة . لكنهُ حريص على الوقت جدًا وويل لمن يضيع دقيقةً من وقتهِ سدًى في حضرتهِ . زارهُ احد النوَّاب يومًا وقال لهُ على سبيل المجاملة لقد سررت بمشاهدتك فقال لهُ روزفلت اما انا فلم اسرَّ بمشاهدتك لانني مشغول جدًا ولا وقت لي لمشاهدة احد . وهو حريص على اموالهِ مع اشتهارهِ بالكرم رآهُ بعضهم مرة يساوم واحدًا من اجل نصف غرش وفي تلك الساعة نفسها طُلب منهُ احسان لمقام خيري فدفع خمسة وعشرين جنيهًا . وحريص ايضًا على اموال غيرهِ حرصهُ على اموالهِ . لما كان يربي المواشي في بلاد المراعي كان كل احد يَسِم مواشيهُ بوسم خاص والمواشي التي لا وسم لها مُلك مشاع يسمها كل من يجدها فتصير لهُ . فرأى مرة احد رجالهِ يسم ثورًا ليس لهُ بسمتهِ فطردهُ من خدمتهِ لانهُ لم يطق ان يمتلك ما ليس لهُ ولو لم يكن لهُ مالك

مؤتمر العلوم والفنون

رأى ارباب العلوم والفنون ان في المعارض العمومية ميداناً واسعاً للاجتماع والتعارف والتداول فعقدوا في معرض باريس الاخير نحو مئة مؤتمر علمي تذاكروا فيها في كل المسائل التي يبحث فيها الناس الآن من فلسفية وعلمية واجتماعية. ولما عقد الاميركيون النية على اقامة معرضهم العام في مدينة سنت لويس رأى علماؤهم ان يعقدوا فيهِ مؤتمراً عاماً للعلوم والفنون يشترك فيهِ علماء الارض قاطبةً. فتم لهم ذلك وعُقد المؤتمر في التاسع عشر من شهر سبتمبر الماضي الى الخامس والعشرين منهُ برئاسة الاستاذ نيوكم الفلكي الاميركي الشهير. وانتظم فيهِ نحو الفي مشترك وكان المتكلمون فيهِ والمديرون لجلساتهِ نحو خمس مئة. وحضره نواب المدارس الاميركية الكبيرة كلها وكثير من نواب المدارس الاوربية الكبرى وجم غفير من المشتغلين بالعلوم والفنون من كل الاقطار. وبلغ عدد الذين خطبوا فيهِ من غير الاميركيين نحو تسعين عالماً خطبوا بالانكليزية والفرنسوية والالمانية والايطالية والهولندية. وفي اليوم الاول خطب فيهم الاستاذ نيوكم خطبة بليغة جعل موضوعها البحث العلمي وكيفية ارتقائهِ قال فيها ان رجال العلم يهتمون الآن اهتماماً شديداً بالبحث عن اصل الاشياء وكيفية نشوئها وارتقائها وذلك يصدق على المباحث العلمية نفسها كما يصدق على غيرها. وبيَّن ان لارتقاء العلوم والفنون اصولاً قديمة جداً وعللاً كثيرة تولدت في العصور الغابرة والبحث عنها يقتضي الرجوع الى ما وراء آثار الارتقاء العملي الباهر الذي تم في القرن الماضي لئلا يكسف نوره نور العصور الغابرة. فان من ينظر الى الشجرة الكبيرة ويتملَّى من منظرها البهيج قد يغضي عن البزرة الصغيرة التي تولدت تلك الشجرة منها مع ان تولدها من البزرة اغرب من نموها. وكذلك عمراننا فان اساسهُ ادبي لا مادي والفاعل فيهِ انما هو عقل الانسان. وكل ما نراه من الظواهر التي تبهج النظر وتدهش الفكر انما هو نتائج الارتقاء العقلي وان صح قولهم "الانسان اعظم ما في الدنيا والعقل اعظم ما في الانسان" فالعقل مدار البحث وعليهِ المعوَّل

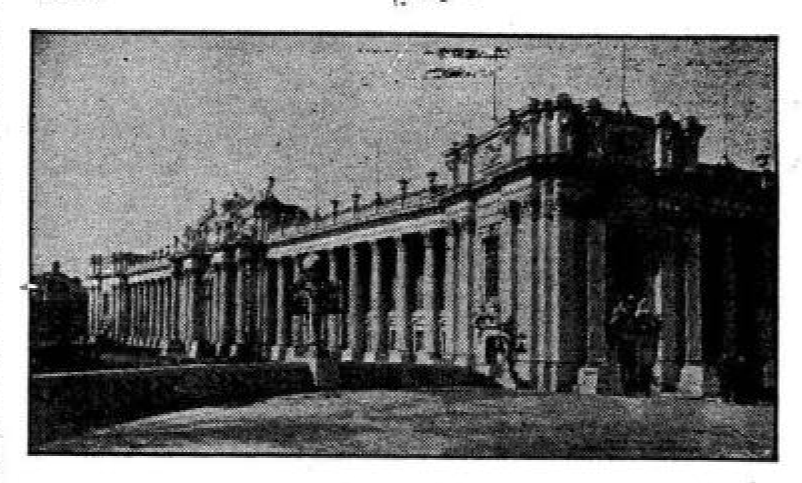
ثم ان هذا الارتقاء الذي مداره استخدام قوى الطبيعة في ما يؤول الى نفع الانسان حديث العهد تم في القرن الماضي وابتدأ منذ اربعة قرون فقط. الاَّ ان من ينظر الى الشجرة وينسى البزرة التي نبتت الشجرة منها قد يحسب ان هذا الارتقاء نتج كلهُ عن استخدام القوى الطبيعية كالحرارة والكهربائية والفضل فيهِ لرجال الاختراع والاستنباط ولكن الباحث المدقق

الذي يفتش عن اصول الاشياء يعلم ان الفضل الاول لرجال العلم لاهل البحث العلمي لانهُ لولا القواعد العلمية التي وضعوها والنواميس الطبيعية التي توصلوا الى معرفتها ما استطاع المكتشفون والمخترعون ان يفعلوا شيئاً . فاذا اكرمنا المكتشفين والمخترعين وقدرناهم قدرهم وجب ان لا ننسى العلماء الباحثين الذين كشفوا الغوامض واظهروا اسرار الطبيعة بنور عقولهم . وان قيل انهم لم يستفيدوا مما اكتشفوهُ وبحثوا فيهِ ولا قادهم حبُّ الكسب الى البحث والاستقصاء فذلك فخرٌ لهم يمدحون عليهِ ولا يلامون . والطبيعة لا تبيح باسرارها لمن يخطب ودها قاصداً الكسب منها . ولا تُعلَم فائدةُ الحقائق العلمية الاَّ بعد معرفتها وقلما يعرفها من يفتش عن النفع منها . واقل من ذلك ان يجتمع الامران في رجل واحد فيكتشف الحقائق الطبيعية ثم يستخدمها للنفع العام (كما فعل كلفن ووط من قبله). وواضح من ذلك ان هذه الحركة العظيمة التي اوصلت الناس الى هذا الارتقاء المادي اساسها البحث العلمي فهو الذي خفَّف آلام الناس وازال الخوف من الطاعون والكوليرا ومَنْطَقَ الكرة الارضية بمناطق من اسلاك التلغراف وربط القارات بسكك الحديد فقرَّب الابعاد وسهَّل الصعاب ومكنَّنا من الاجتماع في هذا المكان . فليكن تاريخ هذا البحث وارتقاؤهُ موضوع كلامنا الآن

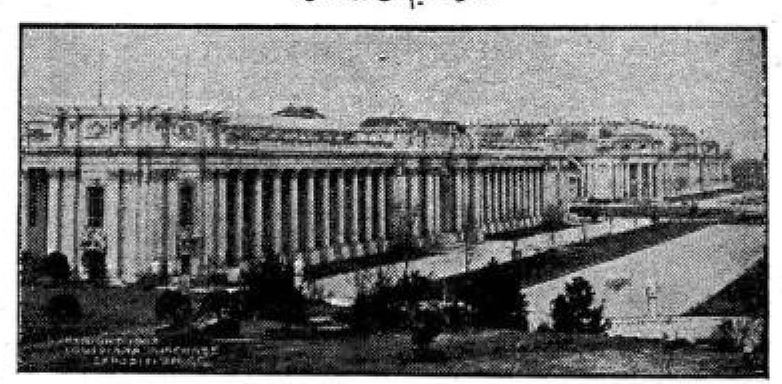
وافاض الخطيب في هذا الموضوع وتخلَّص الى ذكر البلدان التي ارسلت نوابها الى ذلك المؤتمر فأشار اليها بالكناية واحدة واحدة الى ان وصل الى اليابان فوصفها بقوله انها امَّة الشرق الاقصى التي تقدَّمت في نصف قرن تقدُّماً لا مثيل لهُ وغيَّرت في آراء الناس العلميَّة لانها افسدت قول القائلين "ان الامم القديمة قد شاخت وقضي عليها ولن تقوم لها قائمة بعد الآن" وختم خطبتهُ بقوله لاولئك النواب اننا نرجو ان الهواء الذي استنشقتموهُ في بلادنا يبقى تأثيرهُ في نفوسكم زماناً طويلاً فيزيدكم همَّةً ونشاطاً في متابعة اشغالكم المختلفة . وإن كانت النهضة العقلية التي تمت في القرن الماضي قد وجدت لها دافعاً جديداً في هذا المؤتمر يأول الى توحيد العلوم وتوسيع نطاق المعارف بتعاضد خدَّامها فالذين اهتموا بانشاء هذا المؤتمر وتعضيده قد احسنوا في ما فعلوا وكُللت اتعابهم بالنجاح

هذا ونود لو وسعنا المقتطف لنشر خلاصة بقية الخطب التي تليت في ذلك المؤتمر . ويظهر من مراجعة ما كُتب عنهُ وعن المعرض بنوع عام انهُ كان للعلم والتعليم شأن كبير في المعرض ومكان عزيز فيهِ كما يستدلُّ من كثرة المباني المخصَّصة لما يتعلَّق بالعلم وقد نشرنا صور بعضها على الصفحة التالية وكلها من المنشآت الرحبة الفخيمة

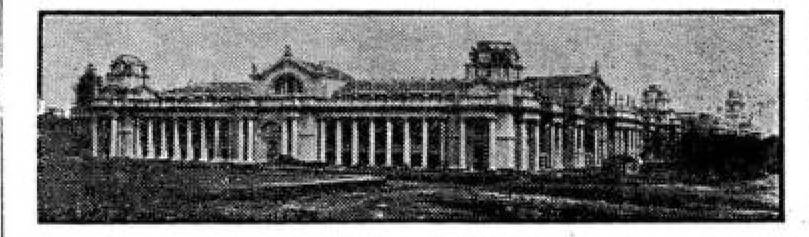
قصر التعليم



قصر التعليم من جهة اخرى



قصر الكهربائية



قوانين يوستنيانوس

(تابع ما قبله)

(٦) متى أجرى الطبيب عملاً جراحياً لعبدٍ ولم يتمّ ما يلزمهُ من التضميد ثم مات العبد بهذا السبب كان الطبيب مستوجباً العقوبة على تقصيره

(٧) ان عدم الكفاءة يُعدُّ جريمةً

(٨ و٩) مقتضى هذه الشريعة يعدّ عقابياً اذ لا يكتفي ان يلزم بتعويض الضرر بل هو يلزم ايضاً بأداء الزيارة

(١٠) قد تقرَّر في شرح هذه الشريعة ان على القاتل ان يؤدّي قيمة العبد المقتول او البهيمة الهالكة وايضاً كل ضررٍ تأتى عن ذلك

(١١) من قُتِل عبدهُ فهو بالخيار اما ان يطلب تعويض الضرر بالدعوى المبنيَّة على شريعة اكويليا . واما ان يدَّعي على القاتل دعوى توجب القتل

(١٢) لكن الشق الثاني من شريعة اكويليا مهجور في الاستعمال

(١٣) الباب الثالث من شريعة اكويليا يبحث في سائر الأضرار

(١٤) يجب على الضارّ بحسب هذا الباب ان يؤدي قيمة الشيء كما كانت في مدة ثلاثين يوماً قبل وقوع الجريمة

(١٥ و١٦) قد تقرَّر ان نصّ هذه الشريعة صريح بانهُ اذا شخصٌ سبّب لهُ ضررٌ (بجسمهِ) يحقّ لهُ عادةً ان يقيم دعاوى التعويض على من سبب الضرر بأيّ وجهٍ من الوجوه لكن متى كانت الدعوى غير صريحةٍ ونصّ شريعة اكويليا غير ممكنٍ تطبيقهُ يحكم ان مرتكب الضرر يؤاخذ بما اجترم

الفصل الرابع في التعدّيات

يُطلَق التعدّي بالاجمال على كل ما يقع بغير حق ويُطلق بالخصوص على الإجمال وقد يُطلق على الاثم وعلى الظلم

(١) التعدّي يُرتكب باللكم وبالضرب بالعصا او بالسوط وبان تحجز املاك الرجل كأنَّهُ مديون وهو في الواقع لا دين عليهِ والذي يطالبهُ يعلم انهُ ليس لهُ قِبلهُ شيءٌ . وبان يكتب ويؤلّف وينشر أهاجيّ نظماً او نثراً فضحاً لانسانٍ او تشنيعاً عليهِ . وبان يساعد بنيّةٍ رديَّةٍ على ان يفعل احد هذه الاشياء بالمتعدّى عليهِ . وبأن يجري بدون أدبٍ وراء أم

عائلةٍ او صبيٍّ او فتاةٍ مراهقين. وبأن يمسَّ حياة امرىءٍ. وفي الاخير نقول يرتكب التعدّي بعدّة انواعٍ أُخر

(٢) يلحق التعدّي الشخص اذا نزل بهِ رأساً او باولادهِ الذين هم تحت ولايتهِ او بزوجتهِ. ومتى نزل التعدي بالزوج فليس للمرأة ان تقيم دعوى التعدّي . وللحمِ ان يقيم دعوى التعدّي بالنيابة عن كنّتهِ اذا كان زوجها في ولايتهِ

(٣) ان العبد لا يلحقهُ التعدّي لكن يلحق مولاهُ بسببهِ. على ان ذلك مخصصٌ فيما اذا ارتكب عمل مخالف يمسُّ كرامة السيد صريحاً . على انهُ ان لم ينزل بالعبد الاَّ شتائم شفاهية او لكمات فليس للمولى دعوى على فاعل هذه التعديات

(٤) اذا تعدّي احد الناس على حرٍّ كان يخدمك خدمةً صادقةً كان لهُ ان يقيم الدعوى على المتعدّي الاَّ ان كان باعث التعدي اهانتك

(٥) عقوبة الاعتداء كانت على كسر عضوٍ قصاص دمٍ . وعلى كسر العظم جزاء نقدياً مسمّى. واما فيما بعد ذلك فالقضاة يفوّضون الى من اعتُدِي عليهم ان يعينوا هم انفسهم المبلغ الذي يريدونهُ حتى ان القاضي لهُ ان يحكم على المدعى عليهِ بدفع المبلغ الذي سماهُ المدعي او بدفع مبلغ أقل حسبما يراهُ عادلاً . فقيمة الأرش تزيد وتنقص على حسب منزلة الشخص واعتبارهِ

(٦ و٧) يُعتبر التعدي فظيعاً اما بسبب الفعل واما بسبب المكان واما بسبب الشخص. وموضع الجرح يجعل التعدي احياناً فظيعاً

(٨) من المعلوم ان من يُتعدى عليهِ يجوز لهُ ان يقيم الدعوى اما جنائيةً واما حقيةً وان اقامها حقيةً فبعد أن يعين مبلغ التعويض على الوجه المشروح آنفاً تنزل العقوبة بالمتعدي وان اقامها جنائيةً فعقوبتهُ الخارقة العادة تكون راجعةً الى نظر القاضي

(٩) يؤاخذ بدعوى التعدي من يضرب او يتسبب في ضرب كفٍّ خدَّ احدٍ

(١٠) هذه الدعوى تسقط باهمال إقامتها

القصل الخامس في العقوبات التي تترتَّب على شبهِ الجناية

اذا قاضٍ اقام الدعوى باسمهِ يعتبر كانهُ ارتكب جرماً لجهلهِ ومن ثمَّ يؤاخذ بشبهِ الجناية ويغرم من اجل ذلك المبلغ الذي يستحسن القاضي عليهِ ان يغرمهُ اياهُ

(١) اذا القى او نشر شيئاً يضرُّ بالغير من يسكن بيتاً سواءٌ كان مالكاً او مستأجرًا او ساكناً مجاناً فهذا يعاقب بشبه الجناية . من يضع او يربط في طريق او ممرّ الاشياء التي اذا سقطت يتسبَّب عن سقوطها ضرر بالغير فهو مستوجب جزاء نقديًا قيمتهُ عشر قطع ذهب. واما

الاشياء المطروحة او المنشورة فالدعوى معينة بضعف قيمة الضرر المسبَّب

اما الحرُّ المقتول عرضاً (اي خطأً) فديتهُ خمسون قطعة ذهب . ولكن ان لم يمت فالقاضي يعين المبلغ الذي يراهُ مناسباً للجرح

(٢) متى اتخذ ابن البيت لهُ مسكناً في غير دار ابيهِ تُقَم الدعوى على الابن نفسهِ . وكذلك تقام الدعوى على كل قاضٍ ابن بيت يكون قد اقام الدعوى باسمهِ

(٣) كذا صاحب السفينة او الفندق او الاصطبلات العامة يُعدّ شبه جانٍ في الضرر المسبَّب وفي السرقة الواقعة في السفينة او في الفندق او الاصطبلات وفي هذه الاحوال يُعطى الحقّ في اقامة الدعوى للوارث لكن لا تُقام عليهِ

الفصل السادس في الدعاوى

الدعوى حقّ المطالبة شرعاً بما للطالب قِبَل المطالَب

(١) من يدَّعي فانما يدَّعي على من لهُ عليهِ حقٌّ سواءٌ كان ذلك الحقّ بعقدٍ او بجريمة . فان كان الحقّ من قِبل العقد او من قبل الجريمة فالدعوى شخصيَّة او يدَّعي على شخصٍ ليس لهُ عليهِ حقٌّ من الحقوق لكن يقوم الخصام بينهما بسبب شيءٍ ما ففي الاحوال الدعوى حقيَّة او عقاريَّة

(٢) كذلك تكون الدعوى حقيةً او عقارية اذا اتجهت على حق استعمال ارض او بنايةٍ او الاستمتاع بهما او على حقّ المرور بارضٍ مجاورةٍ بدابَّة او على حقّ جرّ الماء من هذه الارض كذلك تكون الدعوى عقاريةً او حقيةً متى ادّعي ان الخصم ليس لهُ حقّ الاستخدام ولا الاستمتاع ولا المرور بدابّتهِ او جرّ الماء وانهُ ليس لهُ حقّ ان يرفع ابنيتهُ او حقّ النظر او حقّ ابراز الطنف او حقّ ادخال الجوائز في حائطٍ

(٣) ان الدعاوى التي مرَّ لنا الكلام فيها تنسب للشرع المدني . واما الدعاوى الاخرى من عقارية وشخصية فراجعة الى القاضي

(٤) من استلم بسببٍ عادل شيئاً لم يصبح بعدُ مالكاً لهُ ثم فقدهُ اتفاقاً فليس لهُ فيهِ دعوى عقارية او حقية صريحة . غير ان القاضي اوجد دعوى يستردّ بمقتضاها كل من فقد شيئاً ادّعى انهُ كان في يدهِ وان لم يكن ذلك واقعياً

(٥) وبالعكس اذا كان زيدٌ غائباً في سبيل المصلحة العمومية او كان في أسر العدوّ وكان غاصباً شيئاً لعمروٍ الباقي في المدينة جاز لمالك ذلك الشيء عند رجوع زيدٍ من غيبتهِ ان يستردّهُ في اثناء السنة وذلك بازالة اليد (اي يد زيد الغائب)

اكويليا في الخسارة المسبَّبة عن الضرر . وكذلك الدعوى المقامة على الذين يماطلون في تسليم الاشياء المتروكة للامكنة المكرّمة لكونها وقفاً او وديعةً ويرجئون ذلك الى حين محاكمتهم

(٢٠) يظهر انهُ تقع دعوى مختلطة من عقارية وشخصية وذلك كالدعوى المسماة التقسيم العائلي والدعوى المسماة التقسيم العموميّ ودعوى التخوم

(٢١) الدعاوى اما مفردةٌ واما مزدوجة واما مثلثةٌ واما مربعة

(٢٢) تكون الدعاوى مفردةً متى صدرت عن شرط او اتمام قرض او اجارة او وكالة وعن أسباب أُخر

(٢٣) تكون الدعاوى مزدوجةً متى نشأت عن سرقةٍ مستترة وعن خسارة مسببة عن ضرر . وعن شريعة اكويليا . وعن الوديعة في بعض الاحوال . وعن افساد العبد . وعما أُوصي بهِ او وُقف على الامكنة المكرّمة

(٢٤) تكون الدعاوي مثلثةً متى ذكر في نصّ الطلب اكثر مما على المدّعى عليهِ وذلك لكي ينال منفذو الحكم على سبيل الجُعل مبلغاً اكثر مما يستحقون

(٢٥) الدعوى المربّعة هي دعوى السرقة الصريحة والدعوى المسببة عن الخوف والدعوى المسببة عن مال أُعطي اما لاقامة نزاع خبيث او لعدم اقامتهِ على شخص ما

(٢٦) اما دعوى السرقة المستترة ودعوى افساد العبد فهما مزدوجتان في كل الاحوال . واما دعوى الخسارة المسببة عن الضرر وعن شريعة اكويليا فكلتاهما تصير مزدوجةً بمجرّد الانكار . وقد تكون احياناً دعوى الوديعة مزدوجةً بالانكار وتكون مفردة اذا أُقيمت على المقرّ . ودعوى الاشياء المتروكة للاماكن المكرمة هي مزدوجة في حالة الانكار بل في حالة المطل في الدين حتى في الوقت الذي تبتدىءُ فيهِ المحاكمات بأمر القضاة

(٢٧) دعوى من كان قد أُقامها بسبب الخوف تختلف عن الدعاوى الاخر . وبيان ذلك انهُ اذا رُدَّ الشيء نفسهُ بأمر القاضي الى المدّعي يبرأ المدّعى عليهِ

(٢٨) بعض الدعاوي يصدر عن نيَّةٍ سليمة وبعضها عن حقٍّ محضٍ فالتي عن نيَّةٍ سليمة هي دعاوى البيع والاجارة والاشغال المتعاطاة والوكالة والوديعة لاجل الشريك والوصاية والاتفاق العربونيّ والتقسيم العائليّ والصكّ المتبع نصهُ . والتي تنشأ عن عقد التثمين مثل الناشئة عن المقايضة وطلب الميراث

(٢٩) دعوى رجوع الزوجة كانت قديماً احدى دعاوي النيَّة السليمة لكن لما كانت هذه قد أُسقطت واستبدلت بدعوى الشرط وكان يجب ابقاء صفة النيَّة السليمة لدعوى استرجاع

المهر صارت دعوى الشرط صادرة عن نيّة سليمة ولكن فيما يتعلق بهذا الاسترجاع فقط ٠ وقد جعلنا حقّ الرهنية المستترة لذلك الاسترجاع

(٣٠) في دعاوى النية السليمة قد استحسن ان تطلق يد القاضي في ان يقدّر بمقتضى قواعد الانصاف المبلغ الواجب ردهُ الى المدعي ٠ اما قانوننا فيكتفي بالتعويضات المبنية على حقّ بيّنٍ لاريب فيهِ فتنقص الدعاوي على نسبة تلك التعويضات ماخلا دعوى الوديعة

(٣١) وقد بقي بعض دعاوي ندعوها اختيارية اي متعلقة باختيار القاضي . وهي اما عقارية واما شخصية

(٣٢) يجب على القاضي ان يدقق النظر على حسبما يتعلق بهِ ان يصدر حكمهُ في مبلغ من النقود او في سلعةٍ معينةٍ حتى ولو كان الكلام في قيمة غير معينةٍ

(٣٣) ان من وهو يقيم دعوى طلب اكثر مما يحقّ لهُ خسر دعواهُ يطلب اكثر من اربعة أوجه في شأن الشيء وزمانهِ ومكانهِ وسببهِ . فاذا طلب اكثر من شأن الزمان فقانون زينون الشريف الذكر قد صرّح بما يجب ان يحكم بهِ لكن اذا كان هذا في شأن الكميّة او سائر الاوجه الاخر فالمدّعي يغرم بأداء مبلغ يساوي ثلاثة امثال الضرر الذي سببّهُ للمدّعى عليهِ بمغالاتهِ في دعواهُ

(٣٤) المدعي الذي يطلب أقلّ مّا يحقّ لهُ فهو في مأمنٍ من التغريم

(٣٥) ان ادعى زيدٌ شيئاً مكان شيءٍ وانجلت الحقيقة اثناء التحاكم يجوز للمدّعي ان يصلح خطاءهُ

(٣٦) من الدعاوى مابهِ تارةً يطالب بالكلّ وتارةً بالأقلّ ٠ وذلك كالدعوى على مايوفرهُ الولد او العبد فالقاضي يحكم بالمبلغ الموفّر

(٣٧) ايضاً نحن نريد ان المرأة متى أقامت دعوى المهر التي لايحكم فيها على الزوج الأ بالمبلغ الذي يمكن ان يؤديهُ ان مبلغ المهر المسترد يسقط منهُ ما يؤخذ رسماً على حبس المهر

(٣٨) متى اقام الابن دعوى على ابيهِ او العبد دعوى على مولاهُ ومتى اقام الشريك دعوى الشركة على شريكهِ فليس للمدعي اكثر مما يمكن ان يؤدي المدعي عليهِ ٠ وكذا الحكم بخصوص من يطالب شخصاً بما يكون قد اعطاهُ اياهُ

(٣٩) التعويضات المقابلة على المقاصة تجعل كلاً من الفريقين يأخذ اغلب الاحيان اقلّ مما يجب لهُ

(٤٠) متى المديون سلم املاكهُ للغير ثم أيسر فلغرمائهِ ان يقيموا الدعوى عليهِ ٠ لكن

لا يجوز ان يحكم عليهِ الاَّ بالمبلغ الذي يمكنهُ ان يؤديهُ حينئذٍ

الفصل السابع فيما يقال في اعمال من هو تحت ولاية الغير

(١) متى اشترك زيد في عمل مع عبدٍ متصرف بأمر مولاهُ اجاز القاضي اقامة الدعوى في الكل على المولى

(٢) وبهذا السبب عينهِ تحصل دعوى الاستعمال . متى وكَّل الرجل عبدهُ بادارة سفينة كأنهُ مولى على كل ما اتُّفق عليهِ في شأن الشيء الذي وكِّل بادارتهِ . والدعوى التأسيسيَّة تحصل عند ما يوكِّل الرجل عبدهُ بادارة دكان مثلاً او بتجارةٍ أُخرى كائنةٍ ما كانت على كل ما تعهد بهِ العبد بسبب الشيء الذي توكَّل بادارتهِ

(٣) ان القاضي يقيم ايضاً الدعوى بالغرامة او الضريبة ولا شك انهُ متى تعاطى العبد عملاً لزيادة مالهِ وكان ذلك بعلم مولاهُ فكل ما يعقد عليهِ لاجل هذا العمل فهو تحت سلطة القاضي الذي يحكم ان سلع هذه التجارة بأسرها وكل ما ينشأ عنها من ربح يكون مقسوماً بين المولى ان كان لهُ شيء وبين الغرماء على نسبة حقوقهم

(٤) زد على ذلك انهُ تقام دعوى مايدخرهُ العبد وما يكون المولى قد اخذهُ منهُ ويجعل في جملة ما يكون المولى قد قبضهُ من النفقات الضرورية التي انفقها العبد في منفعة مولاهُ . ولو كانت الدعوى على ما يدخرهُ العبد وعلى ما يكون قد قبضهُ المولى دعوى واحدة فهذه يحكم فيها حكمان اما في البحث عن قيمة المال المدَّخر او الموفر فيُسقط قبل كل شيء ما على العبد لمولاهُ او لمن هو في ولاية مولاهُ واما ما يبقى بعد ذلك فهو المال الموفر الذي للعبد الحق فيهِ

(٥) لاريب ان من يعقد معهُ العبد عقداً بأمر مولاهُ ومن لهُ حق اقامة الدعوى التأسيسيَّة او الاستعماليَّة يجوز لهُ ان يقيم دعوى ما يدخرهُ العبد وما يكون قد قبضهُ المولى . ولكن الاصلح لهُ ان يقيم تارةً دعوى الغرامة وتارةً دعوى ما يدخر العبد وما قبض المولى وبناء عليهِ فيجب على كل غريم دائن ان يختار واحدةً من هذه الدعاوي على حسبما تقتضيهِ مصلحتهُ

(٦) ان ما قلناهُ ينطبق على الابن والبنت والحفيد والحفيدة والاب او الجد الذين هم تحت ولايتهِ

(٧) ان مرسوم مجلس الاعيان المقدوني يمنع اقراض المال ممن هم تحت الولاية الابوية ويرد كل دعوى يقيمها المقرض

(٨) اعلم انهُ في كل عهدٍ معقود بامر الأب او المولى او من يكون الربح عائداً اليهم او لمصلحتهم يجوز ان تقام دعوى الالزام على الأب اوعلى المولى صريحاً فينتصب كل منهما خصماً للمدعي

الفصل الثامن في جنايات العبيد

ان المولى المحكوم عليهِ بسبب جناية العبد يخيّر ان يؤدي المبلغ المحكوم بهِ جزاء وبين ان يسلم العبد في جنايتهِ

(١) الجاني مرتكب الذنب والجناية هي الذنب نفسهُ

(٢ و ٣ و ٤) دعاوي جنايات العبيد مقرَّرة اما بالشرائع او بأمر القاضي

(٥) كل دعوى من دعاوي جنايات العبيد تلحق فاعلها

(٦) اذا جنى عبدٌ على مولاهُ فلا تقام في ذلك دعوى . واذا عبد الغير جنى عليك ثم صار تحت ولايتك فتمتنع الدعوى

(٧) قد استحسنَّا ان نفتح سبيلاً للدعاوي المتسببة عن جنايات العبيد الاَّ فيما ينحصر في العبيد . ولقد وجدنا انهُ تقرَّر مراراً ان ابناء البيوتات يجوز ان يحاكموا شخصياً على جناياتهم

الفصل التاسع في الضرر المسبَّب عن العجماء

أما العجماء فاذا أتلفت شيئاً عندما تشتد عليها شهود السفاد او متى ذُعرت او متى اخذت منها الضراوة مأخذها جاز حينئذ اقامة الدعوى الجنائية . على ان هذه الدعوى لا تحصل ما لم تخرج العجماء عن طبعها لكن اذا القساوة الوحشية لم تتعدَّ حدَّها فلا دعوى والاتلاف ضرر مسبَّب بلا تعدٍّ [1]

(١) اعلم ان مرسوم اعضاء البلدية يحظر علينا ان نضع في ممرّ كلباً او خنزيراً ذكراً او خنزيراً وحشياً او دبًّا او اسداً واذا اذن في ذلك خلافاً لهذا الخطر وتأتى منهُ ضررٌ لحرّ فيحكم على صاحب الحيوان بان يؤدي المبلغ الذي يراهُ القاضي عادلاً ومناسباً . واما في كل ما سوى هذا من الاضرار فيحكم على صاحب الحيوان بان يؤدي مبلغ الضرر مضاعفاً . ان الدعاوى ولا سيما الدعاوى الجزائية المتسببة كلها من فعلٍ واحدٍ لا تبطل احداها الاخرى

---

(1) في الفقه الاسلاميّ « جناية العجماء جبارٌ » يعني ان الضرر الذي يحدثهُ الحيوان بنفسهِ لا يضمنهُ صاحبهُ لكن لو نظر احدٌ حيوانهُ يتلف شيئاً ولم يمنعهُ ضمن قيمة ما اتلف الحيوان . ولو كان لرجل حيوان مخشي مضرَّتهُ كالكلب العقور والثور النطوح والجمل الصائل فأُشهد على صاحبهِ انسانٌ من اهل المحلة او القرية ولم يمنعهُ ضمن صاحبهُ كل ما يتلفهُ ذلك الحيوان بعد ذلك وفي شرح الجامع الصغير « رجل ارسل كلباً فاصاب في فورهِ انساناً فقتلهُ او مزّق ثيابهُ ضمن المرسل وهو المختار للفتوى » . كل جنايةٍ احدثتها الدابة في الطريق العامّ موقوفةً او مربوطةً فيضمن صاحبها جنايتها بناء على ان لا حقّ لهُ ان يقف دابتهُ او يربطها في الطريق العامّ

القوة والجمال

والاحتفاظ بهما

ملخصة من مجلة العلم العام الاميركية

اذا استطاع الانسان ان يحتفظ بما اودعتهُ الطبيعة من الجمال[1] الى ما بعد الزمان الذي تزول نضارة الشباب فيهِ ويأخذ ذلك الجمال في الانحلال فذلك مما لا يضيع فيهِ جهد الباحث ولا يذهب تعبهُ سدًى. ولا يؤخذ من هذا القول انهُ يمكن حفظ بضاضة الجلد ونعومتهِ ولونهِ ولون الشعر الى ما بعد الكهولة اذ تلك المزايا من مزايا الشباب ولا بدَّ ان تفارق الاجسام بمفارقتهِ فكلُّ ما يبذل من الجهد في هذا السبيل لا يأتي بطائل . ثم ان عناية الانسان بجسمهِ واقتصادهُ في قواهُ واعتدالهُ قد تؤخر تغضُّن جلدهِ ولكن لا بد ان يحول لونهُ متى حان الاوان . وليس ذلك بالامر المستنكر المستهجن اذ هو من قبيل وضع الشيء في محلهِ فان ما يليق بالشاب لا يليق بالكهل والحكمة تقضي على كلٍّ ان يجعل منظرهُ ملائمًا لسنهِ

على انهُ يمكن تأخير الطوارىء والتغيرات التي تطرأُ على شكل الجسم وموازنتهِ وحركاتهِ في المشي والجلوس والنهوض وتناسب اعضائهِ وغيرها مما ينشأُ عن اهمال التدابير الملائمة . فان التاريخ ملآن بذكر اناس ادركوا الحقائق المتقدمة فعُرفوا وهم متقدمون في السنّ باعتدال قاماتهم وخفة حركاتهم وانتظامها وتناسب اعضائهم . وما من احد الأَّ و يعرف رجالاً ونساء بلغوا من الكبر عتيًّا وصار لهم الاولاد والاحفاد ومع ذلك بقي لهم الشيء الكثير من محاسنهم الأُولى

كان معظم الناس الى عهد قريب اذا بلغ احدهم او احدهنَّ سنَّ الخامسة والثلاثين او الاربعين رغب عن الملابس الباهية الزاهية فخلعها وارتدى الملابس البسيطة القاتمة بدلاً منها كأنهُ يحدُّ على شبابهِ وذلك لانهُ اذا انحصرت واجبات الزوجين في دائرة منزلها واصبح معظم همهما تربية اولادهما قلَّ تفكيرها في المحافظة على الامور التي تكفل إدامة الشباب ومحاسنهِ لها . ولكنَّ الحالة تغيرت الآن فصار الناس صنفين صنف الشباب وصنف الشيوخ . اما الكهول فدرجوا ضمن الصنف الاول حتى صاروا يعدون منهُ . وبناء على ذلك انصرفت العناية الى ادامة الشباب والمحافظة على محاسنه ما استطاع الناس الى ذلك سبيلاً

(١) ان الجمال الذي يريدهُ كاتب هذه المقالة هو نفس ما ورد في تعريف بعضهم للجمال تمييزًا لهُ عن الحسن حيث قال ان الحسن يلاحظ لون الوجه والجمال يلاحظ صورة اعضائهِ . بل ان هذا الكاتب يذهب الى ابعد من ذلك و يريد بالجمال جمال اعضاء الجسم كلهِ لا الوجه وحدهُ

ولا ينكر على الزوج رغبتهُ ان يرى زوجتهُ متمتعة زماناً طويلاً بالصفات والمزايا التي شوقتهُ الى اختيارها زوجة لهُ . وحسن الوجه وجمال القدّ هما الصفتان اللتان عليهما مدار الزواج ولكنهما تختلفان باختلاف الاذواق . ومن المشاهد ان الزوج كثيرًا ما ينتقي زوجتهُ لا لحسن حازتهُ ولا لجمال انفردت بهِ بل لتمازج بين الروحين وتلاؤم بين الطبعين ولكن الملاحة [1] هي المرجع الاخير في كلّ حال

والناس مختلفون في ماهية المليح والقبيح باختلاف اقاليمهم وعاداتهم وازيائهم . ولكننا اذا صرفنا النظر عن الفرق الشديد بين اذواق المتوحشين كاهالي اواسط افريقية ووادي الامازون والمتمدنين كاهالي نيويورك وباريس رأينا انهم متفقون على قواعد معلومة يجرون عليها الاَّ في احوال نادرة . ولو جئنا نبحث في الوجه وملامحهِ وتقاطيعهِ لضاق بنا المجال ولكننا نحصر كلامنا في القد وشكلهِ وحركاتهِ لان جمال القد هو الجمال الذي في طوقنا المحافظة عليهِ اكثر من غيرهِ فنقول ان اعتدال القامة وسهولة حركة الجسم هما اساس جمالهِ ولا بدَّ لذلك من ان يكون الظهر عمودياً والبطن غير بارز ولا مترهل كما في السمان او الذين عضلاتهم مرتخية والكتفان غير مرتفعين والاضلاع على زوايا قائمة مع العمود الفقري والرأس قائماً على عنق مستقيمة مستديرة منحنية الى الامام قليلاً واذا مد خطٌ عمودي من مؤخر الرأس وقع وسط الكتفين . فاذا اجتمعت هذه الصفات في انسان أمكن تدقيق خصرهِ من غير ان يلحق الجسم ضرر

واذا كان الحوض مستوياً والفقرات التي فيهِ مستقيمة كان عمل الجدار البطني صحيحاً فدعم الاعضاء المرتخية التي ضمنهُ وبقي الخصر دقيقاً . ولا يكون الخصر الدقيق جميلاً الاَّ اذا كان بروز الوركين مما يليهِ قليلاً . ولكن اذا كان بروزهما كثيرًا ظهر الخصر مثل خصر النحلة وارتخت انسجة البطن والخاصرتين والظهر وضعفت اعضاء الهضم والاعضاء الرئيسة الاخرى وفقد القدُّ جمالهُ باكرًا . ويجب ان يكون الصدر عريضاً ممتلئاً والترقوتان غير ظاهرتين والاَّ كان ظهورهما دليلاً على ارتخاء عضلات الصدر والكتفين والظهر وعلى ان قمتي الرئتين لم تتسعا الاتساع الكافي . ويجب ان تتدلى الذراعان بسهولة من الكتفين وتقع الكفان امام الوركين واقل عسم في الذراعين او الكتفين او الكوعين يذهب برشاقة القدّ . ويجب ان يكون الجذع عند المشي مستوياً والصدر بارزًا قليلاً فتتحرك الركبتان بسهولة ويقل الضغط عن العقبين . واذا كان الماشي يضرب الارض بعقبيهِ فقد الجسم رشاقتهُ . ويجب ان يكون خطران الذراعين

(1) يراد بالملاحة الحسن والجمال معاً

عند المشي مائلاً الى الامام نحو خطٍ عمودي يمرُّ في وسط الجسم · وميلهما في خطرانهما الى وراء الظهر عيب قبيح يجب اجتنابهُ بارجاع الرأس الى الوراء بحيث يقع طرفا الاذنين فوق رأسي الكتفين

ومن اهم الامور للمحافظة على الجمال اعتياد الاقتصاد في جميع القوى الطبيعية واجتناب الاسراف فيها وقت الانهماك في مشاغل الحياة · وقد يعترض على ذلك بانهُ يكاد يستحيل على المرء ان يترك اعمالهُ واشغالهُ ويتفرغ للاهتمام بنفسهِ والمحافظة على قواهُ صوناً لها من الاسراف · وجواباً عن هذا الاعتراض نقول ان الاقتصاد في قوى الجسم لا يستلزم ترك الاعمال والاشغال كما يخيَّل للمعترض · بل يتوصل الى الاقتصاد المذكور بان يوجّه المعلمون والوالدون عنايتهم الى الاولاد الذين يوكل امر تربيتهم اليهم ويمرنوهم على رباطة الجاش وسكون البال في مصائب الدهر وغيَر الزمان · والحق يقال ان السلامة من الاحزان والكوارث لا تسمو بالنفس الى المراتب العليا ولا ترقي العقل في الفضيلة بل تربي في المرء خلقاً تنقصهُ الاوصاف الجوهرية التي تدني النفس من الكمال وتكسب الوجه حسناً رائقاً · والصبر والثبات وغيرهما من الصفات التي تكوّن الاخلاق كل هذه لا تنمو في المرء وهو ملازم الهدوء والسكينة في المعيشة · ثم ان الاشغال والاعمال ومصاعب الحياة لا تضرُّ الجسم ولا النفس الاَّ اذا اثرت فيهما تأثيراً يورثهما الضجر والقلق ويفضي بهما الى النكد او اليأس

واعظم عوامل الاقتصاد في القوى الحيوية المحافظة على القوة العصبية . وانفاق هذه القوة على نوعين اما مباشرة واما بواسطة . فالاول أبسط واقلُّ ضرراً وامثالهُ ان تجهد عضلات ذراعك عند رفع ثقل ما الى حدّ ان تنفق من القوة العصبية ضعف ما يقتضي رفع الثقل حقيقة · والثاني اعمُّ من الاول وهو ان تجهد من عضلاتك اكثر مما يلزم لعمل عمل ما فتنفق القوة العصبية سدًى. ولا بدَّ ان يتخلَّل الاعمال العضلية فترات ترتخي العضلات فيها بعد طول انقباضها فتسترد قوتها التي انفقتها والاَّ كلَّت عن العمل . مثال ذلك اذا شرع رجلان في عمل يقتضي تعباً واحداً وجرى احدهما على مبدإِ الاقتصاد في القوى ولم يراعهِ الآخر فان الاول يتمهُ وهو لا يشعر بتعب والثاني يتمهُ وهو متعبٌ معيٌّ . والانسان يدرّب جهازهُ العصبي من المهد الى اللحد فخيرٌ ان يكون عملهُ دقيقاً يراعى فيهِ جانب الاقتصاد من ان يفرط فيهِ · وشرٌّ من الافراط التفريط · وكلاهما يفضيان الى اطفاء سراج الحياة وتقويض اركان الجمال

واول ما يجب الانتباه اليهِ لاطالة زمن الحسن والجمال المحافظة على مرونة انسجة الجسم. وعليهِ يمكن ان نحدَّ الشيخوخة بانها طور تصلُّب الانسجة · ومع ذلك او الشفاء منهُ يقومان

باستعمال حركات الجسم الطبيعية استعمالاً قانونياً . فاذا كانت اعمال الانسان تجري على وتيرة واحدة بلا تغير او كانت محدودة او غير ملائمة في نوعها وصفتها تصلبت الانسجة قبل الاجل المعتاد . واذا كانت عضلات الجسم لم تتناسق ولم تنمُ النموَّ الكافي ظهرت تلك التغيرات باكرًا وكانت اكثر وضوحاً

وكثيرًا ما يعدُّ الشيوخ طور الشيخوخة شرًّا يخاف او آخرةً تبكى وتندب ولكن الفلسفة تناقض ذلك ثم اننا نعرف اناساً كثيرين بلغوا طور الشيخوخة ولا تزال وجوههم تفيض بشرًا وقلوبهم تطفح رضىً وسرورًا . فان الشيخوخة في الانسان تاج اكرام واحترام ولهُ ان يزين ذلك التاج او يشينهُ . اما المرأة التي تتقدم في السنّ فانها ان كانت من اللواتي ينظرن الى ظواهر الاشياء دون بواطنها عدّت الشيخوخة مثل بشرٍ خُتم بابها ولم يعد يرى ما فيها فمالت الى اهمال جسمها ولباسها . فلتقاوم هذا الميل لانهُ ذنب الى الله ومواهبهِ الحسان . فان كثيرات من النساء اللواتي بلغن الستين والثمانين بقين ملكات في المحافل التي كن يترددن عليها

والحسان بين النساء قلال واقل منهنَّ اللواتي يستطعن المحافظة على ما قسم لهنَّ من الملاحة الى ما بعد الزمان الذي تذوى فيهِ نضارتهن عادة . ومن الحقائق الفسيولوجية المقررة ان الملاحة يمكن ان تزاد لصاحبها ولكن لا بدَّ من التذرُّع بالفطنة والحكمة لبلوغ ذلك . وقد يتفق ان الطبيعة تخص فردًا بكثير من مقومات الملاحة ولكنهُ يسيءُ التصرف فيها . وربَّ سائل يسأل هل تزاد الملاحة بالوسائط الصناعية وهل تمكن المحافظة عليها الى ما بعد سن الكهولة . والجواب نعم وتمكن زيادتها كثيرًا حتى في الذين لم يكن لهم حظٌّ وافر منها ايام الصبا والمحافظة عليها حتى الموت . وذلك يتمُّ بالمواظبة والصبر واحتمال بعض الاتعاب البدنية والالمام بقوانين الصحة والطعام والراحة والنوم والاستحمام والاعتناء بالجلد والاسنان والشعر والظواهر الخارجية من ملبس وما اشبه . وقد يخيل لكلٍّ منا انهُ يعرف الشيء الكافي عن هذه الامور ولكنهُ اذا رام البحث فيها مفصلاً رأى انهُ يجهل كثيرًا منها

واول ما اوجه الخواطر اليهِ في هذا الشأن ان جمال القدّ يتوقف على حسن اتصال العظام بعضها ببعض ومرونة الانسجة . ولا بدَّ لحفظ موازنة الجسم من مرونة العضلات وسهولة حركة اربطتها وحركة الاوتار . وكلما تقدم الانسان في السن واخذت نتائج الامراض والملاذ تظهر عليهِ اشتدَّ العناء على بعض الاعضاء الحيوية مثل الاوعية الدموية والاعصاب فاضطرب سير الدم ومجرى الاعصاب في الجسم حتى اذا جاوز سنَّ الكهولة كان بعض اعضائهِ الحيوية معطلاً وكثير من انسجتهِ فاقدًا بضاضتهُ وغضاضتهُ . فلا تعود العين والاذن والدماغ مثلاً تتناول

مايكفيها من الغذاء فيكف البصر او يكل وينبو السمع ويبلد الذهن الاَّ اذا بقيت انسجة العنق كلها لينة غير متيبسة

والرياضة البدنية خير الوسائط لاتقاء ذلك ولكن الناس مختلفون في نوع الرياضة التي يحتاجون اليها فما يصلح منها لزيد قد لا يصلح لبكر . فانك اذا قلت لرجل طاعن في السن شوّهت الايام والاسقام اعضاءه وحدّبت ظهره ويبست مفاصله ان ينتصب امامك ويرجع كتفيهِ الى الوراء ويرفع رأسهُ فانك انما تنادي غير سامع وتأمر غير طائع . ولا بدَّ لك قبل ذلك ان تبين عيوب بنيانهِ الخصوصية وتصلح الانسجة الضعيفة او المتكمشة . والانكماش يصلح بالمطّ والدلك المتكررين . والمرونة تتأتى بتحريك اعضاء الجسم مثل الذراعين والكتفين والعنق والرجلين والظهر والحقوين واعضاء البطن

ومما يجب ذكره ان الرياضة لازمة غالباً لتطهير الدم وما يتبعهُ من تغيرات الخلايا ولابقاء اعضاء الجسم سائرة سيرها الطبيعي ولنومهِ نوماً هنيئاً . ومن الممكن ان تسير تغذية الجسم سيراً طبيعياً في بعض الناس مدة طويلة وفي احوال معلومة وهم لا يروّضون اجسامهم الاَّ قليلاً . ولكن اهمال الرياضة خطر عظيم . ومن الناس من يقول ان اجهاد القوى العقلية كافٍ لدفع اعضاء الجسم الى اتمام وظائفها مثل الرياضة البدنية وهذا صحيح . فان بعضهم يكتفي بالحديث المسلّي والضحك وسماع الآلات الموسيقية وعليهِ فان صحة هذا البعض تقوم بالاقتصار على الرياضة العقلية دون البدنية ولكن على شرط ان تكون احوال المعيشة صحيَّة مطردة ووظائف الجسم منتظمة فلا تحمل فوق طوقها ولا يطرأ على الجسم خلل في تغذيتهِ يتطرق الفساد بهِ اليهِ

ولكن الرياضة المنتظمة مفيدة في الصغار والكبار لحفظ صحة العقل والجسد على اتمها . وكثيراً ما يعترض في سبيل الجسم عوارض توقع الخلل والاضطراب في نظام حركاتهِ وتحوّلها عن مجراها الطبيعي . واول تلك العوارض عيوب خلقية في بناء الجسم يكون بها بعض اعضائهِ اقوى من البعض الآخر فيُتعب القويُّ منها الضعيف عند العمل معاً . وثانيها اللباس فكلما اشتدَّ ضغط الملابس لعضو من اعضاء الجسم تغيَّر تركيبهُ وقلَّ نموُّهُ . وهناك مؤثرات أُخرى تؤَثر في شكل الجسم وحركتهِ مثل العادات والازياء واجهاد القوى او عدم اجهادها والصنائع والحرف . خذ مثالاً لحرف التعدين فان المعدّن (اي العامل في المناجم لاستخراج المعادن من الارض) يضطرُّ ان يضطجع على الارض او ينحني الى الامام ساعات كثيرة وهو يعمل ويجهد قواهُ فيشوّه ذلك شكل جسمهِ كثيراً . غير ان تحركهُ المستمر يمنع الاعضاء ان تفقد مرونتها سريعاً كما في الحرف التي لا تدعو الى حركة كثيرة

اما الطعام فلما كان تأثيرهُ في الصحة عظيماً فان تأثيرهُ في الملاحة اعظم . واول ما يجب الالتفات اليهِ في هذا الصدد الاسنان فان على العناية بتنظيفها مدار الامر كلهِ غالباً . ومن الغريب ان امراض الاسنان بين المتمدين كثيرة مع شدة عنايتهم باسنانهم وحرصهم على نظافتها . وكثير من هذه الامراض وخصوصاً امراض اللثة سبب لسوء الصحة حتى بين الطبقة العالية من الناس

واهمُّ شيء في المحافظة على صحة اعضاء الهضم كمية الطعام وكيفية تناولهِ لا نوعهُ وماهيتهُ وخير قاعدة لاختيار الطعام ان يأكل الانسان مما حضر رضى منقاداً بالقابلية الطبيعية . ولا بدَّ في اختيار نوع الطعام وكيتهِ من مراعاة حالات الجسم المختلفة من تعب وانفعال ورياضة وقعود وما اشبه . ولا يجوز ان يأكل الانسان لقمة واحدة تزيد عما تشتهيهِ نفسهُ الاَّ في احوال مرضية خصوصية بأمر الطبيب بها . ويجب ايضاً مراعاة السنّ فان قليلاً من الطعام يكفي الكهل والشيخ لان الطعام يؤكل في هذا السن لحفظ الحياة لا لبناء الجسم ما لم يطرأ على الجسم مرض طويل معيٍ يقتضي اصلاح ما فسد وبنيان ما تقوَّض . واول شرط في الطعام نظافتهُ ثم بساطتهُ . اما التأنق في علاجهِ واستكثار الاقوات واستجادة المطابخ فمن الامور العرضية الثانوية بل الوخيمة العاقبة لان الاكثار من البهارات والتوابل ومطيبات الطعام يعطل قوة الهضم ويفسد حاسة الذوق

ولنا كلمة في المشد (الكورست) بعد ان بات في هذا الزمان من الضروريات للنساء حتى صار النهي عنهُ بلا طائل ولا جدوى . فان كان الغرض من لبسهِ اظهار كسم الملابس حول الخصر جرياً على قواعد الزي الحديث فلا بأس بهِ ولكن ان كان الغرض منهُ دعم الانسجة البطنية فلا حاجة الاَّ اذا كان هناك عيب في بنائها . وان كان الغرض منهُ تحسين القد فالمرأة ذات البنية القوية والتركيب الحسن لا تحتاج الى وسائط صناعية لتحسين قدّها والشاهد على ذلك ان البنت الجميلة القوام لا تلبس المشدّ اذ ترى انها ليست في حاجة اليهِ . وعليهِ فان اللواتي يصررن على لبسهِ يعترفن ضمناً ان قدودهنَّ مشوَّهة . وتشويه القدّ اما طبيعيٌ واما اكتسابيٌ فان كان الاول فليلبسنَ المشدَّ اذا كان لا بدَّ لهنَّ من اتباع الازياء الحديثة وان كان الثاني فهو ناشئٌ عن عدم الاعتناء بهيئة الجسم في الجلوس والنهوض والانتقال او عن القعود او النهم او عن هذه الثلاثة معاً . وهذا مما يمكن الشفاء منهُ بالعزم والثبات كما يمكن الشفاء من الامراض العادية

ثم ان النساء صنفان صنف لهُ ظهور قصيرة وصنف لهُ ظهور طويلة فالمرأة ذات الظهر

الطويل والخصر الطويل او التي بين صدرها وجذعها فسيحة واسعة لا يضرّ المشدّ بها مثلما يضر بالمرأة ذات الظهر القصير لان معظم ضرره ناتج عن ضغطهِ لاجزاء الرئتين السفلى واعاقتها عن عملها وذات الظهر الطويل لا يضغط المشد رئتيها لارتفاعهما عنهُ . والمرأة التي ظهرها قصير وخصرها طويل لا بأس اذا لبست مشدًّا واطئًا ضيقًا اما التي ظهرها قصير وخصرها قصير ايضًا وليّن فان المشد يضر برئتيها وكبدها وكليتيها ومعدتها بضغطهِ لها فتهبط نحو البطن وينشأ عن ذلك اسقام وامراض كثيرة في هذه الاعضاء وفي اعضاء الولادة ايضًا

العمي يبصرون والصمّ يسمعون

لورا دوي بريد جمن

من مقالة للسيدة جوليا وردهو

ولدت لورا دوي بريد جمن في هانوفر من البلاد الاميركية في الحادي والعشرين من كانون الاول (دسمبر) سنة ١٨٢٩ وحين ولادتها لم يعرف لها نقص في مواهبها الجسمانية الاَّ انهُ في الثالثة من عمرها اصابتها الحمى القرمزية الحادة فافقدتها نظرها وسمعها وقسمًا كبيرًا من ذوقها وشمها فاكتأبت وتشعبتها الهموم . على ان توقد طبعها ربما حملها على الاعمال السيئة في بعض الاحايين . ولما زار الدكتور هَوْ والديها ورآها ضئيلة عاجزة عزم على القيام بما يمكنهُ من امر تعليمها . فاخذها الى دار العمي في بوستن في الثامن عشر من كانون الاول سنة ١٨٣٧ واضعًا امام عينيهِ امرًا لبكًا ومشكلاً مستعجمًا — تعليم انسان اسدل جسمهُ على عقلهِ ستارًا فلم يترك لهُ كوة يشرف منها على الكون فيعرفهُ كما نعرفهُ نحن معاشر الاصحاء

ولم يتعرض التاريخ لسابقة مثلها يهتدي بها الدكتور هوْ الى ما يمكن ان يعمل في سبيل تنبيه لورا وايقاظها . لذلك كان يخيل لمن عرفها انهُ قضي عليها بالظلام المدلهم والسكون الدائم

وكان اول ممكن يعملهُ لها ان يعلمها وجوب الطاعة ومراعاة القواعد فكان يحدوها على الجلوس على كرسيها ساكنة في اوقات معينة وعلى الرياضة البدنية في اوقات اخرى لتقوى عضلاتها ويحسن استعمالها . ثم صار بعد حين يلصق اوسمة ذات كلمات نافرة ببعض الاثاث الذي تدل عليهِ كالملعقة والكرسي مثلاً وكان يحمل تلميذتهُ هذه على تتبع تلك الحروف باصبعها ويعلمها ان تجس الموسومات لتعرف صورتها وحقيقتها فاصبحت بعد حين قادرة على التفريق بين الاوسمة في بعضها . ثم ارتقى بها الى ان صار يعطيها الاوسمة وحدها فتضعها على

موسوماتها من الاثاث من غير ان ترى علاقة عقلية بينهما . ثم صار يناولها حروف الكلمات الموجودة في الاوسمة مرتبة كما تكتب حتى اصبحت قادرة على تهجية بعض الاسماء كالكتاب والمفتاح مثلاً فاعطاها الحروف ممزوجة بعضها ببعض واشار اليها ان ترتبها اسماء تناسب المسميات

وكان قد عملها حتى نهاية ما وصلنا اليهِ تقليداً آلياً محضاً الاَّ انها بعد ذلك ابتدأت تصعد الى فروع الحقائق وتتسور الى شُرَف المعاني فسلّم اليها حينئذٍ حروفاً معدنية تعلمت بها تهجية الكلام مدة شهرين ثم تعلمت الف باء الصم البكم فسهلت بها دروسها ودنا ملتمسها واصبحت واسطة توصلها الى العالم الخارجي

وبعد درسها القراءة بالحروف النافرة شرعت في تعلم الكتابة كالعمي على ورق صفيق محفور يوضع فوقهُ ورق اعتيادي ويجرى عليهِ قلم الرصاص فتظهر الحروف المحفورة . ولم تقف على معناة عملها هذا في مفتتح الامر الا انها بعد ما علمت ان ذلك يصل افكارها بغيرها استبشرت واشتدت عزيمتها فأَخذت في الشغل بنشاط جديد لتتغلب على الصعوبة وقدرت بعد بضعة اشهر على كتابة الرسالة الآتية البسيطة لوالدتها : — "ستكتب لورا رسالة للوالدة . ستركب لورا مع الوالد . ستعمل لورا كيس دراهم للوالدة . ستقبّل الوالدة وستحب لورا . ستذهب لورا الى البيت " .

واتبع استاذها في تعليمها اللغة الترتيب الآتي —

اولاً كان يعلمها الاسماء خصوصاً ما اعتادتهُ من الاشياء . ثانياً الافعال — مقدماً منها المتعدي مع ما يمثل عملهُ كقولهِ لها " اغلقي الباب " و " افتحي الباب " مثلاً . ثالثاً النعوت ولم تتجشم في فهمها مشقة غير ان اسماء المعاني كالحلاوة والصعوبة مثلاً كبر شأنها عليها فلم تفهمها الاَّ بعد حين . رابعاً حروف الجر مع ما يمثل عملها المحسوس كأن يقول لها " الخاتم على الصندوق " و " الخاتم في الصندوق " قال استاذها " ويظهر ان ادراكها في هذا الباب كان فجائياً وكانت تمثل المعنى تمثيلاً غريباً فتهجي حرف الجر " على " ثم تضع كفها الواحدة فوق الثانية وتهجي " في " ثم تضع الكف الواحدة داخل الثانية " ولم يمتز استعمالها للافعال بالفروق الزمانية في ابتداء الامر فكانت تطلب مبتغاها باقرب الطرق كقولها " خبزاً اعطِ لورا ماء اسقِ لورا "

وقد اضطرت الاشغال الدكتور هو ان يكل كثيراً من تعليمها المتأخر الى معلمين ممرنين فحفظ اثنان من هؤلاء تاريخاً يومياً لما كان يتجدد لها من الترقي الذي بلغ بها من المكانة انها انتقلت

بهِ من الماديات الى المعنويات حيث يكون الفكر الانساني نفسهُ موضوع التفكر . ويسّر تعليمها ارتياح معلميها الى براعتها في موقفها الحرج قبالة المحسوسات الخارجية

وكانت تتعجب وهي تدرس تاريخ البلاد اليونانية من كثرة الحروب حينئذٍ وتسأل بيديها "اما عرف الطيبيون والاسبرتيون والفرس الله ؟ ولو فعلوا ما بلغت حروبهم من الكثرة ما بلغت" ووجدت ذات يوم زينة جميلة في دار معلمها فقالت "يروقني الجمال اكثر من كل شيء" فذكّرها معلمها الفضيلة فاستدركت وقالت "اعني ان الفضيلة ابهى جمال"

وظهر عليها الميل الى الفصاحة من سرعة تذلل اللغة لها وسهولة الافصاح عما في نفسها بالف باء الاصابع وبلغ بها حب البيان والحديث انها بينا كانت تطعم نفسها باليد الواحدة كانت تهجي الكلمات باليد الاخرى ورُوِيت تحدث باصابعها وهي نائمة

واستعملت طريقة الكتابة ايضاً لبثّ ما في نفسها وأرت ميلاً للكلمات الطويلة والجمل المطنب فيها . وتوصلت الى معرفة بليغة للكون حولها فضلاً عما استثمرتهُ من الحقائق في الكتب والرسائل . وكانت شديدة الملاحظة في صحبتها صعبة الارضاء تحكم على الناس بالخير والشر من لباقتهم او عدمها متروية في سلوكها وكان اعظم ضعفها حدة في طبعها تزايدت بضيق نفسها واحتباسها وكانت اذا اخطأت تقول "خطأ خطأ" مما يثبت تلازج الضمير بالروح الانسانية

واوجدت لكلٍ من اصحابها صوتاً خصوصياً تستعملهُ عند اجتماعها بهِ فضلاً عن الاصوات التي تدل على غيظها . وسعت في نطق بعض الالفاظ ذات المقاطع من حين الى آخر حتى تعلمت ان تقول "طبيب" و "طفل" و "تفاحة" وغير ذلك

وكان لها ذوق في زينتها منذ صغرها ويهمها ان ترى للباسها حسن القبول . وان هي لم تعرف حقيقة الالوان فقد عرفت مكانتها حتى كانت تسأل عن الوان لباسها هل هي جيدة او لا

وكان اللمس فيها بالغاً نهايتهُ يدهش الناس حتى اعرفهم بما ينشأ عن حسٍّ مفقود من الشدة في الحواس الباقية فاذا مست يداً عرفت صاحبها ولو مضى على فراقهِ الزمن الطويل وتكتشف القرابة بين اختين في بعض الاحايين من لمس ايديهما فقط . وتعرف خطوة الطبيب وارتجاجها في الارض وتخبر عما اذا كان في المخدع واحد او غير واحد بالواسطة نفسها

وكانت اميالها عمرانية دائماً وهذا وان كان يزيد آلامها بمنعها من لذة المحادثة العامية الاَّ انهُ يكثر سرورها بتخويلها فرص الحديث مع الرجال الذين تعرفت بهم . ومن الواضح انها عرفت منذ حداثة سنها انها موضع تعجب الكثيرين . واستقر سكنها دار العمي في بوسطن عدة سنين كثيراً من الزائرين من اوربا وغيرها . الا ان شدة الاهتمام بها خفَّ بعد حين حتى اضطرت

في سنيها المتأخرة للاعتماد على نفسها في ما يشغلها و يسليها

وكانت يلذ لها التعليم كما يلذ لها التعلم فساعدت وهي حديثة في استعمالها اللغة ابنة صغيرة مصابة مثلها وعلمت بعد مدة طفلاً يسمى اوليفر كرول مصاباً بنظرهِ وسمعهِ الف باء العمي ولما مهرت في الحساب اذن لها استاذها ان تعلمهُ ابنة صغيرة كانت قد فقدت سمعها كلهُ واكثر نظرها . وذكرت في كناشتها اليومية هذه الحادثة متعجبة من نجاح تعليمها

اما في المسائل الدينية فكان همُّ الدكتور هو ان تترقى قواها الروحية ترقياً طبيعياً لانهُ يرى هذه النظرية لاتراعى في التربية الدينية العامية وذكر في اخبارهِ انهُ انتهز فرصة وفاة تلميذ لهُ فهدى بها لورا الى الفرق بين الحياة والموت ورآها استنتجت منها قوة حيوية ربما لاتفني بفناء الجسد

وكانت صاحية جدّ ومثابرة على اعمالها تسهلت عليها عوائد الترتيب والنظافة وبرعت منذ صباها في صناعة الحبك بالابر والخياطة المتقنة حتى كانت تنظم ابرتها بلسانها

وكانت صحتها جيدة الاَّ انها في سنة ١٨٤٥ و١٨٤٦ فقدت قواها وعلا وجهها اصفرار وعقلها وسواس فاهتم الكثيرون بشأنها لكن حسن بنيتها والمعالجة الدقيقة اعادا عليها صحتها وبهجتها وكانت سريعة التهيج او الغم تميل الى الاشتكاء من الاوجاع والامراض لانها كانت عصبية المزاج دقيقة الشعور على انهُ في النادر اصابها انحراف مهم في صحتها

وتوفيت في الرابع والعشرين من ايار (مايو) سنة ١٨٨٩ اما صورتها فكانت نحيفة تظهر انها اسنّ من عمرها الحقيقي لكن مزاجها كان بهجاً بالنسبة لحالها. وخصصت لها جمعية مساعدة العمي في بوستن بيتاً سكنتهُ معظم حياتها

هذا ما ذكرتهُ لنا السيدة جرليا وردهو عن اسماع الصم وانطاق البكم وتبصير العمي في البلاد المتمدنة فماذا نذكر لها نحن عن اصمام السامعين وابكام الناطقين واعماء الباصرين في البلدان التي قضي عليها بالجهل المطخم والسكون الدائم

دمشق　　　　عبد الرحمن شهبندر

التهاب المعلقة الدودية

كثر الكلام في هذه الايام على التهاب المعلقة (الزائدة) الدودية والنسيج الخلوي حولها من غير ذكر الاسباب الثابتة لهذا الالتهاب . ثم ان الجراحين والاطباء انقسموا الى قسمين

القسم الواحد يقول بالعملية الجراحية لاستئصالها والقسم الآخر يمنعها ونحن من هذا القسم لاننا عالجنا نحو عشرين مصاباً من غير عملية فشفوا كلهم وكان بعضهم مصاباً بالتهاب المعلقة نفسها وبعضهم مصاباً بالتهاب النسيج الخلوي حولها وبعضهم مصاباً بالاثنين معاً ولكن لا بدَّ من المبادرة الى معالجة الالتهاب حالاً قبل امتداده

وفي اول اغسطس الماضي كنت في دمشق الشام ودُعيت لمعالجة مريض اشتد الالم عليهِ ولدى الفحص وجدتهُ مصاباً بالتهاب النسيج الخلوي المحيط بالمعلقة الدودية وللحال اخذت اعالجهُ بمضادات الالتهاب من الظاهر والباطن فامرت بحقنة مسهلة ثم اعطيتهُ مسهلاً من كبريتات الصودا ووضعت العلق على الحفرة الحرقفيَّة اليمنى في محاذاة الاعور ولما انقطع خروج الدم من مكان العلق وضعت عليهِ قطناً معقَّماً ولبخة رقيقة من دقيق بزر الكتان مغطاة بالشاش السلولي وكانت قليلة الحرارة وتُغيَّر كل اربع ساعات مرة وكان ذلك قريباً من الظهر

وفي الساعة السابعة ونصف مساء طلب منا اصدقاء المريض واقاربهُ ان ندعو الاطباء لمشورة طبية . وفي العاشرة حضر ثلاثة اطباء وجراحين مشهورين فصادقوا على التشخيص وهو التهاب النسيج الخلوي المحيط بالمعلقة الدودية وصادقوا ايضاً على المعالجة التي اجريناها لهُ وقرروا ان تعمل العملية فاعترضنا بان فتح البطن لا يتيسر في الفندق الذي كان المريض فيهِ ولا بدَّ لنجاحها من مستشفى معد للعمليات الجراحيَّة فتُركت العملية اليوم التالي واضافوا الى المعالجة الحقن بالمورفين ووضع مثانة مملوءة بالجليد عوض اللبخة لكن المريض رفض وضع الجليد فاستمررنا على وضع اللبخ . وحضر الاطباء في اليوم التالي وفحصوا المريض وقرروا معنا ان حالتهُ تحسنت ولا لزوم لعملية وان يستمر العلاج على ما هو عليهِ . فواظبنا على ذلك العلاج ستة ايام متوالية ولم نكن نسمح للمريض بغير اللبن طعاماً واستعنا بهِ على لين الطبيعة بدون استعمال مسهل . ولازم المريض سريرهُ مع السكون التام فشفي تماماً وبعد اسبوع من شفائهِ سافر من دمشق عائداً الى مصر

وقد عدتهُ منذ نحو شهرين فوجدتهُ في صحة معتدلة ولم يعاودهُ التهاب النسيج الخلوي حول المعلقة الدودية ولا التهابها لانني اوصيتهُ بالالتفات الى اطلاق البطن مرة واحدة كل يوم والى تجنب امتلاء المعدة بالاطعمة العسرة الهضم

وعدتهُ ايضاً منذ اسبوعين فوجدت ان المرض زال تماماً ولم يعاودهُ شيءٌ من الالم في الحفرة الحرقفيَّة اليمنى وبناء على ذلك انشر هذه السطور ليطلع عليها الجمهور

حسن محمود باشا

الحكمة

تصف ذاتها وتشكو عداتها

غادةٌ اهدى محيّاها الصبحْ كلَّ رُشدِ
قد علت في ساحة الكون الفسيحْ عرشَ مجد
ثم نادت من يَرُمْ ان يستريحْ يأتِ مهدي[1]
يجتني من نخلة العلم الصحيح خير شهدِ

انني معبودةٌ كلُّ الجمالْ في رداها[2]
كلُّ أنسٍ كلُّ ظرفٍ وجلالْ من حلاها[3]
اعربتْ عن محض فضلٍ وكمالْ مقلتاها
انَّ من احبي لها الهامةَ نالْ كلَّ قصدِ

نُور وجهي ضاء منهُ الخافقانْ[4] فاجتلوهُ
نَور ثغري اين منهُ الاقحوانْ[5] فاجتنوهُ
وحديثي ذوبُ عطفٍ وحنانْ فاحتسوهُ[6]
انا سلطانُ الاماني والزمانْ بعض جندي

اقدموا نحوي ففردوس الرخاءْ تحت عرشي
وغواني الحسن ربَّات الوفاءْ فوق فرشي

---

(۱) المهد ما يهد الانسان لنفسو من فرش ونحوهِ ليرتاح في مقعدهِ ومضجعو وقد غلب في الاستعمال على سرير الاطفال (۲) الوشاح وما تشتمل بو المرأة من غطاء وملحفة (۳) الحلى جمع حلية وهي ما تتزين بو المرأة من انواع المصوغ كالشنوف والاقراط والدمالج (٤) الخافقان الشرق والغرب · وهو من المثنيات التي لا تفرد (٥) ضرب من الزهور ابيض تشبه بو ثغور الحسان (٦) الاحتساء الشرب او نوعٌ منهُ فيهِ تمهل وترشف

كل طير[1] شدوها يولي الصفاء حول عشّي
من اتاني نال انواع المناء دون جدّ

سلسبيل الحذق من رمي يسيل ساغ نهله ·[2]
وجنى[3] الادراك في روضي الظليل طاب اكلهُ
كلّ من يلثم ذا الخدّ الأسيل زال جهلهُ
لا تمل لحظك عن طرفي الكحيل فهو مُهدي[4]

مِشحذُ[5] الفكر احترامي زاوِلوه فهو حرزُ
بهجة القلب غرامي فالزموه فهو كنزُ
رونق العقل كلامي فاسمعوه منهُ عزٌ
عصمة النفس نظامي فاتبعوه بالتحدّي[6]

لجنان السلم ارباضُ[7] النعيم في حدودي
كلُّ وفرٍ[8] نالهُ شهمٌ كريم بعض جودي
كلُّ فعلٍ شفّ عن طبع قويم من زنودي
وارتياح الخلق للذوق السليم ابن رفدي[9]

سل ارسطو[10] اذ صبا نحوي وهام كيف خلّد[11]
مجده باقٍ الى يوم الزحام[12] ليس يجحد[13]

---

(١) الطير اسم عام لجماعة الطيور مؤنث (٢) السلسبيل الخمر وشراب اهل الجنة · والنهل الشرب ومنهُ المنهل لمورد الماء (٣) ما يجنى من الثمار (٤) المهدي اسم فاعل من الهداية (٥) المشحذ · المسنّ · اي حجر السن الذي تشحذ عليهِ النصال الكليلة لتصير قاطعة (٦) تحدّى الشيء تعمدهُ (٧) ارباض المدينة ضواحيها (٨) الوفر الثروة والمال الكثير (٩) رفدهُ اي اعطاهُ واعانهُ بعطاء او قول او غيرهما (١٠) ارسطو حكيم اليونان الشهير (١١) دام وبقي · يراد بذلك دوام ذكرهِ وفخرهِ وبقاء حكمتهِ وتعاليمهِ (١٢) من اسماء يوم القيامة (١٣) ينكر

اوهوميروس [1] الحجى رب النظامْ صار فرقد [2]
كلُّ فردٍ حاز فخرًا ذا دوامْ فهو عبدي

وعجيبٌ ان هذي الملايين [3] من خلائقْ
تطلب الراحة والعزَّ المكينْ وهي تائقْ [4]
عبثًا تسعى وبي لا تستعينْ في البوائقْ
كلُّ سعيٍ ليس لي فيهِ يمينْ [5] ليس يجدي

قدحرستُ الكونمذكان سديم [6] وهو آيهْ
صُنتهُ من كل جبَّار أثيم صار غايهْ [7]
فاز بالاتقان والصنع الحكيمْ بالعنايهْ
انما الانسان ذو الخلق الذميمْ ثار ضدي [8]

قد عصاني دون كل الكائنات وهو عاقلْ
ظلَّ يسعى في شعاب مهلكات سعيَ غافلْ
وهو يدري ان احياء الرفات [9] بيَ حاصلْ
ضاع فيهِ إِيْ [10] وربِّ المعجزات كلُّ جهدي

(1) هوميروس اقدم شعراء اليونان صاحب الالياذة المشهورة التي يصف بها وقائع حرب تروادة وقد عرَّبها مؤخرًا صديقنا الفاضل العلاَّمة سليمان افندي البستاني (2) الفرقد كوكب مشهور . وهما فرقدان (3) جمع مليون وهو عند الافرنج الف الف (4) من التوق وهو مثل الشوق زنةً ومعنى (5) اليد اليمنى . اي ان كل عمل من اعمال البشر لا تكون للحكمة يد فيهِ فهو خاسر (6) السديم الضباب الرقيق . وقد ذهب فريق من العلماء المتأخرين ان السديم اصل كلّ الموجودات ومنهُ تركبت جميع الكائنات . وراجع مقالات المقتطف في المذهب السديمي (7) اي صار غاية في الاتقان والابداع بعد ان كان آيةً في التشويش وعدم الانتظام (8) اي ان الكائنات الجامدة والعجماء كانت تسير بحسب الحكمة الموضوعة لها فاستتبَّ نظامها اما الانسان وهو آخر مخلوقات الارض فسلك بحسب هواهُ نابذًا الحكمة ظهريًا فنالهُ ما نالهُ من البلايا والموبقات وحسبك منها الحروب العامة والخصومات الافرادية وشقاء حيوة الجهلة (9) الرفات بقايا الرمم البالية . اي ان الحكمة قديرة على احياء موات الانسان الادبي وتدارك ما فاتهُ من جراء رسوخ قدمهِ في الجهل وتجافيهِ عن مرابع الحكمة والعلم (10) إِيْ حرف جواب بمعنى نعم ولا تقع الاَّ قبل القسم كما وقعت هنا

انا ابغي نفعهُ وهو كنودٌ [١]	لا يُمالي [٢]
انا اهوى قربهُ وهو لدودٌ [٣]	لا يبالي
قد لها بالجهل لؤماً وجحودٌ	عن جمالي
لم ينلني وانا الالف الوَدودٌ	غير صدِّ
كم اداوي طبعهُ ذاك العنيدْ	بالتأني
كم ارجّي عودَهُ وهو يزيدْ	بالتجني
عيل صبري ضاع ذا الدهر المديدْ	بالتمني
قد خبا [٤] في عصرِ عصر الحديد [٥]	نجم سعدي
شذَّ مَن مِن نوعهِ [٦] جاملنا [٧]	ثم والى [٨]
وهو يدري ان من لانَ لنا	قد تعالى
والذي بالهجر قد عاملنا	ساء حالا
كيف يعمي الكلَّ عن سبلِ المنا	ضل رشدي
ويك يا انسانُ حتّامَ الجفاء	دَعْ عنادَكْ
كيف لا ترقى رقيَّ السعداء	خذ قيادكْ
كيف ترضى بحياة الاشقياء	صنْ فؤادكْ
انما الانفس تحيي بالغذاء [٩]	وهو عندي

دمشق سليم عنحوري

(١) الكنود جاحد النعمة الكافر بالجميل (٢) من المالأة· يقال مالأهُ على الامر اي وافقه عليه وجاراهُ (٣) شديد العداوة (٤) يقال خبا النجمُ اذا غاب واختفى (٥) ان علماء الجيولوجيا يقسمون حياة الارض الى ازمانٍ اوعصور ويسمون العصر الذي وُجد فيهِ الانسان التاريخي بالعصر الحديدي وهو عصرنا الحاضر والذي قبلهُ بالعصر البرونزي وما قبلهُ بالعصر الحجري الى غير ذلك مما لا محل لاستيفائهِ هنا (٦) الضمير عائد للانسان (٧) من المجاملة (٨) من الموالاة (٩) قال قدماء المصريين العلم غذاء النفوس

منشأ الطاعون

تلا الدكتور هنكن رسالة في هذا الموضوع في مجمع ترقية العلوم البريطاني قال فيها ان الطاعون الذي ظهر في بمباي سنة ١٨٩٦ قيل انهُ جاءها من هنغ كنغ لانهُ كان فيها منذ سنة ١٨٩٤ الاَّ ان اللجنة الالمانية التي أُرسلت الى بلاد الهند للبحث عن منشإ الطاعون استدلَّت على ان منشأهُ في غرهوال في جبال حملايا وذلك ان الذين من اهالي غرهوال المعروفين بالفقراء جاؤوا بمباي في طريقهم الى نسيك قُبَيل ظهور الطاعون فيها. وفقراء غرهوال يقصدون نسيك للزيارة كل اثنتي عشرة سنة

فان كانت غرهوال مصدر الطاعون الذي ظهر في بمباي سنة ١٨٩٦ جاءها بهِ الفقراء الذين يأتون نسيك للزيارة مرَّة كل اثنتي عشرة سنة فهي مصدر الطواعين الاخرى التي فشت قبل ذلك . ومعلوم ان الطاعون الجارف المعروف بطاعون بالي وقع ١٨٣٦ والطاعون المعروف بطاعون غجيرات وقع سنة ١٨١٢ وعيد نسيك الذي يحج فيهِ الناس آتين من غرهوال وقع ثماني مرات في القرن التاسع عشر وفي ثلاث منها وهي سنة ١٨١٢ و ١٨٣٦ و ١٨٩٦ حدث طاعون جارف وهذا يؤيد ما ارتأتهُ اللجنة الالمانية في اصل منشإهِ . ثم ان الدكتور فوربس ذكر ان طاعون بالي ابتدأَ في قرية على اميال قليلة من تلك المدينة على اثر مجيء بعض الفقراء اليها وسبق ظهورهُ فيها موت كثير من الجرذان . وتدلُّ الدلائل على ان هذه الطواعين الثلاثة متشابهة وتمتاز عن غيرها من الطواعين بشدة فتكها وتعسُّر زوالها . وكون فتكها اكثر في القرى منهُ في المدن وكونها تنتقل من قرية الى أُخرى كالامواج غير متبعة انتقال الناس ويكثر فيها الشكل الرئوي . والطواعين الثلاثة متشابهة تمام التشابه في ما تقدَّم ومخالفة لغيرها وهذا يدلُّ على ان لها منشأً واحداً واصلاً واحداً ولا يماثلها في اوصافها المتقدمة الاَّ الوباء المعروف بالموت الاسود الذي فشا في اوربا . واذا كانت بلاد غرهوال منشأ الطواعين الهندية الفتاكة وجب ان تكون منشأ الوباء المعروف بالموت الاسود . وتدلُّ الادلة على صحَّة ذلك فان الموت الاسود أُتي بهِ الى اوربا من مدينة جافا في بلاد القرم حيث حاصرت جيوش التتار بعض التجار الايطاليين . قال ابو المحاسن في تاريخهِ ان ذلك الطاعون فشا في جنود التتار من بلاد التتار نفسها وانهُ كان منتشرًا ضاربًا فيها اطنابهُ سنة ١٣٤٦ (وذكر مختار باشا المصري في تقويمهِ لسنة ٧٤٧ هجرية الموافقة لسنة ١٣٤٦ مسيحية ان الوباء وقع فيها ببلاد ازبك ثم اتصل بالقرم حتى كان يخرج في اليوم الف جنازة فبلغ عدد من مات بهِ

٨٥ الفاً وامتد الى قبرس) وكان بين الهند والتتار تجارة واسعة في الخيل في ذلك الوقت ويظهر من تاريخ الفنستون لبلاد الهند ان الثورة فشت في مايار سنة ١٣٤١ وارسلت الجنود لاخمادها فتك بهم الطاعون . واذا استقصينا اعياد نسيك التي تقع مرة كل اثني عشرة سنة وجدنا ان عيداً منها وقع سنة ١٣٤٤ ومن المحتمل ان جمهوراً من الفقراء خرجوا من غرهوال قاصدين نسيك للزيارة حينئذٍ على جاري عادتهم

وقد جاء في احد التواريخ القديمة ان الجنود كانت تمر في نسيك او في ما يجاورها والظاهر انها سارت في الطريق الذي سار فيهِ الفقراء . ولما فشا فيها الطاعون اصيب بهِ السلطان ايضاً فوقف في بلدة دبوجيري وهي على مقربة من نسيك . وكان قد ارسل الجنود لاخماد الثورة سنة ١٣٤١ ثم ارسل اليهم المدد سنة ١٣٤٤ وحينئذٍ اصيبوا بالطاعون وينتج من ذلك كلهِ ان الطاعون فشا قرب نسيك سنة ١٣٤٤ اي في السنة التي وقع فيها العيد الذي يقع مرةً كل اثني عشرة سنة ومن المحتمل ان ذلك الطاعون نفسهُ امتدَّ حتى بلغ التتار والقرم سنة ١٣٤٦ وهو الموت الاسود الذي انتشر في اوربا

ومن رأْي الدكتور هنكن ان الطاعون الرئوي قليل الانتقال بالعدوى من شخص الى شخص وانهُ اذا انتقل بواسطة الجرذان زالت عدواهُ فلا يبعد ان تزول عدواهُ اذا انتقل بواسطة الناس وانهُ قد ينتقل وتتجدَّد قواهُ بواسطة انواع اخر من الحشرات كالبراغيث . والطاعون المنتشر الآن هو طاعون الثغور البحرية لانهُ اذا انتقل الى القرى زال منها حالاً فهو مخالف للطواعين الهندية الجارفة تمام المخالفة

هذه خلاصة المقالة التي تلاها الدكتور هنكن وخلاصة اجوبتهِ عن مسائل طرحها عليهِ بعض العلماء الحضور ومفادها ان الطاعون الهندي مخالف لغيرهِ من الطواعين في كيفية انتقالهِ وشدَّة فتكهِ . وانهُ يصل الى بلاد الهند وينتشر فيها ومنها بواسطة الزوَّار الذين يأْتونها من جبال حملايا حيث هو مستقر دائم وهؤلاء الزوار يقصدون مدينة نسيك مرةً كل اثني عشرة سنة . وقد بحثنا عن الطواعين التي وقعت في القطر المصري في القرن التالي لسنة ١٣٤٤ فوجدنا انهُ وقع فيها طاعون سنة ١٣٤٨ فهو الطاعون الذي ظهر في الهند سنة ١٣٤٤ مضى عليهِ اربع سنوات حتى وصل القطر المصري لانهُ سار في طريق شمالية فبلغ بلاد القرم سنة ١٣٤٦ وانتقل منها الى اوربا ثم وصل الى مصر . وظهر فيها سنة ١٣٨١ وهذه السنة تبعد ٣٧ سنة عن سنة ١٣٤٤ فكأنهُ ظهر في الهند سنة ١٣٨٠ وانتقل الى مصر في سنة واحدة بطريق البحر والظاهر ان هؤلاء الزوار لا يحملون جراثيم الطاعون الاَّ نادراً او ان الاحوال

لا تساعد على انتشاره الا في ازمنة مخصوصة ولولا ذلك لاستمرَّ انتشاره في الدنيا لانهُ لا يكاد يبلغ اقاصي البلدان حتى يعود الزوار الى الزيارة و يعود الوباء الى الانتشار

تقدُّم الطب

في القرن التاسع عشر

للدكتور جون بيلنغس الاميركي مدير مكتبة نيويورك العمومية

يراد بالطب جميع الفروع المتعلقة بمنع الامراض والآفات وعلاجها والاساليب التي غايتها تخفيف الآلام واطالة العمر والعلم المختص بمعرفة تركيب الجسم الانساني ووظائفهِ واسباب الامراض . فهو اذا يشمل علم الثرابيوتا الطبية والجراحية والفسيولوجيا والباثولوجيا والهيجين. وقد تقدمت هذه العلوم في القرن الماضي اكثر مما تقدمت منذ الفي سنة وسبب ذلك اتقان طرق البحث والاستقصاء على اثر زيادة المعارف الكيماوية والطبيعية واكتشاف المكرسكوب والتجارب التي تعمل في معامل الكيمياء والفلسفة الطبيعية واستعمال الطرق العلمية في مراقبة الامراض ونتائج طرق المعالجة المختلفة . ثم ان ادخال نظام الاحصاء في درس الامراض واسباب الموت واكتشاف المخدرات والمنوّمات ومضادات الفساد في الجراحة وتقدم علم البكتيريولوجيا الحديثة يعدُّ كلٌّ منها حلقة في تاريخ الطب في القرن الماضي

هذا وقد اثبت البحث العلمي منذ نحو عشرين سنة ان سبب بعض الامراض نموّ مكروبات خاصة في الجسم الانساني اي ان الكولرا الاسيوية والدفثيريا وبعض انواع الدوسنطاريا والحمراء والانفلونزا والتهاب مجرى البول وذات الرئة والتتانوس والحمى الراجعة والحمى التيفويدية والتدرن الرئوي والطاعون الدبلي وغيرها من الادواء مسببة عن احياء آلية نباتية مكرسكوبية تسمَّى بكتيريا . وان حميات الملاريا المتعددة وحمي تكساس التي تصيب البقر وبعض انواع الدوسنطاريا مسببة عن حيوانات مكرسكوبية تسمى مكروزوا . وقد ترتَّب على هذا الاكتشاف نجاح الجراحة في استعمال مضادات الفساد وزيادة الدقة في تشخيص الامراض واستعمال اللقاحات المختلفة لشفاء الامراض والوقاية منها وتقدم علم الصحة العمومية

ومن اعظم الادلة على تقدم علم الطب في تخفيف اوصاب الناس وآلامهم واطالة اعمارهم ما يرى في فن الجراحة وخصوصاً بعض فروعهِ . فقد كان الذي يصاب منذ نحو مئة سنة بحصى

الكليتين او المثانة او يجرح في بطنهِ باطلاق الرصاص عليهِ او يصاب بجراجات مختلفة لا يرجى لهُ شفاه في تلك الايام بل كان ينتظر الموت بفروغ صبر مما يقاسي من الآلام . اما الآن فان الجراح يعمل العمليات للذين يصابون بهذه الامراض والاعراض والغالب ان تنجح عملياتهُ . وقد كان الذين يصابون بالسرطان في الوجه او اللسان او الثدي او الرحم يحسبون الموت غنيمة لفرط الألم وما ينشأ عن السرطان من تشويه الهيئة وما يصحبهُ من الرائحة الكريهة اما الآن فالغالب ان يشفى المصاب باحد هذه الامراض اذا بادر الى المعالجة قبل فوات الفرصة . وقد أدرك الناس هذه الحقيقة فتراهم يبادرون الى المعالجة واحتمال العملية الجراحية علماً باضرار الاهمال والامهال خلافاً لما كانوا عليهِ في قديم الزمان . لاسيما وانهم يعلمون انهم يتشقون الكلوروفورم فيقعون في سبات عميق لا يشعرون معهُ بحزّ مشراط الجرّاح ولا بوخز إبرهِ . وقد يحلمون احلاماً غريبة وهم تحت يديهِ ثم لا يلبثون حتى يستفيقوا فيروا انفسهم بين ايدي الممرضات يعنين بهم ويضمدن جراحاتهم . ولا يلزمهم ان ينتظروا اسابيع واشهراً تغيير اربطتهم فيها كلّ يوم بل ان الجراح يلاحظ حرارة اجسامهم وينظر الى ظاهر اربطتهم وقد يمرُّ اسبوع كامل ولا يمسها ومتى أزالها لم يُرَ تحتها سوى خطٍّ ضيق احمر لا أثر فيهِ للصديد

ثم ان ازالة اورام المبيض والرحم صارت الآن سهلة جداً بخلاف ما كانت عليهِ في سالف الزمان . وكان كثيرون يموتون بالتهاب الامعاء او اختناقها او التهاب البريتون . اما الآن فقد بان واتضح ان معظم هذه الالتهابات ناشيء عن التهاب الزائدة (المعلقة) الدودية وهي زائدة لحمية متصلة بالمعى الغليظ في اسفل الجانب الايمن من البطن فاذا التهبت سببت ألماً شديداً وقروحاً داخلية تنتهي بالموت غالباً . وازالة هذه الزائدة امرٌ عاديٌّ هذه الايام والغالب انها تنجح . اما عملية نزع الحصى من المثانة فقديمة عرفها القدماء منذ الفين وخمس مئة سنة ولا يعلم اول من عملها . ثم استبدلت في القرن الاخير بعملية تسحق بها الحصاة سحقاً وهي في المثانة ويزال المسحوق من غير ان تعمل السكين . وكذلك ازالة الحصى من الكلى او من المرارة واستئصال الكلية المريضة فانها عمليات جديدة سهّل الوصول اليها تحسن طرق التشخيص واكتشاف المنومات ومضادات الفساد . وكان القدماء يظنون ان جراحات الامعاء قاتلة لا محالة فكانوا يناولون المصابين بها الافيون تخفيفاً للالم ليس إلاَّ . اما الآن فان الجرّاحين يشقون بطن المصاب ويضمدون جرح الامعاء ويزيلون ما نزف من الدم وغيرهِ وكثيراً ما يعقب ذلك الشفاء

وقد زادت المعرفة بتشريح الدماغ وتوزع الاعصاب المتفرعة منهُ فأمكن بذلك تعيين

الموضع المصاب منهُ بالالتهاب او الضغط وعمل العمليات اللازمة لازالة المواد المسببة للالتهاب والامل كثير بالشفاء

ومن فروع الجراحة التي تقدمت تقدماً عظيماً في القرن الماضي فرع تجديد الاعضاء المشوهة فان تجديد الانف المشوه مثلاً عملية قديمة جدًّا ولكن اشباه هذه العملية كادت تبلغ الكمال في المئة سنة الماضية حتى اصبح من الممكن تخفيف بلايا الافدع والكسيح والمقعد باصلاح ارجلهم وتقويم اعوجاجها على حين ان ذلك لم يكن ممكنًا في ما مضى

وقد خفت وطأة كثير من امراض النساء ايضاً . ففي سنة ١٨٠٠ كان يموت عشر نساء الى ٢٠ من كل الف نفساء . اما الآن فان حمى النفاس لا تكاد تعرف في المستشفيات او حيث يتولى طبيب ماهر توليد الحبالى . وقد نقص متوسط وفيات النفاس حتى صار اقل من ٥ في الالف

ومن العلوم التي تقدمت علم امراض العين وخصوصاً الرمد الصديدي المعروف بالاوفثلميا فان مباحث هلمهولتز في فسيولوجيا البصر واختراعهُ للمنظار المعروف احدثت انقلاباً عظيماً في هذا الفرع من العلوم الطبيَّة وخففت كثيرًا من مصائب الناس وبلاياهم . فمنذ مئة سنة كان الطبيب اذا رأى أجفان المولود الجديد محمرَّة وارمة والصديد يخرج من بينها حكم انهُ سيفقد بصرهُ كلَّهُ او بعضهُ بعد ايام قليلة ولم يستطع معالجتهُ بالوسائط البسيطة التي يتدارك بها اطباء هذا الزمان الرمد الصديدي ويشفونهُ . ومن سوء الحظ ان معرفة علاج الرمد ليست منتشرة الانتشار الكافي ولا بدَّ ان يمرَّ زمن طويل قبلما يقلُّ عدد الذين يصابون بهِ قلة يشعر بها

ومما لا ريب فيهِ ان متوسط الوفيات في القرن الماضي كان اعظم مما هو عليهِ الآن فقد كان متوسط الوفيات في مدينة نيويورك بين ٣٥ و٤٠ في الالف سنة ١٨٠٤ فنقص حتى بلغ نحو ٢٠ في الالف في الخمس السنوات الاخيرة

ومنذ مئة سنة تفشت الحمَّى الصفراء في مدينتي نيويورك وفيلادلفيا وظلت تفتك بالاهالي سنتين فقام الاطباء يبحثون فيما اذا كانت مُعدية منقولة من الخارج فيمكن منعها والوقاية منها باقامة المحاجر الصحيَّة والتطهير او فيما اذا كانت ناشئة عن سبب خفيّ في الهواء. فألف نوح وبستر العالم الاميركي المشهور كتاباً سنة ١٨٠٠ ذهب فيهِ مذهب من قال ان الحمى الصفراء ناشئة عن سبب خفيّ في الهواء وزاد على ذلك ان حمى التيفوس والحميات العصبية مسببة عن تحوُّل عرق الجسم الى مواد فاسدة . وقرَّرت لجنة الجمعية الطبية التابعة لولاية نيويورك

ان سبب الحمى الصفراء تصاعد الابخرة الفاسدة من الارض وغير ذلك من الآراء السخيفة التي تدل على انهم لم يكونوا يعرفون عن الحمى الصفراء شيئاً . اما الآن فانهُ وان كنّا لا نعرف سبب تلك الحمى ولا كيفية انتشارها (١) ولكننا نعرف عنها ان سببها احياء مكرسكوبية وعليهِ يمكن منع انتشارها بعزل المصابين واتخاذ وسائل التطهير اللازمة

وكان معظم الذين يبلغون سن العشرين حينئذٍ يصابون بالجدري فيموت القسم الاكبر منهم وتبقى ندبها ظاهرة في وجوه الذين يسلمون من الموت . اما الآن فان كثيرين من الاطباء لم يعالجوا رجلاً مصاباً بالجدري وقلما يُرى رجل تسمُ الجدري وجههُ بندبها

اما حمى التيفوس فقد زالت او كادت على حين ان بعض الامراض زادت بتقدم الوسائط الطبية . فان كثيرين من اولاد هذا الزمان يسلمون من الجدري ليصابوا بالدفثيريا او الحمى القرمزية او غيرها ولو كانوا عائشين في القرن الماضي لماتوا بالجدري قبلما أُصيبوا بغيرها . ثم ان زيادة وفيات السرطان ناشئ بعضها عن تحسن الصحة العمومية حتى ان كثيرين يعيشون الى السن الذي يكونون فيهِ اكثر عرضة لاصابات السرطان عادة

هذا وان من اعظم الاسباب في تقدم الطب الحديث تحسن الوسائط المكتشفة لتشخيص الامراض . فان استعمال الترمومتر الكلينيكي افضى الى انقلاب عظيم في الطب والمعالجة . ومعرفتنا لامراض القلب والرئتين زادت بالقرع على الصدر والاستقصاء سواء كان ذلك بالاذن او بالآلة المستقصية (السماعة) . والتحليل الكيماوي والمكرسكوب يدلاننا على امراض في الكلى لم يكن احد يشتبه فيها قبلاً . واشعة رنتجن تعين الجراح على تعيين مواضع الاجسام الغريبة التي تدخل الجسم ومعرفة نوع الاضرار التي تصيب العظام . والفحص البكتيريولوجي اصبح امرًا لابدَّ منهُ في فحص الامراض والعلل التي يشتبه في وجودها في الجسم مثل الدفثيريا والتدرن الرئوي والانيميا والحمى التيفوئدية وغيرها من الحميات

ثم ان معظم الاعلانات الطبية التي كانت الجرائد تنشرها منذ مئة سنة كان يختص بعلاجات لازالة الدود من الامعاء وكان الاطباء ينسبون كثيرًا من اعراض الامراض العصبية والهضمية الى فعل الدود . ولكننا علمنا في مدى القرن الماضي امورًا كثيرة عن اصل الدودة الوحيدة ونموها وغيرها من الدود الذي يدخل جسم الانسان وينمو فيهِ فلم نعد ننسب اليها من الاعراض الاّ ما كان صادرًا في الحقيقة عنها

وما يقال في الطب الشافي يقال ايضاً في الطب الواقي . فان الابحاث الطبية التي جرت

(١) اهتدوا اخيرًا الى لقاح يشفي من الحمى الصفراء كما ذكرنا ذلك في احد اجزاء المقتطف الماضية

في انكلترا بعد ظهور الكولرا فيها سنة ١٨٤٩ واختبار اطباء الجيش الانكليزي مدة حرب القرم كل ذلك افضى الى تقرير قضيتين مهمتين وهما وجوب الاعتناء بماء الشرب ليكون نقياً خالياً من شوائب الاكدار ووجوب الاعتناء بمصارف المنازل ومراحيضها . وكان قواد الجيوش في حروب نابوليون يخشون حمى التيفوس التي كانت تتفشى بين الجنود اكثر مما يخشون صفوف الاعداء لشدة فتكها بهم . اما في حروب الخمس وعشرين سنة الماضية فان حمى التيفوس لم يظهر لها اثر بل ظهرت الحمى التيفويدية محلها وذلك يدل على اننا لانزال نجهل اموراً كثيرة عن اسباب هذه الحمى وطرق سيرها وانتقالها . ومثل هذا يقال في بعض الامراض القتالة الاخرى فانهُ يموت بالدفثيريا في الولايات المتحدة بين ٢٠ و ٣٠ الفاً كل سنة وهذا يساوي عدد الذين يموتون بالحمى التيفويدية فيها ويموت بالسل اكثر من مئة الف نفس فيها سنوياً. هذا مع اننا نعرف اموراً كثيرة عن جراثيم هذه الامراض وطرق سيرها والوسائط التي يمكن ايقافها بها ولكن السبب الاكبر في شدة فتكها هو جهل جمهور الناس لطبيعتها

ومما يذكر في هذا الصدد ان معرفتنا لاسباب بعض الامراض المعدية وطرق تفشيها أفادت العالم فائدة عظيمة من وجه تجاري لانها أفضت الى ازالة كثير من العقبات في سبيل التجارة مما يتعلق بالمحاجر الصحية. وزد على ذلك ان طرق التطهير الحديثة اسلم عاقبة واحسن تأثيراً من الطرق القديمة كالمحاجر ومتعلقاتها . ومن احسن الادلة على نتيجة هذه الاصلاحات استقبال اهالي انكلترا خبر ظهور الطاعون في غلاسكو منذ عهد قريب بسكون بال وذلك لعلمهم انهُ لا ينتقل بالهواء . ولو جرى مثل ذلك منذ مئة سنة لهجر الناس المدينة وتركوها خالية تصفر من السكان. ولمثل هذه الاسباب فقدت الكولرا الاسيوية كثيراً من هولها الاول

على ان اهم مظاهر تقدم الطب في القرن الماضي اكتشاف طرق جديدة للبحث العلمي وخصوصاً في علم البكتيريا وتشخيص الامراض . وهذه الطرق لم تستخدم كلها ومتى امكن استخدامها في المستقبل القريب كان منها فوائد عظيمة لبني الانسان. وليس المقصود من ذلك انها تؤدي الى اكتشاف اكسير الحياة فان اوصاب الشيخوخة نتيجة لازمة عن طول العمر وللانسجة والاعضاء التي يتركب منها الجسم حد محدود للبقاء يختلف باختلاف الافراد . بل المقصود منهُ ان كثيراً من الآلام والامراض التي تجعل الحياة حملاً ثقيلاً في الشيخوخة يمكن تخفيفها حتى اذا جاوز الشيخ حد السبعين لم يكن عيشةُ بعد ذلك تعباً وبلية يحببان الموت اليهِ

ولذيذ الحياة أنفسُ في النفسِ وأشهى من أن يملَّ وأحلى

واذا الشيخ قال افٍّ فما ملَّ حياةً وانما الضعف ملاَّ

صديق الفلاَّح

كتب السر ولتر ميڤيل المعروف في هذا القطر مقالة مسهبة في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية تحت هذا العنوان قال فيها ما خلاصتهُ

ما زال الفلاح المصري الصبور يحرث تربة مصر الزكية من عهد الفراعنة الذين عاثوا في الارض فسادًا الى يومنا هذا وهو مسلّمٌ للقدر متناسٍ ما فات من الرزايا والكوارث شاكر ليد العناية الصمدانية ما اولتهُ من نعم المياه النيلية والرياح الشمالية (البحرية). وكيف لا يترطب لسانهُ بذكر فضل النيل عليهِ وهو ابو مصر ومديم الخير لها ينساب انسياب الافعوان في فيافيها وصحاريها المجدبة فيصيرها بقاعاً نضرة وبلادًا طيبة يخرج نباتها باذن ربها كما قال فيهِ الشاعر

يتمشى في قفرِ مصرَ اختيالاً مثلَ فكرٍ يجول في الاحلامِ

وليس شكرهُ للنيل باقل من شكرهِ للرياح الشمالية فانها تبرّد أنفاس الصحراء الحارّة وتصيرّ الملاحة ممكنة. وقد تقلبت الايام والاعوام عليهِ وتداولتهُ ايدي الولاة العتاة ورجلاهُ تارة تخوضان الماء وطورًا تطآن الغبراء وأحنى رأسهُ منذ القدم مستسلمًا لولاة ليسوا منهُ ولا هو منهم بلا عاطفة خوف تتردد في صدرهِ ولا بارقة امل تلوح بين جنبيهِ. وما فتئت هذه حال صديق الفلاح الى عهد قريب حين تولّت شؤونهُ حكومة تهتم بخيرهِ وترقية مصالحهِ وحفظ حقوقهِ ووقايتهِ من الظلم وتمكينهِ من ثروة البلاد. وقد عرف بمحافظتهِ على تقاليدهِ وابقاء القديم منها على قدمهِ حتى انك لتراهُ يحرث ويحصد بالادوات التي كان اسلافهُ يستعملونها في عهد فرعون ويوسف. وتراهُ واحدًا في حالتي العسر واليسر. واظهر صفاتهِ الصبر واحترام القانون والميل الى العمل ودماثة الخلق وقوة البنية والاشتباه في مقاصد ولاة امورهِ وحب المزل والمزاح وقد ينزع احيانًا الى الخصومة وخصومتهُ قصيرة الزمن قلما تنتهي بضرب الاكفّ ولكنهُ يكثر فيها من اشارات التهديد والوعيد

ومن صفاتهِ عدم مبالاتهِ بالوقت. فاذا رام السفر في سكة الحديد لم يسأل عن مواعيد القطارات بل قصد المحطة وافترش الارض ينتظر سفر القطار ولا يبدي اقلّ قلق او اضطراب مهما طال عليهِ المطال. فان عندهُ مثلاً يقول " ان العجلة من الشيطان والصبر مفتاح الفرج " ومحافظتهُ على عاداتهِ وتصوراتهِ وتقاليدهِ القديمة سبب ما يرى من قلة الابتكار في اعمالهِ. وهو قليل الثقة بالمبادىء الحديثة فلا يصدّق مثلاً ان في " الحرّية والمساواة والاخاء " التي

ينادي بها ابناء هذا الزمان اثرًا من الفلسفة العملية بل يرى ان الاستعباد رأس النواميس الطبيعية وان الطبيعة لم تخلق شيئين متساويين . وهو على جانب عظيم من التوكل والثقة بالخالق بعيد عن الكفر والالحاد ولعلَّ السبب في ذلك مواصلتهُ للطبيعة كلَّ يوم فان الذين يرون الطبيعة ويطلعون على اعمالها العجيبة لا محلَّ في نفوسهم للشك والالحاد . وما من رجل يحرث الارض ويزرعها يشك في مبدإ قيامة الاموات "لان الذي تزرعهُ لا يحيا مالم يمت" ولا يبعد ان يكون اطلاعهُ على عجائب الخليقة سببًا لعدم تعجبهِ من اعمال البشر وان يكون تذكرهُ التقاليد القديمة التي تروي عجائب الاقدمين وغرائبهم سببًا لحسبانهِ عجائب هذه الايام امورًا عادية منتظرة لا تستحق الدهشة والاستغراب مثل ترعة السويس وخزان اصوان . فهو لا يعجب من ترعة السويس لان صسوتريس كان اول من فكر في الجمع بين البحرين على ما في الاخبار القديمة . ولا يعجب بخزاني اصوان واسيوط لان الاقدمين كانوا يخزنون المياه في الاراضي المنخفضة الواقعة في الجنوب الغربي من الفيوم منذ اربعين قرنًا ولا تزال الترعة الواصلة ما بين النيل وبحيرة قارون تسمى بالبحر اليوسفي الى الآن نسبة الى يوسف بن يعقوب

ولقد خبرت الفلاَّح منذ سنة ١٨٧٤ . وفي سنة ١٠٩١ كتبت أصف مافعلتهُ الادارة الانكليزية لمصر فقلت " ان النظام والنزاهة والاصلاح حلَّت محلَّ السخرة والرشوة والكرباج التي كانت سائدة في عهد اسمعيل والثورة والنهب والخراب التي سادت في زمن عرابي " وليس قصدي الآن ان ابحث في مظالم الفلاح الماضية بل ان اصف ما عليهِ فلاَّح هذه الايام من اليسر والفلاح بالنسبة الى الماضي . ويكفينا ان نذكر في هذا الصدد انهُ بات آمنًا غارات المرابين الاجانب وجباة الرسوم والضرائب ولم يعد عرضة للقبض عليهِ وارسالهِ للخدمة العسكرية في السودان او لاعمال السخرة المنهكة وانهُ يحكَم بالقسط والعدل وينال حظًّا كافيًا من ماء الري وان نوازل الغرق والشرق باتت في خبر كان

ومعظم الفلاحين اليوم من صغار المالكين فيعملون في اطيان جيرانهم او يستخدمون نظارًا على اطيان كبار المالكين ولكنهم يجنون من ارضهم ما يكفي لبعض معيشتهم . فان كانت مواردهم قليلة فان حاجاتهم اقلّ وما داموا متمتعين بنور الشمس والهواء النقي ونائلين الكفاف من الرزق وبعيدين عن برد الشتاء وقرّهِ فانهم راضون قانعون

ثم وصف اكواخ الفلاحين وما هي عليهِ من الحقارة وابان المنافع التي يجنونها من النخيل فقال انهم يقتاتون بثمرهِ اشهرًا كثيرًا ويسحقون نواهُ فيطعمونها جمالهم ويستعملون جذوعهُ في بناء بيوتهم ويصنعون من لحائهِ حبالاً لسفنهم وقواربهم ومن خوصهِ مقاطف ومراوح .

وأطال في وصف الاباعد والمنازل والمآكل والمشارب والملاهي ومدح الفلاح المصري على تدينهِ وتسليمهِ امرهُ لخالقهِ

الطبيعة اكبر استاذ

لقد غلب على الناس ان يطلقوا لفظ الطبيعة على جميع الموجودات المادية من كوائن الارض والسماء سواء كانت اعيان البسائط والمركبات كالحيوان والجماد والنبات وعناصر الهواء والماء او مظاهرها المختلفة وصورها العديدة كالجبال والوهاد والرياض والغياض والبحار والانهار او ظواهرها الجوية كالندى والبخار والثلج والامطار والشفق والسحاب وقواتها العامة كالنور والحرارة والكهربائية الى ما يطول ذكرهُ ويلحق بهِ من الاصول والفروع والفصول والابواب

وقد توسعوا في اطلاق الطبيعة ايضاً على شرائع الكوان المادي مما استقرت اجناسهُ وانواعهُ وميزت صنوفهُ فجمعت مسائلهُ طوائف استقلت ابحاثها وتعينت حدودها فأدرج كل منها في فنٍ مخصوص او علم قائم بنفسهِ على ما هو مشهور يجمعها قولك العلم الطبيعي والطبيعيات

غير ان للطبيعة عند المحققين معنى اشمل واكمل يريدون بهِ ان الطبيعة هي مجموع حقائق الوجود من اعيان وصور ومحسوسٍ ومعقولٍ وجوهرٍ وعرض فتشمل النواميس المادية والشرائع الادبية فقالوا ان الطبيعة بهذا المعنى هي مربي الانسان الاوحد ومرقاة كمالهِ على الاطلاق . فهي منهُ الام الرؤوم والمرشد الخبير والاستاذ الاكبر والمهذب الحكيم حتى اذا حرم المربي ربتهُ او عدم المؤدب أدبتهُ

ولما كان ما تلقي الينا الطبيعة من دروسها بلسان شرائعها ووقائعها منحصراً في دائرتي التأديب والتهذيب اقتصرنا هذه المرة على بيان طرفٍ من القسم الاول نريد بهِ تأديب الطبيعة وعقابها متبعين في ادراج شواهدهِ الحسية والمعنوية معنى الطبيعة الاخير الشامل لكليهما معاً على ما اسلفناهُ مستندين في اساس كلامنا على اقوالٍ من رجال الفلسفة والعلم مما يجدر بالتأمل والاعتبار ولا سيما ما يجل شأنهُ لدى المهذبين والوالدين القائمين بالتخصيص على تربية الصغار

قال العلامة الاستاذ وليم جمس مؤلف كتاب (السيكولوجيا) الكبير بعد تفصيل علمي طويل في شرائع نشوء العادة وتأثيرها في الطباع والاخلاق من الوجه الطبيعي ما نصهُ

" لا جرم ان جهنم ذات الوقود التي يُنذر بها شرارُ الناس في المعاد والخلود ليست باشد

عذاباً من العقاب الذي نذوقهُ في هذه الدار الدنيا لما نرتكبهُ من مخالفة شريعة الطبيعة والحيد عن نهجها القويم من حيث نشوء الطباع والاخلاق واكتساب الملكات والعادات. فلو تأتى للأحداث ان يعلموا انهم لن يكونوا في مستقبل العمر سوى مجموع عادات لتنبهوا الى مسالكهم قبل ان يقسو منهم العود فيستحيل تقويم ما اعوجّ من اخلاقهم وهيهات ان يردّ ما فات . فكل امرءٍ ينسج بيدهِ الثوب الذي يرتديهِ ويبني المنزل الذي يأويهِ. فاقلّ فضيلةٍ ينشأ عليها او رذيلةٍ يعتادها تنقش فيهِ اثرًا لا يمحى مدى العمر حتى تنزل معهُ الى القبر لانها تكون قد جبلت في عناصر الدم وحيكت مع نسيج العضلات وركّبت منها كريّات الاعصاب. فعلى مبدإِ الطبيعي يصبح السكير لعنة البشرية برشفهِ الكأس وراء الكأس وفي شريعة الطبيعة ينشأ ملاك الانسانية بمكرمة بعد مكرمة يبديها للناس. وبناموس الطبيعة يقوم السياسيّ المحنك وينبغ العالم الكبير والفيلسوف الشهير وما هي الاّ ساعة في العمل تلو ساعة حتى تنسج الشقة من خيطٍ بعد خيطٍ و يبنى الجدار من حجرٍ فوق حجرٍ . فلا يسبقنّ لوهم شابّ انهُ بالطفرة يعلو المراتب ويرقى المناصب في الخطة التي ينشأ عليها والغاية التي يسعى اليها. فاذا سعى في سبيل الجدّ قدماً بعد قدم فلا بدّ ان يحصد يوماً ما زرع ويجني ما غرس بما لا يعقب الندم حتى اذا ما فتح عينهُ ذات صباح ورأى السعد خادمهُ والمجد يحفّ بهِ بين اقران يسودهم واخوان يعلوهم أيقن ان الطبيعة وفتهُ حقهُ الذي اسلفها وردّت لهُ الامانة التي اودعها وتجلّى لهُ يومئذٍ ان اقلّ امرٍ اجراهُ في اعمالهِ هادئاً في معملهِ منفرداً في خلوتهِ بعد ان قضى لهُ الحكم الصحيح اصبح فيهِ ملكاً لا يزول وعادةً لا تحول "

ثم ان الفيلسوف سبنسر قد احال تربية الاولاد الادبية في غالب احوالها على تأديب الطبيعة وعقابها ناعياً على المؤدبين اجمعين مسالكهم القديمة الشائعة في تأديب الولد بالقصاص الذميم العقيم لانهم يعدلون بهِ عن منهج الطبيعة القويم وافاض في اثبات هذه الحقيقة تمثيلاً وبرهاناً بما لا يبقي لبليغٍ بياناً و يضيق عن تلخيص بعضهِ مثل هذه المقالات فنجتزئ بذكر اهمّ مبادئهِ على وجه التفصيل والايجاز فنقول

اولاً . أثبت من النواميس الكونية ان لكل فعلٍ ردًّا يعقبهُ ويساويهِ ولكل شيءٍ اثرًا يقابلهُ ويحاكيهِ فيطلق على هذا الاثر ما يوافقهُ من الاسماء على حسب وجوه النظر والاعتبارات كالنتيجة والعاقبة والثمرة وهلمّ جرًّا . وبيّن بأجلى وضوح أن أمثل الطرق في تأديب الاولاد والناشئين القاه الامر لعقاب الطبيعة بقسميهِ المادي والادبي واورد على ذلك من ابسط الشواهد اليومية والبيتية ما لا مزيد فيهِ لمستزيد حتى يتيقن الاب والام والمربي كافةً انهم اذا

سلبوا حق الطبيعة في التأديب جنوا على انفسهم او نفس الاولاد ضررًا بدل النفع بل زادوا فيهم ما يبغون اصلاحهُ فساداً على فساد بشهادة الواقع وحكم الطبع

ثم قال (اي سبنسر) خذ مثلاً حال الولد الذي لم يعتد المحافظة على ملبسهِ فيمزقهُ بالاشواك ويلطخهُ بالاوحال فاذا ضرب او أُهين وأُرسل الى الفراش عقابًا لم يرَ ذلك الاَّ ظلمًا وحيفًا فازداد اهمالاً لحال ثوبهِ بدلاً من الاقلاع عنهُ . ولكن افرض انهُ كلف اصلاح ما افسدهُ بأن يطهر لباسهُ او يرفأ ما مزَّق على ما يستطيع . افلا يشعر حينئذٍ ان هذه نتيجة طبيعية لاعمالهِ ويرى جليًا علاقة السبب بالمسبب فيتيقن عدل هذا العقاب ؟ . ثم هو اذا لم يتعظ بحكم الطبيعة قصرت عن تأديبهِ المواعظ والزواجر . ومن لاتبصّرهُ عواقب الطبيعة فلن تردعهُ روادع الشريعة . وهذا مفاد قول العامة " الانسان لايتربى الاَّ من كيسهِ " و" المشنوق يخاف من جرة الحبل "

ثانيًا . حقَّق الفيلسوف ان التأديب والعقاب الطبيعي غايةٌ في تدقيق الاحكام وفي توفية القسط والميزان على حدّهِ التام . فان كان من امور الدنيا عدلٌ حقيقي فهو في عقاب الطبيعة على اصح معناهُ ففيهِ وحدهُ يحق ان يقال السن بالسن والعين بالعين بحيث لا يجوّر نظام ولا يتعدّل قانون ومنهُ وحدهُ يتعلَّم المرء الاحكام في تقرير الاعمال وتقدير النتائج . فما الخائن المرذول والخامل المعوز والمدَّعي الساقط والاحمق الخاسر والخبيث المخذول الاَّ شهود ناطقة على عدل العقاب الطبيعي ما فهم للعدل معنى عند العقلاء

ثالثًا . أبانَ ان الناس اجمعين في شرعها سواء فلا ترضى بغير الحق بديلاً ولا تراعي في حكمها خليلاً . فاذا ما احتمى الشيخ الجاهل تحت كنف الشيخوخة في الاحكام الادبية فأكرم شيبتهُ الناس قالت لهُ الطبيعة ان الحق اشيخ منهُ والشيخ احقُّ ان يلام فانفذت فيهِ سهم قضائها حتى تنخفض كرامتهُ وتزول مهابتهُ وهذه مغبَّة الجاهلين . واذا الشابُّ المغرور انبعث في ميدان المعصية والغرور فعاف العفاف وطلَّق الحياء فقد لا يظهر فيهِ عقاب الطبيعة لحال ولكنك لابدَّ ان تقرأ يومًا احكام الطبيعة بادية على محيَّاهُ من شحوب وهزال وارتجاف واختلال فاذا لم يحتفظ بنعمة الشباب ولا حرص على جدَّة الاهاب تخالف سنَّة الزواج الطبيعي وراح يتنقل في الحب تنقل الافياء يتسرَّى من كنٍّ الى كنٍّ ويلتقط من ذاك الحب التقاط الادنياء فقد لا يصحو من خمارهِ ولهوهِ ولا تنقشع سحائب زهوهِ حتى ينجلي سواد الغرور عن مفرقهِ ويطلع فيهِ صبح المشيب . فيأوي الى مخدعهِ وقد تخاذل عنهُ اخوان الصفاء وادبرت في وجههِ قيان الغناء فريدًا لا يؤنسهُ جاهٌ ولا مال فقيدًا كما فقدهُ البيت الذي غذاهُ والوطن

الذي ربّاهُ ميتاً بصورة حيّ بعد ان وهن العظم منهُ وماتت في صدره الآمال

كذا قل لمعاشر النفاق والرياء والمكر والدهاء من اهل السياسة من المتولّين احكام البلاد والقائمين على رعاية الطوائف والشعوب وتدبير شؤون العباد فاذا خدع احدهم قوَمةُ الاغرار الى حين او اعتلى الآخر من ذروة المجد اعلى عليين فما خدع الطبيعة بخلّب مكرهِ ولا حجب عنها دخائل سرّهِ وشرّهِ اذ لا اقرب لديها من تمزيق الحجاب وهتك الاسرار يوم يعمُّ الويل ويطمُّ السيل والطبيعة تجري باقدار

رابعاً . اوضح ان الطبيعة اقوى المؤدّبات على اقناع المعاقب باستحقاق العقاب حتى يرضى بهِ ويرتاح اليهِ ذلك لان الطبيعة لا يداخلها هوًى او غرض من عواطف الحكام والمؤدبين فلا غيظ يدفعها على الافراط ولا ضلع يميل بها الى التفريط على ما هو معلوم . فلكم رايتَ من وخيم العواقب في عقاب البشر حتى المأخوذين بعوج الحكام وقصر النظر وان نبلت الغاية وحسن القصد . حتى ليسخط الولد على الوالد ويقوم التلميذ على الاستاذ وتفسد المودَّة وتقطع علائق الحب بين الانسباء والمحبين . والمشهور من طباع الخلق انهُ ما وقع لنفس العاقل المنصف من الطيبات شيء كاحكام العدل يتوقعهُ لنفسهِ ويتقاضاهُ لاخيهِ ويرضاهُ لذويهِ كأن ارتياحهُ الى العدل ادلُّ ما بقي من آثار الصلاح على مذهب الجمهور . فلذا نرى انهُ كما سمت مناقب ذوي الكمالات وقربت من ذلك الاصل الشريف كرهوا من نفوسهم ما لا يراهُ الاعداء الالداء فبثوا ما في صدورهم من امارات الظلم وعادوا على ذواتهم باشد اللوائم والتقبيح . الا ان اكثر ما يكون ذلك اذا أتى عن طريق العقاب الطبيعي . ثم ان الانسان قد لا يكتفي بالحاضر المشاهد من هذا العقاب بل ما وقف على جناية تاريخية سالفة او سمع عن قبيحة بعيدة منهُ الاّ ندب حظهُ كيف لم يخلق في عصرها او يشترك في امرها وتمنى لو عادت بهِ الايام فقمصتهُ حكماً عادلاً او كان آلةً بيد الطبيعة ليشفي النفس بانزال القضاء ويمتع ناظرهُ بمشهد ذلك العقاب . كل ذلك توحي بهِ شريعة الطبيعة وتلقيهِ اليهِ وقلّما رغب بسواها وازعاً او رضخ لغيرها شارعاً

هذا وما صحَّ من حلول العقاب الطبيعي بالافراد يقع ايضاً في الامم والجماعات . فكم من أمّةٍ بعد ان نالت حظها من مراقي النجاح استهوتها عزّةُ الفتح وانبساط الجناح فاستنامت الى المفاسد ولاذت الى اكناف الترف والجمود وراحت تستأمن الايام وتعاند سنة الزمان فما لبثت ان كالت الطبيعة لها بالكيل الذي كالت وأدالت منها ما أدالت . وكأيّ من بيتٍ كان العلم والادبُ اساسهُ والصلاح نبراسهُ فلما عدل بنوهُ عن هذا المنهاج واستفاء وارثوهُ بغير

ذاك السراج تقوّضت اركانهُ وهوى بنيانهُ بل عفت اطلالهُ كأنهُ ما كان . ويا اسفي على خلفٍ ورثوا نعم السلف من كنوز الصحة والمجد والمال فاضاعوها وباعوها بابخس الاثمان . هذا اذا لم يكن الوالدون انفسهم قد تعدّوا شريعة الطبيعة باسرافٍ او اتلاف فاورثوا بنيهم ما اورثوا من مهلكات النفوس والاجساد حتى حق عليهم حكم الطبيعة ان ما زرعهُ الاباء حصدهُ الابناء

كذا البلاد التي لا يعلم قضاتها من العدل سوى الاسم ولا يدركون من الحق سوى الحرف والرسم يحسبون الناس انعاماً سواماً يجزّون منها الصوف ويحتلبون الالبان قد لا تنتبه الى مصير الوبال والدمار الاَّ يوم لا تبقي لهم سنة الوجود زرعاً ولا ضرعاً ويجرّد فيهم سيف العدل الطبيعي فيجتثّهم اصلاً وفرعاً

وحاصل القول انك ترى آثار العقاب الطبيعي ماثلةً على قائمة كل بيت للمسرفين ناطقة على باب كل محكمة للغاشمين منقوشة على جبين كل مستبد مستهين قائمة على كل خراب تنادي بارفع الاصوات ان هذه عاقبة المفسدين . فحسب العاقل ان يتعظ بما هو منقوش على لوح قلبهِ مسطرًا على صفحات الارض والسموات وليهنإِ الصالح الحكيم ان الشريعة والطبيعة في الخير على وفاق لأن " البر يرفع شأن الامم وعار الشعوب الخطيئة " وما كان ربك مهلكاً لقريةٍ الاَّ كان أهلها ظالمين

دمشق الشام متري قندلفت

المريخ وسكّانهُ

تدلُّ الدلائل المتعددة على ان المريخ اكثر الكواكب التي يسهل رصدها شبهاً للارض . وربما كان بين الاجرام السموية ما هو اشدُّ شبهاً بالارض منهُ ولكن منها ما لا نعرف عنهُ الاَّ القليل مثل الزهرة ومنها ما لا نعرف عنهُ شيئاً البتة . وليس ينكر ان المشتري وزحل يضاهيان المريخ في ظواهرها التي تدهش رصّدها من الفلكيين ولكنهما يختلفان عنهُ كلَّ الاختلاف في هذا الشأن . فجوُّ المشتري من اغرب الاجواء في ظواهرهِ وتقلبات سحبهِ . وزحل يمثل لنا نظاماً عجيباً لم يكن ليخطر على البال لولا وقوعهُ تحت عياننا

اما المريخ فان وجه اهميتهِ مشابهتهُ للارض مشابهة تحملنا على الظنّ انهُ كرة مثل كرتنا فان قطرهُ ٤٢٠٠ ميل وحجمهُ سبع حجم الارض وثقلهُ بالنسبة الى حجمهِ اقلُّ من ثقل الارض

بالنسبة الى حجمها اي ان ثقل عشر كرات مثل المريخ يعدل ثقل كرة الارض (ولو كانت النسبة واحدة لاقتضى سبع كرات فقط) ولهذا الاختلاف الجوهري بين المريخ وحجم ارضنا علاقة ببعض اوجه الشبه والمقابلة التي بينهُ وبينها اهمها ما يتعلق بالجو . فان اولى المسائل التي تبدو للخاطر عند البحث فيما اذا كان جرم من الاجرام السموية مسكونًا بخلائق حية هي هل في ذلك الجرم هواء او لا . ولما كانت الارض مكتنفة بطبقة سميكة من الهواء لزم ان تكون حالة الاحياء التي فيها مطابقة لحالة جوّها . ومعظم الحيوانات على الارض لا تستغني عن الاكسجين الذي تستمدّهُ من الهواء بل هو لازم كلّ اللزوم لها حتى ليعسر علينا ان نتصور كيف يكون شكل الاحياء في كرة لا هواء فيها

ثم ان الحياة على الكرة الارضية متوقفة على امر من الاهمية بمكان وهو وجود الاحياء تحت طبقة الهواء فان الهواء يلطّف حرارة الشمس ولولاهُ ما صلحت الارض للحياة . وهو يقينا قرّ الليل بحفظ الحرارة من الاشعاع . فينتج من ذلك انهُ اذا فقد الهواء لزم ان تكون الاحياء مختلفة عما هي عليهِ الآن

وقد ظهر من ابحاث العلماء ان ما نسميهِ غازًا هو في الحقيقة مجموع دقائق صغيرة جدًّا لا ترى باعظم المكبرات وهي تتحرك على الدوام في جهات متغيرة وسرعة مختلفة باختلاف انواع الغازات مثل اكسجين الهواء ونتروجينهِ والحامض الكربونيك وغيرها من الغازات التي توجد عادة فيهِ فسرعة دقائق الاكسجين ربع ميل في الثانية وسرعة دقائق الهيدروجين ميل واحد على درجة ٦٤ بميزان سنتغراد تحت الصفر . ودقائق الهيدروجين اسرع دقائق الغازات حركة

اما المريخ فمن المؤكد انهُ مكتنف بطبقة من الغاز كما يظهر لراصديهِ فان الاشباح التي في وسطهِ تظهر واضحة جليَّة بخلاف التي عند طرف دائرتهِ فانها تظهر غبشاء كما من خلال سحاب . وكثيرًا ما ترى السحب والغيوم في جوّهِ وهذا لا يمكن الاَّ اذا كان هناك غاز يحملها . اما ماهية ذلك الغاز فلا نعلم عنها الاَّ القليل . ولما كان الاكسجين قوام الحياة على الارض وكان مدار البحث على ما اذا كان في المريخ احياء فسؤالنا هل فيهِ اكسجين حرٌّ او لا . وهذا ما لا يمكننا الجواب عنهُ . ولكن لو فرض ان ليس فيهِ اكسجين الآن فهذا لا يمنع ان الاكسجين قد يوجد فيهِ في مستقبل الزمان او وجدَ فيهِ قديمًا ثم فقد منهُ بالاشعاع الى الفضاء اثر تغلب قوة انتشار الغاز على قوة جذب السيَّار او فقد اثر اتحاد الاكسجين بالمعادن التي فيهِ . ولمثل هذا السبب يقولون ان الهيدروجين لا يوجد في ارضنا حرًّا بل متحدًا مع غيرهِ من المواد . وان الاكسجين قد يزول منها باستنشاق الحيوان لهُ واتحادهِ بالمواد غير الآلية التي

فيها شراهة لهُ كالحديد مثلاً فان في جوف الارض من الحديد ما يكفي للاتحاد بكل ما فيها من الاكسجين وتحويلهِ الى اكسيد . على انهُ وان كنَّا لا نعلم الآن ماهية جوّ المريخ ومقدار امتدادهِ وسمك طبقتهِ تماماً فليس ذلك على العلم ببعيد

ومن المسائل المهمة في هذا الشأن معرفة ما اذا كان في المريخ ماء . ومعظم استنادنا في ذلك الى التلسكوب . والتلسكوب يرينا بقعة لونها ومنظرها العمومي مثل الماء ولكن لا يمكننا الجزم بانها ماء لاسيما وان المسافة بعيدة جدًّا بيننا وبين المريخ حتى وهو في اقرب منازلهِ منَّا . ومهما تكون قوة آلات الرصد التي عندنا فهي لا تتجاوز حدًّا محدودًا . خذ تلسكوب "لك" مثلاً فانهُ احسن تلسكوب لرصد المريخ من حيث موقع مرصدهِ واتقانهُ ولكن جهد ما يفعلهُ في تقريب الاشباح البعيدة عنَّا انهُ يقلل المسافة الظاهرة الى جزء من الف جزء من قدرها الحقيقي . وبعد المريخ عنَّا وهو في اقرب منازلهِ الينا ٣٥ مليون ميل فاذا نظرنا اليهِ بتلسكوب " لك " رأيناهُ كما لو كان على بعد ٣٥ الف ميل عنَّا وهي مسافة بعيدة لا تمكننا من رؤْية ما على سطحهِ ومعرفة طبيعة ارضهِ . ولزيادة ايضاح ذلك نقول ان المسافة المذكورة تساوي اثني عشر ضعف المسافة التي بين اوربا واميركا فلو أُتيح لاحد ان ينظر الى اوربا من ذلك البعد لم يكد يراها فضلاً عن ان يميز بين الاشباح التي عليها ويدرك ماهيتها . وربما ميز بين البر والبحر من لونيهما وشاهد بعض الاشباح الكبيرة مثل جبال الالب اوضح من البعض الآخر لا غير . واصغر شيء تمكن رؤْيتهُ على سطح المريخ يجب ان يكون قدر مدينة لندن مساحة اي ١١٨ ميلاً مربعاً . والناظر الى المريخ بالمنظار يرى بقعاً سوداء وبقعاً حمراء والفلكيون يزعمون ان الاولى بحور والثانية برور وهو ما لم يثبت الى الآن

واعظم الدلائل على وجود الماء في المريخ ظهور بقعتين بيضاوين على قطبيهِ يظن ان سبب ابيضاضهما الثلج لاسيما وانهما تصغران وتكبران تبعاً لاختلاف الفصول فيهِ اي انهما تصغران في فصل الصيف وتكبران في فصل الشتاء . فاذا عرفنا ذلك لم يسعنا الا القول بان تلك المادة البيضاء التي تظهر تارة وتختفي اخرى في زمان محدود انما هي ثلج او سائل آخر يجمد في شتاء المريخ ثم يعود فيسيل في صيفهِ . ومما لا يكاد يرتاب فيهِ انهُ لو استطعنا النظر الى ارضنا عن بعد شاسع لرأينا قطبيها يتغيران تغير قطبي المريخ . فالنتيجة الطبيعية المعقولة ان ما يجري في المريخ من هذا القبيل يشبه ما يجري في ارضنا

وهناك ادلة اخرى على وجود الماء في المريخ . منها ظهور خطوط طويلة سوداء طول بعضها الوف من الاميال وعرضهُ ٦٠ ميلاً على القليل . واول من رآها الاستاذ شياباريلي الفلكي

الايطالي الشهير وذلك سنة ١٨٧٧ . فقال الفلكيون في تعليلها اولاً انها انهار ثم عدلوا عن هذا القول لاسباب منها انهُ لايكاد يعقل ان كوكباً اصغر من الارض يحتوي انهاراً اكبر من انهارها بكثير ومنها امتداد تلك الخطوط من طرف الى آخر في بعض الاماكن وتقاطعها في اماكن اخرى وهذا يخالف المشهور عن انهر الارض . وعليهِ ذهب بعضهم الى ان تلك الخطوط ترع اصطناعية لا انهر طبيعية احتفرها اهل المريخ لمقاومة ما ينتابهُ من الفيضان الذي ترجح الدلائل حدوثهُ من آن الى آن . وخالفهم آخرون فقال ليجونده انها شقوق جيولوجية تتصاعد منها ابخرة تخفف برد المريخ القارس . وانكرها غيرهُ بتاتاً وقال ان سببها خطأ في بصرنا وفي آلاتنا كما ابنا غير مرة . والمستقبل زعيم باماطة النقاب عن وجه الحقيقة

هذا والمرجح ايضاً ان في المريخ بعض انواع الاحياء . فان الكربون والهيدروجين وهما اكثر العناصر علاقة بظواهر الحياة على الارض هما كذلك اكثر العناصر انتشاراً في الكون فالمرجح وجودهما في المريخ ايضاً . وقد زعم بعضهم ان اللون الاحمر الذي يرى في المريخ لون نبات ينبت فيهِ . وقال آخرون بامكان وجود احياء عاقلة فيهِ وليس ذلك بالبعيد . ولما كانت مدة وجود الاحياء العاقلة في ارضنا مثلاً قصيرة جداً بالنسبة الى عمر الارض او نحو جزء من الف من عمرها فلا يبعد ان يكون ذلك كذلك في سائر الاجرام التي يفرض وجود الاحياء العاقلة فيها . وعليهِ فالمرجح انهُ ان كان في المريخ احياء عاقلة فهي ليست معاصرة للاحياء العاقلة التي على الارض لما بين الكرتين من اوجه الخلاف الكثيرة . فاما ان تكون قد وجدت فيهِ قديماً واما ان توجد فيهِ في مستقبل الزمان ولكنها ليست موجودة هناك الآن

ولقد زعم بعض الفلكيين انهُ قد يمكن مخاطبة سكان المريخ بالاشارات وهو حديث خرافة لا يكاد عاقل يصدقهُ لانهُ ان كانت ترع المريخ وطول الواحدة منها الف ميل وعرضها ٦٠ ميلاً لا ترى باعظم النظارات الا في احوال نادرة فما هي الاشارات التي يستطيع اهل المريخ ايصالها الينا لو فرضنا وجودهم وسلمنا بهِ جدلاً . فلو رمنا التخاطب بالرايات للزمنا رايات كبيرة لا يقل قدر الواحدة منها عن ٣٠ الف ميل مربع . او لو رمنا بناء المباني الشامخة الباذخة لما رآها اهل المريخ وان كانت مئة ضعف الهرم الكبير جرماً وكان عندهم اعظم النظارات المعروفة عندنا

ومن اغرب ما يتعلق بالمريخ ان فلكياً اميركياً كان يرصدهُ سنة ١٩٠٠ فشاهد نتوءا في حافتهِ بقي مدة تزيد على ساعة واذاع الخبر في مشارق الارض ومغاربها فقام بعضهم يقول ان ذلك اشارة من اهل المريخ لنا فصدق الجمهور هذا القول ولكن بعض العلماء علَّل ذلك المنظر

يقوله ان سببهُ سحابة كبيرة في افق المريخ بانت لنا باشعة الشمس المنعكسة عنها

وتلا الفلكيّ الاميركيّ العالم نقولا تسلا المشهور فانهُ كان قد نصب آلة للتلغراف الذي بلا سلك على جبل في اميركا فقال انهُ شاهد على الآلة تأثيرًا لم يستطع ان يبين سببهُ واستدلَّ من ذلك انهُ لا بدَّ ان يكون رسالة من اهل المريخ. وقال ان الرسالة لم تكن واضحة وهي تشتمل على ثلاث اشارات لا غير وانهُ لا يعسر علينا ان نتمكن من مخاطبة اهل المريخ بالاشارات الكهربائية في المستقبل

على انهُ ان لم يكن ذلك النتوء الذي ظهر في المريخ اشارة من سكانهِ لنا وصح انهُ سحابة عرضت في افقهِ كان ذلك من الاهمية بمكان لانهُ يدلنا على ان الماء موجود فيهِ فلا يستبعد وجود الاحياء ايضاً لكثرة اوجه الشبه بينهُ وبين الارض

فنُّ التعليم

خلاصة خطبة لاسقف هرفورد القاها على المجمع العلمي الانكليزي

ان ادخال فرع التعليم ضمن الفروع التي يبحث هذا المجمع فيها لرفع منار العلم دليلٌ كافٍ على ان التعليم في هذه البلاد اخذ يدخل في طور جديد . ومهما يكن في نظامنا التعليمي من العيوب والنقائص ومهما يلزمهُ لاصلاحهِ فان ايام التقليد الاعمى قد زالت وانقضت وحلَّ محلها عصر البحث العلمي فتناول التعليم في جملة مواضيعهِ واخذ اهل العلم والنقد يتساءلون في كلّ حدب وصوب ما هي غاية التعليم الصحيح وهل سبيلنا اليهِ قويم

وصف افلاطون التعليم الصحيح قديمًا فقال انهُ موسيقى النفس ورياضة البدن وان حسن السلوك فرع منهُ والشعر اساسهُ وان يكن الشعراء لا يصلحون لتعليم ولا لتهذيب وأبان شدة تأثير العشراء في اخلاق الصغار ووجوب تربيتهم في حظائر صالحة حتى لا يتعلموا الشرَّ باكرًا ان كان لا بدَّ لهم من تعلّمهِ وانهُ يجب ان لا يروا الرذيلة ولا يسمعوا بها . وان الغرض منهُ ترقية الفضيلة . وهو اول الاشياء واجلها

وفي ظني ان معظمنا يوافق افلاطون على هذا الوصف وان كنَّا نخالفهُ في بعض امور اخرى مثل قولهِ ان التعليم يجب ان يكون الزاميًا وانهُ يجب ان يكون واحدًا للنساء والرجال . ولكنهُ قال عبارة ربما طربنا لها من صميم افئدتنا وهي قولهُ ان اهالي اثينا نفسها لا يهتمون بالتعليم حتى ان احد مشاهير ساستهم قال ماذا يهمني العلم وغيري ليس بأعلم مني . وقد قال

ملتون شاعرنا ان التعليم الصحيح يؤهل الانسان لاتمام اعمالهِ الخصوصية والعمومية بحذق وعلى موجب قواعد العدل والشرف سواء كان ذلك في السلم او في الحرب . وليس هناك غرض اسمى من ان نصيّر اولادنا ذوي حذق وعدل وشرف . وكلُّ ما نصفهُ من الاغراض والوسائل لا يخرج عن هذا الحد المتقدم

ولا يخفى على احد اهمية الغايات الصحيحة لما في الغايات الفاسدة من الخطر . وما نعلمهُ في المدرسة ونحن نرى كلَّ ما في العالم حولنا صغيرًا جرى مجرى دمنا في عروقنا وبات قسمًا من ذاكرتنا سواء تعلمناهُ في ساعة ترح او في ساعة فرح . فالتعليم الصحيح اذًا يرمي الى انشاء اسمى ضروب الرجال من كلِّ من تمرَّس بالاشغال والاعمال او منت الطبيعة عليهِ بالمواهب الحسان وبثَّت في صدرهِ اشرف الطباع والخصال ورغب في سلوك خير السبل واقتياد الغير اليها وتعشّق المعرفة والصدق والحرية والعدل وامتاز بحب الواجب والتعقل وخدمة الجمهور وقوة الارادة

فتعليم مثل هذا خير ركن لخير الافراد والامة كما عرف بالاختبار الطويل . فان التعليم الصحيح يرينا مثلاً ان ركن الحياة الصحيح ادبيٌّ معاشي لا حربيٌّ ولا عدواني وان غرض الفرد والامة الصحيح انما هو المعرفة والعدل والحرية والسلام والشرف لا الكبرياء والاعتداء والاغتصاب والطمع

يقول بعض اهل النقد انهُ يحسن ادخال فن التعليم بين مباحث مجمع علمي مثل هذا ولكنهم لا يجمعون على الطريقة التي يجب تداولهُ فيها . ومنهم من لا يرى هذا الرأي بتاتًا بدعوى ان التعليم متوقف اكثرهُ على المعلم لا على قواعد الفن فلا يمكن البحث فيهِ بحثًا علميًا ولا سنُّ قواعد وقوانين لهُ لئلا يوضع المعلم في غير موضعهِ ويوكل اليهِ ما لم يخلق لهُ ويحرم الفرص لاستخدام مواهبهِ الشخصية وقوة تأثيرهِ المغنطيسية . وقد اخذ كبار رجال الفلسفة العقلية يقولون انهُ لا يحسن بالمعلم ان يقصر اعتمادهُ على ما عرف من نواميس العقل في تعليم التلامذة وتهذيبهم مغضيًا عن اميالهم وعواطفهم كأنهم نباتات او آلات صماء

ومن رأي الذين يذهبون الى ادخال فن التعليم ضمن مباحث هذا المجمع ان يعين اولاً حدود هذا الفن ويُعنى باحلال الاغراض الصحيحة المختصة بالارتقاء الادبي والاجتماعي المحلَّ الاول وانزالها المنزلة اللائقة بها . وثانيًا ان يُبحث ليعلم ما هي الطرق الموافقة لدرس فن التعليم وما هي الطرق غير الموافقة لهُ لتتبع الاولى وتجتنب الثانية

اما انا فرأيي لا يعتمد عليهِ كثيرًا في هذا الموضوع لاني وان كنت قد علّمت سنين كثيرة

الاَّ اني لم اتعلَّم التعلُّم اللازم قبل انتظامي في سلك المعلمين بل كنت معلِّم نفسي معتمدًا على درسي واختباري الشخصي . وقد انقطعت عن التعليم منذ سنين كثيرة ولست من اصحاب الآراء الحديثة . على انهُ لما كان لا بدَّ لي من كلمة في هذا الشأن اقول اني على مذهب القائلين بادراج التعليم ضمن المباحث العلمية لاني عالم حقَّ العلم انهُ لو أُتيح لي وانا صغير ان استعدَّ للتعليم استعدادًا علميًا لائقًا بهِ لما اضعت موهبة من مواهبي ولاكتسبت كثيرًا من المعرفة والثقة والقوة وسلمت من كثير من الفشل والخطل وسلم تلامذتي معي

ثم تقدم الى بيان العيوب والنقائص التي تصم نظام التعليم في انكلترا فقال ان منها قلة الاستعداد اللازم للاشتغال بالتعليم وقلة اهتمام الناس على اختلاف طبقاتهم بتعليم اولادهم وانزالهم العلوم العقلية دون منزلتها الواجبة ومحافظتهم على التقاليد القديمة وعدم انتباه أُولي الشأن الانتباه الكافي الى صحة التلامذة وتقوية اجسامهم بالرياضة البدنية.

وبعد ان افاض في هذا الصدد وصف العلاج اللازم لمداواة الحالة الحاضرة فقال ان مجلس المعارف نشر تذكرة أُلخص ما ورد فيها نظرًا لماحوتهُ من الآراء الصائبة والبيان الشافي حيث قال ان غاية المدرسة ايجاد الملكات الصالحة في الصغار وتقويتها فيهم وتأهيلهم علمًا وعملاً للجهاد في هذه الحياة واخراجهم منها وقد ربي فيهم الذوق السليم وحبُّ المعرفة وتمكنت منهم ملكة البحث والاستدلال وعلاقة العلة بالمعلول وقوي فيهم الميل الى مطالعة سير العظماء وما اتوا من عظام الفعال . فمن اخص واجبات معلميهم والحالة هذه ان يكونوا قدوة حسنة لهم ويقووا فيهم وهم ينشأُون بين ايديهم حبَّ العمل وامتلاك النفس والصبر والثبات والشجاعة ويربوهم على احترام كلّ عظيم وحبّ الحق والطهر والعدل والصدق وانكار النفس وكرم الخلق حتى يكونوا اعضاء حية نافعة في جسم المجتمع الذي يعيشون فيهِ

ثم افاض في الكلام على المدارس الخصوصية التي ينشئها الاهالي بقصد الكسب فأبان مساوئها وقال ان معلميها في الغالب شبان لم يدربوا على التعليم واجورهم قليلة وليس للحكومة سيطرة عليهم فلا هي تمتحنهم ولا تراقب اعمالهم وعندي ان خير ما يعمل لاصلاح حال مدارسنا الثانوية ان توضع جميع المدارس الخصوصية تحت المراقبة العمومية اي مراقبة الحكومة وان لا يسمح لاحد بفتح مدرسة من هذا النوع الاَّ برخصة ينالها من الحكومة وان يُبحث قبل اعطاء الرخصة في حالة معلمي المدرسة ومعارفهم وحالة المدرسة الصحية وسائر ما يلحق ذلك فاذا وجدت طبق المرام فبهِ والاَّ منعت الرخصة عن طالبيها

واشار الى عيوب المعلمين فقال ان فيهم قومًا لا يستطيعون حفظ النظام ولا يلمون بطرق

التعليم المثلى سواء كان ذلك في تعليم اللغات او التاريخ او علوم الادب او غيرها من فروع العلم بل تنقصهم اولى الصفات اللازمة للعلمين الاكفاء وهي المقدرة على جعل التلامذة ينتبهون الى دروسهم ويلذون بها . فامثال هؤلاء سبب للضرر يجب تلافيهِ بتمرين المعلمين على التعليم قبل شروعهم فيهِ فلا ينتخب لهُ الا كل معلم تمرّس بهِ وعرف ظواهرهُ وخوافيهُ

ومن العيوب الرئيسة في مدارسنا زيادة الاعتماد على الذاكرة دون سائر قوى العقل وذلك بان يفرض على التلامذة حفظ امور كثيرة غيباً وتترك قوة عقولهم تضعف باهمالها وقلة تمرينها وعدم الاعتماد عليها في فهم ما يتعلمونهُ

ثم قابل بين نظام المدارس الداخلية ونظام مدارس اليومية في انكلترا فقال ان المدارس الداخلية تفوق اليومية في ان التلامذة الذين يتخرجون منها يكونون اشد اعتماداً على انفسهم وميلاً الى مخالطة الناس ومعاشرتهم وامهر في تطلب وجوه النفع في الاعمال والاشغال واكثر تساهلاً واغضاء عن الهفوات واحتمالاً للمصاعب والمشاق . ولكنهم يفقدون كثيرًا من قوة الشعور الادبي. وعليهِ اقول بالاجمال بناء على اختباري الماضي ان احسن منوال لتهذيب الاولاد وتربيتهم مدرسة يومية منظمة يقف المعلمون فيها حياتهم على الاهتمام بتلامذتهم داخل المدرسة وخارجها كأنهم في مدرسة داخلية

واستطرد الى الكلام على الكليات الكبرى وابان عيوبها واشار باصلاحها مما نضرب عنهُ صفحاً اذ ليست الكليات الكبرى موجودة عندنا فلا يفيدنا البحث عنها

الحرب

اساحة للحرب ام محشرُ	ومورد الموت ام الكوثرُ
وهذه جندٌ اطاعوا هوى	اربابهم ام نَعَمٌ تُنحرُ
لله ما اقسى قلوب الاولى	قاموا بأمر الملك واستأثروا
وغرّهم في الدهر سلطانهم	فأمعنوا في الارض واستعمروا
قد اقسم البيضُ بايمانهم	لا يهجرون الموت او ينصروا
واقسم الصفرُ باوثانهم	لا يغمدون السيف او يظفروا
فمادت الارض باوتادها	حين التقى الابيض والاصفرُ
واثملتها خمرة من دمٍ	يلهو بها الميكادو والقيصرُ

واشبهت يوم الوغى اختها اذ لاح فيها الشفق الاحمرُ
(واصبحت تشتاق طوفانها لعلها من رجسها تطهرُ)
اشبعتِ يا حربُ ذئاب الفلا وغصّت العقبان والانسرُ
ومِيرتِ الحيتان في بحرها ومطمع الانسان لا يقدرُ
سالت نفوس القوم فوق الظبا فسالت البطحاء والانهرُ
واصبحت (مكدن) ياقوتةً يغار منها الدر والجوهرُ
ياقوتة قد قوّمت بينهم بانفس كالقطر لا تحصرُ
اضحى رسول الموت ما بينها حيران لا يدري بما يؤمرُ
كذلك المدفع في بطشهِ اذا تعالى صوتهُ المنكرُ
تراهُ ان اوفى على مهجة لا الدرع يثنيهِ ولا المغفرُ

***

امسى كورباتكين في غمرة وبات اوياما لهُ ينظرُ
وظلت الروس على جمرة والجدُ يدعوهم ألا فاصبروا
فهل درى القيصر في قصرهِ ما تعلن الحرب وما تضمرُ
فكم قتيل بات فوق الثرى ينتابهُ الاظفور والمنسرُ
وكم جريح باسط كفهُ يدعو اخاهُ وهو لا يبصرُ
وكم غريق راح في لجة يهوي بها الطود فلا يظهرُ
وكم اسير بات في اسرهِ ونفسهُ من حسرة تقطرُ
ان لم تروا في الصلح خيرًا لكم فالدهر من اطاعكم اقصرُ
تسوءُنا الحرب وان اصبحت تدعو رجال الشرق ان يفخروا
اتى على الشرقي حين اذا ما ذكر الاحياء لا يذكرُ
ومر بالشرق زمان وما يمر بالبال وما يخطرُ
حتى اعاد الصفر ايامهُ فانتصف الاسود والاسمرُ
فرحمة الله على امة يروي لها التاريخ ما يؤثرُ

مصر حافظ ابرهيم

اطيان النوبارية

من كتاب الاطيان والضرائب في القطر المصري

في جملة ما اعطي من الاطيان الخارجة الزمام بناء على الامر المشار اليهِ (وهو الصادر في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٤) ٤٩٠٠٠ فدان في براري حوش عيسى والبوطة بمديرية البحيرة وقد عرفت اخيرًا بمنطقة النوبارية بمناسبة الترعة التي أنشئت لريها وسميت بالترعة النوبارية على اسم المرحوم نوبار باشا رئيس النظار يومئذٍ بمقتضى أمر عالٍ في اول دسمبر سنة ١٨٨٦ ورأينا اتماماً للفائدة ان نأتي على تلخيص ما جرى في اطيان النوبارية وهو

ان الامر العالي الصادر في اول دسمبر سنة ١٨٨٦ تضمن (١) ان الشركة المؤلفة برئاسة السير قسطنطين زرفوداكي يجب ان تدفع بصفة سلفة كافة النقود التي تلزم لحفر وانشاء الترعة النوبارية (٢) توزع هذه النفقات على الاطيان التي اعطيت فعلاً والتي ستعطى تنفيذاً لدكريتو ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٤ والتي ستباع بالثمن وتحصل اقساطاً سنوية مضافاً اليها فائدة سنوية بقيمة خمسة في المائة في المدة الباقية من العشر السنوات المحددة للمعافاة من الضريبة بدكريتو ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٤ وان يحجز ويباع من الاطيان بقدر ما يكفي لسداد المطلوب ممن يتوقف عن السداد بذات الطرق الادارية المقررة في تحصيل الاموال. وعدا ذلك قد جاء في نص المادة السادسة منهُ ما يأتي وهو (اراضي الحكومة التي لم يصر اعطاؤها لغاية الآن ولم تطلب قانونًا بمقتضى احكام امرنا الصادر في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٤ ويمكن ريها بالترعة النوبارية يصير بيعها مع معافاتها من دفع الاموال اثناء السنوات الباقية لغاية مضي ميعاد العشر السنوات المذكورة اعلاهُ بشرط ان يقوم اربابها باداء التكاليف والتعهدات الناجمة عن الاحكام المدونة بالمواد الثالثة والرابعة والخامسة من امرنا هذا)

وفي ٧ ابريل سنة ١٨٨٧ قرر مجلس النظار تخصيص ٢٥٠٠٠ جنيه سنويًا في ميزانية نظارة الاشغال العمومية ليمكن للحكومة ان تدفع منها ما يعجز عن دفعهِ اصحاب الاطيان في مقابل تحصيلهِ منهم

وفي شهر دسمبر سنة ١٨٨٩ صدر قرار من نظارة المالية (انظر صحيفة ٤٣ من كتاب القوانين العقارية) يتضمن اعتبار اتمام حفر واعداد الترعة النوبارية من اول شهر دسمبر سنة ١٨٨٨ وانهُ يجب ان يشرع في تحصيل نفقاتها من ابتداء شهر يناير سنة ١٨٩١

اما قيمة المال التي صرفت على انشاء هذه الترعة فهي ٧٣٤٨٧ جنيهاً و٤٣٤ مليماً منها ٢٠٠٠

جنيه حكم بها غرامة على احد المقاولين والباقي وهو ٧١٤٨٧ جنيهاً دفعت منهُ الحكومة ١٩٨٧ جنيهاً ودفعت الشركة الباقي وهو ٦٩٥٠٠ جنيه ولكن قيمة المال التي تقرر توزيعها لتحصيلها من المنتفعين باضافة الفوائد بحساب ٥ في المائة قد بلغت ٩٦١٦٣ جنيهاً و٢٦٢ مليماً

بعد ذلك اتفقت المالية مع السير قسطنطين زرفوداكي بمقتضى مكاتبة صدرت منها لجنابهِ في ٢٣ يوليو سنة ١٨٩٠ نمرة ٧٠٢ وارسل هو جواباً في ٢٨ من الشهر المذكور بالمصادقة عليها ان تحل الحكومة محلهُ

وبلغت اطيان النوبارية ٧٦١٢٨ فداناً منها ٤٦٠٣ للسير قسطنطين زرفوداكي و٢١٧٧٨ للحكومة والباقي وهو ٤٩٧٤٧ لمن أعطي لهم بمقتضي الامر العالي وبقسمة النفقات وهي ٩٦١٦٢ جنيهاً على ٧٦١٢٨ فداناً خص الفدان جنيه و٢٦٣ مليماً تقسط على ستة اقساط سنوية قيمة كل منها ٢١٣ مليماً

ثم رأت المالية بعد ذلك اطالة مدة الاقساط تخص الفدان ١٤٠ مليماً وفي المدة من سنة ١٨٩١ لغاية سنة ١٨٩٦ حصَّلت الحكومة من الاهالي ١٤٠٧٥ جنيهاً واخذت منهم اطياناً بقيمة ١٦٥٦٥ جنيهاً وخص اطيان السير قسطنطين زرفوداكي ٥٨٨١ جنيهاً وخص اطيان الحكومة ٢٧٧٨٨ جنيهاً وجملة ذلك ٦٤٣٠٩ جنيهات وتاخر الاهالي في سداد ٣١٨٥٤ جنيهاً فاضطرت الحكومة ان تدفعها

وكان في تلك الاثناء صدر امر عالٍ في ٢٥ فبراير سنة ١٨٩٠ (انظر كتاب القوانين العقارية صحيفة ٣٧) مقتضاهُ انهُ ابتداء من اول ينايرسنة ١٨٩٧ تربط ضريبة على اطيان البور الخارجة عن الزمام التي تروى من الترعة النوبارية الصادر بانشائها دكريتو اول دليسمبر سنة ١٨٨٦ وان تتبع احكام المادة الثالثة من دكريتو ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٤ فيما يتعلق بتقرير هذه الضريبة على الاطيان المذكورة التي سبق اعطاؤها والتي يجوز اعطاؤها فيما بعد بناء على طلبات صحيحة قدمت بشأنها قبل صدور دكريتو ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٤

وفي ٢٩ مايو سنة ١٨٩٧ صدر امر من المالية لمدير البحيرة نمرة ٨٦٣ مفادهُ ان الحكومة قد دفعت كافة نفقات الترعة لعجز المنتفعين عن القيام بذلك وانهُ بالنظر لان اطيان تلك المنطقة لم تزل على حالة من الضعف تجعلها غير قادرة على القيام بما بقي بالمتأخر من النفقات مع ما يستحق منها فضلاً عن الاموال السنوية قد رأت المالية فرز اطيان النوبارية وتقدير ضريبة واحدة لكل قسم منها بقدر ما يستحق واعتبار هذه الضريبة بصفة مصاريف نوبارية الى ان تستوفي الحكومة بدل ما دفعتهُ . وكانت المالية قبل ذلك قد صرحت برفع ما تأخر من

اموال تلك الاطيان لغاية سنة ١٨٩٦ فاشارت في الامر نمرة ٨٦٢ السالف الذكر الى انهُ عدا ذلك كل ما يوجد عند فرز الاطيان تالفاً يرفع ايضاً ما يستحق عليهِ لا لغاية سنة ١٨٩٧ فقط بل لغاية سنة ١٩٠٠ التي هي نهاية مدة العشر السنوات المقسط عليها تحصيل نفقات الترعة النوبارية . وقد اعتبرت الترعة ذاتها من المنافع العمومية بأمر عال في ٦ دسمبر سنة ١٨٨٦ وعوينت الاطيان تعلق الاهالي فوجد منها ١٤٧٣٩ فداناً تالفة خصها من مصاريف النوبارية ١٣٥٥٥ جنيهاً رفعت على طرف الحكومة و١٧٩٤٦ فداناً تقدرت لها ضرائب مختلفة منها ١٠١٥١ فداناً بضريبة ٢٠ مليماً والباقي بضرائب تتفاوت بين ٥٠ مليماً على الاقل و٤٠٠ مليم على الاكثر لمدد مختلفة تنتهي بنهاية سنة ١٩٠١ ثم تعاد معاينتها

وفي ١٥ اكتوبر سنة ١٨٩٨ صدر امر المالية لمديرية البحيرة بانهُ ابتداء من سنة ١٨٩٩ لا تعرف الضرائب التي تحصل في منطقة النوبارية باسم مصاريف نوبارية كما كانت من قبل بل باسم اموال اطيان كبقية الاطيان المربوطة بالمال

هذا كل ما جرى في اطيان النوبارية

غرس الغابات والاحراش

الامر العالي الصادر في ٢٢ ابريل سنة ١٩٠٠

(المادة الاولى) الاراضي التي تخصص فقط لغرس او لزراعة اشجار الغابات والاحراش تعفى من كافة الضرائب مدة عشر سنوات تبتدىء من السنة التي تلي صدور الرخصة المنصوص عليها في المادة الثانية ثم يكون دفع المال عنها عن كل فدان سنوياً كما يأتي

قرشان صاغ في السنتين الحادية عشرة والثانية عشرة

وخمسة قروش صاغ في الثلاث السنوات التي بعدها

وعشرة قروش صاغ في الخمس السنوات التي بعدها

وبانقضاء السنة المتممة للعشرين تقدّر الحكومة قيمة الاراضي المذكورة وتربط عليها ضريبة بنسبة ايرادها اسوة بباقي أراضي القطر بحيث لا يتجاوز المال السنوي الذي يربط على كل فدان في ايّ حال من الاحوال خمسين قرشاً صاغاً

(المادة الثانية) اصحاب الاراضي الذين يرغبون الانتفاع بأحكام المادة السابقة يجب عليهم ان يقدموا طلباً لنظارة المالية للحصول على رخصة بذلك

(المادة الثالثة) الاراضي الصادرة بها الرخصة المذكورة بالمادة السابقة اذا تركت كلها

او جزء منها بدون أدنى زراعة او خصصت لاية زراعة اخرى يسقط حق صاحبها في الانتفاع بأحكام المادة الاولى سقوطاً كلياً او جزئياً وتدخل الارض تحت حكم القانون العام من حيث ربط المال ويكون سقوط الحق بمقتضى قرار من ناظر المالية بناء على معاينة مندوب من المديرية ومعهُ عمدة البلد واثنان من ارباب الاراضي بالناحية. والقرار الذي يصدره ناظر المالية لا يقبل الطعن فيهِ مطلقاً ويدرج بالجريدة الرسمية انتهى (انظر باب التقاريظ في هذا الجزء)

كتاب روزبري عن نبوليون

(٦) المندوبون

لما عقدت المعاهدة بين الدول المتحالفة في ٢ اغسطس سنة ١٨١٥ اشار الوزير كسلراي على النمسا وبروسيا وروسيا ان تنتدب كل دولة منهن رجلاً ترسلهُ مع نبوليون الى منفاه ليراقبهُ ويحقق وجودهُ فيهِ. اشار بذلك ثم ندم ولات ساعة مندم . واتفق المتعاهدون على ان يطلبوا من ملك فرنسا ايضاً ان يوفد مندوباً من قبلهِ لهذه الغاية . وابت بروسيا ان ترسل مندوبها حاسبةً ان نفقاتهِ تزيد على النفع الناتج لها منهُ واصابت في ما فعلت اما الدول الثلاث الاخرى فارسلن مندوبيهن ليتحققوا وجود نبوليون في منفاه وما منهم من رآهُ فيهِ مرأى العين الا واحداً رأى جثتهُ بعد موتهِ . وظن المندوب الروسي انهُ رآهُ مرة واقفاً على درج البيت الذي كان فيهِ والمندوب النمسوي انهُ رأى بنظارتهِ رجلاً على رأسهِ برنيطة مثلثة فحكم انهُ نبوليون وكذلك رأى المندوب الفرنسوي بنظارتهِ شبحاً ظنهُ نبوليون ثم اتيح لهُ ان يرى جثتهُ بعد وفاتهِ

ولما لم يكن لهؤلاء المندوبين عمل آخر يعملونهُ في الجزيرة جعلوا يقابلون حاكمها ويسألونهُ عن نبوليون ويطلبون منهُ ان يريهم اياهُ وهو ينظر اليهم كخصوم مناظرين لهُ في السلطة فيستثقلهم ويهرب منهم . وعلم نبوليون بتشوُّفهم الى رؤيتهِ فجعل يحترس منهم لئلا يروهُ ثم دعاهم مرةً للغداء معهُ فوقعوا في حيص بيص واخيراً بعث اليهِ المندوبان الروسي والنمسوي يقولان ان مقتضيات الحال لا تسمح لهما بذلك وبعث المندوب الفرنسوي يقول انهُ منتدب لحراستهِ لا لضيافتهِ

ويقال ان الوزير تلرند ارسل هذا المندوب انتقاماً من نبوليون لانهُ ثرثارة سخيف العقل ونبوليون لا يحتمل من كان كذلك فتشق مرارتهُ منهُ ويموت كمداً . لكن الحساب الذي حسبهُ لم يصح ومندوبهُ لم يكلم نبوليون ولا رآهُ

واسم هذا المندوب مركيز منشانو كان كولونلاً لما كان نبوليون ضابطاً صغيراً وكانا في فرقة واحدة من الجيش الفرنسوي وتناظرا في محبة فتاة اسمها مداموازل ده سان جرمان ففضلت رجلاً آخر عليهما واقترنت بهِ . وكان منشانو ماجناً خالع العذار على كبر سنهِ لانهُ كان قد ناهز الستين . وقد ارسلتهُ الحكومة الفرنسوية ليتحقق وجود نبوليون في الجزيرة ويراهُ بعينهِ كما تقدم فلما وصل اليها سأل حاكمها المرشال برتران عما اذا كان مولاهُ يرغب في رؤية المندوبين . فسألهُ نبوليون عما اذا كان المندوبون اتوهُ بمكاتيب من ملوكهم فقال الحاكم كلاَّ بل اتوا طبقاً لنص المعاهدة لكي يتحققوا وجودهُ . فقال نبوليون وهل معهم صورة من هذه المعاهدة ففتشوا عنها ووجدوا انهم لم يأتوا بصورة منها وهي التي تخولهم حق الاقامة هناك وبعد ان فتشوا عنها ثلاثة اسابيع وجد المندوب النمسوي عدداً من جريدة الديبا ملفوفة امتعتهُ بهِ وفيهِ صورة المعاهدة فارسلهُ الى نبوليون فاحتج نبوليون عليها ورفض مقابلة النواب بتاتاً ومن ثم زادت رغبتهم في رؤيتهِ حتى بلغت حد الجنون على ما قالهُ الحاكم لو . وحاول منشانو مرة ان يدخل بيت نبوليون عنوةً فقيل لهُ ان نبوليون اقسم ليقتلنَّ كل من يدخل بيتهُ فانثنى

وكان مع منشانو كاتب يكتب رسائلهُ وهو امتياز لهُ على المندوبين الآخرين لكن هذا الكاتب كان رقيباً عليهِ يكتب الرسائل ويعقب عليها كما يشاء فننقض اكثر ما فيها كقولهِ ان انتقاد المندوب على رفيقيهِ لا اساس لهُ وهو انما يذمُّ مالا يفعلهُ ولا يهتم بفعل شيء مما يطلب منهُ فعلهُ

واسم المندوب الروسي الكونت بلماين وكان الجميع يحبونهُ ويكرمونهُ لانهُ ظريف وديع رزين على الضد من منشانو المندوب الفرنسوي وقد امرهُ الامبراطور اسكندر ان يعامل نبوليون بالاحترام الواجب لشخصهِ ورسم بيدهِ خطاً تحت كلمة "الاحترام الواجب لشخصهِ" لزيادة التأكيد . والظاهر ان الحكومة الروسيَّة عدلت عن ذلك بعدئذٍ لانها طلبت من مؤتمر اكس لاشابل ان يظهر نبوليون نفسهُ مرتين كل يوم للمندوبين وان يجبر على ذلك بالقوة ان لم يفعلهُ برضاهُ ولكن عجزت كل قوَّات اوربا عن ان تجبرهُ عليهِ

وابتدأ الكونت بلماين عملهُ في جزيرة القديسة هيلانة بعشقهِ لفتاة اسمها مس برك ثم تركها واقترن بفتاة اخرى اسمها مس جنصن وهي ربيبة السر هدصن لو . ويظهر مما كتبهُ غورغار ومنتلون ان نبوليون كان يمنّي نفسهُ بان الامبراطور اسكندر يودُّهُ وانهُ عازم على ارجاعهِ الى اوربا والسعي في خلع البربون واعادتهِ الى عرش فرنسا . ويقال ان ذلك كلهُ مبني على رسالة ارسلها الامبراطور اسكندر الى نبوليون . وقد اقام لورد روزبري الادلة على ان الامبراطور اسكندر

لم يرسل رسالة الى نبوليون ولكنهُ لم ينفرِ امنية نبوليون ولا انهُ كتب كتابة في هذا الصدد ازال فيها بعض الشبهات التي اوقعت النفور بينهُ وبين روسيا آملاً ان تصل الى اوربا ويراها الامبراطور اسكندر فتتحرك فيهِ الشفقة عليهِ ويسعى في ارجاعهِ من منفاه' والاَّ فيرأف على ابنهِ حتى اذا عاد الى عرش فرنسا يوماً تكون روسيا صديقةً لهُ. لكن بلماين لم يدرِ بذلك ولا كان لهُ شأن في الدسائس التي كانت تجري في تلك الجزيرة

والمندوب النمسوي البارون ستُرمر كان شابًا في الثامنة والعشرين من عمرهِ لما وصل الى جزيرة القديسة هيلانة وكان امرهُ اصعب من رفيقيهِ لان حكومتهُ كانت تلحُّ عليهِ دائماً بالاتفاق مع حاكم الجزيرة والاتفاق معهُ ضرب من المحال. واراد نبوليون ان تكون لهُ علاقة مع هذا المندوب فارسل يسألهُ عما اذا كان يستطيع ان يأتمنهُ على رسالة يوصلها الى امبراطور النمسا اذا اصيب بداء عياه فاجاب البارون انهُ يسأل حكومتهُ عن ذلك ويرد عليهِ الجواب والظاهر انهُ سأل ولم يجب ثم استرجعتهُ النمسا بطلب انكلترا ووكلت مندوب فرنسا لينوب عنها فرآها منشانو فرصةً لزيادة رتبتهِ وراتبهِ فطلب من حكومتهِ ان يزاد راتبهُ ٥٠٠ جنيه في السنة ومن الحكومة النمسوية ١٢٠٠ جنيه

ولم تتفق تقارير هؤلاء النواب الثلاثة الاَّ في ثلاثة امور وهي الكراهة الشديدة للسر هدسن لو حاكم الجزيرة والشكوى من غلاء الاسعار فيها لطلب زيادة الراتب وتأثير هواء الجزيرة في اعصابهم

(٧) معيشة نبوليون في منفاه'

كانت مدينة لُنْوود التي أُنزل فيها نبوليون مجموع اكواخ اقيمت مزارب للبقر. والبيت الذي خصص لمنامتهِ غرفتان صغيرتان حقيرتان. ربُّ القصور الفاخرة الذي فتحت لهُ قصور الملوك والقياصرة ابوابها قضى السنين الاخيرة من عمرهِ في غرفتين طول كلٍّ منهما ١٤ قدماً وعرضها ١٢ قدماً وارتفاعها ١٠ اقدام في احداها سريرهُ الذي كان ينام فيهِ وهو في ميادين القتال ومقعد عتيق كان يجلس عليهِ ويضع كتبهُ حولهُ والغرفة صغيرة جدًّا ولكنهُ وضع فيها من آثار عظمتهِ ومجدهِ مغسلةً آنيتها من الفضة وصورة زوجتهِ الملكة ماري لويز وصورة ابنهِ ملك رومية راكبًا على حَمَل وتمثالاً نصفيًّا لابنهِ ايضاً وصورة لزوجتهِ الاولى جوزفين وساعة الملك فردرك الكبير التي اخذها من بوتسدام وساعتهُ لما كان قنصلاً معلَّقة بسلسلة من شعر زوجتهِ ماري لويز. وفي الغرفة الثانية مكتبة صغيرة ورفوف للكتب وسرير آخر يستريح عليهِ نهارًا وينتقل اليهِ اذا قلق ليلاً

وكان يتكئ في الصباح على المقعد لابساً لبسة المتفضل ورأسهُ ملفوف بمنديل وطوق قيمصهِ مفتوح وامامهُ المائدة عليها بعض الكتب . والكتب مبعثرة حولهُ في كل ناحية

ويلبس في النهار ثياب الصيد سترة خضراء ظلّ يلبسها الى ان زال زغب جوخها فقلبها لكي لا يلبس جوخاً انكليزياً وبنطلوناً من الكزمير وبرنيطةً مقرّنة . ولما مرّ عليهِ سنتان خلع البرنيطة ذات الثلاثة الالوان وامر خادمهُ ان يحتفظ بها الى ان تزول ايام البؤس وتعود ايام الصفاء

وكان يفطر وحدهُ الساعة الحادية عشرة صباحاً ويلبس ثيابهُ الساعة الثانية ويتعشى الساعة السابعة ثم صار يتعشّى الساعة الرابعة وعاد فجعل غداءهُ الساعة الثانية وعشاءهُ الساعة العاشرة . وكان يقضي نهارهُ في القراءة والكتابة والحديث واذا خرج للنزهة خرج بابهة الملك في مركبة كبيرة تجرها ستة من الجياد وغلامان بالثياب الرسمية على بابيها

ولم يكن يسمح لاحد من رجالهِ ان يجلس في حضرتهِ بل كان غورغو وبرتران ومنتلون يقفون امامهُ ساعات متوالية حتى ينهكهم التعب واذا عادهُ الطبيب اضطر ان يلبس ثيابهُ الرسمية ويقف بجانب سريرهِ حتى يكاد يغمى عليهِ من شدَّة التعب . وقال لهُ غورغو مرةً ان اهالي الصين يعبدون ملوكهم فقال هذا هو الواجب . واقام رجالهُ معهُ كل مدة منفاهُ لا يجسر احد منهم ان يدخل اليهِ من غير ان يدعوهُ او من غير ان يعيّن لهُ ساعة يقابلهُ فيها . ولا يستطيع احد ان يتكلَّم معهُ ما لم يأمرهُ بالكلام ولا ان يتكلم وبرنيطتهُ على رأسهِ ثم لما علم ان الانكليز مأمورون بان لا يكشفوا رؤوسهم حينما يكلمونهُ اباح لرجالهِ ان يكلموهُ من غير ان يكشفوا رؤوسهم

وكان يستاء من كل تقصير يبدو من رجالهِ وينتظر منهم ان يعاملوهُ كأَنهُ لا يزال على عرشهِ في باريس . ويُقدَّم لهُ الطعام على المائدة في صحاف من الذهب ويقف الخُدُل بالثياب الرسميَّة المقصبة ويُترك كرسي فارغ الى جانبهِ للامبراطورة لا يجلس فيه احد الاَّ بعض السيدات اللواتي يريد المبالغة في اكرامهن

وكانت مسرتهُ العظمى مطالعة الكتب الحديثة فكلما جاءهُ كتاب منها جلس يطالعهُ يوماً بعد يوم الى ان يتمهُ . وكان خروجهُ من البيت قليلاً جدًّا لانهُ كان يكره ان يرى احداً من الحراس او ان تقع عينهُ على الحاكم لو فيتذكر انهُ منفيٌّ . وقال انهُ ما دام في البيت فهو الامبراطور وكرامتهُ محفوظة ولذلك جعل يروّض جسمهُ داخلاً بالالعاب الرياضية وكان يملها احياناً وينقطع عنها فتنحرف صحتهُ وترم رجلاهُ . ويقضي جانباً من وقتهِ في حديقة صغيرة بجانب البيت يعمل فيها بيدهِ يركس ويغرس فتراهُ لابساً برنيطة من القش والرفش في يدهِ كاحد

العال . ورفع التراب على جوانب الحديقة حتى خشي "لو" ان لا يعود الحرّاس يرونهُ فامر بمنع ذلك ولكنهُ ترك التراب على حالهِ . واشترى اشجارًا كبيرة ونقلها الى هذه الحديقة وغرسها فيها وانفق على نقلها وغرسها نفقات طائلة

ولم يكن يحسن الكتابة والانشاء ولكنهُ كان يحسن الاملاء فيملي على كتّاب كثيرين في وقت واحد وقد يملي الليل كلهُ واذا تعب الكتّاب من الكتابة عزّاهم بقولهِ انهُ يترك لهم نشر ما كتبوهُ فيكون ربحهم منهُ كبيرًا

هذه كل وسائل التسلية التي كان يتسلّى بها وهي المطالعة والاملاء والركوب والعمل في الحديقة . واهتمّ مرةً بتربية الحملان ثم اهملها . واطلق لهُ لو بعض الارانب ليتسلّى بصيدها فدخلت حديقتهُ وكادت تأ كل ما فيها من المزروعات لكن قامت الجرذان عليها واكلتها او انقرضت بواسطة اخرى . واصطاد مرةً بعض الحيوانات رميًا بالرصاص وسمع لو صوت اطلاق الرصاص فجزع لئلا يصيب احدًا خطأً فيقع الاشكال في كيفية محاكمتهِ وبعث يسأل رجال القضاء في لندن عمّا يكون من ذلك

وكان يركب احيانًا وقال ان اجود خيلهِ جواد اسمهُ مراد بك لا الجواد مورنجو المشهور ويلعب الشطرنج ولكنهُ لم يكن ماهرًا فيهِ ولا كان يصبر على الانغلاب فيضطر ملاعبهُ ان ينغلب لهُ . وكان يغش ملاعبهُ ولكنهُ لا يأخذ الرهان منهُ بل يضحك عليهِ قائلاً اني خدعتك

وكان يحب القراءة بصوت عالٍ على مسمع من الحضور وكثيرًا ما كان يقرأ كتبًا مملّة فيملها السامعون وينعسون فينقم عليهم . وكان يعجب بقراءة كورنيل وراسين والف ليلة وليلة وكثيرًا ما كان يقرأ التوراة وترجمة هوميروس وفرجيليوس وتاريخ هيوم ورواية زاير تأليف ڤولتير ونحو ذلك من الكتب والقصص

وقد شبههُ روزبري باسد في قفص يمشي فيهِ ذهابًا وايابًا بلا تعب ولا ملل وينظر الى ماحولهُ بعين اليئس الغضوب ولا غرابة لان ذلك المنفى كاد يقضي على اتباعهِ فكم كان فعلهُ بهِ

وكان في اكثر الاحيان يظهر الجلَد ويخفي الكمد وكثيرًا ما كان يأخذ كتابًا من الكتب السنوية التي كانت تصدر في زمن ملكهِ ويقول " لقد كان ملكاً مجيدًا — كنت املك على ثلاثة وثمانين مليونًا من النفوس — اكثر من نصف سكان اوربا " ثم يقلّب صفحات الكتاب ويحاول اظهار الجلد بالدمدمة (اي بترنيم اغنية بصوت منخفض) وذات مرة القى رأسهُ على الكتاب ثم تنهّد وقال " تعب " كلها الحياة وعبث اين كل ما انشأتهُ لقد تقوّض وسأنسى كما نُسي " وقال في وقت آخر " سينساني التاريخ لانني خُلعتُ ولو امكنني ان اترك الملك لولدي من

بعدي لكان الامر على غير ذلك" . والظاهر ان الاسف على الماضي والخوف من المستقبل كانا كالسوس في عظامهِ فتجرَّع غصص المنون ست سنوات متواليات ولما لم ترحمهُ منصرفاً تنصرف فيهِ بقيت في نفسهِ توّبهُ وتعذبهُ . ولو اتيح لهُ ان يعمل عملاً ما لانفرج همهُ واطمأنت نفسهُ ولقد كان رجل العمل والجد لا يكلُّ ولا يملُّ ورأى ان يسلي نفسهُ و يصرف قوى عقلهِ وجسدهِ في شيءٍ ما لئلا تنصرف في توبيخهِ كالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكلهُ فاشتغل بتعلم اللغة الانكليزية ليقرأ صحف الاخبار و بالاملاء على كتّابهِ و بذكر مساوىء حرَّاسهِ الا ان هذه الامور كانت كالفتات الذي يقتات بهِ الغني بعد ما يفتقر . ولا مثيل للحالة التي كان فيها لان الملوك الذين خُلعوا مثلهُ قضي عليهم حالاً . وقد حاول هو ان ينجو من تلك الحياة المرَّة فلم يتيسر لهُ ذلك لا بالقتل في حومة الوغى ولا بالانتحار . وكانت انكلترا تود ان الفرنسويين يقتلونهُ شنقاً او رمياً بالرصاص لتتخلص من عار قتلهِ فلم يفعلوا ولذلك اتحدت مع اوربا على تضييق خناقهِ حينما رأت قوتهُ اعظم من ان يحتملها سلام العالم

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

بعض عوائد الزواج

قال احد العلماء ان الزواج انعم الحالات التي يتقلب المرء عليها في هذه الحياة وآمنها ولا ريب انهُ اقدمها . وقال احد علماء الالمان لم يمرّ على نوع الانسان زمنٌ الاَّ كان للزواج فيهِ شأن كبير . فان الانسان المتوحش معروف بشدة ميلهِ الى الزواج فهو يتزوج باكرًا وقد يتزوج مرارًا . ومن الناس من يحسب العزوبة عارًا فإما ان يتزوج العزب او ينبذ من قومهِ . وعندهم ان من ينبذ من قومهِ في هذه الدنيا ينبذ في الآخرة ايضاً . فاهل فيجي يعتقدون مثلاً ان من يموت عزباً يلاقيهِ الاله ننجا نجا وهو ذاهب الى الفردوس و يضربهُ بمطرقتهِ حتى يموت ثانية وكلما مات وقصد الفردوس جرى لهُ مثلما جرى المرة الاولى الى ما لا نهاية لهُ . والعزب عند الكفرة

من سكان جنوبي افريقية مرذول لا قول لهُ ولا كلمة ولو اشتعل رأسهُ شيباً . وبعض القبائل يحلقون رأس العزب ولا يسمحون لهُ باطلاق شعرهِ كأنهُ مجرمٌ . والعزباء عندهم اندر من الكبريت الاحمر . والهنود ينزلون الاعزب منزلة الاحمق والابله

وكان الفتى عند بعض المتوحشين اذا ترعرع ورام الزواج تأبط هراوتهُ وخرج يطلب عروساً لهُ حتى اذا أصاب اول فتاة ضربها بهراوتهِ على رأسها وجرَّها الى بيتهِ بقدميها كأنهُ يجرُّ صيداً حتى كان الفتيات ينفرن من الزواج ويختبئن في منازلهن خشية ان يعاملن بمثل تلك المعاملة الوحشية . وعليهِ ذهب بعض الفلاسفة الى ان حياء البنات على ما هو مشهور ناشئ عن هذه العادة التي جرى الانسان قديماً عليها

ويسام الخطَّاب في كثير من القبائل الهمجية الوان العذاب قبل ان يحظوا بالفتاة التي يرومون التزوج منها . فاذا طلب اثنان فتاة واشكل عليها وعلى اهلها اختيار افضلهما عمدوا الى الطريقة الآتية للفصل في الامر . وهي انهم يربطون سكيناً في كلٍّ من زندي الفتاة ويجلسونها بين طالبيها فتضع رامي السكينين على فخذيهما وتحني الى الامام حتى تدخل السكينان فيهما فمن كان منهما اشدَّ احتمالاً لالم الجراح حظي بها . واول عمل تعملهُ بعد الزواج انها تضمد الجراحات التي كانت سببها

ولفتيات مدغسكر طريقة اخرى في اختيار الزوج وهي ان يؤتى برجل ماهر في رشق الحراب ويوقف الطالب على مسافة منهُ فيأخذ رامي الحراب في رشق حرابهِ ويؤمر الطالب بتلقيها بين ذراعهِ وجنبهِ . فاذا بدا عليهِ الخوف والوجل أو أفلتت حربة من يدهِ نُبذ نَبذ النواة والاَّ فاذا ثبت ثبات الشجاع ولم يدع حربة تفلت منهُ اختارتهُ الفتاة زوجاً لها

ومهر الفتاة يختلف باختلاف القبائل والبطون التي تنتمي اليها . فمهرها في اوغندا ثلاثة ثيران وست ابر للخياطة . ومهرها بين بعض قبائل الهنود سلتان مملؤتان ارزاً وربية من النقود المتداولة . وفي ساموى قوارب وخنازير وغيرها من ممتلكات العريس . وفي فيجي سنُّ فيل او بندقية قديمة

وكثير من القبائل الهمجية حريصة على نسبها تغار على حفظهِ فالبشمن من سكان افريقية لايزوجون ولا يتزوجون من غير قبائلهم وكذلك الهوتنتوت . وتعدد الازواج والزوجات شائع في جميع جهات المسكونة ولكنهُ الشذوذ والزواج الافرادي القاعدة

وعوائد الاعراس تختلف كثيراً على ما هو معلوم ومن اغربها ان عقد الزواج لايحسب كاملاً بين بعض قبائل البرازيل حتى يشرب الضيوف ويسكروا ويبيتوا وهم لايستطيعون

حراكاً ولا نهوضاً . وعند غيرهم انهُ اذا اكل الفتى والفتاة الذرة من قصعة واحدة تحتم زواجهما وبعض الناس يربطون العروسين معاً ويصبون عليهما ماء بارداً

ماري كورلّي

وسرُّ نجاحها

ليس بين المولعين بقراءة الروايات احد يجهل اسم "ماري كورلّي" فان شهرتها في رواياتها طبقت الآفاق فاقبل الناس على مشتراها وقراءتها اقبال الجياع على القصاع . وآخر رواية اصدرتها قصة غرامية عنوانها "رجل الله" ارادت بهِ كاهناً عمرهُ اربعون سنة رأى فتاة عمرها ٢٧ فنفر منها حين رآها ثم جعل حبها يأخذ بمجامع قلبهِ الى ان كلف بها حتى اذا كانت ذات يوم في الصيد سقطت سقطة كادت تودي بها فاغمي عليها ولما استفاقت رأت محبها بجانبها ففاتحها بالزواج فلم تخيب لهُ املاً بل تزوجت بهِ بعد شفائها مما ألمَّ بها

وقد انتقد المستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية هذه الرواية او قرائها تحت عنوان "ما هو السرُّ في نجاح ماري كورلّي" فقال ان اقبال الناس على روايتها الاخيرة لا علاقة لهُ بمحاسن الرواية سواء كان ذلك في عنوانها او في ما تحويهِ بل ان سببهُ كون الرواية من قلم ماري كورلّي لاغير . ولم يكن بدٌّ من اقبال الناس على مشترى روايتها مهما سمتها ومهما ضمنتها لانها اكتسبت رضى قرائها من قبلُ ولا يزالون راعين عهد ودّها مخلصين الولاء لها

ومن غريب أمر مؤلفي الروايات في انكلترا ان اشهرهم بين جمهور الامة مجهولون في الدوائر العلمية الادبية وبين اهالي الطبقة العليا ومع ذلك فان قراء رواياتهم يعدون بمئات الالوف على حين ان المعروفين في الدوائر العليا يغبطون انفسهم اذا وجدوا عشرة آلاف نفس يقرأون رواياتهم . خذ مثالاً لذلك جورج مرديث فان نسبة رواج رواياتهِ الى رواج روايات ماري كورلي كنسبة واحد الى عشرة وذلك لان ماري كورلي تعرف ما يريد الجمهور فتقدمهُ اليهِ على ما يشاءُ من السرعة . وليس في كتابتها للروايات ولا في سرد وقائعها شيء من الابتكار فان رواياتها بسيطة ولكنها تصيب الغرض الذي وضعت لهُ ولا تخطئهُ . وهي ليست بائعة تصورات وافكار ولا ناشرة حقائق جديدة بل محدثة تقصُّ عليك قصة بسيطة كأنها تصدقها وتعطف على ابطال رواياتها وتجعل قراءها يعطفون عليهم . وزد على ذلك كلهِ انها تثق كلَّ الثقة بنفسها ولعلَّ هذا هو السرُّ الاعظم في ثقة كثيرين بها



الكتابة العصرية

لحضرة الدكتورين الفاضلين

قرأت في بعض الصحف السورية مقالة اجلتُ رائد فكري في سجعها جولة بحاث واطلقت الذوق في غضونها فالفيتها (ولا نكران للمعاناة) نهج بها منهجاً لم تسلكهُ الآن حملة الاقلام ولا كتبة العصر فان مهيع السجع ومنهج النثر في صفحات الجرائد السيارة قد نسجت عليهِ عناكب الاهمال

اقول في صفحات الجرائد لئلا يخال الواقف نضوب معينهِ وارتاج بابهِ راساً كلاَّ فان سبيلهُ مسلوك في المقامات لا في مقالات المجلات. لذلك اتيت بكلماتي هذه اناقش من ينتهج هذا المنهج المهجور من حملة الاقلام واحرضهم تحريض اخٍ مشفق يرغب في رقيّ افكار مواطنيهِ وسمو كتاباتهم وان لا يغتروا بمادحٍ كان الاجدر ان يستبدل بها مشرب المحققين من وضع مثل ذلك في كفتي التقريظ والانتقاد. ولكن اين نحن ؟

قضت حكمة الله في هذا الوجود ان يلبس كل عصرٍ حلة تلائم طباع ذويهِ ومظهراً يوافق افكارهم فيأتي على طبق ما عندهم ووفق ما لديهم

ليس بخافٍ على الكبير والصغير والرفيع والحقير ما لبس هذا العصر من لباس المدنية الحقة وتحلَّى بحلة الترقي والتنوُّر فكان منهُ بروز الجرائد والمجلات في قالب التفنن وظهورها في مظاهر التعليم وكأنها آلت على نفسها ان لا تفترع المقالات العلمية او الادبية الاَّ مدبجةً بالبلاغة مدبجة بيراع البراعة فتنشر في انحاء المعمور نشرها وعمَّ الامم نفعها كل ذلك والايجاز شعارها والاختصار البليغ دثارها مع حسن سبك ورشاقة تعبير واطراح تكلف في سجع الاَّ عفواً

ذلك شأن الجرائد والمجلات العالية وعلى خطتها سرى الكتاب رامقة تلك الحالة بلحظ الاستحسان فاخذت تنشىء المقالات على طرزها المتقن ناسجة برودها على منوالها البديع فاتسع التخيل في دائرة مفكرتهم وطفق يسبح في تيار المعاني وبديع البيان وذاك النثر (المرسل) الذي لا يتقيد بقافية هو بلا ريب السحر الحلال

وانما تمسكت الكتاب باهدابهِ وعضت عليهِ بنواجذ الحرص لامور :

اولها : لعدم التكلف من الايجاز وبديهي ان (خير الكلام ما قل ودل) اذ يكتفي الحكيم بشذرة من مطبوعة عن تحبير مقالةٍ مسجوعة

ثانيها : محافظة على الوقت ودفعاً لما يعاني من الآلام لان الاسجاع لاتلبي الطباع الا بعد عناء ونصب

ثالثها : دفعاً لاظهار الكلفة فان المرسل المشتمل على قليل من السجع يجيء عفواً وتكتسي العبارة بهاء الطبع الساذج فيكون اوقع في القلوب واحلى في النفوس

رابعها : الفرار من تكرار قافية سبقت او استعارة مضت وشبه ذلك مما لاتخلو عنهُ الاسجاع

خامسها : كما قال بن الاصبع : عدم ارتكاب المعنى الساقط واللفظ السافل لانهُ ربما استدعى كلمة للقطع رغبة في السجع لجاءت نافرة من اخوتها قلقة في مكانتها

سادسها : التخلص من تشويه وجوه المعاني فان الاصل في الحسن ترك المعاني على سجيتها فتكسى الالفاظ مايليق بها فيحسن اللفظ والمعنى جميعاً . واذا قصد تحصيل الجناسات اللفظية والمطابقات البديعية جاءت المعاني تابعة للالفاظ فتشوهت وكانت كنصل من خشب في غمدٍ من ذهب اذ يوقع سامعهُ من طلب المعنى في خبط عشواء ويقع مقصودهُ منهُ في عمياء وللتفاضل في هذا الاصل قيل في المحاكمة بين الصاحب والصابيء : ان الصاحب كان يكتب كما يريد والصابيء كان يكتب كما يؤمر وشتان مابين الحالين

وثمة وجوه أُخر فليرعَ الناثر في محابرها يراعهُ وليحرز قصبات السبق ان شاء الله

دمشق صلاح الدين القاسمي

النفس وجدران المنازل

جناب الدكتورين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

بينما كنت اطالع في الجزء الثالث من المجلد السادس والعشرين من مجلتكم البهية عثرت على هذا السؤال وهو أصحيح ان انفاس السكان تقوي جدران المساكن فرجحتم عدم صحة ذلك بالنسبة لوجود الهياكل القديمة ثابتة منذ الوف من السنين ولا ساكن فيها ولكن لا مناسبة بين بناء القدماء والبناء الحالي واننا لو بنينا بيتاً وهجرناهُ كهذه الهياكل لانهدم بعد بضع سنين لكنكم لو انعمتم نظركم قليلاً لعلمتم ما سأقول

ثبت في علم الكيمياء ان المونة التي هي السبب في لحم الاحجار بعضها ببعض يحجر جيرها بامتصاص الغاز الكربونيك (Anhydride carbonique) فيصير البناء كحجر واحد

ومعلوم ان الهواء يحتوي على ٣ من عشرة آلاف من هذا الغاز والانسان يستنشق الهواء محتوياً على هذه الكمية من الغاز ويتنفسهُ محتوياً على ٤ و ٤ في المائة فعلى ذلك تكون انفاس السكان هي السبب في تقوية الجدران باحتوائها على كمية وافرة من هذا الغاز يمتصها البناء

شفيق سعدالله حلابه

[المقتطف] لقد اصبتم في تعليلكم اما نحن فان سؤال السائل صرف ذهننا الى بيوت (اللبن) الطوب التي التي يسكنها جمهور الاهلين في هذا القطر وكنا كلما رأيناها نعجب من البون الشاسع بينها وبين المباني الباقية من عهد اسلافهم . لكن الغالب ان جير المباني يتصلب بامتصاص الحامض الكربونيك الذائب في ماء المطر. اما الحامض الكربونيك الخارج مع النفس فيصيب البياض الداخلي ولا يصل منهُ شيء يذكر الى المونة (الطين) بين الحجارة

تاريخ السودان

اطلع حضرة الشاعر الناثر اسعد افندي داغر على كتاب تاريخ السودان تأليف حضرة عزتلو نعوم بك شقير فقرظهُ بهذه الابيات

أَحييتَ في تاريخك السودانا	وحليت عاطل جيدها فازدانا
وجلوتها بطراز وصف فاخرت	في حسنهِ الاقطار والبلدانا
عرَّفتها في الخافقين وقد قضت	بين الورى مجهولة ازمانا
كانت كسرّ في حشى افريقيا	كرُّ الليالي زادهُ كتمانا
خفيتْ حقيقة امرها لم يستطع	حتى مجاورها لها تبيانا
غشّى محياها سواد الجهل من	قدم فسمّي اهلها سودانا
ودجا بها داجي الخمول فلم يجد	احد سواك لكشفهِ امكانا
جلّيت في تاريخك الابهام عن	وجهِ الحقيقة فاستهلّ وبانا
وخدمت فيهِ العلم اكبر خدمةٍ	كانت لفضلك في الورى برهانا
ورفعت فيهِ للبلاغة رايةً	نصبت لمعناك البديع بيانا
عانيت جهدًا فيهِ لم ترَ كاتباً	قاساهُ قبلك يا همام وعانى

وجعلتهُ لثبات عزمك آيةً	ولصدق حزمك دائماً عنوانا
ضمنتهُ بحثاً عن السودان لم	نرَ مثلهُ مستوفياً اتقانا
بحثاً احاط بها فعمَّ جمادها	والنبت والحيوان والانسانا
ووصفت فيهِ سهولها وجبالها	وهواءها والمدن والسكانا
وصفاً كفاهُ انهُ ما كان في ال	امكان احسن قطُّ مما كانا
اخلصت في نار التدبر سبك ما	قررتهُ فجلوتهُ عقيانا
ذهباً مصفًّى لم يشبهُ قط من	زيف يخالط غيرهُ احيانا
وامطت عن سكانها حجب الخفا	اصلاً وفرعاً مذهباً ولسانا
وذكرتَ فيهِ عن القبائل نبذة	لقيت لدى قرَّائها استحسانا
وشفعتها عن اهلهم بخواطر	جاءت كما شئنا وشئتَ حسانا
وأبنت عن دولاتهم ما غلّنا	اروى فقلنا حسبنا وكفانا
وافدتنا عن احمد المهديّ ما	ملأ الجيوب واترع الاردانا
بيَّنتَ منشاهُ ومطمحهُ وما	افضى اليهِ وما عليهِ اعانا
وذكرت من غزواتهِ ما هولهُ	راع الكماة وشيَّب الولدانا
ورويت عن وقعاتهِ ما غادر ال	اشلا تلالاً والدما غدرانا
والمدن قفراً بلقعاً يزقو بها	يوم الخراب وينذب العمرانا
فطغى وحكَّم في الرقاب مناجلاً	تفري الرؤوس وتحصد الابدانا
وعلى بني حام اناخ بكلكلِ ال	بؤسى فزادوا ذلة وهوانا
وتجرَّعوا الارهاق من يد ذلك ال	باغي صنوفاً والشقا الوانا
حتى تلافى الله امر هلاكهم	ولهم اتاح على النجا اعوانا
غشيت جيوش المنقذين بلادهم	تجتثُّ منها الظلم والعدوانا
فاستأصلت منها الفساد واهلها	منحت سلاماً دائماً وامانا
ذا كلهُ فصَّلتهُ مستأهلاً	منا عليهِ المدح والشكرانا
وانا بحق قلت فيك مؤرخاً	احييت في تاريخك السودانا
١٩٠٣	١٥٣ ١٢٣١ ٩٠ ٤٢٩

باب الزراعة

جمع القطن وثمنه

انشأت جريدة السينتفك اميركان مقالة موضوعها الحاجة الى آلة تجمع القطن ابانت فيها ان نفقات جمع القطن في اميركا تزيد على نفقات زرعهِ وانهُ يستحيل ان تتسع زراعتهُ الاتساع المطلوب ما لم تستنبط آلة لجمعهِ تقل بها نفقات الجمع لان العمال الذين يمكن استخدامهم في جمع القطن عددهم محدود واذا اشتدَّ الطلب عليهم والمناظرة زادت اجورهم ايضاً فان نفقات الجمع تبلغ خمس نفقات الزراعة كلها و يستطيع زارعوهُ ان يوسعوا زراعتهم ولكنهم لا يستطيعون ان يجدوا انفارًا يكفون لجمعهِ قبلما يتلفهُ المطر والصقيع . والمزارع الذي يستطيع ان يزرع ثلاثين فدانًا بواسطة الآلات والادوات لا يستطيع هو واربعة معهُ ان يجمعوا قطن هذه الثلاثين فدانًا . وقد تدعو الحال الى جمع القطن كلهِ في شهر من الزمان وهناك الصعوبة الكبرى فتتضاعف اجور العمال وتتضاعف النفقات

والنفر الواحد يجمع في يومهِ مئة رطل من القطن اي نحو ثلث قنطار من القطن الشعر وقد بلغت اجرة جمع الموسم الاميركي سنة ١٩٠٣ اكثر من سبعين مليون ريال او نحو خمس ثمن القطن

وواضح مما تقدَّم انهُ يُنفق على جمع قنطار القطن الاميركاني ثلاثون غرشاً او مضاعف ما ينفق في القطر المصري . و يظهر انهُ لا يتعذَّر استنباط آلة تقوم مقام يد الانسان في جمع القطن ولذلك ولقلة عدد الناس الذين يمكن ان يتفرغوا اياماً قليلة من السنة لجمعهِ تبقى زراعتهُ في اميركا محدودة وكميتهُ مقاربةً للمقطوعية

مستقبل القطن الاميركاني

ان اهم الامور التي ينظر اليها ارباب الاطيان في هذا القطر والذين يقصدون احياء الارض الموات فيهِ مستقبل زراعة القطن في اميركا . فقد قيل ان البلاد التي يزرع القطن فيها تبلغ مساحتها نحو خمس مئة الف فدان فان كان الامر كذلك واتسعت زراعة القطن في اميركا حتى صارت اربعة اضعاف ما هي الان عادت الاسعار الى ما كانت منذ عشر سنوات

لكن المستر فودن سكرتير الجمعيَّة الزراعيَّة كتب في هذا الموضوع ان الاراضي الصالحة للزراعة في تلك البلاد لا تزيد على ٣٥٠ مليون فدان ولا يمكن ان يخصص لزرع القطن الأ عشرها اي ٣٥ مليون فدان فيكون محصول هذه الاطيان من ١٦ مليون بالة الى ٢٠ مليون بالة على الاكثر اي قدر ما يلزم للمقطوعية بعد عشرين سنة · ولا يبلغ المحصول هذا المبلغ الاخير الأ اذا بلغ محصول الفدان ٢٢٠ رطلاً من القطن الشعر وذلك نادر جدًّا في اميركا والغالب ان يكون المحصول اقل من ٢٠٠ رطل وقد لا يزيد على ٧٠ رطلاً

ثم ابان ان زيادة المحصول من الفدان ممكنة بزيادة الاعتناء والانتقاء ولكن ذلك يقتضي ان يزيد الفلاحون علماً واجتهادًا وهذا ليس بالامر السهل ثم ان العائق الاكبر للزراعة في اميركا هو الاحوال الجوية فقد توافق الزراعة فيبلغ محصول الفدان ٢٢٠ رطلاً كما حدث سنة ١٨٩٨ وهو الاكثر وقد لا توافقها فيبلغ محصول الفدان ١٦٨ رطلاً كما حدث سنة ١٩٠٣ والفرق بين المحصولين نحو ٢٥ في المئة

وتبقى ايضاً مسألة وجود العمال لجمع القطن وهي التي اوضحناها في النبذة المتقدمة · ومن رأي المستر فودن انهُ يتعذر استنباط آلة لجمع القطن . ولذلك كلهِ لا خوف من ان القطن الاميركاني يزيد زيادة بالغة في المستقبل القريب ولا انهُ يزيد على المقطوعية في البعيد وسيبقى القطن المصري في مقامهِ ولو تضاعفت كميتهُ

الحاجة الى القطن

ذكرنا في الجزء الاول من اجزاء هذه السنة ما نشرهُ مجلس التجارة في اميركا عن عدد مغازل القطن في الدنيا ويظهر منهُ ان عدد المغازل كان نحو ١٠٤ ملايين سنة ١٨٩٩ فبلغ نحو ١١٢ مليونًا سنة ١٩٠٣ فالزيادة ثمانية ملايين مغزل نصفها في الولايات المتحدة الاميركية والنصف الآخر في سائر ممالك الارض

ويظهر من خطبة القاها سكرتير مجمع زراعة القطن البريطاني في مؤتمر معامل القطن الذي التأم حديثاً في مدينة زورك ان محصول القطن الآن لا يكفي المعامل المنشأة لغزلهِ ونسجهِ ولا يكفي المقطوعية الحاضرة ثم ان المقطوعية تزيد سنة بعد سنة اكثر مما يزيد محصول القطن

ولما كان نصف القطن من الولايات المتحدة فاصحابهُ يستطيعون ان يتحكموا باسعارهِ كما يشاؤُون · ثم ان الموسم الاميركي معرض للاسباب الجوية ففي سنة ١٨٩٩ كانت مساحة

الاراضي المزروعة قطناً في اميركا ٢٣ مليون فدان وبلغ محصولها ١١ مليوناً وربع مليون من البالات . وهذه السنة بلغ مساحة الارض المزروعة قطناً ٢٨ مليون فدان ومع ذلك لا ينتظران يبلغ المحصول ١١ مليون بالة . ويضاف الى الاسباب الجوية قلّة وجود الانفار فان السود الذين كانوا يعملون في زرع القطن جعلوا ينتقلون الى المدن حيث توجد المعامل ليعملوا فيها

ثم ان الاوربيين قد فتحوا بلداناً واسعة في افريقية وغيرها فسيزيد الطلب على المنسوجات القطنية لكساء سكانها وستزيد المقطوعية سبعة ملايين بالة في مدة عشر سنوات اي نحو اربعين مليون قنطار او سبعة اضعاف محصول القطن المصري فمهما اتسعت مساحة الاراضي الزراعية في هذا القطر لاتفي بجزء مما تدعو اليهِ زيادة المقطوعية

زراعة الليمون في سيسيليا

يكثر الليمون والبرتقال في اكثر ولايات سيسيليا واجود البرتقال في ولاية قطانيا وبلرمو وهناك البرتقال الاحمر وبرتقال الڤانلا والمندرين . ويرسل الليمون والبرتقال من سيسيليا في صناديق صغيرة وكبيرة يوضع فيها صفوفاً صفين او اربعة او خمسة ملفوفاً بورق متين وبينهُ قصاصة الورق تملأ الخلايا ولا بدّ من ان يقطف قبلما ينضج ليتحمل السفر فلا يكون لذيذاً مثل الذي ينضج على امهِ . وتغرس اشجار الليمون والبرتقال في سيسيليا في صفوف البعد بينها خمسة امتار ويجود الشجر في الاراضي الرملية او الحجرية قرب الانهر والغدران ولا يجود في الاراضي الطينية المتماسكة الاجزاء لانهُ يصعب على الجذر السريان فيها . ولا بد من تسميد الاشجار جيداً ولو مرة في السنة وذلك بان تحفر حفرة على نحو متر من اصل الشجرة ويدفن الزبل فيها والغالب ان تسمَّد بالزبل المختمر جيداً ممزوجاً بالرماد والعظام وهو احسن سماد لها. واجود الاثمار ما عقد من زهر ابريل وهو ينضج في اكتوبر ويتلوهُ ما عقد من زهر مايو وهو ينضج في نوفمبر ودسمبر . وزهر يونيو ينضج ثمرهُ في يناير وفبراير وزهر يوليو يسقط ولا يعقد . وزهر اغسطس ينضج في مارس وزهر سبتمبر اجود منهُ وينضج ثمرهُ في ابريل ومايو وزهر اكتوبر ونوفمبر ودسمبر يحسب رجعياً وينضج ثمرهُ في يونيو ويوليو واغسطس وسبتمبر . وزهر يناير وفبراير ومارس لا يثمر الاَّ قليلاً . فاشجار الليمون والبرتقال تزهر وتثمر هناك على مدار السنة

وتقطف اول قطفة في اكتوبر وترسل الى انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة في صناديق

تختلف في حجمها باختلاف هذه البلدان وتباع باغلى الاثمان. والقطفة الثانية في نوفمبر وهي اجود من الاولى ولكنها لا تباع غالية مثلها وترسل اكثرها الى اميركا وروسيا يرسل الجيد منها واما ما دونهُ فيستعمل لاستخراج عصير الليمون والزيت العطري من قشره

وقطفة دسمبر دون هذه ويصدر نصفها والنصف الآخر يصنع منهُ عصير الليمون والزيت العطري . وقطفة يناير اقل جودة من قطفة دسمبر وكذلك قطفة فبراير ومارس وهذه دون الجميع واجود منها قطفة ابريل واما قطفة مايو فثمينة وترسل الى الولايات المتحدة في صناديق صغيرة . وقطفتا يونيو ويوليو ترسلان الى لندن وليڤربول وتريسته واميركا

واذا بلغت غلة البستان الواحد ١١٠٠٠٠ ليمونة فالغالب انها تكون موزعة على شهور السنة هكذا

في اكتوبر	١٥٠٠٠	ليمونة
في نوفمبر	٣٠٠٠٠	"
في دسمبر	٢٥٠٠٠	"
في يناير	٢٠٠٠٠	"
في فبراير	١٠٠٠٠	"
في مارس	١٠٠٠	"
من ابريل الى سبتمبر	٩٠٠٠	"
والجملة	١١٠٠٠٠	

ولا بدَّ من تقضيب الاشجار حتى تكون عالية قليلة الاتساع فتسهل حركة الرياح بينها واذا زاد حملها وجب ان تسند فروعها لئلا تنكسر بثقلها . وتروى في الصيف مرةً في الاسبوع ويذاب لها السماد في الماء ولا يترك شيء من العشب ينمو بينها . وقد تزرع الخضر تحتها لان غلتها تفي بنفقات التسميد والحرث ولكن زرعها يضرُّ بالشجر . ويكون الليمون في اوله نارنجاً ثم يطعَّم برتقالاً

وتختار الاراضي القريبة من ساحل البحر لزرع الليمون لان حرارة الهواء قليلة التغير هناك ولكن لابدَّ من ان يوقى الشجر من عصف الرياح بزرع اشجار اخرى حول بساتينه

ويصدر كل سنة من سيسيليا من الليمون والبرتقال ما ثمنهُ مليون جنيه الى مليون وربع يرسل اكثرها الى الولايات المتحدة الاميركية فالنمسا والمجر وروسيا فالمانيا فانكلترا فكندا فاستراليا فاسوج ونروج ففرنسا فهولندا

باب التقريظ والانتقاد

كتاب الاطيان والضرائب

اذا قُدِّرت الكتب بلزومها للجمهور الاكبر من الاهلين ونفعها لهم فكتاب الاطيان والضرائب كتاب الشهر بل كتاب السنة . كنَّا بالامس نبحث عن مشكلة من المشاكل التي تقع احياناً لاصحاب الاطيان في هذا القطر وسألنا كثيرين من الذين لهم الالمام الواسع بهذهِ المسائل فلم نجد الجواب الشافي فقصدنا مؤلف الكتاب حضرة الوجيه الفاضل جرجس بك حنين مدير الاموال المقررة في نظارة المالية فاستحضر كراساً من كتابهِ وارانا اياهُ فوجدنا فيهِ ضالَّتنا المنشودة . ثم اطلعنا على الكتاب كلهِ فاذا هو خزانة فوائد لا يستغني عنهُ احد من اصحاب الاطيان في هذا القطر كبيراً كان او صغيراً غنياً او فقيراً

ومعلوم ان اقتناء الاطيان اهم معايش هذا القطر فان عدد الممولين فيهِ يبلغ نحو مليون وثلثمئة الف نفس . والممول رئيس بيت والغالب ان لا يقلَّ اهل بيتهِ عن زوجة وثلاثة اولاد او اربعة فيكون بمثابة خمسة انفس او ستة وعليهِ فقلما يخلو احد من اصحاب البيوت من عقار ومن علاقات ومعاملات مالية تتعلَّق بالضرائب والري والصرف وحدود الاطيان وفك الزمام ونحو ذلك مما تكثر المعاملات فيهِ ولا بدَّ من معرفتهِ معرفة تامَّة للتخلُّص من المشاكل . وتتعذَّر هذه المعرفة غالباً لتفرقها في اوامر ومنشورات كثيرة عديدة بعضها ينسخ بعضاً ومعظمها مجهول عند الجمهور كما ترى في الفصل الذي نقلناهُ من هذا الكتاب عن اطيان النوبارية . ولا شبهة في ان حضرة المؤلف الفاضل رأى حاجة الجمهور فبادر الى سدّها بهذا الكتاب المستطاب ولم يقتصر على ذلك بل ضمنهُ كثيراً من الفوائد التي يتوق الى معرفتها سكان هذا القطر وغيرهم من الذين لهم علاقة بهِ وببلاد السودان فانهُ ذكر فيهِ جغرافية القطر المصري وخلاصة تاريخهِ وتاريخ التقسيم الاداري فيهِ من زمن محمد علي الكبير وتاريخ نظارة المالية المصرية وديون الحكومة وما رهن لها من الاملاك وانواع الضرائب وفك الزمام والاطيان التي اعطيت للاهالي والعربان وتعويض نقص المساحة وتعديل الضرائب ورفعها عن الشراقي والتوالف واقساطها ونحو ذلك

وكل ما في الكتاب مقتطف من المصادر الرسمية ومشفوع بملاحظات للمؤلف مبنيَّة على

اخبارهِ الطويل · وهو مطبوع في مطبعة بولاق الاميرية على ورق جيد ولا بدَّ من ان يكثر الاقبال عليهِ للانتفاع بهِ · فللمؤلف الفاضل الشكر الجزيل على هذه التحفة السنية

الارجوزة العصرية

ان النفوس الحية الشديدة الشعور لا بدَّ وان ترى في نهضة اليابان وما بدا منها اخيرًا وما نشرناهُ عنها منذ بضع سنوات الى الآن ولا سيما ما ترجمناهُ عن احد ابنائها ونشرناهُ في الجزء الثامن من المقتطف عظةً وذكرى ومجالاً واسعاً لانهاض الهمم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر في ما تبنى عليهِ معالم الامم وتشاد دعائم عمرانها · وهذا ما فعلهُ صديقنا الابر المحامي الشهير والخطيب المفوَّه اخنوخ افندي فانوس الذي تمثلت فيهِ الغيرة الوطنية الصحيحة ووجدت لها من جنانهِ ولسانهِ وبنانهِ وبيانهِ خير معرب وافصح مبين فقد نظم ارجوزة بليغة المعاني محكمة المباني نحا فيها نحو ابن الهبارية رحمهُ الله في كتابهِ الصادح والباغم بدأها بالاشارة الى نهضة اليابان والفوز المبين الذي فازتهُ فقال ان فوزها

قد حيَّر الالباب والعقولا ... اذ خالف المعقول والمنقولا
وكل يوم يُكشَف الستارُ ... عن آية فيها النهى تحارُ
لكن هذه آية الزمانِ ... هادية الشيوخ والشبانِ
قوامها العلة والمعلولُ ... لكل شيء سبب معقولُ
وهكذا الامور بالاسبابِ ... كذا براها سيد الاربابِ
لما اراد نهضة اليابانِ ... من درك الخمول والخسرانِ
اسعدها المنان بالميكادو ... وحاطها السداد والرشادُ
فمنح الرعية الحريهْ ... في الدين والآراء والرويهْ
فانطلق البنان واللسانُ ... لخدمةِ الاوطان والجنانُ
لا يعرفون طرق التعصُّبِ ... المهلك المقوِّض المخرّبِ
ليس لدين عندهم مزيهْ ... على السوى بل كلها مرعيهْ
تلك هي الاسبابُ وهي السرُّ ... في نهضة قد حار فيها الفكرُ

ثم استطرد الى ما اوصى بهِ الامير شوتوكو قومهُ على ما جاء في الجزء الثامن من المقتطف فقال

وهي على ما قيل من شوتوكو ... جوهرة او ذهب مسبوكُ
اذ راح يوصي قومهُ الوفاقا ... لانهُ عن كل فضل فاقا

والطاعةُ العمياءُ للقانونِ من واجبات الرجل الامينِ
لاشيءَ يحمي حوزة الاوطانِ الآ وئام محكم البنيانِ

ولما اتمَّ نظم تلك الوصايا قال

فاخذوا القديم والجديدا واستخلصوا من بينها المجيدا

ولم يعترضوا عليها بما يعترض به اية الاديان الشائعة في بلادنا — اليهودية والمسيحيَّة والاسلاميَّة . ثم عاد الى وصف ما فعلهُ اهالي اليابان فقال انهم

لم يعبأوا بالقيل والاقوالِ وترَّهات الغفَّلِ الجهالِ
بل اسرعوا في طلب المعالي من بابها يشرونها بالغالي
لانهم قد عشقوا الاوطانا وكل شيءٍ دونها قد هانا
فادركوا من كل فن احسنَهْ وعظَّموا مَن منهمُ قد اتقنَهْ
فصار فيهم الطبيب الماهرُ ألنابغ المكتشف المثابرُ
واصبحت سيدة البحار حليفة لاختها تجاري

ثم التفت الى ما يمكن ان يقع من المباراة بين انكلترا واليابان في مستقبل الازمان وذهب الى ما يذهب اليهِ كثيرون من ان نهضة اليابان ستُنهض امم المشرق كلها متحدة على امم الغرب. ثم عاد الى وصف الخطَّة التي جرت عليها اليابان في نهوضها وصيرورتها بلاداً دستورية والتفت منها الى النصح والارشاد فقال

فهكذا الرجال والابطالُ والعلماء الحكما الاقيالُ
وهكذا الملوك والرعيَّهْ انعم بها من امَّة عليَّهْ
فهذه حكاية اليابانِ وصدقها بالسمع والعيانِ
عسى تكون عظة لقومي توقظهم من غفلة ونوم

ثم افاض في النصح والارشاد فذكر كثيرًا من المسائل الهامَّة دينيَّة وادبيَّة واجتماعية وختم الارجوزة باقوال وجهها الى السدة الخديوية فقال

اليك يا مليكنا المعظَّما ابسط كفًّا سائلاً مسترحما
رعاية للأمَّة الحزينهْ قبل فوات الفرص الثمينهْ
فاوسعن للفضلا المجالا تحطُّ في رحابك الرحالا
واقصينَّ الكاذب الخسيسا وابعدنَّ اخائن الدسيسا
واجعل لديك الرتب السنيَّهْ جوهرة ثمينة عليَّهْ

يناهـا النوابغ العظامُ اهل العلى الافاضل الاعلامُ
فتزدهي في ملكك الآدابُ ويختفي من ارضك المعابُ

والارجوزة طويلة فيها اكثر من اربع مئة بيت وقد قدَّم لها مقدَّمة بليغة خاطب بها الامَّة المصرية خصوصاً والانسانية عموماً فقال انا من عشاق ابناء وطني بل من عشَّاق نوع الانسان ولا يصدق حسب العاشق الاَّ بالاخلاص فكرًا وقولاً وعملاً ولا اخلاص الاَّ بالمجاهرة بالحق ولما كان الحق ثقيلاً وكان الشعر روحاً خفيفاً لطيفاً كالنسيم تهواهُ النفوس او كالشهد حلو الطعم لذيذ المذاق رأيت اني في حاجة الى تخيُّرهِ موصلاً للحقيقة الى امتي ابناء جامعتي الصادقة الحقيقية جامعة الانسانية وشهدًا يحمل عقاقيرها المرَّة الشافية فاقبلت عليهِ اقبال المجاهد المتكلف فجاء كما هو حاملاً للحقيقة السمحاء وضيعاً في لفظهِ شريفاً بها

كالنور يحصرهُ الزجاج فيزدهي سطعاً بهِ فتجلُّهُ الابصارُ

الاقتضاب

في شرح أدب الكتَّاب

هذا كتاب في آداب اللغة العربية لابن السيد البطليوسي شرح فيهِ كتاب أدب الكتَّاب لمؤلفهِ محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة وهو ثلاثة اجزاء في مجلد واحد. وقد طبع على نفقة حضرة الاديبين خليل افندي قلفاط وسليم افندي ميداني صاحبي المكتبة الكلية في بيروت ووقف على طبعهِ واعتنى بمراجعة اصلهِ وصحح ما وجد فيهِ من التحريف والتصحيف حضرة اللغوي المدقق عبد الله افندي البستاني استاذ العربية في المدرسة البطريركية ببيروت فجاء كتاباً مفيدًا في اللغة العربية لا غنى عنهُ لمن يروم التضلع منها وخصوصاً تلامذة المدارس

وخير ما يقال في وصفهِ ما ورد في مقدمتهِ من قلم شارحهِ حيث قال "غرضي في كتابي هذا تفسير خطبة الكتاب الموسوم بأدب الكتَّاب وذكر اصناف الكتبة ومراتبهم وجلّ ما يحتاجون اليهِ في صناعتهم ثم الكلام بعد ذلك على نكت من هذا الديوان يجب التنبيه عليها والارشاد اليها ثم الكلام على مشكل اعراب اباتهِ ومعانيها وذكر ما يحضرني من اسماء قائليها وقد قسمتهُ ثلاثة اجزاء . الجزء الاول في شرح الخطبة وما يتعلق بها من ذكر اصناف الكتَّاب وآلاتهم . والجزء الثاني في التنبيه على ما غلط فيهِ واضع الكتاب او الناقلون عنهُ وما منع منهُ وهو جائز . والجزء الثالث في شرح اباتهِ "

اما اذا جاز لنا وصفهُ بكلمة او كلمتين قلنا انهُ جعبة فوائد متنوعة لانهُ جامع لكثير مما في كتاب درة الغواص في اغلاط الخواص للحريري ومما في كتابي فقه اللغة والالفاظ الكتابية ومما يلحن فيهِ العوام

والمؤلف والشارح كلاهما من فطاحل اللغويين المعدودين عاش الاول منهما في القرن الثالث للهجرة والثاني في الخامس والسادس

برنامج أخوية القديس مارون

اتحفنا حضرة الاديب الفاضل يوسف افندي خطار غانم رئيس أخوية القديس مارون في بيروت بالجزء الثاني من برنامج اخوية القديس مارون وهو يشتمل على تراجم ورسوم اصحاب الغبطة والسيادة البطريرك ماري الياس الحويك بطريرك انطاكية ورؤساء اساقفة بيروت وطرابلس ودمشق وحلب وسائر المشرق وعلى تراجم الاساقفة الذين سبقوهم من اوائل القرن السادس عشر الى يومنا هذا

والكتاب جزء من ثمانية اجزاء وقد وعد المؤلف بان يصدر البقية متضمنة نبذة من تاريخ الرهبانيات وتراجم رجال الكهنوت ونبذة اجمالية في تاريخ العيال الشهيرة مع رسوم كبار رجالها وتراجم كبار موظفي الدولة العثمانية ومشاهير العلماء والادباء والوجهاء في سورية

وورق هذا الجزء وطبعهُ على احسن ما يكون وقد حوى ترجمات بعض الاعلام الذين لهم شأن كبير في ديوان العلم والادب كالسمعاني صاحب كتاب المكتبة الشرقية والمطران جرمانوس فرحات صاحب القاموس المسمى احكام باب الاعراب

تاريخ البابية

ألف هذا الكتاب حضرة زعيم الدولة الدكتور ميرزا محمد مهدي خان الايراني نزيل مصر . افتتحهُ بمقدمة ضمنها بيان الغرض من تأليفهِ واتبعها بتمهيد في اصول الديانات الشهيرة كالبوذية واليهودية والمسيحية والاسلامية ثم استطرد الى بيان احوال ميرزا علي محمد الشيرازي الملقب بالباب وزعيم البابية وشرح ديانتهُ وذكر ما اصابهُ من حين اعلان مذهبهِ الى مقتلهِ في تبريز وما تخلل ذلك من اقبال الناس عليهِ ونفيهِ وسجنهِ وجنوح اتباعهِ الى الثورة

ويلي ذلك فصول في اخلاقهِ وشرائعهِ وشذرات من مذهبهِ ونفي البابية من ايران وبعض شعائرهم وعوائدهم . وقد قال في مقدمتهِ انهُ استند في كل ما كتبهُ الى الاخبار والدو

واختباره هو نفسهِ لان والده رأى الباب وباحثهُ وجادلهُ بحضر الملك السعيد (ناصر الدين شاه) ايام كان وليًّا لعهد الدولة الايرانية الى ان قال "ونحن ايضاً قصدنا مدينة عكاء وعاشرنا ميرزا حسين علي الملقب بالبهاء واختبرناه وصاحبنا ردحة من الزمن انجالهُ وغيرهم من وجوه القوم وعظماء الطائفة البهائية وذلك سنة ١٣٠٨ هجرية"

وقد تبرع بثمن الكتاب لاغاثة الملهوفين واعانة المنكوبين من المسلمين

كتاب الامامة والسياسة

هو كتاب قديم مشهور الفهُ الامام الفقيه ابو محمد عبدالله بن مسلم المعروف بابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هجرية . وضمنهُ تاريخ الخلافة الاسلامية من عهد ابي بكر الصديق الى عهد خلافة المأمون بن الرشيد . وقد جدد طبعهُ حضرة الاديب محمد افندي محمود الرافعي فاعتنى بطبعهِ وصححهُ وشرح بعض مسائلهِ وكلماتهِ اللغوية وقال في خاتمتهِ "وقد وقع الينا منهُ ثلاث نسخ قديمة العهد بعيدة زمن الكتابة ولكنها مع ذلك لم تسلم من عبث النساخ ... حتى اضطررنا ان نرجع في اكثرها الى عراض الكتب وامهات التاريخ" فاستحق ثناء ابناء العربية لان الكتاب من الكتب النفيسة التي تحلى بها المكاتب ولا سيما بعد ان اجاد طبعهُ وتجليدهُ

صحة المرأة

في ادوار حياتها

ألَّف هذا الكتاب حضرة الدكتور احمد افندي عيسى في "القواعد الصحية التي ينبغي ان تتبعها الفتاة حال البلوغ والزواج والمرأة في الحمل والولادة والنفاس والرضاع ووظيفتها نحو اطفالها" وهو تسعة عشر بابًا تحتها فصول عديدة في علامات البلوغ في الانثى وزواجها وامراضها وعقمها وحملها واجهاضها وولادتها وصحة مولودها وكيفية العناية بهِ ونفاسها وبلوغها طوري الياس والشيخوخة . وفيهِ بعض الرسوم ولغة الكتاب حسنة وطبعهُ متقن وهو لاغنى عنهُ لكل امّ تهمها صحتها وصحة اطفالها فنثني على مؤلفهِ الفاضل طيّب الثناء

طائفة الاطباء بالاسكندرية

أُهدي الينا كراس بهذا العنوان يتضمن ترتيب طائفة الاطباء في الاسكندرية وقوانينها واعمالها التي صدقت عليها الجمعية العمومية المعقودة في ٦ اغسطس الماضي . وقد

وضع هذا الكراس بالفرنسوية فترجمهُ عنها حضرة الاديب سليم افندي عواد من طلبة الحقوق وفيهِ عدا ما تقدم فصول في العلائق بين الاطباء واتعاب الطبيب ومصالح الصناعة والمستشفيات واسماء الاطباء الذين يتألف منهم مجلس الطائفة · ورئيسها الدكتور شيس بك وسكرتيرها العمومي الدكتور كولوريدي



باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج سؤَالهُ بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلةً فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) قشر السلاحف

صنتا مرتا بكولمبيا · الخواجه ميلاد ابرهيم الشدياق · ارسلت اليكم مع هذا البريد قشرة سلحفاة تسمَّى بلغة هذه البلاد كري وارجو ان تفيدوني هل لهذا القشر اسم في اللغة العربية وهل يوجد هذا الحيوان في البحار الشرقية وهو كثير في اميركا الجنوبيَّة يصطاد من البحر ومن البر ايضاً في شهر اغسطس (آب) حين يطلع الى البر لكي يبيض ويباع قشرهُ في انكلترا وثمن الكيلو من الجيد منهُ ٦٥ فرنكاً

ج · ان قشر السلاحف معروف عند العرب لان السلاحف كثيرة في البحار الشرقية ويسميهِ اهالي مصر الباغا واسمهُ في العربية الذبل قال في لسان العرب والذَّبْل ظهر السلحفاة "وفي المحكم جلد السلحفاة البرية وقيل البحرية يجعل منهُ الامشاط ويجعل منهُ المسك ايضاً (الاسورة والخلاخيل) وقال الجوهري الذَّبل شيء كالعاج وهو ظهر السلحفاة البرية يتخذ منهُ السوار · وواضح من ذلك كلهِ ان الامشاط والاسورة والدماليج كانت تصنع من قشور السلاحف منذ اكثر من الف سنة كما تصنع منها الآن واهالي مصر يطعمون بها الخشب كما يطعمونهُ بعرق اللؤْلؤ والعاج ويصنعون منهُ الملاعق الثمينة · وقد وصلنا ما ارسلتموهُ منهُ

(٢) إطالة القامة

جكسنفيل باميركا . الخواجه عبده داود · امامنا الآن اعلان شركة الغضروف تدَّعي انها تطيل قامة الانسان الذي لم يتجاوز سنهُ

الخامسة والثلاثين من عقدتين الى خمس عقد فهل في ذلك شيء من الصحة

ج . اطلعنا على اعلان هذه الشركة ولا نرى ما يمنع صحتهُ لان جسم الانسان اطول في الصباح بعد ان يقيم مستلقياً الليل كلهُ منهُ في المساء بعد ان يقضي النهار واقفاً او ماشياً فاذا قضي اكثر وقتهِ مستلقياً وشدَّ جسمهُ قليلاً شدا لا يؤلمهُ ولا يتعبهُ فلا يبعد ان يطول عقدةً او عقدتين

(٣) السعي والقعود

المنتزه . بدران افندي احمد . اجمع الناس طرًّا على ان الانسان يلزمهُ السعي والجد حتى ينال رزقهُ الاَّ ان احد الشعراء خالفهم في ذلك وقال

يا طالب الرزق في الآفاق مجتهداً
اقصر عناك فان الرزق مقسومُ
الرزق يأتي الى من ليس يطلبهُ
وطالب الرزق يسعى وهو محرومُ

ولما كنت اعرف ان الشعراء لا يقولون قولاً الاَّ بعد طول الفكر والروية كتبت اسأل الاجابة عن رأيكم في ذلك

ج . رأينا مع رأي الجمهور وهو ان من سعى رعى ومن طلب جلب ومن جال نال وان كان لقول الشعراء قيمة فالذين قالوا مثل ذلك كثار جدًّا قال ابن نباتة

حاول جسيمات الامور ولا تقل
ان المحامد والعلى ارزاقُ
وارغب بنفسك ان تكون مقصرًا
عن غاية فيها الطلاب سباقُ

وقال ابو تمام

ما ابيضَّ وجه المرء في طلب العلى
حتى يسوّد وجههُ في البيدِ

وقال المتنبي

على قدر اهل العزم تأتي العزائمُ
وتأتي على قدر الكرام الكرائمُ

وقال غيرهُ

فقُلْ لمرجّي معالي الامور
بغير اجتهاد رجوتَ المحالا

وقال الآخر

وقلَّ من جدَّ في امرٍ يحاولهُ
واستصحبَ الصبر الاَّ فاز بالظفرِ

(٤) الجنون

ومنهُ ماهو الجنون

ج . خلل في بناء الدماغ فان الدماغ آلة القوى العقلية فاذا اختلَّ اختلت معهُ فكان الجنون من خللها

(٥) فرنسا وانكلترا والرهبنات

مصر . الخواجه يوسف بساراني . دولتان مسيحيتان دولة فرنسا ودولة انكلترا الأولى ترغب في طرد البعثات الدينيَّة من بلادها والثانية تكرم وفادتهم وتبذل كل مرتخص وغالٍ لحمايتهم فما الداعي لكره الاولى ومحبة الثانية

ج . ان فرنسا جمهورية واكثر شعبها

من الكاثوليك وقد ظهر لها ان الطغمات الدينيَّة التي اخرجتها من بلادها تعمل على مقاومة الحكومة الجمهورية وارجاع الملكية وتأثيرها شديد في جمهور الشعب اما انكلترا فاكثر شعبها من البروتستانت ولا تأثير للرهبنات الكاثوليكية فيهم ولا حكومتها جمهورية تخشى منهم بأساً وهي تكرم وفادتهم كما تكرم وفادة كل من يلجأُ اليها

(٦) الدوريّ ونقل العدوى

ومنهُ . تقولون في مقتطفكم ان العصفور الدوري ينقل عدوى الامراض المعدية من مكان الى آخر وقد بلغنا ان العصفور الدوري يهرب من كل مكان تنتشر فيهِ الكوليرا فلو كان ينقل العدوى حقيقةً لكان يزيد في البلاد التي تنتشر الكوليرا فيها ولا يهجرها

ج . اولاً لاصحة لما يقال من ان العصفور الدوري يغادر البلاد التي تنتشر الكوليرا فيها . وثانياً ان القول بنقلهِ لعدوى الامراض المعدية لا يستلزم نقلهُ لعدوى كل مرض وانما هو ينقل عدوى الامراض التي يتصل اليها كأَنْ يقع على الحبوب التي تطعم منها دجاج مصابة بكوليرا الدجاج ويلتقطها ثم يقع على الحبوب التي تُطعم منها دجاج سليمة فينقل الدعوى من الاولى الى الثانية وهذا واقع بالمشاهدة

مصر . محمد افندي عبد الحليم . . . .

ج . ان الشاب الذي تشيرون اليهِ مصاب اما بالتهاب بسيط او بقيلة مائية او دموية وفي كل الاحوال لا بدَّ من ان يراه طبيب فيشخص المرض ويصف العلاج ومهما يكن الامر فلا بدَّ لهُ من ان يقلل المشي ويستعمل كيس الصفن وهو موجود في الصيدليات

(٧) الثآليل

مصر . شفيق افندي سعد الله حلابه .

ما سبب بروز الثآليل في جسم الانسان وما اسهل علاج لازالتها

ج . ان سبب الثآليل العادية غير معلوم او قد يكون سببها تهيج موضعي وكثيرًا ما تزول من نفسها فان لم تزل وكان لها عنق تربط بخيط حرير وتشدّ فتسقط بعد يومين او ثلاثة والاَّ فتنزع بمقراض اعقف ويعالج مكانها كما يعالج الجرح البسيط او تمس بمادة كاوية كالحامض الخليك الصرف او بنترات الفضة . وقد ازلنا ثؤلولاً كبيرًا بحليب التين مسسناهُ بهِ بضع مرات فوقع من نفسهِ . وجرَّبنا في مرة اخرى فعل الوهم فاشرنا على ابنة ان تمس ثؤلولاً في يدها بسائل اعطيناها اياهُ وتكرَّر ذلك بضعة ايام فزال الثؤلول وكان السائل ماء صرفاً فيهِ قليل من الملح وماء كولونيا ولا ندري هل زال الثؤلول من نفسهِ كما يزول عادةً او زال بفعل الوهم

(٨) المطالعة

ومنهُ . اذا اكثرت من المطالعة في حالة

الاضطجاع شعرت بدوار حينما اقوم وامشي بخلاف ما اذا قرأت وانا جالس فما سبب ذلك وما احسن كيفية يكون عليها المطالع

ج . الظاهر انهُ يتورَّد كثير من دمكم الى رأسكم وانتم تطالعون مضطجعين فاذا وقفتم نزل الدم بغتةً من الراس فنتج الدوار كما ينتج في انيميا الدماغ . واحسن وضع في المطالعة ان يجلس الانسان منتصباً ورأسهُ مائل قليلاً الى الامام و يضع الكتاب امامهُ مائلاً حتى يكون موازيًا لوجههِ

(٩) اتقان اللغة الانكليزية

اسنا . احد المشتركين . ما هي افيد طريقة لاتقان اللغة الانكليزية لشخص حائز للشهادة الابتدائية

ج . ان يكثر من مطالعة الكتب والروايات الحسنة الانشاء ويكرّر قراءة ما يطالعهُ مرارًا وان يكاتب احد الانكليز على ان يصلح لهُ هذا ما يكاتبهُ بهِ

(١٠) الروايات المترجمة عن الانكليزية

ومنهُ . اذكروا لنا بعض الروايات العربية التي اصلها انكليزي لكي نقابل بين الترجمة والاصل

ج . كل الروايات التي ترجمناها نحن او ترجمت في ادارتنا اصلها انكليزي مثل رواية تنكرد لدزرائلي ورواية كليوباطرة لجورج ايبرس ورواية الشهامة والعفاف واصلها رواية ايفنهو للسر ولتر سكوت ورواية عروسة النيل وهي لجورج ايبرس ايضاً والرواية التي نشرت في مقتطف هذه السنة

(١١) حفظ البيض

ومنهُ . نرجوان تفيدونا عن طريقة لحفظ البيض من الفساد

ج . اذا راجعتم سني المقتطف الماضية وجدتم فيها طرقاً كثيرة لحفظ البيض من الفساد

(١٢) نمو الاظافر بعد قرطها

مصر . احد المشتركين . قرأنا شرحكم الكافي في مقتطفكم عن عادة قرط الاظافر . ونحن نعرف سيدةً عاكفة على هذه العادة منذ خمس واربعين سنة مداومة عليها بلا فتور حتى انها توصلت الى قرط جلد اناملها . والغريب انها تجد ما تقرطهُ دائماً فهل تنمو الاظافر دوامًا حتى تكفي لما يقطع منها

ج . يظهر لكم انها تنمو كذلك . والظاهر ان اصل اظافر هذه السيدة يبقى متهيجاً فيكثر ورود الدم اليهِ وتغذية اصول الاظافر لكي يسرع نموها اكثر من المعتاد . وذلك امر عادي فقد رأينا بعض النوامي الحبيبية تنمو عند اصل الظفر فيبلغ جرمها جرم الحمصة في اربع وعشرين ساعة ثم تُقطَع وتنمو كذلك في يوم آخر لشدَّة تهيُّج ما حولها



اوجه القمر في شهر دسمبر

	اليوم	الساعة	الدقيقة
الهلال	٧	٥	٣٦ صباحاً
الربع الاول	١٥	٠	٧ ٠
البدر	٢٢	٨	١ مساء
الربع الاخير	٢٩	٥	٤٦ ٠

مواقع السيارات

يكون عطارد نجم المساء ويسهل رصده في اوائل الشهر ثم يقترب من الشمس في اواخره

والزهرة نجم المساء وتبقى ظاهرة ثلاث ساعات بعد غروب الشمس

والمريخ يطلع الساعة ١ والدقيقة ٣٠ صباحاً

والمشتري يحتجب الساعة الثامنة مساء ويغيب الساعة الثانية صباحاً

وزحل يظهر اربع ساعات في المساء نحو الساعة التاسعة مساء

الاستاذ فسك

فاتنا ان ننعي الى قراء المقتطف رجلاً فاضلاً عرفوه من اهتمامهِ الشديد بكتابة اللغة المصرية العامة بحروف رومانية وهو

الاستاذ فسك الاميركي

ولد في ولاية نيويورك سنة ١٨٣١ ودرس في مدرسة هملتون الكلية واتمَّ دروسهُ في مدرسة ابسالا الجامعة باسوج . وجعل مساعداً في مكتبة استور العمومية بمدينة نيويورك ومن ثمَّ شرع في جمع مكتبة كبيرة من الكتب الاسلندية فجمع منها ٧٥٠٠ مجلد وهي اوسع مكتبة في الدنيا من نوعها . واشتغل بامور مختلفة فحرَّر كتاب مؤتمر لعب الشطرنج في نيويورك وجُعل سكرتيرًا للجمعية الجغرافية وأُتبع بسفارة اميركا في فينا . ثم جُعل استاذًا في مدرسة كورنل الجامعة للغات شمالي اوربا ومديرًا لمكتبتها . وزار اسلندا سنة ١٨٧٥ فاحتفلت بهِ احتفالاً عظيماً واولم لهُ البارلمنت وليمة فاخرة دامت الليل كلهُ . واقترن سنة ١٨٨٠ بسيدة ذات ثروة طائلة توفيت في السنة التالية فترك اميركا واتى فلورنسا وابتاع قصرًا فاخرًا فيها كان يضيف فيهِ اصدقاءهُ من جميع الاقطار فينزلون على الرحب والسعة ويرون من الاثاث والرياش ما لا يُرى الاَّ في قصور الملوك . وظلَّ مهتمًا بجمع الكتب النادرة فجمع ٧٠٠٠ مجلد من كتب دنتي

و٤٥٠٠ من كتب بترك . وبين الكتب التي جمعها كتب غالية جدًّا يساوي الكتاب منها بضعة آلاف من الجنيهات

وكان واسع الخبرة كثير الاصدقاء عارفاً بكل شهير في الدنيا محبوباً من الجميع . وهو من الكتّاب المعدودين والشعراء المجيدين . زار القطر المصري مرارًا ولهُ فيهِ اصدقاء عديدون وقد اهتمَّ بالعربيَّة المحكية فيهِ وانفق نفقات طائلة على جمعها وكتابتها بالحروف الرومانية

فائدة الطعام الغليظ

لم يذكر احد الطعام الغليظ الذي يعسر مضغهُ ويعسر هضمهُ الاَّ قال انهُ مضرٌّ بالصحة الاَّ ان الدكتور سِم ولص قرأ مقالةً في مجمع اطباء الاسنان البريطاني بيَّن فيها فائدة الطعام الغليظ للاسنان وللمعدة ايضاً فقال ان اسنان الذين يأكلون الاطعمة الغليظة اجود جدًّا من اسنان الذين يأكلون الاطعمة اللينة السهلة الهضم ومعد اولئك وامعاؤهم اجود من معد هؤلاء وامعائهم اي ان الطعام الذي يقتضي مضغاً كثيرًا هو افضل للاسنان وللمعدة وللامعاء ايضاً لانهُ يمرنها على العمل ويقويها

ولقد بذلت الوسائل الفعالة لمقاومة الامراض وتقليل فتكها ولكن الامراض الناتجة عن ضعف الهضم اي عن اكل الاطعمة اللينة التي لاتقوي الاسنان والحنك ولا تقوي المعدة والامعاء لاتزال آخذة في الازدياد . وقام الاطباء ينهون عن اطعام الاطفال المآكل الغليظة التي تقتضي المضغ الشديد وذكروا لهذا النهي اسباباً شتى ولكن التجارب اثبتت ان الاطفال الذين ياكلون الطعام الغليظ الذي يحتاج الى مضغ كثير تجود صحتهم ويكونون اصلح حالاً من الذين يأكلون الطعام اللين السهل المضغ . ويؤيد ذلك ان اولاد الجبال اصح من اولاد المدن

وقد زاد سوء الهضم والقبض حتى صارا من امراض التمدُّن وزاد ايضاً التهاب الزائدة الدودية لانهُ صار يبقى فيها اطعمة فاسدة لا تستطيع الامعاء ان تخرجها منها

وصار همُّ الامهات موجهاً الى منع كل طعام عسر الهضم عن اطفالهنَّ فيصير عمر الطفل بضع سنوات وهو لا يأكل الاَّ اللبن والاطعمة المطبوخة باللبن حينما يجب ان يأكل كل شيءٍ . ومن الغريب ان الاطباء يساعدون الامهات على ارتكاب هذا الخطإِ الفظيع عوضاً عن ان يشيروا على الجميع بأكل كل الاطعمة التي استعدت لها اسنان الناس ومعدهم وامعاؤهم مدة القرون الكثيرة التي وجد فيها نوع الانسان

مستقبل اليابان الصناعي

كتب احد اليابانيين مقالات كثيرة بيَّن فيها ان مستقبل اليابان صناعي وانها

ستفوق في الصناعة والتجارة ام الارض لان الفحم الحجري كثير فيها واهاليها حاذقون في الصناعة جدًا والمواد الاصلية كثيرة عندهم او يسهل جلبها من البلدان القريبة منهم والاجور رخيصة واسباب المعيشة ميسورة وكل ذلك مسهل لارتقاء الصناعة فيها

فهم القطط

كتب بعضهم الى جريدة نانشر يقول رأيت ثلاث قطط تعمل اعمالاً تدلُّ على الفكر والادراك . الاولى قطة كانت لتاجر مكتبهُ بجانب بيتهِ . وبينما كان ذات يوم جالسًا في المكتب جاءهُ خادمهُ يسأله ان كان قد قرع الجرس له فاجابهُ كلاَّ . وفعل الخادم ذلك مرارًا حتى قلق سيدهُ من كثرة تردده عليهِ بلا داعٍ وعزم على المراقبة ليرى من يدق الجرس . وبينما هو يفكر في ما عسى ان يكون سبب قرعهِ اذا بهِ يدقُّ من غرفة الاكل لجاوب عليهِ وكان الذي قرعهُ قطتهُ فلما سمعت جوابهُ فرّت هاربة . فحبسها يومًا في الغرفة فقرعت الجرس على عادتها وكان كلما حبسها فيها تقرعهُ بلا خلاف

والثانية قطة لرجل آخر كان جالسًا في مكتبتهِ ليلاً يقرأُ فاذا بها دخلت وجعلت تموء وتمرُّ مخالبها عليهِ ثم تركض نحو الباب واعادت ذلك مرارًا فنهض من مجلسهِ وتبعها فسارت امامهُ الى المطبخ فرأى الطباخة نائمة قرب النار وقد سقطت جمرة على ملابسها فاخذت تحترق فأفاقها واطفأ النار ولولا الهرة لهلكت

والثالثة هرة وضعت جراء فاخذتهنَّ خادمة المنزل واغرقتهنَّ جميعًا لانهنَّ كن يتعبنها وجاء ميعاد ولادة الهرة مرة اخرى فوضعت جراءها في مكان مستتر من غرفة النوم حيث لاتدخل الخادمة الاَّ نادرًا . فجعل اهل البيت يبحثون عن مكانهنَّ وهم لايهتدون اليهِ حتى اذا دخلت ربة المنزل غرفة النوم ذات ليلة سمعت صوتًا كما من هرة تقفز من مكان عالٍ فأضاءت المصباح فوجدت الهرة واقفة عند الباب ورأت احد ستائر النافذة معلويًا على الفراش والجراء عليهِ فوضعتهنَّ في سلة ووضعت السلة امام نار المطبخ . فغافلت الهرة اهل البيت ونقلت جراءها الى مكان في المكتبة يصعب الاهتداء اليهنَّ فيهِ . وانما فعلت ذلك لان الخادمة المذكورة قلما تدخل المكتبة وخصوصًا في المساء حين يكون سيدها جالسًا يقرأُ

وذكر آخر قطة كانت تقرقع امام باب المنزل كلما أُقفل الباب وتركت خارجًا كأنها تقرع ليفتح لها واخرى كانت تقصد نافذة الغرفة المضيئة ليلاً وتحدث صوتًا على الزجاج كأنها تستأذن في الدخول

موسم القطن المصري

ثبت الآن ان موسم هذا العام اقل مما قدّر به اولاً فقد بلغ الوارد منهُ الى الاسكندرية حتى ٢٥ نوفمبر ٢٢٦١٤٨٣ قنطاراً يقابلهُ في العام الماضي ٢٦٩٧٠١١ والمصدر الى الخارج ١٥٤٧٩٤٩ يقابلهُ ١٦٣٥٠٥٩ والباقي في الاسكندرية ١١٢٢٥٣٢ يقابلهُ في العام الماضي ١١٣٠٩٥٢ فقلّ الوارد الى الاسكندرية ٤٣٦ الف قنطار عما كان في العام الماضي . ويرجح الآن ان موسم هذا العام لا يبلغ ستة ملايين قنطار واكثر النقص في مديرية البحيرة والجهات الشمالية من مديرية الغربية فان حاصل بعض الاطيان لم يبلغ ثلث ما كان يبلغهُ عادةً . ومع ذلك لم ترتفع الاسعار حتى الآن على نسبة قلة المحصول

التطعيم للوقاية من التيفويد

لما فشت الحمّى التيفويدية في الجنود الانكليزية ببلاد الترنسفال دعي الاستاذ ريط الانكليزي لتطعيمهم بطعمهِ الواقي من التيفويد فطعّم مئة الف منهم . ثم اعترض البعض على عملهِ فأبطل تطعيم الجنود ورفعت نظارة الحربيَّة الانكليزية الامر الى لجنتين من كبار الاطباء والباحثين فقررت اللجنتان ان هذا التطعيم يقي من التيفويد حقيقة فتقلُّ بهِ الاصابات والوفيات فامرت نظارة الحربيَّة بالعود الى تطعيم الجنود

حرارة الشمس في السيارات

تبلغ حرارة الشمس على بُعد عطارد ٢١٠ درجات بميزان سنتغراد فتكاد تكفي لاذابة القصدير . وعلى بُعد الزهرة ٨٥ درجة بميزان سنتغراد فتكفي لاغلاء الكحول وعلى بُعد الارض ٢٧ درجة وهي متوسط حرارة الصيف نهاراً وعلى بُعد المريخ ٣٠ درجة تحت الصفر وذلك مثل برد قطبي الارض وعلى بُعد نبتون ٢١٩ درجة تحت الصفر وهو البرد الذي يجمد عندهُ النيتروجين ودرجة حرارة الشمس عند سطحها نحو ٦٠٠٠

الكسوف المقبل

ستكسف الشمس كسوفاً تاماً في الثلاثين من شهر اغسطس المقبل وقد اخذ علماء الفلك يتهيأون للذهاب الى الاماكن التي يرى منها لرصدهِ فيها وسيأتي وفود منهم الى القطر المصري والى تونس والجزائر

مهد الفرس

خطب الاستاذ اسبرن في مجمع ترقية العلوم البريطاني عن اصل الفرس فقال ان اصلهُ من اميركا الشمالية . هناك نشأ وارتقى وسار بعضهُ منها الى اميركا الجنوبية بطريق بناما وبعضهُ الى اسيا بطريق بوغاز بيرنغ ثم انقرضت الخيل من اميركا الشمالية والجنوبية قبل تغلب الاوربيين عليهما . ورجَّح ان

الفرس الاميركي كان جامعاً لصفات الفرس والحمار ثم انفصل الى نوعين في اسيا

النوم الفجائي

يقال ان رجلاً من سان فرنسسكو يعتريهِ النوم الفجائي فيكون واقفاً تكلمهُ فينام او يكون جالساً يغتسل في ماء مثلوج فينام ويكون واقفاً يخطب فينام. جال في اوربا وعرض نفسهُ على اشهر اطبائها فلم يجدوا لدائهِ دواء وزار بلاد البلجيك وطلب ملكها مقابلتهُ فاتى القصر وجلس في غرفة الاستقبال ودخل الملك ودنا منهُ ومدَّ اليهِ يدهُ ليصافحهُ فتثاءب ونام بغتةً فعاد الملك وتركهُ في سباتهِ. والرجل من كبار علماء القانون ولهُ شهرة واسعة في فسخ الوصايا واُعطي مرةً عشرة آلاف جنيه لكي لا يتعرَّض لفسخ وصية

اسرع قطار

ذكرنا قبلاً ان القطرات الكهربائية التي امتحنت قرب برلين بلغت سرعتها ١٣٠ ميلاً في الساعة. ويقال الآن انهُ يمكن إبلاغ هذه السرعة ١٥٠ ميلاً في الساعة وقد عرض البعض ان يسيروا القطرات بين برلين وهمبرج بهذه السرعة ولكن الحكومة الالمانية لم تأذن في ذلك حتى الآن

معالجة الخشب بالسكَّر

استنبط احد الانكليز طريقة يقوى بها الخشب ويصلب جدًّا وهي ان يذاب سكَّر البنجر في اناء كبير ويحمى ويدخل الخشب اليهِ ويفرغ الهواء منهُ فتدخل دقائق السكَّر الياف الخشب وتقوم مقام الهواء الذي كان فيها فيصير الخشب صلباً متيناً ولا يعود يرتخ ولو كان جديداً

نور الشمس والهواء النقي

نادينا منذ بضع عشرة سنة بان نور الشمس والهواء النقي خير التدابير الصحيَّة ولم يكن سبب ذلك معروفاً تمام المعرفة حينئذٍ كما كانت نتائجهُ معروفة اما الآن فنعرف ان ميكروبات الامراض تعيش في الظلام وفي الهواء الفاسد وان نور الشمس والهواء النقي افضل الوسائل لاهلاكها وانقاذ الانسان من شرها فلا عجب اذا كان نور الشمس والهواء النقي خير التدابير الصحيَّة

سبب زرقة الجو

بحث الاستاذ سبرنج في الاسباب التي ذكرت لزرقة الجو من ايام تندل الى الآن ففنَّدها كلها ثم قال ان الاكسجين نفسهُ ازرق اللون ووجودهُ في الجو كافٍ لظهورهِ ازرق

النحل الليلي

وُجد في بلاد الهند نحل يطير في الليل فقط ويبني اقراصاً كبيرة جدًّا طول القرص منها ست اقدام وعرضهُ اربع اقدام وثخنهُ نحو خمس عقد

الفصل السادس والعشرون

حصد الزوبعة

وبعد خروجهِ دخل دك سافيل وزوجتهُ فقالت هذه للمستر بركز بعد التحية :—

— لقد حاول دك ان يمنعني عن الحضور كأنهُ لا يشاء ان اشاهد تبرئة صديقي القديم غودارد . لقد مضى وقت طويل منذ اجتمعنا آخر ليلة وحضرنا تمثيل تلك الحادثة المشومة . لم يكن في حسباني انها تختم بذلك المنظر الصادع واظنك سمعت بمرض السيدة السى الطويل الشديد

— نعم ولكن لم اقف على تفاصيل ذلك

— اعلم انها بعد ما ابلّت وصحت من تلك السكرة لم تلم احدًا غير نفسها وقد الحّ عليها اهلها في تطليق زوجها فلم يسعها مخالفتهم . لكنها اسرّت اليّ بعد ذلك انها تنتهز فرصة عرض رجوعها اليهِ

— ولكن لماذا ؟

— لاجل ولدها . فما اشدّ بلادة وغباوة النساء الصالحات ! ولما اطلعتني على قصدها هذا لم يعد يسعني الصبر عليها وكدت ادخل معها في خصام طويل عريض . والآن حين بلغها دك عزمهُ على السعي في تبرئة ساحة غودارد استأذنت في حضور الاجتماع لتحامي عن زوجها وتمهد لهُ سبيل الرجوع اليها ! فأخلق بها ان تكون ملاكًا —

فاعترضها زوجها قائلاً :—

— اي عزيزتي كتي . خلّي عنا الآن إطالة الكلام في اظهار مؤاساتك لها ودعينا نغتنم هذه الفرصة للكلام في ما هو اهم من هذا

— الا تجيز لي ان افوه بكلمة واحدة بلا اعتراض ؟ فالمستر بركز صديقي القديم . نعم اننا لم نجتمع معًا سوى مرة واحدة ولكن — لا بأس . مالنا ولهذا . اعلم يا مستر بركز انني في قدومي الى هنا اخذت رسالة قصيرة من السيدة ارلنفورد تقول فيها :—

"بعد ظهر اليوم وقفت على خبر جديد اوشكت من جرائهِ ان ايت بلا شعور على الاطلاق وسأطلعكِ عليهِ فيما بعد . اما الآن فمن الضروري جدًا ان اقابل المدعوة الشيطانة الجميلة على انفراد . إذًا حينما نجتمع معًا هذه الليلة تمحّلي لكِ عذرًا واتركينا وحدنا بضع دقائق . اتلي هذه الاسطر على المستر بركز واسأليهِ ان يسعى في اتمام ما طلبت"

ثم القت الرسالة على المكتبة واذ حانت منها التفاتة الى اوراقٍ منثورة عليها ابصرت بينها

غدارة مسدسة الطلقات فرفعتها بيدها وقالت :

— ما هذه يا مستر بركر ؟

— احذري ! احذري ! انها محشوة ورصاصها على صغر حجمه يشوي شيئاً ولو على بعد فأجفلت من هذا الانذار وماكذّبت ان ارجعتها الى مكانها واستأنفت كلامها معهُ : —

— ما رأيك في هذه الرسالة ؟

— لا اعلم . وعلى كلٍّ ارى التماسها بسيطاً . وبعد بضع دقائق تكون هي والبارونة هنا فننظر في الامر

ثم أعلن قدوم السيدة الس فنهض المستر بركر لاستقبالها وقال لها بعد التحية : —

— الم تنظري القائد غودارد بعد ؟

— كلاَّ وقد توقعت ان اراهُ هنا . آه كم أراكِ سعيدةً ياكتي و يسرني ذلك جدًّا . هل وقفتِ على رسالتي ؟

— نعم لكنني لم افهم فحواها . فهل نظرتِ البارونة التدورف ؟

— نعم — اتفاقاً — بعد الظهر ومنها وقفت على الحقيقة

— الحقيقة ؟

— نعم فقد اخبرتني عن نفسها من هي ومن كانت

— من هي ؟ وما هي ؟

قال هذا دك وكتي معاً . فقالت ألس : —

— ألا تعلمانِ من هي ؟ — كلاّ

— البرنسس غالتزن

وهاتانِ الكلمتانِ نطق بهما اتفاقاً خادمٌ دخل وفتح مصراعي الباب وادخل الشيطانة الجميلة فاعتراهم دهشة من رؤيتها ونهض المستر بركر لملاقاتها ومهد لالس سبيل الاجتماع بها على انفراد

فلما خلتا احداها بالاخرى نهضت الس وقالت للشيطانة الجميلة : —

— اتسمحين لي ان اقبّل يدك ؟ لاني لست بمحققة بعد استماع قصتكِ أن المسكِ ولا بدَّ ان اكون قد غظتكِ جدًّا بجهالتي فهل لكِ ان تسامحيني ؟

— ليتني اقدر ان ازيل عنكِ ثقل كربكِ كما اقدر أن اسامحك — إن صحَّ وجود ما يستدعي مسامحتي لكِ — فكنت افعل ذلك الوفاً من المرات . وصدقيني انني باطلاعي على

مصيبتكِ نسيت مصيبتي . فكم اودُّ لو كنت قادرة ان اساعدكِ ! وكم اتمنى لو اني اقوى على ايضاح حقيقة اشتراكي في احزانكِ

— تقدرين ان توضحي ذلك — ان اردتِ — بل تستطيعين ان تمنحيني كل ما اريده من الراحة والسلام في حياتي الحزنة . افلا تجيبين سؤل قلبي ؟

— ماذا ترومين ؟

— ان تعطي جاك — لورد ارلنفورد — فرصة لتبرئة نفسهِ من التهم التي تظنينهُ مأخوذًا بها . . اني عالمة انهُ سوف يبذل جهده في اصلاح ما اساء بهِ الى اوبين . وسوف ينسى اوبين الماضي لاجلي . افلا تفعلين نظيره ولكِ — ان اردتِ — قدرة على الغاء قرانكِ بهِ بـ — زوجي بلا مانع . أليس كذلك

— بلى ولكن لِمَ تطلبين هذا ؟

— لاني اروم الاخذ بيدهِ حتى يكفر عن الماضي وان اعتقتهِ ومنحتهِ الحرية فانا مستعدة ان اقبلهُ زوجًا لي . لي منهُ بنت صغيرة ومن اكبر واجباتي بذل جهدي في ارجاع ابيها اليها

— وهل يمكنك ان تعيشي مع هذا الرجل المستحق كل خذلان واحتقار لانكِ ترين ذلك من واجباتك ؟

— نعم ! لان هذا آخر ما استطيعهُ لكي اعوض بنتي ما المَّ بها من الأذى والاَّ فلا اقدر في المستقبل ان ارفع نظري اليها حينما تسألني عن ابيها . فهل تجيبين سؤلي ؟

— اكرامًا لكِ اعدكِ اني اصفح عما جناه عليَّ واما عن جنايتهِ على اوبين غودارد فلا اقدر — ولا أُريد . فخربتهُ اذًا لم تبقَ متوقفة عليَّ بل على اقرارهِ هذه الليلة . فرجع نصيبهِ اليهِ ومعوَّل مستقبلهِ عليهِ

— جزاكِ الله عني خير الجزاء

واذ ذاك دخل المستر بركر وقال لهما : —

— جاء القائد اوبين فهل ادخل بهِ الى هنا ؟

فاجابتهُ الس : —

— تمهَّل عليَّ دقيقة واحدة . اني خائرة القوى وليس في استطاعتي تحمل شيء بعد . فهل تأذن لي يامستر بركر ان استريح قليلاً في غرفة اخرى قبل انطلاقي ؟

— نعم تعالي ادخلي هذه الغرفة ريثما تأتي مركبتكِ فاخبركِ . ولما خرجت مع بركر قالت الشيطانة في نفسها :

— لا يجسر احدٌ ان يقول ان هذه المرأة مخطئة — حتى انا التي نسيتَ بسببها ما حملت بهِ مؤخرًا من دنو ساعة التشفي واقتراب وقت الانتقام

ثم ضغطت رأسها بيديها والتفتت نحو الباب فاذا بغودارد مقبل فقال مخاطبًا اياها

— عليَّ ان اشكر لكِ كل مساعيكِ الحميدة المبذولة في سبيل استرجاع شرفي بل استرداد حياتي

— اني اشتمُّ من كلامك هذا رائحة التوبيخ ولكن ألم ابذل جهدي في عمل ما استطعتهُ تكفيرًا عن اشتراكي في ما ألمَّ بك من المكاره ? ثم انَّ عاقتك في دوه كوي نشأت عمَّا كنتَ فيهِ من الهجران العميق لا عن البرنس سكولوف فلما صحوت كنتَ حرًّا طليقًا تذهب من حيث أتيت

— حقًّا ان هذا الرجل عجيب . فكيف لم يقتلني بعد ما قبض عليَّ مع انَّهُ لو فعل ذلك لكان قتل طائرين بحجرٍ واحدٍ — بل بالحري رجلين برصاصة واحدة . ولا بدَّ ان المشهد كان في ذلك المساء مخيفًا ولا تبرح صورتهُ من ذهني

— انهُ من اعظم بواعث خجلي . فحينما عرفك البرنس ووجدتُ ان احتيالي عليهِ لاجل نجاتك لم يجدِ فتيلاً استولى عليَّ اليأس فتقدمت اليهِ طالبة ان افتدي منهُ حياتك وقلتُ لهُ "دعهُ ينجو واعدك اني لا انظرهُ ما عشتُ وانا نفسي أُعطى لك عوضًا عنهُ ! "

— يا لله ! وماذا اجابكِ ?

— اجابني بكل بساطةٍ . " اني احببتكِ منذ ما عرفتكِ ولم تدركي كنه هذه المحبة . فارجو اني اقدر يومًا على اقناعكِ باني محبٌ قانطٌ — ورجل حليف المروَّة والانسانية" وهذا كل ما قالهُ لي . وبعد ما نقهتَ جلسنا نأتمر على إخفاء الاشراك لارلنفورد . ولست اخجل اني جثوت على ركبتيَّ امامهُ والتمستُ عفوهُ . وبواسطة مساعيهِ ومشوراتهِ أُخفي خبر اسرك وما يتعلق بهِ عن الجنرال سكوبيلف

— يا لهُ ندبًا فاضلاً !

— ومن حسن طالعك ان جرحك كان بالغًا ولم يشفَ الاَّ بعد انتهاء الحرب

فرفع اوبين يدها وادناها من شفتيهِ وقال بصوت شفَّ عن اعمق عواطف قلبهِ واباح مكنونات حبهِ : !

— وقد كابدتِ هذا كلَّهُ لاجلي ! فيا عجبا ! ولماذا ?

فتبسمت عن انقى من اللآل . وامالت منها جيد الغزال . وقالت مداعبة شأن ربَّات

الحجال في مثل تلك الحال : —

— لانك كريهٌ في ذوقي . لاني لا احبك . لاننا مطبوعان على بغض احدنا الآخر . افليست هذه اسباباً كافية يا اوبين ؟

وحينئذٍ اصبح هذا الرجل في الحال انساناً ولم يعد البطل اوبين غودارد فضمّ الى صدرهِ تلك التي باتت ايضاً امرأةً ولم تعد الشيطانة الجميلة فالقت نفسها بين ذراعيهِ واستسلمت بفرط الوجد اليهِ

وعفّتهُ عنهُ تروم ابتعادها وقوة نارِ الشوق منهُ لها تُدني

فقبّلها والوجدُ عنها مترجمٌ بعيشك زدني منهُ يا منيتي زدني

ولو لا قليل كان بركز رآهما إذ دخل الغرفة فجأةً وقال : —

— جاء اللورد ارلنفورد ايتها البرنسس فهل يدخل ؟

— تمهّل قليلاً . واعلم اني بسبب الحاح السيّ الشديد حلتُ عن عزمي ووعدتها المساعدة . ولهذا لا ارى من حاجة اليّ ان كان يوقع الاقرار . وعندي انهُ لا يعلم اني وجدتهُ . فدعني اذاً ادخل هذه الغرفة ومنها اقدر ان اسمع ما يقول

— كما تريدين

ثم ادخلها الى غرفةٍ صغيرة ملاصقة القاعة ومتصلة بها من شباك كبير بينهما يغطيهِ ستار صفيق . وعلى اثر خروجها من القاعة دخل دك سافيل يصحبهُ اللورد ارلنفورد والماجور كرتر . وبعد ما جلسوا جميعهم افتتح المستر بركز الكلام فقال : —

— ليس فينا من يجهل الغاية التي اجتمعنا لاجلها . فاسمحوا لي ان اتلو عليكم صورة الاقرار التي يطلب من اللورد ارلنفورد توقيعها وهي :

"انا جون فاين فيكونت ارلنفورد أقرّ بان ما اتهمت بهِ الشريف القائد اوبين غودارد كان كذباً مختلقاً لا حقيقة لهُ . وقد تعمّدت هذه التهمة تعمّداً — مع علمي ببطلانها — متخذاً اياها ذريعة لنيل غرضٍ ادركتهُ بواسطة نجاح تهمتي هذه واخفاق سعيهِ في رسالتهِ التي كان مزمعاً ان ينطلق بها ليلتئذٍ " . فان وقّعت ايها اللورد هذا الاقرار بشهادة الحضور وضعت حدّاً لهذا الاجتماع المكدّر

فنهض ارلنفورد على قدميهِ وصاح : —

— اوقّع هذا الاقرار ! اني ارفض ذلك كل الرفض . وانما اقول اني ارتكبت خطأ ليس الأ

فقال دك سافيل

— انت مخيرٌ ايها اللورد

— نعم وليس في الارض من قوة تضطرني ان أفعل اكثر من هذا

— لعلي استطيع ان أُقنعهُ بوجوب توقيع هذا الاقرار !

قالت هذا الشيطانة الجميلة واندفعت من وراء الستار من خلف ارلنفورد الى داخل القاعة. فلما سمعها التفت واذ رآها أجفل اجفال الجمل وصاح مذعوراً : —

— كارينا غالتزن ! يالله !

فاجابتهُ هازئة : —

— نعم ولسوء الحظ زوجتك

فدهش جميع الحضور وصرخوا بصوتٍ واحدٍ : —

— زوجتهُ !

فتغلب ارلنفورد على انفعالهِ وتكلف الثبات وقال متهكماً : —

— يصعب عليكِ ان تبرهني شرعية زواجنا بالطريقة التي اتبعناها حتى في روسيا . واظنكِ اعقل من ان تعرضي نفسك لتبعة شيوع كونكِ حظيتي

— فشبَّ كلامهُ هذا نار الغيظ في فؤاد غودارد وتحفز للايقاع بهِ لو لم يعارضهُ سافيل وتجل البرنسس بينهما . اما هي فاجابتهُ بمزيد الازدراء : —

— لعل عيبي الوحيد اني كنت لنكد الطالع زوجتك . ولكن على رغم رواغك لست بمستطيعٍ الافلات من يدي . فاعلم ان مرجع الافراج عنك اليَّ . ومعوَّل نيلك الحرية عليَّ وفي يدي زمام حياتك لانها لي ولا اتكلف في تقرير نصيبك سوى اشارة صغيرة باصبعي . اذاً توقع هذا الاقرار حالاً ؟

— نحن الآن في انكلترا لا في روسيا . ولهذا ارفض التوقيع فافعلي ما شئتِ

— رأيتُ مركبة البرنس سكولوف في الدار اسفل فتفضَّل ايها المستر بركز بدعوتهِ الى هنا فخرج بركز يدعوهُ ولما دخل بهِ قالت لهُ : —

— اتريد ايها البرنس ان تخبر ارلنفورد بأننا نقدر عندما تمس الحاجة ان نثبت للعيان جريمة إضرارهِ وانَّ خوف اشتهار هذا الامر لا يقعدنا عن السعي في إحباط مساعيهِ وتخييب امانيهِ

فقال ارلنفورد ساخراً : —

— انكما كاجنبيين يترتب عليكما مراعاة معاهدات مخصوصة لا تمكنكما من نيل مأربكما

فاجابهُ البرنس بكل رصانةٍ :—

— ولكن ليعلم اللورد ارلنفورد أنَّ المعاهدات بين دولتينا مكنتني من تحصيل امر القبض عليك وسوقك الى بطرس برج لا الى لندن لتحاكم على جريمةٍ ارتكبتها

— واية جريمةٍ — جريمة القتل

— انك لاقصر من أن تقوى على اتهام انسانٍ بشيءٍ يجهلهُ او تقول لي من قتلت

— ذلك كلهُ تجدهُ موضحاً في هذه البراءة

ثم دفع اليهِ صكاً واستطرد كلامهُ :—

-- هذا فضلاً عن ان اقامتك الطويلة في روسيا واطلاعك المدقق على احكامها وشرائعها وعلاقتك الشديدة ببوليسها تقنعك باننا نفعل ما لنا حقٌ فيهِ ولا نقدم على اجرائهِ اعتباطاً ولا نكيل القول فيهِ جزافاً

— ولكنَّ اقدامك على هذا يقتضي نفقة باهظة يصعب عليك تحملها . —

هوذا ضباطي اسفل واظنك تمتثل الامر بالذهاب معهم بلا تردُّد وسأكتب اليهم بعض كلمات في هذا الشأن

ثم جلس يكتب وكان ارلنفورد واقفاً يقلِّب نظرهُ في ذلك الصك بما لا مزيد عليهِ من الحيرة والدهشة . واذ ذاك دخل الخادم والقى رقعة بين يدي المستر بركر واسرَّ الى البرنس غالتزن كلاماً فخرجت على الاثر ودنا دك سافيل من البرنس سكولوف وقال لهُ :

— أرى هذه الشكوى هائلة جداً وقد جاءت على غير انتظار

— لا يخفى عليك ان الادواء الحادَّة تتطلَّب ادوية احدَّ منها

— وهل تقوى على اثبات جريمتهِ ؟

— لستُ في حاجة الى ذلك لأنَّ اللورد ارلنفورد يؤثر توقيع الإقرار في هذه الجلسة على الرجوع الى روسيا واظنك فهمت مرادي

وبعد ما فرغ اللورد ارلنفورد من مطالعة الصك سار نحو الباب ووقف ملتفتاً الى الحضور غير منتبهٍ الى دخول البرنسس غالتزن والسيدة املي دشتون من ورائهِ وقال بلهجة المدافع الجسور :—

— مهما يكن من امر تحاملكم عليَّ فلست بمعرّض نفسي لخطر مقاومتكم وقد قدّر لي حسن الطالع مخارج انجو بها بمساعي زوجتي وبالطرق التي نهجتها حديثاً . على انهُ باقٍ في زوايا هذه الحادثة امرٌ اكتنفهُ الغموض والخفاء ولم يبقَ فيهِ اثر للوضوح والجلاء . وهو الورقة التي اخفاها القائد غودارد "روا السباقي" فان فقدها كان امراً غريباً

فنادته البرنسس غالتزن من ورائه :—

— لا حاجة للاستغراب فهذه هي !

ثم وضعتها على المائدة وتقدم الجميع مزدحمين لمشاهدتها واستطردت البرنسس كلامها :—

— فانتم ترون ان هذه الورقة مرقوم على ظهرها علامة مقمر كان اللورد ارلنفورد يتردد اليه . وقد اعطاها في تلك الليلة للسيدة املي لتمزقها لكنها لحسن الحظ لم تجب طلبهُ . اما الورقة الاخرى — ذات النقطتين — (الجوبزة) — التي اخفاها القائد غودارد فسيؤتى بها عند الطلب

فقال اللورد ارلنفورد لاملي التي كانت متكئة على المكتبة مقابلهُ :—

— عليكِ ان تذكري بالتفصيل كيف حصلتِ على هذه الورقة

— اني مستعدة لذلك تمام الاستعداد . ولكن قل لي أرايت الآن صبح ليلتك ومساءها وعلمت ان وراء الاكمة ما وراءها ? اما انذرتك بعد ظهر اليوم أن —

— انم عدة امور ومن جملتها أن اتزوّجكِ

— كلاّ بل قلتُ لك انك لا تتزوج غيري

— وقد قلتُ لكِ ان الانسان لا يتزوج حظ —

— صه :

قالت هذا بصوتٍ ارعدتْ بهِ إرعاداً وقامت عيناها بأمّ رأسها تنقدان انقاداً ثم لاحت منها التفاتة الى الغدارة الملقاة تحت يدها فاخذتها باسرع من وميض البرق واطلقتها عليهِ فجندلتهُ وسقطت هي مغشيّاً عليها

ثم فتح الباب في الحال ودخلت السيدة ارلنفورد مسرعة الى حيث كان زوجها مطروحاً في حالة النزع فعطفت عليهِ وصاحت :—

— ويلاه ! جاك ! ماذا اصابك ?

فرفع رأسهُ بجهدٍ عنيفٍ واشار يسترعي اصغاء الجميع ثم قال يخاطب امرأتهُ بصوت النازع المشرف على الموت :—

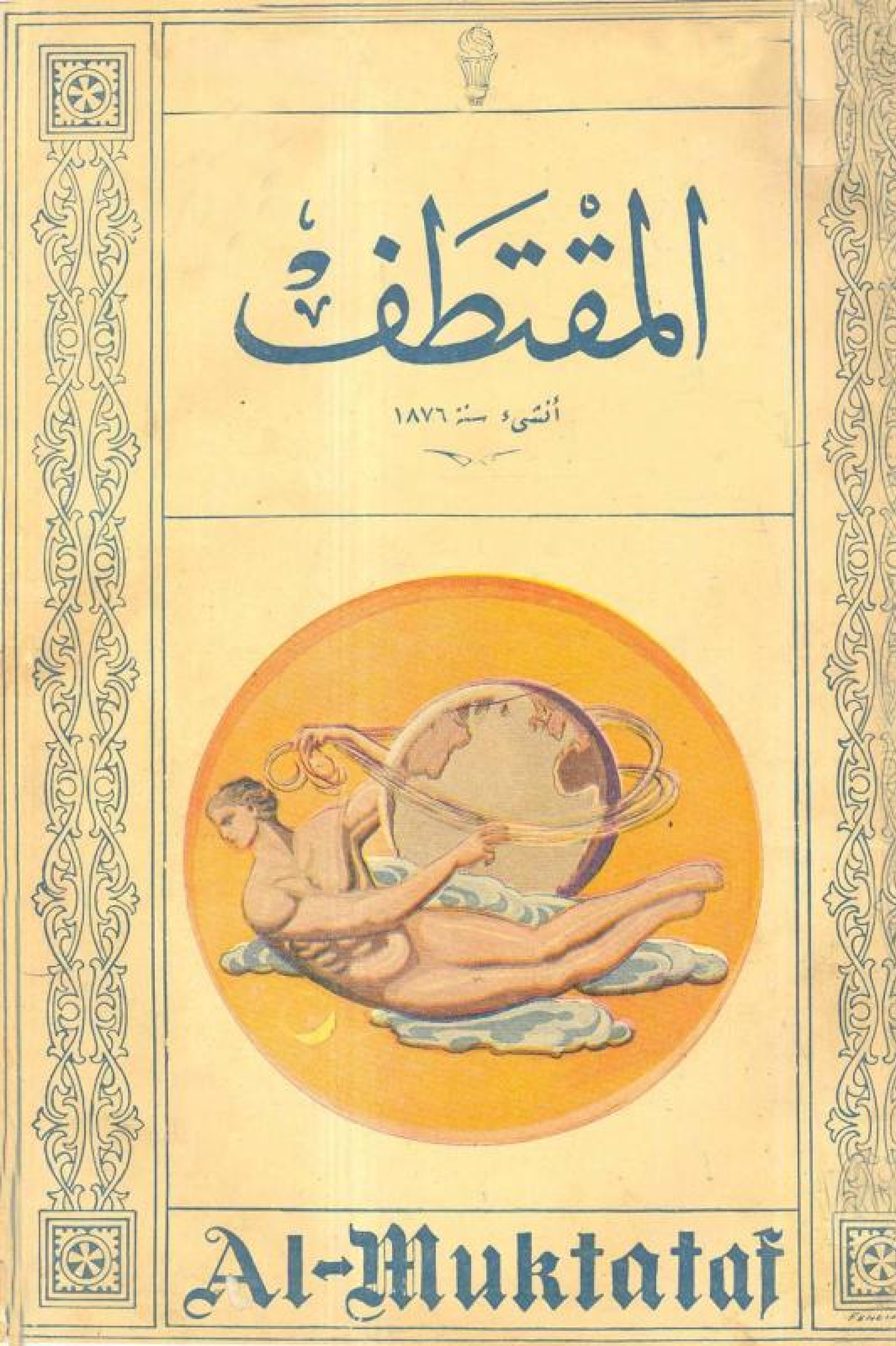
— انا — انا قتلتُ نفسي . مسكينة انتِ ايها المرأة ! لقد تخلصتِ مني !

وما اتم هذه الكلمات حتى سقط بين ذراعيها ومات

(انتهت)

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد التاسع والعشرين

فهرس المجلد التاسع والعشرين


المقتطف
أنشىء سنة ١٨٧٦
Al-Muktataf

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد التاسع والعشرين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٤ ذي القعدة سنة ١٣٢١

سبنسر وفلسفته

تمهيد

اقلّ ما ينتظرهُ منا قراء المقتطف ان نفي سبنسر حقهُ من الوصف وفلسفتهُ حقها من التبيين لاسيما وان اكثر الذين كتبوا في المواضيع الفلسفية والاجتماعية والطبيعية منذ اربعين عاماً الى الآن كانت كتُب سبنسر مرشدًا لهم او للذين ارتشدوا بهم . ولا يبعد اننا كنا نحذو حذوهم مرارًا كثيرة اما باعتمادنا على ما رسخ في ذهننا من مطالعة كتب سبنسر او على كتّاب نقلوا عنهُ او حذوا حذوهُ فلهُ على المقتطف فضل لا ينكر . ولم نتصدَّ قبل الآن لكتابة شيء مسهب عن فلسفتهِ بنوع خاص لان الخوض فيها عسير وتصفُّح كتبهِ بالامعان ليس مما يرتاح اليهِ كثير الاشغال لوعورة مسالكها وصعوبة اسلوبها . الاَّ اننا عثرنا في هذه الايام على كتاب مختصر لاحد مريديهِ [1] وصفهُ فيهِ وصفاً دقيقاً ولخَّص فلسفتهُ تلخيصاً وافياً بالمراد . فاتخذناهُ دليلنا في كتابة الفصول التالية وقد بسطناها بسطاً يقربها من اذهان جمهور القراء الذين لم يألفوا المباحث الفلسفية

حال العلم والفلسفة حينما قام سبنسر

كانت اوربا جارية مجرى بلاد الشرق في هذه الايام من حيث العقائد والعادات وكان العقل مقيدًا بقيود التقليد اذا حاول فكها رُشق بالكفر والحرمان فنهض رجال الثورة الفرنسوية وكسروا تلك القيود وهدموا مباني الفلسفة القديمة والعقائد التي تملكت النفوس قروناً كثيرة فسدَّت انقاض ما هدموهُ سبل العقول وكادت تعيد الناس الى الهمجية لولا ان العلماء

(١) هو المستر مكنزمن مؤلف كتاب كارليل وادم سمث

الذين هدموا حاولوا البنيان ايضاً فان ڤولتر وديدرو واضرابهما اهتموا باكتشاف حقيقة الانسان وما تأول اليهِ حالهُ بعد الموت حتى يضعوا لهُ قواعد وفرائض بدل الاحكام الدينية التي نقضوها. الاَّ ان معارف الناس كانت قليلة جدًّا حينئذٍ لا تكفي لتكون اساساً لما ارادوا بنيانهُ . وكل علم لا يبنى على اساس وطيد لا يثبت . وزد على ذلك ان العقائد القديمة كانت راسخة في النفوس حتى ان اولئك العلماء ادمجوها في ما ارادوا ان يجعلوهُ مستقلاًّ عنها . ومع ذلك لهم فضل لا ينكر في انهم نقضوا كثيرًا من الاوهام والخرافات وعتقوا العقل من قيود الاستعباد ومهدوا السبيل للذين جاؤوا بعدهم وشأنهم شان من يهدم بناءً قديمًا ويزيل انقاضهُ من الارض ويهيئها لبناء جديد يبنى مكانهُ

وقد قام هذا البناء الجديد ووُضع اساسهُ في منتصف القرن التاسع عشر وهو الاكتشاف العظيم الذي اوضحهُ سبنسر وداروين وجاراهما ولس وهيكل ألا وهو ناموس النشوء ناموس تولد الموجودات بعضها من بعض جريًا على سنة ثابتة لا تتغير . الناموس الشامل لكل شيءٍ حيًّا كان او غير حي ولكل رأي وعقيدة ومذهب ونظام ولغة وعمل وصناعة . بل كل انسان مهما كانت طبقتهُ ناشىءٌ جسدًا وعقلاً حسب ناموس النشوء ولو اجتمعت القوى التي ولدتهُ والمواد التي تولد منها في مكان مثل مكانهِ لولدت انسانًا آخر مثلهُ . هذا هو الناموس الذي لسبنسر اليد الطولى في ايضاحهِ واقامة الادلة على تأييدهِ وتطبيق احوال الناس عليهِ وهو اساس فلسفتهِ كما سيجيء

ولد سبنسر في السابع والعشرين من شهر ابريل سنة ١٨٢٠ وكان ابوهُ معلمًا وقد عرف بالاختبار ان شحن المعارف في عقول الصغار ليس منهُ كبير فائدة فلم يهتم بتعليمهِ صغيرًا ففاتتهُ المعارف التي تقتضي حفظًا وتمرُّنًا لكنهُ برع في ما يستدعي استعمال العقل وما يدعو الى درس الطبيعة كجمع الحشرات وتربية الفراش والديدان . وكان لابيهِ واعمامهِ نظر في المسائل الدينية والسياسية والاجتماعية فكانوا يتذاكرون فيها امامهُ غير مقيدين بقيود التقليد . ثم ان والديهِ كانا على مذهب واحد ديني وهو مذهب المثودست[٢] فمال ابوهُ الى مذهب آخر واعتنقهُ وبقيت امهُ على مذهبها ولا بدَّ من ان يكون قد سمعهما يتناظران في افضلية كلٍ من المذهبين على الآخر ورآهما يتساهلان فيهما لانهُ كان يتبع اباهُ في صباح الاحد الى كنيستهِ وامهُ في مسائهِ الى كنيستها وهما راضيان بذلك . ونزوع ابيهِ عن مذهب وُلد فيهِ الى مذهب آخر اضعف سلطة المذاهب الدينية من نفسهِ فشبَّ غير مقيَّد بقيودها ولا يدرك ما يشعر بهِ غيرهُ من الذين ربوا تحت سلطتها

(٢) فرقة من البروتستانت منتشرة في انكلترا واميركا

ولما بلغ الثالثة عشرة من العمر ائتمنهُ عمهُ على تعليمهِ وكان قسّاً من قسوس الديانة ومن حزب الاحرار المتطرفين المحتجين على الحكومة المنتصرين للشعب عليها وكان من تلامذة كمبردج ومن انبغهم فجعل سبنسر يتعلم منهُ وكان ضعيف الذاكرة ينفر من الدروس القانونية ويكره درس اللغات واذا حفظ منها شيئاً اليوم نسيهُ في الغد اما الدروس التي تقتضي استعمال قوة الادراك والحكم والقياس فبرع فيها وفاق اقرانهُ في الرياضيات وعلم الآلات وشغف بالمبادىء العلمية ومحبة البحث والتحليل

وكان عمهُ يود ان يُعِدَّهُ للدرس في مدرسة كمبردج الجامعة فلما رأى منهُ ذلك عدل عن عزمهِ وتركهُ يجري في الدرس حسب هواهُ فخسر بذلك نصرة ابناء المدارس لهُ وكسب عداءهم لانهُ لو ربي في مدرسة من مدارسهم الكبرى لانتصر لهُ ابناؤُها وشاعت آراؤهُ باسرع مما شاعت . ولكنهُ لو فعل ذلك لالفَ الطريقة المدرسية على الراجح ولم يتحرَّر من كل قيود التقليد

ولما شبَّ ولم يكن قد تعلم حرفة ولا استعدَّ لتعلم حرفة سعى ابوهُ لهُ فجعل مساعداً لمعلم مدرسة وكان اهلاً للنجاح في حرفة التعليم لانهُ كان مقتدراً على ايضاح المعاني وتبيين المقاصد على اسلوب قريب المأخذ . هذا في الكلام اما في الكتابة فاسلوبهُ دقيق ولا يسهل ادراكهُ الاَّ على من مارسهُ . ولكنهُ لم يبقَ في حرفة التعليم طويلاً بل عُرض عليهِ ان يكون مهندساً لفرع من سكة الحديد التي بين لندن وبرمنهام فاقام ثماني سنوات مهندساً واهتمَّ بعلم الهندسة وكتب مقالات كثيرة فيهِ نشرها في جرنال الهندسة المدنية . واستنبط آلة تقاس بها سرعة القاطرات . ثم ضعفت شركات سكك الحديد فقلَّ الطلب على المهندسين فخرج من منصبهِ وعمرهُ ٢٦ سنة وعاد الى بيتهِ ولا عمل لهُ ولكن كان عقلهُ قد تخطى حدود الهندسة الى علم سياسة البلدان فانشأ مقالات شتَّى موضوعها ماهية الحكومة ونسبتها الى الامة . واكثر من الدرس والبحث ولكن الدرس لا يشبع الجوف فرأى ان لا بدَّ لهُ من ان يتعاطى عملاً يكتسب بهِ ما يقوم بمعيشتهِ فالتفت الى الصحافة ودُعي ليكون محرراً ثانياً في جريدة الايكونومست (المقتصد) وكان ذلك سنة ١٨٤٨ فانتقل الى مدينة لندن وبقي في تحريرها الى سنة ١٨٥٣

وكان قد قرأ كتاب ليل الجيولوجي في مبادىء الجيولوجيا وعمرهُ عشرون سنة وسلَّم بما علَّم بهِ ذلك المعلم الكبير وهو ان الموجودات الارضية نشأت بعضها من بعض ولم يخلق كل نوع منها على حدتهِ لكنهُ لم يكن يفهم كيف حدث هذا النشوء ولا ما هي حقيقتهُ

وكان العلم الطبيعي قد سلَّم الناس مقاليد بعض القوى الطبيعية وسهَّل لهم اسباب الغنى

تخضعوا لصولتهِ واضطرَّ علماء الدين ان يكفُّوا عن مقاومتهِ بل صار المطلب المبتغى يسعى اليهِ الجميع ليستنيروا بنبراسهِ ويستعينوا بمكتشفاتهِ . وأُنشئ مجمع ترقية العلوم البريطاني فصار كعبة العلماء يحجون اليها كل عام وكثر نشر الكتب العلمية واعتمدت الصناعة على العلم فكثرت المكتشفات والمخترعات وتشعبت المذاهب والآراء لان فريقاً من الناس لا يقتصر على الماديات بل يطلب معها الادبيات ولولا ذلك لالقت الماديات على الادبيات ستاراً كثيفاً وضؤُل نور العلم واحتجب عن الابصار

وكانت كتب الفيلسوف كُنْت قد انتشرت واقبل الناس على مطالعتها ثم ظهر كتاب هويول في تاريخ الفلسفة وكتاب الكون لهمبلت فجعل العقلاء يقرأُون هذه الكتب ويتساءلون عن حقيقة هذا الكون وما فيهِ . ولم يكن قد عُرِف شيء مما يعرَف الآن بحفظ القوة وتغيُّر الانواع ونشوء الموجودات الآلية ولا من ماهية الحرارة وكونها ضرباً من الحركة ولا كان الرأي الحويصلي (٣) معروفاً الاَّ في المانيا لكن كان العقلاء يفكّرون في هذه المواضيع كلها ولا يعوزهم الاَّ الكلام الوضعي للتعبير عنها

وكان جمهور الناس يحسب ان الانسان خُلق كما نصَّت التوراة على خلقهِ وكذلك سائر الموجودات وجدت كما جاء عنها في الفصل الاول من سفر التكوين حتى ان كبار العلماء الذين عرفوا من نواميس الكون اكثر مما عرف غيرهم بقوا مستمسكين بهذه العقيدة يجمعون بينها وبين ما كاشفتهم الطبيعة بهِ من اسرارها . ولم يكونوا يرون صلة بين العلوم المختلفة ولا يحسبون انها ناشئة بعضها من بعض بالارتقاء المستمر فلما ظهر من مكتشفات العلوم الطبيعية ان وجود الكون لا يفسَّر على ما في سفر التكوين قال الناس ان العلم والدين خصمان لا يتفقان وعسر على العقلاء تعليل وجودهما معاً ونسبة كلٍّ منهما الى الآخر فقام الفيلسوف كُنْت وبيَّن نسبة العلوم الدينية الى العلوم الطبيعية في ارتقاء الانسان واظهر مزية العلوم الطبيعية لانها تعتمد على الملاحظة والامتحان ثم بيَّن ان العلوم كلها حلقات متصل بعضها ببعض ومبنيٌّ بعضها على بعض لكنهُ اخطأ في انهُ اوجب قصْر البحث على المعلولات ولم يلتفت الى العلل حاسباً ان البحث عنها من قبيل العبث ولا اهتمَّ بالفروض التي تعلَّل بها الظواهر الطبيعية فاعتبر في حكم المجهول جانباً كبيراً مما يُعدُّ الآن في حكم المعلوم . ولو قال بالعلَّة الفاعلة في كل المعلولات وهي القوة التي لا تزول ولا تنقص بل تحوّل المادة من صورة الى اخرى وتحوّل معها من شكل الى آخر لحلَّ محل سبنسر وسبقهُ الى فلسفتهِ

(٣) يراد بهِ تكوّن انسجة الحيوان والنبات من حويصلات دقيقة

وجملة القول ان الناس كانوا ينظرون الى الكون قبل سبنسر كأنهُ آلة كبيرة جداً صُنع كل جزء منها على حدتهِ وأُحكم صنعهُ لغاية واحدة قائمة في عقل الصانع الاعظم مدبر الكون لا في مادة الآلة نفسها · ولم يحسبوا ان الوحدة موجودة في هذه الآلة ولا حسبوا انهُ يمكن اكتشافها لو كانت موجودة · حتى ان الفيلسوف جون ستورت مل كان يقول ان ما نحسبهُ من الضروريات قد لا يكون ضرورياً في عالم آخر فالاثنان والاثنان اربعة عندنا ولكن قد لا يكون مجموعها اربعة في عالم آخر · وليس من الضرورة ان ما يوجد الآن يكون موجوداً ولا ما يمنع الخالق من تغيير نظام الكون وقلب كل ما فيهِ رأساً على عقب وقتما يشاء وان كل ما قيل عن العجائب والمعجزات ممكن اذا قامت الادلة على حدوثهِ(٤)

هذا كان حال العلوم الطبيعية وتصور الناس لها حينما اخذ سبنسر ينظر فيها . اما الفلسفة ويراد بها البحث عن حقيقة الموجودات كما يراد بالعلم الطبيعي البحث عن حالة الموجودات فكانت قد صارت مادية قبيل الثورة الفرنسوية وقال اصحابها انهُ لا يوجد شيء حقيقي الاَّ المادة والقوة. هذا كان مذهب ديدرو واتباعهِ وبهِ فسَّروا كل شيء من حركات الاجرام السموية الى افعال النفس الانسانية . فلما خُتم عصرهم بمذابح الثورة الفرنسوية اقشعرَّت فرائص الناس من مذهبهم ناسبين اليهِ كل ما حدث من الجرائم فطرحوا ما فيهِ من الصواب مع ما فيهِ من الخطإ وحسبوا ان كل مذهب ماديّ يأول اخيراً الى محو الدين والآداب والحكومات · ولا شبهة بوجود الخطإ في مذهب الماديين على ما كانوا عليهِ وفي ان لهُ يداً في تلك الجرائم لانهُ اعتبر الانسان آلة صدرت من تجمُّع الدقائق المادية على اسلوب مخصوص . والعقل شعوراً مرتقياً من شعور العجماوات · والآداب صورة من طلب المنفعة الذاتية · والديانة نتيجة الهواجس والتخيلات · والحكومة اتفاقاً بين الملوك الطغاة والكهنة المحتالين على استعباد الشعب . فلما حدثت الثورة الفرنسوية بفظائعها تقوضت اركان الفلسفة المادية وجعل الناس يفتشون عن فلسفة اخرى او عن مبادئ اولية يبنون احكامهم عليها ويشغلون عقولهم بها ويجعلونها اساساً ثابتاً للاحكام والنظامات الاجتماعية فوجدوا هذه المبادئ في المانيا في الفلسفة الروحية او الدينية . ولكن لم تكد الفوضى

(٤) وقد قال مكنزمن ان هكسلي جارى مل في ذلك والراجح في ذهننا ان هكسلي لم يقل ان العجائب تثبت بمجرد قيام الادلة على حدوثها ولو خالفت نواميس الطبيعة بل قال انهُ اذا قامت الادلة القاطعة على حدوثها لا تكون مخالفة لنواميس الطبيعة بل تكون من نتائجها اللازمة عنها فاذا قامت الادلة القاطعة على ان الشمس وقفت ساعتين او على ان الارض وقفت ساعتين لم تدر فيها على محورها فيكون ذلك لان حركات الارض والنظام الشمسي كلهِ تقتضي وقوف الارض في الوقت الذي وقفت فيهِ

تزول من فرنسا وتستتب الاحكام فيها تحت سلطة ما يعرف بالاتحاد المقدس حتى ضرب الجور والاستبداد اطنابهما وصارت الاماكن التي كانت ملجا للثوار سجناً للنفوس ورأْي العقلاء ان هذه الفلسفة لا غرض لها الاَّ حفظ النظامات القديمة وتأْييد العقائد الشائعة واذا طولبت بدليل لجأَت الى ما تعدُّهُ من البديهيات والاوليات التي لا تحتاج الى دليل فرموها بسهام الانتقاد وزعزعوا اصولها وتجاوزوا الحد في ما نقضوهُ منها حتى ان إمامهم الفيلسوف جون ستورت مل شكَّ في كل شيءٍ وانكر البديهيات وقال ان كل علم متولدٌ من الاختبار وفاتهُ ان الاوليات الهندسية مثلاً يدركها الانسان بالبداهة ويقول بها قبل الاختبار وقبل الامتحان

هذا كان حال العلم وحال الفلسفة حينما ظهر سبنسر واخذ ينظر في الموجودات . وسنبين كيفية نظرهِ فيها في الفصل التالي

قلة المواليد واسبابها

كتب الدكتور بوشي الاميركي في مجلة العلم العام الاميركية مقالةً موجزة في اسباب قلة المواليد قال فيها ان معدل مواليد الاميركيين الوطنيين وخصوصاً المتخرجين من المدارس العالية آخذ في التناقص في بعض الولايات وانهُ توصل بعد البحث الطويل الى النتائج الآتية وهي

اولاً ان معدَّل الزواج بين الاميركيين الوطنيين اقل منهُ بين الدخلاء وذلك الى سن ٤٥

ثانياً ان نسبة النساء المتزوجات اللواتي لم يلدن هي اكثر في الوطنيات منها في الاجنبيات

ثالثاً ان معدل مواليد الوطنيات اقل من معدل مواليد الاجنبيات اي ان النساء الاجنبيات الاصل يلدن اكثر من النساء الوطنيات الاصل

رابعاً ان من سنة ١٨٨٥ الى ١٨٩٧ كانت نسبة المتزوجات الوطنيات اقل من نسبة المتزوجات الاجنبيات

وعليهِ فمعدَّل مواليد الاميركيين الوطنيين اقل من معدل مواليد الدخلاء وخصوصاً المهاجرين حديثاً

ويظهر من ذلك لاول وهلة ان اميركا تكاد تشبه فرنسا في ان عدد مواليدها آخذ في التناقص والفرق بينهما ان مواليد كل اهالي فرنسا آخذ في التناقص واما في اميركا فالنقص محصور في مواليد الاهالي الذين طال عهدهم فيها

ولقد اتصل الباحثون في موضوع المواليد الى معرفة بعض النواميس الجارية عليها واكثرها

مبنيٌ على تأثير الفواعل الطبيعية مما لا يمكن ان يصدق على المواليد الاميركية الاَّ قليلاً . وقال البعض ان قلة المواليد تصير وراثية مع الزمن حتى ينقرض النسل لكن ذلك لا محل لهُ في الولايات الاميركية لان شعوبها لا تزال جديدة بالنسبة الى غيرها . واكبر سبب لقلة النسل هو السبب الاجتماعي الذي بيَّنهُ المسيو دومون احد علماء فرنسا وهو مبنيٌ على ما يشبه ناموس التنازع . وبيان ذلك ان للشعوب المتمدنة ولاسيما في الحكومات الجمهورية ميلاً شديداً الى تحسين احوالها المعاشية وحفظ مقامها في الهيئة الاجتماعية فينتج من ذلك الميل او الجهاد مباراة بين الطبقات المختلفة تقضي بتقليل النسل لانهُ اذا قلَّ اولاد الانسان امكنهُ ان ينفق عليهم عن سعة اكثر مما لو كانوا كثاراً وعلى ذلك تكون عيشة المدن باعثاً على قلة النسل وتكون العيال في المدن اصغر منها في القرى والمزارع

وقبل البحث في ناموس دومون يجب مراعاة احوال الشخص واحوال المملكة التي هو فيها . فانهُ اذا سهل على المرء تحصيل معيشته من غير تعب او بقليل من التعب لم يجد ما يعوقهُ عن الاكثار من الاولاد . والفقراء الذين لا يرون مناصاً من ورطة الفقر ولا مركز لهم يخشون على فقدانهِ يكثرون من النسل ايضاً . ويشاهد هذا خصوصاً في الممالك التي تكون فيها الامة مقسومة الى طبقات او في الممالك التي تكون حكومتها مطلقة كروسيا فان الفقراء فيها يتناسلون بكثرة لانهم لا يهتمون بامر مستقبلهم . ولكن متى برقت لهم لائحة الامل وتحسنت احوالهم ولو قليلاً كان ذلك اغراء لهم على متابعة الجهد في زيادة تحسينها فيجعلون يهتمون بتقليل نسلهم حتى لا يعوقهم عن ذلك . واذا كثر نسل الموسرين والفقراء نجمت عنهُ مباراة وتنازع للحياة فيقف هذا التنازع سداً في سبيل اكثار النسل اذ يعمد الانسان حينئذٍ الى تقليلهِ حفظ مقامهِ فيبتدئ دور النقصان في معدل المواليد نتيجة المباراة والمزاحمة في معترك الحياة

ويرى ناموس المباراة على معظمهِ في القسم الشرقي من الولايات المتحدة حيث ازدحم السكان فقلَّ معدل الزواج بسبب المنافسة وتنازع الاثرة . ولما لحظ الفتيات العزبات ذلك ورأين سوق الزواج قد كسدت واوصدت ابوابها في وجوههنَّ اندفعنَ الى مباراة الرجال في الاعمال ليعشنَ بعرق الجبين ولكن الآخرة كانت شراً من الاولى فازدادت المزاحمة وزاد معدل الزواج نقصاناً

قلنا ان الدكتور بوشي يبحث عن قلة المواليد في اميركا . ولكن يظهر ان هذا الداء منتشر في كل البلدان التي يسكنها شعب الانجلوسكسون . فقد ورد في جريدة الدايلي مايل الانكليزية احصاءات عديدة تدل على نقصان المواليد في انكلترا ايضاً وفي جميع مستعمراتها تقريباً . قالت هذه الجريدة انهُ منذ ست عشرة سنة قام احد العلماء الانكليز ونادى بوجوب

وضع حد لسيل المواليد الانكليزية الذي كان يتدفق يومئذٍ بعزم ولكن اليوم قد انقلبت تلك الآية فضعف ذلك السيل الجارف حتى كاد ينضب وتهدد انكلترا وجميع مستعمراتها بما يشبه الدمار . وهذه العبرة هي التي حدت بالرئيس روزفلت الى القاء الخطب العمومية في هذا الموضوع على الرجال والنساء في اميركا وهي التي دعت المستر كوغلان الاوسترالي ليضم صوتهُ الى صوت روزفلت وينادي من على المنابر بصوت جهوري محذرًا الذين داسوا الشريعة القائلة انموا واكثروا . وقد شعرت انكلترا خصوصاً بعد حرب الترنسفال بانها يجب ان تصب سيول مواليدها على تربة افريقية لحفظ الشوكة البريطانية والاَّ جثت الراية الانكليزية لغيرها من الرايات الاجنبيات

ان معدل المواليد في انكلترا قلَّ عند بزوغ فجر القرن التاسع عشر حينما كانت المدافع الانكليزية تقابل المدافع الفرنسوية في وجه بونابرت وقوَّادهِ . وبعد ان انكشفت غمائم تلك المدافع وانتشرت راية السلم فوق سهول اوربا بدأ دور الزيادة فزاد معدل المواليد الانكليزية وظلَّ في ازدياد حتى بلغ معظمهُ في السنين التي تلت الحرب الالمانية الفرنسوية المعروفة بحرب السبعين فبلغ في سنة ١٨٧٦ نحو ٣٦٫٤ في الالف وهو اعظم معدل ذكر في تاريخ مواليد انكلترا منذ عرفت فيها الاحصاءات المدققة وبعد تلك السنة ابتدأ الهبوط تدريجاً في انكلترا وفي اكثر مستعمراتها ايضاً

ولا ريب في ان الحروب من اعظم البواعث على تقليل السكان ولكن تأثيرها في معدل الزواج يكاد لا يشعر بهِ . ففي سنة ١٩٠١ مثلاً لما كانت تربة افريقية الجنوبية تفلح بالقنابل تزرع بجماجم البوير وتسقى بدماء الانكليز لم يشعر الانكليز بوطأة الحرب في تقليل معدل الزواج بينهم فقد كان معدلهُ ١٥٫٩ في الالف ولم يكن في السنوات الاربع التي سبقت هذا يزيد على ١٦ في الالف . وقبل سنة ١٨٩٦ لم يتجاوز ١٥٫٧ في الالف

ومما يجب ذكرهُ ان معدل المواليد في الشرق الاقصى كاليابان والصين في زيادة مستمرة على خلاف ما هو في اميركا وفرنسا وانكلترا فهل تستمرُّ هذه الزيادة سنين كثيرة وهل تكثر الشعوب الشرقية حتى تضيق عليها بلادها فتزاحم الشعوب الاوربية والاميركية على غير المعمور من الارض وعلى المعمور ايضاً . وهل تعلم الشعوب الاوربية ذلك فتدس الدسائس للشعوب الشرقية حتى يقع بعضها في بعض وتقطع رأسها يدها وتبقى منزلتها من الشعوب الاوربية منزلة العبد من السيد والتابع من المتبوع — ذلك كلهُ مما يسهل تصوُّرهُ ولكن يعسر اقامة الدليل عليهِ

اليابان ووصية سبنسر لها

لقد وفقت اليابان اكثر مما وفقت دولة شرقية اخرى الى تعليم بعض ابنائها في مدارس اميركا وانكلترا والمانيا حيث قرأوا كتب كبار الفلاسفة فخرجوا منها واسعي المدارك احرار الافكار يسعون في مصلحة بلادهم على اسلوب يفيدها ولا يضرّ بها . ومن هؤلاء الرجال رجل اسمهُ البارون كنتارو كانيكو وقد أُعطي لقب بارون بعدئذٍ مكافأةً له . فانهُ درس في مدرسة هارفرد الجامعة باميركا ولما عاد الى بلادهِ تقلَّب في كثير من مناصبها وكان اليد اليمنى للمركيز ايتو وزير الصين الاعظم ولهُ الشأن الاكبر في تنظيم البارلمنت الياباني . انتخب سنة ١٨٩٠ عضواً في مجمع الشرائع الدولية او حقوق الدول الذي يعقد عادة في مدينة جنيفا بسويسرا وكانت اليابان ترقب هذا المجمع لترى ما يكون رأيهُ في اشتراكها مع الدول الاوربية . ومن المقالات التي تليت فيهِ مقالة للسر ترافرس توس المعدود في الطبقة الاولى بين علماء القوانين الدولية اشار فيها على الممالك الشرقية ان تبقى منفصلة عن الممالك الاوربية فقصد البارون كانيكو ان يناضلهُ ويبين لهُ ولعلماء القوانين المجتمعين هناك ان اليابان حرية بان تعامل معاملة خاصة فتنتظم في سلك الدول الاوربية وتعطى حقوقها . واستأذن حكومتهُ في المجيء الى جنيفا لهذه الغاية ليحضر اجتماع هذا المجمع سنة ١٨٩٢ . وكان قد قرأ كتب هربرت سبنسر واستقى من معين فلسفتهِ وودَّ ان يراهُ وجهاً لوجه ويسألهُ رأيهُ في بعض المسائل الهامة . ومرَّ باميركا في طريقهِ الى اوربا وطلب من الاستاذ جون فسك الاميركي كتاباً الى الفيلسوف هربرت سبنسر ليقابلهُ بهِ فابى فسك لعلمهِ بانقطاع سبنسر عن مقابلة الناس لكن البارون لجَّ عليهِ في الطلب فاجابهُ الى طلبهِ وسلَّمهُ الكتاب فسار بهِ الى انكلترا وارسلهُ الى سبنسر مع كتاب آخر منهُ بيَّن لهُ فيهِ غرضهُ من طلب زيارتهِ فجاءهُ الجواب من سبنسر حالاً يدعوهُ الى بيتهِ واستمرَّت المقابلة الاولى ساعتين فان سبنسر كان قد جمع اموراً كثيرة متعلقة بتاريخ اليابان وسياستها وعادات اهلها واديانهم واخلاقهم فجعل يسأل البارون كانيكو عن كل صغيرة وكبيرة منها وسرَّ بذلك جدًّا حتى انهُ ركب معهُ واعادهُ الى النزل الذي كان فيهِ وعرض عليهِ ان ينتظم في عضوية نادي الاثينيوم لكي يراهُ كل يوم لانهُ كان عضواً في ذلك النادي وكان يتغدَّى فيهِ . وبعد قليل أُعلن للبارون كانيكو انهُ قُبل عضواً في ذلك النادي ودعاهُ سبنسر للغداء في اليوم التالي

وذهب البارون كانيكو الى جنيفا وتلا مقالة بليغة في مجمع الشرائع الدولية طلب فيها ان تعطى اليابان حقوق الدول الاوربية وذاكر اعضاءهُ واقنع كثيرين منهم بصحة طلبهِ وعاد

الى انكلترا يسعى لدى رجال الحكومة الانكليزية في تحقيق امنيتهِ وقابل سبنسر وهو ينتظر منهُ كل تعضيد فرآهُ على ضد ما انتظر يشير عليهِ بان تبقى اليابان منفصلة عن الدول الاوربية جيدها . واحتدمت نار الجدال بين الاثنين لكن الغلبة كانت لسبنسر لانهُ جمع من اخبار الممالك وحوادث الامم ما تضيق بهِ الكتب وعرف من اخلاق الناس وعاداتهم ومعتقداتهم ما اوصلهُ الى احكام مقررة لا تتغير . ثم كتب لهُ الكتاب التالي جامعاً فيهِ زبدة ما اشار بهِ عليهِ وارشدهُ اليهِ وهذا تعريبهُ

"سيدي العزيز . اني اجيبك الى ما طلبتهُ وهو ان ترسل ترجمة كتابي الى الكونت ايتو وزير اليابان الجديد فافعل ما تريد . اما من جهة المسائل الاخرى التي سألتنيها فاقول بوجه عام ان سياسة اليابان يجب ان تكون ابعاد الاميركيين والاوربيين عنها ولو قيد ذراع . فان موقفكم حرج والخطر المحدق بكم مزمن لوجود امم اخرى اقوى منكم فابذلوا اقصى جهدكم في منع الاجانب من ان يتمكنوا في بلادكم

"ويظهر لي ان المعاملات التي تفيدكم ولا تضرُّ بكم انما هي المعاملات اللازمة لتبادل الحاصلات الطبيعية وغير الطبيعية من صادرات وواردات . فلا تمنحوا امتيازات لامم اجنبية وخصوصاً الامم التي هي اقوى منكم الاَّ ما كان لازماً منها لهذه المعاملات . فاني ارى انكم تريدون من تنقيح المعاهدة التي بينكم وبين دول اوربا واميركا ان تفتحوا سلطنتكم كلها للاجانب ولاموالهم فساءتني هذه السياسة لانها الضربة القاضية عليكم . فاذا اردتم ان تعلموا ما سيحلُّ بكم فاقرأوا تاريخ الهند . أنيلوا احدى الدول القوية موطئ قدم في بلادكم ومسنداً تستند اليهِ فتتحول الى الاعتداء عليكم بمرّ الزمن ويفضي الامر الى وقوع النزاع بينها وبينكم فتشيع ان ذلك النزاع انما هو اعتداء منكم عليها فيجب ان تثأر لنفسها منكم . فتضع يدها على قسم من بلادكم وتستعمرهُ بابنائها وتتخذهُ قاعدة تحمل منها عليكم لاخضاع سائر السلطنة اليابانية . نعم انكم تجدون المصاعب العظيمة في تجنُّب هذا الخطر ولكن اذا منحتم الاجانب امتيازات غير التي ذكرتها سهلتم عليهم ما يسعون اليهِ

"ولتفصيل هذا الاجمال اقول جواباً عن سؤالكم الاول انهُ يجب ان تمنعوا الاجانب من امتلاك ارض في بلادكم ومن استئجارها الى مدة طويلة وانما تسمحون لهم باستئجارها سنة فسنة

"واقول جواباً عن السؤال الثاني امنعوا الاجانب من التعدين في مناجم حكومتكم منعاً تاماً لان ذلك قد يفضي الى وقوع النزاع بين الاوربيين او الاميركيين الذين التزموا المعادن وبين الحكومة فيستنجد الملتزمون بدولهم ويطلبون منها ان ترسل الجنود لانصافهم وانالتهم ما يطلبونهُ

معها جاروا في طلبهم . والعادة عند الاوربين ان يصدقوا جميع ما يقول وكلاؤهم وعملاؤهم الذين في الخارج

"واقول جوابًا عن السؤال الثالث انهُ يجب عليكم ان تبقوا تجارة سواحلكم في ايديكم ولا تجعلوا للاجانب يدًا فيها اما الاصناف التي تأتيكم من الخارج ويباح للاجانب ان يأتوكم بها فليكن موزعوها والمتاجرون بها في البلاد منكم لا من الاجانب الذين يأتون بها الى بلادكم لئلا يفضي ذلك ايضًا الى خصومات كثيرة تجر التعدي على املاككم

"اما سؤالكم الاخير المتعلق بالتزوج من الاجانب وهو السؤال الذي يشغل علماءكم وساستكم وتعدونهُ من اصعب المسائل كما قلتم في كتابكم فليس بالصعب حقيقة وجوابي عنهُ ان تمنعوا مزاوجة اليابانيين والاجانب . وهذه المسألة ليست من شأن الفلسفة الاجتماعية بل من شان علم الحياة (البيولوجيا) . فانهُ ثبت من تزاوج اصناف البشر المختلفة وتزاوج اصناف الحيوانات المختلفة انهُ اذا زاد الاختلاف بين الاصناف المتزاوجة عن حد معين كان النتاج ضعيفًا وقد سمعت ما يؤيد هذا الامر منذ نصف ساعة فقط فاني نازل هذه الايام ضيفًا على رجل معروف في الجبل وخبير بتربية المواشي وقد اكد لي انهُ اذا تزاوج صنفان من الغنم يختلف احدهما كثيرًا عن الآخر كان نتاجهما ضعيفًا جدًّا وخصوصًا في العقب الثاني . وهكذا يحدث بين البشر كما ترون في المتولدين بين الهنود والاوربيين . والسبب الفسيولوجي في ذلك هو على ما يظهر ان كل صنف من الاصناف يكتسب على مر الايام مزايا وصفات تؤهلهُ لحالة خصوصية من حالات الحياة فاذا تزاوج صنفان تختلفان اختلافًا عظيمًا في اصلهما وفي احوال الحياة التي اعتاداها جاء نتاجهما فاقدًا لمزايا كلٍّ منهما غير صالح لحال من احوال حياتهما . ومهما يكن من ذلك كله فوصيتي لكم ان تمنعوا تزاوج اليابانيين والاجانب

"وبناء على ما تقدم استصوبت القوانين التي سنتها اميركا لتقليل مهاجرة الصينيين اليها ولو استطعت لقللت مهاجرتهم اليها ما امكن وذلك لانهم اذا استمروا على المهاجرة فاما ان يحافظوا على قوميتهم ولا يزاوجوا الاميركيين فيكونوا كالعبيد بينهم . واما ان يزاوجوهم فيأتي نسلهم ضعيفًا فالنتيجة ضرر على الاجتماع الانساني في الحالين وبالتالي صيرورة هذا الاجتماع فوضى وهذا ما يحدث اذا تُرك الاوربيون والاميركيون يزاوجون اليابانيين . فترى من ذلك ان وصيتي تقضي العزلة من كل وجه . واختم كتابي بما بدأتهُ وهو ان تبعدوا الامم الاخرى عنكم ما استطعتم . هذه هي نصيحتي اسرّها اليكم راجيًا ان لا تذاع في حياتي لاني لا احب ان اهيج ابناء وطني ولا ان اسخطهم عليَّ"

هربرت سبنسر

"صح قلت اني اروم ان يبقى كتابي هذا سرًّا ما دمت حيًّا ولكن لا يخفى عليكم اني لا أُريد بذلك القول ان تكتموهُ عن الكونت ايتوبل اريد ان تطلعوهُ عليهِ ليحلهُ محل النظر والاعتبار "

وتاريخ هذا الكتاب ٢٦ اغسطس سنة ١٨٩٢ ويقول المطلعون على احوال اليابان انها جعلتهُ قاعدة لسياستها وجرت عليهِ تماماً فلم تشارك الدول الاوربية في شيء الاَّ بعد ان قوي ساعدها ولم تعد تخشى اعتداءهم عليها. ثم لما رأَت ان هذه المشاركة قد توقعها في مشاكل لا تقوى عليها وحدها تحالفت مع الدولة التي تنتظر منها المساعدة الكبرى في بلادها النائية وهي انكلترا سيدة البحار فحالفتها ووقفت في اقاصي المشرق عزيزة الجانب تناظر روسيا وتحدَّاها

وخلاصة وصية سبنسر ان الضعيف يجب ان يتعلم من القوي ويتجنبهُ الى ان يقوى ويصير بمأمن منهُ . ولكن لو عمَّت حقوق الدول لصارت الممالك الضعيفة في غنًى عن هذه الوصية وهذا التجنُّب فان في اوربا ممالك صغيرة لا تتجنَّب الممالك الكبيرة التي حولها ولا تخشى من اعتدائها عليها لانها خاضعة كلها لما يُعرَف بقانون حقوق الدول

سكان مصر الاقدمون

ان تاريخ مصر المسطَّر في كتب المؤرخين الاقدمين وفي ما كشف من الكتابات المصرية يمتد الى عهد الملك مينا وهو اول ملك من ملوك الدولة الاولى التي قامت قبل المسيح بنحو ٤٤٠٠ سنة على ما استنتجهُ العلاَّمة برغش او قبل المسيح بنحو ٥٠٠٠ سنة على ما استنتجهُ العلاَّمة ماريت لكن سكنَ القطر المصري امم كثيرة قبل زمن الملك مينا كُشفت آثارها فيهِ منذ عهد قريب. واقدم هذه الآثار موجود في الصحراء على جانبي وادي النيل واكثرها من الظران اي قطع الصوان التي كان الاقدمون يكسرونها ويسوُّونها لتكون نصالاً للسهام وسكاكين للقطع وادوات للحرب

وقد كان هذا القطر منخفضاً بفعل طبيعي بركاني وكان ماء النيل يغمرهُ ويعلو مئات من الاقدام فوق الحد الذي يبلغهُ الآن. ثم اخذت ارضهُ ترتفع رويدًا رويدًا بفعل طبيعي والنيل ينحسر عنها وينخفض بارتفاعها الى ان بلغ الحد الذي يبلغهُ الآن

ويظهر من تقدير الطمي الذي يرسب في النيل سنويًّا ان الزمن الذي ابتدأَ فيهِ ماء النيل ينحسر عن واديهِ وتظهر الارض الزراعية ليس بعيدًا جدًّا فقد قال الاستاذ بتري انهُ كان قبل المسيح بنحو سبعة آلاف او ثمانية آلاف سنة ومن رأيهِ ان الانسان هاجر الى هذا القطر

حينما ابتدأ ماء النيل ينحسر عن الاراضي الزراعية فسكن المرتفعات التي حولها وكان يعيش من صيد سمكها واقتناص طيورها و يصنع الظران من صوان الصحراء ولم تزل مصانعهُ فيها الى الآن. وعندهُ ان الانسان الذي قصد القطر المصري اولاً من بقايا الاقوام الذين سكنوا اوربا في العصر الحجري القديم فان قطع الصوان التي وجدت من آثارهم في هذا القطر مثل القطع التي وجدت في المدافن القديمة في فرنسا وانكلترا . ولم يظهر من آثارهم في اوربا ما يكفي للدلالة عليهم لان الامطار والسيول جرفت عظامهم من مدافنهم او فتتتها ولكن يرجى ان يكشف من آثارهم في هذا القطر ما يدلُّ عليهم دلالة واضحة فقد كُشف في اقدم مدافنهم المصرية عظام تدلُّ على انهم كانوا من شعبين مختلفين الواحد دقيق العظام مثل الاقوام الساكنة الآن في سواحل بحر الروم والثاني غليظ العظام مثل الشعوب الافريقية المعروفة بالبشمن الساكنة في جنوبي افريقية . ثم ان آثار هذا الشعب الاخير زالت سريعاً كأن الشعب الدقيق العظام كان ارقى منهُ حضارة واوفر حيلة فتغلب عليهِ وطردهُ من وجههِ فلجأ الى مجاهل افريقية وما زال يوغل فيها امام الشعوب المرتقية الى ان وصل الى جنوبيها

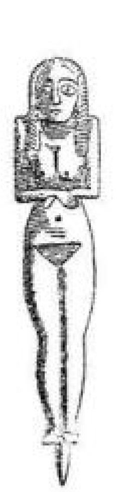
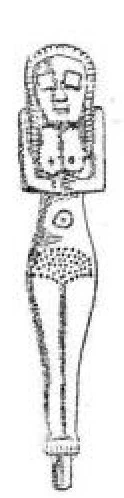
وقد كُشفت الوف من قبور هؤلاء الاقوام في القطر المصري وعُلم من البحث في آثارهم ما يأتي ملخصاً مما كتبهُ الدكتور بدج حديثاً في هذا الموضوع

اولاً . ان هذا الشعب القديم او "الشعب الجديد" كما سماهُ بتري سكن القطر المصري قبل المصريين الذين نشأت منهم الدول المصرية المعروفة . واول من حقق ذلك واقام الادلة الكثيرة عليهِ هو المسيو ده مورجان الذي كان منذ بضع سنوات مديراً لدار التحف المصرية في هذا القطر

ثانياً . انهم مثل سكان شمالي افريقية وكانوا بيض الابدان شقر الشعور او ان شعرهم كان اسود ولكن ملح الارض التي دفنوا فيها جعلهُ يشقرُّ . رؤوسهم مستطيلة من الامام الى الوراء كرؤوس الاوربيين وشعرهم قصير رجالاً ونساء ولحاهم طويلة مستدقة ووجوههم بيضية الشكل وشفاههم بارزة قليلاً وعيون نسائهم طويلة لوزية الشكل وحواجبهنَّ طويلة مقوسة وقامات الرجال والنساء طويلة واجسامهم نحيفة وكانوا يشمون اجسامهم بصور الحيوانات ويقيمون عراة لا يلبسون ثياباً ولكن رؤساءهم كانوا يتردون بجلود الحيوانات من المعزى والغزلان يصنعونها تبابين ومآزر و يربطونها حول احقائهم و يبقون اذنابها معلقة بها تتدلَّى من ورائهم وبقي ذلك شائعاً في عهد الدول المصرية . ثم صار نساؤهم يلبسن قميصاً يصل من الوسط الى الكاحل وسائر الجسم يبقى عارياً . وقد علم ذلك كلهُ من عظامهم ومن تماثيل العظم والعاج التي وجدت في مدافنهم . والصورتان التاليتان من صورهم وهما مصنوعتان من العاج وتمثلان امرأتين وكانت الصور الاولى

تمثلهنَّ من غير شعر ثم صرنَ يطلقنَ شعورهنَّ ويقصبنها كما ترى في هذين الشكلين وكان للشكل الاول منهما عينان من اللازورد كأنهُ اريد بهِ الدلالة على ان العينين كانتا زرقاوين

ولم يكونوا يعرفون نسج المنسوجات لانهُ لم يكشف اثرلها بين آثارهم لكنهم كانوا يعرفون قطع الحجارة وصقلها فان نساءهم كنَّ يتقلدنَ بقلائد من العقيق واليشم والصوان والصدف وعرق اللؤلؤ وكانوا يصنعون الدمالج من الصوان على ما في عملها من الصعوبة والمهارة · ووجدت بين آثارهم امشاط من العظم قصيرة الاسنان طويلة المقابض منقرشة من رؤوسها كالامشاط التي يشكل النساء شعورهنَّ بها الآن

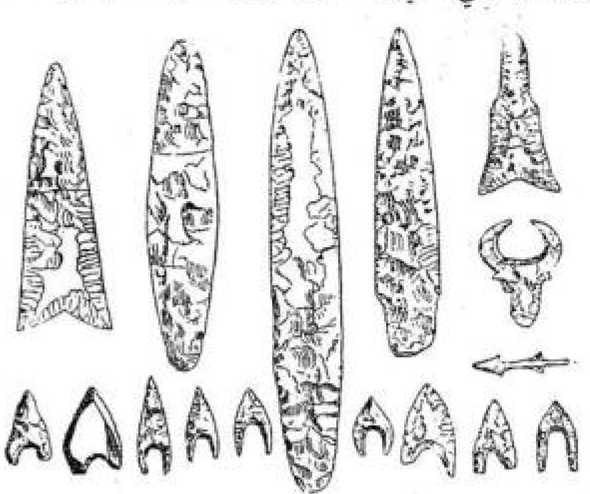
(الشكل الاول) تمثالا امرأتين مصنوعان من العاج

ومن آثارهم الغريبة التي وجدت في مدافنهم قطع من العاج في اشكال التماثيل مجوفة ولها غطاء صمغي وفيها مسحوق ملون كالكبريت او كالانتيمون كأنها كانت مكاحل للنساء · ولعلَّ المثل العربي القائل صارت عظامهُ مكاحل مأخوذ عن هذه العادة · وكانت مساكنهم اكواخاً من القصب واغصان الاشجار مثل الاكواخ المستعملة في بعض جهات السودان الآن

وكانوا يدفنون موتاهم ملفوفين بجلود الحيوانات وهذا يدل على اشتغالهم بالصيد · ثم ان كثرة وجود العاج بين مصنوعاتهم يدلُّ على ان الفيل كان كثيرًا في القطر المصري وقد سميت جزيرة ابو او جزيرة الفيل الفنتين باسمهِ لان معنى "ابو" الفيل · ولم يكن صيد

الحيوانات الكبيرة كالفيل والكركدن والنعامة بالامر الصعب عليهم لان هذه الحيوانات تجتمع في الجزائر التي تحيط بها مياه النيل بعد الفيضان

وكانت اسلحتهم من الظران اي قطع الصوان المصنوعة في اشكال النبابيت والفؤوس والحراب والسهام · وقد وجد كثير منها في مدافنهم وتدل اشكالها المرسومة في الشكل الثاني على انهم كانوا يعتنون بعملها وقد مهروا في ذلك مهارة فائقة فصنعوا بعضها في شكل النصال وبعضها في شكل رؤوس الكباش وقرونها · وبقي المصريون يستعملون الظران بعد ان اكتشفوا عمل الادوات من المعادن

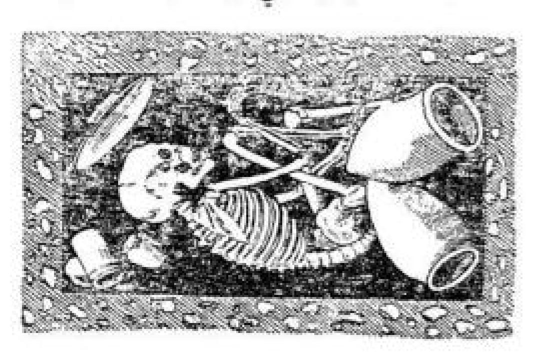


(الشكل الثاني) ادوات الظران رؤوس حراب وسهام

وتفننوا في عمل الادوات من العظم والعاج والحجر وعملوا منها آنية مختلفة ولم يتركوها ساذجة بل نقشوا ظاهرها بخطوط لولبية وخطوط متموجة · واتصلوا الى عمل الخزف وآنيتهم الخزفية متقنة الصنع نوعاً وجهها صقيل كأنهم كانوا يصقلونها بقطع الصوان · ولون خزفها اسود او احمر وبعضهُ ملون وعليهِ صور الناس والحيوانات وتصويرهم للحيوانات متقن لاسيما الغزلان

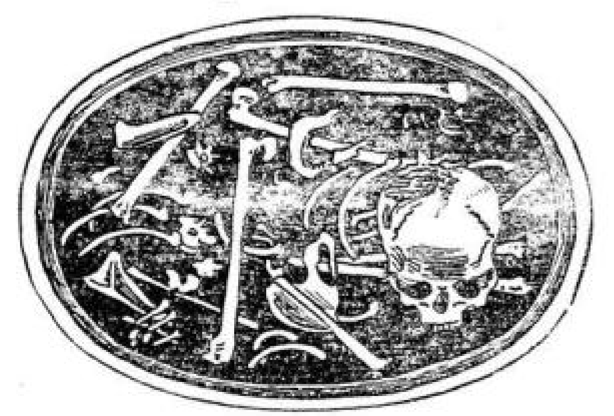
اما مدافنهم وهي العمدة في آثارهم فالمتوغلة منها في القدم محفورة في الصحراء والغالب ان تكون الحفرة مستديرة وقريبة بعضها من بعض حتى قد تتصل رمة الدفين الواحد برمة الدفين الآخر · يوضع الدفين فيها على جانبهِ الايسر ويوجَّه رأسهُ الى الجنوب غالباً وترفع ركبتاهُ حتى توازيا صدرهُ وتوضع يداهُ امام وجههِ كما في الشكل الثالث ويوضع حولهُ آنية مختلفة من الخزف وادوات من الصوان والعظم والعاج · وقد يلف جسمهُ بجلد غزال ويربط بسرائد منهُ · او يوضع على حصير من

القصب . ولم يكونوا يحنطون موتاهم . ثم صاروا يبنون القبر او يبطنونهُ بالحجارة او بالآجر ويحرقون الميت كلهُ او بعضهُ فاذا حُرق كلهُ طرحوا ما بقي من عظامهِ في القبر من غير انتظام واذا حرقوا



(الشكل الثالث) قبر قديم وضع الميت فيهِ على جنبهِ الايسر والقبر مبطن بالآجر وفيهِ آنية خزفية مختلفة

بعضهُ دفنوهُ دفناً كما يدفنون الميت الذي لم يحرق . ويحتمل ان هذه الاجسام المحروقة كلها او بعضها لم تحرق عن قصد بعد موتها بل حرقت في الاكواخ بنار شبَّت فيها فجمعت منها ودفنت



(الشكل الرابع) قبر فيهِ عظام كثيرة مجردة من لحمها

وقد توجد العظام في القبر مفصولة بعضها عن بعض كما ترى في الشكل الرابع ويظهر لنا انها عظام اناس قتلوا في الحرب فجمعت ودفنت بعد ان اكلت السباع لحمها

هذه خلاصة ما عرف عن هؤلاء الاقوام وسنأتي في الجزء التالي على ما يُظن من امر الامة التي دخلت القطر المصري ونشأت منها الدول المصرية الاولى

فوائد في العوائد

"كل امرء وما تعود" حديث سلمت بهِ البداهة وحكم ايده الاختبار ومعناه ان من تملكت فيهِ عادة من العوائد ظهرت في خلال اعمالهِ بلا قصد ولا تكلُّف . والعادة في شرع العارفين ليست كالخلق لان الثاني يشترط فيهِ ان يكون غريزيًا مخلوقًا في نفس المرء كما قال حسان الانصاري عن قومهِ :

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهمُ او حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثةٍ ان الخلائق فاعلم شرُّها البدعُ

وذلك بخلاف العادة فانها تؤخذ بالممارسة والتكرار . اما التخلُّق او التكلُّف فليس بخلق لانهُ ليس طبيعيًا موضوعًا في الفطرة ولا بعادة لانهُ ليس مستمرًا . قال الشاعر

فيهِ الكرامة خلقٌ لا يزايلهُ ليس التخلُّقُ بالاخلاق كالخُلُقِ

ووجود مثل هذه الصفة في الناس دليل العجز والجبن ولذا لا اتعرض للبحث عنها

وقد قالت علماء الاخلاق ان المرء مجموع عادات ومعناه ان قيمة الانسان ومقدار نفعهِ يتوقفان على ما يبديهِ من الحركات الاختيارية التي تظهر فيهِ بغير جهدٍ او تكلُّف فان كانت حسنةً وثق بها الآخرون واتبعوها وان كانت غير ذلك هجوها وهجروها

والعوائد المقتبسة اذا ثبتت في نفس الانسان وامتزجت بصفاتهِ الباطنية وظهرت في كل حين منهُ بلا تعسُّف كان حكمها فيهِ حكم الغريزة وامكننا ان نطلق عليها لقب سجية او خلق . وقد يلتحف الانسان بعادةٍ او سجية مضرة بغير تروٍ تتطرق اليهِ من باب المعاشرة والقدوة فتصير ملكة فتتسلط على اعضائهِ تسلط الرأس على البدن فيقع في حبائل اعمالهِ ويحصد نتيجة تغافلهِ . ولذا كان التروي من اوجب الامور واستعمال الحكمة من الزم الوسائط للحذر من الوقوع في اشراك العوائد المضرة

لنتصور انسانًا أُلزم بحكمٍ ان يحمل طوقًا من الحديد المطروق الثقيل حول رقبتهِ او سلسلة حول معصمهِ وان لا يلقي عنهُ هذا الحمل ما دام حيًا . فكم يصيبهُ من الالم والعذاب وكم يئنُّ ويتنهَّد لانهُ لا يرى لهُ مناصًا من هذا السجن الابدي ولا امل لهُ بالنجاة من اوصاب هذا القيد المستمر ؟ هكذا يكون حكم العادة في الانسان فان سلطانها ليس باخف وطأة من هذا السلطان . فما احرج هذا المسلك — مسلك اختيار العادات — ولا يخفى ان الانسان سهل الالتحاف بالعادات حتى قيل انها " تجري اليهِ على زلقٍ منحدر " خصوصًا ما كان منها رديئًا لان

المرء يجذب بحبائلها على ابعد مسافة و باقل الفواعل . نعم انهُ لا ينقاد اليها لاول وهلة الاَّ انهُ مع ذلك ينبغي ان يكون على حذر منها لانها تقوى عليهِ بقانون الطبيعة شيئاً فشيئاً حتى يعنو اليها صاغرًا . فالحبل الذي يستعملهُ الملاحون في جر اعظم السفن ثقلاً مركب من خيوطٍ دقيقة الى الغاية والياف واهية جدًا . وهذا الحبل ترتجي تحت قدميهِ اعظم السفن هولاً وتنقاد اليهِ اعلاها جسماً وفخامةً . هكذا تكون العادات فان ما يظهر حقيرًا فيها بالتجزئة تنقاد اليهِ المقامات الرفيعة والنفوس العالية

ولا بد من العوائد للانسان لانها كما نعلم المجرى الذي تسير فيهِ الاعمال والافكار والاحساسات ولا فرق بين ان كانت رديئة او صالحة لانها لا بد من ان تتحد بطبائع الانسان حتى تصير جزءًا منها او "طبيعة ثانية لهُ" قيل ان رجلاً انكليزيًا كان لا يشعر بدفء والنار قريبة منهُ الاَّ اذا وضعت في محلٍ قديم تعوَّد ان يدفأ فيهِ نحوًا من ستين سنة . وقيل ان رجلاً قضى في سجن الباستيل ردحاً من الزمان فبعد ان خرج منهُ طلب ان يرجع اليهِ ليقضي باقي عمرهِ فيهِ لانهُ تخلق في السجن باخلاق لم يستطع تغييرها وهو خارجهُ

والشبان الذين اخاطبهم الآن لا بد انهم يهتمون باتخاذ عوائد تنطبق على افكارهم واعمالهم وربما كان اكثرهم الآن في جهادٍ متواصل في استعمال الاختبار والعقل لاتخاذ اسلم العوائد التي ينالون من ورائها السعادة والنفع . اني لا استغرب انهم يبذلون هذا المقدار من الاهتمام بهذا الامر الخطير ولكني استغرب لان هذا الاهتمام لم يصل الى حدهِ الواجب لانهُ ينبغي ان يكون عمل الحياة المستمر

افرض يا هذا انهُ قُدّر عليك ان تختار نوعاً من الملبوس لا تغيرهُ مدى الحياة فكم من الفكر والتمييز يلزمك لتنتقي ذلك الملبوس . ولو أُمر عامل ان يستعمل فأساً كل ايام حياتهِ فاي حكمة وتمعن يلزمانهِ لانتقاء تلك الفأس . هذه المفروضات اقل خطرًا من انتقاء العوائد النافعة

فكما تريد ان تحلي جسمك بملبوس مريح مناسب مقبول اي ليس ضيقاً يمنع نمو الجسم ولا هو فوق ما يناسب احوالك ولا مستهجناً في ذوق العقلاء هكذا ينبغي ان تتروى بكساء العوائد التي تضمن لجسمك نموًا ولصحتك اعتدالاً ولثروتك ازديادًا ولآدابك ارتقاء وامتداحاً . وكما ان الجسم يظهر بهاؤهُ واعتدالهُ في الرداء المنتظم المريح هكذا جمال النفس وبهاؤها يظهران في العوائد السليمة الصالحة والسجايا الكريمة الفاضلة

ولا ارى من صعوبة في اقتباس العوائد الصالحة متى وجدت الرجولية الحقيقية والثبات الواجب " فمن تعود البطالة من صغره يقدر ان يعمل عشر ساعات في النهار في حمل الحجر

اذا ابتدأ ذلك بجدٍ مع المثابرة والاَّ فكيف يقوم العامل اليومي بهذ العمل الشاق ان كان الامر غير ممكن . وما يقال في الامور المادية يقال في غيرها

ولا اريد ان اتعبك ايها القارئ بان اذكر لك كثيرًا من العوائد التي ارى الحاجة ماسة اليها ولكني اخص ما كان منها هامًا للشبان والامل ان يكون منهم كثيرون ممن يقرأُون باهتمام هذه الجمل البسيطة لاني قصدت ان اجعلها موجزة للغاية ومحدودة الالفاظ خالية من التنميق حرصًا على وقت القارىء ومع ذلك فربما لا اتمكن الآن ان اكتب الاَّ في عادتين

واول عادةٍ اجعلها بيتًا لقصيد البحث هي هذه :—

﴿ عيّن ما ينبغي ان تفعل في يومك ﴾ . العمل اليومي خطوة في سبيل حياة السعادة التي يقصدها عقلاء القوم ولا يوجد سبيل محفوف بالمخاطر وملآن بالمعاثر نظير هذا السبيل . ولذا يحتاج السائرون فيهِ الى تمعن تام وحكمةٍ عظيمة وتدبر جديرين يطرقون سبيلاً كهذا

السائرون في النجود والسهول يحتاجون الى خريطة معينة موثوق بها تكون رائدًا لهم ومرشدًا لا يتجاوزون حدوده وبهذا المعنى يقال ان العامل او الساعي يحتاج في سعيهِ الى رائدٍ يعلن لهُ اعمال يومهِ حتى يتدبرها

وحياة الانسان طالت او قصرت ينبغي ان توجه اعمالها الى غاية واحدة . والمرء الذي يسعى لغير غاية يهوي بنفسهِ الى مهاوي الضلال والجهالة ومثلهُ كمثل سفينة في الاوقيانوس لها قوة للسير ولكن لاوجهة لمسيرها تلعب بها الرياح وتخبطها الامواج حيث شاءت . هكذا الانسان الذي يعمل كثيرًا و يستفيد قليلاً — فهو كثير الكارات قليل البارات . فالى مثل هذا يقال خير لهُ ان يعين غايةً يسعى اليها وآمالاً يرقبها وهذا لا يتأتى الاَّ بتعيين اعمال كل يوم على حدتهِ

من الناس من يخرج من بيتهِ لغاية غير معروفة او على الاقل غير معينة فيمشي كثيرًا ويرى اصحابًا كثيرين و يتكلم كثيرًا وعندما يحاسب نفسهُ على فراشهِ يجد ما اقل ما افاد بهِ او استفاد منهُ والسبب لانهُ لم يعين لخروجهِ عملاً خاصًا وربما قضى اكثر وقتهِ يتأمل في نوع الفائدة التي يبغيها

كان رجل عالمٌ اذا سألتهُ عن مسألةٍ يحتاج الى جوابها دقيقةً اجابك " لا وقت لي للجواب لاني لم احسب لها حسابًا قبل خروجي من بيتي " فلا غرابة ان صار لهذا العالم وامثالهِ المكان الاول بين البشر قاطبةً لانهم يقدرون الحياة و يرتبون اعمالها فينتفعون او ينفعون بها . اما ما يظهر فينا من التقصير في هذا الامر فهو علة انحطاطنا وسبيلنا ان ننهض الى اتخاذ هذا المبدإ لانهُ من اشرف وانفع مبادىء الحياة بل ان تعيين الاعمال اليومية مما يجيز القوى

العقلية بفعل التنبُّه الى الشروع فيها بسهولة و يعطيها فرصةً لزيادة الامعان وثبات العزم · قال احدهم " لم اقدم على عمل من خمسين مما عملت بتدبير سابق ولكني ندمت على كل عمل اكملتهُ بدون تدبُّر "

٢ ﴿ اشغل وقتك بالعمل والجد ولا تجاوزهُ الى آخر حتى ينتهي ﴾

" الاجتهاد يمين النجاح " حديث المفلحين في كل العصور · لم يقل " المواهب " او الفرص يمين النجاح لانها قد تكون بيد الكسول كاللؤلؤة بيد الجاهل لا يعرف قيمتها ولا يحسن التصرف فيها · والاختبار يؤيد ان اكثر اصحاب المواهب العظيمة ليسوا اصحاب جد وامانة ولو استعملوا مواهبهم حسب هذا المبدإ لاستفاد العالم منهم فائدة تذكر ولكنهم كما يؤيد الاختبار يستعملون مواهبهم العظيمة كعكاز يتوكأون عليهِ للراحة والخمول لا ليطرقوا بهِ ابواب المجد والنجاح وبهذا تصير المواهب التي لهم كقطعةمن الحديد تترك بلا استعمال الى ان تأكسد في الهواء وتصدأ بفعل الطبيعة حتى تأكلها العوارض وتفنيها الايام

والاجتهادلا يشترط فيهِ ان يصحب المواهب السامية لانهُ وحدهُ كافٍ لنيل اسمى اغراض الحياة · وقد يجلب لاهلهِ ما لا تجلبهُ المواهب السامية بأسرها . والاجتهاد الذي اقصدهُ ليس من مستغربات الطبيعة او من الامور غير الممكنة لان معناهُ ان يشغل الانسان فراغ وقتهِ بعمل يتدبرهُ لينال من ورائهِ اتمام غاية حياتهِ السامية ولذا فهو ميسور لجميع الناس

ينتج من ذلك انهُ لا عذر للضعفاء في تقصير آمالهم بالحياة زعماً منهم ان قواهم لا تكفي لنيل تلك الآمال لان كنوز المجد والسعادة ترحب بكل مجتهد

فاذا وعد غنيٌّ بجائزة من يقطع مسافة معلومة ورأيت بين الاصحاء اعرج يخمع على نخذهِ قاصداً قطع تلك المسافة علمت ان الغني لا يتأخر عن مكافأة هذا الرجل بنفس ما كافأ بهِ غيرهُ ولو وصل بعدهم بزمن · بل ربما كافأ الاعرج اضعاف ما يكافئ بهِ غيرهُ . هذا عين ما يجدهُ الذين يطرقون باب الآمال بيد الاجتهاد لا بيد المواهب ومساعدة الفرص ··· قال المثل الايطالي من يسر متمهلاً يسر طويلاً وقال الشاعر

لاستهلنَّ الصعبَ او ادرك المنى　　فما انقادت الآمالُ الاَّ لصابرِ

نستغرب كثيراً حينما نرى او نسمع بعدد المجلدات الفخمة التي الفها كتَّاب العصور الماضية . ولكن اذا علمنا ان سر تلك الاعمال هو استعمال الاوقات بالاجتهاد زال استغرابنا لان الحياة المشغولة بالاعمال تستطيع ان تملأ العالم من الفوائد · وهذا عين ما امتاز بهِ النجار بن مريم الذي استعمل كل فرصة للعمل والفائدة فغير العالم روحياً وادبياً وغرس اصول الفضيلة واسس قواعد المدنية

بعض الشبان معرضون حينما يبتدئون بعمل لان يظهروا جهدًا فائقًا ولكنهم لا يلبثون ان يملوا ويميلوا الى قضاء وقت اطول مما يلزم في الراحة من عناء ذلك التعب . وفي هذا الطريق من الخطر ما لا يخفى

وغيرهم عرضة لان يحبوا العمل الجديد فيأتونهُ بكل القوة ثم يمقتونهُ ويؤثرون الكسل على العمل بهِ . هولاء لا يجنون شيئًا من اتعابهم . يزرعون كثيرًا ولا يحصدون شيئًا . يقال ان الذي يمشي مستعملاً كل قوتهِ ثلاث ساعات كل يوم دار حول الكرة الارضية في سبع سنوات وذلك بفعل الاستمرار فاذا قضى عشر ساعات يدور حول الارض في نحو سنتين وهو زمن قليل في ذاتهِ وكثيرٌ باعتبار المثابرة وعدم الانقطاع . هكذا يقدر من اراد ان يقطع اي فلاةٍ من فلوات المعارف والتقدم

الهنود يؤثرن المثل الآتي على غيرهِ من الامثال وهو " المشي خير من الجري والوقوف خيرٌ من المشي والجلوس خيرٌ من الوقوف والنوم خير من الجلوس " . وكان هذا المثل وحدهُ علة لانحطاط الامة عمومًا فلينتبه القارئ

ولا يخفى ان الله جعل للمرء عمرًا محدودًا واعدَّ لهُ من الازل عملاً يناسب ذلك العمر ولذا يلوح لي ان من لا يستعمل كل وقتهِ فاما انهُ يستجهل الله لانهُ اطال عمرهُ بغير قصد واما انهُ يدل على تقصيرهِ في اتمام ما قصد الله ان يتممهُ بهِ ونظير هذا انسان لا يستطيع عند ما يبرح هذه الحياة ان يقول " اكملت السعي "

اكد احدهم لصاحبهِ في جواب لهُ انهُ لم يمضِ عليهِ يومٌ لم يكتب فيهِ شيئًا من مؤلفات او يقرأ جانبًا من المطولات وان هذا كان سببًا في رفعتهِ وداعيًا لعلو شأنهِ . وقد قرات الان عن رجل كان عظيم النفوذ بين قومهِ يدعى (روترفورد) لم تكن لهُ لذة الأ في الاتعاب ولا سعادة الأ في العمل كان يلقي كل يوم خطابًا دينيًا او موعظة ادبية مكتتبة ويصلح مقالات احدى الجرائد قبل الطبع ويزور المرضى ويفتقد بعض العائلات ويعلّم في احدى الكليات ويقضي وقتًا مع بعض الشبان لحثهم على الاهتمام باعمال الحياة الخطيرة وفوق هذه الواجبات اليومية وُجد بعد موتهِ ان لهُ من المؤلفات ما يزيد عن المائة مجلد في مواضيع مختلفة حتى يخال للمتأمل ان حياتهُ كانت اقصر من ان تكفيهُ لكتابة تلك المجلدات وكانهُ لم يكن يعوزهُ وقتٌ للاكل والشرب والراحة والرياضة نظيرنا

وقد يظن كثيرون انهُ لا يجوز ان تنهك القوى دائمًا بالعمل لان ذلك يحرم الانسان السعادة والحال ان العمل بعكس ذلك يقوي البنية الادبية والمادية ويلذ للنفس ويهذب

الصفات ويرقّي المدارك وان شئت فقل ان عدم العمل هو الذي يضعف القوى العقلية والجسدية . فقد سأل مرة المركيز سبينولا السر هوراس لِمَ مات اخوك فاجابهُ مات لعدم العمل يا سيدي فقال ذاك نعم فان ذلك كافٍ لقتل العلم والفضيلة باسرها . وقد قالت الاتراك في امثالها "الرجل العامل يحاربهُ شيطان واحد اما الكسلان فيحاربهُ الف" وقال المثل الاسباني "العامل يجربهُ الشيطان اما الكسلان فيجرب الشيطان" . فكم تكون حياتك ايها الشاب العزيز سعيدة اذا شغلت وقتك بالعمل

ويوجد مانع عظيم يؤخر نجاح المشتغلين ويذهب باتعابهم ادراج الرياح وهو سرعة التنقل من عمل الى آخر قبل ان ينجز . فقد يشغلون كل اوقاتهم بالعمل ومع ذلك فتركهم الاعمال كالاثمار الغير الناضجة تجعل لهم زرعاً كثيراً متعباً بلا حصاد مفرح . فالبعض يقرأون او يسمعون سيرة رجل عظيم فتأخذهم الغيرة الطبيعية ويرتاحون الى محبة الاقتداء بالصفات الجليلة التي كانت سرًّا لنجاحهِ فيؤثرونها على غيرها الى حين ولكن اذا ما انكشفت لديهم صعوباتها هجروها ولازموا طريقاً آخر . قال احدهم "اعرف رجلاً سمع عن عالم كتب على بابهِ ينبغي للزائر ان يشترك مع اهل البيت في اعمالهم فكتب هو ايضاً ذلك على بابهِ بحروف واضحة وانكبَّ زمناً على اعمالهِ اليدوية وبعد قليل سمع بعضاً يمتدحون مؤلفات العالم بلاكستون فرمى المصنوعات التي في يدهِ غير كاملة واخذ يقرأ مؤلفات ذلك العلامة وبعد ان سرَّ بها في البداءة ورأى متاعب المطالعة سمع رجلاً يقول ان المرء يستفيد من المحادثة اكثر من المطالعة (وهي حقيقة مشكوك فيها عند العقلاء) فترك مطالعتهُ وابتدأ يجول من بيت الى آخر ومن صاحب الى آخر ليلتقط المعارف المزعوم نيلها بهذه الصورة وهكذا سار كل حياتهِ عطشاناً والماء تحت رجليهِ . فرجل كهذا قلما تستفيد منهُ الهيئة الاجتماعية

الرجل الذي يتدبر العمل بحكمة هو الذي يبداه بجدٍ معتدل واهتمام عظيم ويتقدم فيهِ حتى ينجزه واذا حالت سحائب الصعوبات دونهُ تهب نسمات الثبات والشهامة الحارة فتقشع تلك السحب ويظهر بعدها جوّ المعالي والآمال صافياً رائقاً . اما الرجل الذي يبدأ بعمل ولا يتمهُ ويؤجل عمل اليوم الى غدهِ والذي يقضي وقتاً في التأمل فيما ينبغي ان يفعل اولاً فهو رجل قليل التدبر عديم الالمام بقيمة الوقت الثمين واعمال الحياة الخطيرة فيحتاج ان يعوّد نفسهُ هذه العادة الثمينة التي كانت سرًّا لنجاح كثيرين وفاتحة لخير عظيم على العالمين وسبباً في تعظيم الحياة وهي ان يشغل وقتهُ بعمل ولا يتجاوزهُ الى آخر حتى ينتهي

عباد عبد الله

دفع وهم

من ساح في الارض وضرب في آفاقها واستطلع آراء الامم واستشف افكار القبائل رأى من غرائب الوهميات فوق ما يرى من بدائع المحسوسات فكم من وهم راج في امة رواج الحق وكم من خطإ تقضت عليهِ قرون وهو يعد صواباً وكم من اسطورة نزلت منزلة الحقيقة فتوارثها الخلف عن السلف وكرَّ عليها المثون من السنين ولها رونق الحق وكرامتهُ لم يمسها قلم بنقد ولم يخزها لسان بطعن ولا تجسسها عقل . فكأنما مزجت الغرائز البشرية بالارتياح الى الاوهام والمشاشة الاضاليل وما تكاد تفيق العقول من سكراتها وتستيقظ من غفلاتها حتى تعود اليها . فها قد ودَّعنا القرن التاسع عشر قرن النور واظلنا القرن العشرون وفي هذه النواحي من اهل الاطلاع والمعرفة باللغة الاعجمية من يعتقدون ان الفقه الاسلامي مأخوذ عن الفقه الروماني وهو وهم قد عشش في اذهانهم وفرَّخ وليس فيهم من يرتاب في صحتهِ فيتكلف التفحص عنهُ بل هو عندهم حقيقة بلغت من الثبوت ان كادت تصير في حكم ما يلمس باليد وينظر بالعين حتى صاروا يستخفون بمن ينكرها ويستقلون اطلاعهُ ويستضعفون عقلهُ

رويدك لا تعجب من ذلك فقد انتشرت الكتب المنادية بالله ونطقت الكائنات ولا تزال ناطقة بوحدانية المكوّن ولم يبرح الوثنيُّ عاكفاً على وثنهِ والمجوسيُّ ساجداً لنارهِ والمنديُّ عابداً لنهرهِ لا يريد واحد من هؤلاء من معبودهِ بديلاً

اما بعد فقد جمعني ولوذعياً مكثراً من مطالعة كتب الافرنج منزل صديق فدار التخاطب والتحادث في امور عدة وشؤون شتى كما هي العادة عند تلاقي الاصحاب فتكلمنا في التجارة وما طرأ عليها من آفات الافلاس هذه السنة ثم في الصناعة واحتياج البلاد اليها ثم في المدارس وكثرتها وما زلنا ننتقل في اشباه هذه المباحث التي تعوَّد التحادث فيها في المجالس والمجامع اهل المطالعة والتجار والسائرون تحت راية العلم من قطَّان بيروت ولبنان حتى افضى بنا الكلام الى العلم الذي يُرجع اليهِ في المعاملات ويُعوَّل على قواعدهِ في فصل المنازعات العلم الذي اذا حصلهُ المرء كان لهُ امتع شكيَّة علم الفقه فاطرتُ ائمتهُ الاربعة ابا حنيفة النعمان المتوفى سنة ١٥٠ هـ والامام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ والامام مالكاً المتوفى سنة ١٧٩ هـ والامام احمد ابن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ واخذت في بيان ما لهم من الفضل في استنباطهِ . فقال ذلك الرجل مع توقُّد فؤادهِ وسعة اطلاعهِ ما وقع عندي موقع الاستغراب من ان هذا الفقه مأخوذ عن الرومانيين فانكرت ذلك عليهِ وطالبتهُ بالدليل فلم يكن دليلهُ سوى اعادة دعواهُ

فسألته هل طالعت الفقه الروماني وعارضت ابوابه بابواب الفقه الاسلامي فتبينت من هذه المعارضة ان هذا الفقه مستمدّ من ذاك حتى قلت ما قلت فقال " لا لكن الواقع كما قلت لك اصله من الرومانيين " فلما كان تعليله من باب قول يونس " اي كذا خلقت " وعدته ان اطالع الفقه الروماني واقابله بالفقه الاسلامي باباً باباً وانشئ في هذا الصدد مقالة احسر بها اللثام عن محيا الحقيقة حتى لا يبقى في هذه الديار من يجهلها او من يدّعي هذه الدعوى ولا يكون من يردّ دعواه بالدليل القاطع وقد وقفت على كتاب فقهٍ روماني فلم يظهر انه اصل للفقه الاسلامي البتة فأخذت حينئذٍ في كتابة هذه المقالة استأصل بها شأفة شبهةٍ شائعة بين مطالعي الكتب الاوربية ومن يعاشرونهم ويعتقدون صحة اقوالهم وسداد آرائهم وقد اتيت بالحجج القاطعة مما بين الفقهين من التباين ولا بدّ ان أقدم تلك الحجج بتمهيد يتسنى بهِ لاصحاب هذه الدعوى وجه عذرٍ في تسلط هذا الوهم عليهم فاقول

ان للفقه الروماني مقاماً سنيّاً حتى في اذهان المشارقة لمكان ان الرومانيين بسطوا سلطتهم على المشرق وخفقت اعلامهم فوق مدائنهِ وانقاد اهله لسلطانهم . وانتشرت في أرجائهِ رسومهم واحكامهم وعليها اعتمد في القضاء وبتّ الحكم عند الخلاف كل تلك القرون التي ملكوا فيها الاقطار الشرقية وهي قطعة من الدهر تناهز سبعمائة سنة . وقد تولى هذه الديار بعدهم العرب المسلمون وهؤلاء لم يلووا على شيء من احكام الرومانيين وشرائعهم ليس الاحكام الفطرية التي يشترك فيها الناس اشتراكهم في الصورة الانسانية فان الدولة الغالبة تواقة الى ان تمحو من لوح الوجود آثار الدولة المغلوبة وترسم في مكان هاتيك الآثار آثارها حبّ ان لا يبقى للسابقة ذكرٌ بخير . هذا مع اتحاد الدين بين الدولتين فما ظنك بهما مع اختلافهِ كما هو الامر بين دولة العرب المسلمين ودولة الرومانيين

اما الحجج المبطلة القول بان الفقه الاسلامي مأخوذ عن الفقه الروماني فهي

(الحجة الاولى) ان بين الفقه الاسلامي والفقه الروماني من الاختلاف في تقسيم المواد وتبويب الابواب ما يدفع هذا الوهم . ومن عارض ابواب الفقهين وقابل مواد الشرعين لم يجد بينهما اتفاقاً الاَّ فيما لم يختلف فيهِ البشر ولن يختلفوا من نحو طلب الشهادة لاثبات الدعوى والرهن او الكفالة للاطمئنان على الحق والمعاقبة على الجنايات

فلولا هذا الوهم لرأيت بينهما من المشابهة مثل ما بين المتابع والمتابَع والحال ليس بينهما الاَّ شبه ما بين الافرنجي والصيني . ألا وان الاختلاف بين الشرائع لا يتعدّى حدّ ما بين افراد النوع من الاختلاف . فأنت ترى ان لكل فردٍ صورة تشخصهُ وهيئة تميزهُ عن سائر

افراد نوعهِ وافراد النوع تجمعها الحقيقة النوعية فزيدٌ وعمرٌو وخالد واحدٌ بمعنى ان كلاً منهم انسان مستوفٍ ما بهِ قوام الصورة الانسانية وهم ثلاثة من حيث ان كلاً منهم شخص مستقلٌ بخلقهِ وخلقهِ وفكرهِ وذوقهِ واهوائهِ

(الحجة الثانية) ان الفقه الاسلاميّ مبنيٌ على الكتاب والسنة والاجماع والقياس وقد بسط الكلام في ذلك ابن خلدون في المقدّمة وهذا نصّ ما هنالك "اعلم ان اصول الفقه من اعظم العلوم الشرعية واجلها قدراً واكثرها فائدةً وهو النظر في الادلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الاحكام والتكاليف. واصول الادلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة المبينة لهُ فعلى عهد النبيّ صلى الله عليهِ وسلم كانت الاحكام تتلقى منهُ بما يوحى اليهِ من القرآن ويبينهُ بقولهِ وفعلهِ بخطاب شفاهيّ لا يحتاج الى نقل ولا الى نظر وقياس. ومن بعدهِ صلوات الله وسلامهُ عليهِ تعذَّر الخطاب الشفاهيّ وانحفظ القرآن بالتواتر. واما السنة فاجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على وجوب العمل بما يصل الينا منها قولاً او فعلاً بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظنّ صدقهُ وتعينت دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم تنزّل الاجماع منزلتهما لاجماع الصحابة على النكير على مخالفيهم ولا يكون ذلك الاَّ عن مستندٍ لان مثلهم لا يتفقون من غير دليل ثابت مع شهادة الادلَّة بعصمة الجماعة. فصار الاجماع دليلاً ثابتاً في الشرعيَّات ثم نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فاذا هم يقيسون الاشباه بالاشباه منهما ويناظرون الامثال بالامثال باجماعٍ منهم وتسليم بعضهم لبعض في ذلك فان كثيراً من الواقعات بعدهُ صلوات الله وسلامهُ عليهِ لم تندرج في النصوص الثابتة فقاسوها بما ثبت والحقوها بما نصَّ عليهِ بشروط في ذلك الالحاق تصحح تلك المساواة بين الشبيهين او المثلين حتى يغلب على الظن ان حكم الله تعالى فيهما واحد وصار ذلك دليلاً شرعياً باجماعهم عليهِ. وهو القياس. وهو رابع الادلة

"واتفق جمهور العلماء على ان هذه هي اصول الادلة وان خالف بعضهم في الاجماع والقياس والحق بعضهم بهذه الاربعة ادلة أُخرى لا حاجة بنا لذكرها لضعف مداركها وشذوذ القول فيها. فكان اول مباحث هذا الفن النظر في كون هذه ادلة. اما الكتاب فدليلهُ المعجزة القاطعة في متنهِ والتواتر في نقلهِ فلم يبقَ فيهِ مجال للاحتمال. واما السنَّة وما نقل الينا منها فالاجماع على وجوب العمل بما يصحّ منها كما قلناهُ معتضداً بما كان عليهِ العمل في حياتهِ صلوات الله وسلامهُ عليهِ من انفاذ الكتب والرسل الى النواحي بالاحكام والشرائع آمراً وناهياً واما الاجماع فلاتفاقهم رضوان الله تعالى عليهم على انكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للامة واما

القياس فباجماع الصحابة "

قد عرفت على اي شيءٍ بني فقه المسلمين فأنّى يكون منقولاً عن فقه الرومانيين وهو مبنيٌّ على رسوم مدونة او عاداتٍ جارية . اما الرسوم المدونة فهي كتاب الشرع ومراسم مجلس الاعيان واوامر الملك ورسوم القضاة وفتاوي المفتين

(الحجة الثالثة) أيصحُّ في المعقول ان فقهاً توفر على وضع قواعدهِ وتحرير مسائلهِ خلقٌ من العلماء والفضلاء واشتغل باستنباط فروعهِ واجتهد في تنقيحهِ وتوضيحهِ مدةً طويلةً يكون منقولاً عن فقه امةٍ سالفةٍ مضبوط الاحكام محرر المسائل

وان كان ذلك فعلى مَ كل هذا الجهد ولمَ لم يتهيأ لهم اتمامهُ لوقتٍ قصير بل كيف اقتضى ذلك نحوًا من قرن ونصف قرن حتى عظمت امصار الاسلام وذهبت الأُمّية من العرب بممارسة الكتاب وتمكن الاستنباط وكمل الفقه واصبح صناعةً وعلماً كما قال ابن خلدون

(الحجة الرابعة) ان الفقه انقسم الى طريقتين طريقة اهل الرأي والقياس وهم العراقيون ومقدَّمهم ابو حنيفة . وطريقة اهل الحديث وهم الحجازيون وامامهم مالك بن أنس والشافعيُّ من بعدهِ

وان اهل البيت شذُّوا عن الجمهور بمذاهب ابتدعوها وفقهٍ انفردوا بهِ وبنوهُ على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح وعلى قولهم بعصمة الأئمة ورفع الخلاف عن اقوالهم . وان الخوارج شذُّوا بمثل ذلك ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم بل اوسعوها جانب الانكار والقدح فلا نعرف شيئاً منها ولا نرى كتبهم ولا اثر لشيءٍ منها الاَّ في مواطنهم فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم قائمةً في المغرب والمشرق واليمن والخوارج كذلك ولكلٍ منهم كتب وتآليف وآراء في الفقه غريبة كما قال ابن خلدون

فيا ليت شعري من اين وقع كل هذا الخلاف بين المسلمين في الاحكام الفقهية والقواعد الشرعية ان كانوا قد اخذوا الفقه الرومانيّ وكيف اغلق اهل السنَّة باب الاجتهاد وهو لم يزل عند اهل الشيعة مفتوحاً فهل من ناظر في هذا يقبل هذا الوهم

(الحجة الخامسة) ان الفقه الروماني يجيز التبني ويقرّر لهُ احكاماً وهو في الدين الاسلامي مرفوض اذ قد جاء في القرآن " وما كان محمدٌ ابا احدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين "

(الحجة السادسة) ان الفقه الروماني يوجب على السارق ان يردّ اربعة اضعاف المسروق فمن سرق مائةً يغرم للمسروق لهُ اربعمائة وفي الفقة الاسلامي " اذا سرق البالغ العاقل الناطق

البصير عشرة دراهم جياد او ما قيمتهُ عشرة دراهم من حرز لا شبهة فيهِ ولا تأويل وجب عليهِ القطع . فمن ذا الذي يصح عندهُ ان هذا من ذاك

(الحجة السابعة) ان الفقه الروماني يحكم بقتل من يقتل ابنهُ ويقضي عليهِ بان يولج هو وكلب وديك وافعى وقرد في كيس جلد ويخيط عليهِ مع هؤلاء الندماء الاربعة ويرمى بهِ في البحر او في اقرب نهر اليهم

اما الفقه الاسلامي فلا يقتل الرجل بابنهِ لقول النبي "لا يقاد الوالد بولدهِ" كما في شرح القدوري ولم يجز قتل الاصل بفرعهِ من الائمة الا مالك قال اذا ذبح الرجل ابنهُ ذبحًا كما في الدر المختار

(الحجة الثامنة) ان الامم السابقة الاسلام كانوا يورثون الذكور دون الاناث واما الاسلام فجعل الانثيين كالذكر ميراثًا لما في سورة النساء "للذكر مثل حظ الانثيين"

هذا وقد بقيت حجج اخر تكفل بابطال هذا الزعم ودفع هذا الوهم اعرضت عنها ابتغاء الاختصار وفي النية ان اترجم مختصر الفقه الروماني باللسان العربي وهو مع ما اعلق عليهِ من الحواشي لا يتجاوز ثلاث مقالات تنشر في ثلاثة اجزاء من مجلة المقتطف الجليلة

سعيد الشرتوني

نسخة شعر ملتن

كان ملتن الشاعر الانكليزي المشهور ضريرًا كابي العلاء المعري فلم يكن يكتب اشعارهُ بيدهِ بل كان يمليها على كاتب يكتبها لهُ . وقد حفظت النسخة الاصلية من شعرهِ المعروف بالفردوس المفقود وستعرض للبيع في شهر مارس المقبل . فقامت الجرائد الانكليزية الآن تحث الامة على ابتياع هذه النسخة مهما بلغ ثمنها وحفظها في البلاد الانكليزية او في المتحف البريطاني لئلا يشتريها الاميركيون وينقلوها الى بلادهم . وربما بلغ ثمنها المئات من الجنيهات مع ان ملتن نفسهُ باع هذه النسخة وحق طبعها بخمسة جنيهات لا غير ولما نفدت الطبعة الاولى باع حق طبعها ثانية بخمسة جنيهات اخرى . لكن الذين طبعوها بعد ذلك ربحوا منها الوفًا من الجنيهات ولا يبعد ان تكون قد طبعت حتى الان مئات من المرات وان تكون النسخ التي انتشرت بين ايدي الناس تعد بالملايين لاننا لا نظن ان قراءة اشعار ملتن فاتت احدًا من ابناء اللغة الانكليزية

حكم وامثال

نقلت عن الانكليزية بقلم الدكتور يوحنا ورتبات

الحكيم يستفيد من اعدائهِ اكثر مما يستفيد الجاهل من اصدقائهِ

قيمة الشيء ما يأتي بهِ

اشد الجروح خطرًا ما نزف الى الباطن

احتقار الناس واطراؤهم كلاهما خطأٌ

لا خداع كخداع من تأتمنهُ فيخونك

لا رفعة بلا جهاد صادق ولا عظمة بلا اجهاد النفس

لكل داء دواء لو عرفناهُ

المفتاح المستعمل لا يصدأ

اباطيل الحياة نهر ذاهب ابدًا وآتٍ ابدًا

فضل الفلاح بالعفة وفضل الشدة بالعزم

سبيل النجاة من الكبائر الحذر من الصغائر

طريق بغداد لا يوصلك الى مصر

سبيل السلامة ان لا تأمن

ليس للضعيف الا الفشل

قد تمدُّ يدان الى صحن واحد واما الى كيس واحد فلا

انما الخائف من لجأ الى السلاح اولاً

لا حاجة لخيطين بسمار

يختصم كلبان على عظم فيهرب بهِ كلب ثالث

اذا اصاب الضيق اثنين كان الضيق اخف

عصفوران على سنبلة واحدة لا يتفقان

اثنان يخشى منهما حسد الصديق وبغض العدو

الغضبان غضبهُ عليهِ لا لهُ

ليس للصدق والامانة حاجة الى التأكيد

الحقّ والزيت يرتفعان ابدًا

الحق لا يخاف التحقيق

الحق اصل كل فضل

الحق قد يضعف ولكنهُ لا يهلك

الحق لا يحتاج الى كلام كثير وللبطل حكاية طويلة

ليس من الحكمة ان يُعلَن الحق دائمًا

جرّب صديقك باكذوبة فاذا اسرَّها فبحْ لهُ بالسرّ

جرّب مهارتك اولاً بماء الذهب ثم بالذهب

الفضيلة والسعادة امٌّ وبنتها

الفضل وحدهُ نسب كريم

اذا لم يكن الفضل في محلهِ فهو وهم

الفضل يُكسب المرء في الارض شهرةً وفي القبر ذكرًا وفي السماء خلودًا

الفضل قد يحجب احيانًا ولكنهُ يسطع اخيرًا

النذور زمن السوء تُنسى عند زوالهِ

ترقَّب الزمان والمكان في ما تقصدهُ ولا تعجل

لا خير في شجاعة بلا فطنة
في الرذيلة قصاصها وقد يكون برؤها
شرّ ما في الرذيلة اذا تردّت برداء الفضيلة
الفضل وحده سعادة الدنيا
الخطوة الاولى نحو الفضيلة الامتناع عن الرذيلة
جهاد السمك في الشبكة يزيده عرقلة
قد تصطاد السمكة بالشبكة اذا لم تصد بالصنارة
ربّ حماقة انسان تكون خيرًا لغيره
من قبض على الثعلب فهو احيل منهُ
القبر مجتمع عام
اعظم اعمال الحياة التأهب للموت
اشره الناس من يعيش على النميمة فانهُ لا يشبع ابدًا
اشدّ البغض ينشأ من اشدّ الحب
اعظم ما تغيظ به حاسدك حسن العمل
قلب المرأة ثروتها فقلما لا يكون دليلاً لها
بقدر ما يكون القرطاس ناصع البياض تكون اللطخة اظهر
كثيرًا ما يكون الطريق الطويل اخصر الطرق للوصول الى البيت
يحزن الاب على موت ولدٍ اكثر مما يفرح لولادة اولاد كثيرين
لا تركننّ الى نصرة العظام ولا الى مدح الناس
الخوف من الحرب شرٌّ من الحرب

مصفاة المصائب تفصل بين الاصدقاء الصادقين والغثاء
النسمة الاولى بدء الموت
الجرعة الاولى لارواء العطش والثانية لاكفاء الطبع والثالثة للذة والرابعة للجنون
الذنوب الاولى لمن يرتكبونها والثانية لمن يسمحون بها
كان اول الناس بستانيًا وفلاحًا وراعي غنم
العالم شرير ونحن منهُ
خير للانسان ان يحتمل الشر من ان يعمله
بالمقابلة يسعد الانسان او يشقى
السقوط في الشرك سهل ولكن الخروج منهُ عسير
حفظ الصديق اسهل من ردّهِ بعد فقدهِ
من العبث كلام العقل حيث لا يسمع
لا يولد المال الاّ المال
بالفعل لا بالقول يجنى الثمر
الخير والشر في النية لا في العمل
لا تترك نصح نفسك ولو كثر الناصحون لك
ارقب عدوك كأنهُ اسد ولو كان فارة
الخبر اما يسرّ او يحزن
الزمان والتأمل يخففان اعظم الاحزان
الزمان يفترس كل شيء
الزمان يمحن كل شيء
اخف الشرور ما جاء وحده
التهكم على الخصم دليل ضعف الحجة

من يلعب بالسيف يجرح
من يفتش عن ذنوب الناس لا يرى غيرها
من لا عيب فيهِ فهو من عجائب الدنيا
متى بلغت النوائب حدها زالت
ما يناله الانسان بالعناء تطول اقامتهُ
ما يناله الانسان بالحرام فعاقبتهُ وخيمة
تأمل كالحكيم وتكلم كما يتكلم الناس
تأمل كثيرًا وتكلم قليلاً واكتب اقل مما تتكلم
من يسيء الى الغير نمَّ بهم ليستر ما بهِ من الشر
الحبة لا تملأ العدل ولكنها تشارك في ذلك
قد يبرأ الجرح وتدوم الندبة
قد يفقد الذئب انيابهُ ولكنهُ لا يفقد اخلاقهُ
لرجل الاقدام يصير الاحتمال ترجيحًا والترجيح تأكيدًا
البكاء الكثير على الميت اهانة الاحياء
الى اين يذهب الثور الا الى الفلاحة
من بحت لهُ بسرّك فقد صرت لهُ اسيرًا
يعسر احتمال الانقلاب العظيم السريع ولو كان نافعًا
اذا فاتت الفرصة فات زمن الحزن
التأكيد الشديد محل للشبهة
اذا كثرت المشورات ارتبك الانسان
التفريط في الرفق تفريط في الدماء

من الف شيئًا ازدراهُ
التجارة ام المال
التجارة لا تعرف صديقًا ولا قريبًا
السفر مصلحة للعاقل ومفسدة للجاهل
لا تستأمن ثقلاً عظيمًا لخيط ضعيف
لا تأمن حافر الفرس وناب الكلب
لا تأمن صديقًا جديدًا ولا عدوًّا قديمًا
درهم الفقير اذا غضب كان جمرة نار في كيس الغني
المسرف يسلب وريثهُ والبخيل يسلب نفسهُ
دواء الفقر الاغضاء عنهُ
توبيخ الصديق يجب ان يكون قسطًا عادلاً لا متواترًا
البحر لا يرفض نهرًا
قد يكون مرض الجسد شفاء النفس
احذق الناس بلا مال محتقر
اسعد الحياة حين لا حاجة للكماليات ولا للضروريات
المعدة تحكم على الجسد
المهارة في تكثير الاصحاب دون المهارة في الاستغناء عنهم
المستقبل كالماضي ليس لنا
حب العلاء شرك لحسيب الاصل
شدائد الحياة تجاريب لما فينا من الفضل
اذا سقطت الشجرة ركض اليها كل واحد بفأسهِ
انما الجديد ما ادهش الناس

اعمالك لا نجاحك ما يبقي لك ذكرًا

تدبير السفينة بالحذق لا بالقوة

القشة الاخيرة تكسر ظهر الجمل

غنى العقل يغني و يسعد

الزمان والكلام والعمل تعلن شأن الانسان

من الحكمة ان يتجاهل الانسان احيانًا

اذا اردت الاسم الحسن فكن كما تريد ان تظهر

الفضل في عمل الصلاح واتقان العمل

اليوم تلميذ الامس

اذا فسد الذوق صار الحلو مرًّا

الشتيمة تستثير الشجاعة

ثلاثة تحفظ الصديق اكرامهُ اذا حضر ومدحهُ اذ غاب وعضدهُ في الضيق

ارسلهُ و برغوث في اذنهِ

الكلام بلا تفكير كرمي السهم بلا تصويب

اذا كثرت معارف الرجل كثر اخطرمنهُ

اذا كثرت القوانين كثر المذنبون

الذهب في فم الصباح

شمس الصباح لا تدوم كل النهار

الذّ المسرات مملول اذا لم يكن فيها تشكيل

الله يعلم و يصبر وجاري لا يعلم شيئًا ويلوم

كثرة المذنبين حماية لهم

انفع دواء للضرر النسيان

لا تعد البومة حكيمة لاعتزالها

طاعة الاولاد للوالدين اساس جميع الاحكام

تستحسن البومة صغارها

متى تعب الثور ثبتت خطواتهُ

اذا اصفرَّ وجه الربان انذر بالعاصفة

سبيل الفضيلة سبيل السلامة

قلم اللسان يجب ان يغط بمداد القلب

الناس يعبدون العجل اذا كان من ذهب

تزول المسرات اذا تمنى المرء ما هو اكثر منها

اعلى الغصون ليس آمنها للتعشيش

المرائي يخدع الناس بدفعهِ الزكاة لله

يقضى على القاضي متى قضى ببراءة المذنب

الكاس تطفح من النقطة الاخيرة

الكسلان اخو الشحاذ

حياة الانسان يوم شتاء وطريق شتاء

ليس في الاسد نصف العتو الذي ينسب اليهِ

اطول الحياة خمسة من الدقائق

الحب الذي ليس لدوامهِ الاَّ الجمال قليل الدوام

ينفق على رذيلة واحدة اكثر مما ينفق على عشر فضائل

العاقل يجاهد ابدًا في طلب الحكمة والجاهل يظن انهُ قد وجدها

السعيد في كل شيء اندر من العنقاء

للداغام رؤُوس كثيرة لا عقل فيها

لا تصبر حتى تزول الشدائد فان الفخر في التغلب عليها

اذا لم تثمر الشجرة في الربيع لم تثمر في الصيف

همز الفرس في غير حينهِ يعطبهُ

استعمل الوسائط واتكل على الله

لكل جرح بلسم

في البحر من خيار السمك مثلما يخرج منهُ

بين الكاس والفم عثرات

لا دواء للخوف

لكل شيء سبب

لا فرح بلا حزن

من لهم اصدقاء صادقون فهم الاغنياء

ما من قاعدة الاَّ ولها شذوذ

اقبح اللصوص الكتاب القبيح

ما من شيء يعود على النفس بالسرور كعمل المعروف او الكلام اللطيف

الصباغ الاسود يسود الصوف مهما كان بياضهُ ناصعاً

لا يخدع الاَّ من كان كبير الثقة

الفرح بالاولاد اقل من الحزن على فراقهم

لم يكن الكبار لو لم يكن الصغار

الاشرار يبغضون الشر في غيرهم

الزوجة مفتاح البيت

في العقل فراغ اعظم مما يظن اكثر الناس لو شغلوهُ بالفوائد

دم الجندي مجد القائد

الغصون الحاملة اكثر الاثمار اخفض مما سواها

حبل الثعلب قلما تجدي نفعاً اذا لاعبت كف الاسد

الهم الذي يجيء من عدم التروي يجب ان يحمل بالصبر

غرفة المريض معبد

ليست غاية الانسان العظمى ربح المال

امرأة الاسكاف حافية

التملق اكثر البضائع رواجاً

سبيل الغرام لا يكون سهلاً

شرك الشيطان للشاب الجمال وللبخيل المال وللعالم الضلال

كل شيء يخرج من الارض ثم يعود اليها

الجزر يعود بما اتى بهِ المد

المساء يأتي بالكل الى البيت

العين لؤلؤة الوجه

مراقبة السيد افعل من يديهِ

يضرُّ نفسهُ من يضرُّ غيرهُ

من يخاف الانغلاب فقد غلب

من يخبئ شيئاً يجدهُ

من يضحك دائماً ومن يضجر دائماً سواء في الحماقة

من لا قيمة للمدح عندهُ لا يعمل شيئاً بهِ جديراً

اكبر الناس يموت اخيراً

آفة المعامل

من رأى العمال في معامل الحرير ببلاد الشام وهم صفر الوجوه نحاف الابدان وعلم انهم يقضون نهارهم وبعض ليلهم في اماكن مزدحمة فاسدة الهواء قليلة النور والاجور التي يأخذونها لا تزيد على حاجاتهم اليومية يتضح له ان المعامل آفة على العمال

وهذا الشر الذي دخل بلاد الشام وانحصر في معامل الحرير لانهُ لم ينشأ فيها معامل غيرها شائع في البلاد الاوربية والاميركية لكثرة المعامل فيها على اختلاف انواعها. وقد كنا نظن انهُ في اميركا اخف وطأة منهُ في غيرها لما هو مشهور من انها جنة العمال كما هي جنة النساء لكن قامت في هذه الاثناء سيدتان اميركيتان وطافتا في المعامل وانتظمتا في سلك عمالها حتى وقفتا على احوالهم تماماً ثم الّفتا كتاباً وصفتا فيهِ حالهم فيها وصفاً تقشعر له الابدان. وقد سرّ المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة بهذا الكتاب وقدَّر منهُ نفعاً عظيماً وكتب له مقدمة بنفسهِ لانهُ اذا ظهر الداء واتضح سهل علاجه

اختارت احدى هاتين السيدتين مدينة بتسبرج الكثيرة المعامل فان فيها مئة الف عامل من الرجال ومئة الف عاملة من النساء والبنات ودخلت معملاً منها تُصنع فيهِ المخللات وجعلت نفسها في عداد العمال ولم تُقبل فيهِ كذلك الا بعد الجهد وكتبت تقول عما عملته في اليوم الاول "وقفت منتصبة على رجليَّ عشر ساعات متوالية ملأت فيها ٤٠٠٠ اناء بالمخللات وسددت ١٣٠٠ بالفلين". وبعد ان قضت اسبوعاً تعمل هذا العمل اخذت ترتقي في معارف العمال شيئاً فشيئاً. وقد استنتجت مما رأتهُ بالاختبار في هذا العمل ان اجرة المرأة مهما ارتفعت لا تزيد على اقل اجرة يعطاها الرجل. وان النساء تعمل الاعمال التي يترفع عنها الرجال وان المرأة مهما برعت في عملها لا تزيد اجرتها على ريال في اليوم ولا تبلغ هذا الحد الا بشق النفس وبعد ان تنهك قواها العضلية والعصبية

ثم انتقلت من معمل المخلل واستخدمت في معامل القمصان والخياطة باليد وقالت في وصفها وجدتُ الفتيات العاملات هنالك يكثرن من الاعتناء بزينتهن وحسن بزتهن اما اطعمتهنَّ ومساكنهنَّ فمخالفة للقواعد الصحية وهنَّ سريعات الاحساس خاليات من العواطف. وكثيرات منهنَّ لسنَ في حاجة الى العمل في المعامل فقد قالت احداهنَّ: "ان والدي يقدّم لي كل ما احتاج اليهِ ولكن ليس كل ما اطلبهُ". فهنَّ يشتغلنَ ليحصلنَ ما يبذلنهُ في الدخول الى الاجتماعات العمومية والمراقص والمراسح. ويبالغنَ في ضروب الزينة

والزخرفة فالمناطق الحريرية الملونة تحيط بخصورهنَّ والشرائط الزاهية تتدلَّى من اعناقهنَّ والرياش والعصافير والازهار تموج فوق برانيطهنَّ والقنع تغطي وجوههنَّ والكفوف البيضاء تستر اياديهنَّ واكياس النقود الفضية تتدلَّى من فوق ثيابهنَّ

ثم قالت هذا هو السبب الذي من اجله تذهب كثيرات من البنات الاميركيات يعملن في المعامل طول نهارهنَّ . ولهنَّ رغبة شديدة في الذهاب الى مراسح التمثيل فيلبسن ما فوق طاقتهنَّ من الثياب المزخرفة حتى يستنتج الناظر اليهنَّ انهنَّ يترددن على المراسح ليس تشوقاً لمشاهدة التمثيل بل ليتبارين بالازياء ومع انهنَّ يكسبن من الاجرة اكثر مما يكتسب امثالهنَّ في انكلترا وغيرها من بلدان اوروبا لهنَّ لا يتمتعن بهِ حق الانتفاع

وذهبت السيدة الثانية الى معمل الاحذية في مدينة لين فرأت احوال العمال هناك لا تختلف كثيرًا عما هي في المعامل المذكورة آنفاً . اما في معامل القطن في كارولينا الجنوبية فالمعيشة واحوال الحياة مما يقضي بالدهشة والرعب . فان العامل هناك ليس سوى رقيق ابيض قلما يفرق عن الرقيق الاسود . خذ مثالاً لذلك المعمل العظيم المدعو اكسلسيور الذي يعمل فيهِ نحو ثلاثة آلاف عامل . فانهُ مبني على رمال قاحلة وراءها القرية التي يقطنها العملة . وقد حلت الاوبئة في تلك القرية ضيفاً ثقيلاً لا تفارقها والاقذار والاوساخ تملأ الازقة والشوارع لعدم وجود من ينقلها فتنبعث منها رائحة كريهة تغثي منها النفس وتخدر الاعصاب . اما المعمل فبعيد عن القواعد الصحية في موقعهِ وكيفية بنائهِ وطرق المعيشة فيهِ . فالهواء الذي يتنشقهُ العملة مملوء بدقائق القطن وخيوطهِ الدقيقة وهم يتناولون السعوط من اكبرهم الى اصغرهم فتبرش افواههم وتسود اسنانهم . ويشكون من الامراض الرئوية كالسل والتهاب الرئة . واكثرهم ليسوا من المدن والقرى المجاورة بل يؤتى بهم من الاماكن البعيدة بواسطة المقدمين الذي يطغونهم ويعدونهم المواعيد الكاذبة حتى يأتوا بهم الى ذلك المعمل

والذين يعملون في معمل لف الغزل يعيشون في هواء انقى من هواء معامل الغزل لخلوهِ من دقائق القطن الآ ان الغزل يبقى هناك رطباً دائماً فيشكو كثير من العملة امراض القلب . وفوق ذلك فالملاريا تفتك بهم فتكاً ذريعاً

ويقوم الرجال والنساء والاولاد في الصباح من ابن خمس فصاعداً ويتقاطرون افواجاً الى المعامل ليقضوا نهارهم بالعمل والكدح ثم يعودون في المساء الى بيوتهم منهوكي القوى فيرتمون على فرشهم القذرة بثياب العمل وينامون الى الصباح . ويأتي في الصباح رجل راكباً جواداً يجري عليهِ من بيت الى آخر يستخدمهُ اصحاب المعمل ليأتي بالمتأخرين الذين انهكت قواهم التعب

فلازموا فرشهم ليستريحوا . يأتي فيقتلعهم من فرشهم ويدفعهم الى الذهاب للعمل . وترى اطفالاً يساقون الى المعامل ليعملوا فيها ثلاث عشرة ساعة كل يوم وعليهم ثياب قذرة رثة لا تتغير صيفاً ولا شتاء . فلا يذوقون لذة ايام الصغر ولا الايام المدرسية بل يغمرهم بحر من الشقاء والبؤس يعملون من الساعة السادسة صباحاً الى السابعة مساء ولا يستريحون الا ثلاثة ارباع الساعة عند الظهر يتناولون فيها طعامهم فلذلك تراهم منهوكين ابداً اذا انقطعوا دقيقة عن العمل وقعوا فيها في سبات عميق

ومساكن هؤلاء العملة اكواخ حقيرة لم تراع في بنائها اصول النظافة والصحة والراحة والمياه التي يشربونها قذرة يغطي وجهها غشاء كثيف وتكثر فيها جراثيم الحميات . وليس هناك ازهار تنعش رائحتها القلوب بل روائح الاقذار المتجمعة في الازقة والشوارع تملأ الفضاء . ولا مدارس للاولاد ولا حدائق للتنزه . والعامل الذي يستيقظ في الساعة الرابعة صباحاً ويعمل الى ما بعد مغيب الشمس لا يبقى فيه من النشاط والحياة الا ما يرتمي به على وسادته الى الصباح التالي . والامراض واسعة الانتشار والموت كثير ولا تعتني تلك الولاية باحصاء المواليد والوفيات

فلا غرابة اذاً ان تظهر الهيئة الوحشية القبيحة على وجوه اولئك الناس الذين يعملون تلك الاعمال الشاقة ويسكنون تلك الاكواخ الحقيرة القذرة المخالفة للصحة ويتناولون الطعام السخيف ويشربون الماء الفاسد . واذا دخلت فتاة او امرأة تلك المعامل وعليها شيء من ملامح الجمال اضطهدها النظار والمديرون حتى يقبح وجهها ويصير كوجه رفيقاتها . والزواج هناك لعبة والحب حلم والبيت بمعانيه الشريفة مفقود من عالم الوجود فليس للوالدين وقت يعتنون فيه باولادهم ويربونهم بل يستصحبونهم معهم الى المعامل من سن الخامسة والسادسة

وليس العامل في تلك المعامل الا رقيقاً ابيض . والغريب ان العملة كثيرو اللطف والحنان ولم يزل فيهم بعض الاميال الشريفة فيحبون الازهار ويشتاقون الى الحصول عليها واستنشاق روائحها العطرية . ويحبون الموسيقى ولكن لا يسمعونها الا نادراً . وفي ايام الآحاد يبقى اكثرهم نياماً في اكواخهم لانتهاك قواهم وعجزهم عن النهوض . وهناك حديقة مقفرة يذهبون اليها في بعض الاحيان

هذه حال بعض العمال كما وصفتها هاتان السيدتان في كتابهما . ولا شك في انه متى اطلع جمهور الاميركيين على حقيقة الامر ينهضون نهضة واحدة ليدافعوا عن اخوانهم ويندّدوا من اصحاب المعامل الذين يسوقونهم سوق الانعام . وعسى ان لا ينتشر داء المعامل عندنا لانه مهما كثرت فائدتها لاصحابها فضررها بالعمال يفوق كل فائدة

فوز الاحداث

حدّ الحداثة لا يقف عند حدّ . فالولد البالغ الثامنة من عمرهِ ينظر الى الرجل البالغ الثلاثين ويحسبهُ شيخاً طاعناً في السن ولكنهُ حينما يبلغ هو سن الثلاثين يعتذر بصغر سنهِ عما يبدو منهُ من الطيش ونزق الشباب . والفتاة البالغة السادسة عشرة من عمرها تلوم المرأة البالغة الاربعين اذا اهتمت بشيءٍ من زينة الدنيا ولكنها متى بلغت هي هذا السن تعدل عن رأيها الاول فتحسب انها لا تزال في سن الشبيبة وريعان الصبا ويحق لها الجمال والدلال

وهذا القول يصدق اجمالاً على الهيئة الاجتماعية فان سن الحداثة يتقدم بتقدمها . وقد لقّب البعض هذا العصر بعصر الشبان على اننا لم نرَ فيهِ من الشبان النوابغ من اتى من الاعمال الجيدة ما هو خليق بان يُقابل باعمال داود والاسكندر وبونابرت وغيرهم

أُنتخب احد الاميركيين بالامس عضواً في مجلس النواب ولهُ من العمر سبع وثلاثون سنة فقام كثيرون يعترضون على هذا الانتخاب لصغر سن المنتخب وفي ظنهم ان الحكومة تعرّض نفسها للاخطار شديدة باعتمادها على رجل صغير السن قليل الخبرة مثلهُ . وقد كان جيمس فكس الانكليزي منذ قرن ونصف وزيراً للبحرية وكان الملك جورج الثالث يخاف بأسهُ وهو لم يناهز الحادية والعشرين . وكان وليم بت خصمهُ اللدود وزيراً لمالية الدولة الانكليزية وهو في الثالثة والعشرين من عمرهِ ثم صار رئيساً لوزارة انكلترا في السنة التالية

ويذكرون الآن حداثة ملك اسبانيا ويلقبونهُ "بالملك الصغير" وقد كان الاسكندر يخوض بحار المعارك وهو في الثامنة عشرة من عمرهِ ايام كان العالم في حداثتهِ ولم نسمع انهم كانوا يلقبونهُ "بالامير الصغير" . وكان البرنس ادورد الانكليزي الملقب بالامير الاسود في الثامنة عشرة من عمرهِ لما انتصر على الفرنسويين سنة ١٣٤٦ في معركة كريسي الشهيرة فاكسب امتهُ شهرةً لا يمحوها كرور الزمان . ولم يكن قد ناهز السادسة والعشرين من عمرهِ لما قاد الجيش الانكليزي في معركة بواتيرس العظيمة فدحر جيوش الفرنسويين ونال نصراً مبيناً

واذا قابلنا بقية نوابغ هذا العصر الشبان بنوابغ العصور الماضية نرى فرقاً كبيراً من حيث السن الذي اشتهروا فيهِ . فقد ظهر في الولايات المتحدة منذ سنتين نابغة في فن الموسيقى والضرب على الكمنجة ولهُ من العمر عشرون سنة فاعجب بهِ الناس وقالوا انهُ متى جاوز العشرين صار لهُ شان كبير في فن الموسيقى وقد كان موزار منذ مئة عام مديراً لجوق الموسيقيين

وهو لم يناهز السادسة عشرة من العمر ولما كان عمره ست سنوات ضرب على البيانو هو واخته امام ماريا تريزا امبراطورة النمسا

ومن اهل هذا العصر من يدعو الامبراطور غليوم الثاني امبراطور الالمان شاباً مع ان اولي الامر يبحثون في مسألة زواج ابنه . ومنهم من يحسب المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة شاباً ولذلك فهو غير كفوء للمنصب العظيم الذي رقي اليه ويحسب اللورد كورزن حاكم الهند شاباً مع انهُ بلغ الاربعين من عمره

واذا تصفحنا التواريخ القديمة نراها مفعمة باسماء النوابغ الشبان الذين عملوا اعمالاً مجيدة تفوق ما يأتيه نوابغ هذا الزمان . فالملك داود النبي جُعل ملكاً على اسرائيل وهو في الثامنة عشرة من عمره . والاسكندر المكدوني اضاف كل العالم الشرقي الى المملكة اليونانية وهو لم يناهز الثالثة والثلاثين . والملك شارلمان دانت له فرنسا وهو في الثلاثين من العمر . والقائد كورتز افتتح بلاد المكسيك في الثلاثين من عمره . ونبوليون بونابرت اكتسح بلاد ايطاليا وطرد الجيوش النمساوية منها وهو لم يناهز التاسعة والعشرين . ثم اذا حولنا انظارنا عن ارباب السيف وقواد الجنود الى ارباب العقول السامية ممن نبغوا في الاختراعات والفنون نراهم لا ينقصون عنهم في الشان والعدد . فان جيمس وط رأى قدر جدته تغلي على النار فيتحرك غطاؤها بقوة البخار وهو فتى صغير السن فتوصل الى اختراع الآلة البخارية . ورفائيل المصور الشهير مات في السابعة والثلاثين بعد ان خلد اسماً لا يموت على كرور الايام . وشلي الشاعر الانكليزي عدّ من نوابغ الشعراء وهو في الخامسة والعشرين . وجون رسكين الشاعر والمؤلف الانكليزي الشهير بلغ اقصى ذرى الشهرة وهو في الرابعة والعشرين من العمر

واشهر قصص الشبان العظام قصة الملك داود الفتى الراعي الذي غادر آكام يهوذا حيث كان يغني لقطعانه و يسامر النجوم ليحمي ذمار قومه ويدفع عنهم شرّ جليات الفلسطيني الجبار . فتى غض الاهاب جميل المنظر بارز اعظم جندي في ذلك الزمن واكبر الجبارين هامة ابتدره بحجر من مقلاعه اصاب جبهته فرماه صريعاً ثم صار ملكاً على بني اسرائيل

واعظم فاتح في الزمان القديم الاسكندر المكدوني . كان قائداً عظيماً وهو شاب فهاجم اعظم ملوك عصره واكبر جيوشهم كأنهُ القضاء المبرم فلم يقف في وجهه عدد ولا عُدد . خاض غمرات الردى غير هيَّاب ولا وجل فاكتسح ثراسيا والبريا واضافهما الى الاملاك المكدونية وهو في الحادية والعشرين من عمره . وافتتح مدينة طيبة ودمرها في الثانية والعشرين واستولى على مدينتي صور وغزة وافتتح مصر و بنى الاسكندرية وهو في الرابعة والعشرين . ولقي جيوش الفرس

فكسرها شرَّ كسرةٍ وذلل ملكها وهو في الخامسة والعشرين ثم اغار على بلاد الهند وافتتح جانباً كبيراً منها فقضى عمرهُ ولم يذق الّا حلاوة الظفر ولذة الانتصار

ورسائل الاسكندر الى الملك داريوس محفوظة بين كنوز الرسائل والمؤلفات الشهيرة . فانهُ لما هزم جيش الفرس البالغ ست مئة الف عدًّا في معركة اسوس سنة ٣٣٣ واسر زوجة داريوس وامهُ وابنهُ وكتب لهُ داريوس يعرض عليهِ الصلح ويطلب منهُ استرجاع عائلتهِ اجابهُ وقد سكر بخمرة الانتصار فقال : "خاطبني كملك اسيا ولا تخاطبني كما يخاطب النظير نظيرهُ واطلب مني ما تشاء كما يطلب المرؤُوس من رئيسهِ والّا فلا تجد مني الّا الشرَّ . وان كنت تنكر عليَّ حق التملك على بلادك فتربَّص في مكانك واستعدَّ لحربي ولا تفرَّ من وجهي والّا فسأتبعك حيثما تفرّ"

ولما كان الاسكندر يحاصر مدينة صور بعث اليهِ داريوس يعرض عليهِ ان يتخلى لهُ عن كل البلاد غربي الفرات ويدفع اليهِ عشرة آلاف وزنة ويزوجهُ بابنتهِ ويكون حليفاً لهُ ولا يطلب منهُ بدل ذلك كلهِ الّا ان يردَّ اليهِ امهُ وزوجتهُ واولادهُ . وقرأ الاسكندر هذا الكتاب في مجلس من قوادهِ فقال لهُ بارمنيون كبير القواد لو كنتُ انا الاسكندر لصالحت داريوس على ما طلبهُ فقال لهُ الاسكندر وانا لو كنت بارمنيون لفعلت ذلك ولكن لكوني الاسكندر فجوابي الان هو جوابي الاول . ثم كتب الى داريوس يقول "لقد عرضت عليَّ قسماً من املاكك وانا سيدها كلها ولو شئت ان اتزوج بابنتك لفعلت ذلك من غير ان استشيرك" . وبعد كتابة هذه الاسطر عاد الى تعبئة الجيوش واعداد المعدات لكي يتم اخضاع الفرس فتم لهُ ذلك في المعركة المعروفة بمعركة اربل . هناك قوّض دعائم مملكة الفرس العظيمة وهو لم يناهز الخامسة والعشرين واستولى على كنوز الدولة الفارسية وخزائنها وما فيها من مئات الملايين

اما تتمة حياة الاسكندر فلا تقابل باعمالهِ المجيدة وفتوحاتهِ السابقة . اسكرتهُ خمرة الظفر فشمخ وتكبر وطغى وتجبر فطلب ان يُعبد كاله ولم يعد يقبل مشورة احد . وامر بتعذيب صديقهِ فيلوتاس وهو يشاهدهُ ويقهقه ضحكاً وبقتل بارمنيون وزيرهِ وقائد جيشهِ وبتعذيب كالستنس ابن اخ الفيلسوف ارسطوطاليس استاذهِ لانهُ ابى ان يقدم لهُ الاكرام اللائق بالآلهة . وطعن وهو سكران صديقهُ كليتوس الذي نجى حياتهُ من الهلاك في معركة غرانيكوس

وقد قام في اوائل القرن الماضي رجل فاق الاسكندر المكدوني في قيادة الجيوش واساليب الحروب وهو نابوليون بونابارت . الاسكندر ورث الدولة وتاج الملك من ابيهِ وغاية ما

فعله انهُ وسع مملكةُ الموروث توسيعاً عظيماً . واما نابوليون فولد من السوقة ثم مهد الصعاب بعزمهِ وحزمهِ وتغلب على المصاعب واستخدمها لبلوغ مآربهِ . وُلد في جزيرة كورسكا من عائلة لا ثروة لها ولا جاه ودرس في احدى المدارس الحربية ثم ارتقى رويداً رويداً الى ان صار امبراطوراً على فرنسا وسيداً على اوروبا وهو في الخامسة والثلاثين من عمرهِ . وخطر لهُ وهو في الثامنة والعشرين من عمرهِ ان يناوئ انكلترا ويستخلص منها املاكها الشرقية فاستولى على مصر استعداداً لهذا العمل العظيم . ولكن الاسطول الانكليزي تتبَّع اسطولهُ وحطمهُ في ابي قير وارتد عسكرهُ عن اسوار عكاء مقهوراً فخابت مساعيهِ في الشرق وعاد الى فرنسا وكانت الاحوال على غير ما يشتهي فتغلب عليها ومهد الصعاب فدانت لهُ وقلب الحكومة الدستورية مدعياً انها هي السبب في عجز الفرنسويين عن حفظ الاملاك التي اكسبهم اياها بانتصاراتهِ وفتوحاتهِ وجعل نفسهُ قنصلاً

والذي فعل كل هذه الفعال العظيمة لم يكن سوى شاب قصير القامة قليل الكلام غيور يحب الرفعة الى درجة لم يبارهِ فيها احد ثم اقام نفسهُ امبراطوراً على فرنسا ووطئ بجيوشها اوربا وهو من اصلٍ ايطاليٍّ

ومن غرائب الامور ان فرط الذكاء والنجابة اذا بكَّرا في الظهور كلفا الانسان ما لا يطيقهُ وادّيا بهِ الى عاقبة وخيمة على حد قول الشاعر

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

فاذا رجعنا الى التاريخ وجدنا فيهِ اصدق الشواهد على ما قلنا . فان الاسكندر الفاتح الكبير عاش حتى وجد الموت احلى من الحياة . وداود اضطر ان يحارب ابنهُ ويراهُ قتيلاً امام عينيهِ . ونابوليون قضى زمن الكهولة سجيناً في جزيرة . وتشترتون النابغة الانكليزي ادهش اوربا بالاشعار البليغة التي كان ينظمها وينسبها الى قس عاش في القرن الخامس عشر فانطلى هذا الخداع على العلماء والمؤرخين واهتموا لهُ اهتماماً شديداً حتى تبين لهم اخيراً ان تشترتون هو الناظم . وضاقت بتشترتون سبل المعاش وسدَّت في وجههِ ابواب الرزق فلعن حرفة الادب وشتم صناعة الشعر وشرب السم فمات ولهُ من العمر سبع عشرة سنة وتسعة اشهر . انتهى ملخصاً من مقالةٍ لروبرت وليس في مجلة منسي الاميركية

الامير بشير الشهابي

ختمنا الكلام في الجزء السابق في ما كان من مقتل جرجس باز واخيهِ والتنكيل بابني الامير يوسف . ولا بدَّ من ان يكون اهالي لبنان قد ساءهم غدر الامير برجلين لهما منزلة كبيرة في نفوسهم وباميرين لم يرتكبا وزرًا ولابيهما اليد البيضاء عليهِ لكن خدم السعد الامير حتى انساهم ما فعل فان رجوع الوهابيين من وجههِ من غير قتال احلَّ اللبنانيين محل الظافر والظفر يجلو صدأ القلوب . ثم زاد تعلقهم بالامير اذ ادخلهم دمشق الشام ظافرين واخرجهم منها غانمين ذلك ان الدولة العثمانية ولَّت سليمان باشا والي عكاء على دمشق الشام وتركت لهُ امر الوصول الى تلك الولاية وتخليصها من يد واليها يوسف باشا فدعا سليمان باشا الامير بشيرًا وخلا بهِ واطلعهُ على فرمان الولاية واستشارهُ في كيفية دخول دمشق والاستيلاء عليها لانهُ كان يعلم ان يوسف باشا عزيز الجانب لا يترك الولاية طوعًا وهو كثير المال والرجال فلا يستطيع ان ينزعها منهُ كرهًا وقال للامير بشير ان كنت تساعدني فدعنا نسر الى دمشق حالما يخرج يوسف باشا الى الحج . فقال لهُ الامير لبيك انا ورجالي في خدمتك . وكتب سليمان باشا من ساعتهِ الى جميع الاعمال التابعة ايالة دمشق يعلمهم بذلك ويدعوهم اليهِ . وفي الغد رجع الامير بشير الى مرج عيون وارسل وجمع اعوانهُ من لبنان فاجتمع رجالهُ ورجال سليمان باشا عند حاصبيا وساروا نحو دمشق . وبلغ يوسف باشا ذلك وهو في المزاريب على طريق الحج فرجع الى دمشق من فورهِ وتحصَّن فيها . فارسل سليمان باشا الى اهالي دمشق يعلمهم بان الدولة العلية انعمت عليهِ بالولاية . قال تاريخ الاعيان فخرج اليهِ بعضهم ووقفوا على الفرمان الذي بيدهِ فاشار عليهم الامير بالتسليم قائلًا اني آخذ بيد مولاي واجلب عليكم عساكر مثل قطع الغمام ولا احول حتى استلم المدينة ولو خرابًا فان قبلتم نصيحتي فاطردوا يوسف باشا من عندكم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة . ولما رأى الدماشقة توارد عساكر لبنان اضطربوا وطلبوا المهلة ثلاثة ايام فامهلهم وعادوا الى يوسف باشا فاخبروهُ بما رأوا وسمعوا واشاروا عليهِ بالتسليم

ونشب القتال بين جنود يوسف باشا ورجال لبنان فانكسر يوسف باشا وعصاهُ جنودهُ لانهُ كان قد مطلهم في دفع رواتبهم فهجم قوادهم على اموالهِ ونهبوها ففر هاربًا الى طرابلس الشام وسار منها الى مصر ودخل سليمان باشا والامير بشير المدينة فالتقاها الدماشقة بالاجلال والاكرام وجلس سليمان باشا في دار الوزارة واطلق الامان وعيَّن الولاة على الاقاليم وجعل الامير قاسمًا بن الامير بشير واليًا على بلاد جبيل واخاهُ الامير خليلًا واليًا على البقاع وجعل

على دمشق رجلاً اسمهُ الكنج احمد فقام عليهِ الدماشقة لانهُ كان قد ظلمهم في عهد الجزار فاغلقوا ابواب القلعة ووجهوا مدافعها الى دار الوزارة و بلغ سليمان باشا ذلك فاضطرب وارتبك في امرهِ فدعا الامير بشيراً واستشارهُ في ذلك وفوَّض اليهِ التدبير فعزل الكنج احمد وارسلهُ متسلماً الى القدس واقام مكانهُ رجلاً يميل الدماشقة اليهِ فسرُّوا بذلك وزالت الفتنة ·
وعاد الامير بشير الى بلادهِ · وكان لقدومهِ بهجة عظيمة في البلاد ومدحهُ المعلم نقولا الترك بقصيدة ليست من جيد الشعر ذكر فيها قيام الوهابية وعبثهم ببلاد العرب ومجيئهم الى بلاد الشام الى ان قال

وقاموا بهذا العام يبغون بعدهُ	دمشقَ وفي ارض المزاريب جمهروا
فبادرَ والي امرها الكنج يوسف	الى صدهم لما اتاهُ المخبِّرُ
ومن حصن عكا سار للحرب مسرعاً	سليمانها الشهم الوزير الغضنفرُ
ونادى باقطار البلاد الوحى الوحى	الى مشهدٍ فيهِ الفتى ليس يخسرُ
فلبَّى الندا بحر الندى قاهر العدى	شهاب الهدى ذاك السعيد المظفرُ
بشير الملا بالنصر واليمن والعلا	امير بهِ اعتزَّ الولا والتأمرُ
وسار ومن احزاب قيسٍ امامهُ	رجالٌ كآساد الفرائس تزأرُ
قرومٌ صناديدٌ قرونٌ اماجدٌ	اسودٌ صعابٌ للوغى قد تصدَّروا
امامهمُ الشيخ الذي شاع بطشهُ	امام شديد البأس في الحرب مشهرُ
هو الجنبلاطيُّ البشير التقي الذي	هو الركن فيهِ طود لبنان يعمرُ
لديهِ رجال كالشواهين ان سطت	ترى القوم منها كالعصافير تنفرُ
فقل لاسود البدو ترتد خشعاً	فقد جاءهم ليثٌ هزبر يزمجرُ
اميرٌ لهُ سيفٌ كل نقعٍ وغارةٍ	فعالٌ واهوالٌ الى الحشر تذكرُ
اذا غشيَ الهيجاء وانقضَّ هاجماً	على الجيش قالوا ما دريدٌ وعنترُ
لهُ في الوغى للفتك باعٌ مشرَّعٌ	وساقٌ لخوض النائبات مشمرُ
صبورٌ على الجلَّى وان طال جورها	حزومٌ شديد الرأي لا يتعسَّرُ
باقبالهِ قد طاب قلب وزيرنا	فبات يذيع الحمد عنهُ ويشكرُ
ولما سرت اخبارهُ للعدى نأوا	ومن بعد اقدام لووا وتأخروا

ثم استطرد الى تولية سليمان باشا على دمشق وزحفهِ عليها مع الامير بشير وانتشاب نار القتال بين جنودها وجنود يوسف باشا ودخولها دمشق ظافرين وعودة الامير الى لبنان الى ان قال

فعاد الى الاوطان عودة ظافرٍ — بعز الى يوم القيامة يذكرُ
ولاح علينا منهُ اشراق طلعةٍ — من الكوكب الوضاح ابهى وابهرُ
وشرَّف اوطانًا بهِ طاب عيشها — وانشا لها شأنًا الى الدهر يذخرُ

وحدث بُعَيْد ذلك حادث محلي جاء مؤيدًا لما يعتقدهُ اهالي الجبل من علو همة الامير وحسن رأيهِ وتدبيرهِ وذلك ان الجراد اقبل على البلاد وانتشر فيها وغرز في الارض وباض فامر الاهالي ان يستخرجوا بيضهُ ويحرقوهُ وفرض على كل رجل نصف مد من بيضهِ فجمعوا منهُ اكثر من خمسين غرارة . وفقس الباقي قبل استيفاء جمعهِ وسعى في اراضي الساحل وكان كثيرًا فامر ان يبادر اليهِ الناس ويحفروا لهُ خنادق في طريقهِ يُطرَد اليها ثم يطمر فيها فاهلكوا منهُ كثيرًا والباقي بلغ اراضي صلبة لا يمكن حفر الخنادق فيها فامر ان يجمعوا في طريقهِ اغصانًا يابسة وحشيمًا ويكسوها باغصان مورقة ويطردوهُ اليها ثم يحرقوها ففعلوا واباودهُ كلهُ ونجت البلاد منهُ . وهذه الاساليب الثلاثة التي استنبطها الامير بشير حينئذٍ خير الاساليب المتبعة الى الآن لابادة الجراد

وصفا الزمان لهُ فاخذ يزيل المغارم من البلاد وكان اول مغرم ازالهُ الخفارة التي كانت تؤخذ من قوافل التجار في اماكن مختلفة من البلاد وامر ان تسير القوافل في جميع الطرق بالامان من غير ان تغرم بشيءٍ فكان ذلك رحمة عظيمة للناس ومسهلاً لسبل التجارة . وجعل الولاة يخاطبونهُ بعبارات التبجيل والاكرام ويطلعونهُ على اخبار الولايات كما حدث لما تغلَّب طوسون باشا بن محمد علي باشا والي مصر على الوهابية في الحجاز وتملك المدينة المنوَّرة وجدَّة سنة ١٢٢٨ فان سليمان باشا العظم والي دمشق كتب الى الامير بشير يخبرهُ بهذا النصر وهذه صورة الكتاب نقلاً عن تاريخ الامير حيدر

افتخار الامراء الكرام ذوي القدر والاحترام جناب ولدنا الاعز الامجد الامير بشير الشهابي زيد مجدهُ . بعد التحية والسلام . بمزيد الاعزاز والاكرام . نبدي اليك انهُ يوم تاريخهِ قد ورد لنا كتاب من سعادة الاخ الانجم والي مصر القاهرة المحترم يخبرنا ان سعادة ولدهِ طوسون باشا بعد استيلائهِ على المدينة المنورة . توجه بعساكرهِ المظفرة الى مكة المطهرة . وقطع دابر الطائفة الوهابية الكافرة ودارت عليهم الدائرة . بقدرة ملك الدنيا والاخرة . وتطهرت منهم تلك الرحاب الشريفة . والديار المنيفة . واستولى على مكة المعظمة وجدة وتلك البقاع المكرمة . ولم يبقَ احد في تلك الديار من اولئك الكفار . وبما ان هذه البشارة تجلب السرور التام الى جميع الاسلام . ارسلنا اليكم مرسومنا هذا لكي تشهروهُ على الخاص والعام . وتستجلبوا

الدعوات الخيرية لحضرة مولانا السلطان الذي هو ظل الملك العلاَّم وخليفة سيد الانام · ولنا ولجميع المسلمين من الرعايا وولاة الاحكام وليكن ذلك معلوماً عندكم تعتمدونهُ والسلام

وصار اذا قصد عكاء لقي فيها وفي طريقهِ اليها كل حفاوة واكرام · قصدها سنة ١٢٣٠ فلما وصل الى جسر صيداء التقاهُ قاضيها ومفتيها واكابرها وادخلوهُ الى صيداء باحتفال عظيم فبات تلك الليلة عندهم وخرجوا معهُ في الصباح وشيعوهُ الى عين القنطرة ثم ودعوهُ ورجعوا ولما وصل الى جسر القاسمية التقاهُ ابرهيم آغا متسلم قلعة هونين وبلاد المتاولة ومعهُ مشايخ تلك البلاد وقدموا لهُ الذخاير وضربوا لهُ الخيام ومشوا قدامهُ اليها ثم شيعوهُ الى اطراف بلادهم ولما اقبل على مدينة صور التقاهُ متسلمها واكابرها ودخلوا بهِ باحتفال عظيم وخرجوا معهُ في الصباح الى خارج المدينة ولما قارب عكاء التقاهُ متسلمها عبد الله بك بجميع رجال الحكومة وضباط الجيش ومعهم الموسيقى العسكرية وساروا امامهُ الى عكاء ولاقاهُ سليمان باشا الوالي الى باب ديوانهِ واعتنقهُ واجلسهُ بجانبهِ وبالغ في اكرامهِ واعدَّ لهُ منزلاً لنزولهِ وزارهُ في اليوم الثالث في هذا المنزل · واقام في عكاء خمسة ايام على الرحب والسعة واهدى اليهِ عبد الله باشا هدايا نفيسة من الجياد والاسلحة فهاداهُ الامير بانفس منها ولم يحصل لامير قبلهُ ما حصل لهُ من الاكرام · وذاعت شهرتهُ في الديار الشرقية واقبل الشعراء على بابهِ ومنهم بطرس كرامة الشاعر الحمصي المشهور جاءهُ من عكار ومدحهُ بالقصائد الغراء وتداول اهالي لبنان اشعارهُ يتلونها في المدارس والاندية وكان من باكورة قولهِ فيهِ

بَسَمَ السرور فسرَّت الاحياءُ ... وسمت بسامي سعودك العلياءُ
وروت عن الشرف الرفيع محاسنٌ ... طابت بنشر حديثها الارجاءُ
اضحى الفخار بجيد فضلك باهياً ... واعتزَّ في باهي علاك علاءُ
والى شهامتك السنية اذعنت ... رتب العلى والهمة القعساءُ
ياحبذا لبنان قد صدحت بهِ ... طرباً بواقر حلمك الورقاءُ
شهد الورى لما ظهرت بانهُ ... طود الاماني ملجأ وحماءُ

فجعلهُ الامير نديماً لهُ ومعلماً لولدهِ الاميرامين وكاتباً للخارجين عن بلادهِ وكأنهُ احلهُ محل وزير الخارجية فاعرب بذلك عن حسن ذوقهِ وقدرهِ رجال الفضل قدرهم · وعاش بطرس كرامة في نعمة واسعة من كرم الامير ولم تزل دارهُ في دير القمر شاهدة بذلك كما تشهد قصائدهُ الغراء التي نظمها في مدحهِ

ومما يشهد لهُ ايضاً بحسن الذوق وصفاء الذهن ومحبة الابهة والجاه وما شاكل من لوازم

الامارة بناؤهُ الدار البديعة في بتدين (بيت الدين) التي لم تزل حتى الساعة داراً لحكومة لبنان. قال الكولونل تشرتشل في هذا الصدد ما تعريبهُ وبلغ الامير سن الكهولة السن الذي تزري فيهِ قوة الشباب بضعف الشيخوخة وتبلغ القوى العقلية والادبية والجسدية اوجها من النمو والارتقاء في مَن كان مخلوقاً صحيح الجسم قوي البنية. ورأى ان الزمان قد صافاهُ واناله كل ما تطيب بهِ الحياة وتسعد الايام وان دخل امارتهِ زاد زيادة تسهّل لهُ العمل بما فطر عليهِ من اكرام الضيوف مهما كان عددهم وعديدهم الخُلق الذي يمتاز بهِ المشارقة و يشترك فيهِ ملوكهم وصعاليكهم وينتشر منهُ البهاء في القصور والاكواخ ويرفعها كلها من وهدة الانحطاط الادبي الذي انحطت اليهِ بما استولى عليها من العادات الفاسدة والشرائع الظالمة التي تسحق اشرف عواطف النفس وتخمد انفاس المطالب النبيلة من صدور ابنائهِ. وانهُ حاز من الشهرة ما اخرس السنة الوشاة واطفأ نار الحسد من افئدة الاحزاب المعادين والقى الرعب في قلوب الدانين منهم والقاصين وصارت كلمتهُ تقيم الناس وتقعدهم في كل البلاد المجاورة من دور الولاة الى مضارب العرب. وان الوالي الاكبر الذي يدير تدبير الامور في بلاد الشام كلها صار صديقاً لهُ بل حليفاً يجري على حسب مشيئتهِ — لما رأى ذلك كلهُ وقف بين اندادهِ ومناظريهِ كأنهُ طود من الاطواد لا تنالهُ نوائب الدهر بمكروه

ولا غرابة والحالة هذه ان تطمح نفسهُ الى انشاء قصر فخيم مثل قصور الملوك يكون عنواناً لمجدهِ ومظهراً لما فُطر عليهِ من الكرم وحب الابهة فاختار قنة بيت الدين المشرفة على دير القمر مقرّاً لهذا القصر. واستطرد الكولونل تشرتشل الى وصف هذه القنة والقصر الذي بناهُ الامير بشير. والظاهر من تاريخ الامير حيدر وتاريخ الاعيان ان الامير انما جرَّ ماء نبع القاع المجاور لنهر الصفا الى بتدين حينئذٍ لانهُ كان في دارهِ نحو ثلاثة آلاف من الاعوان والخدم عدا الخيل والبغال ولم يكن الماء كافياً لهم. وقرَّظ بطرس كرامة ذلك بموشح من ابلغ ما نظم من نوعهِ قال فيهِ

صاحِ قد وافى الصفا يروي الظما　　بشراب كوثري العس
وافاض الشهد في روض الحما　　لجلا الغمِ وبرء الانفس

دور

حبذا الفوَّار منهُ حين راق　　فارانا ماؤهُ ذوب اللجين
نزَّه القلب عن الهم وراق　　بسنا صافي صفاهُ كل عين
نثر الدرَّ بفيضٍ واندفاق　　وسقى الوارد اهنى الاطيبين
قد جرى عذباً فاغنى الندما　　بزلالٍ عن رحيق الاكؤس

وعلى الاغصان التي النغما فزهت مثل ندامى العرس

دور

جاء باسم الله مجراهُ الى بيت دين المجد منقادًا مطيع
كانفجار الصبح يبدو من على ذلك السفح الى الروض البديع
وتباهى جاريًا يعلو على كل طودٍ شامخ الانف منيع
مُلئت منهُ السواقي وطما دافقًا كالعارض المنبجس
فغدا بالخصب يزهو منعما كل ربع مقفرٍ مندرس

دور

دار في دارِ السنى مثل العريس يتهادى في رداه جوهري
حولهُ السرو كعشاقٍ تميس في رداه من حريرٍ اخضر
تبتغي لثم محياهُ النفيس والحيا يمنعها بالنظر
خلتهن قائماتٍ خدّما حولهُ منعطفات الاروُس
وعليه ساهراتٍ هيماً تلتوي اعناقها بالنعس

والموشح طويل فيهِ خمسة وعشرون دورًا من نفيس الشعر ومطربهِ

ولم يكد يتم جلب الماء الى بتدين حتى اشتدت رغبتهُ في البناء والزخرفة فظلّ اربعين سنة ينشئ البناء بعد البناء واتى بالبنائين والمرخمين والنقاشين من دمشق وحلب . ومهّد ميدانًا امام السراي يلعب فيهِ مئة فارس وبنى اصطبلاً يسع خمس مئة جواد واقام المقاصير الفخيمة يتلو بعضها بعضاً ورصف بعضها بالمرمر والفسيفساء وكان يشارف هذه الاعمال بنفسهِ ويخاطب روَساء العمل لا كما يخاطب الرئيس المرؤوس بل كما يخاطب العاميّ الصانع الماهر. وكثيرًا ما كان ينتقد شيئًا من عملهم ويشير بتغييرهِ فلا يلتفتون الى مشورتهِ بل يبينون لهُ وجه الخطإ فيها فيسرّ بذلك ولا يستاء منهُ . ودام على هذا المنوال الى ان صارت سراي بتدين اعظم مباني جبل لبنان ولاسيما بعد ان انشأ فيها حمّامًا افرغ فيهِ صنّاع دمشق مهارتهم في الرسم والنقش كأن المرمر خشب في يدهم وبنى قصور اولادهِ وغرس حولها الحدائق والجنات لكن لم يقدّر لهذا الصفاء ان يدوم طويلاً كما سيجيء

ولم يقصر همتهُ على بناء القصور لهُ ولاولادهِ بل بنى الجسور (الكباري) على الانهر لكي يتيسر للسابلة المرور عليها في كل حين كجسر نهر الكلب وجسر نهر الصفا وجسر نهر الدامور واظهر في بنائها علو همتهِ وصدق عزيمتهِ ولم يزل بعضها قائمًا الى الآن مع ما مرَّ عليهِ من السنين

خزان اصوان وبحيرة مورس

من خطبة للسر وليم ولككس تلاها في الجمعية الجغرافية المصرية في السادس عشر من شهر يناير

النيل خير ما تلجأُ اليهِ الديار المصرية اذا طلبت التوسُّع في الثروة فانهُ لم يخيّب لها رجاء من غابر الازمان الى الآن من حين قام فراعنة مصر وحاولوا التحكم في الفيضان في عهد الدولة الثانية عشرة من الدول المصرية حتى لا يغرّق الماء البلاد الى هذا العصر الذي حاولنا فيهِ خزن هذا الماء الى حين الحاجة اليهِ · اما في العهد القديم فكان المشكل الاكبر في اتقاء مياه الفيضان · واما في هذا العهد فالمشكل الاكبر في خزن الماء الكافي لا في اتقاء فيضانهِ والامران لازمان على حدٍ سوى اي اتقاء الغرق واتقاء الشرق ومرادي ان ابين لكم كيف يمكن ان ننال الامرين في وقت واحد على اهون سبيل

ان كل الذين حكموا مصر واهتموا بدفع غائلة الغرَق والشرَق عنها حققوا الخير والسعادة لاهاليها وابقوا لهم في التاريخ احسن ذكر · وقد حذا محمد علي حذوهم لما اهتم بري هذا القطر وسار في خطوات اعظم الملوك السالفين واسس عظمة البلاد على اساس متين فسارت في سبيل العمران الذي اختطهُ لها والآن نحن مهتمون بتعميم الري الصيفي الذي ادخلهُ اليها وفي حفظها من غوائل الغرَق الذي يتهددها في بعض السنين

رأيتُ في الاعوام الاولى التي كنتُ فيها في خدمة الحكومة المصرية ما راعني من تجمُّع المياه في الاطيان التي تروى ريًّا صيفيًّا وبقائها فيها حتى تتلف ووددتُ لو امكن العود الى ري الحياض الذي جرى عليهِ المصريون الاقدمون ولكن لما أُنشئت المصارف وكثرت في البلاد زال الضرر الذي كنتُ اراهُ واخشى تفاقمهُ · ثم رأيت الناس يهتمون بتعاقب المزروعات وتسميدها والحكومة تهتم بانشاء المصارف واعطاء الماء بالمناوبات وذلك كلهُ جارٍ جريًا حثيثًا حتى صارت الارض تأتي بمحصولين او ثلاثة في السنة من غير ان يتولاَّها الكلال . وفي المستقبل ستنشأ المصارف قبل الترع فلا يبقى خوف من الري الصيفي مهما اتسع نطاقهُ

والاطيان التي يمكن ريها في القطر المصري تبلغ مساحتها ستة ملايين فدان وربع مليون. والربع المليون يروى في زمن الفيضان فقط وهو حد الصحراء وسيبقى ريهُ كذلك ابد الدهر ليبقى حاجزًا حصينًا بين رمال الصحراء ووادي النيل[1] وثمن هذه الاطيان خمسة ملايين من

(1) [المقتطف] لا ندري كيف يمنع رمال الصحراء عن ان تسفي على وادي النيل وهو محروم من الري الصيفي ولا يمنعها اذا روي ريًّا صيفيًّا · وعسى رجال الري ان يروا سبيلاً لجلب الماء الصيفي الى هذه الاطيان لانهُ ليس من العدل ان تدفع من الاموال الاميرية ما يدفعهُ غيرها وتحرم ما تتمتع بهِ سائر اطيان القطر

الجنيهات . واربعة ملايين فدان تروى ريًّا صيفيًّا ومتوسط ثمن الفدان منها الآن ٥٥ جنيهاً فثمنها كلها ٢٢٠ مليونًا من الجنيهات . والباقي وهو مليونا فدان ثلثاهُ يرويان في زمن الفيضان فقط والثلث الباقي لا يروى مطلقاً ومتوسط ثمن الفدان من هذين المليونين ٢٥ جنيهاً فثمنها كلها ٥٠ مليونًا من الجنيهات وثمن كل الاطيان المصرية الآن ٢٧٥ مليونًا من الجنيهات . واذا امكن ارواء الالفي فدان الاخيرة ريًّا صيفيًّا زاد ثمن الفدان منها ثلاثين جنيهاً وبلغت الزيادة ٦٠ مليونًا من الجنيهات

وعلينا الآن ان نرى كيف يمكن ان يتوفَّر الماء لري هذه المليوني فدان ريًّا صيفيًّا حتى يزيد ثمنها ستين مليونًا من الجنيهات

ظهر بالحساب ان كل الف مليون متر مكعب من الماء في هذا القطر تكفي لري نصف مليون فدان ريًّا صيفيًّا فاذا اريد ري المليوني فدان وجب ان يخزن لها اربعة آلاف مليون متر مكعب

كان محمد علي مهتمًّا اهتماماً شديدًا بزرع القطن في القطر المصري . والقطن ينمو في فصل الصيف ويحتاج الى الري الصيفي ولذلك انصرف همهُ الى ابقاء ماء الري كافياً على مدار السنة وبلغهُ ان القدماء كانوا يخزنون ماء الفيضان في بحيرة مورس فامر لينان باشا رئيس مهندسيهِ ان يحذو حذوهم فجعل يفتش عن موقع هذه البحيرة ثم حسب ما يقتضي ايصال ماء الفيضان اليها من المال فوجد انهُ ليس مما تتحملهُ الخزينة المصرية حينئذٍ واشار ببناء القناطر في النيل عند جبل السلسلة وجر الماء من فوقها بترعة عالية ولكن ظهر العيب في بناء القناطر الخيرية فضعف عزم الحكومة المصرية واحجمت عن بناء قناطر اخرى مثلها

واشار الكونت دلاموت سنة ١٨٨٠ ببناء سد عند جبل السلسلة يخزن الماء فوقهُ وان يدخل ماء النيل الى منخفض واسع شرقي كلبشة فيكون خزانًا آخر للماء . وبعد نحو سنتين اشار المستر كوب هويتهوس باستعمال وادي الريان خزانًا لماء النيل وكان لينان باشا قد اشار الى هذا الوادي او المنخفض لكن الضيق المالي الذي كانت فيهِ الحكومة المصرية وما ظهر من الخلل في القناطر الخيرية منعاها من الاهتمام بمسألة خزن الماء حينئذٍ لا سيما وانها لم تكن قادرة على التحكم بالماء الذي تحت يدها ولكن لما نجحت في تقوية القناطر الخيرية سنة ١٨٨٧ عادت الى النظر في امر خزن الماء وارسل السر كولن سكوت منكريف الكولونل وسترن الى وادي الريان ليبحث في مشروع المستر كوب هويتهوس ويعلم مقدار ما يسعهُ وادي الريان ويرى هل يمكن استخدامهُ لخزن المياه . ونشرت الحكومة المصرية سنة ١٨٨٨ تقرير الكولونل وسترن

عن وادي الريان ومناسيبهِ ونفقات عملهِ خزانًا ومقدار ما يخزن فيهِ من الماء . وأُرسلتُ انا للبحث عن مشروعَي الكونت ده لاموت فلم ارَ مناسبتهما لانني لم اجد منخفضًا قرب كابشة يمكن وصلهُ بالنيل ولا وجدت صخرًا يمكن ان يبنى السد عليهِ . والمنخفض الوحيد قرب كابشة يسمَّى بركة طخام وهو يعلو مئة متر عن سطح النيل وقت الفيضان. وسبرت الارض في مضيق السلسلة فوجدتها رملاً حتى تحت الحد الذي ظن ده لاموت وجود الصخر فيهِ بعشرة امتار . فلما بلغ تقريري القاهرة اشار المسيو برونت بجعل مجرى النيل نفسهِ خزانًا عند كابشة . وغادر الكلونل وسترن القطر المصري سنة ١٨٩٠ وجُعلتُ مديرًا عامًّا للبحث عن الخزانات . وظن المسيو برونت ان الصخر موجود في كابشة على اربعة امتار تحت سطح ماء التحاريق فسبرت الارض الى عمق ٣٦ مترًا ولم اجد صخرًا . وسبرت الارض في كل مكان يمكن عمل الخزان فيهِ بين الفيوم ووادي حلفا واستعلمت مناسيبها وقدَّمت تقريري سنة ١٨٩٤ ورفضتُ كل مشروع يراد بهِ بناء سد اصم واشرت ببناء سد ذي عيون في اصوان حاسبًا انهُ يفي بالغرض المطلوب . ووافق السر وليم جارستن والسر بنيامين باكر والسنيور طوريشلي على المكان الذي اخترتهُ وعلى الرسم الذي رسمتهُ لهُ. وسدُّ اصوان هذا جديد في بابهِ واذا نجح فسيغير كيفية بناء السدود على الانهر الكبيرة في البلدان الحارَّة

ويسع خزان اصوان الآن الف مليون متر مكعب من الماء وهي تكفي لري نصف مليون فدان ريًّا صيفيًّا فتزيد ١٥ مليون جنيه في ثروة القطر . وقد تم هذا الخزان في آخر سنة ١٩٠٢ ومع ذلك استُخدم ماؤُهُ كلهُ لاماكن مخصوصة حتى اضطرت الحكومة ان تردَّ كل الذين طلبوا منها ماء للري وهذا امر لم تنتظرهُ البلاد بعد ان انتظرت بناء الخزان ست سنوات . والعالم في اشد الحاجة الى القطن الطويل الشعر المختص بالقطر المصري ومع ذلك يضطر اصحاب مليون ونصف من الفدادين الصالحة لزرع هذا القطن ان ينتظروا الماء سنين كثيرة على ما يظهر مع ان كل بلاد تحت الشمس يمكن زرع القطن فيها باذلة جهدها في زرع القطن المصري . والثلاثة آلاف مليون متر مكعب من الماء قريبة المنال والبلاد قادرة على خزنها كما يظهر من الارقام التالية المنقولة عن تقرير اللورد كرومر

ان المال الاحتياطي العمومي في خزينة الحكومة المصرية يبلغ ٢٩٣١٠٠٠ جنيه والمال الاحتياطي الخصوصي ١٦٧٨٠٠٠ جنيه والاموال المتوفرة بتحويل الدين ٤٩٩١٠٠٠ جنيه وفي صندوق الدين العمومي ٨٧٧٤٠٠٠ جنيه وهذا المبلغ الاخير ريع يبلغ ٣ ١/٢ في المئة في السنة فاذا أُنفق نصفهُ في خزن الماء ووقاية البلاد من الغرق زادت ثروتها ٤٥ مليون

جنيه ويكون ريع الزيادة بمعدل سبعة في المئة في السنة

والرجال الذين بنوا خزان اصوان لا يمكن ان يبقوا مترددين في الامر والبلاد كلها محتاجة الى الماء والماء الغزير ينصبّ من النيل في بحر الروم كذَوْب النضار

قلت انهُ لا صعوبة في وجود المال الكافي لخزن ثلاثة آلاف مليون متر مكعب من الماء ومرادي الآن ان ابين ان خزن هذا المقدار من الماء ليس مما يتعذَّر عملهُ

منذ ست سنوات رأى قليلون بعين البصيرة ما يُرى الآن بالباصرة وليس بين هؤلاء القلائل من هو اقوى ثقة بمستقبل القطر المصري من السر ارنست كاسل فاتى بالاموال سنة ١٨٩٨ واخذ مشروع الخزان بعد ان مضى عليهِ اربع سنوات مدفوناً في زوايا النسيان واستعان بالسر جون ايرد وشركائهِ المقاولين والسر بنيامين باكر المهندس المستشار وانشأ خزان اصوان وقناطر اسيوط وسلمها للحكومة المصرية في ختام سنة ١٩٠٢

وسد الخزان في اصوان من الغرانيت طولهُ الفا متر وهو يقطع النيل عند الشلالات من ضفة الى اخرى في خط مستقيم وفي اعلاهُ طريق عرضهُ اربعة امتار وارتفاع السد ٣٧ متراً حيث يبلغ ارتفاعهُ اعظمهُ واكثر عمق بلغ اليهِ اساسهُ ١٢ متراً تحت الصفر بمقياس اصوان والطريق المشار اليهِ آنفاً ٢٥ متراً فوق ذلك الصفر. وفي السد ١٤٠ عيناً طول كل عين منها ٧ امتار وعرضها متران لمرور مياه الفيضان و ٤٠ عيناً اخرى طول العين منها ثلاثة امتار ونصف وعرضها متران لكي يمر منها ماء الخزان حينما يكون عالياً. والى الجهة الغربية من السد ترعة للملاحة لها اربعة اهوسة طول الهويس منها ٨٠ متراً وعرضهُ ٩ امتار. ويمكن رفع الماء بهذا السد في حالتهِ الحاضرة حتى يصير ارتفاعهُ ٢٣ متراً فوق الصفر بمقياس اصوان فيكون من ذلك حوض فيهِ الف مليون متر مكعب. واذا كان الفيضان على اعلاهُ فالماء الجاري في النيل يبلغ ١٢٥٠٠ متر مكعب في الثانية من الزمان واذا كانت ايام التحاريق في الصيف والماء على اقلهِ بلغ الجاري منهُ في الثانية من الزمان ٢٠٠ متر مكعب فقط

وفي وقت الفيضان تفتح العيون كلها فيجري منها الماء كلهُ من غير ان يرسب الطمي منهُ واذا انقضى زمن الفيضان وراق الماء نوعاً تُقفل العيون تدريجاً فيملأ الخزان . واذا شُرع في ذلك في شهر دسمبر امتلأ الخزان في مئة يوم . والغالب ان يتم امتلاؤُهُ في اول شهر مارس والماء الجاري في النيل بين اول مارس واول ابريل يكفي الان للزراعة التي تكون حينئذٍ . واذا زاد زمام الاطيان التي تزرع زراعة صيفية مست الحاجة الى زيادة الماء منذ اول ابريل وتزيد الحاجة في مايو ويونيو وحينئذٍ يساعد الخزان النيل . واذا تأخر الفيضان بقيت الحاجة

ماسة الى ماء الخزان حتى العاشر من شهر يوليو واذا بكَّر الفيضان استغني عن الخزان في العشرين من يونيو كما حدث سنة ١٩٠٢ وهي اول سنة مرت على الخزان . فتزيد فائدة الخزان بتأخر الفيضان . وحينما يحمرُّ ماء النيل تكون العيون السفلى والعليا قد فتحت كلها فتجري منها المياه الحمراء من غير عائق . وقد قدّرت فائدة المياه الحمراء للاطيان بما يساوي تسعين غرشاً من السماد لكل فدان يروى بها في زمن الفيضان

وقد مضى الآن سنة على خزان اصوان فظهر انهُ وافر بما ينتظر منهُ فانهُ لما كانت التحاريق على اشدها في شهر مايو الماضي بلغ كل الماء الجاري في النيل مع كل الينابيع التابعة فيهِ من اصوان الى بحر الروم ٤٠٠ متر مكعب في الثانية من الزمان فمدّهُ الخزان بمئتي متر مكعب كل ثانية فصار مقدار الماء الميسور للري ٦٠٠ متر مكعب كل ثانية من الزمان اي ان الخزان قدّم ثلث الماء اللازم للري الصيفي فهو يكفي لري نصف مليون فدان ريّاً صيفيّاً

ولما رسمتُ بناء سد الخزان جعلتهُ قابلاً لان يُعلَّى ستة امتار أُخرى فيخزن فيهِ مضاعف ما يخزن فيهِ الآن فاذا رفع بناؤُهُ ستة امتار اخرى وطولت عيونهُ وسدودها فتكون النفقات اللازمة لذلك كلهِ نصف مليون جنيه

ويسهل قسمة كل هويس من الهويسين الاولين الى اثنين لان طول الهويس منهما ٨٠ متراً فيصير طول كل قسم من قسميهِ ٤٠ متراً وهو يكفي للملاحة لان اكبر الذهبيات في القطر طولهُ ٣٠ متراً و بذلك يقل ضغط الماء لانهُ يتوزع على ستة ابواب بدل من كونهِ الآن على اربعة

ونصف مليون الجنيه المطلوب لتعلية السد ستة امتار اخرى يكفي ايضاً لتقوية السد كلهِ فيصير امتن مما هو الآن والالف مليون متر التي تزيد في الخزان تزيد بها الزراعة الصيفية نصف مليون فدان فيزيد ثمن الاطيان التي تروى كذلك خمسة عشر مليون جنيه

وقد سمعت البعض يعترضون على تعلية سد الخزان بان ضغط الماء على اسفل البناء يزيد حينئذٍ على ٥ كيلوغرامات لكل سنتمتر مربع وهو اعظم ضغط اقرَّت عليهِ اللجنة الدولية وقد اشار بذلك السنيور طوريشلي لان السد جديد في نوعهِ فلا يصح تحميلهُ ضغطاً شديداً قبلما يمتحن وتثبت متانتهُ . لكن هذا الضغط في سد جيلب ببلاد البلجيك ١٠ كيلوغرامات على السنتمتر المربع وفي سد خميس ببلاد الجزائر ١١ كيلوغراماً . ومن رأي الاستاذ رنكن انهُ لا خوف من ضغط ٧½ كيلوغرام الى ١٠ على سد ارتفاعهُ ٤٨ متراً . ولما عُين السر بنيامين باكر مهندساً مستشاراً للخزان سألتهُ عن رأيهِ في ذلك . فقال "يجب ان يكون السد مستريحاً في كل اجزائهِ وانا لا اعبأُ بما على قاعدتهِ من الضغط وانما تعبهُ يكون من التمدُّد والتقلُّص" (ستأتي البقية)



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستَختار على المطوَّلة

اللغة العربية في المدرسة الكلية

سيدي الاخ احد ابناء العصر الذهبي

اشكر لكم كل الشكر على انتقادكم اللطيف على خطابي " تاريخ اللغة العربية في المدرسة الكلية السورية الانجيلية " المدرج في المقتطف الاغرّ تحت عنوان " المدرسة الكلية واللغة العربية "

على انهُ لا بدَّ لي بعد تقديم تشكراتي من ان استلفت انتباه حضرتكم الى ان موضوع خطابي لم يكن " لماذا او ما هو السبب الحقيقي الذي من اجلهِ استبدلت عمدة المدرسة ودائرة مدبريها لغة التعليم فجعلتها الانكليزية بدلاً من العربية " ولا خطر في بالي ان ابحث في هذا الشأن لان موقفي كان لا يجوز لي ذلك لياقةً كما لا يخفى على حضرتكم

نعم اني في اثناء بحثي التاريخي انسقت الى ان اسأل " هل اصابت العمدة في هذا الاستبدال ام لا " وفي جوابي اقمت الدليل — لكن بقطع النظر عن الداعي الذي دعا العمدة الى هذا الاستبدال — على انها اصابت والذي اعتقدهُ وارجحهُ ان دليلي في كل ما ذكرتهُ كان يمشي على رجلين قويتين كما يتضح ذلك بعد المراجعة والروية

ثم اني على ما يقتضيهِ موضوعي قسمت تاريخ اللغة العربية في المدرسة الكلية الى ثلاث مدَّات احداها مدة انحطاط العربية ما بين سنة ١٨٨٠ و ١٨٩٥ وتصدَّيت لبيان اسباب ذلك الانحطاط وانصراف نفوس الطلبة عن هذه اللغة الشريفة فذكرت ان من جملة تلك الاسباب نفس استبدال العربية بالانكليزية . ومنها الحوادث العرابية . ومنها المهاجرة . ومنها ومنها الى آخر ما ذكرتهُ . فارجو ان تراجعوا النظر مرةً ثانية

ويعلم العارفون انهُ كان في المدرسة ما بين سنة ثمانين واربع وثمانين اساتذة درَّسوا اللغة العربية لم يوجد قبلاً مثلهم ولا اقدر على التدريس ولا امهر منهم فيهِ وكان لهم فرق ذلك في نفوس التلامذة من المكانة ما لم يبلغها احد كان قبلهم ولا بلغها من جاء بعدهم ومع كل ذلك كانت نفوس التلامذة بشهادتهم هم منصرفةً عن اللغة العربية وليس لهذا من سبب ظاهر الاَّ الاسباب التي ذكرتها فلما زالت هذه زال اثرها فانتعشت اللغة وعاد اليها شيء من رونقها القديم باقبال الطلبة عليها وتجدُّد رغبتهم فيها.

وهنا لا يسعني اغفال ما كنت اغفلتهُ اما سهواً او اضطراراً لضيق الوقت وهو ان من أكبر الاسباب التي اعانت على انتعاش اللغة العربية في مدرستنا وعود الرغبة فيها ان تلامذتها المتاخرين لم يروا لاحدٍ من اخوانهم السابقين شهرةً تستحق ان تذكر الاَّ ان يكون من المجيدين في معرفة العربية ومن البارعين في الكتابة فيها تلك الكتابة البديعة المعروفة باسم السهل الممتنع الظاهرة في مقالات المقتطف ومقالات الادباء فيهِ الذين حذوا حذو صاحبيهِ في ترك التعمُّل ومجاراة الطبع والذوق السليم

ايها الاخوة ابناء العصر الذهبي ومن اقتفى خطواتهم من ابناء هذه الكلية واخصُّ استاذيَّ الكريمين الدكتور صرُّوف والدكتور نمر لي ايها الاخوة كلمة اطراء اوجهها اليكم صراحة وهي هذه انكم كنتم ولا تزالون من جملة الاسباب التي سببت انتعاش اللغة العربية في مدرستكم الكلية ومن اهم تلك الاسباب ايضاً لانكم كنتم اعظم باعث لاخوانكم المتأخرين على معاودة الرغبة فيها والاقبال عليها بما رأوهُ من نجاحكم الباهر واستطارة شهرتكم في العربية بما خدمتم وتخدمون بهِ ابناءها فجزاكم الله وجزى امثالكم من كتابنا الكرام احسن الجزاء انهُ السميع المجيب آمين

جبر ضومط

رباعيات ابي العلاء

حضرة منشئي "شيخ" المجلات العربية

اطلب اليكما ان تدرجا اذا امكن هذه الاسطر في احد اعداد مجلتكما الغراء تعميماً للفائدة لا غير

جاء في كلامكم على ترجمة رباعيات ابي العلاء المعري للشاعر الاديب والعربي الغيور امين افندي ريحاني ما حرفهُ: . . . ولم يكن عمر الخيام الاَّ تابعاً لابي العلاء المعري مقتبساً منهُ او ناسجاً على منوالهِ ومع ذلك لم يقدم احد على ترجمة اشعار المعري الى اللغات الاوربية

الآ الآن حينما هزت الاريحية وطنينا الاديب امين افندي ريحاني ... " فيستفاد من هذه العبارة ان اول من اقدم على ترجمة شيء من اشعار ابي العلاء المعري الى احدى اللغات الاوربية هو الاديب المذكور وهذا خلاف الواقع فان لبعض المستشرقين من الاوربيين وغيرهم ابحاث جليلة عن هذا الشاعر العربي وللبعض الآخر تراجم لاشهر اشعاره الفلسفية التي تجلت فيها صورتهُ النفسانية واعتقاداتهُ الدينية . هذا ولا حاجة هنا الى سرد جميع اسماء هؤلاء الكتبة وما ترجموهُ من اشعار ابي العلاء ونحو ذلك مما تراهُ مذكورًا في حاشية لمقدمة ترجمة رسائل ابي العلاء التي نشرها عام ١٨٩٨ في اللغة الانكليزية المستر مرغوليوث (وقد ذكرتم ذلك في بعض اعداد مجلتكم الغراء ووعدتم ان تنشروا رسالتين لابي العلاء لم تضمهما مجموعة المستر المذكور واظنكم لم تفعلوا) انما اقتصر هنا على ذكر واحد من هؤلاء العلماء وهو المستشرق الشهير النمساوي Von Kremer الذي وضع للبحث عن ابي العلاء وافكاره جملة مقالات نشرها في بعض المجلات الجرمانية وغيرها منذ عشرين عامًا او اكثر ثم كتابًا خصوصيًا Über die philosophischen Gedichte des Abul'alâ Ma'arry, Wien, 1888 = اشعار ابي العلاء الفلسفية) وقفهُ للبحث عن اراء ابي العلاء الفلسفية ونقل فيه نثرًا اكثر من مئتي بيت من رباعيات شاعرنا العربي وغيرها (ربما تطاولنا الى تعريب هذا الكتاب ونشره تباعًا في مجلتكم الغراء ان سمحتم بذلك) والذي يهمنا هنا هو ان الرباعيات التي نقلها الآن وطنينا الغيور الى اللغة الانكليزية كان قد نقلها قبلاً مع غيرها العالم النمساوي المذكور ونشرها نظمًا عام ١٨٧٧ في اعداد المجلة الجرمانية الاسيوية الذائعة الصيت

فنستخلص مما ذكر ان اول من بحث عن اشعار ابي العلاء المعري بحثًا مدققًا وترجم نصيبًا منها الى احدى اللغات الاوربية هو الكاتب النمساوي المذكور لا ابن وطننا العزيز كما جاء سهوًا في عبارتكم السابقة . اما عن رقة الترجمة ومتانة الفاظها وعدم تصرف المترجم بشيء من معاني الاصل فيمكنكم ومن لهُ المام باللغة الجرمانية ان تحكموا ولو بما يأتي :

(١) اراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

Mich hält ein dreifach Gefängniss gefangen
Trage nach der Erklärung kein verlangen! —
Blind bin ich, auf's Krankenlager gebettet,
Und die Seele ist an den Körper gekettet.

(٢) جاءت احاديث ان صحّت فان لها شأنًا ولكن فيها ضعف اسناد

فشاور العقل واترك غيره هدرًا فالعقل خير مشير ضمه النادي

Die Traditionen, die man uns lehrt, wären wichtig, wenn echt
Nur die Bürgschaft dafür ist ziemlich schlecht
Zieh den Verstand zu Rath, allem andern entsage
Der Verstand ist der beste Rathgeber in jeder Lage.

(٣) سبح وصلِّ وطف بمكة زائرًا سبعين لا سبعًا فلست بناسكِ
جهل الديانة من اذا عرضت لهُ أطماعهُ لم يلفَ بالمتماسكِ

Bete und verrichte in Mekka die Pilgerpflichten
Siebzig—, nicht siebenmal, trotzdem bist du ein Frommer mit nichten!
Es sündigt gewiss der, wenn die Begierden ihn treiben,
Es nicht versteht dennoch enthaltsam zu bleiben.

روسيا بندلي صليبا جوزي

[المقتطف] نشكر فضلكم على هذه الفائدة فانا لم نكن نعلم ان العلامة فون كريمر ترجم هذا المقدار من اشعار المعري الى اللغة الالمانية ولا انتبهنا الى ما ذكرهُ الاستاذ مرغوليوث في هذا الشأن . وقد رأينا قبلاً ترجمة بعض المقاطيع ولكنها قليلة متفرقة ولا نتذكر الآن اين مظانها الا ترجمة البيتين المشهورين

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ويهود حارت والمجوس مضلله
اثنان اهل الارض ذو عقلٍ بلا دينٍ وآخر ديّن لا عقل لهُ

فقد ترجمهما الى اللغة اللاتينية العالم كارليل J. D. Carlyle الذي كان استاذًا للعربية في مدرسة كمبردج الجامعة في اواخر القرن الثامن عشر وترجم الى الانكليزية البيتين التاليين

والكبر والحمد ضدان اتفاقهما مثل اتفاق فتاء السن والكبرِ
يجني تزايد هذا من تناقص ذا والليل ان طال غال اليوم بالقصرِ

نور القمر والكوليرا

مضى على بلدتنا طرابلس الشام نحو خمسة اشهر والهواء الاصفر قد حلَّ فيها ضيفًا غير محتشم وقد راقبتهُ فرأيتهُ يشتد في المحاق ويخف عند ما يكون القمر بدرًا او يكاد يتلاشى وهذه المراقبة امتدت تلك الشهور الخمسة فهل لنور القمر تأثير في ميكروب الكوليرا كنور الشمس ارجو وضع هذه المسألة في باب البحث والتنقيب فلعل منها فائدة عملية تعود بالنفع على الهيئة الاجتماعية

طرابلس الشام حكمت شريف

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم أهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

رجاء مصر في شاباتها

خطبة القتها السيدة زاهية جندي من متخرجات مدرسة البنات العالية الانجيلية باسيوط مساء ٢٤ دسمبر ١٩٠٣

وقفتُ بينكم وفيَّ نفسٌ تحيا بانوار اهل الذكاء . وفؤاد يطرب بانتظام عقد الادباء . فان صمَتَ اللسان فالنفس ناطقة وان كذبت الظواهر فالجواهر صادقة

وبعد فبينما كنت اقلّب الفكرَ فيما كان عليهِ الشرق من الرفعة في غابر الازمان وما وصل اليهِ الغرب من العمران في هذا الآن واذا بهاتفٍ يقول حيَّاك الله ايها الغرب فقد اصبح اهلوك سندًا للعلم والعرفان . وعضدًا للحضارة والعمران ونبراسًا يضيء كالشمس على سائر الاكوان . وسقاكِ غيث الرحمة يا مصرُ عروس الشرق . لقد سحرتِ عقول الاقدمين فتاهوا في معاني فنونك وآدابك . وخلبتِ الباب رجال هذا الزمان فسعوا يؤمون مغاني جلالك وعليائك . فوإن زالت ظواهر جلالك العظيم فلدينا من مآثر اهليكِ الاقدمين ومفاخر ابنائكِ السالفين . ما سيجعل ابناءك العصريين يريقون دماء المهج سعيًا وراء ذلك المجد الباهر الذي اشرق في ايامكِ الخوالي . وغيرةً على ذلك الشرف الاثيل الذي عبثت بهِ ايدي الايام والليالي . وخوفًا من ان تنقد مفاتيح ابواب رجائك فتقفل قابضةً على بقايا تلك السلالة الشريفة وذلك العنصر السامي . فتنهدتُ وقلتُ رويدك ايها الهاتف هلاَّ افدتني اين ذلك الرجاء . وفي اي مكانٍ من مصر نتطلَّبهُ . فاجابني لديكم شاباتكم ففيهنَّ رجاء بلادكم . أجل فالامر جلل والعليل يحييهِ ولو بارقٌ من الامل وان ما ترجوهُ مصر ليس من الامور التافهات ولا من الاماني المستحدثات المستحيلات بل هو مطلب كلِّ امةٍ دبَّت فيها روح الحياة فتعلَّقت بهِ تعلق غريق وجد غصنًا فتمسك بهِ طلبًا للنجاة . وهذه ام الغرب بما فيها من عزٍ يناطح السماك . وتقدم باهر ينازع في ظهوره الافلاك لم تقم قائمتها بهذا المجد المقيم الا بشابات تهذبنَ واستلمنَ ادارة العائلات فمرحَ العزُّ في ربوعهنَّ واشرف السعدُ على نجوعهنَّ . وبلغ بهم السُّرى الى ما اذنك تسمع وعينك ترى والامر واضح ان شابات مصر اليوم هنَّ ربات بيوتها غدًا اللواتي سيقمن بتدبيرها وترتيبها .

ويتكفلنَ براحتها وسعادتها ويحيينَ كمالاتها وفضائلها . والعائلات اساس الوطن وعليها قيامُ بنائهِ . كيف لا وشابات مصر اليوم هنَّ امهاتُ رجالها غداً وليس بخافٍ ان الولد يتناول من امهِ غذاء لجسمهِ وقوةً وحياةً لنفسهِ فهي توحي اليهِ عواطفها واحساساتها وتلقنهُ مع اللبن عوائدها واخلاقها. وربَّ عاطفةٍ تبثها الأمُّ في صدر ولدها بينَ قبلات الحنو والحب فتُصيرُ هذا الولد اديباً كريماً وعاطفةٍ يشربها الطفل من امهِ فيصير بها شقياً لئيماً . وعليهِ اكرر القول ان رجاء مصر في شاباتها ولكن ترى من ايِّ شابات يرجي لمصر خيرٌ هل ترجو مصر خيراً من شاباتٍ اهمل والدوهنَّ تربيتهنَّ فاظلمت منهنَّ العقول وخشنت الطباع وساءت الاخلاق وسادت الاوهام فلما دخلنَ البيوت لم يحسنَّ ادارتها بل هل ترجو مصر خيراً من شابات لا همَّ لهنَّ في الدنيا غير صقل الشعور والتضمخ بالطيوب وعبادة المرآة وجرّ الذيول والاذناب . كلاَّ فمصر ترجو الخير من شابةٍ حسنت تربيتها وتطهرت اخلاقها وتهذب عقلها وعرفت ما لها من حقٍ وما عليها من واجب . بل مصر ترجو الخير من امرأة احسنت ادارة بيتها وتربية اولادها وقد جعلت زينتها تهذيبها وعطرها آدابها ومرآتها اعمالها وجمالها اقتصادها

فيا شابات مصر ما بالكنَّ تعثرنَ ولا تنهضنَ وتبصرنَ ولا تعتبرنَ وتسمعنَ ولا تصغينَ وبين حركات الايام وسكنات الليالي عبرٌ خليق بكنَّ اعتبارها واصواتٌ جديرٌ بكنَّ اجابة ندائها بل آمال تجلى لكنَّ فتحسبنها اوهاماً عابرات او احلاماً كاذبات . كلاَّ كلاَّ فتلك آمال مصر المستقبلة لم تزل كالحمامة الحائمة ترفرف فوق رؤُوسكنَّ ولا تستطيع الدنو خشية ان تطأ ارجلها شعوركنَّ الصقيلة فتزلق وتسقط الى الحضيض بل خوفاً ان تؤخذ برائحة طيب ملابسكنَّ فتدركها النشوة فتهبط وتهوي الى الهلاك . ويا رفيقاتي الفاضلات تأكدنَ ان رجاء مصر فينا اكثر مما هو في رجالها ونحن وان كنَّا دونهم في القوة البدنية فضعف قوَّتنا ولطافة جبلتنا لا يقفان في سبيل واجبنا فالصواعق تصدُرُ عن رقيق السحاب والزلازل عن لطيف البخار ومراكز الهيئة الاجتماعية لا تتوقف على قوة اللحم وكبر العظم بل على العقول الثاقبة والآراء السديدة والعواطف الرقيقة التي اشتهرت بها النساء فكم لدماثة اخلاقهنَّ من مآثر تذكر فتشكر وكم من جماحٍ ارتاض بلطفهنَّ فصار ذلولاً . فلا بدع اذا ذلَّت لهنَّ الاسود في آجامها وارتاض لهنَّ جماح عقول الرجال فهنَّ القابضات على زمامها. فمصر التي ربينا في مهادها وارتوينا من مائها ترجو منا هذا الخير فلنحققنَّ لها هذا الرجاء ولنحسننَّ صنعاً بما نأتيهِ من جميل الفعال فيبسمُ لنا ثغرُ الزمان عن ثنايا السعادة ووجهُ الحياة يتدفق بانوار المجد والاقبال حقق الله فينا وبنا تلك الآمال

تمريض المرضى

الفصل الرابع

العمليات الجراحية

تمتلئ قلوب الكثيرين بالرعب عند ذكر العمليات الجراحية ولا عجب فانها خطر شديد يمر على الانسان او على احد اصدقائهِ واحبائهِ . واذا كان المحتاجون الى عملية جراحية في اوربا فقراء معوزين فانهم يقبلون حالاً في احد المستشفيات واذا كانوا اغنياء فيمكنهم باشارة واحدة ان يستخدموا ممرضة متمرنة فتعدّ كل ما يلزم او قد يمكن للمريض ان يذهب الى ما يسمونهُ "بيت العمليات الجراحية" . اما في هذه البلاد حيث المستشفيات الخصوصية والممرضات الخاصات مجهولة او نادرة الوجود فعلى اهل المريض ان يتكلوا على انفسهم وعلى مشورة الطبيب ولكن الاطباء ليسوا ممرضين بل التمريض من وظائف النساء وهو فنٌّ يحتاج الى درس وتعليم

ذهبت يوماً وكنت لم ازل تلميذة في فن التمريض لعيادة صديقة لي قبل ان تُعمل لها عملية جراحية . وكان اهلها قد استدعوا ممرضة متمرنة فاعدّت كل ما يلزم الى ان يأتي الطبيب وبينما كانت صديقتي في غرفة اخرى دخلت الى غرفتها حيث كان الطبيب عازماً ان يعمل العملية الجراحية فرايت كل شيء نظيفاً وناصع البياض حتى اثرت فيَّ تلك الغرفة وتلك الممرضة تاثيراً لا انساهُ ابداً . كان السرير ملاصقاً للحائط حتى لا يعيق احداً في سيره وعليهِ الملاءات البيضاء النظيفة وزجاجات الماء الحار حاضرة لتوضع في الفراش لتدفئة الرجلين عند الحاجة . وكان في وسط الغرفة طاولة عليها فراش مغطى بمشمع وفوقهُ ملاءة بيضاء نظيفة ووسادة . وتحت الطاولة ملاءة بيضاء ممكنة الى السجادة بالدبابيس . وعلى مقربة منها طاولة اخرى اصغر من الاولى مغطاة بغطاء ابيض وعليها آنية كبيرة تحتوي على محلول من الحامض الكربوليك بنسبة ١ الى ٣٠ لتطهير آلات الطبيب الجراحية . وقد نقل من الغرفة كل الاثاث الذي لا لزوم لهُ كالصور والتحف وغيرها وفرش على طاولة اللبس وعلى صندوق الجوارير الملاءات البيضاء حتى انك كيفما التفت ترى الاغطية البيضاء النظيفة . وكان على المغسلة طسوت واباريق ملئى بالماء الفاتر . وكان عليها ايضاً اناءان للصابون فيهما الواح الصابون الجديدة وفي كل منهما فرشاة جديدة ليدي الجراح واظافرهِ وعدد وافر من المناشف النظيفة وسطلان لماء الوسخ وهنالك ايضاً ابريقان آخران ملآنان بالماء الغالي ومغطيان بقطعتين من الشاش النظيف المندَّى بمحلول الحامض الكربوليك . وكانت الممرضة مرتدية بثياب بيضاء وردية اللون وعليها مريول ابيض وطاقية بيضاء وكمان ابيضان . وكانت خفيفة الحركة جميلة

الوجه تبدو عليها دلائل الادب والتهذيب فكان لها اعتبار عظيم في عيني

وقد ذهبتُ لعيادة صديقتي بعد ذلك بايام قليلة فوجدتها مضطجعة على فراش جميل في غاية النظافة وعلى وجهها دلائل الراحة والمسرة . وقد تغيَّرت غرفتها عما كانت عليهِ قبل اجراء العملية فاعيد اليها كل الاثاث والرياش والصور ووضعت فيها آنية الزهور الجميلة فكانت تنتشر منها الروائح الزكية فتعطر الارجاء . وعلمت من صديقتي ان ممرضتها لم تكن تسمح للخدام بدخول غرفتها بل كانت تخدمها بنفسها وتكنس الغرفة وتنفض الغبار عن الاثاث وتنظف المغسلة بكل خفة ونشاط . فلا عجب ان بدت على وجه صديقتي دلائل العافية والنقه ولا غروَ ان نهضت من فراش المرض في وقت قصير وقد اعتنت بها وسهرت عليها ممرضة اتصفت بالتهذيب والنشاط والمهارة

استعداد المريض قبل اجراء العملية

علمت كيف تعد الغرفة للعملية الجراحية بملاحظة تلك الممرضة الحاذقة التي هي مثال للمرضات والان ابين لك كيف يعد المريض لهذا العمل الخطير

على المريض ان يغسل بالماء الحار قبل اليوم الذي تجرى فيهِ العملية وان يمسح جسمهُ مسحًا جيدًا بالفرشاة والصابون . ثم تأتي بزجاجة من الايثر فتبل بهِ قطعةً من القطن المندوف وتمسح بهِ العضو الذي ستجري فيهِ العملية فترى القطن يسود بما يزيلهُ من الوسخ الذي لم يزل بالاغتسال . وعاود ذلك مرارًا الى ان ينظف العضو تمامًا . ثم غطس قطعة كبيرة وسميكة من القطن المندوف في محلول من الزئبق بنسبة جزء الى الف جزء وضعها على مكان العملية وغطها بقطعة من مشمع الحرير ثم ضع فوق هذه قليلاً من القطن المندوف واربطها جيدًا .

وعلى المريض ايضًا ان ياخذ مسهلاً قبل يوم العملية . ويجب ان يحقن قبل العملية ببضع ساعات وهذا الامر ضروري جدًّا في كل الحوادث البطنية وفي النزيف الدموي وغيرها . وفائدة تفريغ الامعاء وتنظيفها ان ذلك يمنع تأثير الكلوروفورم في بنية المريض . ولا بدَّ من بقائهِ في السكون التام مدة الايام الاولى بعد العملية فلا يضطر الى النهوض من فراشهِ لقضاء حاجاتهِ وازعاج نفسهِ بل يلزم السكون ويتحاشى الحركة وهذا يزيد رجاءهُ في نجاح العملية ويقصر مدة ملازمتهِ للفراش

ويُعطى المريض قليلاً من المرق الجيد قبل مباشرة العملية باربع ساعات ويُمنع بعد ذلك عن تناول اي شيء كان حتى عن تناول جرعة من الماء . ويلبس الثياب الواسعة بحيث يسهل على الجراح الوصول الى المكان الذي تجرى فيهِ العملية . ويجب ان لا يربط شيء حول وسطهِ

وان تحل العرى من حول عنقهِ . ولتكن ثيابهُ دافئة تقيهِ البرد فكم من مريض أثَّر فيهِ البرد وهو على طاولة الجراح

المعالجة بعد اجراء العملية

املإِ الزجاجات بالماء الحار وضعها بين قدميهِ في الفراش لتدفئهما ولفها قبل وضعها بقطع من الفلانلا لئلا تحرقهما . ولفّ المريض بملاءة دافئة ولكن انزع الملاءة والزجاجات اذا شكا كثرة الحرارة لان ذلك يدل على انهُ لم يعد لزوم لها

لا تترك المريض وحدهُ . ولا تقدم لهُ طعامًا الاَّ اذا طلبهُ فاعطهِ حينئذٍ شيئًا من الشاي او القهوة القوية او الماء الفاتر ثم اعطهِ شيئًا من الخبز واللبن او الرز واللبن وبعد ذلك يمكنك ان تناولهُ شيئًا من الطعام العادي . واذا كان مصابًا بالحمى فاياك ان تعطيهُ ماء ليشرب مهما اشتكى من شدة العطش . واذا دامت الحمى عليهِ وارتفعت درجتها فاعطهِ قطعةً من الجليد يمتصها او ماء حارًا ليشربهُ وهذا يغسل معدتهُ . ويمكنك ان تضع على معدة المريض لزقة من الخردل

وانظر اذا تبع العملية نزف دم ولا سيما اذا كانت قطع اللسان او بتر عضو من الاعضاء وهذا امر تسهل معرفتهُ ويرى حدوثهُ بالعين . واما اذا كان النزف داخليًا فعليك ان تراقب الاعراض والدلائل . وهذه الاعراض هي اصفرار الوجه والاغماء وحركة غير منقطعة بحيث ترى المريض يرمي ذراعيهِ بغير انقطاع الى هنا وهنالك وابيضاض اليدين والاظافر والشفتين والانف . ويسرع النبض في ضرباتهِ سرعةً عظيمة الاَّ انهُ يصير خفيفًا يصعب الشعور بهِ فيزفر المريض ويتنهد عوضًا عن ان يتنفس تنفسًا طبيعيًا

فاذا كان النزف داخليًا عجز المداوي عن توقيفهِ ودفع شرهِ وليس في طاقتهِ الاَّ ان يحقن المريض بالماء الحار ويضع زجاجات الماء الحار بين رجليهِ وحول جسمهِ . وفي هذه الاحوال افتح النوافذ لتجدد الهواء

واذا كان النزف خارجيًا فضع قليلاً من القطن المندوف الجديد فوق الجرح واربطهُ الى ان يأتي الطبيب . والممرضة الخبيرة تعرف كيف توقف النزف بان تضغط على الشريان او بان تنزع الرباط وتضغط على الجرح نفسهِ حتى يصل الطبيب

ولا بد ان يتأثر الجسم بعد اجراء العملية الجراحية فترتفع درجة الحرارة قليلاً ولكن اذا لم يزد هذا الارتفاع على درجةٍ واحدة فلا داعي للحذر والتخوف

وابقِ المريض هادئًا ولا تقلق راحتهُ وخلِّ عنك اظهار الحنوّ والعواطف الحبية في مثل

هذه الاحوال. مثال ذلك اني لما كنت في مستشفى القديس جاورجيوس في بيروت اتاني البواب يوماً وهو حائر في امره وقال لي : " عفواً سيدتي فان كل اقارب الرجل الذي عملت له العملية الآن دخلوا المستشفى رغماً عني " . وقد ساءني ذلك منهُ جداً وخرجت مغضبةً ولكني عذرته لما رأيت حول سرير المريض جمهوراً كبيراً من اقاربهِ بلغ عددهم سبعة عشر شخصاً . فلا غرو اذا عجز البواب عن مقاومتهم جميعاً . وقد كان المريض يئن ويتوجع ويرمي بذراعيهِ الى هنا وهناك وينادي " اني سأموت اني سأموت ومن يهتم باولادي " ولم يكن من العملية خطر ولكنها كانت مؤلمة فاعطيناه شيئاً من المورفين المسكن الالم ولذلك كنت متيقنة انهُ لم يكن يشكو الماً البتة

ووقفت برهةً اتأمل في ذلك الجمهور المحيط بسرير المريض وهو يضج ضجيجاً فيقلق جميع المرضى ويسلب راحتهم ثم تقدمت من امرأة وقلت لها من انتِ ؟ . اجابت انا ابنة عمهِ . فقلت لها اذا كنت تحبين ابن عمك فتكرمي بالخروج من غرفتهِ . وقلت لرجل من انتَ ؟ قال انا احد جيرانهِ . فاجبتهُ اذا كنت تحب جارك فخلهِ وحدهُ . وسألت ثالثةً ومن انتِ ؟ اجابت اني سلفتهُ زوجة اخيهِ . وكان البعض منهم ينظرون اليَّ شزراً وغيرهم يقهقهون ضحكاً فاخرجتهم من غرفة المريض واخبرتهم ان العملية ليست خطرة ولكنهم اذا ارادوا ان يعتنوا هم بمريضهم فالاحسن ان ينقلوهُ الى بيتهِ ويفعلوا ذلك هناك . فلما سمعوا كلامي خرجوا من غرفتهِ

هذه مرة من المرات العديدة التي التقيت بها بالجماهير من اصدقاء المرضى واقاربهم الذين يزورونهم زيارات على اثر اجراء عملية لهم ليظهروا لهم حبهم واكرامهم فيزعجونهم ويقلقونهم ويضرونهم اكثر مما ينفعونهم

وكنت ارى بعض المرضى يضعون بصلةً في منديلهم ويشمون رائحتها كأنها وردةٌ او باقةٌ من البنفسج . وهم يعتقدون ان رائحتها تطرد الروائح الكريهة والميكروبات من الجراح وتعجل في شفائها غير حاسبين حساباً للوسائل الصحية العاجلة كالنظافة والهواء النقي والمواد المضادة للفساد التي استعملت اثناء العملية وبعدها في تضميد الجراح وربطها

الفصل الخامس

التمريض في العمليات الجراحية الخصوصية

يلقى المريض على فراشهِ بعد اجراء العملية الجراحية مستلقياً على ظهرهِ وتوضع وسادة واطئة تحت رأسهِ ويمال رأسهُ الى الجهة الواحدة وتوضع منشفة تحت ذقنهِ وطست بجانبهِ

ليكون قريباً منهُ اذا اراد التقيوء . فان اراد ذلك فلا ينهض في فراشهِ بل ضع يدك تحت رأسهِ وارفعهُ قليلاً بلطف وتأنٍ

ومن العمليات ما تقضي على المريض بتغيير هذا الوضع وهنا تظهر فائدة فن التمريض ومعرفة اصولهِ لان طريقة الاعتناء بكل عملية من هذه العمليات تختلف عما هي في غيرها . ويجدر بنا ان نلاحظ بعض هذه العمليات التي قد تحتاج المرضة الى تمريضها مبتدئين من الرأس

العينين

الكتركتا (الماء الازرق) — وهو نمو بشكل العدسة ينمو في العين فيغشيها اولاً ثم يزيل نظرها . ولا يستطيع الطبيب استئصال هذه الغشاوة حتى يتم نموها وتصير صلبة وقد لا يتم ذلك الاَّ في سنة او سنتين . فعلى المصاب ان يتدرع بالصبر الجميل ويحتمل هذه المصيبة بالحزم والتأني . والعملية نفسها قصيرة المدة وسهلة الاَّ انها تستدعي حذقاً ومهارة من الطبيب . وهي ايضاً نظيفة لا تستدعي التحوطات الكثيرة اذ لا ينزف الدم منها . ويعطى المصاب شيئاً من الكوكايين قبل اجراء العملية فتخدر اعصاب العين ولا يعود يشعر بالم البتة . واهم شيء في هذه العملية الاعتناء بالمصاب في الايام الاوائل بعد اجرائها فيجب ان تعصب عينيهِ وان يضطجع على ظهرهِ مستوياً ويتحاشى كل حركة عدة ايام . ولكي لا يحرك فكيهِ يعطى الاطعمة السائلة في الايام الاول ثم الاطعمة اللينة كالخبز المبلول باللبن او المرق او الرز او البيض وما شابه ذلك وعليهِ ان لا ينهض من فراشهِ في الايام الاول فان اضطر الى ذلك فتقدم لهُ كرسي الفراش

ولا تنسَ ان تعطيهُ مسهلاً قبل اجراء العملية وان تحقنهُ قبل العملية ببضع ساعات ويمكنك ان تصلح فراشهُ وهو عليهِ بان تزيحهُ من جانب الى آخر منهُ

ولا تنسَ في فعلك هذا ان تسند رأسهُ لكي لا ينزعج . واذا قلق في الليل وجعل يتقلب في فراشهِ ولا ينقطع عن الحركة فانزع عنهُ ثياب النوم والبسهُ غيرها واصلح لهُ فراشهُ فتعاودهُ راحتهُ اذا لم يكن يشكو الماً . وقد يشكو الماً في ظهرهِ فامدد يدك الى تحت ظهرهِ وافركهُ بالسبيرتو واصلح ثياب نومهِ والملاءة التي تحتهُ وفوقهُ فيستريح

ولا يجوز لاحد البتة ان ينزع رباط العينين الاَّ اذا كان طبيب العيون او ممرضة خبيرة

اللحمية — قد يصاب الجفن الاعلى من داخلهِ ببزور صغيرة تحتوي غالباً على مادةٍ صديدية تسبب الهيجان والالم الشديد . واذا لم تنجح المعالجة في ازالة هذه البزور فعلى الطبيب ان يزيلها بالحك والكشط . ويسيل اثناء هذه العملية مقدار كبير من الدم ولذلك يحسن اتخاذ التحوطات اللازمة كمدّ غطاء من المشمع فوق الوسادة اثناء العملية وبعدها الى ان ينقطع الدم . و يشعر

المصاب بالراحة التامة حالاً بعد العملية اذ يزول النخز المؤلم المزعج للحال وعلى الممرضة ان تغسل الجفن بالماء الفاتر مراراً متعددة في اليوم الاول والثاني الى ان يزول الالتهاب · وقد يمسح الطبيب الجفن بعد ذلك بمحلول قوي من الزئبق

التراخيتوما (الشعرة) — من الامراض التي تصيب العين ان ينثني هدبها الى داخلها فيخزها نخزاً مستمراً يسبب فيها قروحاً ويحدث الماً مبرحاً . ولتقويم الهدب طرق مختلفة نتركها للطبيب لانها من عمله ولكنهُ اذا استعمل طريقة تطعيم الجفن من داخله فعلى المصاب ان يبقى هادئاً ويتحاشى كل حركة في الايام الاول بعد اجراء العملية . واني اعرف امرأة ازالت بدموعها كل الاجزاء المطعمة في الليلة الاولى بعد العملية · وهنا اقول انهُ اذا كان الوسخ في سائر العمليات الجراحية يسبب تسمماً في الدم حتى قد يعقبهُ الموت فقلة النظافة في عمليات العين وتمريضها تؤدي الى العمى وفقد البصر من غير ريب فلا تستعمل الا الماء النقي المغلى في آنية نظيفة

عملية استئصال اللسان

استئصال اللسان اذا كان لا بدَّ منهُ امر محزن جداً الا انهُ قد يكون الواسطة الوحيدة لحفظ حياة المصاب وتخفيف آلام الموت · ولا يقطع اللسان الا اذا اصيب بداء السرطان · ومن كبار الاطباء من يستاصل اللسان استئصالاً كلياً اذا رأى عليهِ بقعة من السرطان لا يزيد حجمها عن حجم حبة العدس فينجي حياة المصاب من الموت الزؤام ويريحهُ من الآلام المبرحة · وينمو السرطان في اللسان بسرعة غريبة ويسبب اوجاعاً شديدة فيموت المصاب بهِ من الاختناق والجوع · فاذا علم المصاب ذلك تبين لهُ ان استئصال اللسان وان كان امراً محزناً مؤلماً فهو افضل واسهل واسطة لنجاتهِ من الموت ألماً وجوعاً واختناقاً

ومتى تمَّ اجراء العملية فلا يلقى المصاب على ظهرهِ مستلقياً بل يُسند بعدَّة وسادات حذراً من نزف الدم وهو صاعد الى الرأس

وهذه العملية خطيرة جداً وفيها مجال واسع للمرضة لتبدي خبرتها وحسن تصرفها · فيجب ان لا يترك المصاب وحدهُ في الايام الاول بعد اجراء العملية بل يُراقب بالمناوبة ليلاً ونهاراً حذراً من نزف الدم وعلى الممرضة التي تسهر على المريض ان تكون قد اخذت حاجتها من النوم والطعام والراحة والهواء النقي قبل السهر والا فهي لا تصلح لذلك لانها قد تنام عند اشد الحاجة اليها عندما يكون النزف قد بدأ والمصاب تعرض لخطر الموت · وعليها ان تراقبهُ بدون ان تدعهُ يعلم ذلك فيمكنها مثلاً ان تأخذ كتاباً تقراهُ او ثياباً تخيطها وتنظر اليهِ اثناء قراءتها او عملها مرَّة بعد مرَّة

فاذا حدث النزف فارسل عاجلاً واعلم الطبيب بذلك واوضح له حقيقة الحال لكي يأتي مستعداً لعمل ما يجب عمله . واما انت فضع اصبعيك الاماميتين الوسطى والسبابة على اصل اللسان واضغط عليه وعلى الفك الاسفل حتى ينقطع النزف الى ان يأتي الطبيب . ومن الجراحين من يربط الشريان الكبير بخيط ويبقيه مربوطاً اياماً قليلة بعد اجراء العملية ففي مثل هذه الحال ليس على الممرضة الا ان تأخذ الخيط وتشده بتأنٍ

الطعام . يُناول المصاب الطعام في الايام الاول بعد اجراء العملية بطرق منها :

اولاً . ان يحقن في المستقيم اي القسم الاسفل من الامعاء بالسائلات المغذية كالمرق القوي والشاي والبيض واللبن او غير ذلك مما يصنعهُ له الطبيب وتجده في الاجزخانات

ثانياً . ان تدخل انبوبة من الكوتشوك في حلق المصاب وتسكب فيها الطعام السائل المغذي

ثالثاً . ان تُدخل انبوبةً دقيقةً جداً من الكوتشوك في انف المصاب وتدليها الى حلقه وتسكب فيها الطعام السائل وهذا يستدعي الخبرة والحذاقة

فاذا استعملت طريقة الحقن في المستقيم فلا تنسَ ان تحقن بالماء الفاتر كل يوم

ويحفظ الفم نظيفاً بان يُحقن مرات متوالية بمحلول خفيف جداً من برمنغنات البوتاسيوم المعروف بسائل كوندي او بمحلول الحامض البوراسيك . والاَّ فان المواد الفاسدة التي تتجمع في الفم تعمل كالسم وتجعل الحياة في خطر شديد

اشهر المخللات

الخيار

الطريقة الاولى — ينتقى الخيار الصغير او المعتدل الحجم وينقع اسبوعاً في الماء الكثير الملح ثم يصبُّ ماء الملح عنهُ ويغلى (الماء) ويصب عليه ثانية وفي اليوم التالي ينزع الخيار من ماء الملح ويوضع على منخل حتى يجف ويمسح ويوضع في زجاجة واسعة ويضاف اليه قليل من الحوارق كالزنجبيل والفلفل الحار والفلفل الاحمر ويصب عليه حالاً خل قوي وهو يغلي ويترك حتى يطيب في اناء مسدود

الطريقة الثانية — خذ اوقية من الزنجبيل المرصوص ونصف اوقية من الفلفل غير المدقوق وربع اوقية من الألسبيس واربعاً من كبش القرنفل وورقتين من غلاف جوز الطيب وقليلاً من الشفطة او الفلفل الاحمر الحار . وهذا المقدار من الزنجبيل والفلفل الخ يكفي لنحو اقة من الخل انقع الخيار الصغير في الماء والملح ثلاثة ايام الى اربعة ثم اخرجهُ من الماء والملح وامسحهُ

حتى ينشف وضعهُ في اناء كبير واغلِ الخل مع الزنجبيل والفلفل وسائر المواد المذكورة فوق وصبَّ منهُ على الخيار حتى يغمرهُ وغطهِ بورق العنب وضع صحفة او شيئاً ثقيلاً فوق ورق العنب حتى لا يظهر الخيار فوق الخل وضع الاناء الذي فيهِ الخيار والخل قرب النار او في مكانٍ دافىء الليل كلهُ . وفي الصباح صب الخل عن الخيار واغلِ الخل وصبهُ على الخيار ثانيةً وغطهِ بورق جديد من ورق العنب واتركهُ حتى يبرد ثم اربط على وجه الاناء غشاء صفيقاً كالمثانة او نحوها او سدَّ الاناء اذا كان زجاجياً بفلينة والحمها بشمع الختم . والمراد منع الهواء من الدخول الى المخلل فيطيب جيداً في شهر من الزمان ويكون حاذقاً حارًّا طيب الطعم كالمخللات الافرنجية . والالسبيس المذكور بين البهارات نوع من بهار جمايكا طعمهُ يشبه القرفة وجوز الطيب وكبش القرنفل معاً

المخلل الهندي

يؤْخذ ست حصوص من الثوم ونجلتان من الفجل البري الحار (فجل الحصان) وربع رطل من الزنجبيل المرصوص واوقيتان من الفلفل الاسود غير المدقوق واوقية من قرون الفلفل الاحمر واوقية من الألسبيس و ١٢ كبشاً من القرنفل واوقيتان من بزر الخردل واوقية من جذر الكركم . وهذه البهارات تكفي لثلاث اقات من الخل . ثم يؤْخذ من الكرنب (الملفوف) الابيض والقنبيط والفجل الافرنجي واللوبياء والخيار الصغير والبصل الصغير والفلفل (الفليفلاء) والكرسون (الجرجير) والفلفل الاحمر او الشنفلة ما يراد تخليلهُ . وتقطع اوراق الكرنب قطعاً صغيرة وكذلك القنبيط وتوضع في اناء واسع ويذر عليها الملح وتترك فيهِ يومين ثم تنفض وتنشف وتوضع في اناء كبير لعمل المخلل ويوضع معها الثوم والكراث والزنجبيل حسب المقادير المذكورة فوق بالنسبة الى الخل ويغلى الخل الكافي لتغطيتها ويصب عليها اما المواد الاخرى كالخيار واللوبياء والبصل والفجل والفلفل الخ فتضاف الى الكرنب والقنبيط كلما امكن الحصول عليها ولا بدَّ من غسلها بالخل البارد قبل اضافتها الى اناء المخلل ويجب ان يغطيها الخل كلها حتى لا يبقى منها شيء ظاهراً فوقهُ . واذا لم يكن الخل كافياً واريد ان يضاف اليهِ خلٌّ جديد وجب ان يغلى قبلما يضاف . ومتى تم جمع كل المواد التي تريد تخليلها امزجها جيداً وضعها في زجاجات واسعة من غير الخل ثم اغلِ الخل وصبهُ عليها حتى تمتلئ الزجاجات واضف اليها البهارات بعد مزجها بالقليل من الخل البارد ويصب الخل على هذه المواد وهو غالٍ ومتى برد تسد الزجاجات سدًّا محكماً بالفلين وشمع الختم او بجلد المثانة لكي لا يدخلها الهواء . واذا اريد استعمال المخللات حالاً يغلى لها الخل مرتين اي يغلى اولاً ويضاف اليها ومتى برد يصب عنها

ويغلى ثانيةً ويعاد اليها. والاحسن ان يصنع هذا الخلل في سنة ويؤكل في التالية ويكن حفظهُ سنوات كثيرة واكثر المخللات الافرنجية مصنوع على هذه الصورة



باب الزراعة

زراعة القطن

من مقالة لمستر فودن سكرتير الجمعية الخديوية الزراعية (تابع ما قبلهُ)

اذا أُعدَّت الارض على ما تقدَّم في الجزء الماضي يشرَع في زرعها حالما تسمح احوال الجو بذلك من اواسط مارس الى اول مايو حسب الاقليم وعندهم ان التبكير خير من التاخير واذا بكَّروا في زرع القطن جعلوا عمقهُ قليلاً جداً لكي تصل اليهِ حرارة الشمس . واذا بكَّر الزرع طالت مدة اقامتهِ في الارض وزاد جناهُ . والحال كذلك في القطر المصري على ما يظهر ولذلك اشتد الميل هنا الى التبكير

والقطن المزروع باكرًا ينمو بطيئًا ويكون نموُّهُ منتظمًا ويفرّع اكثر من القطن المتأخر على ما نظن لان الجو يكون قليلاً في صغرهِ فلا يميل الى الارتفاع الكثير كالقطن المتأخر وغلتهُ اكثر من غلة القطن المتأخر لانهُ يقيم في الارض اكثر منهُ

وتجلد الارض في اميركا في فصل الخريف ويخشى المزارعون من الجليد الاول والاخير لانهما يقتلان الزرع فاذا زرع القطن قبلما تجلد الارض في فصل الربيع انفسد منها وكذلك ينضرُّ اذا جاء الجليد في الخريف قبلما يجمع كلهُ

وحالة الجو في القطر المصري اصلح منها في اميركا وقد يبرد الهواء او يقع المطر بعد زرع القطن ولكن الغالب ان يكون الهواء موافقاً للقطن المبكر . ويقال في اميركا ان القطن المبكر لا يكون كثير الخشب ولا خشناً كالقطن المتأخر

كيفية الزرع — ويزرع بزر القطن في اعلى المصطبة لا في جانبها كما في هذا القطر وذلك لان الارض لا تروى في اميركا كما تروى في القطر المصري بل تعتمد على المطر

فيشق اولاً ثلم صغير في اعلى المصطبة عمقهُ عقدتان (بوصتان) او ثلاث ويلقى البزر فيهِ ويغطى بالتراب الى عمق عقدة او عقدتين ويشق هذا الثلم بمحراث صغير يجرهُ بغل وكذلك تغطية البزر . ورجل ومعهُ بغل يزرع ٦ افدنة الى ثمانية في اليوم والزرع يكون بآلة خاصة تلقي البزر على

انتظام تمام ويتم ذلك كلهُ في وقت واحد وبآلة واحدة تشق التلم وتضع البزر وتغطيهِ بالتراب وقد يكون بيد رجل آخر يجري وراء الحارث يضع البزر في التلم ويغطيهِ بالتراب . وآلة الزرع كعربة اليد يوضع البزر فيها وحينما يدور عجلها يفتح ثقباً صغيراً يقع البزر منهُ ثم يسدهُ ثم يفتحهُ وهلم جرًّا

اما السود من سكان اميركا فلا يستعملون آلة الزرع (الزراعة) بل يضعون البزر في انبوب طويل من الصفيح طولهُ خمس اقدام او ست وهو واسع من اعلاهُ كالقمع فيحمل الزارع البزر في كيس كالمخلاة يعلقهُ بكتفهِ ويضع البزر منهُ في الانبوب فيقع رويداً رويداً في التلم ويغطى بواسطة لوح يجرُّ فوق التلم

والارض الجيدة التي لا تحتاج الى سماد كثير يمزج السماد لها مع البزر ويشترط ان يكون السماد قليلاً والاَّ اضرَّ بالبزر

وقبل استعمال آلة الزرع كانوا يزرعون بزر القطن كما يُزرع الآن في القطر المصري كانت النساء تزرعهُ فتزرع المرأة فداناً كل يوم وذلك يقتضي استعمال بزراً كثيراً اكثر مما يستعمل بواسطة آلة الزرع اما آلة الزرع فتلقي البزر والبعد بينهُ عقدة عقدة ثم يخفف بعد ما ينبت

انتقاء البزر او التقاوي ضروري جدًّا فانهُ لا يمكن ان يكون محصول القطن جيدًا الاَّ اذا كانت تقاويهِ منتقاة ومن صنف واحد

ففي الوجه البحري من القطر المصري يزرع الآن ثلاثة اصناف من القطن وهي العفيفي والعباسي واليونوفتش فالبعض يزرعون صنفاً واحداً والبعض صنفين والبعض يزرعون الاصناف الثلاثة فيصعب على المزارعين ان يبقوا هذه الاصناف مفصولة بعضها عن بعض واذا فصلوها في الزراعة لا يستطيعون الفصل بينها عند جنيها وتخزينها وكذلك يعسر الفصل بينها تماماً في وابورات الحلج . ثم هب ان اصناف القطن فُصلت بعضها عن بعض فصلاً تاماً وزرع كل صنف على حدةٍ في طينين متجاورين فالنحل يحمل اللقاح من الصنف الواحد ويلقح بهِ الصنف الآخر فيتولد بينهما صنف ثالث وهلمَّ جرًّا

وينتقى البزر الان بواسطة غربال في وابورات الحلج، يغربل الحبوب الضامرة من بين الحبوب الجيدة ولكنهُ لا يفصل صنفاً عن آخر

ولا شبهة ان بعض التجار ينتقون البزور من الجنية الاولى ويغربلونها بغرابيل خاصة وبزرهم احسن جدًّا من البزر غير المنتقى ولكن ما من احد منهم يعرض للبيع بزر القطن العفيفي ويحقق انهُ عفيفي صرف لا يخالطهُ بزر آخر وليس اللوم كلهُ على تجار البزر بل على المزارعين لانهم يمزجون القطن في زرعهم فلا يتيسر للتاجر ان يفرق بينهُ

وقد برع الاميركيون في انتقاء بزر القطن المعروف بالسي ايلند وبلغوا في تأصيلهِ حدًّا

فائقاً جداً فلا يختارون البزر (التقاوي) الاَّ من الشجرات النامية الكثيرة اللوز الكثيرة الندافي حاسبين ان صفات الشجرة التي يختارون التقاوي منها تنتقل الى الاشجار التي تنبت من هذه التقاوي وقد تزيد جودة لان النبات اذا مال الى السير في طريق الجودة او الفساد زاد جودة او فساداً على توالي الاعقاب. فاذا كان منتقي البزر ماهراً عرف الجهة التي يكون النبات متجهاً فيها حتى اذا كان مائلاً الى الجودة قوَّاها بالانتقاء حتى تصير صفة متمكنة فيهِ. وقد يختار من بزر الشجرة الواحدة ما تظهر فيهِ هذه الصفة دون غيرهِ لانها لا تظهر في كل البزر على حدٍ سوى مثال ذلك البزر النظيف الذي لا يكون شعر القطن لاصقاً بهِ فانهُ قد يكون في الشجرة الواحدة بزرات قليلة نظيفة من شعر القطن وما بقي لاصق شعرهُ بهِ فيختار البزور النظيفة ويزرعها ويترك غيرها. ولذلك فانتقاء التقاوي يستلزم الوصول الى شجرات القطن كل شجرة على حدتها بل يستلزم الوصول الى اللوز لوزة لوزة والى البزر بزرة بزرة ولا يقتصر على الحوض او على الذراع منهُ

وقد ذكرتُ هذا الكلام مقدمة لما يفعلهُ الاميركيون في انتقاء تقاوي قطن السي ايلند الذي هو اجود انواع القطن كلها وثمنهُ مضاعف ثمن القطن المصري

لما أُدخل هذا القطن الى اميركا كان معمراً كالاشجار اي كان يبقى من سنة الى سنة ولم يكن لوزهُ ينضج في السنة التي يزرع فيها. فاول شيء قُصد تغييرهُ فيهِ جعل لوزهِ ينضج في السنة التي يزرع فيها فشرعوا ينتقون التقاوي من الشجرات التي ينضج لوزها قبل غيرهِ واستمروا على ذلك وعلى الاعتناء بالحرث والخدمة والسماد حتى ولَّدوا صنفاً من هذا القطن ينمو سريعاً وينضج لوزهُ سريعاً وشعرتهُ على غاية الجودة

ولذلك فالقطن المعروف بالسي ايلند تولَّد بالانتقاء وقد بلغ اعلى درجة بين اصناف القطن ولكن لا يمكن حفظهُ في هذه الدرجة الاَّ بمداومة الانتقاء واذا اهملوا انتقاءهُ عاد نوعهُ ففسد وصار كما كان قبل الانتقاء لكن الذين يزرعونهُ يعلمون ذلك فلا يهملون امرهُ

ونحن في القطر المصري عندنا القطن الذي يتلو السي ايلند في الجودة ولكن الفرق كبير بين اهتمامنا بانتقاء تقاويهِ واهتمام الاميركيين بل يجب علينا ان نقول اننا لا نهتم اقل اهتمام بانتقاء تقاوي القطن. وفي السنوات الاخيرة اهتمَّ البعض بزرع اجود ما عندهم من البزر ولكن كثيرين لم يفعلوا ذلك فاجود ما عندنا من القطن حقير جداً من جهة التقاوي

ثم اذا نظرنا الى القطن في حوض واحد فاننا نجد فرقاً بين شجراتهِ ولو كانت من صنف واحد وكانت صفاتها العامة مشتركة فنجد ان بعضها ينضج قبل البعض وبعضها ينمو اكثر من البعض وبعضها يفرّع اكثر من البعض ولوز بعضها اكبر من لوز البعض الآخر وهذا الاختلاف

بين الشجرات المختلفة هو اساس الانتقاء فنختار التقاوي من الشجرات التي رأينا فيها الصفات المطلوبة فاذا اردنا قطناً فيهِ صفة مخصوصة وجب ان نفتش عن الشجرات التي فيها تلك الصفة مثال ذلك اذا اردنا كبر المحصول وجب ان نفتش عن الشجرات التي فيها لوز اكثر من غيرها لان التقاوي المأخوذة منها ينتظر ان يكون محصولها اكثر من محصول التقاوي المأخوذة من غيرها . واذا اريد جودة القطن لا كثرة محصولهِ ننتقي التقاوي من اللوزات التي قطنها اجود من قطن غيرها فيكون قطن الشجر النابت منها اجود من قطن غيرهِ . واذا اريد التبكير في المحصول نختار التقاوي من اللوزات التي تنضج قبل غيرها فينتظر ان الشجرات التي تنبت منها تنضج قبل الشجرات التي تنبت من تقاوي اخرى . وكما ان الفرس الاصيل تنتج خيولاً اصيلة كذلك القطن الجيد يتولد منهُ نبات ينتج قطناً جيداً

ويقصد في انتقاء التقاوي الى غرضين مهمين الاول الحصول على المقدار الاكبر من القطن والثاني الحصول على النوع الاجود منهُ ولا يمكن اختيار الامرين معاً في وقتٍ واحد ولكن اذا زرعت اجود انواع التقاوي التي يمكن الحصول عليها ثم أُخذت التقاوي من الشجرات التي كان منها المحصول الاكبر فالمنتظر ان يكون محصولها كبيراً وجيداً والقاعدة المطردة ان يفتش المزارع عن كبر المحصول مع جودتهِ والطريقة المتبعة في اميركا لانتقاء التقاوي هي هذه

تختار قطعة من اجود انواع الارض الصالحة للقطن ويزرع فيها اجود انواع التقاوي التي يمكن الحصول عليها وتخدم احسن خدمة وتسمد باحسن سماد ثم يفحص شجرها شجرة شجرة من حيث كثرة اللوز وكبرهِ وشكل الشجر ويختار اجودها ولنفرض الشجرات المختارة بلغت خمسين شجرة فتوضع لها علامات تعرف بها . ثم يمر عليها ثانية ويختار من هذه الخمسين شجرة خمساً وعشرين اجودها ويوضع عليها اعداد من ١ الى ٢٥ وحين الجمع يجمع قطن كل شجرة على حدة ويوضع بزر كل شجرة وحدهُ ويوزن ويقابل بعضهُ ببعض وينتقى اجودهُ ويوضع في اكياس خاصة بحيث يكون بزر كل شجرة في كيس على حدة . هذا هو انتقاء السنة الاولى

وفي السنة الثانية يزرع بزر كل شجرة من هذه على حدة والغالب ان بزر الشجرة الواحدة يبلغ من ٥٠٠ الى ٢٠٠٠ ومتى كبر الشجر النابت منهُ وبلغ اشدهُ يمرّ المنتقي عليهِ ويفتش عن الصفات الخاصة التي كانت في النبات الاصلي ليرى هل هي ظاهرة في النبات المتولد من بزرهِ فاذا وجدها ظاهرة اختار التقاوي منهُ والأ اهملهُ والشجرات التي ظهرت فيها الصفات المطلوبة تدل على ان تلك الصفات قوية فيها والغالب ان تؤخذ الشجرة التي ظهرت فيها تلك الصفات على اشدها وتؤخذ التقاوي منها وما بقي من الشجرات التي من صنفها يحلج وحدهُ ويزرع بزرهُ

وحدهُ وهو يكفي خمسة افدنة في السنة الثالثة اي ان الشجرة التي تنتقى في السنة الاولى يخرج منها من التقاوي في السنة الثانية ما يكفي لزرع خمسة افدنة في السنة الثالثة

وفي السنة الثالثة يزرع بزر الشجرة التي انتقيت في السنة الثانية وحدهُ ويدقق النظر في الشجر الذي يتولد منهُ فاذا ظهرت الصفة المطلوبة فيهِ كلهِ أُخذت التقاوي من اجود شجراتهِ والاَّ اخذت من اجود شجرة فيهِ وبزر الشجرات الباقية يستعمل تقاوي لجانب من الارض وتختار منهُ تقاوي بقية الاطيان للسنة الخامسة اما تقاويها في السنة الرابعة فتكون من محصول الخمسة افدنة المذكورة آنفًا

وفي السنة الرابعة تزرع تقاوي الشجرة الوحيدة التي اختيرت في السنة الثالثة في مكان خاص وتختار التقاوي من احسن شجرة تنبت منها وهلمَّ جرًّا

لنفرض ان رجلاً يزرع القطن في خمسين فدانًا فيكون انتقاؤُه للتقاوي على هذه الصورة

السنة الاولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة	السنة الخامسة
تختار شجرة واحدة	يزرع منها ٥٠٠ شجرة	يزرع منها خمسة فدن	يزرع منها ٥٠ فدانًا	
	تختار شجرة واحدة من الخمس مئة	يزرع منها ٥٠٠ شجرة	يزرع منها خمسة فدن	يزرع منها ٥٠ فدانًا
		تختار شجرة واحدة من الخمس مئة	يزرع منها ٥٠٠ شجرة	يزرع منها ٥ فدن
			تختار شجرة واحدة من الخمس مئة الخ	يزرع منها ٥٠٠ شجرة
				تختار شجرة واحدة من الخمس مئة الخ

ولا بدَّ من اختيار اكثر من شجرة واحدة اذ قد يحدث احياناً ان التقاوي الناتجة من الشجرة لا تكون جيدة مثلها بل تكون دون المتوسط ولذلك يحسن ان يختار كل مرة عدة شجرات وتؤخذ التقاوي من بزورها فاذا اخذت خمس شجرات في السنة الاولى حصل منها تقاوي كافية لزرع ٢٥ فداناً في السنة الثالثة

وقد بلغ قطن السي ايلند مبلغاً فائقاً جدًّا من الجودة حتى لقد يباع القنطار من الجيد منهُ باربعين ريالاً او خمسين حينما يباع القنطار من باقي قطن السي ايلند بعشرين او خمسة وعشرين ريالاً

واذا كان المزارعون في مصر لا يستطيعون هذا الانتقاء وجب ان يفعلهُ غيرهم لهم ومع ذلك نشير بطريقة اسهل مراساً وسيأتي وصفها في الجزء التالي

ثمن القطن المصري

نكتب هذه السطور وقد بلغ ثمن قنطار القطن في الكنترانات ١٩ ريالاً او اكثر والمظنون انهُ يبلغ عشرين او يزيد عليها · ويظهر من ارتفاع سعره المتدرج انهُ ارتفاع تجاري يقصد بهِ ابقاؤُهُ على هذه الدرجة او على ما يقاربها ولذلك لا عجب اذا بيع القنطار من الموسم المقبل باربعة جنيهات او اكثر كما بيع هذا العام ولو جاد المحصول الاميركاني لان الصعوبة التي تجدها المعامل الآن في رفع ثمن مصنوعاتها تقلُّ رويدًا رويدًا اذ يألف الناس زيادة غرشين او ثلاثة في ثمن الليبرة من القطن المغزول والمنسوج كما الفوا ثمن القطن لما بلغ اضعاف ما بلغهُ الآن وقت حرب اميركا

ثم انهُ اذا تضاعف ثمن القطن لا يتضاعف ثمن المنسوجات لان جانباً كبيرًا من ثمن المنسوجات اجرة عمال وهذه الاجرة تختلف من خمسين في المئة الى اكثر من مئة في المئة فاذا كان ثمن بضاعة مئة غرش وكان ثمن قطنها الاصلي ثلاثين غرشاً ثم تضاف ثمن القطن فصار ستين غرشاً يكون ثمن تلك البضاعة قد صار مئة وثلاثين غرشاً فقط اي زاد ثلاثين في المئة لا مئة في المئة كما زاد ثمن القطن

ولا يخفى انهُ اذا غلا القطن كثر الراغبون في زرعهِ في كل مكان يمكن زرعهُ فيهِ ولكن لا ينتظر ان يرخص ثمنهُ كثيرًا حينئذٍ لاسباب كثيرة منها ان خدمة القطن كثيرة النفقات فلا يستطيع زارعهُ ان يبيعهُ بثمن بخس الاَّ اذا زرعهُ في ارض جيدة قريبة من مراكز التجارة حتى يسهل نقلهُ اليها ويقتضي ان تكون صالحة لزراعتهِ صلاحية غير عادية والاَّ فلا

ربح منهُ فان الاراضي الاميركية التي الف الاميركيون زرع القطن فيها لم يبلغ متوسط محصولهِ فيها قنطارين حتى الآن . وكان الزراعون في فقر مستمر قبل ارتفاع اسعارهِ فاذا هبطت الاسعار ثانيةً ساءَت حالهم ولم يعودوا يستطيعون زرع ما يزرعونهُ منهُ الان

ثم ان القطن الجيد الذي مثل القطن المصري لا يسهل الوصول اليهِ في بلاد اخرى الاَّ بعد سنين كثيرة او لا يمكن الوصول اليهِ مطلقاً فيبقى لهُ المقام الاول بعد قطن السي ايلند في الدنيا كلها

طاعون المواشي والتعويض عنها

لم تبقَ شبهة في ان طاعون المواشي فتك بمواشي القطر المصري اكثر كثيراً مما بلغ مصلحة الصحة . ويقدّر الخبيرون انهُ فتك حتى الآن بمئة وخمسين الفاً على الاقل اي بنحو عشر كل المواشي التي في القطر وكان فتكهُ في بعض الاماكن ذريعاً جداً حتى انهُ لم يبقِ على ثور ولا على بقرة فيها . وقد خفَّت وطأتهُ قليلاً ولكنهُ اذا استمرَّ شهرين آخرين على ما هو عليهِ الآن فتك بخمسين الفاً اخرى من المواشي

ويفكر ارباب الزراعة في طريقة تقوم مقام المواشي التي نفقت فيظن البعض انهُ يمكن جلب المواشي من السودان ولكن مواشي السودان غير كثيرة كثرة تمكن من جلب المقدار الكثير منها وهي معرضة لهذا الداء مثل مواشي القطر المصري او اكثر

ويفكر غيرهم بجلب المواشي من جهات سورية وبر الاناضول ولكن يبلغنا الآن انهُ ظهر مرض مثل طاعون المواشي في سورية وفي بر الاناضول ايضاً ولا يحتمل ان تكون تلك المواشي مما لا يصاب بهذا الطاعون

وقد اتجهت افكار المزارعين الكبار الى المحاريث البخارية . والشائع من هذه المحاريث الآن محراث فولر المؤلف من وابورين يقفان على جانبي الذراع ويجران المحاريث ذهاباً واياباً ويتقدمان قليلاً ثم يجرانها وهلمَّ جرًّا . وهذا المحراث غالي الثمن جداً يبلغ ثمنهُ من ثلاثة آلاف الى ثلاثة آلاف وخمسمائة جنيه ونفقاتهُ كثيرة ومقدار ما يحرثهُ من الارض في الساعة ليس كثيراً ونقلهُ نفقات الحرث بهِ عن نفقات الحرث بالمواشي ولكن ليس كثيراً ولا يمكن استعمالهُ الاَّ في الزراعات الواسعة جدًّا وحيث يمكن انشاء السكك لسيرهِ

وقد جُرّب محراث آخر يسير في الارض الزراعية ويعزقها عزقاً فتخطط بعد ذلك بمحراث بلدي تجرهُ المواشي فوفق بالغرض في الاراضي الجافة

واتبه البعض الآخر الى المحاريث المختلفة المستعملة في اميركا . فان اميركا بلاد زراعية تكتسب من الزراعة اكثر مما تكتسب غيرها من البلدان واجور الناس فيها غالية جدًّا فاستخدمت الآلات البخارية في اكثر الاعمال الزراعية وفي جملتها حرث الارض وصنعت محاريث مختلفة الاشكال والاقدار مما قوتهُ عشرون حصانًا الى ما قوتهُ مئة حصان ومما يحرث فدانًا في الساعة الى ما يحرث عشرة افدنة ومما ثمنهُ خمس مئة جنيه الى ما ثمنهُ الفا جنيه . واراضي اميركا الزراعية مختلفة الاشكال والاوضاع ولكن قلما تكون اسهل من اراضي القطر المصري واخلى منها من الحجارة وجذور الاشجار وكل العوائق التي تعيق المحاريث البخارية . فاذا كانت المحاريث البخارية تفلح فيها فليس ما يمنع فلاحها في القطر المصري على ما يظهر . واذا ثبت بالامتحان انها تحرث الارض ولو لزرع الغلة والذرة وفت باكثر المراد ونجا بها القطر من بلية تتهدّدهُ بالخراب

باب التقريظ والانتقاد

الخواطر العراب في النحو والاعراب

كنّا بالامس نتأفف من كتاب في علم الصرف والنحو وآخر للمطالعة اختارتهما نظارة المعارف المصرية للتعليم في مدارسها والمدارس الجارية مجراها . وقد اعطيا لولد عمرهُ اثنتا عشرة سنة وتكاد معانيهما ان تكون مغلقة علينا بعد ان مارسنا هذه اللغة تعلمًا وتعليمًا وكتابة وتحريرًا السنين الطوال ولكن لم يطل تأففنا حتى جاءنا البريد بالملازم الاولى من كتاب في علم النحو وضعهُ صديقنا الفاضل الاستاذ جبر ضومط استاذ العربية في المدرسة الكلية في بيروت فاذا هو قد جرى فيهِ مجرى اقليدس في كتاب الاصول ومجرى الحاسبين في كتب الحساب والجبريين في كتب الجبر يتقدّم من البسيط الى المركَّب ومن الجزئي الى الكلي بعبارة بسيطة يدرك الطالب معناها من غير مرشد وعلى اسلوب كثير الاسهاب والتمارين المنتقاة حتى ترسخ القواعد في الذهن وتصير اللغة الفصحى ملكة في اللسان كما يظهر من الامثلة التالية المنقولة عن هذا الكتاب

في احكام المعربات بالحركات

وهي الاسم المفرد — ويُرفَع بالضمة كقولك : زارني رجلٌ عالمٌ : ويُنصَب بالفتحة

كقولك : رَأيتُ رجالاً عالمًا : ويجرُّ بالكسرة كقولك : تعرَّفتُ برَجُلٍ عالمٍ الاَّ ما لا ينصرف فانهُ يجرُّ بالفتحة

وجمع التكسير — ويُرفَع بالضمَّة كقولك زارني رجالٌ لا أعرفُهم : ويُنصَب بالفتحة كقولك : رأيتُ رجالاً لا اعرفهم : ويجرُّ بالكسرة كقولك : مررتُ برجالٍ لا أعرفُهم : الاَّ ما لا ينصرف فانهُ يجرُّ بالفتحة

وجمع المؤنث السالم — ويُرفع بالضمَّة كقولك هنَّ مؤمناتٌ باللهِ كافراتٌ بالطَّاغوتِ : ويُنصَب ويجرُّ بالكسرة كقولك : لم أرَ مؤمناتٍ باللهِ وهنَّ غيرُ كافراتٍ بالطاغوتِ . ولم أرَ من نساء فاضلاتٍ مهذَّباتٍ تقيَّاتٍ كهندٍ وأُختيها :

في التنوين

قلتَ في الاسم المفرد إنهُ يُرفَعُ بالضمَّة ورأينا عليهِ فيما مثلتَ بهِ ضمتين . ويُنصَب بالفتحة ورأينا عليهِ فتحتينِ . ويجرُّ بالكسرَة ورأينا عليهِ كسرتينِ وهكذا فيما جاء من امثلة جمع التكسير وامثلة جمع المونث السالم فكيف ذلك ؟

والجواب انَّ الاولى من هاتين الضمتين او الفتحتين او الكسرتين هي علامة الاعراب واما الثانية فهي في اصطلاح الكتابة نون ساكنة زائدة في آخر الاسم المعرب وتسمَّى تنوينًا . وعليهِ فاللفظان (رَجُلٌ عالمٌ) في المثل الاوَّل و (رَجلاً عالمًا) في المثل الثاني و (رجلٍ عالمٍ) في المثل الثالث لو كتبا كما يلفظانِ لكتبا هكذا رَجلُنْ عالمُنْ . رَجلَنْ عالمَنْ . رَجلِنْ عالمِنْ . فالضمة علامة الرفع والفتحة علامة النصب والكسرة علامة الجرّ والنون الساكنة هي التنوين الاَّ ان اصطلاح الكتابة لا يجوّز اصلاً ان تكتب بصورتها الحرفية بل بتكرار رسم الحركة المقترنة بها

فان قلت فمن اين جاءت الألفُ في قولك رايتُ رجلاً عالمًا قلنا ان من اصطلاح الكتابة الذي لا يجوز الاخلال بهِ ايضًا ان تزيد الفًا بعد التنوين في الاسم المنصوب الاَّ ان يكون آخرهُ تاء مربوطةً او همزةً بعد الف فان الالف يمتنعُ زيادتها حينئذٍ ويكتب التنوين بتكرار رسم الحركة فقط كقولك : رايتُ في زيدٍ شدَّةً او حدةً او قوَّةً او رزانةً او خفةً . وشربتُ ماء او دواء وكانوا اعداء وكتبتُ تاء او هاء : وهلمَّ جرًّا

العائد على الموصول

هو الضمير الذي يرجع من الصلة الى الموصول . وهو مما لا بدَّ منهُ فانَّ قولك : جاء من سفرهِ من يركنُ زيدٌ : جملةٌ لا يحصلَ لها لخلوّها من العائد . فاذا زِدتَهُ فيها بأن قلتَ : جاء من سفرهِ من يركنُ زيدٌ اليهِ : استقامت وتمَّ معناها

والاصل في العائد ان يكون ضميرًا غائبًا الاَّ انهُ اذا وقع الموصول خبرًا عن متكلمٍ او مخاطبٍ جاز فيهِ اي في العائد ان يكون غائبًا فيطابق لفظ الموصول كقولك : نحن الذين مصَّروا الامصار . وانتم الذين شادوا مجدًا لم يشدهُ غيرهم : وجاز ان يكون متكلمًا او مخاطبًا فيطابق معناهُ كقولك : نحن الذين مصَّرنا الامصار . وانتم الذين شدتم مجدًا لم يشدهُ غيركم : ومثل الاخبار عن مخاطب ان يقع منادًى او تابعًا لمنادًى فاعلم ذلك

تمرين مطلوب فيهِ

(١) ان تعين العائد في الصلة (٢) ان تعين المواضع التي يجوز فيها ان يطابق العائد لفظ الموصول ومعناهُ (٣) ان تذكر ايهما طابق (٤) ان تذكر الصورة الاخرى الجائزة واليك الامثلة الآتية

(١) الذي يزرعهُ الانسانُ اليومَ يحصدهُ غدًا

(٢) ما انتمُ الذين يهربون من الحق

(٣) ايها الذي تتكاسل في الشبيبة قل لي متى تجتهد

(٤) انا الذي تعرفهُ يا حارث

(٥) يا ذا الذي ولدتك أُمك باكيًا　　والناس حولك يضحكون سرورا

(٦) يا من تبدل كل يوم حلة　　أَنَّى رضيت بحلةٍ لا تنزعُ

(٧) وانتِ التي كلفتني دلج السرَى　　وجُون القطا بالجهلتين جثومُ
وانتِ التي احفظتِ اهلي فكلهم　　بعيد الرضى داني الصدود كظيمُ

والجهلتين اسم مكان . وجثوم جمع جاثم . واحفظ اغضب

(٨) انتم الذين تتمنون ولا تفعلون ونحن الذين لا نتمنى ونفعل

(٩) اتقِ الله في نفسك يا من تعلِّمُ ولا تتعلمُ وتعظ ولا تتعظُ

(١٠) ياذا الذي خط العذار بخدهِ　　خطين هاجا لوعةً وبلابلا
ما كنتُ اقطعُ ان لحظك صارم　　حتى رأيت من العذار حمائلا انتهى

والكتاب كلهُ على هذا النسق من البسط والابانة وقد طُبعت فيهِ القواعد بحرف كبير والشروح والامثلة والتمارين بحرف اصغر منهُ وضُبط كلُّ ذلك بالشكل حتى لا يخفى شيءٌ على الطالب فصار في المدرسة الكلية الآن ثلاثة كتب على هذا النسق كتاب طيب العرف في فن الصرف لسعيد بك شقير وداود افندي افتيموس وهذا الكتاب والخواطر الحسان في المعاني والبيان وهو للاستاذ ضومط ايضًا

مجموعة لجنة حفظ الآثار العربية

هي المجموعة السابعة عشرة عن سنة ١٩٠٠ ومن فوائدها الكثيرة وصف مدفن شجرة الدر زوجة السلطان نجم الدين الايوبي فانها اخفت وفاة زوجها سنة ١٢٤٨ لما كانت رحى الحرب دائرة بين المصريين والصليبيين ما بين دمياط والمنصورة الى ان حضر ابنهُ الملك المعظم توران شاه من الشام لكنهُ قُتل بعد مجيئهِ فاقرَّ رجال الدولة على تمليكها . وهي اول ملكة في الاسلام ولكن حكمها لم يطل لان الخليفة المستنصر بالله لم يقلدها الملك فتنازلت لعز الدين ايبك وتزوجت بهِ وبقيت السلطة في يدها وكانت الآمرة الناهية . واراد عز الدين ان يتخلص منها فتخلصت منهُ وقتلهُ خصيانها سنة ١٢٥٧ فاغتاظ منها امراء المملكة وملكوا نور الدين علي بن ايبك من احدى حظاياهُ فقبض عليها وسلمها لامهِ وهي سلمتها لجواريها فجعلن يضربنها بالقباقيب حتى ماتت وطرحت جثتها في خندق القلعة فاكل الكلاب نصفها ثم دفن النصف الباقي بقرب مشهد السيدة نفيسة على ما قالهُ ابن اياس

ولم يزل مدفنها هناك وهو يحتوي على قاعة مربعة تعلوها قبة قالبها من اقدم القوالب المعروفة بمصر وداخل القاعة حنايا مجوفة او صفف تشتمل على اشكال حلزونية متداخلة في حروف الكتابة وفي صفة المحراب فسيفساء من قطع صغيرة وزجاج احمر وازرق مذهب وهي الفسيفساء البزنطية الحقيقية فهي من اتقن ما يوجد من نوعها في القطر المصري ولا مثيل لها الاَّ في جامع ابن طولون والمدرسة الطيبرسية والمدرسة الاقباغية في الجامع الازهر

وبعد شرح طويل لما في هذه القاعة استنتج كاتب هذا الشرح ان شجرة الدر بنت هذا المدفن لنفسها سنة ٦٤٨ للهجرة (١٢٥٠ للميلاد) وتولتهُ يد التخريب والتدمير بغضاً لها وانتقاماً منها ثم قام من اراد احياء ذكرها فاصلح فيهِ وكتب كتابات اخرى

وفي المجموعة ثلاثة رسوم لمدفن شجرة الدر ورسوم اخرى لغير ذلك من الآثار وهي غاية في الاتقان

سياحة في مصر

Journal for an Egyptian Tour by Col. S.B. Bevington V.D., J.P.,

اننا في الشتاء الماضي بلقاء الكولونل بفنجتون وكان قد جاء الى القطر المصري سائحاً ولم يخطر لنا انهُ من ارباب الاقلام حتى اهدى الينا هذا الكتاب وقد جعلهُ رسائل اثبت فيها ما رآهُ في هذا القطر وما استنتجهُ من نجاحهِ وذلك بعبارة سلسلة منسجمة

كتاب التمرين

على التبيان والتبيين

هو فصول منتقاة من كتب الادب العربية او منسوجة على منوالها وكلها من بدائع الانشاء ولطائفهِ مثال ذلك فصل عن الارنب قيل فيهِ

الارنبُ واحدةُ الأَرانب وهو حيوان يشبه العناق قصيرُ اليدين طويلُ الرجلين عكس الزَّرافة يطأُ الارضَ على مُؤخَّر قدميهِ وهو اسم جنس يطلقُ على الذَّكر والأُنثى وانما يميز باسم الاشارة كالعقاب فيقالُ للذكر هذا الأَرنبُ وللانثى هذه الأَرنبُ

ومن امثالهم المشهورة المتعلقة بالأَرنب قولهم : "في بيتهِ يؤْتى الحكَم" وهو مما زعمتهُ العربُ على أَلسنة البهائم

قالوا إِنَّ الأَرنبَ التقطت تمرةً فاختلسها الثعلب فأَكلها — فانطلقا يختصمان الى الضبّ — فقالت الأَرنب يا ابا حِسْلٍ قال سميعاً دعوتِ

قالت اتيناك لنختصم اليك قال عادلاً حكيماً

قالت فاخرج الينا قال في بيتهِ يؤْتى الحكم

قالت إِني وجدتُ تمرة قال حُلوةً فكليها

قالت فاختلسها الثعلبُ قال لنفسهِ بغى الخير

قالت فلطمتهُ قال بحقكِ أَخذتِ

قالت فلطمني قال حرٌّ انتصر لنفسهِ

قالت فاقض بيننا قال قد قضيتُ

والكتاب كلهُ على هذا النسق وقد عني بجمعهِ العلاَّمة المحقق الشيخ طاهر الجزائري وجعل ثمنهُ غرشاً ونصفاً لا غير تسهيلاً لاقتنائهِ

تدريب اللسان

على تجويد البيان

لقد احسن حضرة العلامة المحقق الشيخ طاهر الجزائري في تأليفهِ هذه المختصرات القريبة المأخذ لتلامذة المدارس كما احسن حضرة الفاضل احمد افندي حسن طبارة في طبعها ونشرها وقطعهِ لها ثمناً رخيصاً جداً . وقد جمع هذا الكتاب زبدة ما في صحف المتقدمين عن تجويد القراءة والبيان ورجع في مخارج الحروف الى ما قالهُ المتقدمون واقتصر عليهِ وقال " ان اللازم

على من اراد ان ينطق بحرف على وجهه ان يتلقاه عن اهل هذا الفن فانهُ لم تجتهد فرقة في فنهم مثل اجتهادهم ولا اتصل اسناد فرقة في امر مثل اتصال اسنادهم وقد صرَّح سيبويه في كتابهِ بان الحروف لا تتبين الاَّ بالمشافهة فلا يتيسر النطق بحرف بمجرد البيان والوصف وهذا ظاهر للعيان عند اهل كل لسان". الاَّ ان ابناء هذا العصر اتصلوا الى وصف مخارج الحروف وصفاً تشريحياً مع تصوير اجزاء الحلق التي تستخدم في لفظها. والظاهر ان المؤلف يحسب لفظ الجيم كان اصلاً كما يلفظهُ المصريون لا كما يلفظهُ السوريون فقد قال انها "من الحروف الشديدة التي تنحصر اصواتها في مخارجها انحصاراً تاماً فلا تجري جرياناً سهلاً كما في الحج فانك اذا وقفت عليها تجد صوتها محصوراً حتى لو رمتَ مدَّ صوتك لم يمكنك والحروف الشديدة ثمانية يجمعها قولك (اجد قط بكت)" وواضح ان الجيم كما يلفظها السوريون رخوة مثل الشين او بين بين مثل الراء فحبذا لو اسند المؤلف ما قالهُ عنها فيكون ذلك فصل الخطاب في مسألة طال الخلاف فيها

البابية

كتب الينا الحاج حسينقلي جديد من بغداد يقول "كنت يوماً عند السيد شكري افندي الوسي زاده فتذاكرنا في احوال الملل والاديان حتى انتهى حديثنا الى فرقة البابية فقال ان جريدة المقتطف قد ذكرت فصلاً من فضائلهم واتى بمجلة من مجلاتها وقرأ عليَّ فعجبتُ من كاتب تلك السطور كيف غشَّ صفحات المقتطف المقدَّسة باكاذيب مموهة واباطيل مشوهة. والفقير الى الله كنتُ من اهل افتقار وحققت امور البابية وجمعت كتبها ورسائلها ثم كتبت كتاباً اسمهُ منهاج الطالبين فارسياً وعربياً فطلب اليَّ مولانا شكري افندي ان ارسل نسخة منهُ الى حضرتكم لتطلعوا عليهِ وتصلحوا ما نشرتموهُ عن البابية خطأً"

هذا وقد وصلنا الكتاب وفيهِ فصول كثيرة عربية يقول انها منقولة عن كتب البابية حرفاً حرفاً فان كان النقل صحيحاً فهي من اغرب ما قرأناهُ مثال ذلك "بسم الله الابهى الابهى بالله الله البهي البهي الله لا اله الاَّ هو الابهى الابهى الله لا اله الاَّ هو البهي البهي الله لا اله الاَّ هو المبتهى المبتهى الله لا اله الاَّ هو هو المبهي المبهى .... قل الله ابهى فوق كل ذي بهاء من يقدر ان يمتنع عن بها بهيانهِ من احد لا في السموات ولا في الارض ولا ما بينهما انهُ كان بهاء باهياً بهياً قل الله ابهى فوق كل ذي ابهة لن يقدر ان يمتنع عن بهى بهيان ابتهائهِ من احد" وهلمَّ جرًّا. ومثالهُ في صنعة الاكسير "قل وتمكنٌ ما يقولون الاعجميون في اسمهِ عدد الديَّان فان هذا مما انتم بهِ الذهب تشهدون قل لهُ ورق قدر ذلك الختام بل اصغر

عليهِ حيوان صغير ممرٌ وان ذلك الحيوان اكبر لما يخلق من ذلك الورق في الجبال انتم تشهدون" والمقتبسات كثيرة وكلها على هذا النسق والعجب العجاب في انها منقولة عن كتب قوم رأينا بينهم اناساً اذكياء العقول واسعي الاطلاع ماهرين في اساليب المعاملات



فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسألتهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) جحود الفلاسفة

مصر · ج · ا · نرى ان اغلب الفلاسفة رجعوا بعد الجحود الى الاعتراف بوجود الخالق عزَّ وجلَّ فهل هم مساقون الى ذلك بعامل المداراة او باعتقاد حقيقي ثابت امتحنوهُ قبل ان جاهروا بهِ وما هي القوائم في الاثبات

ج انا لا نعرف فيلسوفاً كان جاحداً ثم اعترف بوجود الله حتى نجيبكم عمَّا طلبتم لكن من الفلاسفة من قال مثل هربرت سبنسر ان العقل البشري لا يدرك وجود الله ومات على هذا القول · ومنهم من قال مثل هكسلي انهُ لم يجد دليلاً يقنعهُ بوجود الله او يقنعهُ بعدم وجودهِ ومات على هذا القول . والرجلان كانا مثالاً في الاستقامة وهما اكثر الفلاسفة تطرفاً في الجحود وما منهما من انكر وجود الله وغاية ما انكراهُ الدعوى بانهما يدركان وجودهُ ويعرفان شكلهُ وصفاتهِ وما يقولهُ في قلبهِ وما ينويهِ للناس في الدنيا والآخرة من خير وشر

(٢) دوران الارض والانهر

ومنهُ · علم ان دوران الارض على محورها سبب لاختلاف نهر النيل على ضفتهِ الشرقية وهذا لكونهِ آتياً من الجنوب الى الشمال فما قولكم في الانهر التي تجري من الشرق الى الغرب ومن الغرب الى الشرق وما حالتها مع دوران الارض

ج اذا كان جريها من الشرق الى الغرب توًّا او من الغرب الى الشرق فلا يؤثر فيها دوران الارض اقل تأثير لان ماءها يجري في عرض واحد ولكنها اذا انحرفت شمالاً او جنوباً أثر فيها دوران الارض بعض التأثير على ما تقدم في الجزء الماضي

(٣) دين مصر

المنيا . حنا افندي بطرس . في ايام من من الخديويين بدأ الدين المصري وكم المطلوب لكل دولة الآن

ج ابتدأ الدين المصري في عهد سعيد باشا وبلغ نحو ثلاثة ملايين جنيه قبل وفاته ثم زاد في ايام اسمعيل فبلغ ٩٤ مليون جنيه وهو ليس لدولة من الدول بل سنداته شائعة تباع في السوق لكل مشترٍ ولكن للفرنسويين والانكليز الجانب الاكبر منها ولا سيما ليت روشيلد الفرنسوي والانكليزي ويتلوهم الروسيون فان لهم جانباً كبيرًا ايضاً

---

(٤) هل العمر محدود

كندا . الخواجه جرجس حنا جرجور الماردبني هل عمر الانسان محدود او غير محدود

ج هو محدود بمعنى انهُ متعول للفواعل التي تعمل بهِ وهذه الفواعل جارية على سنن ثابتة لا تتغير . وغير محدود بمعنى انهُ لا يبقى على حالة واحدة بل يزيد متوسطهُ بزيادة الاعتناء بالصحة ومعالجة الامراض . فالذين لا يعتنون بصحتهم ولا يعالجون امراضهم متوسط عمرهم عشرون سنة او اقل فلا تزيد مواليدهم على وفياتهم ولذلك لا يزيد عددهم بل يبقى على حال واحدة عاماً بعد عام وقرناً بعد قرن او يقلُّ عددهم بزيادة الوفيات على المواليد كما حدث في القطر المصري منذ مئات من السنين الى نحو اربعين سنة مضت . والذين يعتنون بصحتهم ويعالجون امراضهم تقل وفياتهم وتزيد مواليدهم عليها فينمون ويكثرون كما كثر الانكليز والالمان وكما كثر المصريون حتى كادوا يتضاعفون منذ خمس وعشرين سنة الى الآن

---

(٥) المعيشة وطول العمر

دمشق . السيدة سوره دمرّ . هل للمعيشة في حالة الحضارة تأثير في طول العمر او قصره اكثر من المعيشة البسيطة الخالية من الاهتمام بالمأكل والمشرب والملبس والاجتماعات وما شاكل

ج لا شبهة في ان الاهتمام الشديد يضرُّ بالصحة فيقصر العمر ولكن الذين يهتمون بالمآكل والمشارب والملابس يهتمون ايضاً بدفع العوارض ومعالجة الامراض فينجو كثيرون منهم ويزيد متوسط عمر الجماعة منهم ولو لم يزد عمر الافراد مثال ذلك بلادان البلاد الواحدة جرت على اساليب الحضارة الحديثة فاذا دخلها الهواء الاصفر قابلتهُ بعزل كل المصابين عن الاصحاء والاقتصار على شرب الماء النقي فلا يفتك بنفر قليل من اهاليها واذا دخلها الجدري وجد كل اهاليها متطعمين فلا يفتك باحد منهم واذا جاء الصيف بحرهِ وجد اطفالها يرضعون اللبن النقي فلا يصابون باسهال الاطفال ولا يموت

احد منهم واذا اشتدَّ البرد وجد ملابس اطفالها كلهم دافئة فلا يصاب احد منهم بذات الرئة ولا بداء الجنب فتقل الوفيات في تلك البلاد ويبلغ متوسط العمر فيها اربعين سنة او خمسين ولكن الذين يبلغون الثمانين او التسعين من اهاليها قد لا يزيدون على واحد في المئة

والبلاد الثانية باقية على حال البداوة فاذا دخلها الهواء الاصفر فتك باهاليها فتكاً ذريعاً واذا دخلها الجدري لم يجد احداً متطعماً فيفتك بالبعض ويشوّه البعض الآخر واذا اشتدَّ الحر فسد اللبن الذي يشربهُ اطفالها فاصيبوا بالاسهال ومات كثيرون منهم واذا اشتدَّ البرد اصاب كثيرين من اهاليها بالامراض الناتجة من شدَّة البرد فيكون متوسط العمر فيها عشرين سنة او اقل ولكن الذين ينجون من هذه الآفات اما لاعتنائهم الخاص بصحتهم او لمناعة قوية في اجسامهم او لانهُ اتفق ان الآفات لم تعرض لهم يعمرون طويلاً ثمانين او تسعين او اكثر وقد يكون عدد هؤلاء اكثر من واحد او اثنين في المئة

(٦) الخرس

الفيوم . يعقوب افندي خليل رأيت بنتاً عمرها اربع سنوات تفهم ما تكلمها بهِ فاذا قلت لها اسقيني ذهبت واحضرت لك الكوبة ولكنها لا تنطق بكلمة فما هو داؤُها وهل يوجد له دواءٌ

ج يتأخر بعض الاولاد في النطق بسبب عدم نمو مركز النطق في الدماغ او بسبب آفة عرضت لهُ وهم صغار فاذا كان الاول فلا يبعد ان يتم نمو مركز النطق رويداً رويداً فيتمكنون من النطق بعد ذلك وان كان الثاني فالامل بشفائهم قليل وليس لذلك دواءٌ غير المقويات العمومية للصحة

(٧) حرارة الراديوم

حلوان . ي . ب قرأْنا في المقتطف ان عنصر الراديوم يشعُّ نوراً وحرارةً وينبثق منهُ دقائق صغيرة جداً على الدوام وقد قال مكتشفهُ انهُ لا ينقص في عشرة ملايين من السنين سوى جزء من الف من وزنهِ . اما اشعاعهُ النور والحرارة بلا نقصان في وزنهِ فامر يسلم بهِ العقل مع غرابتهِ المتناهية واما تطاير الدقائق منهُ مهما صغر حجمها مع بقاء وزنهِ على حالة واحدة تقريباً فمسألة فيها نظر فافيدونا عن حقيقة الامر

ج نرجح ان الباحثين في طبائع هذا العنصر وجدوا الآن ان وزنهُ يقل اكثر مما ظنوا اولاً اذ ثبت لهم او كاد يثبت ان الدقائق التي تصدر منهُ هي عنصر آخر اسمهُ الهاليوم ومع ذلك يبقى نقصانهُ قليلاً جداً لان الدقائق اذا كانت الكترونات فكل الف مليون مليون مليون مليون الكترون منها لا تزن غراماً واحداً فاذا فرضنا انهُ يخرج

الدقائق في اعصاب سمعك على اسلوب يوافق ما تسمعهُ من الغناء فيزول النفور اولاً ثم تصير تشعر بلذة. ويمكن ايضاح ذلك بهذا المثل افرض ان شعرك طويل جداً ومشتبك بعضهُ ببعض فاذا اردت مشطهُ فان المشط يقطع بعضهُ ويقتلع البعض الآخر في اول الامر فتتألم من ذلك ولكنك اذا كررت المشط انسدل الشعر وزال الاشتباك منهُ فيصير المشط يجري فيهِ بسهولة فلا تعود تتألم واخيرًا تصير تشعر بشيءٍ من اللذة وانت تمشطهُ. فالميل الى الشعر والغناء طبيعي في النفس ومنهُ لذة واذا كان الشعر والغناء في غير محلهما نفرت منهما النفس اولاً ثم تألفهما بالتكرار فيزول النفور ويبدل باللذة

باب الاخبار العلمية

الظواهر الفلكية في فبراير

	يوم	ساعة	دقيقة
البدر	٠١	٠٦	٣٣
الربع الاخير	٠٨	١١	٥٦
الهلال	١٦	٠١	٠٥
الربع الاول	٢٤	٠١	٠٩

يكون عطارد والزهرة نجمي الصباح الشهر كلهُ

ويظهر المريخ والمشتري في المساء الاول ساعةً ونصفاً والثاني ساعتين

تجارة القطر المصري

بلغت قيمة الصادرات من القطر المصري سنة ١٩٠٣ حسب تثمين الجمارك المصرية لها ١٩١١٨٤٨٧ جنيهاً مصرياً وقيمة الواردات الى القطر المصري ١٦٧٥٣١٩٠ ومجموع قيمة التجارة الخارجية من صادر ووارد نحو ٣٦ مليون جنيه مصري اي اكثر من تجارة الممالك العثمانية كلها الخارجية واكثر مما بلغتهُ في اية سنة من السنين الماضية

التيفويد والاصداف البحرية

تكررت الشواهد الدالة على ان الذين يأكلون حيوانات الاصداف والابواق البحرية يصابون احياناً كثيرة بالحمى التيفويدية وقد ثبت الآن بالبحث الميكرسكوبي في ابدان هذه الحيوانات انها تكون احياناً ملأى بالمبرزات المنصبة في البحار من مجاري المدن المتصلة بها ويكون ميكروب التيفويد كثيرًا فيها. والغالب ان الناس يأكلون هذه الحيوانات من غير ان يسلقوها سلقاً كافياً لان السلق الكافي يفسد طعمها بل يضعونها في ماء

سخن دقائق قليلة حتى تنفتح الاصداف ويسهل اخراج الحيوان منها. فيبقى ميكروب التيفويد حيًّا فيه يصيب من يأكلهُ بالحمى التيفويدية . وقد بيَّن الدكتور كاين البكتيريولوجي الشهير انهُ اذا سلقت الاصداف بالبخار مدة خمس دقائق فقط مات ميكروب التيفويد منها ولم يفسد طعمها فيبقى سلقها بالبخار بالغايتين معًا

جوائز كارنجي العلمية

وزعت جوائز كارنجي العلمية على المشتغلين بالعلم فبلغ مجموع ما وزع منها في العام الماضي اربعين الف جنيه ومن الذين نالوا هذه الجوائز الاستاذ بوص الفلكي وقد نال الف جنيه والاساتذة بوص وهايل وكبل الف جنيه ونالوا ثمانمئة جنيه اجرة مساعد في مرصد لك . والدكتور روبرت فلتشر الفي جنيه لطبع فهرست كتب الطب . والمستر بتم الف جنيه لطبع كتاب عن الجمعيات العلمية . والمستر كنراد ١٦٠٠ جنيه لدرس نباتات الصحراء . والمستر ليونردولدو ٩٠٠ لدرس برنز الالومنيوم . والمستر بيلي ١٣٠٠ جنيه لبحثهِ في البلاد الواقعة عبر بحر قزبين . والاستاذ تشمبرلين ١٢٠٠ جنيه لدرسهِ مبادئ الجيولوجيا الاساسية . والاستاذ اتوتر الف جنيه لامتحاناتهِ في التغذية . والدكتور غاضي ١٢٠٠ جنيه لتقريرهِ في فسيولوجية التغذية

والجوائز التي تقل قيمة الجائزة منها عن ٥٠٠ جنيه كثيرة جدًا . وعلى هذا النسق يعضد العلم والعلماء

الهيدروبيون

استنبط الدكتور فون لورنز النمسوي وعاء سماهُ الهيدروبيون ينقل السمك بهِ حيًّا من مكان الى آخر وهو حوض يوضع فيهِ الماء والسمك وفي الحوض وعاء فيهِ اكسجين منضغط ولهُ ثقب يخرج منهُ رويدًا رويدًا الى الماء فيبقى الماء صالحًا لمعيشة السمك فيهِ ولو كان قليلاً لان السمك يتناول الاكسجين من الماء كما نتناولهُ من الهواء فاذا لم يجدَّد الماء لهُ او لم يُدخل اليهِ اكسجين بدل ما تناولهُ السمك منهُ مات السمك اختناقًا كما يموت الحيوان في الهواء اذا قلَّ الاكسجين منهُ

غنى الانكليز

حسب بعضهم انهُ اذا قُسم مال الامة الانكليزية على جميع افرادها بالسوية اصاب الفرد الواحد نحو ٣٠٠ جنيه . وان متوسط دخل الفرد منهم ٣٣ جنيهًا في السنة ومتوسط ما يوفرهُ الفرد ٣ جنيهات في السنة وان في السلطنة الانكليزية نحو مئة شخص يملك الواحد منهم مليون جنيه فما فوق و ٤٠٠ شخص يملك الواحد بين نصف مليون جنيه ومليون جنيه . ونحو الف شخص يملك الواحد بين ربع مليون جنيه ونصف مليون ونحو

خمسة آلاف شخص يملك الفرد منهم بين مئة الف جنيه و ٢٥٠ الفاً. وقال احد الاغنياء ان كل شاب عمرهُ عشرون سنة ويحصل جنيهاً واحداً في الاسبوع ويوفر منهُ فقد يصير صاحب ثروة قدرها مئة الف جنيه حينما يبلغ السبعين من عمرهِ

حصان طويل العرف

رأينا في السينتفك اميركان صورة فرس طول شعر عرفها ثماني عشرة قدماً او نحو خمسة امتار ونصف متر اشتراها مالكها منذ سبع سنوات وكان عمرها ثلاثاً ولم يكن شعر عرفها اطول مما يكون عادة وبعد سنة اخذ يطول بسرعة فوضع في شبكة تحفظ فيها من التلف فبلغ هذا الحد العجيب من الطول. ولها مهر يظن انهُ سيفوقها في طول عرفهِ

وصية سبنسر

اوصى سبنسر ان تباع ممتلكاتهُ وكتبهُ وحقوق طبعها ويقسم المال الناتج من ذلك بين الجمعيات العلمية الانكليزية وهي الجيولوجية والجغرافية والنباتية والانثربولوجية والزولوجية والانتومولوجية والفلكية والرياضية والطبيعية والكياوية وجمع ترقية العلوم البريطاني والمدرسة الملكية. ويستخدم فيها لابتياع الكتب والادوات وتوسيع المباني وتصليحها ولكن لا يعطى شيء منهُ هبة لاحد واوصى ايضاً انهُ اذا ارادت الحكومة الانكليزية ان تدخل النظام العشري في الموازين والمقاييس والمكاييل الى بلادها كرهاً ان يُطبع الكراس الذي الفهُ في هذا الموضوع حسب نسخة نقحها وتركها في صندوقهِ ويوزع على اعضاء مجلس الاعيان والنواب مجاناً. وقد ابان غير مرة انهُ يذهب الى عدم صلاحية النظام العشري ويفضل النظام الاثني عشري عليهِ لان الناس يفضلون ان تقسم مكاييلهم ومقاييسهم الى انصاف واثلاث وارباع وهذا ممكن في الاثني عشر ولكن لا يمكن في العشرة فيكون النظام العشري عائقاً لهم

تصورات الناس في القمر

اذا رأى الانسان شيئاً لم يتبيّنهُ جيداً تخيل لهُ صورة من ذهنهِ مما اعتاد رؤيتهُ. وعلى ذلك يرى كثيرون من الناس صورة وجه في القمر وقد كتب فلوطرخس المؤرخ اليوناني كتاباً عن صورة انسان قال انها ترى في القمر. وقال الصينيون ان ما يرى في القمر صورة حمار يطحن ارزاً. وقال الهنود انهُ يشبه الارنب. وقال الفرس انهُ صورة معكوسة عمَّا في الارض من البر والبحر كأنهُ مرآة انعكست عنها صورة الارض

ويختلف الناس في تقدير القمر كما يرونهُ بعيونهم فيراهُ البعض بحجم الريال وهو اصغر تقدير لهُ ويراهُ غيرهم بحجم عجل المركبة وهو اكبر تقدير. ويراهُ الاكثرون بحجم صحفة

خمسة آلاف شخص يملك الفرد منهم بين مئة الف جنيه و ٢٥٠ الفاً. وقال احد الاغنياء ان كل شاب عمرهُ عشرون سنة ويحصل جنيهاً واحداً في الاسبوع ويوفر منهُ فقد يصير صاحب ثروة قدرها مئة الف جنيه حينما يبلغ السبعين من عمرهِ

حصان طويل العرف

رأينا في السينتفك اميركان صورة فرس طول شعر عرفها ثماني عشرة قدماً او نحو خمسة امتار ونصف متر اشتراها مالكها منذ سبع سنوات وكان عمرها ثلاثاً ولم يكن شعر عرفها اطول مما يكون عادة وبعد سنة اخذ يطول بسرعة فوضع في شبكة تحفظ فيها من التلف فبلغ هذا الحد العجيب من الطول . ولها مهر يظن انهُ سيفوقها في طول عرفهِ

وصية سبنسر

اوصى سبنسر ان تباع ممتلكاتهُ وكتبهُ وحقوق طبعها ويقسم المال الناتج من ذلك بين الجمعيات العلمية الانكليزية وهي الجيولوجية والجغرافية والنباتية والانثربولوجية والزولوجية والانتومولوجية والفلكية والرياضية والطبيعية والكيماوية وجمع ترقية العلوم البريطاني والمدرسة الملكية . ويستخدم فيها لابتياع الكتب والادوات وتوسيع المباني وتصليحها ولكن لا يعطى شيء منهُ هبة لاحد واوصى ايضاً انهُ اذا ارادت الحكومة الانكليزية ان تدخل النظام العشري في الموازين والمقاييس والمكاييل الى بلادها كرهاً ان يُطبع الكراس الذي الفهُ في هذا الموضوع حسب نسخة نقحها وتركها في صندوقهِ ويوزع على اعضاء مجلس الاعيان والنواب مجاناً .

وقد ابنَّا غير مرة انهُ يذهب الى عدم صلاحية النظام العشري ويفضل النظام الاثني عشري عليهِ لان الناس يفضلون ان تقسم مكاييلهم ومقاييسهم الى انصاف واثلاث وارباع وهذا ممكن في الاثني عشر ولكن لا يمكن في العشرة فيكون النظام العشري عائقاً لهم

تصورات الناس في القمر

اذا رأى الانسان شيئاً لم يتبيَّنهُ جيداً تخيل لهُ صورة من ذهنهِ مما اعتاد رؤيتهُ . وعلى ذلك يرى كثيرون من الناس صورة وجه في القمر وقد كتب فلوطرخس المؤرخ اليوناني كتاباً عن صورة انسان قال انها ترى في القمر . وقال الصينيون ان ما يرى في القمر صورة حمار يطحن ارزاً . وقال الهنود انهُ يشبه الارنب . وقال الفرس انهُ صورة معكوسة عمَّا في الارض من البر والبحر كأنهُ مرآة انعكست عنها صورة الارض

ويختلف الناس في تقدير القمر كما يرونهُ بعيونهم فيراهُ البعض بحجم الريال وهو اصغر تقدير لهُ ويراهُ غيرهم بحجم عجَل المركبة وهو اكبر تقدير . ويراهُ الاكثرون بحجم صحفة

الطعام فالجمهور يحسب ان بعده عنهم نحو مئة قدم . وحجمهُ الحقيقي على ما يُرى بالعين نحو نصف درجة ولذلك يُحجَب بقلم الرصاص اذا وضع بينهُ وبين العين

الراديوم في تراب لندن

كتب الاستاذ رامسي الى جريدة الدايلي مايل يقول ان القمحة من الراديوم تساوي الآن ٨٠٠ جنيه والاوقية لو امكن الحصول عليها لساوت ٧٥٠ الف جنيه وان في مدينة لندن معملاً كياوياً يستخرج فيهِ عنصر الاورانيوم الذي يلوَّن بهِ الزجاج بلون اصفر ضارب الى الخضرة وترمى الفضلات التي يستخرج الاورانيوم منها ولكن هذه الفضلات تحتوي على الراديوم فاذا امكن استخلاصهُ منها فقد يوجد فيها ما يساوي مليوناً من الجنيهات

فاعترض عليهِ الخواجات ارثر وشركاهم وقالوا انهم يبيعون المليغرام من بروميد الراديوم بجنيه وشلن فاذا كان عندهم اوقية منهُ باعوها باقل من ثلاثين الف جنيه

اكبر بالون

صنع الدكتور برتن الانكليزي بالوناً كبيراً جداً وهو اكبر بالون صُنع حتى الآن طولهُ ١٧٦ قدماً وقطر ثخنهِ ٤٣ قدماً ويسع ٣٣٥ الف قدم مكعبة من غاز الهيدروجين فيرتفع بقوة ١٦٤٥٠ رطلاً ويتصل بهِ طيارات او سطوح طيَّارة تساعدهُ على الطيران والسير في الهواء كأنها شراع لهُ ووضع فيهِ ثلاث آلات بخارية تدار بالغاز ولين قوة كل منها خمسون حصاناً

اشراق الواح التصوير

كتب بعضهم الى جريدة ناتشر يقول انهُ وضع لوحاً من الواح التصوير الشمسي المغشى بالبروميد في مذوب المظهر بيروصودا عشر دقائق ثم رفعهُ منهُ وغسلهُ واطفأ المصباح الاحمر فرأى اللوح قد اشرق في الظلام وكذلك السائل الذي كان فيهِ ولكن اشراقهما لا يدوم الاَّ دقيقة او دقيقتين

نفع الترامواي الكهربائي

ادَّعى احد العلماء الايطاليين ان الشرر الذي يتولَّد وقت سير الترامواي الكهربائي يصلح هواء المدن لانهُ يحول جانباً من اكسجين الهواء الى اوزون والاوزون يطهر الهواء ويزيل منهُ ميكروبات الامراض

استخراج الراديوم

لما ثبت ان الراديوم يفيد كما تفيد اشعة رنتجن تماماً وان جزءا من الف جزء من الغرام موضوعاً في انبوب دقيق كريشة الاوز يغني عن آلة كبيرة من آلات رنتجن تألفت الشركات في المانيا وفرنسا لاستخراجهِ وقد زاد طلب الاطباء لهُ حتى فاق ما يمكن ان يستخرج منهُ

ويظن البعض ان القدماء كانوا يعرفون

الراديوم او انهم اكتشفوا مكاناً يوجد فيهِ فصنعوا منهُ مصابيح تنير دواماً ومنها المصابيح التي يقال انها كانت تنير في بعض الهيا كل والمصابيح التي استخدمها المصريون القدماء في حفر مدافنهم ونقشها

طيارة ريط

صنع المستر ولبور ريط الاميركي آلة طيارة وضع فيها آلة بخارية قوتها ١٦ حصاناً وطار بها في السابع عشر من شهر دسمبر الماضي عن كثيب رمل ارتفاعهُ مئة قدم فطارت اولاً قرب سطح الارض ثم ارتفعت في الجو وسارت ضد ريح سرعتها عشرون ميلاً في الساعة فكانت سرعة الطيارة فيها ثمانية اميال في الساعة . ثم نزل بطيارتهِ حيث اراد . والمظنون ان نجاحهُ اول خطوة حقيقية في سبيل ركوب الهواء

اثمن الاراضي

ان اراضي الاسمعيلية في القاهرة التي كانت تعطى مجاناً في عهد اسمعيل باشا يباع المتر منها الآن بنحو ثمانية جنيهات ويساوي اكثر من ذلك في بعض جهاتها ولكنهُ مهما غلا لا يُعَدُّ غلاؤهُ شيئاً في جنب ما يبلغهُ ثمن الارض في بعض المدن الاوربية والاميركية فقد بيع المتر المربع في كليفورنيا باميركا باربعة وستين الف جنيه وثمن المتر المربع في قلب مدينة لندن ١٢٠٠ جنيه

ثروة ركفلر

اكثر ثروة ركفلر من زيت البترول الاميركي المعروف باسم ستندرد فان لهُ وحدهُ ثلاثة اخماس اسهم شركاتهِ وزادت قيمة هذه الاسهم ٣٠ مليون جنيه في شهر واحد فزادت بها ثروة ركفلر ١٨ مليون جنيه . ويقال انهُ اذا خط بقلمهِ كلمة واحدة زاد بها ثمن الجالون من الزيت نصف غرش زادت ثروتهُ ستة ملايين من الجنيهات . وهو مع ذلك يعيش عيشة من لا ثروة لهُ فلا ينفق على طعامهِ وشرابهِ ولباسهِ مئة جنيه في السنة ويأتيهِ كل يوم مكاتيب كثيرة يتهدَّدهُ اصحابها بالقتل والاغتيال . واذا دفع المبالغ الطائلة للاعمال الخيرية تهكمت عليهِ جرائد اميركا قائلة انهُ يسلب الالوف من اموال الفقراء ويعطيهم العشرات بدلاً منها

ملوحة بحيرة لوط

بحيرة لوط اشد البحيرات ملوحة وقد عُلل سبب ملوحتها بان الامطار تذيب الملح من الارض المجاورة لها وتجري اليها ثم تتبخر ويبقى الملح فيها وبانها كانت اوسع مما هي الآن ثم ارتفعت البلاد كلها بفعل جيولوجي فجف اكثر الماء وكثر الملح في ما بقي منهُ . وقد ذكر العالم اكرويد لهذه الملوحة سبباً ثالثاً وهو ان الرياح تمرُّ على بحر الروم وتحمل منهُ جانباً من الملح فيمتزج بماء المطر الذي يصل الى بحيرة

لوط وهذا يحدث في كل البلدان القريبة من البحار لكن البحيرات التي فيها تكون متصلة بالبحر فتجري المياه منها اليه ولا يتراكم الملح فيها واما بحيرة لوط فلا اتصال بينها وبين بحر الروم فيبقى الماء محصورًا فيها يتبخر ويبقى الملح الذي كان فيه . وقد حلل صخور الارض التي حول بحيرة لوط فلم يجد الملح فيها اكثر منهُ في غيرها وحلل ماء المطر فوجد الملح فيه اضعاف ما يمكن ان يذوب من ملح الصخور

الجرائد الانكليزية

ظهر بالاحصاء ان ثمانية وستين في المئة من جرائد الدنيا ينشر باللغة الانكليزية فللانكليز والاميركيين ثلثا الجرائد كلها ولبقية امم الارض الثلث

المغالاة باللآلىء

بلغ ثمن اللؤلؤ في هذه الايام مبلغًا لم يبلغهُ من قبل لقلة المستخرج من مغاوصهِ وقد كان اللؤلؤ الكبير الحجم التام الاستدارة الكثير الاشراق غاليًا في كل العصور فقد ذكروا ان اللؤلؤة التي اهداها يوليوس قيصر الى ام بروتس تساوي ٣٥ الف جنيه . وسنة ١٦٣٣ دفع شاه ايران ٦٤ الف جنيه ثمن لؤلؤة مستديرة قطرها نحو سنتمترين ونصف . ويقال ان اتم اللآلىء شكلاً ولمعانًا الآن لؤلؤة في متحف روسيا بمدينة موسكو ثقلها ٢٨ قمحة

واكبر اللآلىء المعروفة لؤلؤة هوب وهي في شكل كمثراة طولها نحو ستة سنتمترات وثقلها ١٨٠٠ قمحة

وقد شاهدنا في معرض باريس تسع لآلىء منتظمة بعضها مع بعض في شكل صليب كذا وجدت في صدفتها وكل لؤلؤة منها كالحمصة الكبيرة وثمنها كلها عشرة آلاف جنيه وعند بعضهم لؤلؤة في شكل القلب تمامًا ثقلها ٦٧٢ قمحة وثمنها ٥٦ الف جنيه . ومنذ عهد قريب بيعت لؤلؤة من لآلىء لادي ددلي ثقلها ٢٠٦ قمحات بستة عشر الف جنيه . واذا استمرت المغالاة باللؤلؤ الكبير على ما هي عليهِ الآن بارى الماس في ثمنهِ

الالكحول من المبرزات

استنبط احد الالمانيين طريقة لاستقطار الالكحول (السبيرتو) من المبرزات وهو مثل الالكحول المستقطر من العنب وغيرهِ من الاثمار . فهل يعلم شاربو المسكرات ان عنصرها الالكحول المعروف بماء الحياة قد يكون مستقطرًا من اقذر الاشياء

اثر تل الشهاب

اكتشف الاستاذ سمث حجرًا في تل الشهاب ببلاد حوران عليهِ كتابات مصرية من عهد الملك ستي الاول يستدلُّ منها على ان بلاد حوران كانت في حوزة المصريين في عهد ذلك الملك

رواية البوليس السري

مقدمة المعرّب

قرأت هذه القصة في اللغة الانكليزية واسمها " Bella-Demonia " اي " الشيطانة الظريفة " للكاتبة الشهيرة سلينا دولارو فاعجبني حسنُ اسلوبها وغرابة حوادثها وقد مُثِّلت وقائعها في بطرس برج وفينا ولندن والبلقان وغيرها من مدن اوربا قبيل شبوب الحرب الاخيرة بين روسيا وتركيا والغرض من وضعها اظهار دهاء البوليس السري وقوة النيهيلست في روسيا على وجهٍ فكاهي تاريخيٍّ يروق القارئ ويشوق المطالع . وقد عرَّبتها راجياً ان تكون خير تسليةٍ لقراء المقتطف في اوقات الفراغ

اسعد داغر

الفصل الاول

جون فاين

— ولكن لا يخفى على جنابك ان الاجرة ثلثة ريالات

— اذهب عني سريعاً

— ولكن —.

— ماذا أَلا تزال تعوي دونك هذه الاجرة

ثم دوى الشارع بصراخٍ شديد أَصعده سائق مركبةٍ من جراء ضربةٍ ابتدره بها على وجههِ رجلٌ كان راكباً معهُ وقد نزل في رأس شارع نيوسكي

وكان هذا السائق من عامة الروس المدعوين فلاحين (موجك) وعليهِ جبةٌ بالية من الفرو فوقف مستندًا الى جانب مركبتهِ وقد لاح لعين الناظر فرقٌ عظيم بينهُ وبين ضاربهِ الذي كان منتصباً امام مصباحٍ فبدا على نورهِ قائماً في زيٍّ عسكري ومرتدياً حلةً ضافية من جوخٍ قاتمٍ يغشاها فروٌ فاخرٌ جميل ولابساً قبعةً وقفازين من نسيج الحلة عينهِ ومحتذياً حذاءً دلَّت بساطة صنعهِ ومتانتهُ على انهُ من المصنوعات الانكليزية . وكان شعر رأسهِ المخفي تحت

قبعتهِ اسود اللون وكذا شعر شاربيهِ الاثيث الخشن المُسبل من طرفيهِ على انتظامٍ تام يُواري تحتهُ فماً كالحاً يبسم عن منتهى الشراسة والقساوة

وقف هذا الرجل ينظر الى ذلك السائق المتألم ويدهُ الواحدة مرسلة على فخذهِ والأخرى قابضة خيزرانة لا تنفكُّ تهزُّ بقوة الضربة التي نابت هذا الفلاح المسكين

اما ضربُ الراكب للسائق فلم يكن امرًا ذا بال ولا شيئًا يستحقُّ الملاحظة ولا سيما في وقت حدوث هذه الحادثة. وكأني بركود الهواء في ذلك الزمهرير القارس يردد شكوى ذلك المضروب البائس ويرجّع صدى مرارة صراخهِ. على انهُ اتفق لذلك الصوت ان بلغ مسمع رجلٍ كان قائمًا في بوابةٍ على ذلك الشارع فخرج على الاثر وخفَّ الى حيث كان السائق واقفاً يتظلم من ضاربهِ الجائر العاتي وخاطبهُ بلسان الآمر الناهي :—

— ما شأنك ايها الرجل هلمَّ اخبرني . فالناس لا يُجلَدون عبثًا في شوارع بطرس برج .

فلما سمع الضارب كلامهُ عبس في وجههِ واشاح عنهُ ممتعضاً من فضولهِ . فتأثر السائل من استيائهِ لكنهُ ما لبث ان حيَّاهُ التحية العسكرية وخاطبهُ بلحنٍ شفَّ عن مزيد تعجبهِ واستغرابهِ :

— من ارى ? جوسبودار فاين ? أرانا في غاية المحافظة على الوقت حتى اننا لم نخلف شيئًا من الميعاد

اما السائق فبعد ما حملق في وجهِ هذا المتكلم وثب باسرع من وميض البرق الى مقعدهِ في المركبة واسرَّ الى نفسهِ بصوتٍ متقطع :—

— ديمتري كيراتيف ! رئيس البوليس السري ! يا قديسة كاترينا ! الهرب الهرب !

وقبلما تمكن ذانك الرجلان من النظر اليهِ كان قد اعمل السوط في ظهر جوادهِ وقام يمعن في الركض وينهب بالمركبة الارض وفي اقل من بضع ثوانٍ توارى عن العيان . فقال فاين :—

— نعم انَّ ما اسعى في الحصول عليهِ امرٌ خطير يتطلَّبُ مني افتداء الوقت والحضور في الميعاد ومنك اسراعاً مع تأهُّب واستعداد . ولستَ في حاجةٍ الى الاهتمام بهذا السائق فقد مضى وقضي الامر بعدما تعلّم درسًا مفيدًا لا ينساهُ ابد الدهر . حاول الخبيث ان يأخذ الاجرة مضاعفةً وقد خفيت عليهِ معرفتي فاخطأ سهمهُ الغرض . وعوِّض منها احسن عوض

قال هذا واوغل في ضحكٍ ناشفٍ فصل شفتيهِ احداهما عن الاخرى واسفر عن فكَّين علقت بهما اسنانٌ دقيقة مشحوذة على مسنّ القسوة . ثم سألهُ كيراتيف :—

— وهل جئتَ بالكتاب ?

— نعم هذا هو

واخرج من قمطره قرطاساً مطوياً وقال :—

-- حسبنا هذا فهو فوق ما نطلب . انهُ كتاب من الكسس دورسكي زعيم النيهيلست الى البرنس لاديسلاز غالتزن ومنهُ يتضح لك ما هما عليهِ هذان الرجلان من التحالف الوثيق العرى والصداقة الموطدة الاركان

فاجابهُ رئيس البوليس :—

— نعم هذا اكثر من حاجتنا ثم اشعل مصباحاً اخرجهُ من جيبهِ واخذ يطالع الكتاب على نورهِ بمزيد الامعان . ولما فرغ من تلاوتهِ اطفأ المصباح وطوى الكتاب ووضعهُ في قمطرهِ وقال لفاين :—

— كيف سمع البرنس لاديسلاز بوقوع هذا الكتاب في ايدينا ؟

— استودعهُ شقيقتهُ البرنسس كاريتا غالتزن ومنها تهيأ لي الحصول عليهِ

فرمى رئيس البوليس بنظرهِ الحادّ السريع وجه فاين الذي ابدى التجاهل التامّ من مرادهِ ورماهُ بنظرةٍ مثلها ثم سألهُ بلهجةٍ دلّت على ارتيابهِ :—

— متى تروم ان يُقبض عليهِ ؟

— على الفور على الفور . ينبغي ان لا تمرّ ساعة واحدة حتى يكون مودعاً قلعة مار بطرس وبولس :

— أفي سرعةٍ كهذه ؟

— نعم كي لا يعود يتمكَّن من تمثيل "دورٍ" آخر مثل الذي بعثهُ الطيش والرعونة على تمثيلهِ هذا المساء في النادي

— ولكن يجب ان لا يخرج البتة من القلعة وينبغي ان لا يحاكم هناك

فاجابهُ رئيس البوليس باسماً :—

-- لا تخف . فانهُ قلما يحاكم المسجونون الذين يزجّون في غيابة قلعة القديسين بطرس وبولس حيث رفعت الرطوبة قبابها . وضربت العفونة اطنابها . ورسخت اقدام المواد الفاسد رسوخ النقش في الحجر . وخيم الموت بظلالهِ فلم يغادر لعين حياة المسجونين من اثر . ولستُ محتاجاً ان اذكرك نعومة جسم البرنس وعدم استطاعتهِ الحياة في ذلك المكان المنقطعة عنهُ منافذ الحياة . واظنك لا تبخل علينا بالمساعدة عندما تحضرهُ الوفاة . لان الاحتفال بدفن سجين كهذا مما يرتاح كل غريب مثلك اليهِ . ويود التفرّج عليهِ

فسألهُ فاين متظاهراً بعدم الانتباه الى كلامهِ السابق :—

وهل انتَ واثقٌ من امكان القبض عليهِ في الحال ؟

فاعاد عليهِ جوابهُ المتقدم : —

— لا تمرُّ ساعة حتى يكون مودعاً القلعة بحرص

— اين هو الآن فقد خرج من النادي مسرعاً جداً

— عند امرأتهِ

— ماذا تقول

— عند امرأتهِ لانهُ قد تزوج منذ اكثر من سنةٍ بسريةٍ

— ما سمعت بهذا قط

— لم يسمع بهِ احدٌ غير ديمتري كيراتيف وشقيقة البرنس الاميرة كارينا

— ما شاء الله

— واذا شئت تغيير فكرك فلك نصف ساعة من الوقت وهذا كافٍ للافتكار

— تغيير فكري ؟ لستُ بعادل عن عزمي الى الابد ولا شيءَ افضل من الانتقام فالثأر الثأر وقد سنحت فرصتهُ

وفيما هو عازم على الانطلاق قبض رئيس البوليس على ذراعهِ وخاطبهُ باهتمام قائلاً اعلم ان انتقاماً كهذا سوف يكون هائلاً الى الغاية . وهذه الضربة لا بدَّ انها تنتاب معهُ شقيقتهُ وقرينتهُ

— حسن في احسن

— ويرجح انها تقضي على هاتين المرأتين

فلم يجبهُ فاين بشيءٍ بل عضَّ على طرف سيكارهِ وقدح عود كبريت ليشعلهُ بهِ فلما ادنى النار من وجههِ لاحت بنورها عيناهُ المتقدتان بشعلة المكروها محدقتان الى رئيس البوليس وبعدما تبسم تبسماً ذهب بانتظام وجههِ وشرح متن الشراسة التي انطوى عليها صدره رمى بعود الكبريت الى الارض واعرض عن رفيقهِ بلا كلام منسلاً تحت اطباق الظلام . فقال كيراتيف بنفسهِ وهو يشيّع فاين بنظرهِ : —

— يا لهُ من شيطانٍ ليطانٍ على انهُ مهما يكن من خبثهِ فهو عضو ثمين في جسم فرقتنا الثالثة

ثم اهاب بسائق مركبة كان يخطر بمركبتهِ امامهُ فوثب اليها وطفقت تجري بهِ الى مركز رئيس البوليس العام

الفصل الثاني

الزوجان

لا يعزب عن ذهن المطالع ان اجمل المساكن وابهى المنازل في بطرس برج هو كما في غيرها من امهات مدن العالم قائم على نهرٍ . فكما تظهر قصور اللوفر على السين في باريس مقابل اخصاص شارع اللاتين — وكما تبدو صروح مجلس النواب وقصر ممرست على التيمس في لندن تجاه اكواخ لونشور هكذا تلوح قلعة الشتاء على نهر نيفا في بطرس برج مقابل منازل الفلاحين (الموجك) الحقيرة

ففي هذه المنازل الوضيعة تولدت النيهيلستية وترعرعت وتفشت وعليها تُرسل الحكومة العيون والارصاد بواسطة البوليس السري وفيها يجد من يروم المواراة عن الانظار مخابئ لا يراها بين الغابات والادغال

فاذا سرت في احد شوارعها الضيقة انتهى بك الى بابٍ واطيء ينفتح الى مدخلٍ حرج يؤدي الى كوخٍ اشبه بزريبةٍ وهناك مهما اطلت القرع على بابهِ لا تسمع صوت مجيب ولا تؤانس شيئاً من العلامات الدالة على كونهِ مأهولاً الاّ اذا مسستهُ بعصاً او بحجرٍ فانك في الحال تجاب من الداخل بكلمة تسرُّ اليك فإن كنت مطلعاً على كنه الاصطلاح الموضوع لهذه الغاية اجبت المتكلم بكلمة اخرى لا يلبث الباب عندها ان ينفتح

ولا تطأ رجلاك داخلهُ حتى تشعر تحت قدميك بالفرو المفروشة بهِ الارض ثم تجتاز المدخل الى غرفةٍ مفروشة بجلودٍ من سيبيريا وجدرانها مغشاة بمنسوجات حريرية من اصفهان ومطرَّزات من دمشق وباقي رياشها من افخر العاديات والآثار الهندية والصينية وابدع المصنوعات الاوربية بين مطرزٍ ومرصَّعٍ وموشى مما يطول شرحهُ ويعزُّ استيفاؤُهُ

وفي تلك الغرفة امرأة جالسة على متكإٍ وعلى محياها لوائح الانتظار . وهي البرنسس نادين غالتزن التي كانت قبلاً امَة البرنسس كاريتا والآن اصبحت زوجة البرنس لاديسلاز . ولا ريب في ان هذا الامير الروسي قد اتى ما يستوجب اللوم وسقوط الشأن باقترانهِ اقتراناً غير شرعي بمن هي دونهُ في الرتبة والمقام ولكن كل من ينظر الى زوجتهِ متكئة على سريرها يجد آثار الرفعة على جبينها ودم المكانة سارياً في عروقها ويرى انها اهلٌ لان تقاسم البرنس غالتزن شرف لقبهِ ومجد أُسرتهِ

وبينا هي تنتظر قدوم زوجها بصبرٍ ذاهبٍ وجزعٍ غالبٍ طفقت افكارها تجول في جوّ

السنتين الغابرتين تخيل لها انها عادت الى نعيمها الخالي وخفضة عيشها السابقة وعادت ايام الصفاء تفترّ عن ثغور بالمسرات بواسم · وجوّ الهناء مجلوّ برياح بالافراح نواسم والسعادة محدقة بها جاعلة ايامها كلها اعياداً ومواسم · ايام كانت قائمة بخدمة الاميرة كاريتا وهي عندها كاخت شقيقة لا كامة رقيقة

ثم لاح لعينيها البرنس لاديسلاز راجعاً من المدرسة الكلية فتى غض الاهاب في ريعان الصبا وعنفوان الشباب · واسترجعت لها ذاكرتها صوت استيقاظها لصوت جديد كان يناجيها من نحوه ومثلت لعينيها صورة تدرجها في الاقتناع بانهُ كان قمر زمان احلامها وقبلة وجدها وهيامها · واخطرت على قلبها ذكر اول وقت وقعت عيناها على عينيه · وقاسمتهُ بالنظر شرح غرام يعجز البليغ وصفهُ ولا يقوى الكلام عليه

وتذكّرت نجاحها بعد ذلك في عقد الخطبة من غير علم ابي الامير لاديسلاز وما ألمَّ بها من الكدر حين بلغها انهُ حان وقت انطلاق خطيبها لمباشرة خدمته في فرقة حرس القيصر وكيف انهُ اقنع قسيس كاهن القصر اذ ذاك بان يعقد قرانهما سرّاً ثم هربا الى بطرس برج حيث قضيا السنة الاولى متجاذبين اطراف السرور والهناء وآخذين باسباب الرغد والصفاء. ولعلّ ايمن يوم عندها من تلك السنة السعيدة كان يوم زارتها الاميرة كاريتا في مخبإها واعتنقتها داعية اياها باحلى اسم — يا اختي · اما خفاء امر اقترانهما فكان مهمّاً جداً لان الامير لاديسلاز غالتزن الفرع الوحيد لدوحة عريقة بالمجد والشرف طائرة الصيت بالوجاهة ورفعة الشأن في اطراف المملكة كان قد اتُّهم في عهد طيشه وهو في المدرسة بالنزوع الى المبادىء الحرّة وكان في عزم القيصر ان يزوّجهُ ابنة اقدم بيوت حزب المحافظين في روسيا وهذا كان الباعث على وجوده في الحرس القيصري واخفاء خبر اقترانه الذي لم يكن احدٌ عالماً به سوى اخته وشخص آخر هو ديمتري كيراتيف رئيس الفرقة الثالثة — (البوليس السري) — التي تجدها في روسيا الى اليوم هولاً على البلاد ورعباً في قلوب العباد · على ان ديمتري كيراتيف كان مدبوناً بجميل عظيم لبيت غالتزن فكان شديد الحرص على هذا السر الخطير حتى حدث ما جعلهُ يعدُّ كتمانهُ ذنباً لا يغتفر · وجريمةً ضد وليّ نعمته القيصر

قلنا ان نادين كانت جالسة في احدى غرف مخبإها وهي قلقة لغياب روحها وريحانها وموجسةً خوفاً من ان تُلمّ به مصيبةٌ لم تكن في حسبانها · فبينما هي في هذه الحالة سمعت وقع خطواته قادماً في الدار وما لبث ان دخل قائلاً : —

— هانذا يا حبيبتي نادين

ثم عطف عليها مطفئاً ببرد تقبيله لما نار هواجسها وجالياً برقة حديثه صدأ بلبالها فزال خوفها وسكن روعها وامنت شرَّ مغتالٍ يناجي حبيبها في غيابه عنها اذ رأته جالساً بجانبها في راحةٍ وامان لا خوف عليهما ولا هما يحزنان . فرفعت نظرها اليه وقالت :

— اراني في غنى عن وصف خوفي عليك فاعلم ان كل ساعة لا اراك فيها انقلب على مجامر الاضطراب خوفاً ان يوقعوا بك ولعلهم يجدون في عصيانك اوامر القيصر سبباً كافياً للقبض عليك . فاحترس — آه رحماك احترس يا حبيبي والاَّ فاقلُّ شيء يصيبك يجرعني غصص الموت معك ان لم اقل قبلك

فاجابها : تشجعي يا حبيبتي تشجعي اذ ليس ما يوجب الحذر ولا ارى من خوفٍ علينا ولا خطر ما داموا غير قادرين ان يقفوا لنا على اثر . ولستُ بجاهل شقاء حالك ان تمكنوا من الاطلاع على حقيقة امرنا وهتكوا حجاب سرّنا ولكن دعينا من هذا الحديث الذي لا يفيد واعلمي انهُ سيطرقنا عما قليل زائرٌ جديد

— زائر ؟

قالت هذا وقد اتقدت عيناها بنار الخوف والوجل

— نعم فلطالما سمعتني اذكر امامك الكسس الكسندروفتش

— مرادك الكسس دورسكي النيهيلستي ؟

— نعم هو هو خدني الصفيُّ القديم ورفيق عهد المدرسة الوفيّ الحميم وهو آتٍ هذه الليلة الى بطرس برج ولكن سرًّا حتى عن العصبة التي هو مقدامها وزعيمها

— آه يالاديسلاز ما اقل دربتك ودرايتك !

— لستُ في شيء مما تدعين لاني على يقين تام انهُ ليس في مجيئهِ اقلُّ داعٍ الى الخوف والارتياب ومن المستحيل ان ينتاب الكسس دورسكي مكروه يروعنا فكوني براحة بال من هذا القبيل

وفيما هو يتكلم دخل خادمها الشيخ الموكولة اليهِ وحده حراسة الاميرة نادين وقال للامير :

— هوذا رجل طاعنٌ في السن يعرف شعار الدخول و يروم ان يرى سموك

— الىَّ بهِ

وبعد نحو دقيقة رُفعت الستائر فاجتاز من ورائها الى الداخل شيخ يحمل على ظهره خرجاً وبعد دخولهِ وخروج الخادم قام منتصباً وخلع عنهُ اسمال التنكر ونزع لحيتهُ العارية ووقف امام الاميرين بهيئة جبار عنيد يفل عزمهُ الحديد

— الكسس الكسندروفتش !

— لاديسلاز لاديسلافتش !

ثم تعانقا عناق اهل الاشواق وتشاكيا ألم النوى والفراق

الفصل الثالث

القاء القبض

وبعد ما فرغا من مطارحة السلام التفت البرنس لاديسلاز الى زوجته وقال لها وهو لا يزال آخذاً بيد صديقهِ : —

— هوذا يا نادين صديقي القديم الكسس الكسندروفتش دورسكي

اما هي فبعد ما تغلبت على روعها رفعت نظرها الى وجه الزائر وقالت : —

— سمعت عنك كثيراً يا الكسس الكسندروفتش من قريني لاديسلاز فاهلاً بك خير قادم الى مخبإنا هذا

فاجابها : —

— لا ريب في انكِ خفتِ ايتها الاميرة من زيارتي هذه ولكن صدقيني ان خوفك في غير محلهِ ولستُ ما حييتُ بفاعل امرًا يعود على قرينك بمكروهٍ ولاجل هذه الغاية تريني زرتكما هذه الليلةِ متنكراً

— ارجو ان يكون الامر كما ذكرت

ثم سألهُ لاديسلاز : —

كيف الاحوال

— على غاية ما يرام هنا وفي الخارج . فان لنا اصدقاء كثيرين في الدوائر العليا حتى في فرقة الحرس القيصري كما في كلٍ من فرق البوليس الثلاث . وبعد بضع سنين — ولعلهُ بعد اشهرٍ قليلة تصبحُ روسيا حرةً مختارةً . وما فعلهُ لاجلنا اسكندر الثاني سوف يفعلهُ ايضاً ويزيد عليهِ اصلاحاتٍ تمزق من عنق روسيا اغلال الاستعباد والاستبداد وتنيلها غاية المشتهى ونهاية المراد . والآ —

وهنا انقطع عن الكلام انقطاعاً ادرك لاديسلاز معناهُ لكنَّ زوجتهُ التفتت اليهِ التفاتة الخوف فقال لها : —

لا تخافي يا عزيزتي فلست بمؤتمرٍ ولا ساعٍ بمكيدة وما انا والكسس سوى صديقين حميمين . لا تظني اني احد فؤاده فوحقّ القديسة كاترينا لستُ بمقدمٍ على اقل شيء يُعرّض حياتي للخطر . ولذا تربيني مسالمًا الجميع من عظمة القيصر الى اصغر الناس ولستُ بعد في شيء من المبادىء النيهيلستية بل قد اقلعتُ عن هذه الاميال وغادرتها في المدرسة الكلية. واذا كانت تلك الجمعية السرية التي كنت قبلاً احد اعضائها لا تنفكّ عاملةً على تنفيذ مبادئها فانا براء من تبعة ذلك كلهِ

ثم ختم كلامهُ بقهقهةٍ واتكأ بجانب زوجتهِ فقال دورسكي : —

— لا ريب في ذلك وهو حسبنا فلا حاجة الى الزيادة . وانظرا فقد جئتكما بهدية

قال هذا واخرج من جيبهِ غلافًا من جلدٍ وفتحهُ فاذا فيهِ رسمهُ ضمن إطار (برواز) مرصّع بالاوبال (حجر كريم) فقدمهُ الى الاميرة وقال : —

— هذه مني هدية قرانك السعيد فتفضّلي بقبولها ولعلها تذكرك من هو مستعدٌّ على الدوام ان يبذل حريتهُ بل يضحي حياتهُ اذا مست الضرورة في سبيل الذود عن قرينك

— اشكر لك من صميم فؤادي هذه الهدية التي اقدرها قدرها ولكن قل لي بربك لماذا جعلتهم يرصّعون اطار الرسم بهذا النوع من الحجارة الكريمة. اني اتشاءم بهِ كثيرًا ولذا اخشى الآن ان تعرونا نكبة او نصاب باذى مفاجىء . اقول هذا وارجو ان تصفح عمّا تراهُ فيَّ من الاستسلام الى الخرافات والاعتقاد بصحة مزاعم العامة

فقال زوجها : — خلّي عنك الباطل فوحقّ جميع القديسين ان هذا الرسم جميل الى الغاية وسيذخر عندنا كاثمن كنز

وبينما كان الثلثة ينظرون الى الرسم معجبين بما في إطارهِ من الاتقان والاحكام اعترض سكوتهم ثلث قرعات عنيفة على الباب الخارجي وصوت صارخٍ في هدوء الليل : —

— افتح باسم جلالة القيصر :

فغشيتهم صفرة الوجل واخذوا ينظرون بعضهم الى بعض . ثم خفّ لاديسلاز الى وضع الرسم في جيبهِ وصاح دورسكي : —

— وحق السماء لقد برح الخفاء . ولكن لا يمكن ذلك . فحضوري في هذا المكان لم تحلم بهِ نفس انسان ولا خطر على بال انس ولا جان . لا بأس . خبئني . أخفني عن النظر

فاسرع لاديسلاز الى إطار احدى الصور الكبيرة المعلّقة وادار لولبًا فيهِ فانفتحت الصورة عن فراغٍ واسع وراءها في الحائط واسرّ الى دورسكي قائلاً : —

— هنا ! الى هنا ! بالعجل ! لا تبدِ حراكاً

وما ابطأ دورسكي ان جمع اليهِ خرجهُ وثياب التنكر التي دخل فيها وانسل الى مخبإِهِ وقال لصديقهِ : —

— اياك ان تنبه الافكار الى وجوي هنا بكلمةٍ او نظرةٍ فاني لا أُأخذ من هذا المكان حيًّا

ثم اغلق لاديسلاز الصورة ورجع الى متكإِهِ بجانب امرأتهِ التي أُغمي عليها من شدة الخوف واذ ذاك أُعيد القرع على الباب الخارجي وتكرَّر الطلب : —

— افتح باسم جلالة القيصر :

فاجاب الامير بصوتٍ عالٍ يكفي لاسماع من هم خارجاً : —

— افتح الباب : فليس من باعث يدعو سكان هذا البيت الى الخوف من حرس ابينا القيصر

ثم ارتفع صوت وقع الخطى وصليل الاسلحة في الرواق ودخل ديمتري كبراتيف فسألهُ الامير بلهجة العظمة : —

— ما المراد بهذا ؟ انظر كيف اخفت . . . . مربتي حتى كاد يُقضى عليها من شدة الرعب . وما من مأوى عندنا لاهل الشبهات

— ان غرضي مع سموكم !

— معي انا ؟ وما هو ؟

— اني مأمورٌ بالقبض عليك لسبب خيانةٍ ضد اقنوم جلالتهِ المقدَّس

— لخيانةٍ ؟ مني انا ؟ وما هي هذه الخيانة ؟

— خيانة صداقة الكسس دورسكي الثائر !

فجرت هذه الكلمات في مسمع الاميرة الذاهبة فريسة الاغماء نظير مجرًى كهربائيٍّ نبَّه إدراكها واعاد لها رشادها فصاحت : —

— ليس هو هنا ليس هو هنا !

فاجابها رئيس البوليس : —

— نعم ليس هو عندكم وادارة البوليس مطلعة على حركاتهِ وتعلم اين هو الآن ولكنَّ الامير مشكوٌّ بكتابٍ جاءهُ من دورسكي وهو الآن في ادارة البوليس

فسألهُ الامير : —

— كيف امكن —

فاعترضهُ رئيس البوليس : —

— لسنا الآن في معرض التحقيق وعلى سموك ان تتبعني في الحال
اني مستعد لذلك

وهمّ ان يتبعهُ لولا انهُ خطر بباله رسم دوورسكي الذي في جيبهِ فمدَّ يدهُ الى حيث الرسم باسرع من نشب السهم لكنَّ عين رئيس البوليس الحادّة كانت تتأثر كل حركاتهِ فلما رآهُ يمدُّ يدهُ ظنهُ يحاول اخراج آلة حادةٍ يستعين بها على الدفاع عن نفسهِ فهجم عليهِ ونادى الجند الواقف خارجاً فلبَّاهُ اثنان وانقضاَ على الامير وشدّا وثاقهُ ثم دنا رئيس البوليس منهُ ومدَّ يدهُ الى جيبهِ فأخرج الصورة وصاح :—

— ما حاجتنا بعد الى شهود . يكفينا ان الامير حاملٌ رسم ذلك الخائن فهلمَّ بنا

فاجابهُ الامير :—

— دع رجالك يذهبون يا كيراتيف فانَّ لي شيئاً اقولهُ لك

فامرهم كيراتيف بالانصراف ولما خرجوا سألهُ الامير :—

— الى اين قضي عليَّ بالذهاب ؟

— الى قلعة شلسبرج

فراع الامير هذا الخبر لكنهُ تغلب على روعهِ فأخفاهُ وقال متجلدًا :—

— يا كيراتيف كلانا يعلم ما وراء الذهاب الى هذه القلعة . وهذه السيدة امرأتي فدعني أكلمها خمس دقائق فقط وما اخالك تبخل عليَّ بهذا الامر واعدك بشرفي اني انتظرك هنا

فاجابهُ رئيس البوليس متأثرًا

— ليكن لك ما طلبت فها انا ذاهب وبعد خمس دقائق اعود

ولما خرج دنا الامير من زوجتهِ وقال لها :—

— نادين حبيبتي نادين انظري . لا بأس مما حدث فانهم لم يقفوا على خبر وجودهِ هنا . وبعد خروجي من هنا ساعديهِ على النجاة واخبريهِ بان القبض عليَّ حدث بدسيسة جون فاين لاني اهنتهُ هذا المساء في النادي . فان اصابني اذى فقولي لهُ ان ينتقم لي ولك واطلبي اختي كاريتا فانها تعتني بك مدة سجني . تشجعي ولا تخافي

واخذ يحاول تعزيتها وقد نسيَ ان الخمس دقائق في مثل هذه الحالة تمرُّ اسرع من ثانية فرفع نظرهُ واذا بكيراتيف واقف بالباب فنهض وخرج معهُ

ولما خرجا الى الشارع صعد بهِ رئيس البوليس الى مركبة كانت تنتظرهُ وامر سائقها فسارت ووراءها فارسان يتبعانها وبعد ساعةٍ بلغت بهما قلعة شلسبرج

الفصل الرابع

زعيم نيهلست

اما الكسس دورسكي فبعد ما تحقق ذهاب رئيس البوليس فتح اطار الصورة وخرج ثم دنا من السرير الذي كانت الاميرة مطروحة عليهِ بلا حراك فجثا بجانبهِ وقال لها : —

— اتوسل اليكِ ايتها الاميرة ان تسمعي كلامي فان الليل اخذ يتناهى وصرت مضطرًا ان اذهب فانهضي وارعيني سمعك

فحاولت الاميرة الجلوس بكل صعوبة ولما وقعت عيناها على عيني ذلك النيهيلستي اشاحت عنهُ مذعورة وصرخت : —

— اليك عني دعني وشأني لا استطيع ان اراك لانك كنت سبب القبض عليهِ

— كلاَّ ايتها الاميرة لم يقبض عليهِ بسببي بل بمكيدة كيدت لهُ هذه الليلة . واني أُقسم لكِ بقدس القديسين و بالحرية التي وقفتُ نفسي على الذود عن حرمتها والدفاع عن ذمارها لأثارنَّ لزوجك ثأرًا ترتعد لهولهِ فرائص الانس والجان ولانتقمنَّ لهُ انتقامًا لم تسمع بهِ اذنٌ ولا خطر على بال انسان

— نعم نعم فقد اوصاني ان أُخبرك بان الذي نصب لهُ هذه المكيدة رجل انكليزي يدعى جون فاين فاحلف لي نشدتك الله احلف لي انك اذا قتلوا لاديسلاز تطالب بدمهِ

— اقسم لكِ اني انقطع للانتقام منهُ الى آخر نسمةٍ من حياتي

— شكرًا لك — شكرًا . ولكن آه أيُّ الم —

ثم ارتمت عليها فوارت وجهها بين يديها وعادت الى ما كانت عليهِ قبلما اقترب الكسس اليها فوقف يتفكر في امرها وقلبهُ يكاد ينفطر حزنًا على شقاء حالها . ثم حدثتهُ نفسهُ بوجوب السعي في انقاذ صديقهِ ان ابقوهُ حيًا الى الصباح فسألها : —

— قولي لي اما من صديقةٍ لكِ فادعوها اليكِ ؟

فاجابتهُ بانفاسٍ يقطعها التنهد والانين : —

— بلى كاريتا

فنهض ولبس ثياب التنكر وخرج يهيم تحت ذيول الليل

وبعد ساعةٍ أُوقظ حارس قصر غالتزن بقرعٍ على الباب فخاطب الطارق بلسان الغيظ والحنق : —

— صعقتك الصاعقة . فماذا تريد في مثل هذا الوقت ؟

— باسم جلالة القيصر وامر البوليس السري ارفع كتاباً الى سمو الاميرة كاريتا الكسدروفنا.
فهرول الحارس الى فتح الباب واذا بشيخ يحمل خرجاً وقف امامهُ وقال لهُ : —
— سلم هذه الرسالة الى احدى اماء الاميرة في الحال. ينبغي ان تبلغها على الفور أفهمت؟
فاجابهُ الحارس صاغراً وقد ظنهُ احد البوليس السري متنكراً : —
— امرك يا صاحب السمو
وبعد نحو ساعة قامت مركبة الاميرة كاريتا غالتزن تنهب الارض عادية بها الى جهة نهر نيفا وكان ذلك قبل طلوع النهار بثلث ساعات . اما الشيخ فبعدما ادَّى الرسالة قفل راجعاً وعطف نحو ساحة القديسة كاثرينا حيث كانت اربع مركبات واقفة تنتظر ركّاباً ولمّا اجتاز سائقيها الذين كانوا مجتمعين عند باب للتدخين وضع احدى يديهِ على فخذهِ وادلى اصابعها ورفع الثانية الى أُذنهِ وفاه بالتحية المعتادة فاجابهُ احدهم بما معناهُ "جيد" وظلَّ الشيخ سائراً في طريقهِ واسرع السائق الذي اجابهُ على تحيتهِ الى مركبتهِ وجرى بها يتأثرهُ فاجتازهُ عند مصباحٍ فأعاد عليهِ الشيخ الاشارة التي ابداها لهُ اولاً فدنا منهُ بمركبتهِ قليلاً فقال لهُ الشيخ : —
— ما اجملها ليلة
— ما انقى الهواء
— ان الهواء روسيٌّ
— يجب ان يستنشقهُ الناس
ثم نطق الشيخ بهذه الكلمة "خورسكو" فزاد السائق اقتراباً منهُ حتى التصق بهِ فصعد الشيخ الى المركبة وسارت بهِ حتى بلغت منعطفاً في الطريق فاشار الشيخ الى السائق بالوقوف فامتثل وخرج الشيخ من المركبة ودنا من السائق واراهُ اطاراً صغيراً من ذهب منقوشاً عليهِ صليب احمر فهمس السائق : —
— يا مار نيقولا ! هذا الرئيس !
ثم انحنى امامهُ بمزيد الاكرام وخاطبهُ بكل احترام : —
— بماذا يأمر مولاي ؟
— ان احد سائقي مركبات الاجرة ذهب في هذا الليل بأسير الى احدى القلاع فعليك ان تأتي بهِ الساعة العاشرة صباحاً الى حيث أُعين لك في هذه الورقة
ثم رقم لهُ على قطعة ورق بضع كلمات تمكن السائق من تلاوتها جيداً على نور المصباح ومزّقها على الاثر وقال : —

— سآتي به الى مولاي في المكان المعهود والوقت المحدود

— حسن . سلام وحرية

— امين . حرية وسلام

وفي اليوم التالي جلس الكسس دورسكي في الوقت المعين امام موقدة في غرفة من احد احياء بطرس برج القديمة وهو مضطرب البال مشتت الافكار ولما صارت الساعة العاشرة دخل السائق الذي لقيهُ امس في شارع نيوسكي يصحبهُ سائق آخر وهو الذي كان موضوع كلامنا في اول هذه القصة . وبعد ما ألقى عليهِ دورسكي نظرة التفحص والانتقاد وعرض عليهِ بعض الرموز والاشارات وتحقق انهُ من اتباعهِ قال : —

— هل استخدمك البوليس امس ؟

— نعم يا صاحب السمو

— الى اية قلعة سرت بالاسير ؟

— الى قلعة شلسبرج

— هل تعلم شيئاً من امر القبض عليهِ ؟

— في اول المساء استأجرني رجل غريب فسرت بهِ الى اول شارع نيوسكي وهناك طلبت الاجرة فبادرني بضربةٍ من عصاهُ وهذا اثرها . ثم لقيهُ كيراتيف وبعد افتراقهما دعاني رئيس البوليس فذهبت بهِ الى مركز الادارة ثم الى نهر نيفا ثم سرت بالامير الى القلعة . آه مهلاً ايها الكلب الغريب فسوف انتقم منك !

— هل دعا كيراتيف ذلك الغريب باسمهِ ؟

— نعم يا صاحب السمو وهو — وهو — فان —

— جون فاين ؟

— نعم نعم هو بعينهِ

— يكفي . سلام وحرية

— امين . حرية وسلام

ثم انصرف السائقان وبقي دورسكي وحدهُ فقال : —

— والآن يا جون فاين . بقي ان الامر انحصر فيما بيني وبينك . فاحذر ان أُصيب لاديسلاز غالتزن باذىً في قلعة شلسبرج . نعم احذر كل الحذر فان الارض بما رحبت أَضيق من ان تواريك عن النظر

الفصل الخامس

الاميرة كارليتا

وبعد يومين جلست الاميرة كارليتا غالتزن في احدى غرف قصرها السفلى ناكسة الرأس مشتتة الحواس قريحة الاجفان اليفة الاحزان وهي تعيد النظر مرة بعد اخرى في مستودع اوراقها بلهفة واهتمام لا مزيد عليهما لعلها تظفر بما انقطعت للتفتيش عنهُ · ثم سمعت وقع اقدام في الدار واذا بباب الغرفة انفتح وجون فاين داخلٌ بغير استئذان وبعد ما جلس قال مفتتحاً كلامهُ :—

— كنت انتظر من لطف الاميرة ان ترسل وتدعو عبدها المطيع بعد غيابهِ عنها ثماني واربعين ساعة · فماذا حدث جديداً واي امر خطير جرى فشغل الاميرة عني · قال هذا مبالغا في التكرما شاء ومتناهياً في المكر والدهاء · فاجابتهُ مطرقةً معرضة :—

— كنتُ عندما ذهبا فريسة مكيدتك وهما الآن على فراش النزع يجرعان غصص الردى اليوم او غدا

— اليك ايتها الاميرة عن المجاز ولا تكلميني بالالغاز

— ليس في كلامي شيء من الغموض والخفاء بل هو غاية في الصراحة والجلاء · اما وانت الجاني على امرأةٍ وطفلها جنايةً لا تغتفر لمجرَّد حب الانتقام من رجلٍ لم يوقع بك اقل ضرر · وليس لهُ ذنبٌ ولا جريمة سوى اطلاعهِ على دخيلة نفسك الاثيمة

— لا اعلم ما تعنين بهذا فلم ارتكب قط جنايةً ولا سعيت باحد

— اعني انك سعيت في القبض على اخي بواسطة كتابٍ استودعتنيهِ وانت سرقتهُ من هذا المكان شأن الخانة الانذال

— يسوءني ولا شك ان يسوء مصير اخيكِ · على ان من كان ذا علاقة مع الخائنين المؤتمرين على القيصر ليس لهُ ان يتزوج ولا سيما هذا الزواج السرّي

فنهضت الاميرة ودنت منهُ وقالت :—

— من اعلمك اني اتكلم عن امرأة اخي ؟

فادرك خطأهُ واجابها :— لم اعلم ولكن ظننت ومن شدة هياجك استنتجت انَّ —

فاعترضتهُ وقالت :— اي جون فاين خلِّ عنك الكذب والبهتان لم انتظر منك رفقاً ولا رحمة لاني لستُ اجهل قسوتك وشراستك · ولكني اخجل — نعم اخجل عنك الى حدّ اني اخجل منك فماذا فعلت بالرقيم ايها الوغد · فقال

— اخشى ايها الاميرة ان يتحول بينا هذا المشهد الى ما لا نشتهيهِ ويتعذَّر علينا تلافيهِ فان كان اخوكِ قد أُخذ بخيانة نفسهِ فذلك يشقُّ عليَّ جداً لانهُ سيعود عليك بنتائج محزنة وان كان خرقةُ وزفةُ حملاهُ على عقد زواجٍ سري فذلك ايضاً يسوُّني بالنظر الى سوء عاقبتهِ على سريتهِ . وان كانت قد ماتت كما ذكرتِ فذلك خيرٌ لها وابقى من ان تعيش قرينة رجل منفيٍّ في سيبيريا

— يا لك كلباً

— احذري ايها الاميرة فاني لستُ متعوّداً الصبر على مثل هذا الامتهان ولستُ بصافحٍ عمن يتعمدهُ نحوي ولو كان هو اياكِ اسمعتِ ؟ لا اعفو ولا اصفح . وهل تظنين اني رجل حلو المذاق يسهل العبث بهِ على من يريد ؟ او نسيتِ اني قبل الآن برهنت لكِ فساد هذا الظن باجلى بيان ؟ فتذكَّري ان نفعت الذكرى واحذري ان تعودي الى مثل هذا التعدي

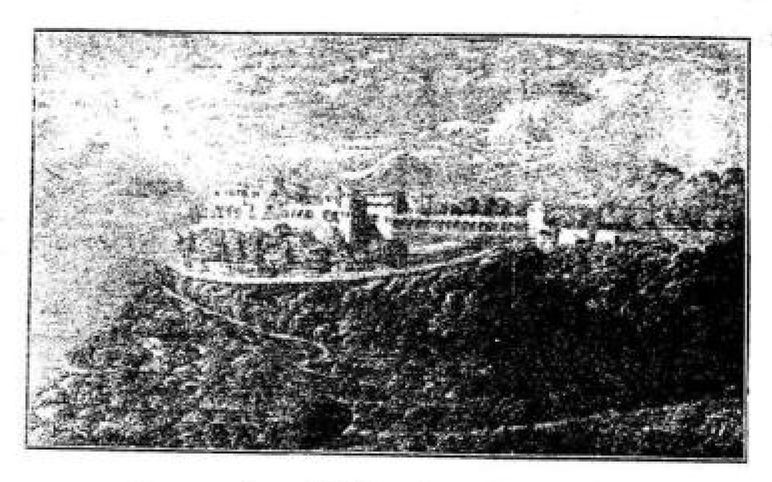
فاشارت بيدها الى الباب وقالت : —

— اذهب عني يا أشأم من البوم ولا تدعني بعد أرى وجهك المشوم ونفسك المطبوعة على الخساسة واللؤم . اذهب والاَّ امرتُ خادمي ان يأتي ويخرجك مصفوعاً بيدهِ مرفوساً برجلهِ . او تظنني انا — انا كاريتا غالتزين — ارهب جانبك يا جاسوس البوليس ؟ ساء فألك وخذل شأنك . اسمعتني ؟ انا انا المطالبة بما يصيبك من الامتهان ان لم تغرب عني

— أرى على كلٍّ انهُ لا فائدة من هذه المشاحنة ومن الصواب حسمها الآن ريثما يسكن جاشكِ وتصبحين قادرة على الاصغاء الى دفاعي عن نفسي . لاني انكر كل هذه التهم وسوف يبرهن لك المستقبل صدق كلامي ويكون الاختبار اكبر مدافعٍ عني واعظم محامٍ والآن استودعك الله على رجاء ان تكوني في المرة التالية ارقَّ جانباً واسهل مراساً ولقد عذرتكِ على ما فرط منكِ فخير الناس من عذر

قال هذا وخرج يتعثَّر باذيال الخزي والخجل ولما خلت الاميرة بنفسها عادت الى ما كانت عليهِ فاخفت وجهها بين يديها ووصلت سلسلة افكارها التي قطعها قدوم جون فاين . ثم نهضت واستعدت للخروج من القصر عازمة على السعي في الاجتماع باخيها كيف كان الامر غير جاهلة صعوبة الموانع التي تحول دون وصولها الى مطلوبها

فقضت ذلك اليوم جائلةً في دوائر الحكومة العليا من عند وزير الى آخر حتى التمست اخيرًا فأُجيز لها ان تقابل القيصر نفسهُ وما خيم الليل الأَّ كانت مسلحة باوامر عالية تأذن لها في المرور الى قلعة شلسلبرج مصحوبة برئيس البوليس الحربي

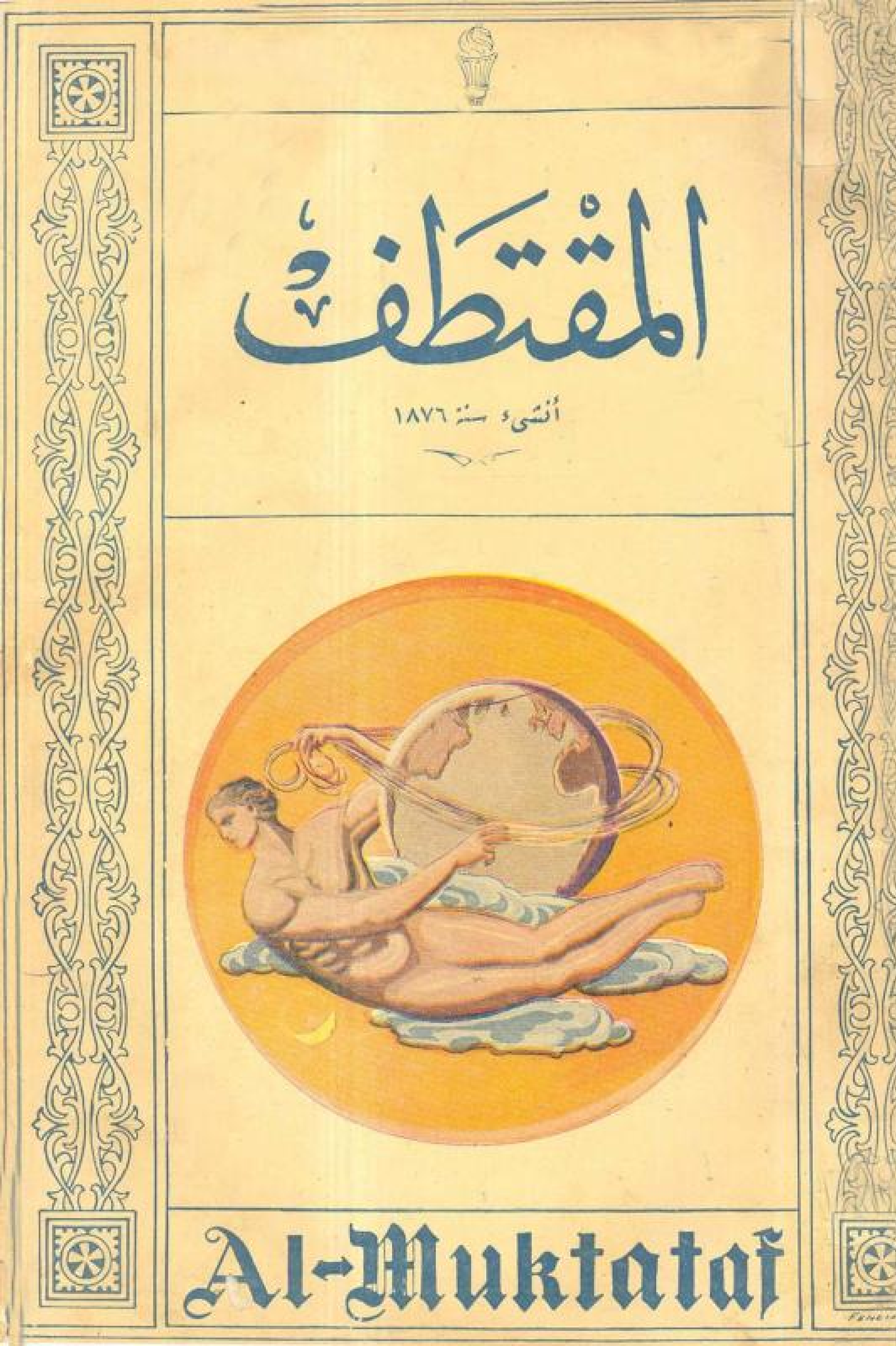


سراي بتدين (بيت الدين) كما كانت منذ ستين سنة



نقش شبكيته خطوط متوازية

فهرس الجزء الثاني من المجلد التاسع والعشرين


المقتطف
أنشىء سنة ١٨٧٦
Al-Muktataf

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد التاسع والعشرين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٤ ذي الحجة سنة ١٣٢١

الحرب بين الروس واليابان

نكتب هذه السطور وقد تفاقمت الخطوب في الشرق الاقصى وقامت اليابان بنت الامس في العمران الحديث تتهدَّد روسيا المنيعة الجانب الشديدة الصولة التي يدين لها مئة وثلاثون مليونًا من النفوس وتخفق رايتها على نصف اسيا واكثر من نصف اوربا · وتحسب اليابان انها تعود من هذه الحرب ظافرة غانمة لانها اعدَّت من الاساطيل في بحرها وبحر الصين ما هو اقوى من الاسطول الروسي الذي هنالك ولأنها معتمدة على محالفتها مع انكلترا · وقد ضربت الضربة الاولى قبل ان تعلن الحرب رسميًّا فبيتت الاسطول الروسي وباغتتهُ فاستغرب الناس منها هذه الجرأة ولامها انصار السلم على ذلك اعتقادًا منهم انها لو ضربت اجلاً لانتهاء المخابرات والشروع في القتال اذا لم تُجَب الى مطالبها لتساهلت روسيا لها فامتنعت الحرب او لاستعدَّت للقائها فما تركتها تفوز في اول واقعة فتغتر ويحملها الغرور على مداومة القتال

وكان الاقدمون يحتفلون باعلان الحرب احتفالاً عظيمًا ولا تهجم امة على امة حربًا ما لم تنذرها مرارًا · فكان عند الرومان طائفة من النذراء لا عمل لها الاَّ اعلان الحرب للخصوم قبل الشروع فيها وجرت اوربا على هذه الخطة حتى انهُ لما عزم لويس الثالث عشر ملك فرنسا على محاربة اسبانيا في اوائل القرن السابع عشر بعث نذيرهُ الى بلاط ملك اسبانيا ينذرهُ بذلك. ثم لما عزم كارلس العاشر ملك اسوج على محاربة الدنمارك لم يسر خطوةً قبلما وصل نذيرهُ الى عاصمة الدنمارك وانذر ملكها بعزمهِ على محاربتها

ولما نشبت حرب القرم بعثت روسيا تنذر الباب العالي بذلك قبل وقوع القتال بثلاثة ايام ثم لما حاربتهُ ثانية سنة ١٨٧٧ انذرتهُ بالحرب يوم عبرت جنودها تخوم رومانيا · وكذلك لما

عزمت فرنسا على محاربة المانيا امرت وكيلها في برلين ان يعلن بسمارك بذلك . الا ان الحروب التي ابتدأت قبل اعلانها اكثر من الحروب التي ابتدأت بعد اعلانها حتى جرى عندهم القول المأثور اضرب ثم اعلن

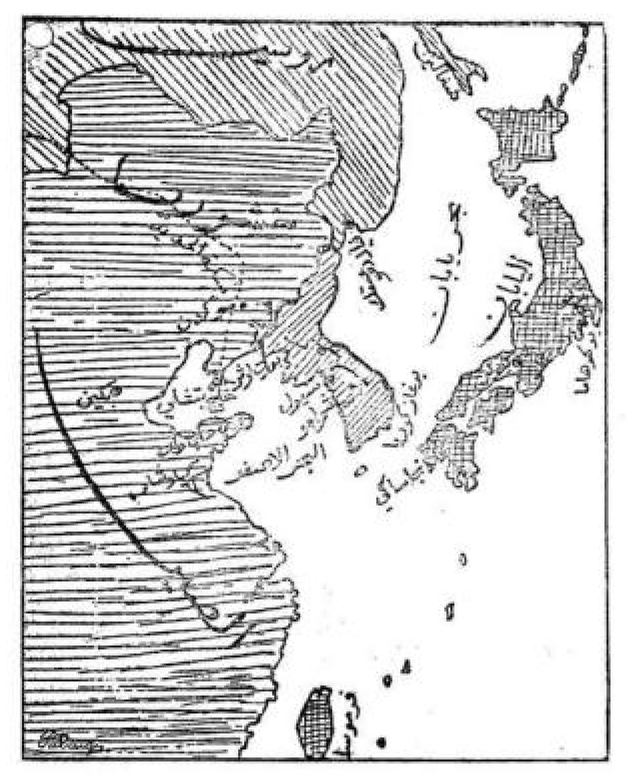
واسباب هذه الحرب طمع الدول الاوربية في مملكة الصين الوسيعة فان كل دولة منها تخاف ان تستأثر غيرها بنصيب اكبر من نصيبها ولذلك اتفقت كلها على الامتناع عن تجزئتها وعلى منع ارتقائها. ومدت روسيا سكة الحديد في سيبيريا واوصلتها الى منشوريا وهي الجزء الشمالي الشرقي من بلاد الصين وابلغتها بحر الصين وادَّعت ان الصين لا تستطيع حفظها لاختلال الاحكام فيها فاحتلَّت منشوريا كلها بحجة المحافظة على هذه السكة. فانذرتها الدول مرارًا بالجلاء عنها وفي جملتها دولة اليابان فلم تجلِ ورأت اليابان ان بقاء روسيا في منشوريا يتهدَّد بلاد كوريا ولليابان مصالح جمَّة في تلك البلاد فطلبت منها الجلاء عن منشوريا او تنفصل الحرب بينهما فمطلتها روسيا في الجواب ولعلها قصدت ان يجتمع لها اسطول كبير هنالك قبل ذلك فلم تستطع اليابان صبرًا وقطعت العلائق السياسية مع الروس في ٥ فبراير وارسلت جنودها الى شمولبو مرفإِ سيول عاصمة كوريا في ٨ فبراير وامرت اسطولها بالهجوم على اسطول الروس في بورت ارثر . وبورت ارثر هذا مرفأ شرقي باكين تنتهي فيه سكة منشوريا وقد استأجره الروس من الصينيين وحصنوه وجمعوا اسطولهم فيه فهجم عليه الاسطول الياباني في الثامن من فبراير واستأنف الهجوم في التاسع منه وقد وصف مكاتب الدايلي مايل هذه المعركة وصفًا مسهبًا قال

معركة بورت آرثر

وصلت في ١٠ فبراير الى ينهو (بنشوريا) في قطر خصوصي من بورت ارثر وكتبت رسالتي هذه وانا فيه حتى لا ابطئ في ارسالها فاني لم اجد سبيلاً الى الخروج من بورت ارثر قبلاً ولا الى ارسال تلغراف طويل كهذا اذ قد منعوا السفن كلها عن السفر من بورت آرثر منذ حدوث المعركة امس الثلثاء وخصوا تلغراف سكة الحديد برسائل رجال البحرية والجيش وغيرهم من موظفي الروس دون سواهم

هذا وفي صباح يوم الاثنين (٨ الجاري) صدرت الاوامر الخصوصية الى جميع الضباط وصف الضباط والعساكر البحرية التي في السفن الروسية والمستشفى العسكري البحري بالانتقال الى البوارج الروسية الراسية خارج مدخل الميناء في بورت ارثر وهذا المدخل يغلق كل ليلة. وفي منتصف الليل استيقظ اهل بورت ارثر على اصوات المدافع الكبيرة فاسرعتُ الى بطرية

التل واشرفت منها على البحر فرأيت ست نسافات يابانية (سفن الطربيد) قد اقتربت من الاسطول الروسي حتى صارت على بعد نصف ميل منه فقط وقد حاكت بوارج الروس في انوارها ومداخنها واشاراتها واعلامها كل المحاكاة ودنت منها جدًا قبل ان تشعر بها . ثم اطلقت كلها طرابيدها عليها فاصاب ثلثة منها البارجتين الروسيتين زاروتش وزتفيزان والطراد



الروسي بلاّده وطاشت البقية . فعادت هذه البوارج الثلاث الى مدخل الميناء حذرًا من الغرق اذا بقيت في الماء العميق واطلقت البوارج والحصون الروسية نارًا حامية متواصلة على النسافات اليابانية لكن اربعًا منها نجت من نارها واصيبت الخامسة فغرقت واشرفت السادسة على الغرق ففرّ بحارتها منها ونجوا بانفسهم ثم استحوذ الروس عليها قبلما تغرق وبعد ما ولّت النسافات اليابانية سارت الطرادات الروسية بقيادة الاميرال البرنس اخوتمسكي للبحث

الاستكشاف ثم عادت وانتهت المعركة الساعة الثالثة بعد نصف الليل وقد خسر الروس فيها ثمانية قتلى و٢٠ جريحاً ولم تصب العمارة الروسية ولا حصون الروس بضرر كبير ما عدا تعطيل البارجتين والطراد التي مرّ ذكرها وكان في الميناء نسافات روسية كثيرة وكذلك مدمرات روسية ولكنها لم تكن مستعدة حينئذٍ لدفع هجمة النسافات اليابانية . فقد فاجأ اليابانيون الروس بهجومهم وادهشوا الناس بخفة حركاتهم وما بدا من جرأتهم وشجاعتهم

وفي صباح الثلثاء (٩ الجاري) جاءت الاخبار من دالني (مدينة بالقرب من بورت ارثر) انهم رأوا الاسطول اليابانيّ متوجهاً غرباً مصطفّاً في شكل الهجوم وقبل الظهر بساعة رأيناه مقبلاً وقد اصطفت بوارجهُ صفين وهي خمس عشرة ست بوارج وستة طرادات من الطراز الاول وثلثة من الطراز الثاني . وكان للروس حينئذٍ خارج الميناء ثلاث عشرة من البوارج والطرادات الكبيرة بقيادة الاميرال ستارك وهذه غير الثلاث التي عطلت واستقرت على الارض في مدخل الميناء الداخلي . وكان الجزر حينئذٍ

فدار القتال وابتدأت المعركة باطلاق البطرية البرية لمدافعها الكبيرة وكانت الريح تهب خفيفة والدخان يحجب ما يجري عن العيون ولكني رأيت كل ما يرى عن تل هناك مقابل مدخل الميناء . فوقعت قنبلتان بالقرب مني ونحو عشرين قنبلة في القسم القديم من المدينة والميناء الغربي حيث كانت بواخر كثيرة راسية من بواخر الامم التي على الحياد . ولما ابتدأت المعركة فرّ اهل المدينة منها الى تل يقيهم شر القنابل وانفجرت قنبلة كبيرة من قنابل اليابانيين فدمرت بعض المحلات الكبيرة والبنك الروسي الصيني . وكان الناس قد هجروا الشوارع ووقف رجال البوليس يحفظون النظام واظهرت النساء والاطفال شجاعة عظيمة وتقاطرت العساكر من الثكنات المجاورة لتحتل اماكن منيعة وتصد اليابانيين عن النزول الى المدينة اذا حاولوا النزول اليها

وجرت بوارج اليابانيين تمخر غرباً حتى اذا قابلت البارجة منها بوارج الروس على بعد اربعة اميال اطلقت مدافعها عليها وكانت بوارج الروس على بعد ميلين من الشاطئ . واشتبك القتال بين الاسطولين بالمدافع فعددت اكثر من ٣٠٠ قنبلة من قنابلها لم يصل منها الى الغرض الأ القليل وبعضها لم ينفجر وانتهى اطلاق المدافع عند الظهر وجرت البوارج اليابانية جنوباً بعد ما خسرت بارجة واحدة وعُطّل طراد كبير منها وطارد الطراد الروسي نوفيك سفينة صغيرة يابانية واغرقها ثم اصابتهُ قنبلة عند حد الماء ولكنهُ وصل الى الميناء سالماً فهنأ الاميرال ستارك ربانهُ القبطان اسن بالاشارة قائلاً احسنت احسنت وهتفت لهُ بوارج الروس كلها

بالتهانىء . وكانت السفن الثلاث التي عطلت تطلق مدافعها على اليابانيين ايضاً مع سائر البوارج الروسية ساعة المعركة ثم جاء مدّ البحر فطفت احداها زاروتش وقطرت الى الحوض الكبير حيث تصلح الآن واما الطراد بلاده فقد اصلح ما عطل فيهِ بنفسهِ وانضم الى الاسطول واما البارجة رتفيزان فكانت لا تزال مستقرة على الارض عند خروجي من بورت آرثر . واصيبت الباخرة كازان من بواخر الاسطول المتطوع بقنبلة في الميناء الداخلي . وعاد السكون كما كان في الساعة الاولى بعد الظهر وجيء بالجرحى الى المستشفى انتهى . ثم اتضح من الاخبار التي وصلت بعد ذلك ان مدافع اليابانيين اصابت بارجة وثلاثة طرادات روسية في ذلك اليوم وان الروس خسروا في هذه المعركة ٩٠ نفساً بين قتيل وجريح ويقول اليابانيون انهم خسروا ٥٨ نفساً

وهجم اسطول ياباني آخر في ٩ فبراير على مرفإِ شمولبو غربي كوريا وكان فيهِ طرّاد روسي ومدفعية روسية وجرى بينهُ وبينهما معركة هائلة وصفها مكاتب الدايلي مايل في سيول عاصمة كوريا فقال

معركة شمولبو

ان السفينتين الروسيتين الحربيتين وهما الطراد فارياق والمدفعية كوريتز حصرتا في مرفإِ شمولبو فلم تجدا الى النجاة سبيلاً وحاولت المدفعية كوريتز الخروج من المرفإِ بعد ظهر الاثنين (في ٨ الجاري) فرأت امامها الاسطول الياباني وهو مؤلف من ستة طرادات ومثلفتين وثماني نسافات فاضطرت ان تعود الى مكانها

وانزل اليابانيون جنوداً من سفن النقل ثم اعلنوا قومندان السفينتين الروسيتين بالحرب وبانهم يهاجمونهُ في المرفإِ اذا لم يخرج منهُ حتى ظهر يوم الثلثاء واعلنوا ايضاً قومندانات بقية السفن الحربية التي على الحياد (بابتداء الحرب)

وفي الساعة السابعة من صباح الثلاثاء تفاوض قبطان الطراد فارياق مع رؤساء السفن الانكليزية والفرنسوية والايطالية على ظهر السفينة تلبت الانكليزية وطلب حمايتهم في خروجهِ من المرفإِ فلم يلبوا طلبهُ فعاد الى سفينتهِ . وللحال اخذت السفينتان فارياق وكوريتز تخففان حملها بطرح ما فيهما من الخشب ونحوهِ في البحر واجتمع بحارتهما وانشدوا النشيد الروسي الوطني وكانت الموسيقى تصدح فيهما وهما سائرتان الى نزال الاسطول الياباني

ووقف الضباط والبحارة في السفن الانكليزية والايطالية والفرنسوية وجعلوا يحيون البحارة الروسيين باعلى اصواتهم وسار زورق انكليزي الى سفينة الاميرال الياباني وسلم اليهِ رسالة

قبل القتال فيها الاحتجاج على ما يفعله . وكان الاسطول الياباني بقيادة الاميرال اوريو على ستة اميال من السفن الاجنبية التي في المرفإ . وقبل الظهر بعشر دقائق اطلق طراد ياباني قنبلة قطرها ثماني بوصات على السفينتين الروسيتين وهما خارجتان من المرفإ ثم اطلق قنبلة ثانية وثالثة وحينئذٍ اجابهُ الروسيون وكان المدى بينهم وبينهُ ٢٤٠٠٠ قدم

واصطف الاسطول الياباني للقتال وعند الظهر اشتركت ستتهُ كلها في اطلاق المدافع اطلاقاً متواصلاً على السفينتين الروسيتين وكان اكثرها مسدَّدًا على الطراد فارياق وحاول الروس الخروج من خط النار ولكن اصابت الفارياق خمس قنابل الواحدة بعد الاخرى وكانت مدافع اليابانيين الرشاشة تحصد رجالهُ حصدًا واصابت قنبلة منها رجال مدفع فقتلتهم او جرحتهم كلهم الأَواحدًا واصابت قنبلة اخرى مدفعاً فاحرقت الذخيرة كلها ومزقت قنبلة خشب المرقب وحرقتهُ فاضطر المدفعية ان يبطلوا اطلاق المدافع نحو خمس دقائق لان الفارياق صار شعلة من نار وكانت القنابل تشويهم شيًّا وتمزق اعضاءهم تمزيقاً ولكنهم بقوا امام مدافعهم يطلقونها بالاحكام

اما المدفعية كوريتز فلم يلحق بها ضرر كثير ولم يصب احد من بحارتها على ما يظهر وحاول الفارياق الاحتماء بجزيرة هناك ولكن اصابت قنبلة آلتهُ التي تدير الدفة فعزم قبطانهُ ان يعود بهِ الى المرفإ ويلقيهُ على البر حتى لا يأسرهُ العدو ولكنهُ اضطر ان يتأخر في رجوعهِ الى المرفإ لان الكوريتز بطيئة السير وظل يطلق مدافعهُ على العدو في رجوعهِ الى ان دخل المرفأ ورسا على ٩٠٠ قدم من السفينة الانكليزية وحينئذٍ بعثت اليهِ السفن الراسية في المرفإ بالجراحين وقد قتل من رجالهِ اربعون رجلاً وضابط واحد وهو الكونت نيارد وجرح منهم ٦٤ وضابطان اما الذين اصيبوا من رجال الكوريتز فقلال جداً وادعى اليابانيون انهُ لم يصب منهم احد وان القنابل الروسية لم تصب سفنهم

واعلن قبطان الفارياق عزمهُ على نسف طرادهِ والمدفعية كوريتز فنقل رجالها الى السفن الاجنبية الراسية في المرفإ ونسف المدفعية كوريتز في الساعة الرابعة تماماً وفتح ابواب الماء في الطراد فارياق واغرقهُ بعد ان اشعل ما فيهِ من الذخيرة وحرقهُ لكي لا يقع في يد اليابانيين وحرق ايضاً الباخرة الروسية شنغاري لكي لا تقع في يدهم

ولم يذكر هذا المكاتب ولا مكاتب النيويورك هرالد الذي شهد هذه المعركة ووصفها وصفاً مطولاً ايضاً ما لحق بيوارج اليابان من الضرر ولكن المسيو باولوف الذي كان سفير روسيا في كوريا قال ان السفينتين الروسيتين اغرقتا طراداً يابانيًّا وعطلتا آخر تعطيلاً كليًّا

حتى غرق قبلما حرقنا وغرقنا واما اليابانيون فينكرون ذلك · وفي ذلك اليوم احتلَّ اليابانيون مدينة سيول عاصمة كوريا

وفي ١١ فبراير مرَّ الاسطول الروسي الذي كان في فلادفوستك بمرأًى من جزيرة يزو اليابانية واحرق سفينة تجارية يابانية. وفي ذلك اليوم مست الباخرة الروسية ينيدي التي تركب الالغام لغماً عرضاً فنسفها واغرق ٥٦ نفساً فيها

وفي ١٣ منهُ عادت بعض النسافات اليابانية الى بورت آرثر واطلقت بعض طرايدها على البوارج الروسية ثم رجعت وهي تظن انها اصابت بارجة بطرايدها والروس يكذبون ذلك ويقولون انهُ في ١٤ الجاري مست قنبلة سفينة من سفنهم المتطوعة فلم تلحق بها ضرراً يذكر

وفي ٢٣ فبراير عاد اليابانيون يرومون سد مدخل الميناء في بورت آرثر فاحبط الروس سعيهم في ذلك وتفصيل الخبر ان اليابانيين ارسلوا اسطولاً من نسافاتهم تحت جنح الظلام مع اربع بواخر مشحونة مواد متفرقعة وملتهبة قاصدين ايصال تلك البواخر الى مدخل الميناء واغراقها فيهِ لسدهِ فدنوا من المدخل بعد نصف الليل بساعتين و٤٥ دقيقة وهم يحسبون ان الروس نائمون او لاهون كما وجدوهم في هجمتهم الاولى ولكن الروس احسوا بهم قبل ان يبلغوا المدخل فابتدروهم بالقنابل من البارجة رتفيزان ومن المدافع التي على البر حتى اذا اصبح الصباح وجدوا انهم قد دمروا البواخر الاربع وان ثماني نسافات يابانية قفلت راجعة الى الاسطول الياباني فجد ثلاثة طرادات روسية في اثرها ثم عادت والظاهر انها لم تدركها وانهُ لم يسفك دم في هذه المعركة · وقد بقي مدخل الميناء مفتوحاً كما كان وعاد اليابانيون بخسارة البواخر الاربع · هذه هي رواية الاميرال الكسيف الرسمية ويستدل من رواية هافاس ان الفضل في رد اليابانيين على اعقابهم كان للبارجة رتفيزان التي عطلتها النسافات اليابانية بالطربيد في هجمتها الاولى على بورت آرثر

واستأنف اليابانيون الهجوم على بورت آرثر مراراً بعد ذلك لكي يسدوا مدخلهُ ويحصروا العمارة الروسية فيهِ فلم يفلحوا حتى اليوم الاخير من شهر فبراير حين كتابة هذه السطور

هذه خلاصة ماجرى بحراً واما براً فاهم ما طيرهُ الينا البرق ان الاميرال الكسيف انتقل باركان حربهِ الى خربين حتى اذا ظفر اليابانيون في المستقبل بتخريب سكة الحديد وحصار بورت آرثر كان هو واركان حربهِ خارجها · وان الجنود اليابانية التي احتلت عاصمة كوريا زحفت قاصدة نهر يالو الفاصل بينها وبين منشوريا وان الجنود الروسية تسير قاصدة ذلك النهر وقد عبرهُ بعضها استعداداً لملاقاة الجنود اليابانية . وان الاسطول الروسي الذي مرَّ

بالسويس منذ مدة ووصل الى جيبوتي بقيادة الاميرال ويرينيوس عاد بامر من حكومتهِ راجعاً الى روسيا ولكنهُ لم يعبر قنال السويس حتى الآن

وقد اغتاظ الروس من فعل اليابان غيظاً شديداً ونشرت حكومتهم منشوراً رسمياً في ١٨ فبراير قالت فيهِ

"لقد مضى ثمانية ايام منذ اهتزت روسيا كلها سخطاً وحنقاً على عدو قطع المفاوضات فجأة ورام ان ينال فوزاً هيناً في حرب طالما تمناها بمهاجمتنا غدراً . فالامة الروسية تروم الانتقام العاجل بذاهب الصبر وتنتظر اخبار الشرق الاقصى باهتمام لا مزيد عليهِ . وكل من تدبر اتحاد الشعب الروسي وقوتهُ لا يبقى عندهُ ريب في ان اليابان ستلقى العقاب الذي تستحقهُ على غدرها واثارتها للحرب حين كان قيصرنا المحبوب باذلاً جهدهُ في تأييد السلام بين الامم

"على ان الاحوال التي تجري هذه الحرب فيها تضطرنا الى الصبر والانتظار حتى تأتينا اخبار انتصار جنودنا وذلك لا يكون قبل ان يحارب الجيش الروسي العدو في معارك فاصلة ولبعد ساحة الحرب عنا ورغبة القيصر في المحافظة على السلم لم نستعد لهذه الحرب قبل وقوعها بزمان طويل . فلا بد من مرور زمان طويل على روسيا حتى تضرب اليابان الضربات التي تليق بقدرها وتناسب قوتها وتؤدب تلك الامة التي استفزتها الى هذه الحرب التأديب الذي تستحقهُ مع بذلنا الجهد في حقن دماء ابنائنا . فلا بد لروسيا الآن من انتظار ذلك بالصبر الجميل موقنة ان جيشنا ينتقم لنفسهِ مئة ضعف من عدونا . ولا بد من انتظار الحرب براً مدة ايضاً وكذلك اخبار الحرب لا تأتينا من ساحة الحرب باكراً . ولا يليق بعظمة روسيا وقوتها ان تسفك دماء ابنائها على غير جدوى . هذا وان بلادنا تظهر من الاتحاد والرغبة في افتداء مصلحة الامة بنفسها حتى ان كل خبر حقيقي يأتينا من ساحة القتال يكون حقاً للامة كلها فتطلع عليهِ حالاً"

وقد اطلعنا على وصف مسهب للاسطول الروسي والاسطول الياباني في جريدة السينتفك اميركان التي يعوَّل عليها في هذه المسائل فنشرنا خلاصتهُ في باب الاخبار في هذا الجزء . وفضلنا نشر هذا الفصل عن الحرب هنا على نشر ما كنا نريد نشرهُ من فلسفة سبنسر لان للحرب الحاضرة اكبر شأن في مصالح البشر وعليها وسيكون مدار المناظرة القديمة العهد بين الشرق والغرب . فان فازت روسيا وسحقت دولة اليابان بقي الفوز للغرب على الشرق قروناً كثيرة وان فازت اليابان ولم تعارضها اوربا في إنهاض بلاد الصين فلا يبعد ان يعود الفوز للشرق في بلاد المشرق في القريب العاجل

———

لباس الرأس

اذا ألف الانسان عادة وتأصلت فيهِ تصبح لديهِ في حكم الاعمال المقدسة فيعدّ الاستماتة في الدفاع عنها من الباقيات الصالحات والاستهانة بشأنها من السيئات المرديات

والناظر في الاديان السماوية الشائعة لا يعثر في تضاعيف اسفارها على ما يحتم عليهِ ان يتمسك بهِ من العادات اللهمَّ الاَّ ما كان لهُ علاقة بالاخلاق والآداب اذ الديانات ما جاءت الاَّ لتدعو الى معرفة الصانع المبدع وتكفّ من تعادي البشر وتردعهم عن سُبُل الغواية وتطهر نفوسهم واعدة بمعادٍ ثانٍ كلّاً من اصلح اعمال قلبهِ وتقرَّب بانواع الزُلفى من ربهِ . وما ظهرت الاديان ذا وهم الواهمون لتعريف العلوم وتحديد الصناعات وما يحتاجهُ الناس في هذه الحياة الدنيا

ولقد لغط بعضهم هذه الآونة في مصر والشام بفتوى استصدرها احد سكان الترنسفال في الرخصة بلبس المسلمين القُبّعة [1] مجاراةً لمواطنيهم من الافرنج وتفاديًا من ان ينالهم اذًى اذا ظلوا محتفظين بشعار رأسهم حتى كاد يوقن من لا يعرف الاسلام ان لبس القبّعات من الطامات وان ماتواطأ اهل هذا العصر على ستر رؤوسهم بهِ من الصوف او الوبر او القش او الحرير او القطن على اختلاف اشكالهِ هو عماد الدين وأسّ اساس اليقين . على ان الامر اقلّ مما توهموهُ واكبروهُ يناقضهُ ما ورد في الحديث الصحيح من ان الشارع الاعظم قال كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة . وقال ابن عباس كلْ ما شئت والبس ما شئت ما خطئتك اثنتان سرف او مخيلة

وقد ثبت انهُ عليهِ الصلاة والسلام لبس الجبة الرومية مع انها من لباس النصارى واكتسى الطيلسان [2] الكسروي وهو لبوس مجوس الفرس وكذلك الصحابة لم يتحرجوا من لبس اهل البلاد التي افتتحوها نصارى كان اهلها ام مجوسًا . وصحّ ان الناس نساء ورجالاً لبسوا البرانس [3]

---

(١) القبعة كقبرة خرقة تخاط كالبرنس كان يلبسها الصبيان وقد اطلقت على « البرنيطة » لما بين الاولى والثانية من الشبه . جاء في تاج العروس وصاحب القبيع مصغرًا لقب الشريف عمر بن احمد الاهدل الحسيني لانهُ كان يلبسهُ دائمًا على راسهِ وهو مثل القلنسوة من خوص النخل

(٢) الطيلسان مثلثة اللام وليس عربيًا اصلهُ بالفارسية تالسان قال في التاج ومن المجاز يقال في الشتم يا ابن الطيلسان اي انك اعجمي لان العجم هم الذين يتطيلسون والجمع الطيالسة

(٣) جاء في التاج البرنس بالضم قلنسوة طويلة وكان الناس يلبسونها في صدر الاسلام قالهُ الجوهري او هو كل ثوب راسهُ منهُ ملتزق بهِ دراعة كان او جبة او ممطرًا قالهُ الازهري وصوبوهُ وهو من البرس بالكسر القطن والنون زائدة وقيل انهُ غير عربي

اول الفتح من غير نكير مع انها من لبوس اهل النصرانية . وقد سئل مالك عن البرنس وكان من لباس الرهبان فقال لا بأس بهِ قيل لهُ فانهُ من لبوس النصارى قال كان يلبس ههنا . وقال عبدالله بن ابي بكر ما كان احد من القراء الا لهُ برنس رواهُ بن حجر . وجاء في سفر السعادة للفيروزابادي انهُ صلى الله عليهِ وسلم لبس السراويل ولبس العمامة بغير قلنسوة (٤) ومع القلنسوة والقلنسوة بغير العمامة وكان يجعل العذبة بين كتفيهِ في اكثر الاحوال . قال وكان يلبس الثوب المعلم والثوب الساذج والثوب الاسود والفرو المعلم على اطرافهِ بالسندس وكان لهُ جبة خسروانية مفرجة عليها مجف من الديباج مخيطة واما الطيلسان فانهُ كان يلبسهُ حال الحركما في اليوم الذي امر فيهِ بالهجرة فانهُ جاء في نصف النهار الى بيت ابي بكر وهو مطيلس واما حديث انس كان يكثر القناع يعني يلبس الطيلسان كثيرًا فحملهُ بعضهم على اوقات الضرورة وفي السفر

ويروى ان ابا يوسف من اصحاب ابي حنيفة ارتأى تخصيص العلماء بزيّ خاص في الملبس ليُعرفوا فيطاعوا وتكون كلمتهم العليا اينما حلوا فتابعهُ على هذا الرأي بعضهم واراد ان يبرّر هذا التجوز و يجعل لهُ مأخذًا من الدين . قال محمد صديق حسن خان في حسن الاسوة في تفسير قولهِ تعالى "يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين" : واستنبط بعض اهل العلم من هذه الآية ان ما يفعلهُ علماء هذا الزمان في ملابسهم من سعة الاكمام والعمة ولبس الطيلسان حسنٌ وان لم يفعلهُ السلف لان فيهِ تمييزًا لهم وبذلك يعرفون فيلتفت الى فتاواهم واقوالهم . قال السبكي ومنهُ يعلم ان تمييز الاشراف بعلامة امر مشروع ايضًا انتهى . واقول ما ابرد هذا الاستنباط وما ابعدهُ وما اقلّ نفعهُ وجدواهُ لاسيما بعد ما ورد في السنة المطهرة من النهي عن الاسراف في اللباس وإطالتهِ وقد منع من ذلك سلف الامة وائمتها فاين هذا من ذاك وانما هو بدعة قبيحة شنيعة مردودة على صاحبها احدثها علماء السوء ومشايخ الدنيا ومن هنا قال علي القاري في معرض الذم لاهل مكة لهم عمائم كالابراج وكمائم كالاخراج . وما ذكرهُ من ان زيّ العلماء والاشراف في هذا الزمان سنة ردّهُ ابن الحاج في المدخل بانهُ مخالف لزيهم في زمن النبي وزمن الخلفاء الراشدين وبعدهم من خير القرون فان قيل انهم بهِ يعرفون قيل انهم لو بقوا على الزيّ الاول لعرفوا بهِ ايضًا لمخالفتهِ لما عليهِ غيرهم الآن اه

(٤) القلنسوة والقلنسية اذا فتحت القاف ضممت السين واذا ضممت القاف كسرتها تلبس في الراس ج قلانس وقلانيس وقلنس

وليس لدينا الآن من مستند اكيد ينبئنا بتبدُّل اللباس حيناً بعد آخر الأَّ بقايا مما نُضد في المتاحف العامة من تماثيل الناس وعُرض من ازيائهم على اختلاف العصور والاقطار. قال احدهم اذا اردت ان تعرف العالم فانظر الى بيتك وعلى من احب الوقوف على ازياء أُمة ان ينظر الى حالتها الحاضرة ويقيس الحاضر بالغابر فالتاريخ يعيد نفسهُ وما اشبه الليلة بالبارحة

وإنك لترى المغربي اليوم يلبس من الثياب ما لا عهد للمصري بهِ ولهذا من الازياء الخاصة ما باين لباس العراقي والشامي. وللفارسي والطاغستاني ازياء تختلف بعضها عن بعض على قرب الجوار وكذلك البلوجستاني والافغاني والصيني والهندي والبخاريّ والجاويّ والياباني والزنجباري والسوداني والصومالي فلكل من هؤلاء الاجناس زي خاص برؤُوسهم وابدانهم فمن برنس الى عمامة خضراء او بيضاء الى طربوش اسود او احمر الى عقال وكوفية الى لبادة وقبعة قش او صوف الى قلنوسة وعرقية وكلها تدور على وقاية الرأس من لافح الحر ونافح البرد

وقد يختلف هذا الزي في القطر الواحد نفسهِ والبلد الواحد ولا يُعلل ذلك الأَّ بتشتت الاهواء واختلاف التربية والملكات خصوصاً في اهل قطر قضي عليهِ ان يكون مزيجاً من اجيال الناس وعناصر بني آدم. حتى ظن مرة احد سياح الافرنج وهو يجول في شوارع دمشق وقد رأى اختلاف الناس في ازيائهم وهندامهم وشاهد انواع الالبسة والاكسية ان عند القوم مرفعاً (كرنفال) لبس لهُ كلٌّ ما يغش بهِ صاحبهُ لتنقلب سحنتهُ وسيمتهُ لما رأى من وجه الشبه بين سكان تلك الحاضرة واهل بلادهِ في اكتساء بعض ابنائها اكسية غريبة للاستضحاك والمزاح في ايام معلومة من السنة

سرى داء الازياء في اهل هذه البلاد وخصوصاً المسلمين منهم فكان لباسهم مدة ثلاثة عشر قرناً وربع قرن تابعاً لفواعل الزمن وعوامل الحكام والاعاظم. ومن العادة ان يتشبه المغلوب بشعار الغالب ومن العادة ان يسنَّ علية الناس العادات ويتشبه بهم سائر طبقات القوم اذ يعتقدون الحسن والمصلحة فيما يصدر عن الكبير ويزعمون الخير في تقليدهِ . وقد عقد ابن خلدون فصلاً في ان المغلوب مولع ابداً بالاقتداء بالغالب في شعارهِ وزيهِ ونحلتهِ وسائر احوالهِ وعوائدهِ فما قالهُ فيهِ وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على اهلهِ زي الحامية وجند السلطان في الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انهُ اذا كانت امة تجاور اخرى ولها الغلب عليها فيسري اليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد من امم الجلالقة[٥]

(٥) جليقية كافريقية بلد بالروم متاخم للاندلس واليهِ ينسب عبد الرحمن بن مروان الجليقي من الخارجية بالاندلس والجلالقة جيل من الناس (تاج)

فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم واحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت

لاجرم ان تغيير الازياء جرى على ما اقتضتهُ حالة المجتمع والسياسة والذوق الخاص بل تصرف على قاعدة بقاء الانسب وارتقاء الازمان . فان المنصور لما رأى الحاجة ماسة الى الاتحاد في لباس الرأس وكانت بدأَت المدنية تدبُّ في اعصاب أُمتهِ ودولتهِ الزم الرعية على ما روى الذهبي بلبس القلانس الدنيّة مشبهة بالدن [٦] في طول شبرين تعمل من ورق على قصب وتغشى بالسواد قريبة الشبه من الشربوش . قال ابن الاثير وسنة ١٥٣ اخذ المنصور الناس بتلبيس القلانس الطوال المفرطة الطول فقال ابو دلامة

وكنا نرجّي من إمام زيادة　　فزاد الامام المصطفى في القلانسِ
تراها على هام الرجال كانها　　دنانٌ يهود جُلّلت بالاطالسِ

ولما عزم السلطان محمود العثماني على استبدال البسة الجند والعمال باللباس الاوربي والاستعاضة عن العمائم العجراء والقواويق بالطرابيش استصدر فتوى من باب المشيخة الاسلامية في لباس السراويل القصيرة على شرط ان لا تكون ضيقة لئلا يحصل التشبه بالافرنج ثم ضاق السراويل على طول المدى واصبح كسراويلات الافرنج ومعاطفهم «جاكيتات» وتحسنت حالة الطربوش الى ما نراها عليهِ لهذا العهد وتنوسي انهُ من لبوس الروم

وبعد فان تغيير العادات من شاقّ الاعمال لا يعمل فيها الاَّ الأسوة والقدوة وحب التقليد والزينة فلا تؤثّر فيها القوانين الدينية ان وجدت ولا المدنية ان وضعت . قال منتسكيو في كتابهِ روح الشرائع اذا اراد الحاكم تغيير عادات امة وطبائعها يجب ان يكون ذلك باستبدالها بغيرها لا بقوة القوانين لان القوانين من وضع الحاكم وخاصة بهِ اما الاخلاق والعادات فهي من وضع الامة عامة . وضع بطرس الاكبر احد اعاظم قياصرة الروس قانونًا قضى بهِ على امتهِ ان يحلقوا لحاهم ويلبسوا ثيابًا قصيرة كالاوربيين فاقام الجند تكمن في الطرق لتقبض على من خالف هذه الاوامر وتقصر الثياب الطويلة الى قبيل الركبة . قال مونتسكيو وتلك طريقة مجحفة لانهُ لم يكن من حاجة لهذا الملك ان يضع قانونًا توصلاً الى هذا التغيير بل كان يتأتى لهُ الاكتفاء بفعلهِ هو بنفسهِ ليتخذهُ الناس مثالاً

(٦) قال صاحب القاموس دنية القاضي قلنسوة شبهت بالدّن والدن الراقود العظيم او اطول من الحب او اصغر لهُ عسعس لا يقعد الاَّ ان يحفر لهُ قالهُ الشريشي في شرح المقامة التاسعة للحريري ان اصل الدنية الدنينة كسفينة وهي قلنسوة محددة الاطراف يلبسها القضاة والاكابر وليست من كلام العرب وهي عراقية

وقال بنثام الانكليزي في اصول الشرائع وغرض بطرس الاكبر من هذا الامر اما ان يكون ارضاء لهؤاء الخاص لاستقباحهم لباس امته القديم واستحسانه لباس الاوربيين واما ان يكون قصد الى تهذيبهم وجعل اخلاقهم وطباعهم على مثال الاخلاق الاوربية التي كان يعتقد انها احسن طريق توصلهم الى السعادة فرأى ان التشبه في الاخلاق يلزم ان يتقدمهُ التشبه في اللباس ليتجانس الفكر بين الاثنين . وقال ان مجلس النواب الانكليزي اصدر قانوناً سنة ١٧٤٥ يقضي به على سكان جبال ايكوسيا ان يخلعوا لباسهم المليّ وكان الغرض من هذا القانون امرًا سياسياً لان هؤلاء الجماعة تعلقوا بهذا اللباس واحتقروا سكان السهول لاكتسائهم الاكسية الاوربية من عهد بعيد فلما لبس زعيم اولئك الجبليين هذا اللباس العتيق اهتزوا طرباً منهُ وانضووا تحت لوائهِ وثاروا على الحكومة فاخضعتهم واطفأت ثائرتهم وطمعت حينئذٍ في ابطال هذا اللباس وكان يهيج في نفوسهم افكارًا قديمة تجعلهم حزباً واحدًا وما كان هذا الامر لينسيهم ذاك اللباس بل كانت ذكراهُ تتجدد على المدى ودام العمل على هذا خلال نصف قرن تقريباً حتى ظهر للحكومة ان لا فائدة فيهِ وثبت لها وجه ضررهِ فالغتهُ واصبح رجال هاتيك الجبال من اعظم ابطال الجنود واهل الاخلاص من رجال السيف عند الانكليز ولا يبعد ان تفتر هممهم وتضعف عزائمهم لو عاملتهم انكلترا بالاكراه والقسر

نتج من هذه القواعد ان الحاكم اذا اراد احداث تغيير مهم في الامة يجب عليهِ ان يسير الهوينا ويجانب الطيش والتطرف تفادياً من ايقاد ثائر الشهوات وتحريك النفوس على الانتقاض مما عساهُ يغضبهُ ويوغر صدرهُ وليجتهد ما استطاع ان لا يوجد لهُ اعداء شملهم اليأس . والاشبه بهِ ان يلاطف الجميع ويوفق بين غرضهِ ومرضاتهم ويحترم المنافع كافة ويعوض على الخاسرين ويتحد مع الزمان كيفما كان لان الزمان اكبر مساعد على كل تغيير فهو كالكيماوي يوافق بين المتضادات ويذلل عامة العقبات ويجذب قلوب المخالفين ولا ينبغي للانسان متى كانت القوة الحقيقية في قبضتهِ ان يستخدمها ليريها الناس بل الاجدر بهِ ان يكشف عنها نصف الغطاء لان ذلك ادعى الى النجاح . انتهى

وجملة القول فان اللباس ذوقيّ حاجيّ تعمل في تغييرهِ السادات والعادات لا الشرائع والنظامات . والجهاد يغلب فيهِ الاقوياء ويجبن الضعفاء . وما ابعد ان من قدروا ان يصرّفوا على المشرق ضروباً من مذاهبهم وملابسهم ومطاعمهم ومشاربهم يتسنّى لهم يوماً ان يصبغوا العالم كلهُ بصبغتهم في كل حال من احوالهِ ليساووهم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل او يأتي على الجامدين تيار مدنية الغرب فيجعلهم صرعى كاعجاز نخل خاوية

محمد كرد علي

الخصومة والقضاء عند العرب

كان العرب في جاهليتهم يتماجدون ويتنافرون ويتفاخرون وكل ذلك عندهم خصومة تقتضي قضاء. والماجدة او المجاد ان يدعي كلٌّ من الخصمين انهُ اعزُّ شاناً من الاخر ويتباريان في ذبح الجزور وذلك نظير ما حدث بين حاتم وبني لام الطائيين. وكان من عجز عن مباراة خصمهِ يعدُّ مغلوباً وذلك لان الماجدة تقتضي مناجدة الاهلين ومن كان اغنى عصبةً واعزَّ ناصراً كان جانبهُ الاقوى. واليك مماجدة حاتم وبني لام. خرج الحكم بن ابي العاصي بن امية (وهو ابو مروان مؤسس الدولة المروانية) يريد الحيرة ومعهُ عطر وكان في الحيرة سوق يجتمع اليها العرب كل سنة وكان النعمان بن المنذر ملك العرب قد جعل لبني لام الطائيين ربع الطريق طعمةً لهم وذلك لان بنت سعد بن حارثة بن لام كانت زوجة لهُ. ومرَّ الحكم بن ابي العاصي بحاتم الطائي فسألهُ الجوار في ارض طي حتى يصير الى الحيرة فاجارهُ. وعلم بذلك بنو لام فارادوا خفر ذمتهِ سعياً وراء منفعتهم الخاصة فثار الخصام بينهم وبين حاتم وابتدروا اليهِ بالنصال فناجزهم وترك في بعضهم اثراً واسرع القوم اليهم فحجزوا بعضهم عن بعض وقال بنو لام بيننا وبينك سوق الحيرة فنماجدك ونضع الرهن. ففعلوا ووضعوا تسعة افراس ثم خرجوا حتى انتهوا الى الحيرة وسمع بذلك اياس ابن قبيصة الطائي فخاف ان يعينهم النعمان ويقويهم بمالهِ وسلطانهِ فجمع رهطهُ من بني حية وقال لهم ان هؤلاء القوم ارادوا ان يفضحوا ابن عمكم في مجادهِ فقال منهم رجل عندي مئة ناقة سوداء ومئة ناقة حمراء ادماء وقال آخر عندي عشرة حصن على كل حصان منها فارس مدجج لا يرى منهُ الأ عيناهُ وقال حسان بن جبلة الخير قد علمتم ان ابي قد مات وترك مالاً كثيراً فعليَّ كل تمرٍ او لحم او طعام ما اقاموا في سوق الحيرة. ثم قام اياس فقال عليَّ مثل جميع ما اعطيتم كلكم. ثم ان اياس قال احملوني الى الملك النعمان وكان بهِ نقرس فحمل حتى أُدخل عليهِ فقال انعم صباحاً ابيت اللعن. فقال النعمان وحيَّاك الهك. فقال اياس امدُّ اختانك (اي انسباء زوجتك) بالمال والخيل وجعلت بني ثعلٍ في قعر الكنانة اظنُّ اختانك ان يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين ولم يشعروا ان بني حية بالبلد فان شئت ناجزناك حتى يسفح الوادي دماً فليحضروا لمجادهم غداً عند مجمع العرب. فقال النعمان يا احلمنا لا تغضب فاني ساكفيك. وارسل النعمان الى اختانهِ انظروا ابن عمكم حاتماً فارضوهُ. فخرج بنو لام الى حاتم ونزلوا لهُ عما بينهم وبينهُ. والمتحصل من هذه الرواية المنقولة باختصار عن ديوان حاتم ان الفئتين المتماجدتين كانتا تتحاربان بدليل

قول احد نصراء حاتم " عندي عشرة حصن على كل حصان فارس مدجج لا يرى منهُ الاَّ عيناه " فلو لم يكن هناك اختبار فراسة وبأس لما اقتضى التدجج

اما المنافرة ويراد بها المحاكمة لدى قاضٍ في مَن من الخصمين اعزَّ نفرًا كقول النجاشي

وان شئتمُ نافرتكم عن ايكمُ الى مَن اردتم من تهامٍ ومنجدِ

ويسمَّى النفار منافرة ومن ذلك ما كان بين جرير بن عبدالله البجلي وخالد بن ارطاة الكلبي وهما انهما اختلفا ايهما اعزّ نفرًا فقال خالد لجرير ما تجعل قال الخطر في يدك قال خالد الف ناقة حمراء في الف ناقة حمراء قال جرير الف قينة عذراء في الف قينة عذراء وان شئت فالف اوقية صفراء لالف اوقية صفراء . قال خالد من لي بالوفاء قال جرير كفيلك اللات والعزى واساف ونائلة و يعوق ونسر فمن عليك بالوفاء . قال خالد ود ومناة وفلس ورضا[1] قال جرير لك بالوفاء سبعون غلاماً يوضعون على ايدي الاكفاء من اهل الله . فوضعوا الرهن من بجيلة ومن كلب على ايدي عتبة بن ربيعة بن عبد شمس في اشراف من قريش وحكَّموا الاقرع بن حابس وكان عالم العرب في زمانهِ . فقال الاقرع ما عندك يا خالد فقال تنزل البراح ونطعن بالرماح ونحن فتيان الصباح[2] فقال الاقرع ما عندك يا جرير قال نحن اهل الذهب الاصفر والاحمر المعتصر نخيف ولا نخاف ونطعم ولا نستطعم ونحن حيٌّ لقاح نطعم ما هبَّت الرياح نطعم الشهر ونضمن الدهر . فقال الاقرع واللات والعزى لو فاخرت قيصر ملك الروم وكسرى عظيم فارس والنعمان ملك العرب لنفرتك عليهم

واشهر منافرة في الجاهلية منافرة عامر بن الطفيل مع علقمة ابن الاحوص حين قال لهُ علقمة الرئاسة لجدي الاحوص وانما صارت الى عمك ابي براء من اجلهِ وقد استسنَّ عمك وقعد عنها فانا اولى بها منك وان شئت نافرتك . فقال لهُ عامر قد شئتُ والله لانَّا اشرف منك حسباً واثبتُ نسباً . واطول قصباً . فقال علقمة انافرك واني لبرٌّ وانك لفاجر . واني لوَلود وانك لعاقر . واني لوافٍ وانك لغادر . فقال انافرك اني اسمى منك سمةً . واطول قمةً . واحسن لمة . واجعد جمة . وابعد همة . فقال علقمة لا انافرك اني انا جميل وانت قبيح ولكني انافرك اني اولى بالخيرات منك . فخرجت ام عامر فقالت نافرهُ ايكما اولى بالخيرات ففعلوا على ان جعلوا مئة من الابل يعطيها الحكم الذي ينفر عليهِ صاحبهُ . فخرج علقمة ببني خالد بن جعفر و بني الاحوص ومعهم القباب والجزر والقدور ينحرون في كل منزل و يطعمون وخرج عامر ببني مالك وقال انها لمقارعة

(١) كلها اسما اصنام كانت العرب تعبدها (٢) البراح المتسع من الارض لا زرع بها . كناية عن كثرة عددهم . وفتيان الصباح اي فتيان الغارات لان اكثر الغارات تقع صباحًا كناية عن بأسهم

عن احسابكم فاشخصوا بمثل ما شخصوا به وقال لعمه ابي براء اعني فقال سبني فقال كيف اسبك وانت عمي فقال وانا لا اسبّ الاحوص وهو عمي . ولم ينهض معهُ فجعلا منافرتهما الى ابي سفيان بن حرب بن امية ثم الى ابي جهل ابن هشام فلم يقولا بينهما شيئاً ثم رجعا الى هرم الفزاري فقال نعم لاحكمنَّ بينكما فاعطياني موثقاً اطمئن به ان ترضيا بحكمي وتسلما لما قضيت بينكما ففعلا . فاقاما عندهُ اياماً ثم ارسل الى عامر فاتاهُ سرًّا فقال قد كنت احسب ان لك رأياً وان فيك خيرًا وما حبستك هذه المدة الاَّ لتنصرف عن صاحبك أَتنافر رجلاً لا تفخر انت ولا قومك الاَّ بآبائه فما الذي انت به خيرٌ منهُ . فقال عامر نشدتك الله ان لا تفضل عليَّ علقمة فوالله لئن فعلتَ لا أُفلح بعدها ابدًا هذه ناصيتي فاجززها واحتكم في مالي فان كنت لا بدَّ فاعلاً فسوِّ بيني وبينهُ . فقال انصرف فسوف ارى من آرائي . فانصرف عامر وهو لا يشك انهُ ينفرهُ عليه ثم ارسل الى علقمة سرًّا فقال لهُ ما قال لعامر وقال لهُ اتفاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب وابوهُ ابوك وهو مع ذلك اعظم منك غناء واحمد لقاء واسمح سماحاً فما الذي انت به خير منهُ . فردَّ عليه علقمة ما ردَّ به عامر وانصرف وهو لا يشك انهُ ينفر عامرًا عليه . فارسل هرم الى بنيه وبني اخيه وقال لهم اني قائل فيهم غداً مقالة فاذا فرغت فليطرد بعضكم عشر جزائر (٣) فلينحرها عن علقمة وليطرد بعضكم مثلها فلينحرها عن عامر وفرِّقوا بين الناس لا يكونوا بينهم جماعة . ثم اصبح هرم فجلس مجلسهُ واقبل عامر وعلقمة حتى جلسا فقال هرم انكما يا ابني جعفر قد تحاكمتما عندي وانتما كركبتي البعير تقعان الارض وليس فيكما واحد الاَّ وفيه ما ليس في صاحبه وكلاكما سيدٌ كريم . ولم يفضل واحدًا منهما على صاحبه لكيلا يجلب بذلك شرًّا بين الحيين ونحر الجزر وفرَّق على الناس . وقد زعم الاعشى انهما حكماه وانشأ قصيدة من غرر الشعر جاء بها على بعض ما يعدونهُ مولي الاثرة بالشرف منها

ان الذي فيه تماريتما بُيِّنَ للسامع والناظرِ (٤)
علقم لا تسفهْ ولا تجعلنْ عرضك للوارد والصادرِ (٥)
علقم ما انتَ الى عامرٍ الناقض الأوتار والواترِ
ان ترجع الحقَّ الى اهله فلست بالمسدي ولا النائرِ (٦)

---

(٣) جمع جزور لما يذبح من الابل (٤) تماريتما تنازعتما (٥) عرضك استعارة كناية اراد بها منهلاً ولذلك ذكر الوارد والصادر استعارة تخييلية (٦) المسدي هو السدى بالفتح والقصر وهو ما مد من الثوب الناير اسم فاعل من نرت الثوب نيرًا اي جعلت له نيرًا وهو علم للثوب وحده ولحمتهُ وهذا هو المراد هنا وهذا مثل يضرب في التبري من الشيء كقولهم لا في العير ولا في النفير

ولستَ بالسلم بذي نائلٍ ولستَ في الهيجاء بالجاسرِ
ولستَ بالاكثر منهم حصى وانما العزّة للكاثرِ (٧)
ولستَ في الاثرين من مالكٍ ولا ابي بكر اولي الناصرِ (٨)
هم هامة الحي اذا ما دُعُوا ومالك في السؤددِ الفاخرِ (٩)
سدت بني الاحوص لم تعدهم وعامرٌ ساد بني عامرِ
سادَ وألفى قومهُ سادةً وكابرٌ سادوك عن كابرِ
فاصبر على حظك مما ترى فانما الفلج مع الصابرِ (١٠)
حكمتموهُ فقضى بينكم ابلج مثل القمر الباهرِ
لا يأخذ الرشوة في حكمهِ ولا يبالي غبن الخاسرِ
واوّلَ الحكم على وجههِ ليس قضائي بالهوى الجائرِ
قد قلتُ شعري فمضى فيكما فاعترف المنفور للنافرِ

وكانوا يسمّون الدعوى قضية قال الصلتان العبدي في فصلهِ بين الفرزدق وجرير

انا الصلتان والذي قد علمتمُ متى مايحكّم فهو في الحكم صادعُ
اتتني تميم حين هابت قضاتها واني لبالفصل المبيّن قاطعُ
كما انفذ الاعشى قضية عامرٍ وما لتميم عن قضائي رواجعُ
ولم يرجع الاعشى قضية جعفرٍ وليس لحكمي آخر الدهر راجعُ

ومن هذا القول نستخلص ان الحكم عندهم كانت اعادةُ النظر فيهِ جائزةً وذلك بمثابة استئنافهِ وتمييزهِ عندنا ولكن بعض الاحكام كان لا رجوع فيها كما قال الصلتان "وليس لحكمي آخر الدهر راجعُ " وكما قال ذو الاصبع العدواني

ومنّا حكَم يقضي فلا يُنقض ما يقضي

وهذا اشبه بحكم المحكّمين في هذا العصر اذا اشترط في تحكيمهم ان لا استئناف ولا تمييز يتعقب حكمهم وهو وجه شرعي معمولٌ بهِ قديمًا وقد نصّ عليهِ دستور الاحكام العثماني

وقد افادنا الصلتان بقولهِ " اتتني تميم حين هابت قضاتها " ان بعض القضاة كانوا يستعفون

---

(٧) الحصى مجاز مرسل يراد به العدد والمراد به هنا عدد الاعوان

(٨) الاثرين جمع اثرى اي ذي ثروة · ومالك هو جد عامر بن الطفيل بن مالك · وابو بكر هو جده وهو عبيد بن كلاب بن ربيعة (٩) هامة القوم استعارة تحقيقية اي اشراف القوم

(١٠) الفلج الفوز وهو استعارة تهكمية كما قال الحطيئة في هجاء الزبرقان

من القضاء في بعض الدعاوي وقد جرى ذلك كثيرًا عندهم ومن ذلك ما ورد معنا في منافرة عامر وعلقمة انهما جعلا منافرتهما الى ابي سفيان والى ابي جهل فلم يقولا شيئًا اي انهما استعفيا

اما مقاطع الحكم عندهم فقد ذكرها زهير بن ابي سلمى المزني في قوله

فان الحق مقطعهُ ثلاث يمين او نفارٌ او جلاء

وهذه المقاطع هي قوام احكام الشريعة الاسلامية ولذلك قال عمر بن الخطاب لو ادركت زهيرًا لوليتهُ القضاء . فالجلاء الاقرار والنفار الشهود واليمين معروف ولا مقطع بعد

وكانوا يضعون وضع اليد بالمنزلة التي تضعها فيهِ احكام هذا العصر ولذلك احتجَّ بهِ سنان ابن الفحل الطائي في خصومة على بئر قال

فانَّ الماء ماء ابي وجدي وبئري ذو حفرتُ وذو طويتُ

اما قضاة العرب فكانوا من ساداتهم المشاهير فلا ينال هذه المرتبة الاَّ من عرف بالمروءة وعلو الهمة وسداد الرأي قال زهير بن ابي سلمى يمدح سنان بن ابي حارثة المري

متى يشتجر قوم يقل سرواتهم همُ بيننا فهم رضى وهمُ عدلُ[1]

هم جدَّدوا احكام كل مضلة من العقم لا يلفى لامثالها فصلُ

بعزمة مأمور مطيع وآمرٍ مطاع فلا يلفى لحزمهم مثلُ

وقد ورد معنا اسماء بعض من كانوا يتقاضون اليهِ ومنهم ايضًا القلمس وفيهِ تقول هند بنت الخس الايادية احدى شهيرات نساء العرب وقد تحاكمت اليهِ هي واختها خمعة

اذ الله جازى منعمًا بوفائهِ فجازاك عني يا قلمس بالكرمْ

ومما يجدر بي ان اذكرهُ انهم كانوا يجيزون للحَكَم ان يحكم قبل ان يسمع كلام الخصمين وشاهد ذلك ما ورد عن منافرة هاشم بن عبد مناف وابن اخيهِ امية بن عبد شمس بن عبد مناف فانهما تنافرا الى الكاهن الخزاعي في خمسين ناقة سود الحدق ينحرها يبطن مكة والجلاء من مكة عشر سنين فخرج كلٌّ منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل ان يخبروهُ خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلمٍ مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم امية الى المفاخر . تنفر هاشمًا وقال لامية تنافر رجلاً هو اطول منك قامة واعظم منك هامة واحسن منك وسامة واقل منك لامة واكثر منك ولدًا واجزل منك صفدًا . فقال امية من انتكاث الزمان ان جعلناك حكمًا

امين ظاهر خير الله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانت لعمري الطاعم الكاسي

(١) اشتجر قوم اختلفوا وسرواتهم ساداتهم . ورضى مرضيون وعدل عادلون

مدارس الأُمة في المانيا

في نصف القرن الأخير تقدمت الأُمة الالمانية تقدماً عظيماً نادر المثال في تاريخ الشعوب وارتقت الى ارفع الدرجات في العلوم والمعارف والصنائع والفنون والحياة العائلية والاجتماعية والسياسية الى غير ذلك وهذا التقدم السريع يعزى الى اسباب اخصها مدارسها والمدارس العالية من جامعة وكلية وفنية والمدارس الابتدائية البسيطة التي يدخل فيها ويخرج منها تسعة اعشار اولاد الشعب. الى هذه المدارس الاخيرة وجهت الامة الالمانية من عهد بعيد مزيد اهتمامها ورعايتها عالمة انهُ اذا زرع في هذه الحقول بزور العلم والفضيلة والاجتهاد والامانة ومحبة الوطن والاعتماد على النفس لا بد ان تنمو وتزهو وتاتي بأثمار يانعة تعود بالخير العميم على الامة والوطن. ولقد اصاب وأجاد احد الفرنسويين بقولهِ للالمان بعد حرب السبعين "لم تغلبونا انتم انما غلبنا امهاتكم ومدارسكم"

ان تاريخ المدارس والتدريس في المانيا لحد زمن الاصلاح الديني الذي نشأ في القرن السادس عشر سقيم جدا فلم يكن فيها لحد ذلك الحين الأَمدارس قليلة العدد مبنية على الغالب الى جانب بعض الاديرة وكان يعلَّم فيها القراءة والكتابة وما يلزم لممارسة الخدمة الدينية في الكنائس وكان أكثر المدرسين وقتئذٍ على جانب عظيم من الجهل والجفاوة يعاملون الصغار احياناً معاملة بربرية

ثم قام المصلحون وفي مقدمتهم لوثيروس الشهير واقنعوا الامراء والحكام والاهلين بان مسئوليتهم عند الله عظيمة من جهة تعليم الاحداث وتهذيبهم و بوجوب فتح مدارس كثيرة في كل مدينة وقرية فوقعت مناداتهم احسن موقع وشيدت الوف من المدارس وتحسنت اساليب التعليم نوعاً. ولنكد الطالع انتشبت بعد ذلك الحروب الدينية الدموية التي دامت عشرات من السنين ودمرت البلاد تدميراً وصيرتها خراباً بلقعاً فذهبت بكل حياة ادبية وعقلية ومحت آثار المدارس الحديثة النشأة من البلاد. ثم بعد ان القت الحرب اوزارها وساد السلام لم يستطع الاهالي ارجاع ما سلف الأَ رويداً رويداً نظراً لفقرهم واضطرارهم الى ترميم ما تهدم من البيوت. غير ان الميل الى فتح المدارس كان قد غُرس في الصدور ومن ذلك الحين اخذ امراء المانيا ولاسيما ملوك بروسيا يهتمون مزيد الاهتمام بالمدارس وفريدرك الكبير اوَّل من جعل التعليم الزامياً في بلادهِ وألَّف بمساعدة احد العلماء نظاماً مدرسياً لايزال يعمل بهِ في اهم موادهِ . وقد قام في بلاد المانيا افاضل كثيرون نظير كومينيوس وبستالوتسي وديسترفك وضحوا النفس والنفيس في تحسين المدارس وترقية شأنها واختراع احسن الاساليب للتعليم

ودرس طبائع الاولاد واحوالهم النفسية درساً مدققاً والَّفوا من ذلك كلهِ علماً نفيساً في بابهِ سموهُ البيداغوجيا ويندرج تحتهُ علم البسخولوجيا (علم الظواهر العقلية والنفسية) واصول التربية والتعليم واساليب التعليم القديمة والحديثة وتاريخ المدارس والتدريس يدرسهُ المعلمون كما يدرس المهندس فن البناء وكما يدرس الطبيب فن الطب

ومما تمتاز بهِ المانيا تهذيب معلميها احسن تهذيب في مدارس خصوصية سميت سمينار

وقد علم بالاختبار ان ليس كل عالم او علاَّمة يصلح ان يكون معلماً كما ان ليس كل من عندهُ مواد البناء كالحجارة والجير والرمل يصلح ان يسمَّى بناءً ماهراً. ولقد اصاب من قال "كم من علاَّمة كبئر مختوم بلا نفع وكم من عويلم كنهر جارٍ كثير الفائدة". ان العالم يتكلم غالباً امام الاولاد الصغار عن افكارهِ الرفيعة بكلام يعلو عن مداركهم وافهامهم فلا يستفيدون منهُ وان استفاد احد شيئاً فرمية من غير رامٍ. وقد وجد ايضاً بالاختبار ان تدريس الاولاد كما يجب ان يكون من اصعب الامور. وهذه الصناعة قلما يتعلمها الانسان من تلقاء نفسهِ دون ان يسقط في اغلاط كثيرة سقط فيها غيرهُ قبلهُ ويختبر اختبارات تذهب بلذتهِ من التعليم وذلك كان الداعي قبل نحو مئة سنة الى انشاء مدارس خصوصية لتعليم المعلمين افرزت عن سائر المدارس العالية. من هذه المدارس نيف وسبعون مدرسة في بلاد المانيا يدخلها التلامذة في سن الخامسة عشرة ويدرسون فيها خمس سنوات متوالية العلوم الدينية والطبيعية والرياضية واللغوية والموسيقى والتصوير وفن التعليم علماً وعملاً والى جانب كلٍّ منها مدرسة ابتدائية يقبل فيها اولاد الفقراء مجاناً وفيها يتمرَّن المنتهون في السنة الاخيرة على التعليم بارشاد معلمين ماهرين في التدريس يعلّمون احياناً امام التلاميذ مثائل للتمثل بها ويطلب من كلٍّ من التلامذة ان يكتب مثائل في كل فروع التعليم كلمة فكلمة ثم يلقيها على استاذهِ ورفاقهِ

اما المدارس الابتدائية في المانيا فقد بلغت درجة عالية من الكمال وهي جديرة بان يتمثل بها وقد شادتها الحكومة الالمانية على نفقتها مراعية صحة الاولاد وراحتهم ورفاهتهم وجهزتها احسن تجهيز بما لا غنى عنهُ في تعليم الاولاد نظير المقاعد والمكاتب والخرائط والالواح وغيرها وطبعت الكتب المدرسية في مطابعها وجعلت اثمانها رخيصة جداً حتى لا يتعذر على اولاد الفقراء اقتناؤها. والمعلمون العاملون فيها هم مستخدمو الحكومة يتناولون رواتبهم منها وقد حفظت لنفسها حق مراقبة المدارس والمعلمين. والتعلم فيها الزامياً فمن لا يرسل ابنهُ الى المدرسة يقع تحت طائلة العقاب. ويدخل فيها الاولاد في سن السادسة او السابعة وينتهون في الثالثة عشرة او الرابعة عشرة وساعات التعليم فيها اربع قبل الظهر واثنتان بعدهُ ما عدا

الاربعاء والسبت وفي كل مدرسة لائحة سياق الدروس من السنة الاولى الى الاخيرة ويطلب من المعلم في بداءة السنة ان يعين الدروس المزمع ان يدرّسها لكل اسبوع ولكل يوم وساعة . ويقتضي ان يستعد استعداداً كافياً لكل درس . ويعاب على المعلم ان يتقيد بالكتاب او ان يقرأ الدرس منهُ قراءة . ومما يعنى به كثيراً تعليم الاحداث والغالب ان يوكل تعليمهم لامهر المعلمين واكثرهم اختباراً ولا يقصد بالتعليم دس مقدار معين من العلوم والمعارف في عقول التلامذة بل تهذيب كل قوى الانسان الادبية والعقلية والبدنية وايقاظ الفضائل والمواهب المكنونة في التلاميذ وانماؤها واماتة الاميال الفاسدة والافكار الاثيمة . ونظراً لتديُّن الشعب الالماني جعل للعلم الديني المقام الاول في كل المدارس الابتدائية وفضلاً عن ذلك يعلَّم فيها لغة البلاد جيداً من قراءة وصرف ونحو وانشاء والخط والحساب ومبادئ التاريخ والجغرافية والطبيعيات والترتيل والتصوير والرياضة البدنية . ويندر ان يعلم فيها لغة اجنبية كالافرنسية او الانكليزية ويبذل المعلمون غاية الجهد في جعل التعليم ملذاً ومفرحاً للاولاد

واساليب التدريس الحديثة تختلف اختلافاً كلياً عن الاساليب القديمة ففي القراءة مثلاً وجدوا ان ذكر اسماء الحروف وقت التهجئة يلقي الاشكال في ذهن الولد الصغير ولكن يسهل عليهِ القراءة اذا ذكرت لهُ اصوات الحروف فقط . وكانوا يشرعون في تعليم الحساب في سنة التعليم الثالثة او الرابعة بجمع اعداد كبيرة فصاروا يبدأُون في سنة التعليم الاولى بتعليم الاعداد الاولى من الواحد الى التسعة وبتعليم الجمع والطرح والضرب باعداد قليلة ويرى الصغار كل ما يحسبونهُ ممثلاً امامهم على الاصابع او على تحسبة (آلة حسابية) وفي الجغرافية كانوا يبدأُون بالكرة الارضية فالقارات فالبحار فصاروا يبدأُون بالمدرسة فالبلدة فالمدينة فالولاية فالمملكة فالممالك فالكرة الارضية . وفي الخط لا يبدأُ بكتابة حروف وكلمات بل تمرَّن اليد اولاً ساعات متوالية على رسم خطوط مستقيمة ومنحنية ودوائر وغيرها وقس على ذلك في سائر العلوم . وقد وضعت للتعليم هذه القاعدة الذهبية وهي: من السهل الى الصعب ومن القريب الى البعيد ومن البسيط الى المركب ومن المعلوم الى المجهول ومن النظري الى العقلي

ومما يسر ويبهج ان تنظر الى مدرسة حسنة الترتيب فيها معلم امين يحترمهُ التلاميذ ويحبونهُ كاب حنون وكلهم عيون ناظرة وآذان صاغية يلتقطون من فيهِ درر الفوائد والآداب والفضائل

وحبذا لو كان اولياء الامور في بلادنا يهتمون بالمدارس الابتدائية ويختارون لها احسن النظامات المدرسية عند ارقى الامم الاوربية ويهتمون باعداد المعلمين في احسن المدارس فترقى المدارس الابتدائية وبها تترقى الامة والوطن

بيت لحم ابرهيم م عطا

خزان اصوان وبحيرة مورس

(تابع ما قبله)

اذا أُعلي خزان اصوان يوجّه الالتفات الى وادي الريّان و يستخدم كما استخدمت بحيرة مورس في عهد الفراعنة فيخزن فيهِ الفا مليون متر مكعب من الماء تستخدم لامداد النيل في زمن التحاريق. و يعترض على وادي الريان انهُ اذا جُعل خزانًا مدَّ النيل كثيرًا في ابريل ومايو وقليلاً في يونيو واقل من ذلك في يوليو فلم اشر باستخدامهِ في تقريري الذي رفعتهُ الى الحكومة المصرية سنة ١٨٩٤ ولكن اذا تم خزان اصوان وصار يخزن فيهِ الفا مليون متر مكعب من الماء امكن حينئذٍ استخدام وادي الريان كما تسمح بهِ حالة النيل فان خزان اصوان مرتفع عن سطح النيل ويمكن اجراء الماء المخزون فيهِ رويدًا رويدًا او بمقدار كبير واما وادي الريان فجريان الماء منهُ الى النيل متوقف على الفرق بين سطحهِ وسطح النيل في الارتفاع لان ارتفاع سطح الماء فيهِ عن سطح ماء النيل قليل جدًا فيقل الجاري منهُ الى النيل رويدًا رويدًا بتقدُّم فصل الصيف ولا يكون في آخر الصيف ربع ما كان في اولهِ

لنفرض ان الخزان تمَّ حسب المراد ووادي الريان صُنع خزانًا لماء الفيضان وانهما كليهما امتلأا ماء وكان ذلك في اول ابريل فيفتح خزان وادي الريان ويمدُّ النيل بكل ما يراد ان يمدَّ بهِ في ذلك الشهر ولا يُفتح خزان اصوان حينئذٍ. وفي شهر مايو يجري كل الماء المطلوب من وادي الريان ولا يجري الأَّ شيء قليل من خزان اصوان. وفي يوليو يجري كل الماء المطلوب من اصوان وقليل جدًا من وادي الريان فيكون خزان اصوان ووادي الريان متممين احدهما للآخر فيفيان كلاهما معًا بحاجة القطر المصري

ووادي الريّان منخفض في الصحراء جنوبي الفيوم مفصول عنها بحرف من الصخر الكلسي وقد اشار الكولونل وسترن بعملهِ خزانًا سنة ١٨٨٨ ووافقهُ الكولونل روس على ذلك وهو اول مفتش عام للري. ولما غادر الكولونل وسترن القطر المصري فوّض اليَّ درس هذه المسألة وأُرسل المستر هيوت والمستر كلفتن لعمل التصميم النهائي ونشرت الحكومة المصرية الرسوم والتقادير سنة ١٨٩٤. وقد اضطررت حينئذٍ ان ارفض هذا المشروع بسبب الخلل الوحيد الذي اشرت اليهِ آنفًا لكن هذا الخلل يزول باتمام خزان اصوان وهذا هو الذي اشير بهِ والحّ بعملهِ

وقد كان عند القدماء خزان مثل وادي الريان وهو بحيرة مورس كان معدودًا من عجائب الدنيا السبع وقد ابان السر هنبري برون في كتابهِ عن الفيوم وبحيرة مورس ان تلك

البحيرة كانت تغطي مديرية الفيوم واول من وصفها هيرودوتس المؤرخ الذي كان قبل المسيح بنحو ٤٥٠ سنة فقال ان في بلاد مصر بحيرة كبيرة تسمى بحيرة مورس تستحق ان تسمى بحراً لكبرها ولونها كلون البحر ينصب اليها ماء النيل وقت فيضانهِ فتمنع تغريقهُ للبيوت والجنائن وحينما يحط النيل يعود الماء منها اليهِ من مجريين ويستخدم للري وعلى المجريين قناطر موازنة للتحكم في الماء وهو جار الى البحيرة وراجع منها

وقال ديودورس الصقلي في نحو ذلك الوقت ان الملك مورس حفر بحيرة كبيرة جداً لان فيضان النيل لا يجري دائماً على وتيرة واحدة وزراعة البلاد تتوقف على انتظام فيضانهِ فحفر البحيرة لكي ينصبَّ اليها الماء الزائد وانشأ لها ترعة من النيل طولها ٨٠ غلوة وعرضها ٣٠٠ قدم يجري الماء بها ذهاباً واياباً

وقد اختلف الناس كثيراً في موقع هذه البحيرة ولكن كتاب السر هنبري برون ازال كل ريب فقد بيَّن فيهِ انها كانت تغطي كل مديرية الفيوم تحت الحد المرتفع عن سطح بحر الروم ٢٢ ١/٢ متر . ولا تزال اصداف النيل موجودة بكثرة على هذا الحد . ويبلغ حد الفيضان الآن في حوض قشيشة ٢٦ ١/٢ متر فوق سطح بحر الروم وقد كان حدهُ اوطأ من ذلك اربعة امتار في عهد الملك امنمهات منذ اربعة آلاف سنة اي كان ٢٢ ١/٢ متر فوق سطح بحر الروم وهو الحد الذي كان يمكن ان تبلغ البحيرة اليهِ حينئذٍ . لأن وادي النيل ارتفع عشرة سنتمترات كل مئة سنة من ذلك الحين الى الآن ثم تجمع الطمي في تلك الترعة على مر الزمان فانسدَّت بعد ان بقي الماء يجري فيها الفي سنة

وقد كان الاتصال بين بحيرة مورس والنيل موجوداً في عهد الملك مينا كما اخبرني الاستاذ سايس ولكن الملك امنمهات من الدولة الثانية عشرة وسَّعهُ وعمَّقهُ وازال الحواجز الصخرية منهُ وجعل البحيرة بحراً يعدّل فيضان النيل . لقد كان اولئك الفراعنة جبابرة في اعمال الري وكانوا حكماء كما كانوا اقوياء

وقد وصف السر هنبري برون تلك البحيرة فقال ان مساحة سطحها كانت ٢٥٠٠ كيلومتر مربع واذا كان الفيضان عظيماً انصبَّ اليها منهُ عشرون الف مليون متر مكعب من الماء فتعدّل الفيضان مهما كان عالياً . واذا كان الفيضان قليلاً ولم تستعمل الدقة في اجراء الماء اليها فقد يحرم الوجه البحري من التنيل اي تبقى ارضهُ شراقي ولم يكن حينئذ ري غير التنييل

ولقد قلت مراراً ان المستر كوب هويتهوس اصاب في قولهِ ان هوار المكسوس هو هرم هوارة الموجود الآن حيث يوجد هرم اللغز وحيث كانت قناطر الموازنة لدخول المياه الى

بحيرة مورس . وقناطر الموازنة كانت اثنتين الواحدة في اللاهون وهرم اللاهون عند طرفها الشمالي وهناك الآن قرية هوارة عجلان وقرية اللاهون والثانية مجرى تحفور في الصخر حيث يوجد بحر يوسف الآن وهناك جسر كبير وقرية هوارة المقطع وهرم هوارة عند الطرف الشمالي وبينهُ وبين الجسر اللغز او هيكل القناطر (لبيرونت) وهو مثل حصن تقيم فيهِ حامية تمنع من يحاول الوصول الى الجسر وقطعهُ وعلى الجانب الآخر من الجسر هوارة المقطع وكانت جزيرة حصينة يحيط بها الماء وكان بين الموازنتين عشرة كيلومترات وعليهِ كانت موازنة هوارة مفتاح مصر ومن يتسلط عليها يتحكم في ري الوجه البحري

(وافاض الخطيب هنا في بحث تاريخي الى ان قال) ولنترك الآن بحيرة مورس القديمة التي صارت ارضاً زراعية مساحتها ٤٠٠٠٠٠ فدان وقيمتها اكثر من ٨٠ مليون جنيه ولنرجع الى بحيرة مورس الحديثة اي وادي الريان الذي يمكن ان يصير بحيرة كبحيرة مورس القديمة يدفع عن القطر غائلة الغرق ويمدُّ النيل وقت التحاريق

وادي الريان كما قلت سابقاً منخفض في الارض جنوبي الفيوم تبلغ مساحة سطحهِ على ٢٩ متراً فوق سطح البحر ٧٠٠ كيلومتر مربع اي نحو ربع مساحة بحيرة مورس القديمة واسفلهُ اوطأ من سطح البحر بواحد واربعين متراً فاذا ملئَ ماء بلغ عمق الماء فيهِ ٧٠ متراً ولكن لا يتصرف منهُ حينئذٍ الا ما عمقهُ اربعة امتار او خمسة او نحو ثلاثة الآف مليون متر مكعب وهو يساعد على تخفيف وطأة الفيضان الزائد ومنع الغرق ولكن فائدتهُ الكبرى في امداد النيل وقت التحاريق لاجل الري الصيفي لانهُ يمدهُ بالفي مليون متر مكعب وهي كل ما يلزم لادخال الزراعة الصيفية الى القطر المصري كلهِ

وقد ابنت كيف تكون هذه البحيرة عوناً لخزان اصوان ومرادي ان ابين الآن كيف يجري الماء اليها وكيف يعود منها الى النيل وكم هي النفقة اللازمة لذلك وفي كم سنة تمتلئ ويمكن استعمالها

يمكن جعل هذه البحيرة تمد النيل بثلاثة آلاف مليون متر مكعب او جعلها تمدهُ بالفي مليون متر مكعب ففي الحالة الاولى يجعل ارتفاع الماء فيها ٢٩ متراً عن سطح بحر الروم وفي الحالة الثانية يجعل ارتفاع الماء فيها ٢٧ متراً فقط فوق سطح بحر الروم وفي الحالين يجري الماء منها الى ان يصير ارتفاعهُ فيها $\frac{1}{2}$ ٢٤ متر فوق سطح بحر الروم واذا اريد ان يؤخذ منها ماء اكثر من ذلك فيمكن بآلات رافعة ترفع منها ٢٠٠ متر مكعب كل ثانية من الزمان ويبلغ ثمنها ونفقات وضعها ٢٥٠٠٠٠ جنيه ونفقات تشغيلها ٣٥٠٠٠ جنيه كل سنة والآلات الكبيرة الى هذا الحد لم تكن معروفة منذ اثنتي عشرة سنة

فاذا اريد ان تكون لخزن ثلاثة آلاف مليون متر مكعب تفتح لها ترعة طولها ٣٠ كيلومترًا يجري بها الماء اليها من عند الشرعونة حتى اذا كان الفيضان غزيرًا جدًّا امكن ان تأخذ من النيل الف متر مكعب كل ثانية من الزمان مدة خمسين يومًا فتخفض سطحهُ ثلاثين سنتمترًا في تلك الايام

والترعة الاصلية تقطع الصحراء امام الميانا وتدخل وادي الريان عند طرفهِ الشرقي وبها يعود الماء من الوادي الى النيل وقت التحاريق ولكنها تتصل بالنيل في رجوعها جنوبي بني سويف . وطول الفرع الاول من هذه الترعة ١٦ كيلومترًا وطول الفرع الثاني ٢٠ كيلومترًا (يرى ذلك واضحًا في الرسم المقابل) ويكون عرض كل ترعة من الترعتين اربعين مترًا وعمق الواحدة ١٠ امتار والثانية ٧ امتار ويكون لها قناطر موازنة على النيل وعبّارات تحت الابرهيمية وبحر يوسف وقناطر موازنة عند الاتصال بوادي الريان

فاذا اريد ان يخزن في وادي الريان ثلاثة آلاف مليون متر مكعب من الماء فالاعمال اللازمة لذلك تقتضي مليونين وستمئة الف جنيه ويصير مقدار الماء المنصرف في كل ثانية من الزمان امتارًا مكعبة هكذا

	الجاري في النيل والتابع فيهِ	المنصب من خزان اصوان	المنصب من وادي الريان	الجملة
في ابريل	٥٥٠	٠٠٠	٣٥٠	٠٩٠٠
في مايو	٥٠٠	١٠٠	٤٥٠	١٠٥٠
في يونيو	٤٠٠	٤٥٠	٢٥٠	١١٠٠
من ١ الى ١٠ يوليو	٤٥٠	٥٥٠	١٠٠	١١٠٠

وهذا المقدار من الماء يكفي تمامًا لكل فدان يزرع الآن او يمكن زرعهُ في المستقبل من الاراضي الصالحة للزراعة

ويحسن ان لا تحفر الترعتان في وقت واحد معًا بل يكتفى اولاً بالترعة الثانية التي يجري بها الماء من الوادي فيجري بها الماء الى الوادي مدة اربع سنوات ومتى امتلأ يعتمد على بحر يوسف لجر الماء الى الوادي من ١٥ اكتوبر الى آخر فبراير وحينئذٍ تعمق الترعة بين الصحراء وضفة النيل فتصير مخرجًا للماء المنصرف من الوادي الى النيل

واذا أُريد خزن الفي مليون متر مكعب فالنفقات اللازمة لذلك مليونا جنيه ويصير الماء الجاري كل ثانية من الزمان هكذا

	الجاري في النيل والنابع فيهِ	من خزان اصوان	من وادي الريان	المجموع
في ابريل	٥٥٠	٠٠٠	٣٥٠	٩٠٠
في مايو	٥٠٠	٢٠٠	٢٥٠	٩٥٠
في يونيو	٤٠٠	٤٣٠	١٢٠	٩٥٠
من ١ الى ١٠ يوليو	٤٥٠	٥٠٠	٥٠	١٠٠٠

والمشروع الكبير يتم في ثلاث سنوات ونصف ويمتلئ الوادي في ثلاث سنوات ونصف والمشروع الصغير يتم في ثلاث سنوات فقط ويمتلئ الوادي بهِ في اربع سنوات وباستخدام هذا الوادي لمساعدة الخزان وقناطر اسيوط والقناطر الخيرية يتم الري الصيفي في كل مصر بعد سبع سنوات من ابتداء العمل

وليس في العالم الآن مشروع اتم من هذا المشروع او انفع منهُ فانهُ اذا أُنفق نصف مليون جنيه على تعلية خزان اصوان ومليونا جنيه على وادي الريان بلغ الربح الناتج من ذلك ٤٥ مليون جنيه فهو اربح الاعمال ماليًا وانفعها لجمهور كبير من الناس ويشبه العمل العظيم الذي عملهُ امنمهات منذ اربعة الآف سنة وموقعهُ على مقربة من موقع بحيرة مورس التي انشأها ذلك الملك. والصحراء التي بينهُ وبين الاراضي الزراعية يمكن ان تصير اراضي زراعية فيضاف عشرون الف فدان كل سنة الى الاراضي الزراعية يساوي الفدان منها خمسين جنيهًا . ويمكن ايضاً رفع الماء في وادي الريان الى علو ٣٠ او ٣١ مترًا فوق سطح البحر واذا لم يتيسَّر ري كل الاطيان من ديروط الى القناطر الخيرية بترعتين طويلتين امكن انشاء قناطر أُخرى عند الجسر الجنوبي من بني سويف فيصير ري الفيوم والجيزة امرًا سهلاً وكذلك ري الصحراء الواقعة شمالي القاهرة

ولا بدَّ من ان اشير الى عمل آخر عظيم انشأهُ الملك امنمهات منشئ بحيرة مورس فان العالم لبسيوس اكتشف مقياسًا للنيل صنعهُ هذا الملك في سمنة عند الشلال الثاني من شلالات النيل . وحد الفيضان المرسوم عليهِ يعلو عن حدّهِ الحالي ثمانية امتار. والنيل عند سمنة تسهل اقامة السد فيهِ ولذلك خطر لي ان امنمهات اقام سدًا هناك ليجعل فوقهُ خزانًا لخزن المياه في مسيل النيل نفسهِ ثم عجز خلفاؤهُ عن اتمام هذا العمل فعاد النيل الى مجراهُ القديم

اما الاربعة الاف مليون متر التي قلت ان خزان اصوان ووادي الريان يخزنانها الى حين الحاجة فتفي بالحاجة تمامًا مهما كانت حالة النيل فتزيد بها مساحة الاطيان التي تروى ريًا صيفيًا مليونًا ونصف مليون من الفدادين ويبقى منها ما يغزر بهِ ماء الري المستعمل الآن للري الصيفي فلا يستعمل بالشح

ثم اذا اردنا ان تبقى الترع مملوءة بالماء على مدار السنة وجب علينا ان نتحكم بالماء في البحيرات الاستوائية حيث مصادر النيل وفي المستنقعات التي يمر فيها هناك وحينئذٍ نروي به كل الاراضي الواقعة بين الدرجة ١٠ والدرجة ٢٤ من العرض الشمالي ونوصله الى مصر غزيراً كافياً لريها . لهذا الغرض ذهب السر وليم جارستن الى اعالي السودان مرتين . اما ري القطر المصري وحده فالخزانان يكفيان له واذا اعتدى احد على النيل في زمن التحاريق وسد مجراه شهراً او شهراً ونصفاً فالخزانان يغنيان عنه الى ان تفرج الازمة ويزال السد ويكون نفعهما حينئذٍ فوق كل تقدير اما الخزانات التي يمكن ان تنشأ في اعالي السودان فلا تغني فتيلاً بل قد يكون منها ضرر لهذا القطر

اتضح مما تقدم ان توسيع نطاق الري الصيفي حتى يعم القطر المصري ليس مما يتعذر عمله لا من حيث المال ولا من حيث المصاعب الطبيعية فلا يقتضي من النفقات اكثر من مليونين ونصف من الجنيهات وليس هذا المبلغ بالشيء الكثير على حكومة اقرضت حكومة السودان بالامس مليوني جنيه لانشاء سكة حديدية بين سواكن وبربر . وتحقيق الري الصيفي للقطر المصري كله انفع له من سكة سواكن مئة مرة ولا احد يعلم ذلك اكثر من اللورد كرومر كما انه ليس لري القطر المصري صديق اصدق منه

والعمل الذي اشير به يمكن الشروع فيه حالاً واعلاء الخزان يعترضه هيكل انس الوجود واذا لم يعلَ فلا سبيل للعمل الآخر وهو خزن الماء في وادي الريان

والذين اعترضوا على اعلاء الخزان يظنون ان ما يحل بالحجارة من التلف اذا كانت في ارض رطبة يحل بها ايضاً اذا غمرتها المياه بضعة اشهر من السنة وهذا خطأ لان الماء اذا غمر الحجر حفظه من البلى ولا يبلى منه الا ما يبقى مكشوفاً فوق حد الماء فغمر الهيكل واسطة لحفظه

ولقد احسن المستر ونستن تشرتشل في وصفهِ غيظ اهالي هذا القطر من اعتراض علماء الآثار على اعلاء الخزان فقال " ان تضحية ١٥٠٠ مليون متر مكعب من الماء لهاثور التي كانت تعبد في ذلك الهيكل هو اثمن الضحايا التي قربت على مذبح ديانة كاذبة واشدها ظلماً واكثرها جوراً فانهُ يقضي على الحكومة المصرية بالخسران وعلى الامة بالتضوُّر جوعاً وذلك كله لكي يتهلل علماء الآثار ويكتب السياح اسماءهم على حجارة الهيكل "

ويسهل على ادارة الآثار ان تنقل هيكل انس الوجود الى جزيرة البيجة على ما اشار به السر وليم جارستن ولا تكون نفقات نقله مئتي الف جنيه . وجزيرة البيجة على رمية سهم من جزيرة انس الوجود وارفع منها واصلح لقيام الهيكل

والهيكل كما هو عليهِ الآن في حالة يرثى لها وكلما رأيتهُ اتصوَّر هاثور واقفة هناك رجلاها في الماء وثيابها ملطخة بالاوحال تتوسَّل لتنقل الى جزيرة البيجة · والمئتا الف جنيه التي وعد بها السر وليم جارستن يكفي نصفها لنقل الهيكل الى جزيرة البيجة والنصف الآخر لترميم هياكل طيبة ولقصر وكرنك وايدوس

رأينا في ما تقدم كيف انهُ يمكن ان يعم الري الصيفي القطر كلهُ فيزيد ثمن اطيانهِ من ٢٧٥ مليون جنيه الى ٣٣٥ مليون جنيه والآن نلتفت الى امر آخر هامّ مثل الامر الاول وهو الاحتفاظ بهذه الثروة بعد الحصول عليها · فان النيل يعلو فوق واديهِ حين فيضانهِ متراً في الوجه القبلي ومترين في المديريات الوسطى وثلاثة امتار ونصف متر في بعض الاماكن على فرع رشيد وذلك في الفيضان الزائد · وفرع دمياط لا يصلح لجريان النيل في الفيضان الزائد فيجدر بالحكومة ان تحسب فرع رشيد النيل كلهُ وتجعل فرع دمياط ترعةً من الترع

حينما اتينا القطر المصري وجدنا الطريقة المتبعة للتصرُّف بماء الفيضان توزيعهُ في فرعي النيل وترعهِ واقامة الالوف من انفار العونة على الجسور لحفظها فغيَّرنا ذلك وحصرنا ماء الفيضان في فرع رشيد وفرع دمياط واقمنا الحرس عليهما . والآن تمكنا باعمال السر هنري برون من التحكم بالماء في فرع دمياط فلم يبقَ علينا الاَّ حراسة فرع رشيد

وقد حدثت قطوع كبيرة في فرع دمياط سنة ١٨٦١ و١٨٦٣ و١٨٦٦ و١٨٦٩ و١٨٧٤ و١٨٧٨ ولم يحدث قطع كبير في فرع رشيد الاَّ سنة ١٨٦٣ لكن كان ضررهُ بالغاً جدًّا فانهُ غرَّق النصف الغربي من الوجه البحري ولم يترك للناس ملجأً يلجأُون اليهِ فمات كثيرون منهم غرقاً · ويحدث مثل ذلك الآن اذا حدث قطع كبير في فرع رشيد ويكون الضرر اشد لأن البلاد اكثر سكاناً وقد عمرت اطرافها الى حد البرلس فاذا حدث قطع كبير في الجسر الشرقي من فرع رشيد او الجسر الغربي من فرع دمياط تحت القناطر الخيرية الى بعد مئة كيلومتر كان منهُ خراب عام

واذا جاء الفيضان عالياً جدًّا القى الرعب في البلاد كلها فترى الخيام منصوبة على جسور النيل كل خمسين متراً وفي كل خيمة منها خفيران والسرج موقدة الليل كلهُ وعلى كل نقطة ضعيفة خمسون نفراً الى مئة والقوارب والبواخر تسير في النيل مملوءة بالاكياس واللبش والحجارة · واللبش يوضع على جانبي الجسر لمنع فعل الامواج بهِ · رأيت سنة ١٨٨٧ حادثة عند بريج شمالي المنصورة كانت تحدث حينئذٍ اكثر مما تحدث الآن · حدث قطع هناك وبلغ خبرهُ اهالي القرية المجاورة فهرعوا الى الجسر باولادهم ومواشيهم وكل مقتنياتهم واجتمع النساء حول

قبر وليّ هناك يضربن صدورهنَّ ويتوسلن اليهِ ويزعقنَ زعيقاً يصمّ الآذان والرجال يركضون ويخطفون كل ما تقع يدهم عليهِ ليسدوا بهِ القطع ووقف جمهور منهم في الماء كتفاً لكتف وجعلوا يلقون فيهِ كل ما يتناولونهُ من الابواب والاخشاب والحطب الى ان سدوا القطع . هكذا كان الناس يسدون قطوع النيل من اول عهدهم. شكرت احد الموظفين مرة على الهمة التي ابداها في سد قطع حدث سنة ١٨٨٧ فقال لي انهُ كان فتى سنة ١٨٧٨ وحدث حينئذٍ قطع في مت بدر فارسل اسمعيل باشا تلغرافاً يأمر بطرحهِ هو والمهندس في القطع لكن المأمور ابقاهُ اثنتي عشرة ساعة فابيضَّ شعرهُ خوفاً ثم عفي عنهُ

فاذا استخدم وادي الريان خزاناً انخفض بهِ ماء الفيضان ٣٠ سنتمتراً مدة خمسين يوماً فتضعف وطأة الفيضان العالي جدًّا عن البلاد كلها من بني سويف الى بحر الروم . ولا بدَّ من وضع الموازنة على فرع دمياط وجعلهِ مثل بقية الترع وحصر المراقبة والعناية في فرع رشيد (وهنا اسهب الخطيب في كيفية العناية بالنيل حتى تحفظ جسورهُ وينتفع بالرمال التي على جوانبهِ حسب طريقة المهندس ايدس الاميركي)

جبّار الاخطبوط

كتبنا منذ بضع سنوات فصلاً في النوتيلس والاخطبوط ذكرنا فيهِ ان الديكابود (ذا العشرة الاذرع) قد يبلغ وزنهُ عشرة قناطير مصرية وطول كلٍّ من ذراعيهِ الطويلتين ٢٤ قدماً وان هذا الحيوان كشف سنة ١٨٧٤ على شاطئ الارض الجديدة . وقد اطلعنا الآن على مقالة للدكتور هارفي مكتشف هذا الحيوان نشرها في جريدة الوَيْد ورلد وصف فيها كيفية اكتشافهِ وصفاً بديعاً . فقد روى القدماء والقصَّاصون روايات غريبة عن هذا الحيوان حتى زعم بعضهم انهُ يقبض على السفينة ويجذبها الى قاع البحر فظن العلماء ان كل ما رواهُ عنهُ الراوون من قبيل الخرافات الموضوعة وان الحقيقة دون ذلك بمراحل فكبَّرها الوهم وجسمها التخيُّل واخرجها من حيز الاوهام الى ان أُتيح للدكتور هارفي هذا كشف القناع عن محيا الحقيقة واظهارها للعيان

وقد تم هذا الاكتشاف منذ ثلاثين سنة ولم يمضِ عليهِ وقت قصير حتى دوت لهُ اندية العلماء وتداولتهُ الالسنة ولم تبقَ جريدة حتى نشرت تفصيل ذلك الاكتشاف . الاَّ ان ابناء هذا العصر لم يطلعوا على تفصيل ذلك وهذا ما حدا بالدكتور هارفي الى نشر التفصيل التالي لما فيهِ من الفكاهة والفائدة قال ما خلاصتهُ :

"في الشاطىء الشرقي من جزيرة نيوفوندلند (الارض الجديدة) خليج جميل يكثر فيهِ السمك فيتخذ السكان صيده مهنة لهم. وفي القسم الجنوبي من هذا الخليج جون صغير يسمى جون البرتغال باسم وطن مكتشفهِ

وفي السادس والعشرين من شهر اكتوبر سنة ١٨٧٣ كان صيادان في زورقهما يصيدان الاسماك في جون البرتغال ولاحدهما ابن لهُ من العمر اربع عشرة سنة وهو يدير دفة السفينة وبينما كان كلٌّ من الثلاثة منهمكاً في عملهِ رأوا عن بعدٍ جسماً كبيراً عائماً في الماء فظنوهُ قطعة من سفينة منكسرة وجذفوا نحوهُ وضربهُ احدهم بمجذافهِ وللحال تحرك ونهض فوق الماء واراهم منظراً مريعاً تقشعر لهُ الابدان وحشاً بحرياً ضارياً بعينين كبيرتين تتألقان غضباً ومنقار عظيم اعقف كمنقار الببغاء ثم انقضَّ على الزورق وضربهُ بمنقارهِ وفي اقل من طرفة عين نشبت منهُ ذراع طويلة دقيقية كالحبل والتفت حول الزورق ثم تبعتها ذراع اخرى اقصر منها ولكنها اغلظ والتصقت الذراعان حول الزورق فجعل الماء يدخلهُ واشرف على الغرق. فذهل الصيادان وايقنا بدنو الاجل الاَّ ان الفتى لم يفقد رشدهُ بل بادر الى فأس صغيرة كانت في قاع الزورق فرفعها وضرب بها ذراعي الحيوان فقطعهما. ولم يُعِد الحيوان الكرَّة على الزورق بل تركهُ وافرز مقداراً كبيراً نحو ثماني اقات من سائل كالحبر رائحتهُ تشبه رائحة المسك صبغ الماء المجاور لهُ ثم غاص في البحر ولم يعد يرى ثانية. وعاد الصيادان بزورقهما الى الشاطىء وهما يرتجفان خوفاً واما الفتى واسمهُ توما بيكوت فنزع الذراعين عن القارب وعاد بهما الى الشاطىء كما يعود البطل الظافر بغنيمتهِ ولم يخطر على بالهِ انهُ اتى امراً خطيراً فرمى الذراع القصيرة الغليظة الى الكلاب فتناوشتها الى ان التهمتها واما الذراع الطويلة فانهُ اخذها الى بيتهِ حاسباً انها اذا جفَّت صارت حبلاً يربط بهِ قاربهُ. وسمع قسيس القرية بتفصيل الحادثة فاشار على توما ان يبادر اليَّ ويريني تلك الذراع فاتاني في الصباح التالي وحكى لي القصة فاشتريت الذراع منهُ بمبلغ من المال فعاد يطفر فرحاً. واما انا فلم اكن دونهُ فرحاً وحبوراً فقد علمت انني وجدت اغرب غرائب مملكة الحيوان وان بين يديَّ مفتاح سر غامض تناظر العلماء طويلاً في حقيقة وجودهِ منذ قرون. وتيقنت انهُ سيضاف بواسطة اكتشافي فصل جديد الى التاريخ الطبيعي الاَّ ان فرحي كان يمازجهُ الكدر الشديد لفقد الذراع الغليظة. ولكنني كنت اعلل نفسي بانهُ يمكن تصوير الحيوان كلهِ من معرفة ذراعهِ الواحدة فقط كما فعل كيفيه وغيرهُ فانهم صوَّروا بعض الحيوانات من رؤْية عظم واحد من عظامها. على ان الحظ اعدَّ لي ما لم اكن انتظرهُ ولا احلم بهِ كما سيجيء

وبعد ان دققت البحث في هذه الذراع استنتجت ان طول هذا الحيوان بين خمس عشرة وعشرين قدماً وان طول كل من الذراعين الطوال خمس وثلاثون قدماً او اربعون وعرض رأسهِ اربع اقدام وان ثقله لا ينقص عن الف او الف ومئتي رطل وكان محيط الذراع لا يزيد على ثلاث بوصات ونصف الاّ انها كانت متينة جداً ولونها احمر ضارب الى الصفرة . وتتسع عند طرفها فتصير شبه مجذاف ويصير محيطها ست بوصات وهذا القسم المتسع مسلَّح بممصات قطر اكبرها بوصة وربع وحولها اسنان دقيقة حادة . فاذا التصق الممص بحيوانٍ غرزت هذه الاسنان في لحمهِ واصبح افلاتهُ مستحيلاً . وهذه الممصات في صفين في كل منهما اثنا عشر ممصاً . وهنالك ايضاً عدد كبير من الممصات الصغيرة وكلها تحيط بها الاسنان الصغيرة

وللديكابود ذراعان طويلتان وثماني اذرع اخرى قصيرة وهي اغلظ من الذراعين الطويلتين . وكلها اطوع لهذا الحيوان من اليد للانسان والمخلب للاسد فتنشب بسرعة البرق حتى لا يمكن للعين ان تتبعها في حركتها وتنقضُّ على الفريسة فتجذبها الى فم الحيوان فيفترسها

ولم يعد يظهر اثر لهذا الحيوان الغريب والراجح انهُ نزل الى اعماق البحر ليموت منفوداً كما تفعل الاسماك اذا اصيبت بجراح والاّ فقد هاجمتهُ رفاقهُ لما احسَّت بعجزهِ وافترستهُ لان السمك يأكل بعضهُ بعضاً من غير حساب

ولم يمضِ على هذه الحادثة ثلاثة اسابيع حتى ذاع ان الصيادين امسكوا اخطبوطاً كبيراً في خليج لوجي على ثلاثة اميال من مدينة سنت جون في الارض الجديدة . فاسرعت الى ذلك المكان فرأيت الصيادين حول الحيوان وهم يريدون تقطيعهُ واستعمالهُ سماداً للارض . وكان سليماً من كل عطب الاّ ان الصيادين اضطروا ان يقطعوا رأسهُ فاتلفوا عينيهِ . وكنت قد درست كل ما يتعلق بهذا الجنس من الحيوان فتحققت ان ليس في متحف من متاحف العالم حيوان كامل مثلهُ بل كان العلماءُ يرتابون في وجود ما هو كبير مثلهُ وللحال اشتريتهُ بعشرة ريالات ونقلتهُ الى منزلي ووضعتهُ في وعاء كبيرة مملوء بالماء والملح

وكان هذا الحيوان اصغر من الاول وقد ظننت انهُ انثى الحيوان الاول نفسهِ حلَّ بها اليأس حين فقدت الفها فالقت بنفسها الى التهلكة . وذلك ان الصيادين كانوا في زورق يصيدون السمك بالشباك وبينما هم كذلك احسوا بثقل غير اعتيادي في شبكتهم فابرقت اسرتهم وظنوا انهم اصابوا شيئاً كثيراً من السمك ولكن لما قربت الشبكة منهم احسوا باختباط شديد فيها كاد يمزقها ويذهب بها فجمعوا قواهم وتعاضدوا على سحبها فما بدا لهم ما فيها هالهم منظرها اذ رأوا عينين كبيرتين تتقدان غضباً حولها اذرع كبيرة تتلوى داخل الشبكة وتتخبط لتتملص

منها . ثم نشبت ذراعان من هذه الاذرع وخرجت من الشبكة واهتزت في الهواء الاَّ انهما لم تصلا الى الزورق بل عادتا الى مكانهما . وقد هال الصيادين هذا المنظر واردوا ان يتركوا الشبكة وما فيها الاَّ انهم صمموا اخيرًا على قتل هذا الحيوان ليأمنوا شرَّهُ وتناول احدهم سكينًا حادةً فقطع بها رأسهُ من تحت العينين واصاب العينين ففقأهما وترك حجاجيهما فارغين وللحال انقطعت حركة الحيوان فسهل على الصيادين اخراجهُ الى البر

وقد كانت هذه الحادثة من حسنات الطبيعة وغرائب الاقدار . فان الطريقة التي بها قُبض على ذاك الاخطبوط هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها القبض عليهِ من غير ان يلحق بهِ ضرر وبالقابض عليهِ اذًى

وقد قستهُ فوجدت طول جسمهِ ثماني اقدام ومعظم محيطهِ خمس اقدام ونصف قدم . ويتشعب منهُ عشر اذرع اثنتان منها طويلتان طول كلٍّ منهما اربع وعشرون قدمًا ومحيطها ثلاث بوصات . وهذه تشبه الذراع التي أُتي اليَّ بها من جون البرتغال وفيها على الطرف المتسع نحو ١٦٠ ممصًّا ويبلغ طول كلٍّ من الاذرع الباقية ست اقدام ومعظم قطرها ١٢ بوصة وعلى سطحها الاسفل صفّان من الممصات . ويبلغ عدد كل الممصات على الاذرع العشر نحو ١١٠٠ ممص . ومحيط حجاج العين المفقوءة ١٢ بوصة والمنقار صلب يشبه منقار الببغاء في الانعكاف وحجمهُ كحجم الكف المقبوضة وحولهُ كيس لحمي في وسط الرأس . ويبلغ طول الحيوان من طرف الذراع الواحدة الى طرف الذراع الاخرى ٥١ قدمًا

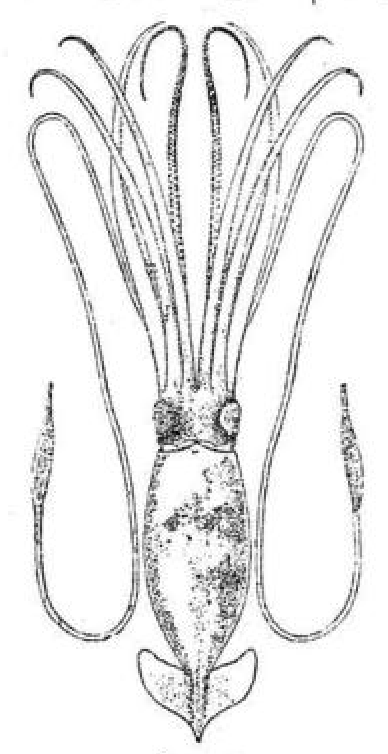
وللاخطبوط انبوبة وراء رأسهِ واليها تُنسب حركاتهُ السريعة في الماء . وكيفية ذلك ان الانبوبة متصلة باعضاء التنفس يدخلها الماء من صمامين بواسطة تمدد جسم الحيوان . فاذا اخذ الدم من الماء الاكسجين اللازم لهُ انضغط الجسم على الماء فاخرجهُ من الانبوبة بقوة شديدة واندفع الحيوان بسرعة . هذه هي الطريقة التي بها يسير الاخطبوط عادةً وذنبهُ مثلث الشكل يقوم مقام دفةٍ يدور بها كيف شاء ويسير بهِ الى الامام بسهولة تامة

وفيهِ كيس للحبر يفرغ الحبر منهُ الى هذه الانبوبة بقناة مخصوصة فاذا داهم الاخطبوط عدو افرز كمية من هذا الحبر الى الماء المجاور فيحيط نفسهُ بستار من الظلام الحالك يجعلهُ في مأمن من كل طارئ مفاجئ

وليس للاخطبوط سلسلة فقارية كما لسائر الحيوانات العليا بل لهُ لوح صلب يشبه العظم ويقوم مقام السلسلة . ويرتإي الدكتور هارفي ان الاخطبوط وحية البحر شيءٌ واحد ويشاركهُ في هذا الرأي جمهور من العلماء الثقات فاذا صحَّ ذلك كان للدكتور هارفي الفضل في كشف

القناع عن هذين السرين الغامضين ووضعهما على اساس علمي متين

ولما كانت غايتهُ ان ينتفع العلم باكتشافهِ ارسل الحيوان الى الاستاذ فرل في مدرسة يال الجامعة وكان هذا النوع من الحيوان درسهُ الخاص . فدرسهُ درساً مدققاً ونشر نتيجة بحثهِ فيهِ . وقد سمى الحيوان باسم مكتشفهِ "اركيتوثس هارفيايي" اي الاخطبوط العظيم



الاخطبوط الطويل الذراعين كما تممهُ الاستاذ فرل

الذي اكتشفهُ هارفي . وسماهُ غيرهُ باسم "ميغاتولوثس هارفايي" تذكاراً للخدمة التي بها خدم هارفي العلم

والاخطبوط الكامل محفوظ الآن في الكحول في وعاء كبير بمدرسة يال الجامعة . والذراع الاولى التي قطعها توما بيكوت محفوظة في متحف مدرسة سنت جون في جزيرة الارض الجديدة

اسمعيل باشا سري والري الصيفي

لما فتح البارلمنت الانكليزي بالامس وخطب فيهِ ملك الانكليز ذاكرًا اهم المسائل الخطيرة اطال الكلام على زرع القطن وامَّل ان المساعي المبذولة لاتساع مساحة الاراضي التي يزرع القطن فيها تكلَّل بالنجاح

وما يهتم بهِ الآن ملك عظيم الشان مثل ملك الانكليز اهتمَّ بهِ محمد علي باشا منذ اعوام كثيرة ولا يزال اعظم ما يهتم بهِ اهالي هذا القطر وهو الغرض المقصود من توسيع نطاق الري الصيفي ومن "المشروعات المستجدة" التي عملها اسمعيل باشا سري في المديريات الوسطى من هذا القطر او لا يزال آخذًا في عملها فيها . وقد اطلعنا الآن على رسالة لاديب رأى هذه الاعمال ووقف على تفاصيلها فنقلنا عنها الفصل التالي قال :

في اول مارس سنة ١٨٩٩ وهو تاريخ يجب ان ينقش على افئدة جميع اهالي مصر الوسطى صدرت الاوامر الى سعادة اسمعيل باشا سري بتركهِ اشغال تفتيش ري القسم الثاني والقيام الى المنيا لتحضير مشروع لتحويل الاراضي التي كانت تروى في ايام الفيضان فقط الى نظام ري صيفي اي الى نظام ري مستديم

فظن بعض من لا يدركون دخائل الامور ولا يفسرون الحوادث الَّا بظواهرها ان سعادتهُ ترك منصب مصر وسكناها ونُقل الى الصعيد ابعادًا لهُ لاخلاء الجو لغيرهِ . وبقي هذا الظن متسلطًا على افكارهم الى ان اخذت اعمال المشروعات تبرز من حيز الفكر الى حيز الوجود وعند ذلك حدث شبه رد فعل في الافكار وعلم الجميع ان كبار موظفي الري قد اعطوا القوس باريها وان المشروع المجيد الذي انتدب صاحب الترجمة لاجلهِ اعظم مشروع من نوعهِ عمل في القطر السعيد من يوم جرى فيهِ نهر النيل المبارك . ولكي يدرك القارىء خطارة هذا المشروع الجليل وماهية الاعمال التي تعمل ومقدار الفوائد التي تعود على البلاد والعباد ابحث في الموضوع بحثًا تفصيليًا فاقول

علم الخاص والعام ان الخزان العظيم الذي عمل في اصوان كان الغرض من تشييدهِ اولاً خزن المياه في اواخر الفيضان وحفظها ذخيرة ثمينة تهادى بها اراضي القطر في مدة الصيف ايام تكون مياه النيل شحيحة والزراعة الصيفية في اشد الحاجة اليها . والغرض الثاني منهُ اعطاء المياه الصيفية اللازمة لمساحات كبيرة من الاراضي التي كانت تروى ري حياض فقط . وري الحياض هذا هو ان المياه تعمُّ الاراضي في مدة النيل وتبقى فوقها مدة نحو ٤٠ يومًا ثم تصرف عنها ويزرعها الاهالي الزراعة الشتوية وتبقى الارض بعد حصدها خاوية خالية كانها لابسة

اثواب الحداد على عزها الماضي وحرمانها من ثوبها الاخضر القشيب . والاراضي التي كان في عزم نظارة الاشغال تغيير نظام ريها عند انتداب صاحب المشروع تبلغ مساحتها نحو ٣١٢٠٠٠ فدان وهي واقعة في اقاليم مصر الوسطى بين قناطر تقسيم ديروط جنوبًا وصليبة حوض قشيشة شمالاً وبين مجرى البحر اليوسفي المشهور غربًا وجسر المحيط الغربي شرقًا . وسلسلة الحياض هذه تمتد في ثلاث مديريات وهي مديريات اسيوط والمنيا وبني سويف

قلنا ان المياه اللازمة لري هذه الاراضي صيفًا تيسرت بعمل خزان اصوان لخزن المياه ولكن وجود المياه ليس كافٍ وحده لضمانة الري وتوصيل الماء الى الاراضي ولذلك بنيت قناطر حجز على النيل في اسيوط كمساعد لخزان اصوان يرفع منسوب مياه النهر لكي يدخل المقدار الكافي منها في الترعة الابرهيمية التي تنقل المياه الى المنطقة الصيفية القديمة والمنطقة الصيفية الجديدة التي هي موضوع كلامنا . بقي اذًا بعد ان تيسرت المياه الكافية وصار في الامكان توصيلها الى الاراضي شتاء وصيفًا عمل الاعمال اللازمة لتوزيعها على تلك الاراضي بتمام الترتيب والنظام وهذه هي اعمال المشروعات العظيمة

تقدَّم القول ان صاحب المشروعات حضر الى المنيا في اوائل سنة ١٨٩٩ وبعد حضوره رأى ان من مصلحة اعماله الجديدة مشاهدة بعض اعمال الري المهمة في اوربا لا سيما ما عمل منها في شمالي ايطاليا لما اشتهر عنها من ترقي الري فيها وانتظامه فطلب من نظارة الاشغال ان تأذن له ليذهب بصفة رسمية الى تلك البلاد فاذنت له في ذلك عن طيبة خاطر وسافر اليها في صيف سنة ١٨٩٩ وبعد ان قضى مدة شهر يطوف في تلك الاقاليم ويشاهد اعمال الري فيها عاد الى مصر واتحفها بمؤلف عن رحلته كتبهُ باللغة الانكليزية وسماهُ « الري في وادي نهر البو » جاء فيه على كل ما جلَّ نفعهُ وعظمت فائدتهُ ووصف حالة الري في شمالي ايطاليا وصفًا وافيًا لحق لهُ ان يقول عن ذلك التقرير كما قال الفيروزابادي عن قاموسه « خذوا ايها الايطاليون وصف ريكم من رجل مصري »

وبعد عودته الى المنيا قضى بقية عام ١٨٩٩ والعام الذي يليه مكبًّا على درس المشروع وتحضيره فعمل تصميات الترع والفروع اللازمة لضمانة ري جميع الاراضي ريًّا وافيًا وقد اعطى للمصارف وفروعها حقها من الالتفات فلم يخطط ترعة لزيادة الحياة في الارض الأ وخطط بجانبها مصرفًا لحفظ تلك الحياة وضمانتها ووضع ايضًا تصميات قناطر الموازنة لحفظ المياه على منسوبات معلومة ووضع رسومات افام الترع وقناطر الصرف لاعطاء المياه وصرفها عن الاراضي بمقادير قانونية وقرر مواقع قناطر المرور تسهيلاً لحركة الاهالي فجاء المشروع كافيًا وافيًا وارسله الى

نظارة الاشغال العمومية فصادقت عليهِ كما هو بدون تغيير ولا تبديل وشرع في تنفيذهِ في اوائل سنة ١٩٠١ وبوشر العمل في القسم الشمالي من مديرية اسيوط وهو القسم الواقع شمالي قناطر حجز ديروط ومساحتهُ نحو ٥٨٠٠٠ فدان

فوزعت الاعمال من انشاء ترع وحفر مصارف واقامة قناطر وتشييد ابنية على المقاولين واستمرَّ العمل مدة سبعة اشهر واهالي تلك المنطقة يظنون ان زمان الاستبداد قد عاد وان الحكومة تقطع اراضيهم قصد اتلافها وبقية اهالي مصر لا يدرون ماهية ذلك العمل العظيم ولا يدرون اي روح جديدة تبث في جسم بلادهم الى ان جاء اليوم العاشر من شهر اغسطس سنة ١٩٠١ وهو اليوم الذي تقرر رسميًّا فتح افمام الترع التي انشئت في تلك المنطقة ودخول المياه اليها بانتظام لاول مرة في حياتها فاطلقت المياه في الترع في صباح ذلك اليوم في حفلة حافلة حضرها اكابر القوم واعيان مديريات اسيوط والمنيا وبني سويف وعدد كبير من الاهالي وكان من الحضور مديرو جرجا واسيوط والمنيا وبني سويف والفيوم وباشمهندسو المديريات التي ذكرناها فأُنشدت قصائد المديح وتليت خطب الثناء على المشروع وصاحبهِ ولكن أنَّى لقرائح الشعراء ان تفي ذلك المشروع وصاحبهُ حقهما من المدح والثناء وانى لالسنة الخطباء ان تفيض بوصف تلك الاعمال العظيمة ونتائجها العجيبة وكل من جال في انحاء تلك الحياض في الاعوام الماضية ورأَى كيف ان مياه الفيضان كانت تغرقها مدة ثلثة اشهر من السنة وحرارة الشمس تحرقها مدة اربعة اشهر أُخرى ثم جاء وشاهدها الآن ورأَى الزراعة فيها تتلو الزراعة والمحصول يجيء بعد المحصول والاراضي تنبت زبرجدًا والزبرجد يزهر فضة ويثمر ذهبًا ويفيض على السكان بالخيرات التي لم يكونوا يحلموا بها بل لو اعارنا المنطاد جناحهُ والهواء براحهُ فارتفعنا بعض مئات من الاقدام فوق سطح تلك المنطقة وشاهدنا الترع كالشرايين تخرج من قلب قناطر ديروط وتنقل ماء الحياة الى كل جزء من اجزاء تلك المنطقة ورأَينا المصارف كالاوردة تجري فيها المياه التي تصفت عن تلك الاراضي لادركنا ماهية العمل العظيم الذي قام بهِ هذا العالم المفضال وعلمنا حق العلم انهُ لا يزال في السويداء رجال

وفي اوائل سنة ١٩٠٢ باشر العمل في المنطقة الواقعة في مديرية المنيا ومساحتها نحو ١١٣٠٠٠ فدان فقسمها الى قسمين وباشر العمل في القسم الجنوبي منها ومساحتهُ نحو ٥٥٠٠٠ فدان فانشأَ ترعهُ ومصارفهُ واقام ابنيتهُ على ما وصفناهُ في المنطقة السالفة الذكر وما جاء العاشر من اغسطس سنة ١٩٠٢ الأَّ وكانت هذه المنطقة ايضًا مستعدة تمام الاستعداد للري الصيفي فتدفقت في ترعها المياه وجرى في عروقها دم الحياة وأَخذ الاهالي في الحرث والزرع وكلهم

السنة شكر ودعاء ومدح وثناء على المشروع وصاحبه

وفي اوائل سنة ١٩٠٣ انتقل الى القسم الشمالي من منطقة المنيا وداهمهُ بخيلهِ ورجلهِ وهاجمهُ من كل ناحية وصوب ودامت المعركة مدة سبعة اشهر فانجلت عن انتصارهِ انتصارًا باهرًا كما هو المنتظر ونتم الى مساحة الاراضي الصيفية نحو ٥٨٠٠٠ فدان من اراضي الحياض ونشر فيها اعلام العصر الحديث فوق اطلال العهد القديم وبرهن للملاءِ ما توصل اليهِ الري في مصر من التقدم والترقي

وقد سهَّل للفلاح كل السبل وعلَّمهُ كيف يوزع المياه فوضع تحت جسور الترع وفروعها اقامًا من المواسير لمساقٍ فرعية تروي كل منها نحو خمسين فدانًا ريًّا تامًّا فلم يبقَ على الفلاح بعد ذلك الا ان يفتح فم مسقاهُ حتى تتدفق الى ارضهِ المياه ومتى تمَّ ريها على ما يشتهي يعود فيقفلهُ بسهولة

ثم انهُ وجد ان المواصلات بين البلاد قد تعسرت بسبب تقطع الاراضي بالترع والمصارف فوضع مشروعًا مفصلًا لعمل سكك زراعية تصل بين البلاد المهمة وتوصلها الى اقرب محطة من محطات السكة الحديدية ومنها الى شاطىء النيل وذلك لكي يسهل للاهالي الانتقال من مكان الى مكان ولا يتعذَّر عليهم ان ينقلوا اثقالهم من محصولات وغيرها باسهل الطرق واقربها سواء كان على ظهر الجمار او في عباب البحار

فيجمع مما تقدم ان صاحب المشروع قد اتمَّ تحويل نحو ١٧٠٠٠٠ فدان للري الصيفي في السنوات الثلاث السالفة الذكر وبقي عليهِ بحسب التصميم الاصلي الذي ذكرناهُ في اول هذه العجالة نحو ١٤٠٠٠٠ فدان اخرى الا ان نظارة الاشغال العمومية وجدت ان المياه التي يخزنها الخزان تزيد كثيرًا عما يطلبهُ المشروع الاصلي فارتأت ان تحوّل بقية حياض مديرية بني سويف وحياض مديرية الجيزة ايضًا الى الري الصيفي المستديم وتبلغ مساحة هذه الاطيان نحو ١٧٣٠٠٠ فدان . فطلبت من صاحب الترجمة ان يدرس هذا المشروع الجديد ويضع لهُ الرسوم والتقادير اللازمة كالمعتاد ففعل وارسل نتيجة مباحثهِ الى النظارة في سنة ١٩٠٣ ولا تزال الى الآن في معرض البحث والمراجعة وعليهِ فيكون ما لا يزال مصممًا على تنفيذهِ من هذا المشروع العظيم نحو ٣١٣٠٠٠ فدان اي نحو ضعفي ما تمَّ تنفيذهُ الى الآن ويقتضي لاتمام ما بقي خمسة او ستة اعوام من اول سنة ١٩٠٤

ومهما اطال الكاتب في وصف هذا المشروع واطنب في تبيان فوائدهِ فانهُ يعجز عن ان يرسم في ذهن القارىء صورة واضحة لفخامتهِ ولا تتضح هذه الصورة الا بالبراهين القاطعة وعليهِ فسأذكر مجمل ما جمعتهُ عن الاعمال التي عملت لاخراج ما تمَّ من المشروع من حيز الفكر الى عالم

الوجود وبيان الفوائد التي عادت منهُ على القطر عموماً وعلى اصحاب الاطيان خصوصاً فاقول : --

يتعجب القارئ اذا علم ان مقدار ما حُفر من التراب في انشاء الترع والمصارف وفروعها وفي توسيع بعض الترع وتعديل البعض الآخر في السنوات الثلاث الماضية من اول سنة ١٩٠١ الى آخر سنة ١٩٠٣ بلغ خمسة وعشرين مليوناً من الامتار المكعبة وهذا المقدار من التراب قد رفع على اكتاف نحو ١٠٠٠٠٠ من العمال احضرهم المقاولون من اهالي الصعيد لا بالسوط والتهديد كما كانت تفعل الفراعنة من قديم الزمان وحكام مصر المحدثون قبل عهد الاصلاح بل بالدرهم والدينار الذي كانت الحكومة تنفقهُ من خزائنها عن طيبة خاطر

وبلغ عدد الابنية التي أُقيمت نحو ٨٥٠ بناء من قناطر موازنة وافمام ترع ومصبات مصارف وقناطر لمرور وسحارات وهدارات ومنازل للتفتيش

وبلغ طول الترع التي عملت ١٠٤٠ كيلومتراً وطول المصارف ٨٥٥ كيلومتراً فيكون مجموع هذه المجاري نحو الفي كيلومتر اي نحو ضعف المسافة بين الاسكندرية واصوان

وبلغت نفقات هذه الاعمال جميعها نحو ٨٢٠٠٠٠ جنيه مصري صرفت جميعها من خزائن الحكومة وستردُّ اليها على اقساط من علاوة الضرائب التي ستضرب على الاراضي التي تمَّ اصلاحها

واذا جعلنا الماضي قياساً للمستقبل وحفظنا النسبة بين ما تمَّ من المشروع وبين ما سيتمُّ في الاعوام القادمة وجدنا ان ما يلزم لاتمام المشروع باكملهِ هو انشاء نحو ١٩٠٠ كيلومتر من الترع ونحو ١٦٠٠ كيلومتر من المصارف وتبلغ مقادير التراب الذي يستخرج منها نحو ٥٠ مليون متر مكعب وتقتضي بناء نحو ١٦٠٠ من انواع الابنية التي فصلناها في ما تقدم ويبلغ المال الذي سوف ينفق في سبيل اتمام كل هذه الاعمال نحو ١٦٠٠٠٠٠ جنيه او قل من مليوني جنيه

ولبيان الفوائد التي نجمت عن ذلك المشروع لابدَّ للقارئ ان يعلم ان الفدان من الاطيان التي تحوَّلت الى نظام الري المستديم كان لا يساوي قبل تغيير نظام ريهِ اكثر من ٣٠ جنيهاً وكان محصولهُ لا يزيد على جنيهين او جنيهين ونصف سنوياً اما الآن فقد اصبح لا يباع باقل من سبعين جنيهاً ومحصولهُ لا يقلُّ عن عشرة جنيهات في السنة واذا اخذنا من الماضي اعلى الاثمان واكبر المحصولات ومن الحاضر اقلها واعتبرنا الثمن الماضي ٣٠ جنيهاً والثمن الحالي ٦٠ ومقدار المحصول في الماضي ٣ جنيهات والحالي ثمانية فقط وجدنا ان ما تمَّ تحويلهُ الى الري الصيفي يزيد في ثروة البلاد نحو خمسة ملايين من الجنيهات وفي ايراد اصحاب تلك الاراضي السنوي نحو ٨٠٠٠٠٠ جنيه سنوياً. واذا جعلنا الماضي قياسنا هنا كما جعلناهُ في تقدير عظمة المشروع نجد ان هذا المشروع الكبير سيزيد في ثروة القطر المصري بعد تمامهِ نحو خمسة عشر

مليونًا من الجنيهات على الاقل ويزيد في ايراد الاهالي نحو مليوني جنيه سنويًا . فهذه فوائد المشروع الجليل الذي قام بهِ سعادة الهمام اسمعيل سري باشا في اراضي مصر الوسطى وتلك هي عظمة العمل الذي ربما لم يسمع بهِ كثيرون من سكان وادي النيل

خطر علينا وعلى الدين

تمهيد

مضى زمن طويل لم أُرِد ان احرك فيهِ لسانًا او أُجري على القرطاس قلمًا اعتقادًا مني بان البرهة يمضيها الناشئ في التحرير خير منها الف مرة برهة يمضيها في المطالعة والاستفادة . وليست الغوغاء التي يخلقها المرء حول اسمهِ طلبًا للشهرة بنافعةٍ الاَّ الى حين ثم ينكشف ذلك الطلاء الكاذب فيظهر الجوهر ناقصًا معيبًا لا نعيص لهُ من السقوط . ولقد كنتُ منذ عامين احببت ان اكتب الكلمة التي انا اليوم كاتبها نصيحةً لامتي واحترامًا لدينها ولكني اعترتني الرهبة وخشيت ان استفزَّ غضبها لدعوة كنتُ لا يزال يعتريني بعض الشك في صحتها ففضلت ان اطويها خاطرًا في صدري وتركت للزمن ان ينضجها بعد ان تثقف وتصقل في نار البحث والتدقيق فإما هي معدن فاسد يلقى في زوايا النسيان وإما هي جوهر كريم يصحُّ ان يهدى الى عرائس الاذهان

والآن بعد مرور عامين طويلين قلَّبت فيهما تلك الدعوة على جميع وجوهها وعرضتها على محل النقد والمناقشة لا اجدني اخطأت الاَّ في عدم الجهر بها الى الآن مع شدة احتياجنا الى معرفتها والعمل بها لا سيما في هذه الايام التي شاعت فيها كلمة الدين من اناس اتخذوها تجارة فلم يعد يهمهم الاَّ ان ترددها افواههم صباحَ مساء وسيلة للتغرير واحتيالاً لكسب رضى العامة وشيوع ذكرهم بينها غير ملتفتين الى الخطر العظيم الذي يدفعون اليهِ الامة ودينها كما اندفعت اليهِ اوربا من قبل فكانت النتيجة وبالاً على المسيحية والمسيحيين

والذي اريدهُ بعد ذلك من كل قارئ ان يمعن النظر كل الامعان في معنى ما اقولهُ واقصدهُ فلا يحمل اقوالي على غير محملها ولا يندفع مع تيار الغضب ليرميني بما انا بريء منهُ في حين انهُ لو تجرَّد برهة عن اوهامهِ التي ارتكزت في ذهنهِ ونظر في الامر بعين فكر سليم لا يدين الاَّ بما يفهم لانجلت لهُ الحقيقة ولعرف ان ما اكتبهُ اليوم اقل ما يمكن ان يقال في مثل هذا المقام

نحن والدين

قالوا ان الأُمة اذا كانت جاهلة متأخرة ثم قُدِّر لها ان تخطو الى الامام وتنهض راغبة في التقدم فلا بد لها من ادوار كثيرة طبيعية تتناوبها واحداً بعد الآخر. واول هذه الادوار ان يكثر فيها الناصحون والمرشدون فلا يزالون يقرعون الآذان ايقاظاً للنائم وتنبيهاً للغافل ولا تزال الامة تغضي عن اكثر ما يقولون ردحاً من الزمان حتى يتأثر مجموعها كما تتأثر الصخرة الصماء من قطرات الماء فتهم الى السعي واتباع القول بالعمل وحينئذٍ يصحّ ان يقال انها نشطت من عقالها وقامت تنفض الغبار عن اكتافها ودخلت في دور آخر هو دور الحياة والعمل

فاذا صحّ قولهم هذا — وهو مما لاشك فيهِ — وصحّ ان الامة المصرية كانت ولا تزال متأخرة جاهلة — ولا اظن مصريًّا ينكر ذلك — فانها الآن في الدور الاول من نهوضها ولذلك تجدها على كثرة الصائحين بينها والمنادين فيها تكاد لاتفقه كلمة من عشر كلمات يلقيها عليها الناصحون والمرشدون. وخليق بنا ونحن لا نزال في اول الطريق ان نتساءل الى اين نساق واي سبيل نتبع وهل في ما نحن سائرون اليهِ نفع او ضرر حتى لانرمى بقصور النظر ولا نكون كالتائه في البيداء لايعلم الى النجاة ام الى الهلاك يسير. ومما لاريب فيهِ ان تتبُّع حركة الافكار في البلاد واستجلاء الاغراض التي يسعى اليها ارباب الاقلام هما وحدهما خير ما يؤدي بنا الى الغاية المقصودة. فلننظر الى اي شيء ترمي حركة الافكار والى اي غرض يعمل ارباب الاقلام لنعلم الى اي طريق نحن مسوقون

دُرْ في البلاد طولها وعرضها واستجلِ غوامض افكار ابنائها وسل كلّاً من تريد منهم عن اسباب تأخرنا وانحطاطنا ثم عن الطريق الذي يؤدي الى نهوضنا وارتفاعنا وبالجملة عن دائنا ودوائنا تجده' مهما اطال في الشرح وعدَّد من الاسباب لا يحوم الاَّ حول سبب واحد تنتهي اليهِ جميع الاسباب. وهذا السبب هو الدين فتركهُ والجري على خلافهِ هما علة ما نحن فيهِ والعمل بهِ هو الدواء الوحيد لشفائنا من كل ما اصابنا من الامراض

دع هؤُلاء وراقب معلمي ابناء الامة ومربي اطفالها واستطلع خلاصة ما يبثون من النصائح والارشادات تجد ان الدين هو القدوة التي يغرسونها في الاذهان مثالاً لكل كمال ومنبعاً لكل حياة واساساً لكل عمران

دع هؤُلاء ايضاً وانظر الى اكثر المؤَلفات التي تنشر كل يوم وحسبك ان تمرَّ عليها مرًّا لتعرف ان اصحابها وان اختلفت بينهم المنازع وتضاربت منهم الآراء متفقون تمام الاتفاق على انهُ لا رقي ولا نهوض الاَّ بالدين. وقليل او اقل من القليل من هؤُلاء المؤَلفين من تعثر لهُ

على صحيفة لا تجده' قد ضرب فيها على نغمة الدين

دع هؤلاء ايضاً وألقِ بالاً الى الشعراء طلاَّب الخيال وعشاق الكمال تجدهم بين صغير وكبير بليغ وغير بليغ لا يهيمون الاَّ بصورة واحدة هي صورة الدين يمثلونها للافهام اله الحب ومعنى الجمال وكأنهم لولاها ما ذاقوا للكمال لذة ولا تاهوا في بيداء الخيال

دع هولاء ايضاً واتلُ ماينشر في البلاد من جرائد ابنائها ومجلاتهم سياسية وعلمية ومجونية تجدها على كثرتها وتنوع مذاهبها واختلاف اغراضها لا تهتم بشيء اكثر من المناداة بالدين ولا تكاد تتفق الاَّ حينما تتغنى بكلمة الدين . وعجيب في امر هذه الصحف انها ما ظهرت في البلاد دعوة اصلاح او ارشاد الاَّ وتشاكست فيها حتى تمرَّ الايام فلايبقى من آثار الحديث عن تلك الدعوة الاَّ غبار ذلك التشاكس لكنها متى هبت عليها ريح الدعوة الى الدين اجتمعت كلها لساناً واحداً ويداً واحدة حتى كأنها أُفرغت في قالب واحد او كأنك اذ تطوي احداها لتتلو الاخرى لا ترى الاَّ صحيفة واحدة تعددت لها الاسماء

هذا كلهُ وكثير غيره' لايتسع المقام لافاضة الشرح فيهِ يدلُّ على مبلغ تسلط الدين على عقولنا وانخداع افهامنا انخداعاً لامثيل لهُ لكل ما يأتي من جانب الدين بل يدل على استسلامنا استسلاماً اعمى الى ماضينا الذي يجب ان نبتعد عنهُ كل الابتعاد ان كنا نريد ان لا نبقى كما نحن وكما كنا جهلاء ضعفاء

ومن اغرب ما فينا اننا مع ما نحن فيهِ مما لا اسميهِ الاَّ هوساً دينياً لاتجد واحداً منا الاَّ وهو شاكٍ باكٍ من عدم اتباع الدين ونبذ قواعدهِ فكلنا شاكٍ وكلنا مشكوٌّ وكلنا داعٍ وكلنا مدعوٌّ . وكأني بنا بعد كل ذلك الصياح وتلك الجلبة قد خرجنا من الدنيا ولا نحن استفدنا ولا الدين استفاد . بل اغرب من هذا واعجب ان اولئك الذين تسمع لمناداتهم بالدين بيننا كل يوم وكل برهة ضوضاء تصمُّ الآذان وتزعزع الجبال هم اجهل الناس بالدين وابعدهم عن اتباعهِ وما هم الاَّ متاجرين اتخذوا كلمة الدين مطية للتغرير والتضليل توصلاً الى اغراضهم بعد ان علموا انها خير ما يرضي العامة فكان من ذلك انهُ ما جدَّ في البلاد حادث ولو كان تافهاً لايلتفت اليهِ فرد عاقل فضلاً عن امة فضلاً عن دين يجمع امماً إلاَّ وسبقتهُ كلمة الدين ثم لا تزال تتبعهُ هذه الكلمة حتى يقبر في زوايا النسيان ويكون آخر ما يشيعهُ الدين

ميراثنا الديني

حقًّا ان الانسان ليقف حيالَ تلك الحال التي شرحناها وقفة المندهش المفكر سائلاً من اين سرى الينا هذا الاعتقاد الذي ترددهُ افواهنا صباح مساء . ثم كيف اصبحنا آلات جامدة لا نكاد

تحرك الآ بالدين وللدين كأنما لم يخلق الله لنا عقولاً او كأنما نحن مسخرون بلا ارادة ولا تمييز
لهذا وذاك على ما اظن اسباب جمة اهمها ما ورثناهُ وتوارثتهُ العصور السالفة من الركون في كليات امورنا المعاشية وجزئياتها الى تقليد اسلافنا المعروفين بالورع والتقوى في جميع اعمالهم واقوالهم ونسبة ذلك الى الدين او نسبة الدين اليهِ . فايما كلمة او ايما حركة صدرت من رجل قريب عهد بنشأة الدين سواء اخطأ فيها او لم يخطئ وسواء راعى فيها مقتضيات الزمان والمكان او لم يراعِ اخذناها نحن عنهُ قضية مسلَّمة . وما اسرع ما نلبسها ثوب الدين حتى لا يتسع فيها المجال للبحث والتفنيد. كذلك من جملة الاسباب التي آلت بنا على تعاقب الازمان الى ما نحن فيهِ انتشار بعض المذاهب المتطرفة وميل العامة الى التغالي في الدين واعتبارهِ كافلاً بكل شيء أخذاً بظواهر بعض الآيات والاقوال المأثورة كقولهِ تعالى "وما فرطنا في الكتاب من شيء" او كقول سيدنا علي كرم الله وجههُ "لو ضاع عقال بعيري لوجدتهُ في القرآن"

ولعلي لا أجد هنا اثباتاً لذلك خيراً من توجيه الانظار الى التاريخ وتعقُّب حوادثهِ . فكم من حركات دينية وقفت في وجه مكتشفات علمية صحيحة لا لعلة اكثر من تأويل فاسد او فهم سقيم . ثم كم من كلمة قيلت عفواً بل كم من حركة بدرت من بعض قريبي العهد بنشأة الدين كانت حاجزاً منيعاً ضد كثير من المبادىء العلمية الثابتة لا لسبب آخر غير انتمائها لجانب الدين. والأمثلة على ذلك جمة يملأ شرحها المجلدات الضخمة ولكني ذاكرهنا للقارىء بعضها بالايجاز لتتجسم الحقيقة امام عينيهِ فيعلم ايُّ ميراث ورثنا عن اجدادنا الغابرين

اثبتت المدينتان المصرية واليونانية ان الارض كروية الشكل لا منبسطة كما يتوهم الناظر الى سطحها لاول وهلة ولكن هذا القول لبث لا يتعدَّى العلماء ومن يلوذ بهم الى ان جاءت المدنية الاسلامية وعرِّبت مؤلفات علماء اليونان فسرى الى المسلمين هذا القول وقامت تذود عنهُ فئة الباحثين والعارفين ولكنها لم تكد تظهر بهذا القول حتى قامت ضدها حرب شعواء الزمتها ان ترجع القهقرى زمناً طويلاً من جماعة المتطرفين المدعين التمسك بالدين اولئك الذين لم يكن لديهم من الحجج اقوى وامضى من بعض آيات ورد فيها ان الله بسط الارض فمحال بعد ذلك ان تتصوَّر اذهانهم انها كروية الشكل والا لزمهم تكذيب القرآن والعياذ بالله . نعم لا انكر ان بعض كبار الفقهاء رأى ورأيهُ الحق ان لا تنافي بين الآيات واعتقاد كروية الارض لان البسط معناهُ الاتساع ولكن هذه الحقيقة لم تشع في الامة وبقيت يعتريها الشك عند كثير ممن نسميهم علماء. وكأني بنا لولا اتصال نور المدنية الغربية الينا وقيام الادلة المحسوسة من جانب هذه المدنية على صحة هذا القول لبقينا الى الآن يرتاب القليل منا فيهِ ويعتقد

اكثرنا كذبةً تشيعاً للقرآن واخذاً بظاهر اللفظ في الآيات

مثل آخر — انتهت الدولة الاموية وكان الاسلام قد اتم أغلب فتوحاتهِ ثم جاءَت الدولة العباسية فاشتغلت الامة فيها بالنظر في العلوم ولم يمضِ قليل من السنين حتى برزَ كثير من ابنائها في انواع شتى ونبغ كلٌّ منهم في ما اشتغل بهِ وكان اهم ما اتجهت اليهِ الافهام النظر في علوم الاقدمين كاليونان والرومان والهنود والاعجام فبحثوا فيها طويلاً وارتاحت اليها عقولهم واخذوا يذيعونها بين الافراد الاَّ انهم لم يكادوا يظهرون بهذا المظهر حتى جاءَتهم صيحة من جانب رجال الدين بانهم ينشرون اقوالاً تخالف ماجاءَ بهِ القرآن. وما اسرع ما اتُّهموا بالزندقة والكفر فكان من هذا الاتهام مسوغ لمحاربتهم باحراق تآليفهم تارة وتشريدهم تارة اخرى وهدر دمائهم في غالب الاحيان. وما زال امرهم كذلك حتى انطفأَت نارهم واستتب لفئة التطرف وسوءِ الفهم الظفر باسم الدين. ولعمر الله ما للدين في ذلك من ذنب ولكن هم حملةُ الاغبياءِ السقيمو الفهم استعملوهُ سلاحاً ماضياً تغلب برقةُ جهل العامة فتشيعت اليهم. فهم وحدهم المذنبون وهم هم المجرمون

مثل آخر — ولماذا نذهب بالامثال بعيداً وها نحن منذ بضع سنوات انتشر في بلادنا مرض الكوليرا ذلك المرض الذي اثبت الطبُّ واثبتت المشاهدات اثباتاً لا مجال للشك فيهِ انهُ من الامراض المعدية وانهُ ينتقل من الشخص الى غيرهِ بطريق العدوى. فما كدنا نسمع الاطباءَ يعلّمون الامة ذلك وينصحون الناس باجتناب الاختلاط حتى اخذت البعض منا الريب وجعل جماعة منا يتساءَلون في معنى الحديث القائل «لا عدوى ولا طيرة في الاسلام» وآخرون يعترضون بالحديث القائل «فرَّ من الاجذم فرارك من الاسد» ففريق مكذبون وفريق مصدقون ليس الاَّ تشيعاً لاحد الحديثين ودون ان يكون للبحث العلمي قيمة تلقاءَ هذا التكذيب والتصديق

امثلة اخرى — لو اردنا ان نستوفي ذكر امثال هذه الحوادث لطال بنا الشرح وخرجنا عما نحن فيهِ فحسبنا ما تقدم ثم حسبنا انهُ وجد في عهد المدنية الاسلامية نفر قالوا بلزوم العلوم الدنيوية للانسان لزوم الماءِ للنبات فصاح في وجههم آخرون يرددون قولهُ تعالى «وما خلقتكم الاَّ لتعبدون». ثم قالوا ان قيمة الانسان في الحياة بعملهِ وجدهِ فصاحوا عليهم «الاسلام يعلو ولا يعلى». ثم قالوا بعد انقضاءِ عهد الوثنية لاتحريج على تصوير الاجسام توصلاً الى معرفة علم التاريخ الطبيعي فصاحوا ولا يزالون يصيحون «كل مصور في النار» ثم اشياءُ اخرى كثيرة كلها على هذا القياس

هل يدهشنا بعد ذلك ان يكون مثل السلطان محمود الثاني يرى في بقاء الجنود الينكشارية على نظامهم القديم خطرًا على الاسلام والمسلمين ثم يريد ان يبدل نظامهم فيظهر امامهُ شيخ الاسلام وفي يمينهِ فتوى بان مثل هذا الاصلاح ليس من الدين بل ينافي الدين . أو هل يدهشنا ان يراد ادخال العلوم العصرية كالتاريخ والجغرافيا في عدد العلوم التي تعلم بالازهر فيضجُّ البعض منا قائلين هذا ضد الدين . او هل يدهشنا ان يقوم منا داعٍ الى تعليم النساء فلا نكاد نتلو دعوتهُ حتى تفزع بآمالنا الى الدين متسائلين هل أمر بذلك او لم يأمر ثم يقوم قاضي قضاتنا مجيبًا فيجعل تعلم الدين فرضًا وتعلم العلم مستحبًا مخالفًا بذلك الحديث الشريف « من اراد الدنيا فعليهِ بالعلم ومن اراد الآخرة فعليهِ بالعلم ومن ارادهما فعليهِ بالعلم » . او هل يدهشنا اخيرًا ان يقوم منا غدًا من يريد انشاء طريق او عمارة بيت فنقع في الحيرة ونتساءل بماذا أمر الدين

هذا نحن وهذا ما ورثنا فلا غرابة بعد ذلك ان ترانا كما عرض فينا نقص يراد استكمالهُ آلات تسبح باسم الدين دون ان يتجاوز ذلك التسبيح الافواه الى الخلاقيم ودون ان نعرف اذا كان الدين حقيقة قد استكمل هذا النقص ثم كيف ارشد الى طريق استكمالهِ . بقي ان نعرف هل في النداء بالدين على هذه الصفة نفع لنا او للدين وهو ما نبحث فيهِ الآن عسى ان يهتدي بهِ قوم يبصرون

هل في النداء بالدين فائدة

عرفت مما تقدم اننا ورثنا من اجدادنا كلمة تسمى « الدين » تصفها السنتنا بكل صفات المدح والكمال ولا نكاد نفهم من حقيقتها سوى بضع عادات وتقاليد انتجها كلها الفهم السيء والتغالي المضر . فقل لي بربك اي فائدة لنا من النداء بالدين على تلك الحال او اي فائدة اجتناها الدين وقد مضت الايام والسنون ونحن على هذا النداء

دع التعصب للماضي وانظر في الامر بعين غير شوساء تجد اننا اليوم كما كنا منذ اعوام وكما كنا منذ قرن نضع الدين نصب اعيننا في كل حركاتنا وسكناتنا ونعتقد اعتقادًا راسخًا اننا ما سقطنا الاَّ لسقوط الدين بيننا ويحث بعضنا بعضًا على التفاني في اتباعهِ وقصر حياتنا عليهِ فما الذي استفدناهُ او ما الذي استفادهُ الدين

يخيل لي اننا لم نستفد غير غوغاء الهتنا عن النظر في شؤوننا السياسية والاقتصادية حتى اصبحنا نعيش عيشة النبات وكانت سببًا في اتهامنا بالتعصب الديني والجهل ورمي الدين الاسلامي الذي اعتقدنا ونعتقد اننا ما سقطنا الاَّ لسقوطهِ بانهُ علة ما نحن فيهِ من التأخر والانحطاط .

هذا هو كل ما استفدناه' وفي ظني ان نظرة واحدة يلقيها كل باحث في الامة الآن وقبل قرن من الزمان تكفيهِ لكي يقتنع باننا لم نستفد شيئاً آخر

اما ما استفاده' او يستفيده' الدين من النداء بهِ في كل آن ولكل مناسبة فربما توهم الفكر لاول وهلة ان في النداء بهِ حثاً على التعلق باذيالهِ وتوجيهاً للانظار اليهِ ومن هذين يكون انتشاره' وتمكُّن كلمتهِ في النفوس وتلك هي الفائدة التي يبتغيها لنفسهِ الدين . ولكن هذا الوهم ليس الأ سراباً يغر الانظار والحقيقة التي لا مرية فيها والتي يرشد اليها البحث والعقل ان في النداء بالدين اليوم وهو كما هو من الانحراف عن صورتهِ الاصلية خطراً عليهِ لا يبعد اذا لم نتداركه' ان ينتهي بانحلالهِ وضياع اهلهِ في قليل من السنين

كلنا نعرف بان الدين كما هو اليوم قد غيَّرت صورته' الاصلية وتلبست بهِ عادات سخيفة اصبحت معها حقيقته' ضائعة كل الضياع بحيث يعسر ان يردَّ كثير من احكامهِ المتداولة الى اصل صحيح فيهِ . وما بغريب ان يكون كذلك فان ديناً يجري بهِ اهله' على مثل ما جرى اسلافنا من التطرُّف وسوء الفهم قروناً عديدة يتعذر ان لا تمسخ عقائده' او ان تبقى ثابتة غير محرَّفة او مقلوبة . ولعلَّ الذين أُشربوا حباً اعمى وتشيعاً كاذباً للدين ينكرون ذلك فكمتي اليهم ان ينزعوا برهةً من صدورهم بعض ما بها من التشيع ويمعنوا انظارهم في من تسميهم حملة الدين وممثله' في اشخاصهم عساهم اذا فعلوا ذلك ان تزول غشاوة التشيع عن ابصارهم فيقفوا على الحقيقة

من هم اولئك الحملة وفي مَن تتجسم صورة الدين ? افي طلبة بعض مدارسنا وهم لم يقبلوا علوم الجغرافيا والرياضة والتاريخ الأ بعد اللتيا والتي ? ام في العلماء واكثر من نعلم منهم من اذا جاء من الصلاة ميعادها بسمل وحوقل وتوضأ وقام وركع وسجد ثم اذا خرج عن ذلك كلهِ وجدته' العابد للدرهم القليل العلم الضعيف العقل المغلوب على امرهِ المدخول عليهِ حتى في دينهِ ? ام في طائفة الفقهاء وهذه الامثال لا تضرب الأ بهم في كل خلة لا يتصف بها المميزون من الاطفال ? ام في الامة نفسها وهي لا تعرف من الدين غير رفع الصوت والجهر بالصلاة والتسليم على النبي عند ذكر اسمهِ في كل مقال ? ام في غير هؤلاء وليس في البلاد من نعرف سواهم

اذا عرفت هذا وعرفت ان الامة الآن في الدور الاول من نهوضها فاي خطر على الدين اعظم من تنبه العقول اليهِ وهو كما هو يوم تنشط الافهام وتهم النفوس مسترشدة بنور العلم الصحيح فتلتفت الى جانبها وترى الدين كما وصفناه' وقد صار اكثره' مجموع عادات وتقاليد انتجها الفهم السيء والتغالي المضر الا تكون النتيجة الطبيعية ان تنفر منه' العقول لاعتبارها اياه' نقصاً وعيباً بل حجر عثرة في سبيل التقدم واتساع الافهام

لدينا في التاريخ مثل من هذا القبيل لو اردنا لجعلناهُ عظة لنا نتعظ بها عسى ان ندرأ عنا الخطر الذي نحن عليهِ قادمون . هذه بلاد اوربا كان اهلها قبل العصر الذي يسمونهُ عصر النهضة والاصلاح مستمسكين بعرى الدين المسيحي متشيعين لكل ما يأتي من جانبهِ فما زالوا يتغالون و يتطرفون حتى انتهت بهم الحال الى حصر الدين برمتهِ في الكنيسة ولم تمض على ذلك سنوات حتى اصبحت الكنيسة صاحبة التصرُّف المطلق فيهم توجيهم الى الحروب الصليبية فيعانون المشاق ويكابدون الاهوال ويهلكون الوفاً ومئات الوف حبّاً في الدين ثم تستأثر بالاموال فلا تجد منهم الاَّ ملبين خاضعين يقدمون اليها اموالهم باسم الغيرة على الدين . ثم تستولي على الكتاب المقدس وتحرم على غيرها فهمهُ وتفسيرهُ فيتلقون اوامرها بالرضى والطوع عملاً باوامر الدين . ثم تقف امام العلوم مخافة ان يكون فيها ما يخالف الدين . وما زالت على حالها تفتئت في كل يوم على الدين باسم الدين والناس لا يعرفون الاَّ كلمات تسمى الدين يتفانون في جهاد الغيرة عليها حتى اخذ شعاع العلوم ينفذ الى الاذهان وابتدأ دور النهضة فقام القسوس وقعدوا آخذين بتلابيب الامة باسرها ينادونها الدين الدين اطلبي الكمال والرقي والنهضة من جانب الدين . وظلوا يصدعون آذانها بهذا النداء حتى تنبهت العقول ونظرت الى الدين كما صوَّروهُ لها فنبذهُ البعض وضعفت سلطتهُ عن البعض الآخر

وها نحن اليوم نوشك ان نصنع في ديننا كما صنعت بدينها اوربا من قبل . نعرف يقيناً ان ديننا قد تلبس بعادات وتقاليد سخيفة الصقتها بهِ القرون الغابرة وان ليس فينا من يمثلهُ حق تمثيلهِ ثم نجدنا تكاد اصواتنا تبح من النداء بهِ وطلب الاسترشاد بقواعدهِ نريد بذلك ان نجعل حياتنا ونحن الآن في القرن العشرين قرن العلم والعمل والمزاحمة وقفاً على استخراج الحقائق من بطون مؤلفات عتيقة ابلاها الدهر وابلى افكار ذويها ثم تقليد بعض السلف من اجدادنا في افعال ان هي ناسبت عصورهم فمحال ان تناسب العصر الذي نحن فيهِ

مضت ازمان طويلة تعبت فيها ألسنتنا من كثرة الحث على اتباع الدين واعتبارهِ كافلاً برقينا وسعادتنا فمن منا اجاب هذا الحث واينا التفت اليهِ وقام يعلّم الناس كيف تنفع النصيحة وتثمر العمل الصالح ؟ لعلنا لكثرة ما استولى على عقولنا وافهامنا من الذهول ثم لشدة ما أُلقي على ابصارنا من الغشاوات لم نعد ندرك ونرى ان كثيراً منا اغلبهم المتربون والمتعلمون الذين لهم المستقبل وعليهم الاعتماد قد بدأت تعتريهم الشكوك والوساوس واخذت الظنون الكثيرة ترد على افهامهم حتى اذا حاولوا ان يطردوها لم يزدها ذلك الاَّ تغلباً على مدركاتهم وتأصلاً في اذهانهم ؟ نعم لقد ذهلنا حتى لم نشعر بما يجري حوالينا وغرَّتنا الاكاذيب والترهات فظننا

ان في النداء بالدين وهو كما هو احياء له وبثاً لقواعده الصحيحة فما زلنا قائمين على هذا النداء حتى اصبحنا الان فاذا النتيجة معكوسة واذا نحن لاهون لانعرف الخطر الذي نحن عليه قادمون

ألا فلنعرف ولو ساءتنا هذه المعرفة اننا بجهلنا الاعمى وتشيعنا الكاذب قد اوصلنا الدين اليوم الى حال ان استمرّت ولم تقف في طريقها ادّت ولا محالة الى زواله . لنعرف ذلك ولنفقه جيدًا انهُ وان لم يبدُ لذلك اثر ظاهر للآن فما هو الاَّ لان حرب التنازع بين الاعتقاد الموروث والشكوك العارضة لا تزال في بدايتها وليس ينتظر من شكوك حادثة ان تفوز على اعتقاد موروث الاَّ بعد جهاد طويل فالعقول الآن تتسرَّب اليها الشكوك وتأخذها الريب فتجاهد لردها وهي كلما ردَّت منها واحدة جاءَت واحدة فلا تزال كذلك حتى يمسها التعب وينالها الكلال فلا تجد مخلصاً منها الاَّ ان تتركها وتترك البحث فيها راضية بالتسليم للدين ظاهرًا تبعاً لحكم الوراثة . ولئن بقينا على تلك الحال زمناً ليأتينَّ يوم يمحى فيه اثر الوراثة وتقوى الالسنة على ترديد ما يختلج في الضمائر فينادى فينا جهارًا بان الدين امسى ممتزجاً بالشوائب فيجب ان ينبذ ولنجدنَّ اكثرنا يومئذٍ سامعين مصدقين

لا يقولنَّ مندفع الى اريد بهذا ان يترَك الدين جانباً فمعاذ الله ثم معاذ الله ان اريد ذلك او ان يخطر على فكري شيءٌ منهُ . انما اريد ان يلبس الدين بيننا ثوبهُ الحقيقي ذلك الثوب الابيض الطاهر الذي تنظرهُ الابصار فيعجبها جمالهُ وتسرها حقيقتهُ . اريد ان ترمى تلك التقاليد والعادات الموروثة التي تلبست بالدين بعيدًا ليعود خالياً من الشوائب يتسع المجال فيه للفهم السليم والنظر الصحيح . اريد ان تحفظ للدين كرامتهُ فلا يجعل هدفاً لكل متشدق مغرور يتجر بالمناداة به على جهل ولغير داعٍ . اريد ان تمحى من بيننا آثار التغالي والتشيع فنعلم ان القرآن لم ينزل الاَّ بقواعد عامة للناس جميعاً فلنا ولكل امة ان تتصرف في مدلولاتها بما يناسب الزمان والمكان دون تقييد او حجر على الافهام الاَّ ما يخرج عن الدين . اريد ان لا يؤتى بكلمة الدين امام العلم ليقال ان آية او حديثاً يعارض معناها شيئاً من العلم فان الدين لم ينزل ليعلّم الناس العلم او لينافي العقل في شيءٍ حتى يعارضهما ولو في بعض الاحايين . اريد اخيرًا ان لا نكثر من الصياح باسم الدين حتى لا تلتفت العقول الناشئة اليه قبل ان يظهر في ثوبه الحقيقي لئلا تنفر منهُ ونكون قد جنينا من حيث طلبنا الفائدة

هذا هو كل ما اريدهُ نشرتهُ لتطلع عليه الامة عسى ان تلتفت اليه وتنظر فيه فتعلم انها موشكة ان تقدم على خطر لا ينجيها منهُ الاَّ شدة الاحتراس والحذر . ولعلي لا اعدم من يسفهون رأيي ويتفاءلون للامة ودينها بالخير من وراء الحركة الحالية اخذًا بظاهر قوله تعالى

« انا نزلنا الذكر وانا له لحافظون » فكلتي الى هؤلاء ان يفسح الله في آجالهم مئة عام لينظروا باعينهم ماذا يكون يومئذٍ من امر الدين اذا نحن لم ندرأ الخطر . والله اسأل ان يوفقنا الى اقوم طريق

عبد القادر حمزه
المحامي

الاسكندرية

العلم في العام الماضي

الانثروبولوجيا او علم الانسان — لم يتقدم كثيرًا في غضون العام الماضي ولكن كان خطبة الاستاذ كارل بيرصن التي خطبها تذكارًا للاستاذ هكسلي شان كبير لانهُ بحث فيها عن وراثة الصفات العقلية والادبية . واتجهت افكار علماء هذا الفن الى البحث المدقق في احوال اهالي جزائر البحر قبل انقراضهم . واكتشف المستر بيدنل كثيرًا من قطع الظران في صحراء الفيوم حول موقع بحيرة قديمة ترجح منها وجود الناس في القطر المصري في العصر الحجري القديم (بليولثك) لكن بعض العلماء ينفون ذلك

الفلك — اهم ما حدث في العام الماضي ازدياد الاضطراب في الشمس وظهور الكلف الكبيرة فيها كما وصفنا ذلك بالاسهاب في الجزء الاخير من السنة الماضية ويقول الاستاذ نيوكم ان معظم هذه الكلف سيكون في الشهرين الاخيرين من هذا العام اي في نوفمبر او دسمبر

والابحاث الجديدة في نور الزهرة تؤيد ما قيل قبلاً من انها تدور على نفسها مرة كل ٢٢٥ يوماً . وارتأى اثنان من العلماء ان الخطوط التي ترى على وجه المريخ خطأ في العين فانهُ اذا وجدت نقط منفصلة على سطح ونُظر اليهِ عن بُعد رأت العين خطوطاً تصل بين تلك النقط واثبتا ذلك بالامتحان . ورئيت بقع كبيرة منتشرة على الجانب القطبي الشمالي من زُحل وظهر انها تدور معهُ دورة كاملة كل عشر ساعات و٣٨ دقيقة مع ان زُحل يدور على محورهِ مرة كل عشر ساعات و١٥ دقيقة بحساب الاستاذ هول . وبلغ عدد النجيمات المكشوفة حتى آخر السنة بين المريخ والمشتري ٥٩٠ نجيمة وقد وجد المسيو كالندرو ان اهليلجيةَ النجيمات البعيدة عن الشمس اكثر من اهليلجيةِ النجيمات القريبة منها . واكتشف الاستاذ جياكوبيني مذنَّباً في الخامس من شهر يناير قرُب بعد ذلك حتى صار يرى بالعين . واكتُشف مذنب آخر في زيلندا الجديدة في ٣١ يونيو اقترب في يوليو حتى صار يرى بالعين ايضاً وكان لهُ نواة واذناب كثيرة طال احدها حتى بلغ طولهُ ثماني درجات ونصف درجة . وحقق المسيو بروتين سرعة النور ١٨٩٣٢٥ ميلاً

ونصف ميل في الثانية والدكتور تشندلر بُعْد الشمس عن الارض ٩٣١٠٧٠٠٠ ميل والاستاذ نيوكم ان نور المجرَّة مضاعف نور بقية نجوم السماء

البيولوجيا اي علم الحياة — اهتمَّ علماء البيولوجيا بالبحث عن الاحياء التي تسبب بعض الامراض ولا سيما مرض النوم المنتشر في قلب افريقية فوجدوا سببهُ جسماً حياً صغيراً يكون في الدم ويتصل منهُ الى الاعصاب والموصل لهُ الى الانسان نوع معروف من الذباب ولم يوجد علاج حتى الآن يميت هذه الاحياء من جسم المصابين بها · واثبت الاستاذ مكفادين ان السوائل التي تكون في جسم الميكروب اذا حُقن بها حيوان مناسب تولّد في جسمهِ مصل يقتل ذلك الميكروب ويقي من سمهِ ولم يثبت ذلك في كل الميكروبات بل في نوع منها ولا يبعد ان يكون هذا الامر عامًّا

الكيمياء — اهم الابحاث الكيماوية التي جرت في العام الماضي البحث في خصائص الراديوم وتولُّد الهاليوم منهُ وقد اشبعنا الكلام عليهِ ولم نغفل الاَّ بعض الامور الكيماوية التي يتعذَّر فهمها على جمهور القراء كفعلهِ في حل البردوفورم · اما ما قيل عن فعلهِ في شفاء السرطان فلم يزل في حيز الامتحان · ولا يعلم ما يكون من امرهِ متى امكن استحضار مقدار كبير منهُ فقد قال الاستاذ رذرفرد انهُ اذا وضع سنتمتر مكعب منهُ في انبوب من الزجاج احماهُ الى درجة الحمرة بالحرارة المتولدة منهُ او صهرهُ صهرًا · ووجدت منهُ اشعة تخرق لوحًا من الحديد سمكهُ قدم وتنير ستارًا موضوعًا امامهُ كما تنيرهُ اشعة رنتجن · ومما يذكر في هذا الباب ان وسام الكيمياء المعروف بوسام السر همفري دافي اعطي لمدام كوري وزوجها لاكتشافهما عنصر الراديوم وهذه اول مرة اعطي فيها هذا الوسام لامرأة · واعطيت جائزة نوبل للاستاذ ارهنيوس صاحب المذهب الذي شرحناهُ سنة ١٩٠٢ · وقال المسيو بلندلو انهُ اكتشف اشعة سمَّاها اشعة N ادَّعى لها افعالاً غريبة ثم ظهر انها اشعة الحرارة العادية والافعال المنسوبة اليها انما تحدثها الحرارة

الكهربائية — كان البحث في الكهربائية يحسب فرعاً من الطبيعيات كالبحث في النور والحرارة اما الآن فقد اتسع نطاقهُ جدًّا حتى صار علماً قائماً برأسهِ وصار اوسع من البحث في كل المواضيع الداخلة في علم الطبيعة · وقد كان للكهربائية شأن كبير في العام الماضي اذ حاول بعض العلماء تعليل خواص المادة بخواص الكهربائية اي حسبان المواد كلها مؤلفة من ذرات كهربائية وقد نشرنا خطبة في ذلك للسر اوليفر لدج جعلنا موضوعها المادة واحدث المذاهب فيها · واستخدم السر اوليفر لدج الكهربائية لتبديد الضباب الذي يكتنف مدينة لندن فنجح في ذلك بعض النجاح

وسار تلغراف مركوني في سبيل النجاح وشاع تلغراف ده فورست الاميركي وهو مثل تلغراف مركوني. وعقد مؤتمر في برلين في شهر اغسطس بطلب امبراطور المانيا حضره مندوبون من بريطانيا وفرنسا وايطاليا وروسيا والنمسا واسبانيا والولايات المتحدة وقرَّ اعضاؤُهُ على ان مراكز التلغراف الذي لا سلك لهُ سواء كان من نوع مركوني او ده فورست او غيرهما اذا وصلتها رسالة كهربائية من سفينة في البحر وجب عليها ان تقتبلها وترسلها الى حيث يراد ارسالها كانها رسالة تلغرافية عادية

وجرَّب الالمانيون الكهربائية لسير القاطرات بسرعة شديدة فبلغت سرعة قطراتهم الكهربائية ١٣١ ميلاً في الساعة. وختمت السنة وحكومة بروسيا تنظر في مشروع لسير القطرات بهذه السرعة بين برلين وهمبرغ

الجغرافيا — اتجهت همَّة الاوربيين منذ زمن الى اكتشاف الاصقاع الجنوبية التي تحيط بالقطب الجنوبي وكان هناك اربع رسالات في العام الماضي رسالة المانية ورسالة اسوجية ورسالة اسكتلندية ورسالة بريطانية فرجعت الثلاث الاولى وبقيت الرابعة فارسلت سفينة المورننج (الصباح) لمعونتها فوجدت سفينتها واسمها دسكفري (الاكتشاف) مقيَّدة بالجليد لا تستطيع حراكاً ولم تستطع سفينة المورننج ان تدنو منها الى اقرب من عشرة اميال لسمك الجليد الذي حولها

وابعد ما بلغهُ المكتشفون الدرجة ٨٢ والدقيقة ١٧ من العرض الجنوبي فيبقى بينهم وبين القطب نحو ثماني درجات ووجد عند الدرجة ٨٠ سلسلة جبال ارتفاع بعضها ٩٠٠٠ قدم. والبرد شديد جداً في تلك الاصقاع فتبلغ درجتهُ ٥٧ تحت الصفر

والسفينة التي ذهبت فيها الرسالة الاسوجية اطبق عليها الجليد فكسَّرها وارسلت حكومة ارجنتين سفينة انقذت الذين كانوا فيها واوصلتهم الى بونس ايرس في شهر اكتوبر الماضي. وعادت الرسالة الالمانية سالمةً غانمةً ولكنها لم توغل مثل غيرها جنوباً. واستمرَّ البحث في الاصقاع الشمالية ولكن لم تكتشف فيها اكتشافات مهمة

وعاد الماجور بول كتن من افريقية بعد ان قضى عشرين شهراً في قلبها وظفر بالزرافة ذات القرون الخمسة وقد ذكرنا خلاصة ما لقيهُ فيها في جزء اكتوبر الماضي في الكلام على هذه الزرافة. واكتشف غيرهُ من السياح والرواد ستة قبائل جديدة لم تكن معروفة من قبل

وسارت رسالتان الى بلاد التبت في اسيا ومسحت ٣٨ الف ميل من الاراضي التي لم تمسح قبلاً واكتشفت فيها بحيرات لم تكن معروفة من قبل منها بحيرة مساحتها سبعون ميلاً

الجيولوجيا - وجد في كهوف قبرص عظام نوع صغير من فرس النهر ليس اكبر من الخنزير. ووجد فيل كبير مطمور بالثلج في يكوتسك بسيبريا سنة ١٩٠٢ فاتي به في العام الماضي الى دار التحف في بطرس برج وقد وجد سليماً وفمهُ مملوءٌ نباتاً والظاهر انهُ كان يرعى على جرف هارٍ فسقط بهِ الى وادٍ عميق طمرهُ الثلج فيهِ واماتهُ وحفظهُ من البلى هذه السنين الكثيرة الى ان وجد الآن . واهم المباحث الجيولوجية كان في القطر المصري وقد وصفناهُ في حينهِ

الامير بشير الشهابي

اتضح مما في الجزئين السابقين ان الامير بشيرًا لم يكن مستقلاًّ في ولاية لبنان بل كان لوالي عكاء السلطة المطلقة عليهِ يوليهِ ويعزلهُ كيف شاء وان تكن الدولة قد صرحت لهُ بعض الاحيان انهُ مستقل في الولاية التي كانت للامير فخر الدين المعني . ولو شاء الاستقلال ما تعذَّر عليهِ لانهُ مما يميل اليهِ اللبنانيون بالفطرة كما يميل اليهِ سائر اهالي الجبال وقد اعربوا عن ذلك مرارًا واشترطوا عليهِ مرةً انهم يقبلونهُ واليًا عليهم بشرط ان لا تكون ولايتهُ من الدولة . اما هو فكان على رفعة قدرهِ وعلو همتهِ يقف امام ولاة الدولة كاصغر الصعاليك ويخاطبهم مخاطبة العبد لمولاهُ وهم يخاطبونهُ مخاطبة السيد لعبدهِ الاَّ اذا ارادوا ان يتملقوهُ للاستعانة بهِ على قتال او لاستخدامهِ في ابتزاز اموال الرعية فانهم كانوا يخاطبونهُ حينئذٍ بشيء من التبجيل ويكرمونهُ اذا اقبل اليهم . وكان سليمان باشا الينهم عريكةً من هذا القبيل فتوفي سنة ١٨١٩ وطلب الولاية بعدهُ عبد الله باشا بن علي باشا الخزندار فبعثت اليهِ الدولة بفرمان الولاية وحضر منهُ كتاب الى الامير بشير يخبرهُ فيهِ بان الولاية آلت اليهِ ويامرهُ بان يبادر ويحتفل ببث هذه البشرى في انحاء الجبل . ففعل الامير كما امرهُ عبد الله باشا وبعث اليهِ بالهدايا من الخيول المطهمة والسروج المذهبة فاجابهُ بارسال خلعة الولاية اليهِ وارسل منشورًا الى اهالي لبنان رأينا ان نثبت صورتهُ هنا كما وردت في تاريخ الامير حيدر الشهابي لانها مثال لما كان يرد من نوعها مما تجود بهِ قريحة الكتّاب ولو خالف الواقع وهي

"صدر المرسوم المطاع . الواجب القبول والاتباع . الى افخار الامراء الكرام . مرجع الكبراء الفخام ذي القدر والاحترام ولدنا الامير بشير الشهابي دام مجدهُ على الدوام . والى الامراء والمقدمين والمشايخ وشيوخ العقل والعقال وارباب الكلام والمباشرين والوجوه والرعايا في جبل الشوف وكسروان وتوابعهما على وجه العموم ليعلموا انهُ غير خافٍ عليكم التكريم الرباني والامداد

الصمداني بفيض مراحم حضرة مولانا سلطان السلاطين وخاقان الخواقين ولي نعم العالم . معدن الراحة لبني آدم . ظل الله على العالمين خلد الله سرير سلطنتهِ على مدى الايام والسنين . وانعطافهِ علينا برتبة الوزراء السامية وتوجيه ايالة صيداء وطرابلس الشام وقيادة المحمل الشريف ومحصلية لاذقية العرب ولواء غزة هاشم والرملة ويافا واللد وجميع الاملاك التي كانت لسالفنا المرحوم المبرور المغفور لهُ الحاج سليمان باشا طاب ثراهُ مع الانعام علينا بكامل مخلفاتهِ ومتروكاتهِ . فسبحان الله تعالى شكرًا على هذه المنة العظيمة والموهبة الجسيمة . وبسطنا اكف التضرع والابتهال . الى حضرة الملك ذي الجلال بدوام دولتهِ الزاهرة . وتأييد صولتهِ الفاخرة على ممر الايام والليال . وعلى الله الاجابة والقبول فانهُ خير مسؤُول . واكرم مأمول . والآن قد قررنا وابقينا التزام جبل الشوف وكسروان وما يليهما على الامير المومى اليهِ لاستقامتهِ ونجابتهِ وكفايتهِ ودرايتهِ فليكن ذلك معلومًا عندكم وتكونوا تحت طاعتهِ وتوردوا عن يدهِ الاموال الاميرية . والمطالب السلطانية . وتتعاطوا اشغالكم واعمالكم آمنين مطمأنين وتواظبوا على بذل الادعية الخيرية لحضرة مولانا السلطان نصرهُ العزيز الرحمن . ونخبر الامير المومى اليهِ انهُ يجب عليك الاهتمام براحة العباد . وعمار البلاد والاجتهاد في حسن الضبط والربط . واقامة العدل والانصاف . وابطال الجور والاسراف . وليكن كل ما تأمر بهِ وتتصرف فيهِ مطابقًا للشرع الشريف . وموافقًا للقانون المألوف من كل تالد وطريف . والآن لاجل رفع شانك على اقرانك قد ارسلنا اليك خلعة فاخرة من ملابسنا عن يد افتخار الاماجد والاعيان خزندارنا حالاً محمد آغا زيد مجدهُ . فيقتضي ان تبادر الى ملاقاها وتتسربل بها . وتتلو مرسومنا هذا علنًا على رؤُوس الاشهاد . وان شاء الله تكون هذه السنة ابرك السنين على جميع العباد . والجميع لا يشاهدون منا الأكل ما يسر الخاطر ويقر الناظر . وبناء على ذلك قد اصدرنا اليكم مرسومنا هذا من ديوان محروسة دار الجهاد فاقرأُوهُ واعتمدوهُ غاية الاعتماد"

ويقال انهُ لما حضرت الخلعة الى الامير بشير التقاها مسافة غلوة كما جرت العادة وتسربل بها . ولعلها كانت جبةً لا تساوي دينارين والذي بعث بها اليهِ لم يكن امنع منهُ جانبًا ولا اقوى صولةً ولكن السيادة فطرية في الترك وهم اقدر من العرب على استعمالها

ومن الذين هنأُوا الامير بشير بخلعة الولاية هذه ولدهُ الامير امين فقال من قصيدة حسناء

ألا ايها المولى الذي بفعالهِ	غدا ثغرُ هذا الدهر باهي التبسم
سليلك يهديك التهاني بخلعةٍ	تميس بدلٍّ الناعم المتنعم
جليلة قدر ذات عزٍ وبهجة	مقلدة عقدي جمالٍ ومغنمِ

تزيد افتخاراً في لقاك ورفعةً وتهتزُّ شوقاً هزة المترنمِ

ولم تمضِ سنة على وصول الخلعة حتى وصل امر من عبد الله باشا بطلب مبلغ طائل من المال فأسقط في يد الامر وارسل بطرس كرامة الى عكاء يتوسل اليهِ حتى يعفيهُ من ذلك او يمهلهُ الى ان يتيسر لهُ جمع المال المطلوب . فغضب عبد الله باشا وصرف بطرس كرامة وامر بارسال الجنود الى حدود البلاد من الارناووط والدلاتية والموارة وهي اسماء تهلع لها قلوب اللبنانيين لما كان يأتيهِ اولئك الطغام من الكبائر . وامر بالقبض على كل من يوجد في بيروت وصيداء من اهالي لبنان وباغلاق ابواب المدن في وجوه اللبنانيين . فارتاع اهالي البلاد من ذلك وعظم الامر على الامير بشير فاعاد بطرس كرامة الى عكاء واعداً عبد الله باشا بتأدية المال المطلوب وكتب لهُ صكًّا بالف الف درهم يدفعها في شهرين وهي عشرة آلاف جنيه ولكنها بمثابة مئة الف جنيه الآن او اكثر لان ثمن اقة الحرير كان حينئذٍ عشرين غرشاً او ثلاثين . واضطرَّ ان يقترض المال من التجار واقترض من الشيخ بشير جنبلاط ميئتين وخمسين الف درهم . ولم يكد يتم ارسال هذا المال حتى جاءهُ كتاب من عبد الله باشا يقول فيهِ انهُ اهدى الى رجال الدولة كل ما كان عندهُ من التحف المجهورة ولم يبقَ عندهُ ما يليق اهداؤُهُ وانهُ اتخذهُ كبعض اهل بيتهِ ولذلك فهو يطلب منهُ خنجرين مجوهرين أهديا اليهِ واحداً منهُ وواحداً من سليمان باشا فارسلهما اليهِ حالاً . وما مضى على ذلك ايام يسيرة حتى ورد منهُ كتاب آخر يطلب فيهِ خمسين الف ربع دينار فندقلي نفقة جيب لهُ . فطلب الامير هذا المال من اهالي البلاد فاجتمع زعماؤُهم وتحالفوا على ان لا يؤدوا الاَّ المال المقرر ولا يؤدوهُ الاَّ في ميعادهِ ولا يؤدوا درهماً من تلك الزيادات وكتبوا الى عبد الله باشا ان الامير ظلمهم وارهقهم بمطالبهِ الكثيرة والتمسوا منهُ ان يبقوا على عوائدهم القديمة . فاجابهم الى ما طلبوا وامرهم ان لا يرضخوا لاميرهم

الدولة تلح على ولاة الايالات في طلب المال والولاة يلحون على حكام الاقاليم وهولاء يطلبون المال من الاهالي فيأمرهم الولاة ان لا يدفعوا . كذلك تكون السياسة القويمة

فلما رأى الامير بشير ان والي عكاء يلحُّ في طلب المال ويحرض اهل البلاد على عدم دفعهِ عزم على ترك الولاية وكتب الى عبدالله باشا بذلك وقام باولادهِ واعوانهِ وسار طالباً بلاد حوران وانشد بطرس كرامة في ذلك

رحلنا وخلَّينا المنازل بعدنا تشير بكفٍ ابيض وبنان
ابينا احتمال الذل او نهب الورى فقمنا وخلَّينا بغير ضمانِ

ولكن اجتمع اليهِ قبل خروجهِ من الجبل الامراءُ المعيون ووجوه البلاد وتحالفوا انهم لا يقبلون حاكماً عليهم غيرهُ. وكان في البلاد حزب ناقم عليهِ وراغب في الولاية ولهُ زعيمان من آل شهاب الامير حسن والامير سلمان فكتب هذا الحزب يلتمس الولاية لهما

وسرَّ عبدالله باشا بخروج الامير بشير من لبنان لانهُ كان يعلم ان الجزار قضى عمرهُ وهو يحاول خلعهُ من الولاية فلم يستطع. وارسل خلعتي الولاية الى الامير حسن والامير سلمان الاَّ انهما لم يستطيعا القيام بها. وكتب الامير بشير وهو في جهات حوران الى عبدالله باشا يسترضيهِ فاجابهُ انهُ راضٍ عنهُ وحالما تبدر بادرة من الاميرين يعزلهما ويعيدهُ الى الولاية

واضطرمت نار الحرب حينئذٍ بين الدولة العثمانية والروس ودعت الحال الى حفظ الثغور فكتب عبدالله باشا يستدعي الامير بشيراً اليهِ وامر الحكام الذين يمر بهم في طريقهِ ان يكرموهُ ولعلهُ اراد ان يهدد الاميرين بهِ لانهُ لما وصل الى عكاء كان المشايخ رسل الاميرين فيها فامرهم عبدالله باشا ان يتعهدوا لهُ بالف الف درهم ومئة الف درهم على عجل فتعهدوا بذلك وكتبوا على انفسهم صكاً بهِ لكن الاميرين عجزا عن جمع هذا المال ورضيا ان يتنازلا عن الولاية ويتركا اختيار الوالي لاهل البلاد فحضر الامير بشير الى دير القمر واجتمع اكثر الزعماء من امراء ومشايخ واعيان وتوافقوا وتواثقوا وكتبوا عهداً بينهم انهم يكونون يداً واحدة في مصلحة البلاد والذي تختارهُ اهالي البلاد حاكماً من بني شهاب يقبلونهُ حاكماً عليهم ويطيعونهُ ويؤدون الاموال السلطانية اليهِ وحينئذٍ طلب الاميران من الامير بشير ان يكون هو الحاكم فابى محتجاً بانهُ يريد الراحة من متاعب الولاية وسألهما ان يبقيا فيها. وتدل القرائن على انهُ خاف ان يطالبهُ عبدالله باشا بما تعهدا بهِ من المال. وطلب عبدالله باشا المال من الاميرين فاعتذرا بان البلاد خرجت عن طاعتهما لوجود الامير فيها ورأى عبدالله باشا ان ليس للولاية خيراً من الامير بشير فاعاد الولاية اليهِ وكتب اليهِ انهُ يبقي الولاية لهُ ما بقي حيًّا. واخلص عبد الله باشا الوداد للامير بعد ذلك واستعان بهِ على قمع جنود درويش باشا والي دمشق فابلى اللبنانيون بلاءً حسناً وانشد بطرس كرامه يهنئ الامير بظفرهِ فقال

سلِ الخطيَّ والبيض الصقالا	فهنَّ عن الرجال كشفن حالا
وسلْ كوم النزال غزاة حرب	بوادي التيم تشتعل اشتعالا
ويوماً اقبلت رايات قيس	يقدن الخيل تعترك الجمالا
بشبان يرون الموت عزًّا	وشيب طالما اقتحموا النزالا
ونصر الله صاحبها يميناً	وآيُ العز قارنها شمالا

تحوط بهِ الكماة على عتاق مضمرة يسابقن الخيالا
لديهم من سراة الشوف اسد اذا ثبتوا حسبتهم الجبالا

ولكن درويش باشا رفع شكواهُ الى الباب العالي على عبد الله باشا مدَّعياً انهُ منع اهالي نابلس عن تأدية الاموال المرتبة عليهم لاجل قيام الحج فامرت الدولة مصطفى باشا والي حلب ان يقوم الى دمشق ويعاون درويش باشا على عبدالله باشا فاضطر الامير بشير ان يغادر البلاد ويهاجر الى الديار المصرية كما سيجيء



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

ردٌّ على ردّ وانتقاد

وقفتُ على ما ادرجهُ الاديبان باحث مستفيد ومحمد رشيد افندي ردًّا وانتقادًا عليَّ في مقالتي منزلة الشعر من التاريخ فاجيب

ان الاديب (باحث مستفيد) قد اوردتُ لهُ حججاً قاطعة توجب عليهِ خلع نقاب اخفى محياهُ فلا دفع حجة بحجة ولا قام بما اوجبت عليهِ الحجة وهذا سبيل لم ارَهُ لاحدٍ من ارباب المناظرة ولهُ الفضل ان اثبت جوازهُ في آداب البحث

ثم تكلم عن منزلة مقالتي وهذا كلام لا يُوجَّه اليَّ بل الى اصحاب الصحف واخدان الادب الذين اثنوا عليها ورحَّبوا بها فان رأى مؤاخذتي بانها حلّت لديهم محلا كريماً فما اولاني بان اقرَّ بصدق مدعاهُ

وليعلم ان كثيرًا من معارفي يدَّعون انَّ نقابهُ الوهمي انما هو مرخى على محيَّاي واني اكتب ما اكتب تحت هذا النقاب تشويقاً للخواطر تنويهاً بفضل مقالتي فان خفت معهُ غبار البحث

الذي يريده كانت دعواه اقرب الى التصديق وهو ما لا يريده حضرته ' اظن

ثم عاب الافندي المنطق في علم التاريخ ولم يبال بان التاريخ علم يراد به سرد حقائق فعابيره من باب الدلالة الوضعية والدلالة الوضعية مبحث علم المنطق . اذن قد طرقت البحث من بابه كما انه لم يرَ انني اجبته على كلامه باعتبار دلالتيه الوضعية والعقلية فهل يرى انتقاده مناحي كلامه مأخذاً عليَّ

ثم تنصَّل في مبحث التمامل بالجحرين الكريين من الكلام في العمران الى الكلام في الدول فهل يتكرم عليَّ بماذا يدعو هذا التنصُّل وهل هو جائز في المناظرات التي يراد بها تحقيق الحقائق

ومقالتا الفاضل جرجي افندي يني في العرب قبل التاريخ لا تتعارضان مع ما اوردتهُ . فان كان يرى غير ذلك فعليهِ ان يؤيد دعواهُ بالادلة

اما الاديب (محمد رشيد افندي) فقد ادار عليَّ سلافةً وخلاًّ فليتهُ اعفاني من سلافتهِ وخلهِ واقتصر على تجرد بيان ما عندهُ من الفضلة . وقد ذهب في قول حسان

تظلُّ جيادنا متمطرات		تلطمهنَّ بالخمر النساء

الى ان الجياد كانت مسرعة اشدَّ اسراع بينما كانت النساء تنفض الغبار عنها . فليتكرَّم باقامة دليل عليَّ ان هذا الكلام ينطبق على صورة واقعية ليكون تخريجهُ مقبولاً . وقال عن حسان " وكان شاعر الاسلام والخمر عندهم حرام يرمئذٍ نجسة الاستعمال " فكيف يوفق بين هذا القول وغزل هذه القصيدة التي منها

كأنَّ سبيئة في بيت رأس		يكون مزاجها عسل وماء
اذا ما الاشربات ذكرنَ يوماً		فهنَّ لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة ان أَلمنا		اذا ما كان مغث او لحاء[1]
ونشربها فتتركنا ملوكاً		واسداً لا ينهنهنا اللقاء

وليعلم ان الاديب يعمل بمبلغ علمهِ وطاقتهِ ولا يدَّعي عصمة ولا يترفع عن الاقرار بخطاء صدر منهُ . ولا اعلم من اين جاز لهُ الحكم بخلو مقالتي من ابحاث وهي لم تزل تنشر فقراً متلاحقة

المدرسة البطريركية في دير المخلص		(لبنان)		امين ظاهر خير الله

(1) اي نصرف الملامة اليها ان اتينا ما نلام عليهِ كالمغث اي الضرب باليد وكاللحاء اي المشاتمة

البحر والسماء

على السماء وفوق الشمس اشعاري ... وتحت اصداف هذا اللج افكاري
وبين تلك وهاتا قد جرى قلمي ... بمعجز الوصف من درٍّ وانوارِ
أرى جمالاً تعالى أن أُلمَّ بهِ ... وجلَّ خالقهُ من مبدعٍ باري
كأنما الكون غيداءُ محجَّبة ... تطلُّ مشرفةً من خلف أستارِ
فالبحر مقلتها والبرُّ حاجبها ... من فوقهِ جبهة زينتْ بأقمارِ
اوكان ذا البحر ديباج السما وقد اذ ... حلَّ الوشاح فما صدر السما عاري
او هذه لبست من ليلها حللاً ... ومن كواكبها زُرَّت بأزرارِ
او ظنَّتِ الشمس عجباً أنها خطفت ... بالحسن ابصارَ قوم دون أبصارِ
وخالت الأرض داراً للسما فلذا ... أقامت البحر مرآةً بذي الدارِ
يا مسكنَ الشهبُ الزهراء كم عجب ... بمعدنِ الدررِ الغرا واسرارِ
إن تحولي فلكاً قد دار دائرهُ ... فدونكِ اللجَّ دوّار بدوّارِ
كلاكما حسنٌ والحسن بينكما ... كالروض بأرج من اشتات ازهارِ
اني ارى الشمس تحت البحر مطفأةً ... كذلك الماء ذو بأس على النارِ
كأنما هو كفُّ الأرض قد بسطت ... الى السماء فجادتها (بدينارِ)
أو غاصتِ الشمس تحت اللج هاربةً ... مما على الناس من همٍّ واكدارِ
ألستَ تبصرها صفراء جازعةً ... وقد خبا زند تلك الشعلة الواري
تشبهَ الناسُ طهراً بالملائكِ من ... خبث الضمير وكانوا غير أبرارِ
والبحرُ أفقهمُ من افكهم وكذا ... لا تحمل الأرضُ الأكلَّ غرّارِ
لو انصفوا لرأوهُ في تلججهِ ... على البسيطة كالمستأسد الضاري
لكنَّ من ألف الانغام مسمعهُ ... يخالُ كل زئير نفخ مزمارِ
ما للخضمِّ اراهُ كاشراً فزعاً ... يخدّش الارض من لجٍّ بأظفارِ
مجرّداً في تدجيهِ صفيحتهُ ... مستوفزاً بين بتّار وتيّارِ
يقيمهُ الموج حرداً ثم يقعدهُ ... ما بين منسحب منهُ وجرّارِ
والافق مكتئب حيناً ومبتسمٌ ... ما بين ليلٍ دجوجيٍّ وأسحارِ
يا ايها الناس انَّ البحر موعظة ... وضجةُ البحر ليست غير إنذارِ
فكم عليكم بهِ لله من حججٍ ... والذنب يغفر إلّا بعد إعذارِ

البحر ألين شيء ملمساً فاذا خاشنتموه بلوتم أيّ جبّارِ
ولو تعاون كل الخلق ما قدروا ان يحبسوا موجةً من موجهِ الجاري
فكيف يجحد رب البحر قدرتهُ وذلكم أثر من بعض آثارِ
آمنت بالله ما شيء أراهُ سُدًى لكنها حِكَمٌ تجرى بأقدارِ

طنطا مصطفى صادق الرافعي

اقتراح

اقترح على حضرتكم ان تخصصوا باباً في مجلتكم لانتقاد الكتب المنتشرة بين ظهرانينا. ولو تحصتم الكتب المدرسية مثلاً التي تختارها "المعارف" لطلابها لوجدتم فيها كثيرًا لا ينطبق على روح التعليم الصحيح فاذا اظهرتم "للمعارف" خطاءها في اختيار الكتب للتدريس فيها واشرتم عليها بانتخاب ما يفوق كتبها في اساليب الوضع والتأليف تخدمون بذلك الامة بل العلم خدمة تخلد لكم الذكر

كما اني ارجو حضراتكم ان تقرظوا وتنتقدوا الكتب الشهرية الجديدة باسباب ووضوح وتأتوا لنا منها بفصل او بعض شذرات كما فعلتم في تقريظ "الخواطر العراب" لكي نكون على بينة من حقيقة الكتب التي يدّعي اصحابها بفوائدها والحال انها تضليل وتغرير بالعقول فلا نشتريها على غرة وتتعب ذاكرتنا في مطالعتها ونضيع اوقاتنا على غير جدوى

ناشد فريد

[المقتطف] اننا باذلون جيدنا في انتقاد كل كتاب يُعرَض علينا للانتقاد اذا وجدناهُ يستحق الانتقاد وعلمنا ان صاحبهُ يرضى بحكمنا ولا يفتح علينا جدالاً طويلاً عريضاً يضيع به الوقت سدًى. ومع ذلك يفوتنا انتقاد بعض الكتب اما لاننا نجد موضوعها خارجاً بالكلية عن موضوع المقتطف او لأن كثرة الاشغال تمنعنا عن النظر فيها بالامعان . اما الكتب المدرسية التي تشيرون اليها فلم تعرض علينا لانتقادها والراسخ في ذهننا انها تختار بقرار لجنة من العلماء الراسخين في العلم ومع ذلك وقع نظرنا عرَضاً على كتابين منها فلم نستحسنهما وقد اشرنا اليهما في الكلام على الخواطر العراب . ويحتمل اننا ننظر في هذه الكتب مرةً ونشير الى ما فيها من العيوب لا من حيث الخطأ اللغوي الذي يفتش عنهُ البعض بل من حيث قصورها عن الغاية الموضوعة هي لها

باب الزراعة

المعرض الزراعي

نظرة عامة

فتح المعرض الزراعي بعد ظهر العاشر من فبراير وهو يمتاز على المعارض التي سبقتهُ من اوجه وينحط عنها من اخرى اخصها خلوهُ من البقر والجاموس نظرًا الى تفشي الطاعون البقري ومن بعض المصنوعات الاهلية كمصنوعات مصلحة السجون ومصنوعات معمل الخزف ونحوهما اما امتيازهُ فكان بسعة معارضهِ وحسن ترتيب معروضاتهِ وتعدد اصنافها وانواعها واجناسها وزيادة اتقان المعروض منها

فالحاصلات الزراعية فاق المعروض منها المعتاد حيث بلغت الف صنف من الحبوب ولم تبلغ غير ٤٠٠ صنف منها في السنة الماضية فالتقدم من هذا القبيل عظيم جدًّا وكذلك معروضات القطن فانها من خيرة ما رأيناهُ في المعارض السابقة حتى الآن وقد جمعت اصناف القطن الاربعة الجديدة التي تفوق في الجودة سائر الاصناف المعهودة وهي النوباري والكركي والعباسي المحسن واليانوفتش براون فتوجه انظار المزارعين اليها عساهم ان يجيدوا اقطانهم بتقاويها

وامتاز هذا المعرض ايضًا بما عرض فيهِ من المحاريث التي استوقفت الابصار نخص منها محراثين بخاريين ومحراثًا فرنسويًّا اما المحراثان البخاريان فاحدهما كبير ثقيل يثير التربة ويتمها ويوقد فيهِ الفحم والحطب والآخر صغير خفيف وهو عبارة عن سكك (اسلحة) تعلق باوتوموبيل يسير بالبنزين وقد جرب هذان المحراثان فحرثا الارض بمرأًى من الناظرين واعجب حرثهما جمهور المزارعين الاَّ انهم لم يقنعوا بكونهما يصلحان لحرث التربة المصرية على اختلاف انواعها واحوالها لان التربة التي كانا يحرثان فيها رملية صفراء جافة غير شديدة التماسك . فيخشى ان الكبير الثقيل يغرز في التربة اذا كانت رطبة كما جرى فعلاً في اطيان حضرة الوجيه الخواجا انطون صباغ من كبار مزارعي الدقهلية . او انهُ يكسح التربة كسحًا اذا كانت رملية ناعمة كما يقال انهُ فعل في اطيان بمديرية المنيا . ويخشى ان المحراث الصغير الخفيف يعجز عن شق التربة الشديدة التماسك . فلهذا كان رأي جمهور المزارعين انهُ لا بدَّ من تجربتهما اياماً اخرى في اطيان متعددة في تربات مختلفة قبل ان يحكم بصلاحيتهما لحرث الاطيان المصرية

واما المحراث الفرنسوي فيحرث بهِ على البقر وقد جُرب في ارض المعرض فمدحهُ الناظرون ولاسيما الانكليز منهم لما رأَوا سهولة ادارتهِ من ثلم الى ثلم وسهولة تعميق الحرث بهِ حسب الاختيار

وخلو المعرض من البقر زادت الخيل المعروضة فيهِ عن المعتاد من خيل للشغل وخيل للزراعة وخيل للنتاج وكذلك الخرفان والشياه والكباش

وفاق المعرض ايضاً في كثرة ما عرض فيهِ من الآلات والعدد البخارية والميكانيكية والزراعية وآلات الري والسكك الحديدية والزراعية

ومن اخص ما بانت عليهِ دلائل التقدم والاتقان من الصنائع المحلية صناعة السمنت فان المعروض منها يحكي في الجودة والاتقان احسن ما يؤْتى بهِ من الخارج . وصناعة الخيام فقد سر الناس برؤْية الخيمة الوطنية ومعروضاتها المصورة بصور المصريين القدماء والمزينة بالكتابات والنقوش

هذا ولا خلاف في ان الاقبال على هذا المعرض يزداد عاماً فعاماً وان الاهالي ادركت نفعهُ وجعلت تكتسب الفوائد منهُ والفضل في ذلك للجنة الزراعية الخديوية عموماً ولحضرات المستر كاري والمستر فودن سكرتير الجمعية ومعاونيهِ من ابناء الوطن خصوصاً

الجمعية الزراعية

وفي اليوم التالي اجتمعت الجمعية الزراعية الخديوية اجتماعها السنوي في دار المعرض الزراعي برئاسة دولتلو رياض باشا وحضر الاجتماع نحو مئة وخمسين عضواً من حضرات المحافظين والمديرين وكبار الوجهاء والعمد فاستهل دولتلو رياض باشا الكلام على فائدة الجمعية الزراعية وما فعلتهُ في غضون السنة الماضية من تقديم تقاوي القطن الجيد المنتقى بثمن بخس فلم يزد ثمن الاردب واصلاً الى المزاعين على ٨٢ غرشاً مع انهُ هو يشتريهِ من زراعتهِ بجنيه انكليزي . ومن تقديم السماد الكيماوي الذي يزيد بهِ محصول الارض كثيراً . وذكر بعض الامثلة على ذلك وقال ان الاراضي التي يضاف اليها السماد الكافي سواء كان سباخاً بلدياً او سماداً كيماوياً يزيد محصول الفدان منها من ثلاثة ارادب غلة مثلاً الى خمسة ومن خمسة قناطير قطن الى ثمانية

ثم ذكر خلاصة حساب السنة الماضية وطلب المصادقة عليها . فصادق الاعضاء لكنهُ قال ان نحو اربع مئة من الاعضاء لم يدفعوا قيم الاشتراك ولامهم على ذلك لانهُ يدل على قلة غيرتهم فاعترض بعض الحضور قائلاً ان تأخر الاعضاء عن الدفع قد لا يكون لهُ سبب الاَّ الاهمال

او عدم السهولة في ارسال المطلوب حينما يُطلب لاسيما وان العادة الجارية في البلاد لدفع الاموال الاميرية واشتراكات الجرائد هو ارسال المحصلين وتحصيل المطلوب بواسطتهم واكّد اصحاب السعادة شواربي باشا ومصطفى باشا البغدادلي ومحمود باشا ابي حسين وابرهيم باشا سعيد وعبد الرازق باشا ان تأخر البعض عن الدفع اهمال منهم لا غير وطلب سعادة محب بك مدير الفيوم ان ترسل الجمعية محصلين يحصلون مطلوبها بمساعدة اللجان المركزية ويساعدون اللجان في الارشادات الزراعية ووافقهُ سعادة عدلي باشا يكن محافظ العاصمة على ذلك ولكنهُ طلب فصل امر التحصيل عن امر الارشاد ولو نيط العملان بمندوبين يرسلان الى الوجه البحري والقبلي لمساعدة اللجان في الارشادات الزراعية والاهتمام بتحصيل قيم الاشتراكات فاقرّت الجمعية على ذلك بعد ان ذكر الرئيس اسماء كبراء المديريات واحداً واحداً وقال انهم يجب ان يهتموا بارشاد اهالي مديرياتهم وحثهم على دفع حقوق الجمعية مقدماً لهم مثال المستر جبسن والمستركاري اللذين يخدمان الجمعية بكل جهدهما وليس لهما راتب منها ولا شبر ارض في البلاد

ثم تكلم عن طاعون المواشي وشدة وطأتهِ على البلاد وما فعلتهُ اللجنة المركزية مع الحكومة وما اقرت عليهِ لما اجتمعت مع مندوبي الحكومة وهم مستشار الداخلية ومدير الصحة والمفتش البيطري العام. ومدار قرارها على ان تهتم الحكومة بتسهيل جلب المواشي والدواب من البلدان التي انتشر فيها مرض المواشي زماناً طويلاً ثم زال منها حتى صارت الحيوانات الباقية فيها بمأمن منهُ واعفائها من رسم الجمرك ومن نصف اجرة النقل في سكة الحديد ووضع الآتي منها بحرًا في الكورنتينا عشرة ايام والآتي منها من السودان في الكورنتينا في حلفا ٤٨ ساعة. وتعهدت اللجنة ان تشتري ما يجلب من السودان اذا لم يشترهِ احد وان تضع سكة الحديد مركبة لنقل اللحم نهاراً كالمركبة التي ينقل بها ليلاً

وقال دولة الرئيس انهُ كان الاولى بالحكومة ان تشتري هي المواشي من الخارج وتعرضها في مراكز القطر لكي يشتريها المزارعون وتتساهل مع فقرائهم فتأخذ منهم ثمنها تقسيطاً لان آفة الوباء شديدة جداً ولا يجوز التغاضي عنها وانتظار ما يفعلهُ تجار المواشي. وذكر ان البعض ماتت مواشيهم كلها وهم يحاولون الآن حرث ارضهم بالفاس او بواسطة الخيل والبغال. وارتأى ايضاً ان تعود الجمعية فتطلب من الحكومة منع ذبح العجول مراعاة لمقتضى الحال وقال ان كل مايعترض بهِ على هذا الطلب ضعيف في جنب مصلحة البلاد العمومية وللحكومة حق ان تمنع ذبح العجول كما لها حق ان تقفل اسواق المواشي وان تضع الكرنتينا عليها او تمنع دخولها مطلقاً اذا انتشر فيها مرض. فوافقهُ اعضاء الجمعية على ان يطلبوا من الحكومة ان تبتاع هي

المواشي من البلاد الاجنبية ومن السودان وتبيعها للزارعين وان تمنع ذبح العجول مطلقاً وختم الاجتماع قبل الظهر بنصف ساعة

جوائز المعرض

الحبوب وغيرها

نال الجائزة الاولى عن القمح الاسمر البحيري البرنس عمر باشا طوسون والجائزة الثانية مصطفى شعث

ونال الجائزة الاولى عن القمح الاسمر الصعيدي الخواجه رزق الله مشرقي والجائزة الثانية محمد افندي محفوظ والثالثة عمر بك سلطان

ونال الجائزة الاولى عن القمح الابيض البلدي دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم وعلي اسمعيل ودولتلو رياض باشا ومحمد ابو زيد طنطاوي وعمر بك سلطان . ونال الجائزة الثانية محمد بك والي الجندي وابو زيد بك طنطاوي وحسن باشا عبد الرازق ومحمد بك دقن وسعد مسعود وعبد العال بك اسمعيل وابو سيف بك راضي وجرجس بك يعقوب ودائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم وسليم بك عكاشه ونال الجائزة الثالثة عبدالله بك مجاور وعمر افندي محمد ومرقص بك حنا

ونال الجائزة الاولى عن القمح الابيض الاجنبي المزروع بمصر دائرة البرنسات امينة ونعمة هانم والبرنس عمر باشا طوسن والجائزة الثانية رياض باشا

ونال الجائزة الاولى عن الشعير دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم وخليفه بك رمضان والشيخ جبر العشري ودولتلو رياض باشا والجائزة الثانية محمد قنديل وعلي محمود وابو زيد بك طنطاوي ومصطفى بك خليل وعبد العال بك مجاور

ونال الجائزة الاولى عن الفول البحيري دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم. والجائزة الثانية الدائرة نفسها والجائزة الثالثة الخواجه جورج عيد و بوغوص باشا نوبار

ونال الجائزة الاولى عن الفول الصعيدي قطب بك قرشي وعمر بك سلطان. والجائزة الثانية ابوزيد بك طنطاوي ومحرم بك محمد وعبد القادر حسنين والجائزة الثالثة محمد طرشان وعمر افندي محمد ومتى افندي حنا الضعيف

ونال الجائزة الاولى عن الذرة الشامية دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم والجائزة الثانية الدائرة نفسها ودولتلو رياض باشا والجائزة الثالثة عمر بك محمد وزيدان العبد

ونال الجائزة الاولى عن الذرة الاجنبية مصطفى بك خليل والثانية ابو زيد بك طنطاوي

ونال الجائزة الاولى عن الذرة البلدية الرفيعة ابو زيد بك طنطاوي وتهامي عبد الرحمن والثانية محمد ابو زيد طنطاوي واسمعيل مقبل

ونال الجائزة الثانية عن العدس البحيري محمد السيد وعلي السيد

ونال الجائزة الاولى عن العدس الصعيدي عمر بك سلطان والجائزة الثانية سعيد بك عبد المسيح

ونال الجائزة الاولى عن الفول السوداني مصطفى بك خليل والثانية قاسم بك مراد

ونال الجائزة الثانية عن الارز السلطاني دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم

ونال الجائزة الاولى عن الارز السبعيني عبد الباقي عبدالله والجائزة الثانية ابو زيد بك الطنطاوي

ونال الجائزة الثانية عن صنف الارز عبد الوهاب داوود

ونال الجائزة الاولى عن بزر الكتان احمد بك عثمان الهلالي والجائزة الثانية محمد الطحاوي وسيف النصر بك طنطاوي

ونال الجائزة الاولى عن السمسم الابيض قاسم بك مراد والجائزة الاولى عن السمسم الاحمر البرنس عمر باشا طوسون والثانية قاسم بك مراد

ونال الجائزة الاولى عن الحلبة ابو زيد بك طنطاوي والثانية مصطفى افندي بهجت

ونال الجائزة الاولى عن البرسيم البعلي علي سليمان الشواربي والجائزة الثانية دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم وبوغوص باشا نوبار

ونال الجائزة الاولى من البرسيم المسقاوي مصطفى احمد عبيد والجائزة الثانية خليفة بك رمضان

ونال الجائزة الاولى عن البرسيم الخضراوي دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم . والجائزة الاولى عن البرسيم الحجازي بوغوص باشا نوبار والثانية دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم . ونال الجائزة الثانية عن الجلبان منقريوس افندي رزق والجائزة الثانية عن البسلة حسين محمد يوسف والثانية عن القرطم مصطفى افندي بهجت والثانية عن الحمص حسن الشناوي ومحمد السيد الكبير والثانية عن الجراوى الشيخ حمدان عثمان والثانية عن الترمس حسن الشناوي والثانية عن اللوبيا رزق باشا . ونال الجائزة الثانية عن مجموعة نباتات من العلف محمد عيسى وعن مجموعة الزيوت ابرهيم ابو شناق

ونال الجائزة الاولى من البطاطس محمد السيد الكبير والثانية يولي بك ونال الجائزة الاولى عن البطاطس المزروع برسم التصدير الى الخارج يولي بك والثانية علي السيد

ونال الجائزة الاولى عن البصل محمد عيسى والثانية ابرهيم حنفي والثالثة حنفي محمد جلال

ونال الجائزة الاولى عن الطماطم محمد السيد الكبير والثانية على السيد

ونال الجائزة الثانية عن عسل النحل مدرسة الزراعة

ونال الجائزة الثانية عن مجموعة من البلح محمد السيد الكبير وحسن الشناوي ونسيم برسوم ومصطفى شندي وعبد الحميد صدقي

ونال الجائزة الاولى عن مجموعة من خشب الاشجار النامية بالقطر المصري جرجس يعطار والثانية نسيم برسوم

ونال الجائزة الاولى عن قصب السكر الاحمر الشيخ مصطفى خليل والثانية شركة السكر

ونال الجائزة الاولى عن قصب السكر الابيض شركة السكر والثانية عمر بك سلطان

ونال الجائزة الاولى عن القصب البلدي الشيخ مصطفى خليل والثانية عمر بك سلطان

ونال الجائزة الاولى عن القصب الروباني شركة السكر والثانية عمر بك سلطان

ونال الجائزة الاولى من الزبدة مدرسة الزراعة والجائزة الاولى عن السمن جبران جريس ومحمد صبحي والجائزة الاولى عن الكريما محمد صبحي ومدرسة الزراعة والجائزة الاولى عن الجبن المستخرج من الكريما مدرسة الزراعة

والجائزة الاولى عن الجبن البلدي محمد صبحي والثانية مدرسة الزراعة

ونال الجائزة الاولى عن الحرير امام بك اسمعيل والجائزة الاولى الممتازة عن الحصر محمد عمر الحصري متعهد الحضرة الخديوية ومحمد البدريسي والثانية محمد فهمي عمر والجائزة الاولى عن الخيم علي السيد

ونال الجائزة الاولى عن السكر الغير المكرر عمر بك سلطان وعن السكر المكرر عمر بك سلطان . ونال الجائزة الثانية عن العسل الاسود عمر بك سلطان . والجائزة الاولى عن شمع العسل الشيخ مصطفى خليل . والجائزة الاولى عن حشيشة الدينار مدرسة الزراعة

الاقطان

القطن الميت عفيف

نال الجائزة الاولى الدائرة الخاصة ومدام اوغبيان باشا ومصطفى بك خليل ودولة البرنس ابرهيم حلمي وصالح بك نامق ونال الجائزة الثانية عبد الحميد باشا صادق وعدلي باشا يكن وعبد السيد قنديل ودائرة البرنسس حميدة هانم وسالم بك مشهور ومصطفى باشا صدقي ودائرة البرنسات امينة ونعمة هانم والمسيو توفيل ومحمد بك ابو نافع ونال الجائزة الثالثة عيسوي بك سعيد ومحمد بك ابو جازية وحسن بك يوسف ومحمود باشا ابو حسين واحمد بك كامل

القطن الاشموني

نال الجائزة الاولى ابوزيد بك الطنطاوي وعمر بك سلطان ومحمد بك راسم والدائرة الخاصة والجائزة الثانية دائرة البرنس حسين باشا واحمد باشا راشد

القطن العباسي

نال الجائزة الاولى احمد باشا راشد ودائرة القصر العالي والجائزة الثانية دائرة البرنس ابرهيم ومحمد زكي باشا ودائرة القصر العالي ودائرة البرنس حسين باشا ودائرة فاطمه هانم ودولة البرنس عزيز حسن

القطن اليانوفتشي

نال الجائزة الاولى الخواجه قسطنطينيدس وعبد الفتاح يحيي ومحمد بك مصطفى وعبد الرحمن شادلي والمسيو اندريكوفي ومحمد بك شناوي والجائزة الثانية رالي بتريتو ومحمد بك بدراوي وعلي برباري وزيده هانم ومحمد بك شادلي ومحمد بك شاكر ومصطفى بك خليل وسالم بك مشهور وزكي افندي جريس

الاقطان الجديدة

نال جائزة اولى خصوصية المسيو فولتس عن صنفين من القطن الجديد وكذلك سعادة بوغوص باشا نوبار

الحيوانات

نال الجائزة الاولى عن الاغنام عمر بك سلطان ومدرسة الزراعة وخليفة بك رمضان وابرهيم بك الهلباوي ومحمد بك دري ومحمد بك الشناوي ونال الجائزة الثانية ابو زيد بك طنطاوي وعمر بك سلطان وبدر بدر وابرهيم بك الهلباوي وخليفة بك رمضان ورزق احمد

ونال الجائزة الاولى والثانية عن الجمال عمر بك سلطان

ونال المستر كير مدالية برونز خصوصية عن الهجين

ونال الجائزة الاولى عن الخيول سليمان بك احمد اباظه واحمد بك البريدي والجائزة الثانية محمد بك علي شعير ونال مدالية برونز كل من الشيخ امين عارف ودرويش الجندي

ونال الجائزة الاولى عن الحمير والبغال حبيب افندي علي وحسن بك زايد والثانية المسيو جورج عيد وشركة اراضي ابي قير وسليمان بك احمد اباظه وعمر بك سلطان والحاج محمد عمدة شندويل

ونالت المدالية الذهبية شركة السكر وقد اشتهرت معروضاتها في هذه السنة بنقاوة الوانها

وجمال منظرها ومما عرضتهُ كثير من اصناف السكر الابيض المستخرج من القصب المصري وكيفية استخراج السكر النبات وصبهِ . ونالت المدالية الذهبية ايضاً شركة الاسمنت المساهمة المصرية

ونال الجائزة الاولى الخواجة فلاده انطون عن آلات زراعية ووابورات ومطاحن وسواقي وغيرها ومحل حسبو محمد وشركاه في الاسكندرية وقد عرض هذا المحل كثيرًا من العدد والآلات الزراعية ومنها المحراث المشهور بمحراث درابي البخاري وهو اختراع حديث العهد كبير الحجم والفائدة

ونال المدالية البرونز محل الفريد دلمار عن اصناف الكاوتشوك

ونال الجائزة الاولى محل جواني ماركو عن حمامات ومرشحات ومطابخ وآلة جديدة اخترعها لتسخين المياه بسرعة فائقة بواسطة السبرتو او الفحم

ونال الجائزة الاولى محل عزيز مايستر عن وابورات وطواحين وغيرها مما يحتاج اليهِ للشؤون الزراعية كالخرطوم المعروف بالخرطوم المصري وهو اختراع جديد متين جدًّا لصاحب امتيازهِ اصطفان افندي شعيا

ونال الجائزة الاولى محل توماس كوك واولاده ومحل المهندس جويد وماروني

تجربة المحراثين البخاريين

مضى اعضاء الجمعية الزراعية في ٢٢ فبراير الى ابعدية بوغوص باشا نوبار في شبرا حيث شاهدوا تجربة المحراثين البخاريين اللذين عُرضا في المعرض الزراعي وكانوا جمعاً غفيرًا يتقدمهم دولتلو رياض باشا واصحاب السعادة فخري باشا وبوغوص باشا نوبار ويعقوب باشا ارتين وشواربي باشا وانيس باشا وكثيرون غيرهم من ارباب الزراعة . وسار المحراثان في ارض كانت مزروعة برسيماً لا هي بالثقيلة ولا هي بالخفيفة لكنها رطبة نوعاً ويظهر انها مثل متوسط الاطيان المصرية . واستمرت التجربة نحو ساعتين وكان بوغوص باشا نوبار وشواربي باشا وانيس باشا من المحكمين فحكموا ان المحراث الكبير المعروف بمحراث داربي يحرث ستة افدنة في النهار الواحد اذا عمل عشر ساعات متوالية فاعطي المدالية الذهبية وان المحراث الصغير الذي عرضهُ المسيو هلر يحرث فدانين وثلاثة ارباع الفدان في النهار وأُعطي المدالية الذهبية ايضاً

والمحراث الكبير يثير الارض اثارة الى عمق عشرين سنتمترًا او خمسة وعشرين وينعمها ولكنهُ لا يقلبها ولهُ شوكات تدور على محاورها وبها يثير الارض على اسلوب بديع ولكن لا بدَّ من دخول التراب والرمل بين هذه الشوكات ومحاورها فيسرعان تلفها . ويقول بعض ارباب

الزراعة ان الحرث بهذا المحراث كافٍ لزرع الفلَّة ولكنهُ غير كافٍ لزرع القطن ويقول غيرهم انهُ كافٍ للاثنين . ويقال انهُ يحرق ثلاثة قناطير من الفحم في حرث الفدان الواحد

والمحراث الصغير يشق الارض شقًّا ويقلبها كالمحراث البلدي ويقال انهُ يحرق ثمانية لترات من البنزين في الساعة فقد يكون ثمن البنزين مانعًا من استعمالهِ لاسيما وان البنزين سهل الالتهاب فاذا امكن ابدالهُ بزيت البترول فلا يبعد ان يشيع استعمال هذا المحراث



قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

فتح القصبة

قد يصاب الحلق بداء السرطان فيمنع التنفس ويعرّض المصاب للموت اختناقًا . ولدفع خطر الموت العاجل يشق الجراح قصبة الرئة تحت المكان المصاب فيسهل التنفس ويطال في اجل المصاب ويسهل الموت ايضًا اذا كان محتومًا الا ان هذه العملية لا يرجى معها الشفاء كما يرجى في حوادث الدفثيريا

وطريقة العملية ان يدخل الطبيب من حلق المصاب انبوبتين معقوفتين الواحدة داخل الاخرى ويعلّم المصاب او الممرضة كيفية نزع الانبوبة الوسطى وغسلها . وتغسل هذه الانبوبة كل بضع ساعات بالصابون والصودا . واذا حدث بعد ذلك ضيق في التنفس او صوت كالصفير عند التنفس فهي ادلة على ان الانبوبة مسدودة . ويغذى المصاب بالاطعمة السائلة واللينة

عمليات البتر في الصدر

اختلف الاطباء في كيفية المعالجة بعد اجراء العمليات فمنهم من يستعمل الجبس والرباطات العادية في الغيارات ومنهم من يفضل الرباط الواحد العريض ويضع الذراع على الصدر ويربطها معهُ . ومنهم من يسند المصاب بالوسائد خوفًا من حدوث النزف وآخرون يلقون المصاب مستلقيًا على ظهره . واذا اشار الجراح بطريقة من هذه الطرق فعلى الممرضة ان

تعمل بمشورتهِ وتثق بهِ ثقة تامة · واذا لم يفضل طريقة على غيرها فيتبع في ذلك ميل المصاب وارادتهُ وقد يشعر المريض براحة عظيمة اذا وضعت وسادة تحت ذراعهِ على الجانب الذي أُجريت العملية فيهِ

بتر الذراع والساق

يُرفع اصل العضو المبتور قليلاً ويُسند على وسادة حذرًا من حدوث النزف · وهذه العمليات خطيرة جداً اذ بها تُقطع شريانات كبيرة فيستدعي ذلك اشد المراقبة · ويُعرّى اصل العضو المبتور من الثياب في الايام الاول · فاذا حدث نزف ترى في بادىء الامر بقعةً حمراء على الرباط فان لم تزد مساحة سطحها على مساحة سطح الفرنك مثلاً فلا سبب للخوف والحذر · واما اذا رأيت الدائرة تتسع فاسرع وارسل من يدعو الطبيب واما انت فضع قطعةً كبيرة من القطن المندوف فوق مكان البتر واربطها ربطاً وثيقاً · واذا كانت العملية في الساق وكنت حاذقاً ودقيق الشعور في اللمس فتجد الشريان الكبير في وسط اربية الفخذ واذا لمستهُ تراهُ ينبض ويضطرب فضع يدك تحت الورك واضغط بابهامك على الشريان وعلى العظم الى ان يصل الجراح · واذا كانت العملية في الذراع فارفعها واربطها ربطاً وثيقاً وهذا اسهل من ان تفتش عن الشريانات تحت الترقوة او بين العضلات

وهذه العمليات مؤلمة جداً اذ بها تنقطع بعض الاعصاب · ومن غرائب الامور ان المصاب بعد ان تُبتر ذراعهُ او رجلهُ او ساقهُ كثيرًا ما يشكو الالم في الطرف المبتور كأن ذلك العضو لم يزل في مكانهِ حيًّا

عمليات البطن

كان الاطباء في السنين السالفة اذا اتاهم مريض مصاب بداء في بطنهِ عجزوا عن تشخيص مرضهِ تشخيصاً تامًّا وان استطاعوا تشخيصهُ ومعرفة الداء فلم يكن ينجع فيهِ دواء لانهم لم يكونوا حينئذٍ يتجاسرون على فتح البطن والتوصل الى مركز الداء فيقضى على المصاب ان يموت · على ان فن الجراحة قد تقدم تقدماً عظيماً في هذه السنين الاخيرة حتى اذا تعذر على الاطباء تشخيص مرض باطني وكان المصاب في خطر الموت شقوا المكان الذي منهُ يشكو الالم وشاهدوا بعينهم اصل الداء فيسهل عليهم وصف الدواء · وقد خلّصت الجراحة الباطنية كثيرين من مخالب الموت العاجل واعادت اليهم الصحة التامة · ويدخل تحتها عمليات المعدة والكبد والكليتين والامعاء والزائدة الدودية والمثانة وغيرها من الاعضاء والناميات الغريبة · فيتبين من ذلك ان الطبيب وان استطاع تشخيص المرض الباطني تشخيصاً تامًّا حقيقيًّا يتعذر عليهِ نفع المريض ما

لم يشق بطنهُ ويصل الى اصل الداء والشكوى . فقد تدخل بزرة ثمرة الى الزائدة الدودية فتسبب التهاباً وصديداً وينتهي الامر بالموت الزؤام . وقد تنحرف الامعاء عن مكانها الطبيعي او ينمو هنالك شيء غريب او يتكون الصديد في عضوٍ داخلي وكل هذه تسبب آلاماً مبرحة وقد يعقبها الموت الباكر ولا تجدي الاطباء وادويتهم نفعاً . ففي مثل هذه الاحوال يتقدم الجراح ويخيّرك بين الموت العاجل مصحوباً بالاوجاع والآلام وبين عمليةٍ جراحية يصحبها امل الشفاء التام . وليس في طاقة الجراح ان يعدك بالشفاء حتماً لان المرض الباطني قد يكون مرض السرطان او السل الرئوي في درجة متقدمة او غير ذلك مما لا سلطة للجراح عليهِ . ولكن اذا استثنينا هذه فامل الشفاء بعد اجراء العملية كنسبة عشرة الى واحد اي ان من كل عشرة تجرى فيهم العمليات الجراحية يشفى تسعة ويموت واحد فقط . واما اذا اجّل المصاب اجراء العملية او رفض اجراءها بتاتاً فامل الشفاء كنسبة واحد الى عشرة ولا سيما اذا كان الداء التهاب الزائدة او اختناق المعى او سرطاناً في المعدة

لنفرض ان المصاب قبل بان يعمل الجراح لهُ عمليةً وانك اعددت غرفة العملية كما اعدّتها تلك الممرضة التي وصفتها لك سابقاً وان العملية قد تمت وأُلقي المريض على سريرهِ وبين رجليهِ زجاجات الماء السخن . فعليهِ ان يستلقي على قفاهُ وتوضع وسادة تحت ركبتيهِ وهذا ضروري جداً لانهُ اذا ارتفعت الركبتان ارتخت عضلات البطن فانبسط وصار عديم الحركة . والانقطاع عن الحركة ضروري جداً في مثل هذه الاحوال . وعلى الطبيب او الممرضة الخبيرة ان تستخرج البول من المرأة مرةً كل ثماني ساعات على الاقل . وعلى الممرضة او من يقوم مقامها ان يستعمل واسطةً يتمكن بها من رفع ثقل اغطية الفراش عن بطن المريض . وتوصلاً الى هذه الغاية تستعمل المستشفيات اسرّة فيها أُطر الحديد فاذا لم يمكن اقتناء سرير مثلها فيستعاض عنهُ بوضع الوسائد على جانبي المريض بشرط ان يكون علوّها كافياً لحمل ثقل الاغطية ورفعها عن الجرح

ويبقى بعد العملية الجراحية البطنية خطران عظيمان احدهما الانحطاط الكلي المسبب عن الصدمة والثاني الانحطاط المسبب عن نزف داخلي . وقد قلنا سابقاً ان اعراض النزف الداخلي هي اصفرار الوجه وابيضاض اليدين والاظافر والشفتين والانف والاذنين . والقلق والحركة الدائمة فيرمي المصاب بذراعيهِ الى هنا وهنالك ويتقلب على فراشهِ بدون انقطاع . والاغماء والتنهد العميق بدلاً من التنفس الطبيعي . فاذا ظهرت لك هذه الاعراض فافتح النوافذ ليتجدد الهواء في الغرفة واكثر من زجاجات الماء الحار في الفراش وافعل كل ذلك بهدوٍ وانتظام . وكثيراً ما يسوء خلق المريض او يتعلق بشخص وينفر من كل احد سواهُ فلا يقبل ان يمرضهُ ويعتني بهِ غيرهُ .

والغالب ان ذوي المريض يشفقون عليه ويجرون طوع امرهِ ولو عاد عليهِ ذلك بالضرر. على ان هذا الانقياد الاعمى من اهل المريض وذويهِ يخالف الحكمة والصواب ويعود عليهِ وعليهم وبالاً. فان الساهر على المريض يحتاج من الطعام والنوم والراحة والهواء النقي قدراً كافياً والاَّ ما استطاع ان يقوم بواجباتهِ حق القيام. فعليك ان تتخذ التدابير من اول الامر ليكون السهر على مريضك بالتناوب. فيجلس غيرك بجانب سريرهِ لينظر الى حاجاتهِ بينما تأخذ حاجتك من الراحة والطعام والنوم ثم تجلس بجانب سريرهِ بينما يأخذ غيرك حاجتهُ من الراحة والطعام والنوم. وافعل ذلك مهما شقَّ الامر عليك وعلى مريضك واذكر انهُ يؤُول الى فائدتهِ

وفي اليوم الاول قد يكون الخطر على حياة المصاب عظيماً ويتهددهُ الموت في كل ساعة وفي اليوم الثاني يخف الخطر ويقوى الامل فاذا مضى عليهِ اليوم الاول والثاني اصبح شفاؤُهُ مرجحاً الاَّ اذا فرط من المريض او الممرضة او من يقوم مقامها سوء في التصرف وحماقةٌ في التدبير. وقد يكون الجراح الماهر في اجراء العملية على غاية ما يرام فيتلف المريض او من يمرضهُ عملهُ بسوء تصرفها. وقد علمت ان زمن الخطر الشديد لا يزيد على اليومين الاولين وعليهما تتوقف حياة المريض او موتهُ. فيجب اذ ذاك اشد الحذر ومراقبة المريض مراقبةً تامة وعدم الاغضاء عنهُ لحظةً واحدة. ولا يمكن للشخص الواحد ان يقوم بهذا الواجب بدون مساعدة فيجب ان يكون السهر والمراقبة بالتناوب

اما التغذية فقد اختلف الجراحون فيها فمنهم من يمنع الطعام والشراب عن المريض مدة ٢٤ ساعة فلا يبرد غليلهُ بنقطةٍ من الماء. ومنهم من يعطيهِ الغذاء بعد العملية باثنتي عشر ساعة اذا لم تجش نفسهُ للتقيوء. فيبتدئُ باعطائهِ ملعقتين كبيرتين من اللبن والماء او اللبن والشاي كل ساعة. ثم اربع ملاعق كبيرة كل ساعة ثم ثماني ملاعق كل ساعتين ثم اثنتي عشرة كل ثلاث ساعات وهكذا بزيادة كمية الغذاء وتطويل المدة بين تناول الغذاء الواحد والآخر. واذا مضى على ذلك ثلاثة ايام وانطلقت امعاء المصاب فاعطهِ من الاطعمة اللينة اللبية بحسب ما يشير الجراح عليك. واذا جاشت نفسهُ واراد التقيؤ فضع يدك على بطنهِ فوق الجرح واذا اردت قلبهُ من جانب الى آخر فاقلبهُ دائماً الى جانب الجرح لكي لا يقع شد على الجرح والقطب. ومن الجراحين من يستعمل القطن المندوف والرباط لمثل هذه العمليات ومنهم من يضع فوق الجرح المخاط عدة طبقات من الشاش الناعم ويلصقها على الجسم بالكولوديون. ويضع الرباط العادي من الفلانلا او البفت الناعم المتين ويكون طولهُ نحو ذراع وربع وعرضهُ نصف ذلك. ويمكنك في اليوم الثالث ان تغيّر ثياب المريض بكل اعتناء او تضع وسادة ثانية

تحت رأسهِ ولكن لا يُرفع رأسهُ اكثر من ذلك وتغير اغطية الفرش وتعلم تحتهُ كل صباح ومساء وتنفض الوسادة وتعاد الى تحت ركبتيهِ فيشعر براحة والاَّ فانهُ يبقى في تعب دائم وحركة غير منقطعة . واغسل يديهِ ووجههُ كل صباح ومساء واتخذ كل الوسائل والتحوطات لمنع قروح الفراش

البواسير والنواسير

هذه الحوادث مؤلمة جدًّا ويلزم لشفائها من اربعة اسابيع الى ستة على الغالب ويحقن المكان بعد العملية بالمورفين لتسكين الالم . تسبيب الامساك . ويعطى المصاب شيئًا قليلاً جدًّا من الغذاء في الاربعة او الخمسة الايام الاولى الى ان تتحرك الامعاء وتنطلق لكي لا يعاق شفاء الجرح . والخروج الاول يكون مؤلمًا جدًّا حتى يغمى على كثيرين من المصابين بعد حدوثهِ فعليك ان تكون معهم في الغرفة هذه المرة . ويضع الطبيب الفيار في المرة الاولى وعليك ان تعتني بالمريض بعد ذلك وتغسل الجرح كل مرة بعد الخروج بالخرق اللينة والقطن المندوف والصابون والماء الفاتر . ثم اغسلهُ بمحلول فيهِ مادة مضادة للفساد ويفضل محلول كلوريد الزئبق على محلول الحامض الكربوليك لان محلول الزئبق لا يحدث تهيجًا كمحلول الحامض الكربوليك والمستقيم شديد الحس جدًّا



ديوان التعاويذي

اذا طبعنا نحن الشرقيين كتابًا من كتب المتقدمين فالغالب انهُ يخرج من يدنا كثير الغلط خاليًا من الفصول والفهارس وان الحقنا بهِ فهرسًا صغناهُ على اسلوب لا يهتدى بهِ الى شيءٍ فيهِ . هذا وفيات الاعيان لابن خلكان قلما يستطيع الطالب ان يهتدي الى موضع علَم من الاعلام التي يطلبها فيهِ لان فهرسهُ مرتب حسب اسماء الاعيان لا حسب الالقاب التي اشتهروا بها ولذلك جاء في حرف الميم اسم ابن الاثير والامام الشافعي والامام البخاري وابن سيرين والغزالي والرازي والواقدي وابن زهر والتعاويذي وابن مقلة والبتاني والزمخشري وغيرهم من المشاهير الذين قلما يخطر على البال ان تطلب اسماؤهم في حرف الميم وقس عليهِ غيرهُ من الكتب

اما علماء الافرنج الذين عنوا بطبع الكتب العربية فقد بذلوا الجهد في تصحيحها واتقنوها

بالفهارس المختلفة ليسهل بها الاستدلال على ما فيها ومن ذلك هذا الديوان وقد عني بنسخهِ وتصحيحهِ العالم الفاضل الدكتور مرجليوث استاذ العربية في مدرسة اكسفرد الجامعة وطبعهُ في مطبعة المقتطف بالشكل الكامل والحق بهِ فهرسين كبيرين ذكر في الاول منهما اسماء الممدوحين والمهجوين وغيرهم ممن جرى ذكرهُ في هذا الديوان ونوع الشعر الذي قيل فيهم بين ان يكون مدحاً او هجاء او رثاء · وفي الفهرس الثاني المعاني الواردة في الديوان كالإباء واستقراض الكتب واعادة الدعوة العباسية والتشيُّع والحمام والختان والربيع والسكر والشبيبة والشيب وهلمَّ جرًّا · وقدَّم لهُ جدولاً ذكر فيهِ كثيرًا من كتب الادب والتواريخ التي وردت فيها ابيات من اشعار التعاويذي واشار الى القصائد التي أُخذت تلك الابيات منها والى اماكن طبع تلك الكتب والصفحات التي وردت الابيات فيها

والتعاويذي شاعر مشهور وهو ابو الفتح محمد بن عبد الله المعروف بسبط ابن التعاويذي المتوفَّى سنة ٥٨٣ للهجرة قال فيهِ ابن خلكان انهُ "كان شاعر وقتهِ ولم يكن فيهِ مثلهُ جمع شعرهُ بين جزالة الالفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها وفيما اعتقدهُ لم يكن قبلهُ بمئتي سنة من يضاهيهِ" · وهو كذلك فاننا لم نرَ ديوانًا جمع ما جمع هذا الديوان من نفيس الشعر غزلاً ومدحاً وهجاء فكيفما قلبتهُ لا تجد الاَّ ابياتًا محكمات وآيات في البلاغة بينات كقولهِ في مدح الامام المستضيء بالله سنة ٥٧٧ ومطلعها

خجلت من عطائك الانواء وتجلَّت بنورك الظلماء
واستجابت لك الممالك اذعا نًا وفيها على سواك اباء
نسخ العدل في ايالتك الجو رَ كما ينسخُ الظلامَ الضياء

وهي طويلة فيها ٨٧ بيتًا عامرًا ببليغ المعاني وجزل الالفاظ

وكقولهِ في مدحهِ ايضاً

سست الانام بسيرةٍ ما سارها في الناس الاَّ جدُّك المتوكلُ
لا حرمة الدين الحنيف مضاعة كلاَّ ولا حق الرعايا مهملُ
شرفًا بني العباس شاد بناءهُ لكمُ فاعلاهُ النبيُّ المرسلُ
شرفتم بطحاء مكة فاغتدت بكم يعظم قدرها ويبجلُ

وكقولهِ في مدح عضد الدولة ابن المظفر

آل المظفر والسيادة فيكمُ خُلُقٌ وغيركم بها يتخلقُ
يتلو قعيدًا في السيادة معرقًا منكم قعيد في السيادة معرقُ

انت الغمام الجون فيهِ صواعقٌ تردي العدوَّ وفيهِ غيثٌ مغدقُ
وكأن كفك ديمة مدرارة وضياء وجهك برقها المتألقُ
هيهات شأوك هضبة ازليقة لا تستطاع وغاية لا تلحقُ

وقولهِ في عماد الدين ابن الشهرزوري

بكم ايَّد الله الممالك فاغتدت موطدة الاكناف مجموعة الشملِ
فمن سائس للملك فيهِ مدبرٍ ومن عالم حبر ومن حاكم عدلِ
وعشتم لدهرٍ انتمُ حسناتهُ وجدكم حليٌ لايامهِ العطلِ

وقولهِ في مدح صلاح الدين الايوبي

يرجى ويرهب بأسهُ والماجد المفضال مَن يرجى نداهُ يرهبُ
مخضرَّةٌ اكنافهُ لوفودهِ والعام محمرُّ الذوائب اشهبُ
صب بتشييد المآثر متعب فيها ومن شاد المآثر يتعبُ
حملت بهِ بعد العقام فانجبت امُّ العلى ما كل امٍّ منجبُ
ملكت سجاياهُ القلوب محبةً ان الكريم الى القلوب محببُ

وقولهِ في مدحهِ ايضاً

اضحت دمشق وقد حللتَ بربعها مأوى الطريد وموئل المسكينِ
وغدت بعدلك وهي اكرم منزلٍ تلقى الرحال بـهِ وخير قطينِ
يثني عليك المعتفون بها كما تثني الرياض على السحاب الجونِ

ورثاؤهُ قليل وهجاؤهُ كثير افرط فيهِ احياناً حتى اضطررنا ان نحذف بعضهُ وقت طبعهِ. ومقاطيعهُ وهزلياتهُ تسيل ظرفاً كقولهِ وقد كتب بها الى عماد الدين ولد الوزير عضد الدين

يا عماد الدين يا اكرم من تحت السماء
يا اجلَّ الناس قدراً وابن خير الوزراء
ان تأخرتُ فقد قدمت في الليل دعائي
انا لا احضر الاَّ في مواقيت الهناء
حالةٌ دلت على ضـ ـعف قلوب الشعراء

وقولهِ في هجاء حمَّامي

وجه يحيى ابن بختيار اذا فكرتُ فيهِ من سائر الانحاء
مثل حمامهِ المشوم سواء مظلم باردٌ قليل الماء

وقوله: حيا الله ليلاً بالعراق سهرتهُ ... اقيح من مدح اللئام القصائدا
فلما نضى عني الظلام رداءهُ ... تيممت سوقاً للمدائح كاسدا

وقوله في تحذير صلاح الدين من ابن الحصين

يا صلاح الدين خذ حـذرك من صل العراقِ
فلقد وافاك في ثوبي عناد ونفاقِ
لا يغرّنك منهُ منطق حلو المذاقِ
تحتهُ ما شئتَ من افك وزور واختلاقِ
افعوان ما لما ينفثهُ من فيهِ راقي

والديوان كبير يقع في اكثر من خمس مئة صفحة بقطع المقتطف وكلهُ من نفيس الشعر وقد قطع ثمنهُ ٣٦ غرشاً من غير تجليد و ٤٠ غرشاً مجلداً تجليداً بسيطاً و ٤٥ غرشاً مجلداً تجليداً متقناً وموسوماً بالذهب. ويطلب من ادارة المقتطف ومن كل المكاتب الشهيرة

رسالة المفعلة ورسالة جيد

للعالم المحقق ظاهر افندي خير الله الشويري مباحث كثيرة في اسرار العربية استقرى فيها اموراً لم يرَها لغيرهِ من الباحثين وخالف في بعضها ائمة اللغة حاسباً ان القياس اصل في اللغة فلا يُعدَل عنهُ الأ لمسوّغ وانكر وجود الشذوذ فيها وحاول وضع القواعد لما سمع منها شاذاً عن غيرهِ وقال برجود كلمات يدعو القياس الى استعمالها ولو لم تسمع من العرب او لم تذكر في المعاجم الواسعة وانهُ يجب ان تبنى المباحث في اللغة على هذه المبادىء وهي

"(١) انهُ ليس في اللغة شيءٌ لغواً ولا عبثاً ولكن في اللغة ما لم يعرَف سِرُّهُ بعد

(٢) انهُ لا يقبل في اللغة قول لا يسندهُ قياس ولا يعضدهُ سماع

(٣) انهُ ليس في اللغة شاذ ولكن قد تخفى الحقيقة فيدَّعى الشذوذ

(٤) انهُ من مذاهب العربية الاتساع في الاستعمال ولا يقال لذلك شذوذ

(٥) انهُ للأئمة مع الاعتراف بفضلهم ان ينقلوا الينا لغة العرب وليس لهم ان يحجروا علينا مناهج العرب في استعمالها ولا ان يحجزوا بيننا و بينها

(٦) يبنى علم اللغة على ركنين السماع والقياس والسماع الآن عبارة عما في معاجم اللغة ولكن المعاجم غير مستوعبة اللغة ولا محرَّرة العبارة ولا مدققة المعاني ولا مستكملة المطالب ولا مستقصية المواد فقلما تصلح مرجعاً الأ في اصول المواد المذكورة فيها ولهذا يجب ان يكون

اعتمادنا في المباحث اللغوية على القياس الاّ في اصول المواد المذكورة في المعاجم

(٧) نحن في كل معترك اضطراب من اختلال او تشذيذ او تحكم في اللغة بين ان نقبل القول بذلك ونناصر على تهجين لغتنا وتصعيبها وهي نزيهة عن ذلك وبين ان نردّ ذلك القول وان كان قائلهُ من كبار الأئمة وننزه لغتنا من كل شائبة عيب كما هي في نفسها كذلك. ولكن ردُّ القول بتهجين اللغة اوجب علينا واحسن الينا وهو لا يسوء الأئمة الفضلاء بل يسرُّهم لانهم وحاشاهم لم يعمد احدٌ منهم الى سوءٍ ولكن قالوا بما ظهر لهم وابقوا لنا ان نقول بما يظهر لنا. وان كانوا في المقام اعلى وافضل فوسائطنا اكثر واكمل والاعمال بالنيات. والامور مرهونة بالاوقات"

وقسم ما يظهر التشويش في استعماله الى فصول ربط كلاًّ منهما بقاعدة. فقال ان المشيخة مثلاً ليست جمع شيخ لان المفعلة ليست من ابنية الجموع بل المشيخة مصدر واصل استعمالها من باب الوصف بالمصدر كقول العامَّة هم مضحكة ومسخرة وملعبة. وان المحاسن مفرد المحسنة ولو لم تذكر في معاجم اللغة لان القياس يدعو اليها والفرع يدلُّ على وجود الاصل. وقسم الكلمات التي على وزن مفعلة الى ما يجمع بالالف والتاء جمع سلامة وما يجمع على مفاعل جمع تكسير وبيَّن حدود كل فريق منهما وقسم جموع التكسير الى ما يشترك بين ذي الحياة وغيره. وما يختصُّ بذي الحياة

ثم ان المؤلف اضطرَّ ان يهمل بعض ما لا ينطبق على قواعده عند الاستقراء فقال مثلاً ان فَعَلَة وفَعْلَى وفُعَلاء وفَعَل من جموع التكسير مختصة بالعقلاء ومثَّل على الاولى بقضاة ونجاة وترك بزاة. وعلى الثانية بجرحى ومكى وترك جربى. وعلى الثالثة بعلماء وفضلاء وترك بيناء جمع بيِّن. وعلى الرابعة بخدم وحرس وترك حلق وبكر. وقال ان السادة ليست جمع سيد بل جمع سائد والسراة ليست جمع سري بل جمع سارٍ وعلل ذلك والظاهر انهُ يحسب ان لا مثيل لهاتين الكلمتين فكيف يعلل جمع خبيث على خبثة وضعيف على ضعفة ولماذا لا يصح ان يقال ان وزن فعلة يجمع عليهِ فاعل مثل كافر كفرة وساحر سحرة وفعيل مثل خبيث خبثة وسريّ سراة (اصلها سروة). نقول ذلك من باب مجاراة الباحث في بحثهِ وعندنا انهُ لا يصحُّ الحكم البات في هذه المسائل وامثالها الاّ بعد درس اللغات المشتركة مع العربية او التي خالط العرب ابناءها

ولو كانت العربية لغة شعب انقطع عن كل الشعوب من اول عهده ولم يؤثر فيها الاّ المؤثرات الطبيعية التي يشترك فيها شعب واحد في صقع واحد لشاع فيها القياس وجرت مبانيها وتراكيبها على اساليب معينة لا تتعدَّاها وسهل على الباحث فيها رد فروعها الى اصولها وتعليل

اختلافاتها من غير الاستعانة بدرس لغة اخرى اما وقد اتصل العرب من اول عهدهم بالكلدان واليهود والحميريين والاحباش والقبط والروم فدخل لغتهم الوف من الكلمات الكلدانية والعبرانية والحميرية والحبشية والقبطية والرومية ومن التراكيب والتعابير ايضاً حتى ان كثيراً مما نحسبهُ من صميم العربية ككلمة "قلم" منقول اليها من لغة اخرى فالبحث في العربية على الاسلوب الذي طرقهُ المؤلف لا يفيد الفائدة المطلوبة الأ بعد درس هذه اللغات والتعمق فيها · نقول ذلك لا حطاً من قيمة بحثهِ ولا بخساً لقدر الفوائد التي جناها واتحفنا بها بل اشارة الى انهُ قد حان لنا ان نجاري الاوربيين في المباحث اللغوية اذا شئنا ان تكون علمية معقولة

وفي كل فصل من فصول هاتين الرسالتين ادلة كثيرة على ان المؤلف بحث بحثاً دقيقاً في كتب اللغة وجمع من الفوائد والشوارد ما يتعذَّر جمعهُ الأ على كبير الهمة الذي قضى السنين في تصفح امهات الاسفار والبحث فيها بعين الناقد البصير

المنهل

مجلة علمية تاريخية ادبية فكاهية تصدر في منتصف كل شهر لحضرة صاحبها ومنشئها الاديب عطيه افندي حنا

تصفحنا العدد الاول منها فرأينا فيهِ مقالة عن نقل الاميركيين سفينة مدرعة في البر مسافة ميل واخرى عن قوم برابرة يسكنون قرب مدينة باريس وبعدها مقالة عن جريدة تصل اليها الاخبار بتلغراف مركوني اللشيئت في جزيرة منتا كتلينا برلاية كيلفورنيا وهي تبعد عن البر ٣٥ ميلاً · ثم مقالات عن بحيرة يغلي ماؤُها بحرارة بركانية وعن اغتراب المصري وعن وليم تل محرر سويسرا ويليها قصة نظماً ومتفرقات علمية وادبية وفكاهية · والمجلة كثيرة الفوائد فنتمنى لها النجاح التام

سمة الاخلاص

رسالة وضعها حضرة الكاتب الاديب امين افندي مرشاق سكرتير تفتيش قسم مشروعات الري في ترجمة صاحب السعادة اسمعيل باشا سري مفتش قسم مشروعات الري ابان فيها ارتقاء هذا المهندس الوطني بجدهِ واجتهادهِ وشرح الاعمال العظيمة التي عملها لنفع بلادهِ تخلَّد بها ذكرهُ · وقد نقلنا شرحها عنهُ في مقالة خاصة في هذا الجزء · وحبذا لو ذُكر كل رجل من رجال الوطن باعمال نافعة مثل هذه

اللغة المصرية العامة

لا يزال الاستاذ فسك الاميركي دائباً في نشر الرسائل المكتوبة بحروف اوربية في اللغة المصرية العامة وقد وصلتنا منهُ الآن رسالة سماها "اجروميه مصري مكتوبا بل لسان المصري ومعها امسله" . ولو بذل الاستاذ فسك هذا الجهد في استعمال الحروف اللاتينية لكتابة العربية الجارية الآن في الجرائد السيَّارة والتي يتكلمها جمهور المتعلمين من اهالي القطر المصري لشاعت هذه اللغة وهي اقرب الى اللغة المعربة منها الى العامية ولشاع ايضاً استعمال الحروف اللاتينية وتمت الفائدتان على اسهل سبيل اما اللغة التي يريد كتابتها وحفظها فينفر منها جمهور المتعلمين ولا ترغب الامة فيها وقد صار حفظها عسيراً بعد ان انتشرت الجرائد السيَّارة في البلاد

التقرير المتيورولوجي

The Meteorological Report.

نشرت ادارة المساحة الجيولوجية في القطر المصري تقريرها عن احوال الجو في سنة ١٩٠١ وهو شامل لارصاد الحرارة وضغط الهواء ورطوبتهِ وشد البخار المائي وسرعة الرياح وجهتها واشكال الغيم ومقدار المطر والتبخُّر ومدة شروق الشمس واشعاعها وحرارة الارض وحركات الزلازل والارصاد المغنطيسية . ويستفاد من هذا التقرير ان شهر يوليو كان اشد الشهور حرًّا ويتلوهُ يوليو فاغسطس فسبتمبر فمايو فاكتوبر فابريل فمارس فنوفمبر ففبراير فدسمبر فيناير . وان اشد درجات الحرارة كان في شهر مايو فبلغت الحرارة ٤٣ درجة بميزان سنتغراد واخفضها في شهر يناير فبلغت اربعة اعشار الدرجة

واشد ما بلغتهُ الحرارة في مرصد العباسية في خمس عشرة سنة من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٩٨ هو ٤٥ درجة وعشران واوطأ ما بلغتهُ سبعة اعشار الدرجة تحت الصفر . وقد بلغت الحرارة في وادي حلفا ٤٧ درجة وعشرين في ٢٤ يونيو سنة ١٩٠١ وهبطت في شهر يناير الى درجتين وعشرين وبلغ متوسط الحرارة في سواكن في شهر يوليو ٣٦ درجة وبلغ اعلاها في ام درمان ٤٧ درجة واوطاها ١١ درجة واعلاها في ود مدني ٤٠ درجة وخمسة اعشار واوطاها تسع درجات ونصف درجة واعلاها في كسلا ٤٣ درجة وتسعة اعشار واوطاها ١٢ درجة وعشرين

واغرب ما في هذا التقرير ارصاد الحرارة في اديس ابابا في بلاد الحبشة فان درجة الحرارة تكاد تكون واحدة فيها على مدار السنة متوسط اعلاها نحو ٢٣ درجة ومتوسط اوطاها نحو تسع

درجات . ويقع المطر فيها على مدار السنة ايضاً ولكن يختلف ما يقع منهُ في الشهر من ١٥ مليمترًا الى ٢٧٦ مليمترًا وجملة ما وقع منهُ في سنة واحدة ١٢٢٨ مليمترًا

ديوان الرافعي

اعلن حضرة الشاعر المطبوع مصطفى افندي صادق الرافعي انهُ عزم على طبع الجزء الثاني من ديوانهِ في اول صفر من السنة الهجرية المقبلة مفتتحًا بمقدمتهِ في سرقة الشعر وتوارد الخواطر ومشروحاً شرحاً يقصد بهِ مطلق الفائدة فيتناول اللفظ والمعنى وما يناسبهما من نكتة او نادرة او فائدة او فكاهة حتى يكون بذلك سفر ادب ممتعاً



فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهرٍ آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) الولود والبيوض

كفر الزيات . ناشد افندي فريد . يقال ان كل ذي اذن ولود وكل ذي صماخ بيوض فهل ذلك كذلك وما هو تعليلهُ وهل القاعدة مضطردة لا شذوذ لها

ج هذه هي القاعدة الغالبة ولكن وجود الاذان مع الولادة علة معية لا سببية ولها شذوذ كثيرة والتقسيم الطبيعي هو ان الحيوانات الفقرية تقسم الى ثدوية وطيور وزحافات فالثدوية ولود كلها الاَّ نوعاً واحدًا من الحيوانات الاسترالية . والطيور بيوض كلها والزحافات بعضها ولود وبعضها بيوض. والحيوانات غير الفقرية اكثرها بيوض ولكن بعضها ولود او بيوض ولود لان صغارهُ تخرج من بيوضهِ وهي في جوفهِ . ولما كانت الآذان الظاهرة خاصة بالحيوانات الثدوية او بالحيوانات المرتقية وجدت الصفتان فيها معاً

(٢) النتائج العربية والزراعة

ومنهُ . هل التوقيعات الزراعية التي في النتائج العربية حقيقية دقيقة الوضع او هي تقريبية

ج هي تقريبية وبعضها غير صحيح مطلقاً كما يظهر لكم باقل نظر فيها اذا كان لكم المام بالزراعة

(٣) عمر آدم

ومنهُ . بما تعللون بقاء آدم ٩٣٠ سنة حيًّا يرزق على ما ورد في التوراة

ج ان المفسرين غير مجمعين على ان كلام التوراة يؤخذ على ظاهرهِ فبعضهم يقول انما ذكر فيها صحيح حرفيًّا وان الناس كانوا يخافون الله و يعتدلون في معيشتهم ولم تكن الامراض والآفات قد تطرَّقت اليهم فكانوا يعيشون كل تلك السنين وبعضهم يقول ان الاشخاص المذكورين هم رؤساء قبائل او بطون والمراد ان قبائلهم او بطونهم عمرت كذلك وبعضهم يقول ان سنيهم لم تكن مثل سنينا

(٤) المطالعة والنوم عقب الاكل

ومنهُ . هل المطالعة في كتاب فكاهي او النوم عقب الاكل مباشرة يعيق الهضم

ج كلاَّ ولاسيما اذا اعتاد الانسان ذلك

(٥) بعض اللحوم

ومنهُ . من لحوم اية حيوانات يصنع السجق والبسترمه والجمبون وهل تناول هذه الانواع يضرُّ بالصحة

ج ان الاخير من لحم الخنزير والاولين من لحوم مختلفة والغالب ان تصنع من لحم الغنم او البقر او الخنزير او الخيل او الكلاب او القطط حسب اتساع ذمة صانعيها . وأكلها قلما يضرُّ الاَّ من فيهِ استعداد مزاجي خاص ليضرَّ بها

(٦) الاحلام وتعبيرها

طنطا . شوقي افندي حبيب ناصر . ما سبب الاحلام وهل لها تعبير تمكن معرفتهُ

ج الاحلام افكار غير منتظمة ولا دليل على صحة شيء مما يقال في تعبيرها فان الناس لا يعلمون الغيب ولا تدل افكارهم عليهِ وهم مستيقظون فلا يعقل انهم يعلمون الغيب وتدلُّ افكارهم عليهِ وهم نيام

(٧) المحمل

ومنهُ . من استعمل المحمل الشريف اولاً وماذا كان قصدهُ من ذلك وفي اي سنة كان ذلك

ج جاء في كتاب دليل الحج الذي وضعهُ المرحوم محمد باشا صادق ان شجرة الدر ارادت الحج سنة ٦٤٥ فصُنع لها هودج كسي بالحلل فسمي المحمل ومن ثم جرت العادة ان يخرج المحمل كل عام الى الحج . اما المحمل الشامي فاول من وضعهُ السلطان سليم سنة ٩٢٣ . واما الكسوة التي ترسل من مصر فامرها قديم من عهد الملك الصالح بن الناصر بن قلاوون سنة ٧٥٠ فانهُ اشترى ثلاث قرى من القليوبية ووقف ريعها على كسوة الكعبة

(٨) كذبة ابريل

ومنهُ . ماسبب الكذب في اول شهر ابريل

ج قد ذكرنا هذا السؤال والجواب عنهُ مرارًا في الاجزاء الماضية فراجعوهُ فيها

(٩) زيادة السكان

مصر . عبد الرحيم افندي محمد . يزيد تعداد الاهالي زيادة عظيمة في هذه السنين ولم نرَ شيئاً جديداً دخل في معيشة الفلاح ولا عنصراً غريباً يوجب كثرة المواليد او قلة الوفيات حتى نرجع اليهِ سبب هذه الزيادة فهل تجدون فرقاً يصلح ان يكون سبباً علمياً لزيادة سكان القرى على الخصوص

ج ان الزيادة حقيقية وسببها كثرة المواليد بتيسر امور المعيشة وقلة الوفيات بزيادة اعتناء الحكومة والاهالي بالاطفال و بالتحوطات الصحية التي تمنع فتك الامراض وانتشار الاوبئة . وبزيادة حفظ الامن . و يظهر لنا ان ازدياد الاعتناء بالاطفال من حيث تغذيتهم وتطبيبهم ووقايتهم من الجدري بالتطعيم هو السبب الاكبر لزيادة السكان فقد كان ثلث الوفيات كلها من الاطفال من لدن ولادتهم الى آخر السنة الاولى من عمرهم ونحو ثلثها ايضاً من الاطفال الذين عمرهم من سنة الى خمس سنوات اي كان ثلثا وفيات السكان من الاطفال الى السنة الخامسة من عمرهم وذلك سنة ١٨٨٦ اما الآن فلا نظن ان وفيات الاطفال تبلغ نصف الوفيات كلها

---

(١٠) اشارات الماسون

طرابلس الشام . عيسى افندي الحلو . يزعم البعض ان لاعضاء الجمعية الماسونية اشارة سرية لا يعلمها غيرهم بها يميز احدهم الآخر لاول وهلة مهما كان بينهما من تفاوت الرتبة وتباين المشرب فهل ذلك صحيح

ج نعم صحيح

باب الاخبار العلمية

الظواهر الفلكية في شهر مارس

اوجه القمر

	يوم	ساعة	دقيقة
البدر	٢	٤	٤٨ صباحاً
الربع الاخير	٩	٣	١ "
الهلال	١٧	٧	٣٩ "
الربع الاول	٢٤	١١	٣٧ مساء
البدر	٣١	٢	٤٤ مساء

السيارات

يكون عطارد نجم الصباح في اول الشهر ثم يختفي باشعة الشمس

وتشرق الزهرة قبل الشمس بساعة ونصف

ويبقى المريخ ظاهراً في الغرب ساعةً بعد مغيب الشمس

وموقع المشتري لا يصلح لرصده

وزحل نجم الصباح يشرق في ١٥ الشهر قبل الشمس بساعتين

ويكون السرطان قبل سمت الراس الساعة التاسعة مساء والسفينة قرب الافق

قوة الروس واليابان البحرية

مدار الحرب الناشبة الآن بين الروس واليابان وعمدتها الاساطيل البحرية اسطول اليابان كله واسطول الروس المقيم في الشرق الاقصى . وعند الروس من البوارج والطرادات والمدفعيات خمسون سفينة عدا السفن القديمة التي لا يعتمد عليها في الحروب الحديثة . تفريغها كلها ٦٧٠ ٣٥٨ طنًّا وهي كل ما عندها في بحور اوربا واسيا . وعند اليابان ثلاث وثلاثون سفينة من البوارج والطرادات والمدفعيات تفريغها كلها ٣٤٠ ٣٠٨ طنًّا

وتقسم سفن الروس واليابان حسب نوعها وقوتها هكذا

(١) البوارج التي من الطبقة الاولى — عند الروس عشر متوسط تفريغ كلٍّ منها ١٢١٦٠ طنًّا وعند اليابان ست متوسط تفريغ كل منها ١١٥ ١٤ طنًّا

(٢) البوارج التي من الطبقة الثانية — عند الروس عشر متوسطها ٩٥٤٥ طنًّا وليس عند اليابان بارجة من الطبقة الثانية

البوارج التي من الطبقة الثالثة — عند الروس ثلاث متوسطها ٤١٢٦ طنًّا وعند اليابان واحدة تفريغها ٧٢٢٠ طنًّا

الطرادات المدرعة من الطبقة الاولى — عند الروس خمسة منها متوسطها ١٠٢٦٠ طنًّا وعند اليابان ثمانية متوسطها ٩٢١٠ اطنان

الطرادات من الطبقة الثانية — عند الروس تسعة متوسطها ٦٤٢٥ طنًّا وعند اليابان ثمانية متوسطها ٤٥٠٠ طنًّا

الطرادات من الطبقة الثالثة — عند الروس اربعة متوسطها ٣٥٠٠ طن وعند اليابان ثمانية متوسطها ٢٨٧٠ طنًّا

المدفعيات — عند الروس تسع متوسطها ٥٠٠ طن وعند اليابان اثنتان متوسطهما ٨٧٥ طنًّا

فسفن الروس الحربية اكثر عددًا وقوةً من سفن اليابان وهي الدولة الثالثة في القوة البحرية لا يفوقها الّا انكلترا وفرنسا وتأتي المانيا معها في درجة واحدة

وما تقدم عن اساطيل روسيا يشمل كل ما عندها في اوربا واسيا كما تقدم اما اساطيلها التي في اسيا وعليها المعوَّل في هذه الحرب فهي ٣١ من البوارج والطرادات وتفريغها كلها ٢٠٠٠٠٠ طن وهي ثماني بوارج واربعة طرادات مدرعة من الطبقة الاولى وستة من الطبقة الثانية وخمسة من الطبقة الثالثة وسبع مدفعيات . ويضاف اليها نحو عشرين نسافة

وكذلك الى اسطول اليابان · فالاسطول الياباني اقوى من الاسطول الروسي الذي في المشرق من حيث العدد والسعة وقد اضيف اليهِ منذ ايام طرّادان من الطبقة الاولى فزاد بهما قوةً

وقوة الاساطيل تقوم بقوة بوارجها وطراداتها التي من الطبقة الاولى بمناعة دروعها ومقدرتها على احتمال نيران العدو وعلى مهاجمتهِ · ويقول الخبيرون بالحروب البحرية ان اسطول اليابان اقوى من اسطول الروس من هذا القبيل فان فيهِ ست بوارج وثمانية طرادات والبوارج متماثلة تماماً وكذلك الطرادات قوتها واحدة وسرعتها واحدة فاذا سارت للقتال سارت معاً ووصلت معاً وهاجمت العدو على اسلوب واحد وفي وقت واحد وكلها من احدث طراز ومن اقوى ما صُنع من نوعها ومدافعها من احدث المدافع واقواها وفي بعضها انابيب ترمي بها التربيد من تحت الماء·

وهذه السفن الاربع عشرة من البوارج والطرادات تفريغها ١٥٨٠٠٠ طن ويقابلها ١٢ من البوارج والطرادات الروسية تفريغها ١٤٢٠٠٠ · والبوارج الروسية اصغر قليلاً من البوارج اليابانية وحديثة مثلها ولكنها ابطأ منها سيراً وهي مبنية على نسق البوارج الفرنسوية واما اليابانية فمبنية على نسق البوارج الانكليزية · واقوى البوارج الروسية الزاروتش التي اصيبت في المعركة الاولى

واقوى الطرادات الفارياق الذي غرّقهُ قبطانهُ في شمولبو فان سرعتهُ ٢٤ ميلاً بحريًا في الساعة فهو اسرع الطرادات الكبيرة

اما من حيث الرجال فقد قال احد الثقات ان اليابانيين ابدوا في حربهم مع الصين كل المهارة والشجاعة والاقدام التي يمكن ان تنتظر من بحارة اقوى الدول البحرية · وكذلك رجال الروس يقال انهم من احذق الناس واشجعهم وضباطهم من اعلم الناس بفنون الحرب البحرية

ثم ان اليابان تحارب في بحارها وعلى مقربة من الحياض التي تصلح فيها سفنها وتأخذ الفحم منها وهذه مزية كبيرة لها على الروس في هذه الحرب

ومما تلام روسيا عليهِ ان حكومة شيلي كانت تبني بارجتين من الطبقة الاولى في بلاد الانكليز وحكومة ارجنتين كانت تبني طرادين من الطبقة الاولى في ايطاليا فلما عقد الصلح بين هاتين الحكومتين واتفقتا على تنقيص عمارتيهما عرضت شيلي بارجتيها للبيع وكذلك عرضت ارجنتين طراديها للبيع وطلبت روسيا مشترى البارجتين والطرادين وجعلت تساوم في الثمن · ولو اشترت هذه السفن الاربع لفاقت قوتها قوة اليابان في الشرق الاقصى ولكن وكلاءها الذين فوضت اليهم مشتراها تهاملوا وتباطأوا فسبقتها انكلترا واليابان الاولى اشترت البارجتين والثانية اشترت الطرادين ووصل الطرادان الى بلاد

اليابان في ١٦ فبراير فزادت بهما قوة اليابان قوةً لانهما من اقوى الطرادات ولو لم يكونا من اسرعها

الفحم الحجري في اليابان

من اهم ما تعتمد عليهِ اليابان في حربها مع الصين كما تعتمد عليهِ في صناعتها وتجارتها الفحم الحجري فانهُ كثير في بلادها واغنى مناجمهِ في جزيرة يزو التي يخشى اليابانيون ان يستولي الروس عليها ٠ وعندهم شركة صناعية تجارية وهي من اغنى الشركات الصناعية التجارية في الدنيا رأس مالها مليونا جنيه وتوزع ربحاً في السنة من عشرين الى ثلاثين في المئة فاذا حسبنا الربح الذي توزعهُ ٢٥ في المئة وقوَّمناها حتى يكون الربح خمسة في المئة بلغت قيمة رأس مالها عشرة ملايين من الجنيهات ٠ ويقال ان في المناجم التي تمتلكها ٢٥٠ مليون طن من الفحم الحجري وهي تجري في استخراجهِ على احدث الاساليب العلمية المتَّبعة في اميركا فتخرق المناجم وتقتلع الفحم منها بقوة الهواء المنضغط لا بقوة البارود والديناميت وتنيرها بالكهربائية وتسيّر المركبات فيها بالهواء المنضغط ٠ وعند هذه الشركة سكك حديد لنقل فحمها من المناجم الى المرافىء طولها ٢١٢ ميلاً ٠ وبلاد ينهض اهلها في ثلاثين سنة ويؤلفون مثل هذه الشركة لجديرة بان تعد بين ارق البلدان

الوفيات وتقدُّم الطب

ثبت بالاحصاء في الولايات المتحدة الاميركية مدة السنوات العشر الاخيرة ان الوفيات بالذبحة قلت من ٢٧ في المئة الف الى ١٠ وبالتيفويد من ٤٦ الى ٣٣ وبامراض الدماغ من ٣٠ الى ١٨ وبالتهاب الشعب من ٧٤ الى ٤٨ وبكوليرا الاطفال من ٧٩ الى ٤٧ وبالحمى الملارية من ١٩ الى ٨ وبالشهقة من ١٥ الى ١٢ وبهزة الحائط من ٥٦ الى ٣٣ وبالقرمزية من ١٣ الى ١١٠٠ ولكن زادت الوفيات بالسرطان من ٤٧ الى ٦٠ وبالسكتة من ٤٩ الى ٦٦ وبالبول السكري من ٥ الى ٩ وبامراض الكليتين من ٥٩ الى ٨٣ فالنقصان اكثر كثيرًا من الزيادة ولعل سبب الزيادة ان بعض الذين ينجون من الامراض الاخرى ويعمّرون يتعرضون للامراض التي زادت وفياتها. ولا شبهة في ان قلة الوفيات نتجت من تقدم صناعة الطب وحفظ الصحة

الراديوتلوريوم

استخرج الاستاذ مركفلد النمسوي مادة جديدة سماها راديوتلوريوم تخرج منها اشعة كهربائية شديدة الفعل جدًّا ٠ وكل ما استخرجهُ منها اربعة مليغرامات استخرجها من طنين من البتشبلند وهو يظن انها عنصر بسيط . وتمتاز هذه المادة على الراديوم في ان اشعتها كلها من نوع الاشعة a من اشعة

الراديوم وفي ان قوتها تبقى على حالها ولا تضعف مثل اشعة البولونيوم

اشعة بلندلو

ذكرنا غير مرة ان المسيو بلندلو اكتشف اشعة جديدة سماها اشعة N نسبة الى ننسي المكان الذي اكتشفها فيهِ ونسب اليها افعالاً غريبة جدًّا وقد تلا العالم لومر في جمعية برلين الطبيعية مقالة مسهبة بيَّن فيها ان كل ما رآهُ بلندلو ونسبهُ الى هذه الاشعة غير حقيقي اي لا حقيقة لهُ في الخارج بل هو وهمي يخيَّل لهُ كذلك . وكتب العالم برك الى جريدة ناتشر في ٨ فبراير يقول انهُ جرَّب التجارب التي ذكرها المسيو بلندلو فلم يرَ شيئًا مما رآهُ بلندلو وهو مع ذلك يظن ان الاشعة حقيقية وان المسيو بلندلو رآها حقيقة . وفي ذلك اليوم عينهِ قرَّر المسيو بيشات في اكادمية العلوم بباريس ان اشعة N تجري على بعض الاسلاك كما يجري النور في الانابيب العقفاء بانعكاسهِ من نقطة الى نقطة ولكنها لا تجري على اسلاك كل المعادن بل على بعضها فتجري مثلاً على اسلاك النحاس ولكنها لا تجري على اسلاك الرصاص

قرد ثمين

كان عند احد اصحاب المشاهد قرد مشهور بالذكاء وقد امَّن حياتهُ على خمسة وعشرين الف جنيه . توفي في مدينة برلين في الخامس عشر من شهر فبراير فطيَّر البرق منعاهُ الى باريس ولندن وغيرهما من مدن اوربا واميركا . وكان لهُ طبيب خاصٌّ بهِ يرافقهُ في الحل والترحال لان صاحبهُ كان يربح منهُ من ٢٠٠ الى ٣٠٠ جنيه كل اسبوع . ويقال ان الاطباء حنطوا جثتهُ لترسل الى باريس حيث يحتفل بها مدة اسبوع قبل دفنها . ولا بدَّ من ان يكون غرض صاحبهِ من ذلك زيادة الربح وزيادة الشهرة

قاموس علمي هندي

يهتم الهنود الآن بتأليف قاموس في لغتهم للاصطلاحات العلمية من رياضية وطبيعية وفلكية وما اشبه وقد اختصروا بعض الاسماء العلمية فسموا الكربون "كرب" والفصفور "صفور"

الحياة قبل الولادة

كتب المستر سنوت صاحب مجلة الآراء الحرَّة ان الناس العائشين الآن في الدنيا كانوا عائشين فيها منذ ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ سنة وان نفس كل طفل يولد الآن كانت في انسان آخر عاش ومات منذ نحو الفي سنة وان بعض الناس يتذكرون حوادث حياتهم الاولى ومن هذا القبيل الدكتورة انا كنجسفورد فانها تقول ان نفسها نفس افلاطون . ومسز بزنت فانها تقول ان نفسها نفس هباشيا العالمة الاسكندرية . ولا ندري من اين يأتي

بالنفوس الكافية للناس العائشين في الدنيا الآن فانهم اضعاف ما كانوا منذ الفي سنة الأ اذا ادعي ان النفوس تتكاثر بالولادة او بالتجزء كالحيوانات والنباتات

اصلاح الآلات البخارية

كانت نتيجة التحسين المستمر في الآلات البخارية انهُ يستخرج الان من الفحم الحجري ثلاثة اضعاف القوة التي كانت تستخرج منهُ منذ ستين سنة

تطهير اللبن بالكهربائية

صنع الالمانيون آلة فيها اناءان يوضع اللبن في احدهما ويفرَّغ منهُ الى الآخر وتمرُّ بهِ شرارات كهربائية وهو يفرَّغ فتتولد فيهِ اوزونًا يقتل كل ما يكون فيهِ من ميكروبات الامراض وينقيهِ منها

استئصال الجرذان

اكتشف الدكتور دنيز من مستشفى باستور في باريس ميكروب مرض يميت الجرذان دون سواها من الحيوانات. يربَّى هذا الميكروب في مرق اللحم ويبل الخبز بهِ ويطرح للجرذان فتأكلهُ وتمرض وتموت

السمك الاعمى

أُتي الى معرض التاريخ الطبيعي في كنسنتون بسمك اعمى من كهوف في جزيرة كوبا. ولا شبهة في ان الكهوف التي وجدت فيها هذه الاسماك كانت متصلة بالبحر ثم انقطع الاتصال بينها وبينهُ ولما كانت محجوبة عن النور ضعفت عيونها رويدًا رويدًا حتى صارت اثرية ويهتم العلماء الآن في تقدير الزمن الذي انفصلت فيهِ تلك الكهوف عن البحر ليعلم كم اقتضى لاسماكها حتى فقدت عيونها

سرعة التصوير للجرائد

لما جرى سباق اليخوت في اميركا في الصيف الماضي ارسلت جريدة نيوارك الاميركية مكاتبًا من مكاتبيها الى مكان السباق فصور اليخوت التي اشتركت في السباق بآلة التصوير الشمسي واظهرها وهو على ظهر السفينة في نور النهار ولفها وربطها تحت جناح حمامة من حمام الزاجل واطلقها فطارت الى مطبعة الجريدة في نيوارك على بضعة عشر ميلاً ونزعت الصورة من تحت جناحها وحفرت وطبعت في ذلك اليوم عينهِ

كوريا

يظهر موقع كوريا الجغرافي وشكلها من النظر الى الشكل الذي نشرناهُ في المقالة الاولى. ومساحة البلاد ٨٢ الف ميل مربع وعدد سكانها غير معروف تمامًا ولكنهُ يقدر بين عشرة ملايين وستة عشر مليونًا وعاصمتها سيول عدد سكانها مئتا الف نفس. وكانت كوريا تابعة للصين الى سنة ١٨٩٤ وكانت الصين تتولى كل مسائلها الخارجية وسنة

١٨٩٤ قامت اليابان وطلبت تغيير تلك الحالة ومشاركة الصين في ادارة امور كوريا لانهُ كان لها فيها مصالح مالية لا يسعها الاغضاء عنها فرفضت الصين ذلك ونشبت الحرب بينها وبين اليابان فاجلت عن استقلال كوريا عن الصين وتحالفها مع اليابان. واليابان تتناول من كوريا كثيرًا من مواد الطعام ومن المواد الاصلية لصناعتها فانها جبلية زراعية ومعدنية فتكثر فيها حاصلات الزراعة ومعادن الارض

وملك كوريا كهل عمرهُ نحو ٥٤ سنة وهو يعرف تاريخ بلادهِ اتم معرفة ولهُ اطلاع على كل الكتب العلمية والادبية التي تُرجمت الى لغتها ولكنهُ يجهل اللغات الاوربية وحكومة بلادهِ استبدادية على نوعٍ ما وتكاد ازمتها تكون في يد وزرائهِ ونسائهِ او كبير الوزراء وكبيرة النساء. وكبيرة النساء هذه ليست من بيت الملك بل كانت رفيقة رجل صيني ثم رفيقة وزير من وزراء كوريا واخيرًا دخلت قصر الملك جارية عند زوجتهِ الملكة وارتقت بذكائها ومهارتها وهي تحسن اللغة الكورية واللغة الصينية ايضًا قراءةً وكتابةً فقربتها الملكة اليها وجعلتها من اخص جواريها ونظر اليها الملك كما نظرت اليها الملكة فغارت الملكة منها وابعدتها عنها . ثم لما قُتلت الملكة سنة ١٨٩٥ عادت هذه المرأة الى القصر وصارت من اقرب نساء الملك اليهِ

وسبعة اعشار السكان فلاحون والصناع فلاحون ايضًا فاذا لم يستطع الصانع ان يحرث ارضهُ ويزرعها بيدهِ حرثتها امرأتهُ واولادهُ . والباقون تجار او باعة او معدّنون او بحّارة او خدم في مصالح الحكومة

ويزرع في كوريا والارز والتبغ والقمح والشعير والدخن والقطاني على انواعها ويصدر منها كثير من الارز والفول وتصاد الحيتان من بحورها . وفيها مناجم غنية من الذهب أُعطي امتيازها لشركات اميركية وروسية والمانية ويابانية وانكليزية وفرنسوية وفيها ايضًا مناجم من النحاس والحديد والفحم الحجري وهي كثيرة وغنية

ولها تجارة واسعة مع انكلترا وروسيا والصين واليابان وقد كانت ستة اعشار وارداتها من انكلترا وثلاثة اعشارها من الصين واليابان اما الآن فصار جانب كبير من وارداتها من اليابان . والذهب المستخرج منها يزيد سنة بعد سنة فقد كانت قيمتهُ مئتي الف جنيه سنة ١٨٩٧ فصارت ٢٣٧ الف جنيه سنة ١٨٩٨ و٢٩٣ الف جنيه سنة ١٨٩٩ و٣٦٣ الف جنيه سنة ١٩٠٠ و٤٩٩ الف جنيه سنة ١٩٠١ و٥١٧ الف جنيه سنة ١٩٠٢ وبلاد غنية الى هذا الحد بخيراتها الطبيعية يكون غناها نعمة لها او نقمة عليها حسب همة اهاليها واقتدارهم على الانتفاع بخيرات بلادهم والاستئثار بها او خمولهم

واستسلامهم للطامعين فيهم

وفيها سكة حديدية من سيول العاصمة الى شمولبو طولها ثلاثون ميلاً وهي لشركة يابانية واخذت شركة يابانية امتيازًا بسكة اخرى طولها ٣٠٠ ميل من فوزان الى سيول مدت جانبًا منها . وفي انهار كوريا بواخر صغيرة لليابانيين وفي عاصمتها الترام الكهربائي والتلفون وفي البلاد كلها اكثر من الفي ميل من التلغراف . ويظهر من ذلك كلهِ انهُ اذا انضمت هذه البلاد الى اليابان واتحدت معها اتحاد سكتلندا بانكلترا صارت مملكة اليابان من اغنى الممالك واقواها

احتراق مكتبة تورين

اضطرمت النار من سلك كهربائي في مكتبة تورين في السادس والعشرين من شهر يناير الماضي فاحرقت جانبًا كبيرًا منها وفي جملة ما احترق ٣٧٠٠ كتاب من كتب الخط باللغات الشرقية وثلاثة آلاف مجلد باليونانية واللاتينية والمجموع البندقي الذي كان في مكتبة الكردينال دلاروفري . وكان في هذه المكتبة ٣٦٠ الف مجلد من الكتب المطبوعة فاحترق مئة الف كتاب منها . ومما حرق كتب بيت ملوك سافوى وكتب الخط العربية والفارسية والقبطية والعبرانية واليونانية واللاتينية . ويُعد احتراق هذه المكتبة من اكبر الخسائر التي خسرها العلم وخسرتها ايطاليا

النار في بلتيمور

شبّت النار في مدينة بلتيمور باميركا في السابع من فبراير واستمرّت الى اليوم التالي فدمرت من المباني ما يساوي مئة مليون ريال ولكن لم يمت بها احد من السكان . وبلتيمور من امهات مدن اميركا عدد سكانها نحو ستمئة الف نفس

صادرات القطن الاميركي

بلغت قيمة القطن الذي صدر من اميركا في العام الماضي ٦٣ مليون جنيه

الراديوم والماء

جاء في جريدة الطب الهيموباثي انهُ اذا وضعت انبوبة فيها قليل من الراديوم في اناء فيهِ ماء اكتسب الماء خاصة الاشعاع والمظنون ان فعلهُ يصير مثل فعل الراديوم

آلة الطيران

صنع الخواجات اورفل وريط آلة ميكانيكية للطيران واجرياها على قضيب من قضبان سكة الحديد المفردة مسافة اربعين قدمًا فصعدت في الهواء وسارت ضد ريح سرعتها ٢٥ ميلاً في الساعة وكان معدل سرعتها عشرة اميال في الساعة فكأنها سارت بسرعة ٣٥ ميلاً في الساعة والمسافة التي سارتها ٨٥٢ قدمًا فقط ثم نزلت الى الارض من غير ان ينالها مكروه

فهرس الجزء الثالث من المجلد التاسع والعشرين

الفصل السادس

قلعة شلسلبرج

في احدى الجزر المتجمعة على مصب نهر نيفا ابنية عديدة محشودة لا يؤذن لسوى زورق واحد في الدنو منها. واحد هذه الابنية العظيمة قلعة شلسلبرج الهائلة او احد السجون الذي يلق فيه المأخوذون بالتهم السياسية. ومنها بناء آخر يدعى قلعة القديسين بطرس وبولس وقد وصف كاتب اميركي قلعة شلسلبرج بقوله :—

"ان حراسها منتشرون على شاطئ الجزيرة في نقط متقاربة بحيث يستطيعون أن يكلموا بعضهم بعضاً. وهم مأمورون أن يطلقوا النار على كل من حاول الاقتراب من القلعة دون ان يسبق ذلك انذار او يتقدمهُ سؤال . وعندما تطأ قدم غريب حافة الشاطئ يسددون البنادق صوبهُ و يشوون بالرصاص قلبهُ فتسقط جثتهُ الى النهر وتطفو عائمة على البحر و يذهب دمهُ هدراً. وانما يجوز لزورق واحد ان يأتي الجزيرة وهو مصبوغ اسود وتحت امرة البوليس خاصة ولم يرجع قط واحد من الذين قضى عليهم سوء الحظ بالسجن في تلك القلعة والشائع عند الاكثرين ان كل من يساق اليها لا يعود منها سالماً الا للذهاب الى سيبيريا"

فالى هذه القلعة جيء بالامير لاديلاز وفي مساء اليوم الذي فيهِ كلامنا جلست الاميرة كاريتا في ذلك الزورق (زورق البوليس) قاصدة القلعة ومعها ضابطان

فلما بلغت مدخلها لقيها قسيس السجن وكان قد جاء الى هذه القلعة من عشرين سنة يدلي للنيهيلست المسجونين ويقوم امامهم بفروض الدين . فاستقبل الاميرة منقبضاً وحياها وقال :—

— تشجعي يا ابنتي وتجلدي . ان اخاك الامير مريض جداً . فانهُ عند وصولهِ اودعوهُ اوطأ مكان في القلعة حيث تاشتهُ تغالب البرد والرطوبة ونشبت في جسمهِ الغض الناعم اظفار العفونة والفساد . اذاً استعدي لملاقاة تغير عظيم فيهِ

— ويلاه ؟ هل مات ؟

— كلا يا ولدي

— اذاً هو في حالة النزع ؟

— نحن في يدي الله ؟

فاخذت بكمهِ وقالت :— قل لي بعيشك قل لي يا أبت المحترم اما سقوه سماً ؟

فرسم الكاهن علامة الصليب على وجهِ وقال : نحن يا ابنتي في يدي الله . تعالي معي

وانظريهِ . فقد نقلوهُ الى الطبقة العليا

وكان الامير لاديسلاز قد نُقل الى غرفة عالية تشرف على المدينة وانوارها تتألق على وجهِ الماء تألق الكواكب في السماء . فبرح الخفاء لدى الاميرة حينما رمقت جسمهُ الناحل المخل وابصرت ظلّ الموت مخيماً على عينيهِ حتى انهُ بالجهد استطاع ان يعرفها . ثم تكلف الجلوس بمشقة شديدة وقال لها بصوتٍ خافتٍ : —

— كاريتا اين نادين ؟

— لاديسلاز — اخي — واحرقة كبداه ؟ ماذا أُخبرك بل بمَ أُجيبك على هذا السوال ؟

ثم جثت على ركبتيها بجانب اخيها . اما هو فرفع نفسهُ بجهد عنيف مرّة ثانية واتكأ على جنبهِ وقال : —

— اين هي ؟ لماذا لا تجيبيني ؟ أجيبي يا اختاه . هل قتلها ايضاً ؟ نعم ! نعم ! ماتت نادين ! أليس الامر كذلك ؟ فلم يجاوب بسوى تنهدات تلك المسكينة المنكسرة القلب المضغوطة باثقال الحزن والكرب . ثم أسرّ اليها بنفسٍ متقطع وفكرٍ متضعضع : —

— كاريتا . تنتقمين لنا انت والكسس ؟ اصغي اليّ . اني أُخذتُ بكيدة جون فاين لانهُ سرق الكتاب من عندك ولا اعلم — او لا يهمني ان اعلم — كيف تمكن من ذلك . والكتاب الآن عند كيراتيف . فاحلفي لي انك تنتقمين من ذلك الغدّار وتأخذين بثاري وثأر نادين :

— احلف لك يا شقيق الحياة اني سانقطع للأخذ بثأركما حتى تدركني الوفاة

— شكراً لله ! اقتربي اليّ اكثر . لا أقدر أن اراكِ . لكنك انت هنا ايها الاب المحترم . اليس —

ثم انتهت عبارتهُ بتنهدٍ عميقٍ اختطفتهُ اختهُ من فيهِ بقبلةٍ يكفي لوصفها قولنا انها قبلة شقيقة لشقيق . وعندها قضي الامر وتوفي الامير لاديسلاز

وفي الساعة الثانية عشرة (نصف الليل) بلغت أُختهُ الشاطئ راجعة من القلعة

الفصل السابع

انتقام امرأة

وفي اليوم التالي جلس رئيس البوليس ديمتري كيراتيف في ديوانهِ يراجع الوقائع الحادثة منذ ايام . ولم يسرّهُ سير تلك الحوادث لانّ قيامهُ بوظيفتهِ كرئيس الفرقة الثالثة المخيفة كان

يفرض عليهِ اقتحام الاخطار وركوب الاهوال ولم يخفَ عليهِ انهُ هو نفسهُ كان آلةً للانتقام السري الذي تحتمّ عليهِ اجراؤهُ والاّ اُتهم بمشايعة زعماء النيهيلست الحاضرين في كل مكان (في روسيا) . وفيما هو جالسٌ متكرهاً متمئزًا ولاسيما من هول حادثة الامير لاديسلاز التي جرت على طريقةٍ وحشية لم يسبق لها نظير اذا باحد القائمين بين يديهِ قد عرض عليهِ اسم الاميرة كاريتا طالبة الاجتماع بهِ

واذ لم يجد سبباً يبعثهُ على رفض طلبها بل رأى بواعث كثيرة تدعوهُ الى اجابة ملتمسها أمر بادخالها . ولم تلبث ان دخلت وجلست على كرسيٍ مقابلهُ واخذا ينظران احدهما الى الآخر ساكتين فافتتح الكلام بقولهِ : —

— ماذا عسى ان استطيع فعلهُ لسموّ الاميرة ؟

— انك قادرٌ على فعل اول وآخر معروفٍ يتوقعهُ منك كل عضوٍ من اعضاء عائلتنا جزاءً لكلٍ او لواحدةٍ من الايادي التي لنا عليك

كل ما اقدر عليهِ افعلهُ للاميرة غالتزن بمزيد الرضى والسرور

— حسنٌ وهاك ما اريد . فليس بخافٍ عليك ان اخي مات الآن وقد قُبض عليهِ بسبب امراتهِ التي انحصر العلم بوجودها فيما بيني وبينك . وقد ماتت هي وطفلها ايضاً على ذراعيَّ بعد ما اُخذ عنها لاديسلاز باربع وعشرين ساعة فما اطلبهُ منك هو الرقيم الذي قُبض عليهِ بسببهِ

— ايتها الاميرة . اني انكر وجود رقيمٍ سبَّب القبض على الامير لاديسلاز ولكن هب انهُ موجود فلا يسعني ان اجيب طلبكِ لان اوراقاً كهذه — اذا وجدت — يترتب عليَّ حفظها بضبط لاني مسؤُولٌ عنها واذا فقدت مني جوزيتُ عنها بجواز ذئب [1] ومعلوم عندك ان الشغل الشاق في معادن سيبيريا مدة حياتي ليس بالامر السهل عليَّ

تمهل عليَّ دقيقة فابرهن صحة كلامي . ان الامير لاديسلاز قُبض عليهِ بسبب رقيمٍ جاءهُ من دورسكي زعم النيهيلست وهذا الرقيم سُرق مني واُعطي لك من احد وكلائك الغرباء جون فاين . فبكل حقوق المعروف اطلب منك هذا الرقيم الآن

— ايتها الاميرة . لستُ في مقام يدعوني الى الحكم في صحة كلامكِ ولست أرى قوةً تخوّلك حق طلب هذا الرقيم مني او الاطلاع على علاقة جون فاين بهذه الادارة . فاذا لم يكن عندكِ شيء آخر وجدتُ نفسي مضطرًا ان استأذنك في الانصراف من هذا الاجتماع الذي يؤلمني — صدقيني — قدر ما يؤلمك

---

(١) هذا الجواز يعطاهُ من يحكم عليهِ بالنفي الى سيبيريا

فظلت الاميرة بضع دقائق ساكتة لا تفوه بكلمة . ثم فتح عليها بما رأتهُ اقوى وسيلة تمكنها من نيل مآربها فالتفتت الى كيراتيف وكان قد تحفز للوقوف متوقعاً ختام هذه الجلسة وقالت : —

— اي ديمتري كيراتيف . لستُ اقول شيئاً من جهة العلاقة التي بين عائلتينا ولكني ارفع دعواي اليك كرئيس بوليس روسيا الذي اصبح مستودع اسرار عائلات كثيرة وقلما تجري حادثة غريبة خطيرة لا يحيط بها علماً . وساقصُّ عليك حادثة محزنة لم تسمع قط بمثلها فارعني سمعك : —

وبعد ساعة — عند فراغها من سرد قصتها — نهض رئيس البوليس من مجلسهِ وذهب الى خزانةٍ من حديد وفتحها واخرج منها الرقيم واعطاهُ للاميرة وقال : —

— انَّ ما قصصتهِ عليَّ الآن اقنعني كل الاقناع بأن لكِ حقًّا صريحاً في طلب هذا الرقيم فانهُ كتابٌ اختلسهُ منك جون فاين الانكليزي . ولتطب نفس الاميرة لان هذا الرجل سيبرح هذه البلاد في الحال ولن يعود اليها الى الابد . وبعد ثلثة ايام يجتاز تخوم روسيا

فودعتهُ وخرجت تقول : — اخيرًا ! اخيرًا ! حصلت على المراد . فيالثارات لاديسلاز ونادين ! شكرًا لك يا الهي شكرًا لك

وبعد خمسة ايام شاع في بطرسبرج ان جون فاين الذي كان فريدة عقد السراة الاماثل وزينة الاعياد وبهجة المحافل طلع عليهِ اللصوص عند تخم بولونيا فكسروا مركبتهُ وقتلوهُ . ولما بلغ هذا الخبر الاميرة كاريتا جثت على ركبتيها وصرخت الى الله مرددة قولهُ : — لي النقمة ! لي النقمة ! انا أُجازي يقول الرب !

الفصل الثامن

حفلة تنكر

كانت حفلة التنكر العظيمة في مرسح فينا ليلة ١٥ اغسطس سنة ١٨٧٦ في إبان انعقادها وقد بلغت اعظم ما يُعهد لنظيرها من حشد القوم وازدحام الاقدام حتى كنت ترى ذلك المكان كلهُ داخلاً وخارجاً في اسافلهِ واعاليهِ غاصاً بالقائمين بملابس التنكر رجالاً ونساء . فهنا في ردهاتهِ وهناك في اروقتهِ وهنالك في شرفاتهِ قومٌ يروحون ويجيئون قائمين قاعدين قامصين راقصين غير تاركين نوعاً من الازياء الغريبة المضحكة في الملابس الأ وقد مثلوها على اختلاف في المقاصد وتباين في المنازع فالبعض اتوا ذلك متمتعين بالمسرات الناتجة عنهُ والبعض اتخذوهُ وسيلةً للحصول على ما يكسبهم متعة السرور والبعض الآخر تكلفوا التمتع اي تظاهروا بانهم

متمتعون بتلك الالعاب المجونية والتسالي الهزلية

وقد كان ذلك المشهد على قول الرواة بهجاً سارًّا الى الغاية . على انهُ ما لم يكن الانسان مصحوباً فيهِ بعددٍ من اخوانِ انسهِ وهنائهِ واخدانِ سرورهِ وصفائهِ او لهُ على الاقل علاقة خاصة تبعثهُ على الاهتمام بمقاسمة ما يعرض فيهِ من صور الالعاب واشكال التمثيل كان يبدو لهُ ذلك المعرض من اكبر الموحشات واعظم بواعث الانزعاج والانقباض ودون كل وسائل اللهو بهجةً ورونقاً

ولم يكن بين جميع الحضور رجلٌ نظر الى ذلك المرسح العظيم بعين المقت والاستكراه نظير او بين غود ارد قائد الفرقة العشرين من الفرسان سابقاً ورسول الملكة حالياً

وكان هذا القائد ذا هيئةٍ فاتنة ساحرة وملاحة لقلوب ربَّات الجمال آسرة. طويل القامة يقصر لديهِ اطول الرجال وعريض المنكبين كأحد الجبابرة الابطال . يكسو رأسهُ شعرٌ اثيث جميل و ينبثق من محياهُ الباهي نورُ ذكاء لا يدع الى الريب في توقد ذهنهِ من سبيل . ولهذا وجد نعمةً في عيون اكثر المتنكرات واصبح فتنة اللواحظ الساحرات الفاتنات ومبعث سباق القلوب اليهِ ومدعاة تحويم النفوس عليهِ

على انهُ كان خالي الذهن من هذا الاهتمام ذاهلاً عن هذا السباق والزحام مشيحاً بنظرهِ عن هذا الامر الواضح الجلي ولسان حالهِ يقول ابن الشجيُّ من الخلي لاناتني في هذا ولا جملي . وهو قائم في مجلسهِ متثائباً متمطياً يراقب حوادث تلك الحفلة العارضة بعين التثور والتراخي ويعجب كل العجب من الصدفة التي اوجدتهُ هناك في مثل هذا الوقت الذي كان يفضل ان يكون فيهِ مضطجعاً على فراشهِ . لانهُ كان قد قدم فينا في المساء الماضي رسولاً من قبل ملكة انكلترا وفي الصباح سلَّم الرسائل لنظارة النمسا الخارجية وعزم على السفر بعد ظهر اليوم المقبل

وكان الجوُّ السياسي في مدة الخمس سنين الماضية قاتماً مكفهرًّا لما تلبَّد فيهِ من سحب المسألة الشرقية المطبقة التي أخذت تتجمع منذ سنة ١٨٧١ في سماء الشرق الادنى حتى تراءى انها موشكة ان تكتنف شبه جزيرة البلقان وتمطرها وابلَ حربٍ عوان تدمرُ مساكنها وتخليها من السكان . وقد افضت الى اصدار "لائحة اندراسي" الشهيرة في شهر دسمبر عام ١٨٧٥ فقلقت لها اوربا باسرها واضطربت نفوس مشاهير ساستها ووجفت قلوب ملوكها وعظمائها وانقضى عام ١٨٧٦ في المفاوضات بين لندن وبرلين وفينا والاستانة وحينئذٍ اصبحت حاجة الدول الى رسل اكفاء وسفراء امناء شديدة جداً . واذ كان القائد او بين غود ارد اهلاً لهذه الخدمة دعي اليها من قبل جلالة ملكة انكلترا وعيّن رسولها الخاص الى تلك العواصم

لانهُ كان قد قضى السنين الطوال في التضلع من لغات اوربا والاحاطة بشوارد سياستها ٠ وعلى اثر الحوادث التي جرت في البلغار زاد العالم السياسي اضطراباً واوجس خوف حرب هائلة عامة فاسرعت الدول الى تلافي الخطب بعقد مؤتمر في الاستانة في شهر يناير سنة ١٨٧٧ ٠ وهكذا وجدنا القائد اوبين غودارد في فينا في شهر اغسطس سنة ١٨٧٦ اي قبل عقد المؤتمر بنحو خمسة اشهر

واذ كان رسول الملكة وحامل اوامر مهمة لم يستصوب اظهار نفسهِ لاصحابهِ ومعارفهِ في عاصمة النمسا فلزم جهدهُ جانب العزلة والانفراد وبعد ما سلَّم الرسائل طلب لنفسهِ تنزهاً معتزلاً في احدى المركبات ٠ ثم رجع متثاقلاً بين يدي السآمة والضجر لا يدري كيف يشغل وقت فراغهِ ويقضي ساعات الليل المقبل والنهار التالي الى الوقت المعين لرجوعهِ الى النظارة الخارجية واخذهِ منها اجوبة رسائلهِ

لكنهُ لم يبلغ الفندق الذي كان نازلاً فيهِ حتى أُجيب سؤلهُ بكتابٍ دفعهُ اليهِ خادمٌ عند دخولهِ فتناولهُ وأخذ يقلبهُ متحيرًا ماذا عسى ان يكون وممن اتاهُ لانهُ لم يعلم احدًا بقدومهِ ولم يستطع ان يتعرَّف الكاتب من خط العنوان اذ كان غير مألوفٍ لديهِ ولا معروف عندهُ وهذا نصهُ : — الى الشريف القائد اوبين غودارد

هذا فضلاً عن انهُ لم يكن فيهِ من دلالة تشير الى كتابتهِ بيد رجل او امرأة ٠ واخيرًا رأى ان حلَّ هذا اللغز انما يكون داخل الغلاف ففتحهُ واذا داخلهُ خاوٍ خالٍ لا يتضمن شيئًا سوى " ورقة دعوة " الى حفلة " التنكر " المعقودة في مساء ذلك اليوم

فقال في نفسهِ " مهما يكن في الامر فاني ذاهب وليس من محذور في هذا لاني اعرف كيف احفظ نفسي ولا ريب في ان من دعاني او دعتني (?) الى هذه الحفلة سوف يستعلن او تستعلن لي هناك "

وبناء عليهِ قام بعد العشاء وخرج فاذا بالشوارع مزحومة بالذاهبين الى تلك الحفلة المعقودة والندوة المشهودة والمركبات تخبُّ الى ذلك المرسح مرصوصة بالركَّاب رصًا وغاصة بها الازقة غصًا فركب احداها وجاء الى باب " الملعب العظيم " ودخل وجلس الى ان رأيناهُ يتثاءب متمطيًا كما مرَّ معنا

وكانت الحفلة اذ ذاك في معظم القيام والالعاب على غاية عرفها وقد مالت نحو الختام ٠ واخذ البعض ينصرفون والبعض يستعدون للانصراف ومنهم صاحبنا اوبين غودادر وبينما كان يتمطَّى مودعًا الحفلة بالنظرة الاخيرة شأن العازم على الذهاب اذا بامرأة جازت مقابلهُ

فنظر اليها وشاهد منها قدًّا رشيقاً كالغصن يتأوّد قائماً في مطرف حريري اسود يوشك ان يسيل رقة و" يكاد من اللطافة يعقد " وقد أسدلت على نصف محياها قناعاً اشدّ سواداً من خافية الغراب ترشق من ورائهِ سهام الحاظٍ تصمي القلوب وسحر اجفان يخلب الالباب

وفيما غودارد يتمتع بمشاهدة هذه الذات المجمّلة بابدع المحاسن استمال نظرهُ عروض رجلٍ يحجلُ وراءها متأثراً لها وهو متنكرٌ بزيّ ماجنٍ ولابسٌ " وجهاً لهُ من كل قبحٍ برقع "

وبعدما توارت المرأة بين الجمع أبصر غودارد ذلك الماجن يمازحها وهي تشيح عنهُ بعين السآمة والملل واذ راق لعيني اوبين هذا المنظر وآنس شيئاً من التسلية في هذا المظهر استأنف الجلوس في مكانهِ متوقعاً عود تلك الفتانة المتنكرة وما كاد الجلوس يستقرُّ بهِ حتى ذعرهُ صراخ وراءهُ فالتفت واذا بها مسرعة في الهرب من وجه ذلك الماجن الذي عدا يجري وراءها حتى ادركها حيث كان غودارد جالساً وفي اجتيازه بها القى الى يدها ورقة لم تلبث هي ايضاً ان القتها الى الارض وفي اقل من طرفة عين غابا كلاهما عن الابصار فانحنى غودارد والتقط تلك الورقة وفتحها فوجدها غفلاً من الكتابة فقال في نفسهِ " مهما يكن من هذا فلست بتاركٍ ذلك الماجن الوحشي يمتهن قدر هذه الغادة الحسناء " ثم نهض وسار في جهة مسيرها يخترق الصفوف المزدحمة حتى دنا من المتنكرة فأبصر الماجن واقفاً قدامها يروم محادثتها اما هي فنفرت منهُ ودارت تحاول الفرار واذا بغودارد الذي كان وراءها اصبح قدامها فاقبلت عليهِ وكادت تلقي نفسها بين يديهِ وقد خاطبتهُ بانكليزية صريحة لا يخالطها اقلُّ لهجة غريبة : —

— ارجو عفوك

— بل انا ارجو عفوك . هل من خدمة اتشرّف بالقيام بها لديكِ ؟ اراكِ مضطربة ومنزعجة

— سر بي الى مركبتي واغنم شكري وثنائي

— لبيكِ وسعديكِ

ثم مد اليها ذراعهُ وقد دار بنظرهِ مفتشاً عن ذلك الماجن الذي توارى عن النظر واذ لم يجدهُ سار بها الى الباب الخارجي وهناك خاطبتهُ :

— ارجوك ان لا تؤاخذني ولا تخطئ ادراك ما اردتهُ بالتماس مساعدتك وقد لذتُ بك كانسانٍ انكليزي واثقة بانك لا تنظر اليَّ كواحدة — من — اولئك —

فاعترض تتمة كلامها بقولهِ : —

— بلا ريب

ولما اتيا الى حيث كانت مركبتها تقدّم غودارد وفتح بابها فوثبت اليها في الحال . اما فهو

فاذ رأى نهاية مسعاه الى هذا الحد من الاخفاق قال لها : —

— هل تريدين ان اسير بحمايتك الى حيث تأمنين الخطر ؟

— كلاً لاني في امن مذ الآن

— هل ادلّ السائق ؟

— لا حاجة لهُ الى دليل

افلا تسمحين لي على الاقل ان ازورك غداً واطمئن عن سلامتك ؟ وبعد ما اطرقت هنيهةً أجابت : —

— هل تعدني انك اذا سمحت لك بهذا لا تسألني شيئاً عن امري وتنسى بعد ذلك اجتماعنا للابد ؟

فقال بملء اليأس

— نعم

— بشرفك ؟

— بشرفي

— حسنٌ

ثم اخرجت رقعة وكتبت عليها بقلم رصاص كلمة او كلمتين ودفعتها اليهِ قائلةً : —

— شرفني بتناول الغداء معي في المكان الذي يدلُّ عليهِ هذا العنوان

— متى ؟

— غداً بل اليوم لانهُ كاد يطلع النهار

— سأراعي الميعاد بكل ضبط

— حسن . استودعك الله الى الملتقى مع الف شكر وثناء عليك ايها القائد او بين غودارد فعجب من معرفتها اسمهُ ونكص الى الوراء ليغتنم النظرة الاخيرة من المركبة التي ما ابطأت ان أُديرت وأُعمل السوط في ظهر جوادها فعدا كالبرق الخاطف واوغل في الجري تحت اطباق الظلام · فذهب غودارد بالرقعة الى اقرب مصباح منهُ وعرضها على نورهِ فرأى مكتوباً عليها باحرف كبيرة " البارونة التدورف "

ويليها عنوان مكتوب بقلم رصاص

فاشعل سيكارةً ودار نحو مدخل الملعب على طريق الانصراف الى مبيتهِ مردداً في ذهنهِ صور هذه المعارض · وهو بين مصدّقٍ لها ومكذب

الفصل التاسع

البارونة التدروف

معما يكن من امر الساعة الاخيرة التي قضاها القائد او بين غودارد في الملعب فانهُ قضى بعدها ساعةً أُخرى في مخدعهِ تائه الافكار مشرّد الحواس يضرب في حوادث ليلتهِ — بل حادثتها — اخماساً لاسداس وخرج قبل ظهر ذلك اليوم بساعتين قاصداً الملتقى في الاجل المضروب

وقد يصعب على الكاتب وصف حالة القائد او بين في اثناء مسيرهِ . فانهُ اجهد قواهُ عبثاً في الاطلاع على شيء من امر هذه البارونة ليعرف لها اصلاً ونسباً وكاد يخالط في عقلهِ من شدة الحيرة والدهشة اذ لم يجد في صوتها او حركاتها شيئاً باعثاً على الحذر والارتياب بل كانت كلها ناطقة بكرامة اصلها وحسن تربيتها ولم يستطع ان يأخذها بكلمة نطقت بها شفتاها الجميلتان جزافاً ولا بنظرةٍ سمحت بها عيناها الساحرتان تهكماً واستخفافاً . ومع ذلك تعرّفت بهِ على طريقةٍ مبهمة جداً وعينت لهُ مكاناً للاجتماع بها على اسلوبٍ في غاية الابهام . ومعلوم ان ركوب مثل هذه الاخطار كان محظوراً على من جاء رسولاً من قبل ملكة انكلترا ولكن غودارد لم يخطر ببالهِ انهُ سائرٌ في طريق الخطر او مقدم على ما يوجب الخوف والحذر . ومما رابهُ ايضاً انهُ لم يقدر ان يحقق جنسيتها ولا توصل الى معرفة وطنيتها . نعم انها خاطبتهُ بالانكليزية الفصحى ولكنهُ مع ذلك آنس منها ما الجأهُ الى الحكم بانها ليست مولودة انكلترا او انها برحتها منذ وقت طويل . واذ اعيتهُ الحيل في الوصول الى مبتغاهُ وسدّت في وجههِ ابواب التبصر والاستطلاع اضرب عن الخوض في لجج هذه الافكار العميقة وعمد الى قطع ما بقي عليهِ من الطريق في تصوُّر استقبال البارونة لهُ . فطفق يمثل امام عينيهِ هيئة المكان الذي تدعوهُ اليهِ وما فيهِ من نفائس الرياش وفاخر المفروشات وانتقل منهُ الى تصوُّر الهيئة التي تقبل عليهِ فيها فشرع يتخيل صورة وجهها الباهي وجمال منظرها ورشاقة قوامها وحسن ملبسها ولذة الطعام الذي يتناولهُ معها ورقة الانغام التي تشنّف مسمعهُ بها بعد فراغهما من تناول الطعام بالضرب على البيانو او على القيثار الى غير ذلك مما يطول شرحهُ و يتعذَّر استيفاؤهُ

ثم انقطع سلك تصوراتهِ بغتةً بداعي وصولهِ الى "منزل التدورف" الذي كتبت لهُ البارونة اسمهُ على الرقعة التي اعطتهُ اياها في الليلة الماضية

وكان هذا المنزل قائماً في ضاحية المدينة في بقعة عامرة بالمناظر البرية يحيط بهِ سياج يفصلهُ عن الطريق و يخفي اسافلهُ عن عين الناظر اليهِ من الخارج ولهُ بوّابة موصدة تفتح الى

ممشى متعرّج يقود اليهِ · وعليهِ لم يستطع ان يستفيد شيئاً من مجرد النظر الى هذا القصر لانهُ لاح لعينيهِ مقفرًا يخيم فوقهُ ظلال الوحشة وجميع نوافذهِ وكواهُ مغلقة بمصاريع ثقيلة وليس من دخان يصعد من مداخنهِ ولا شيء من مظاهر الانس يبدو داخل ابوابهِ المحكمة الايصاد والتقفيل

وبالجهد تمكن من ضبط نفسهِ عن اظهار التعجب الشديد وقد انستهُ هذه الظواهر الموحشة وعدهُ للبارونة بعدم ابداء اقل سؤال او استعلام فالتفت الى فلاَّح قائم في بستان على جانب الطريق وسألهُ : —

— ما هذا المنزل ؟ فاجابهُ بعين الحذر والارتياب : — هذا منزل التدورف

— ومن ينزلهُ ؟ — لا احد — كيف لا احد ؟

— نعم فانهُ لا يزال مقفلاً منذ وفاة البارونة التدورف من ثلث سنين

— لكنهُ لا يرى مهجورًا

— لان الباقي من عائلة صاحبتهِ يقوم الآن بنظارتهِ وتعهُّد بساتينهِ على انهُ لم يسكنهُ احد قط بعد البارونة

— افي يقين انت مما تقول ؟

فلم يجبهُ الرجل بشيء بل اكبَّ على عملهِ محدقاً السائل وساخرًا بشدة جهلهِ وغباوتهِ

اما غودارد فلم يكبر عليهِ مصير اقدامهِ الى هذا الحد لعلمهِ انهُ مضطر ان يكون في النظارة الخارجية الساعة الرابعة بعد الظهر لياخذ جواب رسائلهِ من الكونت اندرامي

فعزم على مداومة السير حتى اذا حان الاجل المعيَّن ولم يظفر بمبتغاهُ لا يعود للبارونة التدروف — اذا جمعتها بهِ المقادير — من حقٍ في لومهِ على عدم قيامهِ بشروط دعوتها

فواصل التطواف حتى اجتاز حدود المنزل ثم رجع ادراجهُ يمشي الهوينا وعند الساعة الثانية عشرة (الظهر) رأى نفسهُ مرة ثانية امام بوابة قصر التدورف فاذا بهِ قد أُخذ بعجب جديد واندهال ما عليهِ من مزيد اذ رأى البوابة مفتوحة فدخلها وفيما هو سائر في الممشى المؤدي الى داخل ابصر مصاريع الكوى والشبابيك كلها مفتوحة والدخان يتصاعد من احدى المداخن عمدًا وينتشر في عنان السماء زردًا . وفي مقدمة الدار كرسيَّان وامامهما بعض البسط الشرقية وعلى واحدٍ منها "شال" وكتاب مفتوح دلالة على انهُ مقروء فيهِ منذ وقت قصير جدًا

ولما بلغ الباب فتحهُ لهُ خادم ادخلهُ الى غرفة الجلوس المغشاة بالحصر الهندية والمفروشة على طراز لويس الخامس عشر . وفيما هو مأخوذ بملء الدهشة وقد دنا من شباك يشرف على

حديقة غناء اذا بذلك الصوت الرخيم الذي كان لا يزال يرنّ في فضاء ذهنهِ مدة العشر ساعات الاخيرة يكلّمهُ من ورائهِ قائلاً : — اهلاً بالقائد غودارد

فالتفت واذا بمضيفتهِ قادمة تخطر بقوام الين من الخيزران واعدل من غصن البان · تكسوها حلة فاخرة من لدن عنقها حتى اخمص قدميها وشعرها الحالك مضفورٌ الى مقدم رأسها. فوقف غودارد مبهوتاً لا يقوى على التفوُّه بكلمةٍ · اما هي فخاطبتهُ : —

— ها قد جئت في الوقت المعيَّن وحسناً فعلت · فلسوف يكون لنا وقت كافٍ لتعرُّف كلٍّ منا بالآخر او بالحري لاصلاح هذه المعرفة

— اعذريني اذا رأيتِ في كلامي — في اول الامر — شيئاً من عدم الانتظام بداعي حيرتي وارتباكي · فهل تقولين لي اين اجتمعنا قبل اليوم ؟

— ليس الآن بل قبلما نفترق — نعم · انت مضطرٌ ان تكون الساعة الرابعة في نظارة الخارجية وفي الساعة الخامسة تبرح فينا أليس كذلك ؟ بلى اذًا الاولى بنا ان نتناول اولاً الطعام ثم نتفرغ بعد ذلك لمجاذبة اطراف الكلام

— اني طوع امركِ

— لا تسرع في مطاوعتي اقحاماً او اكراماً بل ترسَّل في مجاوبتي بحرية وكان يجب عليك ان تسيء ظنك فيَّ . وعلى الاقل سلم انَّ تصرُّفي معك كان نادراً غريباً

— اني — فقاطعتهُ قائلة : اني وددتُ منذ وقت طويل ان اتعرَّف بك وقد سنحت لي فرصة قيامي بخدمتك في ما لا تعلم عنهُ شيئاً · وفي اتمام هذا الامر رميتُ طائرين بحجر واحد فقد تحزَّبتُ للقائد اوبين في حرب سياسية شرط الانتفاع بمعرفتهِ . وواخم ان هذا في حربٍ

— فقال وفي حبٍّ — فقالت بلا ريب · قالت هذا متوردة ثم استأنفت كلامها : —

— على ان الاول يستدعي الآن معظم انتباهنا على الخصوص · ولكن قم بنا فان المائدة معدَّة وانا جائعة جداً

ثم سارت امامهُ الى غرفة الطعام · وبعد ما جلس على المائدة قال لها : —

— افلا تنعمين عليَّ بايضاح هذه المشكلات المبهمات ؟ واول ما اسألهُ كيف عرفتِ اسمي وثانياً اما انتِ التي ارسلت اليَّ ورقة الدعوة الى حفلة التنكر في الليلة الماضية ؟

— كيف عرفتُ اسمك ؟ وهل يجهل احد في فينا اسم القائد اوبين غودارد رسول جلالتها السياسي الأ الخامل العريق في الجهل ؟ وانا التي ارسلت اليك ورقة الدعوة الى الحفلة لاسبابٍ أُطلعك عليها الآن · وليس بخافٍ عليك شدة ارتياحي الى المسألة التي لاجلها جئت

الى فينا اربع مرات في مدة اربعة اشهر وقد اتاح لي حسن الحظ اجتماعاً بك طالما حدثت نفسي به

— مهما يكن من غرضك ايتها البارونة فان لساني الآن في هذا الاجتماع القصير اقصر من ان يعبر عما اغبط به نفسي على هذه الفرصة السعيدة

— ان رسالتك في غاية الاهمية والمؤتمر سوف يعقد في ديسمبر او يناير

فاجابها متحرزاً : — هكذا يظن

— من الغريب ان انكلترا ترضخ لاوامر روسيا وتذعن لمقترحاتها وقد كنت اظن ان حكومتك ترسل اسطولها الى الشرق

— انها لا تقدم على هذا الأ اذا اخفقت مساعي المؤتمر وقصرت مقدماته عن ادراك النتائج المطلوبة

— اذاً في الزوايا خبايا ولم أخطيء الظن

فاجابها متلجلجاً وقد اوجس خوف تضيقها على افكاره واطلاعها على مكنونات اسراره :

— لا اعلم . اراك على جانب عظيم من الاهتمام بالسياسة حالة كون افكار السيدات الطف من ان تخدشها حوادث كهذه

— حقاً اني اعظم شأن هذه الحوادث وانما يقلقني كثيراً ان أرى مصالحكم الانكليزية مدوسة تحت قدمي غورتشاكوف بواسطة رجلكم غلادستون

فاجابها مقطباً . ليس لرجلنا غلادستون حق المداخلة في هذه الامور ومن العبث تعليل النفس بشيء من مثل حادثة سنة ١٨٧١ وما كان الجو ليخلو الآن لروسيا تمرح وتطفر وتبيض وتصفر

قال هذا لانهُ كان من اكبر انصار حزب المحافظين وقد احفظهُ كلام البارونة الى الغاية فاجابتهُ : — ذلك ما احبُ سماعهُ من رجل نظيرك وهو خلاصة الرسالة التي بعثت بها الى هنا . ولا تحاول إخفاء الامر لانهُ لا يسعني ان اتصوَّر انك تكذب عليَّ

— لستُ بقادر ان اكذب عليكِ

فنهضت ودعتهُ الى الانصراف عن المائدة بعد ان اكلا كفافهما ثم خاطبتهُ قائلة وقد لاح على وجهها تغير فجائي : لم يبقَ سوى ساعة لخروجك من فينا في الساعة الثالثة ونصف تسير بك مركبتي الى نظارة الخارجية ومن ثم الى المحطة افلا تجيب سؤلي في انك ترسل السائق من نظارة الخارجية ليبتاع لك ورقة سفر ويحضر امتعتك من الفندق ؟ اذ لا اريد ان ترجع انت بنفسك

— يخجلني جداً تطفلي على الانتفاع بهذه العناية الشديدة

— عدني ! عدني !

— اعدك . ولكن الا تطلعيني على خفايا هذا السر ؟

— لا يخفى عليك ان السياسة الروسية نافذة لا يعوقها شيء وقد علمت ان بعض وكلاء روسيا يسعون جهدهم لكي يعوقوك في فينا واجمعوا على طلبك الليلة الماضية من الفندق . فبعثت اليك بورقة الدعوة وسببت غيابك عن مبيتك وجئت بنفسي الى الحفلة لاشاهدك واطمئن عن نجاتك من اشراك هذه المكيدة . ثم مثّلت امامك ذلك " الدور " وجعلت ذلك الرجل يطاردني و يبالغ في امتهاني على مرأى ومسمع منك لعلمي ان انكليزيًا نظيرك لا يطيق ان يرى امرأة تهان في حضرته . ولولا هذا لكنت اليوم مسوقًا الى براز او وقوفٍ في دائرة البوليس . ثم مسّت الحاجة ان اواريك هذا النهار عن الانظار وقد خطر على بالي هذا المكان وانت سائر بي الى المركبة لانهم ينتظرونك اليوم في الفندق . فلا تنسَ انك وعدتني بعدم الرجوع الى الفندق

فاجابها وهو يشتعل غيظًا : — اوتظنين ان مثلي يهرب من وجه انسان

فقالت له برصانة : — من واجباتك صيانة ما أُرسلت اليه فقال — الحق معكِ

وظلاّ يتجاذبان اطراف الكلام حتى حان وقت انصرافه فقالت له بكل اسف اقول لك اذهب

— اشكر لكِ فضلكِ وعنايتكِ

— اذًا تعفو عن سعيي في اعتراض حريتك ؟

— نعم وذلك في حب وفي حرب - وكلاهما هنا

فتوردت البارونة وقالت له مادة يدها : — سر بسلام

ولما بلغا باب الدار حاول ان يوضح لها شيئًا من لواعج حبه فحال دون ذلك وجود السائق معدًا المركبة وفاتحًا بابها فاكتفى بقوله وهو ضاغط يدها : —

— الى الملتقى — اليس هكذا ؟

— هكذا ارجو

— وعدتني انكِ تخبريني اين اجتمعنا قبل الآن

— امس في الملعب

ثم اغلق السائق باب المركبة وعدا بها حتى بلغ البوابة الخارجية فامال غودارد من كوتها فوجد نوافذ القصر اقفلت كما كانت في الصباح . فقال في نفسه : ان هذه المركبة شاهدة على اني في يقظة والاّ فجميع ما حدث لي كان حلمًا

ولما ذهب السائق الى النزل رأى فيه رجلين كانا في انتظار غودارد منذ الظهر ولا يزالان ينتظران

الفصل العاشر

القوة وراء العرش

ان نظام البوليس الروسي منقسمٌ الى ثلث فرق الفرقة الاولى من نوع الشرطة المعروف بالجندرمة والثانية البوليس الاداري وهذه رتَّبها القيصر نيقولا لاصلاح شؤون الضباط والمأمورين ولكنها قد عمّت الآن اقطار العالم والثالثة — الفرقة الهائلة المخيفة — مؤلفة من البوليس السري ولها رقباه وجواسيس في كل بيتٍ وفندقٍ وحانةٍ . وهذه الفرق الثلاث يرئسها رجل واحدٌ . وهذا الرئيس كان عليهِ في مشاكل سنة ١٨٧٦ الى ١٨٧٧ ان يقوم بما تضعف عندهُ الهمم وتخور لديهِ العزائم

ثم ان دائرة النظارة الخارجية في بطرس برج هي اوسع واكبر دوائر الحكومة ويليها دائرة النظارة الداخلية وعلى ملاصقة هاتين الدائرتين غرفتان صغيرتان احداها داخلية تفتح الى رواق والاخرى خارجية تشرف على شارع نيوسكي . وهاتان الغرفتان مفرزتان لاقامة رئيس البوليس واركانهُ كاتم اسرار ومستشاران او كاتبان

وكان البرنس سكولوف رئيس البوليس يقيم في الغرفة الخارجية . ومقامهُ هذا — بين دائرتي النظارتين — يدلُّ على شدة اهميتهِ في احوال السياسة الاوربية . وكل من شاهدهُ جالساً على كرسيهِ المغشى بالاديم لا يفوتهُ ادراك ما كان عليهِ من ضخامة الجسم وشدة القوى الجسدية . ويكفي للدلالة على ذلك يدهُ الهائلة الملقاة على مائدةٍ امامهُ . وهو غير متجاوز الاربعين سنة . غير ان مجالدات الخطوب ومعاركات الايام كانت راسمة على وجههِ خطوط وقائعها الرائعة التي يضت مفرقهُ مع ان شعر حاجبيهِ وعارضيهِ كان باقياً في شدة سوادهِ دليلاً على تلك الليالي السود التي مرَّت برأسهِ . وكان في هذا الوقت يقذف بشرر عينيهِ الحادَّتين من تحت جبهةٍ عريضةٍ ووجههُ يسفر عما اعتادهُ في حالة السكون والهدوء . وامامهُ — اذ الوقت صباح — رسائل متنوعة جاءتهُ منذ نصف ساعة وهو آخذٌ في فضها واحدةً واحدةً وبعد ما يعلِّمها بقلم رصاص ليسهل توزيعها يضعها في كومتين احداهما ترسل الى مجلس الشورى والاخرى تحفظ لكي تطالع مطالعة سرية فيما بعد . لكنهُ لم يلبث ان توقف عن فضها بداعي رسالة تناولها ولم يطل نظرهُ فيها اذ ليس من فائدة في ذلك لانها لم تكن من الرسائل الاعتيادية بل كانت مكتوبة على قرطاس ازرق رقيق مربع الشكل باحرف يونانية على اصطلاح خاص . وغاية ما استطاع تلاوتهُ منها ما معناه " الشيطانة الجميلة " . فلم يعد لهُ مندوحة عن انتظار كاتم اسرارهِ الذي عندهُ مفتاح الرسالة السرية وحلُّ هذه الاحجية . على

انهُ ما ابطأ ان طرق اذنهُ وقع اقدام فالتفت واذا بشابٍ دخل الغرفة وجلس على كرسي امام مكتبهِ مخاطبهُ قائلاً ها قد اتيت يا ديمتري ديمتريفتش فقد كنت في انتظارك

— هل من رسالة من الشيطانة الجميلة ؟

— نعم فاين الآلة التي تحل بها مثل هذه الرسالة ؟

— هنا يا صاحب السمو

— أدرها على ١ ٠ ه ٢ ٠ ٠ ر واقرأها بها

قال هذا وسلم الرسالة الى كاتم اسرارهِ ورجع يفض الرسائل الباقية وعلى مدة نصف ساعة لم يسمع في تلك الغرفة من صوت سوى صرير تلك الآلة المشغول كاتم الاسرار في ادارتها تفسيراً للرسالة السرية حتى اذا فرغ من حلها حرفاً حرفاً نهض ودفعها الى رئيسهِ مكتوبة بالافرنسية وهذا تعريبها :—

" فينا في ٢٤ اغسطس سنة ١٨٧٦

" القائد اوبين غودارد من فرقة العشرين للفرسان مبعوث الملكة الخاص في المسائل الشرقية · عمرهُ نحو ٣٤ سنة وهو انكليزي مهذب من كل وجهٍ و يتعذر استجلاء دخيلتهِ وابتلاء اسرارهِ بالوسائل العادية · قدم فينا في ١٥ اغسطس يحمل رسائل الى نظارة الخارجية

" اذا عُقد المؤتمر لزمت انكلترا جانب الحياد وان شهرت روسيا الحرب اسرعت انكلترا الى احتلال البوسفور · لا بدَّ من المحافظة على عدم تجزئة المملكة العثمانية · عناية خاصة بباطوم وطرابزون · لا تفصيل غير هذا الآن

" في هذا المساء ابرح فينا شاخصة الى بطرس برج الشيطانة الجميلة "

ثم طوى رئيس البوليس الرسالة الاصلية وترجمتها ووضعهما في خزانتهِ وقال متمتماً :—

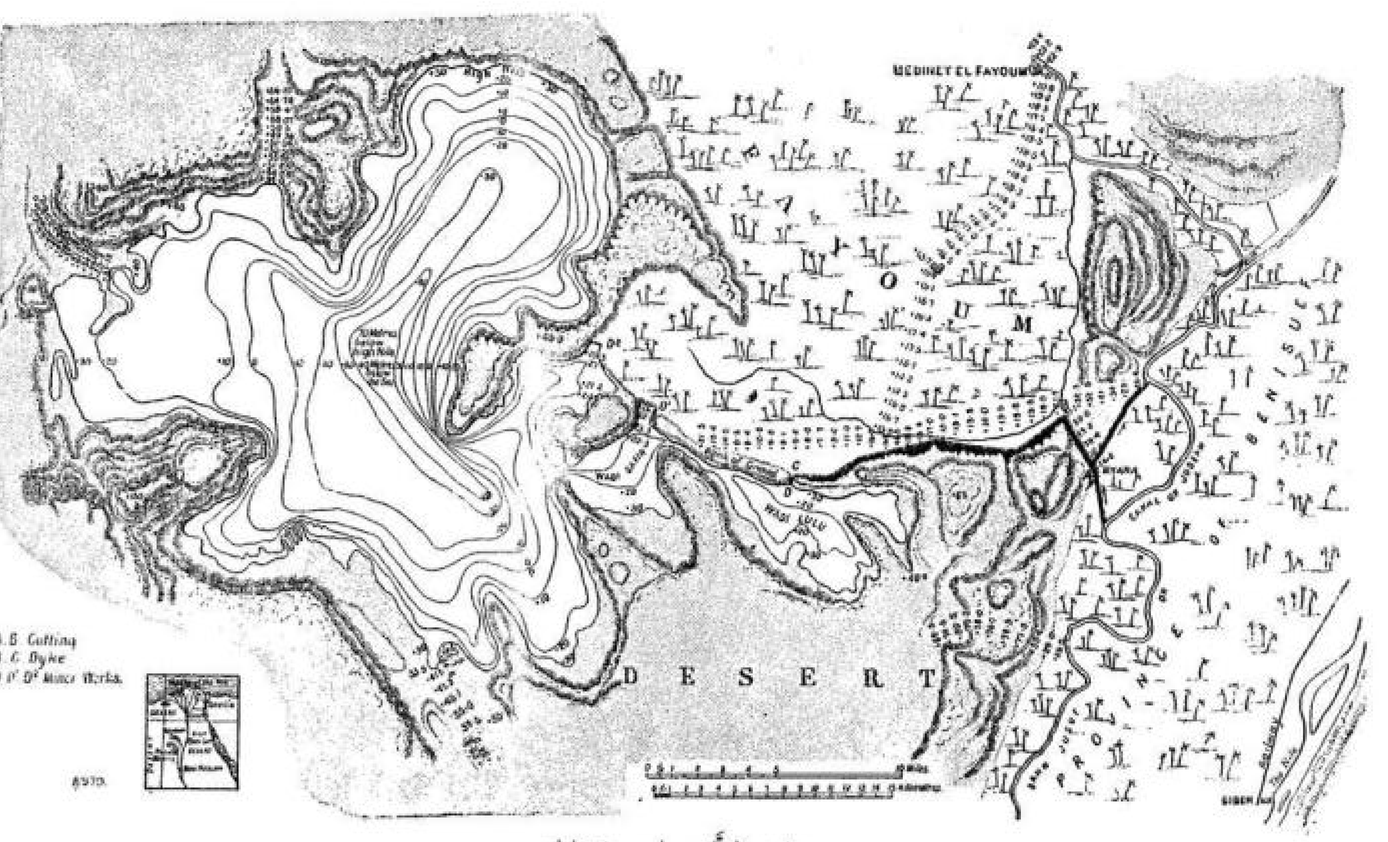
— ان هذا في غاية الاهمية · " انكليزي مهذب · يتعذر استجلاء دخيلتهِ لا تفصيل غير هذا " · حقاً اني لا احب هذا الاسلوب · لكنها قادمة هذا المساء · فلا باس · سوف اقابل هذه المرأة الداهية

ثم سلَّم الرسائل المراد توزيعها الى احد مستشاريهِ وقال لهُ :—

— ابلغ كاتم اسرار نظارة الحرب اني في انتظار ناظرهِ بعد ساعةٍ

ولما خرج هذا التفت البرنس سكولوف الى كاتم اسرارهِ ديمتري ديمتريفتش كيراتيف وقال :

— اتحقق ان اباك ديمتري كيراتيف لم يشر الى اسم هذه البارونة التدورف او — كما يدعونها — الشيطانة الجميلة



وادي الريّان ومناسيب ارتفاعاته

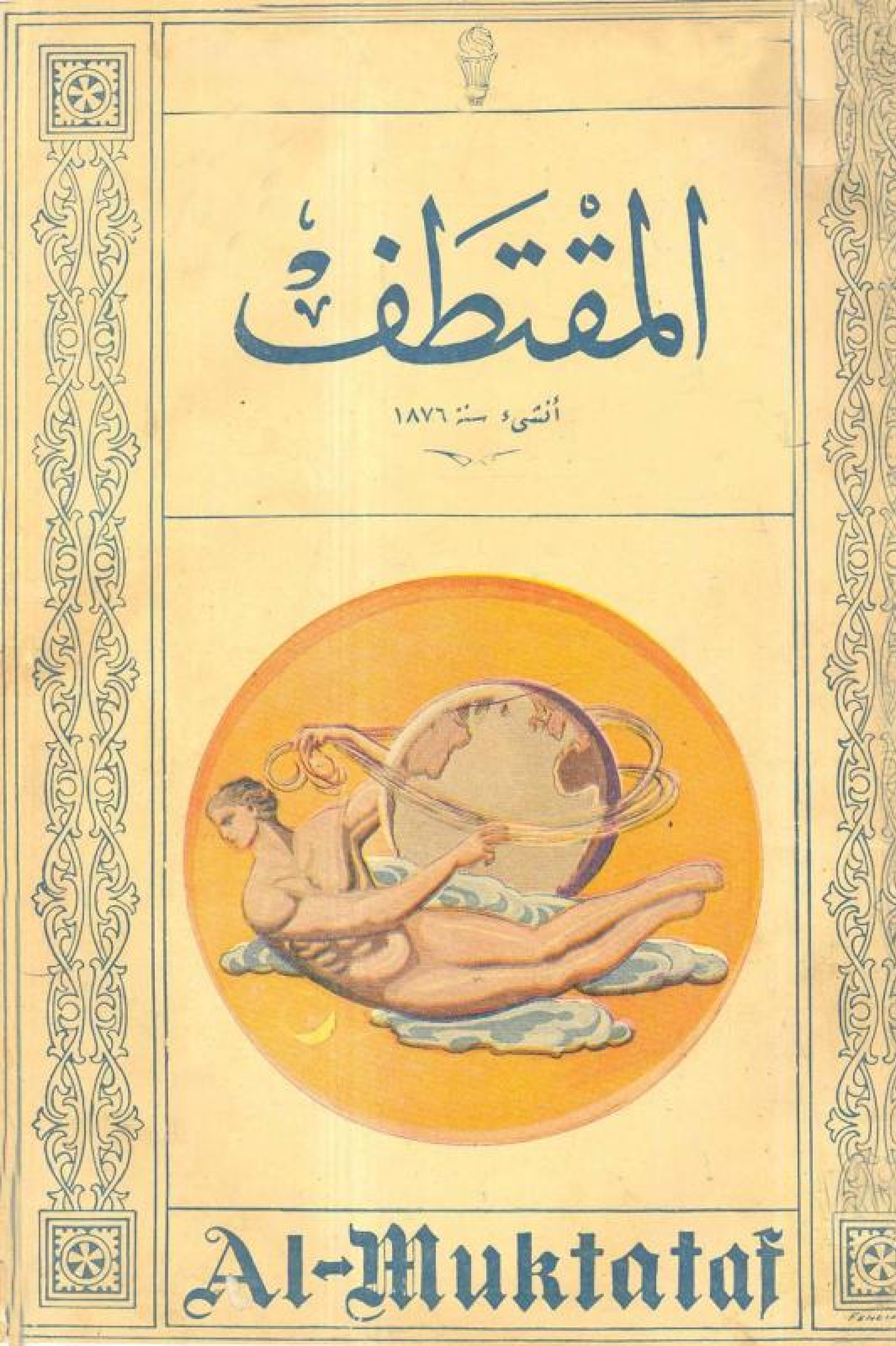
— نعم يا صاحب السمو فانهُ لم يذكرها قط. ولكن بعد حدوث المكيدة التي نُصبت لاغتيال جلالة القيصر واصيب فيها ابي بجرحهِ المميت ذكر لي امرأة عندها مفتاح الرسائل السرية لكنهُ لم يفه قط باسمها وكنت حينئذٍ صغيرًا جدًا . فغشي محيا البرنس سكولوف ضبابة كثيفة عند سماعهِ هذا الكلام لان المكيدة التي نُصبت للقيصر ولاق فيها رئيس البوليس السابق حتفهُ كانت موضوعاً منعَ الرئيس الحالي — لاسباب سياسية — البحث فيهِ امامهُ . اما كاتم اسرارهِ فاعتبر شخصاً ممتازًا في وظيفتهِ من حيث كونهُ تحت حماية الرئيس الحالي وابن الرئيس السابق ولما اغتيل ابوهُ ديمتري كيراتيف كان هذا الفتى من موظفي دائرة البوليس وحين دُعي البرنس سكولوف الى وظيفة ابيهِ طلبهُ وعينهُ كاتم اسرارهِ . اما دورسكي رئيس عصابة النيهيلست فلم يعد يعرف عنهُ شيء وشاع انهُ قتل في اودسا بعد ذلك بوقت قصير وان جماعتهُ تفرقوا . ومن ذلك العهد منع الخوض في مسألة مؤامرتهِ وعدت من جملة المواضيع التي لا يسوغ البحث فيها في دائرة البوليس . اما الان فلم يبدِ هذا الرئيس لكاتم اسراره اشارة الصمت عن هذا البحث بل استفسر منهُ كمن تذكر شيئاً غامضاً عن حادثة منسية قائلاً

— كيف كان كلام ابيك معك بخصوص هذه المرأة ؟

— قال لي : "يا ديمتري اذا دعيت يوماً الى مقام خطير في هذه الفرقة فهنا مثال لآلة الكتابة السرية الذي تحل بهِ جميع المراسلات السرية . ومتى راسلتك امرأة على هذا النمط اطلع رئيسك على رسالتها وقل لهُ اني انا ديمتري كيراتيف خلفت لهُ وصية الاحتفاء بها والالتفات بعين الاهمية الى جميع رسائلها . وليثق بها مطمئناً لان زمام نجاح مملكة روسيا المقدسة في قلبها وقد يكون في يدها" واذا ارى يا صاحب السمو ان "الشيطانة الجميلة" هي المرأة المعينة بوصية ابي لانهُ لم يؤتمن على آلة كتابتهِ السرية من يقلدها او يسيء استعمالها

— اظنك مصيباً بهذا ثم تفرغ رئيس البوليس بعد هذا للاجتماع بناظري الحربية والخارجية الى الساعة الرابعة بعد الظهر . وحينئذٍ انصرف كاتم اسرارهِ ومستشاراهُ وادخل اليهِ خادم مصباح المطالعة فمد يديهِ متمطياً كمن اكمل شغلهُ او انتقل الى عمل اخف واسهل . ولم يكن يخطر ببال من ينظر اليهِ جالساً على هذا الاسلوب من التراخي والتثاقل ان هذا الذي يستطيع بكلمة واحدة ان ينفي كثيرين الى سيبيريا او يغرق الحكومة في لجج عراقيل طامية كان قبل ان تراهُ في رئاسة البوليس بثماني سنين — الكسس دورسكي زعيم النيهيلست

نعم كان هو اياهُ ولم يعلم بهذا احدٌ سواهُ بل جميع الذين كانوا يعرفونهُ قبلاً ورأوهُ متربعاً في هذا الدست خفي عليهم ان هذا البرنس سكولوف هو الكسس دورسكي مقدام النيهيلست


المقتطف
أنشىء سنة ١٨٧٦
Al-Muktataf

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد التاسع والعشرين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٥ محرم سنة ١٣٢٢

فلسفة سبنسر

قضت علينا وفاة سبنسر بما كنا نتحاماهُ ونخشى دخول حماهُ وهو بسط الكلام على فلسفتهِ لما فيها المصطلحات العلمية والفلسفية التي لا مثيل لها في العربية ولا يسهل نحت كلمات تفي بمعناها وتكون مما تألفهُ الاسماع . ولانَّ المباحث الفلسفية يصعب ادراكها على مَن لم يمارسها مهما حاول الكاتب البسط والاسهاب

ومدلول فلسفة سبنسر بسيط جدًّا وهو ان كل هذا العالم الذي تراهُ عيوننا من سديم السماء الى الانسان سيد المخلوقات وكل ملابساتهِ من الحركات الطبيعية التي تحركها الكواكب في افلاكها الى حركات دقائق الدماغ التي تتولَّد منها الافكار — كل ذلك متولّد من المادة والقوة . واذا وُجدت الآن دقائق المادة التي تكوّن هذا العالم منها ودقائق القوة التي فيهِ في مكان آخر ومضى عليها مقدار الزمن الذي مضى على العالم من حين وجودهِ الى الآن تكوّن منها عالم مثلهُ تمامًا . كأنهُ يحسب ان كل ما حدث لا بدَّ من حدوثهِ مع فرض المادة والقوة او كأنهُ سمع ابا العلاء المعري ينشد قولهُ

بربّك ايها الفلك المدارُ   اقصدٌ ذا المسير ام اضطرارُ

فقال بل هو اضطرارٌ جريًا على ناموس في طبيعة المادة والقوة المتصلة بها . اما الوصول الى هذه النتيجة فليس بالامر السهل بل فيهِ من دقيق المباحث ما يتعذر تلخيصهُ في مقالة او مقالات ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ

من اللعَب التي يتسلَّى بها الاولاد قطَع من الخشب مختلفة الاشكال على كلٍّ منها صورة جزئية فعلى القطعة الواحدة مثلاً صورة رأس وعلى الثانية صورة يد وعلى الثالثة صورة

رجل او غصن من شجرة او عجلة من مركبة او حائط من بيت او قطعة من سفينة او جانب من جبل . ويعلم باقل نظر ان هذه الصور الجزئية اجزاء من صورة كلية فتجلس تركبها بعضها مع بعض وانت تغيّر اوضاعها الى ان تنظم منها الصورة الاصلية الكاملة

وهذا شأن الموجودات التي نراها في هذا الكون الواسع فقد بيّن الفيلسوف سبنسر انها كلها اجزاء من صورة واحدة كلية او من كائن واحد كلي والنواميس التي نحسبها خاصة بكل جزء منها او بفريق من اجزائها انما هي تنوّعات او فروع من ناموس عام شامل لها كلها . هذا هو مغزى فلسفتهِ وقد وصل اليهِ بعد البحث والاستقراء الطويل واقام الادلة على صحتهِ . ولم يقصد بهذه الفلسفة ادراك حقيقة الموجودات ولا ادراك مبدإها ومعادها اي ما كانت عليهِ قبل ان صارت في الصور التي نراها فيها وما تصير اليهِ اخيرًا بل ادراك الاحوال التي هي فيها

وقد قسم الموجودات كلها الى قسمين ما يمكن ان يُدرَك بالعقل وما لا يمكن ان يُدرَك بالعقل . وردّ كل المسائل المتعلقة بواجب الوجود وعلة العلل او العلة الاولى والغاية الاخيرة الى الدين او الى ما هو وراء الطبيعة او الى ما لا يُدرَك بالعقل البشري لان العقل مقيَّد في بحثهِ بقيود لا يستطيع حلها فلا يستطيع الوصول الى كل الموجودات . ولذلك فما يستطيع العقل ادراكه محصور في العلل الثانوية والغايات الثانوية اي في الاسباب التي نراها مباشرة للمسببات وفي النتائج التي نراها تنتج عنها . وقال ان غرض الفلسفة معرفة العلاقة بين النواميس الطبيعية وبين الظواهر المختلفة التي يظهر الكون بها وان الاختلاف بين العلم والفلسفة انما هو في درجة التعميم والتوحيد فكما ان العلم الواحد يضمّ قواعد جزئياتهِ ويؤلف منها علمًا واحدًا كذلك الفلسفة تضم قواعد العلوم كلها وتوحدها اي تردّها الى صورة واحدة او الى اصل واحد شامل لها كلها . فهي الغاية القصوى التي يصل اليها بحث الانسان . يبتدئ هذا البحث بمشاهدة الحوادث او الظواهر الطبيعية وجمعها وضمّها تحت قواعد تشملها ويتدرّج في استنتاج الكليات من الجزئيات الى ان يصل الى الكليات الكبرى والقضايا العامة . فالمعارف الاولى معارف جزئية فاذا جُمعت وبوّبت صارت علومًا . فالعلوم معارف مجموعة ومبوّبة او موحّدة بعض التوحيد فاذا جُمعت هذه العلوم وانضمّت تحت القواعد التي تشملها وتشترك فيها كلها فهي الفلسفة . ولنوضح ذلك بمثل

رأى الناس من قديم الزمان ان النبات النابت في ارض محروثة يكون اخصب من النابت في جوارهِ في ارض غير محروثة . ووجدوا بتكرار المشاهدات ان هذا الامر عام فبنوا عليهِ حكمًا وقالوا ان حرث الارض يزيد نمو المزروعات . ولنفرض ان هذه هي الكلية الاولى او الحكم الاول

ورأوا ايضاً ان النبات النابت قرب مزارب البقر والغنم او في مكان فيهِ شيءٌ من زبلها يكون انمى واخصب من النبات الذي من نوعهِ وهو نابت بعيداً عن الزبل والسماد . ووجدوا بتكرار المشاهدات والتجارب ان هذا الامر عام فحكموا ان الزبل او السماد يزيد خصب الارض ونمو المزروعات. ولنفرض ان هذا هو الحكم الثاني او الكلية الثانية . ثم بحثوا ونقَّبوا فوجدوا ان الخصب يزيد في الحالين بتسهيل الاغتذاء على النبات فوحَّدوا الحكمين تحت حكم واحد او قضية واحدة كلية وهي ان تسهيل تناول الغذاء يزيد نمو النبات. ومن جمع مثل هذه الكليات او الاحكام تأَلف علم الزراعة او علم الفلاحة

ووجدوا ايضاً ان الفحم او الكربون يتحد باكسجين الهواء وتتولد من اتحادهما حرارة ويتكوَّن منهما جسم آخر يتحد ببعض المواد ويكوّن منها املاحاً . وان الكبريت يتحد باكسجين الهواء وتتولد من اتحادهما حرارة ويتكوَّن منهما جسم آخر يتحد ببعض المواد ويكوّن منها املاحاً . والفصفور يتحد باكسجين الهواء وتتولد من اتحادهما حرارة ويتكوَّن منهما جسم آخر يتحد ببعض المواد ويكوّن منها املاحاً . فحكموا ان اتحاد المواد بالاكسجين يولّد حرارة ويتكوَّن من اتحادها بهِ اجسام اخرى تتحد ببعض المواد وتكوّن املاحاً مثل كربونات الصودا وكبريتات الحديد وفصفات الجير . ورأوا ان القلويات والحوامض والاملاح تجري على نسب محدودة في مقدار ما فيها من العناصر المختلفة فقد يكون فيها وزن واحد من الاكسجين او وزنان او ثلاثة او اربعة وقس على ذلك غيرهُ من العناصر فقالوا ان المركَّبات الكماوية اجسام منتظمة البناء فيها قوى محدودة من الجذب والدفع تتأَلف بموجبها. ومن هذين الحكمين وامثالها تأَلف علم الكيمياء الواسع النطاق

ووجدوا ان الحرارة تمدد الاجسام والبرد يقلصها وان النور يسير في خطوط مستقيمة وينعكس عن السطوح كما تنعكس الاجسام المرنة واذا نفذ الاجسام الشفافة على خط غير عمودي مال الى الخط العمودي او مال عنهُ حسب كثافة الجسم الذي كان فيهِ والذي نفذ اليهِ وهلمَّ جرًّا. وان الحرارة تجري مجرى النور في سيرها وانعكاسها وانكسارها وتجمُّعها وتفرقها فحكموا انها هي والنور من قبيل واحد وانهما درجات من الحركة في دقائق المادة او في دقائق الاثير كما ان الصوت حركة او تموُّج في دقائق الهواء او الاجسام المصوتة . فجمعوا هذه المعارف وما ماثلها والَّفوا منها علم الطبيعيات او علم الفلسفة الطبيعية. وقس على ذلك سائر العلوم والفنون . فقام سبنسر ونظر في العلوم كلها فرآها مشتركة ويمكن ارجاع نواميسها الى ناموس واحد عام يشملها كلها رأى مثلاً ان ظواهر الفلسفة الطبيعية يمكن ردها كلها الى فعل القوة

بالمادة وكذلك ظواهر الكيمياء والفسيولوجيا الحيوانية والنباتية . فأكثر من البحث والتحرّي الى ان ردّ العلوم كلها والظواهر الطبيعية كلها الى اصول قليلة او الى ناموس واحد وهذه هي فلسفتهُ التي وحّدت العلوم وجعلتها علماً واحداً او هي جزء من فلسفتهِ لانهُ لم يكتفِ برد الاشياء الى اصولها والافعال الى مبادئها بالتحليل بل بيّن كيف تتركب الاشياء والافعال من اصولها ومبادئها بالتركيب وهذه هي الفلسفة التركيبية التي كان جلّ بحثهِ فيها

ويستحيل علينا ان نبين في مقالة واحدة او بضع مقالات كيفية التوصُّل الى توحيد العلوم كلها فنقتصر الآن على ذكر النتائج التي وصل اليها او اعتمد عليها

فالنتيجة الاولى التي اعتمد عليها هي ان القوة ثابتة اي لا تتلاشى ولا تزيد ولا تنقص ولو تحوّلت من صورة الى اخرى . ويقال ان ذلك من البديهيات او الاوليات التي لا تحتاج الى دليل وعند سبنسر ان القوة هي غاية ما يمكن تصوُّرهُ وثبوتها قاعدة فلسفتهِ وبهِ تعلل كل الافعال الطبيعية تحت شكل المادة والحركة . واذا زالت القوّة زال معها الشعور . وعندهُ ان ثبوت القوّة يفوق اختبار الناس لان الاختبار مبنيّ على ثبوت القوة فهو اساس الاختبار واساس كل العلوم لانها كلها اختبارات مبوّبة ومنظّمة فاذا حللنا معارف الناس نصل اخيراً الى ثبوت القوة واذا اردنا ان نبنيها ثانية وجب ان نبتدئ من ثبوت القوة . واول فرع يتفرّع من ثبوت القوّة ان النسبة بين انواع القوى المختلفة ثابتة ايضاً اي ان نواميس الطبيعة ثابتة لا تتغير وان القوى تتغير من صورة الى اخرى ولكن مجموعها يبقى واحداً في كل الافعال سواء كانت طبيعية او كيماوية او عقلية او اجتماعية وان هذه الافعال كلها جارية على ناموس واحد يشملها كما ان كل فريق منها جارٍ على ناموس خاص بهِ . قال سبنسر في هذا المعنى ما ملخصهُ

" لنفرض ان الكيماوي والجيولوجي والبيولوجي فسَّر كلٌّ منهما ما يحدث في احتراق الشمعة وزلزلة الارض ونمو النبات بحسب قواعد علمهِ ووصل في التفسير الى غاية ما يصل اليهِ العلم فعلل اولها احتراق الشمعة بتولد الحرارة والنور وانحلال دقائق الشمعة بانطلاق الحركة الكامنة بين دقائق المادة . وعلل الثاني زلزال الارض باشعاع الحرارة الداخلية منها وتقلصها وهبوط بعض اجزائها . وعلل الثالث نمو النبات بتأثير النور في حركة دقائقهِ . أفلا يطلب العقل تعليلاً يجمع هذه التعليلات المختلفة ويردها الى سبب واحد كما ان كل تعليل منها يجمع افعالاً مختلفة ويردها كلها الى فعل واحد . وهل تجري الفواعل الطبيعية المختلفة على سنّة معلومة ولكن مجموعها لا يجري على سنّة . ان هذه التغيرات المختلفة صناعية كانت او طبيعية آلية او غير آلية نفصل بينها لتسهيل النظر فيها ولكنها في الحقيقة غير منفصلة لانها كلها

تغيرات حادثة في عالم واحد وهي اجزاء من عمل واحد واسع النطاق . فما هو الشيء الذي يجمعها كلها على اختلاف اشكالها الظاهرة وتبايناتها . المادة ثابتة لا تتلاشى والحركة دائمة لا تتلاشى والقوة ثابتة لا تتلاشى ولكن القوة تتغير على الدوام والحركة تسير في اقل الجهات مقاومة فما هو الناموس الذي ترجع اليهِ نواميس المادة والقوة هذا هو مطلب الفلسفة (١)

من هنا جعل سبنسر ينظر في النواميس العامة التي تجري عليها المادة والقوة في توزيعهما واعادة توزيعهما اجمالاً وتفصيلاً لكي يردّ هذه الافعال كلها الى نظام معقول فقال ان لكل انواع الموجودات ولكل التراكيب التي توجد فيها تاريخاً وهذا التاريخ يشمل كل الزمن بين خروجها مما لا يُدرك بالعقل وبين عودها اخيرًا الى ما لا يدرك بالعقل . وهذه الافعال اي توزع المادة والقوة الذي يجري من حين صدورهما مما لا يُدرَك الى حين عودهما الى ما لا يدرك ويشمل كل الدرجات التي تمرّان عليها وهما في الاحوال التي يدركها العقل — هذه الافعال تشمل عملين متضادين الاول يظهر بجمع المادة واخراج القوة منها كما يحدث اذا تكاثف البخار فصار ماءٍ فان الحرارة تظهر منهُ حينئذٍ . والثاني بامتصاص القوة وتفريق المادة كما يحدث بامتصاص الماء للحرارة وصيرورتهِ بخارًا متفرّق الدقائق فالاول يحدث التحامًا وتحدُّدًا والثاني يحدث انتشارًا وتخلخلاً وهذان الفعلان المتضادان هما النشوء والانحلال والعالم كلهُ في تغير مستمر وكل ما يقع فيهِ من التغير كبيرًا كان او صغيرًا آليًا او غير اليّ طبيعيًا كان او حيويًا او عقليًا او اجتماعيًا كل ذلك يردّ الى هذين الفعلين (٢)

ولم يقتصر سبنسر على الاستقراء في التوصل الى هذه النتائج لاسيما وان الاستقراء يقصر عنها لان اتمهُ ناقص بالنسبة اليها ولكنهُ اعتمد على القياس كما سيجيءُ فصارت نتائجهُ منطقية مقرَّرة عند الذين يسلّمون بمقدماتهِ ويعدونها من البديهيَّات او العقائد الاولية . وسيأتي الكلام في الجزء التالي على الكيفية التي اتَّبعها في بحثهِ الى ان وصل الى اصول فلسفتهِ

وقد يتبادر الى الذهن من مدلول فلسفة سبنسر " اذا وجدت المادة والقوَّة ومرَّ عليها الزمن الكافي تكوَّن منهما كل ما يرى في هذا العالم " انهُ مادي وفلسفتهُ مادية وهذا خطأ لانهُ لم يقل بتكوّن الموجودات من المادة فقط ولا انها تكوَّنت من نفسها بل انهُ لم يحاول البحث عن العلة الاولى ولا عما وراء الطبيعة وذلك بمثابة التسليم بوجودهما مع الحكم بعجز العقل عن ادراكهما

(١) كتاب المبادىء الاولى بند ٩١

(٢) هذه الفقرة الاخيرة ملخصة من مقالة للاستاذ هدصن الاميركي في فلسفة سبنسر

السرطان

واحدث المكتشفات العلمية فيهِ

كلما اكتُشف اكتشاف جديد في العلوم الطبيعية ظنَّ الناس انهُ يمكن استخدامهُ في علاج بعض الامراض جريًا على قولهم ان المريض يتعلَّق بحبال الهواء فلما كشفت اشعة رنتجن ظنوا انها تفيد في علاج السل والسرطان ونحوهما من الامراض الوبيلة ولكن خاب ظنهم ثم لما كشفت اشعة الراديوم كان اول ما استعملوها فيهِ علاج السل والسرطان وحتى الآن لم يقطعوا الامل من فائدتها · وعساها تفيد في علاج السرطان ولكن تكون فائدتها من نوع فائدة النار في حرق الجراثيم المرضية وقتلها بالحرارة

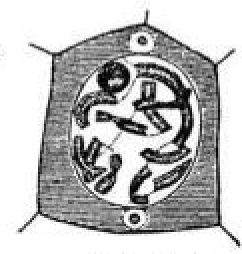
ومن المرجح ان معالجة السرطان لا تقوم على اساس ثابت الاَّ بعد ان تُعرَف حقيقتهُ وكذلك طرق الوقاية منهُ لا تصير معقولة الاَّ بعد ان تعرَف هذه الحقيقة · وقد ابانت المكتشفات الحديثة ان كثيرًا من الامراض الوبيلة ومن افتكها واشدها خطرًا ناتج عن العدوى بدخول جراثيم صغيرة نباتية او حيوانية الى جسم الانسان تأتيهِ من المصاب بها· فالجراثيم التي تسبب التيفويد والسل نباتية تدخل الجسم مع الطعام والشراب والجراثيم التي تسبب الملاريا حيوانية وتدخل الجسم من لسع البعوض

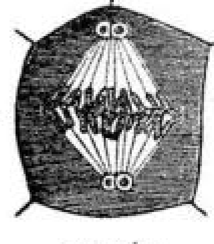
هذه هي ميكروبات الامراض التي كتبنا فصولاً كثيرة فيها وابنَّا كيفية تولُّدها وانتشارها والقائها

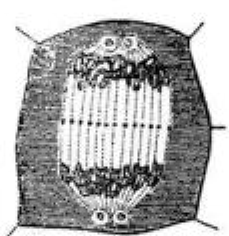
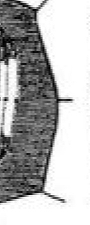
وقد ظن كثيرون ان السرطان داءٌ ميكروبي لهُ ميكروبات خاصة بهِ وحاولوا اكتشاف هذه الميكروبات او الجراثيم وادَّعى بعضهم اكتشافها ولكن يظهر من المباحث الاخيرة الدقيقة ان هذا الظن باطل اي ليس للسرطان ميكروب خاص بهِ · نعم انهُ قامت بعض الادلة على ان السرطان معدٍ في بعض الاحوال ولكن لم يقم دليل على ان هذه العدوى حاصلة من انتقال جرثومة حية من المصاب الى السليم كما في التيفويد والملاريا . وغاية ما عُرف بالبحث الدقيق حتى الآن من امر السرطان انهُ لا يتولَّد من دخول اجسام غريبة في البنية بل يتولَّد بعصيان بعض اجزاء الجسم وتخطيها ناموس النمو العمومي وسيرها على منهاج غير عادي كأنَّ داء السرطان حرب اهلية تثور في الجسم فتقوم بعض اجزائهِ وتجاهر بالعصيان وتفتك بما حولها من الانسجة فتكًا ذريعًا

والجسم الحي كثير الاجزاء والتراكيب كما لا يخفى وتنتهي اجزاؤهُ كلها بما يسمَّى بالحويصلات

وهي اجزاءٌ صغيرة ميكروسكوبية كل حويصلة منها جسم حيٌّ في وسطهِ نقطة مركزية تسمى النواة . والحويصلات مختلفة الاشكال والاقدار وتجتمع بعضها مع بعض في طبقات مختلفة تكوّن منها انسجة الجسم المختلفة كالعضلات والعظام والدماغ والاعصاب . وينمو الجسم بانقسام هذه الحويصلات فتنمو الحويصلة وتنقسم الى نصفين وينمو كل نصف من نصفيها وينقسم الى نصفين وهلمَّ جرًّا ويبتدئ هذا النمو وهذا الانقسام في البيضة التي يتولد الجنين منها فانها تكون حويصلة واحدة تنقسم الى نصفين وكلٌّ من نصفيها ينقسم الى نصفين وهلمَّ جرًّا الى ان يتولد منها الجنين الكامل


الشكل الاول


الشكل الثاني



الشكل الثالث

وقبلما تنقسم الحويصلة الى نصفين تجري فيها تغيرات كثيرة تسير على اسلوب واحد فتكون في اول الامر كروية الشكل وتتولد فيها اجسام مستطيلة كالخيوط كما ترى في الشكل الاول وتستطيل الحويصلة وتستدقُّ من طرفيها وتجتمع هذه الخيوط في وسطها كما ترى في الشكل الثاني ثم ينشق كل خيط الى خيطين ويجتمع نصف الخيوط عند الطرف الواحد والنصف الآخر عند الطرف الثاني كما ترى في الشكل الثالث وحينئذٍ تستعد الحويصلة لكي تنقسم من وسطها الى نصفين ويصير كل نصف من نصفيها حويصلة قائمة برأسها

ومما عُلم بالاستقراء ان عدد الخيوط في كل حويصلة هو واحد في النوع الواحد من الحيوان او النبات ويبقى كذلك من لدن الولادة الى الممات فقد يكون ٨ او ١٢ او ٢٠ او ٤٠ ولكنهُ لا يتغير في النوع الواحد ولا يستثنى من ذلك الاَّ حويصلات التوليد اي التي يتولد منها الجنين فان عدد خيوطها يكون نصف عدد الخيوط في الحويصلات العادية وتكون خيوطها في شكل حلقات او أُطر او اشكال عقفاء ومتى تمَّ التلقيح تتحد خيوط حويصلة الذكر بخيوط حويصلة الانثى فيصير عدد الخيوط في الحويصلة المؤلفة منهما مثل عدد الخيوط في غيرها من الحويصلات . لنفرض ان عدد الخيوط في حويصلات حيوان من الحيوانات ٢٠ فعدد الخيوط

في حويصلة يضبو ١٠ فقط وعدد الخيوط في حويصلة ما تلقح بو ١٠ ايضاً ومجموعها ٢٠ ولو كان عدد الخيوط في البيضة ٢٠ وفي ما تلقح بو ٢٠ ايضاً لصار عدد الخيوط في الحويصلة المؤلفة منهما ٤٠ ودعت الحال ان يتضاعف عدد الحويصلات في كل عقب من الاعقاب

والاكتشاف الجديد الذي اشرنا اليو في صدر هذه المقالة هو ان حويصلات السرطان مثل حويصلات التوليد من هذا القبيل فيها نصف عدد الخيوط العادية فتمو بسرعة نمو حويصلات البيضة الملقحة وتتغلب على ما حولها من انسجة الجسم ٠ والذي اكتشف ذلك اولاً عالم نباتي من اساتذة مدرسة العلوم الملكية ببلاد الانكليز وهو الاستاذ فارمر ٠ ويظهر من هذا الاكتشاف ان حويصلات التوليد التي حقها ان تكون في اعضاء التوليد فقط توجد احياناً في بعض انسجة الجسم فتجعل توالد الحويصلات بسرعة فائقة ومن ثم تتكوّن منها الناميات السرطانية

ومعلوم ان هذا الاكتشاف لا يوضح سبب السرطان ولا يدل على كيفية معالجتو ولا على طرق الوقاية منهُ ولكنهُ يشير الى وجود مركب كيماوي في الجسم يهيج الحويصلات و يغير منهاجها الطبيعي ويجعلها من نوع حويصلات التوليد فاذا كان الامر كذلك فلا يبعد ان يكتشف مركب كيماوي آخر يقاوم المركب الاول ويبطل فعلهُ

هذا هو الاكتشاف المهم ويتلوهُ في الاهمية اكتشاف آخر عُلِم منذ عهد قريب وهو ان السرطان غير خاص بنوع الانسان بل يشمل كثيراً من انواع الحيوان فيصيب الخيل والبقر والكلاب والقطاط ٠ وقد علم حديثاً انهُ يصيب السمك ايضاً ٠ وهذا يدل على انهُ ليس ناتجاً عن نوع مخصوص من المعيشة لان الانسان والسمك لا يشتركان في شيء من احوال معيشتهما فلا هو ناتج عن اكل لحم البقر كما يقول المقتصرون على اكل الاطعمة النباتية ولا هو ناتج عن اكل الطماطم كما ادعى بعضهم ولا عن لبس المشد كما قال غيرهُ او عن تدخين التبغ او عن التطعيم بطعوم الجدري كما قال كثيرون فان السمك لا يأكل لحم البقر ولا الطماطم ولا يلبس المشد ولا يدخن التبغ ولا يتطعم بطعوم الجدري

والظاهر ان قتلى السرطان اكثر عدداً مما يظن لاول وهلة فقد حسب بعضهم انهُ يموت بو نحو ثمانية في المئة من النساء اللواتي يمتن فوق سن الخامسة والاربعين ونحو خمسة في المئة من الرجال الذين يموتون فوق هذا السن ٠ وحتى الآن لا يعلم لهُ دواء غير سكين الجراح وهذه لا تفيد الاَّ نادراً ولكن اذا كُشف سبب الداء صار الوصول الى معرفة الدواء اقرب منالاً ٠ وهذا الذي نرجوهُ في المستقبل القريب

———

رأي سبنسر في التعليم

عثرت في احد اجزاء مجلة التعليم الاميركية (اديوكاشنل رفيو) على مقالة للاستاذ وليم هرس رئيس دائرة التعليم في الولايات المتحدة ردَّ فيها على ما ارتآهُ الفيلسوف هربرت سبنسر من جهة التعليم في كتابهِ الشهير (اديوكاشن) فرأيت ان أُلخصها ليقف قراء المقتطف على آراء بعض ارباب التعليم العام في البلدان الغربية

من اعظم الامور في فلسفة التعليم امر تنسيق الدروس وتنظيمها بحيث يتلو بعضها بعضاً وتناسب الطلبة في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية. وقد عظمت معارف البشر وتعددت مباحث العلم وتنوعت وجوهه حتى صار يتعذر على الفرد ان يحيط بكل معارف السلف وجل ما يستطيعهُ ان يتناول نتفاً من هنا وهناك او يتفرغ الى الاستقصاء والتعمق في فرع واحد

وقد اضاف هربرت سبنسر الى آداب التعليم كتاباً عرَّض فيهِ بنسق الدروس المتبع في مدارس بلادهِ وعرض رأيهُ في وضع نواميس لنسق افضل وتابع في هذا روسُّو فأشار بالرجوع الى الطبيعة وعنى بذلك درس العلوم الطبيعية وقال ان هذا خير ما يتوخاهُ كل طالب. وافضل العلوم الطبيعية عندهُ علم العمران (السيولوجيا) وعلم الحياة (البيولوجيا).

ولا ريب ان قولاً كهذا لفيلسوف كهربرت سبنسر ينجذب اليهِ الناس ويرون صدقهُ بما يتجلى لديهم من الاكتشافات العلمية وما يسمعونهُ في كل يوم عن الاختراعات المفيدة في الطبيعة واستخدامها لمنفعة الانسان وتحويل قواها الى خدمتهِ وتسهيل اعمالهِ. على ان الباحث في فلسفة التعليم المنصف في استنتاجاتهِ المدقق في احكامهِ يعترض على رأي سبنسر لانهُ يرى ان كتابهُ لم يتمشَّ على طريقة علمية في تناول التعليم فان الطريقة العلمية تقضي على الباحث في اي شيء كان ان ينظر في اصلهِ وفصلهِ وكيفية نشأتهِ وارتقائهِ والاسباب الباعثة على ذلك

باي تعليم يشير سبنسر؟ التعليم الذي يشير بهِ سبنسر هو التعليم الذي تستكمل فيهِ المعيشة فكل ولد يدخل المدرسة ينبغي ان يتعلم صناعة استكمال المعيشة وذلك بان يتدرب على الاعتناء بجسدهِ ويتبع عملاً ما في باب المأكل او الملبس او المأوى — وعلى هذا فلا يكون التعليم الاول عندهُ ما يتعلق بحياة الانسان الروحية وما يعدهُ لفهم الكون حسبما توصلت اليهِ المدنية الحاضرة بل ما يرمي الى حفظ الذات مباشرة. على اننا لو عرَّفنا المعيشة المستكملة بقولنا هي إعداد كل فرد حتى يشارك امتهُ في حياتها واختباراتها و يعمل على ترقيتها لرأينا ان هذا يستلزم اعتبار المدنيات السالفة والاطلاع على مباديها التي كانت اساساً أُقيمت عليهِ

مدنيتنا الحاضرة . ولا مشاحة ان حفظ الذات لا يقتصر على مجرد تجهيز الجسد بحاجاتهِ بل يتناول معرفة السلوك الواجب والوقوف على العوائد والازياء وآراء الناس في الحياة والعلم الى غير ذلك من الوسائل التي تمكن الانسان من ان يساكن من حولهُ بدون تخاصم وتباغض . هذه هي المعرفة التي تقود الى حفظ الذات . والفرد الذي لا يتحد مع من حولهُ اتحاداً يحملهُ على ان يشتغل معهم في مصلحة عامة ويظاهرهم فيها بحيث يكون مجمل اعمالهم في خطة الترقي بل يتصرف تصرُّفاً يأول الى التعطيل والتخريب فمثل هذا يضطرهم الى ان يعارضوهُ ويدوسوهُ تحت ارجلهم . وهنا ينجلي فضل الآداب والدين على الهيئة البشرية ولا جرم فان الغاية منها تعليم المرء كيفية المعيشة مع الناس بتجنب الضار وعمل النافع وعليهِ فهي اهم الوسائل لحفظ الذات

على ان سبنسر يرتإي ان من اول مصالح الولد ان يتعلم الفسيولوجيا ثم يحترف حرفة يضمن بها وسائل التعيش ثم يتدرَّب في حقوق المدنية وآخر الكل يشير بدرس علم الادب والفنون وغير ذلك مما يرد في باب التسلي والتلهي — وهذه يتناولها الانسان في اوقات الفراغ بعد ان يتقدم في العمر

من اقوال ارسطو — الانسان حيوان رامز يعني بهِ انهُ يعبر عن طبيعتهِ بالتشابيه والاستعارات والكنايات وهكذا يفعل الشعراء المجيدون يتخيلون الصورة الكمالية ويحسنون وضعها باستعاراتهم وكناياتهم ويقوم الكتبة ويرسمون افكارهم على صفحات الكتب فتتناقل هذه ايدي القراء وتتناول افكارهم افكار اولئك الكتبة ويلتقي القارئ بالكاتب فيتعارفان ويتبادلان الافكار ويفترقان اما على تفاهم واتفاق واما على تضارب واختلاف . وعلى هذا فيكون علم الادب من اهم فروع التعليم الذي يقصد بهِ انارة عقل الولد بالاطلاع على وجوه الطبيعة البشرية وفهم مقاصد بني جنسهِ واميالهم وبدون هذه الانارة يصعب عليهِ التآلف مع غيرهِ فيصبح مبغضاً للهيئة البشرية يرى يد كل واحد عليهِ وبالنتيجة يدهُ على كل واحد

قال افلاطون في بعض مطارحاتهِ يجلس المرء في مرسح الحياة ويشاهد خيالات الناس والحوادث ترتسم امامهُ على الستار ومن خلفهِ المدير الاعظم لهذه الخيالات التي ليست سوى حركات عامة في الكون او نظامات تتجلى في اربعة اشياء هي العائلة والمدينة والبلاد والديانة . وفي طي هذه تصبح الحوادث الافرادية مجرد اظلال يعللها المرء باختباراتهِ ويعلقها على حقائق كبرى تاريخية

وما المدرسة الأ درجة متوسطة بين العائلة ونظامات المجتمع الانساني وتأثير هذه غير تأثير المدرسة ولها وسائط للتعليم مختصة بها لا توجد في المدرسة لا بل هي فوق المدرسة . ففي العائلة يتعلم الطفل لسان امهِ ثم يتدرج في معرفة كيفية الاعتناء بنفسهِ واشيائهِ من حيث النظافة

والترتيب ويتدرب على اكتساب السلوك الذي يعدهُ للهيئة البشرية والعوائد التي تقوى فيهِ بالممارسة حتى تصبح من مبادئهِ واخلاقهِ — كل هذا يتلقاهُ في العائلة التي يشب فيها ويتلقى معهُ ايضاً التعاليم الدينية والوصايا الادبية التي تكون من اهم المقدمات لتلك العوائد والاخلاق

اما الهيئة المدنية فتتناول تدريب الحدث على الاحاطة بحرفتهِ ومعرفة خصائصها وتريهِ بالاختبار المرّ احياناً ان تحصيل رزقهِ انما يكون بان يجهز لبني جنسهِ شيئاً ينتفعون بهِ . وعليهِ فمعرفة آداب السلوك وكيفية تصرف الانسان نحو المشتغلين معهُ او نحو الذين هم فوقهُ او دونهُ كل هذا ضروري لهُ كمعرفة طرق الاحتراف نفسهِ . هذا زيد من الشباب الاذكياء الماهرين في صنعتهِ لكنهُ قاصر في معرفة السلوك الواجب نحو الناس فهو خشن الطباع يجاوب بحدة ولا يراعي حاسات غيرهِ فترى الناس يتجنبون التعاطي معهُ بقدر الامكان . فالمهارة في الصنعة لا تؤدي الى قمة النجاح ان لم يصاحبها الحزم في الامور والاستقامة في السيرة واللطف والمعاشرة ولين الجانب في تعاطي الاعمال

وللامة تعليم خاص ايضاً فهي تعلم الفرد واجبات المدنية وتهذبهُ بمجمل اعمالها ومشروعاتها وتؤثر عليهِ بالمنزلة التي تشغلها في العالم . وكما ان تقدم العلوم الطبيعية والفنون المفيدة يحمل الفرد على الرغبة في تحصيلها والدأب في اتقانها هكذا شعور الفرد بأنهُ ينتمي الى شعب عظيم وامة مفلحة يقودهُ الى السعي وتطلب الرفعة

وكذلك الديانة فانها تعلن مقاصد الله في الخليقة وترفع الصورة الكمالية لدى الناس ليسعوا نحوها ويقيسوا اعمالهم بما تريهم عليها واذ ذاك فتعليمها اشد انواع التعليم تأثيراً وافعلها في النفس . ألا ترى ان من يتشبث بمعتقدٍ ما يتصرَّف حسبهُ ويكيف افكارهُ واعمالهُ عليهِ . وهذه الاوجه الاربعة من التعليم لا توجد في دائرة المدرسة مباشرة ولا يكتسبها المرء الاَّ في دوائرها الخاصة فكم تلميذ قرأ فحفظ ثم خرج الى العالم ظاناً ان ما في رأسهِ من المحفوظات كافٍ لانجاحهِ وتسييرهِ في خطة العظماء فكان اول شيء خبرهُ ان العالم لا يفتقر اليهِ كما كان يزعم وان مصالح الناس قائمة بدونهِ وان سبيل النجاح ليس بالسهل المنبسط كما كان يتوهمهُ وهو في المدرسة وان الافلاح لا يقوم بمجرد المحفوظ والمقول بل بقدرة الفاعل على إحكام المفعول وهذه لا تأتى الاَّ بطول المزاولة والاختبار واحتكاك المصالح بالمصالح والافكار بالافكار

والمدرسة على ضيق مجالها لا تقصر عن ان تنشئ في الولد عادة الاعتماد على النفس وتقويها فيهِ بنظامها وقوانينها ومطاليبها وتدربهُ على استخدام وقتهِ وتكييف سلوكهِ بحيث يشترك في اعمالها وينتفع بتهذيبها وتفهمهُ باجلى وضوح ان العلم والمعارف والتقدم لا تدرك الاَّ بسعيهِ الخاص ودأبهِ الدائم

اما قول سبنسر ان التعليم هو الموضوع الذي تنطوي فيهِ المواضيع وينتهي اليهِ كل موضوع فقد عنى بهِ التعليم المدرسي وهذا مردود عليهِ كما مرَّ آنفاً فان تعليم المدرسة لا يتضمن كل تعليم وجل ما تفعلهُ المدرسة هو ان تهيئ قوى التلميذ العقلية وتعد لهُ منها ادوات يبحث بها عن حكمة الامة ليتفهمها وان امكن يزيد عليها. والتلميذ الذي يرى في المدرسة نهاية دروسهِ وخاتمة علومهِ وفي الدبلوما ثمرة سعيهِ وابحاثهِ فهو بعيد عن جادة التلمذة متسكع في شعاب الدروس لا يدري اولها من آخرها ومثل هذا يتبرأ العلم الشريف منهُ وترتجف المدرسة لوجودهِ فيها

ثم ان لتعليم المدرسة ثلاثة ادوار — الدور الابتدائي والدور الثانوي والدور الاخير. وكأن النفس توجد في برج مظلم لا ينفذهُ الاَّ نور العلم وحينما تمر في الدور الاول من التعليم تنفتح لها طاقات شتى فتهب من سباتها وتطل من تلك الطاقات الى الخارج ثم تمر في الدور الثاني فتنفتح لها طاقات اكبر واعلى ويمتد بصرها في الوجود حتى تدخل في الدور الثالث فتنفتح لها ايضاً الطاقات العليا فتطل منها على الاكوان وما يتجلَّى من مظاهرها الطبيعية

وفي المدرسة الابتدائية يتعلم الولد القراءة والكتابة ويزيد على محفوظاتهِ اصطلاحات حسابية وجغرافية وعلمية لان ما تعلمهُ قبل دخول المدرسة ينحصر بين ثلاثمائة وثلاثة آلاف كلمة هي على الغالب اسماء ذوات ومعان وافعال بسيطة تختص بالاعمال اليومية والمشاهدات العامة لا تناسب للتعبير عن الحقائق العالية ولا تكفي في الانشاء والوصف الدقيق. ففي الحساب يتعلم الاعداد وبعض خصائصها ثم يأخذ الجغرافيا فيتعلم فيها عن تغيرات وجه الارض والعوامل فيها وتوالي الفصول وتفرق النبات والحيوان ويقف على شيء من نسبة الارض الى غيرها من اجرام هذا الفضاء ويقرأ عن حاصلات الاقاليم المختلفة وكيفية تبادل هذه الحاصلات في متاجر العالم بحيث تنتقل من مصادرها الى كل جهة فيتمثل بذلك ارتباط الهيئة البشرية بعضها ببعض على شدة الاختلاف في الاقاليم والمدنيات ويرى سعي الانسان في تقريب المسافات وقطع الابعاد

وفي درس الصرف والنحو يلاحظ كيفية اشتقاقات الكلمات بعضها من بعض وطريقة تركيبها بحيث تظهر العلاقة المنطقية بين اقسام المركَّبات ويتدرَّب على التمييز بين الاسماء والافعال والنعوت والظروف والضمائر وغيرها من اقسام الكلام فترتقي فيهِ قوة النظر الداخلي ويحرز المقدرة على التمييز بين ما يقال وبين الكيفية التي يقال فيها وينتهي الى ادراك القواعد التي تربط الكلام بعضهُ ببعض. ثم يدرس التاريخ مستودع اخبار الغابرين ومستعلن اعمالهم واميالهم وفيهِ يستكشف مطامع الناس فيلقى منها ما ينطبق على مطامعهِ وما يختلف عنها

ويتتبع الحوادث فيرى في مجموعها سير الافراد في مطامعهم للفوز او للفشل حتى تتلاشى الفردية وتحيى القومية . كل ذلك مع ما يتعلمهُ في كتب الادب من الالفاظ المتفرقة والمعاني الجديدة يصبح في حرزه من مفتكراته ومعبراته

ولا مراء في ان الكتبة المجيدين رأَوا في الطبيعة غير ما رآهُ غيرهم وقيدوا ما رأَوهُ بالفاظ هي درر في الانشاء ومعان هي آيات في البلاغة فاذا تسنى للتلميذ المتنبه عقلهُ الى تحصيل المعرفة ان يتناول مثل هذه الكتب ويقف على ما فيها تنفتح بصيرتهُ الى اشياء جديدة فيرى في الطبيعة ما لم يرهُ من قبل ويتخيل تخيلات لم تجر في مخيلته قط . فالادب اذًا يرفع النفس الى طاقة تطل منها على الطبيعة البشرية ويكشف لها عن الاميال التي تلعب باعمال الناس ويريها ان هذه الاعمال تبتدئ اولاً بالشعور البسيط ومنهُ تنتقل الى الافكار والتصورات ثم الى الحركة والاجراء . كل هذا مما تتضمنهُ آداب اللغة وتطويه صدور الكتب الشعرية والنثرية ومع ذلك فالمستر سبنسر يضع درس الآداب مؤَخرًا عن كل درس ويدخلهُ (ان كان ثمَّ فراغ لهُ) بعد العلوم والاحتراف ومعرفة الاعتناء بالجسد . ولا غروَ فهو لا يرى من هذه الطاقة سوى التسلي والتلهي بخلاف الفيلسوف التهذيبي الذي يرى في علم الادب والفنون ذريعة كبرى في التربية . وعليه فالجرائد والمجلات والكتب والمنشآت على اختلاف صبغاتها ومناحيها تمثّل لنا صور الحياة البشرية وتظهر اوجه المدنية وتعمل معًا في تكوين الرأي العام الذي يتغلب في عصر الحرية هذا . وحيث لا يتغلب الرأي العام ولا تجري مباحثات حرة على مقاصد الناس الذين حوالينا وعلى نتائج اعمالهم تنشأُ المظالم في ظلال الاستبداد المطلق

والباحث في نسق الدروس في المدارس الابتدائية يتعجب من الاتفاق الحاصل في اختيار فروع التدريس ولا غروَ فان ذلك نتيجة اشتغال طويل واختبارات شتى ثبتت معها العمدة وسقطت الفضلة وعلى هذا نجد كل مدرسة تعلّم الحساب والجغرافية ومنتخبات للقراءة والنحو وتاريخ البلاد . وكلما نظرنا في هذه الفروع الخمسة رأَينا انها تتناول مدركات الولد وكلاًّ منها لهُ موقع لا يقوم به الآخر . وعلى هذا النمط يتمشى نسق التدريس في المدارس الثانوية من الحساب الى الجبر والهندسة والفلسفة الطبيعية . ويحل محل الجغرافية علما النبات والحيوان وغيرهما من العلوم الطبيعية ويمتد علم الادب الى تاريخ آداب اللغة ويتناول اللاتينية واليونانية اللغتين اللتين لهما التأثير الاعظم على التمدن الحاضر . ويبدل تاريخ البلاد بتاريخ العالم وبالاخص تاريخ اليونان والرومان

وهنا نجيء الى النقطة المهمة في ما اعترض به سبنسر عند تفضيله اوجه التعليم وهي طعنة

في درس آداب اللغة وبالاخص درس اليونانية واللاتينية في المدارس الابتدائية والثانوية.
واول ما نذكرهُ على سبيل الرد هو ان في اللاتينية واليونانية مجالاً واسعاً لدرس اصول المدنية الحاضرة فضلاً عن ان آداب اليونانية وفنونها الجميلة وفلسفتها ومبادىء العلوم فيها كلها تُظهِر ما يمكن للعقل البشري ان يتصل اليهِ اذا أُطلقت لهُ الحرية. وهذه تآليف افلاطون وهوميروس وهيرودوتس وارسطو ترسم للقارىء اجل صورة عن مبادىء اليونان ورتبتهم في المدنية. ومثل ذلك يقال عن كتابات ليفي وهوراس وفرجيل وشيشرون ففيها نرى ما توصلت اليهِ رومية في خلال الف سنة من درس الاحكام وتجربتها وسن الشرائع التي تمكن الفرد من ان ينظم شؤُون الافراد ويرفعهم الى وحدانية القومية او الدولة. وعليهِ فدرس اليونانية واللاتينية في الدور الاول والثاني من ادوار التعليم في كل البلدان المتمدنة يعتبر كدرس اصول التمدن الحالي. وهربرت سبنسر نفسهُ اذا اراد درس طبائع الضفدع مثلاً فانهُ يفحص عنها من البيضة والعومة الى الضفدعة الكاملة. وكذلك اذا اراد البحث عن السلحفاة والفراشة. وكان الواجب عليهِ ان يرى انهُ اذا كان في التعليم المدرسي ما يوقف الانسان على مدنيتهِ معنويًا ويشعرهُ بنمو تلك المدنية من عصر الى عصر فذلك التعليم ينبغي ان يشتمل على درس اصول المدنية التي هو فيها. وبهذا الاعتبار نرى السبب في تنسيق الدروس على النمط الحالي ونقول ان الحرب التي اثارها عليهِ سبنسر لا تجدي لانهُ لما لم يعرف السبب الذي قاد مديري التربية الى اعتياد هذا المساق ظن انهُ ليس لهُ اساس راهن واذ ذاك فنقضهُ اولى. هذا وفي الدور الاخير من ادوار التعليم يتعمق الطالب في الفرع الذي يختارهُ ويستقصي في ابحاثهِ بحيث يقف على كل ما ينطوي تحت ذلك الفرع من معارف الغابرين والحاضرين ويزيد عليهِ ان امكن

والخلاصة ان التعليم في الدور الاول من طبيعتهِ ان يكون سطحيًا لان القصد منهُ درس الحقائق. اما في الدور الثاني فيجري التدقيق في كيفية التفكير وايجاد المبادىء التي تأسست عليها الحقائق السابقة وهذا نوع من الاكتساب العلمي الذي لا بد للطالب من الاحاطة بهِ قبل التقدم الى الدور الاخير الذي تدرك فيهِ الوحدة في المعارك البشرية وتجري المقابلة بين فرع وآخر وتمييز الاهم من المهم. هذه هي مرامي ادوار التعليم الثلاثة وواضح ان مديري التعليم لم يقرروها عن بحث فلسفي في انسبيتها بل تلقفوها خلفًا عن سلف. وكان حريًّا بالمستر سبنسر كفيلسوف ان يستقصي هو في معرفة القصد من وضعها ويرجع منهُ الى اصلهِ كما يفعل لو كان يدرس طبائع النحل او النمل ولعلهُ فرض ان اللاتينية واليونانية كانتا مفيدتين لمَّا

كانتا لغة اهل العلم اما وقد تحولنا عن ذلك فلا يعلل وجودهما في نسق الدروس الاَّ بالرغبة في المحافظة على القديم . وختام الكلام ان موضوع بحث سبنسر في " ما هو افضل شيء تتعلمهُ " اذا خضنا فيهِ نتوصل الى نتيجة مختلفة جدًّا عما توصل اليهِ هو على اننا نسلم ان المسألة لا تزال في حيز البحث والحاجة الى كثرة التنقيب والتروي . انتهى

المدرسة الكلية ببيروت　　　　بولس الخولي

التنويم في معالجة الآلام العصبية

من خطبة للدكتور داموجلو القاها في الجمعية الطبية المصرية في جلستها المعقودة في ٦ فبراير

سادتي اجتنابًا للتطويل في تفسير جميع ما اختبرتهُ اكتفي بان اعرض على مسامعكم الحوادث الاربع التالية

﴿ الحادثة الاولى ﴾ حضر الى محل عيادتي في ١٥ دسمبر الماضي ن ... س ... ولهُ من العمر ٢٤ سنة وهو قاطن في شبين الكوم . واخبرني انهُ مصاب منذ شهرين بألم شديد في اعصاب صدغهِ الايمن وقال لي ان المهُ يشبهُ ضرب المطرقة وكان بسببهِ لا يستريح لا ليلاً ولا نهارًا وانهُ استعمل علاجات مختلفة ولكن بدون جدوى وطلب ان اعالجهُ بواسطة التنويم المغنطيسي ولكن قبل ان اباشر شيئًا رأيت ان ارسلهُ الى طبيب الاسنان لاني اردت ان اتحقق انهُ ليس مصابًا باحد امراض الاسنان العصبية واذ ثبت لدى الفحص الطبي ان ليس فيهِ شيء من ذلك نومتهُ التنويم المغنطيسي وما شخصت اليهِ بضع دقائق حتى وقع في ثبات عميق . وبعد نصف ساعة افاق واخبرني ان آلامهُ سكنت ثم نام في الليل بكل راحة وهدو . وفي اليوم التالي أعدت تنويمهُ وتركتهُ نائمًا ساعة من الزمان وعندما افاق قال لي انهُ قد ذهبت جميع آلامهِ واراد الرجوع الى بلدهِ فاردت ان اتحقق شفاءهُ النهائي وكلفتهُ ان يرجع اليَّ بعد اسبوع . فوعدني بذلك ولكن لم يفِ بوعدهِ ومضى على غيابهِ شهران لم اسمع عنهُ شيئًا ثم حضر اخوهُ ودفع اليَّ خطابًا منهُ قال فيهِ بعد التشكرات الكثيرة انهُ شفي تمام الشفاء من آلامهِ الصدغية

﴿ الحادثة الثانية ﴾ كانت قرينة احد ضباط الجيش المصري وعمرها ٤٥ سنة تشكو منذ ستة اشهر من آلام عصبية (عرق النسا) في مفصل الركبة اليمنى وخصوصًا في كعب الرجل وكان الضغط على طول مسافة العصب يحدث لها آلامًا شديدة جدًّا ولاسيما عند جلوسها او

اضطجاعها على السرير . وقد وصف لها الاطباء وغيرهم علاجات ما رأت منها اقل فائدة مدة الستة الاشهر المذكورة فارادت ان تجرب التنويم المغنطيسي فبدأت اعالجها في ١٨ يوليو سنة ١٩٠٣ . ولم تمضِ دقيقة حتى نامت نوماً عميقاً ولما افاقت رأت تحسناً يذكر في حالتها . وكانت العيادات اولاً كل يوم ثم كل يومين وبعد كل عيادة وتنويم كان التحسن يزداد شيئاً فشيئاً وبعد ١٣ يوماً شفيت شفاء تاماً ولم يبقَ اثر لدائها ويمكنني ان اقول بكل تأكيد ان الشفاء مستمر ونهائي كما علمت من زوجها اليوزباشي عبدالله سعيد افندي في ٢٧ دسمبر سنة ١٩٠٣ و ٣ فبراير سنة ١٩٠٤

﴿ الحادثة الثالثة ﴾ كانت اميرة من العائلة الخديوية تشكو منذ اربعة اشهر آلاماً عصبية رومانزمية مركزها في الكتف اليمنى وممتدة الى الساعد ومرفق اليد . وكانت الآلام شديدة جداً حتى ان الاميرة ما كانت تحتمل ادنى رباط ولا لمس ملابسها وكان من المستحيل ان تبدي اقل حراك في ساعدها او في يدها وقد قاومت هذه الآلام جميع العلاجات التي استعملت لها فاشار حينئذٍ حضرة زميلي الدكتور نجم الدين بك طبيب العائلة باستعمال التنويم المغنطيسي وفي ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٠٣ نوَّمتها اول مرة بحضوره فنامت نوماً خفيفاً وعند ما افاقت شعرت بتحسن في حالتها وقالت ان آلامها قلَّت شيئاً يذكر . وقد استغرق التنويم نصف ساعة فقط . ثم بعد ثلث ساعات طلب طبيب العائلة تليفونياً فرآها تحرك ساعدها الى كل جهة بدون ألم او تعب وفي الليل نامت مستريحة . ولم تشعر بشيء في اليوم التالي حتى الظهر ولكن من الظهر الى الساعة الواحدة بعده رجعت الآلام ولم تكن شديدة وجعلت اوالي تنويمها يومياً بانتظام وكان التحسن يظهر يوماً بعد يوم تخفت الآلام شيئاً فشيئاً الى ٥ دسمبر حين نومتها آخر مرة وهي العاشرة . وفي تلك المرة نامت نوماً عميقاً مدة ساعة ولما افاقت قالت ان الآلام زالت كلية

﴿ الحادثة الرابعة ﴾ لحضرة رصيفي الدكتور اوفاديا خالة لها من العمر ٥٢ سنة عصبية المزاج كانت منذ ثلث سنوات تشكو الماً عصبياً في مفصل كتفها اليسرى ممتداً الى الساعد الامامي مع نوبات عصبية مؤلمة الى الغاية تدوم خمس دقائق او سبع وتتردد كل نصف ساعة وفي حالة النوبة كانت الاصابع تنكمش جميعها بشدة فتترك المريضة كل ما في يدها . واستمرت هذه الحالة بدون ادنى تحسن رغماً عن الوسائط والعلاجات التي استعملت لها الى ان حضرت الى محل عيادتي في ١٥ يناير سنة ١٩٠٤ وطلبت مني ان اعالجها بالتنويم المغنطيسي على سبيل التجربة . وقبل الابتداء في العمل شاهدت نوبة من نوباتها المؤلمة المريعة . وبعد النوبة عملت

لها عملية التنويم فنامت نوماً قليلاً فعند ذلك كنت احرك المفصل المصاب والساعد والاصابع وآمر بزوال الآلام والنوبات ٠

وعند ما افاقت من النوم لم يحدث ادنى تغير في حالتها ولا في مدة الاربع والعشرين ساعة بعد اول عيادة ٠ وفي اليوم التالي استراحت قليلاً بعد ثاني تنويم ونامت في الليل بدون ان تشعر بالم وفي الصباح لبست ملابسها بدون مساعدة احد ولم يكن ذلك ممكناً لها من قبل ٠ وحتى الساعة الخامسة مساء لم تشعر الا بثلاث نوبات لم تستمر سوى بضع ثوانٍ ٠ ونوّمتها مرتين اخريين في ٧ و ٨ يناير ولم يحدث تغير فيها ٠ اما في الثلاثة الايام التالية فلم تشعر بادنى الم لكن كانت النوبات تأتي خفيفة وسريعة الزوال ٠ ونوّمتها ايضاً في ١٥ يناير . وفي ١٦ منهُ اصيبت بالنزلة الوافدة فاضطرت الى ترك العلاج عشرة ايام ٠ ومع ذلك لم ترجع الآلام ولا النوبات لكن كانت تشعر في اناملها بمثل رعشة او ارتجاف كالذي يحدثهُ المجرى الكهربائي الضعيف وذلك ثلث مرات في اليوم او اربع

وفي ٢٥ يناير نومتها سابع مرة ٠ ولم ارَها بعد ذلك الأ في هذا اليوم اذ اتت لعيادة اخرى واخبرتني انهُ منذ ذلك الوقت لم تشعر بالآلام ولم تحصل لها نوبات وان الارتجاف خف كثيرًا ويكاد لا يظهر

علاقة كوريا باليابان

كتب المستر جوزف لنجفرد الذي كان قنصلاً لبريطانيا في ناكاساكي احدى مدن اليابان الحديثة مقالة مسهبة في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية قبل نشوب الحرب بيّن فيها ان الحرب واقعة حتماً وفصّل اسبابها تفصيلاً فرأينا ان نترجم مقالتهُ لانها توضح اسباب الخلاف بين روسيا واليابان ونضيف اليها خريطة كوريا لزيادة الايضاح قال

اذا صممت دولة عظيمة شديدة البأس على ان تضم الى املاكها بلاد دولة اخرى ضعيفة عاجزة وهي تحسب ان ذلك ضروري لها ولازم لسلامتها ولتقدّم مصالحها في المستقبل. واذا كان هنالك دولة ثالثة عزيزة الجانب شديدة البأس وتحققت ان هذا الضم يهدد كيانها فأقرّت على احد امرين اما ان تبقى الدولة الضعيفة العاجزة مستقلة او ان لا يستولي عليها احد غيرها٠ واذا كانت الدولة الاولى قد سكرت بخمرة النجاح المستمر في توسيع املاكها اما بالتفنن في السياسة او بقوة السلاح وهي واثقة تمام الثقة بقوتها الحربية ٠ وكانت الدولة الثالثة واثقة

ايضاً بقوّتها تدفعها الى العمل نفسها الابية وغيرتها الوطنية وشجاعة ابنائها واتحادهم التام بعد ان مرَّ عليهم الفا سنة والدهر حليف لهم — اذا كانت الحال كما ذكرنا فالمشكلة اعقد من ذنب الضب لا مخرج منها ولا مناص الاَّ بالحرب

رأت روسيا ان شواطئ كوريا لا بدَّ منها لتتميم تخومها الاسيوية البحرية . فان مرافئها التي على السواحل الشرقية من سيبيريا تمتلئ بالجليد مدة الشتاء فلا تبقى منها فائدة . وشواطئ منشوريا خالية من المرافئ الصالحة ومرفأ بورت ارثر قليل العمق ضيق النطاق فلا يصلح لان يرسو فيهِ اسطول حربي ولا بارجة من البوارج الكبيرة . اما كوريا ففيها مرافئ كثيرة تفي بكل الحاجات التجارية والحربية اكبرها مرفأ ماسنبو على الطرف الجنوبي من كوريا مواجهاً لمضيق شيمونسكي وعلى ستين ميلاً من جزيرة تسوشيمه اليابانية . وهذا المرفأ عميق واسع الاطراف اذا انفق على تحصينهِ قليل من المال اصبح عزيزًا منيعاً . وهو خالٍ من الجليد على مدار السنة ويبعد اقل من ٩٠٠ ميل عن لياوبانغ احدى محطات سكة الحديد الروسية وبينهُ وبينها سكة حديدية تمَّ بعضها . والدولة التي تستولي عليهِ اذا كانت من الدول البحرية صارت صاحبة الحول والطول في مياه الصين فتجعلهُ قاعدة حصينة لاعمالها البحرية وتخرج منهُ متى شاءت فتنقضُّ على من تشاء من الدول الشرقية الصين او اليابان او المستعمرات الانكليزية فتضربها ثم تنسلُّ الى حصنها الحصين . واذا كان هذا المرفأ في يد دولة فاتحة كروسيا كان منهُ خطر عظيم على اليابان يتهدَّد سلامتها في كل حين

ثم اذا كان مرفأ ماسانبو مفتاح كوريا وكانت كوريا مفتاح اسيا فلا عجب اذا شدَّت اليابان حقويها ونشطت للدفاع عنها وصممت ان لا تدع يداً تمتد اليها غير يدها وان تكون هذه الغاية مطمح انظارها وغاية ما ترمي اليهِ سياستها الخارجية . وقد وضعت هذا الغرض نصب عينيها وقرَّ رأيها على ان تجري وراءهُ مهما كلفها ومهما ضحَّت في سبيلهِ من المال والرجال ما دام عندها رجل يستطيع حمل السلاح او سفينة حربية تستطيع الدفاع عن مصالحها

والظاهر انهُ يستحيل على احدى الدولتين ان ترجع عمَّا صممت عليهِ . فاذا رجعت روسيا عن مطالبها امام اليابان كان ذلك ضربة قاضية على نفوذها في الشرق الاقصى . فان حدود سيبيريا تتاخم حدود الصين مسافة ثلاثة آلاف ميل ولا يمنع القبائل الصينية والتترية على طول هذا الخط عن تخطي الحدود الفاصلة والاغارة على الاملاك الروسية للسلب والنهب الاَّ اعتقادهم ان الدولة الروسية عزيزة الجانب شديدة البأس لا يصطلى لها بنار . فاذا احست هذه القبائل بضعف روسيا لم يعد يردعها عن الاغارة على املاكها في اسيا رادع فيتعذَّر على روسيا

حينئذٍ حماية تخومها في سيبيريا . واذا رجعت اليابان امام الروس فما هو الاَّ تأجيل اليوم الموعود حين تضطر ان تقتحم لظى الحرب على غير استعداد لها او ترى نفوذها يتلاشى فتهبط من ذروة مجدها ولا تقوم لها قائمة بعد ذلك

وواضح مما تقدم انهُ لا مناص من الحرب بين هاتين الدولتين والمرجح كل الترجيح ان الضربة الاولى تضرب قبل ان تطبع هذه السطور وتنشر على الملاءِ . واذا صح ما انا منبيء به تكون اليابان قد اقتحمت الحرب الرابعة من حروبها الخارجية وكانت كوريا سبب كل حرب منها . فالحرب الاولى نشبت قبل زمن التاريخ وقد جاء عنها في اساطير السلف ان اليابان اغارت على كوريا ففازت بفتحها وخضع لها ملكها وآلى على نفسهِ ان تبقى مملكتهُ خاضعة لليابان تؤدي اليها الجزية الى ان تتقهقر انهرها وترجع في جريها الى الوراء . واليابانيون يصدقون هذه الرواية . الاَّ ان الخوارق التي يقال انها حدثت اثناء تلك الحرب كافية للريب في صحة ما يروى عنها . ثم بعد اربعة عشر قرناً اغار اليابانيون على كوريا بقيادة هيديوشي الياباني العظيم . وكان مقتدراً في قيادة الجيوش فارتقى بجدهِ ولم يزل يتقلب في المناصب الرفيعة حتى صار نائب الملك واصبح صاحب الكلمة النافذة في البلاد كلها . وعزم ان يكلل فوزهُ الباهر واعمالهُ الحربية المجيدة التي عملها في بلادهِ بافتتاح كوريا . فاغار عليها بجنودهِ سنة ١٥٩٢ للميلاد . واستمرت الحرب ست سنوات انتشرت في اثنائها جنود اليابان في البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً فدوختها وكان الكوريون غير متدربين على فنون الحرب واساليبها فلم يستطيعوا مناوأة الجنود اليابانية التي كانت مسلحة بالاسلحة النارية . ولم تتغافل الصين حينئذٍ عن نصرة كوريا بل تقدمت لنجدتها لكن ذلك لم يجدِ نفعاً كبيراً فاجلت الحرب عن فوز اليابانيين فوزاً مبيناً . وسنة ١٥٩٨ توفي هيديوشي القائد الياباني فعادت جنودهُ الى بلادها تاركة كوريا خراباً بلقعاً وقد ضربتها ضربة لم تبرأ منها الى الآن

ويظهر من الغنائم التي عادت بها الجنود اليابانية الى بلادها وبعضها لا يزال في هياكل نيكو ان الكوريين كانوا ماهرين في الفنون والصنائع . على ان اليابانيين لم يقتصروا على حمل اسلاب البلاد بل اخذوا منها الصناع ايضاً ففقدت كوريا صنّاعها مع نفائس مصنوعاتها وانحطت انحطاطاً لم تنهض منهُ حتى الآن . وتقتصر صناعتها اليوم على عمل الحصر والورق وآنية النحاس واما فنونها فمفقودة تماماً . وقد بقي تأثير تلك الغزوة في نفوس الكوريين مع ما مرَّ عليهِ من السنين لان اليابانيين فتكوا بهم فتكاً ذريعاً وساموهم الذل فلا يزالون الى اليوم يلقبون اهل اليابان " بالامة الملعونة "

وكانت كوريا منذ اوائل القرن السابع عشر تبعث بالجزية الى اليابان الاَّ انها كانت تعترف بسلطة الصين عليها وتحسبها حامية لها من اعدائها وتطلب مساعدتها في المشاكل الداخلية . وكانت تتشبه بالصين في ديانتها وشرائعها وعوائدها . ولما كانت سنة ١٨٧١ دخلت اليابان في طور جديد من اطوار حياتها فنبذت دفعةً واحدةً كل الاساليب القديمة التي كانت تجري عليها وابدلتها بالاساليب الغربية والتمدن الغربي . وبلغ كوريا ما فعلتهُ اليابان فابطلت تادية الجزية اليها وقامت تعيبها وتندّد بها على نبذها التمدن الصيني وابدالها اياهُ بعوائد الغربيين البرابرة . فلما علم اليابانيون ذلك اخذت منهم الحدّة والانفة كل مأخذ فقاموا وقعدوا وحرّضوا الحكومة على الاغارة على كوريا مرَّة ثالثة . على ان مصلحة اليابان كانت تقضي عليها حينئذٍ بتجنب الحروب واتباع السياسة السلمية لان ثروتها كانت قد نفدت بسبب حروبها وثوراتها الداخلية . ولم تكن حكومتها قد تدرَّبت على اصول السياسة الدولية ولا كانت محبوبة من الشعب كلهِ وكانت قد ابطلت نظامها الحربي القديم ولم تستبدلهُ بغيرهِ ووسائط النقل في البر والبحر كانت غير موجودة فيها . واخيرًا تغلبت السياسة الحكيمة على الطيش فتركت كوريا وشأنها . الاَّ ان الامة اليابانية كلها كانت حانقة على الكوريين ولم ترضَ بالعدول عن الحرب وبلغ الغيظ منها كل مبلغ حتى حدثت من جرائهِ ثورة في القسم الجنوبي من البلاد . وقد كتب احد سفراء الدول في اليابان يصف شدة تأثر اليابانيين وغيرتهم الوطنية فقال انهُ لم يكن يمر في شارع من شوارع العاصمة في ذلك الحين الاَّ ويسمع يابانيًّا ينادي باعلى صوتهِ "كوري ! كوري ! " اي " الى كوريا ! الى كوريا ! " وحولهُ قوم يشاركونهُ في النداء ويرددون صوتهُ

وعلم اليابانيون حينئذٍ ان روسيا تتقدَّم نحو كوريا وانها احتلَّت مكانًا فيها وجعلتهُ قاعدة لاعمالها . وكانت قد احتلت جزيرة تسوشيمه اليابانية سنة ١٨٦١ ورفعت عليها العَلَم الروسي وانشأَت فيها بعض المباني . الاَّ ان سفينة حربية انكليزية اتت الجزيرة واعترضت على احتلالها فخرج المحتلون منها . ولما شاع ان بعض الروس احتلوا المرافئ الكورية أُرسلت دارعة انكليزية لتستقصي الخبر وكان كاتب هذه المقالة حينئذٍ من اعضاء السفارة الانكليزية فأُرسل مع الدارعة وطافت حول الجزائر المحاذية وفتشت في المرافئ الجنوبية فلم ترَ اثرًا للروس . وكانت اليابان قد أَبقت في فوزان المرفإ الجنوبي من كوريا مستعمرة صغيرة من الجنود اليابانية فزارتها هذه الدارعة فوجدت اليابانيين فيها كالاسرى اذا ارادوا الاتجار مع الاهالي يتبادلون الامتعة على حدود المستعمرة التي كانوا فيها ولا يجوز لهم ان يتخطوا حدودها

وحدث تلك السنة (سنة ١٨٧٥) حادث ادَّى الى فتح ابواب كوريا للعالم . وذلك ان

سفينة حربية يابانية كانت سائرة امام قلعة صغيرة فأطلقت القلعة النار عليها فقابلتها السفينة بالقنابل وانزلت فرقة من رجالها فدمَّرت القلعة وعادت بالاسلاب من مدافع ورايات وطبول وعرضتها في معرض توكيو الحربي . وهاج اليابانيون لان كوريا لم تحترم رايتهم فقاموا يحرّضون الحكومة على تأديبها . وكانت اليابان حينئذٍ تختلف كل الاختلاف عما كانت عليهِ سنة ١٨٧١ وقد أحسَّت بقوَّتها واقتدارها فأخذت في التأهب والاستعداد وأنفذت حملةً كبيرة تحت قيادة رجلين من نخبة رجالها وهما قائد عظيم وسياسي اعظم منهُ . ولما وصلت الحملة الى كوريا فُضَّت المشكلة بالسياسة عوضاً عن الحرب وأُمضيت معاهدة بين الدولتين قبلت كوريا بموجبها ان تفتح ميناءين من موانيها لسكنى اليابانيين وتجارتهم . ثم اقتدت سائر الدول باليابان وهكذا انفتحت ابواب كوريا للعالم اجمع

وكانت اليابان وغيرها من الدول في مخابرتها مع كوريا وابرام المعاهدات معها تحسبها دولة مستقلة . على ان كوريا كانت لا تزال تعترف للصين بالسيادة عليها وترجع اليها عند الحاجة وكانت الصين تستعمل سيادتها في شؤون كوريا الداخلية والخارجية ولا سيما في ابقائها على ما هي عليهِ من الجهل والتمسك بالعوائد القديمة

واليابانيون موصوفون بالرقة ولين الجانب الآ ان السعد لم يخدمهم في كوريا فان كثيرين من الذين انتقلوا منهم اليها كانوا من الدرجة السفلى سيئي الاخلاق فاسدي المبادىء فأساؤوا معاملة الكوريين المتصفين باللين والدعة حتى اثاروا بغضهم للامة اليابانية وهيجوا احقادهم القديمة عليها . فلما كانت سنة ١٨٨٢ هاجم السفارة اليابانية جمهور من الرعاع الكوريين فأحرقوها ونجا السفير وبعض الضباط الذين معهُ ووصلوا الى الشاطىء على عشرين ميلاً من العاصمة فوجدوا هناك سفينة حربية انكليزية كانت تطوف حول الشواطىء المجاورة فخلصتهم من الموت الزؤام . ولم يمضِ على هذه الحادثة وقت طويل حتى أُعيد بناء السفارة ومن ثمَّ طلبت اليابان ان تخوَّل الحق بابقاء قوة من عساكرها في عاصمة كوريا كما كانت هي عند اول فتح ابوابها للغربيين تسمح لكلٍّ من انكلترا وفرنسا بابقاء عدد من عساكرها في يوكوهاما لحماية رعاياها فيها لما كانت حكومة اليابان ضعيفة متداعية . واعترفت الصين لليابان بهذا الحق فأبرمت الدولتان معاهدة سنة ١٨٨٥ اتفقتا فيها على ان تضع كل منهما جنوداً في كوريا لحماية مصالحهما على انهُ يجب عليها ان تخبر الدولة الاخرى بذلك قبل ارسال الجنود

ومرَّت تسع سنوات والدولتان في خصام مستمرّ فان معتمدي اليابان في عاصمة كوريا كانوا ضعيفي الرأي قليلي الخبرة واما الصين فكانت ترسل الى كوريا نخبة رجالها الاذكياء الحازمين

وبذلك حفظت لنفسها النفوذ المطلق في سياسة البلاد الداخلية · ولم تنهج الحكومة الكورية في هذه الاثناء منهج التقدم والاصلاح بل بقيت على ما كانت عليهِ من الضعف والفساد قبل فتح ابوابها لسكنى الاجانب . وكانت تندفع الى العمل بحسب المآرب الذاتية فكانت كل وظائف البلاد المهمة في ايدي اعضاء عائلة الملكة وكان هؤلاء متمسكين بالصين راغبين في تنفيذ اوامرها مهما كانت · وادرك اليابانيون ان تقدم كوريا ونجاحها ضروريان لسلامة امتهم فبذلوا كل ما في وسعهم لادخال الاصلاح في ادارة الحكومة وسياستها ولكن ذهبت مساعيهم ادراج الرياح لان الصين كانت تقاوم كل مشروع يراد بهِ ادخال الاصلاح · وكان الشعب الكوري مثقلاً بالضرائب الفاحشة يثور مرةً بعد اخرى مما يرهقهُ من الجور فتخضعهُ الحكومة اما بجنود اليابان او بجنود الصين . ولما كانت سنة ١٨٩٤ حدثت في البلاد ثورة غير عادية فبادرت الصين لاخمادها وارسلت لذلك جيشاً من نخبة جنودها واعلمت حكومة اليابان عن قصدها عملاً بالمعاهدة السابقة · وكانت اليابان قد عيل صبرها فارسلت هي ايضاً جنوداً احتلت سيول وألحّت بوجوب الاصلاح التام في ادارة شؤون البلاد بعد اخماد الثورة لضمانة الأمن في المستقبل · ورفضت الاعتراف بسلطة الصين على كوريا رفضاً باتاً فتلا هذا الرفض الحرب المعروفة بحرب الصين واليابان · وخرجت اليابان من هذه الحرب ظافرةً في كل المعارك البرية والبحرية · ولما أُبرمت معاهدة الصلح كان من شروطها اعتراف الصين باستقلال مملكة كوريا استقلالاً تاماً · ورأت اليابان انها اصبحت دولة عظيمة بما فازت بهِ من النصر المبين وما ابدتهُ من القوة الحربية التي لا ينقصها شيء من الشجاعة والمهارة وحسن النظام فخيل لها انها اصبحت مطلقة اليد في كوريا تمهد فيها سبل الاصلاح الذي يعود على بلادها بالتقدم والنجاح · غير ان الزمان ابى الأَ معاندتها فقامت في كوريا مصاعب جديدة غير المصاعب التي كانت الصين تسببها · واليك بيان ذلك ·

لما وضعت الحرب اوزارها عدلت كوريا عن سياستها الاولى فوثقت باليابان واركنت اليها · وكانت عائلة الملكة شديدة البغض لليابان والنفور عنها وخشي اعضاؤُها من خسارة مناصبهم وما يرافقها من المصالح والفوائد فقاوموا كل ما من شأنهِ اصلاح الحكومة وتنظيم شؤُونها · وكانت اليابان قد انابت عنها في بلاط كوريا رجلاً قليل الخبرة خالٍ من الحزم والنظر في العواقب فكان سبباً لحدوث ما لا ترضاهُ دولتهُ · وتفاقمت الخطوب في عاصمة كوريا سنة ١٨٨٥ وثار قوم من الكوريين وفي مقدمتهم الجنود اليابانية وهجموا على القصر الملكي وقتلوا الملكة وعدداً كبيراً من اعضاء عائلتها قتلاً فظيعاً · واما الملك فراعهُ هذا العمل وخاف

من الجنود اليابانية التي في عاصمتهِ ومن بعض احزاب شعبهِ ففرَّ الى السفارة الروسية · ومن ذلك الحين قضي على النفوذ الياباني وحلَّت روسيا محل الصين سابقاً فباتت صاحبة الكلمة النافذة في كل شؤون كوريا السياسية · واستبدلت اليابان نائبها الاول بالبارون كومورا السياسي الشهير الذي اصبح اليوم وزير خارجيتها ولكن بعد خراب البصرة

وقد ادركت اليابان منذ بدأت بالاهتمام في السياسة الخارجية ان الروس ساعون في امتلاك كوريا فلما ضعف شأن الصين بالحرب الاخيرة احتلت روسيا منشوريا وتمت حينئذٍ سكة الحديد الروسية فأصبح ما كان من قبيل الظن امرًا مقرَّرًا · ومهما اختلف اليابانيون في امورهم الداخلية فهم متفقون في نظرهم الى كوريا يقولون انهُ اذا تعذَّر بقاؤُها مستقلة فلا بدَّ من احد امرين اما جعلها تحت حمايتهم او ضمها الى املاكهم · وكانت روسيا على مقربة من كوريا حيث يمكنها ضرب الضربة الاولى متى سمحت لها الاحوال وظهر من تصرف وكلائها انهم مستعدون لاغتنام الفرص وكانوا كلهم من دهاة السياسة فحذرت اليابان من الوقوع في خطائها السابق فأرسلت الى كوريا من نخبة رجالها الاكفاء · ولكن حادثة سنة ١٨٩٥ لم تمحَ من ذاكرة الكوريين فكان الملك ووزراؤُه ينظرون الى سفير اليابان شذرًا واما السفير الروسي فكانوا يتوددون اليهِ ويطلعونهُ على اعمق اسرارهم واثقين بهِ كل الثقة

ورأت اليابان الخطب يتفاقم ومصالحها في تأخر مستمر فلم يسعها ان ترضى بالخذلان وجعلت تبذل الجهد في مقاضاة روسيا بالسياسة لتأمن على استقلال كوريا وسلامتها من غير امتشاق الحسام فأبرمت مع روسيا معاهدتين رسميتين الاولى في شهر مايو (ايار) سنة ١٨٩٦ امضيت بين معتمدي الدولتين في عاصمة كوريا وكان احد النائبين البارون كومورا · ومن بنود هذه المعاهدة انهُ يحق لكلٍّ من الدولتين ان تبقي في كوريا عددًا من جنودها لا يزيد على ثمانماية نفس تحمي بهِ سفارتها وما لها من المستعمرات في العاصمة وغيرها من المواني المفتوحة ويحق لليابان ايضاً ان تبقي مئتي جندي من جنودها لتقسم فرقاً صغيرة وتقام في مراكز مختلفة لحماية خط التلغراف الياباني الممتد بين فوزان والعاصمة · وكانت اليابان قد مدت هذا الخط التلغرافي للاغراض الحربية اثناء الحرب بينها وبين الصين ثم بعد نهاية الحرب اتفقت مع حكومة كوريا اتفاقاً رسمياً على ابقائهِ والانتفاع بهِ · ولم يكن لروسيا اذ ذاك مستعمرات في كوريا ولا مصالح تجارية وكان عدد رعاياها هناك قليلاً فلم يكن لها سبيل للانتفاع من شروط المعاهدة · واما اليابان فكان لها مستعمرات مهمة في كل مينا من المواني المفتوحة لتجارة الاجانب واليابانيون الساكنون في كوريا الذين يتعاطون التجارة والصناعة فقط يزيد عددهم على ٢٣٠٠٠

ويدهم ثلاثة ارباع التجارة الاجنبية . هذا من جهة مصالحها التجارية واما مصالحها السياسية فتفوقها كثيرًا

والمعاهدة الثانية بين روسيا واليابان ابرمت في توكيو سنة ١٨٩٨ بين البارون نيشي وزير خارجية اليابان والبارون روزن السفير الروسي . وبموجبها اعترفت الحكومتان باستقلال الامبراطورية الكورية استقلالاً تامًّا بان تحاشى كلٌّ منهما كلَّ تعرض لشؤونها الداخلية وتعهدت روسيا فوق ذلك ان لا تعيق ما يوسع العلائق التجارية والصناعية بين اليابان وكوريا

وكان ملك كوريا حين التجائهِ الى السفارة الروسية في عاصمتهِ سنة ١٨٩٦ قد اعطى لاحد الروسيين امتيازًا بقطع الاشجار في وادي نهر يالو على الحدود الشمالية الغربية الفاصلة بين كوريا ومنشوريا ولم يعلن هذا الامتياز بل بقي طي الخفاء الى الصيف الماضي حين شاع في توكيو ان عددًا كبيرًا من العمال الصينيين أتي بهم الى داخل حدود كوريا وهم يقطعون الاشجار لشركة روسية . ثم جاءت الاخبار ان فرقًا من الجنود الروسية من المشاة وفرسان القوزاق قد تبعت العمال بدعوى انها لازمة لحمايتهم من قطاع الطرق الصينيين المنتشرين في قفار منشوريا الى شمال وادي يالو . وكان لا بد للعساكر والمستعمرين الروسيين من ارض ينزلون فيها وكانت قوانين كوريا تحظر على الاجانب شراء الاراضي الاَّ في المستعمرات الخصوصية المتفق عليها على ان الروسيين لم يحسبوا لذلك حسابًا بل قالوا انهم ابتاعوا ارضًا واسعةً من اصحابها الكوريين . وموقع هذه الارض في ينجمبو على خمسة عشر ميلاً من مصب نهر يالو ولم يكد يتم شراء هذه الاراضي حتى قام العمل فيها على قدم وساق من تشييد المنازل الفخيمة وبناء معامل لنشر الخشب وبنوا رصيفًا على شاطئ النهر المحاذي لهم — كل ذلك مما يدل على انهم يريدون ان ينشئوا مستعمرة كبيرة

والى شمالي هذه المستعمرة على شاطئ نهر يالو المتاخم لمنشوريا مرفأ انطنج الذي فتح لتجارة الاجانب وسكناهم بموجب اتفاق عُقد بين الصين والولايات المتحدة في الثامن من شهر اكتوبر الماضي ووقع منذ امد قريب . وبين المرفأين المذكورين اي مرفإ يُنجمبو ومرفإ انطنج جزيرة صغيرة في عرض النهر تجعل عبورهُ سهلاً ومن هذا المكان عبرت الجنود اليابانية من كوريا الى منشوريا اثناء حربها مع الصين . ومرفأ ينجمبو من اصلح مرافئ كوريا ويمكن الزيادة في اصلاحهِ ببذل مقدار قليل من المال فيصبح من افضل المرافئ في كوريا فاذا استولت روسيا عليهِ وعلى مرفإ انطنج واحتلتهما كما احتلت منشوريا اصبح نهر يالو ومصبهُ في قبضة يدها وسهل عليها منع كل احد من دخولها

وحالما استولت روسيا على الارض لانزال جنودها وستعمريها اسرعت وبنت قلعة في اعلى مكان فيها وعززتها بالمدافع والعساكر . ثم اخذت تشيد قلعة ثانية على قمة اكمة تشرف على النهر في الشاطىء المتاخم لمنشوريا . ووسعت نطاق عملها في قطع الاشجار توسيعاً عظيماً فاق الحدود التي عينت بموجب الامتياز فاعترضت الحكومة الكورية على هذا التوسيع ولكن لم يجدها اعتراضها نفعاً ثم صدرت الاوامر الى حاكم مدينة ويجو اهم المدن التي على الحدود بان يضع حداً لبيع الاراضي بيعاً مخالفاً لشرائع البلاد . فرفع الحاكم تقريراً الى حكومته يقول فيهِ ان الروسيين يستولون على الارض اولاً ثم يكتبون عقد البيع . ولما سُئل سفير روسيا عن ذلك اجاب ان "وادي يالو" المذكور في الامتياز يشمل مسيل النهر من اوله الى آخره ومسايل الانهر التي تصب فيهِ وكل البلاد المحاذية لها ولهُ ويتضمن الامتياز عمل كل الاعمال اللازمة لقطع الاشجار والانتفاع بها الى اي حد كان كانشاء الطرق وسكك الحديد ومد خطوط التلغراف وابتياع الاراضي اللازمة للبناء من غير استئذان الحكومة الكورية وزد على ذلك ان لروسيا الحق باتخاذ كل الاحتياطات التي تراها لازمة لحماية رعايا الروسيين الذين يتعاطون هذه الاعمال

ورأت اليابان ان روسيا ستفعل بكوريا كما فعلت بمنشوريا فانها استأجرت اولاً قطعة صغيرة من شبه جزيرة ليوتنغ التي فيها بورت آرثر ثم جعلت توسع نطاق احتلالها العسكري حتى اصبحت صاحبة السيادة المطلقة في منشوريا كلها . وقد عينت اكثر من مرة ميعاد خروجها منها وكلما دنا الاجل الذي ضربتهُ للجلاء وجدت سبباً يمنعها منهُ وزادت جنودها ومعداتها الحربية مما يدل على ان غايتها احتلال البلاد احتلالاً دائماً . فاذا أطلقت يدها في كوريا اصابها ما اصاب منشوريا

ولما رأت اليابان موقفها الحرج لجأَت الى السياسة كما فعلت مع الصين منذ نحو عشرين سنة . فاوعزت الى سفيرها ان يلح على الحكومة الكورية بفتح مرفإ ينجمبو ومدينة ويجو لتجارة الاجانب وسكنهم . وغرضها من ذلك ان يصير للدول الاجنبية مصالح كبيرة في تلك البلاد فيتعذر على روسيا الاستئثار بالنفوذ والسلطة . وايَّد السفير الياباني في هذا الطلب كلٌّ من معتمدي انكلترا والولايات المتحدة . ولكن سفير روسيا اعترض على ذلك ومنعهُ لان حكومة كوريا آلة في يدهِ فبقيت ينجمبو وويجو مقفلتين في وجه الاجانب . ولما رأى اليابانيون ان روسيا ارسلت جنودها الى كوريا من غير ان تعلنهم واستولت على اراضٍ غير مفتوحة لسكن الاجانب رغماً عن نصوص القوانين الكورية وسعت في مقاومة التجارة اليابانية بمنعها فتح المرافىء الجديدة ثارت احقادهم فان الصين كانت قد تنازلت لهم سنة ١٨٩٥ عن قطعة صغيرة

في منشوريا بعد انتصارهم عليها ولكن لم يكادوا يثبتون فيها قدماً حتى انبرت لهم روسيا تؤيدها فرنسا والمانيا واخرجتهم منها بدعوى ان وجودهم في منشوريا يهدد اركان السلم في الشرق. وكانت قواهم قد نفدت عن اثر حربهم مع الصين وفرغت مستودعاتهم الحربية وامست سفنهم بعد ان بقيت ستة اشهر تحارب في بحار الصين الشمالية في حالة لا تستطيع فيها مناواة خصم جديد فما وسعهم الاّ الاذعان لمطالب هذه الدول فخرجوا من ارض امتلكوها بعرق جبينهم ودم رجالهم وفي نفسهم حسرات لهذه المذلة. ثم لما رأوا بعد تلك الحادثة ببضع سنوات ان روسيا استولت على الارض التي اخرجتهم منها عنوة ولم تكتفِ بذلك بل بسطت نفوذها على كل منشوريا فرغت جعبة صبرهم ولم يعودوا يحتملون هذا الجور فوق تلك المذلة

ولليابان مصالح كبيرة في منشوريا تجارية عاجلة ومعاشية آجلة فان تلك البلاد صالحة لسكنى رعاياها الذين يزدادون عاماً بعد عام فيحتاجون الى بلاد ينتقلون اليها ويعيشون فيها. وتشارك اليابان في المصالح التجارية كل الدول الاوربية ولاسيما انكلترا والمانيا والولايات المتحدة لكن اليابان مستعدة ان تنسى الماضي ولا تطلب في المستقبل الاّ ان تتمتع بالحقوق والمصالح التجارية التي أُعطيت لها ولسائر الدول بموجب معاهدة بينهم وبين الصين. واذا وثقت بسلامة كوريا واستقلالها فلا ماْرب لها في ان تدافع عن حقوق العالم في منشوريا. وهي راضية تحت هذه الشروط بان تعترف بمصالح روسيا الخصوصية التي نالتها في منشوريا وتسمح لها بحماية السكة الحديدية الواصلة الى بورت آرثر حماية عسكرية. واما استقلال كوريا وسلامتها فلا بدَّ منهُ لحياة الامة اليابانية وكيانها كامة عظيمة. وكل ما يتهدد استقلالها يتهدد مصالح اليابان المادية والسياسية اكثر مما يتهدد اية دولةٍ كانت. ولذلك لا يمكنها ان تسمح بحدوث اقل شيء مما يجعل استقلال كوريا في خطر عاجل او يتهدده بالخطر الآجل

ولما اشتهر غرض روسيا قام بعض اساتذة كلية توكيو الجامعة ونشروا في شهر يونيو الماضي منشوراً شديد اللهجة الحوا فيهِ على الحكومة ان تبذل كل ما في وسعها لاخراج الروس من منشوريا ولو بالحرب وقالوا انهُ اذا احتلت روسيا منشوريا واستولت عليها فكيف يضمن استقلال كوريا بعد ذلك. ثم اذا اصبحت روسيا سيدة كوريا فلا بدَّ ان يكون غرضها الثاني مهاجمة اليابان ومحاولة استئصالها. ولما التأم مجلس الامة اليابانية في ذلك الحين بدت عليهِ دلائل القلق الشديد لكن الامة اليابانية لم تؤيد الاساتذة المشار اليهم بل قامت جرائدها الكبيرة تندد بمقترحاتهم وتشير على الحكومة بمتابعة المفاوضات مع روسيا ما دام في المفاوضات السلمية بارقة امل. وبقيت روسيا تجيش الجيوش وتعد المعدات وتحصن المواقع الحربية في

منشوريا وتزيد اسطولها في البحار الشرقية زيادة مستمرة . فاتضح ان قصدها من كل ما تفعله الزحف على كوريا ولذلك فقد تضطر اليابان الى مبادأتها بالحرب لا رغبة في توسيع املاكها بل لان الحرب هي الذريعة الوحيدة التي بها يمكنها ان تحافظ على ما تعتقد انه لازم لسلامتها وبقائها كأمة عظيمة . وليس من دولة ترغب في السلم رغبتها فيه ولكنها اذا لم تستطع ان تنال ما يكفل لها بقاء كوريا مستقلة الا بالحرب فالى الحرب تذهب من غير ابطاء مهما كلفتها ومهما كانت نتيجتها

البحث العلمي والتقدم

من خطبة الرئاسة التي تلاها الاستاذ ايرا رمسن الكيماوي في مجمع ترقية العلوم الاميركي في ٢٨ دسمبر الماضي

قيل في البند الاول من قانون هذا المجمع " ان غاياته من الاجتماع في اماكن مختلفة ان يمكن العلائق بين خدمة العلوم في جهات اميركا المختلفة ويبث في الابحاث العلمية روح النشاط ويزيدها انتظاماً ويسهل على ارباب العلوم طرق البحث والتنقيب ويوسع دائرة الانتفاع من ابحاثهم "

فالغاية الاولى هي السعي لاحكام العلائق بين خدمة العلوم في جهات اميركا المختلفة والثانية هي بث روح النشاط والنظام في الابحاث العلمية والثالثة هي تسهيل طرق البحث والتنقيب على ارباب العلوم وتوسيع دائرة الانتفاع من ابحاثهم . والذين منكم لا يجهلون تاريخ هذا المجمع يعرفون حق المعرفة انهُ قام بما يطلب منهُ احسن قيام وعندي ان كل الذين اعتادوا حضور جلساته منكم يرون ان اهم تلك الغايات السعي في احكام العلائق بين خدمة العلم . ولا بدع فان الغاية الثانية والثالثة نتيجتان عن الاولى اذ الاختلاط ومبادلة الافكار تنبه افكاراً جديدة والافكار الجديدة تؤُول الى العمل والعمل يؤُول الى توسيع نطاق النفع والفائدة

ولما أُنشئ هذا المجمع سنة ١٨٤٨ وقُبل قانونهُ لم تكن هذه البلاد تخلو من بعض العلماء الباحثين . على ان عددهم في النصف الاخير من القرن الماضي زاد زيادة عظيمة وبنسبة ذلك زاد تقدم العلوم . وقد تقدم البحث العلمي في هذه السنين الاخيرة تقدماً عظيماً حتى صار كثيرون يحسبونهُ امراً جديداً لم يعرفهُ اسلافنا الاقدمون على اننا اذا رجعنا الى تاريخ العلوم ونظرنا اليه نظرة سطحية فقط نجد ان العلوم ارتقت ارتقاء بطيئاً وان بداية البحث العلمي ترجع الى اوائل

العصور السالفة وان الانسان منذ اول نشأتهِ لم ينقطع عن السعي لتزيد معرفتهُ بالعالم الذي وُجد فيهِ · وقد كانت العوامل الدافعة الى البحث مختلفةً باختلاف الباحثين الاَّ انها كانت متفقةً كلها في امر عظيم وهو الرغبة في معرفة اسرار الكون وادراك غوامضهِ · وكان هنالك غاية ثانية ايضاً وهي السعي وراء ما يؤول الى راحة نوع الانسان وسعادتهِ

اذا رجعنا الى تاريخ الكيمياء يتضح لنا كيف كانت هذه العوامل تعمل معاً · فان من اعظم العوامل التي كانت تدفع الانسان للاشتغال بالمواد الكيماوية اعتقادهُ انهُ من الممكن تحويل المعادن الرخيصة كالنحاس والرصاص الى معادن ثمينة كالفضة والذهب · وقد كانت هذه الغاية العامل الاكبر لاقبال القوم على التجارب الكيماوية وكان لها تأثير عظيم في نفوس ارباب العقول منذ قرون بعيدة ولم يتقلص سلطانها الاَّ منذ نحو مئة عام · فالرغبة في الكسب هي التي حملت اولئك العلماء على البحث الكيماوي ولا اقول ذلك تنديداً بهم بل لابين ان الغرض الذي قد نحسبهُ حديث النشأة هو من اقدم الاغراض المعروفة عند الانسان

وبينما كان هؤلاء الكيماويون يهتمون بتحويل النحاس والرصاص الى ذهب وفضة كان غيرهم من الكيماويين يبحثون عن امر آخر · فانهم لما رأوا بعض المواد الطبيعية والمصنوعة في المعامل الكيماوية تؤثر في جسم الانسان اذا تناولها خطر في بالهم ان هذه المواد قد تفيد في معالجة الامراض · ثم خطر لهم ان الامراض نفسها عوارض كيماوية · ولا يخفى ان هذه الخواطر من اشد البواعث التي تدعو الى البحث في خواص المواد الكيماوية · وعلم الكيمياء مديون لابحاث الذين كانت هذه البواعث تقودهم الى البحث

وهكذا نرى ان الباحثين كانوا يقبلون على بحثهم في كل عصر تدفعهم عوامل مختلفة واحياناً نرى الواحد تحملهُ على البحث بواعث شتى · ومهما يكن من ذلك فخليق بنا الشكر لانهُ مهما كانت هذه العوامل مختلفةً ومتنوعةً فقد حملت الكثيرين على البحث في اسرار هذا الكون · وكانت نتيجة هذا البحث ان الناس خطوا خطوات كبيرة في سبيل التقدم · فلا يكاد يمر بنا يوم حتى نرى من نتائج البحث العلمي ما يدهشنا ويقضي بعجبنا · ويستحيل علينا الآن ان نتنبأ عن الحد الذي تنتهي اليهِ هذه الابحاث المستمرة وعما ستكشفهُ لنا من اسرار الطبيعة وغوامضها وانما يمكننا القول اننا في سعينا لاكتشاف اسرار الكون لم نزل في بدء عصر جديد واننا في اية جهة نظرنا نشعر ان هنالك ميداناً واسعاً لم يزل في ظلمات الخفاء وان كل ما تمَّ من التقدم العظيم في بعض الفروع ليس شيئاً يذكر بالنسبة الى ما لم يكتشف بعدُ · وقد يستولي علينا اليأس بسبب ذلك على انهُ لا محل لليأس بل الاجدر بنا ان نسرَّ ونبتهج بان الذين يأتون

بعدنا يرون اكثر مما نراهُ نحن كما اننا نحن نرى اكثر مما رآهُ اسلافنا

ويجدر بنا في مثل هذا المقام ان نسأل "ماذا يربح العالم من البحث العلمي ؟ " والسؤال واسع الاطراف كبير الشأن لا يمكن ان يجاب عنهُ الجواب الشافي وانما يقال ان نتائج البحث العلمي على ثلاثة انواع — مادية وعقلية وادبية

فالنتائج المادية اوضح هذه النتائج فهي تستلفت معظم الانتباه . فان حاجات الانسان المادية اول ما يستدعي اهتمامهُ فهو يحتاج الى الطعام واللباس واسباب الوقاية من الامراض ووسائل النقل وطرق توليد الحرارة ونحو ذلك مما يؤول الى راحتهِ البدنية وسد حاجاتهِ المتنوعة . وساكتفي الآن بذكر بعض هذه المسائل التي تتوقف على البحث العلمي

فالمسألة الاولى من هذه المسائل تتعلق بالطعام . ولا يخفى ان سكان العالم في ازدياد مستمر وان البلاد الصالحة للسكن قد سكنت الآن . وفي بعض جهات المعمور زاد عدد السكان عمَّا تحتملهُ البلاد فتوالت عليها المجاعات والاوبئة وغيرها من الفواعل الطبيعية فذهبت بالزائد عنها . فلا يبعد والحالة هذه ان يأتي يوم يضيق بهِ المعمور بسكانهِ على رحبهِ الأَّ اذا جرى المزارعون في استغلال ارضهم على حسب الاصول العلمية اكثر مما يفعلون الآن . وهنا مجال واسع للكيمياء الزراعية لتبين كيف يزاد خصب الارض الجيدة وتصلح الارض المنهوكة فتزيد غلتها . فان طرق تسميد الاراضي الزراعية لم تزل الى اليوم غير وافية بالمراد . واول من اشار بتسميد الارض بالسماد الكيماوي لزيادة خصبها هو ليبغ واضع علم الكيمياء الزراعية فانهُ ذكر بعض وسائل التسميد التي توصل الى معرفتها بعد البحث والامتحان ومنذ ذلك الحين الى الآن لم يزل استعمال السماد الكيماوي او الصناعي يزيد انتشاراً يوماً بعد يوم

ولا يخفى ان معرفة كون السماد الكيماوي مفيداً هي غير الطريقة لعمل هذا السماد . في اول الامر كان الاعتماد على دقيق العظام وزرق بعض الطيور البحرية ثم لما قلَّ وجود هذه المواد وارتفعت اسعارها اقبل الناس على استعمال النصفات الطبيعي

ولما التأم مؤتمر الكيمياء الدولي في برلين في شهر يوليو الماضي القى الدكتور ادولف فرنك خطبة جليلة الفائدة في استعمال نيتروجين الهواء للزراعة والصناعة وهذا يتعلق بالمسألة الذي نحن الآن في صددها. قال انهُ لا بدَّ للنبات من النيتروجين وهذا يؤتى بهِ الآن من رواسب ملح البارود الموجودة الآن بكثرة في السواحل الغربية من اميركا الجنوبية ولاسيما في بلاد شيلي حيث توجد بمقادير عظيمة . ومن الامونيا التي تتولَّد عند استقطار الفحم الحجري لاستخراج الغاز منهُ وعند عمل الفحم المعروف بالكوك . وقد بدأ استعمال ملح البارود المستحضر من شيلي منذ

نحو سنة ١٨٦٠ وكان مقدار ما أُرسل منهُ الى البلدان الاجنبية في سنة ١٩٠٠ نحو ١٤٥٣٠٠٠ طن بلغ ثمنها نحو ستين مليون ريال اميركي · وصنع تلك السنة من كبريتات الامونيا نحو خمسمائة الف طن بلغ ثمنها نحو عشرين مليون ريال · ونحو ثلاثة ارباع هذه المقادير العظيمة تستعمل في الزراعة واستعمالها آخذ في الازدياد ولاسيما ملح البارود فيظهر من ذلك ان تقدم الزراعة يتوقف على استعمال النيترات التي تحتوي على النيتروجين · ومقدار هذه النيترات محدود فاذا لم يعمل شيءٌ في هذا السبيل فلا يبعد ان يأتي يوم تمسي فيهِ الارض عقيمة لا تستطيع ان تنتج من المحصولات بقدر ما تنتجهُ الآن لعدم وجود السماد اللازم لها مع ان الحاجة الى الطعام تزداد بازدياد السكان · وقد ثبت من التعديلات الموثوق بصحتها ان مصادر ملح البارود تنفد كلها بعد ثلاثين او اربعين سنة على الاكثر · فماذا يقوم مقامها

قلت ان الدكتور ادولف فرنك القى خطبة في مجمع الكيمياء الدولي تتعلق بالموضوع الذي نحن فيهِ · وقد اشار في خطبتهِ الى كيفية التخلص من هذه المشكلة قال ان في الهواء المحيط بالارض من النيتروجين ما يكفي للقيام بكل الحاجات اما وهو في حالتهِ الطبيعية فلا تمتص منهُ النباتات الا النذر القليل بل يجب ان يكون مركباً تركيباً كيماوياً كما في النيترات او الامونيا مثلاً حتى يستفيد الزرع منهُ الفائدة المطلوبة فاذا امكن تحويل النيتروجين الذي في الهواء الى حامض نيتريك انحلّت المسألة على ما يرام · وهذا الامر ممكن يمارسهُ الكيماويون الآن · وقد اشار الدكتور فرنك الى طريقة ثانية ايضاً اكثر اقتصاداً من الاولى يمكن بها استحضار النيتروجين بحالة صالحة لتغذية النبات · وذلك ان كربيد الكلسيوم يمكن استحضارهُ الآن بمقادير كبيرة بان يمرّ مجرى كهربائي قوي في مزيج من الفحم والجير · ومن خصائص هذا الكربيد انهُ يمتص كثيراً من النيتروجين الذي في الهواء ويعطيهِ للنباتات اي انهُ سماد جيد . نعم ان هذا الموضوع لا يزال محتاجاً الى بحث كثير ولكن النتائج التي حصلت حتى الآن تبشر بنجاح باهر · فاذا تمَّ الامر على ما نرجوهُ فلا يبقى محل للخوف واليأس حينما نسمع ان مصادر ملح البارود تكاد تنفد واذا لم يتم فيمكننا عند الحاجة ان نستند على الحامض النيتريك المستحضر من اوكسجين الهواء ونيتروجينهِ

وقبل ختام البحث في مسألة الطعام لا ارى بدًّا من الاشارة الى كيفية استحضار المواد التي يتألف منها الطعام بطرق اصطناعية · ويسوءني ان اقول ان العلم لم يتوصل الى اكتشاف شيء يذكر في هذا الصدد وان الكيماويين الذين نجحوا في تركيب المواد الكيماوية نجاحاً عظيماً لم يستطيعوا ان يركبوا مواد تقوم مقام الطعام ولا يرجى انهم يتوصلون الى هذه الغاية في وقت

قريب . على ان نتائج ابحاثهم تشير الى ان استحضار القوت بطرق اصطناعية بتركيبهِ من الماء والحامض الكربونيك الكثير الوجود في الطبيعة لا يخرج عن دائرة الامكان وانهُ لا يبعد ان يتوصلوا في المستقبل الى هذه الغاية . فاذا تمَّ ذلك لا يبقى لزوم للزراعة فلا يتشوَّه جمال الارض بنمو الغلال فيها في اشكال هندسية . وتستخرج المياه من آبار عميقة عمقها ثلاثة اميال او اربعة فتكون حرارتها فوق درجة الغليان فتستخدم لتحريك الآلات وتكون مقطرة في طبقات الارض خالية من كل الشوائب وجراثيم الامراض . ويكون القوت الصناعي ايضاً خالياً من كل الميكروبات فتخف وطأة الامراض عما هي عليهِ الآن . ولا يعود الانسان يقتل الحيوانات ليأكل لحومها بل يصير نوع الانسان اقرب الى الدعة ودماثة الاخلاق

لقد تنبأ الكيماوي برثيلو منذ بضع سنوات ان ذلك كلهُ سيتم بتقدم علم الكيمياء . والموضوع مما تعشقهُ النفوس ولكن هل يستحق ان يدوم البحث فيهِ ؟ هل يمكن للكيماويين ان يتوصلوا الى تركيب طعام صناعي ؟ اما انا فارى ان ذلك غير ممكن نظرًا الى النتائج التي وصل اليها البحث العلمي حتى الآن . ولست اعني ان تركيب بعض هذه المواد الغذائية غير ممكن لان ذلك قد تمَّ على سبيل التجربة ولكن الاجزاء التي رُكّبت منها لم تكن عناصر بسيطة بل كانت من الحاصلات الطبيعية [illegible] اميل فيشر الى تركيب كميات قليلة من انواع السكر المختلفة ولكن تركيب السكر من الماء والحامض الكربونيك الموجودين في الطبيعة يعترضهُ من المصاعب ما يجعلهُ من قبيل المستحيلات عملاً

ثم اذا التفتنا الى النشاء والمواد اللحمية التي تتألف منها الاطعمة نرى الصعوبة اعظم مما هي في غيرها فليس في نتائج البحث الكيماوي ما يدل على انهُ يمكن تركيب النشاء او مادة من المواد اللحمية (البروتيدية) تركيباً صناعياً . وهنا اقول ان اميل فيشر بعد ان نجح في تركيب السكر والحامض البوريك انتقل الى البحث في المواد البروتيدية . وقد بلغني انهُ عند ما نزل الى ميدان البحث وشمَّر عن ساعد الجد جعل غرضهُ حلَّ ثلاثة مسائل عظيمة وهي تركيب الحامض البوريك وتركيب المواد السكرية وتركيب المواد البروتيدية . وهو قد تمكن من حلّ المسألتين الاوليين فليتهُ يفلح في حل الثالثة ! ولكنهُ وان استطاع ان يركب مادة بروتيدية ويعرف ماهيتها فمسألة تركيب مواد الطعام بالصناعة لا تكون قد انحلّت

على ان العلم وان لم يستطع في المستقبل القريب ان يغني الناس عن زرع الارض فهو يعلمنا كيف نزيد حاصلاتها حتى تكفي الناس الذين يأتون بعدنا واذا لم نستمر على البحث العلمي عجزت الارض عن ان تنبت ما يكفي الاجيال المقبلة

وهنالك طريقة اخرى بها يزاد الطعام في الارض وذلك بان يبطل زرع بعض النباتات وتخصص ارضها لزرع ما يصنع الطعام منهُ . مثال ذلك ان في المعمور ارضاً واسعة يزرع فيها نبات النيل وقد اثبت البحث العلمي في السنوات الاخيرة انهُ يمكن صنع النيل في المعامل الكيماوية من مواد لا يحتاج فيها الى زرع الارض . وجاء في تقرير الدكتور برنك مدير احد المعامل الكيماوية الكبيرة لسنة ١٩٠٠ " ان مقدار ما يصنعهُ ذلك المعمل من النيل في السنة الواحدة يزيد على محصول ما تنتجهُ ارض مزروعة نبات النيل مساحتها ٣٩٠ ميلاً مربعاً او اكثر من ٢٥٠ الف فدان " . قال الدكتور برنك " وقد يظن لاول وهلة ان صنع النيل في المعامل والعدول عن زرعهِ في الارض يكون ضربة قاضية على البلاد التي تزرع فيها الآن . على ان الحقيقة خلاف ذلك فان بلاد الهند كثيراً ما تصاب بالمجاعات الشديدة التي تفتك بسكانها فتكاً ذريعاً ولذلك يحسن بها ان تعدل عن زرع النيل وتزرع الحنطة بدلاً منهُ . واني اعتقد ان حكومة الهند تخدم بلادها خدمة جليلة اذا كانت تحث الناس على زرع الحبوب بدل النيل وتهتم بذلك الاهتمام الواجب "

تكلم كثيرون على [illegible] الصحة والبحث العلمي فلا حاجة للاسهاب في هذا الموضوع الآن . فقد نتج عن بحث [illegible] كثير من الامراض وهو جراثيم ميكروسكوبية تدخل الجسم فتؤثر فيهِ تأثيراً يظهر باعراض خصوصية . وقد ثبت الآن ان بعض هذه الجراثيم يفرز مواد سامة هي سبب تلك الامراض . واثبت البحث والاختبار ايضاً انهُ يمكن تحضير ترياق لبعض هذه السموم فيتقى بهِ شرها . على ان اهم هذه الاكتشافات معرفة الوسائط التي بها ينتقل الداء من المصاب الى السليم وهذا يجعل اتقاء الامراض امراً ممكناً . وفي قلة عدد الوفيات عما كانت عليهِ اوضح شاهد واعظم دليل على اهمية البحث العلمي

ولا يكفي الطعام وحدهُ لتقدم الجنس البشري بل لا بد لهُ من قوة يستخدمها ويكون استخدامها ميسوراً فالحرارة والقوة الميكانيكية لا بد منهما للانسان . اما الحرارة فاهم مصادرها الفحم وبدونهِ تتوقف حركات الانسان واعمالهُ . فاذا نفدت مصادر الفحم ولم يقم مقامهُ غيرهُ قضي على الانسان بالانحطاط والهلاك . وقد نشرت الاحصاءات الموثوق بها تباعاً في هذه الايام عن كل ما يتعلق بمصادر الفحم وزمان نفادهِ فلا لزوم لاعادة ذكرها على مسامعكم وانما اشرت اليها لابين انهُ اذا لم يكتشف الانسان بواسطة البحث العلمي طرقاً جديدة يستخدم بها القوى الموجودة في العالم فيحولها الى حرارة وقوة محركة فان الجنس البشري ينقرض بنفاد

مصادر الفحم وغيره من الوقود . واعني بغير الحطب من الوقود الخشب وزيت البترول • ومعلوم انهُ كلما زادت الحاجة الى مواد الطعام بتكاثر سكان الارض ضاق نطاق الاراضي المخصصة لزرع الحراج فلا يعتمد على الحطب في المستقبل • واما زيت البترول فمعرفتنا به غير كافية فلا نستطيع ان نتنبأ بما سيكون من امره • ويذهب البعض الى ان مصادر البترول لا تنفد ابداً لانهُ يتولد دواماً من اتحاد الماء بالمواد الكربيدية التي تملأ جوف الارض على ما يقال • فاذا صح هذا المذهب فلا يبقى محل للخوف بل تكون مسألة الحصول على مصادر القوة قد انحلت على اسهل سبيل

وفي المياه المنحدرة مصدر آخر للقوة والناس يتنبهون الى الانتفاع بهذا المصدر يوماً بعد يوم وعاماً بعد آخر • ولا خلاف بان نقل هذه القوة من مكان انحدار الماء نقلاً اقتصاديًّا لتستعمل في ادارة المعامل البعيدة لم يبلغ بعدُ درجة الكمال على ان السعي وراء هذه الغاية مستمر حتى ان بعض المعامل التي كانت تستعمل الفحم لادارة آلاتها قد عدلت عن استعماله وابدلتهُ بالقوة المتولدة من المياه المنحدرة والشلالات • وكلما زاد التقدم في هذا السبيل قلَّ الطلب على الفحم وقلَّ استعمالهُ فاذا كان على وجه الارض شلالات كافية في مواقع مناسبة امكن ان تستخدم قوة انحدارها لتوليد كل ما يحتاجهُ الانسان من الحرارة والحركة

وكلما تكاثر الانسان على وجه البسيطة تنوعت مطالبهُ وشعر بحاجات جديدة . فالاشياء التي لم يكن يحلم بها في القرن الواحد تصير لازمة لا بد منها في التالي • والشواهد على ذلك لا تكاد تحصى ولكني اكتفي بذكر شاهد واحد كثر التحدث فيهِ هذه الايام وهو عمل الاصباغ الصناعية • فان هذه الصناعة التي كانت مجهولة منذ بضع سنوات قد تقدمت تقدماً عظيماً الآن فاوجدت عملاً لالوف من العمال وملايين من الريالات ولا تزال في تقدم عظيم • وسرُّ هذا التقدم ميل الانسان ميلاً فطريًّا الى الالوان الجميلة فقد عودتهُ الطبيعة منذ اول كيانه ان تريهُ من اثوابها المزدانة بالالوان البديعة المتنوعة ما غرس في طبيعته ذلك الميل الى الالوان . فكل لون جديد ثابت يستلفت نظرهُ ويروق في عينيهِ • وقد نشأت ايضاً صنائع اخرى اوجدت عملاً لكثيرين • ويقال جملة ان تقدُّم الصنائع وازدياد الطلب على الصنَّاع والعمَّال لم يقابل بالعدول عن صنائع اخر وانقطاع عمالها عن العمل • فالامر مقرَّر اذاً ان البحث العلمي قد نبهَ الانسان لحاجات جديدة متنوعة فتحت لكثيرين ابواباً للعمل لولاها لم نكن ندري ماذا كانوا يفعلون

ومن اعظم اركان الارتقاء عند الامم تقدُّم صنائعها • وقد استشهد السر نورمن لكيير في الخطبة التي القاها في الصيف الماضي اذ كان رئيساً لمجمع ترقية العلوم البريطاني بكلام المستر تشمبرلن قال فيهِ : " لا حاجة بي ان اقول شيئاً عن لزوم التربية العلية ولا ابالغ اذا

قلت ان كيان هذه الامة كامة تجارية عظيمة يتوقف على هذه التربية . وبقاؤنا في آخر القرن العشرين ولنا السيادة التجارية او على الاقل المساواة بالامم التجارية العظيمة المناظرة لنا متوقف على ما نفعلهُ الآن في بداءة هذا القرن" . ثم قال السر نورمن لكير في محل آخر من خطبتهِ ان ثروة المانيا تزيد نحو خمسين مليون جنيه كل سنة لانها اخذت بعض صنائع الانكليز التي اهملوها وحسنتها فربحت منها هذا الربح

قلنا سابقاً ان نتائج البحث العلمي على ثلاثة انواع مادية وعقلية وادبية ولنلتفت الآن من النتائج المادية الى النتائج العقلية . ومعلوم ان حالة البشر العقلية هي نتيجة البحث العلمي لان اكثر مدركات العقل من المعارف الاختبارية . ويختلف الجيل الواحد عن الاخر حسب نظر كلٍّ منهما الى العالم فالجيل الذي يرى ان الارض هي مركز الكون يختلف في درجة عقلهِ وادراكهِ عن الجيل الذي عرف مقر الارض في النظام الشمسي وعلاقة هذا النظام مع غيرهِ من النظامات التي يتألف منها الكون . والجيل الذي يعتقد ان كل نوع من الحيوان والنبات خلق في الحالة التي هو عليها الآن يختلف عن الجيل الذي يعترف بصحة ناموس الارتقاء . وكل الحقائق التي توصل الانسان الى معرفتها بواسطة البحث العلمي هي مكسب عقلي اكتسبهُ نوع الانسان وهي اساس الافكار المفيدة ولو لم ينتفع بها كل الناس على حدٍّ سوى لان الامم تختلف كاختلاف الافراد . وليس العمدة على تحصيل المعارف بل على العمل بها فان الانسان قد يكون عالماً نحريرًا ولا يكون من علمهِ نفع لانهُ لا يكون عاملاً بهِ . فدرجة الامة من حيث مقامها العلمي تقاس بامرين احدها مقدار علومها ومعارفها والثاني استعمالها هذه العلوم والمعارف في اعمالها اليومية . ويتوقف ارتقاء الامة العقلي على جريها حسب الاصول العلمية في حل المسائل العقلية . وكلما زاد ارتقاؤها العقلي عرفت كيف تجري في حل مشاكلها . ولما كانت درجة هذا الارتقاء هي نتيجة البحث العلمي فواضح ان الامة التي تجري بحسب الاصول العلمية هي التي تسبق غيرها من الامم في التجارة والصناعة

اما النتائج الادبية من البحث العلمي فغير معروفة وانما لي كلمة اقولها في هذا المقام وهي ان الاستقامة اهم مزايا البحث العلمي وان الغاية الوحيدة من العلم معرفة الحق والسير بموجبهِ . واهم شروط التقدم العلمي التدقيق التام والامانة التامة والاستقامة التامة . وعندي ان من يجري على الاساليب العلمية تؤثر فيهِ حتى يصير الحق ديدنهُ ويصير مثل افضل المتدينين ولو كان الدافع لهُ الى الفضيلة غير ما يدفع رجال الدين اليها . ولكن معرفة الحقائق معرفة مجرَّدة لا تكفي لاستقامة السيرة عند اكثر الناس ولذلك لا يقوم العلم الآن مقام الدين ولا اخالهُ يستطيع

ذلك في المستقبل · ومتى زال من عقول الناس الاعتقاد بان الدين والعلم خصمان متضادان (وهو يزول الآن شيئاً فشيئاً) يتفق الاثنان في ما يختص بسلوك الانسان

اما الوسائط المبذولة لتنشيط البحث العلمي في هذه البلاد فلم تكن على شيء الاّ في الربع الاخير من القرن الماضي · وكان البحث قبل ذلك قليلاً جدًّا الاّ انهُ شاع بعدئذٍ كثيراً · والسبب الاول في شيوعهِ ان مدارسنا الجامعة صارت تجري في نظامها على حسب الاصول المستعملة في المدارس الالمانية وهي مبنية على البحث والتمرين العلمي العملي فزاد عدد المتخرجين فيها بازدياد الحاجة اليهم · ففي اول الامر لم يجرِ كثيرون في هذا السبيل ولكن لم يمضِ وقت طويل حتى زاد الطلب على المتخرجين هذا النوع من التخرج العلمي فصار ارباب المدارس يفضلون الذين قرنوا العلم بالعمل في اختيار الاساتذة لمدارسهم وابت بعض المدارس الكلية ان تستخدم استاذاً ليس معهُ درجة دكتور في الفلسفة لان هذه الدرجة عنوان قرن العلم بالعمل · وزاد الطلب على هؤلاء العلماء بزيادة عددهم وانشئت مدارس جامعة جديدة واقتدت بها المدارس القديمة في قرن العلم بالعمل حتى شاع البحث العلمي في البلاد كلها من اولها الى اخرها وزاد زيادة بالغة عمَّا كان عليهِ قبل ذلك بعشرين سنة او ثلاثين · وكثيرون من الذين اخذوا في البحث العلمي عكفوا عليهِ واولعوا بهِ وعزموا ان يوقفوا انفسهم لهُ · وقد تيسرت وسائل البحث فيجد كل باحث الوسائل الكافية لمساعدتهِ على البحث · ولا خوف من ان يضيع احد من الباحثين لان العيون تترصدهم من كل مكان والمطلوب اكثر من الموجود · وغني عن البيان ان جزاءهم المادي ليس على قدر ما ينالهُ غيرهم من المفلحين في الاعمال الاخرى · وما دام الحال كذلك لا يقبل كثيرون من النوابغ على البحث العلمي كما نحب ولكن اذا استمرَّ هذا التقدم في الربع الاول من القرن الحاضر على ما كان عليهِ في الربع الاخير من القرن الماضي فلا ريب اننا نباري اعظم امم الارض في البحث العلمي · وفي اعتقادي ان هذا التقدم يتوقف على تقدم مدارسنا الجامعة لانهُ اذا لم يتخرج كثيرون في البحث العلمي يبقى عدد الباحثين قليلاً ولا بدَّ من عدد كبير لكي ينبغ منهم العدد الكافي

ومما يساعد على البحث العلمي في هذه البلاد تنشيط الحكومة لهُ في دوائرها العلمية المختلفة فان ادارة المساحة الجيولوجيَّة ومكتب الزراعة ومساحة السواحل ومكتب المقاييس وغيرها من الدوائر تساعد مساعدة كبيرة على بث روح العلم العملي في البلاد

ولا بدَّ لي قبل الختام من ان اشير الى عملين عظيمين لتنشيط البحث العلمي وقد استلفتا انظار العالم · واعني بهما دار كارنجي العلمية التي وهبها عشرة ملايين ريال ودار ركفلر العلمية

المخصصة للبحث الطبي ولا ريب في انهُ يهبها مالاً وافرًا · ولم يمضِ بعد على تأسيس هاتين الدارين وقت كافٍ حتى يمكن للباحث ان يبدي رأيهُ فيهما على انهما لا بد ان تكونا عاملين قويين في تقدم البحث العلمي اذ تمكنان الباحثين من متابعة بعض الابحاث التي لولاهما لا يمكنهم متابعتها

وقد كان هذا المجمع اكبر عامل في تقدم العلوم في هذه البلاد عمَّا كانت عليهِ قبل سنة ١٨٤٨ · ولا ريب في انهُ سهَّل سبل البحث على العلماء ووسَّع دائرة النفع من ابحاثهم

البنك السلطاني العثماني

نشرت جريدة المورننغ بوست في غرة يونيو (حزيران) سنة ١٨٦٣ ما تعريبهُ " ان التقرير الذي رفعهُ اللورد هوبار عن الانقلاب الذي جرى في المملكة العثمانية وقع في محلهِ لانهُ جاء ابَّان المناقشات الدائرة في هذا الشأن في مجلس النواب · فان جلالة السلطان (عبد العزيز) دوَّخ العصاة ثم ابدى لهم من التودُّدة والحسنى ما حملهم على الطاعة عن رضى واخلاص فزادت الايرادات ثلاثين في المئة واجرى من الاصلاحات التجارية ما زاد في التجارة الخارجية والحاصلات الداخلية زيادة كبيرة فضلاً عن اقتصادهِ في نفقات الادارة وعن تنظيم الجنود

"ففي بداءة سنة ١٨٦٢ بلغت ديون الدولة العثمانية عشرين مليونًا من الليرات الانكليزية تسعة ملايين منها من القوائم وعشرة ملايين وتسعمائة الف من الدين السائر

" وقد عني الباب العالي واللجنة الانكليزية بتصفية هذا الدين فبلغا امنيتهما بالتدريج ودُفعت قيمة القوائم من القرض المعقود في السنة الماضية

"واما الدين السائر فقد سُدِّد منهُ ثلاثة ملايين ونصف مليون وأُبدلت ١٥٩٥٠٠٠ ليرة بقراطيس بعضها بفائدة ١٢ في المائة والبعض الآخر بفائدة ٦ في المائة ودفع ٤٥٠٠٠٠ ليرة قيمة المتأخر من رواتب الجند عند استيفاء الضرائب · فاصبح نجاح الدولة العثمانية من الامور التي لا يرتاب فيها "

وجاء كلام المورننغ بوست هذا بعد صدور ارادة سنية في ٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٦٣ بانشاء البنك السلطاني العثماني ليكون عليهِ اعتماد الدولة العثمانية جريًا على العادة المألوفة في الممالك الغربية · فاتت تلك الارادة مصداقًا لما قالهُ فؤاد باشا للمسيو دي لافاليت سفير فرنسا قبل ذاك التاريخ بعامين عند ما المع السفير الى وجوب اصلاح المالية العثمانية وفتح طرق للمواصلات وتأسيس بنك فكان جواب الوزير : " مهلاً يا سعادة السفير سترى عما قليل بنكًا

وطرقاً سترى هذا كلهُ"

وكان فريق من متجولي الانكليز والفرنسيس وقد جاؤوا الاستانة للنظر مع رجال الدولة في شؤون المالية العثمانية . فبعد المخابرة مع الباب العالي تألفت لجنة لذلك عدد اعضائها خمسة عشر جميعهم من ذوي المقدرة المالية

ولا يصح القول ان اهم بنوكنا اليوم هو اول بنك اتخذ هذا الاسم فقد كان قبلاً بنك عثماني تأسس سنة ١٨٥٦ مركزهُ في مدينة لندن ورأس مالهِ ٥٠٠ الف ليرة انكليزية وكان لهُ شُعب في ولايات السلطنة العثمانية لكن لم تمنح لهُ الامتيازات التي نالها البنك الجديد مثل اصدار الاوراق المالية ونحوها . فلهذا نحسب ان البنك العثماني كما هو اليوم لم يؤسس الا سنة ١٨٦٣ وجعل رأس مالهِ اولاً ٢٧٠٠٠٠٠ ليرة انكليزية فاصبح ٤ ملايين سنة ١٨٦٥ و١٠ ملايين سنة ١٨٧٤ دفع نصفها ولا يزال هكذا حتى الآن [1]

اول ما بدأ بهِ البنك السلطاني العثماني انهُ اصدر سندات بمئتي مليون من الفرنكات قيمة الواحد منها الاسمية ٥٠٠ فرنك بفائدة سنوية ٦ في المائة أُخذ منها ٣٠٠٠٠٠ سند بسعر ٣٦٠ فرنكاً والمائة الف الباقية بسعر ٣٤٠ فرنكاً . وفي سنة ١٨٦٥ اصدر قرضاً ثانياً بمائة وخمسين مليوناً من الفرنكات بسعر ٣٣٠ فرنكاً الخمس مئة فرنك وفائدة ٦ في المئة ايضاً

وكانت مدة امتيازهِ ٣٠ سنة فجعلت ٥٠ سنة ثم ٦٢ سنة ابتداؤها سنة ١٨٦٣ وانتهاؤها في ٤ آب (اغسطس) سنة ١٩٢٥

ومركز البنك الاستانة ونواب ادارتهِ في عاصمة السلطنة العثمانية سبعة تعينهم لجنتان مقيمتان في لندن وباريس مؤلفتان من ٣٦ عضواً ١٠ منهم فرنسويون او مقيمون في فرنسا و١٠ انكليز او مقيمون في انكلترا و٦ نمساويون او مقيمون في النمسا (لكن هذا الشرط الاخير لم يعمل بهِ حتى الآن) ولا بدَّ لمديري اعمال البنك في الاستانة وهم ثلاثة من مصادقة الباب العالي على تعيينهم . وللباب العالي ايضاً حق في تفقد اشغال البنك بواسطة مأمور خاص معهُ محاسبجي لاجل مراقبة الحسابات الجارية بين خزينة الدولة والبنك

قلنا ان للبنك العثماني وحدهُ الحق في اصدار اوراق المعاملة لكن هذه الاوراق لا يتم ابدالها بنقود الاَّ في الشعبة التي تكون قد اصدرتها وقد تبدل هذه الاوراق في العاصمة عندما ترى الادارة صواباً في ابدالها ولاصدارها يقتضي ابداع ثلث قيمتها على الاقل ذهباً وفضة

(1) انشئ سنة ١٨٤٩ بنك باسم « بنك الاستانة » أُقفل بعد سنتين من تأسيسهِ تاركاً وراءهُ خسارة ستين مليوناً من القروش

معاملات البنك

معاملات البنك على وجهين :

معاملاتهُ مع الجمهور ومعاملاتهُ مع الخزينة . فمعاملاتهُ مع الجمهور تتعلق بقطع الكمبيالات وما شاكلها من السفاتج التجارية وبسحب الحاويل وتسليف النقود حسب الشروط المرعية وبالنتيجة فانها تتناول اشغال البنوك التجارية من كل انواعها

واما معاملاتهُ مع الخزينة فانها تجعلهُ بصفة صراف للدولة عليهِ الدفع والقبض لحساب الخزينة وبموجب اتفاق أُبرم سنة ١٨٨٦ يضطر الى تسليفها مقداراً محدوداً من المال

فهل قام البنك بما يطلب منهُ من الوجهين هذا ما نقصد البحث فيهِ في اسطرنا التابعة

معاملاتهُ مع الجمهور

اذا اجلنا الطرف في اشغالهِ مع الجمهور رأينا فيها بعض التقصير . فان معاملاتهِ التجارية لم تجئ مطابقة لرأس مالهِ ولا لامتيازاتهِ ولا لشعبهِ الثمان والعشرين في داخلية السلطنة ماعدا مركزهُ في الاستانة ووكالتين في باريس ولندن . وقد يعتذر عن ذلك بعدم صلاحية البلاد اقتصادياً لتوسيع معاملاتهِ مع التجار والصناع والمزارعين بسبب ما يجد فيهم من التقيد في اشغالهم وخلوهم من الاقدام على المشاريع الخطيرة . لكننا نرى في اشغال البنوك الخصوصية ما يدحض هذا العذر لان هذه البنوك تجني الارباح الطائلة . وندر من جرّتهُ اشغالهُ الصرافية الحقة الى الخراب الذي يخشى البنك العثماني الوقوع فيهِ . فاذا قابلنا اشغالهُ التجارية مع اشغال زملائهِ في بعض الممالك رأينا بوناً واضحاً بين الفريقين . ويعز علينا ان نذكر ادارتهُ بما قالهُ ساي " اقرعلناً ان الخدمات التي يؤديها بنك فرنسا كانت تزداد كبراً في عيني لو الحق بمساهميهِ بعض الخسارة من الاموال الغزيرة المودوعة في صناديقهِ . واذا عارضني احد في قولهِ ان على الشركة اتقاء الخسارة ما استطاعت الى ذلك سبيلاً اجبتهُ : خوّل بنوكاً غير بنك فرنسا امتيازات كامتيازاتهِ تحصل منفعة للجمهور من تنافس الاضداد دون ان يسهم اذى اذ ان في زيادة اصدار اوراق المعاملة ملجا من خسائرهم "

معاملاتهُ مع الخزينة

اذا رأينا تقصيراً في اشغال البنك التجارية فدلا يصح ان نعزو اليهِ التهامل في قضاء مهمتهِ كصراف لخزينة الدولة . فان الدولة العلية لقيت في البنك اكبر مساعد لها في عقد قروضها منذ انشائهِ وفي تسليفها النقود لآجال قصيرة وان يكن ربما يخلق بالوطني استهجانهُ

ذكرنا آنفاً الاحوال التي انشئ البنك في خلالها والامتيازات التي مُنحها وقد أُبرمت

اتفاقات عديدة بين الدولة العلية والبنك نورد اهمها

اولاً اتفاق ٢٩ ايار (مايو) سنة ١٨٨٦ القاضي بتسليف الخزينة ٠٠٠ ٧٥٠ ليرة عثمانية بفائدة ٧ في المائة بدلاً من ٠٠٠ ٧٠٠ ٢ ليرة كما كانت الحال منذ ١٨٧٥ . والتسليف المتفق عليه سنة ١٨٨٦ مضمون بوديعة سندات من الدين المحول تبلغ قيمتها ٥٠٠ ٥١٧ ٣ ليرة عثمانية

ثانياً اتفاق ٣٠ ايار (مايو) سنة ١٨٩٣ الخاتم بتسليف الحكومة مليوناً من الليرات العثمانية بذات الفائدة والضمانة . لكن هذه الضمانة تحولت سنة ١٨٩٦ الى سندات من القرض المعقود تلك السنة (١٨٩٦) قيمتها ٧٨٦ ٩٥١ ليرة عثمانية بعد ان منح البنك حق جباية اعشار بعض الالوية حتى استيفاء مبلغ ٠٠٠ ٨١ ليرة عثمانية أرصدت مكافأة له على اشغاله الصرافية . وفي ٤ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٩٠١ صدر قرض بقيمة ٠٠٠ ٢٥٤ ١ من الليرات العثمانية مقسوماً الى ٥٧ الف سند قيمة الواحد منها ٢٢ ليرة اشترى البنك ٣١ الفاً منها واخذ السندات الباقية بدلاً من الضمانة الاولى المؤلفة من سندات قرض سنة ١٨٩٦

وفضلاً عن هذا فان البنك مكلف بدفع كبونات القروض التي شملتها ارادة محرم وسنداتها وشراء هذه السندات لحساب ادارة الديون العمومية

يتعاطى البنك هذه الاشغال والنجاح حليفهُ منذ انشائهِ الى اليوم حتى افيض عليهِ من الارباح ما جعلهُ في مصاف البنوك الكبرى في المسكونة . فالاثنتا عشرة سنة الاولى بدت له باسمة الثغر وزع فيها على مساهميهِ ارباحاً بلغ بعضها ٥٦ في المئة وذلك سنة ١٨٧٤ اي عند توزيع امواله الاحتياطية وانضمامهِ الى البنك النمساوي العثماني . واما متوسط ارباح مساهميهِ منذ تأسيسهِ الى اليوم فقد بلغ ما يزيد على ٩ في المئة سنوياً وهذا رغماً عن ازمات سني ١٨٧٦ الى ١٨٧٨ و١٨٩٥

ومما يؤيد قولنا تصاعد اسهمهِ في هذه الآونة الاخيرة بداعي توحيد الدين العثماني الذي كانت لهُ اليد الطول في ابرازهِ من القوة الى الفعل . اذ ان الارادة السنية التي تعلقت على توحيد الدين خصصت مبلغ ٠٠٠ ٤٦٠ ١ ليرة عثمانية للمصاريف وهذا ما يتيح للبنك ان يزيد ارباحهُ زيادة كبيرة هذه السنة . واذا نظرنا الى المستقبل رأينا في اصدار الاسهم والسندات التي لا بد منها لسكة حديد بغداد باباً رحباً للارباح الطائلة . والارقام الآتية تدل احسن دلالة على الثقة التي احرزها البنك وعلى توفق ادارتهِ الى تحسين مجرى اشغالهِ تباعاً وهي بالليرات الانكليزية

سنة	اوراق المعاملة	الحسابات الجواري	الودائع لازمنة محددة
١٨٩٧	٦٩٢٠٠٠	٥٠٤٥٠٠٠	٦٤٩٠٠٠
١٨٩٨	٨١١٠٠٠	٦٧٣٩٠٠٠	٦٩٣٠٠٠
١٨٩٩	٨٣٢٠٠٠	٦٥٠٦٠٠٠	٧٨٠٠٠٠
١٩٠٠	٨٤٦٠٠٠	٦٣٣٤٠٠٠	٩٦٠٠٠٠
١٩٠١	٨٨٠٠٠٠	٦٥٢١٠٠٠	١١٥٢٠٠٠
١٩٠٢	١١٠٧٠٠٠	٧٣٩٠٠٠٠	١٢٧٦٠٠٠

ونستلفت نظر القراء بنوع خاص الى اوراق المعاملة . فهذه كما يرى من الجدول السابق تضاعفت في غضون ست سنوات . ولولا العراقيل التي توضع في سبيلها لكثر التداول بها . فان النقود من ذهب وفضة المتعامل بها في تركيا لا تبلغ سوى ٤٥٠ مليونًا من الفرنكات حسب تقدير بعض الاحصائيين واذا اضفنا الى هذا المبلغ قيمة أوراق المعاملة اي نحو ٢٥ مليونًا من الفرنكات بلغ المجموع ٤٧٥ مليونًا من الفرنكات اي انهُ يصيب كل واحد من السكان ١٧ فرنكًا يقابل ذلك ١٠٣ فرنكات في المانيا و١٣١ فرنكًا في الولايات المتحدة و٨٧ في انكلترا و١٨٥ في فرنسا

فمن هذه الارقام يستدل على ان النقود المتداولة في تركيا لا تفي بحاجة السكان والبنك يلقي التبعة على سكان الولايات العثمانية فانهُ يعزو اليهم عدم الرغبة في اتخاذ اوراق البنك كعملة يتعاملون بها

وقبل ان نختم هذه السطور يخطر ببالنا توجيه نظر ذوي الامر الى خلل نجدهُ في ادارة المحاسبة وهو خلو جرائدنا العربية من ميزانيات البنك العثماني الشهرية ومن تقاريرهِ السنوية . فلا يغرب عن ادارة البنك ان هذه العادة اي نشر الميزانيات في الجرائد تجري عليها البنوك في كل الممالك الاجنبية وانا نأسف حين التجائنا الى الجرائد الغربية لنطالع فيها ميزانيات البنك العثماني الذي جعل مركزهُ عاصمة السلطنة العثمانية ونحن لا نرى مسوغًا لهذا الخلل سوى كون البنك ليس لهُ من العثمانية الأ الاسم

بارا (البرازيل)		يوسف ضاهر

الاغاني ووفيات الاعيان

موازنة بين كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني وكتاب وفيات الاعيان لابن خلكان

توطئة في ان تراجم النبهاء منابت النجاح

هي تراجم النبهاء في كل علم وصناعة وشأنٍ شُعَل الرغبات الخامدة واثارة الهمم الجاثمة وايقاظ العزائم الراقدة تبعث على اقتصاص آثارهم واستقصاء اخبارهم لانتهاج مناهجهم تشوقاً الى الانتظام في سلكهم والاحصاء في عدادهم وذلك بالاحتذاء على مالهم من الاساليب المستظرفة والتذرُّع بما تذرَّعوا به من الذرائع الناجحة والوسائل الموصلة. فهم المصابيح الناسخة لدُجُنَّات الاضاليل والهداة المستهدون الى اقوم سبيل

فلا جرم ان العالم والمنشئ والشاعر اذا دأب كل منهم مطالعة كلام المبرَّزين من اهل فنهِ واعمل بصيرتهُ في استطلاع اسرار كلامهم ودقَّق النظر في تعرُّف مناحيهم وذلك بان يعرض اقوالهم على مقتضيات المغازي فيها والاغراض منها وتدبَّر حق التدبر جميع الاحوال المتعلقة بها من سابقةٍ ولاحقةٍ ومرافقةٍ وتبيَّن مستدعياتها برزت لهُ حقائق العلم ومناهج الانشاء وطرق الشعر بالوجوه السوافر فينكشف لهُ عندها ما كان غامضاً من دقائق العلم ويظهر لهُ بدائع من فنون الكتابة والنظم لم يسبق لهُ بها عهد حتى تمكنهُ من اقتناص الشارد واستدناء البعيد وتذليل الجامح وربما اقدرتهُ على اختراع وجوهٍ للبحث والنثر والنظم اشد التحاماً بالنفوس من بعض الوجوه التي تقادم عهدها وطال عمرها وطرأت على الناس عوائد وحالات لا تطيب معها مقابلة تلك الوجوه ولا تهشّ لها القلوب

وكذا قل في الاطبَّاء والصناع وارباب الحلّ والعقد ايضاً. فاذا اطلَّع الطبيب على اقوال حرَّاس الحياة وعرف ما استُحدث من ادوات الجراحة واحاط علماً بما اخترعهُ حذَّاق الجراحين من الكيفيات المقللة للألم ومشى في العلاج على طريق من حنَّكتهم الخبرة وهذَّبتهم التجربة واقتدى بهم في الرأفة بالاعلاَّء وجهد الذهن في تخير الوسائل المخففة لآلامهم والادوية الكافلة بردّ الادواء عنهم اطمأنت اليهِ القلوب ووقفت ببابهِ عجلات المرضى وهمى عليهِ سحاب الغنى وارتفعت في اطراف البلاد اصوات الثناء عليهِ

واما صاحب الحلّ والعقد فاذا التزم الاقتداء بسيَر العادلين الحازمين ممن تولى شؤون الخلق وسمت نفسهُ الى ان يُعدّ فيهم ويحسب من طبقتهم اصغى الى خطيب العدل وأتمر اوامرهُ

وازدجر بزواجرهِ واصمّ اذنهُ عن خطيب الهوى واغلق بابهُ دون اهل المطامع واتخذ لهُ بطانة من ذوي قرابة الحق وعشيرة النزاهة وقبيلة الكرامة حتى تصبح البلاد التي يتولاها جنة الله في ارضهِ وينتشر اهلها تحت ظلّ الاطمئنان في طلب معاشهم. لا يخافون ان يضيع لهم مال او يهلك لهم حق . يسيرون في طرق آمنة ويتقلبون في قرى ومدن مطمئنة لا يجترئ عليهم لئيم ولا يختطف ارواحهم غادر مغتال ولا يحتال عليهم محتال. فمثل هذا الحاكم اريكة مجد في كل قلب وطاعة يطيب معها جهد القرائح في فنون اطرائهِ بل يهون معها بذل الروح في سبيل ارضائهِ وفوق ذلك يكتب اسمهُ في سفر من رفع لواء العدل من الحكام ويثبت ذلك في صحيفة الدهر

والتاجر اذا اتبع سيرَ من اصابوا بالتجارة القناطير المقنطرة من الذهب من مثل روتشلد وغيرهِ من اهل البيوتات التجارية المشهورة في العالم . وصاحب العقار من اهل الزراعة اذا استقصى اخبار من امتلكوا الضياع والمزارع والقرى حتى اضطروا الى اجتلاب خلق كثير ليعمروا ارضهم بالحرث والزرع والحصاد وغير ذلك من الاعمال اللازمة للاستثمار واستخراج كنوز الارض حتى يكون كل منهم كملك صغير في مملكة صغيرة يسلك ولا شك مسالكهم اجتهاداً واقتصاداً ويصبر صبرهم في طريق الاستغناء ولا يبرح يعاني المشاق ويزيل العراقيل والعقبات حتى يتمتع بثمرات سعيهِ وكدهِ غير مذموم ولا ملوم

وبناء على ما اسلفناهُ عني الناس في ارجاء المعمور قاطبة بكتابة تراجم النبهاء والفضلاء والوزراء والملوك وجعلوا تلك السير ركن التاريخ ومهبَّ رياح النشاط ولقد حسن في نفوس الغابرين ذلك كما حسن عندنا ما نطالعهُ في " المقتطف " من اخبار رجال المال والاعمال

وكفى بك دليلاً على كثرة الفوائد المتأتية عن تراجم المشاهير انهُ لم تنفرد بهذا الصنيع امة ولم تستأثر بهِ مملكة فللافرنج المعاجم الواسعة والكتب الحافلة في تراجم المشاهير حتى ان معاجمهم المختصرة من مثل معجم "بطرس لاروس" اللغوي الافرنجي منقسمة الى قسمين احدهما لمواد اللغة والآخر لتراجم المشاهير

وفي اللغة العربية كتب شتى تتضمن تراجم المشاهير من العلماء والشعراء والبلغاء وغيرهم لا نتعرض في هذه المقالة لشيء منها الاَّ كتاب الاغاني وكتاب وفيات الاعيان وان اختلف الغرض منهما في التأليف فقد اتفقا في النتيجة

وصف كتاب الاغاني

هذا الكتاب على ما فيهِ من الفوائد لارباب الايقاع والسماع هو مادة للكتابة غزيرة . وثمرة للأدب جنية نضيرة · اخرجتها المائة الرابعة للهجرة بيراع من ينظم قلائد الكلام كما تشاء

البلاغة ويزفّ عرائس المعاني بابهى المعارض المستجلاة في الاذواق السليمة ابي الفرج الاصبهاني الاصل البغداديّ المنشإ المتّصل النسب بعبد مناف القرشيّ وجدّهُ مروان بن محمد آخر خلفاء بني أُميَّة . اودعهُ اخبار اربعة عشر واربعمائة رجل من الادباء والشعراء والمغنّين . والمغزى في كتابهِ ذكر الاغاني باخبارها ومن ثمَّ سماهُ بهذا الاسم واما الاخبار فقد جاء بها توسعةً للفائدة وتفكهةً للنفس . وقبل ان نستوفي الكلام في وصفهِ نثبت قطعةً من مقدمتهِ تتبين منها تهذيب عبارتهِ ونقاوة الفاظهِ كما تتبيَّن مذهبهُ في تصنيفهِ وهذه هي بالحرف قال رحمهُ الله

"هذا كتاب الفهُ عليُّ بن الحسين بن محمد القرشي الكاتب المعروف بالاصبهاني وجمع فيهِ ما حضرهُ وامكنهُ جمعهُ من الاغاني العربية قديمها وحديثها ونسب كل ما ذكرهُ منها الى قائل شعرهِ وصانع لحنهِ وطريقتهِ من ايقاعهِ واصبعهِ التي ينسب اليها من طريقتهِ واشتراكهِ ان كان بين المغنين فيهِ على شرح في ذلك وتلخيص وتفسير لمشكل من غريبهِ وما لا غنى عن علل اعرابهِ واعاريض شعرهِ التي توصل الى معرفة تجزئتهِ وقسمة الحانهِ ولم يستوعب كل ما غُنّي بهِ في هذا الباب ولا اتى بجميعهِ . واعتمد في هذا على ما وُجد لشاعرهِ او مغنيهِ والسبب الذي من اجلهِ قيل الشعر وصُنع اللحن خبرًا يستفاد ويحسن بذكرهِ ذكر الصوت معهُ على اقصر ما امكنهُ وابعدهِ من الحشو والتكثير بما تقل الفائدة فيهِ . وأتى في كل فصل من ذلك بنُتَف تشاكلهُ ولمع تليق بهِ وفقَر اذا تأملها قارئها لم يزل متنقلاً بها بين جدّ وهزل وآثار واخبار وسير واشعار متصلة بايام العرب المشهورة واخبارها المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام تجمل بالمتأدبين معرفتها وتحتاج الاحداث الى دراستها ولا يرتفع من فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها اذ كانت منتخلة من غرر الاخبار ومنتقاة من عيونها ومأخوذة عن مظانها ومنقولة عن اهل الخبرة بها . فصدَّر كتابهُ بها وبدأ فيهِ بذكر المائة الصوت المختارة لامير المؤمنين الرشيد وهي التي كان امر ابرهيم الموصلي واسمعيل بن جامع وفليح بن العوراء باختيارها لهُ من الغناء كلهِ"

وقال ابن خلكان في وصف كتاب الاغاني "قد وقع الاتفاق انهُ لم يعمل في بابهِ مثلهُ يقال انهُ جمعهُ في خمسين سنة وحملهُ الى سيف الدولة بن حمدان فاعطاهُ الف دينار واعتذر اليهِ . وحكي عن الصاحب بن عباد انهُ كان في اسفارهِ وتنقلاتهِ يستصحب حمل ثلاثين جملاً من كتب الادب ليطالعها فلما وصل اليهِ كتاب الاغاني لم يكن بعد ذلك يستصحب سواهُ استغناء بهِ عنها

وقال في مؤلفهِ كان يحفظ من الشعر والاغاني والاخبار والآثار والاحاديث المسندة والنسب ما لم ارَ قط من يحفظ مثلهُ . ويحفظ دون ذلك من علوم أُخر منها اللغة والنحو

والخرافات والسِيَر والمغازي ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة ونُتفاً من الطب والنجوم والاشربة وغير ذلك . كانت ولادتهُ سنة ٢٨٤ للهجرة وفي هذه السنة مات البحتريّ الشاعر وكانت وفاتهُ ببغداد سنة ٣٥٦

فهو من معاصري المتنبي وابي اسحق الصابي وابن عبد ربهِ المتوفَّى بقرطبة من بلاد الاندلس ومات بعد ولادة بديع الزمان بثلاث سنين

وصف كتاب وفيات الاعيان

هذا الكتاب هو القول الشارح لاحوال افاضل الادباء والمعرّف لمقام ارباب القلم من الكتاب والشعراء واصحاب الآثار من النبلاء يضبط اسم المترجم ونسبهُ ويذكر آثارهُ ومولدهُ ومتوفاهُ بعبارةٍ مهذبةٍ رشيقة فتعرف من وصف الرجل حال العلم في عصره . ومرتبة الادب في مصره وبعبارة اخرى هو معجم تعرف بهِ انساب الاعيان وضبط اسمائهم وسنو وفياتهم ومواليدهم ثم انهُ روضة الاديب ونجعتهُ وذخيرة المنشىء وعدتهُ كما يشعر بذلك من تصفحهُ وهو ثمرات المائة السابعة للهجرة وقد ضمّ اليهِ محمد بن شاكر بن احمد الكتبيّ المتوفى سنة ٧٦٤ للهجرة ذيلاً يحوي سِيَر من اغفلهم ابن خلكان وهو جزآن يبلغ عدد صفحاتهما ٦٢٩ صفحة فصار الكتاب مع ذلك الذيل متضمناً تراجم ١١٠٠ من اعيان الناس . وقد ترجم مؤلفهُ الشيخ نصر الهوريني قال " هو من بيت كبير بناحية إربل مدينة بالعراق على الشاطىء الشرقي من نهر دجلة بالقرب من الموصل من جهتها الشرقية . وهو قاضي القضاة شمس الدين ابو العباس احمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان الاربلي الشافعيّ احد الائمة الفضلاء . والسادة العلماء . والصدور الرؤساء . تولَّى قضاء الشام ثم عزل عنهُ بابن الصائغ ثم عزل ابن الصائغ بعد سبع سنين بهِ . خرج من بلدهِ سنة ٦٢٦ هـ ودخل حلب تلك السنة واقام فيها سنين وكان سنة ٦٣٣ هـ مقيماً بدمشق وفي سنة ٦٣٧ هـ كان مقيماً بمصر . ولد باربل سنة ٦٠٨ هـ وتوفي بدمشق سنة ٦٨١ هـ ودُفن من الغد بسفح قاسيون ولما رجع الى منصب القضاء في الشام قال سعد الدين الفارقيّ

أذقتَ الشام سبع سنين جدباً　　غداة هجرتهُ هجراً جميلا
فلما زرتهُ من ارض مصرٍ　　مددتَ عليهِ من كفَّيكَ نيلا "

انتهى ببعض حذف

واليك لمعةً من ديباجة كتابهِ تتكفل ببيان حالهِ قال " هذا مختصر في علم التاريخ دعاني الى جمعهِ اني كنت مولعاً بالاطلاع على اخبار المتقدمين من اولي النباهة وتاريخ وفاتهم ومولدهم ومن جمع منهم كلُّ عصر . فوقع لي منهُ شيء حملني على الاستزادة وكثرة التتبع فعمدتُ الى

مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن · واخذتُ من افواه الائمة المتقنين لهُ ما لم اجدهُ في كتاب · ولم ازل على ذلك " الى ان يقول " ولم اقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء والشعراء بل كل من لهُ شهرة بين الناس ويقع السؤال عنهُ ذكرتهُ واثبت من احوالهِ بما وقفت عليهِ مع الايجاز كيلا يطول الكتاب واثبت وفاتهُ ومولدهُ ان قدرتُ عليهِ · ورفعت نسبهُ على ما ظفرت بهِ · وقيدت من الالفاظ ما لا يؤمن تصحيفهُ · وذكرت من محاسن كل شخص ما يليق بهِ من مكرمة او نادرة او شعر او رسالة ليفكه بهِ متأملهُ ولا يراهُ مقصورًا على اسلوب واحد فيملهُ والدواعي تنبعث لتصفح الكتاب اذا كان مفننًا " ثم يقول " وكان ترتيبي لهُ في شهور سنة ٦٥٤ بالقاهرة المحروسة "

نظرة في الاغاني والوَفَيات

مما يدل على عناية العرب بوصف الكتب واصحابها انهم قد وضعوا كتبًا في هذا الشأن من مثل كتاب كشف الظنون في اسماء الكتب والفنون والفوا مؤلفات في معرفة طبقات العلماء والشعراء والفقهاء والحفّاظ والثقات والاطباء لكنهم لم يتعرّضوا لبيان ما اغفل اصحابها من الامور التي لا بد منها لاستيعاب المعرفة بحال المترجمين او لتوسيع الفن

واما كشف الظنون فالتزم تسمية الكتاب وصاحبهِ وذكر وقت وفاتهِ وعدد ابوابهِ واول عبارة من مقدمتهِ واليك مثالاً لهُ قال في كتاب ابن مسكويه "تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق للشيخ ابي علي احمد بن محمد المعروف بابن مسكويه المتوفَّى سنة احدى وعشرين واربعمائة ويشتمل على ست مقالات اولهُ اللهم انا نتوجَّه اليك الخ · وهو كتاب مفيد في علم الاخلاق " والاقتصار من وصف الكتب على هذا لا يكفي لتحسين التصانيف واحكام التآليف فلو فصل النسب والاسانيد عما يروي من الاخبار والقصص لقرب منالهُ ولم يفت المؤلف شيءٌ مما قصدهُ وتحراهُ · ولو ضبط الاسم وذكر سنة المولد والوفاة لعلا بذلك قدر كتابهِ وتفتحت للاستفادة منهُ ابواب لم تكن لتنفتح بدونهِ · لكن المؤلف لم يتنبَّه لهذه الاغراض من عند نفسهِ · فاغفل ما اغفل لا عن قصر باعهِ ولا عن قلة اطلاعهِ بل لانصرافهِ الى مقاصد هي الداعية الى تصنيف الكتاب المشار اليهِ وعذرهُ في ذلك ان مثل من لهُ ارب يحاول بلوغهُ مثل من يسدد سهمهُ الى الهدف فلا يحوّل نظرهُ عنهُ مخافة ان يطيش سهمهُ

فهذا الكتاب من حيث الفائدة التاريخية وضبط اسماء المترجمين وبعد المسافة على طالب الفائدة منهُ احط من كتاب الوَفَيات قدرًا فاغفال هذه الاشياء في التراجم مجحف بالفائدة المقصودة

واما من حيث الفوائد اللغوية والانشائية فهو اعلى من كتاب الوَفيات قدرًا . واغزر منهُ مادةً واوسع رواية فاذا توفر المرءُ على مطالعتهِ سنةً اغترف من بحره من العلم بالعادات والاخلاق وضروب البلاغة ما شاء الله

واذا التفتَّ الى تحرّي الصدق في الرواية لم تجد في اصحاب السيَر والتراجم من يفضل الاصبهاني . ألا وهو يورد لكل رواية من الاسانيد الصحيحة ما لا يمكن ردهُ

وقد ورد فيهِ من مفردات اللغة كثير مما خلا منهُ اكبر معاجم اللغة كاللسان والتاج ثم انهُ انفرد بفائدة لا اثر لها في الوَفيات . ألا وهي ذكر الالحان وصانعيها واخبار المغنين من مثل مَعْبَد وابي اسحق الموصلي وابن جامع . وفي ذلك من النفع لاهل الايقاع ما فيهِ

على ان هذا الكتاب النفيس الممتَّع يحتاج الى ان يُعمل لهُ جدول اصلاح لما وقع فيهِ عند الطبع من الاغلاط التي ربما يلتبس كثير منها على الطبقة المتوسطة من الادباء

وجدير بمن تبعثهُ همتهُ لنشر كتاب لهُ مثل هذه المرتبة العالية بين كتب الادب ان لا يألو جهدًا ولا يدخر وسعًا في ابرازهِ للناس بتمام رونقهِ وجميل صحتهِ

وفي النية اذا انسأ الله في الاجل ان اخدم هذا التأليف الشريف بامرين احدهما عمل جدول الاصلاح المشار اليهِ والآخر جمع ما جاء فيهِ من المفردات اللغوية التي لم نعثر عليها فيما بايدينا من كتب اللغة مختصراتها ومطولاتها

واما كتاب الوفيات فقد انفرد بذكر مؤلفات من يترجم من العلماء وبذكر وفاة كل منهم واما المولد فقد لا يتسنى لهُ العلم بهِ فيغفلهُ كما صرح بذلك في صدر كتابهِ . ومن محاسنهِ انهُ يفصل النسب عن الوصف و يضبط الاسماء فيدرك الغرض منهُ أسرع ما يمكن

لكن فيهِ مغمزًا يستغرب اجتماعهُ مع ما قصد بالكتاب من تقريب المسافة على الطالب . وهو صعوبة العثور على من يراد كشف اسمهِ للاطلاع على ترجمتهِ فمن كانت لهُ كنية يذكرهُ في باب الحرف الاول من اسمهِ . والمترجم انما يكون مشهورًا بكنيتهِ كابي الاسود الدؤلي فانهُ يثبت ترجمتهُ في باب الظاء لان اسمهُ ظالم . وكابن عبد ربهِ فانهُ يذكر ترجمتهُ في باب الهمزة لان اسمهُ احمد وحيص بيص الشاعر يذكر في حرف السين لان اسمهُ سعد وكذا ابو دلامة فانهُ يترجمهُ في باب الزاء . فهذا الصنيع يوشك ان يكون من باب اغلاق الباب في وجه المدعو . ذلك من حيث ان هؤلاء الاشخاص انما هم معروفون بكناهم والقابهم لا باسمائهم

ولا اثر لهذا الاشكال في كتاب الاغاني البتة واما ذيل الوفيات فلم يتكلف لهُ مؤلفهُ من البحث والتنقيب لاستيعاب احوال المترجم ومعرفة مولدهِ ووفاتهِ مثل ما تكلف لذلك ابن

خلكان فهو على كثرة ما فيهِ من لطائف النثر والنظم لا يتعدى ان تكون منزلتهُ من الوفيات منزلة تكملة الثوب بقطعة ليست على لونهِ بل على لون يقاربهُ

ويؤخذ مما ذكرناهُ ان وصف الكتب ببيان ما فيها من الحسنات والسيئات يعد من اكبر الاسباب الداعية الى ارتقاء التأليف الى اسنى مقامات المجد اذ يظفر المؤلف باقبال السواد الاعظم على تصفح كتابهِ والتزود منهُ . فيصيب من ثمَّ ثراه وعلاه . وهذه هي الضالة التي ينشدها ارباب القلم ولا سيما لهذا العصر

بيروت سعيد الخوري الشرتوني

حكم وامثال

معربة عن اللغة التركية

الانسان لا لحمهُ يؤْكل ولا جلدهُ يلبس فماذا فيهِ عدا هذا غير حلاوة اللسان

من يأكل وهو شبع يحفر قبرهُ باسنانهِ

انتقل الكسلان من زاوية الى اخرى فقال "قد سحتُ سياحة"

من يسلم رأسهُ الى المزين الغبي يجب ان لا يكون القطن في جيبهِ قليلاً

ابن الاسد اسد

من يسقط في الطريق المستقيم ينهض سريعاً

الخصام ينشأ من "انا" و"انت"

اذا كان الرفيق صالحاً تكون بغداد قريبة

اذا لم تكن اللحية موازية للشاربين ماذا يعمل المزين ؟

الكلام الصادق لا يحتاج الى قسم

الحق مثل الفلين لا يغرق

دعوا الحمار الى العرس فقال : يلزمهم حطب او ماء

التوبيخ العادل لا يصدع الرأس

المرء يخدع المرء مرة واحدة

يكبر الرغيف حينما يكون العجين كثيراً

اذا اغلق الله باباً فتح الفاً

الماء ينظف كل شيء الا اسوداد الوجه

من يذهب الى وليمة الذئب يجب ان يصحب كلبة معهُ

الهرة محتالة ولكن الفارة ليست حمقى

الغضب حلو وثمرهُ مر والنصيحة مرة وثمرها حلو

بالصبر يصير الحصرم حلوى

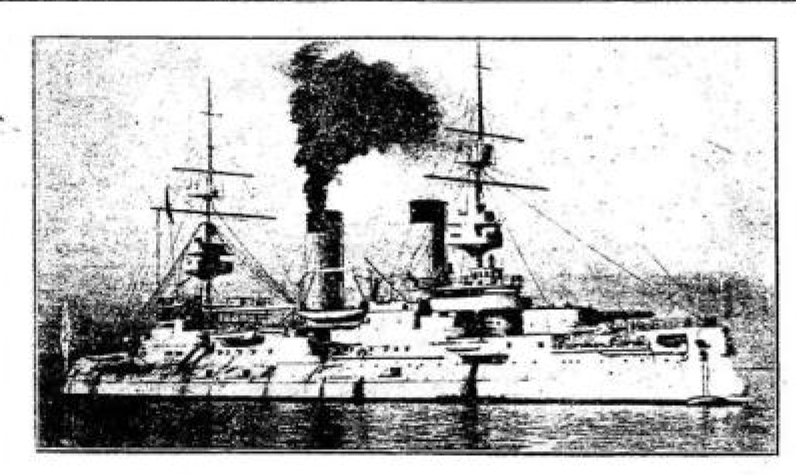
بعد فقد الشيء تعرف قيمتهُ

من لم يطعم الهر يطعم الفار

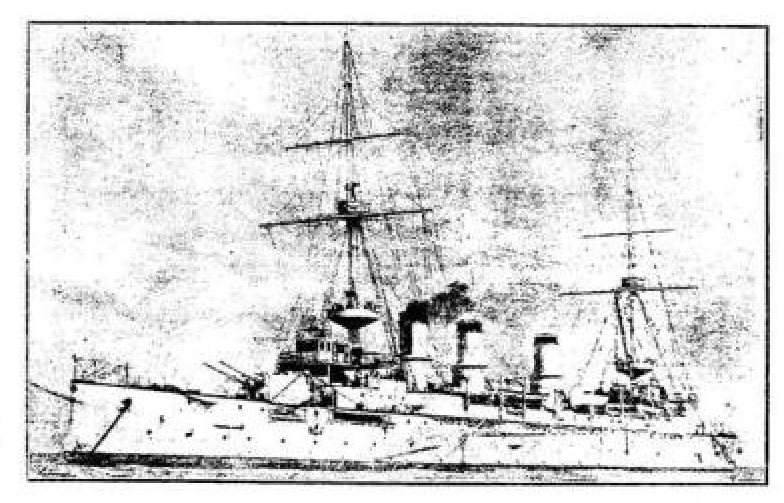
من لم يعان الاكدار لا يعرف قدر المسار

الحصول على غير المستحيل بغية الصبر والثبات
يصاد الاسد من فيهِ
الاشجار جميلة باوراقها
خلق الانسان ليربح السعادة باجتهاده
عظم السمك لا يبلع
اذا اغلق الله باباً من فضة فتح باباً من ذهب
النذر من اسهل الامور
الفم المفتوح لا يبقى جائعاً
المداهنة لا يقع فيها الاَّ الاحمق
الخل الرخيص احلى من الشهد
الكلام بلطف يفتح الابواب الحديدية
لا ترى الحسود الاَّ مغتاظاً
من قطرات يمتلئ الغدير
تحتاج الى ثلاثة لتكون سعيداً عافية الجسد وصحة العقل وسلامة القلب
مرآة الانسان في ما تيهِ
لا تقطع اليد سكينٌ من ذهب
لا لذة للمرء كصنع الاحسان
دعاء الغريب مستجاب
شرارة تحرق غابة متسعة
الشروع نصف العمل
ساعد المحتاج يساعدك الله
لا تهز رجليك قبل الركوب
لا تطأ ذنب الافعى النائمة
لم ارَ معوجاً شبعاً ولا مستقيماً جائعاً

لكل صيف شتاء
تكثر النقود عند من لا يكون مسرفاً
ليس الجهل عاراً وانما العار في رفض تحصيل العلم
من يتامل متاعب الاخرين يرَ متاعبهُ يسيرة
الجائع يلقي نفسهُ في النار
العين ترى والقلب يحب
لا تسقط الثمرة بعيداً عن شجرتها
على قدر عزيمة المرء تأتي افكارهُ
المداهنة كنقود زائفة لا يقبضها الاَّ الجهلاء
من يتكلم كثيراً يغلط كثيراً
يموت الحمار ويبقى جلدهُ ويموت الانسان وتبقى آثارهُ
الاصبع التي تقطع بعدل الشريعة لا تؤلم
القليل من الطمع يسبب كثيراً من الضرر
الدراهم البيض للايام السود
اذا لم يوافقك الزمان وافقهُ
السهم المرمي لا يرجع الى الوراء
مَن عندهُ الادام قدر خبزهِ لا تراهُ جائعاً
من يجتهد لاخفاء اصلهِ يكون لقيطاً
اذا كان الشركاء كثيرين تكون الخسارة يسيرة
الطائر الغريب يبني الله عشهُ
الف صديق قليل وعدو واحد كثير



البارجة زارفتش اقوى بوارج الروس · تفريغها ١٣٠٠٠ طن وسرعتها ١٨ ميلاً بحرياً وتحمل ١٣٥٠ طناً من الفحم · تدريعها تام وسمك دروعها عشر بوصات عند حدّ الماء بصلب كروب و١١ بوصة على الابراج وفيها اربعة مدافع مما قطر فوهته ١٢ بوصة وثلث و١٢ مما قطر فوهته ٦ بوصات وعشرون مما قطر فوهته ٣ بوصات و٢٨ أصغر منها واربعة انابيب للطربيد



الطرّاد ادزوما الياباني تفريغه ٨٤٣٦ طناً وسرعته ٢١ ميلاً بحرياً ويحمل ١٣٠٠ طن من الفحم ودرعه من صلب كروب سمكه ٧ بوصات الى ٣/١٢ بوصة وفيه اربعة مدافع مما قطر فوهته ٨ بوصات و١٢ مدفعاً مما قطر فوهته ٦ بوصات و١٢ مما قطر فوهته ٣ بوصات و٣٥ اصغر منها وفيه خمسة انابيب للطربيد

يمتحن الذهب بالنار والانسان بالمصايب

جراب السائل لا يمتلئ

القبطان من يخلص سفينته

متى دخل قلب الانسان التعبد للمال خرج منهُ الدين والايمان وحرية الضمير

لو قيل للنساء ان في السماء عرساً لنهضنَ لرفع السلالم اليهِ

قيل للاعمى ان الشمع قد غلا ثمنهُ فقال امرٌ لا يعنيني

لا يحيا الوطن بدون اتحاد كما لا يحيا الجسد بدون روح (المعلم ناجي)

الندامة جزاءٌ عينته للانسان محكمة الضمير (احمد مدحت)

الذئب الجائع يهاجم الاسد

النار تحرق مكان سقوطها

الرجل يوجد من الحجارة خبزاً

اذا طرحت الماسة في الوحل تبقى ماسة

الاجتهاد نصف العبادة

ما تكسرهُ السيدة يكون بقضاء وقدر وما تكسرهُ الخادمة يعد ذنباً لا يغتفر

ليس الفقر عاراً للمرء وانما عارهُ الكسل

الزمان ابو العجائب

يمسك الثور من اذنيهِ والانسان من كلامهِ

لو يستجاب دعاء الكلب لامطرت السماء عظاماً

الويل للفخار ان سقط على الصخر والويل لهُ ايضاً ان سقط الصخر عليهِ

اللقمة لا تملأ البطن ولكن تزيد في المحبة

الكسلان يحب اكل اللوز ولكن لا يحب ان يتعب بكسر قشرهِ

حمص . سوريا (س .)

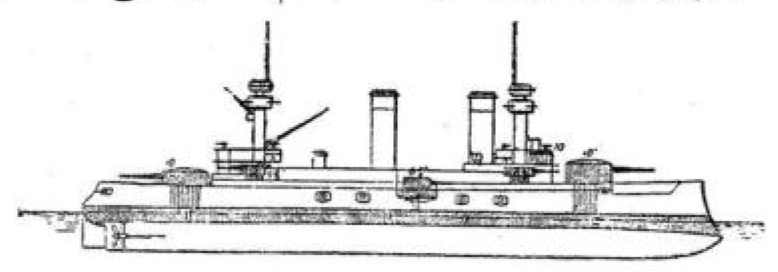
اساطيل الدولتين

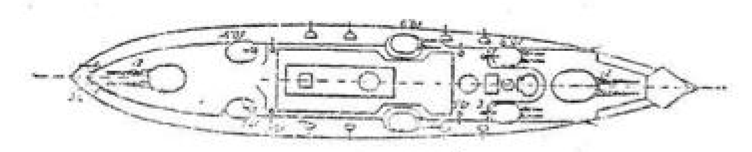
أثبتت هذه الحرب الناشبة الآن بين الروس واليابان امراً ذكرناهُ بالاسهاب في مقالاتنا المتوالية المعنونة "بنبإٍ من اليابان" وهو ان اليابانيين قبضوا على التمدُّن الحديث بحذافيرهِ وجاروا الاوربيين في كل شيء تقريباً ولو لم تشمل هذه المجاراة عامتهم كما شملت خاصتهم . واثبتت ايضاً ما يلزم عن هذا الامر وهو ان الامم القديمة العمران اذا ارادت ان تقتبس اساليب العمران الحديث ولم يكن في مذاهبها الدينية وتقاليدها السياسية ما يمنعها عن ذلك فثلاثون سنة تكفي لاقتباسها . ولذلك لا تعذر الدولة العثمانية مثلاً اذا لم تكن جنودها مثل الجنود الالمانية واساطيلها مثل الاساطيل الروسية ومعاملها مثل المعامل الفرنسوية ومتاجرها مثل المتاجر الانكليزية ومدارسها مثل المدارس الايطالية لانها قديمة العمران ولان العمران الاوربي الحديث على ابوابها منذ نشأتهِ الى الآن

قلنا ان هذه الحرب اثبتت تمسك اليابان بأساليب العمران الحديث ومن اوضح الشواهد على ذلك قوة اساطيلها وكيفية استخدامها في الهجوم والدفاع فانها كادت تتغلب على اساطيل الروس مع ان الروس يعززون اساطيلهم بالقلاع واليابانيين يحاربون من عرض البحر. وقد وقفنا على تفصيل مسهب لاساطيل الدولتين في جريدة السينتفك اميركان اقتطفنا منهُ ما يلي للدلالة على ما نحن فيهِ

اساطيل روسيا

لا تتيسر معرفة اساطيل روسيا معرفة تامة لانها تكتم اكثر امورها وتمنع كل احد من





شكل البارجة زارفتش

دخول الاحواض التي تبنيها او ترممها فيها. وهي تبني الآن ست بوارج من الطبقة الاولى تفريغ كل بارجة منها ١٦٠٠٠ طن وسرعتها ١٨ ميلاً بحريًّا وسمك درعها ١١ بوصة (عقدة) في منتصفها ثم يرق رويدًا رويدًا الى ٦ بوصات في الطرفين وابراجها مدرعة بدرع من الصلب (الفولاذ) سمكهُ ١١ بوصة وفيها اربعة مدافع في برجين قطر فوهة كلٍّ منها ١٢ بوصة و١٢ مدفعاً في ستة ابراج قطر فوهة كلٍّ منها ٨ بوصات ومدافع اخرى صغيرة وانابيب طربيد. وتبني ايضاً ست بوارج اخرى اصغر من الاولى قليلاً تفريغ كل بارجة منها ١٣٥٦٦ طناً وسرعتها ١٨ ميلاً بحريًّا ومدافعها ودروعها من اكبر الاقدار واقواها. وقد اتمت بارجتين منها حتى الآن وهي من نوع البارجة زارفتش فان هذه البارجة بنيت في فرنسا سنة ١٩٠١ وقد اعجب بها الروس كثيرًا حتى اتخذوها مثالاً لست بوارج يبنونها على مثالها ولها درع من الصلب سمكهُ

عشر بوصات ويرق رويداً رويداً الى ان يبلغ سمكه بوصتين ونصف بوصة عند طرفيها وابراجها مدرعة بدرع من الصلب سمكه ١١ بوصة ويقال ان تدريعها اقوى واتم من تدريع اية بارجة كانت من بوارج الدول ولولا ذلك ما احتملت نسف الطربيد لها وبقيت سليمة

وقد رسمنا هذه البارجة في الصفحة المقابلة كما تظهر لعين الرائي ورسمنا لها سمتاً آخر تظهر فيه ابراجها ودروعها ومدافعها ففي مقدمها مدفعان كبيران جداً مما قطر تجويفه اربعون بوصة في برج مصفح بدرع من صلب كروب ثخنه ١١ بوصة وفي مؤخرها مدفعان كبيران مثلهما في برج آخر وبين البرجين ثمانية مدافع كبيرة في اربعة ابراج وعشرون مدفعاً صغيراً

ويتلو الزارفتش في اسطول روسيا بارجتان كبيرتان وهما النفرتشسكي والرتفيزان الاولى تفريغها ١٢٥٠٠ طناً والثانية تفريغها ١٢٧٠٠ طناً وقد بنيتا في اميركا سنة ١٩٠٠

ويتلو ذلك بوارج اخرى لا محل لوصفها ثم ثلاث من حاميات السواحل بنيت سنة ١٨٩٥ مدرعة بدرع سمكه عشر بوصات. وخمس طرادات مدرعة ومنها الطراد بيان وهو من احسنها

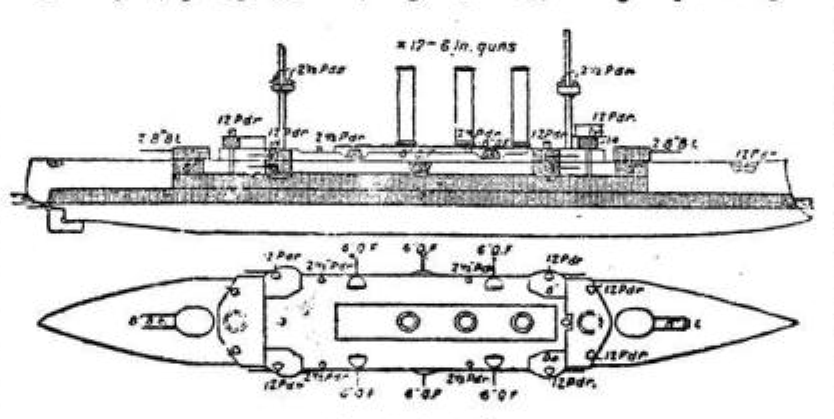
ويأتي بعد ذلك الطرادات المحمية اي التي تدريعها يقتصر على ما يحمي آلاتها ومن هذه الطرادات الفارياق الذي غرق في معركة شمولبو والبلادا الذي اصيب في المعركة الاولى في بورت ارثر والنوفك وهو اسرع الطرادات المحمية وديمتري دنسكوي وهو الآن في البحر المتوسط.

وهاك جدول ما عند الروس من السفن الحربية

	عددها	متوسط سرعتها		متوسط تفريغها	
البوارج التي عمرها ١٠ سنوات او اقل	١٣	١٧,٣	ميلاً	١١٧٩٠	طناً
" " " ١٠ " الى ٣٠	٧	١٦	"	٠٩٩٣٣	"
حاميات السواحل	٣	١٦	"	٠٤١٢٩	"
الطرادات المدرعة الكبيرة	٣	١٩,٦	"	١١٩٧٩	"
" " الصغيرة	٢	٢٠	"	٠٧٩٠٠	"
" المحمية الكبيرة	١١	٢٠,٢	"	٠٦٣٥٢	"
" " الصغيرة	٦	٢٣,٤	"	٠٣٢٥٠	"
طرادات صغيرة ومدفعيات	١٣	١٨,٥	"	٠٠٨٤٦	"
متلفات	٦٠	٢٧,٥	"	٠٠٣٠٠	"
نسافات من الدرجة الاولى	٥٤	٢٤	"	٠٠١٢٠	"
" " الثانية	١٢	٢١	"	٠٠٠٨٥	"

اساطيل اليابان

سفن اليابان من احدث السفن الحربية واقواها فعندها ست بوارج من الطبقة الاولى بنيت كلها في انكلترا في السنوات الثماني الاخيرة بعد حربها مع الصين ومنها البارجة اساهي والبارجة ميكاسا وهما اكبر البوارج التي تخوض البحار الآن واقواها طول كلٍّ منهما ٤٣٦ قدماً وتفريغها ١٥٢٠٠ طنٍ وسمك درعها تسع بوصات وقطر فوهة المدفع من مدافعها الكبيرة ١٢ بوصة وقطر تجويفهِ اربعون بوصة وهي في ابراج مصفحة بدروع من صلب كروب سمكهُ ١٤ بوصة وعندها ثمانية طرادات كبيرة مدرعة من الطبقة الاولى تفوق سرعتها سرعة الطرادات



شكل الطراد ادزوما

الروسية التي من نوعها اولها الطرادان ادزوما واواتي بنيا في بلاد الانكليز سنة ١٨٩٩ و١٩٠٠ طول كلٍّ منهما ٤٠٨ اقدام وعرضهُ ٦٨ قدم و ٢/١ وتفريغهُ ٩٨٠٠ طن وهو مدرَّع بدرع من الصلب معظم ثخنهِ ٧ بوصات ويستدق رويداً رويداً نحو الطرفين وفيهِ اربعة مدافع كبيرة قطر فوهة الواحد منها ٨ بوصات في برجين مصفحين بدرع من الصلب سمكهُ نصف قدم و ١٤ مدفعاً سريعة الطلقات قطر كلٍّ منها ٦ بوصات و٢٤ مدفعاً اصغر منها واربعة انابيب للتربيد وقد رسمنا صورة الطراد ادزوما على حدة تحت صورة البارجة زارفتش الروسية ورسمنا هنا شكلهُ الذي تظهر فيهِ اوضاع مدافعهِ

وقد وصفنا اساطيل اليابان في ما كتبناهُ عنها منذ عامين ونجتزي الآن بذكر الجدول الآتي لتسهيل المقابلة بينها وبين اساطيل الروس

	عددها	متوسط سرعتها		متوسط تفريغها	
البوارج التي عمرها عشر سنوات او اقل	٦	١٨,٧٥	ميلاً	١٤٢٠٨	طناً
حاميات السواحل	٣	١٢,٠٥	"	٤٣٥٦	"
الطرادات المدرعة الكبيرة	٦	٢١,٧٥	"	٩٧٣١	"
" " المتوسطة	٢	٢٠,٠٢	"	٧٦٣٢	"
الطرادات المحمية المتوسطة	٧	٢٠,٠٥	"	٤٤٠٠	"
" " الصغيرة	٨	١٨,٠٤	"	٢٩٦٥	"
الطرادات الصغرى والمدفعيات	١١	١٦,٥	"	١٠٣٧	"
المتلفات	٢٠	٣٠,٧٥	"	٠٣٣٢	"
النسافات من الدرجة الاولى	٣٨	٢٧,٥	"	٠١٣٨	"
" " الثانية	٣٥	٢٣	"	٦٦	"

وبناء الاساطيل وتعبيتها لا يعقدان النصر لاحد لان الاساطيل لا تخرج عن كونها بضاعة تشترى بالمال فاذا كان ثمن البارجة مليون جنيه او مليونًا وربع مليون من الجنيهات وثمن الطراد مليونًا او اقل قليلاً فرجل غني مثل ركفلر او كارنجي يستطيع ان يشتري عشرين بارجة وعشرين طرادًا ولكن العبرة الكبرى بالرجال الذين يتولون ادارة الاساطيل ومنازلة الاعداء بها . وقد اطلعنا على كلام في احدى الجرائد الاميركية لرجل ياباني اسمهُ نكامورا من رجال النسافة اليابانية التي اصابت البارجة زارفتش قالهُ لمكاتب تلك الجريدة وفصّل فيهِ كيفية هجوم النسافات على الاسطول الروسي في بورت ارثر في المعركة الاولى تفصيلاً دلَّ على ان اليابانيين صاروا من امهر الناس في الحروب البحرية قال :

كان عند الاميرال طوغو ادق التفاصيل عن بورت ارثر فان المرفأ والطريق الموصل اليهِ كانا مصورين عندهُ وصورتهما مقسَّمة الى مربعات صغيرة والسفن الروسية مرسومة في مراسيها في تلك المربعات وقد رسمت فيها ايضاً مواقع اللغوم الموضوعة تحت الماء

وامر الاميرال طوغو بالهجوم وقتما يكون المدُّ على اعلاهُ اي بعد الساعة ١١ ليلاً حتى تمرَّ نسافاتنا فوق اللغوم ولا تمسها فان الماء يرتفع بالمدّ في بورت ارثر تسع اقدام ونسافاتنا لا تغوص في الماء اكثر من خمس اقدام او ست ولكن مرورها فوق اللغوم عالية عنها لا يقيها منها تمام الوقاية لان اللغوم قد تُطلق من البرّ فتنسف ما فوقها نسفاً

ولا يزال الروسيون يستعملون اللغوم القديمة التي استعملوها في حربهم مع الترك سنة ١٨٧٨

ولكنهم اصلحوها قليلاً . وقد وضعوا اللغوم في كل السبل الموصلة الى بورت ارثر منذ عدة اسابيع وربطوها في قاع البحر حتى لا تلمسها السفن في خروجها ودخولها ولكن الاميرال طوغو خاف ان يدري الروس بنا فيفكّوا بعضها ولذلك لم يشأ ان يخاطر بسفننا التي تغوص في الماء كثيرًا

وفي مساء الاثنين اعطى عشرة من نسافاتنا خريطة بورت ارثر وفيها مواقع سفن الروس وأُمرت كل نسافة ان تقصد سفينة معينة دون غيرها فكان نصيب نسافتي البارجة زارفتش

وقد اتى اسطولنا من خليج كوريا يوم الاثنين ووصلنا في المساء الى امام بورت ارثر وعند الساعة التاسعة امرنا الاميرال بالوقوف واطفاء الانوار كلها وكان قد ارسل نسافة امامهُ للاستطلاع فعادت اليهِ حينئذٍ . وبعد نصف ساعة امر نسافاتنا العشر ان تقف ازواجًا وتقصد خمسًا من مُدرعات الروس الراسية عند مدخل الميناء ثم امرنا ان نسير بسرعة ١٥ ميلاً في الساعة وفي كل نسافة من نسافاتنا طربيدان حتى بلغنا مدخل المرفإ واشرنا الى الاميرال فأعاد الاشارة الينا بنور احمر ثم ابيض فاحمر فاسرعت كل نسافة الى البارجة المعينة لها ودارت نحوها . وحينئذٍ اكتشف حرس الروس نسافاتنا فانذر الاسطول كلهُ وكانت نسافتي قد دنت من الزارفتش وصارت على مرمى التربيد منها وكانت اشعة نور التفتيش الكهربائي قد أُلقيت علينا والمدافع السريعة الطلقات قد سدّدت نحونا فأطلقنا الطربيد عليها وكانت قد ادارت آلاتها لتبعد من وجهنا فسارت قليلاً ولكن مراسيها اوقفتها فسدّدنا التربيد الى آلتها البخارية ولكن حركتها ابعدت موقع الآلة عنهُ فاصابها قرب مقدمها وادرنا دفتنا وعدنا ادراجنا ورأينا طربيدًا ينفجر قرب البلادا وطربيدين آخرين ينفجران قرب سفينتين اخريين وكان الروس قد صوّبوا مدافعهم الصغيرة الينا واخذوا يسددون مدافعهم الكبيرة وكذلك مدافع القلاع سددت الينا وانبسطت اشعة المصابيح الكهربائية حولنا فصار الليل نهارًا . ولما ابعدنا عن مدى المدافع الصغيرة السريعة الطلقات جعل الذين على البر يطلقون اللغوم التي في قاع البحر فاطلقوا نحو اثني عشر لغمًا منها ولكن لم يصبنا منها مكروه . ولما صرنا على خمسة اميال من مدخل المرفإ تمكن المدفعية من تسديد المدافع الكبيرة الينا وجعلت قنابلها تقع حولنا

وامر الاميرال الاسطول فابعد ثلاثين ميلاً وغنا هناك ثم عدنا في مساء اليوم التالي وامر النسافات العشر الاخرى ان تفعل كما فعلت اخواتها في الليلة البارحة وجعل يطلق المدافع من اسطولنا كلهِ لكي يشغل الروس عن النسافات فخرجت الينا بعض بوارجهم ودنا طراد من طراداتهم المحمية من نسافاتنا المتأخرة فاطلقت عليهِ بارجتنا فيجي طربيدًا ولكن اصاب البارجة قنبلة من البرعطلت الآلة التي تدير دفتها وقتلت قومندانها الثاني" انتهى

الاصقاع القطبية الجنوبية

ذكرنا غير مرة ان السفينة الانكليزية المسماة دسكفري اي الاكتشاف قصدت القطب الجنوبي لاكتشاف ما حوله فجمد البحر حولها ومنعها عن السير ولقي من فيها اشد المشاق قبل ان بلغتهم سفينة الدباح وانقذتهم . وقد كتب احد ضباطها وهو العالم شكلتون مقالة في مجلة بيرصن وصف فيها تلك الاصقاع وما لقوه فيها فاقتطفنا منها ما يلي لما فيهِ من الفكاهة والفائدة قال :

ان الاصقاع الجنوبية ابرد من الشمالية لان المياه الحارة تجري من خليج المكسيك شمالاً وتلطف بردها فلا يبلغ الحد الذي يبلغهُ في الجنوبية . ولكن في الاصقاع الجنوبية من الغرائب ما تتعلق بهِ النفوس فترى الذين ذهبوا اليها مرة يودون الذهاب مرة اخرى رغماً عما يقاسونهُ من شدة البرد وقلة الطعام والبعد عن الاصدقاء والخلان

وقد بُنيت سفينتنا لكي تحتمل ضغط الجليد على جانبيها ولا تتكسر ولكي لا يتطرق البرد الشديد الى من فيها ولذلك لم نخشَ الوصول الى البحر المتجمد بل فرضنا جائزة لمن يشاهد الجَمد اولاً ولما قال واحد انهُ شاهدهُ في ظهر الجوهر عدنا كلنا الى ظهر السفينة لنشاهد ما شاهدهُ ولم يكن سوى كِسَر صغيرة طافية على وجه الماء ولكن لم يمضِ ذلك النهار حتى تخرت السفينة في الجليد ولم نعد نرى حولنا الاَّ بساطاً ابيض يرصعهُ حيوان الفقمة وطائر البنغوين اما الحيوان فلم يعبأ بنا واما الطائر فكان يمشي الينا الخيزلى وهو يصرخ مستغرباً اعتداءنا على حماه كأنهُ شيوخ لبسوا رداءٌ اسود تحتهُ صدار ابيض

وكان الجليد رخناً غير متماسك الاجزاء فمخرت سفينتنا فيهِ خمسة ايام متوالية وحينئذٍ وصلنا الى بر القطب الجنوبي وهو جبال شاهقة يغطيها الثلج تعلو عن البحر عشرة آلاف الى خمسة عشر الف قدم تناطح السحاب وتعلو فوقهُ وتصب في البحر انهاراً من الجليد تتكسر وتجري فيهِ كقطع الغمام وكنا نتشوَّف الى النزول على هذا البر لمشاهدة ما فيهِ من انواع النبات والحيوان فلم نجد فيهِ سوى قليل من الطحالب والاشنان وانواعاً قليلة من الطيور وحيوان الفقمة المشار اليهِ آنفاً واما البلاد القطبية الشمالية التي من هذا العرض فانهُ يوجد فيها ثمانية عشر نوعاً من النباتات المزهرة وكثير من انواع الحيوان كالفقمة والدب والارنب والثعلب والسنجاب والقطا القطبي

وتكبر الفقمة هنا حتى يبلغ وزنها الف رطل ومنها كان اكثر طعامنا وهي كثيرة الدهن

ودهنها زنخ تعافهُ النفس ولكن الجوع كافر فكنا اذا فرغ طعامنا ونحن في المزالق نرحب بكل قطعة من هذا الدهن وننسى خبث طعمهِ

وتزحف النقمة على الجليد زحفاً بطيئاً ولا تخشى من الانسان لانها لم ترهُ قبلاً ولا عرفت انهُ افتك انواع الحيوان . اما طائر البنغوين فكان يثور في وجه من يدنو منهُ لاننا شاهدناهُ في زمن التفريخ وتدعوهُ سليقتهُ حينئذٍ الى الدفاع عن فراخهِ وهو يبني ادحيهُ من حجارة صغيرة يلتقطها من الشاطئ وقد لا يبني ادحياً بل يضع بيضهُ على الصخر ويحضنهُ كذلك ويزقُّ فراخهُ هكذا : ينزل الى البحر ويصطاد منهُ بعض السراطين ونحوها ويبتلعها ثم يفتح فاهُ والفراخ تدخل رؤوسها في حلقهِ وتأكل ما تجدهُ فيهِ . ويسطو عليهِ الطائر البحري المعروف بالزعاق ويختلس فراخهُ ولذلك يعيش بعضهُ مع بعض اسراباً لكي يتعاون ويدافع عنها

هذا ما كنا نراهُ في فصل الصيف حين وصلنا الى هناك والصيف ستة اسابيع لا غير من منتصف دسمبر الى آخر ينابر فقضيناهُ في التجوال حول البر . ولما وصلنا الى جبل اربوس الذي اكتشفهُ السر جمس روس منذ ستين سنة وجدنا الدخان فوق قنتهِ لانهُ بركان مشتعل تعلو قنتهُ عن البحر ١٢٥٠٠ قدم ولكننا لم نرَ النار تخرج منهُ الاَّ مرةً واحدة وكنا نراقبهُ كل يوم لنعلم جهة الريح من اتجاه دخانهِ . وعزمنا ان نشتي في سفحهِ ولو كنا نعلم ان نارهُ لا تخفف صبارة البرد

وكنا في الصيف لابسين ثيابنا العادية ثم اشتدَّ البرد رويداً رويداً وبلغ درجة الصفر بميزان فارنهيت وانحطَّ الى ما تحتهُ فلبسنا احذية من الفرو وجعل الجليد يزداد سمكاً في اوائل فبراير ولم تعد سفينتنا تستطيع السير فيهِ لانهُ متماسك صلب لا كجليد الصيف المتخلخل فألقينا مرساتها ونحن نعلم اننا قادمون على ليل طويل يدوم مئة واثنين وعشرين يوماً فأعددنا كل ما يمكننا اعدادهُ ليسهل علينا احتمال ذلك الليل الطويل

ولما تراكم الجليد حول السفينة ومنعها من الحركة ربطنا حبالاً بها ومددناها في كل جهة حتى نهتدي بها اليها لانهُ اذا عصفت العواصف في ذلك الليل البهيم لا يعود الانسان يرى شيئاً فيضل السبيل

اتفق ان اثنين من رجالنا اضاعا الحبل مرة ولم يكونا قد ابعدا عنهُ الاَّ قليلاً فبقيا ساعتين يفتشان عنهُ قبل ان اهتديا اليهِ ووصلا الينا وقد هرأ البرد وجهيهما اعني بذلك ان البرد يقلص الاوعية الشعرية ويطرد الدم منها فيبيض اللحم ويموت ما لم يبادر المرء الى فركهِ لارجاع الدم اليهِ

والليل القطبي منقطع النظير لا يعنهُ الاَّ من مرَّ عليهِ . افرض انك في قفر قاحل لا نبات فيهِ ولا حيوان ولا علامة من علامات الحياة وذلك القفر جليد بحت وانت مقيم فيهِ مع رفاقك منقطعين عن الناس تمام الانقطاع لا يصل اليكم منهم شيءٌ ولا يصل شيءٌ اليهم منكم وقضي عليك ان تقيم هناك شهرًا بعد شهر بعد آخر اربعة اشهر متوالية في ظلام دامس والريح تهب باردة حتى اذا كشفت وجهك او يدك هرأَهما البرد ولا شيءَ يسليك الاَّ احديث اصحابك. اذا تصورت ذلك امكنك ان تتصوَّر حال من يشتي في الاصقاع القطبية ويمرُّ عليهِ ليلها البهيم . اما نحن فلم نضجر لاننا كنا على تمام الصفاء وكنا قد اعددنا اشياء كثيرة لتسليتنا وحالما ابتدأ فصل الشتاء لبسنا ثياب الفرو وثوبًا صفيقًا فوقها مما يمنع دخول الهواء فصار يسهل علينا الخروج ولو في اشد العواصف

وهبطت درجة الحرارة رويدًا رويدًا حتى صارت ٤٠ تحت الصفر بميزان فارنهيت ولكن شعور الانسان واحد سواءٌ كان البرد على ٣٠ تحت الصفر او على ٦٠ تحت الصفر لا يرى الفرق بين الدرجتين الاَّ اذا نظر الى ميزان الحرارة . وكنت اشعر احيانًا بلسع في وجهي كلسع الزنابير فاعلم ان البرد هرأَهُ فاجعل افركهُ بيدي الى ان اعيد الحرارة والدورة الدموية اليهِ ولم نكن نستطيع ان نكشف ايدينا اكثر من دقيقتين او ثلاث اما وجوهنا فكنا نلتزم ان نبقيها مكشوفة حول افواهنا والاَّ اجتمع البخار منها على اجفاننا وجلد هناك . وقد تهب الريح في وجه المرء فيجلد نفسهُ على وجههِ ولا بدَّ لهُ حينئذٍ من ان يدور من وجه الريح وينزع كنهُ من يدهِ ويفرك وجههُ شديدًا والاَّ هرأَهُ البرد او الصق اجفانهُ واعماهُ . واضطررنا ان نحلق لحانا وشواربنا لان بخار النفس كان يجتمع عليها ويجلد ولم نكن نستطيع ان نلمس شيئًا معدنيًا لان بردها كان يبرأُ اليد . واتفق ان كلبًا رأى اناء من الصفيح مما يوضع فيهِ الطعام فمدَّ لسانهُ ولحسهُ فلصق لسانهُ بهِ

ولما ابتدأَ فصل الشتاء خرج البعض منا في المزالق فلقوا عاصفة شديدة كانت تعصف الثلج في وجوههم وحاولوا الوصول الى اكمة يستذرون بها فلم يستطيعوا وشعروا ان البرد اخذ يهرأُ وجوههم وكان معهم خيمتان فنصبوها حالاً ولجأُوا اليها ولو تأخروا خمس دقائق لقضي عليهم لانهُ لا يبقى فيهم قوة لنصب الخيمة

وكانت هذه العواصف من اشد البلايا علينا لاسيما وانها كانت تثور من غير انذار حتى لا نكاد نجد الوقت الكافي لنصب الخيام والالتجاء اليها وكان العاصف يدوم احيانًا يومين او ثلاثة فلا نتجاسر على الخروج الاَّ لاخذ الارصاد الجوية

وكان لا بدَّ لنا من الخروج في المزالق لمعرفة تلك الاصقاع وما فيها وهو الغرض الذي ذهبنا لاجلهِ فكنا نخرج بها والكلاب والخيام وهذه الخيام صغيرة تسع الخيمة منها ثلاثة رجال وكانوا يشعلونهُ ويسخنون عليهِ طعامهم وقد يضطرون ان يقيموا فيها يومين او ثلاثة او اكثر لا يستطيعون الخروج منها ثم اذا ارادوا الخروج وجدوا الثلج قد طمرها

والكلاب التي كانت معنا من كلاب سيبيريا المعتادة البرد وكانت ثلاثة وعشرين فقط لاننا لم نحسب اننا نتزل على البر وحبذا لو اخذنا معنا ستين او سبعين كلباً فكنا اذاً وصلنا الى القطب الجنوبي على ما اظن. وولد عندنا تسعة اجراء في فصل الشتاء ولكنها لم تقوَ مثل اماتها

واصطدنا كثيراً من طائر البنغوين الملكي وهو نادر ووجدنا بيضة من بيضهِ وهي الوحيدة وهذا الطائر لا يبني عشاً ولكن للانثى شيءٌ ككيس من الريش حول رجليها فتضع بيضها فيهِ وتربي هناك فراخها فلا يبرأها البرد واذا سقط فرخ من امهِ اسرعت الطيور كلها اليهِ لتنتشلهُ فتمزقهُ ارباً في الغالب من حنانها عليهِ

ولما القى الشتاء عصاهُ لم نعد نجسر ان نبعد عن السفينة لكننا كنا نخرج منها احياناً الى اكمة قريبة منها ونصعد عليها ونتزل ترويضاً لاجسامنا او نقطع الثلج ونأتي بهِ الى السفينة لنذوبهُ ماء ونفطر الساعة الثامنة صباحاً ثم نتعاطى اعمالنا المختلفة بعضنا يجرف الثلج عن السفينة وبعضنا يرفأ الغطاء الذي يغطيها او يصبّر جلود الطيور والفقاقم او يسبر غور البحر او يصطاد الحيوانات البحرية . وقد اصطاد العالم البيولوجي الذي كان معنا خمس مئة صنف من الحيوانات البحرية الجديدة من انواع السراطين وعناكب البحر والمحار مما يعيش في البحر او يسبح فيهِ وكان اذا اراد ان ينظف عظام فقمة من لحمها يضعها في شبكة حيث يصل اليها ماء البحر تحت الجليد فتأتي السراطين ونحوها من الحشرات البحرية وتأكل اللحم عن العظم وتنظفهُ في يومين

وكان معنا اجزاء كوخ كبير ابتناه على الشاطيء حتى نقيم فيهِ اذا انكسرت السفينة فجعلناهُ ملعباً كنا نمثل فيهِ بعض الالعاب الهزلية وانشأنا جريدة شهرية سميناها تيمس القطب الجنوبي كنا نشترك في كتابتها وزرعنا قليلاً من الرشاد والجرجير في غرفة المرضى فنبتا واطعمناهما لفريق منا كان قد ذهب على المزالق وعاد الينا . وكان في هذه الغرفة موقدان لتدفيتها وكنا نقيم فيها غالباً لان حرارتها كانت دائماً على الدرجة ٥٥ بميزان فارنهيت ولم ننقطع عن رصد الحوادث الجوية كل ساعتين لا نهاراً ولا ليلاً

ستأتي البقية



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُختار على المطوَّلة

دوران الارض

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

قد رأيت ما نشرهُ المقتطف في الجزء الماضي من المحاورة التي جرت بيني وبين حضرة الاديب عبد القادر افندي المغربي وأتيت على آخر ما سردهُ المقتطف من الدلائل الظاهرة في دوران الارض

ولكني رأيت الرجل ينعى عليَّ الخوض في دلائلهِ التي بعث اليَّ بها في كتابهِ اذ ذكر انهُ لم يُرِد تقريرها ولا محاولة اقناعي بها وانهُ انما سردها لمجرَّد الاستدلال بها على ان العلماء قاطعون بدوران الارض فأردت الآن ان افصح عن حقيقة امري وامرهِ

كان اصل النزاع بيننا كما علم المقتطف في ان علماء الفن هم قاطعون ام غير قاطعين. ولا يخفى ان هذا الخلاف ينفصل بأحد شيئين اما بنقل ينصُّ انهم قاطعون ام لا واما بتقرير الادلة التي ذكرها القوم وبيان وجه قطعيتها او ظنيتها ليعرف مذهبهم في ذلك واما الاستدلال بمجرد سرد الدلائل من غير ان يراد تقريرها او يعلم مدارها على مسألة بقطع او ظن فلا نعلم لهُ نظيرًا في علوم المناظرات ولذلك لما اتى بتلك الدلائل حسبت انهُ قد اختار الخطة الثانية وحملتني علوم آداب البحث ان ابين لذلك الاديب ان وجه دلالتها على المطلوب ظني ولا أُبالي بعد ذلك اذا نقم مني ما لم ينقمهُ العلم وهل دفع مراد ايرادًا او رحمت المناظرات مرادًا

اقول هذا على فرض ان الرجل مصدق بأن تلك الادلة صريحة في جزم العلماء بدوران الارض اما واني أُراهُ يقول انها تشف عن الجزم فلا ادري ما اقول وانتم تعلمون قيمة الشف في اثبات المطالب القطعية

اتاني منهُ كتاب جوابًا على كتابي الذي نشرهُ المقتطف افتتحهُ بقولهِ

سيدي الاخ امين افندي

شكرت لكم عنايتكم بهذا البحث وعجبت من بداهتكم وقوة عارضتكم في تزييف الادلة التي ذكروها حتى كدت اتزحزح عن موقف الاطمئنان باقوالهم وتفارقني الثقة بادلتهم الخ الخ

ثم رايتهُ يقول فيما كتبهُ الى المقتطف ان القول بامكان ثبات الارض جد وما هو بالهزل. فانتم ترون ان ذلك وهذا تسليم منهُ لما يقول خصمهُ والتسليم يرفع الخلاف ما دام كلامهُ يشهد على وجدانهِ انهُ اقرَّ وارتفع النزاع فكان عليهِ اذا بقيت في نفسهِ حائكة شبهة ان يسترشد لنفسهِ او يؤَاخذ صفوة الاعتبار في نصهِ وهذا هو الذي تقتضيهِ علوم المناظرة واما بقاء الخصم بعد التسليم على خصومة فعجيب واعجب منهُ ان يسلم ما لم يحقق انطباقهُ على الاصول العلمية ! على اني لا انكر ما لصاحبنا من الذكاء ولكن الانتقاد رقيب حسيب على ما فيهِ من الفوائد الجمة التي افاض فيها المقتطف في احد اعدادهِ من قبل

اراني اسهبت في الحديث وما اردت الاَّ تطبيق المحاورة على قانون العلم كيلا يؤثر عنا ما يؤلم هذا العصر على اني لو اردتُ مجرد الانتصاف لكان لي في المقتطف وهو مجلة العلم والحرية مجال اطول من ظل الرمح واوسع من امل الحريص

ندعهُ وشأْنهُ ونعود للبحث في جوهر المسأَلة فاقول مذهبي في مسئلة دوران الارض انها امر ظني فاني لم اجد دليلاً قاطعًا وما انا بحمد الله ممن يغرهُ مجرد تسمية الدليل برهانًا والمقتطف يعذرني في ان لا اذهب مذهبًا تكون حجتي فيهِ التقليد المحض. واما ما جاء فيهِ من الادلة وان قويت فان لي فيها شبهات سأرسل بها الى المقتطف حتى تبلغ المسأَلة مبلغها اليقيني

طرابلس الشام　　　　محمد امين عز الدين

[المقتطف] لما كتبنا ما كتبناهُ في الجزء الاول من هذه السنة لم ننقل كلامًا ينصُّ على ان علماء الفن قاطعون في دوران الارض لان النصوص على دورانها اكثر من ان تحصى فان كل كتب علم الهيئة التي أُلفت منذ مئة عام الى الآن في اوربا واميركا وكل المقالات عن الارض في دوائر المعارف الاوربية والاميركية وكل الكتب الجغرافية الكبيرة كل ذلك ينص على دوران الارض على محورها وعلى دورانها حول الشمس. ولا نخطئ اذا قلنا ان هذه الكتب والمقالات تعدُّ بعشرات الالوف . فان كان ايراد بعض النصوص يغني عن الاسهاب في هذا الباب فحسبنا ما قالهُ الدكتور ڤان ديك في كتابهِ اصول علم الهيئة وهو " حركة الاجرام السموية اليومية الظاهرة من الشرق الى الغرب وانما هي حاصلة بالحقيقة من دوران الارض على

محورها من الغرب الى الشرق" (رقم ١٦ صفحة ١٦) . "القياس الاصلي للوقت هو زمان دوران الارض على محورها مرةً واحدة وهو واحد ابدًا" (رقم ٥٤ صفحة ٣٥) . "ان حركة الشمس الظاهرة حول الارض مرةً واحدة كل سنة حاصلة من حركة الارض الحقيقية حول الشمس في تلك المدة" (رقم ١٥٤ صفحة ٩٢)

اوهام الاوائل

حضرة الدكتورين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

تصفحت كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم للعلاَّمة المفضال الامام جمال الدين ابي بكر الخوارزمي فوجدتهُ كتابًا جليلاً فجلت فيهِ حتى وقع نظري على باب العجائب فرأيت ان ذلك المؤلف الفاضل اورد حكايات كثيرة في ذلك الباب فلنتها لاول وهلة خرافية او من قبيل المبالغة كما يتضح ذلك من الامثلة التالية المنقولة عن هذا الكتاب

(١) في بحر البصرة سمك متى صيد وجفف يكون مثل القطن ونساء تلك الناحية يتخذون منهُ الغزل والثياب السميكة

(٢) حجر المطر اذا سحق احدهما بالآخر تمطر السماء وهذا الحجر في بلاد الاتراك

(٣) يوجد حجر في ديار مصر من اخذهُ بيدهِ يقع عليهِ القيء فلا يزال يتقايأ حتى يخشى عليهِ ما لم يطرحهُ

(٤) في بلاد الهند شجرة اوراقها على صورة الادمي ويسمع منها اصوات كاصوات الادمي ايضًا

(٥) جبل في ديار كرمان من اخذ منهُ حجرًا او شقفهُ وشقهُ نصفين يرى في جوفهِ صورة ادمي جالسًا او قائمًا فان طحن بالماء يتجمد على صورة ادمي

(٦) في حد الهند جزيرة ١٠ فراسخ وفيها عين يخرج منها حيوانات وجوارٍ اعلاهن كهيئة الادمي واسفلهنَّ كهيئة الحيوانات فيلعبن ويرقصن والناس ينظرون اليهنَّ في الليلة المقمرة ولا يكون في بحر الدنيا اناس سوى هذا البحر

(٧) في ارض الروم كنيسة فيها بيت يدخل فيها الى اسفل بعشرين درجة وفي البيت سرير وتحتهُ رجل ميت على نطع وصبي ميت على نطع آخر والى فوق التخت بقرة مصنوعة من الرخام وفي بطن البقرة قدح من الرخام فيهِ زيت يستعمل ويؤخذ منهُ الزيت فاذا اخرج الميت من

تحت السرير انطفأت تلك البقرة واذا شكت المرأة أهي حامل ام لا تدخل وتضع الصبي الميت في حجرها فان تحرك الصبي علمت انها حامل والاَّ فلا

فارجو منكم الافادة عن رأيكم في ذلك　　　　بدران احمد

[المقتطف] الجواب لا شبهة عندنا ان كل ما نقلتموهُ من قبيل الخرافات. وفي كتب الاقدمين كثير من ذلك وهي تشغل اكثر من نصف كتاب حياة الحيوان الكبرى وكتاب عجائب المخلوقات

العربية وتسهيل قواعدها

للحركات في اللغة العربية شأن كبير لانها تجعل للالفاظ رنَّةً وفخامة تزيدان المعنى وقعاً في النفس. فاسماعنا مع انها اعتادت اللغة العامة من المهد نرى الالفاظ الفصيحة المحكمة الضبط تؤَثر فيها في مواقف الخطابة اكثر من الالفاظ العامة ولو كان المعنى واحداً. فإلغاء الحركات من العربية يحط من رونقها ويقلل تأثير عباراتها

ولا يخفى ان استخدام الحركات في اماكنها يُعَدُّ عقبةً في درس العربية لان قواعدها تقضي بوضع علامات في آخر المعربات بحسب العوامل المختلفة وهذا همٌّ يلازم الكاتب والقارئ والخطيب مدى الحياة. ولا يكتفي النحاة بذلك بل يطالبون الدارس بتصور علامات اعراب للكلمات المبنية الاواخر فكأنّي بهم ابوا الاَّ اجهاد قوى العقول لكي يزيد تملل الطلبة ونفورهم من درس لغتهم

فكيف نتخلص من هذه الصعوبة وعندي في ذلك رأيان اعرضهما على الائمة واهل الذكاء علهم يتفقون على امور تسهّل درس العربية على طالبيها وتقتصد في وقت العلماء انفسهم بازالتها بعض العقبات من سبلهم

اما الرأي الاول. فهو ان تحسب الكلمات العربية كلها مبنية الاواخر فيقتصر في ضبط الالفاظ على السماع وقواعد الصرف وفي اعرابها على معرفة نسبتها في الجمل بعضها الى بعض فيتخلص ابناء العربية من الحيرة في تشكيل الاواخر حسب العوامل المختلفة وهو امر يميل اليه كثيرون في الحديث والقراءة والخطابة. ولعل الاكثرين من علماء اللغة يسفهون هذا الرأي لانهُ يقلل من جمال المنطق وجزالة اللفظ بتركهِ حركات الاواخر. فاذا كان الامر كذلك ابسط الرأي الثاني وهو لا يغضُّ من كرامة الحركات لانهُ بمثابة «مس» قواعد اللغة بالمبرد وقد بسطتهُ هنا على سبيل السؤَال

(١) اي ضرر ينال العربية من جعل ضميري الجمع المؤنث والمذكر واحداً فبدلاً من القول النشاز (مددنَ ويمددنَ) نقول (مدّوا ويمدونَ) وبدلاً من القول (بيوتهنّ واقلامهنّ) نقول بيوتهم واقلامهم الخ . فان الاختلاف بين ضمير المذكر والمؤنث عقبة في سبيل المتعلمين والخطباء والمؤلفين . واللغات الحديثة تجعل الضميرين واحداً . والناس في كلامهم على اختلاف رتبهم يجرون على ذلك لانهُ أخف على السمع واللسان . فجعل الضميرين واحداً دليل على ارتقاء اللغة لا على انحطاطها

(٢) ما المانع من صرف الممنوعات نثراً كما تصرف شعراً والغاء باب موانع الصرف من كتب النحاة . ولعلّ البعض يزعمون ان تنوين الممنوع من الصرف وجرهُ ثقيلان على السامع والمتكلم . ولكن مسئلة الثقل في صرف الممنوعات مسئلة وهمية فالشعراء يصرفون الممنوع ولا يكدّر ذلك شيئاً من صفو الشعر وهو ريحانة النفوس . ومَن منا يا ترى يستثقل ان يسمع او يتلفظ بالكلمات التالية منوَّنة ومجرورة (احمرٌ . احمراً . احمرٍ . مساجدٌ . مساجداً . مساجدٍ . ابراهيمٌ . ابراهيماً ابراهيمٍ)

(٣) ما الضرر من اعراب (اي) في حالاتها الاربع وما الفائدة من بنائها متى أُضيفت وحذف صدر صلتها — ولماذا لا يجيزون نصب جمع المؤنث السالم بالفتحة كما ينصبون غيرهُ من المعربات بالحركات

(٤) اذا كان معنى العبارة يفهم من غير اعراب فما الداعي الى اختلاف احكام الاعراب بين الافعال الناقصة والاحرف المشبهة بالفعل ولا النافية للجنس . اما كان الاولى رفع الاسم والخبر دائماً حسب الاصل واراحة النفس من اختلافات النواسخ وتعقيدات احكام لا النافية للجنس

(٥) اذا كان المنادى مفعولاً بهِ في الاصل فما المانع من نصب المنادى المعرب لفظاً فنقول يا رجلاً لمعين وغير معين ويا زيداً ويا فاضلاً كما نقول يا ابن القاضي ويا طالعاً جبلاً . نعم ان الاختلاف في الحركات يرمز احياناً الى اختصارات ولكن هذه الاختصارات لا توازي الاتعاب التي تبذل في درس رموزها . على ان زيادة العبارة لفظة تؤدي المعنى المطلوب خيرٌ من هذه الاختلافات بالحركات وانهاك القوى بتلك المعميات

(٦) ما الداعي لتعداد احكام العدد مع انهُ من الممكن توحيدها او تقليلها حتى لا يرتبك فيها الطالب . وقس على ذلك اموراً كثيرة كأنها لم توضع في العربية الاّ لجعلها مغلقة على طالبيها

ولا يخفى على سادتي العلماء ان الغرض من اقتراحي تسهيل قواعد اللغة حتى لا يجد اولادنا ما يجدونهُ الآن من العناء في دروسها واضاعة الوقت الثمين على غير جدوى

والنظر في اصلاح اللغة ليس بالامر الغريب . فان من يقابل الانكليزية والافرنسية منذ قرن اوقرنين بهما الآن يجد فرقاً كبيراً . فعندهم ان الاصلح يحل محل الصالح ابداً واكادمية اللغة لا تنفكُّ تدخل الحديث وتخرج القديم اذا كان ذاك اصلح من هذا لكي تسير اللغة مع الزمان . وهذه هي سنة الله في الموجودات . ولما كان المقتطف ميدان الكفاح العلمي والادبي بسطت هذه الآراء فيه علَّ النظر فيها يوصلنا الى ما به الفائدة والسلام

جرجس الخوري المقدسي

باب الصناعة

منع احتراق الخشب

تجعل بيوت الخشب غير قابلة للاحتراق بدهنها بمحلول كبريتات الاليومنوم ثم بالبوتاس فيتكوَّن كبريتات البوتاسا وترسب الاليومنا في دقائق الخشب فتحفظهُ من الاحتراق

تلبيس الاليومنوم

يلبَّس الاليومنوم معدناً آخر هكذا : يغطَّس في مغطس فيهِ حامض هيدروكلوريك ا صودا كاوٍ ثم في محلول بي كلوريد الزيبق فتقلع سطحهُ . ويغطَّس بعد ذلك في المغطس الاول ثم في مذوَّب ملح المعدن الذي يراد تلبيسهُ بهِ

حفظ الحديد من الصدإِ

ينظف الحديد جيداً ويعلَّق بضع دقائق في محلول كبريتات النحاس ثم يغسل بالماء ويوضع بضع دقائق في محلول هيبوكبريتيت الصودا الذي فيهِ قليل من الحامض الهيدروكلوريك ويغسل جيداً فيصير سطحهُ اسود ضارباً الى الزرقة ولا يعود يصدأ

تصليب الجبس

اذا اضيف محلول بورات الامونيوم الى جبسين باريس حينما يفرغ في القوالب او اذا دُهنت بهِ مصنوعات من جبسين باريس تصلَّب الجبسين جداً . ويصنع مذوب البورات

باذابة الحامض البوراسيك في ماء سخن واضافة ما يكفي من الامونيوم اليهِ · ولا بدَّ من ان يكون المواه بارداً حينما يضاف هذا المذوب الى الجبسين او يدهن الجبسين بهِ · واذا دُهنت جدران البيوت بهذا المذوب وشبعت منهُ بعد دهنها بالجبسين لا تعود تنشع

تنظيف الاظان

اكتشف مهندس فرنسوي طريقة جديدة لتنظيف اظانات الآلات البخارية مما يلصق بها وذلك بان يفوَّر الاظان رويداً رويداً ويصب فيهِ حال تفويرهِ ماء بارد حتى يبقى ارتفاع الماء فيهِ على درجة واحدة ثم يفوَّر الماء البارد بسرعةٍ فيأخذ معهُ اكثر الرواسب التي ترسب وما بقي يسهل كشطهُ عن الاظان · واذا لم تنزع هذه الرواسب تصلَّبت وتعذَّر نزعها

دهان اسود ثابت على الحديد

اكثر انواع الدهان التي يدهن بها الحديد تتقشَّر عنهُ او تتشقَّق لانها ليست مرنة مثلهُ فاذا التوى قليلاً لم تلتوِ معهُ فتتشقق وتتقشر · ويقال ان الدهان التالي يلصق بالحديد كأنهُ المينا السوداء الصقيلة ولا ينقشر عنهُ وهو يصنع هكذا : يؤتى باناء اسطواني كبير من الحديد ويوضع في قاعهِ من مسحوق الفحم ويوضع مصبع فوق المسحوق على بعد بوصة منهُ وتوضع الادوات التي يراد تلبيسها بالمينا على المصبع ويسدّ الاناء سداً محكماً ويوضع على نار محتدمة حيث يمرُّ اللهب فوقهُ ايضاً حتى يحمر قاعهُ من شدَّة الحرارة فيمتلئ من ابخرة الفحم ومتى مرَّ عليهِ ربع ساعة وقاعهُ احمر من شدة الحرارة ينزع عن النار ويترك عشر دقائق ثم يفتح فيكون سطح الادوات الحديدية التي فيهِ قد تكربن اي اكتسى قشرة سوداء صقيلة مرنة

مزيج معدني كبير الفائدة

اصهر ٨٨ وزناً من الزنك في بوتقة واصهر في بوتقة اخرى ١٠ اوزان من النحاس الاحمر وصبها فوق الزنك وانت تحرّكهُ جيداً واضف الى المزيج وزنين من الاليومنوم وحرّكهُ جيداً ثم صبهُ في اناء واسع حتى يكون منهُ لوح سمكهُ بوصة وحينما يبرد هذا اللوح كسرهُ واصهرهُ ثانيةً تحت طبقة من فحم الخشب وافرغهُ في قوالب قائمة من الرمل حتى يكون منهُ قضبان ثخنها بوصة · فيكون سطح هذا المزيج مثل سطح الفضة المؤكسدة وهو يبرّد ويصقل جيداً واذا صُنعت منهُ الادوات بقي سطحها صقيلاً وزواياها على حالها غير مثلَّمة

زيت البترول عوض الزيت الحار

يستعمل زيت البترول عوض الزيت الحار (زيت بزر الكتان) في عمل القرنيش فيكون اصلح من الزيت الحار وذلك بان يفرك الخشب بالصنفرة (ورق الزجاج) ثم بحجر الخفان وقليل من الماء حتى يصقل جيداً ويترك اربعاً وعشرين ساعة حتى يجف تماماً ويملأ ما فيهِ من الشقوق والثقوب بدقيق حجر الخفان وشيء من القرنيش ثم يصقل بزيت البترول بدل الزيت الحار فيكون صقالهُ خالياً من كل عيب ولا يخشن في ما بعد

بطرية رخيصة جدًّا

خذ تنكة من التنك الذي يكون فيهِ اللبن او اللحم المكبوس واشترِ اناء خزفيًّا صغيرًا مما يستعمل في البطريات ولا يزيد ثمنهُ على غرش وقطعة من الزنك الرقيق ولف الزنك لفة كالقلم واغرزهُ في فلينة او قطعة من الخشب بعد ان تدهنها بالشمع الابيض وضعهُ في اناء الخزف وضع اناء الخزف في اناء التنك (الصفيح) وضع في اناء التنك مذوب الصودا الكاوي والحم سلكاً من السلكين اللذين تجري عليهما الكهربائية باناء التنك والآخر بقلم الزنك واملا اناء الخزف بالماء فيكون من ذلك بطرية مثل بطرية لكلنشه تستعمل للاجراس الكهربائية ولقيم مثل بطرية لكلنشه او اكثر منها

القصر بالكهربائية

ثبت الآن ان غزل القطن والمنسوجات القطنية تُقصر بالكهربائية في وقت قصير جدًّا بالنسبة الى الوقت الذي كانت تقصر فيهِ بكلوريد الجير فقد كان الوقت اللازم لقصرها اربعة ايام الى خمسة اما الكهربائية فتقصر المنسوجات الرفيعة في عشر ساعات الى ١٥ ساعة والمنسوجات الخشنة في ٣٦ ساعة على الاكثر . والعمل رخيص ويبقى لمعان القطن فيهِ ولا تقل متانتهُ كما تقل لو قصر بكلوريد الجير . ويكفي لهُ المجرى الكهربائي الذي يستعمل عادة لانارة البيوت . اما طريقة القصر هذه فلاصحابها امتياز بها لا يمكن استعمالها الاَّ بالاتفاق معهم

كربون القناديل الكهربائية

ان اقلام الكربون التي تستعمل في القناديل الكهربائية الكبيرة ذات النور القومي لاتدوم طويلاً وقد وجد بعضهم انهُ اذا غطست هذه الاقلام في محلول الصودا الكاوي او البوتاسا الكاوي وبقيت فيهِ اربعة ايام وكان فيهِ من مسحوق الاسبستس صارت تقيم زمناً طويلاً

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي تدرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

الفصل السادس في نزف الدم

اذا حدث النزف فلا بدَّ من توقيفهِ ويحسن ان نعرف شيئاً عن النزف ومن اين يصدر والى اين يذهب

الدم اول اركان الحياة ولا يعيش عضوٌ بدونهِ وهو متشعب في كل انحاء الجسم ما عدا الغضاريف والاجزاء الشفافة من العين والبشرة اي الطبقة الخارجية من الجلد فيوزع على الاعضاء في دورتهِ ما يلزمها لحياتها ونموها وينقل منها المواد الفاسدة التي تعيق نموها وتأول الى توقيفها عن العمل . وهذه الدورة الدموية تجري في اقنية او انابيب تسمى الاوعية الدموية وليس في الجسم نقطة واحدة من الدم الأَ وهي في وعاء دموي

وهذه الانابيب او الاقنية على نوعين احدهما ينقل الدم نقيًّا من القلب الى اقسام الجسم المختلفة ويسمى الشرايين والثاني يحمل الدم من هذه الاعضاء مشحوناً بالمواد الفاسدة ويحتاج الى التطهير ويعيدهُ الى القلب ويسمى الاوردة . وهذان النوعان يتصلان احدهما بالآخر بواسطة اقنية دقيقة جدًّا كالشعر وتسمى الاوعية الشعرية . فاذا قُطعت الاوعية الشعرية وسال الدم منها فليس هنالك ما يوجب الخوف والقلق اذ يمكن توقيف سيل الدم بسكب الماء البارد والضغط على الجرح قليلاً . واما اذا انقطع احد الشرايين فيخشى على حياة المصاب لانهُ اذا لم يوقف النزف سال كل ما في الجسم من الدم وتوقف القلب عن العمل وعقب ذلك الموت . وكذلك اذا انقطعت الاوردة وتوقفت عن عملها في حمل الدم الى القلب لان القلب اذا لم يُمَدّ ويجهز بالدم توقف عن العمل ونتيجة توقف القلب الموت

النزف بسبب العوارض

من الناس مَن اذا رأى الدم جارياً فَقَدَ رشدهُ وأُغمي عليهِ وتربطت يداهُ عن العمل . على ان الامر بسيط وفي غاية السهولة . ويوقف الطبيب او الممرضة الخبيرة النزف بضغط

الاصبع على القناة التي يسيل منها الدم · واما انت مما عليك الاَّ ان تسد الجرح وتربطهُ ربطاً وثيقاً او تربط العضو كلهُ قرب الجرح · فاذا كان الدم الجاري احمر فاتحاً وهو يفور فوراناً كان مصدرهُ القلب فاجعل الرباط فوق الجرح الى جهة القلب فتمنع الدم القادم من القلب عن الخروج · وان كان الدم الجاري احمر قانئاً وهو يسيل ببطء فهو دم وريدي قادم من العضو من جهة طرفهِ وذاهب نحو القلب فاجعل الرباط تحت الجرح الى جهة الطرف فيتوقف سيل الدم

النزف بسبب العمليات الجراحية

لا يزول الخطر عن المصاب الاَّ بعد مرور اربع وعشرين ساعة على اجراء العملية · وعلى الممرضة ان تبدي كل ما عندها من الحذق وحسن التدبير وتبذل كل ما في طاقتها من السهر والمراقبة لتدفع شر هذه المدة وتستقبل كل طارىء مفاجىء · فقد يتحرك المصاب في فراشهِ او تجيش نفسهُ فيتقيأ وهذه الاشياء قد تثير الجرح الذي لم يندمل بعد فتنفجر الاوردة او الشريانات ويحصل النزف · فاذا حدث حادث كهذا فاسرع وارسل من يستدعي الجراح واما انت فاضغط على الجرح ولاسيما اذا كان هنالك عظم تضغط عليهِ · اما في النزف الداخلي كما في العوارض البطنية فقد اخبرتك كيف يجب ان تتصرف

النزف بسبب بعض الامراض

قد تسبب بعض الامراض نزفاً من الانف او الرئتين او المعدة او المستقيم

يحدث النزف من الانف عن مرض مزمن في الكليتين يصيب المتقدمين في السن والصبيان والبنات وهم في سن البلوغ فأجلس من اصيب بهذا النزف ودعهُ ينحني الى الامام ويرفع ذراعيهِ الى فوق · واسكب الماء البارد على انفهِ وجبهتهِ ووجههِ وضع شيئاً بارداً على مؤخر ظهرهِ كمفتاح كبير او قطعة ثياب مبللة

والنزف اذا كان داخلياً صعب تحقق مصدرهِ هل هو من الرئتين او المعدة لان الدم في الحالتين يخرج من الفم ومع ذلك يمكنك معرفة المصدر الحقيقي بواسطة الاعراض الآتية :

اذا كان النزف من الرئتين شعر المصاب برعبان ودغدغة في حلقهِ واخرج الدم بالسعال مزبداً وممزوجاً باللعاب

واذا كان النزف من المعدة شعر المصاب بدوار وجاشت نفسهُ وتقيأ الدم نقيئاً بهيئة مادة خثرة · وكيفية المعالجة في كلتا الحالتين ان المصاب يلقى على ظهرهِ ويمنع من كل حركة وهياج وتوضع الثياب المبللة او اكياس الجليد على صدرهِ اذا كان النزف من الرئتين او على بطنهِ اذا كان

من المعدة . واعطهِ من الغذاء مقداراً قليلاً جداً وليكن بارداً ما امكن او مثلجاً . واعطهِ ايضاً قطعاً صغيرة من الثلج ليمتصها

واذا كان النزف من الرئتين ترى لعاب المصاب ملوثاً بالدم قبل حدوث النزف وبعدهُ ببضعة ايام

الفصل السابع

الموت وتمريض المحتضرين

بدأت كتابي بالولادة وانتهي بالموت . افتتحتهُ بدخول الروح والحياة الى العالم واختتمهُ بخروجهما منهُ . والامران غريبان يملآن المتأمل دهشةً ورهبةً ويجعلانهِ يشعر بعالم غير منظور وقوةٍ فائقة لا يحيط بها ادراك بل الانسان في قبضتها جبلة طين ليس الاَّ

وما الموت في الحقيقة سوى فساد وفناء تشعر العين بدنوهِ من كل انسان . وان الانسان ليقشعر بدنهُ ويشعر ببرودة اعضائهِ كانما وقفت نبضات قلبهِ عندما يطارح نفسهُ هذا السؤال "ماذا اعمل اذا دنا مني الموت والفناء ؟"

وما عليك في مثل هذه الحال الاَّ ان تلازم السكون التام وتتذرع بالصبر والسكينة . ومن الناس من يصير شديد النزق حاد الطبع ساعة الاحتضار فلا ينقطع عن الحركة ويحاول الخروج من الفراش فلا تحاول اقناعهُ بالسكون ولا تصارعهُ مصارعةً بل قف هادئاً بجانب سريرهِ واقنعهُ ليبقى فيهِ متملقاً اياهُ تملقاً

واذا لم يكن المصاب المحتضر طفلاً فلا تحاول تحريكهُ وحدك بل ليقف مقابلك من يساعدك في رفعهِ وتحريكهِ . ودعهُ يموت براحة فاغسل وجههُ ويديهِ ومشط شعرهُ واذا كان قد بلَّل فراشهُ او وسخهُ فاقلبهُ الى الجانب الواحد واغسل لهُ والبسهُ الثياب النظيفة وضع تحتهُ مشمعاً فوقهُ ملاءة نظيفة مطوية اربع طيات . واذا كانت رجلاهُ باردتين فضع بينهما زجاجات الماء الحار . واذا انقطع عن تناول الغذاء ورفض قبول اللبن او المرق فبلّ شفتيهِ من وقت الى آخر بملعقة صغيرة من الماء البارد فاذا لم يستطع ان يبلع فبلّ شفتيهِ بخرقة ناعمة او قطعة من القطن المندوف مبلولة بالماء البارد

ومتى فارقت الروح الجسد فانزع الوسائد من تحت راسهِ واغمض عينيهِ بان تضع اصابعك عليهما دقيقةً واربط فكهُ بمنديل وابسط اطرافهُ وانزع ثياب الفراش وغطهِ بملاءة واتركهُ الى ان تحضر ما يلزم لغسلهِ واعدادهِ للدفن . وقد جرت العادة في كثير من البلدان ان

يلبسوا الميت اخرحاله على اني افضل العادة الجارية في انكلترا فان الانكليز يلبسون الميت ثوباً جميلاً من ثياب النوم فيظهر كانهُ نائم في فراشهِ مستريح من متاعب العالم وتجارب الحياة

واغسل الجثة قبل دفنها ولا تنهضها مستقيمة بل اقلبها من جانب الى آخر كأن الميت حي ومصاب بالحمى التيفويدية او غيرها من الامراض المزمنة . واذا كانت الجثة ثقيلة فخذ منشفتين واطوهما في الطول وضع الواحدة تحت عجزي الميت والثانية تحت كتفيهِ فتساعدانك في رفع جثتهِ ووضعها في النعش . وابقِ النوافذ مفتوحة ليبقى الهواء متجدداً في الغرفة وذلك افضل لابقاء رونق الميت واصح للاحياء . واذا اردت ان تبقى الجثة الى ان يصل احد الاقارب ويحضر الجنازة والدفن فاعلم الطبيب ليحقنهُ ببعض المواد التي تحفظهُ من الفساد

الخاتمة

اما وقد وصلت الى ختام رسالتي هذه فاني اشعر بعدم استيعابها لكل ما يقال في هذا الصدد اذ الموضوع واسع لا نهاية لهُ . وقبل ان ذهبت الى احد المستشفيات للتمرن فيها طالعت كلَّ كتاب في اللغة الانكليزية يتعلق بهذا الفن ودرست التشريح على والدي حتى خلت نفسي عارفةً ما تراد معرفتهُ في فن التمريض . ثم قلت لنفسي اذهب الى احدى مستشفيات لندن فاصرف فيها ستة اشهر او سنةً على الاكثر في التمرن والاستعداد للعمل ثم اعود الى الشرق فاعلم النساء التمريض واصولهُ وفوائدهُ ولكني ما دخلت المستشفى وانتظمت في سلك الممرضات المتمرنات حتى بدا لي نقص معارفي وقلة اختباري. وقد خدمت في ثلاثة مستشفيات ومرَّضت الاغنياء في منازلهم تحت مراقبة اعاظم اطباء بريطانيا وجراحييا . واشتغلت ثلاث سنوات بين افقر الناس في مدينة لندن و بين مستخدمي المعامل في القرى حيث كثيراً ما كنت ارى الغرفة الواحدة التي ليس فيها الا فراش واحد يسكنها اثنا عشر او اربعة عشر بعضهم ينامون على كومة من القش وآخرون على قطعة من الخيش و يستضيئون بنور ضعيف ويمر بهم الشتاء ولا يشعلون فحمة يستدفئون بحرارتها . وكنت احياناً ابذل جهدي في اقناع والدٍ سكير ليخلع ثوبهُ الخارجي فالف بهِ طفلهُ المولود حديثاً بينما اسرع الى المستشفى واتي بالثياب والطعام للوالدة والطفل . وقد فعلت ذلك مرة في الساعة الثالثة صباحاً

وهكذا اختبرت التمريض في اماكن مختلفة من اعظم المستشفيات الحائزة على كل ما يحتاج اليهِ في فن التمريض الى بعض المستشفيات التي لا تحتوي الا الاسرة للمرضى ومن منازل الاغنياء الذين يأمرون بكل ما يحتاجون اليهِ مما يتعلق بالطب والجراحة فيصلهم حالاً الى بيوت الفقراء المعوزين حيث كنت ابذل كل ما في طاقتي لاختراع الوسائط والطرق لتمريض المرضى . ومن

الذين مرَّضتهم رجل استنشق من الاوكسجين المستحضر ما يبلغ ثمنهُ سبعين جنيهاً

والآن بعد هذا الاختبار الطويل مدة اثني عشرة سنة لم ازل اشعر بعدم استيعابي لكل ما تمكن معرفتهُ في هذا الموضوع واسأل نفسي هذين السؤالين الاول هل كانت لغتي من البساطة بحيث يفهمني الجميع على السواء ؟ وهل تمكنت من ان اعلم القارئة لفصولي هذه كيف تتصرف مع المريض وتعمل ما يؤول الى راحتهِ وتلاحظ الدرجات والتغيرات في مرضهِ . ولا خلاف في ان اللطف والسرعة في العمل وقوة الملاحظة صفات تولد مع الانسان ولكن من المؤكد ايضاً ان المعرفة والتعلم والاختبار تقويان هذه الصفات

والسؤال الثاني الذي اسألهُ لنفسي هو هل استطعت ان ابين للكثير كيف ان فنَّ التمريض يحتاج الى عمل عقلي وانهُ اذا زادت معرفة الممرضة زادت فائدتها للطبيب والمريض . فاذا كان فنُّ التمريض يستدعي المعرفة والتهذيب افلا يجدر بسيدات هذه البلاد او غيرها من البلدان الشرقية ان يقبلنَ على هذه الحرفة الشريفة وينتظمن في سلك الممرضات

هذا وان في بلاد الانكليز اربع مجلات مختصة بفن التمريض تنشئها وتديرها ممرضات او سيدات مارسن ذلك الفن الى ان قضت عليهنَّ الاحوال بملازمة بيوتهنَّ الأَّ انهنَّ لم ينقطعن عن خدمة حرفة التمريض ولو في الكتابة والانشاء . وهنالك ممرضات في خدمة الحكومة تدفع اليهنَّ رواتبهنَّ لينتقلن من مكان الى آخر ويلقين الخطب في فن الهيجين اي علم الصحة. وهنالك ايضاً مؤتمرات للتمريض ومعارض للتمريض تعرض فيها ادوات هذا الفن وكيفية استعمالها وترسل اليها الممرضات بما توصلن اليهِ من الآراء المبتكرة والاختراعات الجديدة . ولهنَّ ايضاً فنادق وجمعيات خاصة بهنَّ وسجل خاص ويقدر عددهنَّ بخمسين الف ممرضة وهذه فقرة انقلها عن احدى جرائدهنَّ قالت الجريدة

"لقد ثبت الآن ان اهم الاسباب لهذا التقدم السريع في فن التمريض هو اقبال جمهور كبير من السيدات على الانتظام في سلك الممرضات . فانهنَّ لحسن تعلمهنَّ كنَّ اكثر استعداداً لفهم اصول صناعتهنَّ واقدر على القيام بواجباتهن . وكان لحسن اخلاقهنَّ وروائع ادبهنَّ اعظم تأثير في المستشفيات . وقد اصبحت هذه الحقائق راهنة لا يختلف فيها اثنان حتى ترى المتمرنين اليوم على التمريض في كل المستشفيات من السيدات لا غير"

وقد بدت طليعة هذا العمل في الشرق فاقبلت بعض الفتيات الشرقيات على التمرن والاستعداد للتمريض . فانا اشكر حمية هؤلاء الفتيات الباسلات واحترمهن كل الاحترام ولكني اتمنى ان ارى بعض سيدات الشرق يغادرن بيوتهن حيث اعتدن الرفه وسعة العيش

ويدخلن المستشفيات ليخدمن المرضى العاجزين بروح التواضع والمحبة فتخلد لهم الانسانية افضل ذكر وينتشلن هذا العمل الجيد مما هو عليهِ الآن في الشرق من الانحطاط ويجعلنهُ في مقدمة الحرف الشريفة كما هو في انكلترا وغيرها من البلدان المتمدنة

وقد كانت خدمة المستشفيات في انكلترا منذ اربعين سنة حقيرة جدًّا الى ان دخلت فيها السيدة فلورنس نيتنغال وهي من نخبة السيدات الانكليزيات كريمة الحسب والنسب عندها من المال ما يغنيها عن تعاطي اية حرفة كانت . لما عادت هذه السيدة الفاضلة من تمريض الجرحى في حرب القرم جعلت تمريض المرضى حرفةً لها فدخلت احد المستشفيات لتزاولهُ بنفسها ومهدت السبل لكثيرات من الانكليزيات بنات جنسها فاقبلنَ على تمريض المرضى اقبالاً عظيمًا . وقد كابدن في بادئ الامر صعوبات جمة وتحملن السخرية والاضطهاد . الَّا انهنَّ ترفعن عن كل ذلك بسمو غاياتهنَّ ونبل مقاصدهنَّ حتى ذللنَ المصاعب العديدة وتغلبن على العوائق الجمة فرفعن حرفة التمريض الى ما هي عليهِ الآن من رفعة المقام وعلو المنزلة

والتمريض الآن من الاعمال المعروفة رسميًّا في البلاد الانكليزية ولا يقوم بهِ الَّا السيدات المتعلمات المتهذبات . ومن فروع هذا الفن عند الحكومة ممرضات الجيش وممرضات الاساطيل البحرية وممرضات الملكة (وهؤلاء يمرضون الفقراء) ولا تملأ هذه المراكز الَّا بالسيدات

والسيدة فلورانس نيتنغال لها الآن من العمر ثمانون سنة وهي لم تزل تهتم بحرفة التمريض ويلذ لها معرفة نجاحنا وها انا اروي عنها شيئًا من كلامها قالت : " لو استطعت ان اطلعكم على شيء من تاريخ حياتي لاريتكم كيف ان امرأةً لا تفوق على اقرانها بشيء من الحذق وسمو العقل قادها الله في طريق غريب وغير مطروق لخدمةٍ كما خدمها . واذا اطلعتكم على كل شيء ترون كيف ان الله عمل كل شيء وانا لم اعمل شيئًا . وكل ما فعلتهُ اني اشتغلت بجدٍّ ونشاط ولم اضنَّ بشيء في خدمة الله "

لبس الفلانلاً في الصيف

اقبل الصيف ولا بدَّ من ان تهتم الامهات بتغيير ثياب اولادهنَّ وابدال قميص الفلانلاً بقميص من القطن وهذا خطأ لان قميص الفلانلاً يمتص العرق ويمنع تبخرهُ بسرعة فهو اصلح من قمصان القطن في فصل الصيف نهارًا وليلاً ولا يتعذر على الانسان ان يعتاد القيام من غير لبس الصوف صيفًا وشتاء ايضًا او يعتاد القيام عاريًا ولكن الذين يتعرضون للبرد كذلك لا يسلم منهم كثيرون واما الذين لا يتعرَّضون فيسلم اكثرهم

تنقية الماء كيماوياً

استنبط بعضهم طريقة كيماوية لتنقية مياه الشرب وذلك بان يضاف الى كل مئة الف درهم من الماء درهم واحد من اليود فانهُ يميت كل ما في الماء من الميكروبات ثم يُنزع اليود او يعدَّل بهيبوكبريتيت الصوديوم ويرشَّح بالفحم. واذا كان الماء صافياً من اصلهِ فلا داعي لترشيحهِ بالفحم ويقال ان الماء الذي ينقَّى كذلك يكون صافياً جدًّا خالياً من كل طعم

النور وعيون الاولاد

النور الساطع يتعب البصر ويضرُّ بالعيون. ويمكن اتقاؤهُ بلبس البرانيط الواسعة التي تظلل الوجه من اشعة الشمس. وتتعب العين ايضاً من الشعر اذا استرسل امامها ولذلك يجب على الامهات ان يجدلن شعر اطفالهنَّ او يقصصنهُ فوق حواجبهم حتى لا يسترسل امام عيونهم

القدوة الصالحة

اول فاعل في طباع اولادنا الوراثة الطبيعية وفعلها محتوم لا مردَّ لهُ وليس في يدنا ان نقللهُ او ان نزيدهُ او ان نحوّلهُ عن سبيلهِ. والفاعل الثاني القدوة وهي تأتي بعد الوراثة في القوة والتأثير وقبل كل المؤثرات الاخرى قدوة الوالدين والعشراء قدوة الذين ينظر الولد اليهم نظر الحب والولاء. فان الوالد الذي ينهى ابنهُ عن عمل ويستعين على هذا النهي بكل اقوال الفضلاء والحكماء ثم يعملهُ هو لا يجد من ابنهِ غير عصيان نواهيهِ. والوالدة التي تحث ابنتها على عمل ولا تعملهُ هي لا يحق لها ان تنتظر الطاعة من ابنتها. ولكن قدوة الوالدين لا تؤثر في نفوس الاولاد اذا كانت افعال العشراء تخالفها ولا يفلح الوالدان في تربية اولادهما على كرم الاخلاق اذا سمحوا لهم بمعاشرة عشراء السوء

تنظيف البرانيط

تنظَّف برانيط القش بالحامض الشتريك (الليمونيك) او الطرطريك او الاكساليك اذا اذيب في الماء ومسحت البرنيطة بهِ وفركت جيدًا. وذلك بان تبلَّ فرشاة بالماء الفاتر الذي اذيب فيهِ قليل من الصابون وتفرك البرنيطة بها ثم تغسل بماء نقي وتقصر بوضع قليل من الحامض في اناء نظيف ويصب عليهِ ماء غالٍ يكفي لغمر البرنيطة وتوضع البرنيطة في هذا الماء خمس دقائق وتنشف في الشمس. او يحرق الكبريت في اناء وتوضع مع الاناء في صندوق ويقفل وتترك معهُ بضع ساعات فتقصر ولكن اذا قصرت بالكبريت لا يلبث لونها الابيض ان يزول وتصفر ثانية



خدمة القطن بعد زرعهِ

خف النبات

لخصنا في الجزء الاول والثاني رسالة المستر فودن عن زراعة القطن في اميركا ووصلنا الى كيفية خدمتهِ بعد زرعهِ وها خلاصة ما كتبهُ في هذا الموضوع

اذا زُرع القطن بالآلة المشار اليها آنفاً نبت كثيراً (عبياً) في الخطوط فحينما تظهر ورقتهُ الثالثة ويصير علوهُ ٤ بوصات الى خمس يخفف ويكون ذلك بعد زرعهِ بثلاثة اسابيع الى اربعة . ويتم التخفيف بفاس يختلف عن الفاس المصري يدهُ اطول من يد الفاس المصري وهي نازلة في الحديد على زاوية قائمة وعرض الحديد نحو قدم فضربة واحدة بهِ تزيل النبات الزائد وما يبقى يصير بُعدهُ بعضهُ عن بعض قدماً واحدة وهو البعد العادي بين نبات القطن في الخط الواحد . فاذا اريد ان يكون البعد اقل جعل حديد الفاس اضيق من ذلك واذا اريد ان يكون اكثر جعل الحديد اوسع من ذلك . وقد يكون عرض الفاس نصف عرض المسافة المطلوبة فينزع القطن الزائد بضربتين من الفاس . والغالب ان يكون البعد بين النبات في الخط الواحد من ١٢ بوصة الى ١٤ بوصة وفي القطن السي ايلند يكون البعد ١٨ بوصة والغالب ان يكون عرض حديد الفاس ٧ بوصات فيخفف القطن بضربتين فيكون البعد بين النبات ١٤ بوصة

ترقيع الزرع

اذا استعمل الزارع الحكمة في اعداد الارض وزرع التقاوي فيها فالغالب انهُ لا يحتاج الى الترقيع ما لم يشتد البرد ويميت بعض النبات فاذا مات كثير منهُ فاعادة الزرع ارخص من الترقيع ولذلك يعوّل الاميركيون عليها اذا اضطروا الى ترقيع زراعتهم ويفضلون اعادة الزرع على الترقيع لكي لا يكون النبات في درجات مختلفة من النمو

العزق

من حين يبلغ ارتفاع نبات القطن سبع بوصات يكثر العمل في خدمتهِ فيُعزَق اولاً بمحراث صغير يمرُّ بين الخطوط سلاحهُ عريض مثلث لايغور في الارض كثيراً والغرض منهُ

نزع الاعشاب التي تكون قد نبتت بين الخطوط وكسر قشرة الارض من غير اثارة جذور القطن. وهذا الامر اي عدم تحريك جذيرات القطن امر جوهري يلتفت اليهِ كثيرًا في اميركا. والقاعدة عند الاميركان ان حرث الارض يجب ان يكون عميقًا واما عزقها فيجب ان يكون غير عميق

وقد تقدم انهُ يعتمد على المطر في ري القطن الاميركاني ولذلك لا يندر ان يحدث قيظ وجفاف فالعزق السطحي يفيد جدًّا في اوقات القيظ حتى جرى عندهم القول ان عزقتين بمقام مطرة. ويحسن بارباب الزراعة في القطر المصري ان ينتبهوا الى هذا الامر وهو ان التراب يمتص الرطوبة من اسفل الارض ويرفعها الى وجهها بما فيهِ من الانابيب الشعرية وهناك تلاقيها اشعة الشمس فتتبخر ويجف التراب. ويراد ان توجد طريقة ترفع الرطوبة من اسفل الارض الى ان تصل الى خذيرات النبات ولا تتبخر من وجه الارض فاذا عزق سطح الارض او حرثت حرثًا سطحيًّا انكسرت هذه الانابيب الشعرية فيمتنع صعود الرطوبة بها الى وجه الارض تمامًا حيث تتبخر ولكن الحرث العميق او العزق العميق يجعلان الهواء يتخلل الارض بسهولة فيجففها

فاذا خيف من العطش على القطن فالعزق الخفيف السطحي يحفظ رطوبتها فيها. وكثيرون من المزارعين في القطر المصري يفعلون على ضد ذلك فاذا عطش القطن في زمن المناوبة لم يعودوا يعزقونهُ حاسبين ان نموهُ يزيد اذا تركوهُ كذلك ويصير يمتص الرطوبة من الارض وهذا خطأ فنذكرهم بقول الاميركانيين وهو ان العزقتين تعادلان مطرة ولذلك فحينما يصير ارتفاع النبات ست بوصات الى سبع يمرُّ المحراث المتقدم ذكرهُ بين الخطوط (والبعد بينها ١٣٠ سنتيمترًا) وسلاح واحد لا يكفي فيمرُّ مرتين بين كل خطين ورجل واحد يعزق اربعة افدنة في النهار على بغل واحد

ويكرر هذا العزق كل ٢٠ يومًا او ٢١ يومًا ما لم تكن الارض رطبة جدًّا من المطر ويكرر العزق الى ان يظهر اللوز في اواخر يوليو او اوائل اغسطس فيكون القطن قد عزق في هذه المدة خمس مرات. وقد تقدم ان رجلًا واحدًا يعزق اربعة افدنة في النهار على بغل واحد فيقتضي عزق الفدان الواحد يومًا وربع يوم حتى يعزق خمس مرات

ويستعملون العزق بالفاس احيانًا فاذا خفف القطن وعزق بالفاس في اول الامر زال اكثر العشب الذي ينبت بينهُ ولاسيما اذا عزق بعد ذلك بالمحراث المتقدم ذكرهُ. ولا بدَّ من منع نمو الاعشاب بين القطن لان كل الغذاء الذي تغتذي بهِ يخسرهُ نبات القطن وكذلك كل الرطوبة التي تأخذها من الارض وهذا سبب آخر لتنقية الاعشاب من الارض اذا خيف على القطن من العطش

يظهر مما تقدَّم ان خدمة القطن يكون اكثرها على البغال ويكون البعد بين الخطوط كافياً لمرور البغل لا سيما وان القطن يكون مزروعاً على اعلى الخط لا في جنبهِ فهل يحسن استعمال هذه المحاريث في القطر المصري لعزق الارض بدل العزق باليد ولا سيما في الزراعات الكبيرة حيث يتعذَّر احياناً عزق الارض كلها . ولا شبهة في ان غلاء اجرة الانفار في اميركا هو الذي حمل الناس هناك على استعمال الآلات للعزق بدل الانفار فان انساناً واحدًا يستطيع ان يخدم ثلاثين فداناً اذا كان عندهُ بغل واحد ومحراث او عزَّاقة ويكون عزقهُ لها بمثابة اربع عزقات او خمس وهو ارخص من العزق باليد في القطر المصري

واذا حُرث ما بين الخطين سلاحين فالغالب انهُ يبقى بينهما قطعة ضيقة غير محروثة فتحرث بمحراث آخر مثلث الرأس

وقبلما يأخذ القطن يفتح بشهر من الزمان تترك خدمتهُ . وخلاصة ما تقدم من الاعمال اولاً عمل تخطيط الارض ووضع السماد فيها وذلك يقتضي حرثها ١١ سلاحاً . وثانياً زرع التقاوي وهو يقتضي سلاحاً واحدًا . وثالثاً خدمتها بالعزق خمس مرات وكل مرة تحرث سلاحين فيكون جملة الاسلحة ٢٢ سلاحاً لكل خط من اول إعداد الارض لزراعة القطن الى ان يجنى منها . فكل فدان من القطن يقتضي عمل رجل واحد وبغل واحدة مدة يومين ونصف يوم من اول الشروع في اعداد الارض الى ان يجنى جمع قطنها ولذلك فانسان واحد ومعهُ بغل واحد يستطيع ان يزرع ثلاثين فداناً من القطن ويتولى خدمتها كلها . وقد تستخدم امرأة لتخفيف القطن وهي تخفف زراعة فدانين في اليوم

خدمة السي ايلند

يعتنى بخدمة السي ايلند اكثر مما يعتنى بخدمة القطن العادي وقد زار الكاتب اباعد اثنين هما اشهر زارعي القطن في جزيرة جمس وهاك وصف الاسلوب المتبع لخدمة القطن فيها

ان الاطيان التي تزرع بهذا القطن لا تزيد على مئة فدان من كل ابعدية فان من يزرع ٥٠ فداناً يجب ان يعطي العمال السود عندهُ ٧٥ فداناً وان يزرع بعض الافدنة علفاً للبغال فتكون جملة الارض المزروعة ١٥٠ فداناً ولا بدَّ من ١٥٠ فداناً اخرى تترك بوراً لان الارض تزرع مرة كل سنتين فتكون الارض المزروعة والمعدة للزراعة ٣٠٠ فدان وقد تقدم ان الارض الزراعية لا تكون اكثر من خمس الارض الممتلكة فتكون مساحة الاطيان كلها ١٥٠٠ فدان . فمن كان عندهُ ١٥٠٠ فدان لا يزرع القطن السي ايلند في اكثر من ٥٠ فداناً كل سنة وحينما يجنى القطن تترك الارض بوراً لتنمو فيها الاعشاب البرية مرعًى للغنم والبقر وفي

شهر نوفمبر يُشرع في اعدادها لزرع القطن فتحرث حرثاً سطحياً وتجمع الاعشاب منها واشجار القطن التي كانت باقية فيها وتحرق كلها ولا يكلف هذا العمل الاّ عشرة غروش عن كل فدان

وفي شهر فبراير تحرث جيداً حرثاً عمقهُ سبع بوصات او ثماني بوصات بين الخطوط القديمة ويلقى السماد في هذا التلم والسماد مؤلف من ٢٠ حملاً من طين المستنقعات و١٠٠٠ رطل الى ١٤٠٠ رطل من كسب بزر القطن وقد يضاف زبل البهائم الى التراب ويوضع في الفدان اربعون عربة من مزيج الطين والزبل ويذر السماد الكيماوي فوق هذا السماد بآلة ذر السماد وهو من الفصفات الاعلى والبوتاس

ثم تحرث الارض عن يمين هذا التلم وعن يسارهِ حتى يقع التراب فوق السماد ويغطيهُ ويكلف الفدان اكثر من اربعة غروش . ثم تمهَّد الارض بمحدلة تمرُّ عليها فتضغط ما فيها من تراب وزبل وطين ويكون قد انتصف شهر مارس وحينئذٍ يشرع في تخطيط الارض وزرعها ويكون الزرع هذه السنة في الفسحة التي كانت بين الخطين في الزرعة السابعة . وقد تقدم ان الارض تزرع سنة وتبوَّر سنة فكأنَّ المكان الواحد منها لا يزرع الاّ مرة كل اربع سنوات لان الخطوط التي يزرع فيها القطن في المرة الثانية لا تكون فوق الخطوط التي زرع فيها في المرة الاولى بل بينها

ويبتدئ الزرع بعد اواسط مارس ويفضل الابتداء في ابريل وهو باليد والزراع ثلاثة الواحد يحفر الحفر في اعلى الخطوط ويجعل البعد بين الحفرة والحفرة ١٢ بوصة الى ١٨ بوصة والثاني يلقي التقاوي فيها والثالث يغطيها بالتراب بفاس صغيرة فينبت النبات سريعاً ويعزق اول مرة في آخر ابريل او اول مايو ثم يعزق ثانية في اواخر مايو

ثم تحرث الارض بين الخطوط حتى يرتفع التراب ويتجمع حول النبات ويغذي جذيراتهِ وتنزع الاعشاب التي تمتص الغذاء من امامهِ

ويخفف بعض النبات في اثناء العزقة الثانية ويخفف ايضاً في العزقات التالية حتى لا يبقى في شهر يوليو الاّ شجرة واحدة . والقاعدة الجارية ان يعزق هذا القطن اربع مرات ويحرث اربع مرات وفي شهر يوليو يمرُّ المحراث بين الخطوط آخر مرة لنزع الاعشاب البرية . واول ظهور الوسواس في شهر يونيو وينوّر في يوليو ويبتدئ الجمع في اوائل سبتمبر

ويجمع القطن ثم يبسط في الشمس فيجف ويقال ان ذلك يزيد لمعان شعرتهِ بامتصاصهِ جانباً من زيت بزرهِ . وهو يحلج بآلات الحلج ذات الاساطين لا ذات المناشير لان المناشير تقطع شعرهُ

محصول القطن المصري

بلغ الوارد من القطن المصري الى الاسكندرية حتى اواخر مارس ٦٢٣١٢٧٣ قنطاراً يقابل ذلك في العام الماضي ٥٦٣٠٣٨٥ قنطاراً . وقد بلغ الوارد في العام الماضي الى آخر السنة ٥٨٣٨٧٩٠ قنطاراً فيرجح ان يبلغ الوارد هذا العام الى آخر اغسطس المقبل ستة ملايين ونصف مليون قنطار على الاقل وربما زاد على ذلك . وقد دفعت اوربا واميركا ثمن القنطار منها نحو اربعة جنيهات فيكون ايراد القطر المصري من ثمن القطن ٢٦ مليوناً من الجنيهات . ولم يقع لهذا القطر ايراد مثل هذا ولا وقت حرب اميركا لما بيع القنطار بتسعة جنيهات لان الموسم كان حينئذٍ نحو مليون قنطار . والظاهر ان اسعار هذا العام ستبقى في الاعوام المقبلة فان نقصت فلا يكون النقص كثيراً وان زادت فلا تكون الزيادة كثيرة اي ان ثمن القنطار يتراوح بين ٣٥٠ غرشاً و ٤٥٠



الواحة البحرية

اهدت الينا ادارة المساحة الجيولوجية تقرير الدكتور بول والمستر بيدنل عن الواحة البحرية ويظهر منهُ ان هذه الواحة واقعة في صحراء لبيبة على ١٨٠ ميلاً من وادي النيل وهي منخفض من الارض في الصحراء تحيط بها الشواهق من كل ناحية وارضها الزراعية قليلة واكثرها قفر قاحل وفيها اربع قرى في طرفها الشمالي وهناك الماء والزرع

والظاهر ان الناس سكنوا هذه الواحة من قديم الزمان فقد وجدت فيها آثار من عهد الملك تحتمس الثاني الذي كان في القرن السادس عشر قبل المسيح وآثار اخرى من القرن الثالث والقرن السادس قبل المسيح وآثار من عهد البطالسة . وذكرها سترابو المؤرخ فسماها الواحة الثانية وبطليموس وسماها الواحة الصغيرة وفيها قنطرة من مباني الرومان وقنوات كثيرة من قنواتهم لا تزال مستعملة الى الآن وتتلو ذلك آثار كنائس قبطية

وارتفاع الواحة عن سطح البحر نحو ١٢٨ متراً وشكلها بيضي طولها من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ٩٤ كيلو متراً وعرضها ٤٢ كيلو متراً ومتوسط عمقها عن الصحراء التي حولها

نحو مئة متر فمساحتها اكثر من ١٨٠٠ كيلو متر مربع والارض المزروعة فيها لا تزيد مساحتها على ١١ كيلو مترًا اي انها اقل من ٣٠٠٠ فدان ولكن بقية الارض قابلة للزراعة لان فيها عيونًا وشيئًا من النبات وفيها ايضًا تلال كثيرة وهي في الغالب سوداء وعلو بعضها ١٣٠ مترًا عن ارض القرى المجاورة لها وكان عدد سكان هذه الواحة في التعداد الاخير ٦٠٨١ نفسًا وهم يسكنون اربع قرى

والكلام في التقرير مسهب عن جيولوجية هذه الواحة وآثارها ويلحق بهِ كثير من الخرائط الجيولوجية والجغرافية

مذكرة الجيب الهندسية

تأليف حضرة ابرهيم افندي زكي المهندس بتفتيش ري القسم الثالث

لو لم تكن فائدة هذا الكتاب محصورة في المهندسين لقلنا انهُ افيد كتب الشهر لانهُ لم يصل الى يدنا هذا الشهر كتاب يوازيهِ فائدة ولا رأينا منذ زمن طويل كتابًا تعب مؤلفهُ في جمعهِ وطبعهِ تعب مؤلف هذا الكتاب ولا عجب اذا جعل ثمن النسخة منهُ ١٢٥ غرشًا فانهُ رخيص بهذا الثمن وباكثر منهُ لانهُ خزانة فوائد لا يستغني عنها المهندس في هذا القطر ففيهِ ٧٠٠ صفحة مشحونة بالفوائد عن النيل والاعمال الهندسية التي يدعو اليها الري وانشاء الترع والمصارف والجسور وسائر المباني التي يحتاج اليها مهندس الري وغيرهُ من المهندسين. وقد تجد في الصفحة الواحدة عدة فوائد مثال ذلك الصفحة الثانية عشرة فان فيها كلامًا عن وجود الاملاح في الاراضي الزراعية وعن عمق مياه الآبار وملوحتها وعن مقدار التبخر صيفًا وشتاء في الوجه البحري والوجه القبلي. واهم ما في هذا الكتاب الجداول وهي كثيرة جدًّا تشمل كل ما يحتاج اليهِ المهندس في اعمالهِ من ذلك جدول لحساب قطاع جسر او ترعة اذا عرف الارتفاع والميل وقد عبّر عن ذلك "بحساب مسطحات مثلثي جانبي قطاع الحفر والردم" وهو تعبير مشوش كما لا يخفى

وجدول المقادير الكثيرة الاستعمال كالمقدار الدال على نسبة المحيط الى القطر وقد ذكر فيهِ ارقام الكسر العشري الى الرقم السادس عشر وهو تدقيق لا يحتاج اليهِ المهندسون. وجدول يعرف منهُ محيط الدائرة ومساحة سطحها ومربعات الاعداد ومكعباتها وجذورها المالية وجذورها الكعبية من ١ الى ٩٩٩ . وجدول تحويل الفدن والقراريط والاسهم الى امتار مربعة. وجدول لوغارثمات الاعداد من ١ الى ٩٩٩ وجدول الجيوب والماسات والقواطع الى غير ذلك مما يطول شرحهُ

وفي هذه التذكرة قواعد حساب المثلثات والقطوع المخروطية ومراكز الثقل واحتكاك الاجسام وحساب الميكانيكيات ومقاومة الحجارة للضغط وما اشبه وهو مقسوم الى عدة ابواب الاول عن الري وما يتعلق بهِ والثاني عن الايدروليك اي جري السائلات والثالث عن مواد البناء وادواتهِ والرابع عن المعادن والخامس عن الحفر والردم والسادس عن القضايا الحسابية والجبرية والهندسية الداخلة في هذه الابواب والسابع عن القضايا الطبيعية المتعلقة بها والثامن عن حقائق علم البناء والتاسع عن سكك الحديد والآلات البخارية ويلي ذلك الاوامر العالية المتعلقة بالري والآلات البخارية

وقد طبع كل ذلك على ورق رقيق متين وجلّد تجليدًا حسنًا بحيث يسهل وضعهُ في الجيب واستعمالهُ عند الحاجة اليهِ . فنثني على حضرة مؤلفهِ اطيب ثناء

الحساب التجاري

مَن يعلم ما في بلاد الشام من مثبطات العزائم يستغرب مقدار الكتب التي تؤلف وتنشر فيها كل سنة وجانب كبير منها في المواضيع العلمية العملية كما يظهر من الاشارة اليها في المقتطف . ولدينا الآن كتاب منها في الحساب التجاري لحضرة الكاتب المجيد الياس افندي جرجس بهنا اسهب فيهِ الكلام على كل ما يحتاج اليهِ التاجر من علم الحساب كتحويل النقود من صنف الى آخر ومن نقود بلاد الى نقود بلاد اخرى . وتحويل العيارات والقياسات والكيول واستخراج الفائدة البسيطة والمركبة وتقسيط الدين واستهلاكهِ وخصم الحاويل وحساب السمسرة وحساب الثمرة والتعديل والشركة والتحويل وما اشبه . وحبذا لو اكثر من حل المسائل امام الطالب حتى يسهل عليهِ القياس عليها وترسخ الاعمال الحسابية في ذهنهِ ولو زاد تدقيقًا في مراجعة المسودات فقد كنا ننظر في الصفحة ١٧٧ فوجدنا انهُ سقط الرقم ١ بعد كلمة "جمعنا" في السطر الثاني . ولما قرأنا الشرح سبق وهمنا الى ان سطورهُ متصلة بالارقام التي بعدها فكان يحسن ان يفصل بينها وبين الارقام بخط قائم . وفي الكتاب ٣٦٠ صفحة وهو المرقاة الرابعة من كتب متدرجة للمؤلف في علم الحساب

الطامة الكبرى

بينا نرى الامم الحية تتنافس في توسيع ممالكها لكي توسع لابنائها سُبُل المعاش وتجزل لهم الخيرات الانكليز والفرنسويون والالمان والطليان يتسابقون الى امتلاك افريقية . والروس

واليابانيون يتنازعون على كوريا ومنشوريا . والولايات المتحدة الاميركية امتلكت جزائر فيلبين وشحنت اسواق المسكونة بمصنوعاتها — نرى ابناء العربية يتنازعون على اكل دجاجة اذا ذبحها ذمي ولم يسمِّ باسم الله ولبس برنيطة تقيهم حرّ افريقية ويشحنون جرائدهم ويشغلون مطابعهم باقامة الادلة والاسانيد على جواز ذلك او تحريمهِ

استفتى احد نزلاء الترنسفال مفتي الديار المصرية في جواز لبس البرانيط واكل لحم البقر والغنم التي تذبح بغير تسمية فاجابهُ بجواز الامرين فعلت الصيحة واشتغل الكتّاب بعضهم بتأييد ذلك وبعضهم بتفنيده . وهذه الرسالة " الطامة الكبرى على منكري الفتوى " يراد بها تأييد الفتوى كما يدلُّ اسمها . اما لبس البرنيطة فقد تقدَّم عليهِ كلام مسهب في المقتطف واما اكل الذبيحة فيظهر مما كتب في هذا الموضوع ان المتقدمين كانوا اسمح من المتأخرين واقرب منهم الى الائتلاف بغيرهم وفي هذه الرسالة كثير من الاقوال والشواهد التي تؤيد ذلك . وحبذا لو اهتمت الامة بحياتها المدنية وبما يحفظ كيانها كما تهتم بهذه الامور وامثالها

الفلسفة اللغوية

يسرُّنا ان كتاب الفلسفة اللغوية الذي ألَّفهُ صديقنا العالم الفاضل جرجي افندي زيدان منشىء مجلة الهلال قد نفد كلهُ ولو بعد بضع عشرة سنة من طبعهِ فاعاد طبعهُ الآن بعد ان " ادخل فيهِ تحسينات ذات بال واضاف اليهِ فصولاً كاملة في اصل الكتابة والطريقة الطبيعية لاختراعها واصل الخطوط المعروفة الآن في اقطار العالم المتمدن وفصلاً في كيفية تعلُّم الانسان العد وكيف توصَّل الى اختراع الارقام الهندية وكيف تنوقلت في العالم " وكل ذلك من المباحث الجليلة التي يعنى بها علماء اللغات وعلماء الانسان في هذه الايام

وقد ذكرنا هذا الكتاب بالاسهاب لما طُبع اول مرة وبيَّنا مدلولهُ وفائدتهُ كما ترى في الصفحة ٧٠٠ من السنة العاشرة . وحبذا لو انتبه المؤلف الى المسألة التي وقع الجدال فيها بينهُ وبين صديقنا الاستاذ جبر ضومط وهي اصل الباء التي تدخل المضارع في اللغة العامية وقد نشرت مناظرتهما في المجلد الحادي عشر من المقتطف ثم اتضح من بحث الكونت لندبرج في لغات بلاد العرب ان اصل الباء من فعل ابى يبي بمعنى اراد يريد او بغى يبغي فيقول عرب عنزة انا ابي اروح معك اي اريد اروح معك ويختزل اهالي حضرموت هذا الفعل فيصير با فقط ويقولون " امس كنا با نبيت المكلا ولكن استوى قليل شغل وبانسافر غدوه " اي امس كنا نريد ان نبيت في المكلا الخ وهذا شأن عرب اليمن فانهم يدخلون لفظة با على المضارع اما عرب نجد فيدخلون حرف الباء وحدهُ مثل اهل مصر والشام

الوفاق والطلاق

هذه الرواية من روايات تولستوي الفيلسوف الروسي الذي دوت بذكره الآفاق صوَّر فيها الرذيلة اوضح صورة وعبَّر عنها باصرح بيان فقال "ان الاطباء هم الذين يضلون الشبان ويسهلون عليهم ارتكاب الموبقات التي تميت النفس وتفسد الاخلاق فهم اصنام العلم يعرفون جيداً ضرر هذه الامور ويبيحون استعمالها للشبان بقولهم لهم انها مفيدة للصحة . ولو نهوهم عن الرذائل وصرفوا في تخليصهم من السقوط في هذا الفخ جزءا من الف من الوسائط التي يستعملونها لاستنباط الادوية الشافية من اسقام الامراض التي تصيب الشبان لما تهوَّر احد منهم فيها" . ولام الناس كلهم لانهم يرون الشر بعيونهم ويغضون الطرف عنهُ فقال " يزور احد الشبان منزلي فاقابلهُ بكل حفاوة وترحاب وعند ما يدخل قاعة الضيوف يجالس ابنتي او اختي ويتركني وشأني وانا اسكت عن ذلك مع معرفتي تصرفاته حق المعرفة فكان ينبغي عليَّ بدلاً من ان اقابلهُ بالبشاشة والاكرام ان امسكهُ بيده واقول لهُ همساً في اذنيه اني على بينة من امرك ايها الشاب واعرف جيداً اين تصرف لياليك ومع مَن ولهذا اقول لك بكل صراحة ان لا محل لك عندنا لان بناتنا فتيات طاهرات فلا تفسد اخلاقهنَّ بعشرتك السيئة بل اذهب عنا بسلام"

ومدار الرواية على قصة رجل عاش وهو شاب عيشة الخلاعة والفحشاء ثم تزوج فتاة لم تتهذَّب تهذيباً يمكّن الفضيلة منها فأفسد آدابها باعماله ثم صار يغار عليها اعتقاداً منهُ انها مثل اللواتي كان يخدعهنَّ وحملتهُ غيرتهُ على قتلها اخيراً

وألقى المؤلف اللوم اولاً على الاطباء لانهم يبيحون للشبان ان يهدموا سياج عفتهم وثانياً على الهيئة الاجتماعية لانها لا تقصي من خلع عذاره وهتك ستار عفته . وثالثاً على العيال التي صارت تستثقل كثرة الاولاد . وقد اصاب في كل ذلك كبد الحقيقة فان اللوم الاكبر على الاطباء الذين يحملهم غرورهم وعلمهم القليل وتصديق الناس لاقوالهم على اباحة ما يحرمهُ كل شرع وعلم وهو هدم سياج العفة . وعلى التعليم الفاسد الذي مؤداهُ ان من تزوَّج صغيراً كان اولادهُ ضعاف البنية والعقل . فان هذا الحكم العلمي مبني على استقراء ناقص جداً ونتيجتهُ تطوُّح الشبان في ارتكاب الموبقات وفساد النسل والاخلاق . ويقع جانب كبير من اللوم على العادات الحاضرة التي تطالب الوالدين بنفقات طائلة لتربية اولادهم وتزويج بناتهم فيلجأون الى تأخير زواجهم حتى يصيروا في سعة من العيش والى تقليل اولادهم حتى يستطيعوا الانفاق عليهم عن سعة . ولابدَّ من بسط الكلام على هذه المواضيع في وقت آخر

والوصف الذي وصفت بهِ المرأة التي عليها مدار الرواية غير منسجم فتظهر للقارىء تارة

سليطة فاسدة الاخلاق وتارةً مريضة بمرض عصبي وغير مسأولة عما تفعل حينئذٍ لان مرضها يقودها الى ذلك وتارةً متجملة باكرم الاخلاق حتى انها ليلة مقتلها لم يتضح جليًا كونها بريئة او خائنة . ويحتمل ان فكر المؤلف كان مضطربًا فلم ينهج منهجًا واحدًا في تصويرها للقارىء كما يحتمل ان يكون الخلل من المترجم لا منهُ

ولم يفلح المترجم في اختيار الكلمات التي تعبر عن بعض المعاني فكان يستطيع ان يعبر عنها بكلمات ادبية مهذبة لا تخجل الفتاة ان تقرأها على مسمع من والديها فيتم الغرض من الكتاب وهو وضعهُ في يد الجميع رجالاً ونساء شبانًا وشابات حتى يقرأوهُ على حدٍ سوى لانهُ لازم لهم كلهم . وكذلك وقع فيهِ احيانًا غلط مطبعي يفسد المعنى تمامًا كقولهِ في السطر الاول من الصفحة ١٤٠ "وان يستأصل في نفوسهم" وصوابهُ وان يتأصل في نفوسهم وكقولهِ في الصفحة السابقة "وهي ولادة الاولاد" فان العبارة في حالتها الحاضرة مخلة بالمعنى المراد ولا ندري كيف تصلح ولا ما هو اصلها . والكتاب حريٌ بان يعاد تنقيحهُ ونشرهُ حالما تنفد طبعتهُ الاولى وهو مطبوع على نفقة ابرهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية ويحسن بكل رجل ان يطالعهُ

اورشليم الجديدة

او فتح العرب بيت المقدس

رواية تاريخية فلسفية اجتماعية وضعها حضرة الكاتب الفاضل فرح افندي انطون منشئ مجلة الجامعة وضمنها زحف العرب الى بلاد الشام حين ظهور الاسلام وحصرهم مدينة القدس وسفر الخليفة عمر بن الخطاب اليها لفتحها بطلب البطريرك صفرونيوس واقامة المسجد الاقصى فيها على انقاض هيكل سليمان ويتخلل ذلك كلام عن احوال اليهود والمسلمين والمسيحيين يومئذٍ والافكار الدينية والسياسية التي كانت تختلج في نفوسهم والاسباب السياسية والاجتماعية والدينية التي اضعفت سلطة الروم فكانت سببًا في سقوطهم وزوال ملكهم وقيام الامم التي تليهم

والرواية حسنة الوضع منسجمة العبارة ويظهر لنا مما طالعناهُ منها ان كثيرًا من حوادثها التاريخية منقول عن الواقدي لكن كتاب الواقدي نفسهُ رواية تاريخية كما يتضح لمن يطالعهُ فحبذا لو محص المؤلف ما نقلهُ عنهُ ففرق بين الحوادث التاريخية والقصص الموضوعة

وفي الرواية كثير من النصائح والحكم والاقوال الفلسفية ويشف بعضها عن لوم صاحبها للدنيا اللوم الذي يجاهر بهِ المرء اذا انحرفت صحتهُ من كثرة الشغل او من سوء الهضم وتمكنت السوداء ولو برهة يسيرة او اذا رأى الشرور والمفاسد وابت عليهِ نفسهُ الابية ان يغض الطرف عنها كقولهِ في ختام الرواية

"فيا ايتها القبور الثلاثة التي تعانقت رفاتها في جوف الارض تعانق الاحياء وضمت الحكمة والجمال والشباب والعقل : سلام عليكم من كاتب قصتكم وقارئها

"سلام عليكم وهنيئاً لكم لانكم رقدتم براحة وسلام قبل زمن الاضطرابات التالية . هنيئاً لكم لانكم خلصتم من مشاهد الحياة الباردة واهتماماتها الباطلة وشهواتها الفارغة واعتداءاتها الوحشية . انكم خلصتم من مشهد الصغير النفس يجرُّ ذيل الكبر منتصراً . والذميم خلقاً وخلقاً يتيه دلالاً ويمشي اختيالاً . والسالب يتمتع بما سلب مكرماً محترماً بين قومهِ لان الناس لم يتعودوا شم رائحة الذهب قبل اكرام صاحبهِ ليعلموا هل كان كسبهُ حراماً او حلالاً . والوقح يبلغ مآربهُ بوقاحتهِ ويزدري كل الفضائل والاخلاق اللطيفة لانها بين الحيوانات البشرية في الدنيا لا تجر مغنماً ولا تدفع مغرماً

"هنيئاً لكم ايضاً لانكم قضيتم قبل العصر الذي تزحف فيهِ الامم والقارات بعضها الى بعض ليفني بعضها بعضاً . انكم يا ايتها الجواهر الثلاثة قد شهدتم سقوط اورشليم الجميلة عاصمة العواصم وزينة الدنيا وعروس العالم . ولكن كل هذا ليس بالشيء الذي يذكر بازاء الاهوال الآتية . ان عنصرين جديدين من البشر سيشتبكان ويتخالطان ويتماسكان وكل منهما يطلب اذلال الآخر او نبذهُ من الدنيا . فاشفقوا على اخوانكم الضعفاء الآتين بعدكم في هذا النزاع الهائل . اشفقوا على الدماء التي ستسفك من الفريقين والمظالم والفظائع والصبيانيات التي ستحدث في الجانبين . وبما انكم قد خرجتم عن دائرة النزاع والعراك في الحياة واصبحت نفوسكم نفوس ملائكة لا نفوس حيوانات بشرية فاوحي الى الشرقيين يا ايتها النفوس الكريمة المبادىء الجميلة الشريفة التي تريهم اباطيل نزاعهم . ثم ارسلي الى حكامهم روح العدل والحق والنزاهة والمحبة والالفة والسلام ليعيش الجميع في هذه الارض التي اصبحت مشتركة بينهم والتي سقوها بالدماء والدموع معيشة هادئة لا يسبون معها الارض ولا يشكون السماء"

ولا شبهة في ان الدنيا كثيرة الشرور والمفاسد ولكنها لا تخلو من الصلاح والصالحين وما احسن ما يقولهُ الانكليز في هذا المعنى

This world is not so bad a world
As some would like to make it.
For whether good or whether bad
Depends on how we take it.

ولابدَّ من غلبة الخير على الشر اخيراً جرياً على ناموس بقاء الاصلح والاَّ فالله تعالى ارتكب العبث في خلقهِ خليقتهُ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) الحب

القاهرة . الخواجه يوسف إساراني . ايهما اكثر حبًّا للآخر الرجل او المرأة وبماذا تعللون محبة الواحد للآخر

ج يظهر من البحث في احوال الحيوان بنوع عام والانسان بنوع خاص ان الذكور اشد ميلاً الى الاناث وتفانياً في طلبها كما ان الاناث اشد ميلاً الى صغارهنَّ وتفانياً في الدفاع عنها . ولا تعلَّل المحبة الآن الأ بكونها ميلاً فطريًّا موروثًا ولعلَّ سببها الطبيعي الاول حفظ القوة والاقتصاد فيها

(٢) اضطهاد الاسرائيليين

ومنهُ . لماذا يضطهد الاسرائيليون في كل الممالك مع انهم شعب مجتهد ولا يجوز ان يعامل بالقساوة والخشونة

ج يظهر ان السبب الاكبر لذلك امتناع الاسرائيليين عن الامتزاج بغيرهم وتتلوهُ الاسباب المالية التي تجعل الاسرائيليين محسودين ممن يعجزعن مجاراتهم . لكن البلدان التي صارت السلطة الاولى فيها للمال علا مقام الاسرائيليين فيها جدًّا كما في البلاد الانكليزية

(٣) الزواج وطول العمر

المنتزه بدران افندي احمد . هل للزواج علاقة بطول العمر

ج نعم فان الذين يتزوجون يعمّرون اكثر من الذين لا يتزوجون كما ظهر بالاحصاء فالمرجح ان الزواج او المعيشة الزوجية تطيل العمر او ان العزوبة او المعيشة التي يعيشها العزب تقصر العمر ولكن يحتمل ان الذين يمتنعون عن الزواج فيهم او في بعضهم امراض او آفات تقصر عمرهم فتكون هي سبب امتناعهم عن الزواج وسبب نقصان متوسط العمر اي ان نقصان العمر او الاستعداد لهُ هو سبب لقلة الزواج لا نتيجة لازمة عنها

(٤) الاسكندرية والغربان

ومنهُ . لقد جلت في بعض بلدان القطر المصري فكنت ارى الغربان والحدآن منتشرة في الجو ما عدا الاسكندرية وضواحيها فاني ما نظرت فيها هذه الطيور فما سبب ذلك

ج لا نرى لهُ سببًا معقولاً ونرجح عدم صحتهِ . هذا ونرجو من قراء المقتطف

في الاسكندرية وضواحيها ان يراقبوا مجيء الغربان والحدآن اليها وطيرانها في جوها

---

(٥) الطيارة في المركبة

القاهرة . صليب افندي سامي . نعلم ان الاشياء تكتسب حركة الشيء الذي تستند عليهِ اذا كان هذا الشيء في حركة . مثال ذلك اذا وقف حصان فجاةً بعد الركض قذف راكبهُ الى الامام واذا وقع شيء من اعلى مركبة في قطار سائر وصل الى النقطة التي يصل اليها لو كان القطار واقفاً مع ان القطار يكون قد قطع مدة وقوع ذلك الشيء مسافة لا تقل عن ثلاثة امتار . ولكن ماذا يكون حكم الاشياء التي تدخل من نافذة المركبة اثناء سير القطار اظن انها تكتسب الحركة نفسها لاني رأيت مراراً نحلة تدخل من النافذة وتستمر طائرة داخل المركبة فاذا كان الامر كذلك فكيف اكتسبت النحلة هذه الحركة حيث لم تستند على المركبة ولم تلمسها وكذلك الذباب فانهُ يدخل ويخرج من نوافذ المركبات في القطار السائر كأن لا تأثير لسرعة القطار فيهِ

ج ان النحل والذباب يكونان محمولين في هواء المركبة الجاري معها ومستندين عليهِ كما ان السمك يكون محمولاً في ماء النهر ومستنداً عليهِ وكما ان الانسان يكون محمولاً على مقعد المركبة ومستنداً عليهِ . ولكن لو رمي حجر الى داخل مركبة سائرة من نافذتها ما جرى مجرى الذباب بل مال الى الجهة التي تخالف جهة سير القطار

---

(٦) التزوج في ملة اخرى

دمشق الشام . شكري افندي خليل سويدان . ان كثيرين من المسيحيين والمسلمين كانوا اولاً يهوداً فتنصروا او اسلموا وكانت هذه الامم الثلاثة تتزوج بعضها من بعض ثم ابطلت ذلك فمن اي عهد ابطلتهُ

ج لم يكن التزوج بين هذه الملل كثير الشيوع في وقت من الاوقات بل كان دائماً نادراً الاَّ في حال السبي ووقوع النساء في الاسر . ولا يزال التزوج جارياً كذلك في هذا القطر والاقطار الاوربية فاننا نعرف بعضاً من المسلمين متزوجين بيهوديات او مسيحيات وبعضاً من المسيحيين متزوجين بيهوديات ايضاً ولكننا لا نعرف مسيحياً او يهودياً متزوجاً بمسلمة ومتى جاء الزمن الذي يتفق فيهِ الناس على عبادة الله الناس على اسلوب واحد فيبطل ما نراهُ بينهم من التباغض والتقاطع

(٧) اصل اليهود المشتتين

ومنهُ . هل اليهود المشتتون في اقطار المسكونة من سلالة اليهود سكان سورية وقت ظهور المسيح

ج بعضهم منهم وبعضهم من غيرهم لان اكثر اليهود تشتتوا في المسكونة قبل ظهور المسيح

(٨) شكل غريب في الذرة

كفر الزيات · ناشد افندي فريد ·

شاهدت عوداً من الذرة نابتاً فيهِ شكل طبيعي اشبه بعصفور كامل الخلقة والهيئة واللون فما تعليل ذلك

ج ان ازهار بعض النباتات تتشكل بشكل الفراش اغراء للفراش بالوقوع عليها وتلقيحها ولكن الذرة ليست من هذه النباتات ولم نسمع ان احداً رأى شيئاً مثل ذلك في الذرة · ولا بدَّ من ان تكونوا قد حفظتم هذا الشكل فنرجو ان ترسلوهُ الينا لنراهُ ثم نردهُ لكم

(٩) التظاهر والخداع

ومنهُ · هل يجوز التظاهر والتملق والخداع لنيل خيرٍ او للتخلص من شر

ج لا يجوز ابداً ارتكاب شر ادبي مهما كانت العاقبة · ويحتمل ان يفوز القائد الذي يخدع غيرهُ لان الحرب خدعة ولكن الفوز المكتسب بالخداع ليس فوزاً حقيقياً ولا هو اصلح دائماً من الانكسار

الاغنياء الكرماء

توفي بالامس رجل روسي اسمهُ سولودفنيكوف من اكبر اغنياء روسيا قدرت ثروتهُ عند وفاتهِ بعشرة ملايين من الجنيهات ولم يكن قد تصدَّق بشيء في حياتهِ فلما فتحت وصيتهُ وجد انهُ قد اوصى بثلث امواله لانشاء مدارس عالية للبنات في بلاد الروس وثلثها لانشاء مدارس صناعية للصبيان ومدارس صناعية للبنات وثلثها لبناء مساكن لفقراء العمال · ولما توفي هذا الرجل توفي رجل آخر في موسكو من كبار الاغنياء وهذا لم يترك ثروتهُ لاعمال البر بعد موتهِ بل انفقها على اعمال البر في حياتهِ فلُقّب بافضل رجال موسكو

ومن كبار الاغنياء الكرماء البارون هرش فانهُ وهب سبعة ملايين من الجنيهات لاصلاح احوال الفقراء من اليهود ابناء ملتهِ

ومنهم الفرد نوبل مخترع الديناميت فانهُ ترك مليوني جنيه لينفق ريعها سنوياً خمس جوائز للمشتغلين بالعلوم الطبيعية والكيمياء والطب والفسيولوجيا والادب والمهتمين بابطال الحروب والتوفيق بين الامم وقال قبل موتهِ لقد علمني الاختبار ان الغنى الموروث لا يفيد بل يضرُّ فعلى مَن كان ذا ثروة ان لا يترك لورثتهِ الاَّ جانباً صغيراً من ثروتهِ يكفيهم ليفتحوا لهم سبيلاً في الحياة

سفير اليابان في لندن

العلم اساس ارتقاء اليابان فان كل الرجال الذين في يدهم زمام امورها تخرَّجوا في المدارس العالية وقرنوا العلم بالعمل . هذا سفيرها في بلاد الانكليز الفيكونت حياشي درس مبادئ العلوم في بلاده على احد المرسلين الاميركيين واتمَّ دروسهُ في مدرسة الملك بلندن وترجم كثيرًا من كتب الاقتصاد السياسي من الانكليزية الى اليابانية ونال الرتب العلمية من مدرستي اكسفرد وكمبردج الجامعتين فلا عجب اذا عرف مصلحة بلادهِ وتمكن من عقد معاهدة بينها وبين انكلترا

توليد اللؤلوء

يدَّعي البعض انهُ اذا وضعت لؤلؤة كبيرة من اللؤلوء الذي يوجد في الاصداف المزدوجة في زجاجة نيرا ماء من البحر وقليل من دقيق الارز ووضعت الزجاجة في مكان مظلم وتركت فيهِ سنة او سنتين تولَّد من تلك اللؤلؤة لؤلؤ كثير . والذين يدعون انهم شاهدوا ذلك كثار ولكن لم يتفق لاحد العلماء ان يبحث فيهِ بحثًا علميًا حتى الآن

بوارج جديدة لليابان

اوصى اليابانيون بعض المعامل الانكليزية ببناء بارجتين تكونان اكبر البوارج كلها تفريغ كلّ منهما ١٦٤٠٠ طنّ ويكون فيهما اكبر المدافع واقواها ويجب ان تتما في سنة ونصف سنة

اللؤلؤ واشعة رنتجن

لا يخفى ان الغواصين يخرجون الصدف من قاع البحر وهم لا يعلمون هل فيهِ لؤلؤة او ليس فيهِ وهل لؤلؤهُ بالغ حدَّهُ من النمو او لا يزال صغيرًا في بداءة نموهِ . والصدف الذي لؤلؤهُ في بداءة نموهِ اكثر كثيرًا من الصدف الذي بلغ لؤلؤهُ مبلغًا كبيرًا من النمو ولكن اذا فتحت الصدفة مات الحيوان الذي فيها ولم يبقَ سبيل لنمو لؤلئها ولذلك يتلف اكثر صدف اللؤلوء من اخراجهِ من البحر قبلما يتم نموهُ . وقد ظهر الآن انهُ يمكن فحص الصدفة باشعة رنتجن قبل فتحها فيظهر اللؤلؤ فيهِ فان كان بالغًا فتح والاَّ ردَّ الى البحر

البالون وصخور البحر

يقال ان الصخور التي في قاع البحر تظهر جليًا لمن يقف فوق البحر مرتفعًا عنهُ كثيرًا وقد اشار احد الفرنسويين باستعمال البالون المقيد لرؤية الصخور في قاع البحر وتصويرها بالفوتوغراف فيكون من ذلك فائدة كبيرة للسفن التي تمخر فيهِ

عمر الطيور

الطيور المغردة كالكنار والحسون تعيش من ثماني سنوات الى ثماني عشرة سنة وقد عاش الغراب في قفص اكثر من مئة سنة وعاش الببغاء اكثر من ذلك . والدجاج

يعيش عشر سنوات الى اثنتي عشرة سنة . والاوز البري عاش اكثر من مئة سنة

الحرائق في اميركا

اكبر حرائق اميركا حريق شيكاغو الذي حدث سنة ١٨٧١ فانهُ حرق فيهِ ١٧٣٤٠ بيتاً وبلغت الخسائر ٢١ مليون جنيه ويتلوهُ حريق بلطيمور الذي اشرنا اليهِ في الجزء الماضي . وتقدَّر خسائرها الآن بنحو ١٧ مليون جنيه ثم حريق بوستن الذي حدث سنة ١٨٧٢ وقد بلغت خسائرهُ ١٥ مليون جنيه . ومات بحريق شيكاغو ٢٥٠ نفساً ولم يمت في حريق بلطيمور سوى شخص واحد وهو من رجال المطافىء . ولما حرق ملعب اركواز في شيكاغو منذ عهد قريب مات فيهِ ٥٩١ نفساً . والحرائق كثيرة في اميركا فقد بلغت قيمة ما تلف بها في العام الماضي ٣٣ مليون جنيه اي نصف ثمن غلة الحنطة في سنة

العلم والدين

خطب رئيس اساقفة كنتربري يوم الاحتفال بمرور مئة سنة على جمعية التوراة البريطانية في السادس من شهر مارس الماضي فقال " ان مجلس اسبانيا رفض دعوى كولمبوس (بوجود اميركا) زاعماً انها تناقض نص التوراة . ورفض مجلس اللاهوتيين قول غاليليو بدوران الارض زاعماً انهُ مناقض لنص الكتاب المقدس وبعد مدة قام علماء الدين في انكلترا يحذرون الناس من التسليم بالقضايا العلمية التي اثبتها السر اسحق نيوتن زاعمين انها منقوضة بنص الكتاب . وانَّا نرى في ما عومل بهِ رجر باكن وكوبرنكس وكبلر وكثيرون غيرهم الى يومنا هذا ما يوجب على دارسي الكتاب المقدس تمام الحذر في كل المجادلات التي من هذا القبيل فان اساس الله ثابت وعلى هذا الاساس اقيمت الحقائق العلمية كما اقيمت الحقائق الادبية . والعلم الصحيح والدين الصحيح اخوان توأمان ولكل منهما كتاب خاص والكتابان من الله "

الطاعون في القطر المصري

ظهر الطاعون في ناحية اولاد يحيى على حدود الصحراء امام مدينة جرجا فمات بهِ اربعة قبلما كشف امرهُ في ٥ مارس واصيب بهِ من ٥ مارس الى ١٥ منهُ ٢٧ نفساً مات منهم ٢٥ . وكان اكثر فتكهِ في عائلة فيها ١١ نفساً فتوفي ٨ منهم وفي عائلة اخرى فيها ٥ انفس فتوفوا جميعهم . واصيب اثنان في طهطا وتوفيا بعد ان كثر موت الجرذان فيها . ولم تتمكن مصلحة الصحة من معرفة المكان الذي انتقلت منهُ عدوى الطاعون الى ناحية اولاد يحيى . وظهر بشدة في اواسط سمهود بمركز نجع حمادي ونقنق والخيام بمركز البلينا . وقد بلغ عدد الذين اصيبوا بهِ منذ اول ظهورهِ الى ٢٧ مارس ١٥٧ نفساً توفي منهم ١٢٥ نفساً وشفي سبعة

تجارة انكلترا الخارجة

بلغ الصادر الى انكلترا من القطر المصري ٥٣ في المئة من كل صادراتهِ والوارد اليهِ منها ٣٨ في المئة من كل وارداتهِ · وقد حسب مقدار الصادر والوارد في كل البلدان التالية على الاسلوب السابق اي مقدار الصادر الى انكلترا بالنسبة الى كل صادرات البلاد ومقدار الوارد اليها بالنسبة الى كل الواردات

	الصادر منها الى انكلترا		الوارد اليها من انكلترا	
شيلي	٧٣	في المئة	٣٣	في المئة
الدنمارك	٦٠	"	٣٠	"
مصر	٥٣	"	٣٨	"
اسوج	٤٣	"	٣٣	"
نروج	٤٣	"	٣٠	"
الولايات المتحدة	٤١	"	١٨	"
اسبانيا	٣٣	"	٢٥	"
اليونان	٣١	"	٢٠	"
فرنسا	٣٠	"	١٤	"
هولندا	٢٣	"	١٥	"
روسيا	٢١	"	٢٠	"
سويسرا	٢٠	"	٥	"
المانيا	١٩	"	١٢	"
بلجكا	١٩	"	١٤	"
النمسا	١٠	"	٩	"

والبلدان التالية وارداتها من انكلترا اكثر من صادراتها اليها وهي

	الصادر منها الى انكلترا		الوارد اليها من انكلترا	
جمهورية ارجنتين	١٥	في المئة	٣٤	في المئة
البرتغال	٢٦	"	٣٣	"
اورغندي	٧	"	٢٦	"
اليابان	٥	"	٢٤	"
ايطاليا	١٣	"	٢١	"
الصين	٦	"	٢٠	"
المكسيك	٨	"	١٧	"
البلغار	١١	"	١٦	"
رومانيا	٦	"	١٤	"

آثار مصرية جديدة

كتب الينا حضرة مكاتبنا من الاقصر ان السنيور سكابرلي اكتشف في وادي الملكات بالقرنة قبر البرنس امست بنت الملك سبقونا · وقد وجدت جثتها واسمها مكتوب على كفنها ووجد في قبرها نحو ثلاثين صندوقاً فيها طيور محنطة · واكتشف ايضاً قبر البرنس امون ابن الملك رعمسيس الثالث الذي كان رئيس الحرس الملكي ووجد فيهِ ناووساً من الغرانيت ولكن لم يجد الجثة والقبر بديع النقش جداً

واكتشف المستر دافس الاميركي في وادي الملوك قبر الملكة هاتسو طولهُ نحو مئتي متر ووجد فيهِ ناووساً من الغرانيت عليهِ اسم هذه الملكة وناووساً آخر عليهِ اسم الملك تحتمس الاول

قبر الملكة هاتسو

بين قبور الملوك في طيبة قبر الملكة هاتسو المعروف بالعدد ٢٠ فتحهُ لبسيوس واستخرج الردم منهُ مسافة ٥٦ متراً ثم تركهُ إما ضجراً واما عجزاً لقلة المال في يدهِ . وقد اتم المستر داڤس الاميركي فتحهُ الآن فوجد على ٥٦ متراً من بابهِ غرفة كبيرة وهي آخر ما وصل اليهِ لبسيوس وبعدها غرفة ثانية على ستين متراً منها وغرفة ثالثة على ٣٦ متراً من هذه ويمتد من هذه الغرفة سرداب منحنٍ الى غرفة المدفن وفيها ناووسان صقيلا الجوانب عليهما كتابات بديعة احدها للملكة هاتسو والآخر لابيها الملك تحتمس الاول . والناووسان مفتوحان وغطاءاهما الى جانبيهما كأن كهنة المصريين خافوا مرةً من ان يهتك حرم مدافنهم فنزعوا جثث ملوكهم منها واخفوها في اماكن اخرى اما جثة الملك تحتمس فوجدت مع جثث غيرهِ من الملوك في الدير البحري ونُقلت الى دار التحف المصرية وهي فيها الآن كما هو معلوم واما جثة ابنتهِ الملكة هاتسو فلم توجد حتى الآن . ولم يتم المستر داڤس استخراج الردم من كل سراديب هذا القبر وغرفهِ ولا وجد في ما استخرجهُ منها حتى الآن شيئاً لهُ شأن تاريخي كبير سوى ما يدل على ان هذا القبر لم تحفرهُ الملكة هاتسو بل حفرهُ ابوها وربما حفر قبل عهدهِ ليكون مدفناً عاماً للاسرة المالكة

العلم في اليابان

ابتدأ العلم الحديث في بلاد اليابان سنة ١٨٦٨ اي بعد ما أُنشئت المدرسة الكلية الاميركية في بيروت بسنتين . وفي تلك السنة انشئت ادارة للمعارف في بلاد اليابان وبعد ثلاث سنوات انشئت نظارة خاصة لها ووضع قانون للتعليم سنة ١٨٧٢ وقال امبراطور اليابان حينئذٍ حينما اصدر الامر العالي بهِ ما ترجمتهُ " ان كل المعارف اللازمة للضباط والزرّاع والصناع والاطباء وغيرهم لكي يتأهلوا لاعمالهم المختلفة انما تحصل بالتعليم . ويراد نشر التعليم في البلاد كلها حتى لا تبقى قرية فيها عائلة امية ولا عائلة فيها شخص امي " . ولم تمضِ ٢٦ سنة على صدور هذا القانون حتى صار عدد تلامذة المدارس ٧٩٢٥٩٦٦

وسنة ١٨٧٢ تألف مجلس من ٤٩ عضواً لدرس احوال التعليم في اوربا واميركا وكان من اعضاء هذا المجلس البرنس اوا كورا والمركيز ايتو وكانت حكومة اليابان ترسل نخبة شبانها الى اوربا واميركا لدرس العلوم والفنون فيهما وقد كان عدد هؤُلاء الطلبة ٢٥٠ سنة ١٨٧٣ ثم قلّ عددهم رويداً رويداً بارتقاء مدارس اليابان العالية واستغنائها عن المدارس الاجنبية حتى لم يبق منهم سنة ١٨٩٥ سوى احد عشر طالباً . وهذا شأن من تستخدمهم من الاساتذة الاجانب فان عددهم كان كثيراً جداً في اول الامر ثم صارت

تستغني عنهم رويداً رويداً حتى لم يبقَ منهم في مدارس الحكومة سنة ١٨٩٥ سوى ٣١ استاذاً . والتعليم في اليابان جارٍ على اسلوب التعليم في اميركا وتنفق الحكومة على مدارسها الابتدائية نحو مليوني جنيه وهي بمثابة عشرة ملايين من الجنيهات عندنا لرخص الحاجيات فيها وغلاء النقود . ويتعلم الصبيان في هذه المدارس الابتدائية مبادئ العلوم العملية التي يتعاطونها بعدئذٍ كالزراعة والصناعة وما اشبه ويتعلم البنات مبادئ تدبير المنزل والخياطة والتطريز وما اشبه . وقد صار التعليم كلهُ مجانيًّا منذ سنة ١٩٠٠

واليابانيون ينفقون بسخاء على التعليم وقد بلغت هباتهم لذلك في سنة واحدة ١٥٤٠٠٠ جنيه و ٣٦٧٧٠٠٠ فدان من الارض و ١٤٠٠٠ مجلد من الكتب

وفي البلاد مدرستان جامعتان واحدة في توكيو وواحدة في كيوتو تعد اساتذتهما بالمئات وطلبتهما بالالوف على حداثة نشأتهما فان مدرسة توكيو الجامعة أُنشئت سنة ١٨٧٧ ثم غيّرت سنة ١٨٨٦ وقد بلغت نفقات التعليم فيها سنة ١٨٩٥ نحو ١٣٠ الف جنيه

بوارج انكلترا

زادت انكلترا في بوارجها وطراداتها في العام الماضي مقدار ما عند دولة من الدول البحرية الكبيرة فانها زادت ١٤ سفينة حربية تفريغها ١٤٩٣٤٠ طنًّا وقوة آلاتها البخارية ٢٦٣٨٠٠ حصان وفيها خمس بوارج من الطبقة الاولى ومن اكبر بوارج الدول واسرعها تفريغ كلٍّ منها ١٤٠٠٠ طن وسرعتها ١٩ ميلاً بحريًّا وسبعة طرادات مدرعة سرعة كلٍّ منها ٢٣ ميلاً بحريًّا

معرض الازهار والبقول والاثمار

سرنا هذا المعرض كثيرًا في هذا العام لكثرة ما رأيناهُ فيهِ من معروضات العارضين الوطنيين فقد كنا في الاعوام السالفة لا نكاد نرى بين الازهار شيئًا يذكر للعارضين المصريين ما عدا صاحب الدولة البرنس حسين باشا كامل . ثم رغب المصريون في زرع الازهار وتربيتها واقبلوا على عرضها تدريجًا حتى استرعت معروضات حضرة احمد خلوصي بك المقاول الابصار في العام الماضي وخصها المقطم بالذكر والوصف لجمالها وكثرت في هذا العام وتعددت حتى شعر الناظرون ان الكفة الراجحة في هذا المعرض اضحت للمصريين او اوشكت . فقد قسمت ادارة هذا المعرض الازهار التي عرضت في اصص او صناديق والازهار المقطوفة الى ٣٧ قسمًا . وكان لحضرة خلوصي بك معروضات في اكثر من ٣٠ قسمًا منها وما لم يكن لهُ معروضات فيهِ كان لغيرهِ مثل دولة البرنس فؤاد باشا

وسعادة تكران باشا وسعادة آصف باشا وحضرة عبد الرحيم بك صبري واحمد افندي زهران وغيرهم . ثم ان دولة البرنس فؤاد باشا نال المدالية الفضية المذهبة جائزة معروضاته وحضرة خلوصي بك نال خمس جوائز اولى وثلاث جوائز ثانية ومعروضاتهُ كلها من الازهار النادرة المثال كالنرجس الكبير البديع الاشكال والسحليات والسراخس البالغة غاية الجمال

اما دولة البرنس حسين باشا كامل فابدع في ما عرضهُ من الازهار والرياحين ولكنهُ طلب ان لا تدخل في معرض الجوائز

واما العارضون الاوربيون فاكثرهم معروف من الاعوام السابقة كحضرات بونيتو بك والدكتور كيتنج والكبتن مكمردو والمسيو جليبرتي . وعرض جناب المستر فندلي من جملتهم هذه السنة ايضاً . وقد بارى نساؤهم رجالهم فالسيدات العارضات منهم اكثر من العارضين وقد كنا نود لو ان السيدات الوطنيات شاركن الاجنبيات في عرض الموائد المزينات بالازهار او عرض طاقات الازهار ونحوها

اما معرض البقول والاثمار فلا نرى فيهِ من دلائل التقدم ما نرى في معرض الازهار بل ان ما كان يعرض منها في الاعوام السالفة يحكي ما عرض في هذا العام او يفوقهُ . غير ان المعروضات تدل على تقدم الزراعة في الشليك وفي المليون (الكشك الماز) تقدماً عظيماً وعلى تقدم زراعة البطاطس ايضاً

ونقول بالاجمال ان معرض الازهار يتقدم عاماً فعاماً وذلك بحسن عناية المتولين امرهُ ونخص بالذكر منهم جناب المستر كاري اول الساعين فيهِ والمهتمين بامرهِ

البارجة

تطلق البارجة على كل سفينة حربية وتريد بها عند التخصيص المدرعة وهي ما يسمَّى بالانكليزية battleship وبالفرنسوية Cuirassée وهي اكبر السفن الحربية واقواها تدريعاً واعظمها مدافع . واثقلها تكون سرعتها اقل من سرعة الطراد فهي بمقام حصن نقَّال يسير في الماء يقوم الحديد الذي يكسوها مقام اسوار الحصون وجدرانها وهو من الصلب (الفولاذ) الشديد الصلابة والغالب ان يكون سمكهُ من ٨ بوصات الى ١٨ بوصة واسمكهُ في وسط البارجة لكي يقي آلاتها البخارية وعلى الابراج التي فيها المدافع الكبرى . والغالب ان يكون فيها برجان كبيران في كلٍ منهما مدفعان من المدافع الكبيرة التي قطر فوهة كلٍ منهما من ١٢ بوصة الى ١٣ بوصة وفوقهما برجان صغيران في كلٍ منهما مدفعان اصغر من الاولين قطر فوهة كلٍ منهما ٨ بوصات وتسدَّد مدافعها الثمانية الى الغرض الواحد في وقت واحد فتقع قنابها عليهِ معاً

كالقضاء المبرم. ويكون فيها كثير من المدافع الصغيرة والانابيب التي يقذف الطربيد منها ويكون جسمها مقسوماً الى غرف محكمة حتى اذا ثقب جدار غرفة منها ودخلها الماء بقي محصوراً فيها ولم يدخل غيرها فتبقى السفينة طافية في الماء الى ان تسد هذه الغرفة ويخرج الماء منها. ويبلغ ثمن البارجة عادة من مليون جنيه الى مليون واربع مئة الف جنيه

الطرّاد

نريد بالطراد ما يسمَّى بالانكليزية Cruiser وبالفرنسوية Croiseur وقد سميناه قبلاً جوَّالة لانهُ يجول من مكان الى آخر لحماية السفن التجارية الخاصة ببلاده او لايقاع الضرر بغيرها. والطرادات اشكال بعضها مدرَّع وهو كبير وقوي جدًّا يكاد يكون كالبوارج وبعضها غير مدرع وبعضها بين بين اي لهُ درع يحمي آلاته. والغالب ان تكون سرعة الطراد المدرع من ٢٠ ميلاً بحريًّا الى ٢٣ ميلاً ويكون فيهِ مدافع كبيرة قطر فوهة الواحد منها ٨ بوصات ومدافع اخرى اصغر منها وتكون آلاتهُ البخارية مثل آلات البوارج او اقوى منها لكي يسير بسرعة. ويكون فيهِ ايضاً انابيب يقذف الطربيد منها بعضها فوق الماء وبعضها غائص في الماء. والخلاصة ان الطراد المدرع يفرق عن البارجة في ان تدريعهُ اقل من تدريعها ومدافعهُ اصغر لكي يكون اخف منها وتكون سرعتهُ اشد من سرعتها. ويبلغ ثمن الطراد المدرع من ستمئة الف جنيه الى مليون جنيه او اكثر والمحمي من ثلثمئة الف جنيه الى ستمئة الف جنيه

النسافة

النسافة سفينة صغيرة تسير بسرعة وتقذف الطربيد على السفن الحربية تحت سطح الماء. والطربيد يسير منها بقوة الدفع او بآلة فيهِ تدير رفاصاً فيسير بسرعة نحو الغرض الذي سدّد اليهِ. ويبلغ ثمن النسافة من ستين الف جنيه الى مئة الف جنيه

المدفعية

سفينة صغيرة فيها مدفع كبير او مدفعان كبيران يسهل دنوها من البوارج فيتعذَّر على البوارج اصابتها لانها لا تستطيع ان تسدد مدافعها على غرض قريب منها

اساطيل الشرق

تدعو الحرب الناشبة الآن بين الروس واليابان الى معرفة ما عند هاتين الدولتين من الاساطيل في الشرق الاقصى وما عند غيرهما من الدول الاوربية في تلك البحار

اما اساطيل الروس واليابان فقد وصفناها في مكان آخر ونزيد على ذلك انهُ اذا استمرَّت الحرب ثمانية اشهر اخرى استطاعت روسيا ان ترسل الى الشرق الاقصى خمس بوارج جديدة من الطبقة

الاولى لم يتم بناؤُها واعدادها للحرب حتى الآن ولكنهُ يتم في بضعة اشهر فانها شرعت سنة ١٨٩٨ في بناء سبع بوارج من الطبقة الاولى فأتمت اثنتين منها وارسلتهما الى الحرب وهما الرتفيزان والزارفتش والخمس الباقية تكاد تتم فاذا تمت قريباً وأُرسلت الى دار الحرب صار الاسطول الرومي اقوى كثيراً من الاسطول الياباني ولا ترسلها وحدها بل ترسل معها طرادين من الطبقة الثانية واحدى عشرة نسافة . وفي المدرعات الخمس عشرون مدفعاً مما قطر فوهتهِ ١٢ بوصة و٦٠ مدفعاً مما قطر فوهتهِ ٦ بوصات و١٠٠ مدفع مما قطر فوهتهِ ٣ بوصات ومئة واربعون مدفعاً اصغر منها وعشرون انبوباً للطربيد وكلها اقوى من الزارفتش واصلح منها

اما الدول الاخرى فلها في الشرق الاقصى ما يأْتي : لانكلترا خمس بوارج وطرادان مدرعان وثمانية طرادات محمية و١٣ نسافة . ولفرنسا بارجة واحدة وطرادان مدرعان وخمس طرادات محمية و١٤ نسافة لكن بوارج انكلترا وطراداتها اقوى كثيراً من بوارج فرنسا وطراداتها . وللولايات المتحدة ثلاث بوارج وطرادان مدرعان واربع طرادات محمية . ولالمانيا طراد مدرع وست طرادت محمية ونسافة واحدة

الظواهر الفلكية في ابريل

اوجه القمر

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاخير	٧	٧	٥٣ مساء
الهلال	١٥	١١	٥٣ «
الربع الاول	٢٣	٦	٥٥ صباحاً
البدر	٣٠	٠	٣٦ «

عطارد — يكون نجم المساء الشهر كلهُ

الزهرة — تكون نجم الصباح وتشرق قبل الشمس بساعة

المريخ — نجم المساء يغيب بعد الشمس بساعة

المشتري — لا يصلح موقعهُ لرصدهِ

زحل — يشرق الساعة ٢ ١/٢ صباحاً

العقل وثقل الدماغ

ظهر من وزن ادمغة ٢٣٥ رجلاً ان متوسط ادمغة العمال ١٤٠٠ غرام والصناع الماهرين ١٤٥٠ غراماً والتجار ١٤٦٦ غراماً والعلماء والاطباء ١٥٠٠ غرام

اصلاح خطإٍ

كتب الينا حضرة عبد القادر افندي حمزة صاحب مقالة "خطر علينا وعلى الدين" يقول انهُ وقع تحريف في آيتين مذكورتين فيها وصوابهما

"وما خلقت الجن والانس الاَّ ليعبدون"

"انا نحن نزلنا الذكر وانا لهُ لحافظون"

الفصل الحادي عشر

الشيطانة الجميلة

ثم نهض البرنس سكولوف الى احدى نوافذ غرفتهِ التي تشرف على شارع الكسندر نيوسكي ووقف فيها ينظر الى المركبات السائرة ذهاباً واياباً لاهياً بسماع اصوات اجراسها وجلبة سائقيها وخرير عجلاتها حتى سئمت نفسهُ التطلع فاغلق الشباك ساداً في وجههِ بقايا النور النافذة من بقية ذلك النهار الذي لم يبقَ من ضياء شمسهِ المتوارية سوى اشعة شفق ضئيلة ورجع الى مجلسهِ يعيد النظر في ما امامهُ من الكتب والرسائل . وبعدما طواها جميعها ووضعها في مكانها الخاص جاعلاً رسالة الشيطانة الجميلة في اسفلها بدا لهُ ما بعثهُ على استئناف فضها واذ ذاك وضع رأسهُ بين يديهِ ضاغطاً بهما صدغيهِ وقال : —

— يا عجبا ! من عسى ان تكون هذه المرأة العجيبة ؟ وما هي حقيقة امرها ؟ فلقد امتازت عن جميع وكلاء حكومة روسيا في غموض الحال وخفاء النسبة حتى لا يُعلم عنها شيء . فمن هي ؟ — بل بالحري من كانت؟ ومن كان او يكون البارون التدروف ؟ عبثاً حاولتُ البحث والتفتيش وباطلاً تكلفتُ استطلاع امرها . ففي كل مكان تقريباً كنا نُعضَد بمساعيها ونسعد بنجاح مشوراتها واما بها فلم نوفَّق بعد الى الاجتماع . على انهُ لا بأس من هذا كلهِ فعلي رغم هذه الخفايا لا ازال اثق بها واتكل عليها واثقنها اكثر من ديمتري كيراتيف كاتم اسراري . وقد جعلنا صندوق ادارتنا تحت امرها مدة خمس سنوات فلو كانت املي دشتون وكيلتي الانكليزية مكانها مثلاً لحمَّلتنا نفقاتٍ تفوق المليون اما الشيطانة الجميلة فاعظم بشدة امانتها في الخدمة ونزاهتها في السعي ومهما يكن من الباعث على إخفاء امرها عنا فلا بدَّ انهُ يكون قوياً وغاية في الاهمية ولا مندوحة لها عن رفع النقاب وكشف الحجاب متى حان الوقت وزالت الاسباب . وقد ذكرت في ذيل رسالتها الاخيرة انها قادمة الينا فمتى تصل ؟ وحق مار نيقولا اني متوقع بل متلهف ان أشاهدها . ثم التفت نحو خفير الادارة الذي دخل الغرفة بعد قرع لطيف على بابها وسمعهُ يقول

— هوذا سيدة تروم مخاطبة سموكم

ودفع اليهِ رقعة مطبوعاً عليها " الكونتس لاروش في شارع حنة باريس " وتحت هذا العنوان مكتوب باللغة الروسية " فندق اوربا — افرويكائياً غوستينيزا "

— اما اخبرتها ان الادارة أُقفلت ؟

— بلى يا سيدي ولكنها طلبَتْ ان انظر هل سموكم هنا

— هل اوضحتْ لك مرادها ؟

— كلاّ بل قالت انها جاءت الآن من فينا

— من فينا ؟ اه ! اذاً قل لها ان تدخل ومر اثنين من الحراس ان يقفا على جانبي طريقها وقد امر البرنس باجراء هذا الاحتياط لانهُ نُصبت لهُ مكيدة الاغتيال مرتين في هذا المكان عينهِ وبالجهد نجا منهما ولهذا استعدَّ الآن منعاً لمفاجأةٍ ما لم يكن في الحسبان

وبعد نحو دقيقتين دخلت المرأة حتى بلغت الباب فوقفت وقالت : —

— أهنا البرنس سكولوف ؟ فقال نعم ادخلي واجلسي

قال هذا باللغة الروسية فاجابتهُ باللغة نفسها : —

— اراك وضعت حرسك القوزاق تحوُّطاً وكان يجب عليَّ ان اكفيك مشقة هذا التحوُّس باعلان اسمي — البارونة التدورف . على انهُ يهمني ان اكون الكونتس لاروش السائحة لاسباب صحية ولهذا اطلعت الخفير على الاسم الذي ينبغي ان أُعرَف بهِ ما دمت في بطرسبرج

وكان في كلامها هذا نوع من الابهة وعلو الشأن وهي جالسة على كرسي مقابل البرنس سكولوف اما هو فكان لم يبرح واقفاً حتى اذا فرغت من كلامها اجابها ببساطة : —

— الست الشيطانة الجميلة ؟ فقالت بلى انا هي

فسار نحو الباب ونادى "شورسكهو ! اوغون ! اذهبا . ثم رجع وجلس على كرسيهِ وقال : —

— لا حاجة الى اضاعة الوقت بسرد عبارات الشكر والثناء وانما اقول حسبي اني ارى الشيطانة الجميلة وجهاً لوجهٍ . ولك ان تشيري الى غرضك من هذه الزيارة بما ترومين من اساليب التعبير ومتى شئتِ

— لقد حان وقت اجتماعنا لأن المناوضات انتهت في فينا وسترى ان بسمرك واندرامي متفقان منذ البداءة وسيظلاّن كذلك الى النهاية . اما سياسة انكلترا فقد قُطِعت وجفّت . واذ قد دبروا هم مقاصدهم ترتب علينا نحن ان نبادر ايضاً الى رسم خطة مقاصدنا

— مقاصدنا ؟

— نعم مقاصدك ومقاصدي

— ايها السيدة فوان التدروف اسمحي لي بهذا الطلب وهو ان يقف كلٌّ منا على مراد الآخر من البداءة —

فعارضتهُ مصححةً : —

— أُدعني الكونتس لاروش اذا كنت تريد

— نعم نعم الكونتس لاروش . انت نازلة في فندق اوربا . هل معكِ جواز سفر ؟ لابدَّ من ان يكون معكِ —؟

— معي خمسة . واخرجت من جيبها رزمة وقالت : —

— هذا هي . انظر . هوذا اثنان منها بتوقيعك . وهذا المعنون باسم الكونتس لاروش أُرّخ واصدر في باريس . وهذا باسم السيدة "دامين" اصدر في لندن . وهذا باسم البارونة التدروف موقّع منك في برلين . وهذا بالاسم والتوقيع عينهما في فينا . وهذا باسم السيدة "راكريوتزا" في الاستانة

فاخذت الحيرة من رئيس البوليس كل مأخذ حتى قال لها : —

— صدقيني انكِ في دقيقتين ادهشتني الى حدٍّ لم اعرفهُ من قبلُ فهل تسمحين لي ان اسألكِ عن وطنكِ لانك تتكلمين الروسية بكل ضبطٍ ولكن بلهجة غريبة وهكذا الفرنسوية

— انني شائعة الوطنية . فانا انكليزية وفرنسوية والمانية وروسية . والآن بداعي مقصدنا الحاضر روملية وفي كل مكان الشيطانة الجميلة ! فهل افصح لك امري ؟

- نعم افصحت لي ذاتيتكِ . فارجو ان تحسبي ادارة البوليس موقوفة على خدمتكِ وطوع اشارتك . فما وراءكِ من الانباء ؟

— اكثر مما يمكننا ان نخوض عبابهُ الآن . ولكن لي سؤال واحدٌ أُلقيهِ قبلما ينتهي اجتماعنا هذا وهو متى نشهر الحرب ؟

— الحرب ؟

— نعم الحرب — على تركيا

اما سكولوف فقبلما يجيبها على سؤالها انحنى الى الامام وازاح الظل عن المصباح حتى شرقت الغرفة بالنور ثم تفرّس في وجهها وتفحصها بعين نقّادة ولما لم يوجس فيها اقلّ ارتياب قال : —

— متى رفض الباب العالي الشروط المطروحة لدى المؤتمر

— ليس في طبيعة تلك الشروط ما يحمل الباب العالي على القبول

— هكذا أرى

— حسنٌ ! فحسبنا الآن . وغداً أُطلعكِ على رأيي في هذا الامر . هكذا اتفقنا ؟

— كل الاتفاق

ثم انصرفت ورجع البرنس الى تأملاتهِ الانفرادية متفكراً متبصراً

الفصل الثاني عشر

مرقب سياسي

وفي عصر اليوم التالي خلا البرنس سكولوف بالبارونة التدروف بأغران فاستهلت الكلام وقالت : —

— مما اعلمهُ ان الشروط المقترحة على مجلس شورى الدولة العثمانية يستحيل قبولها وعند ما يتمُّ هذا وتقيم الدول الحجة تجتاز جيوش روسيا نهر البرت وتدخل اسيا على طريق باطوم او القارص بلا تأخر

— نعم

— اية مقاومة نلقى ؟

— في اوربا نلقى بعض المقاومة وقد لا نلقى شيئاً لان رومانيا تتحد معنا ويرجح ان بلغاريا تنضمُّ الينا اما في اسيا فقد نجد بعض الصعوبة من مقاومة مختار باشا

— واين تنشئُ مرقبنا السياسي ؟

— في اودسا

— هذا خطأٌ لانهُ يكون بعيداً جداً عن الاستانة

— وهل عند الشيطانة الجميلة مكان افضل منهُ ؟

— نعم عندها والاّ لم تأتِ الى هنا . اسمح لي بخريطة البلاد

فجاءها بالخريطة ووضعها امامها على مائدةٍ واخذا كلاهما ينظران فيها وطفقت تشير باصبعها وتتكلم بسرعةٍ وتأكيد كمن يقرّر شيئاً يعلمهُ حق العلم ومما قالتهُ : —

— بعد ما تشهر الحرب وقبلما نبلغ الدانوب تُسدُّ في وجوهنا حالاً جهة المسير الى الاستانة عن طريق وارنا ويقام الحصار على موانئ البحر الاسود كلها ويتعذّر المسير في اية فرصةٍ بحرية كانت . والخطُّ الوحيد الذي يبقى لاتصال المفاوضة بين الدول والباب العالي انما يكون من جهة البلقان على طريق مضيق شيبكا . ولكي يبلغ الرسل هذه النقطة يترتب عليهم المرور ببلغراد وودن وقد يمرُّون ببلادنا ايضاً . ومن شيبكا يلزمهم ان يأتوا الاستانة على طريق اسكي زهره وادريانوبل وبين هذين المكانين قرية دوه كوي . ففي هذه القرية تقيم السيدة راكوبوتزا الرومليه مرقبها على الفور وعند اجتياز عساكرنا نهر البرت تكون هي قد رتّبت مقامها هناك ويكون سمو البرنس سكولوف دائماً ضيفاً مكرماً ونزيلاً مأهولاً بهِ عندها

ولما فرغت من كلامها رفعت نظرها الى وجههِ لتقرأ فيهِ تأثير كلماتها فقال : —

— اذاً من رأيك

— ان اقيم مرقبة سياسياً بعيداً عن المدن الكبيرة والمراكز الحربية — مرقباً على الطريق الوحيدة بين اوربا والاستانة

لكنّ اشغالي الآن تدعوني الى باريس ولندن فلا اقدر ان اكون في المكان الذي تشيرين اليه

— لكني انا اقدر وفي عزمي ان اكون هناك بعد شهر

— وهل تستطيعين ان تعلمي بالتحقيق ماذا تكون حالة بلغاريا في اثناء هذه الحرب ؟ الا توجسين فيها خطراً ؟

فقلبت شفتها باستخفاف وقالت : وهل تظن ان المرأة التي عاشت عيشة الشيطانة الجميلة تنكص عن الاقدام على سفر في بلاد مشهورة في الميل الى روسيا ؟ واذا سألت في فيلبي وصوفية عن السيدة راكزيوتزا رأيت ما يقنعك بانهُ لا خوف عليّ في البلقان

فقضى البرنس مكولوف بضع دقائق صامتاً وعيناهُ شاخصتان فيها ثم قال لها : —

— ايها البارونة . اراني في غنى عن طلب بينة على ما اشترتيه وعليكِ لوائح الرغبة في تأييدهِ بالحجج القاطعة . ولكن من الواضح الجلي انهُ لا بد من حادث مخيف طما سيلهُ الجارف عليكِ واضطركِ ان تغوصي في لجج المكايد السياسية الزاخرة وتقتحمي زوابعها الثائرة وتجوبي مسالكها المتعادية ومسافاتها المترامية

— نعم انهُ حادث مخيف الى الغاية وكارث جهلتُ نتائج بداءتهِ فلم اعد اعرف لها نهاية . ولقد نزع مني هولهُ كل عواطف الاناث وجرّدني من شعور النساء وغادرني حليفة الهياج والزيغ والالتواء . وحينما اغتيل ديمتري كيراتيف بايدي عصابة الكسس دورسكي وخلفته انت باجماع الامة قضيتُ نحو شهرٍ اترقّب اعمالك واتدبّر طرقك بعين التفحص والامعان حتى تحققت ان رئاسة البوليس في ايامك لا تكون وظيفة تنفق عليها الرواتب الفاحشة بلا فائدة . فكتبت اليك وانت ندبتني الى عملي الاول وعلى الفور نبذتُ عني انثويتي — وبكلمة اقول — صرت الشيطانة الجميلة

— كنت اودّ ايها البارونة لو انّا اجتمعنا قبل الآن لانهُ لا يستحيل على من كان مثلي ادراك ما تسوّل لهُ نفسهُ من الشهرة والرفعة بمساعدة شريكة نظيرك

— فارسلت اليهِ نظرة الحذر واستأنفت لهجتها الرزينة التي كانت مطبوعة عليها وقالت

— سيان عندي اجتمعنا الآن او قبل وقت طويل لاني لست على شيءٍ سوى البغض وحب الانتقام واظنك ادركت مرامي ولم تبقَ من حاجة الى الكلام

ثم تغيرت جهة الحديث بينهما . وبعد اسبوعين اتفقا على انشاء المرقب السياسي فقضيا مدة في الاعتزال والانفراد يتباحثان في المسائل المهمة حتى اذا فرغا من التداول في كل شأن خطير قامت تتأهب لمزايلة بطرس برج واخذ هو يستعد للشخوص الى لندن عن طريق باريس وفي اجتماعهما الاخير قالت لهُ : انتهى كل شيء . فقال تقريباً — فقالت — كيف تقريباً ؟ فهل عندك شيء آخر ؟ فقال — نعم اعيريني سمعك بضع دقائق ايها البارونة فان ما بقي عندي من الكلام ليس بقليل الاهمية

ثم اطرق هنيهة كأنهُ يجهد نفسهُ في استحضار الالفاظ المناسبة للتعبير عن مرادهِ وعاد يستأنف الخطاب : —

— انكِ لم تسفري لي اللثام ايها البارونة عن محياً وطنيتك . ومن جهتي لست في حاجة الى ذلك وما اعلمهُ هو انكِ عادمة المثال كما انكِ بعيدة الاستقصاء ومهما يكن من امر ولادتك المجهولة ونشأتكِ الخفية فانت حرية جداً بان تشرّفي كل اسم تتنازلين الى اتخاذهِ ومما لا يخفى عليكِ ان اسرة سكولوف ليس لها ثانٍ في روسيا . وقبل عهد تاريخنا كانت مجاربة لاسرة رومانوف ودولغوروكس و كرستوف في سمو الشأن وعلو المكانة . فهذا الاسم او اللقب (سكولوف) اعرضهُ عليك بكل خشوع . فهل تريدين ان تكوني زوجةً لي ؟

— ايها البرنس اني آسفة من اعماق نفسي وصميم فؤادي على رفض تشريفك اياي بما عرضتهُ عليَّ لاني لا استطيع ابداً ان اكون لك اكثر مما انا الآن . لا اجهل اني في حوزتك وقد اوضحت لك اني اريد ان ازيد سلطتك عليَّ بلا خوفٍ ولا حذرٍ ولكن لا يمكنني على الاطلاق ان اكون لك اكثر من مكاتبة . فلننسَ هذا المنظر ولنعدْ الى مقامنا الاول من حيث سياستنا اذ يستحيل عليَّ ان اكون زوجة لك

فعلا وجه سكولوف انقباض شديد دلَّ عليهِ تقطيب جبهتهِ لكنهُ تغلب على نفسهِ وقال

— لا بدَّ انكِ تعيدين يوماً النظر في هذا الامر وسأترك لكِ حرية ابلاغي متى جاء ذلك اليوم . اما الآن فليس لي ان اقول سوى اني باقٍ — والى الابد — عبداً لكِ مطيعاً . وهذا كل ما كان ينبغي ايرادهُ . فاستودعكِ الله على رجاء الاجتماع في بداءة العام المقبل في مرقبنا السياسي

———

الفصل الثالث عشر

لجنة طرائق ووسائل

— خلي عنكِ يا شقيقتي هذا المراء ولا تكوني طائشة رعناء وايُّ شيطان وسوس لكِ اني انا الذي ليس لي في الافلاس شبيه اقوى على اعداد عشرة آلاف جنيه

— وانتَ خلِّ عنك القساوة والشكاسة ولا تعاملني بشراسة تفوق كل شراسة. ثم أخذ الماجور هومركرتر والسيدة املي دشتون ينظران احدهما الى الآخر كأنَّ كلاً منهما يحاول الاطلاع على خفايا الغيب من جبين الآخر . اما هي فاستأنفت كلامها : —

— اعلم انهُ اذا لم يحصل اللورد ارلنفورد يوم الاثنين على هذا المبلغ عشرة آلاف جنيه فلا بدَّ انهُ يفلس وافلاسهُ يسبب خراب شركة المعادن التي لشدة طمعك في الارباح العائدة اليك من وكالتها استقلت من منصبك العسكري في بنغالا وجئت الى هنا (لندن) وحملني على اللحوق بك لأساعدك على ترويج مصالحها واغراء الاغنياء بالاشتراك في اسهمها حتى راجت هذا الرواج العظيم

— ولكن عليهِ من ١٥ الى ٢٠ الف جنيه ديناً وقد اخذت اللجنة تنظر في تصفية حساباتهِ

— وماذا اذا كان عليهِ هذا المقدار ؟ اما هو قائم بدفع الربا المفروض عليهِ ؟ او نسيت مساعيهُ الحميدة التي بذلها في انجاح اعمال الشركة وتكثير عدد المشتركين . وبواسطتهِ يسهل عليك السعي في اقتناص بركز الاميركي صاحب الملايين وحملهِ على الاشتراك وسيتناول العشاء عندهُ هذه الليلة ويكون من جملة المدعوين . لوداع غودارد

— غودارد ؟

— او تجهل هذا الانسان الذائع الصيت قائد فرقة العشرين من الفرسان ورسول الملكة الخاص — اشهر رجل في لندن ؟ فقال لم القهُ قط فقالت

— نعم لانهُ ليس من اهل الثروة فلم يقع في اشراك اللجنة المنصوبة لاقتناص الاغنياء

— ارجو ان توصدي فاكِ وتقلعي عن هذا التحذلق فلقد تجاوزتِ فيهِ حدود الاعتدال

— أتحسبني متجاوزة حدود الاعتدال ومطلوبي عشرة آلاف جنيه ؟

— او عندي هذا المبلغ ؟ ام تظنين اني قادر على تحصيلهِ ؟

— اذاً ما العمل ؟ فقد ضاقت بي الحيل

— ألا تقدرين ان تقترضيهِ من سكولوف ؟ ان الامراء الروسيين هم في الغالب من كبار الاغنياء

— لا ريب في ان سكولوف يقدر ان يقرضني اياه ُ ولكن بشرط ان اخدمهُ في ما تساوي فائدتهُ هذه القيمة · وبالامس قال لي ان عنده ُ شيئاً يروم مني قضاءه ُ لكنني لا استطيع ان احمل لهُ في ثلثة ايام ما استحق عليهِ عشرة آلاف جنيه

— ولكن عليكِ ان تبذلي جهدكِ فانظري ماذا يريد

— لا بد من السعي في الاجتماع بهِ هذه الليلة · على ان الرجاء ضعيف ثم عقب كلامها سكوت استحوذ عليهما كليهما برهةً وجيزة · فقال الماجور : —

— اليكِ يا أُخيَّة عن هذا الصمت واطلعيني على ما عندكِ من الآراء والتدابير

— عندي انك تخرج الآن الى المدينة وتنقب في اعماق الارض واعالي السماء مفتشاً باحثاً لعلك توفق الى الحصول على مطلوبي · وسأكتب الى سكولوف ادعوهُ الى هنا وعليك انت ان تكتب الى السيدة ارلنفورد وتخبرها بانك تأخرت لعروض بعض الموانع وسوف تحضر بعد العشاء ثم اكتب انا اليها واخبرها باني منحرفة الصحة لكنني ابذل جهدي في الحضور · والساعة التاسعة اجتمع بك في بيت ارلنفورد وهناك يقصّ كل منا على الآخر نتيجة مساعيهِ لكنني كما سبقت وقلت اقول الآن ان رجائي ضعيف فقال وانا كذلك ولكن سأبذل جهدي

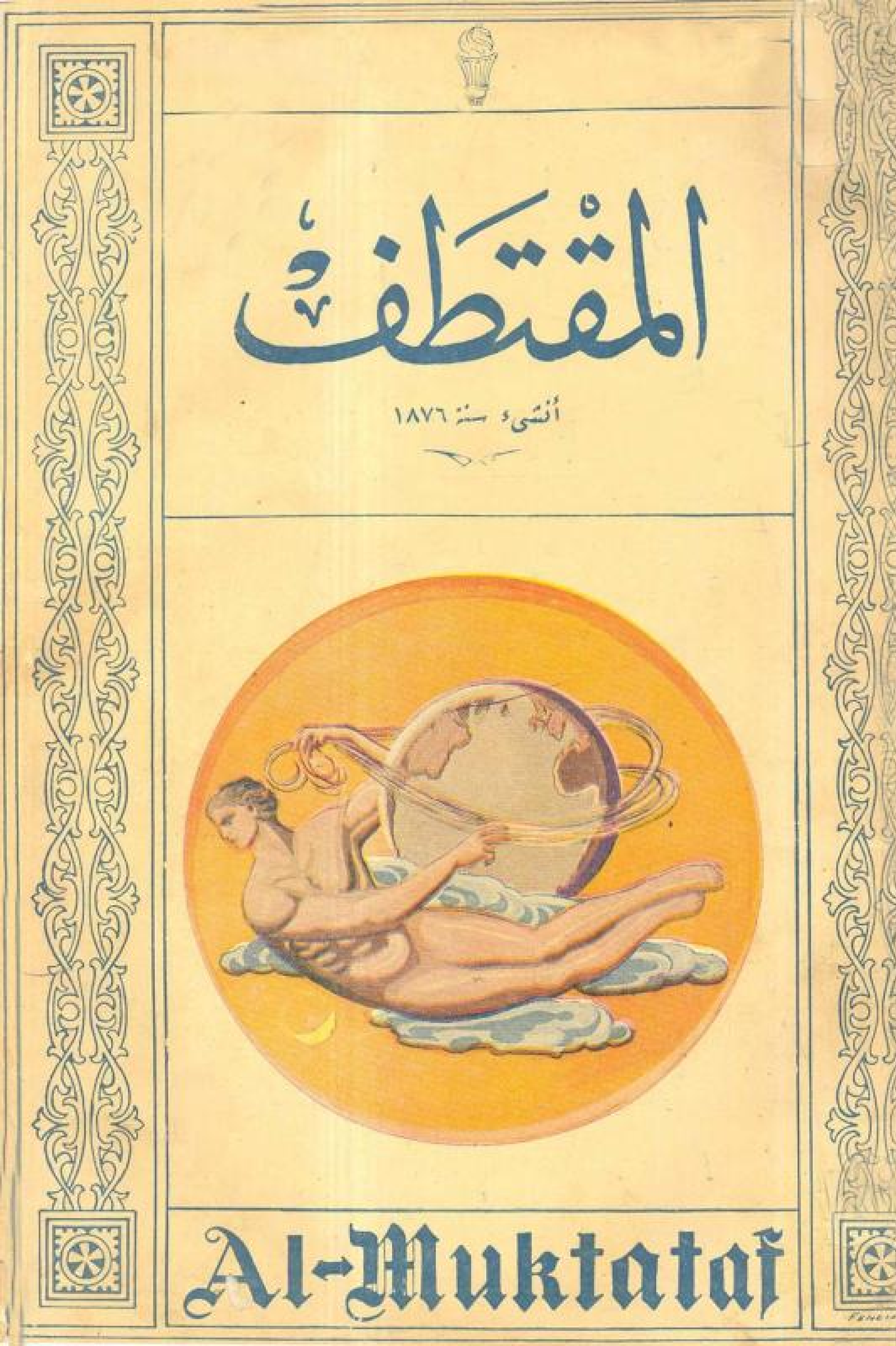
ثم نهض واخذ قبعتهُ وخرج وقامت هي الى مكتبتها وكتبت بضعة اسطر ودعت الخادم ودفعت اليهِ الكتاب وقالت : —

— خذ هذا الى سفارة روسيا وانتظر الجواب

وبعد خروجهِ رجعت الى قرب النار تصطلي

وكانت هذه السيدة املي دشتون — ارملة بردلي دشتون — آية في الحسن والجمال حتى ان سكنى الهند ورداءة هوائها وشدة حرارة شمس بنغالا لم تخدش وضاءة سحنتها ولا ذهبت بشيء من بهاء محاسنها · وهذا ما جعل اللورد ارلنفورد يهيم بها عند ما ذهب الى الهند متصيداً منذ سنتين فاغراها بهجر بنغالا والرجوع الى لندن غير مبالٍ بوجود زوجتهِ فيها فعللت املي دشتون نفسها بوعد اللورد المذكور بالاقتران بها وجاءت الى انكلترا . وبناء على هذا الامل نراها الآن مهتمة بتفريج ضيقها المالي . ورأيناها في مطلع هذا الفصل تباحث اخاها الماجور كرتر في شأنهِ وتستحثهُ على السعي في اعداد هذا المبلغ سداً لخرق صاحبها وتلافياً لخطر افلاسهِ · ولاجل هذا ايضاً ارسلت تدعو البرنس سكولوف الذي عملت على مصادقتهِ منذ رجوعها الى انكلترا فاجابها على كتابها الذي ارسلتهُ اليهِ مع الخادم انهُ قادم لزيارتها فسرّي عنها في الحال وقامت تتناول شيئاً من الطعام وهي تبشّر نفسها بادراك المرام

فهرس الجزء الرابع من المجلد التاسع والعشرين


المقتطف
أنشىء سنة ١٨٧٦
Al-Muktataf

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد التاسع والعشرين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٥ صفر سنة ١٣٢٢

القطر المصري واللورد كرومر

لا مشاحة ان للورد كرومر اليد الطولى في النجاح العظيم الذي نجحهُ هذا القطر في عهد الاحتلال البريطاني. ونحن في نسبتنا هذا الفضل اليهِ لا نبخس احدًا غيرهُ حقهُ من الفضل لا من الوطنيين ولا من الاجانب. وقد عودنا اللورد كرومر ان يتحفنا كل سنة بتقرير مسهب يصف فيهِ ما تم في هذا القطر من اعمال الحكومة في السنة السابقة ويذكر ما يراد اتمامهُ بعد ذلك. وقد جاء تقريرهُ عن العام الماضي اوسع من تقاريرهِ السابقة وتناول مسائل كثيرة مما يتعلق بشؤُون السكان سواءٌ كانوا من رجال الحكومة او من غيرهم فترجمناهُ على جاري عادتنا ووزعناهُ على المشتركين في المقطم ورأَينا اتمامًا للفائدة ان ننشر خلاصة بعض فصولهِ في المقتطف [illegible] في هذا القطر وغيرهِ من الاقطار وسنقتصر على الفصول التي مباحثها عمومية تمهد لنا سبيلاً لبحث حين الموازنة بين مصر وغيرها من البلدان الشرقية

(١) الميزانية

لما قدرت ميزانية الحكومة المصرية لسنة ١٩٠٢ جُعلت الايرادات فيها ١١٠٠٠٠٠٠ جنيه مصري فبلغت في آخر السنة ١٢٤٦٤٠٠٠ جنيه وقدّرت المصروفات ١٠٩٧٥٠٠٠ فبلغت ١١٧٢٠٠٠٠ وقدّرت زيادة الايرادات على المصروفات ٢٥٠٠٠ فبلغت ٧٤٤٠٠٠

لكن الزيادة كانت اكثر من ذلك كثيرًا فانها بلغت ٢١٣٣٠٠٠ جنيه فاضيف ١١٢٤٠٠٠ جنيه منها الى المال الاحتياطي العمومي و٢٦٥٠٠٠ جنيه الى وفر التحويل وبقي منها ٧٤٤٠٠٠ جنيه كما تقدم. وقبل ان نشر التقرير بالعربية تم الاتفاق بين انكلترا وفرنسا على ان الحكومة المصرية تفك من القيود القديمة فتتصرف بما في صندوق الدين من الاموال

الاحتياطية والمتوفرة كلها وبكل ايراداتها السنوية بعد ايفاء فائدة الدين . وكان مجموع الاموال المتوفرة في صندوق الدين في بداءة هذه السنة ٢٧٦١٠٠٠ من المال الاحتياطي العمومي و٢١٢٨٠٠٠ من المال الاحتياطي الخصوصي و٥٥٠٧٠٠٠ من وفر التحويل والجملة ١٠٣٩٦٠٠٠ من الجنيهات لكن نحو نصف هذه الاموال مخصص لاعمال عمومية كانشاء سكة حديدية بين سواكن وبربر وما اشبه

(٣) الدين المصري

كان الباقي من الدين المصري في آخر العام الماضي ١٠٢١٨٧٠٠٠ جنيه انكليزي الأ ان في صندوق الدين وفي نظارة المالية مبلغ ٨٨٠٤٠٠٠ جنيه فالباقي عند حاملي السندات ٩٣٣٨٣٠٠٠ جنيه . وقد بحث اللورد كرومر في هل الاولى بحكومة مصر ان توفي ديونها بما يزيد من دخلها او ان تنفق الزيادة على الاعمال النافعة التي تزيد دخلها ودخل شعبها واثبت ان الامر الثاني اصلح من الاول وقال في هذا الصدد ما ترجمتهُ

ويحسن ان اذكر في هذا المقام اموراً تتعلق بمسألتين مهمتين تؤثران في مستقبل مصر الحالي الاولى هل حان الوقت للشروع في ايفاء الدين الممتاز والموحد اللذين تساوي قيمة الباقي من سنداتهما ٨٧٠٩٩٧٤٠ جنيهاً انكليزيًّا [1] والثانية من اين يؤتى بالاموال لترقية مصر والسودان في المستقبل

وهاتان المسألتان مرتبطتان معاً ارتباطاً شديداً لانهُ اذا اوفت الحكومة المصرية ديونها واستدانت اموالاً غيرها لترقية مصر والسودان تجري فيما ارى على الخطاء الذي كان شائعاً في اوائل القرن الماضي حين كان يظن ان من حسن الادارة المالية تعيين مال لاستهلاك الدين ولو لم يزد الايراد على المصروف . واري ان المقام يحتاج الى بعض الاسهاب في هذا الباب لاني لا اظن الجميع يرون الفرق الجوهري بين ما كان من البلدان كبلاد الانكليز حيث سكك الحديد ونحوها من الاعمال تعملها غالباً الشركات الخصوصية وما كان كبلاد الهند ومصر حيث كل الاعمال العمومية الرئيسة تنشئها الحكومة

فاذا حسبنا زيادة الدين في مثل هذه البلدان الاخيرة علامة قاطعة على ارتباك ماليتها اخطأنا خطاء فاضحاً وكان حكمنا على ماليتها كالحكم على شركة ناجحة بالاشراف على الافلاس لانها زادت رأس مالها لكي توسع نطاق اشغالها الرابحة . والعبرة بكيفية انفاق المال الذي

---

(1) اما الديون الثلاثة الاخرى وهي دين الدائرة ودين الدومين والدين المضمون فلا بدَّ من ايفائها على توالي الزمن فالاولان يوفيان ببيع الاطيان والاخير بدفع الاقساط السنوية وهي تضمن مال الاستهلاك

يستدان . فالدين المصري الحاضر معظمهُ عبء ثقيل على البلاد لم يكن منهُ نفع لانهُ كان يستدان ليبذر في غالب الاحيان بخلاف الاموال الطائلة التي صرفتها الحكومة المصرية حديثاً على الاعمال العمومية فاني على يقين تام انها جاءت بالنفع الكبير وان انفاقها في السبل التي انفقت فيها كان خيراً من ايفاء الدين بها

واما معرفة مقدار المال الذي يمكن انفاقهُ في المستقبل على الاعمال العمومية الكبيرة النفع في القطر المصري فليست بالامر اليسير . ولكن لا خلاف في ان هذا القطر غير متسع كبلاد الهند مثلاً فلا محل فيهِ لانفاق الاموال التي لا تقع تحت حصر على فتح الترع وانشاء سكك الحديد . نعم ان القطر المصري كثير الخيرات ومصادر الثروة الطبيعية ولكن خيراتهُ ومصادر ثروتهِ محدودة يتيسر بلوغ غايتهما بعد زمن غير بعيد . فانهُ يقال بالاجمال ان الاراضي الزراعية في القطر المصري لا تتجاوز حد ما يمكن ارواؤُهُ بماء النيل . فكون اراضي القطر الزراعية محدودة يستلزم ان يكون المال الذي يمكن ان ينفق على الري ويعود بالربح محدوداً ايضاً (وان نكن لم نبلغ هذا الحد بعد) لان الماء الذي يمكن ان يجري في النيل الى القطر المصري محدود لا يزاد ولو عمل المهندسون غاية ما يبلغ اليهِ علمهم لتكثير الوارد منهُ . وهذا الامر عينهُ يستلزم ايضاً ان يكون مد سكك الحديد في القطر محدوداً . اذ لا يكاد يحتمل ان الضرورة تقتضي انشاء خطوط اصلية كبيرة كالخط المهم المار على موازاة النيل الى اصوان بل الخطوط المرجح انشاؤُها في المستقبل القريب هي فروع جانبية تتشعب في البلاد لكي تُنقل بها حاصلات ما يمكن ان يجدُّ من الاراضي الزراعية الى النيل او الى الخط الاصلي الموازي لهُ

والظاهر ان ما ذكرتهُ عن وجود حدّ لمصروفات الري في القطر المصري يصدق ايضاً على نفقات الري في السودان باختلاف يسير فان نطاق الزراعة في السودان متوقف على مقدار الماء الذي يمكن الري بهِ من البحر الازرق والابيض والانبرة والجاش هذا اذا استثنينا الاماكن المتطرفة جنوباً حيث يكثر وقوع المطر . ولكن السودان يختلف عن القطر المصري كثيراً من حيث ما يلزم لهُ من سكك الحديد فان المجال فيهِ واسع جداً لها ولكن لا يحسن الاسراع في مدّ سكك حديدية كثيرة فيهِ لاعتبارات مالية ولقلة سكانهِ بالنسبة الى اتساعهِ فليس من الصواب مدها الآن الاَّ في جهة او جهتين معلومتين جليًّا على نوع ما

على انهُ وان يكن مقدار المال الالازم لاستثمار خيرات مصر ومصادر ثروتها غير معلوم الاَّ بوجه التقريب فالاموال التي ستدخل في حوزة الحكومة قريباً لعمل الاعمال التي يقر الرأي عليها معلومة جيداً . ومن علمها يتيسر لنا ان نرجح ان كانت الحكومة ستضطر الى الاستدانة

للحصول على اموال جديدة · فلننظر الآن ما هي الاموال التي ستدخل في حوزة الحكومة فنقول

اولاً زيادة الايرادات على المصروفات وقد بلغت في العام الماضي ١٨٦٨٠٠٠ ج٠ م[1] وستزيد حتماً لسببين الواحد ان الخزينة ستأخذ ٤٦٠٠٠٠ ج ٠ م سنوياً من زيادة الضرائب بسبب انشاء الخزان والآخر ان الدلائل كلها تدل على ان الايرادات ستظل تزيد في كل الفروع تقريباً. هذا من الجهة الواحدة غير ان الزيادة عرضة للنقصان من الجهة الاخرى بسبب زيادة المصروفات اللازمة لبعض الاغراض الادارية المختلفة. ثم ان زيادة الايراد في المستقبل لا تبقى على ما هي اذا اقتضت الضرورة تخفيض الضرائب. وهذه الامور كلها غير معلومة الآن وانما المعلوم هو ان زيادة الايرادات على المصروفات ستكون كثيرة حتماً ولكن مقدار هذه الزيادة يتوقف على الخطة التي تتبعها الحكومة من حيث الاصلاح المالي والاداري

وثانياً ان في صندوق الدين ١٢٥٤٠٠٠ ج ٠ م ومبلغاً من المال الاحتياطي العمومي كان في ٣١ دسمبر الماضي ٩٦٧٠٠٠ ج ٠ م ولم يخصص لشيء ومجموع ذلك ٢٢٢١٠٠٠ ج ٠ م ولكن هذا المال ليس تحت تصرُّف الحكومة على نوع ما لانهُ وان كان مالاً طائلاً يفضَّل ان يبقى ضماناً لايفاء فائدة الدين ومهما يكن من الامر فلا بد من بقاء مال طائل تحت تصرُّف اعضاء صندوق الدين دائماً على سبيل مال احتياطي يمكن استعمالهُ حالاً عند الحاجة اليهِ

وثالثاً ان الباقي من الاحتياطي الخصوصي ٥٧٥٠٠٠ ج ٠ م وهو تحت تصرُّف الحكومة وهذا ليس من الاموال التي يعتمد عليها في ما نحن بصددهِ وهو سيزاد في السنوات التالية من زيادة الايرادات على المصروفات ولكنهُ الآن اقل من المبلغ الذي يراد انفاقهُ على انشاء سكة الحديد بين بربر وسواكن لان الاموال اللازمة لتلك السكة ستؤْخذ من الاحتياطي الخصوصي كما مرَّ ذكرهُ

ورابعاً وفر التحويل وقد بلغ في ٣١ دسمبر الماضي ٥٥٠٧٠٠٠ ج ٠ م وهو لا يمكن مسهُ من غير مصادقة الدول ومع ذلك احسبهُ من اموال الحكومة لانهُ لا يكاد يحتمل ان النظام الحالي المختل الموجب لتراكم هذا المال يدوم الى الأبد · وقد زاد هذا المال ٥١٦٠٠٠ ج ٠ م في العام الماضي وسيبلغ اخيراً مبلغاً يتوقف على طول الزمن الذي يترك فيهِ يتراكم بفائدة مركبة وعلى اسعار السندات المصرية وهو يعدُّ الآن مالاً للاستهلاك ولكن على وجه قبيح موجب للتبذير والاسراف لان الحكومة المصرية تستهلك بهِ دينها بشراء سنداتها باسعار

(١) وهذا يشمل ١١٣٢٠٠٠ ج ٠ م دفعت لصندوق الدين وحسبت من المال الاحتياطي العمومي ولكنهُ لا يشمل ٢٦٥٠٠٠ ج ٠ م دفعت الى وفر التحويل

اعلى من سعرها الاصلي في الغالب

وخامساً ان تصفية الدائرة السنية متى تمت سنة ١٩٠٥ تكسب الحكومة مالاً لا يقل عن ٣٠٠٠٠٠ ج٠م بل وربما زاد عن ذلك لكنها تلتزم ان تدفع معاشات سنوية تبلغ في اول الامر ٥٠٠٠٠ او ٦٠٠٠٠ جنيه

وسادساً اذا صُفّي الدومين سنة ١٩١٥ انتقلت بعض اراضيهِ الى الحكومة وثمنها يساوي حسب التقدير الحالي ١٥٠٠٠٠٠ ج٠م او ٢٠٠٠٠٠٠ على ما اظن ولكن الحكومة تلتزم مقابل ذلك ان تعطي مستخدمي الدومين مالاً قليلاً على سبيل التعويض٠ فاذا غضضنا النظر عن زيادة الايرادات على المصروفات في السنين المقبلة وعن الاحتياطي اللازم جعلهُ ضماناً لحاملي سندات الدين يبقى معنا ثمانية ملايين ونصف (٥ ١/٢ من وفر التحويل و٣ من الدائرة) وهذه تدخل في حوزة الحكومة بعد زمن قصير لتنفق على الاعمال ذات الريع كانها راس مال لها. ثم انهُ يزيد عند الحكومة ايضاً مليونا جنيه من تصفية الدومين سنة ١٩١٥

لا نقول ان الحكومة المصرية لاتحتاج الى اقتراض مال مطلقاً في مستقبل الزمان وانما نقول انهُ يتضح من الارقام السابقة انها اذا احسنت تدبير اموالها سهل عليها ان تنفق ما تشاء من الاموال على الاعمال النافعة في المستقبل القريب من غير ان تستدين شيئاً

ومرادي الآن ان ابين ان سلوك هذا السبيل ميسور لابناء العصر الحاضر بلا خوف من زيادة اثقال الضرائب على كاهل ذريتهم في المستقبل ٠ فغني عن البيان ان صرف الاموال على الاعمال النافعة يفيد ابناء المستقبل ولكننا بقطع النظر عن ذلك نجد ابناء الزمان المقبل يستفيدون من وجوه اخرى وهي

اولاً ٣٤٠٠٠ ج٠م كل سنة تدفع الآن الى الدائرة السنية عن دين الدائرة الخاصة القديمة و يبطل دفعها سنة ١٩٠٥

ثانياً سنويات يبلغ مجموعها ١٢٠٠٠ ج٠م وهي تدفع الآن الى صندوق الدين و ينتهي دفعها بين سنة ١٩٠٧ وسنة ١٩١٥

ثالثاً مال المقابلة [1] وقدرهُ ١٥٠٠٠٠ ج ٠ م كل سنة وهذا ينتهي دفعهُ سنة ١٩٣٠

رابعاً ٥٧٠٠٠ ج ٠ م تدفع الآن الى صندوق الدين كل سنة عن دين سكك الحديد وينتهي دفعها سنة ١٩٣٣

(١) مال المقابلة عبارة عما يدفع سنوياً للذين اقترضوا بوعد الحكومة المعرفوبي في عهد اسمعيل باشا فدفعوا اليها مالاً بناء على ان تخفض لهم اموال الاطيان الى نصف ما كانت عليهِ مقابل دفعهم ذلك المال

خامساً الاقساط السنوية التي تدفع الآن لسد مصروفات انشاء الخزان وقد كان القسط منها ١٥٣٠٠٠ ج ٠ م وهذه ينتهي دفعها سنة ١٩٣٣

سادساً اقساط الدين المضمون وقدر القسط منها ٣٠٧٠٠٠ ج ٠ م وهذه ينتهي دفعها سنة ١٩٤٨

ومجموع هذه المبالغ الستة ٦٧٩٠٠٠ ج ٠ م

وزد على ذلك ان امتياز ترعة السويس ينتهي سنة ١٩٦٨ لانهُ لتسع وتسعين سنة ويحق للحكومة المصرية حينئذٍ ان تأخذ الترعة على شرط ان تدفع للشركة قيمة المواد المختصة بخدمة القنال البحرية ٠ و يظهر من حسابات القنال الاخيرة المنشورة عن سنة ١٩٠٢ ان ايراد الشركة بلغ نحو ٣٨٠٠٠٠٠ ج ٠ م وقلما يحتمل ان مالاً بقدر هذا يكون من نصيب الخزينة المصرية ٠ ولكن زمان البحث في هذه المسألة لم يحن الآن بل الحكم فيها يكون لاولادنا او لاحفادنا ٠ وانما ذكرت ذلك للزيادة في اثبات ما قلتهُ من ان ابناء المصريين سيكونون في حالة من اليسر ورخاء العيش تغني ابناء هذه الايام عن الاهتمام بأمرهم في ما نحن بصددهِ الآن

وخلاصة ما يستنتج مما تقدَّم من الاعتبارات انهُ ما دام عند الحكومة ما ذكرنا من الاموال وما دامت ايراداتها تزيد الآن على مصروفاتها وما دامت ايراداتها تزداد ايضاً وتتعاظم على توالي الاعوام وما دام كثير من الاموال التي تدفعها الخزينة المصرية سيبطل دفعها لهُ في المستقبل فلا محل للتردد مطلقاً في رفض كل ما يقال عن تعيين مال لاستهلاك الدين غير الذي يستهلك بهِ وفي بذل كل ما يتيسر من المال على الاعمال ذات الريع ولكن على شرط ان تدرس مشروعاتها حق الدرس وان يجاد النظر فيها قبلما يقر الرأي على اخراجها من القوة الى الفعل"

هذا وقد جاء الاتفاق بين انكلترا وفرنسا مؤيداً لما يرتئيهِ اللورد كرومر من خطإِ السياسة المالية التي تقيد مصر بتحديد نفقاتها ضمن حدود لا تتعداها وخزن ما يزيد من دخلها في صندوق الدين حتى يتراكم بعضهُ فوق فان هذه السياسة كانت لازمة في زمن العسر والتبذير واما في زمن الرخاء والتدبير فصار ضررها أكثر من نفعها

ثم ان اللورد بيَّن بالادلة الكثيرة ان زيادة الدخل على النفقات ستزيد عمَّا هي عليهِ الآن وذلك بزيادة الدخل نفسهِ وبزوال جانب من النفقات التي تنفق لاغراض محدودة واذا عُملت الاعمال العمومية النافعة بالاموال المتوفرة الآن وبما يزيد من الدخل عاماً بعد عام زاد دخل الحكومة ايضاً ٠ ولا بدَّ من ان يسأل سائل ترى ماذا تفعل الحكومة اخيراً بما يزيد لديها من الاموال والجواب لا تتعذر معرفتهُ على احد وهو انها تبذل المال في ما يزيد بهِ دخل الاهلين وراحتهم ورفاهتهم وهذا هو الفرض الاول من كل حكومة منتظمة

فلسفة سبنسر

ابنا في الجزء الماضي ماهية العلوم ونسبة الفلسفة اليها واهتمام سبنسر بجعل الفلسفة علماً شاملاً للعلوم كلها اي بجعلها علم العلوم كما قال لنا احد علماء مصر بعد ان قرأ ما كتبناه في الجزء الماضي

ويظهر مما كتبهُ سبنسر عن نفسهِ ومما كتبهُ غيرهُ عنهُ انهُ لم يقصد بادئ بدء البحث عن فلسفة الاشياء اي عن الاصول العامة التي تُرَدُّ اليها حوادث الكون بل كان يبحث عن نسبة الانسان الى المملكة ونحو ذلك من المباحث الاجتماعية فاقتيد استطراداً الى البحث عن ارتقاء الانسان شخصياً وعن ارتقاء جماعاتهِ اي عن ارتقائهِ بنوع خاص وبنوع عام . ويظهر من الرسائل الاولى التي كتبها عن "مدار الحكومة" انهُ رأى من اول الامر ان اجتماع الناس قبائل وممالك تابع لناموس طبيعي فليس هو مما يحدث بفعل فاعل وانما هو نمو طبيعي يتدرَّج تبعاً لنواميس الطبيعة . ورأى ما رآهُ الفلاسفة الالمانيون قبلهُ وهو ان في الحياة ميلاً الى التفرُّد اي ان الجسم غير الحي لا يكون متفرداً بل يكون مثل غيرهِ من نوعهِ فقطعة الرخام مثل غيرها من قطع الرخام وشذرة الذهب مثل غيرها من شذور الذهب واما الجسم الحي سواء كان نباتاً او حيواناً فلهُ ذاتية متفرّد بها ولذلك لا يماثل حيوانٌ حيواناً آخر في كل شيء ولا نبات نباتاً آخر بل كل من افراد الحيوان والنبات متفرّد بنفسهِ . وكلما زاد الحيُّ ارتقاء زاد تفرُّدهُ ظهوراً كأن التفرُّد غاية كل ارتقاء في الموجودات

ثم رأى لدى امعان النظر ان خاصة التفرُّد هذه تنحل الى فعلين متصلين الواحد يميل الى فصل الفرد عن غيرهِ من الافراد والثاني الى زيادة تركيبهِ . والفعل الذي نسميهِ ارتقاء يشتمل على امرين الواحد اختصاص عام مع ازدياد في التركيب والثاني استقلال متبادل بين الاجزاء المتفرّدة من الجسم الحي

فالارتقاء او النشوء كما يسمَّى الآن علمهُ سبنسر وعرَّفهُ بانهُ فعل مزدوج يقوم بالتخصيص مع ما ينتج عنهُ من زيادة التركيب والتعميم مع ما ينتج عنهُ من زيادة الوحدة . وكان اكثر بحثهِ اولاً في التخصيص الطارئ على الموجودات وحاول في مقالتهِ عن الارتقاء وناموسهِ وسببهِ ان يتوسع فيهِ ويعلل بهِ الارتقاء العام جارياً في ذلك مجرى العالم بير الذي قال ان سلسلة التغيرات التي تتغيرها البزرة حتى تصير شجرة والبيضة حتى تصير حيواناً انما هي ارتقاء من التماثل في البناء الى التباين فيهِ . فاتخذ سبنسر ذلك قاعدة لبحثهِ وقال انهُ قاعدة لكل ارتقاء

اي ان الارتقاء في انواع النبات والحيوان والاخلاق والعادات والعلوم والفنون وكل ما يتصل اليهِ بحث الانسان مدارهُ كلهُ على الانتقال من المتماثلات الى المتباينات · فالجماد دقائقهُ كلها متماثلة — ذرة الهواء مثل ذرة الهواء ونقطة الماء مثل نقطة الماء وقطعة الذهب مثل قطعة الذهب ثم يظهر الاختلاف في النبات ويكون قليلاً في انواعهِ الدنيا فتتألف اغصانهُ من حويصلات متماثلة ثم يزيد في انواعهِ العليا فيصير فيهِ ورق وزهر وثمر ويكون في الزهر كاس وتاج واعضاء تذكير واعضاء تأنيث وفي الثمر قشر ولب وبزر وهلم جرًّا ولكن تبقى مزاياهُ في كل اجزائهِ تقريبًا على السواء. فاذا قطعت غصنًا منهُ لم يمت بقطعهِ واذا غرستهُ عاش ونما وصار شجرة مثل الشجرة التي قُطع منها وكذلك الحيوانات الدنيا كالاسفنج فانها مثل النباتات من هذا القبيل متماثلة الاجزاء وقوة النمو والتولد قائمة في كل جزء منها بخلاف الحيوانات المرتقية فانها انقسمت الى ذكور واناث جريًا على ناموس تقسيم الاعمال لزيادة اتقانها ولكل عضو من اعضائها شكل خاص بهِ ووظيفة يقوم بها فالقلب لا يشبه المعدة ولا يفعل فعلها واليد لا تشبه الدماغ ولا تفعل فعلهُ واذا قُطع عضوٌ من هذه الاعضاء فقد حياتهُ سريعًا

وهذا شأن العادات والعلوم والفنون وسائر اعمال الناس وتراتيبهم مثال ذلك اعداد الطعام وعمل الثياب فقد كان الرجل وزوجتهُ يحرثان الارض ويزرعان الحنطة ويحصدانها ويدرسانها ويطحنانها ويخبزانها ويرعيان الغنم ويجزان صوفها ويغزلانهِ ويحيكانهِ ويخيطان الثياب منهُ وكان غيرهما يفعل فعلهما فتوزعت الاعمال بازدياد العمران فصار لكل من الحرث والزرع والحصاد والدراسة والطحن والعجن والخبز اناس يعملونها وقس على ذلك سائر الاعمال

وكان ابو العائلة حاكمها وقاضيها وكاهنها وطبيبها فتوزعت هذهِ الاعمال على اناس مختلفين استقلَّ كل منهم بعمل دون غيرهِ ولا يزال التخصيص يقوم مقام التعميم في هذهِ الفروع فقد كان الطبيب الواحد يتعاطى الطب والجراحة ومعالجة العيون والاذان وامراض النساء والاطفال فصار لكلٍ من ذلك طبيب خاص بهِ · وهذا هو المراد بالانتقال من التعميم الى التخصيص في الطبيعة كلها ومن التماثل الى التباين

ولما رأى سبنسر ذلك قال انهُ اكتشف ناموس الارتقاء لكنهُ رأى لدى امعان النظر ان الانتقال من التماثل الى التباين لا يشمل كل اساليب الارتقاء بل يشمل بعضها او اظهرها وان بعض ما يشملهُ ليس من الارتقاء في شيء بل هو انحطاط وانحلال كتولد السرطان في الجسم وحدوث الثورة . . . · وبعد بحث طويل في هذا الصدد عرَّف الارتقاء تعريفهُ المشهور وهو انهُ "تجمُّع في المادة يصاحبهُ تفرُّق في القوَّة تنتقل بهِ المادة من شكل متماثل

الاجزاء غير محدود ولا متصل الى شكل متباين الاجزاء محدود متصل ويتغير شكل القوة التي فيهِ في غضون ذلك تغيرًا موازيًا لهُ"

لكن الفلسفة لا تكتفي بالامور الاستقرائية بل تتطلَّب القياس اي الوصول الى المقدمات اليقينية والتوصُّل منها الى النتائج على طريق القياس وهو الفلسفة التركيبية التي وضعها وقضى العمر في بسطها وتطبيقها على الموجودات بعد ان استخرج المقدمات الاولى او المبادئ الاولى التي تبنى عليها فصار بها تاريخ الكون خبرًا معقولاً جاريًا على مقتضى العقل بعد ان كان فروضًا لا دليل على صحتها · ومن هذه المبادئ الاولى ان الشيء المحدود المتماثل الاجزاء لا يثبت على حالهِ لان اجزاءه لا تكون معرَّضة للقوى الخارجة عنهُ على حدٍّ سوى · فالجسم الذي تقع عليهِ القوة يقسّمها وينوّعها والتقسيم يميل الى فصل الاجزاء المتخالفة وجمع الاجزاء المتماثلة فيزيد تنويع الاشياء · وهذهِ الحقائق اي عدم ثبوت الاشياء المتماثلة وتنويع الاشياء وتقسيمها فروع من ناموس اصلي ونتائج من ثبوت القوة في شكليها المادة والحركة وهنا تلتقي حلقة القياس بحلقة الاستقراء

وكتب سبنسر الى الاستاذ هدصن كتابًا شرح لهُ فيهِ كيفية تدرجهِ في الفلسفة التركيبية (او القياسية لانها مبنية على القياس) فلخصهُ الاستاذ هدصن فقال :

ان جرثومة فلسفتهِ ظهرت اولاً في كتابهِ الانتظام الاجتماعي حيث ذكر في الفصل المعنون بامور عامة حقيقة بيولوجية مفادها ان الانواع الدنيا من الحيوان مؤلفة اجسامها من اجزاء متماثلة لا يتوقف بعضها على بعض واما الانواع العليا فاجسامها مؤلفة من اعضاء مختلفة يتوقف بعضها على البعض الآخر وقد قال ان هذا كان نتيجة استقرائية وصلتُ اليها في غضون درومي البيولوجية ويخال لي الآن ان اكثر ذلك كان وانا اسمع خطب الاستاذ اوِن على هياكل الحيوانات الفقرية · وهذا الامر يصدق على جماعات الناس فانها تبتدئ باجزاء متماثلة لا يتوقف بعضها على بعض · ووصل الى هذه النتيجة بالاستقراء ايضًا ثم من الجمع بين هاتين النتيجتين استنتج نتيجة ثالثة وهي " ان الفرد من افراد الاحياء والفرد من افراد الجماعات خاضعان لناموس واحد على حدٍّ سوى"

فادنى انواع الحيوانات اجسام هلامية متماثلة الاجزاء لا يتوقف جزءٌ منها على الجزء الآخر لانهُ يفصل فيبقى حيًّا وتبقى فيهِ صفات الجسم كلهِ كما تفصل نقطة الماء من بركة وتكون فيها كل خواص ماء البركة · واعلى انواع الحيوانات الانسان اجزاؤ[illegible]فة غير متماثلة بل متفردة لكل جزء منها صورة خاصة بهِ اليد غير الرجل والقلب غير الطحال ولكنها غير مستقلة بل

يتوقف بعضها على بعض اليد لا تعيش وحدها والقلب لا يعيش وحدهُ . وهكذا جماعات الناس كانت في اول عهدها والناس على الفطرة مؤلفة من افراد متماثلين كل واحد مثل الآخر من حيث نسبتهُ الى المجتمع ولا يتوقف احدهم على الآخر في معيشتهِ وسائر احوالهِ فيصنع طعامهُ ويبني بيتهُ ويدافع عن نفسهِ يفعل ذلك كلهُ وحدهُ ثم تولدت الفروق بين افراد المجتمع فصار بعضهم حكاماً وبعضهم جنوداً وبعضهم حرّاثاً وبعضهم صنّاعاً وصار بعضهم يتوقف على البعض فلا غنى للملك عن الجنود والحرّاث والصنّاع ولا غنى للصناع عن الملوك والجنود والحرّاث وهلمَّ جرّا . وقد اتصل سبنسر الى هذه النتائج قبل سنة ١٨٥٠ ثم لما اطلع بعد سنتين على الناموس الذي وصل اليهِ فون بير وهو ان الحياة ميل من التماثل الى التباين رأى في هذا اللفظ المختصر ما يعبر عن مرادهِ كلهِ فاعتمد عليهِ

ثم رأى ان هذا الناموس عام يشمل كل الموجودات فقال في نفسهِ ما هو سبب ذلك ولدى امعان النظر رأى ان كل الاسباب يمكن ردها الى سبب واحد وهو بقاء القوة اي ان القوة لا تتلاشى مهما تغيرت صورها وكيفياتها فابتدأ بالاستقراء وانتهى باصول او اوليات تبنى الاحكام عليها بالقياس المنطقي . وقال في هذا الصدد «اني كنت لا اكتفي بنتيجة وصلت اليها بالاستقراء ما لم اصل فيها الى المبادىء الاولى ولا اكتفي بالمبادىء الاولى حتى احققها بحوادث الاستقراء» . وهذا معنى قولنا ان فلسفتهُ جمعت بين القياس والاستقراء . ولما وصل الى المبادىء الاولى وضع فيها كتاباً خاصاً سماهُ المبادئ الاولى شرع في تأليفهِ سنة ١٨٦٠ ونشر حينئذٍ منشوراً اعرب فيهِ عن عزمهِ على اصدار سلسلة من الكتب تتضمن خلاصة ما وصل اليهِ الناس من الحقائق العلمية طبيعيةً كانت او عقلية لكي يبين الرابطة الفلسفية التي بينها ويبني عليها فلسفة جديدة

وكتاب المبادىء الاولى قسمان موضوع القسم الاول ما لا يُعرف وفيهِ فصول عن الدين والعلم وكون المعارف كلها نسبية . وموضوع القسم الثاني ما يعرف وهو اربعة اخماس الكتاب وفيهِ فصول كثيرة عن مبادىء الفلسفة وما يتعلق بها من البحث عن المكان والزمان والمادة والحركة والقوة وخواصها كلها حتى تصل الى المبادىء الاولى وفيهِ فصول مسهبة عن النشوء او الارتقاء ونواميسهِ ومدلولاتهِ . والغرض من ذلك كلهِ الوصول الى المبادىء الاولى في ما يقع تحت البحث فلما وصل اليها بنى عليها فلسفتهُ التركيبية ووضع فيها كتباً كثيرة . وقد لا يتضح مرادنا الا بايراد فصول من كتبهِ وسنفعل ذلك في الاجزاء التالية

———

الراديوم وتوابعهُ

الشغل الشاغل للصحف السياسية في هذه الايام حرب الروس واليابان فترى مقالاتها واخبارها وتلغرافاتها وكل مباحثها مبنية على هذه الحرب وما تأول اليهِ · والشغل الشاغل للمجلات العلمية الراديوم وما يماثلهُ من العناصر التي كشفت حديثاً وما ينتظر منها من تغيير الآراء العلميَّة والاعمال الصناعيَّة والاساليب العلاجيَّة ولذلك لانجد مناصاً من العود الى هذا الموضوع في كل جزء من اجزاء المقتطف لا سيما وان المكتشفات فيهِ كثيرة متوالية · وقد وقفنا الآن على مقالة مسهبة في هذا الموضوع للاستاذ مليكان الاميركي من اساتذة مدرسة شيكاغو الجامعة نشرها في مجلة العلم العام الاميركية وبسط فيها الكلام احسن بسط فرأينا ان نعتمد عليها في كتابة ما يلي

تمتاز بعض الازمنة بانتشار الروح العلمية في جوها كما حدث في بداءة القرن التاسع عشر حينما قام دلتون الكيماوي وبحث في المادة بحثاً مبنيًّا على الامتحان وقام رمفرد وبحث عن ماهية الحرارة والنور ويَنغ وبيَّن ماهية النور

اشعة رنتجن

وقد ابتدأ القرن العشرون وهذه الروح مبثوثة في جوهِ ابتدأَت باكتشاف اشعة رنتجن في اواخر سنة ١٨٩٥ فقد بيَّن الاستاذ رنتجن ان بعض الاشعة الكهربائية تفعل فعل النور في رسم الصور على الالواح الفوتوغرافية ولكنها تختلف عن اشعة النور في كونها تخترق الاجسام التي لا يخترقها النور عادة كاللحم والجلد والخشب فترى بها عظام الانسان داخل لحمهِ · وقد كان لهذا الاكتشاف وقع عظيم في النفوس فدوت بهِ المسكونة في شهر من الزمان وكتبنا عنهُ في المقتطف الصادر في غرة شهر فبراير سنة ١٨٩٦ ما نصهُ

" اكتشف الاستاذ رنتجن من اساتذة مدرسة ورزبرج الجامعة طريقة لتصوير العظام داخل الانسان ولتصوير الاجسام المعدنية وهي في الصناديق الخشبية وذلك انهُ وجد بين اشعة النور اشعة تنفذ اللحم والخشب وتؤَثر في الالواح الفوتوغرافية كما يؤَثر فيها النور النافذ من الزجاج ولكنها لا تنفذ العظام ولا المعادن فاذا وضع الانسان يدهُ في طريقها نفذت لحمهُ ولم تنفذ عظامهُ فترسم صورة العظام كما لو كانت مجرَّدة من اللحم وهذا من ابدع المكتشفات الحديثة واغربها " ·

ثم رسمنا في الجزء التالي صورة يد انسان كما ترى بهذه الاشعة · ولم يهتدِ العلماء الى حقيقة هذه الاشعة مع كثرة بحثهم عنها غير ان البحث اقتادهم الى اكتشاف امور كثيرة كما سيجيء

(١) الاشعاع الفعّال

ظهر اولاً ان الانبوب الكهربائي الذي تتولَّد منهُ اشعة رنتجن يكون فيهِ نور اصفر ضارب الى الخضرة. وقد عُلم قبل ذلك ان مثل هذا النور يتولَّد من بعض المعادن ولا سيما من الاورانيوم ومركباتهِ سواء وضعت في انبوب مفرغ من الهواء وجرت عليها الكهربائية او عُرضت لاشعة الشمس التي لا ترى بالعين وهي الاشعة الكيماوية التي في اعلى الطيف. فخطر لبعض العلماء ان اشعة رنتجن من نوع هذه الاشعة وقام الاستاذ هنري بكرل الفرنسوي يمتحن ذلك فوجد انهُ اذا وضع الاورانيوم في نور الشمس الساطع ثم لُفَّ اللوح الفوتوغرافي بورق اسود ووضع تحت الراديوم خرجت من الراديوم اشعة تخرق الورق الاسود وتؤثر في اللوح الفوتوغرافي. ثم وجد انهُ يصدر من الاورانيوم اشعة تؤثر في الالواح الفوتوغرافية ولو لم يعرض لنور الشمس. ولا بدَّ من مرور ايام كثيرة قبلما يفعل الاورانيوم هذا الفعل ولكنهُ يفعلهُ ولو في غرفة مظلمة لا شيء فيها من النور فثبت من ذلك ان عنصر الاورانيوم يشعُّ نوعاً من الاشعة يخرق الاجسام المظلمة كما تخرقها اشعة رنتجن ويفعل فعلها

ويقال ان بكرل اهتدى الى اكتشاف هذه الحقيقة اتفاقاً فان الشمس احتجبت بالغيوم اياماً متوالية في مدينة باريس فاضطر ان يضع الاورانيوم واللوح الفوتوغرافي في درجهِ الى ان تنقشع الغيوم وتشرق الشمس ويعود الى التجارب. ولما اعتدل الهواء وبانت الشمس اخرج الاورانيوم واللوح الفوتوغرافي ليعرضهما لها ولكن خطر على بالهِ ان يمتحن اللوح اولاً بمظهر الصور فامتحنهُ فوجد ان الاورانيوم قد اثر فيهِ وهو في الظلام باشعة تتولد منهُ ثم وجد ان كل مركبات الاورانيوم تفعل فعلهُ فسمّي هذه الاشعة باشعة الاورانيوم وسماها غيرهُ باشعة بكرل. ووجد ان لهذه الاشعة خاصة اخرى غير التأثير في الالواح الفوتوغرافية وهو انها اذا مرّت في غاز جعلت ذلك الغاز موصلاً للكهربائية ولذلك اذا أُدني منها جسم مكهرب فرَّغت الكهربائية منهُ

اكتشاف الراديوم

وبعد اشهر قليلة اخذت امرأة فاضلة اسمها مدام كوري (متعلقة بالمباحث العلمية بالاشتراك مع زوجها) تبحث في كل العناصر المعروفة لترى هل منها عنصر يفعل الفعل الذي اكتشفهُ بكرل في الاورانيوم فوجدت ان هذا الفعل يوجد ايضاً في عنصر الثوريوم وحدهُ ومركباتهِ فسميت الاشعة اشعة بكرل والاجسام التي تشعها اجساماً مشعة فعالة (راديو اكتف) وقد اقتصرنا على كلمة مشعة في التعبير عنها بالعربية

ورأَت ايضاً امرًا اذهلها وهو ان المعدن الذي يستخرج الاورانيوم منهُ اقوى من الاورانيوم نفسهِ على التأثير في الالواح الفوتوغرافية وعلى تفريغ الكهربائية فقالت ان ذلك ليس ناتجاً عن وجود الاورانيوم فيهِ بل عن وجود عنصر اخر افعل من الاورانيوم وهذا العنصر غير معروف لانها امتحنت قبلاً كل العناصر المعروفة فلم تجد هذه الخاصية فيها فاخذت من ساعتها تحلل هذا المعدن وتستخرج العناصر الموجودة فيهِ وهي كثيرة كالاورانيوم والباريوم والرصاص والنحاس والزرنيخ والانتيمون وكانت تمتحن الباقي كلما استخرجت منهُ عنصرًا من هذه العناصر فتجدهُ يزيد فعلاً وبعد تعب كثير وعناءٍ شديد تمكنت من استخراج قمحتين من عنصر جديد من مئات من القناطير وهو عنصر الراديوم الذي دوت بذكرهِ المسكونة· ووجدت ان في القمحة منهُ من القوة على تفريغ الكهربائية والتأثير في الالواح الفوتوغرافية قدر ما في مليون وثمانمئة الف قمحة من الاورانيوم

دقائق الاشعة السلبيَّة

وثبت من بحث دقيق لا محل له هنا انهُ يخرج من القطب السلبي دقائق صغيرة تشع منهُ على خطوط مستقيمة بسرعة فائقة وهي ليست جواهر فردة ولا جواهر مادية بل اصغر منهما كليهما حجم الدقيقة منها اصغر من حجم جوهر الهيدروجين مئة الف مرة اي ان مئة الف دقيقة منها تساوي جوهرًا من الهيدروجين· وقد وصل العلماء الى هذه النتيجة باساليب مختلفة لا محل لبسطها وكلها اوصلت الى نتيجة واحدة وهي ان الدقائق السلبية صغيرة جداً كل مئة الف دقيقة منها تساوي جوهرًا فردًا من جواهر الهيدروجين

راي جديد في بناء المادة

ان الدقائق المشار اليها تكون واحدة مهما كان نوع المادة المكهربة بالكهربائية السلبية فاستنتج اكابر العلماء الطبيعيين ان العناصر كلها مؤلفة من هذه الدقائق وهي الجواهر الفردة الحقيقية او الهيولى الاصلية· والجواهر الكيماوية المعروفة الآن مؤلفة منها وهي تختلف باختلاف عدد ما فيها من الدقائق السلبية اي ان العناصر كلها الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير والتوتيا والانتيمون والاكسجين والهيدروجين وهلم جرًّا الى السبعين عنصرًا او اكثر المحسوبة الآن بسيطة مؤلفة كلها اصلاً من مادة واحدة وهي الدقائق السلبية المشار اليها آنفاً وتختلف بعضها عن بعض في مقدار ما فيها من هذه الدقائق فاذا كان في جوهر الهيدروجين ١٠٠٠ دقيقة ففي جوهر الاكسجين ١٦٠٠٠ دقيقة وفي جوهر الزيبق ٢٠٠٠٠٠ دقيقة لان جوهر الاكسجين اثقل من جوهر الهيدروجين ١٦ مرة وجوهر الزيبق اثقل من

جوهر الهيدروجين ٢٠٠ مرة . وقد أُطلق على هذه الدقائق اسم الالكترون ويقتضي الامر ان يكون نصف الالكترونات سلبيًا ونصفها ايجابيًا والاَّ ظهرت الكهربائية في كل عنصر من العناصر ولكن الدلائل كلها تدلُّ على ان الالكترونات الايجابيَّة لاتبعث من الجسم ولاينبعث منهُ الاَّ الالكترونات السلبيَّة ولذلك ارتأَى الاستاذ طمسن ان الالكترونات الايجابية تكون في باطن الجوهر والسلبيَّة في ظاهره فتخرج هذه وتبقى تلك . لكن التجارب لم تؤيد هذا الرأي حتى الآن . وغاية ما ثبت ان في المادة دقائق اصغر من الجواهر الفردة تنبعث منها اذا تكهربت بالكهربائية السلبية فانتقل الجوهر الفرد او الجزء الذي لا يتجزأ من الجوهر الكيماوي الى الجوهر الطبيعي او الالكترون

ماهية اشعة رنتجن

قلنا ان اشعة رنتجن تشبه اشعة الكهربائية السلبية في بعض خواصها حتى عدها البعض نوعًا واحدًا لكن رنتجن اثبت بالامتحان ان اشعتهُ تختلف عن الاشعة السلبية في انها لا تنحرف بواسطة المغنطيس ولا بواسطة الاجسام المكهربة كما تنحرف الاشعة السلبية وفي انها لا تكهرب الاجسام التي تقع عليها كهربائية سلبية فهي ليست من اشعة الكهربائية السلبية ولكنها تتولد متى وقعت هذه الاشعة السلبية على سطح جسم في الانبوب المفرغ من الهواء او على سطح الانبوب نفسهِ. ويظن بعض العلماء الآن ان اشعة رنتجن ليست مادية بل هي تموج في الاثير مثل تموج النور

الاشعة السلبية من الاجسام المشعة

لما رئيت الاشعة في الاورانيوم والثوريوم والراديوم ظُنَّ اولاً انها من نوع اشعة رنتجن لانها تخترق الاجسام المظلمة مثل اشعة رنتجن وتؤثر في الالواح الفوتوغرافية مثلها ولكن لما امتحنت بالمغنطيس الذي يفرق بين اشعة رنتجن والاشعة السلبية ظهر انها تنحرف بهِ كما تنحرف الاشعة السلبية ثم ثبت انها تكهرب الاجسام التي تقع عليها كهربائية سلبية كالاشعة السلبية وان المغنطيس يحرفها كما يحرف الاشعة السلبية تمامًا كمًّا وكيفًا . فالاجسام المشعة كالراديوم والثوريوم والاورانيوم تخرج اشعةً مثل الاشعة السلبية التي قلنا انها مؤلفة من دقائق صغيرة مكهربة سلبيًا كل الف دقيقة منها تساوي جوهرًا من جواهر الهيدروجين . ثم ظهر ان سرعة هذه الاشعة اشد من سرعة الاشعة السلبية وسرعة الاشعة السلبية ٢٠٠٠٠ ميل في الثانية من الزمان اي نحو عشر سرعة النور ولكن سرعة اشعة الاجسام المشعَّة اكثر من ذلك وتكاد تبلغ سرعة اشعة النور لانها ١٧٥٠٠٠ ميل في الثانية وسرعة النور ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية وستأتي نتيجة الكلام على هذا الموضوع في الجزء التالي

مذاهب الكتّاب في الحرب

مالية اليابان

كتب احد مشاهير الكتّاب مقالة في مجلة القرن التاسع عشر عن مالية اليابان فأبان قوة مركز اليابان وامتدح الاحصاآت التي يعملونها لما فيها من الضبط والدقة وقال ان حمل النفقات الحربية والبحرية خفيف على اليابان لاننا اذا بحثنا في موقفها المالي وجدنا انهُ وان كان تقدمها الحربي سريعاً جداً الاَّ ان تقدمها المالي كان اسرع منهُ كثيرًا فانها ادهشت العالم بنجاحها في الحرب وستدهشهُ اكثر بنجاحها في الصناعة والتجارة والزراعة ووسائط النقل والتعدين

اما مركزها من حيث دَيْنها الاهلي فأحسن من مراكز سائر الدول . وايد ذلك بجدول نشر عن ديون الدول الاهلية سنة ١٩٠١ فظهر منهُ انهُ اصاب الفرد من اهالي فرنسا في تلك السنة ٢٨ جنيهاً وكسور من دينها الاهلي ومن اهالي انكلترا ١٨ جنيهاً ونصف ومن اهالي ايطاليا نحو ١٦ جنيهاً ومن اهالي مصر ١٠ جنيهات ونصف ومن اهالي روسيا نحو ٥ جنيهات ومن اهالي اليابان جنيه واحد وستة شلنات

ثم قال انهُ يصيب الفرد من اهالي اليابان سنوياً نحو عشرة غروش من فائدة الدين الاهلي . وهذا القدر يساوي ما يأخذهُ الصانع المتوسط فيها من الاجرة يومياً . وعليهِ فهي تستطيع ان تدفع فائدة دينها بسهولة . اما انكلترا فيصيب الفرد من اهلها سنوياً نحو ١٠ شلينات من فائدة دينها الاهلي وهذا يساوي اجرة الصانع فيها في يومين ونصف وعليهِ فان دفع فائدة الدين الاهلي اسهل على اليابان منهُ على انكلترا بمقتضى قياس اجرة الصانع

اما دين اليابان الاهلي فقدرهُ ٥٦٣٥٠٠٠٠ جنيه وهو لا يعدُّ حملاً ثقيلاً على اليابان لانهُ يساوي دخلها في سنتين على حين ان دين ايطاليا الاهلي يساوي دخلها في سبع سنوات ودين فرنسا الاهلي يساوي دخلها في ثماني سنوات ودين انكلترا الاهلي يساوي دخلها في خمس سنوات . ومما يدلُّ على ان دين اليابان ليس ثقيلاً عليها هو ان ثلثي ذلك الدين لاهالي بلادها ودينها الذي لغير اهاليها يبلغ نحو ١٥٥٠٠٠٠٠ جنيه وهو اسهم وسندات اكثرها في يد الانكليز على حين ان قيمة الاسهم والسندات الروسية التي في ايدي الاجانب تبلغ عشرين ضعف ذلك المبلغ على القليل . والاموال الاجنبية المستعملة في روسيا تبلغ اربعين ضعف الاموال الاجنبية المستعملة في اليابان

مدة الحرب

انشأ المسيو بيير لروى بوليه مقالة في مجلة العالمين الفرنسوية المشهورة فاطال في وصف ثبات اليابانيين واعتدالهم واقتصادهم ومقدرتهم الحربية برًّا وبحرًا واستطرد الى ماليتهم فقال ان من الغلو ان يظنَّ ان اليابان لاتستطيع الانفاق على جيوشها مدة طويلة وانها انما شهرت الحرب لانها لم تعد تستطيع ابقاء جنودها على قدم الحرب ولا ريب انها لاتكفُّ عن الحرب بسبب قلة المال لانها وان تكن افقر من خصمها الأ ان مواردها كثيرة وهي تستطيع ان تقترض المال في لندن ونيويورك بربًا موافق لها

ثم بحث في مدة الحرب وهل تدوم الى آخر السنة فقال ان من الصعب الانباء بطول مدة الحروب عمومًا ولكن الرأي المتسلط على الاذهان ان الحرب الحاضرة تطول مدتها . اما في منشوريا فان اليابانيين يُهزَمون لان الروس اكثر منها عددًا ولكنهم يرسخون قدمهم في كوريا. واذا سقطت بورت آرثر في يدهم اثر ذلك تاثيرًا عظيمًا في موقف الروس السياسي اكثر من الحربي . ومن عجيب مزايا هذه الحرب انهُ يعسر جدًّا على احد الفريقين المتحاربين ان يضطر الآخر الى طلب الصلح بضربهِ ضربة قاضية ولا بد من توسط الدول اخيرًا لمنع الغالب من التوسع في فتوحاتهِ

بورت آرثر

وصف بعضهم بورت آرثر فقال انها حصن منيع يصعب اخذهُ و يسهل الدفاع عنهُ ولا يمكن حملهُ على التسليم باطلاق القنابل عليهِ بل يمكن تدمير المدينة باطلاق القنابل صعدًا في الهواء بحيث تسقط داخلها. ولكن يسهل قطع المدد عن بورت ارثر وعليهِ ارى ان خير ما تعملهُ روسيا ان تخليها وتتحصن في مكدن . ولا يبعد ان تتبع هذه الخطة قريبًا وتسترجع جنودها من ضفاف نهر يالو ايضًا

وقال احد قناصل انكلترا السابقين في نجاساكي ان حصن بورت آرثر لايؤخذ من البحر البتة ولكن لا يفهم من ذلك ان الحصن أمين من الخطر بل لابد لليابانيين من الاستيلاء عليهِ واستيلاؤهم عليهِ مضمون اذا وجهوا اليهِ خمسة من جنودهم مقابل كل جندي من جنود الروس . واذا استولى اليابانيون على بورت آرثر تمَّ النصر لهم ولكن امامهم نصرًا اعظم وسبيلهُ ان يحصروا بورت آرثر من البر و يكرهوا حاميتها على التسليم جوعًا فيقع الحصن في يدهم والاسطول الراسي في الميناء وربما اتبعوا هذه الخطة طمعًا بان ترى اعلامهم خافقة على بوارج الروس ولو كان اتباعها يقتضي وقتًا اطول

قوانين يوستنيانوس (١)

مترجمة من الفرنسوية بالعربية

تنبيه للمترجم العربي

من المناهج المتبعة عند من تنازع نفوسهم الى تقدم العلم وترقي العمران الحرص على ما خلَّفت الاجيال الخالية للاجيال الباقية من كنوز العلوم والشرائع . ذلك ابتغاء الظفر بما انتجتهُ لهم الخبرة ومحصتهُ لهم التجربة وهدتهم اليهِ ممارسة الحوادث والشؤُون والعلائق بين الاجيال المختلفة والممالك المتعددة في حالي السلم والحرب والولاء والعداء مما لا يتهيا للمتأخرين استنباطهُ او ابلاغهُ مبلغ الانتفاع بهِ الاَّ بعد ان يتقضى عليهم قرون . فقد نعثر في تآليفهم على ما نتخذهُ مصدرًا نشتق منهُ ما يلائم احوال ايامنا وينفع في توفير دواعي فلاحنا وتعزيز اسباب هنائنا وثرائنا . واتباعاً لهذا المنهج البيّن الفائدة اقبلت على ترجمة شريعة مملكة دانت لها الاطراف القاصية في الشرق والغرب . وطار نسرها في جوّ كل ارض . وجرت احكامها في كل صقع . ونفذت اوامرها في كل قطر . تلك هي المملكة الرومانية التي انحنى لتاجها الخافقان ومشى على شريعتها المشرقان . فهذه وان كان عرشها قد ثُلَّ وتاجها قد وقع وصولجانها قد تحطم فلم تنفك قوانينها في بلاد الافرنج مورد المقبلين على تلقي الشرائع وجزءًا من المواد الفقهية التي أُوجب على طلاَّب الفقه ان يمتحنوا فيها فترجموا بلغتهم الكثير من كتبها وفي ما ترجموا منها مختصر قوانين يوستنيانوس للفقيه الشهير كرفينس وقد طبع هذا المختصر الذي ترجمهُ عالم فرنسوي يقال لهُ تيسار وبازائهِ الاصل اللاتيني . وقد اتحف المترجم الفرنسوي بترجمتهِ مقام الدوك دورليان ومما ذكرهُ في تقدمة مترجمهِ لمقام الدوك المشار اليهِ امران يدلاَّن على ما في تلك الشريعة من الحكمة احدهما ان الذي بعث كرفينس على اختصار قوانين يوستنيانوس من دون ان يغفل شيئًا من جوهرها انما هو ما راهُ من اعراض طلبة الفقه عن دراستها لطولها . والثاني ان الشرائع الرومانية قد نعتت بانها العقل المكتوب وهي جديرة بهذا النعت العالي . فأرجو لذلك ان يترتب على نشرهِ فائدة للخاصة واذكياء العامة في الاقاليم والممالك التي ينتشر فيها ضياء المقتطف

(١) هو يوستنيانوس الاوَّل امبراطور المشرق الذي جلس على العرش من سنة ٥٢٧ الى سنة ٥٦٥ للميلاد . وقد قاتل قبائل الفندال الرومانية التي كانت تشنُّ الغارة على رومة وتنهبها وحارب الفرس . وامر بجمع الفتاوى والقوانين الجديدة

نطق يوستنيانوس

لا يجدر بعاهل الرومانيين ان يكتفي بالانتصار على العدو في حومة القتال بل عليهِ ان يستأصل بالطرق المشروعة ظلم المبطلين من اصحاب الدعاوى . ولقد قمنا بالامرين المشار اليهما فان الامم البربرية الخاضعة لسلطتنا قد علمت شدة بأسنا في الحروب . ورعايانا كلهم جارون على ما وضعنا او قررنا من الاحكام والقوانين . ولقد رتبنا القوانين العاهلية ترتيباً واضحاً . واستنفدنا الوسع في تصفح كثيرٍ من كتب الفقه القديم حتى اتممنا هذا التأليف ولما فرغنا منهُ استدعينا تريبونيان (٢) وتاوافيل ودُورُوته واقترحنا عليهم تأليف كتاب القوانين هذا تحت سيطرتنا ومراجعتنا . وقد امرنا هؤلاء الفقهاء ان يقسموا هذه القوانين الى اربعة كتب تنتظم الاصول الاولى لعلم الفقه كلهِ

ولقد ذكرنا بالاختصار ما هو من الشرع القديم . واما ما صار من اصولهِ غامضاً لمجرو وعدم التعويل عليهِ فقد امرنا بسلطاننا العاهلي ان يُرعى في القضاء . واوجبنا الجري على هذه القوانين غبَّ تصفحها وتدقيق النظر في تصحيحها

الكتاب الاول

الفصل الاول في العدل والحق

العدل فضيلة تدفع الارادة ابداً لان تحكم لكلٍّ بما لهُ

(١) الفقه هو العلم بالامور الالهية والبشرية ومعرفة العدل والظلم (٣)

(٢و٣) قواعد الحق هي التزام الادب ومجانبة الاضرار بالناس واعطاء كلٍّ ما لهُ

(٤) الشرع اما عام وهو ما يرتّب حال الشعب الروماني . واما خاص . وهو ما ينحصر في ترتيب المنافع الفردية للوطنيين (٤) وها نحن أولاء نشرع في بيان الشرع الخاص المؤلف من اصول مستخرجة من الشرع الفطري ومن شرع الامم ومن الشرع المدني (٥)

الفصل الثاني في الشرع الفطري وشرع الامم والشرع المدني

الشرع الفطري او الطبيعي هو ما تعلّمهُ الطبيعة كلَّ حيٍّ . ومن هذا الشرع يتفرع اجتماع الزوج والزوجة وايلاد الاولاد وتربيتهم

---

(٢) تريبونيان كان رئيس المحكمة في عهد يوستنيانوس من سنة ٤٧٥ الى سنة ٥٤٥ . وتاوافيل فقيه يوناني اشترك في تصنيف قوانين يوستنيانوس (٣) الفقه الاسلامي يشمل العبادات والمعاملات واحكام الزواج والعقوبات (٤) يراد بهذا الحقوق الشخصية المتعلقة بكل فرد من افراد الوطنيين (٥) الشرع المدني هو قسم المعاملات في الفقه الاسلامي

(١) كل الشعوب جارية في بعض شؤونهم على قانون لهم خاص . وفي البعض الآخر على القانون العام لكل البشر . اما القانون الذي يراعيهِ كل شعب ويجري عليهِ فانما هو حق المدينة المسمى الشرع المدني او الحق المدني . واما الشرع الذي اقرَّهُ العقل الفطري بين البشر كلهم اجمع فيكاد يكون مرعيًّا عند جميع الناس على السواء وهذا هو المقول له شرع الامم او حق الامم

(٢) الشرع المدني يأخذ اسمهُ من الشعب الذي يضعهُ ولم تجد الامم كلها مندوحة عن وضع شرع الامم اجابة لداعي الضرورة للحاجة

(٣) الشرع الذي نجري عليهِ اما احكام مدوَّنة او عادات جارية . والاحكام المدوَّنة هي كتاب الشرع وشرع العامة ومراسم مجلس الشيوخ . واوامر الملوك واحكام القضاة وفتاوى المفتين

(٤) كتاب الشرع هو الذي كان الشعب الروماني قد وضعهُ اجابة لطلب قاضٍ من مجلس الشيوخ . واما شرع العامة فهو ما كانت العامة تضعهُ وتقرّرهُ بطلب قاضٍ من قضاتها وهذا الشرع منذ ايام شرع هرتنصيا كان مرعيّ الاجراء كسائر القوانين

(٥) اما مراسم مجلس الشيوخ فهي احكام كان يبرمها ذلك المجلس

(٦) اوامر الملك شريعة

(٧) احكام القضاة تُراعى كما تراعى اوامر الملك

(٨) فتاوى المفتين وهي وجدانات وآراء المقلدين الحكم في مسائل الشريعة المنوطة بهم اذا اتفقت تبلغ من وجوب المراعاة الى حد ان يتعذَّر على القضاة بحسب القوانين الاساسية ان يخرجوا عنها

(٩) اما الشرع غير المدوَّن فهو المبني على العادة والعرف[٦]

(١٠) الشرع الفطري لا يلغو ولا ينسخ . والشرع المدني الذي تمشي عليهِ الشعوب هو عرضة للتنقيح والنسخ

(١١) الشرع الذي نجري عليهِ منهُ ما يتعلَّق بالاشخاص . ومنهُ ما يتعلَّق بالاشياء ومنهُ ما يتعلَّق بالدعاوي . ولنأخذ الآن فيما يختصُّ بالاشخاص

الفصل الثالث في حقّ الاشخاص

الناس اما أحرار واما عبيد

(١) الحرية حقٌّ فطريٌّ يُبيح لكلٍّ ان يفعل ما يشاء ما لم تمنعهُ الشريعة او قوة قاهرة

---

(٦) وفي الفقه الاسلامي « العادة محكمة والعرف قاض » ولابن عابدين صاحب الحاشية رسالة موسومة بنشر العرف في بناء بعض الاحكام على العرف وهي مشبعة في هذا الباب

(٢) العبودية نظام من شرع الامم به يخضع الواحد لسلطة الآخر خلافاً لحق الفطرة[٧]

(٣و٤) العبيد من يولدون من نسائنا الإماء . ومن يصيرون بحسب حق الامم عبيداً اذا أخذوا أسرى · والحرّ البالغ يصير عبداً بحسب الشرع المدني اذا رضي ان يباع ليأخذ حصة من الثمن

(٥) لا تفاوت في حال العبودية · والاحرار اما احرار في الأصل او محرَّرون

الفصل الرابع في الأحرار

الحرّ من وُلد ولا سلطة لوالديه على بيعه . واذا بلغ عاقلاً نفذ تصرُّفهُ · ويكفي المولود ليكون حرًّا ان تكون امهُ حرَّة او أنها كانت حرة بين الحمل به وولادته

(١) المرور بالعبودية لا يبطل حقوق الأحرار

الفصل الخامس في المحرَّرين او المعتقين

المحرَّرون هم الذين يخرجون بالاعتاق من رقٍّ . فالعتق هو اعطاء الحرية · واصل هذا من شرع الامم

(١) التحرير قد يكون في المعابد[٨] او بالادّعاء او بين الاصحاب او بكتابة رسالة او بالوصية الاخيرة ايًّا كان نوعها

(٢) يصحّ ان يعتق المولى عبدهُ باشهاد القاضي ولو كان هذا مارًّا بالطريق

---

(٧) انما قال خلافاً لحق الفطرة اذ لا رقّ في اصل الخلقة الا ان قوة الواحد وضعف الآخر قد اوجدهُ في الامم القديمة · فالرومانيون انفسهم يعترفون بان الرقّ منافٍ لحق الفطرة ويعتذرون عن الاسترقاق بعذرين لا يعدوان المغالطة المحضة الاوّل انهُ يحقّ للغالب ان يقتل الاسير فاذا استبقاهُ كان ذلك احساناً اليه · والثاني للغالب ان يملك اسراهُ كما يملك أمتعتهم فيترتب على ذلك ان له ان يدعي شرعيًّا احتكار خدمتهم · قلت ولا داعي للتعرض لرد هذين العذرين عن امرٍ لا يقبل فيه عذر · وانما جرى عليه الرومانيون متابعة لمن تقدَّمهم وتعزيزاً للسياسة والاقتصاد · هذا ومن احبّ الوقوف على احوال الاسترقاق عند الامم المختلفة فعليه بمطالعة السفر النفيس الشاهد لواضعه ومترجمه بطول الباع وسعة الاطلاع وهو المسمى «الرق في الاسلام» وهو مطبوع ببولاق مصر سنة ١٨٩٢ للميلاد

(٨) صور الاعتاق في الفقه الاسلامي تختلف عن بعض صورهِ في الشريعة الرومانية فالتحرير في الشرع الاسلامي بعضهُ منجزٌ وذلك اذا قال المولى لعبده انت حرٌّ او ما هو في معناهُ وبعضهُ معلق وذلك اذا دبرهُ او كاتبهُ · اما التدبير فهو ان يقول المولى لعبده انت حرٌّ بعد موتي او قد اعتقتك بعد موتي او قد دبرتك وبعد التدبير لا يجوز للمولى بيع العبد ولا هبته · واما المكاتبة فهي تحرير المملوك يداً حالاً ورقبة ومآلاً وتنعقد المكاتبة بان يتفق عليها المولى وعبدهُ على مال يؤديه العبد لمولاهُ · ويجوز للمولى ان يشترط المال حالاً او مؤجلاً الى اجلٍ معلوم او منجماً اي مقسطاً على ازمنة معينة

(٣) المحرَّرون بالاعتاق يصيرون من ابناء الوطن الروماني وبعضهم يصيرون من عامة اللاتين · وبعضهم يصيرون من السفلة غير انا ندعوهم جميعاً ابناء الوطن الروماني

الفصل السادس في موانع العتق

العتق الصادر لغبن الغرماء باطل

(١) لا يباح للمولى المفلس ان يقيم عبده وارثاً له معتقاً اياه · فهذا العبد متى عتق كان الوارث الوحيد لمولاه بمعنى انه لا يكون ثمة وارث آخر بالوصية

(٢) الشريعة تقيِّد المفاعيل نفسها عند اقامة الوارث بمنفعة العبد ولو لم يحرَّر مع اقامته وارثاً

(٣) المولى الذي حرَّر لغبن غرمائه يعد مفلساً للاعتاقات التي اعتقها (لا بدَّ من اقامة البينة على انه اراد الغبن)

(٤) لا يجوز للقاصر وهو ابن عشرين ان يحرِّر الا باقامة دعوى بعد استصواب اسباب العتق

(٥) يكون للمولى سبب شرعي للاعتاق اذا اراد ان يعتق اباه او امه او ابنه او ابنته او اخوته او اخواته الطبيعيين او استاذه او مرضعه او زوج مرضعه او تلميذه من الذكور او الاناث او ربيبه اي اخاه من الرضاع · وله ذلك ايضاً اذا اراد ان يتزوج امرأة عبده او يقيم قيِّماً لبيته من هو في رقه

(٦) ما قُبل من الاسباب مرة لا يجوز رده فيما بعد

(٧) لا نجيز للقاصر الذي لم يبلغ العشرين ان يعتق عبده بالوصية الا بالشرط الذي لا بدَّ منه وهو ان يبلغ ثماني عشرة سنة من عمره عند موته

الفصل السابع في ابطال شريعة فيزيا كانينا

ان شريعة فيزيا كانينا قد وضعت صورة معينة لاعتاق العبيد بالوصية ونحن قد استصوبنا ابطال تلك الصورة

الفصل الثامن في النافذ التصرُّف وفي المحجور

الناس بعضهم مطلق اليد نافذ التصرف في ماله · وبعضهم محجور عليه كالصغير الذي هو تحت ولاية ابيه او جده والعبد الذي هو تحت ولاية مولاه

(١) العبيد تحت ولاية مواليهم · وعند كل الأمم للمولى الحق على حياة العبد وموته[٩]

(٢) نحظر في هذا الوقت على ايٍّ كان ان يقسوا على عبده الا لعلة مقبولة شرعاً ·

(٩) في الفقه الحنفي لا يقتل الرجل بعبده ولا مدبره ولا مكاتبه ولا بعبد ولده

فقد ضرب على ايدي الموالي ان يقسوا عليهم لان انطونان امر ان الذين يعاملون عبيدهم بقسوة غير محتملة يكرهون على بيعهم بشروط مقبولة . ومصلحة الامة تستدعي ان كل احد يحسن استعمال ما يملكهُ . وليس لهُ ان يسيء استعمالهُ

الفصل التاسع في الولاية الابوية

الاولاد الذين نرزقهم بالزواج الشرعي هم تحت ولايتنا

(١) الزواج ان يقترن الرجل بالمرأة ويعيشا عيشة مشتركة لا انحلال لها

(٢) الحقوق التي لنا على اولادنا خاصة بالوطنيين الرومانيين

(٣) المولود منك ومن زوجتك هو تحت ولايتك وكذا المولود من ابنك ومن زوجتهِ

الفصل العاشر في الزواج

ابناء الوطن الرومانيون الذين يتبعون في زواجهم الاصول المقررة في الشرائع يعد زواجهم شرعياً متى بلغ الذكر مبلغ الرجال والانثى مبلغ النساء على ان ابناء البيوت المعروفة ينبغي ان يترضوا من هم تحت ولايتهم من الاصول كالاب والجد

(١) لا يؤذن للروماني ان يتزوج اية كانت . يحظر الزواج على الاطلاق بين جميع من هم في مقام الاصول كالآباء والاجداد او الفروع كالاولاد والاحفاد . وكذلك بين الذين لا يقومون مقام الاصول او الفروع الاَّ بالتبني . وهذه القاعدة مطلقة بحيث ان المنع يبقى ولو بطل التبني

(٢) لا يجوز الزواج بين الاخ والاخت . ولا يحل لك ان تتزوج اختك المتبنَّاة مابقي التبني ويكون الامر بالخلاف اذا بطل التبني او اصبحت انت مأذوناً

(٣) لا يحل لك ان تتزوج بنت اخيك او اختك ولا حفيدتهما ولو في الدرجة الرابعة . يحل لك ان تتزوج ابنة المرأة التي تبناها ابوك

(٤) يحل عقد الزواج بين اولاد الأخوين والأختين واولاد الأخ والاخت

(٥) لا يحل لمرء ان يتزوج عمتهُ ولو متبناة ولا خالتهُ لأنهما تنزّلان منزلة الاصول

(٦) يمنع الرجل احتراماً للمصاهرة ان يتزوج كنتهُ وان يتزوج بنت امرأتهِ اي التي كانت كنة . والتي كانت امها امرأتهُ وذلك لانهما بمنزلة البنات

(٧) لا يحل للرجل ان يتزوج حماتهُ ولارابتهُ (اي امرأة ابيهِ) لانهما بمنزلة الام منهُ . وهذا المنع لا يبتدئ الاَّ بعد انحلال المصاهرة اي عقيب وفاة الحم او الاب

(٨) يحل لابن الزوج المولود من زوج سابق ولابنة الزوجة المولودة من زوج آخر او

بالعكس ان يعقدا زواجاً شرعياً حتى ولو كان لهما اخ او أُخت من فراش ثان

(٩) قال جوليان يجب ان تمتنع ان تتزوج البنت التي وُلدت لامرأتك من زوج آخر بعد ان طلقتها

(١٠) من المقرر ان القرابات المتأتية من العبودية توجد مانعاً للزواج

(١١و١٢) اذا تعدَّى بعض الناس الموانع المذكورة آنفاً فلا يعتبر زواجهم بل تنالهم فوق ذلك عقوبات أُخر

(١٣) ان الولد الطبيعي المنوط امرهُ بالديوان الروحي هو خاضع لولاية الاب . وكذلك الولد المولود من ام حرَّة . والولد الذي تلدهُ امٌّ حرَّة كانت تخالط الاب سفاحاً فهذا الولد يجوز ان يكون تحت ولاية هذا الوالد اذا عُقد بين الرجل والمرأة عقد مهري فيما بعد

الفصل الحادي عشر في التبني

اولادنا حتى الذين نتبناهم هم تحت ولايتنا

(١) باجازة الملك يباح لكلٍّ ان يتبنى من هم اولياء انفسهم . وهذا النوع من التبني يسمى بالتبني الاستدعائي . ولكلٍّ باذن القاضي ان يتبنى من هم في حجر اصولهم اي آبائهم واجدادهم

(٢) اذا الاب الطبيعي سلَّم ابن البيت المعروف الى شخص غريب فحقوق هذا الاب الطبيعي على هذا الابن لا تبطل بوجهٍ ما ولا يقع الولد تحت ولاية الاب المتبني ولو ان التركة تحوَّل اليهِ من دون وصية من هذا الاب الاخير . واذا الاب الطبيعي اعطى ابنهُ بالتبني لشخص ليس بغريب فالولاية الابوية تبقى للاب المتبني بكل قوَّتها

(٣) متى كان القاصر متبنًّى باجازة الملك يصير النظر في هل هذا التبني مفيد للقاصر اولا ففي هذه الحالة لا يقع طلب التبني الاَّ بشروط معينة وتلك كأن يكفل طالب التبني انهُ اذا توفي القاصر قبل سنّ البلوغ فاموالهُ ترد الى من يرثونهُ لو لم يكن متبنًّى . ليس للمتبني بالاستدعاء ان يعتق المتبنى ما لم يكن هناك اسباب واقعية مستصوبة وبعد ان يردَّ للمتبنى الاموال التي كانت لهُ . فالاب اذا حرمهُ من الميراث عند الموت او اذا كان قد اذن لهُ في التصرُّف فعليهِ ان يترك لهُ ربع مالهِ

(٤) لا يباح لاحدٍ ان يتبنى من هو اسنُّ منهُ . ومن يريد ان يتخذ ابناً سواء بالتبني او بالاستدعاء يتعين ان يكون اكبر سنًّا من ذلك الشخص بمقدار زمن البلوغ كلهِ

(٥) يجوز لمن ليس لهُ ولد ان يتخذ بالتبني الاحفاد وكذلك مَن بعدهم

(٦) يجوز ان يتبنى ابن الغير ليقوم مقام الحفيد او حفيد الغير ليقوم مقام ابنهِ

(٧) اذا تبنى من له ابن طبيعي او متبنى شخصاً ليقوم مقام حفيده فلا يصح ذلك الا ان يرضى هذا الابن بالتبني لكن اذا الجد اعطى حفيده للتبني فلا يشترط لصحة ذلك رضا الابن

(٨) من يتبنَ شخصاً ليس بغريب فله ان يسلمه بالتبني الى آخر ان شاء

(٩) لا يحق التبني لمن يتعذر عليهم ان يلدوا وكذلك الخصيان لا يحق لهم ان يتبنوا

(١٠) ليس للنساء ان يتبنين

(١١) من تبنى استدعائياً وله اولاد تحت ولايته دخل هو واولاده تحت ولاية المتبني

(١٢) نحن نحكم بعتق العبد وصيرورته حراً اذا استنتج من وثيقة رسمية ان مولاه قد دعاه ابنه

الفصل الثاني عشر فيما يبطل ولاية الأب

اذا مات الاب وبنوه وبناته قد رشدوا وايضاً اذا توفي الجد واحفاده قد رشدوا ترتفع ولاية الاب

(١) من ينفى الى جزيرة يعدم حقوقه المدنية ويتفرع على ذلك ان اولاده يخرجون من تحت ولايته ويحسب كأنه مات لكن متى رُدّت اليه حقوقه عادت ولايته عليهم الى عهدها الاول

(٢) اما الذين انما هم مبعدون فتبقى لهم على اولادهم ولاية الابوة

(٣) من يصير عبداً بالاشغال الشاقة يبطل ما له على اولاده من ولاية الابوة

(٤) رتبة الشرف المختصة ببطارقة الروم تخرج الاولاد من ولاية الاب

(٥) اذا الاب اسره عدو فولايته على اولاده تصبح موقوفة لاحتمال انه يطلق فيرجع

(٦) ان المأذونين من الاولاد يخرجون من تحت الولاية الابوية . وحينئذٍ لا يبقى لاصولهم الا نفس الحقوق التي تعزى لمواليهم

(٧) ان من كان تحت ولايته ابن وحفيد او حفيدة من هذا الابن يجوز له ان يخرج ابنه من تحت ولايته ويبقى تحت هذه الولاية حفيده او حفيدته ويجوز له ان يبقى ابنه تحت ولايته ويخرج احد احفاده او احفاده كلهم

(٨) اذا اعطى اب للتبني الابن الذي هو تحت ولايته الى جده او الى ابي جده الطبيعي انتقل حق ولاية الاب الطبيعي الى الاب المتبني

(٩) اذا اذنت لابنك في التصرف او اعطيته للتبني وكنتك حامل فالابن الذي يولد منها يولد تحت ولايتك لكن اذا لم يحبل بالولد الا بعد الاذن او التبني فيكون في ولاية ابيه المأذون او جده المتبني

(١٠) لاحقّ للاولاد سواء كانوا طبيعيين او متبنين ان يلزموا الاب بان يخرجهم من ولايته

الفصل الثالث عشر في الوصايا

الذين ليسوا تحت ولاية الغير منهم من يكون عليه وصيّ او لهُ وكيل ومنهم من لا يكون لهُ وصيّ ولا وكيل

(١) الوصاية هي الولاية التي يعطيها الشرع المدني لحرّ ليحامي عمّن لصغره لا يستطيع المحاماة عن نفسهِ

(٢) الاوصياء هم الذين لهم بقوّة الشرع المدني حقّ التصرّف في اموال اليتامى واملاكهم

(٣) للاصول (وهم الآباء والاجداد) ان يقيموا اوصياء على اولادهم الصغار الذين هم تحت ولايتهم وعلى احفادهم ان لم يكونوا بحال تجعلهم تحت ولاية الاب ثانية

(٤) هذا الحكم مطّرد في المولودين بعد موت آبائهم كما هو مطّرد فيمن وُلدوا في حياة ابائهم

(٥) الوصيّ المقام على الولد بوصاية الاب يجب ان يعترفهُ الوالي وصيًّا بلا تحقيق

الفصل الرابع عشر في الذين لا يصحّ ان يوصى اليهم

يصحّ ان يقام وصيًّا ابو العائلة وابن البيت

(١) يصحّ ان يوصي الى عبده حرَّره او لم يحرّره والى عبد غيره ان كان هذا العبد حرًّا . واما عبدهُ فلا تصحّ اقامتهُ وصيًّا ولو ذكرت تلك العبارة " متى صار حرًّا "

(٢) اذا اوصى الى مجنون او قاصر صحت الوصية تعليقًا لا تنجيزًا بمعنى ان المجنون يصير وصيًّا متى افاق والقاصر متى بلغ

(٣) يصح قطعًا ان يقام وصيٌّ الى اجلٍ مسمّى اعتبارًا من مدةٍ معينةٍ وذلك على الشريطة ان يكون قبل اقامة وارثٍ

(٤) قد يقام وصيٌّ على شخصٍ لا على شيءٍ ولا عملٍ

(٥) اذا اقام الرجل اوصياء عن بناتهِ وابنائهِ دخل تحت هذه الوصاية نفسها من وُلد للموصي بعد موتهِ من بنتٍ او ابنٍ . اذا ترك الاحفاد دخلوا تحت وصاية الاولاد لا تحت وصاية الابن

الفصل الخامس عشر في وصاية العصبة الشرعية

ان لم يعين في كتاب الوصية وصيٌّ او اوصياء فالعصبات هم الاوصياء . ويقال لهم اوصياء شرعيون

(١) والعصبات هم المرتبطون بالقرابة من جهة الذكور [١]. واما الذين لم يرتبطوا بالقرابة الاّ بانثى فهم أُولوا الارحام [٢]

(٢) ان شريعة الالواح الاثني عشر تقيم العصبات اوصياء متى توفي من لهُ حق الايصاء ولم يقم وصيّاً

(٣) تبطل حقوق العصبة بكل نوع من انواع تغير الحالة . وليست كذلك حقوق ذوي الارحام

الفصل السادس عشر في تغير الحالة

نقص الاهلية هو تغير الحالة . وهذا إما كبير او متوسط او صغير

(١) تغير الحالة الكبير يتأتى عن حرمان حقوق الوطنية وزوال الحرية

(٢) تغير الحالة المتوسط يتسبب عن حرمان حقوق الوطنية مع بقاء الحرية

(٣) تغير الحالة الصغير يتسبب عن تغير بسيط يطرأُ على العائلة

خطر علينا وعلى الدين

تمهيد

الحق ضالَّة العقل التي ينشدها ونجعتهُ التي يرتادها وانما تتفاوت العقول في معرفة الحق تفاوتها في مراتب الرقي وتتباين في تعيينهِ تباينها في العلم . لهذا لا تجد قائلاً قولاً او منتحلاً نحلة او مرتئياً رأياً الاّ ويزعم انهُ على حقٍ . ومن ثمَّ كان من العدل ان لا يُؤْخذ على قائل ظنهُ انهُ على حقٍ الاّ اذا قامت الادلة وتجلّت البراهين على انهُ على غير الحقِ واصرَّ على ما قام في نفسهِ مع وضوح انهُ على غير حقٍ

كتب حضرة الفاضل صاحب مقالة "خطر علينا وعلى الدين" في المقتطف الماضي ما يعتقد انهُ حقٌ ولاعتقادهِ انَّ الحق في بادىء الامر يصادم الاسماع مصادمةً ويقارع النفوس مقارعة كان كمن يقدّم قدماً ويؤخر اُخرى اتقاء المؤاخذة من عمرو والانتقاد من بكر: عادة الفها الناس في مقابلة كلّ قول جديد لم تألفهُ النفوس ولم تدمن عليهِ الاسماع

---

(١) في كتب الفرائض الاسلامية «العصبة ذكر» لم يدخل في نسبتهِ الى الميت انثى

(٢) الارحام جمع رحم وهو قريب ليس بعصبة ولاذي سهمٍ

اجل ان العاقل لا بدّ ان يستهدف للملام ويحتاط لوقع السهام لكن ينبغي لهُ مع ذلك ان يكون في جانب اليقين في انّ مواخذيهِ هم ايضاً طلاّب حقّ ولن يستطيعوا مهما بلغوا منهُ ان يطفئوا نور الحق اذا اتضح لديهم ان صاحبهُ المحق

اذا تمهد هذا اقول: ان كاتب المقالة الفاضل انما كتب ما يعتقد انهُ الحقّ فينبغي لمن يأخذ عليهِ قولهُ ان يأخذ بانصاف ويتنكّب طريق الاعتساف. ولمن يرى رأيهُ ويوافقهُ في مذهبهِ ان يساجلهُ الكلام مساجلةً ويجاذب واياهُ اطراف البحث لاستجلاء الحقيقة ووضوح الحق الذي هو ضالة العقل وطلبة الباحثين

لهذا فانا وان كنت من مشاركيهِ في الرأي وموافقيهِ فيما ذهب اليهِ الاّ اني رأيت في بعض المواضع من مقالتهِ اغراقاً ربما كان الباعث عليهِ ألمُ الكاتب مما ألمَّ بالمسلمين. وفي بعضها غموضاً يحتاج الى ايضاح للاسباب وافصاح عن المقاصد فجئت بهذه الرسالة لمطلق البيان والتفسير لا للمؤاخذة والنكير. راجياً من حضرة الكاتب الفاضل موافقتي على ما يرى انهُ الحق ومن القراء الكرام نصرة الحقيقة وعدم التسرُّع الى العذل فاقول جواباً عن مقدمتهِ الاولى

نحن والدين

ابان الكاتب في هذه المقدمة عن لزوم استناد الامة في نهوضها الى الناصحين والمرشدين وذكر ما دبّ في نفوس المصريين من روح النشاط الى الدخول في دور من ادوار الحياة جديد وان الامة تبع في هذه الحال للنصحاء والمرشدين. ثم تطرّق من ذلك الى النظر في وجهة اولئك النصحاء وهل هي مما يفيد او لا. ثم ذكر الوجهة التي اتجه اليها النصحاء وانها مقصورة على الدين. وافاض فيما انتشر لهذا العهد بين الامة واستفاض على السنة الكتّاب والمؤلفين واقلامهم من القول في ان علة تأخرنا وانحطاطنا وتقدمنا وارتفاعنا هو الدين فتركهُ والجري على خلافهِ هما علة ما نحن فيهِ. والعمل بهِ هو الدواء الشافي من كل ما اصابنا من الامراض. ثم قال ان هذه النصيحة وتلك الضوضاء القائمة بين المصريين في الارشاد الى النهضة النافعة كلها موجهة الى الدين وبالدين ومن الدين

ساق الكاتب هذه المقدمة على اسلوب جميل مقبول للعقل مشعر بحسن النية وقال ما شاء ان يقول واجاد في القول فلا ينكر عليهِ الاّ اغراقهُ في بعض المواضع لا سيما في تهمة معلمي ابناء الامة الذين لو صحَّ انهم انما جعلوا الدين هو القدوة التي يغرسونها في الاذهان لكان ذلك حسن ظنٍّ منهُ ينبغي لاولئك المعلمين ان يقابلوهُ بالشكران اذ المعروف انهم ليسوا هناك وانما فيهم افراد نعرف بعضهم يبثون في الناشئين روح الدين على وجه معقول لا يتجاوز

حد الحاجة ولا يباين تربية الاخلاق على الفضيلة ولو حذا حذوهم امثالهم من المعلمين لكان ذلك نافعاً للناشئين

واغرق في تهمة الشعراء وانما هم طلاَّب خيال وابعد الناس عن قيل وقال

واما المؤلفون والكتاب وارباب الجرائد والمجلاَّت الذين جعلوا الدين وترًا يدقون عليهِ. واذا تفرَّقت بهم المذاهب اجتمعوا اليهِ. فقد اجمل في الاشارة اليهم اجمالاً اندمج فيهِ الصادق والمائن والذي يعلم الحق ويقول بهِ والذي لا يعلمهُ. وانما التبستْ عليهِ الحقيقة وصعب عليهِ التفريق والتعيين لكثرة ما يقرع سمعهُ واسماع الناس كافة لهذا العهد من قوارع الدين من الكتَّاب والمحررين والحقيقة او الحق مخفي بين هذه الضوضاء القائمة لا ينادي بهِ الأ النزر اليسير ولا يستطيع تمييزهُ وتناولهُ الأ القوي المتين. ولما كان هذا المحل هو محل النظر والمناقشة ويلزم التبسط فيهِ فقد رأيت بياناً للحقيقة الضائعة ودفعاً لشبه النفوس ان اقول فيهِ كلمات لا تخلو من فائدة واليك هي

كثر لغط الناس في هذه الآونة باسم الدين كما قال حضرة الكاتب وعلت صيحة الجرائد وارباب الاقلام فاختلطت الاصوات على السامعين حتى لم يعد يصل الى آذانهم سوى اسم الدين فما الباعث على هذا كلهِ وما الذي يريدهُ الصائحون؟ هل هو خير الأمة وسعادتها كما يقولون؟

أجل قام في الأمة افراد اطالوا في حال الأمة النظر واطلقوا لانفسهم عنان التأمل في ماضيها وحاضرها فرأوا ان كل ما اصابها من الانحطاط انما كان من جانب الدين بما دخل عليهِ من شوائب الوضع المختلف باختلاف الواضعين واغراضهم مما لا يسع المقام بسطهُ وتعدادهُ فرأوا ورأيهم الحق ان قيام الامة من هذا الحضيض واصلاح حالتها الاجتماعية اصلاحاً ينهض بها الى مصاف الامم الحية النامية مدنيةً وعلماً لا يتأتى الأ باصلاح الدين في امة تأصل فيها الاعتقاد ان كل شيء بالدين وبتطهيرهِ من شوائب البدع التي الصقها بهِ المبتدعون ظلماً وعدواناً. وان الاصلاح المدني تابع في مثل هذه الحال للاصلاح الديني. اذ ما دام المرء مأسورًا للعوائد مستسلماً لما يعتقد انهُ من الدين وان كان ما يعتقدهُ مضرًّا ظاهر الاثر عليهِ شاهدًا لهُ انهُ ليس من الدين فقلَّ ان يهتدي الى التملص من حبائل الخمول بالنزوع عما ورثهُ من اجيال طوال من الاعتقادات الباطلة والعوائد القاتلة. والشواهد على هذا كثيرة يكفي ما ذكرهُ منها حضرة الكاتب في مقدمتهِ الثانية

رأوا ذلك ونادوا بهِ على ملاءِ الناس اعتقادًا منهم بان فيهِ خير الامة ونهوضها من العثرة

الماضية ولكل مصلح عدو بل كل الناس اعداء للمصلحين لان المصلح يريد مصادرة الناس في عوائدهم ويريدون البقاء عليها وشتان بين الامرين · فقام من الناس من يناهضهم مناهضة المحامي بزعمهِ عن الدين وانما هم يحامون عن العوائد والبدع والمبتدعين والمصلحون يُدلون بالحجة ويأتون بالدليل تلو الدليل رجاء الوصول الى الغاية والتمكن مع الزمن من تطهير العقول من ادران التعصب للعادة والادمان على الجهالة . ورأى فريق آخر نزوع العامة الى جانب المناهضين فهبَّ لانتهاز الفرصة وجرّ المغنم والسعي وراء الشهرة فنادى : الدين الدين : وهو لا يعرف من الدين الاَّ الفاظاً يلتقطها من افواه المتناظرين ومن ثم كثرت الجلبة باسم الدين واختلط الامر على السامعين وكان ما نراهُ ونسمعهُ مما يظنهُ حضرة الكاتب مضرًّا بالمسلمين وعندي انهُ نافع لان الحق كما قلنا ضالة العقل التي ينشدها ولا بدَّ مع توالي البحث والجدال وطول القيل والقال من تمحيص الحق وظهورهِ للعقل في اجلى مظاهر الكمال والاخذ بهِ رضي او لم يرضَ اهل الخصام والجدال

هذا تفصيل ما اجمل فيهِ حضرة الكاتب في شان المنادين باسم الدين ومنهُ يعلم انهم اقسام منهم قسم المصلحين ومنهم قسم المجادلين المكابرين ومنهم قسم المقلدين وهؤلاء هم شرُّ الناس على الناس وهم بعينهم الذين ينطبق عليهم قول حضرة الكاتب "ما جدَّ في البلاد حادث ولو كان تافهاً لا يتلفت اليهِ فرد عاقل فضلاً عن امة فضلاً عن دين يجمع اممًا الاَّ وسبقتهُ كلمة الدين ثم لا تزال تتبعهُ هذه الكلمة حتى يقبر في زوايا النسيان ويكون آخر ما يشيعهُ الدين"

ربَّ قائل يقول ما اغنى هؤلاء المصلحين عن اصلاح الدين واحراهم بالدعوة الى اصلاح امر الدنيا وبيان وجوه الخير والسعادة التي تتم بها سعادة الامم الراقية التي نبذت الدين

فالجواب عن ذلك ان المرض انما يزول بزوال سببهِ واذ علمنا ان سبب انحطاط المسلمين اتخاذهم البدع والعوائد ديناً وهي ليست من الدين واستسلامهم بسبب ذلك للرضا بما وجدوا عليهِ آباءهم الاولين لزمنا ان نسعى بازالة السبب ومتى زال ونشطت العقول من عقال الاسر للعوائد والاغراق في الاستسلام لكل ما يقال انهُ من الدين حق وقتئذٍ على العقلاء والمصلحين ان يحولوا وجهتهم الى الاصلاح المدني اذ يجدوا يومئذ كل الامة آذاناً مصغية لما يقولون وقلوباً واعية لما بهِ ينطقون

ليس هناك دليل على ان الاصلاح المدني تابع للاصلاح الديني اعظم من مراجعة تاريخ اوربا قبل منتصف القرن السادس عشر وبعدهُ اي قبل ان تظهر دعوة الاصلاح الديني وبعد ظهورها اذ كان الغربيون قبل ذلك الحين مغلولي الايدي الى الاعناق مستغرقين في

سبات الوساوس قد بسطت عليهم السلطة الدينية يد القوة والقهر لتصادرهم بالعلم والحرية باسم الدين وتمنعهم من التفلت من شَرَك العوائد وحبائل الاخلاد الى وساوس زعماء الدين كما هو حاصل الآن مع المسلمين . ولما قام المصلح المسيحي الكبير لوثيرس ودعا قومهُ الى ترك البدع الدينية وتطهير العقائد من شوائب الحشو القاتلة للعقول وقع من اللغط في اوربا وقام من الضوضاء بين الخاصة والغوغاء عين ما هو قائم عندنا الآن ثم كانت العاقبة للمصلحين ونفذ صوت الاصلاح الى اعماق القلوب ومن ثمَّ اخذت تنفتق اكمام العقول عن ذلك الزهر الكامن فيتفتح نوارهُ وينتشر عرفهُ واشرقت على النفوس انوار الحقائق فاندفعت في سبيل الرقي العلمي وما زالت في صعود حتى بلغت لهذا العهد اقصى ما ترمي اليهِ مقاصد الانسان . فكان الاصلاح المدني الاوربي الذي انعكس شعاعهُ على كل الآفاق نتيجة الاصلاح الديني كما كان الاصلاح السياسي نتيجة الثورة الفرنسوية الشهيرة

الاصلاح الديني في اوربا افاد المدنية والدين : افاد المدنية باطلاق العقل من قيود السيطرة الجائرة فبلغ من السعادة الدنيوية ما اراد : وافاد الدين بتطهيره من شوائب المبتدعين حتى تلقتهُ العقول بالقبول وصار الدين في كل الممالك التي ساد فيها مذهب الاصلاح قوي الدعائم قائماً على الحق والفضيلة لانهُ من الكتاب وهذا لا يستنكرهُ الاَّ النفر القليل من كلّ قبيل بينما يرى ظلهُ متقلصاً من جهة ثانية شيئاً فشيئاً عن ممالك اللاتين لا سيما مملكة فرنسا حتى نبذهُ جمهور كبير من الناس كما اشار الى ذلك حضرة الكاتب في آخر مقالتهِ . وفي هذا عبرة للمعتبرين

ميراثنا الديني

اجمل الكاتب في هذه المقدمة في الكلام على ما ورثناهُ من اسلافنا من الميراث الديني اجمالاً ادمج فيهِ كل ما يخالج ضمائر الناقمين من استسلام الأمة لكل ما قيل ويقال انهُ من جانب الدين وان كان من جانب الجهل بماهية الدين . ولما كان اكثر ما ورثناهُ مما ليس من الدين لم يكن موجوداً في عصر صاحب الرسالة (ص) ولا في عصر الصحابة وانما وجد تدريجاً ولكل بدعة وجدت تاريخ يرجع اليهِ ومصدر صدرت عنهُ ثم صارت من الدين فقد احببت ان أُلمَّ بشيء من تاريخ هذه البدع ومصدرها ليعلم القارئ كيف تسربت الوثنية الى الدين وكيف أُلصق كل شيء بالدين فأقول

بدأ الاسلام على ما يعلم من تاريخهِ بالدعوة الى التوحيد الذي هو أساس الاديان الالهية والكنف الواقي من تسلط كل ما لهُ صلة بالمادة على العقول البشرية ثم أُنزل القرآن بما

يفترض على الموحد من العبادات وبما يحتاجهُ من الاحكام في المعاملات فكان الرجل اذا اراد الاسلام يُلقَّن كلمة التوحيد و يعلَّم اركان الصلاة ويؤمر بحفظ شيء من القرآن الكريم ويقال لهُ هذا هو الاسلام ولم يعهد في عصر الصحابة تجاوز احد هذا الحد من معرفة الدين وكان من اراد من كبار الصحابة المزيد من معرفة الدين فانما كان يريد التفقه فيهِ بحفظ القرآن لاجل ان يكون عارفاً باحكام الدين في القضاء والافتاء واما العبادات فقد اخذوها عن النبي (ص) بالمشاهدة واخذها عنهم كذلك من لم يرهُ وكان المتفقهون من كبار الصحابة معدودين كعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وامثالها ولم يعهد باحد منهم الخوض بما وراء ذلك من التأويل والقال والقيل وتناول ما وراء الظاهر بالشرح والتفصيل اللهم الاَّ ما نسب الى علي بن ابي طالب من بعض الخطب المشتملة على شيء من الالهيات وقد نوَّه الحافظ الذهبي بأن اكثر ما نسب اليهِ من الخطب موضوع وضعهُ الشريف الرضي . واستمرَّ الامر كذلك بين المسلمين حتى اختلط العرب ايام الفتح بمجاوريهم من الامم وثنيين واهل كتاب وكانوا حديثي عهد بالاسلام سليمي الفطرة وكان الدين لم يزل غضاً طرياً والاديان الاخرى قد تمدَّدت ونمت ونسج عليها الناسجون ما شاؤوا من الآراء الفلسفية والبدع العقلية فلم يلبث ان خالط العرب هذه الامم حتى بدأت في اوائل عهد التابعين تتسرب الى عقولهم النظريات الدينية وتلتصق بالدين البدع الباطلة وكانت اول بدعة ظهرت فيهِ بدعة معبد الجهني وغيلان الدمشقي في القول بالقدَر ثم تبعها غيرها وغيرها . ومن دقق النظر في التاريخ اتضح لهُ ان اكثر ما ظهر من البدع في الدين كان في موطن الوثنية لذلك العهد وهي فارس والعراق وان عمال بني امية كنصر بن سيار وغيرهِ كانوا يطاردون ارباب البدع والمقالات فلا يزيدهم ذلك الاَّ امعاناً في الابتداع ومن هنا يعلم المدقق من اين أُوتيَ المسلمون وان ما تسرَّب الى العقائد من الزيغ عن سذاجة الدين الأُولى انما كان من قبل الوثنية والوثنيين الذين كبر عليهم تغلب المسلمين على دولتهم وعلوّ شأن الاسلام في مواطنهم فدسوا ما دسوا في عقول المسلمين وتركوا لنا ما نعلم من ميراث الوثنية لا الدين وبئس ذلك الميراث المشين

اختلف ارباب المقالات بين جبرية وقدرية ومشبهة وما لا يعدُّ من الفرق التي جمعها الاسلام وفرَّقتها الوثنية والابتداع فادخلت كلُّ فرقة شيئاً من الوهن على الدين والغلو في الاعتقاد الذي يرمي الى المادة في الاكثر وهي معبود الوثنيين بين اموات واحياء واحجار واشجار وانما جاء الاسلام لينعي على عشاق المادة استغراقهم في مظاهرها واستسلامهم لوساوسها لحولهُ اهلهُ الى المادة وكيفوهُ مثلا تريدلا مثلا يريد ثم دفعوهُ الينا على شكلهِ هذا فاعتقدنا

انهُ هذا هو الدين وضربنا بسلاحهِ وجوه المصلحين

رأى ذلك وقتئذٍ فريق آخر من الامة فهالهم ما رأوهُ فنادوا واغيرتاه على الدين وبالغوا في الانذار والتحذير وقول هذا حلال وهذا حرام وهذا يمسُّ بالدين وهذا تقليد للوثنيين وهذا يشكك المسلمين حتى احرجوا الامة بالصاقهم كل شيءٍ بالدين فالقيام والقعود والاكل والشرب والتخاطب والتعامل والعلم والتعلم كلهُ بالدين ومن الدين وللدين و بالجملة لم يدعوا شيئاً من العوائد الاَّ ادخلوهُ تحت قانون الدين

ربما يتعجب القارئ اذا قلنا له ُ ان المدنية الاسلامية التي نشرت اعلامها في عصرها على الخافقين انما قامت باسم الدين وللدين ولما اخذ الدين حاجتهُ منها نبذها علماء الدين واليك الدليل

كل من وقف على تاريخ الاسلام يعلم ان المدنية الاسلامية انما ظهرت بظهور الدولة العباسية لكنها لم تبنَ على اساس علمي صحيح الاَّ في عصر المأمون العباسي الذي تقدم الى المترجمين والكتّاب بترجمة علوم اليونان الفلسفية . و يعلم كل واقف على التاريخ ايضاً ان المأمون كان ينزع الى مذهب الاعتزال وهو مذهب اهل الجدل الذين حاولوا التوفيق بين العقل والشرع بردّ الاسباب الى مسبباتها الطبيعية مع ارجاع الاسباب كلها الى مسبب واحد وهو الله تعالى . ولما كان هذا المذهب اساسهُ العقل احتاج اهلهُ ومن يقابلهم ايضاً الى مراجعة علوم الفلسفة والنظر لتدعيم مذاهبهم بقوة الجدل العقلي وفي فلسفة اليونان شيءٌ كثير من هذا فتقدم المأمون بترجمة كتبهم الفلسفية واذ رأى ان الشرع في الحقيقة لا يمنع العقل عن تناول علوم الاكوان النافعة امر ايضاً بترجمة كتبهم الرياضية والطبيعية والطبية فترجمت هذه ولكن تبعاً لتلك فاخذ من هذه من اخذ لبناء صروح المدنية واخذ من تلك من اخذ للمباحث الدينية التي يسمونها علم الكلام وتكوّن مع الزمن من هذه العلوم مدنية تناسب الوقت و يرجى منها لو طال عليها الزمن بلوغ الكمال ولكن يا للاسف لما اكتفى علماء الدين بما لديهم منها صاحوا في الامة بتحريم كل علم الاَّ علوم الدين فهدموا بلا شفقة تنفعل بها نفوسهم كل ما بناهُ اباؤُهم الاولون وسدُّوا في وجوه الامة كل منافذ السعادة التي يسعى اليها الانسان و يريدها لمسلم القرآن

هذا ميراثنا من اسلافنا الغابرين مما يسمونهُ الدين نضيفهُ الى ما ذكرهُ حضرة الكاتب مؤيداً بالشواهد التاريخية وهو قليل من كثير مما نحفظهُ من ميراث الدين ولو اردنا استقصاء كل ما منينا بهِ من هذا القبيل لاحتاج لوقت طويل وكتاب كبير ولو انصف حملة علم الدين واطلقوا عنان النظر في التاريخ لرأوا ان الدين لم يؤتَ من قبل علوم الاكوان وانما أُوتي من قبل تلك الوثنية التي دخلت منذ القرن الاول على الدين وزعموا انها من الدين

ولنزهوا الدين عن جعله مانعاً من ترقي المسلمين ولما زعموا ان الانسان انما خلق ليعيش عيشة الحيوان ولا يتطاول الى تناول شيء نافع من علوم الاكوان لماذا ؟ لانهُ يمس بالدين مع انهم لا يعلمون كما لا نعلم وجه مساسهِ بالدين اذ ما دامت الاديان منزلة لسعادة الانسان فمن سعادة المسلمين ان يكونوا في مقدمة الامم علماً ورقياً وقوة ومجداً ولكن اين من يفهم هذا ممن يعتقدون ان لا شيء في عالم الحياة الاَّ الدين فانا لله وانا اليهِ راجعون

هل في النداء بالدين فائدة

« النتيجة »

كتب حضرة الكاتب في مقدماتهِ ما كتب ثم ختم كلامهُ بهذه النتيجة وهي " هل في النداء بالدين فائدة " الجواب عنها كما هو مفهوم كلامهِ : لا : وان النداء بالدين خطر علينا وعلى الدين وضرب مثلاً على هذا بلاد اوربا وما صار اليهِ فيها الدين ثم مثلاً آخر بما وقر في اذهان المتعلمين من الشكوك وما توارد على خواطرهم من الوساوس والظنون بسبب ما صار اليهِ الدين مع كثرة من ينادي " الدين الدين " . ثم افاض في هذا الباب وجال في ميدان الكلام ما شاء ان يجول فقال اننا نوشك ان نصنع في ديننا كما صنعت بدينها اوربا من قبل واننا مع معرفتنا بما تلبس بديننا من التقاليد السخيفة تكاد اصواتنا تبح في النداء بهِ وطلب الاسترشاد بقواعدهِ الى آخر ما قال مما يدل على سلامة قصد وحيرة ربما كان سببها كما قدمنا كثرة ما قيل ويقال في الدين . ولست اريد هنا ان اتتبع كل ما قالهُ في النتيجة لان هذا يوجب ملل القاريء ويضيق عنهُ مقام المقتطف الاغر وانما اقول ان كلامهُ فيها يعروهُ اللبس اذ لما تكلم في المقدمات كلاماً اجمالياً على المنادين بالدين وما صار اليهِ حال المسلمين لم يتمكن في النتيجة من اخراج الحق من حاصرة الباطل واطلق في الحكم اطلاقاً لا يؤخذ منهُ نتيجة توفق بين طرفي الافراط والتفريط الواقع فيهما المسلمون . واخطا من فهم ان المنادين بالدين كلهم يدعون الى التمسك بهِ على ما دخلهُ من الحشو واللغو المضر لا النافع للمسلمين . على انهُ مهما رأى واعتقد في هذا الباب ما نخالهُ يخالفنا في ان الدين كما قدمنا مظلوم في نسبة ما نسب اليهِ وانهُ اصبح مزيجاً من اديان كثيرة قد رسخ في اذهان سواد الامة ان ذلك المزيج هو الدين وان هذا الدين الجديد هو الذي اخذ بالامة الى مهاوي الجهل والتقهقر وان لابدَّ لاستئصال شافة هذا الاعتقاد من النداء باصلاح الدين لا النداء بالدين مطلقاً كما ظن حضرتهُ وقال ان النداء بالدين كان ولم يزل ولم يستفد منهُ المسلمون الاَّ الاغراق في التعصب والجهل اذ نحن معهُ في هذا الرأي وكل عاقل ايضاً يعلم ان الدين على ما هو عليهِ الآن مدعاة لزوالهِ وشقاء

اهله وانما ينفع النداء بالدين اذا امتاز تجار الدين والمتعصبون للتقاليد عن علماء الدين والاصلاح الغيورين وتركوهم وشأنهم في الدعوة الى تطهير العقول من ادران الاعتقاد الباطل الذي تلبس به سواد الامة فاصبحوا بعيدين عن قبول السعادة المدنية بعد الارض عن السماء. وفي اعتقادي ان خطوة واحدة تخطوها الامة مع هؤلاء المصلحين تكفي لاسترشاد العقول الى معارج التقدم التي يتلمسها المتعلمون والراغبون في معرفة السبيل الى دفع الشكوك وطرد الظنون. اقول الامة لان المطلوب اصلاح سوادها لا اصلاح افرادها واصلاح سواد الامة لا يكون الاَّ باصلاح الدين وتقويم المعتقدات كما سبق الكلام عليهِ في خبر شيعة لوثيرس في اوربا وان الاصلاح الديني عندهم كان مقدمة للاصلاح المدني لانهُ اجتثَّ من النفوس جذور العبودية واستأصل شافة التسلط على الافهام باسم الدين

ربما يقال ان لوثيرس وجد من الامراء العقلاء المنصفين في عصره من يحميهِ من غائلة الاذى والضرر من المتهجمين عليهِ باسم الدين وامراء المسلمين تراهم اعداء للمصلحين الناصحين يقفون لهم في كل مرصد وواد ضنًّا بسلطة الاستبداد التي يساعدهم على بقائها ما مني بهِ المسلمون من سوء الاعتقاد فما حيلة هؤلاء المصلحين ؟ والجواب عن ذلك ان عامة الامة تبع فيما يتعلق بالدين للعلماء المتعممين فاذا انصف هؤلاء وأخذتهم الرأفة بالدين واهله وتركوا النصحاء وشأنهم في امر المسلمين ولم يداجوا العامة والامراء فلا يبقَ هناك ادنى قوة لهؤلاء : واذا كان العلماء يعتقدون ان عدم مشاكسة المصلحين ومشاغبتهم خطر على الدين فلا اهون من ان يزول اعتقادهم هذا اذا علموا ان الخطر المقبل عليهِ من قبل فريق المتعلمين كما شرحهُ حضرة الكاتب الفاضل هو اعظم بكثير مما يعتقدون في المصلحين واذا لم يسلموا معنا بقول الكاتب حسن ظن منهم بشبان المسلمين فخطر الجهل الذي انغمس بهِ المسلمون اعظم واشد وحسبهم من ذلك ما يرونهُ كل يوم من نُذُر العلم والقوة التي تأتينا من قبل المغرب ونحن لا نزال نلهو عنها بهذا حرام وهذا حلال حتى نصبح عبيداً للأمم الراقية كاليهود ليس لنا دولة ولا استقلال . ومجال البحث في هذا طويل والخبر ذو شجون ومن الله نسأل العون للمرشدين والراشدين اهـ

القاهرة　　　　رفيق العظم

[المقتطف] كان حضرة الكاتب الاول عبد القادر افندي حمزه كما ذكر كلمة الدين في مقالتهِ اتبعها بكلمة "الآن" او ما هو بمعناها تمييزاً للدين على اطلاقهِ عما صار اليهِ "بضع عادات وتقاليد" فرأينا وقت تصحيحها للطبع ان نحذف كلمة الآن من بعض الاماكن لدلالة القرينة عليها واستغناء الكلام عنها ولان الكاتب عاد فبيَّن مرادهُ جليًّا في خاتمة مقالتهِ حيث قال "ولا يقولنَّ مدافع اني اريد بهذا ان يترك الدين جانباً فمعاذ الله ثم معاذ الله ان اريد ذلك او يخطر على فكري شيء منهُ" الخ

هستيريا البصر

الهستيريا مرض كثير الانتشار يصيب الرجال والنساء ولا يختص بسن واحد لكنهُ يغلب بين العاشرة والعشرين من سني العمر واعراضهُ شديدة الاختلاف قد تكون بسيطة جداً يكاد لا يشعر بها العليل ولا يدركها الطبيب وقد تشتبه ببعض الامراض العضوية المهمة فيخدع بها نوابغ الاطباء واكثرهم تدقيقاً . ذكر الاستاذ اوزلر Osler في كتابهِ عن الامراض الباطنية انهُ زار مرة احد المستشفيات الكبيرة فوجد جرَّاحهُ وهو من ذوي الشهرة الواسعة والاختبار عازماً على استئصال ورم مبيضي وكانت المريضة تستنشق الكلوروفرم فما لبثت ان تخدرت حتى زال ذلك الورم من تلقاء نفسهِ وظهر انهُ من النوع المعروف بالانتفاخ الهستيري

ومهما اختلفت اعراض الهستيريا ففيها كثير من العلامات البصرية الثابتة التي تصاحبها ويكاد لا يتعذر تحقيقها في جميع الحوادث المشتبهة نبَّه اليها امام الباحثين في الامراض العصبية العلامة شاركو Charcot وقال انهُ كثيراً ما استعان بها على تشخيص العلة عندما كان يعسر عليهِ ذلك بكل الطرق الأُخرى

ومن مميزات العلامات الهستيرية امكان حدوثها للمريض بايهامهِ والتأثير على فكرهِ كما وهو مستغرق في النوم المغنطيسي بايعاز منومهِ . وقد اثبت بابينسكي صحة هذه القاعدة في مريض عُرض على جمعية مستشفى باريز الطبية وكان مصاباً بحوَل متباعد[1] اجمع الاطباء الذين رأوهُ هناك على نسبتهِ الى الهستيريا اما بابينسكي فعارضهم في ذلك استناداً على القاعدة المذكورة آنفاً لعجز المريض عن ان يحوِل عينيهِ بالايهام والاغراء بخلاف الحوَل المتقارب[2] وقد اثبت فتح جثتهِ بعد موتهِ صحة رأي بابينسكي ووجدت آفة في الدماغ والتهاب في العصب الثالث كانا علة ذلك الحوَل

وتمتاز هستيريا البصر او ضعف البصر الهستيري بثلاثة امور مهمة اولها انقباض ميدان البصر[3] وثانيها خلل في تمييز الالوان ونسبة بعضها الى بعض[4] وثالثها تشنج العضلة التي تحدّب البلورية وتبسطها وهو ما يسمَّى بتكييف العين

---

(١) الحوَل المتباعد هو انحراف العين اليمنى الى اليمين واليسرى الى اليسار فتبعدان عن محوَر البصر

(٢) الحوَل المتقارب انحراف العين اليمنى الى اليسار واليسرى الى اليمين فتقربان من محور البصر

(٣) يراد بميدان البصر الفسحة التي تراها بعينك اذا فتحتها ولم تجلها من جهة الى اخرى

(٤) يراد بذلك اتساع ميدانها النسبي فان ميدان بصر اللون الابيض اوسع من ميدان اللون الازرق وميدان الازرق اوسع من ميدان الاصفر وهلم جرًّا كما سيجيء

اما الانقباض المشار اليهِ فقد يكون خفيفاً جدًّا يتعذَّر إدراكهُ بالطرق البسيطة فيلتجئ الطبيب الى مقياس دائرة البصر المعروف بالبريمتر Perimètre وقد يكون شديدًا فلا يبقى من ميدان البصر سوى نقطة التحديق وما حولها الى عشر درجات . وقد يزيد اشتدادًا فيفقد المصاب تلك البقية الصغرى من النظر ولا يشعر حينئذٍ بالضوء مهما كان قويًّا . الاَّ ان الحدقة تستمرُّ على حالتها الطبيعية اي انها تنبسط في الظلمة وتنقبض في النور ولو لم يميز العليل بينهما . وهذا من العلامات الخاصة بالكمنة الهستيرية وعلَّلهُ بعضهم بضعف الادراك الذي يطرأ على بعض حواسّ الهستيريين فان اشعة الضوء تصل الى الدماغ كما في الحالة الطبيعية فيرتد الفعل الى الحدقة ويقبضها ولكنَّ المصاب لا يدري بذلك . والتعليل المذكور آنفاً يظهر ايضاً كيف لا ينزعج الهستيريون الذين انقبض ميدان بصرهم انقباضاً شديدًا ولم يبقَ منهُ سوى نقطة التحديق وما حولها الى نحو عشر درجات وكيف يمكنهم المسير بسهولة مع ان المرء اذا اصيب بمثل هذا الانقباض لعلة اخرى كمرض في طبقات العين او آفة عصبية او مركزية خبط خبط عشواء واصطدم بما على جانبيهِ . وذلك لانهُ من المحتمل في هذه الحالة ان التأثيرات الشبكية التي لا يشعر بها هؤلاء الهستيريون تصل الى الدماغ ويتأتى عنها تلك الاعمال الغريزية التي بواسطتها نسير على هدًى بالفعل المنعكس متجنبين الاصطدام بما يعترضنا من الحوائل

و يشتدُّ انقباض ميدان البصر باشتداد الضوء وعقب النوب التشنجية وعند تعرُّض المريض لفحص بصريّ طويل ويتسع باستعمال العدسات الموافقة والزجاجات المدخنة و باضعاف الضوء

وقد يكون هذا الانقباض مخالفاً للاصل فحينئذٍ اما ان يُصاب البصر المركزيّ فقط فتتشابه الحالة بالكمنة الكحولية واما ان يصاب المركز والمحيط ولا يبقى من ميدان البصر سوى منطقة حلقية

ولتهييج الجلد تأثير ظاهر على ميدان البصر فالوخز في اي جهةٍ من الجسم يزيدهُ حتى يبلغهُ احياناً الدرجة الطبيعية . وقد اشار له دنتي Le Dantée لما لهذا التهييج احياناً من تسبيب رؤية الوان لا اثر لها في الحقيقة . فقد غُمضت عينا مريض وقُرص جلدهُ بالقرب من جزء مخدَّر (وتخدُّر الجلد يصاب بهِ الهستيريون كما سيأتي) فابصر لوناً اخضر ثم كوي في جهةٍ اخرى فرأى لوناً احمر . ومن المعلوم ان ميدان بصر اللون الابيض اوسع في الحالة الصحية من ميادين الالوان الاخرى التي تتلوهُ بحسب الترتيب الآتي : الازرق فالاصفر فالاحمر فالاخضر فالبنفسجي . فمن الطبيعي ان يصاحب انقباض ميدان اللون الاول بما يناسبهُ في ميادين الالوان الاخرى وهذا هو الواقع غالباً ولكن من غريب ما قد يُرى في الهستيريا عكس هذه القاعدة وضيق دائرة اللون الابيض اكثر من غيرهِ من الالوان

وللون الاحمر تأثير خاص في المصابين بالهستيريا فقد تكون دائرتهُ اوسع من دوائر الالوان الاخرى كافةً وهذه الحالة تدل دلالةً قطعية على ان اصابة البصر هستيرية الاصل وتفيد جداً في تمييز هذا المرض عن الاصابات الكحولية والاختلاجية عند تشابه باقي الاعراض لانَّ اللون الاحمر في الاحوال الاخيرة يتأثر قبل باقي الالوان وينقبض ميدانهُ اكثر من ميادينها

ولا يقتصر تأثير المستيريين باللون الاحمر على اتساع ميدانهِ بل يتناول ايضاً شدَّة ادراكهِ بالنسبة الى اللون الابيض والالوان الاخرى فقد ذكر الاستاذ بارينو Parinaud انهُ كان يأتي بعضهم ويمتحنهم بمقياس الضوء Photomètre مظهراً لهم نوراً ابيض يسهل عليهم رؤيتهُ لاول وهلة ثم يأخذ بإضعافهِ حتى يتعذر عليهم ادراكهُ فيغطيهِ بزجاجة حمراء فيبصرونهُ حالاً

وقلما تتأثر دقة البصر في الهستيريا بل تبقى على حالتها الطبيعية كما يظهر عند التدقيق في البحث والتجارب . ومن الغريب ان يكون الامر كذلك في بعض الذين انقبض ميدان بصرهم اربعين درجة وانخفضت قوة تمييزهم للضوء انخفاضاً بيناً واغرب منهُ ان تزيد هذه الحدة البصرية في النور المعتدل عمَّا هي في النور القويّ رغماً عما هناك من تخدُّر الشبكية اي ضعف ادراكها للاشعة الضوئية

ومن العلامات التي قد ترافق ضعف البصر المستيري رؤية صورتين او ثلاث صورٍ للشيء الواحد عند النظر اليهِ بعين واحدة . وقد اختلفت آراء الباحثين في تعليل هذا الامر فزعم بعضهم ان المنطبع على شبكية العين لا يتجاوز الصورة الواحدة وان تعدد رؤيتها ناتج عن خللٍ في تأدية الدماغ وظيفتهُ . واثبتَ البعض الآخر عكس ذلك وقال انَّ تشنج القوة المكيفة للعين الذي يرافق غالباً ضعف البصر المستيري هو السبب المهيء لهذا الامر وان الباعث الحقيقي نقص في تركيب العدسة البلورية فتشنج التكييف يجعل العين صالحة لرؤية الشيء واضحاً على بعدٍ واحدٍ فقط حتى اذا أُبعد او قرِّب انتشرت صورتهُ على الشبكية واختلفت نسبة اجزائهِ فضعف وتعدد ادراكهُ واما العدسة البلورية فهي كما لا يخفى مؤلفة من ثلاث قطع منفصلة بعضها عن بعض وكل منها ذات بؤرة خاصة بها وقادرة على تكوين صورة مختلفة عن الصورة التي تكوّنها العدسة كلها فاذا كان هناك ادنى خلل خلقي في تركيبها اشتد ظهورهُ عند تحدب سطحها المقدم المتأتي عن انقباض تكييف العين او تشنجهِ وابصرت تلك الصور الثلاث منفصلة غير واضحة

ويتسبب ايضاً عن تشنج تكييف العين او تطبيقها علامة أُخرى شديدة الظهور في المستيريا وهي فساد في القوَّة التي يتمكن بها المرء من تقدير حجم الاشياء الحقيقي رغماً عن الاختلاف العظيم في حجم صورها الشبكية بحسب اقتراب هذه الاشياء او بعدها عن العين .

وسبب ذلك ان العين السليمة ترى الاشياء بحجمها الحقيقي لان القوة العضلية التي تستعمل لتكييفها تختلف كميتها بحسب بعد الشيء او قربهِ فيدركها الدماغ ويستنتج منها القياس الأصلي لهذه الاشياء. اما في تشنج التطبيق فهذه القوة العضلية ثابتة على حالة واحدة ولذلك لا يتأتى للدماغ معرفة حجم الاشياء المرئية الأ بحسب صورها الشبكية وهذه كما هو ظاهر يختلف قياسها بحسب الابعاد . وقد يحدث ان ينظر المصاب الى شيء متحرك فيراهُ آخذاً في الكبر كلما ابتعد عنهُ وهذا ناتج عن انتشار صورة الشبكية وتعددها للاسباب المتقدمة وظهورها كصورة واحدة كبيرة حتى اذا دقق البصر أدرك خطأهُ وظهر لهُ التناقص المستمر في حجم ذلك الشيء

ومن اغرب العلامات التي قد تشاهد في الهستيريا ان لا تبصر احدى العينين عند تغميض الأخرى حتى اذا فتحتا كلتاهما ابصرتا معاً وهذا الامر لاشكَّ في حدوثهِ واثباتهُ سهل يتأتى بوضع ورقة ملونة امام عيني المريض ونظرهِ اليها بكلتا عينيهِ ثم يؤتى بعدسة منشورية قوية وتوضع امام عينهِ السليمة فيرى صورتين منفصلتين لتلك الورقة وبتغيير اتجاه محور العدسة وموضعها وتغميض العين العمياء ثم فتحها لايلبث ان يتأكد ان احدى هاتين الصورتين تابعة للعين التي لا تبصر . وقد علل برنهيم هذا الحادث الغريب بان فقد البصر في العين العمياء وهميٌّ غير حقيقي وانهُ ناتج عن فقد الصورة الشبكية بعامل نفساني لكن پارينو انتقد هذا التعليل لمخالفتهِ للقواعد العلمية وزعم ان السبب الحقيقي واقع في وجود علائق وظيفية بين نصفي الدماغ بواسطة الياف موصلة في الجسم الصلب. ويقول ان عدم امكانهِ اثبات رأيهِ هذا تشريحياً لايقلل من اهميتهِ فقد صرَّح شاركو بان الظواهر المختصة بالهستيريا لا ينبغي تعليلها بالمبادىء التشريحية بل بالقواعد الفسيولوجية اي الوظيفية

وتسبب الهستيريا تخديرًا في الجهاز الحسي العام والاغشية المخاطية واعضاء الحس الخصوصية. وما ضعف البصر الهستيري الأ من هذا القبيل ولهذا فهو يصاحب دائماً بارتباكات اخرى حسية خصوصاً في الجلد والبلعوم

وقد ينحصر هذا التخدير في بقعة صغيرة فيشاهد خصوصاً في الجلد المحيط بالعين الضعيفة البصر او يتخطَّى ذلك الى جزء من الملتحمة والقرنية او اليهما بكلها فيفقدان الحس تماماً و يبطل حينئذٍ انعكاس الفعل من المقلة الى الجفن فاذا احدق المصاب بشيء ثابت ولُمست الملتحمة او القرنية بريشة او قطعة من الخشب او الورق لم يتحرك الجفنان ما لم يلمس الجزء الحدقي وحينئذٍ لا يتم هذا العمل الانعكاسي من تهيج القرنية بل من تأثر الشبكية من الصورة المنطبعة عليها. اما حركة الاجفان الاختيارية فتبقى طبيعية كما كانت ويتأتى للمريض تغميضها

متى شاء بكل راحة وسهولة . ولا تشارك الغدة الدمعية العين المخدرة بفقدها حسها بل تستمر على حالتها الطبيعية فتفرز دموعها حالما تلامس تلك العين جسماً غريباً

ويصيب ضعف البصر الهستيري العينين غالباً ولا يصيب عيناً واحدة الا في ٩ في المئة من حوادثهِ. وهو كما تقدم نوع من التخدير العمومي المعتري الجهاز الحسي فلهذا يكون غالباً شديداً في العين المحاذية للجنب الذي يعظم فيهِ ظهور ذلك الخلل وعندما ينتقل التخدير من احدى جهتي الجسم الى الاخرى يتبعهُ ضعف البصر الهستيري فتقوى العين المريضة وتمرض القوية

وقد تشابه اعراض ضعف البصر الهستيري امراض العين الوظيفية لكنهُ لم يعثر قط على حادثة واحدة شابهت بها هذه الامراض فقد البصر التصفي تمام المشابهة

وقال بارينو ان الهستيريا لا تؤَثر في داخل العين لانها مرض وظيفي عضوي لكن لاندولت Landolt ونويل Nuel وديل Deyl خالفوهُ في ذلك وقالوا انها كثيراً ما تسبب احتقاناً في الحلمة البصرية والشبكية وانهُ قد يتأتى عنها ايضاً ضمور العصب البصري . وعندي ان الاحتقان الذي شاهدهُ الاخيرون ناتج عن اسباب اخرى اهمها الارتباكات الطمثية التي كثيراً ما ترافق الهستيريا او تكون السبب المهيء لها والتي تؤَثر على الدردة الدموية بوجه عام فقد شاهدت ثلاث حوادث من هذا القبيل. اما الضمور البصري فهو ولا شك تابع لامور اخرى

ومن اهم العلامات البصرية المرافقة للهستيريا واكثرها حدوثاً تشنج القوة المطبقة للعين وقد تقدم التلميح اليهِ وهو على ثلاثة انواع اما ان يشبه الشلل فيطول البصر ويستفيد المصاب من العدسات المحدّبة واما ان يكون انقباضياً محضاً فيتعذر على المريض القراءة بدون عدسية مقعرة واما ان تشترك بهِ الحالتان فتكون العين حينئذٍ طويلة البصر وقصيرتهُ في آنٍ واحد اي انها لا تميز الاشياء القريبة ولا البعيدة الا باستعمال العدسات المحدّبة للاولى والمقعرَّة للثانية

وتشنج التطبيق اما تام فلا تبصر العين الأعلى بعدٍ مخصوص واما ناقص فيبقى هناك مقدار من تلك القوة يمكن المرء من تمييز المرئيات في ميدانٍ معين يزيد وينقص بحسب ذلك المقدار الباقي

ومن السهل معرفة تشنج التطبيق الهستيري المحض المشابه لقصر البصر الحقيقي وتمييزهُ عنهُ فالعين في الاول تستفيد من العدسات المقعرّة ولكن قوة العدسة الموافقة تختلف بحسب كمية التشنج الموجود وقت الامتحان فهي قد تزيد او تنقص ثماني درجات في يوم واحد واذا امتحنت العين بالقياس الظلي او الشبكي وُجدت صحيحة اي لا قصيرة البصر ولا طويلتهُ واذا قطر الاتروبين Atropine زال ذلك التشنج تماماً وظهرت العين في حالتها الطبيعية . وتشنج التطبيق الهستيري يرافق غالباً الضعف البصري ولكنهُ قد يكون وحدهُ وليس من النادر

ظهوره في الاحداث كاول العلامات الدالة على ارتباك المجموع العصبي

وتتسع حدقات المستيريين غالباً لكنها قد تكون ضيقة خصوصاً في المصابين بالخوف من الضوء وقد تكون دوائرها غير منتظمة

ومن العلامات البصرية المستيرية اختلال في تقارب المقلتين وهذا التقارب مسبب في الحالة الطبيعية عن عاملين اصليين الاول القوة المطبقة والثاني الرغبة في مزج الصورة المنطبعة على شبكية كل عين مع رفيقتها فاما ان يصاب احد هذين العاملين فقط واما ان يصاب كلاهما . فاذا اصيب العامل الاول وهو القوة المكيفة لا يشكي المريض من رؤية الشيء مزدوجاً ولا يظهر الحول للناظر اليهِ لان تقارب المقلتين يتأتى لهُ بتوجيه قوة ارادية عظيمة الى العضلات المحركة لها وهو لا يشعر غالباً بتوجيههِ هذه القوة التي يقوم بها العامل الثاني اي الرغبة في مزج الصورتين بغير قصد منهُ ويتأكد الطبيب في هذه الحالة وجود خلل في قوة التقارب بالطريقة الآتية . يغطي احدى عيني المصاب بعدسة منشورية قوية لتفريق الصورتين ويطلب منهُ النظر الى شيء قريب فيظهر نقص واضح في تلك القوة ثم تغطى العين الاخرى بزجاجة ملونة ويطلب النظر منهُ الى شيء بعيد فيكون اقتراب المقلتين حينئذٍ ناقصاً او طبيعياً او زائداً فاذا كان زائداً ظهر ان الاصابة شديدة وان قوة التقارب مختلة في طرفيها اي انها اقل من اللازم عند النظر الى الاشياء القريبة واكثر في البعيدة

وقد يصاب عاملا التقارب معاً وهذه الحالة نادرة وطريقة ادراكها بسيطة تتأتى بوضع زجاجة ملونة امام احدى عيني المصاب وتوجيه نظرهِ الى لهب شمعة او اي شيء آخر فلا يلبث ان يراهُ مزدوجاً لكنهُ يراهُ مفرداً في الغالب على نحو المتمرين لما تقدم من اختلال التقارب في طرفيهِ واعتدالهِ بينهما وقد لا يتمكن البعض من رؤية صورة واحدة بالعينين على اي بعدٍ فاذا لم يكن هناك علة عضوية في عضلات المقلة كان السبب الحقيقي فقدتام لمركز مزج الصورتين الدماغي

ويتأتى عن شدة انقباض التقارب في المستيريا نوع من الحول او الزوغان والغالب ان يكون الخلل حينئذٍ شاملاً للعاملين الاصليين ولعامل ثالث ارادي محض لا يفعل في الحالة الطبيعية سماهُ فون جراف Von Graef بحاسة التقارب وهذا الحول من النوع المتقارب او الانسي ويمتاز بكونهِ وقتياً نوبياً وبملازمة المسافة الفاصلة بين صورتي اي شيء ينظر اليهِ المصاب حالة واحدة سواء وجه نظرهُ الى اليمين او اليسار وبامكان ازالتهِ بالأتروبين

الياس ابرهيم الصليبي

طبيب العيون

اللغم والطربيد

ان الباحث في تاريخ الامم واسباب ارتقائها وانحطاطها ليرى في هذه الحرب الناشبة بين الروس واليابان ادلَّة قاطعة على ان موارد العلم الحديث مباحة لجميع الناس ومن يردُها اليوم يرتوِ منها مثل مَن انشأَها او قضى العمر في حماها ولذلك فالعمران الذي تمخَّضت القرون حتى ولدتهُ ومات في سبيلهِ الوف من العلماء والعظماء والمكتشفين والمخترعين والجنود والقوَّاد مُدَّت موائدهُ للجميع على السواء وأُبيحت مواردهُ لاهل الخافقين

سار الروس في سبيل العمران الحديث من ايام بطرس الاكبر اي منذ اكثر من مئتي سنة وهي الزمن الذي نشأَ فيهِ هذا العمران وترعرع وبلغ اشدَّهُ فكأَنها جارت اوربا من حين نشأَ عمرانها . ولم تفلح في نشر لوائهِ في كل مملكتها الواسعة الاطراف المختلفة الشعوب ولكنها لم تدَّخر وسعاً في جعل جنودها واساطيلها في الطبقة الاولى كيف لا وهي تنفق عليها كل سنة ٤٥ مليوناً من الجنيهات

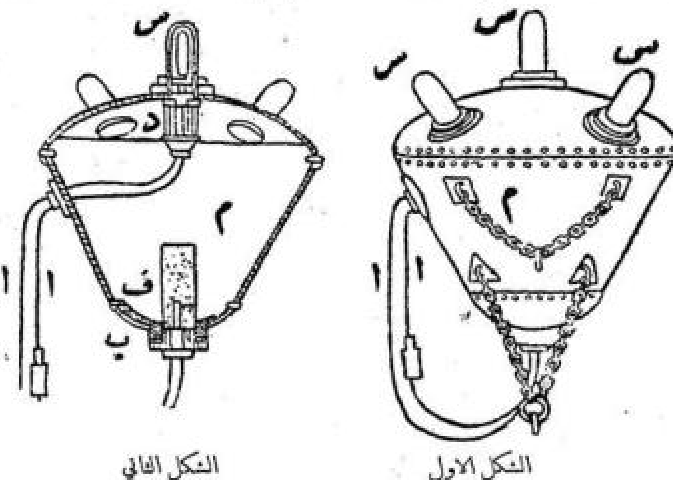
واليابان حديثة العهد في العمران الاوربي لا نبالغ اذا قلنا انها لم تسرْ فيهِ الاَّ منذ عشرين او ثلاثين سنة وحتى الآن لا تستطيع ان تنفق على جنودها واساطيلها اكثر من ثمانية ملايين من الجنيهات ومع ذلك فازت من فضل المدارس باقتباس احدث الاساليب التي وصل اليها اهالي اوربا واميركا سواءٌ كان في انشاء البنوك والسكك الحديدية والمعامل الصناعية او في تعبية الجنود وتجهيز الاساطيل ومناجزة الخصوم مهما كان صولهم وطولهم

ويظهر من الاخبار التي ترد يوماً بعد يوم عن فوز اليابانيين في الحرب البحرية انهم ابعد نظراً من خصومهم واكثر منهم اعتماداً على المستنبطات الجديدة فان اللغم الذي يعتمد عليهِ الروس لنسف السفن طرزهُ قديم يضر باصحابهِ اكثر مما يضرُّ بخصومهم ولذلك اتلف من اسطولهم اكثر مما اتلف اليابانيون منهُ . والطربيد الذي يستعملهُ اليابانيون من احدث ما صُنع حتى الآن واكثرهُ اتقاناً يسير الى الغرَض الذي يسدَّد اليهِ بآلة تدور فيهِ ففعل من الافعال المدهشة ما القى الرعب في نفوس الدول العظيمة التي تبني البوارج الكبيرة لانهُ اثبت لها ان طربيداً واحداً لا يزيد ثمنهُ على جنيهات قليلة يتلف بارجة يزيد ثمنها على مليون من الجنيهات

وقد رأَينا ان نصف اللغم الذي يستعملهُ الروس والطربيد الذي يستعملهُ اليابانيون ايضاحاً لما يرد من الاخبار عنهما

لا يخلو مرفأٌ ثغرٍ حصين من لغوم توضع فيهِ وهي صناديق من الحديد يوضع فيها قطن البارود او الديناميت اذا اشعلت انفجرت ونسفت ما فوقها من السفن نسفاً فتثغرها وتغرقها في دقيقة من الزمان

والطربيد ثلاثة انواع النوع الاول يشعل بالكهربائية المتصلة اليهِ من سلك على البر فلا يشتعل من نفسهِ مطلقاً وانما يشتعل اذا اشعلهُ الرجل المنوط بهِ ذلك بالكهربائية . وهو اسلم الانواع ولكن وصل اللغوم بالاسلاك الكهربائية كبير النفقة كثير الدقَّة والظاهر ان اللغوم التي في بورت آرثر ليست من هذا النوع ومن المؤكد ان اللغوم التي نسفت بها السفن الروسية ليست منهُ

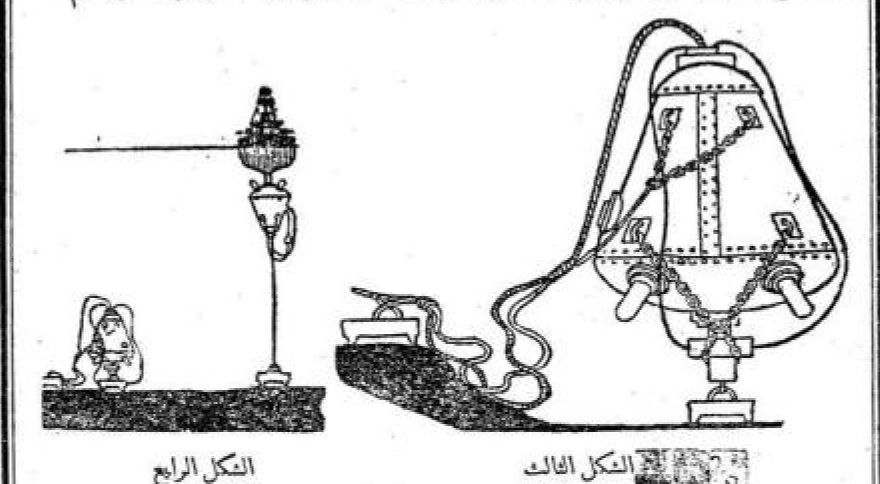


الشكل الثاني الشكل الاول

والنوع الثاني يشتعل بواسطة ميكانيكية فان فيهِ انابيب زجاجية دقيقة نائتة منهُ في كل انبوب منها شيءٌ من الحامض الكبريتيك وتحتهُ اناءٌ صغير فيهِ كلورات البوتاس وحول الانبوب وعاءٌ من الكاوتشوك او الرصاص فاذا مرَّت سفينة فوق هذا اللغم ولمست انبوباً من انابيبهِ لوتهُ وكسرت انبوب الزجاج الذي فيهِ فيقع الحامض الكبريتيك على كلورات البوتاس ويحدث من ذلك نار تشعل الدخير وقطن البارود او الديناميت

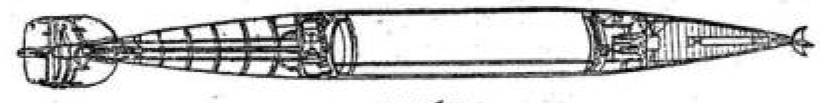
والنوع الثالث مثل النوع الثاني ولكن في انبوب الزجاج مذوب كرومات البوتاس فاذا انكسر بمس السفينة وقع على بطرية صغيرة من الزنك والكربون فتولَّد فيها مجرًى كهربائي تنتج عنهُ شرارة تشعل قطن البارود او الديناميت . واللغوم الروسية التي نسفت سفن الروس من النوع الثاني او الثالث على ما يظهر

وشكل التربيد الظاهر كما ترى في الشكل الاول المرسوم في الصفحة السابقة والسلاسل التي فيهِ لربطهِ وربط ثقل فيهِ حتى يبقى عائماً في البحر على بعد محدود من سطحهِ والشكل الثاني صورتهُ من الباطن فترى الانبوبة التي فيها مذوب كرومات البوتاس تحت الحرف س والبطرية عند الحرف د تحتها ويتصل منها السلكان ا ا بالاناء ف الذي فيهِ الذخير في اسفل اللغم



الشكل الرابع الشكل الثالث

ويربط اللغم وقت السلم بثقل يبقيهِ في قاع البحر كما ترى في الشكل الثالث فاذا نشبت الحرب وأُريد استعمالهُ اطلق بالكهربائية التي تقطع اتصالهُ بالثقل فارتفع في الماء لان فيهِ خلاء يجعلهُ اخف منهُ وبقي مربوطاً من اسفلهِ فقط كما ترى في الشكل الرابع وقد ظهر فيهِ اللغم مقيَّداً ومطلقاً ورُسمت فيهِ سفينة سائرة فوقهُ وقد لمست احد النتوات الثلاثة الناتئة منهُ



الشكل الخامس

هذا من حيث اللغم اما الطربيد فلغم يجري في الماء برقّاص موضوع فيهِ يدور بآلة كهربائية أو هوائية ولهُ انواع مختلفة اشهرها طربيد هوَيتهد ورقاصهُ يدور بالهواء المنضغط وطربيد سمس اديصن ورقاصهُ يدور بالكهربائية ويمكن ان يحرف عن الجهة التي يسير فيها الى جهة اخرى والطربيد المطيع وهو يُرشد بالكهربائية على مبداءِ تلغراف مركوني والاول مجرَّب وفعلهُ مؤكد

والطربيد الذي يستعملهُ اليابانيون من النوع الاول اي طربيد هوبتهد وباطنهُ مرسوم في الشكل الخامس فيوضع فيهِ آلة تدير رفاصةً بالهواء المنضغط وخزنة كبيرة فيها طبقات من قطن البارود وذخير يشتعل حالما يصيب الطربيد الغرض · وهو يطلق اما من اثاييب كالمدافع تكون في البوارج والطرّادات او من قوارب صغيرة مصنوعة لهذه الغاية تسمّى نسافات يركبها بعض البحارة ويسيرون بها الى ان يدنوا من سفن العدو يطلقونها عليها ثم يعودون ادراجهم وهم يعلمون انهم يسعون الى حتفهم بظلفهم لان اصغر قنبلة تصيبهم من سفن العدو تودي بنسافتهم وتغرقهم في لجج البحر

الدين والعامة

لا شيء اضرّ على الدين والدنيا من اشتراك العامة فيما هو من شأن الخاصة ومن تصدُّر الصغير في مكان الكبير وانزال الجاهل منزلة العالم · ومما يؤسف لهُ أن كانت الامة الاسلامية في كل دور من ادوارها أُلعوبة بايدي الجاهلين والمخرفين وهدفاً لعامة الخراصين والاغبياء الثرثارين فكان دينها ودنياها تتناولها عوامل الفوضى في كل عصر ومصر اللهمَّ الاَّ في بعض الازمان التي انتظمت فيها السياسة – والسياسة متى نهجت القصد في امة يستقيم لها كل شيء في الغالب – كعصر الخلفاء الراشدين وفي عصر افراد من الخلفاء والسلاطين كعمر بن عبد العزيز والمأمون وصلاح الدين ونور الدين وبعض ملوك بني أُمية في الاندلس جاءوا على حين فترة من ازمانهم وخالفوا اخلاق اسراتهم وبيئآتهم فاحسنوا القبض على السلطتين الدينية والمدنية وتوفروا على اصلاح السعادتين الدنيوية والاخروية فصح ان تدعى حكوماتهم حكومات خاصة لا حكومات عامة · وكلما اتصف الرئيس بصفات الخاصة وبَعُد عن صفات العامة يستقيم امر مرؤوسيهِ على تلك النسبة وكلما شرفت المبادئ شرفت المقاصد ومتى صلحت العين صلحت سواقيها

ولعل من ينظر في هذه المقدمة يظن انني اعني بالعامة ذاك الغوغاء من الناس من سوقة واهل فلاحة وصناعة وتجارة · كلاَّ وانما اعني بالعامة ما عناهُ اهل الاعتزال ممن حكَّموا العقول في المنقول · اريد بالعامة ارباب الحشو وانصار التقليد واللغو ممن يدخلون في سياسة اهل الاسلام ودينهم ومنهم الفقيه والنحوي والكاتب العامل والصانع والزارع وكل من تطال الى ما ليس من شأنهِ · وتعدى طورهُ واستعدادهُ تحسب نفسهُ عالماً بكل شيء مطالباً بالجزئيات والكليات والعلويات والسفليات

وبعدُ فان من توفر على دراسة احوال الناس وايامهم في هذا الشرق العربي يتجلى لهُ ان عامة المسلمين وهم دهماءُ القوم وسوادهم واكثرهم نفيرًا بالطبع وان لم يأخذوا من الدين الاَّ قشورهُ وبعض شعائرهِ مما القوهُ بحكم العادة ما برحوا حكامهم والمحكوم عليهم منهم يخلطون كل ما يقع تحت حسيهم من آثار الموجودات فيما عرفوهُ انهُ الدين · الرئيس دينياً كان او مدنياً يثير من يثير باسم الدين وهو منهُ اعرى من مغزل · والمرؤُوس يقوم بما يقوم بهِ باسم الدين وهو عنهُ بمعزل · وكلا الفريقين لا همَّ لهُ الاَّ ارضاء صاحبهِ وشهواتهِ ومطامعهِ

فدعوى العلماء او العامة في انهم يقومون لنصرة الدين قضت على من سماهُ الخاصة "حجة الاسلام" الغزالي ان يقوموا عليهِ في القرن الخامس ويزروا عليهِ آراءهُ فيما ذهب اليهِ من الجمع بين العقل والنقل فاخذت فئة من عامة الفقهاء تثير كوامن النفوس عليهِ ولولا هجرتهُ زمناً من العراق الى فلسطين والشام لامتدت يد الايذاء الى شخصهِ · وتابعهم الحكام في ذلك وتواطأوا معهم عليهِ واعنتوهُ اعنات غيرهِ من قبل ومن بعد ممن! ارادوا الاصلاح ونصحوا ما استطاعوا واُوذوا في سبيل الله · فاكتفى من عقاب الامام بتحريق كتبهِ وخصوصاً كتاب احياء علوم الدين الموصوف بانهُ لو ضاعت كتب الدين برمتها لاُلفيت مجموعة فيهِ · فحُرق في بغداد كما حرق في ساحات غرناطة وما خجلوا مما افتوا بهِ في حياتهِ حتى اذا لقي ربهُ اخذوا يخففون من تعسفهم ويتناسى خلفهم ما قام بهِ سلفهم

ودعوى العامة في النضال عن الدين اقام القيامة على "محدِّث الامة" وعالمها ابن جرير الطبري في اوائل القرن الرابع فلما لم يصلوا اليهِ بمكروهٍ في حياتهِ حالوا بينهُ وبين دافنيهِ بعد مماتهِ فاضطر اصحابهُ ان يدفنوهُ في دارهِ ليلاً · وسبب ذلك كما قال ابن الاثير جمعهُ كتاباً ذكر فيهِ اختلاف الفقهاء لم يصنف مثلهُ ولم يذكر فيهِ احمد ابن حنبل فقيل لهُ في ذلك فقال لم يكن فقيهاً وانما كان محدثاً فاشتد ذلك على الحنابلة وتابعهم غيرهم واتوا من ذلك بما اتوا

ودعوى العامة في التفاني بالدين اخذهم بمخنق الامام البخاري صاحب الجامع الصحيح الذي هو اجلُّ كتب الاسلام وافضلها على ما روى الذهبي · فانهُ بعد ان طاف معظم بلاد الاسلام في طلب الحديث وتعليمهِ الناس جاء سمرقند فكاد يهينهُ اميرها خالد بن محمد الذهلي لولا ان الله عجل في عقوبتهِ · "ولما خرج البخاري من بخارى كتب اليهِ اهل سمرقند يخطبونهُ الى بلدهم فسار اليهم فلما كان بخرتنك وهو على فرسخين من سمرقند بلغهُ انهُ وقع بينهم بسببهِ فتنة فقوم يريدون دخولهُ وآخرون يكرهونهُ وكان لهُ اقرباء بها فنزل عندهم حتى يتجلي الامر فاقام اياماً فمرض · ثم دعا بعد ان فرغ من صلاتهِ "اللهمَّ قد ضاقت عليَّ الارض بما رحبت

فاقبضني اليك " فمات في ذلك الشهر سنة ٢٥٦

ودعوى العامة في الغيرة على الدين دعت الامام مالك بن انس ان ينقطع عن شهود الجمعة والجماعة وحضور الجنائز وعودة المرضى وقضاء الحقوق والاجتماع باصحابهِ " وكان ربما قيل لهُ في ذلك فيقول ليس كل الناس يقدر ان يتكلم بعذرهِ " . وسعي بهِ الى جعفر بن سليمان عم ابي جعفر المنصور " وقالوا انهُ لا يرى ايمان بيعتكم هذه بشيء فغضب جعفر ودعا بهِ وجرده وضربهُ بالسياط ومدت يدهُ حتى انخلعت كتفهُ " . وذكر ابن الجوزي ان الامام ضُرب سبعين سوطاً لاجل فتوى لم توافق غرض السلطان

ودعوى العامة في الاحتفاظ بالدين قيامهم على شيخ الاسلام بن تيمية في القرن الثامن بانهُ خالف الدين في كتبهِ ومجالسهِ فاخذوا في تشريدهِ وسجنهِ مرات اعواماً طويلة اذ اقنع عامةُ العلماء عامةَ الامراء بانهُ مبتدع لا سبيل الى ايقاف تيارهِ الاَّ باخفائهِ عن اعين القوم مع ان ما دعا اليهِ الامام هو لب اللباب مما قال بهِ جمهور اكابر علماء الامة وتآليفهُ ومصنفات تلامذتهِ الاعاظم شاهد عدل مدى الدهر بان اعداءهُ من العامة قاوموهُ باسم الدين من اجل الدنيا

ودعوى العامة في الاستمساك بعرى الدين قيامهم على بن حزم الاندلسي المحدث الفقيه الفيلسوف لما مال عن رأي محمد بن ادريس الشافعي في الفقهِ الى قول اصحاب الظاهر مذهب داود بن علي ومن اتبعهُ من فقهاء الامصار ونقحهُ ونهجهُ وجادل عنهُ فتالاَّ العامة من الفقهاء على بغضهِ . قال ابن بسام في الذخيرة " ردُّوا قولهُ واجمعوا على تضليلهِ وشنَّعوا عليهِ وحذروا سلاطينهم من فتنتهِ ونهوا عوامهم عن الدنو اليهِ والاخذ عنهُ فاخذ الملوك يُقصونهُ عن قربهم ويسيّرونهُ عن بلادهم الى ان انتهوا بهِ منقطع اثرهِ بتربة بلدة من "بادية ليلة" (بالاندلس) وبها توفي سنة ست وخمسين واربعمائة وهو مواظب على التأليف وبث الدعوة والاكثار من التصنيف حتى كمل من مصنفاتهِ في فنون من العلم وقر بعير لم يعدُ اكثرها "بادية ليلة" وحرق بعضها باشبيلية ومزقت علانية . ومن شعرهِ يصف ما احرق لهُ من كتبهِ ابن عبَّاد قولهُ

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي	تضمنهُ القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي	وينزل ان أنزل ويدفن في قبري
دعوني من احراق رق وكاغد	وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
والاَّ فعودوا في المكاتب بدأة	فكم دون ما تبغون لله من سرّ

ودعوى العامة في نصرة الدين قيام العامة الفقهاء على الامام شهاب الدين السهروردي

الفيلسوف الاصولي الخطيب " لانهُ لم يناظر احداً الاَّ بزَّهُ ولم يباحث محصلاً الاَّ اربى عليهِ "
قال ابن ابي اصيبعة انهُ ناظر الفقهاء بحلب ولم يجارهِ احد فكثر تشنيعهم عليهِ فاستحضرهُ
السلطان الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب واستحضر
الاكابر من المدرسين والفقهاء والمتكلمين ليسمع ما يجري بينهم وبينهُ من المباحث والكلام فتكلم
معهم بكلام كثير وبان لهُ فضل عظيم وعلمٌ باهرٌ وحسُن موقعهُ عند الملك فعملوا محاضر بكفرهِ
وسيَّروها الى دمشق الى الملك الناصر صلاح الدين وقالوا ان بقي هذا فانهُ يُفسد اعتقاد الملك
الظاهر وكذلك ان اطلق فانهُ يفسد اي ناحية كان من البلاد . وزادوا عليهِ اشياء كثيرة من
ذلك فبعث صلاح الدين الى ولدهِ يقول لهُ لا بد من قتلهِ فاختار الامام ان يترك في مكان
مفرد ويمنع من الطعام والشراب الى ان يلقى الله تعالى ففعل بهِ ذلك في اواخر سنة ٥٨٦ بقلعة
حلب وكان عمرهُ نحو ست وثلاثين سنة وقيل ان عامة من العلماء افتوا في دمهِ حتى قيل ان
الملك الظاهر سيَّر اليهِ من خنقهُ وانهُ بعد مدة نقم على الذين افتوا في دمهِ وقبض على جماعة
منهم واعتقلهم واهانهم واخذ منهم اموالاً عظيمة

ودعوى الخوف على الدين دعت العامة الى اثارة الافكار على سيف الدين الآمدي
شيخ المتكلمين في زمانهِ المتوفى سنة ٦٣١ قال الذهبي انهُ نسب في مصر الى دين الاوائل وكتبوا
محضراً باهراق دمهِ فهرب وسكن حماة ثم تحوَّل الى دمشق فولاهُ الملك المعظم ابن العادل
تدريس المدرسة العزيزية ولما وُلّي اخوهُ الاشرف موسى عزل عنها ونادى في المدارس من
ذكر غير التفسير والحديث والفقه او تعرَّض لكلام الفلاسفة نفيتهُ فاقام سيف الدين الآمدي
خاملاً في بيتهِ الى ان توفي . ومن العادة ان يعمد الملوك الى ما يرضيهم فاذا رأوا العامة
حانقين على الفلسفة والفلاسفة منعوها وشرَّدوهم واذا شاهدوا العامة يميلون الى احد المذاهب
ارهقوا ما عداهُ ارضاء لهم . وقد حبس الحافظ جمال الدين المزي من اصحاب ابن تيمية لقراءتهِ
قصيدة في الردّ على الجهمية من كتاب افعال العباد للبخاري تحت قبة النسر بالجامع الاموي
بدمشق فلم يرَ نائب السلطان ارضاء للفريقين الاَّ ان نادى في البلدان ان لا يتكلم احد في
العقائد ومن عاد الى ذلك حلَّ مالهُ ودمهُ ونهبت دارهُ وحانوتهُ فسكنت الامور

ومن جملة من سفك دمهُ في زمن السلاجقة عين القضاة الميانجي بهمذان كان من
اكابر الائمة وقد خلف ابا حامد الغزالي في المؤلفات الدينية فحسدهُ جهال الزمان المتلبسون
بزي العلماء ووضعهم الوزير عليهِ فقصدوهُ بالايذاء وافضى الامر بهِ الى ان صلبهُ الوزير بهمذان
هذا طرف من حال العامة مع الدين ولو استقصيت لاتيت من امثال هذه الامثلة بالعشرات

ومن دخول العامة في مصاف الخاصة ما هو من المضحكات المبكيات . فامة لعامتها ان يدخلوا في كل حال من احوالها متى احبوا ويقوموا على كبار ائمتها وفلاسفتها بدعوى ما يقال له دين في نظرهم ايرجى لها ان تنشط من عقالها وقد استحكمت فيها هذه الملكات على مر السنين والاجيال . نعم عومل خاصة الخاصة على ما رأيت تلك المعاملة الجافية في العصور السالفة ايام كان للعالم كلمة نافذة وللناقدين من اهل البصيرة قول يسمع فما بالك في القرون الاخيرة وقد ركدت من العلم ريحهُ وخبت مصابيحهُ ولو كان في البلاد الاسلامية من يحصي لها كل يوم ما يقع من استيلاء الجهل على العلم واعنات نفوس الراغبين في الاصلاح والتجديد واهانة زعماء الحرية ومطلق الفكر لأُلِّفت المجلدات الضخمة وما وفيت الحال حقها من الوصف

ناهيك بعامة بلغ بهم الاسترسال في الجهل ان حرموا بفتاواهم القهوة والشاي لما عُرفا ولو لم يغلب العلم الجهل بعد ويسقط العمل بتلك الفتاوى بحكم العادة والرغبة في المفيد لكان خاصة الامة الى اليوم يتحامون تناول اقداح ذينك المشروبين واكوابهما . ومثل ذلك لقي التبغ والتنباك حين انتشارها فباين العامة الخاصة في تحريمهما وكتبت في ذلك الرسائل والاسفار وما اغنت وبقي الحكم للزمن في حل هذه المعضلة التي اقامت قيامة العامة وجعلت لهم حديثاً تلوكهُ السنتهم زماناً

ولعمري ماذا اعدد من هذه الوقائع من اصرار العامة من العلماء على القول بتحريم المعاطف (جاكيتات) والسراويل والصدر ولبس الاحذية والطربوش والقبعة لانها من لبوس الافرنج وصنعهم ثم كاد يؤلف استعمالها كلها استحساناً لها وتقديراً لنفعها . كل هذا مما يبرهن على صدق خاصة الامة في شكاويهم من العامة . فان ارتعش علماء الغرب اليوم لذكرى ما وقع للعالم غاليليو لما قال بحركة الارض اليومية وللحكيم فيثاني لمخالفته القوم في طبيعة الخالق واعناتهما وقتل الثاني شر قتلة فان مؤرخي المسلمين لهم ممن أُعنتوا من علمائهم امثلة يرمض ذكراها سواء كان في القرون الوسطى او الحديثة وان تكن الامة من حيث ارتقاؤها العقلي والعملي لم تبرح بعد كأنها في صميم القرون الوسطى ظلمات بعضها فوق بعض

دمشق محمد كرد علي

داود افندي فتو الصيدلاني واريناه اياها مرأى العين فوجد النقل عنها طبق الاصل حرفيًّا ولا بدَّ من ان يكتب اليكم في ذلك

بغداد الحاج حسينقلي جديد

[المقتطف] وكتب الينا حضرة وكيلنا داود افندي فتو يقول انهُ اطَّلع على الكتب فوجد النقل عنها صحيحًا وبعث الينا بكتاب من كتب البابية. فخطر على بالنا ما قالهُ احد الحكماء وهو ان الانسان يبقى معتمدًا على عقلهِ حتى يصل الى الدين ويبقى معتمدًا على دينهِ حتى يصل الى المال وهو حكم اغلبي

شكوى بريطانيا الى الآلهة

لمستر كارنجي المثري الشهير [1]

استمع لي يا ابا الالهة واصغي اليَّ ايتها الارباب فان تجارتي الخارجية لا تزيد على ٩٠٣٣٦٣٠٠٠ من الجنيهات

الجواب من مجمع الالهة — يا غامطة النعمة أكانت تجارتك في عام من الاعوام اكثر مما هي الآن وهل قاربتها تجارة امَّة اخرى . لو قُسمت على ما فيكِ من النفوس لاصاب النفس واحد وعشرون جنيهاً ونصف جنيه ويصيب النفس في فرنسا ثمانية جنيهات واحد عشر شلنًا لا غير وفي المانيا ثمانية جنيهات وستة شلنات وفي الولايات المتحدة ستة جنيهات وثلاثة شلنات

وانتَ يا نبتون اله البحر ويا تريتون اله الابواق يا حارسي سلطان بريطانيا على البحار انظرا اليَّ فان ما تشحنهُ سفني لا يزيد على ستة عشر مليونًا وستمئة الف طن

الجواب من مجمع الالهة — طمع اشعبيٌّ . ان ما تشحنهُ سفنكِ على ازدياد مستمرّ ولم يكن قط اكثر منهُ الآن وهو يزيد على كل ما تشحنهُ الامم الاخرى جمعاء فاحترسي لئلاَّ تغيظي الآلهة بغمطكِ النعمة. ولا يقعنَّ في بالكِ ان امَّة واحدة تبقى فائقة على كل الامم . فستزيد سفنكِ التجارية وستزيد ايضاً سفن سائر الامم وربما زادت اكثر مما تزيد سفنكِ

وانت يا ميداس ملك الذهب هلمَّ لمساعدتي فان ثروتي لا تزيد على ١١٨٠٦٠٠٠٠٠٠ ملايين من الجنيهات

الجواب من مجمع الالهة — هذه ثروة لم تعطَ لغيركِ من الامم ولا يفوقكِ فيها الا ابنتك

(١) نشرت في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية وقد فاتنا نشرها مع المقالات فنشرناها هنا

تسعة ايام حتى اضطررنا ان نعود ادراجنا من شدة البرد ولم نكن نخلع ثيابنا بل كنا ننام فيها بجواربنا فاننا كنا نخلعها ليلاً والاَّ جلدت اقدامنا لان الاقدام تدفأ بانحصارها ضمن احذية الفرو فتترطب ثم تبرد وتجلد

وكنا ننام في اكياس صفيقة لا يدخلها الهواء كان ثقل الكيس منها اولاً ١٤ رطلاً ولكنها ثقلت رويداً رويداً بما تجمع عليها من ابخرة انفاسنا فبلغ ثقل الكيس منها لما رجعنا ٢٨ رطلاً . وكنا في الصباح نلف الكيس لنحمله وفي المساء ننشره وندخل فيهِ فتذيب حرارة ابداننا بعض الجليد اللاصق بهِ او المتخلل نسيجهُ فيصير داخله رطباً ونعلق جواربنا خارجاً عسى ان تتبخر الرطوبة منها فنجدها في الصباح مجلودة فنضع اقدامنا فيها رغماً عنا ويمضي على الواحد منا ثلاثة ارباع الساعة قبلما يتمكن من لبس جوربيهِ وحذائيهِ . فكنا ننهض الساعة الخامسة صباحاً فنقضي ساعتين في رفع اثقالنا قبل الشروع في السير ولم نكن نشعر براحة الاَّ حين نعود الى اكياسنا في الليل التالي وندخن قليلاً من التبغ اما ونحن سائرون جنوباً فلم نستطع ان نحمل التبغ معنا فحرمنا تلك اللذة ثلاثة اشهر متوالية وبلغنا حينئذٍ الدرجة ٨٢,١٧ من العرض الجنوبي فابعدنا مئتي ميل عن ابعد ما وصل اليهِ غيرنا جنوباً ولم نخلع ثيابنا الاَّ مرة واحدة وكنا حينئذٍ ثلاثة انا والدكتور ولسن والقبطان سكوت وقضينا في ذلك السفر ٩٤ يوماً وكنا نسير في اليوم ١٥ ميلاً فلا نتقدم اكثر من خمسة اميال لان كلابنا مات اكثرها فكنا نضطرُّ ان نتقدم خمسة اميال بنصف مزالقنا ثم نعود ادراجنا ونجرُّ النصف الثاني ودمنا على ذلك شهراً من الزمان الى ان بلغنا مرتفعاً من الارض حيث نستطيع ان نبقي بعض امتعتنا ولا ننفصل عنها فابقينا هناك كل ما يمكننا الاستغناء عنهُ وسرنا ببقية الامتعة والكلاب سيراً حثيثاً وجعلنا نقتر على انفسنا في الطعام فلا نأكل الاَّ قليلاً من السكر واللحم المقدَّد والبسكت ولم يعد معنا ما نطعم الكلاب فكنا نذبح الكلب منها ونطعم رفاقهُ لحمهُ فعاش بعضها على بعض . وبلغ النصب منا ان صرنا لا نستطيع في المساء رفع اقدامنا ودخول الخيمة ما لم نرفعها بايدينا . وصرنا نحلم بالطعام لشدة ما عرانا من الجوع وكثيراً ما كنت احلم ان امامي قطائف بحلوى وامدُّ يدي اليها فتختفي من امامي . وكان واحد من رفيقيَّ يحلم انهُ يأكل دائماً لكن الطعام لا يشبعهُ فيبقى جائعاً . ومرت الايام ونحن نقدّم في سيرنا رويداً رويداً الى الحادي والثلاثين من دسمبر فبلغنا ابعد نقطة وصلنا اليها ونشرنا هناك العلم البريطاني

وها خلاصة ما كتبتهُ في يوميتي في ٢٥ دسمبر يوم عيد الميلاد سنة ١٩٠٢

اليوم من اجمل الايام واقلها برداً واصفاها سماء ولقد اسرعنا في سيرنا بعد ان خففنا

اثقالنا فصرنا نقطع عشرة اميال في اليوم. افطرنا على قليل من اللحم والبسكت ومربى كبوش العلّيق وقد اتينا بهِ معنا من السفينة لهذه الغاية. اكل كلٌّ منا ملعقة منهُ ثم صوَّرت رفيقيَّ والعلم البريطاني فوق رأسيهما . ومشينا بعد ذلك اربع ساعات وجلسنا للغداء وسخّنا طعامنا قبل اكلهِ وكان دوري في الطبخ . ومشينا ثلاث ساعات ونصبنا خيمتنا للمبيت وسخنتُ طعام العشاء وكان عشاء فاخرًا فيهِ الكوكوى والبلم بدن وعزمنا ان لا نبعد اكثر مما نصل اليهِ في الثامن والعشرين من الشهر لان علامات مرض الاسكربوط كانت قد بدت فينا

"لكننا واصلنا السير حتى الحادي والثلاثين من الشهر ووقفنا حيث وصلنا وعن يميننا جبل شاهق يناطح السحاب ارتفاعهُ اربعة عشر الف قدم والى الجنوب والشرق منا سهل منبسط من الجليد لاحدَّ لهُ غير الافق والى الشمال شمس مشرقة يتدفق النور منها وهي تدور حولنا يومًا بعد يوم من غير ان تغرب . وقد نفد اكثر طعامنا وبدت علامات الاسكربوط فينا ولم يبقَ من كلابنا الاَّ القليل وصار بُعدنا عن السفينة نحو ٣٠٠ ميل فاضطررنا ان نعود ادراجنا رغمًا عن انوفنا لخوانا وجوهنا نحو الشمال وسرنا القهقرى على ما بنا من التعب والضعف

"ثم اعترانا البهر فان نور الشمس كان ينعكس عن الثلج ويعمي بصرنا والذي يصاب بذلك يضطر ان يربط عينيهِ ويسير متلمسًا حتى اذا انقضى سير النهار لم يجد في المساء غير قليل من الطعام لا يشبع جائعًا وهاك فقرة مما كتبتهُ ونحن راجعون

"١٠ يناير مضى عليَّ يومان لم استطع ان اكتب فيهما كلمة لانني كنت مصابًا بالبهر. ذبحنا "كد" البارحة ومات "بوس" (اسما كلبين) سرنا خمسة اميال ونصف ميل قبل الظهر وثلاثة اميال ونصف ميل بعدهُ . عصفت الريح ومعها ثلج رطب فذاب الثلج في خيمتنا وقضينا الليل كأننا في بركة ماء ولم يبقَ معنا الاَّ ثلاثة كلاب"

"١١ يناير لا تزال الريح تهبُّ ومعها ثلج ناعم رطب . سرنا ثمانية اميال ولم يبقَ معنا الاَّ كلبان"

ووصلنا الى حيث تركنا امتعتنا فحملنا الطعام وتركنا كل ما سواهُ واصابني نزف دم هناك فلم اعد اعي على شيء ولولا رفيقاي لقضي عليَّ فانهما جرَّا المزالق وحدهما وكانا يعاونانني على السير مع ما بهما من الضعف وبلغنا سفينتنا في الثالث من شهر فبراير فوجدنا هناك السفينة المسماة بالصباح وكانت قد أُرسلت للتفتيش عنا وانقاذنا . وذهب رفاقنا فرقًا فرقًا للبحث والاستقصاء فلقي اكثرهم من المشاق اكثر مما لقينا انتهى

وخلاصة ما يقال عن سفر هذه السفينة ان جماعة من الانكليز محبي الاكتشاف الراغبين

في مصلحة وطنهم ورفع شأنهِ واحراز قصب السبق لهُ في كل مفخرة اكتتبوا بمال لارسالها الى ابعد ما وصل اليهِ الناس جنوباً لاجل المكتشفات العلمية ولرفع العلم البريطاني على ما يمكن ان يكتشف من الاراضي فعاونتهم الحكومة الانكليزية بخمسة واربعين الف جنيه واقلعت السفينة من بلاد الانكليز في السادس من شهر اغسطس سنة ١٩٠١ بقيادة القبطان سكوت بعد ان زارها الملك والملكة فبلغت زيلندا الجديدة في اوائل دسمبر وغادرتها ليلة عيد الميلاد وكان فيها حينئذٍ ١١ ضابطاً و٣٧ بحاراً و٢٣ كلباً من كلاب المنطقة الشمالية لجر المزالق فسارت اولاً ١٠٠٠ ميل الى الجنوب ووجدت الثلج هناك فخاضت فيهِ ٥٠٠ ميل وبلغت شاطئ البر الجنوبي في ٩ ينايرسنة ١٩٠٢ والظاهر ان حول القطب الجنوبي براً واسعاً اوسع من استراليا والقطب الجنوبي في مركزهِ فلما بلغتهُ سارت بازاء شاطئهِ الشمالي ثم عادت الى لحف جبل اريس حيث شتت وهو بركان كبير يبعد عن زيلندا الجديدة نحو الفي ميل جنوباً واطبق الليل عليها من ابريل الى اغسطس وجلد البحر حولها مسافة مئات من الاميال وبقي كذلك نحو عشرة شهور فانقطعت اخبارها

وفي اوائل نوفمبر قام القبطان سكوت والدكتور ولسن والملازم سكلتون كاتب الفصل المتقدم واخذوا الكلاب كلها معهم وساروا جنوباً وجرى لهم ما أُشير اليهِ في الفصل السابق ولما رجعوا وجدوا ان السفينة التي بعثت بها الجمعية الجغرافية الملكية وهي المسماة بالمورننج (الصباح) قد جاءت لمعونتهم فاوصلت اليهم كثيراً من الزاد وكذلك وصلت اليهم سفينة أُخرى اسمها ترانوفا وبعد عناء شديد انفك الجليد من حول سفينة الدسكفري وعادت الى انكلترا بمن فيها من الرجال وما جمعوهُ من الآثار الطبيعية وما كتبوهُ من الارصاد الجوية والفلكية وكان لرجوعها شأن كبير في اوربا وقد جاءتنا شركة روتر التلغرافية بتلغراف في اول ابريل من مدينة لتلتون تقول فيهِ "وصلت السفن الثلاث المرسلة الى جهات القطب الجنوبي (وهي دسكفري ومورننج وترانوفا) وقد ادركت الاخيرتان الاولى في فبراير فوجدتا كل من فيها بخير وقضى علماؤُها والرواد فيها فصل الشتاء سنة ١٩٠٣ في ابحاثهم العلمية ثم جاء الربيع وكلهم في الصحة والاعتدال وقد تحققوا ان بلاد فكتوريا لند تمتد الى الداخل على ارتفاع تسعة آلاف قدم فاستدلوا من ذلك على وجود بر واسع مرتفع حول القطب الجنوبي" هذا شأن الاوربيين يبذلون النفس والنفيس في البحث والاستقصاء لكي تتسع معارفهم و يكون لهم السبق في كل شيء



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يُدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

الجيم الفصحى

وقفت على ما جاء في الجزء الثاني من تقريظ كتاب "تدريب اللسان على تجويد البيان" لاستاذنا العلامة الفاضل الشيخ طاهر الجزائري فالفيتكم تقولون ان المؤلف يحسب لفظ الجيم كان اصلاً كما يلفظهُ المصريون لا كما يلفظهُ السوريون وطلبتم من المؤلف اسناد ما ذكرهُ عن الجيم من انها من الحروف الشديدة ليكون ذلك فصل الخطاب في مسألة طال الخلاف فيها.

اما كون الجيم من الحروف الشديدة فقد نصَّ عليهِ سيبويهِ في كتابهِ فقال: ومن الحروف الشديدة وهو الذي يمنع الصوت ان يجري فيهِ وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء وذلك انك لو قلت الحج ثم مددت صوتك لم يجرِ ذلك

واما رأي المؤلف في الجيم فقد ابانهُ في جدول الخط السرياني بقولهِ "فائدة لا يوجد في السريانية جيم ولا ضاد ولا ظاء والمراد بالجيم الجيم التي ينطق بها فصحاء العرب وهي معروفة عند علماء التجويد ولها قربٌ ما من الجيم المصرية والنطق بها صعب الأعلى من تلقَّاها من اهلها" — وقد اشبع المؤلف الكلام على ما يتعلق بهذه المسألة في رسالة لهُ تتعلق بالحروف تقع في مئتي صحيفة وهي لم تُطبع بعد. وخلاصة ما يفهم منها ان من العرب من ينطق بالجيم كما ينطق بها المصريون فيقولون في جمل كمل ومنهم من ينطق بها كما ينطق بها السوريون اعني ممزوجة بالشين فتكون كما ذكرتم اما رخوة او بين بين ومنهم من ينطق بها بين الجيم المصرية وبين الجيم السورية وهم فصحاء العرب اعني قريشاً ومن نحا نحوهم. وقد ذكر سيبويهِ في آخر كتابهِ هذه الانواع الثلاثة في باب عدد حروف العربية واشار فيها الى ان الجيم المصرية ليست في لغة الفصحاء فقال في اثناء عدد الحروف: وتكون اثنين واربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا

كثيرة في لغة من تُرتضى عربيتهُ ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر وهي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والضاد الضعيفة والصاد التي كالسين والطاء التي كالتاء والظاء التي كالثاء والباء التي كالفاء . فالكاف التي بين الجيم والكاف هي الجيم المصرية بعينها والجيم التي كالشين هي الجيم السورية وقد ذكر انهما من الحروف التي لا تستحسن في قراءة القرآن فبقي معرفة الجيم التي تستحسن في قراءة القرآن وهي المعروفة عند القراء يتلقاها جماعة عن جماعة وهي بين الجيم المصرية والجيم السورية الاَّ انها الى الجيم السورية اقرب ولذلك لا يشعر السوري حين نُطق القرَّاء بها بانهم نطقوا بخلاف ما ينطق بها الاَّ ان ينبَّهَ فاذا نُبِّهَ شعر بالفرق فاذا كلف النطق بها كذلك ربما عسر عليهِ الامر الاَّ ان يشتغل مدة بممارستها . واما المصري فانهُ يشعر حالاً بمخالفة جيمهِ لجيمهم بسبب ظهور الفرق بينهما

وقد اشار المؤلف في كتابهِ «ارشاد الالبا الى تعليم الف با» الى صعوبة النطق بها على من لم يمارس النطق بها من اول الامر وانهُ بقي يمارس النطق بها نحو ثلاثة اشهر . وهذه الجيم الفصحى يتيسر لكل احد تلقيها من القرَّاء وهم في بلاد مصر اكثر من غيرها . فتبين بما ذكرنا ان الجيم المصرية بعيدة جدًّا عن لهجة الفصحاء ولذلك جعلها سيبويه من الحروف العجمية فقال في باب اطراد الابدال في الفارسية يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم الجيمَ لقربها منها ولم يكن من ابدالها بدٌّ لانها ليست من حروفهم وذلك نحو الجزر والآجر والجورب وربما ابدلوا القاف لانها قريبة ايضاً قال بعضهم قربز

ثم ان النطق بالجيم كما ينطق بها المصريون هي لغة اهل اليمن قال في حلية اهل الكمال في حل اسئلة الجلال نقلاً عن ابن دريد في بيان الحروف التي ليست بفصيحة ومثل الحرف الذي بين القاف والكاف و بين الجيم والكاف وهي لغة سائرة في اليمن مثل جمل اذا اضطروا قالوا كمل فاما بنو تميم فانهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جدًّا فيقولون الكوم في موضع القوم فتكون القاف بين الكاف والقاف اه

وقد اشار لهذه المسألة العلامة المنلا علي القاري في شرح المنظومة الجزرية عند قول الحافظ ابن الجزري "واحرص على الشدة والجهر" فقال وخص الجيم بالذكر من بين حروف الجهر والشدة ايضاً لاخراج اهل مصر والشام اياها من دون مخرجها فينتشر بها اللسان فيمزجونها بالشين وكذا بعض اهل اليمن يمزجونها بالكاف لارتفاع اللسان في مخرجها . ومرادهُ باهل مصر هنا المشتغلون بالعلم منهم كما لا يخفى

ثم اقول اتماماً للفائدة ان الجيم المصرية يسميها بعض المتقدمين بالكاف الفارسية لكتابة

الفرس بها بصورة كاف تميز بنقطة فوقها مثل كل بمعنى الورد ويسميها بعضهم بالقاف المعقودة لنطق اكثر البدو بها كما ينطق المصريون بالجيم . فينطقون بلفظ قال كما ينطق المصريون بلفظ جال . وقد ذكر العلامة ابن خلدون هذه القاف المعقودة فقال . ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الاقطار شأنهم في النطق بالقاف فانهم لاينطقون بها ايضاً من مخرج القاف عند اهل الامصار كما هو مذكور في كتب العربية انهُ من اقصى اللسان وما فوقهُ من الحنك الاعلى وما ينطقون بها ايضاً من مخرج الكاف وان كان اسفل من موضع القاف وما يليهِ من الحنك الاعلى كما هي بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف وهو موجود للجيل اجمع حيث كانوا من غرب او شرق . ثم ذكر ما يوهم ان القاف المعقودة اقرب لان تكون في اللغة الفصحى من لغة اهل الامصار وفيما قال نظر لما لا يخفى من ان اللغة وحروفها اذا طال عليها العهد لابدَّ ان يلحقها التغير وان لم يخالط اهلها غيرهم . وترجيح القاف التي ينطق بها اهل الامصار انما كان لبقاء تلق لهجة اللغة الفصحى في اللغة العربية في السنة القراء الذين صرفوا اوقاتهم للعناية بذلك وهم في كل عصر الوف ولا يختلفون في النطق بحرف من الحروف مع اختلاف اماكنهم واختلاف لهجات اهل بلادهم

وهنا اختم هذه العجالة بذكر الاسئلة المشار اليها قبل وهي اسئلة اوردها العلامة جلال الدين السيوطي على علماء عصره الذين قاموا عليهِ قومة واحدة لما ادعى الاجتهاد وصاروا يرسلون اليهِ اسئلة فارسل لهم سبع اسئلة تتعلق بالف با فعجزوا عنها ونص عبارتهِ كما ذكرها "واعلم انني كنت قديماً حررت سبع اسئلة متعلقة بحروف المعجم ولم يجب احد عنها الى الآن ونصها من ادعى انهُ في العلم والفهم تقدم فليجب عما استبهم من الاسئلة المتعلقة بحروف المعجم ومن عجز عن تقرير الف با تا ثا فليستضعف نفسهُ عن ان يقرر ابحاثا وهي هذه السؤال الاول ما هذه الاسماء الف با تا ثا الى آخرها وما سماها وهل هي اسماء اجناس او اسماء اعلام فان كان الاول فمن اي نوع الاجناس هي وان كان الثاني فهل هي شخصية او جنسية فان كان الاول فهل هي منقولة او مرتجلة فان كان الاول فممَّ نقلت أمن حروف ام من اسماء اعيان ام مصادر ام صفات وان كانت جنسية فهل هي من اعلام الاعيان او المعاني

الثاني من وضع هذه الحروف وفي اي زمن وضعت وما مستند واضعها هل هو العقل ام النقل

الثالث هل هي مختصة باللغة العربية او هي عامة في جميع اللغات

الرابع الالف والهمزة هل هما مترادفان او مفترقان وعلى الثاني فما الفرق بينهما وايهما الاصل

الخامس لمَ اجمع علماء اللغة والعدد وغيرهم من المتكلمين على المفردات على الابتداء بحرف

الهمزة وهل هو امر اتفاقي او لحكمة

السادس كلمات ابجد هوز الى آخرهن هل هي مهملة او مستعملة وما عُني بها وما اصلها وكيف نقلت الى المراد بها وما ضبط الفاظها

السابع ما حكمها في الابتداء والوقف والمنع من الصرف والصرف والتذكير والتأنيث والاعراب والبناء واللفظ والرسم وعند التسمية بها وما حكمها شرعاً عند نقشها على ثوب او حائط او سقف وهل لها من الحرمة ما للحروف المجتمعة

فهذه سبعة اسئلة من اجاب عنها فهو من فحول الرجال والا فلا مزية لهُ على الاطفال اه

والذي دعا الجلال الى ايراد الاسئلة من الف با اعراض علماء عصره عن مباحثها وعن مباحث ما يتعلق بسر اللغة مع انهُ كان في القديم من اعظم الفنون مقاماً. وحبذا لو عني اهل كل قطر بتأليف كتاب في لغة عامتهم وبيان اللهجات التي فيها وما تخالف بهِ اللغة الفصحى او توافق وبيان السبب الموجب لذلك وبيان الطريق الذي يمكن بهِ تقريب اللغة العامة من اللغة الفصحى ففي ذلك من الفائدة ما لا ينكرهُ باحث مستفيد. هذا ومن اغرب ما سمعتهُ من ارباب السياحة ان اللغة السورية قد ترقت في هذا العصر ترقياً زائدًا حتى كادت تكون كتابة عامتهم موافقة لكتابة اللغة الفصحى ولعل ذلك من انتشار المدارس والصحف النافعة والمطابع ومن رأي هذا السائح ان الاعتناء اذا ازداد ربما صارت اللهجة فيها بدرجة اللهجة العربية في زمن المامون وفي ذلك بشرى لاهل العربية والله اعلم

محمد كرد علي

خطر علينا وعلى الدين

اطلعت على المقالة المدرجة في العدد الثالث "خطر علينا وعلى الدين" ولما اعطيتها جانباً من النظر والتأمل رأيتها كافية في بيان الداء الذي يخشى ان يصير بعد عضالاً لا يرجى لهُ شفاء وقد احببت ان ارى فكر غيري في هذه القضية فبحثت بحث مسترشد حتى ناظر الى ما انطوى عليهِ الناس من طرف خفي فتبين لي ان من لهم ولوع بالدين على وجهِ الحقيقة يقدرونها قدرها ويعتقدون ان صاحبها ناصح امين صدع بالحق ولم يخشَ لومة لائم وحامى عنهُ وان رماهُ الموهون بالعظائم يذكرهُ بعضهم بالخير جهرًا وبعضهم سرًّا وانما ساءت القسم الذين اشار اليهم بانهم اتخذوا الدين جُنّة لينالوا بهِ ما شاءوا من الاغراض وهم في الواقع قد مرقوا من الدين مروق السهم من الرمية واكثرهم معرضون عما ورد فيهِ من الاوامر والزواجر وعمّا حث عليهِ من محاسن الاخلاق ومكارم الشيم التي بها قوام الامم وانما يهمهم تفريق الامة شيعاً ليستتبع كل رئيس

شيعتهُ منهم يستعبدهم فيما شاء تارة يكفّر من سوى فريقهِ وتارة يبدّعه حتى وصل الامر الى ان يشك اهل الترنسفال في جواز اقتداء الحنفي بالشافعي او الشافعي بالحنفي فطلبوا الفتوى في ذلك دفعاً لما وقع في نفوسهم من الشك

هذه الفرقة وان لم يخلُ منها عصر ومصر كما يظهر مما ذكرهُ الامام الغزالي في كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة حيث قال في العلماء الذين كفّروهُ لما قام بالاصلاح : واني تنجلي اسرار الملكوت لقوم الههم هواهم ومعبودهم امراؤهم وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم وشريعتهم رعونتهم وارادتهم جاههم وشهواتهم وعبادتهم خدمتهم اغنياءهم وذكرهم وساوسهم وكنزهم سوّاسهم وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيهِ حشمتهم فهؤلاء من اين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان ابالهام الهي ولم يفرغوا القلوب عن كدر الدنيا لقبولها ام بكمال علمي وانما بضاعتهم في العلم مسألة ازالة النجاسة بماء الزعفران وامثالها ...

بيد ان امثال هؤلاء الجماعة في عصر الغزالي وقبلهُ كانوا اقل من عصرنا بما لا يحصى على ما يظهر لمن تتبع التاريخ تتبع محقق مدقق ولذلك كان الخطر الآن اشد واعظم وكان النصح فيهِ مما يتحتم . غير ان بعض من يرجع لآرائهم يرى ان خمسين عاماً تكفي لتناهي الخطر ان لم يتداركهُ ارباب الدين الذين هم اهلهُ على التحقيق لا على المجاز . والرجاء ان يقوم هؤلاء بما عليهم نهاية القيام ولا يبالوا بالفريق الآخر الذين لا يهمهم صلاح الدين والدنيا وانما نهاية امرهم ان ينالوا ما يبتغون من المآرب الدنيا

عن جزيرة العرب — متعلم متألّم

مثال الكمال

تظلُّ الخضراء وتقلُّ الغبراء افراداً قلائل اتصفوا بالفضائل وعشقوا الكمالات فكانوا محض فائدة في المجتمع البشري فمن العدل احياء ذكرهم ليظلوا على الدهر قدوة لغيرهم ومن هذه الزمرة فقيد الفضيلة محمد علي افندي مسلم احد دعاة الاصلاح في هذه الديار ومن علمائها العاملين . لقي ربهُ في دمشق الشام سلخ الشهر الغابر عن اربعين عاماً في عمرهِ وهمهُ انكار منكر وامر بمعروف وغايتهُ ان يرى لقومهِ مجداً مؤثلاً في العلم والعمل وفضيلة رافعة في الدارين

نال الفقيد من العلوم الدينية واللسانية حظاً وافراً ووقف من الفلسفة والتاريخ والطبيعة على طرف صالح وما قصد بعلمهِ الاّ تنوير عقل وتثقيف خلق واطلاعاً على مجهول . وتعلم اكثر ما تعلم بالدرس وحدهُ دون ارشاد معلم الاّ في النادر وبلغ ما بلغ من الفضل وهو بعيد عن

طلب الشهرة مؤثر للخمول دون الظهور بحيث لم يكن يعرفهُ حق معرفتهِ الا اصدقاؤه وهم كثيرون في كل المذاهب والنحل اذ من طبعهِ بغض التعصب كيف كان نوعه ومن عادتهِ ايناس وحشة جليسهِ وسلامة الذوق في بث الافكار الصحيحة حتى كان يعلم مخاطبهُ ان كان لا يعلم دون ان يشعره بانهُ قاصد لذلك

فبينما كنت ترى الفقيد متصوفاً متشدداً على من ينكر على المتصوفة اذا هو يباحثك في الحكمة الطبيعية مباحثة من ذاقها فعرفها . يبحث في التاريخ والادب ثم لا يلبث ان يتكلم في الشؤون السياسية والاجتماعية فكان يحب كل عالم ويدعو الى كل نافع . فضيلة مجسمة وزهد مع علم وعمل . وللفقيد من التآليف كتابان لم يطبعا الاول في حروف المعاني في علم النحو جمع فيهِ فاوعى والثاني في علم الادب تصفح من اجلهِ جلّ ما عُرف من دواوين الشعر واسفار الادب ولهُ بعض مقالات في الاصلاح الاسلامي نشرها في بعض المجلدات مغفلة من اسمهِ ولهُ شعر مليح ونثر لطيف يغلب عليهِ السجع . وكان من اصدقاء المقتطف وهو الذي فتح لهُ باب الولوج في المباحث العصرية العالية وزاد في ولوعهِ فيها . وكان ذكوراً لمعظم الابحاث التي وردت في كل سنة من سنيهِ ولم يكن يعرف لغة اجنبية وانما طالع كلّ ما نقل الى العربية من كتب الافرنج وكان يقول ان العرب كتبوا في كل فن واجادوا . رحمهُ الله وعزى بهِ مكارم الاخلاق وعشاق العلم الصحيح		(م . ك)

البابية

حضرة العاملين العاملين منشئي المقتطف

اطلعتُ على ما كتبتموهُ في الصفحة ١٨١ من مجلة المقتطف هذه السنة مما يدلُّ على انكم مرتابون في صحة ما نقلناه عن كتب البابية فرأينا ان نكتب هذا الى حضرتكم لدفع الريب وقطع الشبهة

فاولاً ان الكتاب الذي ارسلناهُ الى حضرتكم نشرناهُ في العراق وايران والهند وبلدان كثيرة بين المخالف والموافق وارسلناهُ الى الامراء والوزراء والسفراء حتى الى حضرة مفتي عكاء وكتبنا اليهِ ان يعطيهُ بعد ما يطالعهُ لعباس افندي رئيس البابية حتى يطالعهُ . فالعاقل لايفعل ذلك الا اذا كانت كتب البابية في يدهِ . ولكنكم معذورون في ريبكم لانكم رأيتم عجباً لم تروا قبلاً شيئاً مثلهُ ولذلك احضرنا الكتب التي نقلنا عنها الى حضرة وكيلكم في بغداد

داود افندي فتو الصيدلاني واريناه اياها مرأى العين فوجد النقل عنها طبق الاصل حرفياً ولا بدَّ من ان يكتب اليكم في ذلك

بغداد الحاج حسينقلي جديد

[المقتطف] وكتب الينا حضرة وكيلنا داود افندي فتو يقول انهُ اطلع على الكتب فوجد النقل عنها صحيحاً وبعث الينا بكتاب من كتب البابية. فخطر على بالنا ما قالهُ احد الحكماء وهو ان الانسان يبقى معتمداً على عقلهِ حتى يصل الى الدين ويبقى معتمدًا على دينهِ حتى يصل الى المال وهو حكم اغلبي

شكوى بريطانيا الى الآلهة

للمستر كارنجي المثري الشهير (١)

استمع لي يا ابا الآلهة واصغي اليَّ ايتها الارباب فان تجارتي الخارجية لا تزيد على ٩٠٣٣٦٣٠٠٠ من الجنيهات

الجواب من مجمع الآلهة — يا غامطة النعمة أكانت تجارتكِ في عام من الاعوام اكثر مما هي الآن وهل قاربتها تجارة امَّة اخرى . لو قُسمت على ما فيكِ من النفوس لاصاب النفس واحد وعشرون جنيهاً ونصف جنيه ويصيب النفس في فرنسا ثمانية جنيهات واحد عشر شلناً لا غير وفي المانيا ثمانية جنيهات وستة شلنات وفي الولايات المتحدة ستة جنيهات وثلاثة شلنات

وانتَ يا نبتون اله البحر ويا تريتون اله الابواق يا حارسي سلطان بريطانيا على البحار انظرا اليَّ فان ما تشحنهُ سفني لا يزيد على ستة عشر مليوناً وستمئة الف طن

الجواب من مجمع الآلهة — طمع اشعبيّ . ان ما تشحنهُ سفنكِ على ازدياد مستمرّ ولم يكن قط اكثر منهُ الآن وهو يزيد على كل ما تشحنهُ الامم الاخرى جمعاء فاحترسي لئلاَّ تغيظي الآلهة بغمطكِ النعمة . ولا يقعنَّ في بالكِ ان امَّة واحدة تبقى فائقة على كل الامم . فستزيد سفنكِ التجارية وستزيد ايضاً سفن سائر الامم وربما زادت اكثر مما تزيد سفنكِ

وانت يا ميداس ملك الذهب هلمَّ لمساعدتي فان ثروتي لا تزيد على ١١٨٠٦٠٠٠٠٠٠ ملايين من الجنيهات

الجواب من مجمع الآلهة — هذه ثروة لم تعطَ لغيركِ من الامم ولا يفوقكِ فيها الاَّ ابنتكِ

(١) نشرت في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية وقد فاتنا نشرها مع المقالات فنشرناها هنا

تسعة ايام حتى اضطررنا ان نعود ادراجنا من شدة البرد ولم نكن نخلع ثيابنا بل كنا ننام فيها الأجواربنا فاننا كنا نخلعها ليلاً والأ جلدت اقدامنا لان الاقدام تدفأ بانحصارها ضمن احذية الفرو فتترطب ثم تبرد وتجلد

وكنا ننام في اكياس صفيقة لايدخلها الهواء كان ثقل الكيس منها اولاً ١٤ رطلاً ولكنها ثقلت رويداً رويداً بما تجمع عليها من البخرة انفاسنا فبلغ ثقل الكيس منها لما رجعنا ٢٨ رطلاً . وكنا في الصباح نلف الكيس لنحمله وفي المساء ننشره وندخل فيهِ فتذيب حرارة ابداننا بعض الجليد اللاصق بهِ او المتخلل نسيجهُ فيصير داخلهُ رطباً ونعلق جواربنا خارجاً عسى ان تتبخر الرطوبة منها فنجدها في الصباح مجلودة فنضع اقدامنا فيها رغماً عنا ويمضي على الواحد منا ثلاثة ارباع الساعة قبلما يتمكن من لبس جواربهِ وحذائهِ . فكنا ننهض الساعة الخامسة صباحاً فنقضي ساعتين في رفع اثقالنا قبل الشروع في السير ولم نكن نشعر براحة الأ حين نعود الى اكياسنا في الليل التالي وندخن قليلاً من التبغ اما ونحن سائرون جنوباً فلم نستطع ان نحمل التبغ معنا فحرمنا تلك اللذة ثلاثة اشهر متوالية وبلغنا حينئذٍ الدرجة ٨٢,١٧ من العرض الجنوبي فابعدنا مئتي ميل عن ابعد ما وصل اليهِ غيرنا جنوباً ولم نخلع ثيابنا الأ مرة واحدة وكنا حينئذٍ ثلاثة انا والدكتور ولسن والقبطان سكوت وقضينا في ذلك السفر ٩٤ يوماً وكنا نسير في اليوم ١٥ ميلاً فلا نتقدم اكثر من خمسة اميال لان كلابنا مات اكثرها فكنا نضطر ان نتقدم خمسة اميال بنصف مزالقنا ثم نعود ادراجنا ونجر النصف الثاني ودمنا على ذلك شهراً من الزمان الى ان بلغنا مرتفعاً من الارض حيث نستطيع ان نبقي بعض امتعتنا ولانفصل عنها فابقينا هناك كل ما يمكننا الاستغناء عنهُ وسرنا ببقية الامتعة والكلاب سيراً حثيثاً وجعلنا نقتر على انفسنا في الطعام فلا نأكل الأ قليلاً من السكر واللحم المقدد والبسكت ولم يعد معنا ما نطعم الكلاب فكنا نذبح الكلب منها ونطعم رفاقهُ لحمهُ فعاش بعضها على بعض . وبلغ النصب منا ان صرنا لانستطيع في المساء رفع اقدامنا ودخول الخيمة مالم نرفعها بايدينا . وصرنا نحلم بالطعام لشدة ما عرانا من الجوع وكثيراً ما كنت احلم ان امامي قطائف بحلوى وامد يدي اليها فتختفي من امامي . وكان واحد من رفيقيَّ يحلم انهُ يأكل دائماً لكن الطعام لايشبعهُ فيبقى جائعاً . ومرت الايام ونحن نتقدم في سيرنا رويداً رويداً الى الحادي والثلاثين من دسمبر فبلغنا ابعد نقطة وصلنا اليها ونشرنا هناك العلم البريطاني

وها خلاصة ما كتبتهُ في يوميتي في ٢٥ دسمبر يوم عيد الميلاد سنة ١٩٠٢

اليوم من اجمل الايام واقلها برداً واصفاها سماء ولقد اسرعنا في سيرنا بعد ان خففنا

حيث يكثر زرعهُ وهذا امر محتوم لا تستطيع الالهة منعهُ فاذا استطاع ابناؤك ان يحتفظوا بالمقام الذي نالوهُ في صناعة القطن خلَّدوا لهم ذكرًا لايمحى وطالب الزيادة طالب المحال

اسمع لي يازفس واصغوا ايها الارباب الى دعائي وبينوا لي لماذا لم اعد ازداد في كل شيء كما يزداد مناظري فان هذه هي شكواي وهذه هي علة بلواي

الجواب — لان الآلهة انعمت عليكِ اولاً حتى امتلأت كاسكِ دهاقًا وهي الآن تسكب لبقية الامم ما فاض عن كاسكِ فما ينالها لاينقص شيئًا مما نالك . وان الجزية لتأتيك من كل الممالك من غير استثناء فليسرك تقدُّم الامم لانهُ يعود عليكِ بزيادة التقدم والرخاء واذا تأخرت هي تأخرتِ انتِ معها . ويستحيل على الالهة ان تفرغ في كاسكِ اكثر مما تسع وان تزيد خير بلادكِ وهي محدودة الجوانب . ولا بدَّ من افراغ الخير في كؤوس غيرك ولا سيما الذين من لحمك ودمك . ولا تلومي الالهة على صغر كاسكِ لان تغييرها ضرب من المحال وقد بلغت مملكتكِ حدها من النمو او كادت ولم تبلغ مملكة اخرى ما بلغت فلا تطلبي المحال كما يطلب الاطفال مسك القمر

اليكِ التفت ياسرس الاهة الحصاد واطلب منك العون حتى يصير عندي من الطعام ما يكفيني ولا ابقى معتمدة على الجمهورية الاميركية في غذائي وكسائي فانها اذا منعت عني قطنها اوقعتني في ضيقة لا مثيل لها واذا منعت عني قمحها اماتتني جوعًا واذا التي في الاذهان انها عازمة على ذلك عزمًا اصاب ابنائي عارض من الجنون لان ليس في بلادي من الطعام ما يكفيهم اكثر من بضعة اسابيع

لقد سبقت الالهة ورأت ذلك وامرت بهِ لخير بريطانيا . لو نشبت الحرب بين انكلترا وبين الدول الثلاث فرنسا والمانيا وروسيا لما منعن اليابان من اغتنام ما غنمت في حربها مع الصين فماذا كان يحلُّ بكِ حينئذٍ اذا كان قوتكِ من املاككِ فان بوارج هذه الدول كانت تصادرهُ وتقبض على كل ما يرد منهُ اليكِ اما الآن وطعامك من الولايات المتحدة وهي ترفع علمها على سفنها وتمنع كل احد من مصادرتها بدعوى ان مواد الطعام ليست مما يصادَر . فتأملي في ذلك كلهِ واشكري الالهة على ما دبرتهُ لكِ

اني شاكرة لكِ ايتها المعبودة ما تفضلت بهِ ولكن ماذا يكون حالي لو نشبت الحرب بيني وبين الولايات المتحدة

اليكِ عن هذه المخاوف فان الآلهة قضت بان كل خلاف يقع بينك وبينها يُفصَل بالتحكيم فالحرب بينكما ضرب من المحال لانهُ يوم تسوّل لك نفسكِ محاربتها ومهاجمة ثغورها تموتين

جوعاً فضلاً عن ان مدنها البحرية لا يوصل اليها لان لها مداخل تُسَد في يوم واحد وهي لا تستطيع الهجوم عليكِ في جزيرتكِ فانتما اضعف الممالك واقواها اضعفها اذا اختلفتما واقواها اذا اتفقتما . ثم اذا عزمتِ على محاربة الولايات المتحدة وهذا امر قضت الالهة بمنعهِ فلا تظنين انهُ يصلكِ شيء من الطعام من كندا فانفضِ الغرور من نفسكِ . وابناء اللغة الانكليزية لا يتحاربون بعد الآن وانما يتحدون لمحاربة غيرهم لغرض شريف . هذا ما قضت بهِ الالهة فاعلمي وعي هذا في ذهنك وهو ان اعتمادكِ في طعامكِ على الولايات المتحدة خير لكِ من اعتمادك فيهِ على مستعمراتكِ لانهُ يكون حينئذٍ عرضة للمصادرة كلما نشبت حرب بينك وبين خصومكِ . هذا ما قضت بهِ الالهة لخيركِ ولقد كان ضرباً من الجنون منكِ ميلكِ الى تكدير العلاقات بينكِ وبين الولايات المتحدة فلا توقظي الفتنة ولا تحاولي المحال

يا كبير الالهة يا زفس الرهيب اكشف لي عن مستقبل أُمتي لئلا يحلَّ بي القنوط فان كانت الالهة حكمت ان كأسنا امتلأَت ولم يبقَ لنا سبيل لنزيد عدداً وعدداً وثروةً ومنعةً فالامم التي حولنا ستفوقنا وتتقلب علينا ونصير منها في المنزلة الخامسة بعد ان كنا في المنزلة الاولى فاشفق علينا يا كبير الالهة فاننا منك نطلب العون والحفظ

الجواب — لا تخافي ايتها السيدة الكريمة لانهُ لم يقدَّر شيء من ذلك لابنائكِ فقد كنتِ عزيزة في عيون الالهة ولا تزالين عزيزة في عيونها ولن تزالي ولقد قدّرت لك ولابنائك السيادة على المسكونة . وانتِ وابناؤك عزاز في عيون الالهة بل انت اوفر منهم عزةً وسيبقى صولجان الملك في يدك . فافرحي وسري وثقي بالآلهة وليكن ذلك ختام المقال

قف قف واخبرني كيف ومتى واين

فتجلَّت موتا الالهة الصمت وسمع في الهواء ركز خفيف يقول كفى كفى لا تطلبي المزيد انما الالهة تعلم مصير الامور وبين بني آدم من يستطيع الانباء بذلك ولكن ختمت الالهة على شفتيهِ فلا يتكلم

ختمت الالهة على شفتيهِ لكن الحبور طافح على قلبهِ لعلمهِ ان مستقبل امتهِ يفوق حاضرها وماضيها وان الالهة قدّرت لها قيادة العالم ويوم مجدها غير بعيد يراهُ كثيرون من قارئي هذه السطور

باب الزراعة

دود الحرير واكتشاف جديد

لا يخفى ان للفحص المكرسكوبي فائدة كبيرة في اكتشاف اسباب الامراض التي تصيب الناس والحيوانات ومن هذا القبيل اكتشاف اسباب الامراض التي تصيب دود الحرير. واوَّل ما اكتشف ذلك العلامة باستور فخلّد بهِ ذكرهُ وافاد العالم اجمع . وقد اخذت منذ مدة في تبزير دود الحرير وفحص فراشهِ على طريقة باستور وكتبتُ كتاباً في هذا الموضوع سميتهُ "المرشد الخبير في تربية دود الحرير" ورأيت الآن ان انشر السطور التالية على صفحات المقتطف لان فيها وصف اكتشاف مهم توفقت اليهِ فاقول

اولاً ان من افتك الامراض التي تطرأ على دود الحرير مرض الفلاشري (الذبلان) الذي يصيب الدود ويستحيل على الفاحص المدقق معرفتهُ في اول نشأتهِ لانهُ لا يدرك بالفحص الاَّ بعد بلوغ ميكروبهِ اشدَّهُ من النمو . ولانتشار هذا المرض اسباب منها رطوبة الهواء وقتما يتراكم الضباب . ومنها اطعام الدود ورقاً تقلُّ فيهِ المادة الهلامية الحريرية كورق التوت النامي في ارض سبخة او غير مسمَّدة تسقى مراراً في فصل الصيف

ويظهر ميكروب هذا المرض بالفحص على هيئة كريات بيضية الشكل يتصل بعضها ببعض على شكل خرز السبحة و يظهر لي ان البلاد المشهورة بجفاف هوائها كسهل البقاع و بلاد بعلبك وخصوصاً ضواحي بلودان وحوران لا يصيب دودها هذا المرض . فاذا أُخذ البزر منهُ اغنى عن جلبهِ من البلاد الاوربية لاسيما وان الدود الاوربي ليس سليماً من هذا المرض رغماً عن كل الوسائل التي تستخدم لسلامتهِ كما ظهر لي من فحص الفراش المرسل لي من اماكن كثيرة منها وذلك لرطوبة هوائها

ثانياً الطوارىء الجوية التي تضرُّ بالدود كريح السموم (الشرقية) كما حدث سنة ١٩٠١ حين صعدت درجة الحرارة الى ما بين ٢٧ و٣١ بميزان سنتغراد وذلك من ١٤ اذار (مارس) الى ٢٩ منهُ وافضت الى محل اكثر مواسم سورية . فعلى القزازين ان يبذلوا الجهد لكي لا يتعرض البزر للشرقية ولذلك يجب ان يضعوهُ حينئذٍ في غرف سفلية مغلقة النوافذ و ينشروا فيها شراشف مبللة بالماء واذا حدثت الشرقية في زمن نمو الدود وجب تبريد اماكنهِ وعدم

الزيادة في علفهِ وذلك على ضد ما يفعلهُ اكثر القزازين لان الدود يأكل كثيرًا وقت الشرقية والغالب ان يعقب الشرقية برودة في الهواء بغتة فلا يعود الدود قادرًا على هضم ما اكلهُ فتنخرف دورتهُ المعوية والكبدية ويظهر فيهِ المرض المعروف بالقياح

اذا ظهر مرض البيرين او الفلاشري او المسكردين في دود الحرير تبقى جراثيمهُ المعدية في البيوت والادوات التي يربى فيها الدود من سنة الى سنة فيجب قبل استعمالها لتربية الدود كل سنة ان تبخَّر وتطهَّر بالعلاج المعروف بالانتيكروب Antimicrobe المحضر في علب ذُكرت معها كيفية استعمالهِ وبيان فوائدهِ واذا وضع هذا العلاج على النار تصاعد منهُ دخان وبخار غازي يدخل ادق المسام ويهلك الميكروبات وبزورها مهما كان نوعها . ويمتاز عن التطهير باحراق الكبريت ان الحامض الكبريتوس يغيّر الالوان ولا يميت بزور الميكروبات . ويمتاز عن البخار الشائع التطهير بهِ بسرعة استعمالهِ ورخص ثمنه وبتخللهِ ادق المسام وقد جرَّبهُ نخبة من وجهاء بيروت ولبنان واعترفوا بفوائدهِ لمواسمهم وقد طُهّرت بهِ محلات كثيرة ملوثة بالجدري والدفثيريا والسل والتيفويد فلم تظهر عدوى الامراض المذكورة فيها بعد ذلك . وطهر بهِ اسطبل تواترت فيهِ عدوى الخيل بالسراجة فلم تعد الخيل تصاب بالمرض المذكور

وقد قدّمت هذا العلاج الى المدرسة الكلية الاميركية في بيروت ففحص في معملها الكيماوي وأُعطيت الشهادتين التاليتين وهذا تعريبهما

الشهادة الاولى

ليعلم انني في هذا اليوم السابع عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩٠٠ حللت تحليلاً كيماويًا المركب الذي اكتشفهُ الدكتور اسعد بك سليم لتطهير البيوت ونحوها وذلك في معمل المدرسة الكلية السورية الانجيلية الكيماوي فوجدتهُ يحتوي على مواد كيماوية تتبخر بسهولة وتفعل بالميكروبات فعلاً شديدًا وتهلكها ولذلك امضيت هذه الشهادة وختمتها بختم المدرسة

ولتر بوث ادمس

استاذ الكيمياء في المدرسة الكلية السورية الانجيلية

الشهادة الثانية

المدرسة الكلية السورية الانجيلية في ٢٧ يناير سنة ١٩٠٣ عرضت بعض النقاعيات لابخرة مركب استحضرهُ الدكتور اسعد بك سليم فاماتتها الابخرة حالاً . ومن المحتمل انها تفعل هذا الفعل عينهُ بالبكتيريا ولذلك امضي هذه الشهادة واختمها بختم المدرسة

الفرد عالي داي استاذ الطبيعيات في المدرسة الكلية السورية

وعليهِ فان الاختبارات المتعددة المثبتة فائدة هذا العلاج تستوجب اذعان القزازين واقبالهم على تطهير بيوتهم وادوات القز بهِ لازالة جراثيم العدوى منها

رابعاً ان ميزانية القز الجيد هي فطرتهُ الثالثة بين اليوم الخامس عشر والسابع عشر ويظهر المرض فيهِ على نسبة تأَخر هذه الفطرة فيكون من الضروري اسراع نمو الدود في صغرهِ لكي يتغلب على جراثيم الامراض الكامنة في بنيتهِ اما الذين يؤَخرون الدود اولاً بقصد الحاق ما يأْتي بعدهُ بهِ فانذرهم بعطل موسمهم. ويجب الانتباه الى تهوية اماكن تربية الدود لان الهواء الفاسد يضرُّ بهِ

خامساً اذا ظهر مرض الدود في اثناء تربيتهِ فيجب رفعهُ محمولاً على الورق وترك الضعيف العليل الذي لا يتعلقُ بالورق وابعاد السليم عن العليل ومتابعة علف السليم وحدهُ وبذلك ينجو من المرض

اسعد سليم

(المقتطف) وقد بعث الينا بالشهادتين الاصليتين مختومتين بختم المدرسة الكلية

فوائد في زراعة القطن

اطلعنا على مقالة مسهبة في زراعة القطن في مجلة الهند الغربية اقتبس كاتبها كثيرًا مما ذكرهُ المستر فودن في مجلة الجمعية الزراعية مما اتينا على ذكرهِ في المقتطف وزاد عليهِ اموراً كثيرة جليلة الفائدة فلخصنا منها ما يلي

اشار المستر فودن في ما كتبهُ عن القطن الاميركي المعروف بالسي ايلند الى انهُ يزرع في الجزيرة المعروفة باسم جمس ايلند وهذه الجزيرة هلالية الشكل طولها ٩ اميال وعرضها من ١/٢ ميل الى ٧ اميال وفيها ١٢٠٠٠ فدان بعضها اراضٍ زراعية وبعضها حراج او مستنقعات واكثر سكانها من السود فان البيض يبلغون ٣ في المئة من السكان ولهؤُلاء السكان الفضل في انهم اصلحوا زراعة القطن وابلغوها ما بلغتهُ من الاتقان بعمل المصارف تحت وجه الارض فزاد بها خصب الارض

ثم جزيرة ادستو وطولها ١٢ ميلاً وعرضها ٤ اميال الى ٥ وفيها ٢٨٨١١ فداناً كانت زراعتها في اول الامر مقصورة على الارز ثم صارت تزرع نيلةً واخيرًا زرعت قطناً وكان عدد سكانها سنة ١٨٨٠ ثلاثمئة من البيض و٣٨٠٠ من السود ويملك السود نحو ٥٠٠٠ فدان ويزرعون ثلثي القطن الذي يزرع في هذه الجزيرة وتزرع فيها الذرة ايضاً. وتصرف الارض بمصارف تحت سطحها ويكثر الزارعون من استعمال السماد

ثم جزيرة ودملو وطولها ٩ اميال وعرضها من ٤ اميال الى ٦ وفيها ١٦٠٠٠ فدان وكان فيها ٢٠٠٠ من السود و ١٦٥ من البيض · وجزيرة جون وهي أكبرهنَّ طولها ٣٢ ميلاً وعرضها ١٠ اميال وفيها ٤٠٠٠٠ فدان والارض الزراعية منها ١٨٠٠٠ فدان

ويكرر زرع القطن في جزيرة جمس كل سنة فتكسر الاشجار القديمة وتمهَّد الارض في اوائل فبراير بواسطة زحافات طول الزحافة منها خمس اقدام ويوضع السماد في الخطوط القديمة و يغطى بالنبات اليابس والهشيم وتحدل الارض بمحدلة وتحرث وتخطط و يجعل البعد بين الخطوط خمس اقدام ويزرع البزر فيها على ابعاد ١٨ بوصة الى ٢٠ بوصة والغالب ان يقوم بزرع البزر ثلاثة واحد يعمل الحفر وواحد يلقي البزر فيها وواحد يغطيها بالتراب فيسيرون الواحد وراء الآخر لهذه الاغراض · ويعزق النبات وتنزع الاعشاب التي تمو بينهُ ويخفف وقت العزقة الثانية حينما يصير عمرهُ شهراً ويكرر التخفيف عند كل تعشيب حتى لا يبقى الأَ شجرة واحدة في كل نقرة او شجرتان · وحينما يصير عمر النبات ستة اسابيع تعزق الارض بعزافة ويكوَّم التراب حول اصول النبات ويظهر نوار القطن بعد نحو سبعين يوماً من زرعهِ ويفتح اللوز بعد نحو سبعين يوماً أُخرى و يبلغ ارتفاع الشجرة من اربع اقدام الى خمس

ولا يجمع القطن الأَ بعد ان يفتح اللوز جيداً فيمسك الجامع اللوزة بيدهِ اليسرى بين الابهام والاصبعين اللتين تليانهِ وينزع القطن منها بيدهِ اليسرى مع ما فيهِ من البزر

والغالب ان كل ١١ قنطاراً من القطن تصفي ثلاثة قناطير من الشعر والباقي بزرة · و يجفف القطن بعد جمعهِ ويفرز ويخبط بالمخابط بعد وضعهِ على شباك من السلك لكي يقع منهُ التراب ونحوهُ ولكن اذا اعتني بجمع القطن فلا داعي لخبط · ولا يحلج حالاً بل يترك مدة حتى يمتص القطن قليلاً من الزيت الذي في البزر فيزيد لمعانهُ

ويبلغ محصول الفدان في جزيرة جمس ثلاثة قناطير من القطن الشعر وقد بلغ في ارض مسمدة جيداً بزبل المواشي اربعة قناطير وثمانية ارطال والمتوسط من قنطارين الى ثلاثة قناطير ونصف

لماذا ارتفع ثمن القطن

من مقالة للمستر دانيال صلي نشرت في مجلة اميركا الشمالية

لا بدَّ من تحديد المراد بالمضاربة واللعب في البورصة قبل الخوض في هذا الموضوع · اما المضاربة فشاعت منذ ما اتسع نطاق التجارة والاشغال المالية · ولكنها لا تفلح قط ان لم

تكن مبنية على اساس ثابت والاَّ فنجاحها وقتي محدود . والمضاربة ترفع الاسعار وتهبطها بسرعة ولكنها لا تؤثر في الاسباب الاساسية التي توجب ارتفاعها او هبوطها زماناً طويلاً . مثال ذلك ارتفاع ثمن القطن الحالي فانهُ لم يكن في طاقة المضاربة ان ترفعهُ الى هذا الحد وتبقيهُ عليهِ الاَّ اذا كان بين المضاربين ماليون كبار يستطيعون ان يبتاعوا جانباً كبيراً من القطن بهذهِ الاسعار . وقد تدعو الحال احياناً الى احتكار الصنف ورفع ثمنهِ كما اذا كان المحصول قليلاً او اذا قلَّت المتأخرات في آخر الموسم قبل المحصول الجديد ولم تعد كافية للمقطوعية وتهافت كبار الماليين على المضاربة . ولكن المحتكرين لا يشرعون في الاحتكار في اول الموسم ولا يمكن ان تتألف جماعة منهم وتخاطر باموالها حينئذٍ لانهم لا يعرفون المستقبل ولا يحسبون ان الربح يستحق التعب وانشغال البال

واذا سئلتُ هل اثَّرت المضاربة واللعب في سعر القطن هذهِ السنة فاجيب نعم وذلك من وجهين فان فريقاً من المضاربين حسب ان الاسعار واطئة جدًّا وفريقاً آخر حسبها عالية جدًّا فتنازع هذان الفريقان وتناظروا والظاهر ان الربح الاكبر كان لحزب النزول . ولا يخفى ان التجار في اميركا واصحاب معامل القطن في انكلترا وسائر اوربا يبذلون جهدهم دائماً لخفض الاسعار وابتياع القطن بثمن بخس ولكن المزارعين من اهل الجنوب الذين التحفوا الفقر المدقع اربعين سنة متوالية وذاقوا لذة الربح اول مرة اتفقوا هم والعملاء والسماسرة على رفع الاسعار

واني اجاهر بادىء بدء بان ارتفاع ثمن القطن ناتج عن اسباب طبيعية محضة ولو لم تكن عادية وهو ليس نتيجة المضاربات

قلَّ من يعلم اهمية القطن للولايات المتحدة فان القطن هو المادة الوحيدة التي تُغزَل في حالتها الطبيعية وهو المحصول الوحيد الذي لا يستعملهُ الزارع . ورخصهُ وسهولة الحصول عليهِ وصلاحيتهُ للنسج كل ذلك يجعلهُ في المقام الاول بين الحاصلات الزراعية التي تستعمل للنسج . واستعمالهُ آخذ في الازدياد واستعمال غيرهِ آخذ في القلَّة بالنسبة اليهِ . وقد فتحت لمنسوجاتهِ اسواق جديدة في كل المسكونة وزادت المقطوعية عليهِ في الاسواق القديمة بازدياد السكان وكثرة استعمال الملابس

وتقدر مقطوعية الدنيا من القطن بنحو اربعة عشر مليون بالة (١٤٠٠٠٠٠٠) اكثرها من الولايات الجنوبية من البلاد المتحدة فنها تحصل اهم مواد النسج . وقطن القطر المصري طويل الشعر يستعمل في المنسوجات الدقيقة وقطن الهند قصير الشعر يستعمل في المنسوجات الخشنة واما القطن الاميركي فمتوسط بينهما وهو يستعمل في كل المنسوجات تقريباً

وقد ابتدأ زرع القطن في الولايات المتحدة سنة ١٦٠٧ وبقي ما يزرع منهُ قليلاً الى سنة ١٧٩٣ احينما استنبط عالي هوتني آلة الحلج المنسوبة اليهِ ومن ثم زاد زرع القطن و بلغ محصولهُ في الولايات الجنوبية ١٢٠٠٠٠ بالة سنة ١٨٠٠ وخمسة ملايين بالة (٥٠٠٠٠٠٠) سنة ١٨٦٠ واحد عشر مليون بالة (١١٠٠٠٠٠٠) سنة ١٨٩٧ وبلغ ما صدر من بلادنا مدة السنوات العشر الاخيرة ثلاثماية مليون قنطار (٣٠٠٠٠٠٠٠٠) بلغ ثمنها الفين وخمسماية مليون ريال (٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠) قبضتها البلاد ذهباً فخففت بها الموازنة المالية بينها وبين اوربا . مثال ذلك انهُ في شهر نوفمبر سنة ١٩٠٣ صدر من البلاد قطن ثمنهُ ٦٧٩٦٤٧٧٤ ريالاً حسب تقرير ديوان الاحصاء في وشنطون اي نحو ٦٨ مليون ريال و بلغ قيمة كل الحاصلات الزراعية التي صدرت في تلك المدة ١٠٥٨٠٩٩٨٦ وهذا كان اكبر مقدار من القطن صدر في الولايات المتحدة في شهر واحد ولم يعلم حتى كتابة هذه السطور مقدار القطن الذي صدر في شهر دسمبر ولكن المرجح ان ثمنهُ يزيد على ثمن ما صدر في نوفمبر

ويظهر من الاحصاء الذي تم سنة ١٩٠٠ ان قيمة المنسوجات والمغزولات القطنية كانت الثالثة بين الصادرات من الولايات المتحدة فلا يفوقها الا صادرات مواد الطعام وقد بلغ ثمنها الفين ومئتي مليون ريال (٢٢٠٠٠٠٠٠٠٠) والحديد والصلب وقد بلغ ثمنهما الفاً وسبع مئة مليون ريال (١٧٠٠٠٠٠٠٠٠) وبلغ ثمن المغزولات والمنسوجات ١٤٣٧٤٨٤٤٨٤ ريالاً وهي تشمل المغزولات والمنسوجات الصوفية والكتانية ايضاً ولكن مقدارها قليل بالنسبة الى المغزولات والمنسوجات القطنية ويظهر من ذلك مقدار ما للقطن من الاهمية في التجارة

ومن الغريب ان اسباب الارتفاع الحالي في ثمن القطن اصلها كبر موسم سنة ١٨٩٨ و ١٨٩٩ فان محصول كل سنة منهما كان اكثر من احد عشر مليون بالة (١١٠٠٠٠٠٠) وهبط ثمن القطن حينئذٍ حتى بلغ ثمن الليبرة خمس بنسات او ست وخيف من ان يزيد المحصول على المقطوعية فبذل محبو الوطن جهدهم بالكلام والكتابة في الصحف حتى اقنعوا اهل الزراعة بالاكثار من المزروعات الاخرى والاقلال من زرع القطن . ونتج عن رخص ثمن القطن وكثرة الموجود منهُ ان أُنشئت معامل جديدة لغزلهِ ونسجهِ في الولايات الجنوبية وفي اوربا ايضاً فزاد عدد المغازل في السنوات العشر الاخيرة سبعة عشر مليوناً (١٧٠٠٠٠٠٠) وكانت الزيادة في الولايات الجنوبية وحدها ٨١٧٨٢٦ مغزلاً و ١٦٣١٣ نولاً رأس مالها ستة عشر مليوناً من الريالات (١٦٠٠٠٠٠٠) ويرجح ان عدد المغازل الآن في الدنيا مئة وتسعة ملايين (١٠٩٠٠٠٠٠٠)

ثم ان كبر المحصول دعا الى امور أخرى غير زيادة المعامل فان الصنّاع صاروا يصنعون من القطن اشياء اخرى لم تكن تصنع منهُ واعتاد الناس استعمالها حالاً وهذه المصنوعات استدعت عمل الآت صالحة لها فهي لاتستغني الآن عن القطن

ثم جاءت اربع سنوات كان المحصول فيها قليلاً وقد بنيت المقطوعية في الدنيا على ان الموسم الاميركي احد عشر مليون بالة (١١٠٠٠٠٠٠) وبقيت المعامل دائرة تعمل عملها المعتاد لان المقدرين كانوا يقدرون الموسم باحد عشر مليون بالة وقد اصاب تقديرهم لمحصول سنة ١٨٩٧ و ١٨٩٨ فاشتهروا بحسن التقدير ثم لما نقص المحصول وبقي تقديرهم على ما كان اولاً ولهم غرض في ذلك هبطت الاسعار فاستفاد اصحاب المعامل من هبوطها ولم تقلل المعامل مقطوعيتها . وجعلت المقطوعية والمحصول يتباريان كفرسي رهان . وعندي ان المقطوعية غلبت الآن على المحصول وزادت عليهِ فان محصول الموسم الذي زرع سنة ١٨٩٩ بلغ ٩٤٣٦٤١٦ بالة والذي زُرع سنة ١٩٠٠ بلغ ١٠٣٨٣٤٢٢ بالة وسنة ١٩٠١ بلغ ١٠٦٨٠٦٨٠ بالة وسنة ١٩٠٢ بلغ ١٠٢٧٥٥٩ بالة

فنقصت المتأخرات في المعامل وبلغ النقص في العام الماضي مبلغاً خاف منهُ اصحاب المعامل خوفاً شديداً فألقي اللوم على المضاربين . واني اقتبس ما يلي مما كتبهُ هنري كتردج في جريدة الكومرشيال ادفرتيزر وهو من الثقات في امر القطن وغرضهُ مع اصحاب المعامل بلا شك قال

" انهُ لم يكن وقت من الاوقات كانت فيهِ اسعار القطن مبنية على نسبة الموجود الى المقطوعية مثل الوقت الحاضر رغماً عما يقال عن تأثير المضاربات . وقد القي اللوم على المضاربين من غير تمييز وعدُّوا السبب في ما حدث من الاضطراب في سوق القطن . ولاشبهة ان للمضاربات يداً في رفع الاسعار ولكنها انما زادت النتائج الناتجة عن قلة المحصول . وكان زعماء حزب الصعود امهر من كثيرين من ارباب المعامل لان جمهور اصحاب المعامل كان يعتقد ان حالة السوق غير طبيعية ولا بد ما تنقلب عنها وتعود الى حالتها الطبيعية مع الزمن ولكنهم كانوا مخطئين في اعتقادهم هذا ولم يرتكبوا من الخطاء في زمن من الازمان مثلما ارتكبوا سنة ١٩٠٣ لجهلهم الاسباب الحقيقية التي تحكم على الاسعار "

وقد ارتفعت الاسعار سنة ١٩٠٢ للسبب الذي ذكرهُ المستر كتردج واوفى المزارعون في الولايات الجنوبية بعض ديونهم وحسنت حالتهم المالية . وهم يعتقدون ان ثمن القطن كان قبل ذلك ارخص مما يلزم ان يكون . وقد كانت الاسعار قبلاً تُقطع حسب ما يناسب اهالي

الولايات الشمالية والشرقية اي حسب ما يناسب اصحاب المعامل لا المزارعين . وكان اصحاب المعامل يتحكمون بالاسعار وبحركة السوق . واصحاب البنوك في الولايات الجنوبية (حيث يزرع القطن) يعتمدون على نيويورك ويرتهنون المحصول قبل ان يجنى وكانت مصلحتهم ومصلحة اصحاب المعامل واحدة فكانت بنوك نيويورك تطلب اموالها من بنوك الولايات الجنوبية فتطلب هذه الاموال من التجار وهم يلحون على المزارعين في طلب القطن ونتيجة ذلك شحن السوق بالقطن فيربح العامل ويخسر الزارع ولكن تغيرت الحال بسبب ارتفاع الاسعار ولولا ارتفاع الاسعار في اول سبتمبر سنة ١٩٠٣ لامتنع المزارعون عن بيع قطنهم وحدث ما يسمى بقحط القطن حقيقة . وقد كثر الوارد هذه السنة ولكنه كان منتظماً تبعاً لارتفاع الاسعار ولم يهجم هجمة واحدة حتى تغص به السوق كما كان يحدث سابقاً حينما كان المزارع محتاجاً الى المال

وعندي ان لقلة المحصول اربعة اسباب الاول ضعف التقاوي والثاني ضعف الارض من تكرير الزرع فيها وقلة خدمتها والثالث ازدياد الحشرات التي تتلف القطن كدود اللوز ونحوه والرابع قلة الارض المعدة للزراعة

وعندي ان ضعف التقاوي نتج من بيع احسن البزرة لمعامل الزيت فان وكلاء هذه المعامل يجولون في البلاد في اول الموسم ويشترون كل البزرة التي تنتج من الجنية الاولى وهي اجود ما يكون للزرع والغالب ان يكتفي الزارع ببزر الجنية الاخيرة وهو ضعيف . وقد انتبه المزارعون حديثاً الى هذا الخطإ واخذوا في تلافيه ومن المرجح انهم سيحسنون انتقاء التقاوي في المستقبل اما بغربلة البزرة وقت الحلج او بواسطة اخرى

هذه هي الاسباب التي دعت الى قلة المحصول في الاعوام الاربعة الماضية والموسم الاخير زرع متأخراً من اربعة اسابيع الى ستة وكان الصيف متأخراً فدام برد مارس الى ابريل وبرد ابريل الى آخر مايو واسرع البرد في اواخر الفصل فكان الهواء في اغسطس كما يكون عادة في سبتمبر وفي سبتمبر كما يكون في اكتوبر . وفي التاسع عشر من اكتوبر وقع الصقيع فامات النبات في اماكن كثيرة حيث يزرع القطن وتوقف النبات عن النمو قبل ان يبلغ اشده . وجاءت الاخبار من كل البلاد ان الطرح الاخير معدوم وهذه الامور كلها كانت كافية لتحذير ارباب المعامل من قلة المحصول

وكانت المتأخرات من الموسم السابق لا تكفي المعامل الى آخر اغسطس ولو توزعت عليها وقبلما انتهى الفصل اضطرت معامل كثيرة ان تتوقف عن العمل تماماً . وزادت الازمة بتأخر المحصول الجديد وبطء الواردات

هذه كانت حالة القطن في دسمبر الماضي كان الوارد قليلاً جداً والمعامل تقطع من المتأخرات حتى قلت المصنوعات فيها . وكان يمكن ان تعود الحال الى مجراها لو كان المحصول احد عشر مليون بالة او احد عشر مليوناً ونصف وتوزع الوارد منهُ على الاشهر واقتصرت المعامل على ما كانت تعملهُ عادةً الا ان ارباب المعامل لا يقصرون مشترواتهم على ما تحتاج اليهِ معاملهم شهراً بعد شهر بل يحسبون انهُ الاسلم لهم بل الواجب عليهم ان يكون عندهم فضلة كافية لابقاء الموازنة بين القطن الذي عندهم وما يغزلونهُ منهُ . وقلت المتأخرات حتى لو كان المحصول ١٢ مليون بالة لابتاعهُ اصحاب المعامل بثمن يزيد على اسعار السنين الماضية ولذلك حق لاصحاب القطن ان يطلبوا سعراً مناسباً للمقطوعية ولشدة حاجة اصحاب المعامل التي تدعوهم الى ان يكون عندهم فضلة زائدة

وزادت حيرة اصحاب المعامل بما كان يشيع من الانباء عن عظم المحصول فتأخرت معامل كثيرة عن المشترى املاً بهبوط الاسعار ولاسيما في هذه البلاد (اميركا) اما اصحاب المعامل الاوربية فتعلموا من العام السابق ان لا يقعوا في هذا الفخ وابتاعوا في اول الموسم فارتفعت الاسعار رغماً عن سعي حزب النزول الذين كانوا يتنبأون ان المحصول سيكون من احد عشر مليون بالة الى اثني عشر مليوناً مع ان الوارد كان يدل على قلة المحصول وكذلك احوال الجو واشتداد الصقيع . ثم لما صدر تقدير الحكومة في ٣ دسمبر سنة ١٩٠٣ الذي جعل المحصول ٩٩٦٢٠٥٩ بالة قوي مركز حزب الصعود وزاد ارتفاع الاسعار وبقيت تتردد بين ارتفاع كثير وهبوط اقل منهُ الى ان بلغت ١٤ سنتاً

وغنيٌّ عن البيان ان حزب النزول ادعى بان هذه الاسعار مبنية على المضاربات واستشهدوا على صحة قولهم بخطإ تقديرات الحكومة في السنين السابقة واستدلوا على ذلك بكثرة الواردات حتى ان مجموعها قارب ما ورد في العام السابق الى اول يناير مع انها ابتدأت متأخرة وانبأوا بان المعامل ستقلل ساعات العمل فتقل المقطوعية وتزيد المتأخرات

اما انصار حزب الصعود فقالوا ان كثرة الواردات ناتجة عن ارتفاع الاسعار فصار الفلاحون يسرعون الى بيع كل ما يمكن جنيهُ من القطن وكان الوقت مناسباً للجني اكثر من المعتاد ومع هذا كلهِ فان القطن المحلوج حتى ١٣ دسمبر كان اقل مما حلج الى ذلك التاريخ في العام السابق بنحو ٤٠٠٠٠٠ بالة فلو كان المحصول كثيراً حلج منهُ مقدار اكثر من ذلك وجاءت التقادير حتى اواسط يناير ان القطن الذي في يد المزارعين اقل مما كان في يدهم في العام السابق بنحو ٣٠ الى ٥٠ في المئة . ولذلك اصرَّ حزب الصعود على ان الواردات ستقل

باكرًا فقلت في الوقت المحدد وبلغت القلة بضعة الوف من البالات كل يوم بالنسبة الى ما كانت عليهِ في العام السابق في ذلك الوقت ولذلك فارتفاع الاسعار كان معقولاً اذا نظرنا اليهِ من حيث مقدار الموسم

اما من حيث تقليل ساعات العمل فان جماعة من اصحاب المعامل اجتمعوا في منشستر في اواخر دسمبر وطلبوا ان يوافقهم اصحاب المعامل في اوربا على ذلك فجاءتهم الاجوبة من المانيا والنمسا والمجر وايطاليا وهي تشترك في الشكوى معهم ولكنها تبين ان تلك المعامل مربوطة بطلبات تشغلها الى آخر يوليو فلا تستطيع ان تقلل ساعات العمل . وقال ثقة من كبار تجار القطن في انكلترا ان معامل انكلترا ومعامل اوربا كلها مرتبطة بطلبات من مصنوعاتها تشغلها الى آخر شهر يوليو وليس تحت يدها من القطن ما يكفي لذلك وليست في سعة مالية كافية لمشترى القطن الحاضر اللازم لها بالاسعار الحاضرة ولا تستطيع ان تشتري كنتراتات ما لم ترتفع الاسعار كثيرًا بسبب ذلك . وهكذا اصحاب المعامل في القسم الشمالي الشرقي من الولايات المتحدة مرتبطون بطلبات كثيرة تمنعهم من تقليل ساعات العمل بنوع عام . وتظهر قلة القطن في معامل اميركا من ان بعض المعامل تأخر عنها قطن طلبتهُ فاضطرت ان توقف العمل الى حين وصولهِ . فاذا كان القطن قليلاً في المعامل الى هذا الحد فلا عجب فاذا غالى اصحابهُ بثمنهِ

ومما يدلُّ ايضاً على ان ارتفاع السعر الحاضر ليس نتيجة المضاربات ان ثمن القطن الحاضر في اماكنهِ في فول رفر اعلى من ثمنهِ في بورصة نيويورك . ثم ان نيواورليانس اكبر سوق للقطن في الدنيا واصحابها اعلم من غيرهم بحالة المحصول ولكن السعر في نيواورليانس كان دائماً اعلى من السعر في نيويورك خمس بنسات الى ستين بنساً كل مدة الفصل فلماذا يكون القطن في قلب بلاد القطن اغلى منهُ في نيويورك على الف ميل منها ربع ريال الى ثلاثة ريالات في البالة

واقول قبل ان اترك هذا الموضوع ان المستر توماس اليسن من اهالي لفربول قدر المقطوعية من القطن الاميركي في العام الماضي عشرة ملايين و٨٤٠ الف بالة (١٠٨٤٠٠٠٠) اي اقل من مقطوعية سنة عادية بخمسين الف بالة . وفي شهر اكتوبر الماضي قدر المقطوعية اللازمة من القطن الاميركي عشرة ملايين و٨٧٠ الف بالة ولما بلغ ثمن الليبرة ١١ بنساً في شهر نوفمبر عدل تقديرهُ هذا وجعلهُ عشرة ملايين و٥٠٠ الف بالة (١٠٥٠٠٠٠٠) وقال انهُ اذا زادت الاسعار ارتفاعاً قلت المقطوعية اكثر من ذلك . فاذا كان تقدير الحكومة الاميركية للمحصول بتسعة ملايين و٩٢٦ الف بالة (٩٩٢٦٠٠٠) صحيحاً او قريباً من الصحة فالمرجح ان المعامل تقلل مقطوعيتها

ولكن هذا التقليل يكون اضطراريًا ناتجًا عن قلة القطن لا اختياريًا ناتجًا عن ارتفاع الاسعار

اذا غلا الطعام فالناس يشكون من الغلاء ولكنهم يدفعون ثمنهُ ولذلك يأكل الناس اللحم والحنطة سواءٌ غلا ثمنها او رخص لاسيما اذا كان الموجود منهما لايكاد يكفي الحاجة. واذا سلمنا ان بعض المنسوجات القطنية لايعود يستعمل فيما كان يستعمل لهُ حينما كان القطن رخيصاً يبقى ان القطن الموجود لايكفي اصحاب المعامل للقيام بالكنترانات التي ارتبطوا بها. والمشابهة بين القطن واللحم ليست تامَّة لانهُ اذا غلا اللحم اكتفى الناس بغيرهِ من الطعام ولكن المعامل التي تغزل القطن لاتستطيع ان تغزل غيرهُ لا صوفاً ولا حريرًا

ولما خيف من انتشاب الحرب بين الروس واليابان في اوائل هذهِ السنة هبطت اسعار القطن لكن اكثر هذا الهبوط ناتج عن قصر النظر فان المقدار القليل من القطن غير المصنوع الذي تشتريهِ الصين واليابان قد اشترتاهُ قبل الحرب او تعهدتا بشرائهِ وما يبقى منهُ لا يسدُّ مسدَّ النقص في ما تحتاج اليهِ معامل اوربا واميركا . والمنسوجات القطنية التي ترسل الى تلك البلاد لا دليل على انها ستقل ولا روسيا قادرة على مصادرة سفننا التجارية

وخلاصة ما تقدَّم ان غلاء القطن الحالي ناتج عن كثرة المقطوعية التي قلَّت بها المتأخرات وعن ارتباط المعامل بطلبات لا بدَّ لها من تقديمها في مواعيدها ولان حزب النزول خدع اصحاب المعامل بتقديرهِ المحصول اكبر مما هو في الحقيقة وعن قلة المتأخرات الباقية الى شهر سبتمبر الماضي فزاد طلب المعامل على القطن ودلَّت احوال الهواء على ان القطن لايكفي المطلوب وايَّد ذلك تقدير الحكومة للمحصول وجاء احصاء المحلوج مؤيدًا لهُ وكذلك قلَّة الواردات وهبوط مقدارها بغتةً . يضاد ذلك عدم صحة التقديرات السابقة وان ما يقولهُ اصحاب القطن انفسهم لايعتمد عليهِ . والنتيجة ان ارتفاع الاسعار نتج عن اسباب طبيعية لا: د وان المضاربات وحدها لا تستطيع ان ترفع السعر وتبقيهُ على هذا الحد لان المضاربين الذين يستطيعون ذلك يلزم ان يشتغلوا بخمس مئة مليون ريال على الاقل . فحالة السوق طبيعية ناتجة عن زيادة المطلوب وقلَّة المحصول والمضاربات ترفع الاسعار وتخفضها ولكن لاترفعها كثيرًا ولا تخفضها كثيرًا

[المقتطف] وقد كتب المستر صلي ذلك قبل ان خسر خسائر فاحشة وهبطت الاسعار كثيرًا عن الحد الذي بلغتهُ حينما كتب فتبين انهُ كان للمضاربات يد كبيرة في ارتفاعها ولا يبعد ان يكون لها الآن يد كبيرة في هبوطها . لكن في مقالتهِ فوائد كثيرة ولذلك حرصنا على ترجمتها ونشرها . ولا يزال سعر القطن غالياً فاذا بقي عليهِ بيع القطن المصري من المحصول التالي بثلاثة جنيهات ونصف الى اربعة جنيهات



باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الروايات

مصر عبد الحميد افندي فهيم قالت جورج سند

Le premier devoir d'un roman,
c'est d'être romanesque

فكيف تترجمون ذلك الى العربية وهل توافقونها على قولها

ج يترجم هكذا " لا تكون الرواية رواية مالم تكن نوادرها غريبة " او " اول شرط من شروط الرواية ان تكون وقائعها غريبة مدهشة " هذا هو المعنى المراد ويسهل سبكهُ على صور شتى والظاهر ان كبار مؤلفي الروايات كدوماس الاكبر والاصغر جروا على هذه الخطة في تأليف رواياتهم فافلحوا

(٢) صرف عمر

ومنهُ . دار البحث منذ مدة بين بعض العلماء على مسألة صرف عمر فما الذي انتهت اليهِ هذه الابحاث

ج اطلعنا على مقالة في هذا الموضوع لحضرة الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي اقام فيها الادلة على منع عمر وخالف حضرة الشيخ محمد محمود الشنقيطي الذي قال بصرفهِ ومن ادلتهِ على منعهِ انهُ جاء في كلام العرب ممنوعاً لا مصروفاً ومن الشواهد على ذلك قول الفرزدق

ان الارامل والايتام اذ هلكوا
والخيل اذ هزمت تبكي على عمرا

وقول الكميت

اهوى علياً امير المؤمنين ولا
ارضى بشتم ابي بكر ولا عمرا

وقول غيرهِ

اشبهت من عمر الفاروق سيرتهُ
سن الفرائض وأتمّت بهِ الامم

وقول عمر بن ابي ربيعة

كيف لي اليوم ان ارى عمر المر
سل بالهجر قبل ان يلقاني

ثم ان اللغة نقلية لا قياسيَّة قال ابن هشام اللغة لا تثبت بالقياس وقد جاء السماع بالمنع فلم يبقَ للقياس مجال وقد اجمع اهل الحديث على منع عمر في روايتهم واسانيدهم ولو صحَّ هذا الاجماع على باطل لضاعت الثقة باصول الدين . انتهى كلام الشيخ احمد

الشنقيطي بإيجاز كثير. والمسألة لا تستحق ان يعنى بها اكثر من واحد او اثنين

(٣) فوائد فلسفة سبنسر

ومنهُ . ما هي الفوائد التي عادت على العالم الى الآن من فلسفة سبنسر

ج ان الارتقاء العقلي والمادي اللذين احرزتهما اوربا واميركا منذ خمسين سنة الى الآن مؤلفان من امور عديدة بعضها تسهل نسبتهُ الى الذين اكتشفوهُ او اوجدوهُ كالتلغراف وسكك الحديد والتطعيم الواقي من الامراض. واكثرها يتعذَّر ردهُ الى الذين اوجدوهُ ومن هذا القبيل اكثر القضايا التي تنير العقل وترشد الى طرق البحث المنتجة. ويظهر لنا ان مقالات سبنسر وكتبهُ كان لها الشأن الاكبر في انارة عقول الامم التي قرأتها والعقل المستنير يكون اقدر من غيرهِ على جلب المغانم ودفع المغارم. راجعوا خطبة الاستاذ رمسي رئيس مجمع ترقية العلوم الاميركي التي نشرت في الجزء الماضي وخطبة السر نورمن لكير رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني المدرجة في جزء اكتوبر الماضي تحت عنوان العقل والعمران

(٤) اصل الكلب

بيروت . المدرسة الكلية . ايليا افندي بارودي . اصحيح ما يقال من ان الكلب يكلب اذا اكل لحم انسان

ج كلاَّ

ومنهُ . ورد في الحكم والامثال التي نشرت في المقتطف بقلم جناب الدكتور ورتبات قولهُ "ليس من الحق ان يعلن الحق دائمًا" أفيجوز الكذب اذًا وكيف تعللون ذلك

ج كلاَّ لا يجوز الكذب ولكن بين الكذب وعدم اعلان الحق في بعض الاحوال فرقًا كبيرًا مثال ذلك ان تعلم ان بنكًا من البنوك خسر في بعض اشغالهِ فاذا اعلنت ذلك تهافت الناس الذين لهم اموال في ذلك البنك على استلام اموالهم منهُ دفعةً واحدة فيضطر ان يوقف الدفع ويفلس فتضر اصحابهُ ضررًا كبيرًا. واذا لم يعلن ذلك فالغالب انهُ يصلح امورهُ ويسدد ما خسرهُ من مكاسبهِ فلا يقع ضرر على احد. كذلك اذا كنت قائدًا لجيش مملكة ولك اطّلاع على مواقع حصونها ورسوم تحصينها فاذا اعلنت ذلك للاعداء حتى ولو سألوك عنهُ فانك قد تخرب بلادك باعلانهِ والواجب عليك في هذه الحال ان تكتم ما تعلمهُ تمام الكتمان ولا تبوح بهِ لعدو. ولا يكلَّف الانسان باعلان كل ما يعلمهُ سواء كان من اعلانهِ نفع او ضرر

(٥) التعليم

هل المقدرة على التعليم طبيعية او اكتسابية

ج طبيعية ولكنها تقوى وتتدرب بتعلم اساليبهِ والتمرن عليها

(٦) تعريب كلمة

ومنهُ ما احسن كلمة لتعريب الكلمة الانكليزية Cooperation

ج يختلف معناها حسب موقعها فتأتي بمعنى جمعية او شركة او اشتراك او تعاون وتطلق على الجماعات الذين اتفقوا على ان يعاون بعضهم بعضاً في الاعمال سواء كانت صناعية او تجارية ويقتسمون ربحها . ويحسن في هذه الحال ان تطلق عليهم كلمة شركة

(٧) كتب سبنسر

باكوس . محمود افندي توفيق . هل نقل شيء من كتب سبنسر الى العربية

ج اعلنا قبلاً ان حضرة نجيب بك شقرا ترجم كتاب سبنسر في التعليم وشرع في طبعهِ وكتب الينا الآن حضرة فارس افندي الخوري من دمشق انهُ شرع في ترجمة كتاب سبنسر في مبادئ السيولوجيا وهو في ثلاثة مجلدات كبيرة تملأ نحو الفي صفحة بقطع المقتطف. ولا نعلم ان احداً ترجم كتاباً آخر من كتبهِ الى العربية . اما سؤالكم عن ثمن بعض الكتب فنجيب عنهُ انهُ يصعب علينا ان نجيب كل من يسألنا عن اثمان الكتب ونفضل ان لا نفتح علينا هذا الباب لاسيما وان باعة الكتب مستعدون للاجابة عن كل سؤال من هذا القبيل

(٧) افيد كتاب

ومنهُ . ما هو افيد كتاب لمن يريد ترقية عقلهِ وتوسيع دائرة تصوُّرهِ

ج لقد اتسع نطاق المعارف جدًّا حتى يتعذَّر علينا ان نشير عليهِ بكتاب واحد فان كان يحسن الانكليزية او الفرنسوية ففي كل لغة منهما سكلوبيذيات مختصرة كسكلوبيذيا تشمبرس في الانكليزية وبوليه في الفرنسوية وكلٌّ منهما يفي بالغرض

(٩) اصل الموز

مصر . الشيخ عزب التفهني . قرأت في كتاب الرحَّالة عبد اللطيف البغدادي ان شجر الموز مركب من القلقاس ونوى النخل تجعل النواة في جوف القلقاسة وتغرس فهل هذا صحيح

ج كلاَّ . وهذه النباتات الثلاثة من فصائل مختلفة يستحيل ان يتولد بعضها من بعض بيد الانسان

(١٠) ابواب المقتطف

بيروت المدرسة الكلية . انداروس افندي الشخاتيري . في المقتطف سبعة ابواب باب المراسلة والمناظرة و باب الصناعة الخ . وهذه الابواب على اختلاف مواضيعها تأتي في كل جزء متسلسلة الارقام كأنها كتاب واحد أفلا يوافق جعل كل باب منها مستقلاً بارقامهِ كالرواية التي تنشر في اواخر كل عدد حتى اذا انتهت السنة ورام المشترك تجليد الاعداد فصل الابواب كل باب على حدة كما يفعل الآن بالرواية

ج لو فعلنا ذلك لاضطررنا ان نجعل كل باب ثماني صفحات تماماً او ست عشرة صفحة . والتقيُّد بجعل الكلام يملأ صفحات محدودة لا يزيد عليها ولا ينقص عنها صعب جدًّا ولا يحسن ختم الكلام في آخر الصفحة قبل ان ينتهي المعنى

باب الاخبار العلمية

اتفاق انكلترا وفرنسا على مصر

من اكبر مضار الحكم الاستبدادي ومنافعهِ ان خطأ الحاكم يضرّ بالرعية كلها كما ان اعتداله وحسن سياستهِ يفيدانها كلها. ومن حسنات الزمان ان يحوّل الضرر العاجل الى نفع آجل كما حدث في هذا القطر فان اسراف الخديوي الاسبق حمّل هذا القطر حملاً ثقيلاً من الدين تنوء تحتهُ مملكة كبيرة لكن هذا الدين دعا الى الاحتلال والى ما نراهُ الآن من حسناتهِ . وقد بقيت ايدي المحتلين مغلولة بالقيود المالية لا تستطيع ان تنفق ما يزيد من دخل الحكومة على ما يرقي شؤُون الاهالي الى ان تمَّ الاتفاق اخيرًا بين انكلترا وفرنسا على كسر القيود القديمة واطلاق ايدي الحكومة المصرية حتى تنفق فضلة دخلها على ما ترى فيهِ مصلحة لبلادها وتسلم ايضًا الاموال المجموعة الآن في صندوق الدين ولا تبقي فيهِ الاَّ نحو مليوني جنيه مالاً احتياطيًا . ولا بدَّ من ان تستخدم هذه الاموال كلها مع ما يزيد من دخلها سنويًا لعمل الاعمال النافعة التي يزيد بها تقدم البلاد ماديًا واديبًا

واتفق ان السر الدن غورست مستشار المالية السابق الذي كان لهُ يد في هذا الاتفاق بين انكلترا وفرنسا حضر الى مصر مودّعًا فاولم لهُ اصدقاؤُهُ وليمة فاخرة حضرها جمهور كبير منهم ووقف فيها اللورد كرومر خطيبًا فقام بالخطبة التالية معربًا فيها عن خطة المحتلين التي اتبعوها في مصر وعن فائدة هذا الاتفاق الاخير بينهم و بين فرنسا لهذا القطر قال ما تعريبهُ

اذن لي عطوفة رئيس النظار في مخاطبتكم بكلمات قليلة . وقد بنيت حقي في هذا الخطاب على كوني قد وجدت ما لم يجدهُ غيري من الفرص السانحة لقدر خدمة السر الدن غورست لهذا القطر حق القدر . فانهُ من الفئة الصغرى من اولئك الاوربيين الذين قضوا الاعوام والسنين وهم ينفذون السياسة التي شعار اهلها « مصر للمصريين » لا بالمعنى الذي قد يتبادر الى بعض الاوهام بل بالمعنى الذي تكون بهِ الآن وايضًا في مستقبل الزمان سياسة يمكن العمل بها وتنفع كل من في مصر بفوائدها على اختلاف شؤُونهم وتعدد مصالحهم . وهذه السياسة ليس مضمونها ان حكام مصر كلهم لا يكونون الاَّ من المصريين الوطنيين بل مضمونها ان المحك الذي تحك

بهِ كل مسألة مصرية لكشف جوهرها ومعرفة كنهها هو البحث والاستعلام لمعرفة قدر ما فيها من الموافقة لمصالح السكان في بر مصر على اختلاف اجناسهم وادياناهم ونحلهم ومللهم

سادتي — قال رجل من اعقل ارباب السياسة الذين نبغوا في انكلترا ان اعظم امر يجب على رجال الاصلاح توجيه انتباههم اليهِ هو تعيين الامور التي لا يصلحونها [1]. ورأيي من قديم الزمان الى الآن هو انهُ يجب على كل اوربي تقلّد منصباً ادارياً سامياً في الشرق ان يجعل قول ادمند برك هذا نصب عينيهِ دائماً. فان الشواهد عديدة في تاريخ انكلترا بل في تاريخ غيرها من البلدان الاوربية التي لها املاك شرقية على ان اغفال ذلك الحكم الصحيح افضى الى عواقب وخيمة مع ان اغفالهُ كان مقترناً باحسن نية واخلص طوية. وعندي ان احق دعوى تقام على عد السر الدن غورست من المصلحين المفلحين هي كونهُ قد ادرك حق الادراك "ان الشرق شرق والغرب غرب" وهذا الحكم وان كان كل احد يسلم بصحتهِ نظراً لكني وجدت انهُ قد ينسى عملاً اما لفقد قوة الخيال السياسي او لاسباب اخرى

على اني لا اطيل الكلام في هذا الموضوع الكثير المادة الجليل الفائدة لعلي انكم ترومون ان يكون كلامي على العمل العظيم الاهمية الذي كان السر الدن غورست يعملهُ اخيراً فاقول بالايجاز

سادتي — ان الحاضرين من ابناء وطني بينكم قد يتذكرون قول ولكس الخطيب وزعيم العامة المشهور للملك جورج الثالث. قال «تعلمون جلالتكم اني لم اكن قط في عمري من اتباع ولكس». فهذا القول يصح لي انا ايضاً ان اقول مثلهُ مهما كان في قولي من الغرابة لاني وان اكن احدّ بمثابة شخص الاحتلال البريطاني لمصر منذ زمان طويل فالحق اني لم اكن قط في عمري احتلالياً ذا حمس وشغف بالاحتلال ولكني رأيت انا بعد ما وضعنا يدنا على المحراث لم يبقَ لنا سبيل الى النظر الى الوراء [1]. وقد ادركت الفوائد التي استفادها المصريون انفسهم وكل الذين لهم علاقة بمصر من هذا الاحتلال اذ لا يجهل احد تلك الفوائد الا من اغمض عينيهِ عن رؤيتها عمداً

اما الفوائد التي استفادتها الامة البريطانية من هذا الاحتلال ففيها نظر لانها ليست واضحة كالفوائد التي استفادها المصريون منهُ وهي في نظري اثنتان الاولى اننا ربحنا ربحاً ادبياً لا اقصد الحط من قيمتهِ باصلاحنا بلاداً لها في التاريخ شأن عظيم بعد ان كانت

(1) (المترجم) لان الذي يعين ما لا يجب اصلاحهُ يعين حتماً ما يجب اصلاحهُ ويصلحهُ

(1) (المترجم) اشارة الى آية الانجيل الواردة في لوقا 9 : 62

على شفا الخراب . والثانية اننا منعنا شؤون مصر المحلية من ان تكون مصدر هم وقلق ومشاغل ونحن لنا ولسائر اوربا . ولكننا خسرنا على ربح هاتين الفائدتين العظيمتي القيمة فائدة اخرى تساويهما في القيمة فان احتلالنا لمصر افضى بحكم الضرورة الى وقوع الجفاء والبعاد بيننا وبين الامة العظيمة التي هي اقرب جاراتنا والتي يتمنى كل عاقل من رعايا ادورد السابع ان يكون على حبٍّ ووئام معها ويهم كل عاقل منهم دوام الصداقة والمودَّة بيننا وبينها

سادتي — اني قضيت في مصر واختبار اهلها ما ينيف على ربع قرن وشهدت الزمن الذي كانت انكلترا وفرنسا تسيران فيهِ هنا يدًا بيد . وقد طالما تذكرت تلك الايام والاسف ملء الفؤاد ولكنني لم اقطع الامل من ان تسنح الفرصة يوماً لا لاعادة النظام الذي كان متبعاً في هاتيك الايام اذ قد اصبح غير قابل للاعادة الآن بل لاعادة الصداقة والوئام اللذين كانا اساس ذلك النظام

وقد اجهدت نفسي لبلوغ هذهِ الغاية في العشرين سنة الماضية . اننا نحن الفرنسويين والانكليز قد تخاصمنا وتنازعنا وربما كان لكلٍ امة من الامتين حق في الشكوى من الاخرى ولكني لا اتعرض لذلك وانما اقول بضمير خالص واؤكد بذمة طاهرة اني كنت دائماً افرغ وسعي في فض كل مشكل محلي يقع بيننا ويكون فضهُ في طاقة يدي على وجه لايكدر صفو العلائق بين الامتين ولا يوسع الخرق الذي كان لسوء الحظ بينهما . وما دام كلامنا في المصالحة اقول اني وجدت في هذهِ الاعوام الاخيرة مصالحاً وافاني الى منتصف الطريق وهو ذلك الرجل النبيل الذي شق علينا موتهُ اخيرًا اعني بهِ صديقي الفاضل المرحوم ورصيفي المسيو كوجردان الذي يسرنا ان نرى خلفهُ حاضرًا بيننا الآن . فالمسيو كوجردان اذا اجيز لي ذكر خدمهِ — ايها السادة — اقول انهُ ادَّى الخدم الجليلة ليس لبلادهِ فقط بل لمصر ايضاً وللعلائق الدولية كذلك . فانهُ اعان احسن اعانة في تحويل تلك العلائق الدولية عن "الخطوط الضيقة الى الخطوط الواسعة"

ان رجال السياسة وارباب المناصب في الدولة يتمنون كثيرًا ان تصح احلامهم السياسية ولكن قلما يتيسر لهم ذلك في هذه الايام التي اصبح زمام الامور فيها بيد الجمهور ما لم تكن تلك الاحلام مطابقة لمجرى الرأي العام كما جرى في السنة الماضية . فان زيارة الملك ادورد السابع لباريس وزيارة رئيس الجمهورية الفرنسوية للندن فتحتا عيون الامتين فجأة على ما يظهر حتى رأتا الحقيقة الاولية البادية للعيان وهو ان الأولى بهما ان تنظرا معاً وتبحثا بحث الاحبة في حل كل

مشكلة تختلفان عليها لان ذلك خير لهما من ان توسع كل منهما اختها تعنيفاً ولوماً وتنديداً وذماً فحينئذٍ قام الذين يديرون الامور وراء الستور وتولوا ذلك الامر مستبشرين بالنجاح وقد تم لهم هذا النجاح الان . واقول ان الفضل في كثير من ذلك كان للسر الدن غورست على ما ابدى من الحذق والحصافة في ما يختص بشؤون وظيفتهِ من فروع ذلك الموضوع واخص اسماً آخر بالذكر مع ذكر اسمهِ وهو المستر برانييت نانهُ اقدم على الدكريتات الخديوية التي كان القانون المالي المصري منها حينئذٍ والتي كانت تشبهُ في اختلاطها الاجمة الملتفة الاشجار المشتبكة الاغصان فتجشم المشاق وقاسى الاتعاب حتى استخرج منها قانوناً بسيطاً مفهوماً

ولست اقصد ايها السادة ان اقدم على عمل يعد من قبيل العبث في ذاتهِ ولا يكسب عاملهُ شكر غيرهِ وهو تعيين المزايا التي امتاز بها نصيب كل امة من الامتين في الاتفاق الذي عقدتاهُ حديثاً وانما اقول انني ارجو ان هذا الاتفاق يكون اساساً لصداقة دائمة بين فرنسا وانكلترا صداقة تنفعهما وتنفع العالم بأسرهِ معهما . واقول واؤكد بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جميع ابناء وطني في مصر اننا لا ندخر وسعاً في اجتناب كل الاسباب الجزئية المؤدية الى سوء التفاهم والاختلاف مما يمكن ان يكون قد وجد هنا قبلاً ،

ولا ريب عندي ان تقدم مصر يسهل كثيراً في المستقبل بهذا الاتفاق الذي امضي الان تخلد للمسيو دلكاسي واللورد لنسدون صيتاً لا يزول على مرّ الزمان . لانهُ يكسب الحالة المصرية من الثبات والمتانة ما لا يتيسر لها من دونهِ . ويتوقف تقدم مصر ايضاً على امور أُخرى اخصها ما يأتي

اولاً سمو الامير ونظارهِ وحسن ميلهم . فقد سمعتم ما القاهُ رئيس نظار سموهِ على مسامعكم وكلنا يعلم انهُ اذا قال عطوفة مصطفى باشا فهمي قولاً فهو يعني ما يقول . واني واثق من ان عطوفتهُ قام بالواجب فعبر عن عواطف الجناب العالي نفسهِ

ثانياً الحصول على خدمة عدد قليل من الموظفين الاكفاء السامي المدارك كالسر الدن غورست والمستر فنسنت كوربت الذي هو خير خلف لهُ وحفظ التقاليد التي آلت اليهِ

ثالثاً واخاف ان هذا الامر الثالث الذي يتوقف عليهِ تقدم مصر يخيب آمال البعض منكم — الاستمرار على الاقتصاد الشديد في ادارة مالية الحكومة — فاني ارى الناس عموماً يتصورون انهُ اذا وافقت سائر الدول على الاتفاق المعقود بين فرنسا وانكلترا تيسر للخزينة المصرية ان تتصرف باموال طائلة من الايراد السنوي ومن الاموال التي تصرف وتحسب من رأس المال . وهذا صحيح ولكني ارجو ان رؤساء المصالح الاميرية وغيرهم من

الذين تهمهم الامور المصرية لا يتوهمون من ذلك ان مصر بلغت ابان نعيمها واوج سعادتها المالية اذ هي لا تزال بعيدة عن ذلك بمراحل كثيرة · والمأمول ان التقاليد التي اثبتها السر الدن غورست والسر ادجر فنسنت والسر الون بالمر قبلهُ تدوم بعد ذهابهِ · على اني ارجو ان يبسط الكف بعض البسط حيث تمس الحاجة الى بسطها جدًّا ولكن الحذر من الاسراف والتبذير والسهر على الحرص وحسن التدبير يدومان على ما كانا من الشدة · وانما اعلق الامل بامر واحد وهو ان احدى العبارات القليلة التي اعلمها من العبارات المصرية العامية وهي قولهم (مافيش فلوس) لا تبقى من الان فصاعدًا محط كلام الخزينة المصرية

لم يبقَ عندي ما يقال سوى اننا نحن الذين تقادم عهد معرفتنا للسير الدن غورست في مصر نتمنى لهُ كل نجاح في المستقبل العظيم المفتوح امامهُ · وان كان مسير ذلك المستقبل على منهج مالي فنحن ندعو لهُ ان يكون مستقبلهُ دائمًا في بلاد يزيد ايرادها على نفقاتها كالزيادة المصرية التي هي من مستنبطاتهِ · على انهُ مهما كان من امرهِ في المستقبل فانهُ يحق لهُ ان يلتفت دائمًا الى ما عملهُ في هذا القطر ويتذكرهُ جذلاً مسرورًا

كلنا ايها السادة المتعاونون على العمل معًا قد ضربنا قوات التأخر والتقهقر في هذا القطر ضربة لا قيام لها منها وان كانت انكلترا تقوم بالواجب عليها لنفسها ولمصر وللعالم المتمدن — وانا واثق بقيامها بذلك الواجب — فقوات التأخر لن تجد الى القيام من تلك الضربة سبيلاً · انتهى

الظواهر الفلكية في شهر مايو

اوجه القمر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	٧	١	٥٠	بعد الظهر
الهلال	١٥	٠	٥٨	" "
الربع الاول	٢٢	٠	١٩	" "
البدر	٢٩	١٠	٥٥	قبل الظهر

السيارات

عطارد — نجم المساء في اوائل الشهر ثم يدنو من الشمس ويصير نجم الصباح في اواخر الشهر

الزهرة — تشرق الساعة ٤ ونصف صباحًا

المريخ — لا يرى بسهولة لقربهِ من الشمس

المشتري — يشرق قبل الشمس بنحو ساعة ونصف

زحل — يشرق بُعَيْد نصف الليل

الثوابت

الصور الجنوبية · تشرق السنبلة الساعة التاسعة مساء واكبر نجومها السماك الاعزال وتحتها الغراب وفيهِ منقار الغراب والكوكبان المسميَّان بالحبا · ويكون قنطورس قرب الافق ·

ومن لقصر فما فوق جنوبًا يرى الصليب الجنوبي على الماجرة

تلغراف بجوت

جورج بجوت Piggott شاب اميركي اكتشف طريقة لتوليد امواج كهربائية تنتقل من مكان الى آخر من غير اسلاك معدنية ومن غير اعمدة تنصب في الجو كالاعمدة التي تستعمل في تلغراف مركوني . وقد ارسل الاشارات التلغرافية بها مسافة ٣٠٠ ميل من غير اسلاك . وعنده ان الاثير صلب كالمعدن فاذا تغيَّر وضع دقيقة منهُ في جهة من الجهات تغير وضع كل دقيقة اخرى منهُ فيشعر بتغيرها في كل مكان اذا وجدت آلة شديدة الشعور تشعر بذلك . وقد استنبط آلة شديدة الشعور لذلك

اسرع البنادق

استنبط رجل اميركي اسمهُ مكليان بندقية تطلق ١٥٠٠ طلق في الدقيقة الواحدة ومدفعًا يفعل هذا الفعل ويصيب الغرض على ثلاثة اميال . فاذا تسلح الف جندي بهذه البنادق او المدافع حصدوا الجيوش بها حصدًا

العنبر الشمالي

يندر وجود العنبر في الحيتان الشمالية لكن قُتل حوت في الصيف الماضي بين اسلندا ونروج وجد فيهِ قطعة من العنبر زنتها اربعة ارطال ونصف اي نحو ٦٥٠ درهمًا وثمن الدرهم من العنبر الجيد نحو ثلاثين غرشًا

انحلال عنصر

من العناصر المعدودة بسيطة عنصر الثوريوم وقد مرَّ الكلام عليهِ في اوائل هذا الجزء لكن ظهر للاستاذ برونر المجري منذ سبع سنوات انهُ غير بسيط بل يمكن حلهُ الى عنصرين مختلفين وقد تبين الآن انهُ مركب من عنصرين الكارولينيوم والبرزليوم

عيون اجراء الحيوان

انتبه بعض الباحثين في طبائع الحيوان الى ان اجراءهُ تفتح العين اليمنى قبل اليسرى وذلك مطرد في كل الحيوانات التي تولد صغارها مغمضة العينين . والغالب ان العين اليمنى تفتح قبل اليسرى بست وثلاثين ساعة الى اربعين ساعة

سكان اميركا

احصي سكان الولايات المتحدة الاميركية في آخر العام الماضي فبلغ عددهم ٧٩٩٠٠٠٠٠ اي نحو ثمانين مليون نفس فزاد اربعة ملايين عما كان عليهِ سنة ١٩٠٠ . وكان عددهم سنة ١٨٠٠ نحو خمسة ملايين نفس لا غير وسنة ١٨٥٠ نحو ٢٣ مليونًا وسنة ١٨٨٠ نحو خمسين مليونًا فزادوا في مئة سنة نحو ١٥ ضعفًا واذا استمرت زيادتهم على هذا النسق مئة سنة اخرى بلغوا في آخر القرن العشرين الفاً ومئتي مليون من النفوس وذلك ضرب من المحال لان

المهاجرة الى اميركا لم تبق كما كانت قبلاً ولكن لا يبعد ان يزيد عددهم على نسبة ما زاد في السنين الاخيرة فيتضاعف كل ثلاثين سنة وحينئذ يبلغ في آخر القرن العشرين اكثر من ثلثمئة مليون نفس

الحوت واللغم

الحوت الكبير يشبه السفينة في ضخامة جسمهِ والظاهر انهُ معرَّض مثلها للتلف باللغم فقد روي ان حوتاً كبيراً مس طربيداً في فلادفستوك في الثلاثين من شهر مارس الماضي فانفجر اللغم وقتلهُ

القرود والجبال العالية

ذكرنا غير مرة ما يصيب الناس من الدوار اذا صعدوا الى اعالي الجبال وقد امتحن ذلك في القرود فظهر ان ما يصيبها اشد مما يصيب الناس وهو يشبه بفعل المخدرات فينبهها اولاً ثم يخدرها فتنام وتفقد الشعور ثم تموت

ادمغة السودانيين والقرود

في دماغ القرد تلفيف يسمى التلفيف القردي لا وجود لهُ في ادمغة الناس التي بحث فيها علماءُ اوربا . وقد ادعى الاستاذ اليوت سمث من اساتذة مدرسة قصر العيني الطبية انهُ اكتشف هذا التلفيف في ادمغة السودانيين وفي ادمغة المصريين ايضاً فان كان ما اكتشفهُ صحيحاً فقد زال بهِ فارق من الفوارق التي كان يدعى انها فاصل بين الانسان والحيوان

معدن الكلسيوم

الحجارة الكلسية منتشرة في كل مكان ونحو سبع قشرة الارض من الكلسيوم ومع ذلك فالحصول على هذا العنصر بسيطاً نادر جداً . الاَّ ان الاستاذ بورشر الفرنسوي اكتشف الآن طريقة قليلة النفقات لاستخراجهِ فصار يسهل الحصول عليهِ بثمن رخيص جداً . وهو معدن منطرق اصلب من الرصاص واخف من الالومنيوم ثقلهُ النوعي ١٫٥٨ وسيكون لهُ شأن كبير في سبك المعادن ولا سيما في سبك الحديد لانهِ يمتص الاكسجين بسهولة تامة

نقل الصور بالتلغراف

لنقل الصور بالتلغراف اساليب مختلفة احدثها استعمال السلينيوم لتوليد الكهربائية والانابيب المفرغة لقبولها فانهُ اذا مرَّت صورة فوتوغرافية امام بطرية صغيرة من السلينيوم اثر ما في الصورة من اختلاف البياض والسواد ببطرية السلينيوم فجرى منها مجرًى كهربائي قوي او ضعيف حسب اختلاف النور والظلمة . ثم ان الانابيب المفرغة تتأثر بهذا المجرى الكهربائي مهما كان ضعيفاً فيرسم الصور الاصلية وتنقل بهِ الكتابة كما تنقل الصور فتنقل اربعون كلمة في نحو ثلاث دقائق

الدكتور كوخ

مرَّ الدكتور كوخ بالقطر المصري في رجوعهِ الى اوربا فاستشارتهُ الحكومة المصرية

في امر طاعون البقر الفاشي فيها فوجد ان الطاعون الفاشي في مواشي القطر المصري من نوع الطاعون البقري ولكنهُ يختلف عن الطاعون الذي فشا في جنوبي افريقية بعض الاختلاف فهو اقل فتكاً هنا على ما يظهر لان وفياتهِ في البلدان الاخرى زادت على ٩٠ في المئة وبعض اصاباتهِ الشديدة هنا يشفى من نفسهِ . وقد شرَّح مواشي ماتت بالطاعون واخرى ماتت موتاً طبيعياً فظهر لهُ ان تأثير الطاعون فيها اخف من تأثيرهِ في مواشي البلدان الاخرى وظهر لهُ ان هذا الطاعون مقترن بعلة اخرى سببها ميكروب في الدم يشبه الحوبوين الذي يكون في حمى ساحل افريقية . والاوجه عندهُ ان الطاعون البقري المصري من نوع المرض الذي يصيب المواشي الروسية في جهات القوقاس . وسنأتي على ترجمة تقريرهِ في الجزء التالي

المحاريث البخارية

قال لنا احد المديرين ان طاعون المواشي سيكون من ورائهِ خير كبير لهذا القطر لانهُ سيضطر الناس الى استعمال المحاريث البخارية فتغنيهم عن المواشي ونفقاتها الكثيرة . ويظهر لنا ان الامر كذلك فقد احضر ولدنا نجيب صرُّوف محاريث بخارية من اميركا خفيفة الوزن قوية الفعل رخيصة الثمن يحرث المحراث منها من فدان ونصف الى ثلاثة افدنة في الساعة ولا يحرق الاَّ مقدارًا قليلاً من الفحم ولا يحتاج الاَّ الى مهندس عادي ووقاد وحرَّاث يجلس على كرسي الاسلحة (السكك) وقد جرِّب محراث من هذه المحاريث في ارض صلبة جداً كانت مزروعة ارزاً وتركت من غير ري منذ حصد الارز منها الى الآن فحرث منها فدانين كل ساعة . والغالب ان زوج الثيران القوية لا يحرث الفدان منها في اقل من ثلاث ساعات . وسنصف هذه المحاريث بالتفصيل في الجزء التالي

ما اصيب من اسطول الروس

وصفت السينتفك اميركان السفن الروسية التي اصيبت في هذه الحرب حتى آخر شهر فبراير وبينت اقدار كلٍ منها وثمنهُ وهي

الزارفتش بارجة من الطبقة الاولى انزلت الى البحر سنة ١٩٠١ ثمنها ٣٨٠٠٠٠٠ اجنيه وقد اصيبت بطربيد ثقب احدى غرفها ولم تصلح حتى الآن

رتفيزان بارجة من الطبقة الاولى انزلت الى البحر سنة ١٩٠٠ ثمنها ١٣٠٠٠٠٠ وقد اصيبت بطربيد ايضاً

البلتافا بارجة انزلت الى البحر سنة ١٨٩٤ ثمنها ١١٠٠٠٠٠ اصيب بقنبلة خرقتها تحت حد الماء

البلادا طراد محمي سرعتهُ عشرون ميلاً بحريًّا انزل الى البحر سنة ١٨٩٩ ثمنهُ ٦٠٠٠٠٠

جنيه اصيب بطربيد

اسكلد طرّاد محمي سرعتهُ ٢٢ ميلاً انزل الى البحر سنة ١٨٩٩ ثمنهُ ٦٠٠٠٠٠ جنيه ثقب عند سطح الماء

ديانا طراد محمي سرعتهُ ٢٠ ميلاً انزل الى البحر سنة ١٨٩٩ ثمنهُ ٦٠٠٠٠٠ جنيه ثقب عند سطح الماء

الفارياق طرّاد محمي سرعتهُ ٢٤ ميلاً وستة اعشار انزل الى البحر سنة ١٨٩٩ وثمنهُ ٦٠٠٠٠٠ جنيه اغرقهُ رجالهُ

البوبارين طرّاد محمي سرعتهُ ٢٢ ميلاً ونصف ميل انزل الى البحر سنة ١٩٠٠ وثمنهُ ٢٨٠٠٠٠ جنيه نسف بلغم

نوفك طرّاد محمي سرعتهُ ٢٦ ميلاً بحريًّا انزل الى البحر سنة ١٩٠٠ ثمنهُ ٣٦٠٠٠٠ ثقب عند حد الماء

كوريتز مدفعية سرعتها ١١ ميلاً في الساعة انزلت الى البحر سنة ١٨٨٦ ثمنها ٩٠٠٠٠ جنيه غرقت في شموليو

الينسي سفينة لنقل الطربيد سرعتها ١٨ ميلاً انزلت الى البحر سنة ١٩٠٠ وثمنها ٨٠٠٠٠ نسفت بلغم

الجراد

مرَّ الجراد بالقطر المصري وطار فوق العاصمة في الحادي عشر من ابريل من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ونزل في اماكن مختلفة رزَّ فيها وباض وقد اهتمت الحكومة المصرية بامرهِ اهتمامًا عظيمًا وامرت باستخراج بيضهِ وحرث الارض التي باض فيها حتى يتعرَّض للشمس ويموت. ويرجى ان تتغلب عليهِ والتغلب عليهِ في هذا القطر اسهل من التغلب عليهِ في غيرهِ لان الارض تروى بسهولة فيموت ما فيها من بيض الجراد وصغارهِ

اقتداء انكلترا بمصر

ان السفن الكبيرة التي تمخر نهر التيمس الى مدينة لندن لا تجد الماء كافيًا لحملها في بعض الاحيان فتعاق التجارة بسبب ذلك. ويفكّر الانكليز الآن في انشاء سد على نهرهم مثل سد اصوان او سد اسيوط يعلو بهِ ماؤُهُ ويصير قادرًا على حمل السفن مهما كانت كبيرة ويكون لهُ اهوسة مثل اهوسة القناطر الخيرية وسد اصوان. ويجعل في السد سرب يصل بين ضفتي النهر. وتبلغ نفقات هذا العمل ثلاثة ملايين وسبعمئة الف جنيه

ميكروب الحمَّى الصفراء

اكتشف ميكروب الحمَّى الصفراء وهو جرثومة من نوع البروتوزون مثل جرثومة الملاريا والناقل لها من المريض الى السليم نوع من البعوض اسمهُ العلمي ستغوميا فاشياتا

اخبار الحرب

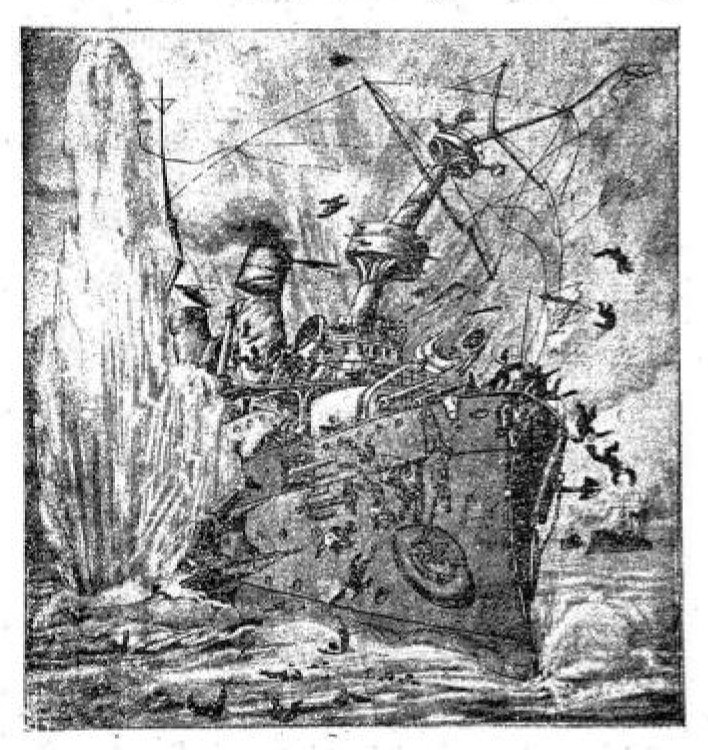


الاميرال ميكاروف

اهم ما جرى من حوادث هذه الحرب في الشهر الماضي ان الاميرال ميكاروف وهو اعظم امراء البحر الروسيين جُعل اميرالاً للاسطول الروسي الذي في بورت آرثر فانعش آمال الروسيين بشجاعته ومهارته وبينما كان ينازل الاسطول الياباني في الثالث عشر من شهر ابريل وهو في البارجة بتروبا ولسك نُسفت تلك البارجة نسفاً بلغم مستةٍ فتشققت ودخلها الماء وابتلعتها اللجج ولم ينجُ احد من الذين كانوا داخلها ولكن الذين كانوا على ظهرها قذفوا في جهات مختلفة من البحر فتمسك بعضهم بقطع من اخشابها وكانت بقية سفن الاسطول قد وقفت فانزلت القوارب وانقذتهم وبينهم الغران دوق سيريل

وكتب الاميرال توجو قائد الاسطول الياباني امام بورت آرثر يقول ما مفادهُ: ان النسافات اليابانية وصلت الى مدخل بورت آرثر في ١٢ ابريل نصف الليل ووضعت فيه الالغام تحت الماء ووصل القسم الثالث من الاسطول الياباني الى بورت آرثر الساعة الثامنة صباحاً فخرج الاسطول الروسي لقتاله فتقهقر امامهُ رويداً رويداً الى ان اجتذبهُ مسافة ١٥

ميلاً جنوباً بشرق وارسلت السفن اليابانية حينئذٍ رسالة بالتلغراف الذي لا سلك لهُ الى القسم الاول من الاسطول الياباني تخبره بخروج الاسطول الروسي الى عرض البحر تجاه الاسطول الياباني مسرعاً وهاجم الاسطول الروسي فعاد هذا راجعاً الى المينا وبينما هو راجع مسَّت البارجة بتروباولسك لغماً من الالغام التي وضعها اليابانيون فنسفها واغرقها انتهى . وقد صوَّر مصور نسف هذه البارجة ووقوع الناس منها قبل غرقها كما ترى



والاميرال ميكاروف كهل ولد سنة ١٨٤٨ وانتظم في سلك البحرية سنة ١٨٦٤ وعيّن قائداً لاسطول الطريد في الحرب بين تركيا وروسيا سنة ١٨٧٧ ورقي الى رتبة فيس اميرال سنة ١٨٩٦ وكان طويل القامة مهوب الطلعة وقد اسف عليهِ الجميع حتى اليابانيون خصومهُ

وعينت روسيا الاميرال سكريدلوف قائداً لاسطولها في بورت آرثر بدلاً منهُ وهو من نخبة قواد الروس وكان قائداً لاسطولهم في البحر الاسود

الفصل الرابع عشر

مهمة سياسية

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر جلست السيدة املي دشتون في كرسيها الهزاز امام النار تنتظر قدوم البرنس سكولوف بقلق زائد وصبر ذاهب ولم تخلُ ظواهر وجهها من لوائح هذا الاهتمام . لان الحصول على عشرة آلاف جنيه لم يكن امرًا سهلاً . على ان رجاء نيل هذا المبلغ اصبح الان اشدَّ منهُ قبل الظهر لان سرعة جواب البرنس سكولوف وتلبيتهُ دعوتها بشرتاها بأن عندهُ شيئًا مهمًا يروم انتدابها لهُ ويودّ ان يفوض اليها امر قضائهِ . ولا يخفى ان مهمات هذا البرنس وان كانت محفوفة بالاخطار والعراقيل كان لمن يقضيها أُجرة تملأ الجيوب وتسر القلوب

وما صارت الساعة الثالثة حتى سمعت قرعًا على باب دارها ثم عقبهُ دخول البرنس سكولوف فلم تنهض لاستقبالهِ بل اقتصرت على مد يدها اليهِ فانحنى لتقبيلها بمزيد الاحترام وافتتح الكلام :

— كيف حال صديقتي الجميلة

— اني في قلق لا مزيد عليهِ واروم قضاء شيء — شيء مهمٍ الى الغاية ولاجلهِ دعوتك الآن

— هكذا ظننت . فما هو المبلغ الذي تحتاجين اليهِ ؟

— عشرة آلاف جنيه

— عجبًا ؟ أهذا كل مطلوبك ؟

— نعم في الوقت الحاضر فهل يمكنني الحصول على هذا المبلغ ؟

— هكذا ارجو . وهو متوقف عليكِ ؟

— مرادك ان عندك شيئًا تروم مني قضاءهُ وهذا المبلغ يكون اجرتي او جزاء سعيي فيهِ . ولكني اروم الحصول على المال يوم الاثنين

— ان فعلتِ ما اريد — ففي الساعة الاولى بعد نصف الليل آتي اليكِ واعطيكِ المطلوب اوراقًا مالية او ذهبًا عينًا كما تريدين

— خلِ عنك المزاح يا سكولوف فليس لي عليهِ الآن طاقة . اني في اشد الاحتياج الى المبلغ المذكور

— لستُ مازحًا بل بجدّ انكلم . وقد بلغني ان اللورد ارلنفورد في حاجة الى عشرة الاف جنيه ويأمل انكِ تجدينها لهُ

— أجدها ؟ انها مبلغ فاحش

— نعم مبلغ فاحش — اعظم مبلغ دفعتهُ جزاء خدمة واحدة

— اظنك تروم مني قضاء شيء مستحيل

— ليس شيء مستحيلاً على سيدة جميلة حاذقة نظيرك

فرفعت نظرها اليهِ وتفرست فيهِ ملياً وهي تحدث نفسها وتعللها بادراك المنى وتسهل عليها العقبات التي توقعت عروضها في طريق العمل الذي عزمت على مباشرتهِ طمعاً في نيل الجائزة ثم سألت البرنس : — ماذا تروم مني ؟

فاجابها بكل رصانة : — ايتها السيدة . اني عالم يقيناً انهُ ليس من امرأة انكليزية تستطيع مجاراتكِ في السعي بحزم ودراية . وكثيراً ما خدمتني في ما يسمى حوادث سياسية ولم استخدمك قط في مانطلق عليهِ اسم عراقيل سياسية . اما الان في عزمي ان ادعوك الى مهمة أعلى شأناً واجلّ اعتباراً مما اقدمت عليهِ في الماضي

فسألتهُ مرتابة : — لماذا لاتدعو اليها الشيطانة الجميلة

— فقال لان البارونة التدورف الان في تركيا لاسباب صحية

— لا بأس . اطلعني على مرادك فسأقدم على قضائهِ كيف كان

— لاريب عندي في انك تقدرين ان اردتِ . لكنهُ شيء اعظم من سرقة رسالة او سلب اقرار ؟ اعيريني سمعك ؟ فانتِ مدعوة هذا المساء لتناول الطعام عند اللورد ارلنفورد لوداع القائد او بين غودارد وهو سيزايل لندن في قطار الليل المخصوص على طريق دوفر الى فينا ومن ثم الى الاستانة فينبغي ان لا يذهب

— ماذا ؟

— يجب ان يعاق عن السفر

— ومن ذا يعوقهُ ؟

— انتِ

— انا ؟

— نعم

— ابجدٍّ تطلب هذا ؟

— او بجدٍّ تطلبين مني عشرة آلاف جنيه ؟

— اتعرف اوبين غودارد ؟

— اسمع به

— وكيف تتوقع عاقتهُ عن القيام بخدمتهِ ؟

— لو عرفت كيف يتمُّ ذلك لكفيت نفسي مؤونة دفع هذا المبلغ ؟

— اذًا الاولى بي ان أيأس من نيلهِ . فان ما ترومهُ مستحيل . وغير خافٍ عليك ان القائد المذكور سيكون مخفورًا بالحراس من حين خروجهِ من بيت ارلنفورد حتى دخولهِ القطار فكيف يمكن توقيفهُ

— لا يمكن ولا انا بطالب ذلك — بل أريد عاقتهُ الى صباح الغد فقط . لانهُ يهمني تأخير رسائلهِ بضع ساعات . فلسنا في شيء من امر الحراس لان موضوعنا عدم انطلاقهِ في الوقت المعين ليس الاَّ

— اذًا تروم مني منعهُ وحملهُ على البقاء في لندن ؟

— انتِ تعرفينهُ من يوم كنتِ في الهند أليس كذلك ؟

— بلى ولكن كان ذلك من عهد طويل . اما الان فليس لي عليهِ سلطة . فاجابها ناظرًا الى ساعتهِ : — ينبغي ان اذهب ومن الآن الى نصف الليل يتسنَّى لامرأة نظيركِ ان تقلب مملكة . فراجعي المسألة ورددبها في ذهنكِ وقلبي نظركِ في جميع اطرافها . والساعة العاشرة اكون في بيت ارلنفورد والساعة الحادية عشرة تنصبين مكيدتكِ ايًّا كانت . وعند نصف الليل ينبغي ان يسير قطار البريد بلا رسول المملكة كما ارجو . والساعة الاولى بعد نصف الليل انتظرك لكي ادفع المبلغ المطلوب . فالى اللقاء — عن قريب

وقبلما تمكنت من النطق بكلمة واحدة خرج البرنس ودوت بهِ مركبتهُ في الشارع فرجعت الى كرسيها واستلقت عليهِ بلا حراكٍ وعيناها شاخصتان في الحائط مقابلها

الفصل الخامس عشر

القائد اوبين غودارد

وفي الساعة الثامنة كانت السيدة دشتون في غرفة الاستقبال في بيت اللورد ارلنفورد مقابل النار فدعت اليها الخادم وسألتهُ : — اما انتهى امر العشاء بعد ؟

— كلاَّ يا سيدتي فقد تأخر هذا المساء

— عندما يأتي شقيقي كرتر دعهُ يدخل الى هنا

— "طبيب حاضر"

وبعد بضع دقائق، جاء اخوها فسألته بلهفة : — لقد ابطأت كثيراً حتى أشفقت انك تتأخر الى ما بعد العشاء . فقل لي ما وراءك ؟ هل نجحت مساعيك ؟

— بكل اسفٍ اقول لك انهُ تعذر عليَّ الحصول على المطلوب

— فماذا نفعل ؟

— لا اعلم . لم يبقَ عليكِ سوى سكولوف فقد اجتمعت بهِ قبيل العصر ومن حديثهِ علمت انهُ يحتاج اليكِ في قضاء مهمة ذات شأن واظنكِ شاهدتهِ

— نعم شاهدتهُ

— هل يقدر ان يساعدنا

— نعم إن —

— هه ! إن ! إن ! يا للداهية . كأنهُ لا بدَّ من " إن " فبلا ريبٍ تقدرين على امتثال ارادتهِ ويجب ان تمتثلي . فماذ يريد ؟

— انَّ القائد اوبين غودارد يبرح لندن هذه الليلة الى فينا مصحوباً برسائل

— نعم وما ذا يهمنا سفرهُ ؟

— سكولوف يروم عاقتهُ عن السفر ! هذه هي المهمة .

— لقد ازعجني امر هذا القائد

— اظنهُ محباً قديماً لالس ارلنفورد ولذلك يهمك امرهُ كثيراً

حقاً ! ولماذا ؟

— لانك انفقتَ مطايا جهدك في استمالة السيدة ارلنفورد اليك فاخفق مسعاك ولم تفلح ولن تفلح . وقد مهدتَ لنفسك سبيل الدخول الى بيتها بان اقرضت زوجها مالاً كثيراً وهوذا أنتَ الآن في بيتها فماذا انتفعتَ ؟

— ارى في كلامكِ شيئاً من الاستخفاف بي فلماذا ؟

لاني لا ارى منك نفعاً يبعثني على ملاطفتك واحترامك

— يالها من حجة قاطعة ! ولكن الا توجسين — ؟

ثم دخل الخادم واعترض تتمة كلامهِ بقولهِ لهُ ان اللورد ارلنفورد يدعوهُ الى العشاء . فخرج على الاثر . وبعد خروجهِ سألت الخادم : — من هنا

فقال مستر سنسنانوس الاميركي وتشارلس مدلتون واختهُ

— وماذا دعا الى تأخير العشاء الى الآن

– انتظار ضيف آخر — من هو

— القائد غودارد !

وهذه الجملة نطق بها خادم آخر دخل يعلن قدوم القائد المنتظر الذي تبعهُ على الاثر ودخل لكنهُ لم ينظر السيدة دشتون فالتفت اليهِ الخادم الذي كان يخاطبها وقال لهُ انهم لايزالون ينتظرون قدومكم لتناول العشاء فاجابهُ غودارد : —

— قل لهم اني انتظرهم هنا

— وانا اكون رفيقتك في الانتظار !

قالت السيدة دشتون هذا ونهضت مقبلةً اليهِ مادةً يدها واذ نظرها ناداها بزيد العجب والاستغراب

— اهلاً بداشي (ترخيم دشتون) كيف حالكِ ؟ يالكِ من ساحرة فتانة ٠

— صه ! لسنا الآن في الهند ٠ اذكر انهُ مضى على اجتماعنا في هاتيك الاطراف اكثر من سبع سنوات افهمت مرادي ايها القائد غودارد؟

— نعم ايها السيدة دشتون ٠ ولكن مالي اراكِ هنا ؟

— جئتُ زائرةً

– بدعوة مَن ؟

– ماذا يعنيك ؟

— انَّ لي بذا مأرباً يتوقف —

— على مَن ؟

— عليكِ

— او ليس عليك انتَ

— وعليَّ ايضاً

هذا كلهُ تمَّ بسرعةٍ تضاهي البرق وعقبهُ سكوتٌ قطعتهُ السيدة دشتون بالتفرُّس في وجه غودارد ثم قالت لهُ : —

— وماذا تروم معرفتهُ الآن ؟

— اظنك لا تحبين السيدة ارلنفورد بقدر ما تحبين زوجها اليس كذلك ؟

فنهضت على قدم الغيظ والحنق وقالت : —

— لم يعد يمكنني الصبر على هذه الاسئلة. فقل لي صريحاً ماذا يدعوك الى هذا التعريض

— اصغي اليَّ يا داشي. انهُ من الخشونة جرح احساسات امرأة. ويشقُّ عليَّ التعريض بك والتضييق عليكِ. ولكن السيدة ارلنفورد نسيبتي فلا ارى لكِ من حقٍ في هذا التصرُّف وانتِ هنا في بيتها. واخاف ان تضطرين بسلوككِ هذا الى تنبيهها وحينئذٍ يرجّح أنها

— تفعل حسب ما يأمرها زوجها — شأن النساء المطيعات — ولكن دعنا من هذا ولننسَ ما حدث متسامحين. واعلم اني لستُ بمطيلةٍ اقامتي هنا وسأزايل لندن في اقل من شهر. فلا حاجة لك الى القلق والخوف على السيدة ارلنفورد. وليس بخافٍ عليك انهُ يهمني ان اعيش برغدٍ وصفاء على رغم الموانع التي تحول دون تحقق هذه الامنية. وماذا ان أبت نسيبتك مجيئي الى بيتها وكان زوجها يريد ذلك. على ان اقامتي في لندن قصيرة وبعد رجوعي اليها سأعدّ فيها منزلاً فاخراً يزورني فيهِ اصدقائي الاخصاء

— وهل يهتمون بك كثيراً ؟

— الى الغاية فان احدهم البرنس سكولوف مثلاً حريص جدًا على اكرامي واحترامي ولذا تجد يخته واماكنهُ الخاصَّة في الملاعب والمراقص والمصايف والمتنزَّهات موقوفة على اشارتي. وتراهُ دائبًا في الاجتماع بي هنا في بيت اللورد ارلنفورد بعد ما يفرغ من اعمالهِ الرسمية. و —

ثم اعترض تتمة كلامها دخول السيدة ارلنفورد ومعها ابنة اسمها كتي مدلتون. فلما وقع نظرها على السيدة دشتون حيتها ببرودة وردَّت هذه تحيتها بمثلها. ثم التفتت الى غودارد وقالت: — اني مسرورة جدًا برؤيتك! كأنك غائبٌ منذ وقتٍ طويل. واظنك تعرف كتي مدلتون والسيدة املي دشتون —

فاعترضتها املي وقالت: عرفتهُ من قبل والآن كنَّا نجدِّد عهد الود القديم

فالتفت غودارد الى كتي مدلتون وكانت قد وقفت شاخصةً اليهِ وقال: —

— تعالي يا كتي وقبلي صديقكِ.

فتقدمت اليهِ وقبلتهُ فقالت لها السيدة ارلنفورد: —

— يجب ان تلزمي جانب الرصانة يا كتي قدام الغرباء

فاجابتها ويداها لاتزالان حول عنق غودارد: —

— ان السيدة دشتون لا تروعها قبلة

فقالت هذه وقد كدَّرها هذا المشهد: —

— لاتزالين يا كتي على عهد طيشكِ القديم

فاجابتها كتي : — خلي عنك التوبيخ وحدثيني عن اخطار البرنس سكولوف وجرائمه ولاني أُسرّ بذكر كل ذي اسم روسي . فقصّي عليّ كم اغتال من النفوس واجترح من المحارم

فقالت السيدة ارلنفورد من باب المزاح : — لو سمعكِ البرنس سكولوف لنفاكِ في الحال الى سيبيريا

فسأل غودارد : — من هذا الروسي ؟

— البرنس سكولوف المعتمد الروسي لا شك انك تعرفهُ

— اعرف عنهُ انهُ ساقط المبادىء من كل وجهٍ — عنيد لا يقهر ومستبدّ لا يُقيَّد . وبالاجمال يقال انهُ سياسي ذاعت شهرة نجاحهِ في مساعيهِ لانهُ خالٍ من عواطف الحنو والشفقة . ولقد سمعتكِ تذكرين لهُ شريكةً تلقبينها بالظافرة فمن هي ؟

— الشيطانة الجميلة

— ومن هي الشيطانة الجميلة ؟

فقالت كتي : — حدثينا ايها السيدة دشتون عن الشيطانة الجميلة

ثم جذبتها الى غرفة البليار دو المفصولة عن غرفة الجلوس بستار كثيف . ولما خلت السيدة ارلنفورد بغودارد قالت لهُ : —

— كم رأيت الوقت طويلاً منذ ما ذهبت الى الهند

— وهل تذكرين يوم سفري ؟ لم يخطر ببالي اني ارجع واراكِ ناسيةً صديقكِ الاول

— كيف عرفتَ ؟

— كيف عرفتُ اني صديقكِ الاول ؟ لانكِ كنت ابنة ثلاث سنين حين اجتمعنا اول مرة

— وكيف عرفت اني نسيتُ ؟ سمعت الجنرال سافيل يشير الى ترقيتك فهل هذا صحيح ؟

— لا يخلو الامر من الصحة لاني اتوقع ذلك والجنرال سافيل يميل اليّ كثيراً ولهُ كلمة مسموعة في الدوائر العليا

— ولعلّ معرفتك للغات الشرقية تعضد السعي في ترقيتك

— نعم ولكن الى درجة محدودة . واذا ساعدتني التقادير فلا بدّ من نيل مبتغاي . وانا في هذه الليلة مدعوٌّ الى الخروج في رسالةٍ مهمة ومن ورائها انتظر ادراك ما ارجيه

— وعلى كلٍّ يشق عليّ ان اراك ذاهباً الى افغانستان

— لانكِ لا تشعرين بشدة مللي من منصبي الحالي . لاني لست الآن سوى حامل بريد

— ولكنك معدود رسول جلالة الملكة وما هذا بقليل

— كلاها واحد . فانا احمل رسائل وكذا يفعل حامل البريد .. يسعى كثيرًا ويؤجر قليلاً . وقد عرض لي مؤخرًا حادث شغلت به كثيرًا وعزمت على تأثره الى النهاية

— ماذا عسى ان يكون ؟

— عندما كنت في فينا في شهر اوغسطس الماضي ذهبت الى حفلة تنكر واذ لم ار فيها ما يسرني عزمت على الانصراف واذا بامرأة كنت اراقبها من قبل اسرعت الى الاستغاثة بي من رجل كان يطاردها وطلبت مني ان اسير في حمايتها الى مركبتها . وقد ابدت هذا كله بصوت لطيف لا يشف عن شيء يستدعي الارتياب والحذر من امرها . وبعد ما اوصلتها الى مركبتها صعدت اليها ودعتني الى تناول الطعام في منزل عينته لي على رقعة باسمها بشرط ان اكتم امرها ولا اسأل احدًا عنها وحينما فارقتني ابدت شكرها لي ودعتني باسمي " القائد اوبين غودارد "

— اذًا عرفتك ! فمن كانت ؟

— بقيت الى هذا الوقت لا اعلم عنها شيئًا . وعندما قرأت اسمها على الرقعة التي اعطتني اياها وهو " البارونة التدورف " كان السائق قد توارى بها عن النظر

— حقًا ان قصتك هذه عجيبة . وهل ذهبت الى تناول الطعام عندها ؟

— نعم وقد وجدت المكان المعين غاية في الترتيب والاتقان ولما استقبلتني فيه رأيتها في هيئة ساحرة ومن حديثها معي خيل لي اني اعرفها من عهد طويل

— صف لي ملامحها . هل كانت جميلة جدًا ؟

— لا اعلم

— كيف لا تعلم ؟

— لا اعلم هل كانت وفق شروط الجمال . وعندي انه يتعذر وصفها على من يراها

— لله درك فقد وصفتها من حيث ادعيت بعدم استطاعتك لذلك

— اراك تشيرين بهذا الى شيء من غباوتي

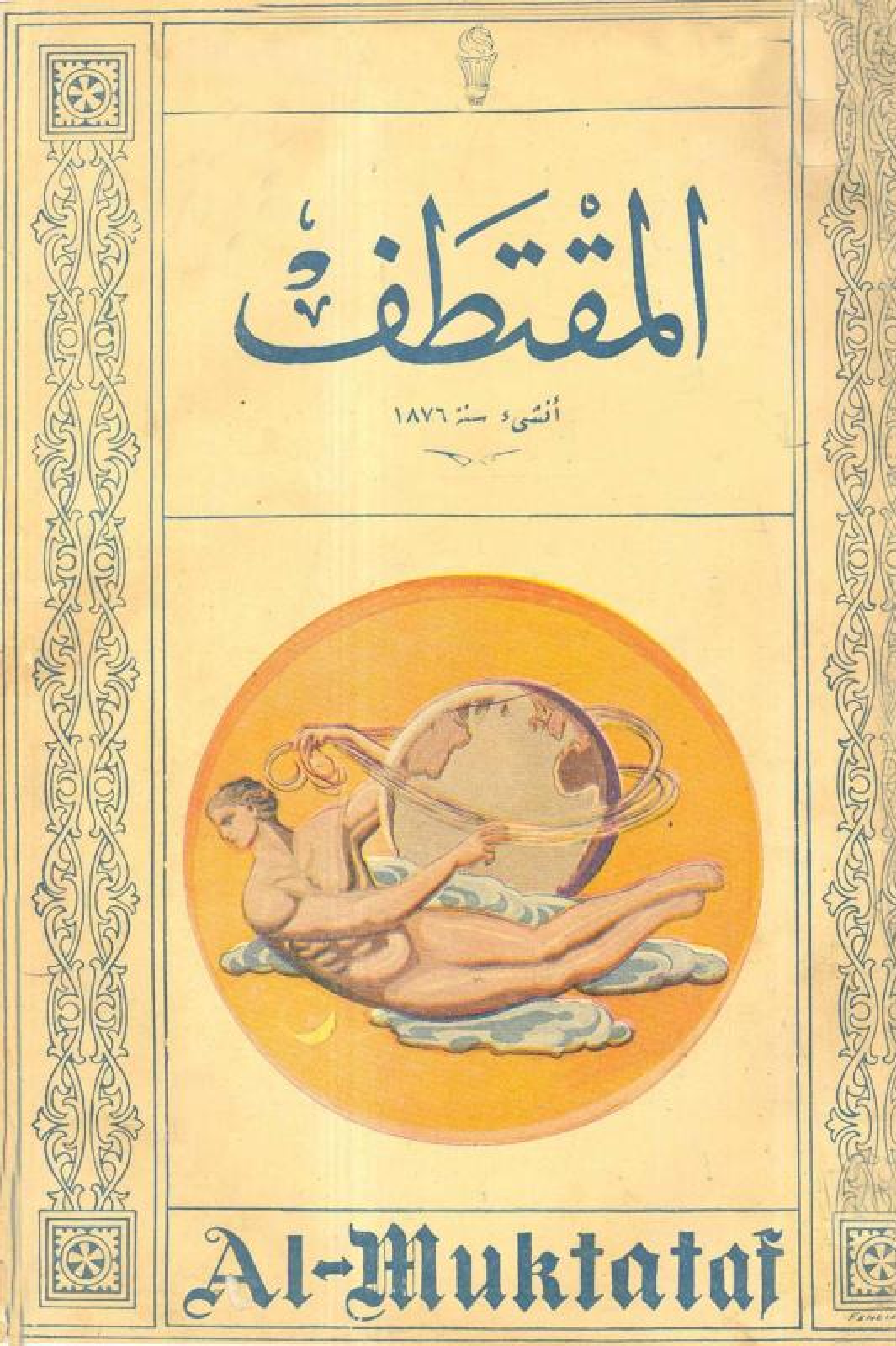
— ليس في المحبة شيء من الغباوة في عيني

— المحبة ؟

— نعم المحبة

ثم استولى عليهما سكوت تام

فهرس الجزء الخامس من المجلد التاسع والعشرين


المقتطف
أنشيء سنة ١٨٧٦
Al-Muktataf

٣

المقتطف

الجزء السادس من المجلد التاسع والعشرين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٢٢

هذه الحرب ورجالها

قضى الماليون في اوروبا واميركا لبانتهم من اليابان فداتوها المال برباً فاحش وارتهنوا جماركها مخالفة وصية سبنسر ونسيت ما تعلمتهُ من مصر وستجني من ذلك العلقم ولو كان رجالها احكم من النمل واشد بأساً من الحديد . ولقد قصَّ علينا الخيال الرواية التالية قال :

دخلت غرفة فاخرة الاثاث والرياش في قصر من قصور لندن ام المدائن فرأيت فيها ثلاثة رجال جلوساً حول مائدة وامام احدهم آلة التلغراف يخاطب بها الماليين في اميركا وامام آخر آلة التلفون يخاطب الماليين في باريس وفينا وبرلين ودار بين الثلاثة الحديث التالي

الاول — ان دخل الجمارك في اليابان مليون وستمئة الف جنيه حسب تقدير الميزانية هذه السنة وهو ليس مرهوناً فيصلح ان يكون رهناً لعشرة ملايين جنيه بل لعشرين مليوناً ولذلك لا ارى بأساً في اقراضها المبلغ المطلوب

الثاني — وهل قبلت ان تدفع ستة في المئة

الاول — المرجح انها تقبل اذا اصررنا على ذلك وقد بذل سفيرها جهدهُ ليجعل الربا خمسة فقط فابنت لهُ ان ذلك ضرب من المحال في الاحوال الحاضرة

الثاني — وبكم يصدر القرض

الاول — اراد السفير ان نصدرهُ بسبعة وتسعين ونزل الى خمسة وتسعين فابيت وعرضت اصدارهُ بتسعين واخيراً اتفقنا على اصداره بثلاثة وتسعين اذا وافقتموني على ذلك فيصير الربا نحو ستة ونصف في المئة

فضحك الثاني وقال بارك الله في الحروب لولاها ما كان يمكن ان تصح النبوءة القائلة اننا نرجع بثروة الامم

الثالث — ولكن كتب اليَّ عميلي من بطرس برج ان الروس لا يمكن ان يرجعوا بالفشل ولا بدَّ لهم من قهر اليابان واذلالها مهما اقتضت هذه الحرب من الرجال والمال

الاول — قد يكون ذلك وقد لا يكون ولكن هَبْ ان روسيا امتلكت اليابان وهو امر بعيد الوقوع جدًّا فان حقوقنا على الجمارك تبقى محفوظة لا تمس

الثالث — الى كم تحتاج اليابان بعد ذلك يا ترى

الاول — اليابانيون على غاية الاقتصاد في ما ينفقونهُ من بلادهم . ولا يضطرون ان ينفقوا كثيرًا الاَّ على ما يبتاعونهُ من اوربا واميركا كالبوارج والمدافع ولكن لا يبعد ان يحتاجوا الى عشرين مليونًا اخرى قبل انتهاء الحرب وهب انهم احتاجوا اليها فعندهم مكوس الاشربة الروحية تبلغ في السنة ستة ملايين وستمئة الف جنيه وقد تقلُّ كثيرًا بعد الحرب ولكن يبقى منها ما يزيد على ربا الدين ولو بلغ اربعين مليونًا من الجنيهات وليس عليهم الآن دين اجنبي سوى عشرة ملايين من الجنيهات ورباها اربعة في المئة فقط

الثالث — وقعت في ما كانت تحذر الوقوع فيهِ ولا ادري لمن الفضل الاكبر في ذلك

الاول — الارتهان يجرُّ الى المراقبة والمراقبة لا تضرُّها وقد تنفعها كما نفعت غيرها . هذه مصر نجحت تحت المراقبة نجاحًا لم يحلم بهِ اهلها ولا حلمنا بهِ نحن

الثاني — ولكن شتان بين مصر واليابان ومع ذلك فنحن لا يهمنا من امر الامم الاَّ ان تكون اموالنا مضمونة وان يُدفَع رباها في مواعيدهِ فان صحَّ ما قلتَ عن دخل جماركها فلا ارى مانعًا من اقراضها عشرة ملايين من الجنيهات بستة في المئة

واتفق الثلاثة على رأْي واحد وخاطب صاحب التلغراف شركاءهم في نيويورك وصاحب التلفون شركاءهم في باريس وڤينا وبرلين . وفي اقل من ساعة جاء منهم الجواب بالايجاب وأُمضي الامر وكتب الكاتب قرارهم وسار بهِ الى سفير اليابان

على هذه الصورة او ما يماثلها اقرض الماليون ممالك الارض خمسة آلاف وخمس مئة مليون من الجنيهات وجلسوا في بيوتهم يتقاضون رباها مئتين وعشرين مليونًا كل سنة يبنون بها القصور الباذخة واليخوت الفاخرة ويتنعمون باطايب الحياة والف مليون من بني آدم يكدحون نهارًا وليلاً لكي يوفوا ربا هذا الدين هذه هي السياسة المالية التي خضعت لها الممالك في هذا العصر. يقيم المرابي في هذه العاصمة ويرسل عملاءهُ الى بلد من بلدان الفلاحين يحسّن لاهلها الدين منهُ ويغريهم بهِ بكل واسطة ثم يرتهن املاكهم ضمانًا لربا دينهِ فيشاطرهم جنى يدهم وارضهم ويعيش متنعمًا كذلك يفعل ارباب الاموال بالممالك. وسيفعلون بالروس كما فعلوا باليابان

فيدينونهم كل ما يستطيعون ان يوفوا رباه' فان الروسي يدفع الان من ربا دين حكومته ٢٢ غرشاً في السنة والايطالي يدفع نحو ٧٠ غرشاً والمصري نحو اربعين غرشاً والسرفي نحو ثلاثين غرشاً فيحتمل ان يزيد دين روسيا مئتي مليون جنيه او ثلثمئة مليون ولا يكون اثقل من دين حكومة مصر على اهاليها فان لم تستدن منهم المال لما يزيّن لها من انشاء سكك الحديد استدانته لهذه الحرب وامثالها

وقد بسم الدهر في الشهر الماضي للروس كما بسم في الذي قبله' لليابان لكي تكون الحرب سجالاً كأنهُ طوع امر الماليين فبسم لليابان حتى ييسر لهم اصدار القرض الياباني . وهو يبسم الآن للروس حتى يتيسر لهم اصدار القرض الروسي . اصدروا القرض الياباني المئة الجنيه بثلاثة وتسعين جنيهاً اي اخذوا منها سنداً بمئة جنيه عن كل ثلاثة وتسعين جنيهاً دفعوها اليها ثم باعوه' للجمهور بستة وتسعين جنيهاً او نحوها فربحوا ثلاثة جنيهات . وبعد مدة يوقعون المشاكل ويختلقون العراقيل فتهبط قيمة هذه السندات وتبلغ ثمانين او سبعين او اقل فيبتاعونها ثانية ويحفظونها في خزائنهم ويأخذون رباها المقررة ستة في المئة فيكون ثمانية او تسعة في المئة بالنسبة الى الثمن الذي دفعوه'. وهذا شأنهم في كل معاملاتهم المالية يوجدون السبب الموجب لاستدانة المال اذا لم يوجد من نفسهِ ويبيعون سنداتهِ باغلى ثمن ثم يوجدون سبباً لرخصها فيبتاعونها ثانية ويبذلون جهدهم في منع المستدين من ايفائها

***

اطلعنا على مقالة مسهبة لكاتب ضلعهُ مع الروس وهو المستر هنري نورمن احد اعضاء مجلس النواب الانكليزي اورد فيها اموراً لاتبعد ان تكون حقائق مقررة فاقتطفنا منها ما يلي كما اقتطفنا قبلاً اموراً اخرى من كتاب ضلعهم مع اليابان

قال انهُ لما حلَّ ما حل بالاميرال ماكاروف اضطربت روسيا كلها واخذتها الرعدة كما اضطربت انكلترا في بداءة حربها مع البوير ولكنها نهضت حالاً كما نهضت انكلترا وصممت على متابعة الحرب الى نهايتها مهما بذلت من الرجال والمال

وهذا امر لا بدَّ منهُ ولا غنى عنهُ وهو لا يخفى على اهالي انكلترا واميركا . ولقد اخطأت اليابان لانها لم تقدره' من اول الامر . اما روسيا فخطأها الاكبر انها انفقت اموالها على اصلاح منشوريا بدلاً من ان تنفقها على تعزيز ثغورها وانشاء الحصون المنيعة فيها فلو انفقت الاموال التي انفقتها على بناء دلني وخربين في انشاء الحصون والبوارج لما تجاسرت اليابان على منازلتها . فقد اخطأت روسيا كما اخطأت اليابان ولكنهما اخطأتا في جهتين مختلفتين الاولى لم تتأهب

لهذه الحرب والثانية لم تحسب ان خصيتها لايمكن ان ترجع عنها مقهورة وتبقى في مصاف الدول ولا بد لروسيا من ان تبذل كل مرتخص وغالٍ لكي لا تخرج من هذه الحرب بالفشل ولو اضطرت ان تسفك كل نقطة من دمها وتنفق كل درهم في خزائنها وخزائن شعبها وتضرم نيران الفتنة في اوربا كلها ولذلك فغرق ماكاروف وسقوط بورت ارثر وانذحار الجنود الروسية على نهر يالو وفي نيوشوانغ لا يعدُّ شيئاً بالنسبة الى روسيا لانها تجمع جنودها في مكدن ثم في خربين ثم في بيكال وتحارب اليابان سنة وسنتين وثلاث سنوات وخمس سنوات اذا دعت الحال الى ذلك وتضرم نار الحرب في بلاد فارس وافغانستان والبلقان وتخرج من هذه المعارك اما ظافرة واما خائرة القوى غير مثلومة العرض ولكن رضاها بالهزيمة من وجه اليابان موت ادبي لها

وقد يقال ان اليابانيين لم يدخلوا غمار هذه الحرب على غرَّة لان رجالهم من احكم رجال السياسة بل قد قدَّروا من اول الامر انهم سيقهرون الروس في بورت ارثر ومنشوريا فيستخلصون منشوريا من يدهم ويردونها الى الصين ويكتفون بابقاء سيطرتهم على كوريا ويفتحون ابواب التجارة فيها وفي منشوريا للدول الاوربية اجمع وللولايات المتحدة معها فتجتمع الدول كما اجتمعت في مؤتمر برلين وتقوم كلها في وجه روسيا وتضمن سلامة الصين كما ضمنت سلامة تركيا فتضطر روسيا الى الرضوخ لحكمها وتعود اليابان فتستعمر كوريا وتصير في مصاف الدول الاوربية

لكن اذا كانت اليابان قدَّرت هذا التقدير قبل الحرب فيكون خطأها فيهِ اشد من خطإها الاول لان روسيا جاهرت في اول هذه الحرب انها لا تقبل وساطة الدول ولا تعرضهنَّ لها كما تعرَّضن لها في حربها مع تركيا. ثم ان اتفاق الدول على مثل ذلك ضرب من المحال لان الدول التي تستطيع التعرض هي انكلترا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة اما فرنسا فيستحيل ان تتعرض لروسيا بسوء وهي حليفة لها واما المانيا فيبعد عن الظن جدًّا ان تفعل ذلك بل هي باذلة جهدها في التقرُّب من روسيا وابداء المودة لها ولا يبعد ان تنصرها في اول فرصة تعرض لها لان روسيا قادرة ان توفيها وتكيل لها الصاع صاعين عن كل معروف تفعلهُ معها

ويبقى انكلترا والولايات المتحدة فاذا اظهرتا العداء لروسيا فان روسيا تشهر الحرب حالاً على انكلترا في جهات الهند واسطول انكلترا واسطول اميركا لا يجديان نفعاً لانهُ لا يبقى لروسيا اسطول في بحار المشرق حتى ينازلاهُ واسطولها في اوربا يتحصن في كرنستت فلا يمكن الوصول اليهِ وتزحف روسيا بنصف مليون من جنودها على بلاد فارس وافغانستان ولا يطول المطال على الاميركيين حتى يتَّضح لهم ان فوز اليابان مضرٌّ بهم لانها اكبر مناظر لهم في

الصناعة والتجارة فيتنحوا عنها

هذا اذا فازت اليابان فوزًا تامًا وانتصرت نصرًا مبينًا ولكن هب انها لم تفز كما تنتظر وافرغت ما في وطابها من الجنود والنقود فان روسيا تعود فتزحف على منشوريا وكوريا وعلى جزائر اليابان نفسها ويكون اسطولها في البلطيك قد تم وتجهز فيمضي الى بحار المشرق وهو اقوى من اسطول اليابان من بعض الوجوه . واذا حدث ذلك تشرع الجرائد تطلب توسط الدول ولكن اي دولة تجيب هذا الطلب فان فرنسا لا تجيبهُ والمانيا احبُّ ما عليها ان ترى دولة اخرى يحملها الغرور على التعرض لما لا يعنيها . والولايات المتحدة تطلب التوسط كتابة ولكنها لا تقدم عليهِ فعلاً وتبقى انكلترا فاما ان تخوض غمار الحرب مع الروس في كل اسيا او تحجم عن اليابان في موقف الشدة

وافاض الكاتب في هذا الموضوع وخطأ حكومة بلادهِ في اتفاقها مع اليابان ثم قال ان الرأي العام في انكلترا متجه الآن الى مجاملة روسيا

واتبع ذلك بمقالة اخرى وصف فيها ما شاهدهُ في خزائن روسيا من الاموال الوفيرة فانهُ زار خزائن بنك روسيا ورآها ملأى بسبائك الذهب وفي ارضها اكياس مملوءة بالنقود الذهبية في كل كيس منها ستة آلاف قطعة من الذهب قيمة القطعة منها خمسة روبلات . ويظهر من حساب البنك في اواخر شهر مارس الماضي انهُ كان فيهِ حينئذٍ ما يساوي ٦٢ مليونًا و٧٦٦ الف جنيه وذلك من المال الاحتياطي وفيهِ وفي فروعهِ عدا ذلك ما يساوي ٣٤ مليون جنيه نقودًا وللحكومة في بنوك اوربا نحو ١٤ مليون جنيه فجملة الذهب ١١٠ ملايين جنيه تستطيع الحكومة الروسية ان تنفق منها ٥١ مليون جنيه من غير حرج اي من غير ان تأخذ دينارًا من الذهب الاحتياطي الذي يحفظ في البنك ضمانًا لنقود الورق

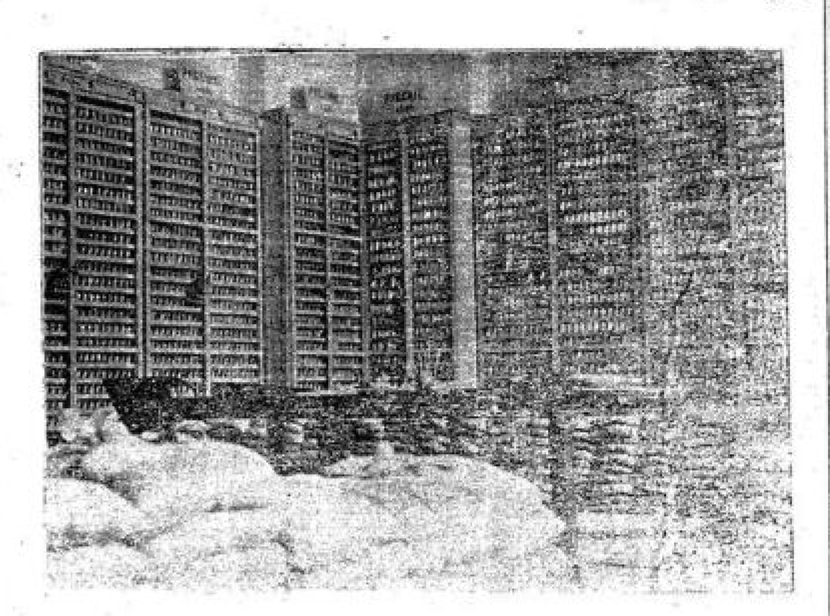
وصوَّر بعض خزائن البنك صورًا فوتوغرافية فنقلنا صورةً منها كما ترى في الصفحة التالية

وكتب كاتب انكليزي آخر في مجلة جديدة انهُ لا بدَّ لانكلترا من ان تشتبك في هذه الحرب لانهُ ان كان الفوز لروسيا صار لها النفوذ الاول واليد العليا في اسيا كلها وهذا لا ترضى بهِ انكلترا . وان كان الفوز لليابان فلا بدَّ لفرنسا او لالمانيا او لكلتيهما من الدخول في الحرب وجر انكلترا اليها . والخوف الاكبر من المانيا لانهُ لا بدَّ لها من ان تبذل جهدها لتشبك الانكليز في هذه الحرب

وسئل ثلاثة من نخبة القواد الاميركيين عمَّا يكون من امر هذه الحرب فقال احدهم وهو الجنرال سِكلس المرجح عندي ان هذه الحرب لا تطول لان روسيا ستجد من المصاعب ما

لاتقوى عليهِ فتجنح الى الصلح اذا عُرض عليها واليابان لا تكون اقل رغبةً منها فيهِ اذا تيسَّر لها اخراج روسيا من منشوريا كما اخرجتها من كوريا

وقال الجنرال ميلس يظهر لي ان هذه الحرب ستطول جدًّا وتكثر نفقاتها و تشتبك فيها بعض الدول الاوربية



وقال الجنرال هوبلر يظهر الآن ان اختيار دار الحرب وقع لروسيا لا لليابان وعندي ان هذه الحرب لا تطول الاَّ الى وسط الخريف المقبل حينما تزيد جنود الروس على جنود اليابان زيادة بالغة فتدحرها دحرًا

وقال الكاتب السياسي المشهور السر تشارلس دلك انهُ يحتمل ان المانيا تطلب من فرنسا ان تنضم اليها لتساعدا روسيا على اليابان كما ساعدتاها عليها بعد حرب الصين فتحجم فرنسا عن ذلك مخافة من انكلترا فتقوم المانيا وتنضم الى روسيا توًّا فتضطر انكلترا ان تنضم الى اليابان بحكم محالفتها معها وتضطر فرنسا حينئذٍ ان تنضم الى روسيا فتخرج اليابان من منشوريا لانها تجد لها لقمة ادسم في التنكين وتنشب الحرب في اوربا بين الاسطول الانكليزي من جهة

والاسطول الفرنسوي والالماني من جهة اخرى

والظاهر ان هذا رأي كثيرين من نخبة الكتّاب لكن رجال السياسة غير غافلين عن هذه الحوادث ورجال المال الذين في يدهم مقاليد الامور يصرفونها كيف شاءوا فلا يحتمل ان تضام دولة ضيماً يعود عليهم بالخسران



الاميرال توجو



الجنرال كوربتكن



الاميرال الكسيف



الاميرال سكريدلوف

هذا من حيث الحرب اما رجالها المشهورون الآن فاشهرهم اربعة الاميرال توجو امير الاسطول الياباني امام بورت آرثر والجنرال كوربتكن قائد الجيوش الروسية العام والاميرال الكسيف حاكم منشوريا والاميرال سكريدلوف الذي خلف الاميرال ماكاروف في امارة اسطول الروس في بحار المشرق وقد نشرنا صورهم هنا

التصوير والجمال

ندع الحرب واوزارها ونلتفت الى موضوع آخر نبهنا اليهِ قدوم مصور ماهر في حفر الصور الى هذه العاصمة وهو فن تصوير الاشخاص بحيث تكون الصورة منطبقة على الاصل تظهر فيها هيئة المصوَّر وملامحهُ وما يبدو في وجهه عادةً مما يعرف بهِ ويمتاز على غيرهِ ولا سيما اذا كان جميل الطلعة . فان الصور الشمسية لا تفي بذلك غالباً لانها تخفي لون البشرة وتستر بعض الملامح التي يمتاز بها اصحابها حتى ان جميل المنظر يظهر فيها احياناً ولا لمحة جمال على وجههِ والذي لا يُعدُّ جميلاً يظهر فيها وقد استجمع لهُ الجمال كلهُ

لا يعلم بالتحقيق اي امةٍ سبقت غيرها الى فن التصوير لكن وُجد في المدافن المصرية صور كثيرة من عهد اليونان والرومان بعضها صور رجال وبعضها صور نساء والمصوَّرون في اعمار مختلفة اولاد وشبان وكهول وشيوخ ولهم هيآت وملامح مختلفة فلا يعقل الاَّ ان تلك الصور كانت تمثلهم حقيقةً . هذه هي اقدم صور الاشخاص الباقية الى الآن اما تماثيلهم فاقدم من ذلك كثيراً . ولكن جاء في التاريخ ما يدلُّ صريحاً على ان تصوير الاشخاص كان اقدم من ذلك فقد جاء فيهِ ان بانينوس صوَّر معركة ماراثون التي قهر فيها اليونان جنود الفرس سنة ٤٩٠ قبل المسيح وكان فيها رسوم قواد الاثينيين وقواد البرابرة ولكن لا دليل على ان رسومها كانت منطبقة على الاصل لان المصوِّر صورها بعد موت اصحابها ولعلهُ اكتفى برسم ملابسهم واسلحتهم كما كانت او كما يعهد فيها ورسم الوجوه كما يتصوَّرها اهل زمانهِ . ويقال ان المصور ميكون ساعدهُ في تصوير هذه الصورة وجعل قوَّاد البرابرة اكبر قامة من قوَّاد اليونان فغرّم ثلاثين منًى اي نحو مئة جنيه فلو كانت الصور حقيقية ما حدث ذلك

واشهر مصوري القدماء ابلّس مصور الاسكندر المكدوني ويقال انهُ صور الاسكندر مرة صورة اعطاهُ عليها ما يزيد على خمسين الف جنيه . ويحكى عن هذا المصور انهُ كان يعرض صورهُ ويقف وراءها مختفياً ليسمع ما يقولهُ الناس في انتقادها فيصلحها واتفق انهُ عرض مرة صورة فمرّ بها اسكاف وانتقد شكل الحذاء ولما ذهب خرج ابلّس من مخبإهِ واصلح الحذاء كما اشار الاسكاف . ثم مرَّ الاسكاف في اليوم التالي ورأى الحذاء مصلحاً فحملهُ الغرور على انتقاد شكل الساق فخرج اليهِ ابلس وقال لهُ " ابقَ في الحذاء " فذهبت مثلاً

ويقال ايضاً ان الاسكندر زارهُ مرةً في بيتهِ واخذ يتكلم عن التصوير كلاماً يدل على

جهلهِ لهذا الفن فانتهرهُ ابلس وقال اصمت لاني اسمع الاولاد الذين يمزجون الادهان يضحكون عليك

وشاع تصوير الناس في زمن الجمهورية الرومانية حتى كان ابناء الاشراف يثبتون نسبهم بمشابهتهم لصور اسلافهم المحفوظة عندهم ولم يكن يسمح لاحد ان يتصور ما لم يكن من الاشراف او من الذين لهم شأن كبير بين قومهم كالمؤلفين ونحوهم. وكان المؤلفون يضعون صورهم في صدر كتبهم كما يفعل بعضهم الآن

ولقد كثر مصورو الاشخاص في هذا العصر ولكن المفلحين منهم قلال جدًّا . قال بعضهم ان اظهار معاني الوجه اهم ما في فن التصوير فان المعاني تدلُّ على اخلاق الانسان فيجب ان يصوَّر او يمثَّل وهو في حالة السكينة غير منفعل بانفعال نفساني لان احسن صورة يتلفها اظهار امارة من الامارات التي تعرض للانسان في بعض الاحيان ولا تكون في وجهه دوامًا ولاسيما اذا ادخلها المصور من تلقاء نفسهِ كأن يصور الفم باسمًا والعينان لا تدلاَّن على التبسم او يصور العينين في هيئة القلق او التفكير والجبين لا يدلُّ على ذلك . ثم ان ملامح الوجه تتوقف على لونهِ كما تتوقف على شكلهِ فاذا لم يحسن المصور وضعها ومحاكاة الطبيعة بها افسد الصورة وهو يحاول اصلاحها

وقال آخر ان حسن الصور يتوقف على المصوِّر كما يتوقف على المصوَّر فيجب على المصوَّر ان يجلس في حالتهِ الطبيعية غير متصنع ولا متكلف شيئًا

ويجب على من تصنع صورتهُ ان لا يلبس ثيابًا يتغيَّر زيها من وقت الى آخر لئلاَّ تستقبحها العين وتستقبح الصورة معها كالعمة والطربوش واشكال البرانيط والازياء الغريبة كالاكمام الواسعة التي كان النساء يلبسنها منذ عهد قريب والطراطير التي كنَّ يضعنها على رؤُوسهنَّ في اوائل القرن الماضي وبعض الازياء التي تتغير من عام الى آخر سواءٌ كانت في لبس النساء او في لبس الرجال ولهذا يختار تصوير الرأس والعنق وشيءٍ من الصدر مكشوفة كلها لان الوجه وحدهُ يكفي للدلالة على المرء ولا يزيد تعرفًا بالملابس والحلى . وكل ما يضاف الى الصورة مما يجذب النظر اليهِ يحطُّ من قيمتها كصورة شخص اذ يصير المراد توجيه النظر الى ما فيها من شكل الملابس وانواع الحلى والنياشين . على هذا الاسلوب جرى المصور ريط الانكليزي الذي كان من انبغ مصوري القرن الثامن عشر في تصوير الاشخاص كما ترى في الصورة المقابلة وهي صورة اختين صورهما على اسلوب بسيط جدًّا اكسبهما جمالاً فوق جمالهما الفطري حتى يضرب المثل بجمال صورتهما

وقد اشتهر في هذا العصر مصور آخر للاشخاص وهو المستر السن روبرتس قلما تجد جميلة من جميلات الانكليز الاَّ وجلست لهُ فصورها صورة او اكثر على غاية البساطة والغالب انهُ يكتفي بتصوير الراس والعنق والنحر وشيء من الصدر واذا صوَّر الجسم كلهُ صوَّر وراءهُ اشجارًا وتلالاً كأن الشخص المصوَّر واقف في غاب او بستان والبس البدن لباسًا رومانيًا بسيطًا ولا يضع شيئًا على الراس الاَّ في الصور الخيالية فيختارهُ حينئذٍ مما يزيد بهِ جمال الوجه ظهورًا

ومما يمتاز بهِ هذا المصور انهُ يحدّث من يجلس لهُ للتنوير حديثًا فكاهيًا دائمًا ما دام جالسًا امامهُ حتى يصورهُ وهو على تمام الرضا والسرور. ولا يكون جمال الوجه على اتمهِ الاَّ حينما يشمل السرور النفس

وما يقال عن مهارة الذين يصورون الاشخاص بالزيت يقال عن مهارة الذين يصورونهم تصويرًا شمسيًا فان آلة التصوير كالمرآة ترسم المرئيات كما هي تمامًا من غير زيادة ولا نقصان الاَّ في اخفائها الالوان وجعلها كلها سوداء او بيضاء. لكن هيئة المصوَّر تختلف كثيرًا حسب بشاشة وجههِ او عبوستهِ حالما تؤخذ صورتهُ وحسب الوضع الذي يجلس فيهِ امام آلة التصوير. والبراعة في ذلك ليست بالامر السهل فلا يشتهر المصوّر ما لم يعرف كيف يجلس زبائنهُ امامهُ وكيف يحكّم النور والظل عليهم وكيف يلتفت اليهم ويحادثهم حتى يكون في وجوههم من البشاشة والطلاقة او من العبوسة والصرامة ما هو غالب عليهم

ولبعض النساء جمال رائع برع مصورو الشمس في تصويرهِ حتى صار الناس يتهافتون على ابتياع صورهنَّ. وهنَّ يربحن من ذلك ربحًا طائلاً فمنهنَّ سيدة اسمها مسز لنجتري بيع ثمانمئة الف صورة فوتوغرافية من صورها باعها المصورون وباعة الصور واعطوها جانبًا من الربح فبلغ نصيبها منهُ عشرة آلاف جنيه. وسيدة اخرى اسمها ماري اندرصن يباع من صورها مئة الف صورة كل سنة. وفتاة اميركية بيع من صورها في ساعتين من الزمان ما بلغ ربحها منهُ الفي جنيه. وفي بلاد الانكليز الآن ست سيدات تربح كلٌّ منهنَّ من الف جنيه الى خمسين جنيهًا في السنة من بيع صورها ولا تباع صورة في اوربا كما تباع صورة ملكة الانكليز ولو لاق ان تتقاضى ربحًا من بيع صورها لبلغ ربحها من ذلك الوفًا كثيرة من الجنيهات

ويدخل في هذا الباب حفر الصور باليد او بالوسائل الميكانيكية او الكيماوية حتى تأتي منطبقة على الصور الزيتية او الشمسية وسنعود الى هذا الموضوع في جزء تالٍ

مدرسة محمد علي الصناعية

لا بدّ من الصناعة لكل بلاد تريد مجاراة غيرها من البلدان الراقية مراقي الفلاح ولو كانت زراعية محضة كالقطر المصري . لكن ارتقاء الصناعة في البلاد حتى تصير صناعية تكسب من تصدير مصنوعاتها يقتضي ان تكون فيها مواد الصناعة الاصلية كالحديد والنحاس ومحركاتها كالفحم الحجري والمياه المنحدرة من اماكن عالية . فان لم تكن فيها تلك المواد والقوى لم تصر صناعية مهما اهتمت بتعليم الصناعة . وهذا لا يفيد نفي الصناعة منها بتاتاً لانها لا تستغني عنها مهما كان حالها ولذلك فقولنا ان القطر المصري قطر زراعي لا قطر صناعي يفيد انهُ يكتسب من اصدار حاصلاتهِ الزراعية كالقطن والفول والحنطة ولا يكتسب من اصدار الحديد المسبوك والآلات والادوات وسائر المصنوعات التي تناظرهُ فيها البلدان الصناعية . غير ان ذلك لا يعفيهِ من عمل بعض ما يحتاج اليهِ من المصنوعات التي يسهل عملها فيهِ واصلاح ما يؤْتى بهِ اليهِ مما يصنع في البلدان الصناعية . ومجال العمل في ذلك واسع جدًّا والربح منهُ وافر يكفي الالوف من ابناء هذا القطر ويغنيهِ عن كثير مما يؤْتى بهِ من البلدان الاخرى

ولسنا ممّن يبالغ في فائدة الصناعة لبلاد مجال الكسب فيها من الزراعة اضعاف ما هو من الصناعة ولكننا لا نبخس الصناعة حقها ولا نستحسن اهمال البلاد لها لا سيما وانها مكمّلة للزراعة ولا غنى للبلاد عنها . وقد مضى الزمن الذي كان الشرقي يعدُّ الصناعة فيهِ عارًا وصغارًا ويترفع عن مخالطة صنّاع بلادهِ ازدراء واحتقارًا واصبح عقلاء الشرقيين يقدرون الصناعة قدرها علمًا منهم بفعلها في ترقية شؤُون الاوربيين وبفضلها في رفاهة عيش المتمدنين فلا يفرقون اليوم بين ابن الحائك وابن المالك . ولارتفاع قدر الصناعة عندهم ومطابقتها لمقتضى احوال هذا الزمان الذي حلَّت فيهِ الآلات الكهربائية والعدد البخارية ونحوها من الآلات المتقنة التي سخرت بها القوى الطبيعية محلَّ الآلات والادوات الساذجة القديمة واسست الصنائع المختلفة على المبادىء العلمية من طبيعية وكيماوية وميكانيكية لا على مجرَّد التجربة والاستقراء — اقبل كثيرون من ابناء المصريين على التعلم الصناعي في مدارس القطر الصناعية واولها واقدمها عهدًا مدرسة بولاق الصناعية التي اسسها محمد علي باشا كبير العائلة الخديوية لتعليم احداث المصريين الصنائع المختلفة مدة خمس سنوات متوالية فتخرَّج منها الف وتسعة وستون صانعًا في الخمس عشرة سنة الماضية وفيها الآن ٣٧١ طالبًا

ولا يكاد الانسان يذكر هذه المدرسة حتى يتذكر مدرسة المنصورة الصناعية لانهما

كلتاهما من انشاء الحكومة وكذا المدرسة الصناعية التي انشأتها الحكومة منذ عامين برئاسة جنسن باشا لتعليم الحدادة وخراطة المعادن والنجارة ولا سيما عمل المركبات وصناعة الصفيح وصناعة السروج والاصفان ونحوها مما يصنع من الجلد والدهن بالوان. وعن قريب تفرغ الحكومة من انشاء مدرسة صناعية مثل هذه في مدينة اسيوط ايضاً

فهذه المدارس الاميرية الاربع تدلُّ على رغبة الاهالي في تعلُّم الصناعة وهذه الرغبة تسرُّ محبي الوطن ولكنها لا تشفي غليلاً لانها موقوفة على عناية الحكومة لا على ميل حي نامٍ متأصل في قلوب الامة. ولامشاحة في ان الحكومة المصرية من ارقى الهيئات لا في الشرق وحدهُ بل في الغرب ايضاً فلا يستعظم منها انشاء المدارس الصناعية ولا يستلزم اتقانها لها ان تكون الرعية نفسها قد تقدمت وارتقت الى درجة تناسب ذلك الاتقان بل لا بد للدلالة القطعية على تقدم التعليم الصناعي في هذا القطر ورغبة الاهالي في تعلم الصنائع ان يكون للامة نفسها يد في انشاء المدارس الصناعية مستقلة عن يد الحكومة فعلاً ولو كانت تستمدُّ منها الارشاد وتكتسب ثمار الاختبار في تنظيمها وادارتها وما شاكل ذلك

وهذا ما قد حصل فان الامة نفسها اظهرت ميلها الحي النامي الى تعلم الصنائع وترقية التعليم الصناعي بسعيها في انشاء المدارس الصناعية مستقلة عما كان من بابها من مدارس الحكومة ومدارس الاجانب المحبين الخير لهذه الامة . وهذه المدارس الصناعية الوطنية منها ما فتح كالمدرسة الصناعية التي انشأها محمود باشا سليمان في ابي تيج ومنها ما جمع المال لهُ ولم يفتح بعدُ وهو المدرسة الصناعية القبطية والمدرسة المقصودة بالكلام في هذه المقالة وهي مدرسة محمد علي الصناعية اهم مدارس الامة الصناعية شأناً واسماها مكاناً لانها غير قائمة على مال الحكومة ولا على مال فرد من افراد المحسنين المعدودين بل على مال مجموع من جماهير المتبرعين من اهل القطر بحسن مساعي جمعية العروة الوثقى البهية لتعليم الصناعة لاكبر عنصر من العناصر التي تتركب منها الهيئة المصرية . فان المال الذي جاد بهِ المتبرعون لانشاء هذه المدرسة بلغ ١٢ الف جنيه ثم وقف لها المحسن الكبير منشاوي باشا مئة فدان يبلغ ريعها السنوي ما يقوم بجانب كبير من نفقاتها ولولا الصعوبة في وجود المحل الموافق لبنائها لبنيت وفتحت منذ زمان اما الآن فان الافاضل الذين عنوا بجمع الاموال لها وسعوا في تدبير امرها وتعجيل زمان انشائها احتفلوا بوضع الحجر الاول من اساسها في الاسكندرية في ٢٣ مايو احتفالاً عظيماً حضرهُ الجناب الخديوي وجمهور كبير من الكبراء والعظماء ولما انتظم الاحتفال تلا بعض من تلامذة المدارس التي انشأتها جمعية العروة الوثقى خطباً وجيزة تناسب المقام

من ذلك خطبة لتلميذ قال فيها

مولاي — ان معشر الاطفال من ابناء رعاياكم المخلصين تخفق قلوبهم في هذا اليوم فرحاً بانعطافكم السامي وانّا وان كنا صغاراً لنعي ما في هذا الانعطاف من معانٍ كبار نعم انتم تودون لنا الرقي بالمعارف النافعة في الدين والدنيا وتسرون بنا ما كنا حيث تودون · ولسروركم بنا اكبر يوم تروننا رجالاً شغالين نرمي بانفسنا في مناوز الحياة قائدنا العلم ورائدنا طلب الكسب الحلال يوم لا يكون تفاوت الدرجات بيننا بغنى الآباء وطنطنة الانساب والالقاب بل بالعلم والعمل يوم يفتخر مثلي بصنعة يحكمها فيقال هذا من عمل فلان لله دره لقد احسن واجاد هنالك يا مولاي تباهون بنا الامم وهنالك الفوز الصحيح لوطننا المحبوب وما هذا اليوم عنا ببعيد فها هي تباشيره بدت تختال بين بهاء المظاهر وهتاف الرعية بالدعاء لكم وفي هذه الساعة السعيدة تضعون بيدكم الكريمة اول حجر لاساس اول مدرسة صناعية بمدينة الاسكندرية فبوركت الساعة وبورك الحجر سيذكر التاريخ هذا اليوم وهذه المدرسة كما ذكر عصر جدكم الاكبر وما شيد من دور للصناعة والعلم يقول لنا اجدادنا كان لنا من المآثر والمفاخر كيت وكيت فسنقول لاولادنا نحن احيينا منها ما اندثر · يقول اجدادنا كان من عصرنا محمد على الكبير فسنقول لاولادنا ان لنا من عترته عباس حلمي الثاني

وخطبة لتلميذة من تلامذة مدرسة الحمالين قالت فيها

مولاي — ان قيل ما لابنة حمال صعلوك ومخاطبة الملوك قلت هكذا اقتضت شيم مولاي الشماء اذ يبسط جناح الرحمة للمساكين والضعفاء ونحن معشر البنات اكثر فرحاً في هذا اليوم بعمل من شأنهِ تخفيف ويلات البطالة والكسل وهما شقاء العائلات و[illegible] كرب الامهات فبهذا الاحساس ننظر الى هذا الاساس وقد اودعناهُ الآمال سائلين الله حسن المآل ان يحفظ مولانا لامتهِ وبيتهِ لرعيتهِ

ثم تقدّم دولتلو رياض باشا رئيس الاحتفال وقال مخاطباً الجناب الخديوي

مولاي — اتشرف بان اقدم لمقامكم السامي ما انتم اهل لهُ من واجب الشكر ومزيد الامتنان على ما تفضلتم بهِ من تشريفكم هذا الاحتفال تنشيطاً وتشجيعاً للعلوم والمعارف وعلى ما تكرمتم بهِ من المنح الجليلة وما بذلتموهُ من العناية والمساعدة الجزيلة في اظهار هذا المشروع من حيز الفكر والتصور الى عالم الوجود والعمل وهذا هو من مقتضى سجاياكم الكريمة التي جبلت على حب فعل الخير لاهالي البلاد التي قلدكم الحق سبحانهُ وتعالى مقاليدها

مولاي — هذا اليوم يوم عظيم يوم مبارك نحتفل فيهِ تحت حمايتكم ورعايتكم العلية بوضع

اول حجر لاساس مدرسة صناعية اهلية البلاد في اشد الاحتياج اليها وقد اطلق على هذه المدرسة تيمناً اسم ذاك الرجل العظيم الذي لهُ المآثر الجليلة على هذه البلاد ألاَ وهو جدكم الاكبر محمد علي . هذا الاثر الذي هو من جلائل الاعمال التي ستعود بالمنافع العظيمة والفوائد العميمة على هذه البلاد مما تنشرح لهُ الصدور وترتاح اليهِ النفوس ويسر لهُ ويهتم بهِ كل غيور محب للخير والعلوم سيبقى ان شاء الله تعالى تمثالاً وتذكاراً حيَّاً لاسمكم الشريف ومحاسن عهدكم المنيف على مدى الازمان والاحقاب

حق علينا ان نعرف ونعترف بقدر هؤلاء الرجال الكرماء الذين تبرعوا وجادوا بالاموال وبالمثل هؤلاء الرجال الفضلاء اعضاء جمعية العروة الوثقى ورئيسها المقدام الذين قاموا بهذه الاعمال المهمة في خدمة الامة وبانجاز هذا المشروع الجليل . نخص بالذكر ايضاً ما اتاهُ اعضاء هذه الجمعية من الاعمال المبرورة والمساعي المشكورة من نشر العلوم والتربية بين مواطنيهم وما احدثوهُ وشادوهُ في الثغر من المدارس والمكاتب العديدة المعدة لتربية الصبيان والبنات التي تراها قد نمت وزهت ونجحت نجاحاً تاماً في زمن وجيز

هذا شاهد عدل بفضل كل من تكرم بالمال وكل من جاد بالاعمال فجزاهم الله عنا خيراً واخص بالذكر ايضاً على الانفراد احد اعضاء هذه الجمعية وهو خليل بك حماده رجل الجد والنشاط بما هو قائم بهِ من اعباء جمعية الحمالين وما ادراك ما هي . جمعية صغيرة الاسم كبيرة المنافع بما احتوت عليهِ من المبرات والحسنات وما آوت من اولاد الفقراء والمساكين الذين التزمت تربيتهم واعانتهم وانتشالهم من وهدة الفقر وظلمة الجهل والشقاء الى طريق السعادة والهناء فحق لهُ على ذلك منا خالص الشكر . وفي هذا المقام ايضاً يجب علينا التشكر الى جناب شيتي بك مدير عموم الجمارك والثناء عليهِ بما شمل هذه الجمعية الخيرية من العناية والمساعدة حباً بالانسانية والمروءة والامل وطيد بان لا ينقطع عن هذا العمل المبرور

ولا يفوتنا ذكر الجميل الذي صدر من كرماء الاوروبيين المستوطنين بيننا وما تبرعوا بهِ من المال بسخاء وكرم وجادوا بهِ من الخدم مساعدة لجمعية العروة الوثقى ولانجاز هذا المشروع فنذكر لهم ذلك بلسان الشكر والامتنان ولا ننسى لهم هذه المنة على ممر الايام

ولا ننسى ايضاً ما كلف نفسهُ بهِ سعادة جونسون باشا من الاتعاب ابتغاء خدمة الانسانية والمدنية باشتراكهِ في الاعمال مع اعضاء الجمعية وارشادهِ لهم بما لهُ من سعة الاطلاع والاختبار حتى تقررت رسوم بناء هذا المحل وتقرر كل ما يلزم لهذا المشروع الذي كان لهُ فيهِ الحظ الاوفر فلهُ منا خالص الشكر على هذا الجميل

جناب اللورد كرومر اعتذر اليوم عن الحضور في هذا المحفل لتغيبهِ عن مصر . كلٌّ يعلم ما لهُ من المقام الارفع والنفوذ الشامل في هذه البلاد وبالاخص ما لهُ من اليد الطولى في كل ما لهُ مساس بالمصالح والمنافع العمومية فهذه اليد الفعالة قد شملتنا وهي التي كانت لنا معوانًا بل متممًا ومكملاً لهذا المشروع فحق علينا ان نعرف لهُ هذه المبرة ونقدم لجنابهِ واجب الشكر ونثني عليهِ اطيب الثناء ولا نبرح نترجاهُ بان لا يترك هذا المولود في مهدهِ صبيًّا بل يراعيهِ بعين عنايتهِ ويؤاسيهِ ويواليهِ الى ان يترعرع ويبلغ اشدهُ ويصير رجلاً قويًّا يقوم باود نفسهِ

مولاي : اسمح لي بان اتكلم بما يخالج ضميري . اذا نظرنا وتاملنا الان الى ما جريات الاحوال وطبقنا ماضيها على حاضرها نجد ان الاحوال والافكار قد تغيرت تغيرًا كليًّا واتخذت لها مجرًى جديدًا نحو التقدم والترقي وبث العلوم والمعارف وانتشارها في كل بقعة من بقاع البلاد وكل ما نراهُ امام اعيننا من هذه المشروعات العلمية الادبية والمؤسسات الخيرية الاهلية يتلو بعضها بعضًا لا نشك ولا نرتاب بانها أثر من آثار هذا الانقلاب فلا حاجة بنا الآن ان ندخل في موضوع الشرح والتأويل ولا في البحث والتدقيق في علل الامور ومسبباتها بل نكتفي الآن بان ننظر بعين البصيرة والاعتبار الى ما كنا عليهِ بالامس وما نحن فيهِ اليوم ونهنيء انفسنا ونتهلل بشرًا ونسجد لله شكرًا على ما وصلنا اليهِ من التقدم الباهر مستبشرين بما تدلنا عليهِ قرائن الاحوال بمستقبل زاهر

ولا مشاحة ولا جدال ان الفضل في هذا كلهِ راجع الى كبار الامة وعظمائها وعلمائها وعقلائها الذين هم قادة افكارها فنرجو لهم من الله التوفيق وزيادة الالتئام والوفاق فيما بينهم حتى يثابروا ويستمروا على السير في هذا المجرى الجديد ويصرفوا كل قواهم في ازالة كل ما يحدث امامهُ ويعقبهُ من العقبات والموانع وبهذه الواسطة لا غير يمكننا ان نحفظ قوامنا في وسط معترك هذه الحياة الدنيا ونعيش بهناء وسلام . وفي الختام نبتهل الى الحق سبحانهُ وتعالى ان يؤيد عرشكم السامي ويزيد في نفوذهِ ليكون لنا ظلاً ظليلاً انهُ سميع مجيب

فشكرهُ الجناب العالي وقال لهُ ما معناهُ انك لقد اعربت عما في فوآدي من السرور لهذا العمل المجيد ونطقت بلساني فيما سردتهُ من عبارات الشكر لمؤسسي جمعية العروة الوثقى ولحضرات رئيسها واعضائها ولحضرات الذين ساعدوا باموالهم وحسن مساعيهم لاحياء هذا العمل المجيد وقد زاد سروري ما رأيتهُ من جد الاسكندريين وسعيهم في تشييد الاعمال النافعة وسبقهم في ذلك جميع مدن بلادي لان في الاسكندرية قد كان مولدي ويسرني

ان يكون السبق لسكانها في كل عمل خيري وكل مشروع مفيد كما انهُ يسرني ان اضع اول حجر في اساس اول مدرسة صناعية تشاد في الاسكندرية وهي اجل اثر من آثار جد العائلة الخديوية فلنتقدم بسرور وافتخار لنضع هذا الحجر

ثم تقدم الى حيث يوضع الحجر في الاساس وتبعهُ البرنس عمر باشا طوسن ورياض باشا وفخري باشا ناظر الاشغال العمومية وصدقي باشا محافظ الاسكندرية ومحمد بك سعيد رئيس جمعية العروة الوثقى ووقعوا محضر الاحتفال ووضعت اشكال النقود المصرية والجرائد اليومية في صندوق صغير وضع في الاساس ووضع الجناب الخديوي الطين للحجر وأنزل الى مكانهِ بآلة كانت ترفعهُ وتم الاحتفال

ولا شبهة في ان انشاء هذه المدرسة من فوائح التعاون على انشاء المدارس الصناعية فلهُ شأن كبير من هذا القبيل لكن انشاءها لم يقترن باظهار الهمة العالية والغيرة القومية التي يبديها بعض ابناء هذا القطر في ما يحسبونهُ من وجوه البر كايقافهم العقارات الواسعة الريع على الجوامع والتكايا. فلا يندر ان تسمع بواحد يوقف الف فدان ريعها في السنة بضعة آلاف من الجنيهات على اعمال قد لا تفيد احداً او قد تعلّم بعض الكسالى الغلو في الكسل والتوكُّل. فاذا كان في البلاد حمية قومية فمجال اظهارها واسع جدًّا والمباراة فيهِ من خير الاعمال التي تكسب الذكر وتنفع الوطن. فان البلاد تحتاج الى مدرسة جامعة تبلغ نفقاتها في السنة عشرين او ثلاثين الف جنيه تعلّم تلامذتها العلوم الطبيعيَّة والفلسفية والادارية والتجارية ونحو ذلك من مما يتعلمهُ قادة الامم. وهي في اشد الحاجة الى مئات من المدارس الابتدائية والمدارس الزراعية. فاذا تعلّم جمهور المزارعين مبادئ العلوم الطبيعية واصول العلوم الزراعية فلا يبعد ان تزيد حاصلات الارض عشرة في المئة او عشرين في المئة وما ادراك ما ذلك فان قيمة الحاصلات الآن نحو خمسين مليونًا من الجنيهات فاذا زادت عشرة في المئة فقط باتقان الاساليب الزراعية بلغت الزيادة في السنة خمسة ملايين من الجنيهات وهي تعادل اكثر من مئة مليون من راس المال

وعندنا ان ما نذكرهُ دوامًا من امثلة المحسنين الاوروبيين والاميركيين لا بدَّ وان يحرك غيرة بعض الاغنياء الواسعي الثروة حتى يجودوا بجانب كبير من اموالهم على انشاء هذه المدارس فتنتفع بها البلاد اضعاف ما انتفعت من الاوقاف الخيرية

هستيريا البصر

تابع ما قبله

ومن العلامات البصريَّة الهستيرية كلال النظر الهستيري وهو ناتج عن خلل التطبيق وحده أو التطبيق والتقارب وعن كره الضوء الذي سيأتي الكلام عليهِ . فإذا كان ناتجاً عن تشنج التطبيق فقط شعر المريض بألم في الرأس والعينين وظلمة في النظر وقد يرى الاشياء اصغر مما هي . وهو يشابه احياناً الكلال المرافق لطول البصر فانَّ الاولاد الذين يصابون بهِ يحسبون ابعاد الكتاب عن اعينهم لازماً لسهولة القراءة لكنهُ يختلف عنهُ بشعور المريض بانزعاج شديد بعد دقائق قليلة من المطالعة . ولا يظهر هذا الانزعاج في المصابين بالكلال البصري الناتج عن طول البصر الحقيقي الاَّ بعد استعمال العينين ساعات متوالية و بوجود العينين صحيحة من فحص قوتها الانكسارية

إما اذا كان الكلال ناتجاً عن خلل التطبيق والتقارب معاً فلا يقتصر الأمر على ما ذكر بل يرى المصاب احرف الكتابة مضاعفة وفي غير محلها الحقيقي و يشعر بشدٍ خاص في رأسهِ وقد تشتدُّ الحالة فيصاب بغثيان و يتعذر عليهِ النظر الى الاشياء البعيدة أيضاً

وقد يكون ألم الرأس أهم علامات الكلال البصري الهستيري واكثرها وضوحاً . ومركزهُ الأصلي فوق الحجاج فإذا استمرَّ المريض على العمل زاد ذلك الألم زيادة شديدة وانتشر فوق الرأس والعنق والكتفين . ومما يزيدهُ ايضاً الكدر والانفعالات النفسانية والارق . وقد يعتري المصاب فزع من النور فيضطرهُ الى البقاء في الظلام . واشد انواع الضوء تأثيراً وألماً ما كان شديداً او منتشراً كنور النهار والنور الكهربائي الساطع وهذه الحالة ترافق غالباً تشنج التطبيق و يأتى عنها احياناً انقباض العضلة الحجاجية انقباضاً شديداً

وقد يشكو بعض المرضى من كرهٍ خاصٍ لأحد الألوان كالأحمر مثلاً لكنَّ هذا غير خاصٍ بالهستيريا

وقد يصاب الهستيريون بخلل في حركة العينين عند النظر الى الجهات المختلفة . فمن المعلوم ان المقلتين تتحركان معاً حركة واحدة في وقت واحد وهذه الحركة اما ان يكون المقصود منها رؤية الاشياء على ابعاد مختلفة وهو التقارب وقد اشرنا الى حدوثهِ في الهستيريا واما ان يكون المراد بها توجيه النظر الى الجهات المختلفة وهو ما نشير اليهِ الآن . والخلل الذي يطرأ عليها لا يأتى عن شلل في الاعصاب ولا عن مرض في العضلات بل عن إصابة في المركز الاعلى لهذه

الحركات وهو انقباضي محض كاغلب الاصابات المستيرية. وقد يقتصر على حركة واحدة او يتخطاها الى حركات كثيرة فتشابه الحالة حينئذ شلل العين. واغرب ما يحدث اذ ذاك ان تصاب الحركات الارادية بدون ادنى تأثير في الحركات الاضطرارية كالتي تنتج عن ردّ الفعل. مثال ذلك مريض طُلب منهُ ان يوجه نظرهُ الى ما فوقهُ فعجز عن ذلك لكن الطبيب لمس جفنهُ العلوي فجأة برأس ريشتهِ فتحركت عينهُ تلك الحركة التي لم يتمكن منها بمجرد ارادتهِ وقد ابان منك Mink وشافر Schaefer وغيرهما التعليل التشريحي لهذا الأمر باكتشافهما مركزين مختلفين في قشرة الدماغ لحركات المقلة أحدهما في الفص المؤخري فوق مركز البصر وهو انعكاسي غير ارادي والآخر في الفص المقدَّمي وهو اختياري محض. ولا يسبب خلل حركات العين المستيري اقلّ انزعاج للمريض ولا يأتي عنهُ النظر المزدوج ولا يصيب جميع حركات المقلة الاّ نادرًا جدًّا

ويُصاب المستيريون احيانًا بانحراف المقلتين انحرافًا تشنجيًّا مزدوجًا اثناء النوب التقلصية ويكون الانحراف غالبًا في الجهات السفلى المائلة وقد يستمرّ زمنًا طويلا ويزول باستنشاق الكلوروفرم

وتتحرك العينان في بعض الاحوال الانقباضية الاخرى حركات مستمرة عوضًا من الانحراف المذكور آنفًا وهذهِ العلة تصيبهما في آنٍ واحد فتفقدان قوة التثبيت وتبصران الشيء مزدوجًا ويصاحب ذلك غالبًا بفزع من الضوء وتشنج في الأجفان. وقد يتأتى من تهيج العين او من فروع العصب الخامس انقباضات هستيرية شديدة في المعرَّضين لذلك ومن هذا القبيل حوادث كثيرة حدث فيها الانقباض من وجود سن مخفورة وزال عقب نزعها

ومما يصيب المستيريين تشنج الاجفان وهو على نوعين الاول انكماشي مستمر تنقبض بهِ العضلة المحيطة ويمتد الانقباض احيانًا الى عضلات الوجه والرقبة ويختص بعين واحدة غالبًا وقد يرافق بفزع من الضوء وضعف في البصر والثاني ارتجاجي يصيب العينين فتطرفان طرفًا متواليًا ولا تمتاز بهِ المستيريا بل يشاهد في احوال أُخرى وهو دليل على عدم سلامة العقل

ويتسبب تشنج الاجفان عن مؤثرات عديدة ومختلفة منها الانفعالات النفسانية ومنها تهيج العين والجلد والاغشية المخاطية ويرافق غالبًا بضعف في حس الاجفان وسيلان الدموع وظهور آلام في محيط المقلة بلا سبب او عقب اللمس الخفيف

وقد تصاب حركات الجفون في المستيريا باعراض أُخرى كثيرة فمن ذلك ارتخاء الجفن العلوي المستيري ويفرق عن الارتخاء الشللي باربع علامات اولاً اذا رفع الجفن المرتخي

بالاصبع ثم ترك سقط بسرعة بالنسبة الى ما يحدث في الارتخاء الشللي وثانياً يصاحب غالباً بفزع من النور تختلف درجتهُ باختلاف الحالة وثالثاً ان الجفن المرتخي الذي لا يتأتى للمريض تحريكهُ بارادتهِ يرتفع ثم يهبط عندما يوجه الالتفات فجأة لامر غير منتظر . ورابعاً علامة شاركو وهي ان حاجب العين المصابة اوطأ من حاجب العين السليمة والعكس في الشلل

ومما يساعد ايضاً على التمييز بين هاتين العلتين ما يرافق الارتخاء الهستيري من الارتباكات البصرية غالباً

ومما تصاب بهِ حركة الاجفان عدم امكان تطبيقها تماماً ومن الغريب ان ترافق هذه الحالة ارتخاء الجفن العلوي المذكور آنفاً أحياناً فلا يتأتى للمريض فتح عينيهِ او تطبيقهما الاَّ قليلا

∴

ويختص بعض العلامات المذكورة آنفاً بالهستيريا ولا يظهر في غيرها والبعض الآخر يشترك بينها وبين ما سواها من الامراض . اما العلامات المختصة بالهستيريا فهي اولاً انقباض الحقل البصري في اللون الابيض اكثر مما في الاحمر وغيره من الالوان . ثانياً تشنج القوة المكيفة وقوة تقارب المقلتين وهو وقتي في الاطفال . ثالثاً انقباضات مختلفة في حركات توجيه المقلتين المشتركة . رابعاً تشنج الاجفان الانكماشي حتى في الاحوال التي يكون فيها مسبباً عن فعل منعكس من الجلد والاغشية المخاطية كما ذكر سابقاً . خامساً ارتخاء الجفن العلوي . سادساً انفصال الحركات الارادية وغير الارادية في شلل المقلة . سابعاً خلل او نقص في اشتراك الحركات الضرورية لتوجيه النظر الى الجهات المختلفة

اما انقباض الحقل البصري بلا آفة ظاهرة في قاع العين او خارجها فليس من العلامات الخاصة بالهستيريا لكنهُ يساعد جدًّا على تشخيص هذا الداء . والاحوال الاخرى التي يشاهد فيها ثلاثة اولها اشتداد الضغط داخل الجمجمة عقب التهاب شديد في سحايا الدماغ وثانيها آفات المحفظة الداخلة وثالثها الصرع . ويتبع في هذه الحالة الاخيرة النوب الانقباضية ويزول سريعاً بعد زوالها الاَّ انهُ قد يستمر في بعض الحوادث النادرة التي يبلغ نسبتها الى مجموع المصابين بالصرع نحو اربعة الى المئة

وقد يتأتى عن الصرع ضعف بصري وقتي او مستمر يشابه الضعف البصري الهستيري لكنهُ يمتاز عنهُ بنقص في جميع قوى البصر كالحدة البصرية وادراك الالوان وخلاف ذلك مما لا يتأثر مطلقاً في ضعف البصر الهستيري

ويظهر انقباض الحقل البصري المركزي واختلال حركات العين في بعض حوادث

الاضطراب العصبي التابعة خصوصاً لكلوم مرافقة بتهيج عقليّ شديد وهزة عصبية وقد سمّى شاركو هذهِ العلامات باسم الهستيريا الكلومية

وقد يظنّ التخيّل في بعض المصابين بضعف البصر الهستيري كما لو أراد أحدهم إحالتهُ على المعاش لكن التدقيق في البحث وملاحظة اتساع حقل اللون الاحمر اكثر من سائر الالوان الاخرى وغير ذلك من العلامات المذكورة آنفاً مع ما هنالك غالباً من تخدرِ الجلد وعدم حساسية البلعوم ولسان المزمار وإمكان لمسهما بالاصبع أو أيّ شيء آخر بدون مضايقة المريض كل هذهِ العلامات تثبت حقيقة الداء

وقد يُصاحب الهستيريا بعض الامراض العضوية فيمكن حينئذٍ للخبير المدقق تمييز العلامات البصريّة المختصة بكلٍّ من المرضين. وقد وجد موركس Morex إصابات بصرية ناتجة عن امراض عمومية في ٩ من ٧٩ مصاباً بضعف البصر الهستيري ولهذا فاذا ظهر للطبيب علامة من العلامات البصرية الهستيرية في مصابٍ بمرض عضوي وجب عليهِ ان لا ينسبها الى هذا المرض الاّ متى امكن نفي مرافقة الهستيريا

المعالجة

تُعالج الادواء المذكورة آنفاً بالمواد التي تُعالج بها اعراض الهستيريا العمومية فالحلتيت والقاليريانا والبروم تفيد فائدة كبيرة في كثير من الحوادث وللوهم تأثير شديد حتى في بعض الاحوال التي لا يفطن لها الطبيب فمن ذلك ما قرأتهُ في عدد يناير الماضي من مجلة طب العيون ذكر احدُ الاطباء ان عليلاً شكا لهُ من ضعف في بصرهِ وألمٍ شديد في رأسهِ وكانت حدقتهُ اليسرى اوسع مما هي عادة فظنهُ مصاباً بالجلوكوما واجرى لهُ عملية القشط القزحي فتحسنت حالتهُ بعض التحسن لكنهُ عاد بعد اربع سنوات وأُصيب بنوب اغماء وظهرت فيه علامات التهيج العصبي الشديد كآلام مستمرّة في الجزء المؤخري من الرأس وازدياد في الانعكاس الرضفي وارق واضطراب فشخّص اصابتهُ حينئذٍ بانها هستيرية وبعد ذلك بسنتين اعترتهُ نوبة شديدة اضعفت بصرهُ جدًّا بعد ان اصيب بتشنج مؤلم في مؤخر رأسهِ وأُحضِرَ حينئذٍ الى عيادة رمدية وكان في حالة سيئة جدًّا يبكي ويشكو من شدة الالم والحاجة الى النوم وينوح على بصرهِ الذي لم يبقَ منهُ سوى مجرّد ادراك الضوء وكان حجم الحدقتين اعتيادياً وقاع العينين سليماً. ولما لم تُجدِ معالجتهُ وضعهُ ذووهُ في احد المستشفيات الخاصة بالمصابين بداء الصرع لانهم حسبوا النوب التي كانت تصيبهُ من نوع هذا المرض فتحسنت حالتهُ هناك قليلاً لكنهُ عاد فأُصيب بنوبة شديدة قال بعدها ان نظرهُ فُقدَ تماماً واشتدت آلام

رأسهِ فكان يلقي نفسهُ في سريرهِ صارخاً باكياً فأعطاهُ الطبيب جرعة من الانتيبيرين وأكّد لهُ انهُ سينام في الحال وهكذا كان . فلما استيقظ قال انهُ احسن مما كان عليهِ قبل الرقاد ونظر اليد على بعد متر ثم أخذ الطبيب بعالجهُ بالايهام والتأثير على الافكار فظل نظرهُ يتحسن يومياً الى ان شفي تماماً ولم يعد يشكو من شيء مطلقاً . ويقول الطبيب انهُ لمن المرجح ان هذا المريض لم يصب قط بالجلوكوما وان الفائدة الوقتية التي نتجت عن العملية كانت وهمية . اما العلل التي تأتي بالمستيريين الى الطبيب الرمدي فقلما تخرج عن الامور التالية وهي كلال البصر وكره الضوء وآلام المقلة وتشنج الاجفان

اما الكلال البصري فينتج غالباً عن ارتباك القوّة المكيفة او المطابقة للعين ويعالج باستعمال العدسات المحدّبة حتى في الاحوال التي يشاهد فيها درجة شديدة من قصر البصر التشنجي ولا يمكن معرفة قوة العدسة اللازمة بقياس الظل الشبكي بل ينبغي الابتداء بعدسة ضعيفة وزيادة قوتها تدريجاً بحسب اللزوم . واذا اشتد التشنج افاد الاتروبين فائدة كبيرة بازالتهِ لكن العلة تعود فتظهر بعد ما يزول تأثير الدواء الاَّ انها تكون اضعف مما كانت خصوصاً اذا استعملت الطرق الاخرى الواقية كالعدسات المحدبة والمنشورية والزجاجات المدخنة

اما اذا كان ضعف التقارب هو العلامة الرئيسية فمن المفيد استعمال عدسات منشورية قوتها درجتان او ثلاث درجات وقاعدتها الى الجهة الانسية وبما ان اختلال التقارب قلما يصيب المستيريين وحدهُ بل يصاحب دائماً تقريباً بتشنج التطبيق فكثيراً ما يكون من الضروري والنافع جداً مزج العدسات المحدّبة بالمنشورية . وفي هذه الحالة لا يمكننا ايضاً معرفة قوّة المنشور الواجب استعمالهُ من مجرّد فحص كمية التقارب بل الواجب الابتداء بالعدسات الضعيفة لانها قد تفيد في الاحوال الشديدة جداً . اما اذا كان اختلال التقارب مرافقاً بدوار فمن الضروري الالتجاء الى العدسات المنشورية فقط واستعمالها مدى اليقظة

ويعالج الفزع من الضوء باستعمال العدسات المدخنة والملوّنة وهي تريح المريض وتنقص تشنج التطبيق وانقباض ميدان البصر

والآلام التي تصيب المقلة ولا تكون مسببة عن اختلال التطبيق والتقارب نفسانية الاصل ولهذا فقلما تنجح فيها المعالجة الاَّ اذا كانت من قبيل الايهام . وتشنج الاجفان المستيري مثل سائر اعراض هذا الداء مركزي الاصل ويعالج بالمواد المحسنة للحالة العامة وبتقطير الكوكايين وبالدلك وبالمجرى الكهربائي المستمر . وقد وصف لهُ كثيرون من اطباء العيون عمليات مختلفة كقطع العصب الواقع فوق الحجاج ومدّه . واستنبط علوي

باشا طريقة جديدة ذكرها في كتابهِ المعروف بالنخبة العباسية في الامراض العينية وقال انهُ بعد ازالة الحساسية الموضعية بالكوكايين يضع في احدى عيني المريض الآلة المبعدة الانسية للأجفان وفي الاخرى الآلة المبعدة الوحشية ثم بعد مضي نحو عشر دقائق يعكس وضع هاتين الآلتين قاصداً بذلك ايقاع كمية واحدة من القوة الممددة على كلٍّ من زاويتي العينين ثم بعد مضي عشر دقائق اخرى يرفع الآلتين ويأمر المريض بالاستراحة في غرفة مظلمة مدة ساعة ونصف. لكن الراي الغالب الان ان كل العمليات المذكورة آنفاً لا تفيد المريض المستيري الا بايهامهِ فهو يعتقد بقدرة الطبيب وينتظر من عمليتهِ نتيجة حسنة فلا يلبث ان ينالها لان العلة الاصلية وهمية

ويفيد التنويم المغناطيسي فائدة كبيرة في اكثر الحوادث وقلة استعمالهِ ناتجة في الغالب عن امرين الاول قدرة الاطباء القادرين على العمل بهِ والثاني احجام العدد الكبير من المرضى عنهُ. انتهى

الياس ابرهيم الصليبي
طبيب العيون

قوانين يوستنيانوس

تابع الفصل السادس عشر

(٤) ليس العبد المعتق بعرضة لتغير الحالة

(٥) ان الذين يتغير مقامهم لا يطرأ عليهم لاجل ذلك تغيُّر الحالة

(٦) القرابة العصبية لا يفسدها تغيُّر الحالة الصغيرة لكنها تبطل بالتغير الكبير

(٧) الوصاية هي لاقرب الاوصياء درجة وان تعددوا وكانوا في درجة من القرب كانت لجميعهم

الفصل السابع عشر في وصاية الموالي الشرعية

وصاية المعتقين والمعتقات هي للموالي ولاولادهم وانما قيل لها شرعية لان الشرع يجعل ميراث المعتقين المتوفَّين بلا وصيةٍ لمواليهم او لأولاد مواليهم . وبما ان فوائد التركة لهم وجب ان يكون عبء الوصاية عليهم (جرياً على المشهور بين الفقهاء من قولهم من لهُ الغنم فعليهِ الغرم)

الفصل الثامن عشر في وصاية الآباء والاجداد الشرعية

كما ان للموالي وصاية شرعية على المعتقين كذلك المعتق متى كان لهُ صغار تكون لهُ الوصاية

عليهم فهو وصيٌّ شرعيٌّ على ابنهِ او ابنتهِ وابن ابنهِ او ابن بنتهِ وغيرهم من الفروع

الفصل التاسع عشر في الوصاية الابداعية

توجد ايضاً وصاية اخرى يقال لها ايداعية وهي متى اذن اب لابنٍ او لابنةٍ او لآخر من النازلين منهُ وهم غير بالغين كانت الاذن على هؤلاء الاولاد او النازلين منهم وصاية شرعية . اما عند موتهِ فان كان في اولادهِ ذكور كانوا هم اوصياء على البقية . على ان ذلك مشروط بان تتوفر فيهم كل شروط العمر التي توجب شريعتنا رعايتها في كل وصاية ونظارة

الفصل العشرون في الوصي بحسب شريعة إبتليا وفي الوصي بحسب شريعة جوليا وتيتيا

يقام وصيٌّ لمن ليس عليهِ وصي

(١) كان الامر كذلك عند ما كان يقام وصي بكتاب الوصاية تحت شروطٍ او الى اجلٍ مسمى حتى اذا تمّ الشرط وحلّ الاجل تنتهي الوصاية وقد كان ايضاً يعين وصي بلا شرط ان لم يكن احد يدّعي انهُ وارث بحكم كتاب الوصاية

(٢) يقام وصي اذا وقع وصيهُ اسيراً في يد العدو

(٣.٤) انهُ تبعاً للشريعة الجارية يقيم الاوصياء في رومة حاكم المدينة او القاضي واما في الاقاليم فيقيمهم الولاة ولكن بعد التحقيق او يقيمهم القضاة بامر الولاة . وذلك متى كانت تركة القاصرين زهيدة

(٥) اما نحن فنحكم من دون انتظار اوامر الولاة متى كانت املاك القاصر او البالغ تبلغ خمسمائة صوليد بان يجتمع محامو المدن مع الاسقف او اشخاص آخرين عموميين او قاضي مدينة الاسكندرية ويقيمون الاوصياء او النظار ويأخذون عليهم كفالة شرعية

(٦ ٧) يجب على الاوصياء عند بلوغ القاصر ان يقدموا حساباً عمّا اجروا في مدة الوصاية

الفصل الحادي والعشرون في إجازة الوصاية

اذا اشترط الصغار ان يُعطى لهم شيء معين فلا يكون بهم حاجة الى اجازة اوصيائهم والاّ كانت هذه الاجازة ضرورية على انهم مباح لهم ان يجلبوا المنافع من دون اذن الوصي ومحظور عليهم ان يتصرفوا بما يؤدي الى الخسارة بدون اذنهِ . يؤخذ من ذلك انهُ في العقود التي يترتب عليها التزامات متبادلة والتي من اجلها لا يعطى هذا الاذن ممن يعقدونها مع القاصر تلزمهم واما القاصر فلا تلزمهُ

(١) لا يجوز للقاصر ان يأخذ ميراثاً ولا ان يطلب وضع اليد على الملك ولا ان ينتفع بالميراث الصادر عن الايداع الاّ باذن الوصي

(٢) يجب على الوصي للحال ان يجيز ذلك للقاصر بصك يوقع عليه بخطهِ

(٣) اذا قامت دعوى بين القاصر والوصي يقام وكيل للقاصر

الفصل الثاني والعشرون باية وجه ترتفع الوصاية

متى ادرك الصغار من الذكور والاناث سن البلوغ ارتفعت عنهم الوصاية . وبلوغ الذكور عندنا عند انتهاء السنة الرابعة عشرة وبلوغ الاناث عند تمام السنة الثانية عشرة

(١) ترتفع الوصاية متى تبني الصغار بطريقة التبني الاستدعائي او متى غربوا (اي نفوا) ومتى استعبدوا

(٢) الوصي المعلقة وصايتهُ على شرط ينعزل عن الوصاية متى تمَّ الشرط

(٣) ترتفع الوصاية بالموت سواء مات الصغير او الوصي

(٤) ترتفع الوصاية ايضاً بتغير حالة الوصي اذا حرم حريتهُ او حقوق وطنيتهِ اما الوصاية الشرعية وحدها فترتفع بتغير حالة الصغير

(٥) الاوصياء المقامون الى اجل محدود اذا حلَّ الاجل عزلوا عن الوصاية

الفصل الثالث والعشرون في نظار من دخلوا في سن البلوغ

من بلغ من الذكور والاناث يقام لهُ ناظر حتى تتم لهُ خمس وعشرون سنة

(١) ان هذا الناظر يقيمهُ القاضي كما يقيم الوصي

(٢) لا يكره الشاب على قبول الناظر ان لم يكن هناك دعوى

(٣) المجانين والمبذرون هم تحت نظارة عصباتهم وقد جرت العادة في رومة ان والي المدينة او قضاتها يقيمون النظار للمجانين والمبذرين وذلك بعد التحقيق (اي بعد ثبوت الجنون والتبذير) وعلى هذا يجري معهم الولادة في الاقاليم

(٤) كما يقام نظار للمجانين والمبذرين كذلك يقام نظار للبله والصم والبكم والمصابين بداء عياء

(٥) يقام للقاصر وكيل حين يجيز وصيهُ الشرعي عن احكام الادارة ولو لم يخشَ منهُ الغش وكذلك يقام عادة وكيل ليغني غناء الوصي المعفى موقتاً من القيام باعباء الوصاية

(٦) متى تعذر على الوصي القيام بادارة اشغال القاصر ومتى كان هذا القاصر بعيداً عن املاكهِ او حدثاً جداً فحينئذٍ يقيم القاضي او والي الاقاليم من يريدهُ الوصي وكيلاً ويجعل العهدة في ذلك على الوصي

الفصل الرابع والعشرون في كفالة النظار والاوصياء

انهُ محافظة على املاك القاصر ذكراً كان او انثى واملاك من عليهِ قيم او وكيل حرصاً

عليها ان تهلك او تفسد باستعمال الوصي او القيم يستوثق القاضي من الوصي والقيم بكفيل على ان الوصي المقام بكتابة الوصاية لا يؤخذ عليهِ كفيل وكذلك الوصي المقام بعد السوال عن احوالهِ

(١) اذا تعدد الاوصياء بان كانوا اثنين او اكثر وكانت وصايتهما مثبتة في كتاب الوصاية او كانت من قبل من لهُ حق باقامة الوصي بعد استطلاع حالهِ والعلم بانهُ ثقة امين فليس لواحد منهما او منهم ان يطلب كفالة من الاخر لكن عليهِ ان يعرضها حتى يتهيأ لشريكه في النظارة او في الوصاية لاجل الانتخاب الخيار في قبول الكفالة او اعطائها . فان لم يعرض احدهما او احدهم الكفالة وكان الموصي قد خص التصرف في الوصاية بواحد منهما او منهم فالذي اختصه بذلك هو الذي يتصرف . وان لم يكن الموصي قد عين واحداً منهما او منهم للقيام باعمال الوصاية فانما يتصرف فيها من اختير لذلك بالاكثرية واذا وقع الخلاف بين هؤلاء الاوصياء كلهم يعين القاضي واحداً منهم للتصرف

(٢) اعلم ان ليس الاوصياء والنظار هم المسؤولين وحدهم عن ادارة املاك القاصرين او البالغين بل ان الذين يقبلون الكفالات هم مسؤولون ايضاً لكن بصورة ثانوية . وهذه المسؤلية تسري الى ورثتهم

اذا لم يستوثق بكفالة فالاوصياء والنظار يلزمون باعطاء رهن

الفصل الخامس والعشرون في اعذار الوصي او الناظر

ان الوصي او الناظر يعذر عن القيام باعباء الوصاية او النظارة لاسباب مختلفة واكثرها عادة تعدد الاولاد . ففي رومة ثلاثة اولاد احياء وفي ايطالية اربعة وفي الاقاليم خمسة يوجدون عذراً

اما الاولاد المتبنون فلا يعدُّون . والاولاد المسلَّمون للتبني يعدون للاب الطبيعي . واما الاحفاد والنازلون من الابن فلا يعدون الاَّ مكان ابيهم والاولاد المتوفون لا يعدون واما القتلى في المعركة فيعدون في حكم الاحياء

(١) ان منشور العاهل مارك اُورال يقضي بأن من يدير اشغال بيت المال قد يعذَر عن القيام بالوصاية او النظارة ما بقيت هذه الادارة بيدهِ

(٢) من يتغيب في خدمة عمومية يُعذَر ما بقيت غيبتهُ

(٣) من يتقلد ولاية عامَّة يجوز ان يعذر ولا يجوز ان يترك وصاية بدأ بها

(٤) ان الوصيَّ او الناظر اذا كان لهُ دعوى على الصغير الذي هو وصيهُ او البالغ الذي هو ناظرهُ لا يجوز ان يُعذر الاَّ متى عمت المحاكمة كلها

(٥) ان التكليف بثلاث وصايات او ثلاث نظارات غير مطلوبة يقتضي الاعفاء من القيام باعمال الوصاية ما بقي هذا التكليف

(٦) الاعتذار بعلة الفقر كان مقبولاً بحسب شريعة العاهل مارك أورال

(٧) كذلك يعذر المرء بعدم اعتدال مزاجهِ

(٨) في منشور العاهل انطونان السعيد ان الامي يجب ان يعذر

(٩) اذا اوصى الى من يكرهُ وعينهُ في كتاب الوصاية فهذا السبب عذرٌ للوصي كافٍ

(١٠) ان العداوات الظاهرة لأبي اليتامى او البالغين عذرٌ

(١١) من كان ينازعهُ في وظيفتهِ ابو اليتامى فهو معذورٌ

(١٢) كذلك من فات السبعين من عمرهِ . ليس لليتامى ولا للبالغين ان يدعوا بالوصاية ولا بالنظارة

(١٣) هذا الحكم نفسهُ جارٍ على العساكر

(١٤) النحاة في رومة والبيانيون والاطباء يتمتعون بالاعفاء من الوصاية والنظارة وكذلك القائمون على تعليم النحو والبيان والتطبيب والمنتظمون في عدد معين

(١٥) لا يقبل العذر من الوصيّ او الناظر ما لم يقدّم في اثناء خمسين يوماً اعتباراً من علمهِ باقامتهِ وصيًا او ناظرًا كائنًا ما كان نوع الوصاية او النظارة

هذا اذا كان الوصي او الناظر على بعد مائة حجر من المكان الذي عين فيهِ . وان كان أبعد من ذلك فيحسب يوم لكل عشرين ميلاً ويضاف الى ذلك ثلاثين يوماً . ويجب في كل الاحوال ان لا يكون عدد الايام اقلّ من خمسين يوماً

(١٦) الوصيّ يعتبر مقاماً على التركة كلها

(١٧) من ينفذ وصاية شخص لا يكره على ان يكون ناظرهُ او قيمهُ

(١٨) قد اباح العاهلان سيفيد وأنطونان بمنشورها للزوج المقام ناظرًا على زوجتهِ ان يعتذر عن النظارة ولو بعد الشروع في مباشرة اعمالها

(١٩) من يعتذر عن الوصاية بحجة كاذبة فلا يعفى من التكاليف التي تفرضها

الفصل السادس والعشرون في الاوصياء والنظار المرتاب في أمانتهم

(١) حقُّ عزل من يرتاب في امانتهِ من الاوصياء في رومة للقاضي وفي الاقاليم للولاة ومن يقومون مقامهم

(٢) من الجائز ان يرتاب في امانة الاوصياء طرًا مع ذلك لا يجوز ان تغفل رعاية شرف الموالي (اي متى كانوا احياء)

(٣) اعلم ان لكل احد ان يشكو الوصيّ ويتهمهُ بالخيانة . وزد على ذلك ان النساء أنفسهن تقتبل منهنّ اقامة هذه الشكوى اذا كان الباعث لها الشفقة على من هم تحت ولاية الوصيّ او نظارة الناظر

(٤) ليس لليتامى ان يشكوا اوصياءهم بالخيانة اما البالغون فلهم ان يشكوا نظارهم ويتهموهم

(٥) المرتاب فيهِ من الاوصياء هو الذي يخون في اعمال الوصاية . فهذا وان كان موسراً تكف يدهُ بموجب القانون الاساسي كمتهم بالخيانة حتى ولو كان ذلك قبل مباشرة الوصاية

(٦) المكفوف اليد لخيانة والمرتاب فيه هو المفسّق واما المكفوف اليد لذنب واحد فليس هو بمفسّق

(٧) تكف يد الوصي المشكو بالخيانة الى ما بعد انتهاء الدعوى

(٨) اذا توفي الوصي او الناظر المتهم بالخيانة انتهت متابعة الدعوى المقامة عليهِ

(٩) اذا لم يحضر الوصي لدى القاضي لتعيين نفقة القاصر فيعد ذلك بمنزلة اطلاق الاذن للقاصر ان يستولي على املاكهِ والاشياء القابلة للتلف تباع بعد إقامة الناظر

(١٠) اذا ادعى الوصي باطلاً لدى القاضي ان فقر اليتيم يمنع من تعيين نفقة لهُ فيعاقب

(١١) اذا ثبت أن المعتق قد تصرف بخيانة وغش في وصاية على ابن او أحفاد مولاهُ وجب ان يُعاقَب ايضاً

(١٢) اعلم ان من يتصرف بخيانة في الوصايات يجب ان تكف يدهُ بل وان يستوثق منهُ بكفالة

سعيد الخوري الشرتوني

الوصاية عند اليهود

(١) يجب على كل اسرائيلي ان يختار قبل موتهِ وصياً على اولادهِ القصر ليقوم بحفظ اموالهم وتدبير شؤونهم حتى يصلوا درجة البلوغ المقدرة بثاني عشرة سنة للذكر واثنتي عشرة سنة للانثى (مثيرت عينايم وسنتي كوهين على حوشن مشباط بناء على مذهب الطور)

(٢) يجوز للاب ان يختار للوصاية على اولادهِ اي انسان كان يعهد فيهِ الاهلية لتدبير شؤونهم وحفظ اموالهم فيصح اختيار المرأة والعبد ويجوز اختيار القاصر الذي ظهرت خبرتهُ وحسن تصرفهِ (اوريم وتميم على حوشن مشباط)

(٣) ان لم يعين الميت وصياً على اولادهِ ينتخب لهم القضاة وصياً ممن لا يشك في استقامتهم وذمتهم من المعروفين بالاستقامة والخبرة وحسن التصرف ولا يجوز انتخابهُ من النساء ولا العبيد ولا القصر لان جواز اختيار هؤلاء خاص بالاب (مسجيريت مسولحان جزء ثالث عبارة ١٠٩)

من كتاب المقارنات والمقابلات

اسير يطلب الحرية [1]

حيَّا التقدمُ مربعَ الفيحاء مجلي الصفاء ومرتعَ النعماء
ورعى اكارمها العليُّ فانهم نخب الكرام وخيرة الفضلاء
وهمُ همُ والحق اعظم شاهد روح العلوم وغرة العلماء
قوم لهم خُلق ارق من النسيم اذا سرى في روضة غنَّاء
غرٌّ الفضائل مازجت اخلاقهم مثل امتزاج الماء بالصهباء

سادتي انني اقف وقفة المعجب لدى هذه المدينة العظيمة بقدميتها . العظيمة باهميتها التاريخية . العظيمة بكونها ام المدن السورية . العظيمة بمشاهيرها واعاظم رجالها . اقف لديها وانا اراها واري الاصابة مني معقدة الازار — أراها عاصمة الآداب الاخلاقية . اراها خير حلبة لسباق اولي النهضة العلمية . اراها ارضاً طيبةً وسماء نقية صالحة لحياة روح الحرية الادبية روح العلم الصحيح . روح الفضائل النفسية في هوائها النسيم ونسيمها العليل

واراني بازاء هذه العظمة الخالدة كعصفور يرفع نظرهُ الى قمة جبل عظيم وهو واقف عند حضيضهِ فيرى ما يبهر نظرهُ ويشدهُ فكرهُ فيغرق في لجج التصور والخيال

وقد اقترح عليَّ بعض اعضاء هذهِ الجمعية الزهراء ان اقف لديكم خطيباً مع انني اولاكم بالسمع والاصغاء فشكرت واعتذرت فلم يقبل لي عذر فلبيت الطلب وبعد ان قلَّبت المواضيع التي يحلو البحث فيها مليًّا وجدت مراعاة للنظير — بعد ما تأكدتهُ من لطفكم وشرف اخلاقكم — ان اجعل موضوع خطابي الكلام عن مخلوق لطيف شريف لا يخلو الكلام عنهُ من طلاوة الجديد وافادة المفيد . ولست في هذا المقام متكلفاً الاعتذار عن قصر باعي لتأكدي ان لطفكم عذيري وضمين الرضاء لي والعذر شيمة الكرام

موضوع خطابي ايها السادة الكلام عن اسير يطلب الحرية . اسير لا اعلم ان كنتم لا تتعجبون ان قلت لكم انهُ اسير مكبَّل بالقيود ملقى في اعماق سجن مظلم زمناً يربو عن سبعة آلاف عام وهو كل هذهِ المدة يستغيث ويستجير ولا مغيث ولا مجير . مرت عليهِ اعاظم رجال العلم والفلسفة وسمعوا بكاهُ ودروا بلواهُ ولم يبلغوا الى اطلاقهِ سبيلاً ومن حاول منهم تفريج كربتهِ واطلاق سراحهِ جوزي بنفس جزائهِ ومات باعراض دائهِ

هؤلاء العرب الجيل الناشىء بين معترك البيض والسمر القوم الذين هم ارق معاصريهم

---

(1) خطاب تلي في احدى الجمعيات العلمية في دمشق الشام

شعوراً وابعدهم عن اهتضام حقوق الخلق نفوراً قام ابن رشد فيلسوفهم الكبير لتخفيف بعض اثقال هذا الاسير فزلزلت الارض في وجهه زلزالها واخرجت اثقالها وألمَّ بهِ من كوارث الزمن وبواعث الفتن ما شغلهُ بهمهِ عن سواهُ وغادرهُ يكرر : لا حول ولا قوة الاَّ بالله

وهذا الغزاليُّ الفيلسوف الشهير وهو كما يرى من وراء مؤلفاتهِ رجل صلاح وعدل وتقى سمع شكواهُ ودرى حقيقة بلواهُ ولم يستنسب التعرض لامرهِ خشية ان يلمَّ بهِ ما الم بسلفهِ مع ضعف الامل بالنجاح . في وقت لم تنفخ فيهِ داعيات الاصلاح

وكأني بكم يا سادتي قد زدتم تشوقاً الى معرفة هذا الاسير الغريب الحال واستطلاع طلع امرهِ ولذلك ها انا اسأَلهُ على مسمعٍ منكم عن حالهِ ومآلهِ ومطمح آمالهِ واجيبكم بلسانهِ عن عجيب امرهِ وغريب شأنهِ وهذا مستهل المحادثة

— ما ذنبك ايها المسكين حتى قضي عليك بالاسر الابدي ؟

— تعـدُّ ذنوبي عند قوم كثيرة ولا ذنبَ لي الاَّ العلى والفضائلُ

— وما هي تلك الفضائل ؟

— من تلك الفضائل انني عامل نشيط لا اتوقف عن العمل ثانية واحدة فاشتغل في الليل والنهار واتهجَّد عند ما يكون الناس نياماً ولا اتعهد البطالة ولو اشتغلت باضغاث الاحلام

ومن تلك الفضائل انني سريع النهضة سريع العمل اجوب العالم الارضي من كرة الهواء الى اللجة الدأماء فالسيارات فالثوابت فعالم السر والخفاء واعود القهقرى فانشر مطوي الماضي واسرع الكرة فانشر مطويّ المستقبل وكل ذلك في اقل من لمحة طرف او وميض برق . ومن تلك الفضائل انني مصدر كل عمل نافع ومشروع مفيد ورأي صائب وفن جميل

— مسكين . امثل حاوي هذه الفضائل يؤسر ويعاني حمل القيود ولكن ألا يمكنك ان تخبرنا عمن وشى بك حتى وقعت في هذه المغبَّة الفاجعة ؟

— لا اعلم عن ذلك غير اني من ساعة ولدت أُمسكتْ يداي ورجلاي وشددت بالاغلال وزجَّت في مطابق الاسر بالحال

— ان هذا اغرب واعجب ولكن هل من مانعٍ يمنعُ التصريح باسمك بعد ما عرفناهُ من غامض سرك وغريب امرك

— لا بأس في ذلك فانا الاسير بلا اثم ولا حرج انا الفكر البشري الذي يبكي الحرية من قرون طويلة وكلما دنت الحرية مني حتى اكاد ان المسها بيدي نفرت نفور الغادة الحسناء من شيخ رأسهُ كالثغامة اشيب ولم ابرح اودّع املاً واستقبل آخر كسابح في اليم تتوالى عليهِ

الامواج فلا يودّع الماضية حتى يستقبل القادمة

— وممن تطلب الحرية ؟

— اطلبها من كل امة من الامم فالامة في كل بلاد هي العنصر الحي هي القوة الفعالة هي الاساس الثابت هي العامل المطلق منها اطلب الحرية التي لو خولتنيها كل القوانين والحكومات والتعاليم ولم تمد كل امة على حدة يدها لمناولتي اياها فمن العبث كل ذلك

— وبماذا تعد الامة مقابل نصبها وجدها لاعطائك حريتك ؟

— اعطيها عندئذٍ كل خير كل نجاح كل مفيد كل نافع . اريحها من داء المخاتلة اريحها من تبكيت الضمير اريحها من خديعة الغاش انشر علم الفضيلة على رؤوس الملا انقي العلم الصحيح مما غشى وجهه الجميل من ادناس المراءاة والمخاتلة وهل على هذا من مزيد ؟

— ولكن هل من لديك شواهد من سالف مآثرك تؤكد انجاز وعودك ووفاء عهدك ؟

— هذا من اسهل الامور . تذكر ولا اخالك ناسياً انني مرة دنوت من خرستفوروس كولومبوس وهو متكئ على وسادة رقاده ولمست جبهته العالية وقلت ما قولك ايها المفضال ؟ : ان الله العليم الحكيم يخلق هذه الكرة الارضية ويملأ جانباً من قسمها الشرقي باليابسة ويترك القسم الآخر مجالاً لتعارك الامواج ومضرباً لنوافخ الرياح ان هذا مضاد لحكمته ولابدَّ ان وراء هذا البحر العظيم الذي يعانق شواطئ اوربا وافريقية طريقاً موصلاً الى الهند على اقرب وانسب حال وبرّاً عظيماً في اكتشافه للخلق نفع عظيم وخير عميم وكان من ذلك ما كان من سعي ذلك المكتشف وفوزه باكتشاف اميركا الذي درّ على الهيئة الاجتماعية فيوض الثروة وفتح في وجه النشيطين باب الارتزاق باستثمار ارض عذراء يؤمها المهاجرون من اقصى الاصقاع سعياً وراء الثروة او جرياً امام حادي الحاجة

كان احد رجالي مرة يتأمل فتك الجدري الذريع ببني الانسان وقصفه اغراساً غضة لو نمت وجازت زمن الطفولية لكان ما فيها رجال تخدم الانسانية والعلم خدمات صادقة وبينما كان يتامل هذا الامر ادنيت شفتي من اذنيه واسررت اليه سر اكتشافه العجيب النافع فامتحن فاصاب وكان ما كان من جزيل النفع للانسان فكم رد اكتشافه اولاداً لوالديهم ووالدين لاولادهم كم برّد حسرات وزدَّ لهفات وانتشل مريضاً عزيزاً من قبضة الممات . وماذا اعدُّ من امثال ذلك فمثل هذه الاعمال المفيدة لا تخلو منها ساعة من ساعاتي ولو قلبت يوميتي صفحة صفحة وتلوتها سطراً سطراً لوجدتها مجموع اعمال جلى قد عادت على الجنس البشري سلطان الوجود الارضي المتملك مملكتي الحي والجماد باوفر نفع لا ينكر وجزيل افادات لا تحصر . وهذا هو العلم

الذي لاينكر فضله عاقل من يعيه غيري ومن ينقله من ذهن الى ذهن سواي وهذه البلاغة ألستُ اول شروطها الثلاثة وهي قلب مفكّر . وبيان مصوّر . ولسان معبّر . وهذا الشعر سيد الفنون الجميلة أليس هو مجموع افكار دقيقة رقيقة سامية مفرغة في قالب مخصوص

— ولكن بعض الباحثين يقولون ان باطلاق سراحك اندفاع الانسان في ميادين المنكرات وتجرؤه على التعاليم الدينية المقدسة وتطاوله على الرئاسات المدنية السامية التي بها انتظام الامور ونفوذ عدل الدستور

— يشهد الله انني بريء من هذه التهم والفظائع التي ليست الاّ من تغريرات الخناس الذي يوسوس في صدور الناس اما انا الفكر البشري الشريف اللطيف السامي لا ينتج مني الاّ كل ما هو سام كل ما هو نافع للانسانية وبنيها

— لااظن ايها الفكر البشري ان عاقلاً لايشعر بوجوب اطلاق سراحك وكسر قيود اسرك ولكن كثيرين من الكتبة والمؤرخين يقولون انك قد اطلقت من اعتقالك عند اول طلق أُطلق من المدافع على الباستيل اكبر سجون اعوانك وانصارك في مطلع الثورة الفرنسوية الشهيرة

— لا لا فالامر مبالغ فيهِ كثيراً ولا تصدق كل ما يقوله المؤرخون والكتاب فالكثيرون منهم يتمسكون بتلك الآية التي اوحاها الى الخلق شيطان جبن النفس وهي — ان ليس كل ما يعلم يقال — اتظن انني مطلق الحرية ؟ وهذه الدول تقوم القوية منها لتسحق الضعيفة باقدام اطماعها الثقيلة وجانب من الدول الباقية تحرق الارم غيظاً من عملها وسفراؤها في عاصمة تلك الدولة المحتجة بالقوة لا العدل تجاملها كل المجاملة وتؤكد لها وثوق عرى التحاب بين دولهم وبينها . اهذه هي حريتي ؟ اواه من هذه الحرية اتظن ان حريتي بانطلاق بعض الجرائد في غيها تسبّ زيداً وتشتم عمراً لقاء انتقام نفس دنيئة او لشراء ذاك المشتوم شرف عرضهِ بمال يدفعهُ لمحررها الذي يسمي نفسهُ خادم الانسانية وناشر لواء الحق . . . ام من حريتي انطلاق جرائد اخرى شوطاً قصياً في حلبة المجاملة لاكتساب رضى القراء وارباب الاموال واذا كتب كاتب كتيباً في كل قنطار من ابحاثهِ درهم من الفائدة واهداه الى ادارتها جعلته في تقريظها منتهى الحكمة وآية البلاغة

اه منك ايتها العدوّة الزرقاء المسماة في اللغات الاجنبية (بالبلوتيكه) طوبى لمن يمسك اولادك ويضرب بهم الصخرة فهم مضيعو الحقوق وتاركو الاحمق غارقاً في لجة جهلهِ والعاقل آسفاً على اضاعة اتعابهِ وعدهِ في عداد من لا يرام اهلاً للانتظام في سلكهِ من كرام الرجال

خدمة الانسانية والوطنية نعم ان الحقيقة تكون في بعض الاحيان مرة موجعة ولكن السكوت عنها يكون اوانئذٍ امرّ واوجع

— اسأل الله لك ايها الفكر البشري نيل مرامك والتخلص من ربقة اسرك وقبل الختام ارجو ان تخبرني عن رأيك في الدمشقيين فاني اراك صائب الرأي اصيله

— لست جحوداً لانكر فضل بعض ادبائهم الذين يميلون اشد الميل الى اطلاقي من اسري ولكن بمقتضى مبدإي الذي اجاهر به وهو حرية الفكر اقول انهم في المرحلة الاولى من الطريق وان التئام لا يتم لهم الاَّ بتمسك الامة باسرها بمبدإي القويم. وقد اطلنا الحديث وربما يكونون قد ملوا من هذه الاطالة فأرى بما تقدم الكفاية

سادتي : انني حضرت الاحد الماضي خطبة الخطيب الذكي في تلك الحفلة وقد اخذ موضوعاً له "وجوه متضاربة" فحلله تحليلاً كيماوياً وتناول لبابه واوضح الحقيقة بلا احتراس او تستر فشعرت عندئذٍ ان قوة داخلية تقبض على فؤادي وترقصه سروراً وارتياحاً وهذا الارتياح دفعني لاشكر لكم انتشار مبدإ حرية الفكر بين ظهرانيكم ولم ارَ موصلاً الى شكر يدخل النفس من باب الصدق والصواب الاّ بتمهيد هذه المقدمات الشعرية ولا اراني في حاجة الى حث حضرتكم على التمسك بهذا المبدإ الشريف مبدإ حرية الفكر فانتم ادرى مني واخبر بفضله ونفعه وانما ارجو كما عنَّ مبدأ حرية الفكر لكم ان تذكروا بالخير هذا الغريب العازم على الرحيل الذي

يودعكم ويودعكم فؤاداً بقربكم لقد عشق الاقامه
سيترك عندكم قلباً شكوراً يكرر شكركم حتى القيامه

(حامد)

وصف دمشق للشيخ عبد الغني النابلسي

إن سامك الخطب المهول فأقلقا فانزل بأرض الشام واسكن جلّقا
بلدٌ سمت بين البلاد محاسناً ونمت بهاءً واستزادت رونقا
زاد السرور بها لكل معرّج لا سيما ان كان من اهل التقى
ان تعشقوا وطناً فذي اولى لكم دون البلاد بأن تحب وتعشقا
خير الاناس أناسها يرعون أنـ ـواع الوداد ويحفظون الموثقا
هي جنة للطائعين معدّة يتمتعون ولا يرون بها شقا
طابت هواءً للنفوس وماؤها عذبٌ زلال سائغ لمن استقى

الياذة هوميروس

هذا هو النشيد الذي كان ادباء اليونان والرومان يستظهرونهُ من اولهِ الى آخرهِ ثم عنيت الامم الاوربية الحديثة بترجمتهِ ونظمهِ حتى لقد تجد لهُ في الانكليزية وحدها تسع ترجمات مختلفة وكلها منظومة عدا الترجمات النثرية . وقد اقدم على ترجمتهِ ونظمهِ حضرة العالم الفاضل سليمان افندي البستاني منذ سبع عشرة سنة فسبكهُ في قالب عربي وعلَّق عليهِ شروحاً مستفيضة وقدَّم لهُ مقدمة مسهبة فصار ثلاثة اقسام الشعر والشرح والمقدمة نبحث في كل منها على حدتهِ

الشعر

اشعار هوميروس واخصها الالياذة دائرة معارف جمع فيها الناظم معارف الاقدمين لعهدٍ وهو بعيد عنا لا يقلُّ بُعدهُ عن ثلاثة آلاف سنة . واعرب فيها عن المنافسة القديمة بين اسيا واوربا التي لم يتقلص ظلها حتى الآن . ووصف اخلاق الناس واميالهم وكل ما يخامر النفس وما تظنهُ من عون الالهة لها او خذلانها اياها . ومعاني هوميروس ليست شعرية في الغالب لانها ليست صوراً خيالية ولا تصوُّرات فلسفية وانما هي حوادث واخبار وقعت حقيقةً او حكماً تمثَّل لذهن من يسمعها او يقرأها كانهُ يراها عياناً . ولا ندري هل عبَّر عنها على اسلوب شعري بالاستعارات والكنايات او اقتصر على ايراد المعاني بالالفاظ الموضوعة لها . فان كان الثاني فالمعرّب قد حذا حذوهُ غالباً وان كان الاول فقد جاء التعريب احياناً دون الاصل من هذا القبيل . وعذر المعرّب حينئذٍ واضح وهو صعوبة ترجمة الشعر بالشعر والاحتفاظ بالمعنى كلهِ من غير زيادة ولا نقصان . ومع ذلك فقد ابدع احياناً كثيرة في الترجمة ولاسيما حيث تحرك عواطف النفس فتحرك الاشجان كقول هكطور بطل طروادة مودعاً زوجتهُ

سوف تندكُّ باليون [1] القلاعْ وتوافينا المنات الفظاعْ كل هذا منهُ قلبي لا يراعْ
لا اذا امي سيفِ الترب ثوتْ او ابي من دمهِ السمر ارتوت او رميمَ الاخوة الارض احتوت
لا اذا الطرواد بادوا واذا خرق الزرقاء لجوّ العويل
غيران الخطب كل الخطب آه ان تكوني في سبيّات العداه تذرفين الدمع عن مر الحياه
تستقين الماء كالعبد الاسير من مسيس او ينابيع هفير تنسجين القطن والقلب كسيرْ
كل بؤس كل رزءٍ وعنا كلهُ ان حلَّ ذا الرزء قليلْ

(١) اليون بلد هكطور وعاصمة بلاد طرواده

كلهُ لا شيء ان صحَّ الصحيحْ ولديهم كنترٍ والدمع بسيحْ والذي يلقاكِ بي هزءا يصيحْ
تلكمُ زوجة هكطور الشديدْ خيرما في القوم ما قرم عنيدْ كم لهُ قرع بدرّاع الحديدْ
تلَّ صدر الجيش تلاً وهنا سبيت زوجتهُ وهو تليلْ

فتصيحين وتصلينَ السعيرْ تستجيرين ولكن من مجيرْ ان يكن هكطور في الترب قريرْ
فلكِ الرقُّ وانواع العذابْ يا لحود الارض واريني الترابْ قبل ان يدهمني هذا المصابْ
واتلني ايها الخطب البلى قبلما زوجيَ للسبي تنيل

وكقول اخيل بطل اليونان في رثاء صديقهِ فطرقل وقد مهَّد الشاعر لذلك تمهيدًا فقال

واما بنو الاغريق آناء ليلهم فقد لبثوا في مأتم هدَّهم هدا
وبينهمُ آخيل سيف زفراتهِ يحنُّ لفُطرُقل وقد اكبر الفقدا
على صدر ذاك الإلف القى اكفهُ يحاكي اذا ما احدق الاسد الوردا
كأن يبطن الغاب اشبالهُ بها خلا قانص فارتدَّ واشتدَّ واحتدّا
وهبَّ على آثارهِ بحزازة تحدرهُ وهدًا وتصعدهُ نجدا
فصاح ألا رباهُ واعظم موعدٍ وعدتُ منتيوساً ولن اصدُقَ الوعدا
بمنزلهِ عاهدتهُ لافنطسٍ اعيد ابنهُ من بعد ان يقهر الضدّا
ويهدم اليونا ويرجع غانما وهيهات زفس كل آمالنا اسدى
باليون قد خطَّ القضاء بان من دماء كلينا الارض محمرَّةً تندى
افطرقلُ مذ سيقت لذا الترب اعظمي وبعدك لي قد خطَّ ان انزل اللحدا
فلستُ مُتمّاً مأتماً لك قبل ان اذيق الردى هكطور قاتلك الجلدا
وشكتهُ تلقى لديك ورأسهُ فاذكي لك النيران مدَّخرًا حمدا
ومن حولها اثني عشرَ رأساً بصارمي اقضب من طروادة فتيةً مُردا
فظلَّ اذًا ملقى لدى الفلك ريثما ابرُّ فذا عهدي ولن أُخلف العهدا
فكم ثمَّ طُروادية دردنيَّة سبينا بدار بأسنا فوقها امتدّا
يَنحنَ عليك اليوم والليل كلهُ وبلطمنَ بضَّ الصدر والنحر والخدّا

وكقول اندردماخ زوجة هكطور في رثائهِ لما قتلهُ اخيل

متَّ بعلاهُ بالشباب النضيرِ وانا ايمٌ بهذي القصور
وهنا الطفل طفلنا ونتاج الـ حزن لن يدركنَّ آمَ الشبابا
قبل ذاك الزمان خلت الديارا اصبحت نُضرة وباتت دمارا ان تمت لاسواك يحمي الذمارا

وجميع البنينَ والاطفالِ والعذارى والمحصنات الخوالي
سوف يمسين في الخلايا سبايا وانا بينهنَّ وا اوصابا
وكذا انت يابُنيَّ ستمسي حيث امسي تعنو بذلٍ وبؤسٍ لفتى ظالم عتا ذي بأسٍ
او عدوٍّ سيم الوبالا الثقيلا يتوخى لك الحمام الوبيلا
بكَ يلقي من فوق برج فيشفي غلةً كادت النفوس الغضابا
او حيث يدعو المقام الى اظهار الفصاحة كما في خطب نسطور . من ذلك قوله
سموتَ ذيوميذُ بيأسكَ مثلما برأيك في الاتراب قد كنتَ ساميا
فما لكَ في الاغريق لومة لائم ولكن فصل القول ما زال خافيا
فانت فتًى لو قيس عمرك لم يكن لاحدث ابنائي الصغار مساويا
على انك اخترت الحصافة منهجاً وصيدَ السرى خاطبت بالحق عانيا
واني وحسبي الشيب دونك مفخرًا سيجمع اطراف الحديث كلاميا
او حسن البيان كما في وصف ما حلَّ باخيل من الجزع على موت صديقهِ فطرقل كقولهِ
وظلَّ اخيلُ والكرى قاتلُ الاسى بذكراهُ فطرقلاً يؤرقهُ السهدُ
ينوح على إقدامهِ وزعامهِ وكلُّ سجاياهُ بخاطرهِ تبدو
يكبُّ فيستلقي يسيرًا فينثني على صفحتيهِ والهواجس تشتدُّ
او الشجاعة وشدة الباس كقولهِ في وصف معركة
تدفقتِ الاجناد اي تدفقٍ الى الحرب تجري فيلقاً اثر فيلقِ
بهم اولياءُ الامر يُسمعُ امرهم وهم لاهوى نفس ولاصوت منطقِ
وفوق الصدور الطاعنات تألقت صوارمهم والسمر ايَّ تألقِ
ولكنما الاعداء قام ضجيجهم كسرب شياهٍ في الحظائر قلقِ
اذا ما استُدرَّت والسخال ثغت لها لهنَّ رنت تثغو بأنةِ مشفقِ
فاوزاعهم من كل فجٍ تألفوا بعدةِ لسنٍ واختلاف تخلقِ
ولما تدانوا والنفوس سواخط تحرقت الاجناد ايَّ تحرقِ
نصول تلاقت في صدور تدججت وكرٌّ يواري بلقاً فوق بلقِ
وبلغ الشعر غاية من السهولة والانسجام في النشيد الثاني والعشرين الذي وصف فيهِ الناظم مقتل هكطور فمن ذلك قول فريام يحذر ابنهُ من لقاء اخيل
فلذ للسورِ لذ عجلا حبيبي واتقِ الفشلا

وذُدْ عن جندِ طُروادٍ ونسوقِ جندها النبلا
ولا تعرضنَّ إلى الحمام بوجه آخيلٍ
فتلبسهُ حلى المجد الأثيلِ ويبلغُ الأملا
ورقَّ لوالدٍ بهمٍ نصوح زفس قدَّر أن
يبيد بعيد أن يدهاهُ كلٌّ بلا وايٍ بلا
ابادة ولدهِ طرًّا وذُلُّ بناتهِ أسرا
ونهبُ منازلٍ فيها العدُوُّ يعيثُ منتشرا

وتوسُّل هكطور لآخيل لكي لا يمثِّل القاتل منهما بالمقتول

ونستشهد بني الخلدِ على الايمان والعهدِ
فهم خيرُ الشهودِ على الورى في القرب والبعدِ
لئن اوتيتُ نصرًا من لدى زفس فخسبي ان
تموت وان تجرد من زهيِّ سلاحك الصلدِ
ولكني ارُدُّك للاخاءة لاَ هوانٍ ولا
أذىً عدني إذا في مثل هذا صادق الوَعدِ »
فأحدق فيهِ شزرًا يلتظي آخيل قال « صه
ولا تذكر وفاقًا لا وفاق بيننا ذُكرًا

وقول هكطور لما يئس من عونِ الاله وايقن بالهلكة

فلا نجوى وزفس قضى وآفلون ما اعترضا
وكم قد اوليانيَ قبلُ ظل حماية ورضا
ولكن القضاء اتى فاهلاً بالقضاء فلا
مردَّ وخلتهُ ما حطَّ من هممي ولا خفضا
اموتُ بعزةٍ تترى لاجيال فأجيالٍ
ومجد باذخ بي فوق ابراج العلى نهضا
وسلَّ حسامهُ من غمدهِ بلباقة ومضى
بقلبٍ لا تغيرهُ الخطوب ولا يرى الغيرا

والشعر مشكول كلهُ شكلاً كاملاً لكي لا يقع فيهِ اقلُّ التباس
الاَّ ان هوميروس ذكر مئات من الاعلام المنقولة والمرتجلة وهي مألوفة عند اليونان او

صارت مالوفة بشعرهِ وكذلك صارت عند الاوربيين فلا يثقل عليهم سمعها والنطق بها وهي على الضد من ذلك عند ابناء العربية غريبة ثقيلة وتكثر هذه الاعلام في البيت الواحد احياناً حتى يعسر على القارىء العربي النطق بهِ كقولهِ

او اكسيذٍ اوثيسسَ بن اغيس من قد كان مثل الخالدين رزينا

وكقوله صفحة ٦٧١

كذا ابن هرطاقسٍ آسيُسُ البطلُ من ثقف الجرد للهيجاء يشتعلُ
وآكماسُ ابن انطينور يصحبهُ اخوهُ ارخيلخٌ كانا بصحبتهِ

فان قيل هل من سبيل آخر لذكر هذه الاعلام على غير هذه الصورة قلنا انا لو حاولنا ترجمة شيء فيهِ كثير مثلها لتجنبنا ذكرها على قدر الامكان اما باقامة المضمر مقام المظهر حيث يغني عنهُ او باغفالها مطلقاً حيث لا تدعو الحال الى ذكرها ولعل المترجم فعل ذلك ولكن بقي منها شيء كثير في بعض الاماكن يملهُ القارئ

ثم ان المترجم عبَّر بالفاء عن الباء اليونانية غالباً فقال افلون بدل ابلون وفاريس بدل باريس وفرغموس بدل برغموس وحبذا لو جارى الذين عرَّبوا هذه الكلمات قبلهُ بالباء لان الاسماع الفتها كذلك . واكثر من الكلمات اللغوية واختارها احياناً حيث لا يدعو الوزن ولا القافية اليها كقولهِ في الصفحة ٣١٥ " او مت وبضعك لم يعقد " فانهُ كان يحسن ان يقال وعرسك. وكقولهِ في الصفحة ٣٣٣ "مع نحي مدام ملآن" فان كلمة زق تقوم مقام نحي وهي اشهر منها واصلح في هذا المكان لكنهُ فسر في الحواشي اكثر ما اوردهُ من الغريب فلا يتعذر فهم المراد على طالب الفائدة ثم فسر الغريب كلهُ في معجم الحقهُ بالكتاب

وقد جاءت الالياذة في نحو احد عشر الف بيت ولذلك رأى المترجم ان لا يقتصر على انواع النظم المشهورة مثل القصائد والمخاميس والاراجيز بل سلك مسالك اخرى كما رأيت في الامثلة المتقدمة دعاها باسماء رآها تنطبق عليها كالمثنى والمربع والمثمن والموشح المسبَّع والموشح المثمن والموشح المردف وهلمَّ جرًّا فجاءت بهذا التنويع اكثر طلاوة واوقع في نفوس القراء

وجملة القول ان العربية التي عجز ادباؤها قبلاً عن مجاراة اكثر اللغات الاوربية بل عن مجاراة السريانية في نقل اشعار هوميروس اليها قد غنيت الآن بهذه الترجمة . وزد على ذلك ان هذه الترجمة تفوق كل ترجمة شعرية تقدمتها في انطباقها على الاصل وفي ما تضمنتهُ حواشيها من الشروح والشواهد العربية كما سيجيء في الجزء التالي وفي ان فصولاً كثيرة منها جاءت من ابلغ ما نظم في العربيَّة كما رأيت في الامثلة المتقدمة

ما احب وما اكره

وهو مثلث انتقادي حكمي

تكشَّفَ سرُّ اخلاقِ البريَّه لفكري بعد اعناتِ الرويَّة
فلا نفسٌ من السوأى بريَّة ولا قلب على عهدٍ مقيمُ
وحيث مطامع الدنيا دنيه سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ من المعاشر كل خالِ من التدليس محمود الخصالِ
يدومُ على ودادك غيرسالِ ولو أودى بك الدهر الظلومُ
وحيث رأيت ذاك من المحالِ سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكرهُ كل محتال يعيدُ ثناك وبين اضلعهِ الحقودُ
فان هو نال يوماً ما يريدُ تغير ذلك الوجه الوسيمُ
وفيما انهُ أمرٌ بكيد سئمتك ايها العيش الذميمُ

أحبُّ المجرمين اذا اقرُّوا بفعل السيئات ولو اضرُّوا
وأوقن انهم لم يستمرُّوا عليها دون اسباب تضيمُ
واذ لابدَّ من سببٍ يجرُّ سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكره من رفاقي المدَّعينا ويحثهمُ بما لا يعلمونا
فان ساءلتهم لا يعرفونا سماك البحر تغرق أو تعومُ
ولما شاع هذا العيث فينا سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ الراغبين عن الجدالِ بأمر الدين فهو من المحالِ
وقد يزدادُ من قيلٍ وقالِ الى هيجاء مرتعها وخيمُ
وحيث رأيتهُ صعب الزوالِ سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكرهُ كل من صلَّى وصاما وزار القبرَ والبيتَ الحراما
ولم يلبثْ ان ارتكب الحراما بفعل المنكرات كما يرومُ
وحيث رأيتهُ داءً عقاما سئمتك ايها العيش الذميم

احبُّ من الجماعة من اراهُ يعيش بقدر ما رزق الالهُ
فينفق دخلهُ في مشتهاهُ غنيًّا ان يساعدهُ لئيمُ
ولما ضلَّ فتيتنا وتاهوا سئمتك ايها العيش الذميم

واكرهُ من يفتّلُ شاربيهِ ويفرق شعرهُ عن جانبيهِ
ويسرف فوق طاقة والديهِ على ما ليس يجهلهُ العمومُ
واذ لا رادع من اصغريهِ سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ من الملا من لا ينمُّ ولا يفشي الحديثَ ولا يذمُّ
ولا يلقي الشقاق ولا يهمُّ أزيدٌ ماكرٌ او مستقيمُ
ولما كان ذلك لا يتمُّ سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكرهُ من يقول انا فلانُ فلا اعبا اذا جار الزمانُ
رجال ابي اسودٌ لا تهانُ وربع محلنا وافٍ عظيمُ
ومن حيث التكبر مستهانُ سئمتك ايها العيش الذميمُ

احب الشعرَ مدعاة المسره ومن يروي على أذنيَّ شعره
واني وان أخذت عليهِ اجره فارسلهُ كما مرَّ النسيم
ولما كان جلَّ النظم سخره سئمتك ايها العيش الذميم

واكرهُ زمرة المتشاعرينا بسرقتهم لشعر الاقدمينا
يشدُّون الرحال ليسبقونا فبعضهم يزلُّ ولا يقومُ
واذ لا مخلص مما بلينا سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ الحبَّ ان هو كان عذري فتقبل عاذلاتي فيهِ عذري
ولا ريب بان الحبَّ فطري ولا قلب امرىءٍ منهُ عديمُ
ولكن من هوى ابناء عصري سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكرهُ في الديانات الرئاسه فاكثرها لاغراض السياسه
كفى كهنوتنا لقب القداسه وليس يهمهُ الحق المضيمُ
واذ كتب القضاه لنا التعاسه سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ العدل ينشأ في البلادِ ... فنأمن شرَّ اصحاب الفسادِ
وتكفُّ الطغاة عن التمادي ... وتصطلح الشؤون وتستقيمُ
ومذ رضيتْ جفوني بالسهاد ... سئمتك ايها العيش الذميم

واكره كل مثرٍ لا يجودُ ... وقد سئمت خزائنهُ النقودُ
وخطَّ على محياهُ الجحودُ ... الاهي المالُ لا المولى الرحيمُ
وإذ هو مع سفالتهِ يزيد ... سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ من الجرائد ما تفضي ... صحائفها على الخبر الاصحِّ
ولا تلوي على مدحٍ وقدحٍ ... ببرهنَ ان مبدأها عقيمُ
وإذ لم الق من يصغي لنصحي ... سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكره من صفات مراسليها ... اطالتهم مجال القول فيها
وجل شروحهم لو لخصوها ... عُبيدٌ مات او زيد سقيمُ
ولما كنت بين مطالعيها ... سئمتك ايها العيش الذميمُ

احب من الرجال الساهرينا ... على اصلاح تربية البنينا
ولا يدعونهم يتطوحونا ... لان الخيل تمسكها الشكيمُ
ومن جرّاء ما يتكبدونا ... سئمتك ايها العيش الذميمُ

احب البحث عن سلمى ومياً ... فتضطرب اليراعة في يديّا
واسمع حسَّ صوتٍ داخليّاً ... يقول اخرس فشخصهما كريمُ
ولما لم يكن حكمي عليّاً ... سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكره ان أجيلَ الفكر اكثرْ ... مخافة ان يقولوا قد تهورْ
وفي ما قد ذكرتُ لمن تذكرْ ... فوائد دونها الدرُّ النظيمُ
فان لم تُعتبرْ فالله اكبرْ ... سئمتك ايها العيش الذميمُ

بيروت في ١٦ ايار سنة ١٩٠٤ ... جرجي نخله سعد

الراديوم وتوابعهُ

اشعة أُخرى من الاجسام المشعة

وجد الاستاذ رذرفرد سنة ١٨٩٩ انهُ ينبعث من الاورانيوم والثوريوم والراديوم اشعة أُخرى تختلف عن الاشعة الاولى بانها اقل منها نفوذاً وبان المغنطيس لا يحرفها عن سيرها فسماها اشعة الفا من حرف الالف اليونانية وسمى الاشعة الاولى بيتا وهي الباء اليونانية · واذا وضع على الجسم المشع ورقة رقيقة من معدن الاليومنوم تحجب اشعة الالفا ولم يحجب اشعة البيتا واشعة البيتا اضعف من اشعة الالفا في جعل الغاز موصلاً للكهربائية

وكُشف نوع ثالث من الاشعة سمي باسم الجما نسبة الى الجيم اليونانية ولذلك سنطلق على هذه الاشعة اسم ا وب وج فنقول اشعة ا واشعة ب واشعة ج. واشعة ج اشد نفوذاً من اشعة ب ولكن لا يعلم من امرها الاَّ القليل حتى الآن

ماهية اشعة ا

ظُن في اول الامر ان اشعة ا هي نفس اشعة رنتجن لان المغنطيس لا يحرفها كما لا يحرف اشعة رنتجن ولأنها مثلها في جعل الغازات موصلة للكهربائية · لكن الاستاذ رذرفرد ابان في العام الماضي انهُ اذا كان المغنطيس قويًّا جدًّا حرفها قليلاً وكذلك تنحرف بالمجرى لكهربائي اذا كان شديداً جدًّا لكن انحرافها في الحالتين مخالف في جهتهِ لانحراف اشعة ب ولا يفسَّر ذلك الاَّ بان اشعة ا مؤلفة من دقائق تخرج من المواد المشعة ولكنها تكون حاملة الكهربائية الايجابية كما ان اشعة ب تكون حاملة الكهربائية السلبية

ثم حسب جرم الدقائق المؤلفة منها اشعة ا وحسب سرعتها وذلك من مقدار حرفها للمغنطيس فظهر ان جرم الدقيقة منها يساوي جرم جوهرين من جواهر الهيدروجين الفردية بخلاف الاشعة السلبية التي الدقيقة منها اصغر من دقيقة الهدروجين الف مرة فالدقيقة من دقائق اشعة ا اثقل من الدقيقة من دقائق اشعة ب الفا مرة ولذلك لا تنفذ الاجسام بسهولة كاشعة ب ولكن سرعتها ليست قليلة فانها ٢٠٠٠٠ ميل في الثانية من الزمان اي اكثر من عشر سرعة دقائق ب ولذلك فقوة صدمها للاجسام التي تقع عليها اعظم من القوة التي تصدم بها اشعة ب الاجسام التي تقع عليها وهي اذا وقعت على غاز مزقتهُ تمزيقاً

ما يرى من الراديوم

كل الادلة العلميَّة التي تقام على فعل الراديوم لا تؤثر في النفس تأثير ما يرى من فعلهِ ·

فاذا وضعت قطعة منهُ في مكان مظلم اضاءت من نفسها كالحباحب (سراج الليل) واذا ادنيت منها بعض المواد مثل سلكات الزنك وكبريتيدهِ اضاءت تلك المواد ايضاً . واذا نظر اليها بالميكرسكوب حينئذٍ ظهرت فيها نقط صغيرة منيرة تتألق كالكواكب او كالنيازك المتساقطة من السماء او كالشرر المتطاير من الحديد المحمى اذا طرقتهُ بمطرقة

حرارة الاجسام المشعة

اذا كانت اشعة النور تنبعث من الاجسام المشعة على الدوام فلا يستغرب ان تتولد منها اشعة الحرارة ايضاً او ان تكون حرارتها اشد من حرارة الاجسام المحيطة بها وقد ثبت ذلك في الراديوم وظهر ان حرارتهُ تكون دائماً اشد من حرارة الاجسام المحيطة بهِ درجة او درجتين بميزان سنتغراد ولا يبعد ان تكون قوة اشعاع الحرارة موجودة ايضاً في سائر العناصر المشعة كما هي موجودة في الراديوم ولو كانت فيها اقل مما هي فيهِ

سبب هذا الاشعاع

لم يعلم سبب هذا الاشعاع حتى الآن ولكن يظهر من بعض الدلائل ان السبب سيعلم قريباً . ومهما يكون نوعهُ فهو ليس فعلاً كيماوياً من الافعال المعروفة لان مقدار الاشعاع متوقف على مقدار العنصر المشع من غير نظر الى المواد المتحدة بهِ مهما كان نوعها ومقدارها . فالقطعة من الثوريوم تكون على صورة نيترات او كلوريد او كبريتيد ومع ذلك يبقى مقدار اشعاعها على حالهِ . وكذلك لا يتوقف مقدار الاشعاع على حالة الجسم الطبيعية فقد يوضع في مكان حار او بارد ومع ذلك يبقى اشعاعهُ واحداً فهو خاصة من خواص الجواهر كالثقل لا يتغير بتغير احوالها الكيماوية والطبيعية . كان الفعل الذي يجعل الاجسام المشعة تشع اشعة ا او اشعة ب يتعلق بطبيعة الجواهر نفسها او بالقوة المدَّخرة فيها وهذه اول مرة وصل العلم فيها الى هذه القوة

مجهول الاورانيوم

وقد ثبت ما تقدَّم من حدوث تغير في جواهر المادة نفسها باكتشافات ابتدأ بها السر وليم كروكس منذ سنة ١٩٠٠ وذلك لانهُ اذا رُسِّبَ نيترات الاورانيوم بكربونات الامونيوم ثم زيد كربونات الامونيوم حتى انحلَّ نيترات الامونيوم بقي في السائل راسب فيهِ مقدار كبير من فعل الاشعاع الذي في الاورانيوم فسماهُ مجهول الاورانيوم لانهُ لم يعلم حقيقتهُ بالبحث الكيماوي . ثم وجد ان نيترات الاورانيوم الذي فقد جانباً من قوتهِ يسترد قوتهُ كلها بعد زمن غير طويل والمجهول المشار اليهِ يفقد قوتهُ

وامتحن الاستاذ رذرفرد الثوريوم فوجدهُ مثل الاورانيوم من هذا القبيل ووجد ايضاً ان الجسم المجهول يفقد قوة الاشعاع في نفس الوقت الذي يستردها فيهِ الجسم الاصلي فاذا رُسب كل ما يمكن ترسيبهُ من مجهول الاورانيوم وترك الاورانيوم الاصلي حتى يسترد نصف قوتهِ التي خسرها اولاً فمجهول الاورانيوم يفقد نصف القوة التي كانت فيهِ حينما رسب او يصير نصف ما كان اولاً . ووجد اختلافاً بين الثوريوم والاورانيوم في الزمن الذي يفقد فيهِ مجهولها قوتهُ فان مجهول الاورانيوم يفقد نصف قوتهِ في نحو ٢٢ يوماً واما مجهول الثوريوم فيفقد نصف قوتهِ في اربعة ايام

مجهول الراديوم

ثم اتَّضح انهُ يخرج من الراديوم جسم فيهِ قوة الاشعاع و يفقد قوتهُ هذه رويداً رويداً ووجد الاستاذ رذرفرد ان هذا الجسم غاز ويمكن فصلهُ عن الراديوم باحمائهِ او باذابتهِ في الماء فيخسر الراديوم ثلاثة ارباع قوة الاشعاع التي كانت فيهِ ولا يبقى فيهِ منها الاَّ الربع . والثلاثة الارباع تظهر في الغاز الذي انفصل عنهُ . واذا جرى هذا الغاز في انبوب زجاجي طويل اكسبهُ قوة الانارة فصار كأَن فصفوراً جرى فيهِ . ويمكن وضعهُ في القناني ومراقبة قوتهِ من يوم الى يوم . وقد ظهر انهُ يفقد نحو نصف قوتهِ في اربعة ايام وفي هذه الاربعة الايام يستردُّ الراديوم نصف القوة التي خسرها واذا وضع في انبوب وغمس في الهواء السائل تكاثف عند الدرجة ١٥٠ تحت الصفر بميزان سنتغراد . ولهُ طيف خاص بهِ فهو يتولد من انحلال جواهر الراديوم كما يتولد مجهول الثوريوم من انحلال جواهر الثوريوم ومجهول الاورانيوم من انحلال جواهر الاورانيوم لكنهُ مثل ذينك المجهولين في عدم الثبات لانهُ يخسر قوتهُ كلها بعد زمن غير طويل ويستحيل الى شيءٍ آخر

انحلال الجواهر

اتضح مما تقدَّم ومن امور اخرى لانطيل الكلام بِبسطها ان جواهر الاجسام المشعة آخذة في الانحلال كما يظهر من خروج اشعة ا واشعة ب منها دواماً ومن خروج جسم مشع منها . وهنا مجال واسع للنظر والتعليل . و يظهر لاول وهلة ان العناصر الثلاثة المشعة وهي الاورانيوم والثوريوم والراديوم جواهرها اثقل الجواهر المعروفة فان ثقل جوهر الاورانيوم ٢٤٠ وثقل جوهر الثوريوم ٢٣٢ وثقل جوهر الراديوم ٢٢٥ او ٢٥٦ ولا تشابه بين هذه العناصر الثلاثة في غير ذلك . ومعلوم ان جواهر الاجسام تدور على نفسها دوراناً سريعاً مستمرًّا . والظاهر ان جواهر هذه العناصر الثلاثة يتمزق بعضها بسرعة دورانها فتنفصل عنها اولاً الدقائق المؤلفة

منها اشعة ا ثم ينفصل غيرها وغيرها الى اربعة انواع او خمسة انواع من الدقائق حتى اذا تمَّ انفصال الدقائق الموجودة في الجواهر المتجزئة بطل الاشعاع من الجسم الى ان تتعرض جواهر اخرى منهُ للتجزوء وتشرع تتجزأ فتعود قوة الاشعاع تظهر منهُ وهلمَّ جرًّا

تولُّد الهاليوم

لما رأى الاستاذ رذرفرد ذلك انبأ منذ اكثر من سنتين بتولد الهاليوم من العناصر المشعَّة ولم تمضِ سنة على هذا القول حتى وجد ان اشعة ا تشبه الهاليوم . ثم ان بعض الاشعة التي تتولد من الراديوم هي نفس عنصر الهاليوم

حياة الراديوم

ظهر مما تقدَّم ان هذه العناصر الثلاثة وهي الاورانيوم والثوريوم والراديوم آخذة في الانحلال و يتولَّد منها عنصر واحد وهو عنصر الهاليوم كأن جواهرها موءلفة منهُ لكن لم يظهر بادق الموازين انها تخسر شيئًا من وزنها لا لانها لا تخسر شيئًا بل لأن خسارتها طفيفة جدًّا لا توءثر في ادق الموازين ولكن ما لا يعلم مقدارهُ بالوزن يعلم بوسائط اخرى اخصها اشعاع الحرارة منهُ ومن دقائقهِ وقد علم من ذلك ان حياة الراديوم لا تطول اكثر من مليون سنة اي انهُ يخسر كل قوتهِ في هذه المدة اما حياة الاورانيوم والثوريوم فاطول من حياة الراديوم جدًّا لان الاشعاع منهما اقل من الاشعاع منهُ مليون مرة

تحوُّل العناصر

اذا صح ما تقدَّم فتحوُّل العناصر امر محقق ولكنهُ يقضي بتحول العناصر الثقيلة الجواهر الى عناصر خفيفة الجواهر فيجري على ضد ما ظن اهل الكيمياء فاذا امكن التحول بين النحاس والذهب فالذهب يصير نحاسًا ولا يصير النحاس ذهبًا . ولكن لا يبعد ان تكشف قوة طبيعية تركّب البسائط بعد انحلالها وتؤلف منها اجسامًا ثقيلة كما تتركب الاجسام الحية من البسائط فان وجود الراديوم بجواهرهِ الثقيلة وما تقدم من انهُ لا يقيم اكثر من مليون سنة يدلان على انهُ تألف منذ عهد بعيد من جواهر اخف منهُ ان ثبت ذلك وعرف السبيل اليهِ فلا يبعد ان تتحقق احلام القدماء اصحاب الكيمياء

تحقُّق ذلك

رأينا بعد كتابة ما تقدَّم وتقديمهِ للطبع ان بعض الباحثين في طبائع الراديوم رأوا ما يدلُّ على انهُ يتولَّد من الاورانيوم ولكنَّ تولُّدهُ منهُ بطيءٌ جدًّا وسنزيد ذلك بيانًا في جزء تالٍ

مقتطفات من تقرير اللورد كرومر

ميزانية ١٩٠٤

اطلت الكلام في تقريري الماضي على السياسة المالية التي لم تحد الحكومة عنها في العشرين سنة الماضية . وابنت هناك ان الحكومة احلَّت الاصلاح المالي المقرون بتخفيف الاثقال عن كاهل المولين المحل الاوَّل في سياستها هذه فخصت كل ما يتوفر عندها من الاموال الطائلة بالاعمال العمومية ذات الريع والربح وخصوصاً اعمال الصرف والري واما الاصلاح الاداري فلما كان اجراؤُه لا يأتي الاَّ بانفاق المال الكثير عليهِ بلا تأخير احلتهُ المحل الثالث . وانا ازيد الكلام الآن على الاسباب التي اقتضت اتباع الحكومة لهذه الاسباب والنتائج التي نتجت عن اجرائها لها فاقول

كانت المسائل التي يطلب حلها سنة ١٨٨٣ كثيرة لا يحصى عددها على اختلاف اهميتها وكانت البلاد في غاية من الفوضى والارتباك بسبب طول ما قاست من فساد الاحكام وبسبب الحالة الخصوصية التي كانت فيها حينئذ . فكان المجال لاختيار المسائل التي تقتضي عناية المصلحين فسيحاً يتيهون فيهِ . ولم يكن غنيٌّ والحالة هذه عن معرفة ما اشبههُ بمركز ثقل حالة البلاد في ذلك الحين . لانهُ ان لم يكن الغرض المقصود بلوغهُ واضحاً جليًّا وان لم يكن السعي الى ذلك الغرض دائماً متواصلاً مدة اعوام طويلة فالحكومة تصير في افعالها كمن يتلمس طريقهُ تلمساً ويبني عملهُ على التجربة والامتحان دائماً فتعبث بها رياح الاحوال الطارئة وتميل بها تغييرات الرأي العام من جهة الى جهة . واما معرفة ما سميتهُ "بمركز ثقل الحالة" فكانت سهلة جدًّا اذ قضايا المملكة او الامارة ولا سيما القضايا المالية منها سهلة الادراك جدًّا مهما كان اجراؤُها عسرًا . لان الرابطة الوحيدة التي كانت لذلك العهد بين الحاكم والمحكوم في بر مصر كانت من جهة الحاكم الاتكال على القوة الفائقة الساحقة ومن جهة المحكوم الخوف الناشىء عن العسف في استعمال تلك القوة وعليهِ يقال بالاجمال ان الغرض الذي كان يقصد السعي اليهِ هو وجود رابطة جديدة بدلاً من الرابطة القديمة التي زادت في الشدة حتى انتجت العصيان والثورة اذ من يظن ان الحركة العرابية لم تكن سوى تمرد عسكري يخطىء في ظنهِ وكان يشترط في هذهِ الرابطة الجديدة ان تقوم بثلثة امور : رضى جمهور الاهالي . وازدياد ثقتهم تدريجاً بحسن مقاصد حكومتهم . وتمكين الاقتناع في نفوسهم بان حكومتهم حكومة قوية ولكنها تستعمل قوتها على وجه مخالف لما كانت تستعملهُ سابقتها . وظاهر ان الاصلاح المالي كان

احسن واسطة لاستيفاء هذه الامور كلها لا سيما وان الحكومة كانت مصرية اسمًا باعتبار الكل وفعلاً باعتبار الجزء ولكنها كانت تسير بارشاد النفوذ البريطاني ضرورة فبالنظر الى العناصر الاجنبية التي فيها لم يكن بينها وبين الهيئة المحكومة جوامع كالجنس والدين واللسان والعادات مما يجمع بين الهيئات الاجتماعية عادة

غير انها وان تكن قد عدمت هذه الصلات والجوامع فقد بقي المجال فسيحًا امامها لوجود ما يسدُّ مسدَّ ذلك اولاً بترقية احوال جمهور الاهالي المادية واخيرًا بترقية احوالهم الادبية . واقول بلا ادنى تردُّد ان ما فعلتهُ الحكومة في العشرين سنة الماضية من هذا القبيل قد انتج النتيجة المطلوبة فان اهل مصر اصبحوا الآن في حال من الرضا واليسر والرخاء والهناء لم يروا مثلها قط في ماضي تاريخهم وقد دارت الدائرة على قوات المعارضة والتأخير فانخذل المعارضون انخذالاً عظيمًا في كل جهة تقريبًا وولى نظام الحكم الشخصي (الاستبدادي) الذي كان متبعًا في هذه البلاد وكان يجد من حزب المعارضة والتأخير اعظم نصير واقوى ظهير وضُرب ضربة قاضية لا قوة لهُ على القيام منها وارجو واظن انهُ لن يجد طول دهره الى القيام منها سبيلاً

ولا يزال هناك مسائل عظيمة عمومية محتاجة الى الحل ومستقلة عن المسائل الصغيرة الخلافية . ولا بد من ان تجدَّ مسائل اخرى ايضًا كما مرَّت الايام وازداد المصريون حبًا للتقدم العصري فانهم لا يزالون في حاجة الى تعلم حقيقة لا غنى عن علمها وهي انهُ يمكن للقانون ان يكون عظيم القدرة والقوة من غير ان يكون مستبدًا او منقلبًا مع الاهواء وكذلك لا غنىً لمعشر الموظفين في الحكومة عن تعوُّد استعمال السلاح الذي يقلدهم اياهُ نظام الحكومة المطابق لروح التمدن لانهم لم يألفوهُ الاَّ قليلاً حتى الآن . ولا غنىً لهم ايضًا عن تعلم هذا الامر وهو ان هناك حدًا متوسطًا بين السلطة المطلقة من كل قيد وعنان وبين الضعف الذي يحمل صاحبهُ على اجتناب كل مسأولية . وايضًا ان روح الحرية الذي دب في الصدور منذ عهد قريب وجعل يخترق القلوب والعقول قد يؤَدي الى العسف وركوب متن الشطط في السلوك من جهات شتَّى . فلا بد من الصبر والتأني ومر الزمان والجري على مبادىء الحرية والعدل والاعتدال في حل المسائل التي يمكن ان تنشأ عن هذه الاسباب ونظائرها بلا التجاء الى الوسائط المزعجة والعلاجات المجهضة . وعلى كل حال قد مهد السبيل لحلها بازالة الاسباب التي كانت تترك كل طبقة من طبقات الهيئة الاجتماعية المصرية في حال القلق وعدم الرضى واستبدالها بحال الرضى العام فعلى هذا الاساس الوطيد يقام البناء ويصلح ويحسن ويكمل ويتقن بحسب مقتضى الزمان والاختبار

وانتقل الآن من هذه الملاحظات العمومية الى النظر في ميزانية السنة الجارية فاقول ان الغالب على الاذهان هو ان التفاصيل المالية خالية من كل لذة وطلاوة وارى ان ذلك مسبب عن عدم الانتباه الى الحقائق المستترة وراء تلك الارقام المجردة وعدم قدرها حق قدرها. والأ فكل غرش يضاف في مصر الى مصروفات الحكومة ويصرف بالحكمة على المعارف او القضاء او اصلاح السجون وما شاكل يفيد ان مصر خطت خطوة صغيرة في سبيل الارتقاء المادي والادبي وانها تقدمت في تنفيذ السياسة العمومية التي وصفتها بوجه الاجمال في ما مرّ. فالمجال واسع لاعمال قوة الخيال والتصور حتى في الميزانية المحتوية على ارقام لا تؤثر في النفس تأثيراً شديداً على شرط فهم معناها ومغزاها حق الفهم

اما ميزانية ١٩٠٤ فليست مما يستوقف البصر او يهيج الخاطر ولكنها موجبة لمزيد الرضى والاستحسان من الوجه التالي. فقد قلت في تقرير السنة الماضية " والمؤمل انهُ من سنة ١٩٠٥ وما بعدها يكون للاصلاح الاداري من حيث توقفهُ على السياسة المالية محل في بيان الحكومة اظهر مما كان لهُ فيما مضى " فجاءت الحالة المالية لحسن الحظ مسوغة للتعجيل في اتمام ما سبق التلميح اليهِ في ذلك القول فان ميزانية السنة الجارية تزيد مصروفات دواوين الحكومة ومصالحها المختلفة زيادة جوهرية لان مجموع ارقام تلك الميزانية كما يأتي

الايرادات	١١٥٠٠٠٠٠ ج٠م
المصروفات	١١٤١٠٠٠٠ ج٠م
فالزيادة	٩٠٠٠٠ ج٠م

وقد كانت العادة في الاعوام الماضية ان تقدر ايرادات الحكومة في ميزانياتها بمزيد الاحتراس والحذر ولكنا رأينا في اواخر سنة ١٩٠١ انهُ قد قام من الادلة في السنين التي قبلها ما يكفي للبرهان على ان ازدياد الايراد فيها لم يكن ناتجاً عن اسباب عرضية او وقتية وانهُ ينتظر ان يزداد اكثر من ذلك في المستقبل ايضاً. فلذلك زاد الاعتماد على التفاؤل بالخير وحسن الظن بالمستقبل في ميزانية هذه السنة عمَّا كان معتاداً في السنين الماضية

ولا خوف من ذلك اذ ما ثبت بالاختبار في السنتين الماضيتين ودلائل اليسر والرخاء في البلاد تؤيد الرأي بازدياد الايراد وعليهِ لا أرى باساً بتقدير السر الدن غورست للايراد بمبلغ ١١٥٠٠٠٠٠ ج٠م اي بزيادة ٥٠٠٠٠٠ ج٠م عما قدرهُ بهِ في سنة ١٩٠٣ فان بعض هذه الزيادة مسبب عن شراقي سنة ١٩٠٣ لانهُ لما جاء فيضان النيل ناقصاً سنة ١٩٠٢ ترك ١٧٥٠٠٠ فدان من اطيان الوجه القبلي شراقي فتجاوزت الحكومة عن مالها وقدرهُ ١٤٠٠٠٠ ج.م

واما في هذه السنة فساحة الشراقي تكون صغيرة لا تذكر . فيكون الباقي من الزيادة ٣٦٠٠٠٠ ج . م وهذه نتج عن ازدياد الايراد الطبيعي

واما المصروفات المقدرة في ميزانية هذه السنة (وهي ١١٤١٠٠٠٠ ج . م) فتزيد ٣٣٧٠٠٠ ج . م عن المصروفات التي قدرت سنة ١٩٠٣ ومن هذه الزيادة ٧٧٠٠٠ ج م من قسط الخزان السنوي وقيمة هذا القسط كله ١٥٤٠٠٠ ج م تدفع سنوياً من الان فصاعداً حتى يستهلك دين الخزان كله ومنها ١٥٠٠٠٠ ج م زيدت بها مصروفات مصلحة السكة الحديد والباقي يضاف اليه ١٠٠٠٠٠ ج . م توفرت من مصروفات الجيش فيصير ١٠٩٠٠٠ ج . م وبه تزاد مصروفات دواوين ومصالح مختلفة ذكرت بالتفصيل في مذكرة السر الدن غورست . وسأذكر كيفية توزيعه على تلك الدواوين والمصالح في سياق الكلام على كل ديوان ومصلحة منها

واما مصروفات السودان فقدرت بمبلغ ٣٨٠٠٠٠ ج م اي اقل مما قدرت سنة ١٩٠٢ بمبلغ ٢٠٠٠٠ ج . م لان مصروفات الجيش خفضت واما المصروفات الملكية التي يأخذها السودان من مصر فباقية على ما كانت اي ١٩٦٠٠٠ ج . م ثم انهُ يدخل على مصر نحو ٦٠٠٠٠ ج . م من جمرك الاسكندرية وسواكن على البضاعة الصادرة من السودان والواردة عليه . فيكون صافي ما تدفعهُ خزينة مصر الى السودان ٣٢٠٠٠٠ ج . م

مجلس شورى القوانين

انشيء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية منذ عشرين عاماً ولكننا لم نعلم مع ذلك من اختبار اشغالها ما يكفي لتقدير الخدمة التي يمكن ان يخدما القطر المصري بها في المستقبل تقديراً يعول عليه لان ما عبر عنهُ منشئهما الشهير المرحوم اللورد دفرن بقوله " روح العصر الاستحالي " يفعل فعله رويداً رويداً فيهما

غير ان ما يكون منهما في المستقبل يتوقف كثيراً على الجهة التي تتجه اليها عقول ابناء هذا الجيل بالقوات الادبية والعقلية التي وجهت اليها في هذه المدة الاخيرة ويتوقف كثيراً ايضاً على مقدار نيابتهما في المستقبل عن عناصر الطبقة التي تستحق آراؤُها الاعتبار والاهتمام من طبقات الهيئة الاجتماعية المصرية . ويتوقف قليلاً على خطة الحكومة بالنسبة اليهما اما خطة الحكومة بالنسبة اليهما فقد كانت لهذا العهد بحيث يجوز للمتطرفين من المحامين عن المجالس النيابية ان يقولوا في انتقادها انها تجاوزت الحد في الرعاية الابوية . فكانت بلا ريب خطة وداد ومجاملة وان تكن الاحوال قد اقتضت في بعض الاحيان ان الحكومة تبدي عدم الاستحسان لها وقد جعلت الحكومة دأبها قبول آراء المجلس حيثما تيسر لها ذلك ولو افضى الى

اغفال رأي الاكفاء من رجالها . واما حيثما لم يكن يتيسر لها ذلك فانها كانت توضح للمجلس سبب رفضها لآرائهِ او مطالبهِ بكلام لطيف وعبارة رقيقة

الأَّ اننا قد علمنا من امر هذين المجلسين ما يكفي لاثبات قولنا ان اللورد دفرين اصاب في غرضهِ الاوَّل من انشائهما وهو ان يكونا "مجلسين استشاريين لا تشريعيين" فانهُ وان يكن قد سمي احدهما مجلس شورى القوانين فليس الغرض الحقيقي منهُ التشريع (سن القوانين) بل اعطاء المشورة في التشريع . قال اللورد دفرين والحاجة هي الى انشاء هيئة تكون قريبة من النظار دائماً لتساعدهم على اتقان التدابير التي يتخذونها وترشدهم الى حاجات البلاد ورغائبها اجمالاً

هذا و يصح ان يقال ان مجلس شورى القوانين قضى بعض الامور النافعة التي قصدها اللورد دفرين من انشائهِ وخصوصاً في هذه السنين الاخيرة . فاذا ابديت الان بعض الملاحظات عن خطتهِ في بعض الامور فلست بفاعل ذلك عن قصد الجفاء او العداء وانما قصدي تحويل انتباه اعضائهِ الى امور يمكن انهم لم ينتبهوا اليها

ان الموضوع الذي يهم المجلس خصوصاً هو الميزانية السنوية فقد ارسل تقريراً مطولاً الى الحكومة عن ميزانية السنة الجارية اشار فيهِ بالغاء ضريبة النخيل وعوائد الملاحة في النيل و بزيادة المصروف وخصوصاً مصروف الحقانية والمعارف العمومية واقام اعضاؤهُ الادلة على صحة ما اشاروا بهِ بعبارة معتدلة ثم تبين ان بعض ما بلغهم من التفاصيل التي ذكروها في تقريرهم خطاء

ولكننا اذا اعتبرنا كل مسألة من المسائل التي عرضوها في حد ذاتها وجدنا ان آراءهم تستحق المدح من وجوه كثيرة . على انهُ لو تيسر تدبير المال لتخفيف الضرائب فوق ما خففت فان الاختلاف يبقى في ما اذا كان تخفيف الضرائب عما طلبوا تخفيفها عنهُ اولى بالتقديم على غيرهِ . الأَّ اني لم اقصد التعرض لذلك الآن وانما قصدت ان احوّل الانظار الى ان المجلس طلب في هذا التقرير وفي سواهُ مما سبقهُ ان الحكومة تنقص ايرادها وتزيد مصروفها في آن واحد . ولا غرابة في ذلك فان بعض الهيئات النيابية قد ينتقد عليها بمثل هذا الانتقاد في بلدان ارقى من البلاد المصرية

ومن حسن الحظ ان المالية المصرية بلغت من اليسر وحسن الحال في السنين الاخيرة ما يمكن الحكومة من الجري على الخطة التي يشير المجلس بها اعني الغاء ضرائب كان ايراد الحكومة منها عظيماً او انقاصها وزيادة المصروفات . ولكن ذلك يقتضي غاية الحذر والأَّ خيف من تجدد الارتباك المالي الذي الحق بالمصالح المصرية العطل والضرر في الماضي . وعليهِ تقبل المبادئ العمومية التي يطلب المجلس قبولها ولكن لا تقبل العمل بها حالاً . ولا خلاف في ان زيادة

تخفيف الضرائب امر محبوب ومطلوب وزيادة المصروفات على امور كثيرة امر ضروري ولكن ليس من الصواب تقليل الايراد ولا زيادة المصروف الاَّ بعد ما يتأكد وجود المال لذينك الغرضين اذ اول امر جوهري تقتضيهِ الديار المصرية هو تأكد دوام الموازنة المالية

ثم ان المجلس قد اكثر من حض الحكومة على زيادة المال الذي تصرفهُ على المعارف . فاعدت نظارة المعارف العمومية مذكرة وارسلتها الى رئيس مجلس شورى القوانين وابانت فيها بعض الامور التي وهم المجلس فيها . وليس غرضي التعرض لهذه التفاصيل الآن وانما اذكر الامر الحقيق بالاعتبار فيها وهو ان المجلس قد اظهر في هذه الحال واحوال اخرى عديدة شدَّة اهتمامهِ بامر المعارف وقد اصاب في ذلك ولكن الزمان هو الذي يمكن ان يظهر لاعضاء المجلس ان كانت المعارف تنتج كل النتائج التي ينتظرها بعضهم منها على ما يظهر او لا . اذ العبرة هي في كيفية استعمال الجيل المقبل من المصريين لمعارفهم بعد تحصيلهم اياها . فاذا كان السابقون منهم يحوّلون عقولهم الى معالجة الاسباب التي افضت الى تأخر كثير من بلدان الشرق وانحطاطها لم تكن النتيجة الاَّ خيرًا . واما اذا فتحوا آذانهم لاقوال المتملقين ولسماع السفسطات التي يلقيها عليهم كثيرون من ابناء وطنهم الذين هم في الحقيقة الد الاعداء واشد الكارهين لتقدم المصريين كانت نتيجة تحصيل المعارف شرًّا لا خيرًا

وظني ان الباعث للمجلس على الاهتمام بهذه المسألة هو رغبتهُ في تربية جماعة من المصريين حتى يحلوا محل بعض الاوربيين في خدمة الحكومة المصرية . فهذه الرغبة تستحق المدح ولا يصح اضعافها وهي مطابقة لمقاصد السياسة البريطانية في مصر . ومن يراجع تقاريري السابقة حيث اطلت الكلام على المعارف يظهر لهُ كيف كان السعي متجهًا دائمًا الى بلوغ هذه المقاصد مدة اعوام كثيرة . ولكن يخطئ من يتوهم ان التقدم من هذا القبيل يمكن ان يتم سريعًا اذ هو غير متوقف على تعلُّم ما تعلّمهُ المدارس . ثم ان التقدم في المعارف والتعليم لا يقوم بمجرد بذل المال بل يتوقف على مقدار المال الذي ينفق جيدًا عليهِ وايضًا على كون نظام التعليم وافيًا بحاجات الامة على اختلاف طبقاتها

واقول قبل ختام هذا الفصل بيانًا لصفاء طوية المجلس ان رئيسهُ ارسل منذ مدة قصيرة كتابًا الى الحكومة المصرية يطلب منها محاكمة كاتب كراس طبع تحت رعاية جمعية المرسلين البريطانية لورود كلمات فيهِ تهين دين الاسلام فنظرت في الشكوى واقتنعت بصحتها وقبلت ان افعل ما طلب مني وهو ان اقابل وفدًا من اعضاء المجلس اكثرهم من اصدقائي فبسطوا شكواهم بتمام التعقل والاعتدال فخاطبت رئيس جمعية المرسلين في ذلك فتأسف على ما حدث

واكد لي ان ما حدث لا يعاد في المستقبل . فعدلوا اذ ذاك عن طلب المحاكمة من تلقاء انفسهم وانقضت المسالة باعتدال الفريقين من غير ان يختل الاتفاق والوئام الواجب ان يكون بل الكائن فعلاً بين المسلمين والمسيحيين المقيمين في القطر المصري

الدكتور صموئيل صميلس

كل من قرأ كتاب سر النجاح الذي عرَّبناه منذ عشرين سنة ونيف يشاركنا في الاسف على وفاة هذا الفاضل الذي لهُ على ابناء هذا العصر فضل لا ينكر

توفي في السادس عشر من شهر مارس الماضي وهو في الثانية والتسعين من عمرهِ بعد ان قضى سبعين سنة يعاني التأليف والتصنيف ويفيد نوع الانسان

ولد في ٢٣ دسمبر سنة ١٨١٢ وطلب الطب في مدرسة ادنبرج الجامعة وكان بليغ الانشاء فجعل يكاتب جريدة اسبوعية في ادنبرج ثم تولى تحرير جريدة يومية لانهُ لم يكن يكتسب من صناعة الطب مايقوم بمعيشتهِ . وتزوج سنة ١٨٤٥ ورأى ان اجرة التحرير لا تقوم بهِ وبزوجتهِ لانها كانت مئتي جنيه في السنة فتركهُ وجُعل سكرتيرًا لشركة من شركات سكك الحديد فتعرّف بكثيرين من المهندسين . وكان مغرمًا بالتصوير والموسيقى فاتسعت معارفهُ جدًّا واتصل باناس من كل الطبقات اطباء ومحررين ومصورين ومغنين ومهندسين وما اشبه وكان عملهُ في سكة الحديد يستغرق وقتهُ كلهُ في النهار فجعل يصنف الكتب في الليل فكتب ترجمة ستفنصن مخترع سكة الحديد ونشرها سنة ١٨٥٧ فراجت رواجًا عظيمًا حتى اضطرَّ ان يعيد طبعها خمس مرات في السنة الاولى التي نشرها فيها وكان قد ألف كتاب سر النجاح (واسمهُ بالانكليزية Self-Help اي الاعتماد على النفس) وعرضهُ على ناشري الكتب مرارًا فرفضوا ان يطبعوهُ وينشروهُ فلما راج كتابهُ الثاني ترجمة ستفنصن نشروا لهُ كتابهُ الاول سر النجاح فراج رواجًا عظيمًا وبيع منهُ عشرون الف نسخة في السنة الاولى وبلغ ما بيع منهُ ١٥٠٠٠٠ نسخة في عشرين سنة وترجم الى سبع عشرة لغة

وتلا ذلك كتب كثيرة خرجت من قلمهِ تباعًا الى ان كانت سنة ١٨٧١ فاصيب بالفالج واضطرَّ ان ينقطع عن الاشغال العقلية تمامًا ثلاث سنوات متوالية فشفي وذلك من النوادر وعاد الى التحبير والتحرير فألف كتابهُ في الاقتصاد وهو الذي لخصناهُ وجعلناهُ الجزء الثاني من سر النجاح نشرناهُ اولاً فصولاً في مجلة اللطائف ثم نشرناهُ على حدة فابتاع المرحوم علي باشا

مبارك نسخةً كلها وكان ناظرًا للمعارف . واتبع ذلك بكتب اخرى اكثرها ترجمات لاناس نبغوا في العلوم والفنون والصنائع ولكنهم لم يشتهروا لفقرهم فاشتهروا بنشره ترجماتهم حتى ان واحدًا منهم ربطت له الحكومة الانكليزية معاشاً لما ظهرت ترجمته

وكل الترجمات التي ألفها توخّى فيها ذكر الاساليب التي اتّبعها ارباب الاعمال على نحو ما يرى في سر النجاح لكنهُ توسع فيها جدًّا فما ادمجهُ في صفحات قليلة في سر النجاح بسطهُ في كتب كبيرة حتى تكون مرشدًا للذين يقتفون خطوات اولئك العظام . ولم يقتصر على تأليف الكتب بل كان يكاتب بعض المجلات العلمية والادبية ولهُ فيها المقالات الحسان . واسلوبهُ في الانشاء بسيط لكنهُ مكين فيعدُّ من الطبقة الاولى بين المنشئين . وكل ما كتبهُ صحيح في مبدإِهِ مفيد في غايتهِ وسيبقى في المقام الاول بين الكتب التي افادت نوع الانسان

السر هنري ستنلي

اذا ذُكر العصاميون الذين ارتقوا بجدهم من ادنى المراتب الى اعلاها واستحقوا ان تُنشر اسماؤُهم في كتاب سر النجاح ليكونوا مثالاً لطلاَّب المعالي فالسر هنري ستنلي الرحَّالة الشهير في مقدمتهم . واذا ذُكر روَّاد افريقية الذين اغروا ممالك اوربا بتدويخها واقتسامها وامتلاكها فلهُ الشأن الاكبر بينهم . غير ان فعلهُ هذا تختلف قيمتهُ من حيث سكان افريقية لانهُ ان آل امتلاك الاوربيين لها الى نفع سكانها الاصليين كما نرجو فيكون لهُ اكبر فضل عليهم وان آل الى ضررهم كما نخاف فيكون من اكبر المسهلين لانقراضهم

ولد ببلاد الانكليز نحو سنة ١٨٤٠ من اصل وضيع جدًّا فلا يعرف شيءٌ بالتحقيق عن سنة ميلاده ولا عن والديهِ وكان اسمهُ جون رولندس . ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره هاجر الى اميركا ويقال انهُ ذهب اليها خادمًا في احدى السفن وخدم هناك تاجرًا اسمهُ ستنلي واجتهد في خدمتهِ فأحبَّهُ ووعد ان يتبناهُ فغير اسمهُ وتسمى هنري ستنلي لكن التاجر مات قبل ان يكتب وصيَّتهُ وتركهُ صفر اليدين لايملك شيئًا فاقام سنتين او ثلاثًا الى ان نشبت الحرب الاهلية فانتظم في سلك الجنود وأُخذ اسيرًا ولما انتهت الحرب جاء الى تركيا مكاتبًا لاحدى الجرائد ثم لما ارسل الانكليز حملتهم على بلاد الحبشة سنة ١٨٦٧ بعثتهُ جريدة النيويورك هرلد مكاتبًا لها فبعث اليها بخبر فتح مجدلة قبلما وصل الخبر الى الحكومة الانكليزية . وابدى في كل ما كتبهُ حينئذٍ وما كتبهُ قبل ذلك الحين وبعدهُ من المهارة في الوصف والمقدرة على تمثيل

ما يريد ذكرهُ ما احلهُ محلاً رفيعاً بين كتّاب العصر كما ترى في الخطبة التالية

ولما عاد من بلاد الحبشة ارسلتهُ جريدة الهرلد الى اسبانيا ليرقب الحوادث فيها وبعث اليهِ المستر غوردن بنت صاحبها وهو هناك يستدعيهِ الى باريس فلما حضر طلب منهُ ان يعود الى افريقية ليفتش عن لفنستون المرسل الانكليزي الذي مهد السبيل لرواد افريقية وللشركات التجارية وكانت اخبارهُ قد انقطعت من زمن طويل وظن اصدقاؤُهُ انهُ قضى نحبهُ . فقام ستنلي للحال واتى القطر المصري حينما فتحت ترعة السويس ثم سار الى زنجبار وضرب في افريقية فوجد لفنستون في اواخر سنة ١٨٧١ وبقي معهُ اربعة اشهر يجوبان البلاد معاً وكان المرض قد انهك لفنستون فانتعشت قواهُ برؤية ستنلي و بما جلبهُ لهُ من الزاد

وعاد ستنلي الى اوربا فوصل انكلترا في اواسط سنة ١٨٨٢ فقوبل بالترحاب ونشر فيها كتابهُ المشهور وجعل موضوعهُ "كيف وجدت لفنستون" فراج رواجاً عظيماً جداً ولا يزال الناس يتفكهون بقراءتهِ حتى الآن وقابلتهُ ملكة الانكليز واهدت اليهِ علبة سعوط مرصعة بالماس واهدت اليهِ الجمعية الجغرافية نشانها الذهبي

وعادت جريدة الهرلد فارسلتهُ الى افريقية مع حملة الاشنتي ونشر بعد ذلك كتاباً جمع فيهِ رسائلهُ من مجدلة عاصمة الحبشة ومن كوماسي عاصمة الاشنتي . وسمع بموت لفنستون وهو راجع مع حملة الاشنتي فود ان يتمم ما لم يتممهُ لفنستون من اكتشاف مجاهل افريقية فتمت بغيتهُ وارسلتهُ جريدة الدايلي تلغراف الانكليزية وجريدة الهرلد الاميركية على نفقتهما لكشف تلك المجاهل ففعل ما لم يفعلهُ رائد آخر من الروَّاد دار حول بحيرة فكتوريا نينزا وحول بحيرة طنجنيكا واصلح خريطتيهما وكشف اكثر ما يعرف الآن مما كان مجهولاً حينئذٍ من قلب افريقية . والمرجح انهُ لم يكتشف احد اكتشافات جغرافية تماثل ما اكتشف ستنلي في تلك السفرة . وعاد الى اوربا سنة ١٨٧٨ لكنهُ ذهب الى افريقية اسود الشعر فرجع منها شائبهُ لكثرة ما عاناهُ من المشاق وما اقتحمهُ من المخاطر

وذكر في احدى رسائلهِ وهو في هذه السفرة ان نهر الكنغو يصلح لسفر السفن وان هناك باباً واسعاً للتجارة فلم يكد يصل الى اوربا حتى استدعاهُ ملك بلجكا اليهِ واستعان بهِ على تعمير تلك البلاد وفتحها للتجارة وردهُ الى افريقية لهذه الغاية ومن ثم انشىء ما يسمى بولاية الكنغو الحرة وافلحت تلك الولاية مدة اقامة ستنلي فيها الى اواسط سنة ١٨٨٤ ثم حلت بها العبر بعد تركهِ اياها

وذهب الى اميركا يخطب فيها عما لقيهُ في رحلاتهِ فاستدعتهُ الحكومة الانكليزية

وطلبت منهُ ان يذهب الى اعالي السودان لانقاذ امين باشا وكان امين باشا مديرًا على مديرية خط الاستواء من قبل الحكومة المصرية وقد قاوم الدراويش جهده وكادوا يتغلبون عليهِ فوعدت الحكومة المصرية بعشرة آلاف جنيه لهذه الغاية واكتتب الانكليز بعشرة آلاف جنيه اخرى . ولما اتم ستنلي عملهُ وانقذ امين باشا وعاد الى القطر المصري رحبت بهِ الحكومة المصرية واولمت لهُ وليمة فاخرة في ٢٠ يناير سنة ١٨٩٠ رأسها دولتلو رياض باشا الذي كان رئيساً للنظار حينئذٍ . وبعد الطعام خطب ستنلي خطبة مسهبة وصف فيها رحلتهُ لانقاذ امين باشا قال فيها ما ترجمتهُ

الخطبة

قد حق عليَّ وعلى رفاقي مزيد الشكر لما لقينا في هذه الديار من مظاهر الاجلال والاكرام منذ دخلنا هذا القطر الى الآن فاليكم نُسدي الثناء ومنكم نبغي التكرم بالقبول

ان الحملة التي اسعدنا الحظ باتمامها على ما يرام كان السبب فيها اعتقاد الانكليز بانهم مسؤولون عمَّا باتت فيهِ حامية مديرية خط الاستواء من الضنك والمركز الحرج وكذلك مديرها وكيل غوردون الذي امسى وحيدًا فريدًا في ديار مهجورة . فان المسيو ينكر لما عاد من افريقية افرغ وطاب الاخبار والانباء على اهالي الديار المتمدنة فقال ان في قلب افريقية رجلاً لم ينفرد هناك بارادتهِ بل طوعاً لاوامر غوردون رئيسهِ وانهُ محفوف بالاعداء من كل جانب وان الدراويش السائرين في جهات السودان عازمون على ان يمحوا آثار سطوة مصر عن تلك الديار وهم يتأهبون لغزو المديرية واعمال السيف في حاميتها واهلها وان الرجل الذي بات وحيدًا في تلك الاقطار عدم وسائط الدفاع وقاربت ذخائرهُ النفاد . وكنت حينئذٍ عازماً على السفر الى اميركا فقابلني صديقٌ قديم وجعل يكلمني عن احوال المديرية الاستوائية وما ألمَّ بها وبمديرها من النوازل ثم قال لي أتقدم على انقاذها اذا مددناك بالمال فقلت لهُ انكم انتم الانكليز بارعون في الاقوال بطيئون في الافعال . دبروا الاموال ثم اسألوني وعلى الله الاتكال . وسافرت بعد ذلك الى اميركا حيث كنت اخطب على اهلها وما اتممت الخطبة الرابعة عشرة حتى اتتني رسالة برقية ان ارجع حالاً الى انكلترا في اول باخرة فسافرت على الفور واتيت انكلترا وقلت اني مستعد للسير فقالوا سر بعون الله وأعن امين باشا

وكان لنا اربع طرق للسير الى المديرية الاستوائية وسأبوح لكم الآن بامر اظنهُ لا يزال مستورًا وهو اني كنت من بادىء الامر مستخيرًا في نفسي طريق نهر الكنغو عالماً انهُ افضل الطرق ولو كان اطولها اذ احسن الطرق لا يلزم ان يكون اقصرها فلما كاشفت اعضاء اللجنة

به اعترض بعضهم عليه فقلت لا بأس فاني وعدتكم ببذل الجهد ولا فرق عندي سرتُ في هذه الطريق او في غيرها وعليه جزمت على المسير في طريق شرقية لاغربية

وأرسلت رسالة برقية الى زنجبار بان يحملوا ٣٠٠ رجل مئتي حمل ارزّ و يرسلوهم الى امبوبوي في اطراف اراضي الالمان . وبعد مضي بضعة ايام اوعزتْ اليّ نظارة الخارجية الانكليزية بان المسير في تلك الطريق الشرقية يوجب الارتباك والقلاقل السياسية فالعدول عنها اسلم عاقبة من المسير فيها فاضطررت حينئذٍ ان اعدل عنها وعن سواها من الطرق الشرقية لان طريق كرغوى كانت مسدودة باعتراض قوم اوغندا فيها وطريق روندا الواقعة الى الغرب من طريق كرغوى لم تكن طريقاً تسلك لمن كان مثلنا حاملاً الذخائر والمؤن الكثيرة لاغاثة امين باشا وطريق نيسا و بحيرة طنجنيكا وهي الرابعة لم تكن موافقةً لنا لان احوال الشركة الانكليزية هناك لم تكن يومئذٍ على ما هي اليوم او على ما آمل ان تكون بعد بضع سنين بل لم يكن عندها الاّ سفينة واحدة وهي لا تستطيع نقل ٨٠٠ او الف انسان فلم يبقَ لنا الاّ طريق الكنغو ولما اخبرت اللجنة بذلك قالت افعل ما بدا لك فارسلت تلغرافاً ثانياً الى زنجبار ان استرجعوا مئتي حمل الارز التي ارسلتموها . فكلفنا ارسالها وارجاعها خمسة آلاف ربيّة ثم الحقت التلغراف بالتلغراف حتى دبّروا لنا ٦٠٠ حمّال لحمل المهمات والذخائر وسائر ما يلزم لاغاثة امين باشا

وربّ قائل يقول وما هذه الاغاثة وكيف تكون . اقول ان اصدقائي الانكليز اخبروني صريحاً بانهم يودون بقاء امين باشا في افريقية ومحافظتهُ على مديريتهِ وهذا ما كان يقولهُ لي كل انكليزي ولكني اوجه انظاركم ايها السادة الكرام الى مايلزم لامين باشا لو شاء البقاء فأولاً يلزم ان ترسل اليهِ ذخائر ومهمات كل سنة والاّ فلا يستطيع المحافظة على مركزهِ ثم ان عدد البنادق التي عند جنودهِ ١٧٥٠ او نحوها واذا اردنا ان نرسل لكل بندقية ٢٠٠ طلق فقط بلغ ما نرسلهُ ٨٠٠ حمل يلزم لها ٨٠٠ حمال عدا ٤٠٠ حمل من البارود للجنود الخطرية وعدا الخرز والقماش وغيرهما مما يبتاع بهِ الطعام للحمالين . وعليهِ يلزم الفا رجل كل سنة لنقل ٢٠٠ طلق لكل بندقية وهؤلاء الالفان يقضون سنة في الذهاب والاياب . ناهيك عن نفقاتهم ونفقات الهدايا والزاد والادوية والوف الاشياء التي تلزم لذلك بحيث تبلغ نفقات القافلة كل سنة لا اقل من ٢٠ الف جنيه . ومعلوم ان الحكومة المصرية وهبت ١٠ آلاف جنيه لانقاذ امين باشا وقالت انها لا تعطي مالاً بعد ذلك لانها بعد ما تخلت عن شمالي السودان واواسطها لم تعد تعبأ بالمحافظة على جنوبيها اذ لاحيلة لها في صيانتها ولذلك رأت الاكثر مناسبةً ان يعود امين باشا منها و يتركها كما تركت سواها . على ان الحكومة المصرية

والانكليز معاً تركوا الحكم في هذه المسألة لامين باشا اذا شاء البقاء بقي واذا شاء المجيء جاء
والآن اشرع في وصف رحلتنا بوجه الاختصار بعد قيامنا من زنجبار ومرورنا براس الرجاء الصالح ووصولنا الى مصب نهر الكنغو في غربي افريقية

لما اتينا مصبَّ نهر الكنغو قيل لي اني لا استطيع القيام من نقطة بنانا قبل ستة اسابيع ولكننا قمنا منها في اليوم التالي . ولما وصلنا الى بركة ستنلي اروني سفينةً من احسن السفن التي تسافر في الكنغو الاعلى وكانت باليةً من طول الزمان وقد مضى عليها اشهر وهي ترم فقال لي الناس جميعاً انكم لا تستطيعون المسير من هنا قبل اواسط مايو فطلبت سفينةً من سفن المرسلين الذين هناك فاجابوني انهم لايقدرون ان يجيبوا طلبي . فلما اتينا شلالات ستنلي عُرض عليَّ كل ماهناك من السفن فسافرنا في الحال خوفاً من ضياع الزمان وكنت قد استصحبت شيخاً نخاساً سلاَّباً نهاباً يقال له تبوتيب ولما كان لابدَّ لي من المرور في جانب من البلاد الخاضعة له ولم يكن مأذوناً لي بمقاتلة احد أولمت له الولائم واحسنت له المعاملة وعرَّفتهُ بالقوم كأنهُ ليس من ذوي البغي والفساد فرأى في البيض ما اقنعهُ بانهم يعاملونهُ احسن معاملة اذا وفى عهوده بالصدق والاستقامة . ولما كنا في رأس الرجاء الصالح قال على مسمع مني ان البيض اناس صغار العقول فلما رأى عظم افعالهم قال لي كنت اظن ان البيض قوم مجانين فعلمت اليوم انهم ليسوا بلا عقول فقلت له وستعلم بعد ما لا تعلمهُ الآن وتحكم ان الانكليز لا يقصرون عن العرب حذقاً وادراكاً . وذهب تبوتيب معنا الى شلال ستنلي ونزل هناك بناءً على وعده بان يقدّم لنا ٦٠٠ حمّال لحمل المهمات والذخائر واني كنت قد احضرت معي ما يلزم لتجهيز امين باشا اذا شاء البقاء في مديرية خط الاستواء ودبرت للحالين قبل المسير حتى اذا جهزتهُ بما يلزمهُ واذا لم يبقَ ارجعت المهمات معي ولذلك أخذت معي شيئاً كثيراً لم تكن حملتنا لتحتاج الى عشره فعشرون صندوقاً من الذخائر تزيد عما يلزم لحملتنا حال كون ٢٠٠ صندوق لا تكفي حاجة امين باشا وقومهِ

ولما سافرت من انكلترا كنت اظن انهُ في معظم الشدة واشدّ الضنك وذلك كان ظن الناس جميعاً حتى اجمعت الجرائد على وجوب المبادرة لاغاثتهِ لئلاَّ يصيبهُ ما اصاب غوردون . ولما كانت السفن على الكنغو الاعلى غير كافية لنقل رجال الحملة كلهم بما معنا من الذخائر والمهمات اضطررت ان اترك جماعة من قومنا تحت قيادة برتلوت وغيره من الضباط في محلةٍ هناك لينتظروا وصول اللوازم التي تخلفت عنَّا في الكنغو الاسفل . وكانت تلك المحطَّة منيعة حصينة وبجانبها حقول فسيحة مزروعة ذرة تقوتهم سنين عديدة واوصيتهم انهُ متى وصلت

اللوازم والمهمات يقتفون آثارنا مع تبوتيب او يدونهم في الادغال الممتدة امامنا فاعربوا جميعاً عن رغبتهم في اتباعنا ولذلك اصدرت لهم الاوامر اللازمة وقمت عاجلاً خوفاً على امين باشا. فسرت مع ٣٨٩ رجلاً والضباط الذين تروتهم ينبنا الآن قاصدين بحيرة البرت بلا ابطاء اما الادغال التي كانت تسدّ الفضاء امامنا فقد ادهشني كبرها وارهبني التفاف شجرها فجعلت اسأل الناس عنها وعمّا اذا كانت مأهولة او لا وعن مسافة امتدادها شرقاً فيجيبوني جميعاً الله اعلم فاننا لم نسمع من عهد آبائنا واجدادنا ان لهذا الغاب نهاية. فاذعنت انا وقومي لحكم الضرورة ودخلنا تلك الادغال وظللنا شهراً كاملاً نسير فيها بلا انقطاع ونحن لا نرى شمساً ولا سماء لشدة التفاف الاشجار وتكاثف اظلالها ولا نرى هنا وهناك الأشعاعة من النور او ضوءا ضعيفاً مستطيراً حتى مللنا المسير وسلّمنا جميعاً بان المسير في تلك الحرجات اصعب ما قاسيناه من مشاق افريقية كلها

وبعد مسيرة ١٦٠ يوما خرجنا منها الى العراء فانتعشت انفسنا بضوء الشمس ورؤية السماء واستنشاق لذيذ الهواء وجعلنا نعدو في المروج الخضراء كصبية بعثهم الصغر على البطر فرحوا وفرحوا من تلاعب النسيم في اطراف العشب الاخضر. وما انشرحت منا الصدور حتى اطبقت علينا قبائل قوية تتكلم لغةً غريبة وهاجمتنا مهاجمةً عنيفةً حتى خلنا انها تريد صدّنا عن كنز من اثمن الكنوز او انها اتخذت من تلك القبائل التي تتهدد امين باشا. ولكننا فزنا بعد كل مقاومة بالوصول الى اطراف تلك الاراضي المرتفعة في ١٣ دسمبر ورأينا بحيرة البرت تحتنا بالفين وتسعمئة قدم. فانحدرنا الفين وخمس مئة قدم مساء ذلك اليوم وسرنا في صباح اليوم التالي الى قرية في الزاوية الجنوبية الغربية من البحيرة وكنا لسبب ما ألمّ بنا من الضعف والهزال قد تركنا زورقنا الفولاذي وراءنا ولم نجد في البحيرة قارباً يسع اكثر من اثنين معاً وسألنا اهل القرية فوجدنا انهم لا يعرفون امين باشا ولا سمعوا باسمه وانهُ لا يوجد في البحيرة قارب يصلح لنقلنا فرجعنا مسافة ٩٠ ميلاً واحضرنا زورقنا ثم عدنا الى البحيرة بعد مضي اربعة اشهر

ولما انزلنا الزورق في البحيرة ركبهُ جفسن وبعض البحرية وسافروا حذاء ساحلها الغربي ليبحثوا عن مكان امين باشا ولم يمضِ الا ايام يسيرة حتى انشرحت منا الصدور برؤية الباخرة الخديوية قادمة تمخر الماء قاصدة نحلتنا. وبات امين باشا والمسيو كاساتي تلك الليلة عندنا ولم يطل علينا الاجتماع حتى اصلحنا ما كنا نتصورهُ عنهُ وعن مديريته فعوضاً عن ان نرى رجلاً طويل القامة عسكري الهيئة كما كنا نتصوَّر رأينا رجلاً قصير القامة قوي البنية — فصدق بنا قول من قال "ان الطيور على اشكالها تقع" وعلمنا ان أورطتهُ الاولى قد تمردت وعصت

منذ اشهر كثيرة وان كثيرًا من محطاتهِ واقع في قبضة العصاة وان بقية الاورط من الجنود القانونية المنظمة تلتمس عذرًا لشق عصا الطاعة وغير القانونية تنتظرها لتحذو حذوها . فبقينا ستة وعشرين يومًا معًا وكنت في اثنائها احاول الوقوف على افكار امين باشا لأعلم ما اذا كنا نحظى بسيره معنا الى البحر او يبقى مع قومهِ في افريقية فكان يجيبني على الدوام حيث يذهب قومي اذهب وحيث يبقون ابقى فسألت كاساتي عما اذا كان يشرّفنا برفقتهِ فاجاب اذا ذهب سعادة المدير ذهبت واذا بقي بقيت وسألت الضباط فاجابوا عين ذلك الجواب وبقوا عليهِ مدة الستة والعشرين يومًا ولم يشأ احدٌ ان يجاوبني صريحًا عن بقائهِ او مجيئهِ معنا لان امين باشا كان يريد ان يشاور قومهُ في ذلك ويعلم ما يقولون قبل ان يجاوبني قطعيًا ولحظت على توالي الايام انهُ راغب في العمل ميال الى البحث والاكتشاف لانهُ من المجتهدين طبعًا فكانت مراقبة الطبيعة ودراسة امرارها تلهيهِ عن مصابهِ وتكسبهُ السعادة في قلب افريقية ولو كلف ان يقضي ساعاتهِ في قهوة من قهاوي العاصمة لكان اشقى الناس حالاً واكثرهم زهدًا في الحياة واما في افريقية فكان سعيدًا لاعتقادهِ انهُ يصنع خيرًا

فلما لحظت ان امين باشا يبغي البقاء في افريقية وكنت راغبًا في الوقوف على جوابهِ القطعي قلت لهُ اني اعرض عليك ثلثة امور اولاً ان تكون مديرًا على هذه الديار كما انت الآن براتب الف وخمس مئة جنيه في السنة ومال قدرهُ اثنا عشر الف جنيه سنويًّا لادارة مهامها . هذه فرصة لك فاجبني الجواب الصريح عنها . وثانيًا ان آخذك الى بلاد في هذه القارة من اجمل ما اكتحلت برؤيتهِ عينك فتسكنها مطمئنًا آمنًا من غزوات الدراويش وهجمات الثائرين واجعلك حيث يكون لك اتصال دائم بالبحر وحيث تأتيك الذخائر والمهمات على الدوام فتنال فيها منى نفسك ويدفع لك فيها راتب يوافق مقامك ودراهم تكفي لجنودك . نعم اني غير مفوَّض بان اعرض عليك هذا الامر ولكني اتكفل لك بهِ واكون مسؤولاً لديك عنهُ . ولا انكر ان اول واجب عليَّ هو لسمو الخديوي المعظم ولكنهُ قد امر بقيامك من هنا ومرافقتك لنا الاَّ اذا ابيت انت ذلك وبما انك لا تريد مرافقتنا اعتقادًا منك بان قومك لا يرافقونك وانا قد اتيت هذه الديار لاخلص لك الخدمة فها انا قد عرضت عليك هذين الامرين عدا الامر الثالث وهو مرافقتنا لاقضي ما يجب علي من خدمتك . فصمت ولم يجاوبني جوابًا قاطعًا لسبب سري خفي لا اعلمهُ وكان القلق قد اشتد بي لطول انقطاع اخبار برتلوت ورفاقهِ عني وصرت ارى من الضرورة التفتيش عنهم فقلت لهُ اذا كنت لا تستطيع ان تجيبني في الحال فاني امهلك مدة غيبتي عنك لتفكر في الجواب وتجزم الامر الذي يقرُّ عليهِ رأيك

فسرنا حتى اتينا قومنا المتأخرين فوجدنا النوازل قد ألمّت بهم وضعفت احوالهم ثم عدنا الى نينزا رابع مرّة واول خبر قرع مسامعي فيها بعد وصولي اليها ان امين باشا مسجون في مديريتهِ ولم يبقَ عندهُ خدام ولا جنود وانهُ مقيَّد اليدين والرجلين فتصوروا انفسكم مكاني تعلموا ما خامرني بعد ما اتيت قلب افريقية لانقاذهِ ولقيت هذهِ النوازل مجتمعة امامي فكانت غاية سعينا واجتهادنا ان نسمع بسقوط المديرية وسجن امين باشا وخسارة ضابطي بعد ما خسرت اثنين قبلهُ ومئات آخرين من رجالي وامسيت في خطر من ان افقد كثيرين غيرهم ايضاً . فرأيت باديء الامر ان استعلم عن احوال سجنهِ واسبابهِ ثم انظر في طريقة انقاذهِ . فقيل لي ان الذين سجنوهُ هم جنودهُ وذلك لانهُ وضع نفوذهُ عندهم في غير موضعهِ وانهم عن قريب يطلقونهُ لكن ضابطي اخبرني ان ذلك غير صحيح وان المديرية قد سقطت سقوطاً لا تقوم لها قائمة بعدهُ فقلت اني انتظر كل هذه الايام لاقف على جواب الاوربيين الذين هنا واعلم ما اذا كانوا يرجعون معي او يبقون في هذه الديار فان كان امين باشا قد بات اسيراً ولا يقدر ان يخبرني مَنْ يستلم المهمات التي جئتهُ بها او هل يقبل دعوة سمو الخديوي بالرجوع معنا فما لي الاَّ ان اتلف هذه المهمات وآمر بالرجوع . فكتبت الى امين باشا بذلك فكان جوابهُ حضورهُ بنفسهِ في احوال غير منتظرة وذلك انهُ بعد ما تمرَّد الجنود عليهِ غزاهم الدراويش واستولوا على اربع محطات من محطاتهم وعلى كثيرٍ من ذخائرهم ومهماتهم والقوا الرعب في قلوبهم فقالوا في انفسهم خيرٌ لنا ان نسترضي الخليفة في الخرطوم بالقاء القبض على هذهِ الحملة التي اتت وتسليمها كلها ليدهِ والحصول على الكرامة والشرف عندهُ من ان نتبع مديرنا ونلقى نصيبنا من نصيبهِ فما قولكم لو كنا الآن عبيداً وسيَّاساً للمهدي بعدما اوغلنا في قلب افريقية واعدين النفس بتحصيل المنى وتحقيق الاماني

ولا يخفى ان اولئك الجنود كانوا منغمسين في المكايد غمساً وروح العصيان يسري في عروقهم وان كثيرين منهم كانوا من قوم عرابي فاتفق رأيهم على ان يأتوا محلَّتنا ولكنهم علموا انهم اذا اتوا اليَّ وحدهم يكون اول سؤالي لهم اين مديركم واين ضابطي فلذلك رأوا انهم لا يتمكنون من مقابلتي الاَّ اذا اطلقوا سراحهما واعتذروا لمديرهم عما فرط منهم . ثم اعترفوا باني مرسل لاغاثة مديرهم من قبل سمو الخديوي المعظم وان الاوامر التي معي رسمية صحيحة فوعدهم امين باشا بالعفو عنهم وتعريفهم بي واتوا محلتنا معهُ ليستعلموا بانفسهم عن قوتنا و يعرفوا سذاجتنا من براعتنا

فلما وصلوا مدحهم امين باشا لسوء الحظ واطنب ولكني كنت مرتاباً فيهم لكثرة ما بلغني

عنهم ورؤية كثير مما لا يرضي منهم ولم اصدّق دعاويهم واقوالهم لاسباب كثيرة . غير انهم قالوا انا اذا امهلناهم جمعوا العيال والجنود وجاءوا معنا الى مصر ليرفعوا شكرهم لسمو الخديوي على ما انعم بهِ عليهم . وكانت ظواهر الصدق والاخلاص بادية على كلامهم وهيئتهم تدل على ندامتهم وتوبتهم بحيث لا يسع الساذج الاَّ تصديقهم فامهلتهم بطلب امين الباشا مدة ٢٠ يوماً كما اشار فرجعوا على البواخر الى وادلاي وسرقوا معهم بندقية من صنع رمنتن وهم راجعون

وصبرنا حتى مرَّ ثلاثون يوماً ولم يأتِ احد ولكن اتتنا كتابات كثيرة من وادلاي بحدوث الفتن والمكايد وان الناس انقسموا حزبين احدهما ناصر لفضل ملى بك والآخر لسليم بك والحرب بينهما سجال . وكان امين باشا لا يزال مقتنعاً بصدق قومهِ فلما مرَّ الثلاثون يوماً طلب اليَّ ان اطيل المهلة فامهلتهم ١٤ يوماً ايضاً واجلت المسير الى ١٠ ابريل . وفي ٥ ابريل وجدنا ان الذين لجأوا الى محلتنا من اهل المديرية يحاولون سرقة بنادق أُخرى في الليل ثم تبينا في اليوم التالي انهُ لا يوجد الاَّ رجلٌ واحد يقصد مرافقة امين باشا من ست مئة نسمة لاذوا بجانبنا وكان امين باشا معتقداً بامانتهم واثقاً بوفائهم

فحينئذٍ جمعت القوم واخبرتهم اني استلمت زمام الامور منذ ذلك اليوم فالذي لا يطيع اوامري يقتل بالرصاص فكفوا عن الدسائس ومحاولة سرقة البنادق مدَّة من الزمان . وفي ١٠ ابريل قمنا من جوار بحيرة البرت بالف وخمسمئة رجل وبعد مسيرة عشرة ايام اضطررنا الى الوقوف لمرض شديد اعتراني على مسيرة ثلثة ايام من نيانزا فاصبحت محلتنا محطاً للدسائس والمكايد وسرقة البنادق وكان النساء يهربن ويوافين الرجال في محطة قديمة لنا على نيانزا ولثقل المرض عليَّ لم استطع الاَّ على وسوسة بعض الاوامر ولكن الضباط الذين كانوا معي كانوا من ذوي الهمة والمقدرة فسار الملازم ستيرس منهم الى نيانزا وامسك كل الذين كانوا قد فروا اليها ومن جملتهم رجل يقال لهُ ريحان وكان اصل تلك الدسائس كلها فشكل مجلساً وحاكمهُ محاكمة طويلة ثم حكم بوجوب قتلهِ واصرَّ على تنفيذ الحكم فوقَّعت على الحكم وقتل ريحان وكان ذلك آخر الاتعاب التي تحملناها من سكان المديرية الاستوائية

وفي ٨ ماي ١٨٨٩ سرنا قاصدين الاوطان فلما اخترقنا الهضاب الواقعة غربي بحيرة البرت اكتشفت اكتشافاً عظيماً في وادي سمليك وهو نهر يجري فيهِ ويستمدُّ ماءهُ من اثنين وستين جدولاً تنحدر عن سلسلة جبال علوها بين سبعة عشر وتسعة عشر الف قدم . واتضح لي لدى مراجعتي ما كتب عن تلك البلاد ان جغرافياً عربياً اسمهُ شياد الدين (كذا) وعصرهُ القرن الرابع عشر للميلاد وصف هذا النهر وصفاً بديعاً ودقق فيهِ بما لم يبعد عن الحقيقة . قال ان

خط الاستواء يقطع جبال القمر وتنحدر عن هذه الجبال سيول وجداول كثيرة غربي نهر يصب في بحيرة عظيمة ينشأ النيل الابيض منها ويجري الى بلاد مصر اه . وهذا وصف صحيح لم يزد الخطأ فيه عن اميال يسيرة . والغريب اننا نكتشف الآن ما كان معلوماً عند الخلفاء والبطالسة والفراعنة قبلهم وحفظ في آثارهم التي توارثها الخلف عن السلف حتى اتصلت بجغرافيي العرب في زمانهم ثم عفت آثارها وطمست اخبارها حتى عدنا فكشفناها في زماننا. وقد اسعدنا الحظ في مسيرنا اننا رددنا بعض الرواسب الملحية الى اصحابها وقد اجرينا العدالة في عملنا هذا لاعتراض تلك الرواسب في طريقنا فنلنا عليه ما لا يوصف من الاكرام والضيافة على الرحب والسعة

نعم ان ولائم المتمدنين فاخرة وشاهدنا هذه الوليمة التي هي من افخر ما رأيت ولكن ما قولكم في اهل افريقية المتوحشين الذين ضافونا مجاناً ضيافة لا مثيل لها فاطعموا ثمانمئة نسمة منا افخر اطايب ارضهم من لحم البقر ولحم الضان والخضر والاثمار مدة ثمانية اسابيع متوالية ولم يقبلوا منا عوضاً عنها ولا ثمناً بها وكانوا يحسبون قبولنا لها منهم منة عليهم وفخراً لهم . وبينما نحن نستشرف بحيرة فكتوريا رأينا صليباً فعلمنا اننا وطئنا اراضي المتمدنين ثم خرج المستر مكي المبشر الانكليزي لمقابلتنا وكان اول كلمة انكليزية سمعناها ان الانكليز يفتخرون بفعالنا . ولم يحدث ما يستحق الذكر مدة سفرنا من بحيرة نيزا الى سواحل البحر سوى انا التقينا بالالمان في اطراف بلادهم الجديدة في شرقي افريقية فاكرم ضباط الماجور وسمن ملقانا ثم متعنا وسمن باطايبه فتغيرت بملذاتها مناظرنا حتى زعم الذين رأونا على الساحل ان هيئتنا لا تدل على صدق رحلتنا. ولما وصلنا بغمويو وشاهدنا البحر حييناه تحية مشتاق اشتد به الوجد من طول الفراق وادب لنا هناك مأدبة من افخر ما أدب في تلك الاقطار وحضر المأدبة ستون او سبعون مدعواً وكانت خمورها طيبة وخطبها رنانة فلما فرغت من خطبتي قام امين باشا وشرب على صحة امبراطور الماليا ثم وقف المدعوون جميعاً وغنوا . وبينما انا احادث وسمن بعد ذلك اتانا خبر مشؤوم وهو ان امين باشا سقط عن ممشى القاعة على علو عشرين قدماً الى الشارع فوثبنا من مجالسنا وكثر الاختلاط ونسينا الوليمة وهرعنا الى محل الحادثة المكربة فوجدنا امين باشا محمولاً الى المستشفى فتبعناه واذا هو ملقى على سريره ومنظره يفتت الاكباد ومن بعد ما كان فرحاً مفتخراً واصوات الترحيب ترن في اذنيه أمسى محطماً على آخر رمق . فقلت لا حول ولا ان الانسان في تفكير والله في تدبير. ولطالما اتاني في حياتي ما اراني ان قوة خفية تدير احوال البشر وهذا من اعظم الشواهد عليها. فقد انقذنا امين باشا من مخالب المهدويين واتينا به سالماً مسافة ١٤٠٠ ميل حتى وقف بين يدي وطنه مكرماً مبجلاً تولم له الولائم بعد خدمة ثلث عشرة سنة في قلب افريقية . وكانت

هذه هي العاقبة انهُ يمسي في لحظة مجاور الاموات لعارض عرض لهُ. نعم ان شفاءهُ لا يزال محتملاً ولكن اناساً من الذين هم كفوءٌ للحكم يرتابون في امكان شفائهِ

هذه هي قصة رحلتي ايها السادة واخاف ان اكون قد اطلت عليكم الكلام وان اكن لم اقل الاَّ اليسير فعندنا مالا يحصى من الحوادث والنكت التي تضحك وتبكي وتسرُّ وتحزن ولكني لا اتعرض لها لان الزمان قد فات وغيري يرغب في الكلام ثم شكر الحكومة المصرية على ايلامها تلك الوليمة لهُ وشكر الحضور على ترحيبهم بهِ. وبقي في القاهرة حتى كتب رحلتهُ ونشرها في انكلترا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة في وقت واحد وذلك في شهر يونيو سنة ١٨٩٠ وهي في مجلدين وجعل اسمها "في اظلم افريقية" كأن الغرض الاكبر من رحلتهِ نشر هذا الكتاب والاكتساب بهِ

ولما عاد الى بلاد الانكليز قوبل بما لا مزيد عليهِ من الاكرام ومُنح رتبة دكتور في الشرائع المدنية من مدرسة اكسفرد ومدرسة كمبردج ومدرسة درهم. واقترن بالسيدة دوروثي تنَنت في كنيسة وستمنستر كأَنهُ ملك من ملوك الزمان

ومُنح حرية مدن انكلترا واعطي الرعوية الانكليزية بعد ان فقدها باقامتهِ في اميركا وتجنسهِ بالجنسية الاميركية. وانتخب عضواً في مجلس النواب وفرَّستهُ [1] الملكة فكتوريا سنة ١٨٩٩ فصار يلقب بالسر هنري ستنلي وابتاع ارضاً زراعية اقام فيها وجعل دأْبهُ الاعتناء بالزراعة والاحتفاء بالذين يزورونهُ فيها من جلة القوم. وسيبقى اسمهُ مقروناً باكتشاف مجاهل افريقية وترغيب الدول الاوربية في اقتسامها وامتلاكها. وكان قصير القامة اسمر اللون برَّاق العينين فصيح المنطق شديد العزيمة

وكانت وفاتهُ في العاشر من شهر مايو من غير عقب ووردت رسائل التعزية على زوجتهِ لادي ستنلي من الملوك والعظماء والعلماء ومنها رسالة من ملك الانكليز بخطهِ قال فيها لقد كان من نصيبي ان تعرَّفت بزوجك الذي امتاز على الاقران وكثيراً ما سمعتهُ يقصُّ اخبار رحلاتهِ الكبيرة واكتشافاتهِ العظيمة والخدم الجليلة التي خدم بها العالم المتمدن. وان الشهرة الفائقة التي حازها ستحيا بعدهُ دواماً

وصلي عليهِ في كنيسة وستمنستر في السابع عشر من الشهر وحضر الجنازة الشريف سدني غرفل نائباً عن ملك الانكليز والكونت ده لا لنغ نائباً عن ملك بلجكا وكثيرون من اشراف الانكليز وعظمائهم من مثل لورد ربرتس ولود نيوبورت ودوق ابركرن ولورد لنداف ولورد راي ولورد غراي ورؤَساء الجمعيات ونوَّابها. وخلاصة القول انهُ لقي من اكرام قومهِ في حياتهِ ومماتهِ ما هو حقيق بهِ وما يهوّن اقتحام المخاطر على طلاَّب المعالي

(1) استعمل كتاب العرب هذا الفعل في زمن الفروسية كما يستعمل الانكليز فعل Knight



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوّلة

تسهيل صعاب لغة الاعراب

مسألة هامة في بابها ومشروع مفيد لنحو خمسين مليوناً من الناطقين بهذه اللغة وسواهم من المستشرقين الراغبين في درسها يقتصد في اوقات دروسهم ويدفع ما يعتريهم في اكثر الاحيان من تثبيط عزائمهم وتحريج صدورهم وازهاق نفوسهم ان صحّ

مسألة طالما صبت النفس وحنّ الخاطر الى النظر فيها ومباحثة رجال الادب واستطلاع آرائهم بشأنها وطالما سمعنا الكثيرين من دارسين ومدرسين يتأففون من عدم الالتفات اليها والاضراب عن خوض عبابها

وما تناولنا كتاباً لمؤلف عصري في قواعد اللغة على اختلافها الاّ انتظرنا قولاً لهُ في هذا الباب يروي الغلة ويشفي العلة ولم نزل نودع املاً ونستقبل آخر والايام تمر مر السحاب ولا نعلة لنا في انتظارنا الطويل الاّ الامل ولا بدع " فما اضيق العيش لولا فسحة الامل "

وآخر ما انعش الامل المعلق على هذه المسألة عجالة نشرت في الجزء الرابع من المقتطف الاغر لهذا العام تحت عنوان «العربية وتسهيل قواعدها» استلفت نظرنا اليها بالاكثر انها من قلم صديق لنا عرفناهُ مكبًّا على تدريس اللغة العربية منذ اعوام طوال في مدرسة من خيرة مدارس البنات الداخلية في بر الشام فقلنا الصديق يتكلم عن طول افتكار واختبار لهذا الموضوع فكررنا تلاوتها بما تستحقهُ من التروي والامعان مراراً فوجدنا حضرتهُ قد استهلها باهمية الحركات في اللغة العربية لانها " تجعل للالفاظ رنة وفخامة " ولذلك يعد الغاؤها مما " يحط من رونق العربية ويقلل تأثير عباراتها " ثم قال ان " استخدام الحركات في اماكنها " " همّ يلازم الكاتب والقارىء والخطيب مدى الحياة " فللتخلص من هذا الهم ابدى حضرتهُ

رأيين قال في اولهما "ان تحسب الكلمات العربية كلها مبنية الاواخر فيقتصر في ضبط الالفاظ على السماع".

ولكن بذلك فتح خرقاً جديداً اذ نقع في اللبس الذي يدفعهُ الاعراب فلا نعود مثلاً نميز الفاعل من المفعول بهِ في قولنا "كلم رشيد فريد او رشيد فريد او غير ذلك" فان قال حضرتهُ بوجوب الترتيب عندئذ كما اوجبهُ النحاة عندما لا تظهر علامات الاعراب كما في مثل "كلم موسى يحيي ونادى ابي اخي" قلنا لم نتخلص من عقبة الأ لنتع في غيرها. وكأني اسمع معاشر الشعراء يقولون على الشعر ونظمهِ السلام بعد قاعدتكم الجديدة "وجوب الترتيب" ناهيك عمّا بذلك من اضاعة بقية ذاك الفضل الموروث عن اجدادنا السالفين مما ابقى عليهِ الدهر من آثار ومصنفات اذ نحرم اولادنا من فهم ما فيها بعد ان يألفوا تعرف حالة الكلمة من فاعلية او مفعولية او غير ذلك من موقعها في الجملة لعدم مراعاة الترتيب في اقوال السالفين لاعتمادهم للتفرقة بين احوال الكلمات على الاعراب

اما رأيهُ الثاني فاقرب الى الاصابة لولا استحالة العمل بهِ لاسباب شتى يضيق دون استيعابها مؤلف ضخم ولا اظن ان احداً يجهل اكثر وجوهها واهمها ثلاثة اسباب:

اولها: تفرق كلمة الشرقيين وعدم اتفاقهم على شيء سوى "ابقاء القديم على قدمهِ"

وثانيها: وهو من الاهمية بمكان لا ينكر ان القرآن أنزل — عربياً — واكثر الناطقين بالعربية من المسلمين وهم يفاخرون ببلاغتهِ و يمتزون فلا يرضون بتغيير شيء من قواعد اللغة التي انزل فيها لئلا تستغلق معانيهِ على ابنائهم اذا فقدت منهم ملكة اللغة العربية على النمط الذي نزل بهِ القرآن

ومن وجه آخر ارى العمل برأيهِ الثاني من باب — الطفرة — نعم ان "سير اللغة مع الزمان سنة الله في الموجودات" ولكن الطفرة ايضاً من المحال بحسب سنة الله في خلقهِ. ايضاً وغاية ما نرجو الآن من علمائنا والمنقطعين منهم لتدريس اللغة على الخصوص تجريد العربية من التعليلات الباردة والاراء المتضاربة وتلك اللغات المهملة ووجوه التركيب الضعيفة ثم النظر في القواعد نفسها وجمعها في حدود جامعة مانعة سهلة الفهم تستوفي قواعد الاعلال مثلاً التي تستغرق في المختصرات اكثر من عشر صفحات بعشر قواعد لا تزيد الواحدة منها على السطرين والقاء مسألة التعليق في باب "افعال القلوب" التي يستغنى عنها دون ان "تمس قواعد اللغة بالمبرد" وطرح "افعال المضاربة" من باب النواسخ لان نصبها خبرها امر وهمي ما دام لايقع خبرها الأ جملة. واما ما جاء مخالفاً لذلك في مثل "عساهُ صائماً" فهو مع

شذوذ كما هو منصوص عليهِ في كتب النحاة نقدر ان نخرّجهُ بجعل المنصوب خبرًا لكان الناقصة المحذوفة فيكون اصل الجملة "عساهُ يكون صائمًا". والنظر في قاعدة الاشتغال الطويلة القريبة من النسيان وتطبيقها على ما تقدم الى غير ذلك مما يفتقهُ البحث والتنقيب ولكل مجتهد نصيب

ومما يستملح ذكرهُ هنا دفعًا لملل القارىء والقول على سبيل الهزل ان حضرتهُ اقترح جعل ضميري الجمع المذكر والمؤنث واحدًا وبيّن اسبابًا للزوم ذلك وبينها "ان اللغات الحديثة تجعل الضميرين واحدًا" وحضرتهُ يعلم ان اللغة العربية هي لغة شرقية فمتى رأى المرأة في الشرق تباري الرجل وتشاركهُ في مواقفهِ كلها كما تفعل في الغرب لينتظر منها مشاركتها لهُ في ضميرهِ

وهنا ابسط رجائي والتماسي من اهل النظر والتحقيق ان يوافونا على صفحات المقتطف الاغر بارائهم الصائبة في هذا الشأن فالمسألة هامة في بابها ومحل النظر فيها رحب وحضراتهم يعلمون ان الحقيقة بنت البحث ولولا السعي وراء ذلك لما اقدمت على معارضة الصديق في رأيهِ وهو من التحقيق والضلاعة بمكانة لا تنكر

حمص سوريا "ش"

حبذا لو صحت الاحلام

شاقتني نفثات الكاتب المجيد جرجس افندي الخوري تحت عنوان "العربية وتسهيل قواعدها" وراقتني نظريانهُ فيها ورأياهُ اللذان بسطهما في مقتطفكم الاغر لدى اعلام لغتنا العربية واساتيذها الذين بيدهم زمام الحل والعقد الاباءة والاجازة . فحبذا لو ازاح هؤلاء عن محيَّا مطلبنا العصري ولو طرَف النقاب . وخففوا من العراقيل الحائلة دون البلوغ اليهِ احمالاً طالما رزحت ظهورنا تحتها او كادت . فيولون بذلك ابناء نطقة الضاد فضلاً لبابًا

اني لمتيقن ان جلة من ابناء عصرنا الذهبي ينحون نحو الكاتب في تمهيد العقبات في درس العربية بل ازالتها ليسهلوا للطلبة سبيلاً طالما دهم سيرهم فيهِ العثار . وللخطباء سرد بنات افكارهم التي كثيرًا ما ندَّ بعضها عن فكرتهم عند صرفها لقواعد اللغة وضبط حركات مفرداتها . وللكتَّاب اسلوبًا تسيل معهُ اقلامهم دون اجهاد او تردد

ولما كنت برأيي قضيبًا من حزمتهم أثني على الكاتب لتساهلهِ وأثني على ما ذهب اليهِ لاسيما في رأيهِ الثاني . وأقدم رأيي فيما اراهُ حسنًا فيهِ . واضم لرأييهِ نظرية لا تقل عنهما عند الكرام اهمية

ان توحيد ضمير الجمع في المؤنث والمذكر حسنٌ وتوحيدهُ في مثناها لأحسن فبدلاً من القول الرجال ذهبوا والنساء ذهبن والرجلان ذهبا والمرأتان ذهبتا نقول الرجال والنساء والرجلان والمرأتان ذهبوا . وبدلاً من القول كتبهم وكتبهنَّ وكتبهما نقول كتبهم للجميع

ولا ارى صرف الممنوعات نثرًا وشعرًا ثقيلاً في اللفظ قط لا سيما اذا كانت من الاوضاع العربية غير اني ارى حسنًا منع الكلمات الاعجمية لا لأنهُ يستثقل لفظها او يكره سماعها بل لأن عدم تنوينها وجرّها دليل غرابتها عن اللغة . فالانكليز مثلاً يصدرون اسماء الاعلام بحروف كبيرة تمييزًا لها عن مفردات اللغة . كذا ليكن في العربية اصطلاح تمييزي يفرق بين اعلامها وكلامها

ان لم يكن ممكنًا جعل المنادى منصوبًا مطلقًا ففي بنائهِ على الضم لمعيَّن واعرابهِ على النصب لغيرهِ بعض الاستحسان من وجهين

(١) ان في ذلك اختصارًا وهذا لهُ في اللغات الحديثة شأنٌ كبير

(٢) ان في الوضع المُضمر لذة وارتياحًا يخففان مضض صعوبة التمييز

ثم ما ضركم يا ائمة العربية لو أجزتم اجازة فوق ما بسط لديكم وضع ضميرٍ واحد لما نحسبهُ مذكرًا ومؤنثًا مجازيين من الجمادات كالبيت والخيمة . او ليس الاسهل ان يجعل لمفرد الاشياء ومثناها وجمعها ضمير واحد يجعل الكاتب في مأمنٍ من ترددهِ لدى اضمارهِ ما لا ينطبق على معناهُ الحسي كالكاس والفرس ونحوها . فتأملوا رعاكم الله

طرابلس الشام عيسى الحلو

قول الحق

كتب في المقتطف الاخير (ايار ١٩٠٤) سؤال عما اذا كان المثل الانكليزي " ليس من الحق ان يُعلَن الحق دائمًا " يجوّز الكذب والجواب كلا وانَّ كتم الحق احيانًا لاشيء فيهِ من الكذب بل ربما كان الصمت عنهُ واجبًا حتمًا والاباحة بهِ حرامًا كبيرًا. فانك اذا شعرت مثلاً بخطاء خفي سيف احد فهل لك ان تشهرهُ في كل حال او ليس من الاولى والاوجب الكتم والستر . وفي الحقيقة ما معنى القول الانكليزي الأ ما يسلم بهِ كل احد مما ارادهُ حكماء العرب في قولهم " ما كل ما يُعلم يقال " وبمثل ذلك قد اجاب منشىء المقتطف الفاضل

ي . و

بيروت ١٤ ايار ١٩٠٤

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

نحن وهن (1)

ايها السادة والسيدات

كلامي عن الفتيان والفتيات. نحن وهن من خلائق الله العليا في ربيع الحياة وغضاضة العمر تملأ صدورنا آمال الشباب فنبني قصور المستقبل تحت جو السعادة ونرى ما لا يرى فيدفعنا ذلك الى الدرس ومتابعة العلوم لتهذيب النفوس واعدادها لمعترك الحياة

ندخل المدرسة ولا هم لنا سوى تحصيل المعرفة والاكتساب فنطوي من اجلها الايام والليالي وتمر سنو المدرسة مر النسيم على المرج الاخضر. فلا نشعر الا ومدرسة العالم تستدعينا وتلامذة تلك المدرسة يتهيأون لاستقبالنا والاساتذة فيها يسعون لاستخدامنا والانتفاع بنا. ندخل المدرسة بهم فنخرج منها بهمين. هم الانتظام في سلك الاعمال المفيدة وهم الاشتراك في سلسلة الوجود. همان يكبران بكبر الانسان ويصغران بصغره. ندخل المدرسة وننشأ في احضانها الناعمة. ننشق هواءها البليل ونمشي في طرقها الممهدة ونتظلل ظل اشجارها الغيناء فنتعود الرفاه ونختبر العيشة الهادئة ثم نخرج منها الى العالم فتتناولنا ايديه القاسية وتدفعنا اكفهُ الخشنة وننشق هواءهُ القذر ونمشي على طرقهِ الوحلة وعقباتهِ الوعرة فنتعثر ويصيبنا من وحوله ومتاعبهِ ما يصيبنا

على ان هذا المعترك لابد منهُ واختبارهُ خير الاختبارات واثبتها. فكم تلميذ دخل المدرسة فدرس ووعى ثم خرج منها ظاناً ان ما تلقنهُ من الكتب وما سمعهُ من معلميهِ وما استفادهُ ضمن دائرة المدرسة كافٍ لرفعهِ الى المنزلة التي يستحقها متكفلٌ باذاعة فضلهِ وبيان مقدرتهِ فكان اول ما خبر ان المنازل الرفيعة لا ترتقى بالمعارف الوجدانية بل بالانتظام في سلك الاعمال مهما كانت وتطبيق المعارف العلمية على المطالب العملية

(1) خطابة تليت في جمعية الاجتهاد في بيروت

فنحن فتيان الحاضر وشيوخ المستقبل علينا ان ندرك ان النجاح في الوجود يتطلب اول كل شيء معرفة النفس وفهم طبيعتها واميالها وقواها . لان من عرف نفسهُ فقد صاحبها ومن صاحب نفسهُ فقد ملكها ومن ملك نفسهُ فقد ادارها وتسلط على حركاتها وسكناتها . واذا كان الانسان مجموع افكاره واقواله واعماله فما اخلق الواحد منا بالتسلط على افكاره واقواله واعماله بحيث يؤثر في من حولهُ تأثيرًا صالحًا ويسير في الوجود كما يشاء الحق والاستقامة وكمال الاعمال لا كما تدفع العواطف الحمقاء والطيش الاعمى

فيا ايها الشاب الحدث يا من تشعر بقوة الشباب ونشاط الحداثة وتحلم احلام الشباب وترى رؤى الحداثة . يا من تخفض المرتفعات وتمهد العقبات وانت على كرسي الراحة او مقعد القيلولة ما احلى احلامك وما ابهى رؤاك ولكن ما اشد زوالها ساعة تجيء الى نفسك وتسترد انتباهك وتنظر في ما حولك نظر العاقل الذي ينتفع باختبار غيره ويتدبر الامور بحيث يقع منها على جانب الصواب . كثيرون يضربون في الارض من مكان الى مكان لا يحسنون عملاً ولا يعرفون كيف يحسنون والسبب في ذلك انهم لم يفهموا نفوسهم ولا وقفوا على قواها واميالها الطبيعية فهم

"كريشة في مهب الريح ساقطة　　لا تستقرُّ على حال من القلق"

وهذا هو السبب الاول في سقوط الفتيان وعدم نجاحهم . لك ايها الشاب ان تقطع البحار وتعلو الجبال وتضرب في الارض شرقًا وغربًا فتبني القصور في جنائن السعادة وترى ما سترى وما لن ترى وانت في ساعة الانفراد على متكإ التصور والآمال ان كان يدفعك ذلك الى السعي وابراز هذه الصور الفكرية الى الحقائق العملية . لك ان تلبس الثياب الفاخرة وتتزرر بالذهب وتختم بالماس وتحتذي المليح وتركب اجمل العربات واجراها ان كان عندك سعة في الوقت والمال وكنت لا ترى في الوجود اسعد من هذه الحالة واحبها عند الخالق والمخلوق — ولكن ليس لك ان تفعل شيئًا من هذه ان كنت تستدين ولا توفي وتقترض ولا ترد وتعد ولا تنجز

لك ان تتشبه بالكرام وتحذو حذوهم في مكارمهم ولكن ليس لك ان تتشبه بالاغنياء وفراشك قصير ورجلاك على الحصير . لك أن تسر بكل ما تراهُ عيناك ولا تبصر من الحياة الاَّ بياضها اذا شئت ولكن ليس لك ان تذهب في الارض كأنك لم تخلق الاَّ لتتمتع بملاذك الجسدية وغيرك خلقوا ادوات تستخدمها للحصول على رغائبك

لك ان تميل الى كل مخلوق لطيف وشكل حسن وتزور وتعاشر من اردت ومن ارادوك

انما ليس لك ان تلعب بكلامك فتدهن بعضهُ بالزيت ليقل احتكاكهُ في الآذان وتلت بعضهُ بالسكر ليحلو طعمهُ ولا تنظر في عواقبهِ — تلعب بالعواطف الرقيقة لمجرد التسلية وآداب الزيارة كما تدعي وتنفخ نيران الالفة فاذا التهبت وحسست بوهجها قلت هي حامية والقش حولها يابس اخشى لهيبهُ فالهرب اولى والترك احق

هذه هي حال البعض منا ومنهنَّ يتقلبون فيها عن رغبة ورضى ولا يتنبهون الى وخيم عواقبها — على ان الحكيم من حزم اموره وتدبر اقواله واعماله كما تقتضيهِ الانسانية وتدعو اليهِ الفضيلة

اما هنَّ فاني ارهب الكلام عنهنَّ وفيهنَّ من الحاسات ما تجرحهُ خطرات النسيم فكيف اذا هبت عليهِ لفحة من خطرات الافكار والكلام الحق . الاَّ انهُ مهما يكن من هذه اللفحة فان محركها الاخلاص وحب الفائدة لا التنكيت والتشفي واذ ذاك فرجائي ان تقع في موقعها المقصود وتترك الاثر المطلوب

هن خلائق الله الحسنى معينات الرجال ومربيات الجنس خصهنَّ الله باللطف والدعة والرقة والحنان وحب النظام والترتيب وانكار الذات قياماً بوظيفتهن السامية في الوجود . هن مبعث كل حركة لطيفة ومظهر جميل وزي حسن وكلام حلوٍ وسلوك ممدوح وعمل كبير . هن نصف الكون الافضل اذا حافظن على مقامهن وقمن بواجبات وظيفتهن

مقامهن واي مقام هو ! مقام تحج اليهِ قلوب الفتيان وعقولهم . مقام رهيب تخفق عنده القلوب وتحمر لديهِ الوجوه وتتلعثم امامهُ الالسن ويحقق المرء ان في الوجود من يؤثر فيهِ تأثيراً لا يدري لهُ كنهاً . فما اقدس مقامكِ ايتها الفتاة ذات النفس الطاهرة وما اقواك على ادارة الفتيان وبث روح السعي والتقدم فيهم

تدخلين المدرسة فتنفتح لديكِ ابواب المعرفة والتهذيب وكنوز العلوم والآداب وتقفين على اخبار الناس وما تيهم فترين نفوذك فيها وشدة سيطرتك عليها فتنقشع عنك غمامة البساطة وتعرفين المقام الذي يستحقهُ جنسك الجميل فتحبين بهِ وتأخذين بالصعود اليهِ اما متمهلة على درج الاستعداد لاستلام مهامهِ والدربة على القيام بخدماتهِ واما مسرعة في رافع التانق في الملبس وغيرهِ من مقتضيات الزي والرشاقة

وقد تزعمين ان تهذيبك ينتهي بخروجك من المدرسة او نيلك شهادتها فتحصلين على كل ذلك ثم تنضمين الى البيت على امل الخروج منهُ عاجلاً او آجلاً لانشاء بيت مستقل بشركة آخر ممن ترغبين في شركتهم والسعي معهم . امل حق لا نزاع فيهِ انما قد تخطئين باستعمال

الوسائط للوصول اليهِ والذنب في ذلك معظمهُ على الرجال لا عليك . فهم يتقاضونك المحافظة على رونق الجمال الظاهر بما يبدون من الميل اليهِ ولو عقلوا لاستحسنوا منك الجمال الباطن جمال النفس قبل جمال الوجه ذلك الجمال الذي يتجلى في العينين ويقرأ على صفحات الوجه ويتركب من الكلام والسكوت والقيام والقعود ويحمل الرجل على الحشمة والرزانة في حضرتك بحيث يزن الكلام قبل التلفظ بهِ ويروز المعاني قبل ابرازها ويتحقق ان لديهِ شخصاً أقرب منهُ الى كمالات النفس ومظاهر الانسانية

تسمعين البعض يبحثون في حقوق الرجل وحقوق المرأة وكيفية التوفيق بينها فما اجهل هؤلاء يشتغلون في العرض ويلهون عن الجوهر فالرجل والمرأة كل منها يكمل الآخر ولا يقوم بدونهِ · للرجال اعمال لا تستطيع المرأة ان تتعاطاها ولا هي خلقت لتتعاطاها وللمرأة اعمال لا يمكن للرجل ان يعملها

المرأة ملكة مملكتها البيت المقدس وحماهُ الطاهر · رعاياها اهل البيت من كبيرهم الى صغيرهم وقوانينها قليلة تجمعها المحبة ويجريها الصبر ويقودها الحزم وتكللها الحكمة · وحيث يسود السلام لا تكثر القوانين · نعم هي العائلة وانت ربتها هناك تملكين وتظهر سياستك في ادارة البيت ونظامهِ وترتيبهِ هذا هو مقامك السني مقر السلام والسعادة الدنيوية · فما اجدرك وهذا مقامك ان تتأهبي لاستلامهِ · تشتركين في مجلات تنقل اليك الازياء الاخيرة أفلا تشتركين في المجلات التهذيبية مجلات التربية البيتية والعائلية ؟ تقرئين الروايات افلا تقرائين الكتب الاخلاقية ؟ ألا تدرسين شيئاً عن الفلسفة العقلية وكيفية نمو القوى العاقلة في الصغار وتطالعين شيئاً عن الاقتصاد السياسي وعلاقتهِ بمملكة البيت اذا كنت تفعلين هذا او شيئاً منهُ فنعمّا انت وهنيئاً للمملكة التي ستملكين عليها فانها سعيدة مفلحة

والكلمة الخاتمة اننا نحن وهن كثيراً ما نغفل عن مقامنا الحقيقي في هذا الوجود القصير ونسعى في طرق معوجة للوصول اليهِ · وعندي ان من واجبات المدارس ان تغرس في عقول الطلبة وبالاخص الطالبات ان الغاية العظمى من الوجود النفع على اطلاقهِ واخصهُ ما ابتدأ بالعائلة وانشأ للهيئة البشرية افراداً ينفعونها ويعملون على ترقية الانسانية المتجسدة في بنيها والسلام

المدرسة الكلية في بيروت — بولس خولي

نعيم الحياة وجحيمها

اخبرنا احد الفضلاء قبل كتابة هذه السطور ان رجلاً من اكبر اغنياء هذا القطر انتقل من مدينة الى اخرى واقام بضعة ايام يقابل المحامين ويحضر جلسات القضاة دفاعاً عن قيراطين من فدان . نغص عيشهُ وعيش ذويهِ لاجل امر لا ان ربحهُ زادت بهِ ثروتهُ ولا ان خسره نقصت . وهذا شأن كثيرين يقلقون ويمررون كاس الحياة لاجل امور طفيفة حقيقية كانت او وهمية وكانهم يضعون عوينات سوداء الزجاج على عيونهم فيرون كل شيء بها مظلماً حتى النور . هذه هي السوداء الحاصلة من فساد الهضم وضعف الصحة وقلة الرياضة . خير دواء لها الانقطاع عن الاشغال والمعيشة الخلوية في الهواء النقي حيث يكثر تجدد الدم فيجلو صدأ الهموم والغموم حقيقة لا مجازاً لان الدم المتجدد ينزع الفضول من البدن ويزيل الدقائق المتعبة من الدماغ ويضع بدلاً منها دقائق جديدة غير متأثرة بالمؤثرات السابقة فهو مثل من يدخل بيتاً لبس ذووهُ الحداد على فقد حبيب لهم فينزع عنهم ثيابهم ويلبسهم ثياباً بيضاء ويملا بيتهم بالمغنين والعازفين

واكثر ما يرى من ضيق الخلق وسوء الظن والشكوى من الدهر ناتج من كثرة الشغل وسوء الهضم وتجمع الفضول في البدن والدماغ ولذلك يضيق خلق الاولاد في اواخر النهار ويكثر قلقهم وتذمرهم وعلاجهُ الراحة والرياضة في الهواء النقي ليعود النشاط الى الدم وتزال الفضول من الجسم

زبدة اللوز

خذ ٢٢٠ درهماً من الشحم الجديد النقي و١٢٠ درهماً من مذوب البوتاسا (فيهِ ٢٦ في المئة من البوتاسا الكاوي) و ١٠ دراهم من الالكحول (الذي الكحولهُ ٦٠ في المئة) وكمية كافية من زيت اللوز المر وامرث الشحم ومذوب البوتاسا في هاون من الزجاج او الصيني واتركهما بضع ساعات ثم اضف اليهما الالكحول وما يكفي من زيت اللوز المر وامرث الجميع معاً حتى يصير كالعصيدة في قوامهِ وكعرق اللؤلوء في لونهِ

زبدة الكافور

خذ ست اواقي من زيت الزيتون وثلاث اواقي من الشمع الابيض النقي ونصف اوقية من الكافور . سخن هذه المواد معاً في حمام مائي وامزجها جيداً وهي تستعمل للقشب وتشقق الاصابع ولدهن الشفاه ولتقوية الشعر

الزبدة الشركسية

خذ اربع اواقي من شحم الغنم الجديد وثلاث اواقي من زيت الزيتون واوقتين من مسحوق البخور الجاوي ونصف اوقية من جذر الشنجار · ضع هذه الاجزاء في اناء وسدهُ وضعهُ في قدر فيهِ ماءٌ غالٍ قرب النار واتركهُ اربعاً وعشرين ساعة ثم صفهِ بخرقة ناعمة واتركهُ حتى يبرد وعطرهُ بقليل من عطر الورد او زيت اللوز او اي عطر آخر

الزبدة الباردة (كلد كريم)

خذ ٣٠ جزءا من السبرمشيتي و٢٤ جزءا من منّ السمك و١٦٨ جزءا من زيت اللوز الحلو واذب الجميع معاً على نار خفيفة وضعهُ في مرطبان وامزجهُ جيدًا حتى يشتد قوامهُ ثم عطرهُ بماء الورد وزيت اللوز

الزبدة الباردة والبورق

خذ اوقية من الشمع الابيض واربع اواقي من زيت اللوز واوقيتين من ماء الورد ونصف درهم من البورق و٥ نقط من عطر الورد اذب البورق في ماء الورد بقليل من الحرارة واذب الشمع في الزيت وامزج هذه الاجزاء كلها معاً في هاون وهي سخنة واضف اليها عطر الوردوانت تمزجها

نصائح لوقاية العين

(١) لا تقرأ ولا تكتب على نور ضعيف

(٢) يجب ان يقع النور على الكتاب او الورق من عن يمينك او من عن يسارك لا من امامك ولا من ورائك

(٣) لا تقرأ وانت متعب ولا انت ناقه من مرض

(٤) لا تقرأ وانت مستلقٍ

(٥) لا تستعمل عينيك مدة طويلة في وقت واحد بل ارحهما كلما استعملتهما مدة قصيرة

(٦) لا تنحنِ كثيرًا وانت تقرأ او تدرس

(٧) اختر الكتب الواضحة الحروف التي ورقها غير صقيل

(٨) شرب المسكرات وتدخين التبغ يضران العينين

(٩) اكثر من الرياضة في الهواء النقي

(١٠) اذا كتبت او درست على مائدة فليكن غطاؤها اخضر

(١١) غطِّ القنديل بزجاج ملون بلون اخضر او ازرق او ابيض

باب الزراعة

المحاريث الزراعية

يحدث مراراً كثيرة ان تقع البلايا والمحن ببلاد فتجر اليها المنافع لا لان النفع يلزم عن الضرر بل لان العقول تتنبه وتحتال الى دفع الضرر فتهتدي الى طرق النفع . ويظهر لنا انهُ سيحدث شيءٌ من ذلك في هذا القطر على اثر الطاعون الذي فتك بالمواشي فقد نبه الناس الى جلب المحاريث البخارية والاعتماد عليها في حرث الارض

وقد كانت المحاريث البخارية معروفة في هذا القطر لكن كان استعمالها خاصاً بارباب الزراعات الكبيرة وكانوا يقتصرون على استعمال محراث فولر وهو آلتان بخاريتان كبيرتان تسيران على سكتين ممهدتين مرصوصتين على جانبي الحوض يصل بينهما حبل متين من الاسلاك المعدنية وتكون المحاريث متصلة بعضها ببعض بهذا الحبل فتجرها احدى الآلتين الى هذه الجهة ثم تجرها الاخرى الى الجهة الثانية . وتتقدم الآلتان رويداً رويداً كما جرتا المحاريث ذهاباً واياباً

ويعترض على هذا المحراث بغلاء آلتيهِ فان ثمنهما يبلغ ثلاثة آلاف جنيه الى خمسة آلاف جنيه وبأن حبالها سريعة العطب ولا بد لها من سكك ممهدة ولذلك قال اللورد كرومر في تقريره الاخير " ان موت المواشي بسبب الوباء المنتشر الآن في القطر وجه الانظار الى استعمال المحاريث البخارية وفي البلاد كثير من تلك المحاريث ولكن نفقاتها كبيرة حتى لا يستطيع اقتناءها الا كبار المتمولين فلو امكن اختراع محراث رخيص الثمن ملائم لحاجات الفلاح المصري لحسنت بذلك حالهُ كثيراً اذ يستطيع جماعة من صغار المتمولين ان يتحدوا معاً ويشتروا محراثاً واحداً " (تقرير اللورد كرومر عن سنة ١٩٠٣ صفحة ٢٧ من الترجمة العربية)

ويظهر لنا ان امنية اللورد كرومر قد تمت الآن بالمحراث البخاري الذي جلبهُ الخواجه نجيب صروف وشركاؤهُ من اميركا فانهُ آلة بخارية رخيصة الثمن متقنة الصنع خفيفة الوزن جداً بالنسبة الى قوتها تسير على عجل عريض عرضهُ ستون سنتمتراً وتجرُّ وراءها محاريث من الصلب (الفولاذ) الشديد الصلابة والمرونة وهذه المحاريث او الاسلحة (كما تسمى في القطر المصري) قائمة على عجل ولها آلة ترفعها وتخفضها وتحرفها بمجل يمسكهُ رجل في يده وهو جالس على مقعد فوقها فيستطيع الحراث ان يعمق الحرث او يقلل عمقهُ كما يشاء . وقد جرب هذا المحراث البخاري

امامنا في شبرا على مقربة من القاهرة ورآهُ جمهور غفير من ارباب الزراعة فشهدوا انهُ احسن محراث بخاري شاهدوهُ حتى الان

وقد وقف هذا المحراث دقيقة وهو يحرث وصُوّر صورة فوتوغرافية حفرت منها الصورة المقابلة بالحفر الكيماوي فهي كالاصل تماماً ولا يحتاج المحراث الّا الى مهندس عادي ورجلين يجلسان على المحاريث وقد يكتفى برجل واحد يدير المحراثين

ومما ثبت بالامتحان ان هذا المحراث يدور على نفسهِ بسهولة وسرعة وانهُ يسير على الارض المحروثة كما يسير على الارض المستوية ويحرث الارض الصلبة كما يحرث الارض اللينة وقد حرث امامنا فداناً وربع فدان في نصف ساعة من الزمان وكانت الارض صلبة جدًّا لانها كانت مزروعة قطناً في العام الماضي وزرعت فولاً تحت القطن من غير ان تحرث فبقيت خطوط القطن على حالها ثم جمع الفول منها فصلبت جدًّا قبلما جُرّب فيها المحراث البخاري. واجمع الذين شاهدوهُ يحرث فيها على ان المواشي لا تستطيع ان تجرّ فيها محراثاً وان الحرثة الواحدة بهذا المحراث في مقام حرثتين او ثلاث بالمواشي

وقد اشترى هذا المحراث الخواجات اسكندر وميخائيل خوري حداد وهما من ارباب الزراعات الواسعة في هذا القطر واشتريا محراثاً آخر قبلهُ من نوعهِ وكتبا الى المقتطف بالرسالة التالية قالا بعد الديباجة

"لقد مني القطر منذ نحو سنة بمرض المواشي الفتاك ولا يزال هذا المرض منتشرًا فيهِ وهو اكثر فتكاً مما يذكر في نشرات مصلحة الصحة ولعل عدد المواشي النافقة مضاعف ما يذكر في النشرات الصحية ولذلك اخذ كثيرون من ارباب الزراعة يبحثون عن آلات حرث تقوم مقام المواشي خوفاً من بوار الارض لان المواشي هي الركن الاساسي للزراعة في الحرث والتصليح. ولو اتت هذه الآفة قبل ايجاد آلات بخارية للحرث لاستولى اليأس على الجميع ولكن الآلات البخارية تقوم مقام المواشي في كل ما يلزم لخدمة الارض وهي اوفى من المواشي واقل منها كلفة

وفي اول خدمة ارض القطن هذه السنة في شهر يناير وقبلهُ وبعدهُ كنا نسمع انين المزارعين وكانت المواشي تموت في اثناء الحرث وتعوَّض بغيرها فتموت هذه ايضاً ولذلك اخذ كثيرون من صغار المزارعين يخدمون ارض القطن بطريق العزاق وهذا موجب لضعف النبات وقلة الجني وانما الضرورة ألجأتهم اليها. وهكذا حاصل الآن في الدراس لاسيما في الوجه القبلي فقد رأينا بأعيننا كثيرين من رجال ونساء الفلاحين يساعدون بعض الماشية الباقية عندهم بنوارج الدراس

وحيث ان عملنا الزارعة وكان من نصيبنا فقد المواشي كثيرًا مع استعمالنا اللقاح لها والكورنتينا عليها والتشديد على خدمة الزراعة لكي لا يدعوها تختلط بمواشي الغير وما أفاد ذلك شيئًا ولا أغنى فتيلاً فاخذنا نبحث في شهر يناير الماضي عن آلات حرث بخارية حتى اهتدينا إلى محل الخواجا نجيب صروف وشركاه واطلعنا على ما عندهم من رسوم المحاريث وكثير من الآلات الزراعية المستعملة في اميركا ففضلنا المشتري منها لان اميركا بلاد زراعية وصناعية فتتقن الآلات وتطبقها على احتياجات الارض اي تقرن العلم بالعمل وفيها زراعات تشبه زراعات القطر المصري · وعليهِ اشترينا من هذا المحل محراثين بخاريين من ورشة جارسكوت لانهُ بلغنا ان هذه الورشة أرسلت محاريث بخارية وآلات زراعية أخرى الى برّ الاناضول وسورية فنجحت فيها تمام النجاح · والمحاريث التي اخترناها عبارة عن وابور يسير على الارض ويجر السكك وراءهُ وهو خفيف جدًا حتى لا يغرز في الارض وقوي بالنسبة الى ثقلهِ حتى يسهل عليهِ السير وجرّ المحاريث وراءهُ ويمكن استخدامهُ للتقصيب والتزحيف ولادارة آلة دراسة · فوصل المحراث الاول في اوائل شهر ابريل الماضي قوتهُ ٢٢ حصان بخاري ووزنهُ ٨ طن وحالاً شغلناهُ في حرث ارض القطن ووجدناهُ في غاية الموافقة . ولزيادة ثبتنا من نتيجة حرثهِ وافضليتهِ على المواشي انزلناهُ في قطعة ارض مساحتها خمسون فدانًا لزرعها قطنًا فحرث اربعين فدانًا منها وجهين بعمق ٢٥ الى ٣٠ سنتي والعشرة افدنة الباقية حرثتها المواشي والآن يرى نبات الاربعين فدانًا اكثر نموًا ونشاطًا من نبات العشرة افدنة ومن يشاهدهما يظن ان بين الاول والثاني شهرًا من الزمان مع انهما زُرعا في وقت واحد والاربعون فدنًا حرثها المحراث البخاري وهي شراقي صلبة جدًا والعشرة افدنة التي حرثتها المواشي التزمنا ان نرويها قبل حرثها لان المواشي لا تقدر على الحرث فيها

وبعد حرث الاربعين فدانًا نقلنا الوابور الى ارض اخراس لم يسبق زرعها لصعوبة كسرها فانها صلبة متماسكة بالحشائش التي فيها فحرثها وجهين واعدّت لزراعة النيلي الآتي وهي ١٠ فدن كانت تعطى مراعي للمواشي بثلاثة جنيهات جميعها · وبعد كسرها حضر من يريد استئجارها بستة اضعاف ما كانت تؤجر بهِ

وقد صادفنا بعض الصعوبات عند اول حضور هذا الوابور من عدم وجود عملة يجيدون العمل بهِ ومن تكرار وقوفهِ لاخذ المياه ومن عدم وجود كباري نقالة توضع فوق المصارف والترع الصغيرة حينما يراد نقل الوابور من زراعة الى اخرى . لكن العمال تمرّنوا حالاً وصاروا يجيدون العمل · وعملنا كوبري نقال من الخشب ينفكّ ويركب في بضع دقائق . ومسألة المياه

التي هي اهم امر حللناها هكذا : احضرنا برميل ماء على عربة يسع نصف متر مكعب وركبنا عليهِ طلمبا اميركانية ماصة كابسة قطرها بوصة ونصف وثمنها جنيهان ولها خرطوم أستك يمتص من الترعة . فبعد ملء البرميل يجرهُ البهيم الى قرب الوابور ويدفع الماء منهُ بخرطوم من قماش الى صهريج الوابور وهكذا صار الوابور يشتغل بالاستمرار

اما مقطوعية هذا الوابور من الفحم فتختلف حسب سهولة الارض وصعوبتها من قنطار واحد في الساعة الى قنطار وربع . ويمكن حرث الارض بهِ بعد ريها بخمسة عشر يوماً الى عشرين يوماً في الصيف ونحو ضعف ذلك في الشتاء . ومتى زاد تمرن العمال فيمكن ايضاً استعمال حطب القطن وبوص الذرة بدل الفحم وانما يلزم حينئذٍ زيادة بعض انفار

وفي الارض الصلبة يجر هذا الوابور محراثاً واحداً فيهِ اربعة اسلحة عرضها معاً متر و ٢٠ سنتي وفي الارض اللينة يجر محراثين فيهما ثمانية اسلحة عرضها متران و ٤٠ سنتي

اما الوابور الكبير الذي جرب في ارض سعادة بوغوص باشا نوبار في شبرا فوزنهُ ٩ طن وقوتهُ ٣٠ حصان بخاري كومبوند وقد أُرسل الان الى الفيوم الى زراعتنا في شدموه وسيحرث قريباً في ارض اخراس لم تسبق زراعتها وبعد ذلك نشغل الوابورين في الارض المعدة لزراعتي الذرة والرز وهي شراقي جميعها لانهُ مؤكد ان حرث الارض الشراقي يزيد خصبها

ومقدار حرث الوابور الصغير من نصف فدان الى فدان في الساعة حسب صعوبة الارض وسهولتها والوابور الكبير ربما يزيد على ذلك ٣٥ في المئة لكن الحرثة الواحدة مثل حرثتين بالمواشي واننا ننصح لكل المزارعين الاقبال على مشترى المحاريث البخارية . والامل ادراج رسالتنا هذه افادة للعموم ولكم الفضل "

وكتب غيرهما من الذين شاهدوا هذا المحراث من ارباب الزراعة كتابة تنطبق على ما كتبا واتفق الجميع على انهُ احسن محراث بخاري شاهدوهُ حتى الآن . وقد ارسل الخواجه نجيب صروف وشركاؤُهُ يطلبون آلات للدراسة يديرها هذا الوابور حينما يفرغ من الحرث وهي تقطع التبن وتدعكهُ جيدًا حتى تأكلهُ المواشي بشهية . ويطلبون ايضاً قصاصيب كبيرة يجرها الوابور بدل المحاريث اذا اريد تقصيب الارض وسنصفها بعد وصولها وامتحانها

ويظهر بالحساب ان المحراث البخاري الذي يحرث عشرة افدنة فقط في النهار لا تزيد نفقاتهُ عن ١٦٠ غرشاً ثمن فحم وزيت وشحم واجرة مهندس ووقاد وحارث ورجل وبغل لجلب الماء . والحرثة الواحده بهِ مثل حرثتين بالمواشي فكأنهُ حرث عشرين فداناً ولذلك لا يزيد حرث الفدان الواحد بهِ على ثمانية غروش اذا كان الحرث مثل حرث المواشي . اما المواشي فلا يحرث



المحراث البخاري

الزوج منها اكثر من نصف فدان في اليوم واذا حسب ثمن علفها واجرة الانفار اللازمين للحرث والعناية بالمواشي بلغت نفقة حرث الفدان الواحد اربعين قرشاً على الاقل وهب انها لم تبلغ الاّ ثلاثين غرشاً يبقى الحرث بالمحاريث البخارية ارخص جدّاً من الحرث بالمواشي ومن المحاريث الاخرى لان حرث الفدان بها يكلف ١٢٠ غرشاً . ثم ان آلة المحراث البخاري تصلح لادارة آلة الدراسة ولا ينفق عليها شيء الاّ وقتما تشتغل واما المواشي فلا بدّ لها من العلف والخدمة وقتما تشتغل ووقتما لا تشتغل

ويمتاز هذا المحراث على غيره من المحاريث البخارية بخفّة وزنهِ وقوّة فعلهِ وسهولة ادارتهِ ورخص ثمنهِ وقلة نفقتهِ وبانهُ ليس فيهِ ادوات معرضة للتلف السريع

حشيشة الدينار

حشيشة الدينار نبات تستعمل ازهارهُ في عمل البيرة فتجعل لها الطعم الخاص بها حتى ان من يضع قليلاً من زهرها في فمهِ يشعر كأنهُ يشرب البيرة

والمستعمل من حشيشة الدينار في عمل البيرة الازهار الانثوية وهي تجفف في افران خاصة بها قبل بيعها . ومن رأي الاستاذ مكنزي رئيس مدرسة الزراعة الخديوية ان جفاف الهواء في القطر المصري كافٍ لتجفيف هذه الازهار من غير فرن . فان كان الامر كذلك سهل زرع هذا في القطر المصري وقلّت نفقاتهُ

ولابدَّ لهُ من ارض جيدة التربة حسنة الصرف كثيرة السماد . وهو يزرع من فسائل او عقل تقطع من القرامي القديمة . ولا يحمل حملاً كافياً قبل السنة الثالثة من زرعهِ . فهو من المزروعات الكثيرة النفقة جدّاً ولكنهُ اذا جاد بلغ محصول الفدان منهُ عشرين قنطاراً وقد يبلغ ثمن القنطار عشرين جنيهاً او ثلاثين ولكنهُ قد لا يجود فيبلغ حاصل الفدان قنطارين او ثلاثة وقد يكثر موسمهُ حيث يزرع بكثرة فيهبط ثمن القنطار منهُ الى جنيهين او ثلاثة

وقد جرب زرع هذا النبات في الجيزة من تقاوي انكليزية فلم تكن النتيجة حسنة ثم جرّب من تقاوي اتي بها من كاليفورنيا باميركا فكانت النتيجة حسنة جدّاً

وبلغ محصول حشيشة الدينار في الدنيا كلها ٢٩٠٠٠٠٠ قنطار سنة ١٩٠١ و١٥٣٣٤٠٠ سنة ١٩٠٢ وكان ثمن القنطار ٣٠٠ الى ٤٠٠ غرش سنة ١٩٠٢ و٦٨٠ الى ٧١٠ غرش سنة ١٩٠٣ و٦٦٠ الى ٧٣٠ سنة ١٩٠٤

الصرف بالمواسير

جرَّبت مصلحة الدومين التجربة التالية نيلت خمسة افدنة تنييلاً عاديًا وزرعتها قطنًا فلم يحصل منها شيءٌ

وحلَّت ٢١ فدانًا بالمصارف العادية وزرعتها قطنًا فبلغ متوسط محصول الفدان منها ١١٩ رطلاً من القطن الشعر اي نحو قنطار وخمس

ووضعت في ٢٦ فدانًا مواسير فخار للصرف تحت الارض وزرعتها فبلغ متوسط محصول الفدان منها ٣٨٤ رطلاً من القطن الشعر اي نحو اربعة قناطير

وزُرع البرسيم في القطعة الثانية والثالثة بعد القطن فجاد فيهما

وجُرّب السماد الكيماوي في هذه القطع فزاد بهِ محصول الفدان ١٣٠ رطلاً في القطعة الثانية و ٤٢١ رطلاً في الثالثة وكان السماد اربعة قناطير من الفصفات الاعلى وقنطارين وربع من نيترات الصودا وكبريتات الامونيا لكل فدان

القطن المصري

هبطت اسعار القطن المصري هبوطًا فاحشًا في شهر مايو فبلغ سعر الكنتراتات ليوليو ٣٢/١٤ ٣٤ ولنوفمبر من الجديد ٣٢/١٣ ٣٠ اي نحو ١٥ ريالاً و ١٤ ريالاً وذلك في الثلاثين من الشهر وبلغت الواردات الى ٢٧ مايو ٦٤٥١٠٧٤ يقابل ذلك في العام الماضي ٥٦٩٥٤٥٣ وبلغت المتأخرات ١١٧٤٢١٣ يقابل ذلك في العام الماضي ٤٧٥٧٣٨ فسبب الهبوط كثرة المتأخرات او قلة المقطوعية بالنسبة الى المحصول. وقد نقص الوارد من القطن الاميركاني الى انكلترا نصف مليون بالة ونقصت المقطوعية نصف مليون بالة ايضًا. ونمو القطن الجديد جيد ولعلَّ مساحتهُ اوسع مما كانت في العام الماضي فاذا ناسبتهُ الاحوال الجوية الى آخر الفصل فالمرجح ان المحصول المقبل يكون اكبر من المحصول الماضي فاذا لم تزد المغازل التي تغزل القطن المصري فيبعد عن الظن ان يزيد ثمنهُ عمَّا هو عليهِ الآن ولكن المرجح ان مغازل القطن المصري وانوالهُ لابدَّ من ان تزيد كثيرًا عامًا بعد عام

ملجأ الزراعة المصرية

ان طاعون المواشي الضارب اطنابهُ الآن في القطر المصري فتح امام ارباب الزراعة ملجأً واسعًا يلجأون اليهِ وهو تقليل نفقات الزراعة مئة في المئة او اكثر وذلك باستخدام الآلات البخارية للحرث والتقصيب والتزحيف والدراسة كما يستعملونها الآن لرفع المياه وري الاطيان. فقد اجمع

الخبيرون بالزراعة ان حرث الفدان حرثة واحدة بالمواشي تكلف لا اقل من اربعين غرشاً اذا حسب ثمن المواشي وثمن علفها واجرة الحراثين والكلافين واما الحرث بالمحاريث البخارية المتقنة فلا يكلف ربع ذلك فضلاً عن ان المحراث البخاري يحرث بسرعة فائقة ويغني عن عدد كبير من الانفار وتحضر بهِ الارض سريعاً فلا تدعو الحال الى اخلائها من الزراعة زمناً طويلاً . وآلتهُ تستعمل لادارة آلة دراسة في الوقت الذي تستعمل فيهِ للحرث او لجر القصاميب والزحافات لتقصيب الارض وتزحيفها . ويظهر باقل نظر ان هذا الملجأ يقلل نفقات الزراعة فيزيد ربحها رغماً عن هبوط الاسعار ولذلك لا نعجب اذا شاعت وابورات الحرث في هذا القطر شيوع وابورات الري فيهِ او اكثر

باب التقريظ والانتقاد

دلائل الاعجاز للجرجاني

الامام عبد القاهر الجرجاني من كبار ايمة العربية وكتابهُ دلائل الاعجاز من خيرة كتبهِ وضع فيهِ كثيراً من قواعد علم البيان قبل ان جمعها السكاكي . قال ابن خلدون "ان جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة وامثالهم كتبوا فيهِ املاءات غير وافية ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئاً فشيئاً الى ان محض السكاكي زبدتهُ وهذب مسائلهُ ورتب ابوابهُ" . وحبذا لو بحث احد عن كيف انتبه كتَّاب العربية الى الكتابة في هذا الفن وهل جاروا فيهِ غيرهم من السريان والفرس والروم او استنبطوهُ استنباطاً

وانشاء الدلائل مستحب عند بعض الكتَّاب لكنهُ لا يخلو من التطويل والتكرير كقولهِ "ان ههنا دقائق واسراراً طريق العلم بها الروية والفكر . ولطائف مستقاها العقل . وخصائص معانٍ ينفرد بها قوم قد هدوا اليها . ودلوا عليها . وكُشف لهم عنها . ورفعت الحجب بينهم وبينها . وان يبعد الشأو في ذلك وتمتد الغاية ويعلو المرتقى ويعز الطلب . " وكثير من الكتاب على هذا النحو وهو اسلوب جرى عليهِ الكتَّاب حينما صارت الكتابة صناعة وصار اربابها يستوزرون لتفوقهم بها على غيرهم . واسلوبهُ في شرح مسائل العلم على غاية البسط كقولهِ في معنى الفصاحة " ان سبيل المعاني سبيل اشكال الحلي كالخاتم والشنف والسوار فكما ان من شأن

هذه الاشكال ان يكون الواحد منها غفلاً ساذجاً لم يعمل صانعهُ فيهِ شيئاً اكثر من ان يأتي بما يقع عليهِ اسم الخاتم ان كان خاتماً والشنف ان كان شنفاً او ان يكون مصنوعاً بديعاً قد اغرب صانعهُ فيهِ . كذلك سبيل المعاني ان ترى الواحد منها غفلاً ساذجاً عامياً موجوداً في كلام الناس كلهم ثم تراهُ نفسهُ وقد عمد اليهِ البصير بشأن البلاغة وإحداث الصوَر في المعاني فيصنع فيهِ ما يصنع الصانع الحاذق حتى يغرب في الصنعة ويدق في العمل ويبدع الصياغة وشواهد ذلك حاضرة لك كيف شئت وامثلتهُ نصب عينيك من اين نظرت . تنظر الى قول الناس "الطبع لا يتغير ولست تستطيع ان تخرج الانسان عمَّا جبل عليهِ" فترى معنى غفلاً عامياً معروفاً في كل جيل وامة ثم تنظر اليهِ في قول المتنبي

يراد من القلب نسيانكم　　وتأبى الطباع على الناقل

فتجدهُ قد خرج في احسن صورة وتراهُ قد تحول جوهرة بعد ان كان خرزة وصار اعجب شيء بعد ان لم يكن شيئاً

وكل ذلك حسن في بابهِ ولكن ما قول الجرجاني لو اريد صوغ المعدن سيفاً او مدفعاً او بارجة او قاطرة او شيئاً آخر مما منهُ فائدة لا مما يقصد بهِ التزين والتحلي فان السيوف والمدافع اوالبوارج والقواطر تصير في ايدي الصاغة العاباً يتلهَّى بها الاطفال ويضحك منها الرجال

والكتاب كبير في اكثر من اربع مئة صفحة وقد وقف على تصحيح طبعهِ وعلَّق حواشيهُ حضرة العالم الفاضل والمنشيء البليغ السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار الاسلامي وقال في خاتمة الحقها بهِ ما نصهُ

"ولما هاجرت الى مصر لانشاء مجلة المنار الاسلامي في سنة ١٣١٥ وجدت الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رئيس جمعية احياء العلوم العربية ومفتي الديار المصرية مشتغلاً بتصحيح كتاب دلائل الاعجاز وقد استحضر نسخةً من المدينة المنورة ومن بغداد ليقابلها على النسخة التي عندهُ وقد عني بتصحيحهِ اتم عناية واشرك معهُ فيها امام اللغة وآدابها في هذا العصر الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي وناهيك بكتاب اجتمع على تصحيح اصلهِ علاَّمتا المعقول والمنقول . وبعد ان اتمَّ الاستاذ الامام تدريس كتاب اسرار البلاغة في الجامع الازهر عهد اليَّ بان اطبع كتاب دلائل الاعجاز بعدهُ فشرعت في الطبع وشرع هو في التدريس . وبذلت الجهد في تصحيحهِ وفسرت بعض الكلمات الغريبة فيهِ وفي شواهدهِ بالاختصار واشرت الى اختلاف النسخ اخذاً مما كتبهُ الاستاذ على هامش النسخة التي طبعناعنها" . والكتاب مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد جداً

الجزء الثاني من ديوان الرافعي

بشرنا الشاعر المطبوع مصطفى افندي صادق الرافعي انهُ شرع في طبع الجزء الثاني من ديوانهِ مشروحاً بقلم اخيهِ المنشيء البليغ محمد افندي كامل الرافعي . وقد قدم لهُ مقدمة مسهبة آخذ فيها شعراء العصر فقال ان مثل شعر اليوم والشاعر مثل السفينة يطوف بها المحيط من لا يحسن السباحة في لجهِ فاذا انقلب عنها لا يرجع حتى تكون لجسمهِ تابوتاً . ولم تكن هذه السماء التي فوقنا اليوم تحت غيرنا من قبل ولا كانت البلاغة شيئاً يباع ويشترى ولكنهُ الضلال في النشأة والقصور في اسباب الصنعة والجهل بالمقاصد وضعف اللغة الى حد النزع بحيث لم يبقَ الاَّ نفَسها الذي ينطق بروحها

ونقل عن عمرو بن العلاء قولهُ عن شعر المولدين " ما كان من حسَن فقد سُبقوا اليهِ وما كان من قبيح فمن عندهم . . . ليس النمط واحداً ترى قطعة ديباج وقطعة مسح وقطعة نطع " ثم قال " ذلك والشعراء متوافرون على انهُ رحمهُ الله لو سمع اكثر شعر اليوم لزاد وقطعة نعل " . وآخذ المترجمين فقال انك لا تعرف في منظومهم روح التأثير التي هي حياة الشعر بل تجد عليهِ من فساد التكلُّف ومغالبة الطبع واثر الاستكراه وفيهِ من المعاني المدخولة ما لا تشك معهُ انهُ من مضاغة قائلهِ الاول

ولا ندري ما يقول الشعراء متى اطَّلعوا على هذا القول . ولو كان الكاتب شيخاً همَّا لقلنا انها شنشنة الطاعنين في السن لا يرون حسنة الاَّ للاقدمين ولكن الشعر من اول عهد الناس بهِ الى الآن كما قال فيهِ ابو الطيب

ان بعضاً من القريض هذاءُ ليس شيئاً وبعضهُ احكامُ
منهُ ما يجلب البراعة والفضـل ومنهُ ما يجلب البرسام

وسيكون الديوان حسن الطبع مسهب الشرح كما رأينا من الكراس الذي ورد علينا منهُ

اشهر مشاهير الاسلام

الجزء الثالث

هو كالجزئين السابقين جامع لزبدة ما في تواريخ العرب وفصولاً اقتضاها البحث استطراداً اعرب فيها المؤلف المحقق رفيق بك العظم عن فكر ثاقب ورأي صائب وغيرة متقدة على صلاح امتهِ وملتهِ . والكلام فيهِ عن القواد الثلاثة العظام ابي عبيدة بن الجراح وسعد بن

ابي وقاص وعمرو بن العاص الذين رفعوا راية الاسلام في مصر والشام والعراق ٠ والمواضيع التي طرقها المؤلف في عرض الكلام عنهم كثيرة وقد عقد لبعضها فصولاً خاصة من ذلك فصل في العمال رأينا ان ننقلهُ عنهُ برمتهِ دلالة على اسلوب المؤلف في بحثهِ قال

" اعلم ان عمران الممالك وترقي الدول يتوقف على امرين عظيمين هما صبغة الحكومة وامانة الرجال فالحكومة اذا كانت ذات صبغة دستورية اي حكومة مقيدة برأي الامة خاضعة لسلطة الشورى سعدت بها المملكة لغلبة الامانة في رجالها على الخيانة والعدل على الظلم ٠ وانما تغلب الامانةُ الخيانة في رجال هذه الحكومة لما هناك من الهيمنة الشرعية على الحاكم من المحكوم اذ الظلم كمين في النفس القوة تظهرهُ والعجز يخفيهِ وانما يمنع النفوس ان تنزع منازع الظلم مانع القوة وهو هيمنة الشعب القانونية ٠ هذا في الحكومات الشورية واما في الحكومات المطلقة فمانع تلك النفوس عن الظلم احد امرين ٠ اما الزاجر النفسي وهو الشعور الديني الناشيء عن الورع والتقوى الباعثين على الخوف من باريء النفوس : واما سيطرة السلطان وهذه لا تكون في الحكومات المطلقة الأ من امير مستبد عادل اذ المستبد الظالم شأنهُ مع عمالهِ شأنهم مع الرعية فلا سيطرة لهُ على العمال ولا يرجى منهُ الخير

" ومما لا مشاحة فيهِ ان الحكومة الاسلامية في مبدإِ ظهورها كانت كما رأيت فيما مرَّ من هذا الكتاب تشبه من بعض الوجوه الحكومة الشورية كما انها لم تخلُ من صبغة استبدادية وكيف ما كان حالها فقد علمنا ان العمال احوج ما يكونون الى المراقبة ليقوم بهم عمران البلاد وتنتظم شؤُون المملكة ٠ وسواء قدَّرنا ان هيمنة عمر بن الخطاب الشديدة على عمالهِ كانت مستمدة من قوة السلطة المطلقة او من قوة السلطة القانونية او مشتركة بينهما فقد ساعدهُ مانع القوة اي قوة الهيمنة الشرعية ومانع الدين على ان ينزع من نفوس العمال آثار الظلم ويبسط بواسطتهم للرعية الطمأْنينة والعدل لتمهد للمسلمين سبل الفتح ويرتاح الشعوب المغلوبون لحكم الاسلام ويتفيئوا ظلال السكون ويتبسطوا في مناحي العمران فما كان يختار للحكم والامارة الاّ احد رجلين رجل لهُ دين يردعهُ او رجل عندهُ خوف يمنعهُ ٠ وكلا الرجلين بالاضافة الى غرض الرعية والامام واحد "

" فمن عمالهِ الذين كان لهم دين يردعهم ابو عبيدة بن الجراح وكثيرون غيرهُ ومع ما عرف عن هذا الصحابي الجليل والعامل الامين والقائد العظيم من الاناة والرفق ولين الجانب والورع والزهد فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ لا يتساهل معهُ بحق من حقوق الهيمنة عليهِ والنظر في سيرتهِ كما لم يتساهل مع غيرهِ ايضاً ممن هو في طبقتهِ في الورع او ممن هو دونهُ فيهِ وذلك

قياماً على اوامر الشريعة واداء لحق الهيمنة على تمشية قوانين الشرع على نهج السداد وحرصاً على رضى الله والرعية"

" روى ابن عساكر ان عمر بن الخطاب ارسل الى ابي عبيدة باربعة آلاف درهم أو أربعمائة دينار وقال للرسول انظر ما يصنع فقسمها ابو عبيدة . ثم ارسل بمثلها الى مُعاذ فقسمها معاذ الاَّ شيئاً قالت له امرأته نحتاج اليه . فلما اخبر الرسول عمر قال الحمد لله الذي جعل في الاسلام من يصنع هذا "

" هكذا كان عمر يمتحن حتى اتقى عماله وأرفقهم بالرعية وآمنهم على امور الناس واحكام الشرع لهذا بلغ العدل في عصره غاية ليس وراءها زيادة لمستزيد وامتدَّ سلطان المسلمين على قسم عظيم من الارض لم يسمع لسكانه شكوى من خيانة عامل في عمله وظلم في حكمه بل كانت الرعية قاطبة راضية عن حكم الاسلام متمتعة بالراحة آخذة في طريق الصعود الى قمم السعادة الاجتماعية والحياة المدنية . آمنة من شرور الفتن التي يضطرب لاجلها حبل الدولة ويختل نظام الاجتماع . ومن تصفح تاريخ الاسلام ووقف على أخبار دوله لا يرى سبباً لاختلال امر دولة قط الاَّ خيانة العمال وجورهم وتساهل الملوك في الاخذ على ايديهم اما بحكم الضرورة او بحكم الضعف وسوء السياسة شأن كل الدول ايضاً لا دول الاسلام وحدها"

"وانا لنعجب من غلو بعض المؤرخين في ذم الحجاج بن يوسف الثقفي عامل دولة بني مروان على العراق وانما يحوج الى الحجاج من هو مثل الحجاج اذ العامل الخائن اذا افسد قلوب الرعية بجوره وقبح سيرته يثير في نفوسها ثائر البغضاء على الدولة ويحنظ عليها قلوب الامة فتستعصي على الحاكم ويخرج امتلاك ازمتها عن طوق الدولة الاَّ باستعمال مثل الحجاج قوي الشكيمة قليل الرأفة . هذا في الدول المطلقة كدولة الامويين واما في الدول المقيدة فقلَّ ان يكون شيء من هذا وذاك وعلى تقدير حصوله فالرأفة تقوم مقام العنف والعدل يغني عن استعمال القوة والانسان اسير الاحسان وغاية ما يرمي اليه الطمأنينة والامان . وحسبك شاهداً على هذا ان الخليفة عمر بن عبد العزيز الاموي لما نحا في الحكم والامارة منحى عمر ابن الخطاب من حيث العدل وتتبع سيرة العمال وانتقاء اخيار الناس للولايات تألف قلوب الامة واستلم قياد الرعية بعد ان انفضُّوا من حول بني مروان ثم لم يلبث ان عاد المروانيون بعده الى سيرتهم حتى ضعف امرهم وغُلبوا على ملكهم لتفرق القلوب وانفضاض الناس من حولهم وما كان ذلك الاَّ من اطلاق يد العمال وامعان هؤلاء في الجور . هذا بقطع النظر عن بعض الخلفاء الامويين الذين كانوا من حسن السيرة والقيام على العدل بحيث لا يخرج عليهم خارج اباء لحكمهم

او تظلّماً منهم وانما ذكرنا بني مروان مثالاً في الدول التي اصابها الضعف وقضى عليها سوء الادارة وجور العمال بالاضمحلال كما اننا كتبنا هذا الفصل ليكون مقدمة لما بعدهُ يرد معنا من أخبار الدول في الغابر . وعظة يتعظ بها الحاضر · وانا والله اصبحنا في عصر احوج ما نحتاج اليهِ فيهِ معرفة العلل التي تمكنت من جسم الدول الاسلامية فأودت بحياتها الاستقلالية الى ما يعلم ويشاهد ورحم الله امرءًا اتعظ واعتبر · وقوماً اثر في نفوسهم توالي العبر"

والكلام عن فتح مصر مسهب بالنسبة الى ما في كتب العرب ولكنهُ موجز بالنسبة الى ما كتبهُ المحققون من الاوربيين في هذا الموضوع فان كتاب بطلر الذي اشار اليهِ المؤلف يملأ نحو ثلثمئة صفحة من صفحات المقتطف لو ترجم الى العربية وسنلخص بعض فصولهِ كما لخصنا ما كتبهُ عن المقوقس

وقد طلبنا من المؤلف الفاضل لما قرظنا الجزء الثاني من تاريخهِ ان يزيدنا تحقيقاً في الخبر الذي ذكرهُ الواقدي وتداولتهُ تواريخ الافرنج عن اتباع خالد بن الوليد بعض الذين اجلوا عن دمشق وقتلهم · فاجابنا في هذا الجزء" ان تاريخ الواقدي من كتب المغازي والقصاصين التي لم يعرَف واضعوها الى الآن وانما نُسب هذا الكتاب الى الواقدي لكثرة ما عُرف عن الرجل من رواية الاخبار · هذا من وجه ومن آخر فان الثقات من اهل الاخبار والمحدثين يوهنون رواية الواقدي فلو فرض صحة نسبة الكتاب اليهِ فانهُ عندنا غير موثوق"

فن الولادة

يندر ان يطبع كتاب علمي في العربية وتنفد نسخهُ كلها ولو مرَّت عليهِ السنون الطوال لكن هذا الكتاب كان من نصيبهِ سرعة الانتشار حتى نفدت نسخهُ لشدَّة الحاجة اليهِ فرأى مؤلفهُ الفاضل صاحب السعادة الدكتور عيسى باشا حمدي الذي كان رئيساً للمدرسة الطبيَّة المصرية وطبيباً للعائلة الخديوية ان يعيد طبعهُ بعد ان يضيف اليهِ فصولاً وتحقيقات شتَّى مما اقتضاهُ تقدم العلوم الطبية والجراحية . ويظهر مقدار الزيادة فيهِ من ان اشكالهُ كانت في الطبعة الاولى ١٦٦ شكلاً فبلغت في هذه الطبعة الثانية ١٩٩ شكلاً · واكثر الزيادة فيهِ الوقاية من التعفن النفاسي وعلاجهُ والرضاعة على انواعها وتعقيم اللبن وكشف ما فيهِ من المواد والفطام وزمنهُ وكيفيتهُ والضعف الخلقي الذي يولد فيهِ الاطفال وما يناسبهُ من المحفظات الى غير ذلك مما زادت بهِ فائدة الكتاب فنشكر لحضرة مؤلفهِ ونتمنى ان يقتدي بهِ غيرهُ من الذين الفوا كتباً علمية باللغة العربية ثم جدَّت في موضوعها مباحث كثيرة لا يصح ان تبقى غُفلاً منها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الحركة الدائمة

مصر . س . ك ما قولكم في الحركة الدائمة هل هي معقولة يمكن الوصول اليها فقد عرفت رجلاً ساعاتياً في بيروت قضي خمسة عشر عاماً يشتغل في هذا السبيل حتى نفد عمرهُ ومالهُ فهجر وطنهُ الى اميركا وكان بحثهُ في هذا الشأن وبالاً عليهِ . وعرفت مهندساً في لبنان بحث عن الحركة الدائمة وتوفرت لديهِ الدراهم فعمد الى استخدام البحر واضطرابهِ واعدَّ لذلك المباني والآلات فثار البحر وهدم المباني ولم يهدم آمال المهندس فهل لكم قول في هذا المعنى يكشف الحقيقة فيكون فصل الخطاب وعسى ان لا تحيلونا على ما كتبتموهُ في السنين الماضية لانهُ لا يسهل علينا الوصول اليها

ج لقد كتبنا فصولاً مسهبة في هذا الموضوع ابنا فيها بالدليل انهُ يستحيل ان توجد حركة دائمة . ونقول الآن بالاختصار ان ما كان يتوخاهُ المهندس اللبناني ليس ايجاد حركة دائمة بل استخدام حركة الامواج كما تستخدم حركة الرياح في مطاحن الهواء وتعذَّر عليهِ ان يتحكم في حركة ماء البحر كما انذرناهُ حينئذٍ وهذا لا ينفي التحكم فيها اذا خالطها المدُّ لانهُ يسهل حينئذٍ استخدامها لرفع ماء البحر الى حوض عالٍ ثم ينصبُّ الماء رويداً رويداً من ذلك الحوض فتكون منهُ قوة متصلة

اما طلاب الحركة الدائمة فيريدون ان يكتشفوا حركة مستمرة اي حركة تتوالى ولا تنقص ابداً من غير ان يزاد عليها شيءٌ لانها اذا نقصت ولو قليلاً تلاشت بعد حين . ولا بدَّ من هذا النقص لان الجسم المتحرك يقاوم قوات تعيقهُ عن الحركة كجاذبية الارض وسكون الهواء والاحتكاك بالمحور الذي يدور عليهِ وقد يمكن تقليل هذه المقاومات جدًّا ولكن لا يمكن ازالتها كلها فتزيل جزءًا صغيرًا من حركة الجسم كل لحظة من الزمان الى ان تتلاشى حركتهُ كلها اذا لم تضف اليهِ قوة جديدة تردهُ الى الحركة فهو مثل صندوق فيهِ نقود تنفق منهُ فلا بد ان يفرغ اذا لم تضف اليهِ نقود أُخرى

والذين يحاولون عمل آلة تتحرك من نفسها حركة دائمة يلجأون احياناً الى بعض القوى الطبيعية كمرونة الاجسام وزيادة الثقل بالبعد عن المركز ولكنهم يغفلون عن ان القوة الطبيعية لا تتكرر الا اذا عاد الجسم الى المكان الذي كان فيهِ حينما فعلت بهِ اولاً ويستحيل ان يعود الى وضعهِ الاول تماماً لانهُ يخسر جانباً من القوة بالاحتكاك ومقاومة الهواء كما تقدم فيقل فعل القوة الطبيعية رويداً رويداً. وذلك واضح في حركة رقاص الساعة وحركة الاجسام المرنة التي ترمى على سطح صلب صقيل وهلمَّ جرًّا

(٢) نمو الشعر

المنتزه بدران افندي احمد. ان شعر الرأس والبدن لا ينمو على مقدار واحد فشعر الرأس واللحية اكثر نموًّا من شعر الشاربين والابطين وهذا اكثر نموًّا من شعر البدن مع ان الجسم واحد والغذاء واحد فما سبب هذا الاختلاف

ج نمو الشعر الآن جارٍ على ناموس الوراثة اي انهُ سائر بالاستمرار على ما استقرَّ عليهِ في الوالدين ولكن السبب الاصلي الذي جعل شعر الرأس واللحية ينمو اكثر من شعر الشاربين والابطين والبدن لا يعلم تماماً. وقد ذهب دارون الى انهُ من قبيل الانتخاب الجنسي اي ان النساء والرجال استحسنوا طول الشعر في رأس الرجل والمرأة وطولهُ في لحية الرجل لمجرَّد الزينة فصار طوال الشعر يُرغَب في زواجهم وزواجهنَّ اكثر من قصار الشعر وكثر نسلهم فتغلَّب على نسل قصار الشعر. وهذا المذهب لا يفسر كل ما يتعلَّق بطول الشعر وقصرهِ ولكنهُ اقوى المذاهب المعروفة حتى الآن

(٣) تاثير نور القمر

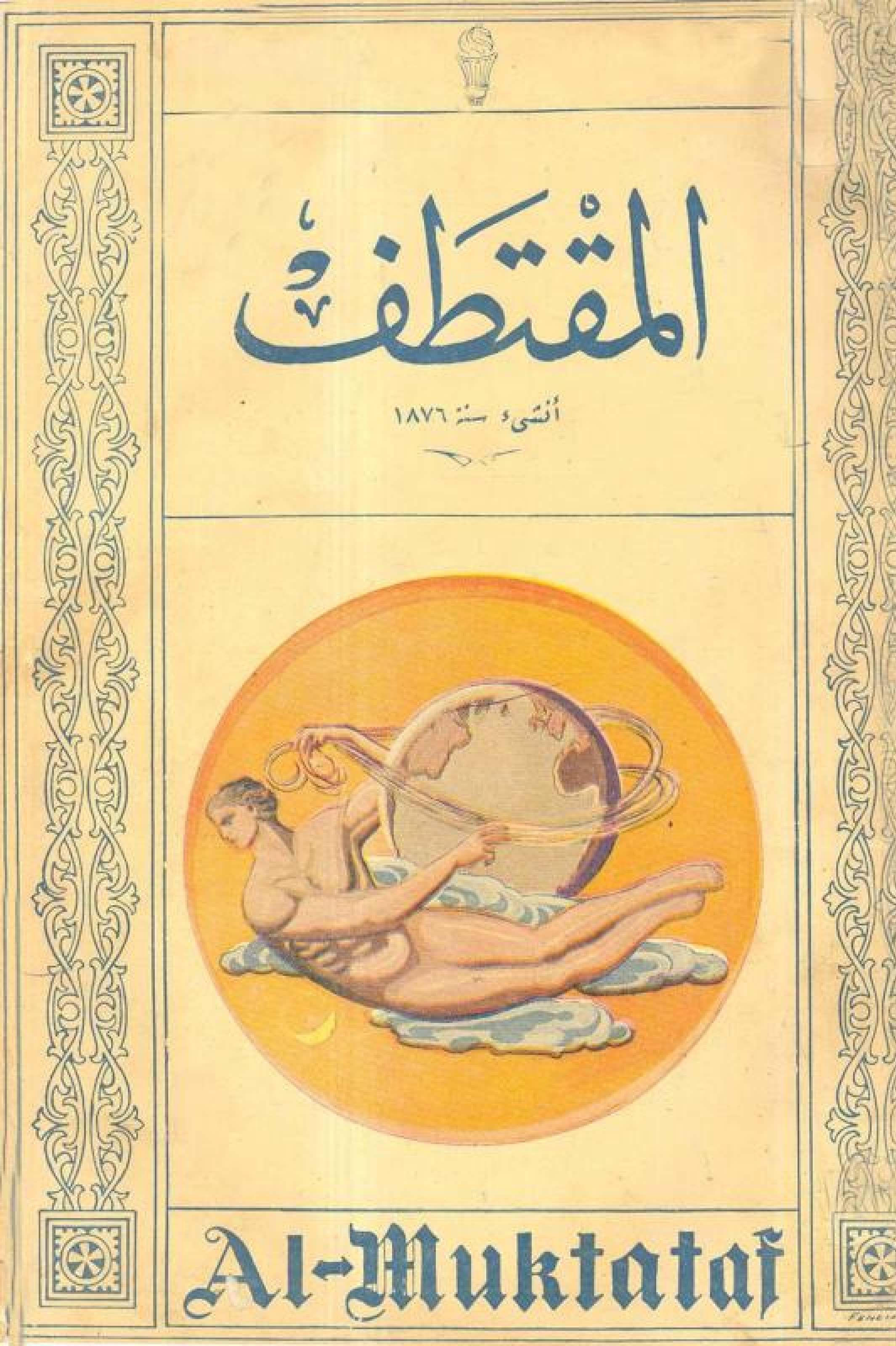
ومنهُ. اصحيح ما يقال من ان لنور القمر تأثيرًا في جسم الانسان وفي الاشجار ايضاً

ج ان كان لهُ شيءٌ من التأثير فلا يكون تأثيرهُ كما يزعم العامَّة. لكن الناس اعتادوا من قديم عهدهم ان يجعلوا بعض احتفالاتهم الدينية في ضوء القمر ولا يبعد انهم كانوا يرقصون فيها و يوغلون في التهيج العصبي حتى صار ذلك ينتابهم كلما هلَّ القمر او اكتمل فنسب هذا التأثير الى القمر مع ان القمر علَّة معية لا علة سببية. ولا يعلم للقمر تأثير في النبات الا اذا كان النور والظلام يؤثران فيهِ

(٤) قوس قزح

ومنهُ. من اي شيء يتكون قوس قزح وما علاقتهُ بالمطر

يتكون من مرور النور في نقط المطر وانحلالهِ الى الوانهِ السبعة فان اشعة النور على درجات مختلفة من سرعة التموج واتساع الامواج وهي مختلفة الالوان كما ترى في قوس


المقتطف
أنشئ سنة ١٨٧٦
Al-Muktataf

المقتطف

الجزء السابع من المجلد التاسع والعشرين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٢٢

تمثال الدكتور بلس

اشرنا في الجزء الماضي الى الاحتفال الباهر الذي احتفلت المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت باستلام التمثال الذي صنعهُ متخرجو المدرسة الكلية المقيمون في هذا القطر لرئيسهم الاول الدكتور دانيال بلس ووعدنا هناك بنشر صورة هذا التمثال حالما ترد الينا فصدرنا بها هذا الجزء الآن

والتمثال من الرخام الابيض الناصع البياض وهو بالقطع الطبيعي تماماً يمثل الدكتور بلس بحلة الرئاسة ماسكاً بيدهِ الدبلوما التي يسلمها للتلامذة وتحتهُ قاعدة من الرخام الابيض ايضاً ارتفاعها نحو مترين وقد نقش عليها بالعربية ما نصهُ

دانيال بلس

دكتور في اللاهوت

الرئيس الاول للمدرسة الكلية السورية الانجيلية

اقام هذا التمثال تلامذتهُ المقيمون في مصر والسودان

وتحتها ترجمتها بالانكليزية . وها صورة الكتاب الذي قرأهُ المندوب الذي انتدب لازاحة الستار عن التمثال وتقديمهِ الى لجنة المدرسة الكلية الانجيلية

استاذنا العزيز

ان ابناءك المنتشرين في هذا القطر السعيد يزرعون ويتجرون ويتعلمون ويطببون وينشئون الصحف والمجلات ويخدمون حكومة البلاد في كل دوائرها وفي جميع انحائها من خط الاستواء جنوباً الى ثغور بحر الروم شمالاً وفي يدهم نبراس المعارف الذي اسرجوهُ في هيكل العلم هذا

انتدبوني لكي اعرب كتابةً كما انتدبوا الاخ نسيم افندي البرباري لكي يعرب شفاهاً عمّا يخالج قلوبهم من الشكر لك يوم يرفع الستار عن هذا التمثال في مشهد من ابناء مدرستهم ومن وجهاء هذه المدينة

حالما انتشر بين ظهرانيهم عزم اخوانهم المقيمين في سورية على تقديم علامة شكر لك اجتمع جمهور كبير منهم في القاهرة عاصمة الديار المصرية في ادارة المجلة العلمية التي نشأت في حمى هذه المدرسة ولاتزال ترتوي من المعارف المقتبسة منها . والذين تعذَّر عليهم الاجتماع معهم لبعد اماكنهم كتبوا يعربون عن سرورهم بهذا الرأي الجيد واجمعوا كلهم على ان تكون علامة الشكر لك مما يرى بالعيان ويبقى راسخاً على كرور الازمان ويكون من ادل الدلائل على مزاياك علو الهمة وثبوت العزيمة وطهارة السيرة تمثالاً من الرخام الاصم يثبت ثبوت التماثيل التي نصبت للعظماء في كل العصور يمثل ما في وجهك من المهابة والجلال والذكاء والدعة ويدلُّ ببياضهِ الناصع على طهارة قلبك وصفاء سريرتك ليكون تذكاراً للخلف من رؤساء هذه المدرسة واساتذتها وتلامذتها يرون فيهِ شكل الرئيس الاول الذي غرست يمينهُ بزرة صالحة وتعهدتها بالعناية فنمت واينعت وانتشر عرف ازهارها في الخافقين والحلقة الاولى من سلسلة رؤساء افاضل يقتفون آثارك فيستحقون ان يقوم تلامذتهم و ينصبوا لهم التماثيل الى جانب تمثالك

اما شكرنا لك الذي يشاركنا فيهِ كل ناطق بالضاد فاسبابهُ واضحة مشهورة فقد كان لك اليد الطولى في انشاء هذه المدرسة وتسهيل الطلب فيها على طلاَّب المعارف اغنياء كانوا او فقراء ولك اليد البيضاء في تهذيب اخلاقهم وتكبير نفوسهم حتى يصيروا رجالاً يعتمدون على ما وهبهم الله من قوى العقل والجسد

وقد لا يتصوَّر ابناء المدرسة المقيمون فيها الآن وكثيرون من هذا الجمع مقدار المصاعب التي ذللتها حتى انشئت هذه المدرسة وبلغت ما بلغتهُ من السعة والشهرة فان المدارس الكلية تحتاج الى نفقات كبيرة لا يقوم بها الاَّ الممالك الغنية او كبار الموسرين الذين اعتادوا الانفاق على الاعمال النافعة ولذلك لم يكن في الامكان انشاء مدرسة كلية من اموال تجمع في هذه البلاد فطرقت ابواب قومك الاميركيين في مواطنهم وما زلت تحث الاغنياء والفضلاء وترغبهم في هذا العمل المبرور حتى جمعت ما يكفي من المال للشروع في هذا العمل . وكان اهالي هذه البلاد بين الستين والسبعين (بعد الثمانمائة والالف) ينفقون على كل شيء بسخاء الاَّ على تعليم اولادهم وكثيرًا ما كان الواحد منهم يولم وليمة فاخرة للمرسل من المرسلين ينفق عليها مئات من القروش ثم يتوسل اليهِ ان يتنازل لهُ عن قليل من اجرة تعليم ابنهِ او عن ثمن كتاب

يتعلم فيهِ . ورأيت بعينك النقادة ان ارباب العلوم والفنون وقادة الامم في معارج العمران لا يكونون غالباً من اهل الثروة والجاه بل من ابناء الفقراء الذين لا يستطيعون ان ينفقوا على التعليم في المدارس العالية ولا سيما حيث لم يشع الانفاق على التعليم فاعددت المال الكافي للانفاق على تعليمهم بل كنت تكسو البعض منهم وتعطيهم الكتب مجاناً

ثم ان العربية كانت خالية من الكتب العلمية الحديثة على ما فيها من كتب اللغة ولم يكن من الكتب العلمية في ايدي التلامذة الاولين سوى كتاب الجبر والهندسة فاضطر الاساتذة ان يؤلفوا ويترجموا كتباً في الرياضيات والطبيعيات والعقليات والكيمياء والفسيولوجيا والنبات والحيوان والعلوم الطبية على انواعها . ولم يكن للمدرسة بناء تأوي اليهِ فاضطرت ان تأوي داراً عارية سبع سنوات متوالية وبسعيك وسعي اخوانك الاساتذة واصدقائكم في اميركا واوربا ايضاً صارت المدرسة الكلية بلداً يقيم فيهِ مئات من التلامذة على الرحب والسعة

وكان ابناء المدارس يربون على الخوف من المعلمين والنظر اليهم نظر العابد الى المعبود حتى جرى على ألسنتهم المثل المألوف من علمني حرفاً صرت لهُ عبداً وكانت المرأة تأخذ ابنها الى المدرسة وتقول للمعلم اللحم لك والعظم لي فيتخذ المعلم قولها حجة ويفهم كلامها على ظاهرهِ ولا يدخر وسعاً في اقناع الولد بان ما قالتهُ امهُ هو الصواب . وكثيراً ما رأينا شبان بيروت يطرحون على الثرى في احدى المدارس الكبرى وتكسر على اقدامهم بضعة قضبان من الرمان

امور تحقر التعليم وتصغّر النفوس وتربي فيها البغض للمدارس . هذه كلها كانت جارية في مدارس سورية وقتما انشأت المدرسة الكلية وجعلت تعلم تلامذتها كأنهم ابناؤك وتدعوهم الى بيتك كأنهم اقرانك وتعرّف بهم الناس كأنهم اخوانك لم تضع يدك على تلميذ وانت مغتاظ ولم تكلمهُ كلمة تصغر نفسهُ بل كنت بالضد من ذلك لا تبث في نفوس التلامذة الاَّ المروءة والشهامة وعزة النفس

فتلامذتك مديونون لك لانك يسّرت لهم وسائل التعليم والتهذيب مديونون لك بما يرفع شأن الانسان بين اقرانهِ ويجعلهُ نافعاً لوطنهِ فلا عجب اذا شكروا لك هذه الايادي البيضاء ومثلوا شكرهم بعلامة ظاهرة للعيان

ولقد كنا نود الاستقلال بهذا العمل ولكننا كنا نقدم رجلاً ونؤخر اخرى مخافة ان لا يأتي طبق المرام فأتيتنا على غير انتظار وتفضلت علينا بما لم نكن نجسر ان نتوقعهُ منك وتحملت مشقة السفر الى ايطاليا على كبر سنك لكي يراك النحات ويأتي عملهُ كاملاً على قدر الامكان ورافقتك قرينتك الكريمة في هذا السفر كما رافقتك في كل اعمالك السابقة من حين

شرعت في مناداة الناس الى مساعدتك على انشاء هذه المدرسة الى الآن فلها كما لك الفضل الأكبر علينا حتى في هذا العمل الذي كنا نود ان نكون مستقلين فيهِ

وانتم أيها السادة رئيس المدرسة واساتذتها وعمدتها لقد تفضلتم علينا فسمحتم لنا ان نضع هذا التمثال في حماكم فاقبلوهُ منا واحتفظوا بهِ كرماً منكم واكدوا ان لكم كما لرئيسنا الاول مئات من التماثيل مبثوثة في اقطار المسكونة وهم رسائل حية لكم معروفة ومقروءة من جميع الناس وبهم نخركم الاكبر ترونهم في معترك الحياة يذللون الصعاب بالقوى العقلية والادبية التي استمدوها منكم · وغاية ما نرجوهُ الآن ان يكون عملنا هذا مقبولاً لديكم ولدي جمهور الفضلاء الذين تكرموا فشرفوا هذا الاحتفال نسأل الله ان يرسخ فينا خلق الاعتراف بالجميل والشكر على المعروف حتى نتبارى فيهِ ونتنافس لا زالت معاهد العلم سماءً وانتم شموسها ·　　(يعقوب صروف)

اما الخطبة التي خطبها المندوب فكانت بالانكليزية وسننشر تعريبها في جزء تالٍ

فضل الشرق على الغرب

لم يقم حتى الآن دليل علمي على وطن الانسان الاول ولكن الادلة متوفرة على ان العمران ابتدأ في المشرق واتصل منهُ الى المغرب ودعائم هذا العمران كثيرة اكبرها ما يلي

اولاً الدين — الاديان المشهورة التي لها الآن الشأن الاكبر في مصالح الامم اليهودية والمسيحية والاسلامية ابتدأت كلها في الشرق . ومهما حاول اهالي اوربا ان يغمطوا فضل الشرق عليهم فلا يستطيعون ان ينكروا فضل الديانة المسيحية في تهذيب اخلاقهم وتشييد دعائم عمرانهم

ثانياً الكتابة — رأى بعضهم من النقوش التي اكتشفت حديثاً في جزيرة كريت ما استدلَّ منهُ على ان الكريتيين استنبطوا الكتابة بالحروف الهجائية قبل غيرهم لكن العلماء المحققين ينكرون ذلك · ولا يزال جمهورهم يعتقد ان الفينيقيين اهالي سورية هم اول من استنبط الكتابة بالحروف الهجائية . وهب ان الفينيقيين لم يستنبطوها فهم الذين نقلوها الى اوربا وعلَّموا اليونان استعمالها ويكاد ذلك يكون امراً تاريخياً ولا تزال اسماء الحروف اليونانية دليلاً على اصلها السامي

ثالثاً الارقام الهندية — هذه الارقام اعترف العرب انهم اقتبسوها من الهنود كما يدل اسمها العربي واعترف الافرنج انهم اقتبسوها من العرب كما يدل اسمها في لغاتهم ولا مجال للشك

في هذين الامرين . وفوائد العلوم الحسابية وكل ما بني عليها اعظم من ان تذكر واكثر من ان تحصى . انزع من العمران الحروف الهجائية والارقام العددية وما بني عليها فلا يبق منهُ ربعهُ . واقدم ما وجد من الكتابات العربية وفيهِ ارقام هندية قراطيس من البردي وجدت حديثاً في الفيوم تاريخها سنة ٨٧٣ للميلاد

رابعاً الحك المغنطيسي — ان جانباً كبيرًا من العمران ومن تعمير المسكونة سببهُ سهولة السفر بحرًا وللحك المغنطيسي اليد الطولى في ذلك . ولقد كان الحك معروفاً ومستعملاً عند الصينيين في اوائل القرن الثاني من التاريخ المسيحي واستعملهُ العرب في اواسط القرن التاسع

خامساً البارود — لا يرتقي العمران الاَّ في زمن السلم ولا يدوم السلم الاَّ اذا قويت معدات الحرب وخيف منها ولقد كان لاستعمال البارود اليد الطولى في تقليل الحروب وتقصير مددها واطالة ازمنة السلم . والادلة متوفرة على ان الصينيين استعملوا البارود في اواسط القرن الثالث عشر وان العرب تعلموا عملهُ منهم في ذلك الحين فسموا ملح البارود ثلج الصين . قال ابن البيطار ثلج الصين هو البارود المعروف بزهرة حجر اسيوس وقال في كلمة اسيوس هو ثلج الصين عند القدماء من اطباء مصر ويعرفهُ عامة المغرب واطباؤُها بالبارود . وذكر حسن الرماح مقذوفات البارود في كتابهِ الذي الفهُ بين سنة ١٢٧٥ و ١٢٩٥ للميلاد فقال انها بيضة تخرج وتحرق

سادساً الطباعة — لامشاحة ان الطباعة من انفع المخترعات للعمران ان لم تكن انفعها كلها ولها اساسان لاغنى لها عنهما الاول استنباط الحروف الهجائية والثاني استنباط الورق والاَّ فالطباعة نفسها اهتدى اليها الناس من عهد قديم منذ صنعوا الخواتم والختوم ولكنهم لم يتوسعوا فيها لانهم لم يكونوا قد اهتدوا الى اساسيها المهمين الحروف الهجائية المنقطعة والورق

اما الحروف الهجائية فقد تقدم ان الفضل للمشارقة في استنباطها وفي نقلها الى اوربا . والوراقة او عمل الورق الفضل في استنباطها للصينيين فانهم كانوا يكتبون اولاً على القنا كما كان المصريون يكتبون على البردي ثم صاروا يكتبون على الحرير ونحو سنة مئة للمسيح استنبط واحد منهم عمل الورق من القنّب والخرق ولحاء الاشجار كما يُعمل اللبد من الصوف ورأوا فائدة هذا الاستنباط فاكرموا صاحبهُ ورفعوا قدرهُ

وذكر الثعالبي في كتاب لطائف المعارف ما نصهُ " ومن خصائص سمرقند الكواغيد التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الاوائل يكتبون فيها لانها احسن وانعم وارفق واوفق ولا تكون الاَّ بها وبالصين . ذكر صاحب كتاب المسالك والممالك انهُ وقع من الصين الى سمرقند في سبي سباهم زياد بن صالح من اتخذ الكواغيد بها ثم كثرت الصنعة واستمرَّت

العادة حتى صارت متجرًا لاهل سمرقند فعم خيرها والارتفاق بها في الآفاق "

ويظهر من كتب التاريخ العربية والصينيَّة ان زياد بن صالح قهر الترك وانصارهم من الصين في شهر يوليو سنة ٧٥١ للمسيح وهي توافق اواخر سنة ١٣٣ للهجرة وعليهِ قد اتصلت الوراقة من الصين الى ممالك العرب في اواسط القرن الثامن للميلاد

ويظهر مما رواه ابن خلدون في المقدمة انهُ لما كان الفضل بن يحيى البرمكي والياً على خراسان عرف ان الصينيين يصنعون الورق في سمرقند فنقل صناعتهُ الى خراسان ومن ثم انتشرت الوراقة في ممالك المسلمين وكان الورق الخراساني يعمل من الكتان على ما جاء في كتاب الفهرست قال " والصين تكتب في الورق الصيني ويعمل من الحشيش واما الورق الخراساني فيعمل من الكتان ويقال انهُ حدث في ايام بني اميَّة وقيل في ايام الدولة العباسية وقيل ان صنَّاعاً من الصين عملوهُ بخراسان على مثال الورق الصيني " . ظهر بالبحث المكرسكوبي ان الورق المصنوع من الكتان اقدم من الورق المصنوع من القطن . وقد عثر بعض الاوربيين على رسالتين كتبتا سنة ٨٠٠ للميلاد على ورق صنع في بغداد . ولم يكد عمل الورق ينتشر في القطر المصري حتى اهمل عمل قراطيس البردي رويداً رويداً ولم يعد يصنع منها شيء بعد القرن العاشر ولكن لم يصل عمل الورق الى جنوبي اوربا الاَّ في القرن الثاني عشر وبلغ المانيا في القرن الرابع عشر

وانتقلت الطباعة من الشرق الى الغرب كما انتقلت الوراقة فان المصريين كانوا يطبعون النقوش على منسوجاتهم منذ القرن السادس . وكان الصينيون يطبعون على الورق منذ سنة ١٧٥ للميلاد وانتشرت الطباعة في بلاد الصين في القرن السادس للمسيح وكانت عن صفائح خشبية وامتدت منها الى بلاد اليابان وجاء في سجلات اليابان ان الملكة شوتوكو امرت بتوزيع مليون من الهياكل الخشبية الصغيرة وقد طبع على كلّ منها آية من كتاب البوذيين فالا نريهاسا شترا وكان ذلك سنة ٧٦٤ للمسيح وتمَّ العمل بامرها سنة ٧٧٠ للمسيح . وقد وجد بعض هذه الهياكل الصغيرة ووجد فيها دروج عليها الكتابة المشار اليها بالحروف الصينية . ووجدت صفائح معدنية للطباعة تمتد في تاريخها الى سنة ٨١٦ للمسيح ووجد بعضهم كتاباً في الصينية طبع سنة ١٠٥٤ وفيهِ صورة المؤلف وصور اخرى . والظاهر ان العرب اقتبسوا صناعة الطباعة من الصينيين حال اتصالهم بهم فقد وجد في دفائن الفيوم ثلاثون صفحة عربية مطبوعة من القرن التاسع والعاشر للميلاد وفي بعضها حروف قبطية وفي بعضها اجزاء من القرآن دلالة على ان المسلمين لم يكونوا يأنفون من طبعهِ في المطابع حينئذٍ . ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يطبعون نقود الورق ويتداولونها فقد

جاء في كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لابي شامه انهُ "حضر جماعة من التجار (الى الملك العادل) وشكوا ان القراطيس كان ستون منها بدينار وتزيد وتنقص فيخسرون فسأل عن كيفية الحال فذكروا له ان عقد المعاملة على اسم الدينار ولا يرى الدينار في الوسط وانما يعدون القراطيس بالسعر تارة ستين بدينار وتارة سبعة وستين بدينار"

وظهر بعد البحث الدقيق ان اهالي كوريا اول من استنبط الطباعة بالحروف المنفصلة كما هو جار الآن فقد قال الصينيون ان حداداً منهم اسمهُ بي شونغ صنع حروفاً للطباعة من الخزف بين سنة ١٠٤١ و ١٠٤٩ للميلاد ورأى بعض الباحثين في هذا الموضوع كتباً صينيةً مطبوعة بحروف منفصلة منذ سنة ١٣١٧ ولا يعلم ما اذا كانت صينيةً او كوريةً ورأى كتباً اخرى كورية الاصل طبعت بحروف معدنية واحداً منها طبع سنة ١٤٠٩ وفيهِ وصف الطباعة بالحروف المنفصلة ويقال فيهِ ان ملك كوريا رأى ان الطباعة عن الصفائح الخشبية لا تفي بالمراد فامر بعمل حروف الطباعة من النحاس على نفقتهِ الخاصَّة وكان ذلك في اواخر سنة ١٤٠٣ واوائل سنة ١٤٠٤ ويختم هذا الفصل بالصلوات والابتهالات لنجاح هذا العمل

والظاهر ان العرب تعلموا الطباعة بالحروف المنفصلة من الصينيين ولكن لا دليل على ان الاوربيين تعلموها منهم والمرجح ان الاوربيين اتصلوا اليها من تلقاء انفسهم ولكن لو لم يتعلموا من العرب عمل الورق ما كان للطباعة شأن يذكر

وجملة القول ان الفضل لاهالي المشرق في دعائم العمران الدين والكتابة والارقام الهندية والحك المغنطيسي والبارود والوراقة والطباعة

الصور في الطباعة

عبَّر الناس عن معانيهم بالصور المرسومة قبلما عبَّروا عنها بالكلمات المكتوبة . ثم اختزلوا الصور فتولدت منها الكتابة بالكلمات اولاً ثم بالحروف . ولذلك تجد الصور في اقدم ما كتبهُ الناس او ارادوا التعبير بهِ عن اغراضهم بل تجدها بين الآثار التي بقيت من عهد سكان الكهوف الذين كانوا يصيدون الفيل في فيافي اوربا قبلما غمرها الجليد في العصر الجليدي الاخير وقرض الافيال منها ولعلَّ ذلك كان منذ اكثر من عشرة آلاف عام

وكان المصريون يجمعون بين التصوير والكتابة في كل نقوشهم القديمة والحديثة من قبل التاريخ المسيحي باربعة آلاف او خمسة آلاف سنة الى ما بعدهُ باربع مئة او خمس مئة سنة

وترى نقوشهم القديمة والحديثة في كل هياكلهم وقراطيسهم ممزوجة بكتاباتهم

وظلّ الناس يمزجون الصور بما يكتبونهُ الى يومنا لانها تعبّر عن المراد على اقرب سبيل بل ان الكلمات المكتتبة تعجز احياناً كثيرة عن وصف المراد مهما كان فيها من الاسهاب ولا ترسم في ذهن القارئ صورة واضحة الاَّ اذا كان الكاتب بليغاً في الوصف وكان الموضوع مما يسهل التعبير عنهُ . وقد رأينا كتباً عربيَّة خُطَّت منذ مئات من السنين في علم الحيوان والنبات وفي علم الهيئة رسمت فيها صور الحيوانات والنباتات وصور ابراج السماء ومجاميع النجوم كما تخيلها الاقدمون وبعضها متقن الصنعة بديع الالوان يدل على مهارة صانعيها في صناعة الرسم والتصوير

ولما شاعت الطباعة في اوربا عن الصفائح قبلما شاعت عن الحروف المنفصلة صار الصنَّاع ينقشون الصور على الخشب او المعدن كما ينقشون الحروف عليها و يطبعون هذه وتلك معاً وقد طبعوا كذلك قصص التوراة وسموها توراة الفقراء . ثم شاع استعمال الحروف المنفصلة فصارت الصور تنقش وحدها وتطبع معها او يترك لها مكان بين الحروف تطبع فيهِ

وتفنَّن النقاشون في نقش الصور وبرعوا فيهِ براعة منقطعة النظير حتى انك تجد في بعض الكتب التي طُبعت في القرن الماضي والذي قبلهُ صوراً بالغة غاية الدقة لا تكاد تفرق بينها وبين الصور الشمسية المتقنة ولا ترى ما فيها من الخطوط والنقط الدقيقة ما لم تنظر اليها بنظارة تكبّر المنظورات وكان للصناع الفرنسويين اليد الطولى في اتقان النقش واقتدى بهم الالمان والانكليز

وبينما كان النقاشون يتفننون في نقش الصور وطبعها حتى صار ذلك صناعة لا يستطيعها الاَّ النابغون منهم ظهر اسلوب جديد لنقش الصور بواسطة التصوير الشمسي والحفر الكيماوي وكانت الصور الاولى التي نقشت كذلك بعيدة عن الاتقان ثم زاد اتقانها رويداً رويداً في عهد قرَّاء المقتطف حينما استنبطت الشبكة التي تحل الصور الى مربعات صغيرة دقيقة . ومن ثم صار النقش صناعة ميكانيكية يستطيعها الصانع الماهر وغير الماهر وللحال كثرت الجرائد والمجلات المصورة كثرة فائقة الحد وصار بعضها يملأ صفحاتهِ بالصور لانهُ وجدها ارخص من الكتابة

والناس في عصر البخار يقتبس بعضهم ما عند البعض الآخر بسرعة البريد ان لم يكن بسرعة البرق فحالما شاع في اوربا نقش الصور بالمواد الكيماوية بعد تصويرها بالفوتوغرافيا رأى بعض النجباء من ابناء الشرق ان يقتبسوا هذه الصناعة و يزينوا كتبنا وجرائدنا بها . و يظهر لنا ان الاساليب الاخيرة التي اعتمد عليها الخواجه ميشال كوفا الذي صنع لنا صورة تمثال الدكتور بلس المنشورة في صدر هذا الجزء بشبكة متقاطعة الخطوط والصورة المقابلة بشبكة متوازية الخطوط هي ادق الاساليب التي استعملت حتى الآن وقد اتقنها غاية الاتقان

قوانين يوستنيانوس

الكتاب الثاني

الفصل الاول في تقسيم الاشياء واسباب تملكها

الاشياء اما موروثة واما غير موروثة فمنها مباح بالشرع الفطري لجميع الناس · ومنها مشاع · ومنها مختص بجماعة · ومنها غير مملوك لاحد · ومعظمها مملوك لافراد

(١) الاشياء المباحة لجميع الناس بالشرع الفطري الهواء والماء الجاري والبحر وشواطئه[١]

(٢) الانهار والمرامي مباحة

(٣ و ٤) شواطئ الانهار مباحة بحكم شرع الامم

(٥) شواطئ البحر مباحة ايضاً بمقتضى شريعة الامم وما هي بمملوكة لاحد

(٦) الاشياء المختصة بجماعة هي ما في المدن مثل الملاعب ومضامير السباق الى غير ذلك من الاشياء المشتركة

(٧) ان الاشياء الموقوفة والاشياء الدينية والمقدسة غير مختصة باحد

(٨) الاشياء الموقوفة هي ما أُفرد لله باحتفال ديني ولا يسوغ لنا ان نبيعها اونرهنها الاَّ لافتداء الاسرى[٢]

(٩) من يدفن في ارضهِ ميتاً يجعل فيها مكاناً دينياً[٣] ومتى كانت الارض مشتركة ولا مدفن فيها فليس لاحد الشريكين ان يأذن في الدفن فيها الاَّ برضا شريكهِ وهذا جائز في قبر مشترك · وليس لمالك الارض المستأجرة ان يجعل فيها مكاناً دينياً الاَّ برضا المستأجر

(١٠) الاشياء المقدسة متعلقة بالشريعة الالهية

(١١) تمتلك الاشياء بوجوهٍ مختلفة منها ما يمتلك بالشرع الفطري ومنها ما يمتلك بالشرع المدني ومن المناسب الابتداء بالاول

---

(١) في الفقه الاسلامي « الماء والكلأ والنار مباحة وكذا البحر والبرك الكبيرة » كما في المجلة والدر المختار

(٢) في الفقه الاسلامي « اذا صح الوقف لم يجز بيعهُ ولا تمليكهُ لخروجهِ عن ملك الواقف » كما في شرح القدوري لشيخنا المرحوم الشيخ عبد الغني الميداني الدمشقي

(٣) من جعل ارضهُ مقبرة يزول ملكهُ عنها عند ابي يوسف وعند محمد اذا دفن الناس في المقبرة زال الملك ومن بنى مسجداً وفرزهُ عن ملكهِ بطريقهِ واذن للناس بالصلاة فيهِ فاذا صلى فيهِ جماعة على الاشهر زال ملكهُ · عن « شرح القدوري »

(١٢) ان الحيوانات البرية لمن اخذها وذلك بمقتضى شرع الام . ولا ينظر الى المكان الذي اصطيدت فيهِ فسواءٌ اصطادها من ارضهِ او من ارض غيرهِ . كل ما اصطدتهُ لا يصير ملكك الا قدر ما بقي في يدك

(١٣) اذا جرحت حيواناً ضارياً وانت تريد صيدَهُ فلا يعدُّ ملكاً لك الاَّ عند وقوعهِ في قبضتك

(١٤) اذا وقع النحل على شجرتك فلا يصير ملكاً لك الاَّ بعد ان تجعلهُ في الخلية فالنحل حينئذٍ يصير اكثر اختصاصاً بك من الطير التي تعشش في شجرتك . والخشرَمُ المسروق من خليتك يُعَدّ ملكك ما دام غير غائب عن نظرك وما دام تتبعهُ وادراكهُ سهلاً عليك

(١٥) أما الحيوانات المتعوّدة الذهاب والرجوع فالقاعدة انها ليست لك الاَّ بقدر ما تحافظ على ارادة العود اليك

(١٦) الدجاج والأوزّ ليست من الطيور الوحشية طبعاً ولهذا اذا خافت فطارت فلا تزال ملكاً لك حتى ولو غابت عن نظرك

(١٧) ما نغنمهُ من العدو يصير للحال ملكاً لنا بحسب شرع الام [١]

(١٨) الحجارة الثمينة واللآلئ وسائر ما يوجد على شاطئ البحر بحسب الشرع الفطري لمن يجدها

(١٩) ما يولد من حيوانك فهو لك بحسب الشرع الفطري

(٢٠) اذا جرَّ النهر الى حقلك تراباً فهو لك بحكم شرع الام [٢]

(٢١) اذا طغى النهر فجرَّ قطعة من ملك رجل وضمها الى ملك جارٍ فلا تبرح تلك القطعة ملكاً لصاحبها الاول

(٢٢) الجزيرة في البحر ملك لأوَّل من احتلها . واما الجزيرة في وسط النهر فهي مشتركة بين الملاَّك المقيمين على ضفتي النهر . وهذا على نسبة طول وعمق كل منهما واذا كان احد الشاطئين اقرب اليها من الآخر فهي لاصحاب الاملاك المكونة الشاطئ الاقرب

(٢٣) اذا تحول نهر عن مجراهُ الطبيعي بالكلية الى جهة اخرى دخل المجرى القديم في ملك اقرب الجيران الى الشاطئ وصار المجرى الجديد مشاعاً

---

(١) في الفقه الاسلامي « لا يقسم الامام الغنيمة في دار الحرب حتى يخرجها الى دار الاسلام لان الملك لا يثبت للغانمين الاَّ بالاحراز في دار الاسلام »

(٢) النهر اذا جاء بطين الى ارض احد فهو ملكهُ لا يسوغ لآخر ان يتعرّض لهُ (المادة ١٢٤٠ من المجلة)

(٢٤) اذا غمر الماء ارضاً ثم انحسر عنها فظاهرٌ انها تبقى على ملك من كانت لهُ

(٢٥) من احدث شيئاً في عينٍ لآخر فان كان من الممكن ردُّها الى حالها الأولى كان الملك لصاحبها . والاَّ فهي لمن أحدث فيها شيئاً (١)

(٢٦) من ادخل في نسج ثوبهِ أرجواناً لآخر فالارجوان يتبع الثوب

(٢٧) اذا اختلطت الموادُّ برضا المالكين فالمختلط كلهُ مشترك بينهما . فان كانت الموادُّ مختلفةً ونشأ عن اختلاطها شيءٌ خاصٌ فذلك الشيء مشترك بين المالكين . واذا اختلطت الموادُّ اتفاقاً فسواء كانت متماثلة او متباينةً يحكم بأن المختلط مشترك بينهما تبعاً لقاعدة المختلط رضاءً

(٢٨) اذا اختلطت حنطة زيد بحنطة عمرو عن رضاً منهما فالخليط مشترك بينهما وليس الامر كذلك ان حصل الاختلاط اتفاقاً او بغير رضاً من احدها

(٢٩) من بنى في ارضهِ بموادٍّ لآخر فالبناء لصاحب الارض . واما صاحب المواد فلا يزال مالكاً لها ليس لهُ ان يستردَّها ولا أن يتصرف فيها حتى ترد اليهِ . ذلك كي لا يضطر الى هدم البناء

(٣٠) من بنى بموادهِ في ارض الغير صار البناء ملك صاحب الارض . واما صاحب المود فيزول ملكهُ عنها في هذه الحال افتراض انهُ عالمٌ بأنهُ يبني في ملك الغير

(٣١) اذا غرس زيدٌ في ارضهِ شجرةً لآخر صارت الشجرة للغارسِ والامر بالعكس اذا غرس شجرتهُ في ارض الغير ولكن بشرط ان تسري عروق الشجرة في الأرض

(٣٢) البرّ المزروع تبع الارض (وكذا ما اشبههُ من القطاني كالفول والعدس)

(٣٣) الحروف المذهبة تتبع الورق او الرق

(٣٤) النسيج يتبع الصورة التي ترسم عليهِ

(٣٥) من اشترى بنيَّةٍ سليمة او أخذ بسبب آخر عادل أرضاً من شخص لا يملكها فمن

---

(١) قال صاحب الدرّ المختار « من بنى او غرسَ في ارض غيره بغير اذنهِ أُمِرَ بالقلع والردّ لو قيمة الساحة اكثر . وللمالك ان يضمن لهُ قيمة بناء او شجرٍ أُمِرَ بقلعهِ فتقوَّم بدونهما ومع احدهما مستحقّ القلع فيضمن الفضلَ »

وفي الحاشية لابن عابدين ما نصهُ « فان كانت قيمة الارض مائةً وقيمة الشجر المقلوع عشرة واجرة القلع درهم بقيت تسعة دراهم فالارض مع هذا الشجر تقوَّم بمائة وتسعة دراهم فيضمن المالك التسعة . ومن غصب ثوباً فصبغهُ او سويقاً فلتّهُ بسمن فالمالك مخير ان شاء ضمنهُ قيمة ثوبهِ ابيض ومثل السويق . وان شاء اخذ المصبوغ او الملتوت وغرم ما زاد الصبغ والسمن واذا تغيرت العين المغصوبة بفعل الغاصب حتى زال اسمها واعظم منافعها زال ملك المغصوب منها وملكها الغاصب وضمن بدلها لمالكها »

المقرر ان الغلة له بمقابلة الحرث والعناية . وأما من اشترى ارضاً وهو يعلم انها ليست للبائع فالغلة ليست له .

(٣٦) من له استغلال ارض يصير مالكاً حاصلات الارض اذا استطاع ان يقبضها هو بنفسه وعلى هذا الحكم عينه يجري المساقي

(٣٧) حمل الحيوانات مندرج في الثمار الحاصلة لكن ولد الأمة ليس بمندرج في ذلك

(٣٨) المستغل الذي له قطيع جارٍ في استغلاله فكل رأسٍ يموت منه يجب ان يعوض عنه برأسٍ مما يولد من ذلك القطيع . واما الشجر والكرم فيجب عليه ان يعوض عما يبس منها

(٣٩) ما يجد المرء في ارضه من كنزٍ فهو له بحكم العاهل أدريان . وكذا الحكم اذا وُجد الكنز اتفاقاً في مكان وقفٍ او دينيٍّ . اما الكنوز الموجودة اتفاقاً في ارض الغير فنصفها لمالك الارض والنصف الآخر للواجد

(٤٠) تملك الاشياء ايضاً تبعاً للشرع الطبيعي بالتسلّم

(٤١) الاشياء المبيعة والمسلمة يملكها المشتري متى اراد البائع

(٤٢) اما تسليم المبيع فلا فرق بين ان يكون من المالك نفسه وبين ان يكون برضاه على يد ثالث

(٤٣) قد تكفي ارادة المالك لانتقال الشيء عن ملكه بلا تسليم

(٤٤) من باع بضائع مودعة في مخزن تصير ملك الشاري حين يسلم مفاتيح المخزن

(٤٥) كلما اراد المالك فله ان يحوّل ملكه الى اي كان ولو غير معينٍ (١)

(٤٦) ينتج من ثمّ أنّ من قيد شيئاً قد تركه صاحبه صار للحال مالكه

(٤٧) انّ ما تطرحه عند هبوب العاصفة خارج السفينة تخفيفاً يبقى على ملك اصحابه وهذا كما يظهر لا يختلف كثيراً عن الاشياء التي تسقط من العجلة ماشية من دون علم أصحابها

الفصل الثاني في الاعيان والحقوق

الاعيان ما يمكن لمسها كالعقار والعروض . واما الحقوق فليست كذلك وانما هي أمورٌ معنوية كحقّ المرور وحقّ حبس الرهن (٢)

(١) في الفقه الاسلامي من القى ماله على الطريق وقال جعلته لمن وصلت اليه يده ملكه من وصلت اليه يده (٢) حقّ الشيء تبعٌ له كالطريق والشرب (حاشية ابن عابدين)

الفصل الثالث في عبودية التركة (اي ما على التركة من الحقوق)

حقوق التركة العقارية هي الممرّ وهو حقّ المرور بالرجل ذهاباً واياباً من دون حيوانٍ ولاعجلةٍ . والطريق وهو حق المرور بدابة او عجلة والسبيل وهو حق السير والجولان والقناة (الترعة والساقة) وهو حق اجراء الماء في ارض الغير

(١) الحقوق على التركة العقارية في المدن المتعلقة بالابنية . وهذه كالتزام الجار أن يحمل بناء جارهِ على بنائهِ . وكحق ادخال جائزٍ (عرق) في جدار الجار أو وضعهِ عليهِ . وكالتزام الجار ان ينصبَّ ماء سطحهِ او ميزابهِ في دارهِ او في ميزابهِ . وكحق أن يمنع كل احد عن ان يرفع بناءه ويضرَّ بضوء جارهِ [١]

(٢) في جملة الحقوق على التركات العقاريَّة اغتراف الماء وسقي القطعان من الموارد والرعي وعمل الجص واستخراج الرمل

(٣) لايتأتى لأحد ان يكون لهُ حقٌ على تركة عقارية في المدينة او في الحقل ان لم يكن لهُ عقارٌ موروثٌ

(٤) من يرد ان يقرّر حقاً لمنفعة جارهِ فعليهِ ان يقرّر ذلك الحق بوثائق وبشروط . ويصح ان يقرّرهُ بكتاب الوصية

الفصل الرابع في الاستغلال

الاستغلال [٢] حق استعمال مال الغير والانتفاع بهِ مع المحافظة على عينهِ

(١) متى أُريد منفعة شخص من باب الاستغلال بدون وصية وجب ان يكتب في ذلك وثائق وشروط

(٢) ليس الاستغلال مخصراً في الارض والبيوت بل يجري في العبيد والدواب وسائر الاشياء الاَّ ما يهلك بالاستعمال على ان مجلس الشيوخ قد حكم لاجل المنفعة ان تكون تلك الاشياء معدَّة للاستغلال لكن بشرط ان يكون للوارث كفالة متينة . وانهُ عند موت المستغل او تغيير حالتهِ يجوز لهذا الوارث ان يستوفي مبلغاً من المال يساوي اغلى قيمة لهذه الاشياء

(٣) ينتهي الاستغلال بموت المستغل وبتغير الحالة الكبير او المتوسط و باستعمال الشيء

---

(١) وفي الفقه الاسلاميّ لا يمنع احد من التصرف في ملكهِ ابداً الاَّ اذا كان ضررهُ فاحشاً والضرر الفاحش كلُّ ما يمنع الحوائج الاصلية فهذا يدفع بأيّ وجهٍ كان ، راجع حقّ المعاملات الجوارية في المجلة وغيرها ،

(٢) اعلم ان الاستغلال يشبه الاجارة من حيث التمتع بالمنفعة مع بقاء الدين على ملك صاحبها ومن حيث الانقضاء عند انتهاء مدةٍ محدودةٍ ويخالفها من وجوهٍ كما ترى ذلك بمقابلة البابين

في غير ما قصد بهِ . ويمضي اجل معين . ومتى تركهُ المستغل للمالك . ومتى هلك البناء بالحريق او سقط بالزلزلة او بوهن فيهِ

(٤) يزول الاستغلال بالمرَّة عند ما يرجع الى المالك

الفصل الخامس في الاستعمال والسكنى

ان الاسباب التي يتمُّ بها الاستغلال يتمُّ بها الاستعمال ايضاً . وهو يزول بالاسباب التي بها يزول الاستغلال

(١) ان حق الاستعمال أضعف من حق الاستغلال

(٢) من لهُ حق استعمال ارض فيعتبر ان ليس لهُ منها الاَّ أخذ البقول والثمار والازهار والعلف والتبن والحطب سداً لحاجاتهِ اليومية . ولا يؤذن لهُ ان يقيم بهذه الارض الاَّ مدةً من الزمن لا يضايق فيها المالك ولا من يقومون بأعمال الحقول . وليس لهُ ان يؤجر ولا ان يبيع ولا أن يسمح بما لهُ مجاناً لاحد كائناً من كان . وأما من لهُ حق الاستغلال فيجوز لهُ كل ذلك

(٣) من لهُ استعمال بيتٍ فليس لهُ الاَّ ان يسكنهُ هو نفسهُ . وغاية ما يسمح لهُ بهِ ان يقبل عندهُ ضيفاً (١)

(٤) من لهُ استعمال عبدٍ فلهُ وحدهُ ان ينتفع بعمل ذلك العبد وخدمتهِ وكذا الحكم فيما يتعلق باستعمال حيوانٍ

(٥) اذا أُوصي لشخص باستعمال قطيع من الغنم او بعض خراف فللمستعمل ان يدمل حقلهُ ويسمدهُ من بعر القطيع

(٦) متى أُوصي بالسكنى لشخص او عينت لانتفاعهِ يظهر انها تجعل حقاً معيناً خصوصياً فنأذن نحن والحالة هذه في اجارة البيت لثالث حتى ولو كان الحق حق سكنى

(٧) قد ذكرنا على وجه الاختصار اسباب التملك بحسب شرع الأمم فحان لنا ان نذكر اسباب التملك بحسب الشرع المدني

الفصل السادس في التملك والاستغلال بمرور الزمان

انهُ بحسب قواعد الشرع المدني من يشتري بالنية السليمة شيئاً من غير مالكهِ معتقداً انهُ ملكهُ او ممن كان قد تملكهُ بسبب آخر عادلٍ فيصير ذلك الشيء ملكاً لهُ ان كان منقولاً

(١) في الدرّ المختار « ليس الموصى له بالخدمة او السكنى ان يؤجر العبد او الدار » عن باب الوصية بالخدمة والسكنى والثمر

بعد سنة في كل وجهٍ من البلاد وان غير منقول فبعد سنتين . لكن يشترط ان يكون الشيء المذكور في ارض ايطاليا وذلك حتى لا يبقى التملك لغير معين [١]

واما نحن فقد وضعنا حكماً أوفق ولنا على هذه المادة المذاعة رسمياً قانون اساسي بمقتضاه لا يجوز تملك الاشياء المنقولة الأ بعد ثلاث سنين . والاشياء الثابتة الا بمرور الزمان . فتملك الاشياء بهذا الوجه يكون مبنياً على تملك بسبب صحيح [٢]

(١) اذا امتلك حرٌّ او وقف او شيء ديني او عبد ابق فتملك هذه الاشياء لا يكون مقرَّرًا مهما مرَّ عليها من الزمان

(٢) الاشياء المسروقة والمغصوبة لا يصح ان تمتلك بوضع اليد حتى ولو مضى عليها الزمان وحتى لو كان التصرف فيها بنية سليمة [٣]

(٣) اما تلك الاشياء فلا يملكها اللص ولا الغاصب ولا يصح تملكها لشخص آخر بخلاف ذلك [٤]

(٥و٦و٧) اذا وضع شخص يده على موضع خالٍ بدون غصب امتلكه هو نفسه بنيةٍ سليمة . مع ذلك اذا تحول هذا الملك الى آخر وقبله بنيةٍ سليمة فلهذا الآخر ان يمتلكه بمرور الزمان

(٨) الشيء المسروق والمغصوب قابل لان يتملك اذا ردّ الى صاحبه

(٩) املاك الدولة غير قابلة للتملك بوضع اليد

(١٠) من المعلوم انهُ يجب ان يكون الشيء خالياً من العيب حتى يكون قابلاً لأن يتملكه المشتري بنيةٍ او المتصرف فيه بايما وجه آخر عادل

(١١) الخطأ المبني على سبب باطلٍ لا يحصل عنهُ التملك بوضع اليد

(١٢) وضع اليد زماناً اذا كان قد ابتدئ بفائدة للمتوفى يستمر لوارثه وللمتصرف في الأملاك حتى ولو علم أن تركة المتوفى ملك غيره لا ملكه

(١٣) في قانون زينون تحوُّط لمن تملكهم الدولة شيئاً فكانوا يملكونهُ للحال باطمئنان

---

(١) نقل عن بعض الحنفية ان الحرام لا يتعدّى ذمتين غير ان هذا محمول على ما اذا لم يعلم بذلك اما لو رأى المكاس ياخذ من احد شيئاً من المكس ثم يعطيه آخر ثم ياخذهُ من ذلك الآخر آخر فهو حرام (الدرّ المختار) (٢) المراد انهُ لا تسمع الدعوى عليه من رجل آخر (٣) هذا تفريق بين ما يقع بالمبادلة المالية وبين ما لا يقع بها كما هنا (٤) وذلك كما لو كان المال بيد السارق ولم يعلم مالكهُ فباعهُ الحاكم ملكهُ المشتري كما في الفقه الاسلامي

ضمير ويخرجون في كل المحاكمات غالبين سواء كانوا مدّعين او مدعى عليهم · ومع ذلك يؤذن للمدعين ان يقيموا

الفصل السابع في الهبة

الهبة نوعان هبةٌ بسبب الموت · وهبةٌ بدونهِ

(١) الهبة بسبب الموت اي التي تصدر عن الوارث متصورًا الموت · هي اعطاء شيء لآخر بنيَّة ان يتركهُ لهُ اذا توفي المعطي . وبنية ان يستردهُ اذا نجا من خطر الموت او اراد الرجوع عن هبتهِ او توفي الموهوب لهُ · اعلم ان ما يقع من الهبات بسبب الموت مشابه للوصيَّة كل المشابهة

(٢) الهبات غير المتسببة عن تصوُّر الموت هي الهبات بين الاحياء وهي تتم متى صرح الوارث بارادتهِ · وفي بعض قوانيننا الاساسيَّة انها تتم بالقبض .[1] ان شروط القوانين القديمة تقتضي ان يدخل في الصكوك العمومية للهبات بين الاحياء ما يزيد على مائتي صوليد[2] وأما قانوننا فقد اصعد هذه الكميَّة الى خمسمائة صوليد

من المعلوم انهُ اذا وجد أُناس ينكرون جميل الواهب فقد سوَّغنا لهُ لأسباب صحيحة ان يرجع في الهبة[3]

(٣) ان للهبة بين الاحياء نوعًا آخر يقال لهُ " السابق الزواج " ومن شروطهِ أَنهُ لا يتم الا بعقد الزواج · أما نحن فقد حكمنا أَنهُ كما ان المَهْر يصح ان يزاد وان يعين وقت انعقاد الزواج حكمنا ايضًا ان هذه الانواع من الهبات يصح ان تقع او ان يضاف اليها زيادة قبل الزواج او عند الزواج

الفصل الثامن فيمن لهُ حق البيع وفيمن ليس لهُ

من ذوي الاملاك من لا يحقُّ لهم ان يبيعوها · · ومنهم من يحق لهم ذلك بحسب شريعة جوليا

ليس للزوج ان يبيع بلا رضا امرأتهِ الأَرض التي أُخذت مَهْرًا ولو كان الزوج مالكًا

---

(١) وفي القواعد الكلية «لا يتمُّ التبرُّع الاَّ بالقبض» فاذا وهب احدٌ شيئًا لآخر لا تتمُّ الهبة قبل القبض

(٢) الصوليد نقدٌ من النقود الرومانية يساوي ١٢ دينارًا رومانيًا (٣) في الفقه الاسلامي للواهب الرجوع في الهبة ولكنهُ مكروهٌ قال النبيُّ العائد في هبتهِ كالعائد في قيئهِ · ويمنع من الرجوع فيها خمسة امور خروج الهبة عن ملك الموهوب لهُ · وموت احد المتعاقدين · وزيادة متصلة واخذ الواهب عوضًا عنها · وكون الموهوب لهُ ذا رحم محرم منهُ نسبًا كما في كتب الفقه كافةً

تلك الارض المعطاة مهرًا . واما نحن فقد عزرنا هذه القاعدة وحكمنا بأن بيع الأرض المأخوذة مهرًا باطل ولو برضاء الزوجات وكذلك رهنها

(١) اما الغريم الدائن فبالعكس فبق وجد عهد جاز له بيع الرهن ولولم يكن في ملكه (١)

(٢) ليعلم ان القاصر والقاصرة لايجوز لهما أن يبيعا شيئًا من دون اذن الوصي

الفصل التاسع في الاشخاص الذين يكسب بهم المرء لنفسه

أن تكسب لنفسك بذاتك . وبمن هو تحت ولايتك . وبالعبيد الذين لك أخذ كسبهم وبالأحرار وبعبيد الغير الذين ملكتهم بنية سليمة

(١) ان ما يكسبهُ الأولاد بشيء الاب فهو له برمته . واما ما يكسبهُ ابن البيت لأجله بسائر الوجوه الأخر فللأب الانتفاع بغلته وللابن ملك عينه

(٢) قد قرّرنا انهُ في مقابلة التحرير يحبس الاب من الاملاك على الابن نصف حق الاستغلال عوضًا من ثلث الملك

(٣) انت تكسب كل ما يقبضهُ عبدك بالتسلم او باي سبب كان . واذا أُقيم عبدك وارثًا فليس له ان يستلم الميراث ما لم تأذن له انت في ذلك

(٤) أما العبيد الذين لك عليهم حقُّ الاستغلال فبرضينا ان نحكم ان كل ما يكسبونهُ بشيئك او باشغالهم فهو مكسوب لك وان بسائر الوجوه لصاحب الملك وهذا ايضًا حكم كل ما نتصرف فيه بنية سليمة

(٥) ينتج مما قلناهُ ان المرء لا يكسب شيئًا بشخص اجنبي مع ذلك قد تقرّر ان لك ان تكسب علمت او لم تعلم بواسطة الاحرار تصرّفًا وبهذا التصرّف تملكًا او تسلطًا

الفصل العاشر في صور كتاب الوصية

انما قيل له كتاب الوصية لأنهُ شهادة الارادة

(١ و ٢ و ٣) قد أمر أنّ كتاب الوصية يكتب في جلسة واحدة بحضرة سبعة شهود وان يكتب هؤلاء الشهود فيه توقيعهم ويختموه بخواتمهم

(٤) قدضمّ الى هذا القانون وجوب كتابة اسم الوارث

(٥) للشهود كلهم ان يختموا كتاب الوصية بخاتم واحد

(١) في الفقه الاسلامي لا يباع الرهن الا بتراضي الراهن والمرتهن . ولكن اذا وكل الراهن المرتهن او غيره لبيع الرهن عند حلول الدين فالوكالة جائزة لأن الرجل وكل بيع ماله . فان شرطت في هذا الرهن فليس للراهن عزله لها فان عزله لم ينعزل وكذا ان مات الراهن لم ينعزل

(٦) يصحُّ ان يستشهد في كتاب الوصية لكن لا يصحّ استشهاد المرأة ولا القاصر ولا العبد ولا المجنون ولا الاخرس ولا الاطرش ولا المحجور ولا من نصّت الشريعة على عدم أهليتهم للايصاء

(٧ و ٨) اذا كان ابٌ أو أخوان تحت سلطةٍ واحدةٍ يصحُّ اقامتهم شهودًا في وصيةٍ واحدةٍ

لا يجوز ان يُنظم في عداد الشهود من هو تحت ولاية الموصي

(١٠) ولا الوارث المسجّل اسمهُ ولا من هو تحت ولايتهِ ولا أبو من هو تحت ولايتهِ ولا الاخوة الذين هم تحت ولاية هذا الاب. فهؤلاء كلهم لا يصحُّ استشهادهم

(١١) اما الموصي لهم والمستودعون فبما انهم ليسو ورّاث الحق وكذلك المتصلون بهم بالقرابة فنأذن في استشهادهم في كتاب الوصية

(١٢) لا فرق ان تكتب الوصية على صفائح او على الورق او على الرقّ او على مادة أُخرى مما يمكن ان يكتب عليهِ

(١٣) يصحُّ ان يكتب للوصية الواحدة عدة نسخ

(١٤) من اراد ان يوصي بلا كتابة كتاب بحسب قواعد الشرع المدني فعليهِ ان يجمع سبعة شهود [1] ويصرح في حضرتهم بارادتهِ فيكون بهذه الوسيلة قد اطمأنّ انهُ اوصى وصيةً شرعيةً

الفصل الحادي عشر في وصايا الجنود

ان رسوم الايصاء التي يجب مراعاتها يعفى منها الجنود وهم في الغزو حيث تعتبر وصيتهم شرعية بايما صورةٍ صرّحوا باراداتهم الاخيرة

(١) مع ذلك لا يعدُّ كتاب وصية الجندي شرعيًّا ما لم يثبت قبل ان الوصية قد وقعت

(٢) يحقُّ للجندي الاخرس والاصم أن يوصيا

(٣) لا يجوز للجندي ذلك الاَّ اذا كان في الخدمة او في المعسكر

بيروت سعيد الخوري الشرتوني

(١) نصاب الشهادة على الوصية في الفقه الاسلاميّ كنصابها في سائر الحقوق فتقبل فيها شهادة رجلين او رجل وامرأتين

جبل المصايب

(المقتطف) من غريب الاتفاق انهُ وصل الينا في العام الماضي مقالتان في موضوع واحد الواحدة من سوهاج وتاريخ ارسالها الينا غرة ابريل والثانية من لبنان وتاريخ ارسالها الينا ١١ نوفمبر. والمقالتان متفقتان في موضوعها مختلفتان في اسلوب البحث فيهِ الاولى مترجمة ترجمة والثانية مبنيَّة على الاساس الذي بنيت عليهِ المقالة الاولى وها نحن نوردها معاً لما فيها من الفائدة والفكاهة

(١) جبل المصايب

قرأت منذ ايام مقالة لاديصن الكاتب الشهير تحت عنوان جبل المصايب فآثرت تعريبها وارسالها الى مجلتكم الفيحاء لتدرج فيها وهي :

قول لسقراط مشهور وهو " اذا جمعت مصايب الناس الى مكان واحد لكي تقسم عليهم بالتساوي فالذين يعدون انفسهم اشد الناس شقاء واكثرهم نكداً يفضلون نصيبهم الاول على ما ينالهم بهذه القسمة " وذهب هوراس الى ما هو ابعد من ذلك فقال " ان الآلام والمصايب التي ننوء تحتها اخف علينا مما لو ابدلناها بمتاعب غيرنا اذا امكن الابدال "

بينما كنت ملقى على كرسي اتأمل ما حوت هاتان العبارتان من بديع المعنى وجميل المبنى ران جفني الكرى فرأيت جوبتر ينادي الناس قائلا تعالوا يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال واطرحوا اثقالكم في هذا المتبسط الفسيح الذي اعد لذلك . فوفد الناس زرافات ووحداناً بعضهم وراء بعض وطرحوا اثقالهم حتى تكونت اكمة من المصايب كادت تناطح السحاب ثم ظهر شبح امرأة عليها سيمة الاهتمام بهذا الاحتفال في احدى يديها مرآة معظمة وهي مرتدية ثوباً واسعاً رسمت عليهِ اشكال المردة والشياطين . وكلما هزت الريح هدب ثوبها تناثرت منهُ ازياء مختلفة كانهُ خيال الظل يمثل جيشاً من الناس يترامون من كل فج سحيق . وكانت هذه المرأة واسمها الاهة الوهم ترسل نظرات حادَّة متقلبة كأن بها مسّاً او خبالاً . ثم جعلت تقود الناس الى الموضع المعين لطرح الاحمال والرزايا وهي تساعدهم على حملها بجد ونشاط . وما طرح الناس مصايبهم عن كواهلهم حتى ذابت احشائي لما رأيت مقدارها الهائل

رأيت رجلاً يحمل صرةً وهو يخبئها تحت ثوب عتيق حتى اذا وصل الى الساحة رمى بها فاذا هي الفقر . ورأيت آخر يمشي وهو يحمل شيئاً ثقيلاً رمى بهِ وسار فنظرت اليهِ واذا هو امرأتهُ

ورأيت قتلى الحب وأسرى الغرام يسيرون الهوينا ونار الهوى تتأجج في افئدتهم ودموع الشكوى تنحدر على وجناتهم فتزيد نيرانهم اشتعالاً ولما وصلوا الى جبل المصايب تنهدوا وفاضت دموعهم وصغرت نفوسهم لكن لم تسمح خواطرهم بطرح اسباب محنتهم بل هزوا رؤوسهم وعادوا ادراجهم يحملون احمالهم كما جاءوا بها مفضلين الالم المقيم على ترك الحبيب

ورأيت جمعاً من العجائز رمين غضون الوجه وسمرة الجلد . ورأيت كومة كبيرة من الانوف الحمراء والشفاه الضخمة والاسنان السوداء ودهشت لان اكثر ما كنت اراه من عيوب الخلقة . ثم رأيت رجلاً يسير الهوينا وعلى ظهره حمل اثقله فرماه عنهُ وعاد جزلاً مسروراً فنظرت واذا ما رماهُ حدبة كانت في ظهره

ورأيت اشكالاً متنوعة من سوء الخلق ورداءة الطباع تفوق الحصر والعد . ومما يستوقف النظر بينها ويزيد الاسى ان داء الحقد والضغينة كان اعم من كل شيء سواه

هنا يقف القارئ مدهوشاً اذا قلت لهُ اني لم اجد رذيلة واحدة طرحها صاحبها عنهُ ولا جهالة من الجهالات الكثيرة . وقد زادت دهشتي وعظم استغرابي لان الوقت كان وقت التخلص من الرذائل والمفاسد ومع ذلك لم يلتفت احد الى طرحها عنهُ

ومما يدل على ان الاحمق عبد لشهواته اني رأيت فتى حاملاً ديونهُ فلم يطرحها عنهُ بل طرح خسائرهُ وآخر طرح ادبهُ بدل جهالته

ولما اتمَّ الناس طرح اثقالهم التفتت المرأة اليَّ ورأتني متكاسلاً عن الدنو من الساحة فاقتربت مني ووضعت مرآتها المعظمة امام عيني وأرتني وجهي فيها وقد تحوَّل الى وجه قزم ازعجني مرآهُ وثقل عليَّ قبحهُ . ولاختلال التناسب في تقاطيعه ساء خلقي وقبحت ملامحي لحسرتهِ عني كمن حسر نقاباً واتفق ان انساناً كان واقفاً الى جانبي لهُ وجه طويل تكاد ذقنهُ تفوق وجهي كلهُ فلما رآني طرحت وجهي عني النقطهُ ولبسهُ بدلاً من وجهه فلبست وجههُ بدلاً منهُ

ورأيت الناس وقفوا حول جبل المصايب وقد خلا كل منهم من مصايبه وجعلوا ينظرون الى ما فيه ويتمنى كل واحد منهم ان ينال شيئاً منها

ومرَّ جوبتر عليهم وهم محدقون الى تلك المصايب واباح لهم ان ينتقي كلٌّ منهم ما يحلو في عينيه منها وجعلت الاهة الوهم تهتم بمساعدتهم على انتخاب ما يريدونهُ وتحمّل كلاً منهم حملهُ الجديد فرأيت شيخاً وقوراً كلَّل الشيب ناصيتهُ طرح عنهُ صفرة وجهه وجعل يطلب بدلاً منها وريثاً يرث املاكهُ المترامية الاطراف ورأى اباً غاضباً رمى ابنهُ ليتخلص منهُ فبادر اليه والتقطهُ حاسباً انهُ اصاب مغنماً . وما سار الابن العقوق مع هذا الشيخ البار قيد باع حتى

امسك بلحيتهِ وجعل بدلاً منهُ نصرخ الرجل مستغيثاً بابي الفتى لكي يعيد اليهِ صفرتهُ ويأخذ ابنهُ
رأيت زنجياً طرح عنهُ قيود العبودية واستبدلها بداء النقرس فكان كالمستجير من الرمضاء
بالنار . واموراً اخرى كثيرة من هذا القبيل فمن رجل استبدل مرضاً بفقر او سوء الهضم
بالجوع او الالم بالهم ونحو ذلك مما يطول شرحهُ

وكان النساء يتقايضن اشياءهن فواحدة تطرح عنها شعراً بزغ فيهِ فجر المشيب
وتستبدلهُ ببزة حقيرة واخرى تستبدل كتفاً مستديرة بخصر قصير وثالثة تبدل صيتاً قبيحاً بوجه
مشوه ولكن لم أرَ واحدة ابدلت عيباً بعيب اقل منهُ قبحاً

ولقد اخذتني الشفقة على الرجل الاحدب الذي اختار وجهاً صبوحاً بدل حدبتهِ فان الوجه الصبوح
كان مصحوباً بحصاة في المثانة . وعطفت على الرجل الذي ساومهُ هذه المقايضة وخرج يتسكع
وكفاهُ فوق رأسهِ والنساء ينظرن اليهِ ويضحكن عليهِ

اما انا فان صاحبي ذا الوجه الطويل الذي اخذ وجهي القصير ظهر فيهِ بشكل مضحك
فكنت اضحك حتى الحص الارض برجلي كما نظرت اليهِ ولما رآني كذلك تولاهُ الخجل .
ومددت يدي لالمس وجهي فلمست شفتي العليا ولطمت يدي انفي اكثر من مرتين وانا اجيلها
على وجهي فعلمت انني زدت قبحاً على قبح

والخلاصة انهُ ما تفرَّق جبل المصايب على اولئك الناس حتى سمعت التذمر والبكاء والعويل
من كل الناس ورايتهم يفضلون العود الى حالتهم الاولى فتحنن عليهم جوبتر وسمح لهم ان
يطرحوا ما اخذوهُ ويستردوا ماطرحوهُ فابرقت امريتهم واختفت الاهة الوهم وظهرت الاهة اخرى
تلوح على وجهها سماء السكينة والهدو وهي الاهة الصبر ولما ظهرت القت نظرها على تلك المصايب
المشتعلة فبدأ لهيبها يخمد وثورتها تسكن فطيبت القلوب المتكسرة واعادت الى الناس مصايبهم
الاولى وعلمتهم احتمالها فرضخ كل انسان لحكمها وحمل حملهُ شاكراً . انتهى باختصار قليل

جبره تاوضوروس

(٢) جبل التعاسات

ان من ظنون سقراط المأثورة والمشهورة " ان لو جمعت كل تعاسات بني آدم الى
مستودعٍ عمومي ربثما يصير توزيعها على الناس على اختلاف طبقاتهم لظهر حينئذٍ ان من
ظنوا انفسهم اشقى ابناء جنسهم يختارون البقاء على ما قسم لهم من البؤس عند ما يرون ما
يصيبهم منهُ لدى التوزيع "

وقد توسع هوراس في ذلك وقال " ان ما نكابدهُ من المصايب نراهُ اخف حملاً مما يكابدهُ الغير لو عرضت علينا المقايضة فيها "

بينما كنت اتأمل فيما قالهُ هذان الفيلسوفان وانا جالس على كرسي ومتكئ على احد مساندهِ رانت على جفوني سنة الكرى فحلمتُ اني واقف في حضرة جبار السموات تطوف بهِ الاملاك ملائكة وملكات ثم رأيت ماردًا طول احد المذنبات ينفخ في بوقٍ يهز صوتهُ الارضين وعلى يمينهِ غانية لا يتصور العقل اجمل منها طلعة لكن على جبينها من الاسرَّة والغضون مادلَّ على انها كالحت في عمرها نوب الايام تعبس في وجههِ حيناً وتبسم لي احياناً. فتقدمت خطوة اليها اريد الاستفهام عن مغزى ما ارى فقالت قبل ان افوه بكلمة لا تسأل ان المقام رهيب عليك بالصمت لكن لك عليَّ ان ادلك على ما تريد الوقوف عليهِ وانا اسمي الصبر ثم اشارت الى المارد وقالت لهُ اذا كان لابد فانفخ بصورك وادعُ البشر قاطبةً رجالاً ونساء من ابن خمسة عشر حولاً الى ما ينتهي اليهِ عمر الانسان الى بطحاء امتدت امامي كلمح البصر خلتها تسع الارض وما عليها ادعهم لكي يأتي كل منهم حاملاً مصيبتهُ وما يشكو منهُ ويلقي بما حمل في وسط تلك البطحاء فلما صدع بامرها لم ارَ الأَّ وقد ثار الغبار وانتشر العفار في مسالك الارض وطرقاتها وبين شعاب الجبال وفجاجها من وطء اقدام المدعوين ولفظ البحر ما على ظهرهِ من فلك ملأى بالملاحين حتى خلت إطباق الحشر ورحتُ اصوب الطرف واصعدهُ لارى اين ينصب الميزان فاذا بكل قادم الى وسط تلك البطحاء التي يحمل مصابهِ او عاهتهِ او نكبتهِ بعضها بشكل حزمة والبعض بهيئة كتلة منها كبير يتمعج او طويل يتلوى ومنها ما كاد حاملهُ يرزح من ثقلهِ او هو صغير لا يتجاوز حجمهُ قبضة اليد. ورأيت بينها فقاقيع كأنها لا تحوي غير هواء سارحٍ الى غير ذلك من ضروب الاحمال حتى اصبح المستودع جبلاً شاهقاً حلقت قنتهُ عنان السماء. فلبثت انتظر ما سيكون واذا الحجاب انشق في طرفٍ من السماء وبرزت منهُ عجوز حيزبون تتوكأ على افعوان ارقش ويتدلى على صدرها قلادة من العقارب وعليها مرط او غلالة مطرزة بصور عاهات الناس وبلاياهم لكن في وسط كل صورة من هذه الصور نقطة برَّاقة تنبئ عن وجود رسيس الامل بالنجاة او بالشفاء. فاجفلت لرؤياها وقلت لربة الصبر الواقفة على كثبٍ مني ومن تكون هذي فاشارت رمزًا وايماء الى انها ربة الرزايا وطاغية الناس الكبرى حتى اذا ما وصلت الى سفح جبل التعاسات المتكون منذ لحظة من مصائب الناس وقفت وحولها اعوان وجلاوزة بينهم مندوب رفيع الشأن ينوب عن الجبار الاعلى. ثم نفخ البوق فجاء الناس اليها شيوخاً وكهولاً وشباناً وصبية ذكورًا واناثاً زوجاً زوجاً لحاقاً تباعاً بعضهم وراء

بعض دون ازدحام او تشويش لا كما فعلوا عند القائهم مصايبهم في المستودع العمومي اذ جعلوهُ لشدة لهفتهم وعجلتهم طوداً شاهقاً مشوش المندام وغير مستوي الاطراف. فاطاع الناس الامر ومشوا كما امرت ربة الزرايا الى ان بلغ الزوج الاول موقفها فاخذت تسأل الواحد ثم تسأل الآخر عما احتوتهُ وديعتاهما اللتان القياهما في المستودع المسمى بجبل التعاسات فيقول الواحد مصيبتي داء عقام صاحبني العمر وما عرفت لهُ دواء ويقول الآخر بليت وانا يافع بالفقر المدقع مفترشي الارض ابيت كل ليلة طاوي الحشى. فتقول ربة الزرايا وهل لكما في مقايضة هذي الاحن فيقولان ذلك ما نبغي فتشهد اذ ذاك عليهما مندوب الجبار الاعلى ومن احاط بها من الجلاوذة وتصرفهما وكل منهما لابس رزية الاخر. ثم يؤتى اليها بالزوج التابع فتسألهُ كما سألت من تقدم فيقول الواحد العقم في الذرية والآخر كثرة الاولاد فتصرفهما وقد تبادلا ما يشكوان منهُ. ثم يصل الزوج التالي فيشكو الواحد من حدبة على ظهرهِ والآخر من اتب على صدرهِ فيذهبان بالحدبة موضع الاتب وبالاتب موضع الحدبة ثم يؤتى بالزوج اللاحق فيقول الواحد شكايتي من زوجة غيور ويقول الثاني من زوجة سكرى فيذهبان كما ذهب السابقون كل يحمل زوجة الآخر ثم يجيء بالتابع فيقول الواحد مصيبتي ولد عقوق و يشكو الآخر حرمانهُ من الاولاد فينصرفان وقد حل الواحد محل الآخر وهلمَّ جرًّا زوجاً زوجاً من اصحاب المصائب والشكايات الذين لم استطع تعدادهم وقد رأيت بينهم كثيرين من اصحاب المناصب العالية يتقايضون الشكايات من اخس الصعاليك

حتى اذا اتمت ربة الزرايا توزيع ما اودع على جبل التعاسات بطريقة المقايضة بين المبتلين الشاكين وتمهد الجبل كانهُ لم يكن وهمت مع رهطها بالانصراف ارتفع من جانب ساكني الارض جلبة نوح وعويل كادت توقظني من حلمي او تقيم الاموات من قبورها فامسكت ربة الزرايا مع رهطها عن المسير وسألت من المارد المبوق عن سبب الانين والصيحات المزعجات فقال ان المتقايضين ندموا على ما فعلوا و يريدون الرجوع عن المبادلة و يطلبون العودة الى العاهات والرزايا والمصايب والبلاوى التي كانوا عليها فقالت نادهم بصورك ان يجيئوا الينا كما ذهبوا ازواجاً كي نستقصي منهم عن اسباب النكول فنفخ المارد وما عتمت حتى رأت اقبال الناس لكن على خلاف ما كانوا عليهِ من الرضى والاستبشار يوم جاؤوا باحمالهم الى جبل التعاسات وظنوا ان التوزيع والمقايضة بالمصائب خير لهم من البقاء عليها. فلما وصل الزوج الاول وحظي بالمثول لدى ربة الزرايا سألت احدهما وكان قد آثر الفقر المدقع على الداء العقام وقالت ما سبب ندمك على ما اخترتهُ امامي برضاك فقال مولاتي لم اعلم اني

خلقتُ أَلوفًا لو رجعتُ الى الصبا　　لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

فلا خفي عن علومك ان المصاحبة الطويلة الامد ولو مصاحبة داء السرسام لقد توسع في صدر الانسان محلاً للالفة عليهِ فشفائي منهُ وانغماسي بالفاقة والاملاق صفقة واحدة ودن تمهيد او تعويد حملاني على انكار البدل والبديل هذا وقد كان لي من دائي شاغلاً الهو بهِ عن غيرهِ من كوارث الحياة لاني

الفت السقم حتى صار جسمي　　اذا فقد الضنى امسى عليلا

وكان لي كما تعلمين رسيس امل بالشفاء منهُ فلهذا اطلب اليك لطفًا وكرمًا اعادة دائي اليَّ بلا تريثٍ او امهال . فادارت وجهها ثم سألت الآخر وهو الذي رضي بالداء العقام بدلاً من فقرهِ المدقع وقالت لهُ ما الذي حملك على النكول فقال وان كنت فيما مرَّ من عمري معدمًا من كل ملاذ الراحة في الحياة مطرودًا من الناس معذبًا برؤية ما لا استطيع الوصول الى اقل شيء منهُ انام طاوي الحشى ينهشني الجوع وبلفحني الحر او يبرأني البرد ولا فراش لي غير السماء الاَّ انهُ كان لي عزاء واحدٌ لم اجدهُ في الداء العقام الذي اعطيتهُ وذلك اني كنت استبيح ما يستبيحهُ المترف امترفه وكنت اعلل النفس بالعثور يومًا على كنز مخبوء ينهض بي الى رتبة المنعمين فلهذا ارجو منك ارجاعي الى فقري مهما كان شديدًا . فادارت الحاظها قائلة لقد سجلت مقايضتكما ولا يمكن الغاؤُها فاذهبا عني فذهبا يعولان بالبكاء

ثم جيء اليها بزوج آخر فسألت احدهما وكان قد اختار كثرة الاولاد على ما كان لهُ من العقم فقال كان همي ونكد عيشي من العقم لعلمي باني لا اخلف من يبقي لي ذكرًا بين الناس وكنت وانا فيهِ لا ابالي ولا احفل بمال اكسبهُ لعلمي انهُ لا يكون موروثًا بعدي لولد من لحمي ودمي فلما استبدلتهُ وولدت ما شاء القدر من الاولاد وكنت كما لا يخفاك غير معتاد تربيتهم لقضائي معظم العمر محرومًا منهم الفيتُ السهر عليهم وتمريضهم والتوجع لاوجاعهم اشد ما ينكب بهِ الانسان في هذه الحياة ثم عرفت ان ما كنت اؤمل اذخارهُ ليكون ميراثًا لولدٍ من دمي اصبح من المستحيل الحصول عليهِ او الاحتفاظ بهِ لان ما اتكلفهُ من النفقة عليهم يستغرق كل ما ملكت او املاك حتى صرت على وشك الهبوط واياهم في هاوية العوز فنصير عالةً على المجتمع الانساني فما كان اجدر بي يا ربة الرزايا لو بقيت باقي العمر عقيمًا آكل مريئًا واشرب هنيئًا واورث وانا في قيد الحياة من احب من الناس او اقوم بعمل خيري يخلد لي ذكرًا جميلاً . ثم سألت الآخر وقالت الست انت الذي اخترت العقم على كثرة الاولاد فما الداعي لرجوعك عنهُ الآن فقال لاني وجدتني بعد العناء بولادتهم وتربيتهم موحشًا منهم وطريدًا بعدهم في سبسب الحياة

وان ما انكرتهُ زمناً من هموم العناية بهم وما تحملتهُ من صلفهم ونزغات نفوسهم وما تجشمتهُ من النصب في اعالتهم صرت اراهُ الآن نعمة ذهبت بالنسبة لما اورثنيهِ الخلو منهم من الكآبة والحزن لاني صرت ارى نفسي كأني في قفرٍ لاانيس فيهِ اقل سراب املٍ يعللني بان اجد عند موتي من يغمض لي عيناً او يذرف على قبري دمعة. نعم ربما تقولين يا ربة الزرايا وما انتفاعك بعد الموت من ذلك اقول ان الوهم مابرح منذ الازل سائداً على عقول الناس ولعلك انتِ نفسك تستمدين معظم سلطانكِ منهُ. فقالت لها كما قالت لمن تقدم ان الرجوع عما قبلتما بهِ غير ممكن فذهبا يبكيان. ثم جيء اليها بالزوج التالي وكان احدهما قد اختار الاتب على الحدبة فقال ظننت الاتب اخف حملاً فاذا بهِ اثقل على صدري يمنعني بروزهُ من رؤية ما تحتهُ من جسمي ومن رؤية ما امامي على الارض فان بصقت فعليهِ واذا عانقت فجبل حائل بيني وبين المعانق واذا اضطجعت فعلى صدري هضبة لا تبت فيها. حالةٌ لا استطيع معها الحياة. فالتفتت الى الاخر الذي اختار الحدب على الاتب فقال من الجنون ان يضع الانسان على ظهرهِ جبلاً يرزح تحتهُ ابد العمر لا يتمكن معهُ من رؤية ما فوقهُ ويبقى محروماً من رؤية السماء وبهجتها ومن رؤية من يقابلهُ او يخاطبهُ ان مشى فمشي سلحفاة وان جلس فجلوس ارنب فارحمي حالي يا ربة الزرايا واقيلي عثرتي وردي اليَّ اتبي فقالت كما قالت لمن سبق لا مردَّ لما مضى

ثم أُتي الى حضرتها باثنين كان احدهما قد اختار الزوجة المدمنة الخمر على الزوجة الغيور فابتدرتهُ ربة الزرايا بقولها اني أراك شاحب اللون وفي وجهك اثر الخدوش قال نعم لاني فضَّلت مدمنة الخمر على الغيرى. قالت صف لنا حالك قال برحنا جبل التعاسات ومعي زوجتي الجديدة فسارت معي كانها خارجة من حانة لهو وطرب فقلت لها اقلّي الغناء والعربدة في الطريق فقالت ومن اقامك عليَّ رقيباً. وما دخلت داري حتى شرعت تفتش عن القناني والاكواب وتقول بئس الدار ان لم تحوِ ما يقصي الترح ويجلب الفرح ثم رفست اناء بديع الصنعة غالي الثمن لانها لم ترَ فيهِ خمراً فسحقتهُ وخرجت ثم عادت وفي يدها قارورة ملئها سلافة من عهد نوح اشترتها بنصف ثمن الدار. فقلت لها ارحمي فقري فاني لا املك غيرها فقالت وهل يغني السكن عن هناء الساكن ألا تعلم يا انذل الرجال ان السكر خير من الصحو في هذه الحياة. ولما انتهرتها على العربدة تناولتني بكفها وها اثر اظافرها في وجهي وعنقي فصبرت لعل الموت يريحني منها او يريحها مني. ثم قتلت ابنها الوحيد وهي سكرى فعيل صبري وخرجتُ اهيم على وجهي حتى اذا سمعت المصوت يدعو الناس هرولت اليكِ لكي تردي عليَّ زوجتي الاولى اذا كان لابد من زوجة

وجيء بالرجل الآخر فلما مثل في حضرة ربة الرزايا اخذ يلتفت يمنةً ويسرة خائفاً مذعوراً لئلا تكون زوجتهُ الجديدة آتية في اثرهِ . ولما هدأ روعهُ قال اليكِ يا مفرقة الرزايا اشكو من زوجة غيور ظننتها اخف وطأة عليَّ من زوجة سكيرة مسرفة فاذا هي اشد نكاية لان الاولى لم يكن سكرها متصلاً فكنت استريح في الفترات اما هذه فلا تغفل عينها عني لحظة لا نهاراً ولا ليلاً حتى اذا اردت المنام قالت لي حذار ان ترحِّب بالخيال الزائر. ولا اذكر اني افقت مرةً من الرقاد الاَّ قابلتني بوجه عبوس واحداق مزورة وهي تقول هل انست بطيف ياخائن ولا تزال تسبني وتشتمني الى ان اتم لبس ثيابي ولا ادري كيف البسها القميص على الرأس والحزام على الساق حتى اذا خرجت من الحجرة ارسلت ورائي من يتجسس امري او اقتفت خطواتي بنفسها وكثيراً ما تتنكر وتتبعني بازياء مختلفة واذا رأتني منفرداً قالت لي بمن تفكر الآن يا شيطان واذا رأتني مع قوم اشركتهم معي في السباب حتى اضطررتُ ان اغاضب صحبي واهل عشيرتي . وقلت لها مرةً قولي لي بربك اعن حبٍّ بي ما اراهُ من غيرتكِ . قالت كيف لا . قلت المحب يرضى لحبيبهِ ما يرضيهِ واراكِ على خلاف ذلك في اعمالكِ لانها تسوؤني وتحرمني لذيذ العيش قالت ان ذلك لا يهمني ما دام فيهِ رضائي . قلت اذاً غيرتكِ ناشئة عن حب لذاتكِ لا عن حب لزوجكِ كما تدَّعين . فقالت ظنَّ ما شئت واعلم اني واكثر النساء لا نطيق ان يمازج حب ازواجنا لنا شيءٌ يلهيهم عن عبادتنا وليس لهم ان يطالبونا بحب لا يكون مداره ومرجعهُ حب انفسنا . وعلمت حينئذٍ ان قيد الاسر مشدود على عنقي فجئتُ استجير بكِ يا ربة الرزايا من ظالمة لا يعرف ظلمها الاَّ زوجها . فقالت لهُ كما قالت لمن قبلهُ ان عقد كما لا فكاك لهُ

ثم أُتي الى حضرتها باثنين كان احدهما اباً عقهُ ابنهُ الوحيد فوهبهُ لغني لا ولد لهُ . فقال الاول ان غيظي من عقوق ابني اطار عقلي حتى استاقني الى ان القي بهِ كمصيبة في مستودع التعاسات وقد تبناهُ اذ ذاك رجل آخر بلا ولد . فقالت لهُ وما الذي اوجب نكولك عن ذلك الآن قال انقطاع صوتهِ وصخبهِ عن سمعي . فقالت وهل كان في هذا الصخب ما يطربك قال لا لكن لما غاب شخصهُ عن عيني تذكرتُ ان العيش كلهُ صخب والدهر نفسهُ شيخ متمرد فقلت ما احقني باحتمال عقوق ابني ولحمة القرابة اشد معهُ منها مع الدهر الآبق ثم املت ان يأتي يوم اكون فيهِ على ائتلاف معهُ . قالت سمعناك فأتوني بالغني المتبني فلما وقف امامها قالت وما حالك قال مولاتي انتِ تعلمين ما كابدتهُ في معترك الحياة حتى جمعت ما جمعتهُ من حطام الدنيا وتعلمين اني لم ارزق ولداً يرث ما اصبتهُ من نعم المولى كما انك تعلمين منزلة المال المجموع بعد

الجهد والجد من قلب صاحبهِ فكنت لهذا لا انفكُّ عن الاستغاثة بالقوابل والاستصراخ بالاطباء فلما اعيتني الحيل وخفت المنايا ان تذهب بشيخٍ مثلي من غير وارث جئتُ يوم نودي بالحضور الى البطحاء لايداع المصائب حاملاً كربتي المذكورة في صرة املاً ان اصيب عند التوزيع ما يدرأها عني فاذا بهذا الرجل الواقف امامك الآن وضع ولدهُ العقوق فاستبشرت خيرًا واملت ان اعطاهُ ولو كان شيطانًا مريدًا فما عتمت حتى امرتني ان اتبناهُ واجعلهُ وريثي فاخذتهُ فرحًا مسرورًا الى قصري والبستهُ افخر الملابس وسودتهُ على خدمي وحشمي ووليتهُ على ما املك فنام هنيئًا وفي الغداة باكرني وقال عزمت على الاتجار والسفر انتجاعًا لرزقٍ ارفع بهِ منزلتي عندك فقلت حبًّا وكرامةً خذ هذه سفتجة بمبلغ كبير فاخذها وتهيأ للسفر فودعتهُ ولم يمضِ اسبوع حتى جاءني منهُ كتاب ينبئ انهُ قد قامر بخسر السفتجة واصبح مديونًا بمثلها قيمة ولذلك يطلب ان امدهُ بالمال فاجبتهُ اني اتعهد باداء ما عليهِ ان عاد اليَّ سريعًا فعاد ومعهُ زمرة من الرعاع وقال قبل التحية والسلام انقد هؤلاء الرجال الكرام المبلغ الفلاني فاجبتهُ انهُ يتجاوز مقدرتي قال لابد من ادائهِ حالاً ثم هم بمسك طوقي ولما حاولت التملص منهُ قبض على خناقي والقاني وشرع يرفسني بنعليهِ حتى اوشك ان يميتني لو لم يتداركني عبد من عبيدي فاعولت بالبكاء واذا بصوت البوق يدعو الى الحضور فهرولت اليك وبي من اوجاع الضرب والرفس ما يقعد بي عن كل حركة لولا تلهفي للحصول على اجازتك بحل عقد التبني. فاجابت ان الحل لا يستطاع فاذهب من حيث اتيت

ثم مر امامها جمهور لا يحصى من المتقايضين في البلايا والعاهات منهم من يستغيث بها من عين مقرحة اخذها بدلاً من انفٍ مشوه ومنهم من يطلب استبدال الخرس بالصمم والخبل بالارق والخرف بالجنون والامراض الجلدية بالعصبية والبطنة بقلة اشتهاء الطعام. فلما مرت هذه الخلائق وقفت ربة الصبر في وسط تلك الساحة الفسيحة وقالت بعالي صوتها

"معاشر الناس بيضًا وسودًا لقد شاطرتكم منذ عهد ابيكم آدم الحزن على ما تبتلون بهِ من الاحن والكوارث والعاهات ولم افتأ نذيرًا انذركم ان نوازل المكروه لا يمكن رفعها بحيلة من الحيل بل يمكن تخفيف ثقلها بالاستعانة بي والالياذ بعروتي واني لاسفة على ما ارتكبتموهُ من الخطاء في المقايضة التي عرفتم الآن كيف عقباها واعلموا ان المبدع العظيم لما اذن بخلقكم اوصاني بان الازمكم وان لا افارقكم لئلاً لا تتجلدوا على المصائب العارضة ولا على الحياة التي ابتليتم بها".

نسيم خلاط

العقد الفريد

من امهات كتب المحاضرة الممتعة " العقد الفريد " لاحمد بن محمد بن عبد ربهِ الاندلسي مولى هشام بن عبد الرحمن الاموي المتوفَّى سنة ٣٢٨ هـ في مدينة قرطبة دار مملكة الاندلس. كتاب حوى من كل شيء طريفةً ومن كل معنى ظريفةً بعيد غور مؤَلفهِ مستكثر من المحفوظات ضليع من معرفة ايام الناس حسن تأتيهِ في التأليف سليم ذوقهُ من الاخيار. يتصفح العالِم كتابهُ فيستفيد مادة ويقرأهُ الاديب فتسري الفاظهُ ومعانيهِ في منظومهِ ومنثورهِ ويتناولهُ المؤرخ فيقرأ في تضاعيفهِ الصدق في الرواية والاصابة في الاراء ويقلبهُ الطبيب فلا يعتم ان يرى فيهِ نتفاً من طبهِ ووصفاً لعقاقيرهِ ووصفات في تدبير الصحة. ويأخذهُ العامي فيسقط فيهِ على مالا يتيسر لهُ في غيرهِ من النكات المستملحة والاضاحيك الملهية والاحماض الذي تلذ لجمهور المطالعين فهو كافٍ جامع " لاكثر المعاني التي تجري على افواه العامة والخاصة وتدور على السنة الملوك والسوقة "

احسن ما يعجب بهِ المطلع على هذا الكتاب صدق لهجة صاحبهِ فقد ألفهُ لعبد الرحمن ابن محمد الملقب بالناصر المتوفى سنة ٣٥٠ اول من تسمى بالخلافة و بأمير المؤمنين بالاندلس لما وهت الدولة العباسية. ألفهُ لهُ وهو اموي في المغرب ولم يطرح التصريح بسيرة آبائهِ وجدودهِ في المشرق فذكر المحسن باحسانهِ والمسيء باساءتهِ من خلفاء بني أمية كافة. حتى ان الناظر في العقد لاول وهلة يحسب ان مؤلفهُ شيعي علوي يكره الأمويين على اختلاف بلادهم وانهُ وضع كتابهُ لغمط حسناتهم. وقد وهم الذهبي في اتهامهِ ابن عبد ربهِ بالتشيع وانهُ من اللاحقين بالامويين والحقيقة انهُ من النواصب منحرف عن علي بن ابي طالب كما انهُ لا يزال بعضهم يتهمون ابن الاثير صاحب تاريخ الكامل بمثل هذه التهمة في المذهب ولو انصفوا لوسموهُ بانهُ مؤرخ صادق

تكلم المؤلف على ملوك بني أمية بالاندلس وامتدح من كان على عهدهِ وألف كتابهُ برسمهِ الذي تولى الملك سنة ثلثمائة كما قال " وهي جمرة تحتدم ونار تضطرم فاخمد نيرانها وسكن زلازلها وافتتحها عوداً كما افتتحها بدأ "

اما ايثارهُ نقل شعرهِ على شعر غيرهِ من اهل الاندلس فذلك كما يظهر لاشتهار اشعارهم ولقولهِ في المقدمة " وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الاخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها وقرنت بها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا ان لمغربنا على

قاصيته وبلادنا على انقطاعه حظًّا من المنظوم والمنثور". وهنا يجمل ايراد قصيدة لمؤلف قدمها لممدوحه الخليفة في اول غزاة غزاها وهي الغزاة المعروفة بغزاة المتلون التي افتتح بها سبعين حصناً كل حصن منها " قد نكبت عنهُ الطوائف واعيى على الخلائف " " ولم يكن مثل هذه الغزاة لملك من الملوك في الجاهلية والاسلام " واليكها انموذجاً من الشعر الاندلسي :

قد اوضح الله للاسلام منهاجا ... والناس قد دخلوا في الدين افواجا
وقد تزينت الدنيا لساكنها ... كأنما أُلبست وشياً وديباجا
يا ابن الخلائف[1] ان المزن لو علمت ... نداك ما كان منها الماء ثجاجا[2]
والحرب لو علمتْ بأساً تصول بهِ ... ما هيجت من جبال الدين اهياجا
مات النفاق واعطى الكفر ذمتهُ ... وذلّت الخيل إلجاماً واسراجا
واصبح النصر معقوداً بالوية ... تطوي المراحل تهجيراً وإدلاجا[3]
ادخلت في قبة الاسلام مارقةً ... اخرجتها من ديار الشرك إخراجا
بجحفل تشرق الارض الفضاء بهِ ... كالبحر يقذف بالامواج امواجا
يقودهُ البدر يسري في كواكبهِ ... عرمرماً كسواد الليل رجراجا
تروق فيهِ بروق الموت لامعة ... وتسمعون بها للرعد اهزاجا
غادرت في عقرتي[4] جيّان ملحمة ... ابكيت منها بارض الشرك اعلاجا
في نصف شهر تركت الارض ساكنة ... من بعد ما كان فيها الطير قد ماجا
وُجدتَ في الخبر المأثور منصلتاً ... من الخلائف خرّاجاً وولّاجا
تُملابك الارض عدلاً مثل ماملئت ... جوراً وتوضح للمعروف منهاجا
يا بدر ظلمتها يا شمس صبحتها ... ياليت حومتها ان هائج هاجا
ان الخلافة لن ترضى ولا رضيت ... حتى عقدت لها في رأسك التاجا

وليس كل ما حوى العقد من الاشعار من نظم صاحبهِ فان هناك من اشعار العرب والمخضرمين والمولدين عراقيين وشاميين وحجازيين ويمانيين ما يسيل رقة ويقطر ظرفاً ومتانة فكأن العقد خُصَّ باخبار الشرق وآداب اهلهِ خاصة ولم يورد مؤلفهُ بعض شعرهِ الا مقابل ما عاناهُ في الجمع والتأليف

---

(١) الخليفة السلطان الاعظم ويؤنث كالخليف والجمع خلائف وخلفاء
(٢) ثج الماء سال كانثج وتثجج (٣) يقال هجرنا تهجيراً واهجرنا وتهجرنا سرنا في الهاجرة وهي نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر او من عند زوالها الى العصر والادلاج السير من اول الليل (٤) العقر وسط الدار واصلها . وجيان بلد بالاندلس

اما في المنثور فقد حوى فصولاً وخطباً ورسائل حرية بان ينسج كتابنا وخطباؤنا على منوالها فمن ذلك خطبة ابي حمزة من زعماء الخوارج التي قال عنها مالك بن انس خطبنا ابو حمزة خطبة شك فيها المستبصر وردّت المرتاب وهي : اوصيكم بتقوى الله وطاعته والعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وصلة الرحم وتعظيم ما صغّرت الجبابرة من حق الله وتصغير ما عظّمت من الباطل وامانة ما احيوا من الجور واحياء ما اماتوا من الحقوق وان يطاع الله ويعصى العباد في طاعته ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . ندعو الى كتاب الله وسنة نبيه والقسم بالسوية والعدل في الرعية ووضع الاخماس في مواضعها التي امر الله بها . إنا والله ما خرجنا أشرًا ولا بطرًا ولا لهوًا ولا لعباً ولا لدولة ملك نريد ان نخوض فيها ولا لثار قد نيل منا ولكن لما رأينا الارض قد اظلمت ومعالم الجور قد ظهرت وكثر الادّعاء في الدين وعمل بالهوى وعُطِّلت الاحكام وقُتل القائم بالقسط وعُنِّف القائل بالحق سمعنا منادياً ينادي الى الحق والى طريق مستقيم فاجبنا داعي الله فاقبلنا من قبائل شتى قليلين مستضعفين في الارض فآوانا الله وايدنا بنصره فاصبحنا بنعمته اخوانًا وعلى الدين اعوانًا . يا اهل المدينة اولكم خير اول وآخركم شر آخر انكم اطعتم قرّاءكم وفقهاءكم فاختانوكم (١) عن كتاب غير ذي عوج بتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين فاصبحتم عن الحق ناكبين امواتًا غير احياء وما تشعرون . يا اهل المدينة يا ابناء المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ما اصحّ اصلكم واسقم فرعكم كان آباؤكم اهل اليقين واهل المعرفة بالدين والبصائر النافذة والقلوب الواعية وانتم اهل الضلال والجهالة استعبدتكم الدنيا فاذلتكم والاماني فاضلتكم فتح الله لكم باب الدين فافسدتموهُ واغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموهُ . سراعٌ الى الفتنة بطاء عن السنّة عميٌ عن البرهان صمٌّ عن العرفان عبيد الطمع حلفاء الجزع نعمَ ما ورّثكم آباؤكم لو حفظتموهُ وبئس ما تورثون ابناءكم ان تمسكوا به . نصر الله اباءكم على الحق وخذلكم على الباطل . كان عدد آبائكم قليلاً طيباً وعددكم كثير خبيث . اتبعتم الهوى فارداكم واللهو فاسهاكم ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزدجرون وتعبركم ولا تعتبرون سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فقلتم والله ما فيهم الذي يعلم اخذوا المال من غير حله فوضعوهُ في غير حقه وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما انزل الله واستأثروا بفيئنا فجعلوهُ دولة بين الاغنياء منهم وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا في مهور النساء وقلنا لكم تعالوا الى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما انزل الله فقلتم لا نقوى على ذلك ووددنا انَّا اصبنا من يكفينا فقلنا نحن نكفيكم ثم الله راعٍ علينا وعليكم ان ظفرنا لنعطينَّ كل ذي حق حقهُ فجئنا

(١) مبالغة في الخيانة ومعناهُ صرفوكم بالخيانة

فالقينا الرماح بصدورنا والسيوف بوجوهنا فعرضتم لنا دونهم فقاتلتمونا فابعدكم الله . فوالله لو قلتم لا نعرف الذي تقول ولا نعلمهُ لكان اعذر مع انهُ لا عذر للجاهل . ولكن ابى الله الاَّ ان ينطق باسمهِ على السنتكم ويأخذكم بهِ في الآخرة . ثم قال الناس منا ونحن منهم الاَّ ثلاثة حاكماً جاء بغير ما انزل الله او متبعاً لهُ او راضياً بعملهِ

قال ابن عبد ربهِ اسقطنا في هذه الخطبة ما كان من طعنهِ على الخلفاء فانهُ طعن فيها على عثمان وعلي بن ابي طالب رضوان الله عليهما وعمر بن عبد العزيز ولم يترك من جميع الخلفاء الاَّ ابا بكر وعمر وكفر من بعدهما فلعنة الله عليهِ . الاَّ انهُ ذكر من الخلفاء رجلاً اصغى الى الملاهي والمعازف واضاع امر الرعية فقال كان فلان بن فلان من عدد الخلفاء عندكم وهو مضيع للدين والدنيا واشتري لهُ بردان بالف دينار اتزر باحدهما والتحف بالآخر واقعد حبابة عن يمينهِ وسلامة عن يسارهِ فقال ياحبابة غنيني ويا سلامة اسقيني فاذا امتلأ سكرًا وازدهى طرباً شق ثوبيهِ وقال الا اطير فطير الى النار وبئس المصير فهذه صفة خلفاء الله تعالى

وهنا لا بأس بايراد كلمة في اللعن الذي يرى في بعض الكتب فانهُ لا يجوز في الاسلام الاَّ على الكفار لا على التعيين وما يشاهد في بعض الكتب من لعن بعض اهل القبلة وغيرهم فانما هو من زيادات النساخ اما المتقدمون من المؤلفين فلم يكونوا على ما روى لي عالم حكيم ليضيعوا كلمة واحدة في المدح او الذم وكانوا ينقلون الحسنات والسيئات مجردة عن كل طعن ولعن او ثناء ورضاء وقد ورد في الكتاب العزيز عدة آيات في لعن الظالمين والمنافقين اكبارًا لفعلتهم في خراب العمران . وان ابن عبد ربهِ على ادبهِ وحرية ضميرهِ وكونهِ لم ينقل اخبارهُ الاَّ مسندة الى قائليها لم يتمالك عند ذكر ما صدر من مسلم بن عقبة الذي الحش في قتال اهل المدينة لاخذ البيعة ليزيد بن معاوية ان قال عند موت مسلم لا رحمهُ الله وكذلك عند موت يزيد وبعد قصة قتل الحجاج لعبد الله بن الزبير « لا رحم الله الحجاج » ولعلَّ ذلك من تزايدات الناسخين على ان ابن عبد ربهِ يعذر بعض العذر في لعنهِ الخوارج فقد وصفهم احد الخلفاء لعاملهِ على العراق بقولهِ : ضع سيفك في كلاب النار وتقرَّب الى الله بقتل الكفار . ولكن هي الاغراض السياسية تعمي وتصم

قال ارسطاطاليس عقول الرجال تحت سنّ اقلامهم . كلام يصح اطلاقهُ على ما خلَّفهُ العرب من الآثار ونقلَ بعضها ابن عبد ربهِ فان هذا المنقول يسوغ ان يتخذ حجة على مبلغهم من الحضارة ودرجتهم من العقل والحكمة والاخلاق وهاك غيض من فيض افكارهم وذروٌ من وافر آدابهم تدل على انهم ليسوا في فصاحتهم دون فصحاء الغرب لهذا العهد . كتب

احدهم الى صديق له : نحن في مأدبة لنا تشرف على روضة تضاحك الشمس حسناً قد باتت تعلها فهي مشرقة بمائها حالية بنوّارها فرأيك فينا لنكون على سواء من استمتاع بعضنا ببعض. فكتب اليهِ . هذه صفة لو كانت في اقاصي الاطراف لوجب انتجاعها وحثّ المطي في ابتغائها فكيف في موضع انت تسكنهُ وتجمع الى انيق منظره حسن وجهك وطيب شمائلك وانا الجواب . ولبعضهم : الى الله اشكو شدة الوحشة لغيبتك وفرط الحزن من فراقك وظلم الايام بعدك واقول كما قال بعض المحدثين

غضارة دنيا اظلم العيش بعدها   وعند غروب الشمس يعرف فقدها

والآخر: الشوق اليك والى عهد ايامنا التي حسنت كأنها اعيان وقصرت كأنها ساعات يفوت الصفاة ومما يجدده ويكثر دواعيهِ تصاقب الديار وقرب الجوار تمم الله لنا النعمة المجددة فيك بالنظر الى العزّة المباركة التي لا وحشة معها ولا انس بعدها . وكتب العتابي فكاد ان يخل بالمعنى من شدة الاختصار: حامل كتابي اليك انا فكن له انا والسلام. وللحسن بن سهل: فلان قد استغنى باصطناعك اياهُ عن تحريكي اياك في امرهِ فان الصنيعة حرمة للمصنوع اليهِ ووسيلة الى مصطنعهِ فبسط الله يدك بالخيرات وجعلك من اهلها ووصل بك اسبابها

انا منتظر واحدة من اثنتين عتبى تكون منك او عتبي تغني عنك . الهمك الله من الرشد بحسب ما منحك من الفضل لو ان كل من نازع الى الصرم قلدناه عنان الهجر لكنا اولى بالذنب منهُ ولكن نرد عليك من نفسك ونأخذ لا منك

اذا جعلت الظن شاهداً تعدل شهادتهُ بعد ان جعلتهُ حكماً يحيف في حكومتهِ فاين الموئل من جورك ولست اسلك طريقاً من العتب عليك الا شدة ما انطوى عليهِ من مودتك ولا سبيل الى شكايتك الا اليك ولا استعانة الا بك وما احق من جعلك على امر عوناً ان تكون له الى النجاح سبباً قال الشاعر

عجبت لقلبك كيف انقلب   ومن طول ودك انَّى ذهب
واعجب من ذا وذا انني   اراك بعين الرضا في الغضب

من شكرك على درجة رفعتهُ اليها او ثروة اقدرتهُ اياها فان شكري لك على مهجة احييتها وحشاشة ابقيتها ورمق امسكت بهِ وقمت بين التلف وبينهُ فلكل نعمة من نعم الدنيا حدٌّ تنتهي اليهِ وحد يوقف عندهُ وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف خلا هذه النعمة التي قد فاتت الوصف واطالت الشكر وتجاوزت قدرهُ وانت من وراء كل غاية رددت عنها كيد العدو وارغمت انف الحسود فنحن نلجأ اليهِ منها الى ظل ظليل وكنف كريم فكيف يشكر الشاكر واين يبلغ جهد المجتهد

اما بعد فانك لو عرفت الحسن لتجنبت شين القبيح ورأيتك آثر القول عندك مايضرك فكنت فيما كان منك وثمنًا كما قال زهير ابن ابي سلمى

وذي خَطل في القول يحسب انهُ مصيب فلم يلم بهِ فهو قائلهُ
عبأت لهُ حلماً واكرمت غيرهُ واعرضت عنهُ وهو بادٍ مقاتلهُ

ان مودة الاشرار متصلة بالذلة والصغار تميل معهما وتصرف في آثارهما وقد كنت احل مودتك بالمحل النفيس وانزلها بالمنزل الرفيع حتى رأيت ذلك عند الضعة وضرعتك عند الحاجة وتغيرك عند الاستغناء واطراحك لاخوان الصفاء فكان ذلك اقوى اسباب عذري في قطيعتك عند من يتصفح امري وامرك بعين عدل لاتميل الى هوى ولا ترى القبيح حسنًا

كتب الحسن بن سهل يصف عقل المأمون : وقد اصبح امير المؤمنين محمود السيرة عفيف الطعمة كريم الشيمة مبارك الضريبة محمود النقيبة (١) موفيًا بما اخذ الله مضطلعاً بما حمله منهُ مؤديًا الى الله حقهُ مقرًّا لله بنعمتهِ شاكرًا لآلائهِ لايأمر الأ عدلاً ولاينطق الا فصلاً محبيًا لدينهِ وامانتهِ كافًا ليدهِ ولسانهِ

كتب محمد بن عبد الملك الزيات : ان من حق الاولياء على السلطان تنفيذ امورهم وتقويم اودهم ورياضة اخلاقهم وان يميز بينهم فيقدم محسنهم و يؤخر مسيئهم ليزداد هؤلاء في احسانهم و يزدجر هؤلاء عن اساءتهم

هذه نُتَفٌ اخذتها عَرَضاً وما هي الأمثال من الانشاء في القرن الثاني والثالث ولو امعنت في تقليب العقد لبلغ ما ينتقى من فضالة امراء الكلام مئات من الصفحات . وحسب المطالع ان يقرأ هذه النموذجات لتكون لهُ ادلة على الرجوع الى الاصل . هناك يرى لمعة مما خطتهُ انامل العتابي وابن يوسف وابن سهل وابن الزيات وابن مكرم وابن وهب وابن الجهم وسهل بن هرون وعمرو ابن بحر الجاحظ . ولا ينبغي ان يفوت هذا البحث شيءٌ من كلام سهل بن هرون والجاحظ فان الاول غير مشتهر اليوم عند الخاصة ولقد رأيت كثيرين في مصر والشام مجمعين على ان الثاني بحسن ديباجتهِ ومتانة تراكيبهِ وانتقاء الفاظهِ ومعانيهِ يصلح ان يكون شيخ الكتّاب على الاطلاق فان انشاءهُ هو الحلقة الموصلة بين القديم الغامض والحديث السهل واليك انموذجات من كلامهِ وان اشتهرت كتاباتهُ شهرة الشمس والقمر :

اما بعد فان المكافأة بالاحسان فريضة والتفضل على ذوي الاحسان نافلة . اما بعد فان العقل والهوى ضدان فقرين العقل التوفيق وقرين الهوى الخذلان والنفس طالبة فبأيهما

(١) الطعمة بالضم وجه المكسب والضريبة الطبيعة والنقيبة النفس والعقل

ظفرت كانت في حزبهِ · اما بعد فان الاشخاص كالاشجار والحركات كالاغصان والالفاظ كالثمار · اما بعد فان القلوب اوعية والعقول معادن فما في الوعاء ينفد اذا لم يمدهُ المعدن · اما بعد فكفى بالتجارب تأدبياً وبتقلب الايام عظة وباخلاق من عاشرتهُ معرفة وبذكرك الموت زاجرًا · اما بعد فان احتمال الصبر على لذع الغضب اهون من اطفائهِ بالشتم والقذع · اما بعد فان اهل النظر في العواقب اولو الاستعداد للنوائب وما عظمت نعمة امرء الا استغرقت الدنيا همتهُ ومن فرغ لطلب الآخرة شغلهُ جعل الايام مطايا عملهِ والآخرة مقيل مرتحلهِ · اما بعد فان الاهتمام بالدنيا غير زائد في الرزق والاجل والاستغناء غير ناقص للمقادير · اما بعد فان احببت ان تتم لك المقة في قلوب اخوانك فاستقلَّ كثيرًا مما توليهم · اما بعد فان انظر الناس في العاقبة من لطف حين كف حرب عدوهِ بالصفح والتجاوز واستل حقدهُ بالرفق والتحبب

ومن كلامهِ : اما بعد فان احق من اسعفتهُ في حاجتهِ واجبتهُ الى طلبهِ من توسل اليك بالامل ونزع نحوك بالرجاء · اما بعد فما اقبح الاحدوثة من مستمنح حرمة وطالب حاجة رددتهُ ومثابر حجبتهُ ومنبسط اليك قبضتهُ ومقبل اليك بعنانهِ لويت عنهُ · اما بعد فان فلانًا اسبابهُ متصلة بنا يلزمنا ذمامهُ وبلوغ موافقتهِ من اياديك عندنا وانت لنا موضع الثقة من مكافأتهِ فاولنا فيهِ يعرف موقعنا من حسن رأيك وتكون مكافأةً لحقهِ علينا · اما بعد فقد اتانا كتابك في فلان ولهُ لدينا من الزمام ما يلزمنا مكافأتهُ ورعاية حقهِ ونحن من المعتبة بامر على ما كان في حرمة ويؤدي شكرهُ

ولا يظن ظان ان ما ورد في العقد من الاخبار والآثار انما هو مما ولدتهُ العقول في القرون الاولى للاسلام فان فيهِ جانبًا من آثار العرب العرباء واخبارهم في الجاهلية واليك انموذجًا من المنثور العربي القديم انقلهُ وانا استميح على هذا التجوُّز والامور بمقاصدها قال : كان عمر بن حجر ملك كندة وهو جد امريء القيس اراد ان يتزوج ابنة عوف ابن محلم الشيباني الذي يقال فيهِ لا حرَّ بوادي عوف لافراط عزهِ وهي ام إياس وكانت ذات جمال وكمال فوجَّه اليها امرأة يقال لها عصام لتنظر اليها وتمتحن ما بلغهُ عنها فدخلت على امها أُمامة ابنة الحرث فاعلمتها ما قدمت لهُ فارسلت الى ابنتها : اي بنية هذه خالتكِ اتت اليكِ لتنظر الى بعض شأنكِ فلا تستري عنها شيئًا ارادت اليهِ من وجه وخَلق وناطقيها فيما استنطقتك فيهِ · فدخلت عصام عليها فنظرت الى ما لم ترَ عينها مثلهُ قط بهجة وحسنًا وجمالاً فاذا هي اكمل الناس عقلاً وافصحهم لسانًا فخرجت من عندها وهي تقول : ترك الخداع من كشف القناع · فذهبت مثلاً ثم اقبلت الى الحرث فقال لها : ما وراءك يا عصام · فارسلها مثلاً · قالت :

صرّح المخض عن الزبدة . فذهبت مثلاً . قال اخبريني قالت اخبرك صدقاً وحقاً :
رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة يزينها شعر حالك كاذناب الخيل المقصورة ان ارسلته خلته
السلاسل وان مشطته قلت عناقيد كرم جلاه الوابل ومع ذلك حاجبان كأنهما خطا بقلم او
سوّدا بحمم قد تقوسا على مثل عين العبهرة[1] التي لم يرعها قانص ولم يذعرها قسورة[2]
بينهما انف كحدّ السيف المصقول لم يخنس[3] به قصر ولم يمضِ به طول حفت به وجنتان
كالارجوان في بياض محض كالجمان شق فيه فم كالخاتم لذيذ المتبسم فيه ثنايا غرر ذوات
اشر[4] واسنان تعد كالدر وريق كالخمر له نشر الروض بالسحر . يتقلب فيه لسان ذو فصاحة
وبيان يزيد به عقل وافر وجواب حاضر الخ

وبعد فهذا ما رأيت التنبيه عليه من منظوم العقد ومنثوره بقي ثمت من الفوائد مالا يتيسر
الوقوف عليه الا في المظان البعيدة المنال فمن فوائده التاريخية توسعه في الكلام على الفتن
التي قامت بين المسلمين بسطة بسطاً قلما يجرأ عليه مؤرخ . ومن الفوائد التي ذكرها في تضمين
الاسرار في الكتب قوله ان شئت كتبت بماء الزاج الابيض فاذا وصل الى المكتوب اليه امرّ
عليه شيئاً من غبار الزاج الابيض وان احببت ان لا يقرأ الكتاب بالنهار فاكتبه ببرارة السلحفاة

هذا وقد وقع لصاحب العقد اشياء لا ينبغي اغفالها ولا ان يكون اعتبار ما ألف صاحبه
مبررًا في السكوت عنها فان له جملاً وفصولاً متقطعة جاءت في عرض كلامه ينبذها الادب
ولا يقرها الشرع كاخبار الخالعين والماجنين والمفاكهات وغيرها من العبارات التي لا يصح ان
تقع في يد الفتى ولا الفتاة وكنت اود ان يعرى سلك العقد على حسنه منها

بقي لي ان اقول ان ابن عبد ربه على عنايته بجمع جانب مهم من اخبار العرب قد يطيل
في بعض الفصول عمداً او على غير رضى الى ان يبعث على السآمة في النفوس مثل إطالته في
وصف الخيل والرثاء ووالانساب والفضائل وغيرها ولا يعترض عليه نظم ارجوزة في اعاريض الشعر
وعلل القوافي فانه قصد بذلك التسهيل على بعض الناس فقد يستفيد المطالع من الشعر والعلم معاً
ومن فضل العرب ان ادخلوا العلوم في سلك النظم حتى سهلت على كثيرين ممن يميلون اليه
فيقتبسون ضروباً مختلفة من العلوم وهو نوع من الاحتيال على النفوس في ترغيبها في ما لا تميل
اليه ابتداء . وليت المؤلف نظم اراجيز اخرى في كل فن من فنون الادب الاثني عشر

وللعقد حسنات كثيرة تميزيها عن سائر كتب الادب وحبذا لو طبع اجزاء صغيرة طبعاً

---

(١) الرقيقة البشرة الناصعة البياض والجامعة للحسن في الجسم والخلق (٢) القسورة العزيز والاسد
(٣) يقال خنس بفلان غاب به كخنس به (٤) التحزيز الذي يكون في الاسنان خلقة ومستعملاً

متقناً مشكولة بعض الفاظهِ المشكلة ليتيسر وضعهُ في الجيوب ويقرأهُ المولعون في خلواتهم وجلواتهم فانهُ من اشمل كتب القراءة القديمة . ولكل عصر ذوقهُ واصول تأليفهِ وقديماً قالوا ان الصاحب بن عباد كان يصطحب معهُ احمالاً من الكتب فلما حظي بكتاب الاغاني اقتصر عليهِ كما ان كثيراً من اهل العلم والمتأدبين في القديم والحديث اقتصروا على العقد الفريد لانهُ فريد في بابهِ

محمد كرد علي

مستقبل افريقية

من الناس من لا ينظر الى ابعد من يومهِ . فيقوم ويقعد ويأكل ويشرب كأن نوائب الدهر عنهُ غافلة وكأن ما يكفيهِ من حطام الدنيا يكفي ابنهُ وابن ابنهِ والرزق مقدور لا يزيدهُ السعي ولا ينقصهُ التوكل . واذا جرت امة كلها هذا المجرى ولم تهتم بالمستقبل ولا ادَّخرت لليوم العبوس فقلما تقوى على البقاء او يكون لها في معترك الامم شأن يذكر

ومنهم من تراهُ مهتماً دئباً لا يقنع بقليل ولا بكثير يعمر الارض كأنهُ خالد فيها او كأنهُ يعدُّ نفسهُ جزءا من امة كبيرة تقدَّر حياتها بالالوف من السنين فيسعى اليوم لما ستصير اليهِ بعد الف عام . ويقال ان الشعب الانكليزي من هذا القبيل فيهتم الآن بامتلاك بلاد تصلح لسكناهُ حتى يهاجر اليها بنوهُ في مستقبل الازمان كما هاجروا الى اميركا واستراليا وزيلندا الجديدة لان بلادهم ضاقت بهم فلا بدَّ من مهاجرة الذين يزيدون من المواليد على الوفيات . وهم يبحثون الآن عمَّا يصلح لسكناهم من قارَّة افريقية

وقد كتب السرهري جنستن الرحَّالة المشهورة فصلاً في هذا الموضوع نشرهُ في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية قال فيهِ ما محصلهُ

ان الاوربيين الذين يقصدون الهجرة الى افريقية وامتلاكها وتعميرها كما امتلكوا اميركا وعمروها يجدون امامهم ثلاثة عوائق كبيرة تحول دون مبتغاهم الاول كثرة الامراض في الاماكن الكثيرة الماء وقلة الماء في الصحاري القاحلة والثاني مقاومة السكان لهم . والثالث الشعور الادبي الذي ابتدأ يتسلط على النفوس في اوربا وهو انهُ لا يحلُّ للاوربيين ان يغتصبوا بلاداً ليست لهم

اما العائق الاول اي كثرة الامراض في الاماكن الكثيرة الماء وقلة الماء في الصحاري القاحلة فازالتهُ صارت من الامور الممكنة لان الامراض التي تتفشَّى حيث يكثر الماء اكثرها من

نوع الملاريا وقد ثبت الآن انهُ اذا استؤصل منها البعوض الذي ينقل جراثيم الملاريا زالت الحميات الملارية منها • وزد على ذلك انهُ اكتشف فيها عقار يستخرج من جذر السنا يشفي من الملاريا كما تشفي الكينا من البرداء • وفي طبقات الارض تحت الصحاري ماء غزير يمكن استنباطهُ بالآبار الارتوازية فتروى بهِ حتى يسهل زرعها وسكناها • فالمرض وقلة الماء لا يمنعان الاوربيين من احتلال افريقية وانما يمنعهم من ذلك مقاومة الشعوب الافريقية لهم وشعورهم بانهم مغتصبون اذا فعلوا ما يأباهُ عليهم الانصاف لكن الامر الثاني من هذين الامرين تابع لاحوال الزمان فقد قيل ان الجوع كافر فاذا كثر الزحام في اوربا ولم يجد الاوربيون لهم منتجعاً في اميركا ولا في اسيا ولا في استراليا فلا بدَّ لهم من الهجرة الى افريقية اذا استطاعوا الى ذلك سبيلاً • وناموس الجهاد لاجل البقاء يتغلَّب على كل ناموس سواهُ

يبقى العائق الثاني وهو مقاومة السكان فان اهالي افريقية اشد بأساً من هنود اميركا ومن اهالي استراليا فلا يسهل التغلب عليهم وهم اذا أُحسن اليهم سهلو الانقياد ولكنك اذا اسأتهم يوماً هبُّوا في وجهك واستقتلوا في الدفاع عن ذمارهم • فيجدر بمن يهتم بمستقبل البيض ان يبحث عن اسلوب لتعمير افريقية يكون اقل الاساليب مضرَّة بسكانها وابعدها عن اثارة الفتن فيها

والظاهر ان الزنوج سكنوا افريقية من قديم الزمان وكانت القارة كلها وطناً لهم حتى حدودها الشمالية في ما يلي بحر الروم وكانوا فريقين فريقاً من النوع الموجود الآن في استراليا وهم سكان الانحاء الشمالية وكانوا يسكنون اوربا ايضاً وفريقاً من البشعين القصار القامة • ثم تولَّد الزنوج الطوال القامة في اعالي وادي النيل وانتشروا في القارة كلها • ودخل البيض افريقية بعد ذلك من جنوبي اوربا وغربي آسيا واستوطنوا القطر المصري الى عهد البطالسة ومن ثم جعل بعض الاوربيين من الجنس الاري يرحلون اليها • اما جنوبي افريقية فلم يصل اليهِ الاوربيون الاَّ منذ ٢٥٠ سنة وكان اكثرهم من سكان جنوبي اوربا ولم تستوطنهُ الشعوب الاوربية الشمالية الاَّ منذ مئة سنة

ومنذ نحو سبعين سنة استولى الفرنسويون على بلاد الجزائر اي انهم اعادوا الكرة التي بدأ بها اليونان والرومان ومن المرجح انهُ لا يتم قرن على هذا الاستيلاء حتى تصير لهم سلطة واسعة في الشمال الغربي من افريقية ممتدة من حدود مصر الى بحيرة شاد ومن النيجر والسنغال الى البحر المتوسط تضم تحت لوائها اقواماً كثيرين من الفرنسويين والاسبانيين والايطاليين واهالي مالطة لان هؤلاء الاقوام كلهم اخذوا يرحلون الى تلك البلاد حالما انتشر فوقها العلم

الفرنسوي · وسكان البلاد من الليبيين والبربر والعرب كلهم من الجنس الابيض فاستيطان الاوربيين بلادهم ليس من قبيل نزول شعب على شعب آخر وطرده من مواطنهِ كما فعل الاوربيون في اميركا بل من قبيل اضافة شعب الى شعب آخر كما فعل العرب في مصر بعد الفتح · وسيكثر ورود البيض الى القطر المصري ايضاً من غربي آسيا وجنوبي اوربا كما حدث في القرون الغابرة ولكن سكان البلاد الشمالية كالانكليز والالمان لا يستطيعون الاقامة طويلاً في هذا القطر ولا في غيره من البلدان الحارة ولا بدَّ لهم من بلاد جبلية باردة وهي موجودة في افريقية بين نهر زمبيسي ورأس الرجاء الصالح وحول بحيرة نياسا والى الشمال الشرقي من بحيرة فيكتوريا نينزا وفي بلاد الحبشة وكل ذلك في شرقي افريقية اما في غربيها فالبلاد الجبلية الوحيدة جزيرة فرنندو بو وجزيرة سنت توماس في خليج غينيا والجبال التي تقابلها وهي المعروفة بنجود كمرون فان جانباً منها ارتفاعهُ عشرة آلاف قدم عن سطح البحر . وفي جزيرة سنت توماس مستعمرة برتغالية تبلغ نحو الفي نفس

نرجع الآن الى شرقي افريقية ونبدأ ببلاد الحبشة وهي بلاد جبلية ولكن سكانها من الجنس القوقاسي اصلاً ولو اسودَّت بشرتهم وهم اهل حرب وجلاد لا يصطلي لهم بنار فلا مطمع بأخذ بلادهم منهم ولا يستحل الاوربيون ذلك . وشرقيهم الى الجهة الجنوبية بلاد الصومال او الشمال وهي اشد البلدان حرًّا والى الجهة الشمالية املاك ايطاليا وفي داخليتها بلاد عالية يسهل على الايطاليين السكن فيها وقد سكنها كثيرون منهم الآن

وفي الجهات المتوسطة من شمالي الكنغو الى البحيرات الكبيرة والى نهر زمبيسي نجود كثيرة طيبة الهواء خصبة التربة لكن سكانها اشداء البأس لا يتيسر طردهم منها او اخذها منهم والى الشمال الشرقي من فكتوريا نينزا بلاد عالية تبلغ مساحتها سبعين الف ميل مربع تصلح لسكن الاوربيين بل لسكن الانكليز منها خمسون الف ميل يسكنها اقوام اشداء من الزنوج ويبقى ما مساحتهُ عشرون الف ميل او اربعة عشر مليون فدان يستطيع الاوربيون ان يسكنوها من غير منازع · ويقال ان في النية اعطاء ربعها لليهود لينزحوا اليها من شرقي اوربا وقد اعترض الكاتب على ذلك لان اليهود ليسوا من رعايا الانكليز ولا هم اهل فلاحة وزراعة ليعمروا البلاد

ويوجد عدا ذلك ستة آلاف ميل مربع في البلاد المتوسطة وخمسة آلاف ميل اخرى في جنوبيها وعشرون الف ميل في الولايات الجنوبية ويضاف اليها ثلثا بلاد الترنسفال وثلث روديسيا وثلثا ولاية نهر اورانج واربعة اخماس مستعمرة الرأس وثلث بلاد ناتال وكلها صالح لسكن البيض

في قارة افريقية بلاد واسعة غير البلدان التي يسكنها البيض الآن قد لا تقل مساحتها عن ١٥٠ الف ميل مربع او نحو مئة مليون فدان وهي صالحة لسكنى الاوربيين ولا ينازعهم الزنوج فيها اما لانهم لا يسكنونها الآن او لانهم قلال فيها جدًّا فمجال الاستعمار فيها واسع

ومن رأي الكاتب انهُ يجب تقسيم افريقية من الآن تقسيماً يؤهلها للاستعمار فتترك البلاد الكثيرة السكان لاهلها وتعطى البلاد القليلة السكان التي هواؤُها غير صحيح للهنود وغيرهم من اهالي آسيا لانهُ لا يتعذَّر عليهم السكن فيها واما البلاد القليلة السكان الطيبة الهواء فتعطى للاوربيين وتبقى السيادة للبيض حتى في البلدان التي اكثر سكانها من السود الى ان يتعلم السود و يتأصل العمران في بلادهم ولكن تكون خيراتهم لهم لا للبيض والاَّ اشتدَّ النفور بين الفريقين و كثر سفك الدماء وتأخر عمران البلاد قروناً كثيرة

وفي ما ارتآهُ من التقسيم وسكن كل فريق من الناس في البلاد التي تصلح لهُ خير ضامن لفلاح الامم التي تسكن افريقية وخير ضامن لفلاح كل امة لان الامة التي تسيطر عليها وتحميها لا تعتمد على نفسها فتبقى كالطفل الذي تحملهُ بين ذراعيك ولا تدعهُ يقع ويقوم حتى تشتد كعباهُ و يستطيع المشي اوكالشاب الذي يساعدهُ والداهُ في كل اعمالهِ فلا يدعان لهُ سبيلاً للاعتماد على نفسهِ . وكل من يذهب الى غير ذلك فهو يجهل تاريخ العمران وعلم طبائع الانسان

الخطر الاصفر

ان ما أبدتهُ اليابان من البسالة والاقدام في هذه الحرب حمل كثيرين من الكتَّاب على الظن انها قد تتحد مع الصين وتجند من الصينيين الملايين الكثيرة وتدوّخ بهم اوربا وسموا ذلك باتحاد الشعوب الصفراء وقالوا انهُ الخطر الاصفر الذي يتهدَّد اوربا اذا عقد النصر لليابان في حربها مع الروس . والظاهر ان مروجي هذا الوهم كانوا يقصدون اثارة خواطر الاوربيين الى الاخذ بناصر الروس فتصدَّى لهم اناس ضلعهم مع اليابان وكثر الحجاج والجاج بين الفريقين . واطلعنا اخيرًا على مقالة لاحد كبار الكتاب جمع فيها من الشواهد والادلة ما يقنع القارىء ان لاخوف من انضواء شعوب الصين تحت لواء حربي مهما كان . وفي المقالة فوائد جمة لابأس باطلاع قراء المقتطف عليها قال الكاتب

اذا انضمت الشعوب الصفراء (اهالي الصين واليابان) وانضوت تحت لواء واحد فقد لاتسلم اوربا من شرها ولاسيما الدول التي لها ولايات واسعة في الشرق كانكلترا وفرنسا لان اهالي تلك الولايات من الشعوب الصفراء

ولقد كان عمران الصين واليابان واحداً منذ اربعين سنة وكانت علومهما واحدة وصنائعهما واحدة وكانوا يكرهون الاجانب على حدٍ سوى فلا غرابة اذا نهضت الصين كما نهضت اليابان وجارتها في مضمار العمران ونظمت جنديتها وبحريتها كما نظمتها اليابان وتكون الصين اقوى من اليابان حينئذٍ بمقدار ما هي اوسع منها نطاقاً واكثر سكاناً ويكون الخطر الاصفر حقيقياً لا وهمياً

لكن الكاتب نفى امكان ذلك وقال ان الصينيين واليابانيين يختلفون اختلافاً جوهرياً في تواريخهم وتقاليدهم واخلاقهم واغراضهم وسائر امورهم حتى يستحيل التوفيق بينهم. وجوهر الاختلاف ان اليابانيين اهل سعة ونظر في المستقبل يحبون الارتقاء و يكرهون الجمود واما الصينيون فجمدوا على حالة واحدة منذ الوف من السنين كأنهم عائشون في الماضي ولا يزالون على هذا الجمود حتى الآن . وكل ما في الصين من علم وسياسة مبني على قوانين سنّت قبل عصر موسى الكليم ونظام حكومتهم لم يتغير من عهد فيلسوفهم كنفشيوس الى الآن بل يتناقلهُ الخلف عن السلف كما هو. وعندهم مجلس مؤلف من اكابر الدولة لمراقبة الاوامر الملكية حتى تكون مطابقة لقواعد كنفوشوس في كل الامور الجوهرية ولا تزال قواعد كتاب الفرائض الذي أُلف منذ ثلاثة آلاف سنة معمولاً بها في كل دوائر الحكومة وفي كل البيوت

وقد نشأ كنفوشيوس قبل المسيح بنحو خمس مئة سنة وقبل الاسكندر بثلثمئة سنة ولا يزال اهل الصين من الملك الى اصغر الصعاليك يكرمونهُ اكراماً دينياً ويأتمرون بأوامره. واوامرهُ مبنيَّة على اقوال قالها ملوك الصين الاقدمون الذين نشأوا قبلهُ بنحو ١٨٠٠ سنة اي من سنة ٢٣٥٦ الى سنة ٢٢٠٥ قبل المسيح حاسباً ان ذلك الزمن افضل ازمنة الصين وهو مثل ما يلقبهُ الاوروبيين بالعصر الذهبي

واذا أراد احد من الصينيين ان يرتئي رأياً او يشير بعمل فيه مصلحة لبلادهِ اضطر ان يسندهُ باقوال من كتب القدماء كأن باب الاجتهاد اقفل عندهم منذ الفي سنة او اكثر وهم مثل علماء المسلمين من هذا القبيل فقد وصل الى يدنا كراس ونحن نكتب هذه السطور موضوعهُ ارشاد الامة الاسلامية الى اقوال الائمة في الفتوى الترنسفالية و يقال انها "لاكابر مدرسي الازهر بمصر وائمة المذاهب الاربعة الذين يعوَّل عليهم ويوثق بعلمهم في العلوم الشرعية" فقلبنا صفحاتها فوجدناها مثل ما كتب قبلها في هذا الموضوع مستندها اقوال المتقدمين وتفاسيرهم للكتاب والسنة كأنَّ كاتبيها لا يستطيعون ان يبدوا رأياً يدلهم عليهِ عقلهم وعلمهم فكلهم مقلد كرجال الصين. فلو سئل اوربي هل يجوز اكل هذا الذبح لقال نعم يجوز اذا

لم يكن فيهِ مرض ينتقل الى آكلهِ او فساد يؤذيهِ واما اذا كان فيهِ مرض ينتقل الى آكلهِ فلا يجوز اكلهُ سُمي عليهِ او لم يسمَّ . وكذا البرنيطة فانهُ يجب ان ينظر اليها من حيث كونها لباساً للرأس ومن حيث اتفاق الناس على لبس يمتازون بهِ عن غيرهم . ولا يخفى ان السائل سأل عن جواز اكل الذبيحة ولبس البرنيطة ديناً فكان الجواب على قدر السؤال ولكن الامم الراقية الآن مراقي الفلاح تبني مطالبها على التحقيقات العلمية لا على سواها ونحن نجاريها في امور كثيرة فاذا مرض ابن اكبر علمائنا استدعى لهُ طبيباً ماهرًا في صناعة الطب ولم يسأل ما هو قول الشافعي ولا ما قول ابن سينا واذا وقع وباء في ماشيتهِ سأل ارباب الفن عن كيفية علاجهِ ولم يبحث عن اقوال الائمة فيهِ فاحرِ بنا ان نبني عليها في ما نأكلهُ وما نلبسهُ

نعود الى الصين — واذا اراد ملك الصين ان يأمر بامر او يجدد شيئاً اضطرَّ ان يعزز اقوالهُ باقوال الائمة الاقدمين ويبني على احكامهم مثال ذلك ما ورد في امر اصدرهُ حديثاً قصد بهِ اصلاح بلادهِ فقال

" ان القوانين التي يسترشد بها الناس قديمة غير متغيرة ولكن اسلوب الحكم بها يمكن تغييرهُ وقد صرَّح بذلك كتاب التغييرات نعم ان القيود الثلاثة والفضائل الخمس الواضحة وضوح الشمس والكواكب لا يمكن تغييرها ولكن يمكن التغيير في امور الملك كما يغير العازف اصابعهُ وهو ينقر على الوتر "

والتقليد شأن الصينيين في كل امورهم وهم يقلدون ائمتهم الذين نشأوا منذ ثلاثة آلاف سنة او اكثر ولا يحيدون عن احكامهم شعرة فكيف يرجى ان يجاروا العمران الحاضر وهو كل يوم في شأن . ولا يقلدون من جاء بعد اولئك الائمة لان عمرانهم وقف عند ذلك الحد ولم يتجاوزهُ كما وقفت علومنا عند الحد الذي بلغتهُ في دولة بني العباس

وينكر الصينيون على الاوربيين كل علم وتقدم ويقولون كما قال لنا احد علماء الازهر منذ بضع عشرة سنة ان كل العلوم الطبيعية التي يفخر بها الاوربيون هزءٌ ومن علمائنا من يفوت هذا الحد قال لنا واحد منهم كل العلوم مجموعة تحت نقطة الباء في البسملة

وينظر الصينيون الى ما في العمران الاوربي من المفاسد فيحكمون بفسادهِ كلهِ . قال امير من انبغ امرائهم " اننا اذا قابلنا تاريخ الصين من الآن الى الفي سنة مضت بتاريخ اوربا من الآن الى خمسين سنة مضت لم نرَ في تاريخ اوربا شيئاً من كرم الاخلاق الذي نراهُ في تاريخ الصين " . ولما ثار البوكسر على الاوربيين قال الصينيون عامتهم وخاصتهم ان اله السماء غضب على هؤلاء البرابرة (اي الاوربيين) فاذن للجن والابالسة ان تقوم عليهم وتهلكهم . ولما اراد

القيصر الحالي ان يزور بلاد الصين منذ ثلاث عشرة سنة ابت الصين عليه ذلك لئلا يحسب اكرامها لهُ اعترافاً منها بعلو قدره وبان بلادهُ مساوية لبلادها مقاماً . ولترفع الصينيين واعتدادهم بانفسهم يأنفون من اقتباس ملابس الاوربيين ولو في اوربا

وقد قال كنفوشيوس «لامزاولة بلا مواظبة ولا راحة بلا مزاولة ولاسكينة بلا راحة ولاتفكير بلا سكينة ولا نجاح بلا تفكير» . وهذا يفسر حال الصينيين العقلية فعندهم الراحة اصل لكل نجاح وهي انما تحصل بالمواظبة والمزاولة فيواظبون على ما في يدهم و يزاولونهُ دواماً حاسبين انهُ ينيلهم الراحة والنجاح

وكتابة الصينيين وعلومهم يستغرق تعليمها سنين كثيرة فيقضون زهرة العمر في تعلم لغتهم وحفظ قواعد وقوانين قليلة النفع فلا يبقى لهم وقت لتعلم لغة اجنبية . ولاستظهارهم تعاليم ائمتهم ترسخ قواعدها في نفوسهم حتى يتعذَّر نزعها منها

ثم انهم يعبدون اسلافهم او يحترمونهم احتراماً دينياً فيضطرون ان يسيروا بسيرتهم و يطبقوا اعمالهم على ما يعلمونهُ عنهم ولذلك تجدهم يحاولون دائماً ان يعيشوا كما عاش اسلافهم منذ ثلاثة آلاف سنة

وجملة القول ان الصينيين اهل سلام وسكون لا يطلبون الحرب ولا يتوخون التغيير . وعلى الضد من ذلك اليابانيون فانهم اهل حرب وجلاد يتوخون الارتقاء دائماً . غزوا كوريا منذ سبعة عشر قرناً ورأوا عمرانها اسمى من عمرانهم فاقتبسوهُ منها . ولرغبتهم في الاستفادة من كل من هو ارقى منهم جعلوا يقتبسون المعارف والصنائع من الصينيين لانهم كانوا ارقى الامم الذين اتصلوا بهم وما كادوا يتصلون بالاوربيين والاميركيين حتى جعلوا يستفيدون منهم ويقتبسون اساليبهم فانهُ لم تمضِ اربع سنوات من حين دخل بلادهم الكومودور بري الاميركي وضربها بمدافعهِ سنة ١٨٦٤ حتى هبوا من سباتهم ووسدوا السلطة للميكادو على البلاد كلها وجعلوا يقتبسون اساليب القتال الاوربية لانهم وجدوها افعل من اساليبهم وكذلك اساليب العمران وفتحوا اول سكة حديدية في بلادهم سنة ١٨٧٢

حادثة واحدة جعلت اليابانيين يستيقظون ويتحدون بعد ان كانوا حزبين متضادين اما الصين فحلَّت بها النوائب والعبر ولم تستيقظ من سباتها ولا انتبهت من غفلتها فان روسيا اخذت منها ولاية امور وولاية اسوري و بلاد منشوريا كلها وفيها مدينة مكدن حيث مدفن العائلة المالكة . وفرنسا اخذت التنكين وانام وكوشين صين . وانكلترا اخذت برما وهنج كنج وواي هاي واي . والمانيا اخذت شانتنج وفيها قبر كنفوشيوس . واليابان اخذت

فرموسا . وسيام استقلت عنها بعد ان كانت خاضعة لها. ومع ذلك بقيت الصين على حالها صابرة ساكنة لاتبدي حراكاً كما كانت منذ الفي سنة الى الآن معتمدة على سياستها السابقة سياسة السكون والمسالمة سياسة الاكل والهضم والامتصاص لان كل الذين غزوها من غابر الزمن اكلتهم وهضمتهم وامتصتهم فصاروا منها فهل يعقل انها تلبي دعوة اليابان وتنهض نهضتها وتسلم قيادها لها وهي تحتقرها اكثر مما تحتقر الاوربيين

ثم ان الصين ليست مملكة واحدة ولايشعر شعبها انهم ابناء وطن واحد وان لهم كلمة واحدة تجمعهم وانما هم ولايات مستقلة يجمعها كلها العمل بتعاليم كنفوشيوس فالرابطة الوحيدة بينها التعاليم الدينية والادبية وآداب اللغة

وليس لدولة الصين جنود تحمي بيضتها بل الجنود للولايات خاصة كل ولاية تقيم جنودها لتدافع عنها واذا دنت جنود ولاية من ولاية اخرى اضطربت هذه كأن جيوش دولة اجنبية دنت منها ولو كان المراد جمع جنود الولايتين لمحاربة عدو معادٍ لها كلتيهما . لما ثار الصينيون على الاجانب سنة ١٨٩١ سمحت حكومة الصين بصعود السفن الحربية الاجنبية في نهر ينتسي لكبح جماح الثائرين ولم تخمد ثورتهم بيدها لكي لاتغيظهم . ولما نشبت الحرب بين الاسطول الياباني والاسطول الصيني كان الاسطول الشمالي من اسطولي الصين يحارب اسطول اليابان واما الاسطول الجنوبي فبقي مكانهُ في البحار الجنوبية كأنهُ لدولة اخرى مع انهُ لو بادر الى نجدة اسطول الشمال لتغلب الاسطولان على اسطول اليابان لانهما اقوى منهُ كثيرًا . ثم لما انتهت الحرب طلبت الصين من اليابان ان ترد لها سفينة من السفن التي غنمتها لانها اسرتها خطأ وهي من اسطول الجنوب الذي لم يشترك في الحرب

ولاستقلال الولايات بعضها عن بعض يخاطب ملك الصين ولاتها في اوامره الرسمية بصيغة الرأي والمشورة لا بصيغة الامر الواجب الطاعة فاذا راقت في عيونهم عملوا بها والاَّ فلا مراعين في ذلك مصالحهم الخاصة او مصالح ولاياتهم المختلفة واحوالها المالية

فبلاد الصين ليست مملكة واحدة ولا الصينيون امة واحدة بل بين سكان الولايات المختلفة من الاختلاف كما بين سكان اوربا حتى اذا دخل جيش ولاية اخرى عاث فيها فسادًا ونهب وسلب كأنهُ في بلاد العدو

وقد بذل كثيرون من الضباط الاوربيين عنايتهم في تعليم جنود الصين فنون القتال او التعاليم العسكرية الحديثة واتوهم باحدث الاسلحة ولكن لم ينتظم حتى الآن جيش صيني يستحق ان يقابل بالجيوش المنتظمة . ولا تزال الجنود الصينية تمرَّن على الرماية بالقوس

والنشاب ولا تحسب الفوز في اصابة الغرض بل في وقفة الرامي وقت نزعهِ بالقوس

وقواد الجيش في الصين "مقاولون" يضمنون الجيش بمبلغ معلوم من المال وغاية ما يسعون اليهِ الكسب من هذه المقاولة بتقليل ما ينفقونهُ على الجيش حتى يزيد ربحهم ٠ وتعاليم كنفوشيوس التي لها المقام الاول في نفوسهم تحقر الجنود والجندية فهي مثل تعاليم تولستوي الفيلسوف الروسي الذي قال "ان اول فرض من الفروض الواجبة على الامة استئصال الحرب مطلقاً"

وبينا ترى الجمع الغرض الذي يرمي اليهِ ساسة اوربا ترى التفريق الغرض الذي يرمي اليهِ ائمة الصين ففي اوربا مثلاً مصلحة المملكة مفضَّلة على مصلحة الولاية ومصلحة الولاية على مصلحة العائلة واما في الصين فمصلحة الولاية مقدمة على مصلحة المملكة ومصلحة العائلة على مصلحة الولاية فلا وطن ولا اتحاد الاَّ في العيال والجمعيات السرية

ولا يعرف الجنود الوطنية وحب الوطن و لا ينتظمون في الجندية الاَّ مكرهين اومستأجرين وما منهم ومن اكبر قوادهم الاَّ وهو يبيع وطنهُ لكل خاطب . والصيني موصوف بالصدق والامانة حتى ان التجار الذين عاملوا الصينيين يسلمون التاجر الصيني اي مبلغ كان من المال ولا يأخذون عليهِ صكاً لانهم يعلمون ان كلمتهُ صك عليهِ وهم مع ذلك لا يُصْدقون ولا يؤتمون في امور المملكة فالصيني امين لعائلتهِ واسمها حتى انهُ يفتديها بنفسهِ وغير امين لمملكتهِ و بالضد منهُ الياباني فانهُ امين لمملكتهِ يضحي نفسهُ وعائلتهُ لها

فالفرق بين الصينيين واليابانيين اعظم من الفرق بين الصينيين والاوربيين والذي يظن ان الاتفاق بين الصينيين واليابانيين ممكن يجهل طباع الامتين

وقد ادرك بسمارك احوال الصين وعلم انهُ لا خطر منها على اوربا فقال قبيل موتهِ لقد قيل ان الصين قد تنهض ويكون منها خطر على اوربا اما انا فلا ارى ذلك ممكناً نظراً لما ظهر من اهاليها من الجمود مدة القرون الماضية

هذه الامور وامثالها تجعل البون شاسعاً بين الصين واليابان وتمنع الصين من ان تكون امة حربية او ان تسلم قيادها لليابان ٠ وقد استنتج الكاتب من ذلك كلهِ ان اتحاد الصين واليابان اتحاداً حربياً ضرب من المحال فلا خوف على اوربا منهما

حال العالم في الشرق

وهي قصيدة من نظم العالم العامل الاستاذ ابرهيم الحوراني وتخميسها للشاعر المجيد أسعد افندي داغر

يا قلبي ارقَّ ما تُلاقي في عليكَ بعليهِ ونقسي[1] دمي
وقل لمن بالامر لم يعلم ذو العلم بين الطرس والمرقم[2]
كالثبتِ[3] بين العضب[4] واللهذم[5]

هذاك يقضي العمر دأباً على إدراكِ علم فيهِ نيل العلى
وذا بَسولٌ ليس يخشي البلى كلاهما يبغي علاءً ولا
يناله الا بسفك الدم

لديها لا فرق بينهما وِرْد الدما عذب كرشف اللمى
يستسهلان الصعب او يغنما وَالاوّلُ الاولى بغنمٍ لما
في سعيهِ من شامل المغنمِ

حقًّا بهذا الامر الأوّل مُيِّزَ على ذي العضب والمنصلِ[6]
وإن ترم تفصيلَ ذا المجمل فكم جرى ذو العلم في مجهلِ
حتى جرى ذوَ الجهل في معلمِ

كم راضَ ربُّ العلم مستصعبا فردّهُ يحكي نسيم الصبا
وكم علا في زغرف[7] مركبا وكم رعى في مهمهٍ[8] كوكبا
حتى اهتدى السارون بالانجمِ

إن لزّهُ ظمء حسا نغبةً[9] وذاق من بعد الطوى[10] وجبةً[11]
وبعد ما يقضي بهِ اربةً يجتاب ارجاء العلى رغبةً
في كشف ما في الاطلس[12] المظلم

في عرضهِ يرخي عنان النهى فيبدأ التجوالَ حيثُ انتهى
وهكذا يجري بهِ الشمّهى[13] طورًا تراهُ في جوار السّهى[14]
وتارةً في جيرةِ المرْزمِ[15]

---

(١) حبري (٢) القلم (٣) الشجاع (٤) السيف (٥) السنان (٦) السيف
(٧) بحر (٨) مفازة (٩) جرعة (١٠) الجوع (١١) الحلة (١٢) فلك النجوم
(١٣) الى غير امر يعرفهُ (١٤) كوكب خفيٌّ من بنات نعش (١٥) نجم آخر

يتخذ الجوزا نطاقاً ولا　　　يخاف ملقى رامحٍ اعزلا
وبعد ما يدرك ما امَّلا　　　يرسم من كيوان [1] خطاً الى
يوحى [2] بلا نقس ولا مرسم

معتمدًا في رسمهِ ذوقهُ　　　وباذلاً في رصدهِ طوقهُ [3]
يقفي اذا من عمرهِ رَوْقهُ [4]　　　مستعلماً أبعاد ما فوقهُ
وتحتهُ الاقراب لم تعلم

يظل هذا شانهُ مقدما　　　على هواه دون ان يسأما
فكم تولَّى نقض ما أبرما　　　وكم هوى في نفنف [5] بعدما
أحيا الدجى في ذروة الأيهم [6]

كم امتطى نحو العلى يعملا [7]　　　ينهب قلب الجوّ مستعجلا
وكم صعاب البحر قد ذلَّلا　　　وكم جرى في صحصحان الفلا
يشكو الوجى [8] في الغاسق الاهيم [9]

فرًّا وكرًّا مدبرٌ مقبلُ　　　امرًا ونهياً جازم مبطلُ
ليثاً ورألاً [10] مقدمٌ مجفلُ　　　يعدو بدغلٍ ما بهِ منزل
الأوجار النمر والضيغمِ [11]

يغدو ولا يصغي الى منشدِ　　　ولا يرى للانس من مشهدِ
وهكذا يمسي كما يغتدي　　　يلقيهِ مغضي الطرف في مرقدِ
ما بين ظفر الليث والمرغم [12]

وبعد إلمامٍ بما في السما　　　وكشفهِ ما كان مستبهما
يهبط جوف الارض مستعلما　　　يبحث عن آثار عادٍ وما
وارى تراب الارض من جرهم

فكم ثناهُ عنهُ من حائلِ　　　لهُ الى قطع الرجا آئلِ
وشدَّ ما علَّلَ بالباطلِ　　　وطالما ارتد بلا طائلِ
كطالب شهدًا من العلقمِ

---

(1) المشتري　(2) الشمس　(3) طاقتهُ　(4) اولهُ ورونقهُ　(5) مغازة
(6) الجبل الصعب　(7) جملاً　(8) الوجع من الحفى　(9) اي في الليل الغاسق الذي لا نجوم فيهِ　(10) ولد النعام　(11) الاسد　(12) الانف

يعوزني وقت لان اذكرا تفصيل ما مرّ بهِ واعترى
مع كل هذا الخوف ما قدّرا وما انثنى عن عزمهِ بل جرى
فيهِ يباري الريح في المأزم [١]

من يخطب العليا عليهِ يهُن بذلٌ ولولا عزُّها لم يصُن
سعي الفتى في مثل هذا حسُن والسعي لا يجدي اذا لم يكن
حلف الثباتِ الحق والمعزم

أسعد بالمسعى بني جنسهِ ولم يزل يصلى لظى نحسهِ
م في نعيم وهو بؤسهِ تخالهُ والانس عن انسهِ
تروي كوحش الجن في جيهم [٢]

ريح البلى عاثت بديوانهِ فصوّحت [٣] اغصان عمرانهِ
وبات من شدةِ احزانهِ يجلس في اعراس اخوانهِ
كشاكلٍ يجلس في مأتمِ

تنظرهُ يبكي صباح مسا من دائهِ المعيي جميع الإسى [٤]
ومن جرى دهرٍ اليهِ أسا يحكم ان العرس باب الأسا [٥]
مما رأى في عزمهِ الأشأمِ

هذا على طول المدى شانهُ وذا بأهل الدهرِ ايمانهُ
فثقْ بما قد صحّ تبيانهُ إنّ اختبار المرء برهانهُ
فالحق مجلى حكمهِ المبرمِ

داءٌ عياءٌ لستَ تلقى دوا لهُ وكل الناس فيهِ سوا
جميعهم ضلوا وكلٌ غوى والجاهل المغرور عبد الهوى
في حسن ذات البعل والايمِ [٦]

هيهات ان ينشط من ربقة [٧] للوجد غلّتهُ على دقةِ
فانساق من وادٍ الى برقة يغازل الحسناء في رقةِ
يسرقها من كشحها الاهضمِ [٨]

بظلفهِ يسعى الى حتفهِ وشوقهُ يعجز عن وصفهِ

---

(١) المضيق (٢) موضع كثير الجنّ (٣) ايبست (٤) مقصور الاساء جمع الاسي وهو
(٥) الطبيب الحزن (٦) من لا زوج لها (٨) عروة (٨) الاخمص والضامر

ودائماً بالرغم عن انفهِ يسحُ وبل الوجد من طرفهِ
ما لعلع البرق من المبسم

من يأسهِ أصبح في وهدةٍ لعلمهِ ان ليس ذو نجدة
يفيده في دفع ذي الشدةِ ياويح من يعلمُ في بلدةٍ
فيها كثير المالِ لم يعلمِ

كم خيبت سكانها ظنهُ وغادرتهُ حارقاً سنهُ
كفاهُ نخراً في الورى انهُ يسقي الورى الظمأى ولكنهُ
اظمأ من رملٍ ومن غيلمِ (١)

يهدي الالى ضلوا سوى نهجهِ وينزل اللاجي سما برجهِ
وفوق ما ينفقُ في خرجهِ يكسو عراة الحي من نسجهِ
لكنهُ أعري من المبرمِ (٢)

في بيتهِ يسبح احداثهُ في غمر بؤسٍ هم أرماثهُ (٣)
وان ترم للغزل أنكاثهُ (٤) تستلزم الدينار أبحاثهُ
وليس في الهميانِ من درهمِ

قضى بهذا عمرهُ كلهُ ولم ينل من دهرهِ سؤلهُ
فليس بدعاً انهُ ملهُ قد صارت الحدةُ خلقاً لهُ
من نازلات الجذعِ (٥) الازلمِ (٦)

متى توخى الاخذ في شرحهِ نخاف أن ينكأ من قرحهِ
وساقهُ هذا الى طرحهِ فبالغ الاحمقُ في جرحهِ
وما لجرح الحمق من بلسمِ

كم عابهُ فدمٌ (٧) وكم شانهُ غمرٌ (٨) تعدى واضعاً شانهُ
واذ عليهِ صبرهُ خانهُ غطى بتبل اللوم جسمانهُ
حتى بدا للطرف كالشيهمِ (٩)

لم يلقَ ما بين الورى زاجرا لمن عليهِ قد بغى جائرا

---

(١) ذكر السلحفاة (٢) المغزل (٣) جمع رمث وهو خشب يضم بعضهُ الى بعضٍ و يركب في البحر (٤) جمع نكث وهو ما نقض من الاكسية ليغزل ثانية (٥) الدهر (٦) الدهر الكثير البلايا (٧) احمق (٨) جاهل (٩) ذكر القنافذ الكثير الشوك

ولا رأى من اهلهِ ناصرا ولم يجد من صحبهِ عاذرا

فكلهم اضحى من اللوّمِ

كل الورى قاموا على حربهِ في مشرق المعمور مع غربهِ

من اجل ذا قبل انقضا نحبهِ احكم نظم الشعر يشكو بهِ

ما قد رأى في ذا الزمان العمي

مهّد في تحصيلهِ سبلهُ حتى سما من قالهُ قبلهُ

فصار هذا دائماً شغلهُ واختارهُ سلوى فامسى لهُ

بلوى كبلوى الصعوِ [1] بالقشعمِ [2]

فكان نظم الشعر ضغثاً على ابالةٍ كاهلهُ اثقلا

واذ قلاهُ نظمهُ مقفلا كلفهُ العافي مديح الالى

ضنُّوا على المسكين بالمطعمِ

لو أنهم كانوا يجيزونهُ لكان في ذا العصر قارونهُ

قلل معهم كلهم دينهُ وكلفتهُ هند ما دونهُ

لذع اللظى او لدغة الارقمِ [3]

كم عللتهُ في مواعيدها بديعةٍ تنهلُّ من جودها

قامت اخيرًا عند تجديدها تسألهُ تاريخ مولودها

يوم مسجى [4] بخلهِ المكرمِ

تقول صف خمري بلا مهلةٍ وقلبهُ صادٍ الى نهلةٍ

يهبط جوف الدلّ وهي التي تعلو سرير العاج في حلةٍ

من انفس الديباج في الديلمِ

تراهُ يشكو السقم من علةٍ عرى الشفا عن صدرهِ حلتِ

وولدهُ يطوون من خلةٍ [5] وعرسهُ الثكلى على جلةٍ [6]

القى بها التمّارُ [7] للمعدمِ [8]

عدا عليها الدهر وهو الخنا مخيباً آمالها والمنى

فردّها بعد اجتناء الجنا ترقّ من مقلتها للضنى

---

(١) العصفور الصغير (٢) النسر (٣) اخبث الحيات (٤) مسجى الميت مدّ عليهِ ثوبًا وغطاهُ بهِ (٥) فقر (٦) قفة كبيرة للتمر (٧) بائع التمر (٨) الفقير

فوق البهار[1] اسطر البهرم[2]

لحار في ذا الامر ليس الى　　قطع بهِ يلقى السبيل انجلى
حتى يراه عاجلاً أشكلا　　فإن اتى بالسؤل كان بلا
اجرٍ والأ ديس بالمنسم[3]

بكل انواع الرزايا مُني　　وشرها استبعاده من دني
ومثل هذي فقره للغني　　ذي حالة العالم في موطنٍ
يكوى بهِ ذو الفضل بالميسم[4]

يبيت حدث الظلم في لحمهِ　　يفري وداء الغمّ في عظمهِ
يسري وللايغال في ظلمهِ　　يركبهُ الجاهل من حلمهِ
والممتطي صنو[5] لدى المعزم

هذا لعمر الحقّ ربح الذي　　يعلم في هذا الزمان وذي
عقبي امرء درّ الذكاء غُذي　　لو انصف الدهر امتطى كل ذي
علمٍ اخا جهلٍ فلم يظلمِ

الاحتفال بمترجم الالياذة

شهدت القاهرة في منتصف الشهر الماضي مشهداً لم تر مثلهُ من قبلُ وهو احتفال نحو مئة نفس من نخبة علمائها وادبائها بمترجم الالياذة بوليمة فاخرة اولموها لهُ في فندق شبرد · فزيّن مدخل الفندق بالمصابيح الكهربائية المختلفة الالوان وزينت حديقتهُ واشجارها بالشموس والقناديل الكهربائية ومدّت الموائد في ساحتها وجلس حولها المحتفلون من داعين ومدعوين فتناولوا شهي الطعام ووضع امام كلٍّ منهم بطاقة رسم على وجهها الهرمان وابو الهول شعار مصر وجبل لبنان وارزهُ شعار الشام وشمس المعارف فوقهما يفيض شعاعها عليهما وتحتهما هذه الابيات

حييتَ يا وطناً تصبو القلوب الى　　ارجائهِ وبهِ الارواح تغتبطُ
شمس المعارف في علياه جامعةٌ　　اطرافهُ وهي فيما بينها وسطُ
ففي ذرى الارز حبلٌ من اشعتها　　يلقى وحبل على الاهرام ينبسطُ

وداخل البطاقة اسماء الاطعمة بالعربية والفرنسوية · وطلبت لجنة الاحتفال من احد منشئي هذه

(١) نبت صفر الورق　(٢) الحفاء　(٣) خف البصير　(٤) المكواة　(٥) اخ

المجلّة ان ينوب عنها في الترحيب بالمدعوين ووصف العمل الباعث على اقامة الحفلة فوقف بعد انتهاء الطعام وافتتح كلامهُ ملتمساً العذر من الحضور عن التقصير في ايفاء الموضوع حقهُ مستشهداً بعبارة قالها لهُ سماحة السيد توفيق البكري نقيب الاشراف الذي كان جالساً الى جانبهِ وهي قول العرب عن الكلام الغث "هذا كلام بعد طعام او قبل منام" ثم قال

لعلَّ احتفالنا هذا اول احتفال من نوعهِ في ديار المشرق وعسى ان يكون فاتحة حفلات كثيرة تقام اكراماً للعلم واجلالاً لقدر ذويهِ

لا اعلم يقيناً على بال مَن خطر هذا الخاطر اول مرة ولكنني واثق ان جميع الحضور رحَّبوا بهِ واشتركوا فيهِ عن طيب نفس لا من حيث علاقتهُ بشخص معيَّن وان كان لهذا الشخص مقام رفيع في نفوسنا ولا من حيث ارتباطهُ بموضوع مخصوص وان كان لهذا الموضوع شأن كبير عند ارباب الاقلام وفحول البلاغة الذين يحلُّون هوميروس اعلى محل بين مصوري الخيال كما يحلون دائرة المعارف المحل الاول بين الموسوعات العربية . بل من حيث دلالتهُ على روح جديدة انبثت في ابناء المشرق وكنا نجهلها او نغض الطرف عنها وهي قدر الفوائد العلمية والادبية قدرها فان صديقنا الفاضل سليمان افندي البستاني المحتفل بهِ ليس حديثاً في هذا المضمار بل قد راضهُ منذ اعوام كثيرة فقد اشتغل بالعلم منذ اكثر من ثلاثين سنة وظهرت نفثات يراعهِ في دائرة المعارف قبل ظهورها في الياذة هوميروس . وهو من بيت علم وفضل شيخهُ البستاني الاكبر صاحب محيط المحيط وقطر المحيط والجنان والجنة ودائرة المعارف ومفتاح المصباح وكشف الحجاب وغير ذلك من الكتب المتداولة منشئ المدرسة الوطنية والجمعية السورية صاحب الهمة العالية والعزيمة الماضية الخطيب المصقع والكاتب المتفنن والسياسي المحنَّك . والبستاني الثاني ابنهُ سليم افندي محرر الفصول الضافية في الجنان والدائرة خدن الادب والظرف والفصاحة الذي بخل الدهر علينا بهِ فقصف غصنهُ الرطيب وهو في ريعان الشباب . والبستاني الثالث الاستاذ عبدالله العالم اللغوي والشاعر البدوي . ولكن مَن من ابناء المشرق اعترف بفضل هؤلاء باحتفال عمومي مثل هذا . فليس اللوم عليهم ولا على اعلام القرن الماضي كالاسير والاحدب واليازجي والنقاش وغيرهم من علماء الشام ولا على علماء مصر الذين يعدُّون بالمئات ولهم القدح المعلَّى في كل منظوم ومنثور ومعقول ومنقول أن اهملنا الاحتفال بهم بل اللوم علينا لان عرفان الفضل على هذا السبيل لم يكن معروفاً عندنا . فاهنئك ايها الصديق الفاضل لانك رأيت من اخوانك من يقدر عملك قدرهُ سواء كان في دائرة المعارف او في الياذة هوميروس كما اهنئ الذين خطر لهم هذا الخاطر اولاً لا زال لهم السبق الى كل مفخرة

اما الدائرة فشرع فيها البستاني الاكبر منذ نحو ثلاثين سنة واعدَّ لها المعدات الكثيرة فاصدر منها ستة اجزاء وقُبض الى رحمة ربهِ فتولّى اصدارها ابنهُ الاكبر سليم افندي ولم يمهلهُ الردى ان اتمَّ جزئين منها فألقي هذا العبء الثقيل على اخويهِ الصغيرين وعلى ابن عمهما موضوع احتفالنا وكان مشاركاً في العمل من اولهِ فقام بهِ معهما احسن قيام كما تشهد فصول الدائرة

والالياذة شعر يوناني تاريخي من اقدم ما نظمهُ الشعراء واوسع ما افرغوا فيهِ معارفهم موضوعهُ وصف وقائع قليلة من حروب طروادة لكن الشاعر توسع في الوصف وقصّ الاخبار حتى تُعدُّ قصيدتهُ دائرة لمعارف عصرهِ فقد ذكر فيها طباع الناس وعاداتهم وعباداتهم ومبلغ ما وصلوا اليهِ من العمران . ويظهر منها ان اليونان كانوا في ذلك العصر وما قبلهُ اهل فلاحة وصناعة وتجارة وعلم وفلسفة وقد بلغوا في ذلك كلهِ وفي انشاء الحصون وتعبية الجيوش وبناء البوارج وسن الاحكام مبلغاً لم يفقهم فيهِ الذين تلوهم من اهالي اوربا الا في القرن الماضي ومن المرجح انهُ لم يفقهم احد حتى الآن في النقش وعمل التماثيل وصوغ المعادن

فهي كتاب كبير دقيق البحث كثير التعقيد اطّلع عليهِ ادباء العرب لما ترجموا كتب اليونان فتهيبوهُ ولم يترجموهُ لا لانهم كرهوا ترجمة القصص او لانهم لم يألفوا شيئاً مثلهُ فانهم وضعوا قصة عنترة ووقائعها تشبه وقائع الالياذة واسلوبهما واحد — اساس تاريخي وجيز تناولتهُ قريحة هوميروس في الالياذة وقريحة الاصمعي في قصة عنترة وبنت عليهِ بناء فخماً . بل يظهر انهم احجموا عن ترجمتهِ لكثرة ما فيهِ من الاعلام الغريبة والمعاني المغلقة او لكثرة ما ذكر فيهِ عن آلهة اليونان وشعائرهم الدينية او لغير ذلك من الاسباب

وظلَّ هوميروس مغلقاً عن ابناء العربيَّة تتمنى ادباؤُهم لو اتيح لاحد منهم ان يزيح الستار عنهُ وينقلهُ الى لغتهم كما نُقل الى اللغات الاوربية او كما نُقل قبلها الى السريانية (لان سليمان افندي حقق نقلهُ اليها) ولكن لم يكن في الامكان ان يتصدّى لهذا العمل الخطير الاَّ رجل درس اللغة اليونانية لكي يقرأ هوميروس في اصلهِ عارف ببعض اللغات الاوربية الشهيرة ليقرأ شروحهُ فيها سيال القريحة حتى يسهل عليهِ نظم الالوف من الابيات بليغ العبارة طبعاً حتى يأتي كلامهُ من طبقة ما ترجمهُ كثير الحفظ واسع الرواية حتى يسهل عليهِ معارضة ابيات هوميروس بما يضارعها من اقوال شعراء العرب شديد الجلد لا يمل من نظم البيت بعد البيت والقصيدة بعد القصيدة سنة بعد سنة وهو في سعة من الوقت حتى يزاول الشعر اذا اطاعهُ ويتركهُ اذا عصاهُ . وغني عن البيان ان هذه الاوصاف اجتمعت كلها في

البستاني فقبض على هوميروس بيديهِ ولم يتركهُ حتى البسهُ حلة عربية

ولو وقف عملهُ عند هذا الحد لكان عظيماً ومن اعظم الاعمال ولكنهُ لم يقف عندهُ بل تخطاهُ الى ما هو اعظم منهُ فان كثيرًا من معاني هوميروس مغلق وهو يشير الى امور كثيرة لا يفقه معناها الاَّ من لهُ المام واسع بالتاريخ والجغرافيا والميثولوجيا فلا بدَّ لفهم هذا الديوان من شرح مسهب يلم باطرافهِ كلها وهذا فعلهُ البستاني ولم يكتفِ بهِ بل عارض معاني هوميروس بمعاني شعراء العرب ولا سيما عنترة العبسي او ابي سعيد الاصمعي واضع قصة عنترة وبيَّن ان اكثر المعاني التي جاء بها هوميروس وكانت مألوفة عند اليونان كانت مألوفة ايضاً عند العرب في بداوتهم

وقد جاء تعريب الالياذة في نحو الف صفحة ونحو نصفها او ثلثها شرح بحرف دقيق فكانهُ الَّف كتاباً كبيرًا في شرح جمع فيهِ مئات من الشواهد العربية والتحقيقات العلمية

والبستاني حليف الطمع وما اشرف الطمع الجائز وما امجدهُ وما انفعهُ فان اكثر الاعمال العظيمة نشأت منهُ . فلم يشأ ان يرسل الالياذة بشرحها بتراء من غير مقدمة واي مقدمة . عرَّف احد علماء الانكليز المقدمة بانها الجزء الذي لا يقرأُ من الكتاب ولكن صديقنا البستاني وضع للالياذة مقدمة تملأُ مئتي صفحة ولا يملُّ القارئ من مطالعتها لما يجدهُ فيها من الفوائد وحسن التنسيق . وهي لا تقلُّ عن مقدمة ابن خلدون في تعدد مواضيعها وبلاغة عبارتها وكثرة فوائدها . ونسبتها الى مقدمة ابن خلدون من حيث دقة البحث نسبة العلم في هذا العصر اليهِ في عصر ابن خلدون . وهي مثلها ايضاً في متانة العبارة حتى يصح ان تكون انموذجاً للانشاء البليغ . وقد شغلت مئتي صفحة وخالف الكاتب فيها اساليب المقدمات فقسمها الى فصول عديدة حتى يرغب المطالع في مطالعتها ولا يملها كما يملُّ قراءة المقدمات التي لا فصل فيها

هذه المقدمة ديوان ادب وعلم افرغ فيها المؤلف نتيجة درسهِ وبحثهِ السنين الطوال وفي احتفالنا بنشر هذا الكتاب نحتفل بنشر ثلاثة كتب كبيرة الديوان المنتظم والشرح المنسجم والمقدمة الشاملة ثلاثة كتب في كتاب واحد يملأ نحو ١١٥٠ صفحة يضاف اليها اكثر من مئة صفحة فهارس ومعاجم استغرقت تعباً كثيرًا لكن المؤلف فضَّل ان يتعب مرةً ولا يتعب كل قارئ من قرَّاء كتابهِ مرارًا فلهُ الشكر الجزيل على كل حال

وخلاصة القول اننا باحتفالنا هذا قد اعربنا نحن وحضرات الفضلاء الذين تكرموا وقبلوا دعوتنا عن رغبة في اكرام الادب وقدر اربابهِ قدرهم واني واثق ان صديقنا البستاني مسرور مثلنا لا من حيث تخصيصنا هذا الاكرام بهِ لانهُ ابعد الناس عن حب الظهور بل من حيث

اكرام عمله لانهُ يستحق الاكرام . فاهنئك ايها الصديق الفاضل بما حزتهُ عن استحقاق تام من اكرام اخوانك لك . اهنئك بالنيابة عن الذين اقاموا لك هذا الاحتفال كما اهنئك بالاصالة عن نفسي . واكرر تقديم الشكر الجزيل لكم ايها السادة الافاضل الذين تكرموا بقبول دعوتنا لا زلتم في مقدمة هداة الامة ونصراء الفضيلة . واسمحوا لي في الختام ان اشكركم وسائر السادة الحضور لانكم اكرمتموني باصغائكم الى هذه الكلمات وان كنت قد قصَّرت في الوصف والاعراب عن ضميري فاللوم على الذين اطعموني قبلما انتدبوني للكلام فجاء كلامي "بعد الطعام وقبل المنام"

ولما فرغ من الكلام وقف حضرة عبد الخالق بك ثروت وتلا كتاباً بعث بهِ فضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ورئيس جمعية احياء العلوم العربية وهذه صورتهُ

دعاني اصدقاؤُك واصدقائي الى الانس بك ساعة تهنئتك بالنجاح في ذلك العمل الادبي الذي كلفت بابداعهِ عدة من السنين . دعوني الى الاشتراك معهم في شكرك لما دأبت في السعي واخذت نفسك بالصبر على مشقة البحث والعناء في اختيار مسالك النظم لتهدي الى ابناء لغتك العربية من احاسن الصناعة الادبية ما يعد زينة للناظرين

وكنت اكون اسرع الناس الى اجابة الدعوة لولا مانعٌ ذنبهُ اليَّ ذنب العاذل الى عاشق الحسان منعني الانس بك ولكن لم يمنعني ان اشاركهم في شكرك

تمت لك ترجمة الالياذة لنابغة شعراء اليونان هميروس المشهور نسجت قريحتك ديباجة ذلك الكتاب كتاب الترجمة فاذا هو ميدان غزت فيهِ لغتنا العربية ضريعتها اليونانية فسبت خرائدها وغنمت فرائدها وعادت الينا في حلل من آدابها تحمل الى الالباب قوتاً من لبابها وما اجمل ذلك الغلب في زمن ضعف فيهِ العرب حتى عن الرغب في نيل الادب ما ينال منهُ عن كثب فضلاً عما يكسب بالتعب . فحق لك الشكر على كل من يعرف قيمة ما وفقت لاكمالهِ من العمل فقد سددت ثلمة كانت في بنية العلم العربي من عشرة قرون اغار قومنا على دفائن الفنون اليونانية في القرن الثالث من الهجرة وما بعده فنثروا منها ما كان مخزوناً ونشروا بين الناس ما كان مدفوناً ولم يدعوا غامضاً الاَّ جلوه ولا بعيداً الاَّ قربوه ونالت اللغة العربية بصنيعهم ذلك ما لم يكن في حسبانها فقد صارت لسان العلم والصنعة كما كانت لسان الدين والحكمة

لكن كأن اولئك الاساطين الاولين كانوا يرون ان ذلك ما يفرضهُ الحق عليهم في جانب العلم الذي لا يختلف فيهِ مشرق عن مغرب ولا يتخالف على حقائقهِ الاعجم والمعرب وظنوا ان ما وراء العلم من آداب القوم ليس مما يتناسب مع آدابهم لبعد ما بين انساب اولئك وانسابهم فلم يمدوا نظرهم الى ما كان في اليونانية من دواوين الشعراء وما صاغتهُ قرائح البلغاء فلم تنل

اليونانية من عنايتهم مانالت الفارسية والمندية وكان مؤمل اللغة منهم ان لايحرموها نفائس ما اخترع اليونانيون كما زينوها بزينة ما ابدع المنديون والفارسيون وبقي ذلك المؤمل في غيب الدهر حتى اتيت ترفع عنهُ الستر وجئت تقول للناس انني اتمم في دولة عباس مانقص في ملك بني العباس فما اقر عين العربية بنيل طلبتها وظهور ما كان منتظراً لشيعتها ارجو ان ينال كتابك من الاقبال عليهِ والانتفاع بهِ ما يكافئ تعبك ويبعث همم العالمين على ان تتبعك والسلام

ووقف بعدهُ حضرة فريد بك بيازوغلي فقرأ تلغرافاً من حضرة الدكتور ابوستوليدس مترجم الالياذة من اليونانية القديمة الى اليونانية الحديثة يثني فيهِ على حضرة مترجمها الى العربية ويعتذر الى اللجنة عن عدم حضورهِ من الاسكندرية . وتلاهُ حضرة داود بك عمون فقرأ كتاباً من حضرة الدكتور شبلي شميل يعتذر فيهِ عن الحضور بانحراف صحتهِ ويهنئ المحتفلين باجتماعهم لاسمى غاية اجتماعية وهي الاعتراف بالفضل الصحيح وهنأ موضوع الاحتفال بخروجهِ من ترجمة الالياذة غانماً . وقرأ بعده حضرة محمد افندي مسعود من محرري المؤيد كتاباً من سعادة الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد يثني فيهِ على موضوع الاحتفال بسبب خدمتهِ " للغة العربية بل العلوم والآداب "وعلى المحتفلين" لوضعهم الشيء في محلهِ" ويعتذر عن عدم حضوره بغيابهِ في الاسكندرية

ثم وقف حضرة السيد رشيد رضا منشئ مجلة المنار وخطب خطبة بليغة شرح فيها الاسباب التي منعت العرب من ترجمة الالياذة في زمانهم وابان موافقة ترجمتها الى العربية في هذا الزمان . وتلاه حضرة اخنوخ افندي فانوس المحامي بخطبة انيقة ابان فيها فضل القوى الادبية حتى تخلص الى مدح مترجم الالياذة على قضائهِ زهرة العمر في اتحاف ابناء اللغة العربية بابلغ شعر عند الامة اليونانية غير طامع من وراء ذلك بمال ولا نوال . وقام بعده حضرة ابرهيم بك رمزي صاحب التمدن فبين فضل اليونان وعلومهم . وانتصب مترجم الالياذة فخطب الخطبة التالية

ايها السادة الكرام

قد ساقني فضلكم الى الوقوف في هذا الموقف وكل كلمة بل كل اشارة بل كل نظرة في هذه الهيئة المؤلفة من حضرة رجال الفضل والنبل تخولني من المنة ما يوقفني عاجزاً عن اداء واجب الشكر فاراني مضطراً تجاه ما تكرم بهِ من الاطراء بلغاء الخطباء الحاضرين وما تفضل بهِ كتابة الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية وسائر العلماء الاعلام الغائبين ان الوذ بالصمت مفتخراً ومعترفاً انني انما كنت كمرآة انعكست لهم فيها صفاتهم الغراء فتلوها تمثيلاً

ولو ساغ لي ان افاخر بعمل من الاعمال لكان محط فخاري عملاً لم تمدَّ اليهِ يدي ولم يكن

قط ليجول في خاطري ولكنهُ من جميل صنعكم ألا وهو عقد هذا الاجتماع · ولست ادري من اخصّ بالثناء فما اري فيكم الاَّ الصديق الحميم الذي يعمل لصديقهِ اضعاف ما يعمل لنفسهِ والعالم الكريم الذي يعظم ذرّة الاجتهاد من كلّ مجتهدٍ سواه وهو لا يبالي بما انفق من اعوام الحياة خدمة للعالم· والاديب الشاعر والناثر الحكيم اللذين يطربان لكل نغمة جديدة من اغاني الأدب وان لم تكن شيئاً مذكوراً ازاء ما تجود بهِ قريحة كلّ منهما

لجميع اخواني السوريين بالفضل سواءٌ فما هي الاَّ غيرة متقدة في افئدتهم فتيض الله ان تتجه الى هذا العاجز واما كرام المصريين فقد زادوا على تلك الغيرة وذلك الاحسان الفطري فيهم كرم الموازرة وما هي بالمرّة الاولى التي صافحت بها مصر شقيقتها سوريا ومدّت اليها ذراع الحب والولاء فتعاونتا على اعلاء شأن الادب والادباء

سادتي قد عرف الذين قرأُوا تعريب الالياذة منكم اني اجهدت النفس بالمقارنات والمقابلات بين آداب العرب واليونان وما يتبع ذلك من معارف الامتين وتاريخهما واخلاقهما فأْذنوا لي ان احذو هذا الحذو بكلمة في المقابلة بين الالياذة وهذا المجلس الحافل

ان بروز الالياذة بحلة عربية انما هو نتاج اوقات فراغ تيسرت لطالب علم شغف بمحاسنها فلازمها ملازمة العاشق للمعشوق ومهما يكن من كدّهِ ونصبهِ فقد نال اجرهُ بما سرّح النظر في عالم الحقيقة وروض النفس في رياض الخيال وما جلا من صدإِ الهموم المتزاحمة على افئدة المشتغلين بالادب في مثل هذا الزمن · ويربو على كل ذلك اقبالكم هذا فاي جزاء اثمن من هذا الجزاء

واما اجتماعنا هذا فمؤداهُ اسمى ومفادهُ اعظم وقبل النظر في حقيقة معناهُ استأْذنكم ايراد شاهدٍ من الالياذة على سبيل التفكيه

قال بعض المحبين ليست الولائم مما يكافأُ بهِ عامل على عملهِ · ولكن هوميروس سبق فاثبت فساد هذا القول فكأَن الخلان الداعين الى هذا المجلس استوحوا روحهُ اقتداء بهِ في الاستحياء وحسبي ان اوجه نظركم الى كلمة وليمة في معجم الالياذة فترون انها كانت المفخرة التي يسعى اليها الملوك والعظماء من قبل عهد هوميروس عند اليونان ثم عند العرب وانهُ كان لها عند الفريقين معنى سام يتسابق القوم اليهِ ويغبطون عليهِ

قلت ان مفاد هذا الاجتماع بالنظر الى الأدب اسمى من بروز الالياذة · وذلك لانهُ نتاج روح حياة جديدة تسربت في عروق ابناء اللغة العربية فهبّوا هبَّة يحيونها تحية اللقاء بعد المهجور وهم جميعاً راغبون في الحياة الحقة وعالمون ان حياة اللغة انما هي حياة الامة فلا

بقاء للغة الا بامتها ولا بقاء لامة الاَّ بلغتها

ولا شك ان نشوء الالياذة العربية كان في طالع ميمون والا فما تسنى لها ان تفخر باقبالكم عليها هذا الاقبال . فكم من فاضل منكم وممن تقدمنا في هذا القرن وقف عمرهُ على خدمة الادب فكان اولى من صاحب الالياذة هذا بهذا الانعطاف من لدنكم . او لا ترون بين الحضور رهطاً ونعم الرهط ممن اكتهل وشاب بين الاقلام والمحابر فاستمد معرب الالياذة وامثالهُ مما سطروا وحبروا ما لا يقوم بثمن فكانوا اولى منهُ بمثل هذه الحفلة الزاهرة فان تكن اذاً للالياذة مزية على ما تقدمها من النفائس فما تلك المزية الا قبس من نوركم اذ حثها الحظ فنشأت وجرثومة الادب مختمرة في الصدور بعد ان كنت دهرًا فرحبتم بها وقدرتموها فوق قدرها تنشيطاً لامثال معربها واعلاناً للملإِ ان هذه اللغة لا تزال في نضارة صباها وان تقادم عليها العهد وان شأنها سيظل على سموه او يزيد فمثلها مثل زهرة هوميروس لا يزيدها كرور الايام الا بهاء وجمالاً

تلك ايها السادة احدى حسنات هذا الاجتماع . ولكن هناك حسنة أُخرى وليست بالحسنة الصغرى ألا وهي شعور المصري والسوري انهما شريكان متضامنان في اللغة التي نشأا فيها وأن لا سبيل الى فسخ هذه الشركة ما نبض فيهما عرق فاذا افلح احدهما في تجارتهِ فالربح للشريكين واذا قضي عليهما لا سمح الله بالافلاس فلا يفلسان الاَّ معاً . عمد محمد علي الكبير الى انشاء المدارس فوضع لخلفائهِ اساساً متيناً وتخرج الطلبة فساروا في اللغة شوطاً مذكورًا أفكانت فائدة تلك المساعي محصورة في ابناء مصر او لم يجنِ اخوانهم السوريون من ثمارها ما لا يزالون يذكرون حلوطعمهِ

هب السوريون في منتصف القرن الماضي فورد فريق منهم مناهل العلم والادب فهل كان لهم ان يستأثروا بها او لم تكن كل خطوة تخطوها احدى الشقيقتين تعقبها بها الاخرى او تسيران معاً متعاضدتين متكاتفتين كأنهما توأمان متلاصقان لا ينفصلان وبهما حياة

يقول الحكماء لا وطن للعلم فحيثما حل فهو الضيف الكريم ثم لا يلبث ان يبيت الوطني المقيم فاذا غرس الغربي غرساً فللشرقي ان يجني ثمارهُ ويكفيهِ ان ينهض فيمد يدهُ الى ذلك الغرس او يتخذ منهُ فسيلة يلقيها في ارضهِ ويتيلها بعض العناء فتثمر رطباً جنياً وكل بلاد الله صالحة لاستثمارهِ

واما الادب فلا يصح فيهِ هذا القول على اطلاقهِ وكلما تباعدت الالسنة اختلت فيهِ شرائط الارتباط فمصر وسوريا متصلتان مع سائر اقطار العالم بشركة العلم اذا شاءتا . ولكن

بينهما صلة خاصة لا قبل لهما بفصم عراها وان ارادتا . واذا لم يكن هنا موضع النظر في الجو وصفائهِ والجوار وحقوقهِ والمشارب والاخلاق وطرق المعيشة فهل لنا ان نغفل النظر الى اللغة وهي العروة الوثقى . كل ذلك يقضي عليهما ان تتناسبا بالادب وهو خير النسب اذ كل رابطة اقرب الى الانحلال من رابطة اللغة وكل نسب اقرب الى الاختلال من نسب الفضل والادب على حد قول الشريف الرضي في رثاء الصابي

الفضل ناسب بيننا اذ لم يكن شرفي مناسبةً ولا ميـلادي
ان لم تكن من اسرتي وعشيرتي فلانت اعلقهم يدا بودادي

سادتي لو احصينا المتكلمين بالعربية لالفيناهم لا يقلون عن المتكلمين بكثير من لغات الغرب المتمدن ولو قسنا ساحة بلادهم لوسعت بلاد دول شتى من دول عالم العمران . فاللغة اذًا حية بخلاف ما يزعم بعض الغلاة . وان جميع هذه البلاد متكافلة تكافلاً طبيعياً بنهضة الادب ولكنهُ لا بد من موردٍ عامّ تمتد منهُ الجداول العذبة الى سائر الاطراف . وليس في زمننا هذا اجدر بانشاء هذا المورد من هذه الديار المصرية فانها في زمن يقظة وتقدم فهي الفرصة المثلى والحكيم من انتهز الفرص ولا اخالكم الاّ جيشاً عاملاً متطلعاً الى هذه الغاية وعالماً ان هذا هو زمن اندفاع الافكار بتيار الاجتهاد وان هذا التيار اذا اندفع بقوم اندفاعاً حقيقياً فضَّ السدود وتجاوز الحواجز فان ابناء العربية قد علموا ان لا معين لهم غير انفسهم على بلوغ امنيتهم منها فاذا اخلصوا النية وهم مخلصوها باذن الله فلا حائل يصدهم عن النهوض بها . ولا شك انهم اعادوا الكرَّة في هذه الآونة المتأخرة فوثبوا بها وثبة جديدة فعسى ان يستمر هذا الوثوب وسيستمر ان شاء الله بفضلكم حتى يسوغ لنا ان نقول

نبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعل مثلما فعلوا

ووقف بعدهُ سعادة شكور باشا فخطب بالفرنسوية واثنى على مترجم الالياذة بلسان حال "مصر امّ التمدن ومصدر الوحي الذي هبط على شعراء اليونان منذ قديم الزمان . مصر التي لا يعتور صباها ضعف ولا هرم مهما طال عليها القدم . مصر اخت المودة والضيافة والجود والكرم"

وتلاهُ المسيو بوفوداس رئيس المدرسة العبيدية بخطبة فرنسوية والاستاذ افرونيناس بخطبة يونانية . وانصرف الداعون والمدعوون وهم مجمعون على مدح تلك الحفلة الادبية ويودون لو كانت فاتحة لامثالها شدًّا لازر رجال العلم والفضل وتشويقاً الى الاشتغال بالعلم والاداب ويشكرون صاحب هذه الفكرة ورئيس اللجنة التي نظمت هذه الحفلة عبد الله بك صفير وسائر الذين شاركوهُ فيها من اعضاء اللجنة

اخلاق عرب السودان وعاداتهم وخرافاتهم

من كتاب تاريخ السودان

﴿ اوصافهم الخلقية ﴾ لعرب السودان الاوصاف الخلقية المشهورة للعرب في كل زمان ومكان الاَّ انهم اشد سمرة واقسى شعراً من عرب الشام ومصر لشدة حرارة بلادهم وكثرة تسريهم من النوبة والسود · واما نساؤهم فيغلب فيهن اللون القمحي او اللون الضارب الى الصفرة كلون تمثال الملكة «آمن ريتس» الايثيوبية في متحف الآثار المصرية بالجيزة

﴿ التشليخ ﴾ ثم ان الشايقية والجعليين والعابدلاب من حضر العرب يشلخون وجوههم بقصد الزينة ولكل قبيلة منهم شلوخ معلومة فللشايقية ثلاثة شلوخ افقية على كل خد وللجعليين ثلاثة شلوخ عمودية على كل خد وللعابدلاَّب على كل خد ثلاثة شلوخ عمودية تحتها شلخ افقي يسمى بالعارض ومن كان وجههُ عريضاً جعلوا لهُ على كل خد اربعة شلوخ بدل الثلاثة والمراة التي لا يعيش لها اولاد تشلخ وجناتهم ايضاً شلوخاً دقيقة كرجل الطير · ومن القبائل التي تتبع هذه العادة فتقلد بها القبائل الثلاث المذكورة : النوبة البرابرة واهل بربر من الحضر والشكرية والضبانية والكبابيش من البادية · اما زمن التشليخ فهو زمن الطفولية للذكور والاناث غير ان الذكور قد لا تُشلخ وجوههم واما الاناث فلا بدَّ من تشليخ وجوههنَّ اذ الشلوخ في الوجه والوشم في الفم معدودة عندهم من الجمال

« فالشاب الجميل » في عرفهم هو من كان مربوع القامة قمحي اللون واسع الصدر مجدول الخصر والذراعين طويل العنق مخفض الكتفين مشلخ الخدين صقيل الانف افلج الثنايا ادعج العينين مفتوح الحاجبين باسم الثغر نير الوجه شريف الخصال

« والمرأة الجميلة » هي من كانت مربوعة القامة مع الميل الى الطول صفراء اللون طويلة الشعر غزيرتهُ واسعة الجبين زجاء الحاجبين دعجاء العينين سادلة الاهداب قنياء الانف مع الميل الى التحدب لا كبيرة الفم ولا صغيرتهُ عريضة الشفة السفلى موشومتها وموشومة اللثة مفلجة الاسنان بيضاءها مشلخة الخدين محفوصة الذقن طويلة العنق مخفضة الكتفين واسعة الصدر ناهدة الثديين رقيقة الخصر قصيرة الظهر مجدولة الساعد والساق رقيقة الاصابع بارزة الردفين مجموعتهما صغيرة القدم رشيقة الحركة لينة الاعطاف اذا رقصت انثنت الى الوراء حتى يصل رأسها الى قدميها واذا مشت تمايلت كالغصن اذا حرَّكهُ النسيم خفيفة الروح باسمة الثغر طلقة المحيا مصونة الحجاب جميلة الحركة اقبلت أو ادبرت

واجمل نساء السودان نساء الجزيرة روي لي بعض الادباء ان فقيهاً من اهل كردوفان يسمى عبد العزيز سمع بكرم الزبير في بحر الغزال فقصده يريد منهُ نوالاً فأمر لهُ الزبير بجارية فلم تعجبهُ وقال "اني قصدتك لجارية عنقها طويل وردفها ثقيل وشعرها غزير وبطنها ضمير وسنها كالجير وعينها كتب الغدير اذا مشت كأنها امير واذا وقفت تعجب هذا الفقير" واشار الى نفسهِ . فقال لهُ الزبير "عليَّ الطلاق ان هذه الصفات لا توجد حتى في بنات الجزيرة" ثم نادى احد غلمانهِ وقال ائتوهُ بزيتونة فأتوهُ بها وكانت جارية جميلة فأعجبتهُ فقال "قبلت زيتونة الصادقة المامونة اللهمَّ اجعلها كرليخة المفتونة" فقال الزبير خذها وخذ الاولى جارية لها فازداد عبد العزيز طمعاً بكرم الزبير وكان بيدهِ ركوة (ابريق ماء من جلد) فقال وهذه الركوة من يحملها لي فدعا الزبير احد عبيدهِ وقال احمل هذه الركوة لسيدك فحملها وذهب الفقيه بالثلاثة شاكرًا مسرورًا

اخلاقهم اما اخلاق عرب السودان فهي ايضاً الاخلاق المشهورة للعرب في كل زمان ومكان وهي حب الضيافة والكرم والمروءة والشهامة وحب الغزو والنجدة والأخذ بالثار ومراعاة الجار واحترام العرض والافتخار بالنسب ولكنهم اكتسبوا من جيرانهم السود العناد واحتقار الموت والصبر على مضض الايام مع شيء من بلادة الطبع

ومن غريب اخلاقهم انهُ اذا اتى الجدب واشتد الجوع اغلق الواحد منهم بابهُ على نفسهِ واولادهِ وانتظر الموت جوعاً ولم يسأل احدًا خوفاً من التعيير بذل السؤَال . والمريض مهما اشتدَّ المهُ لا ينطق بكلمة تدلُّ على تألمهِ . وكذلك المضروب لا يبدي اقل توجع مهما اشتد عليهِ الضرب . والمسوق الى القتل لا يبدي اقل جزع او خوف . واذا أظهر المريض اقل تألم او المضروب اقل توجع او المسوق الى القتل اقل جزع او خوف عيَّروهُ وعيروا اولادهُ من بعدهِ الى منتهى الذريَّة . ومن هذا القبيل انهُ اذا كان احدهم سائرًا في الطريق وحدثت خلفهُ ضوضاء فلا يلتفت برأسهِ الى الوراء كمن ذُعر ليرى ما الخبر بل يتحول بجميع جسمهِ دفعة واحدة واذا تعرض لهُ كلب فنهشهُ من الوراء فلا يردهُ عن نفسهِ بل يصبر على نهشهِ حتى تراهُ المارَّة فتردهُ عنهُ

ومن اكبر العيوب عندهم الفرار من القتل فاذا ارتكب احدهم جناية تستوجب القتل وقف في مكانهِ ينتظرهُ بالتسليم وكامل الصبر . من ذلك ما روي ان رجلاً من الضباينة يدعى عبد الرسول كان متزوجاً بامرأة يحبها جدًا وهي تكره احد اخوالهِ فأوغرت صدرهُ عليهِ فاخذ خنجرهُ وقصد خالهُ فوجدهُ يحلب بقرتهُ فشرع في طعنهِ بالخنجر حتى قتلهُ فامسك برجلهِ اذ

ذاك ومكث ينتظر القتل لحضر اخوة القتيل وبكوه ولم يتعرضوا لابن اختهم اذ من العار عندهم ان يثأر الرجل من ابن اخته او يمسهُ بسوء فلما حضرت اختهم والدة عبد الرسول صاحت وولولت وحثت التراب على رأسها حزناً على اخيها ونادت بابنها قائلةً ان كنت ابني وابن ابيك فلا تعش بعد قتل خالك فقال عبد الرسول لاخواله اقتلوني بثار اخيكم ولما أبوا اخذ خنجره وطعن به نفسه فوقع ميتاً الى جانب خاله فهزت امهُ يدها فوقهُ ارتياحاً وقالت حقاً انك ابني وابن ابيك ثم حملوا القتيلين ودفنوهما في حفرة واحدة . قلت وهذا الخلق اي عدم الفرار من القتل مروي عن الايثيوبيين القدماء كما سيجيء في التاريخ

هذا ومن المعايب عندهم الفرار من ساحة القتال جبناً او خوفاً فاذا دخل فارسهم ساحة القتال فقتل فرسهُ وانكسر قومهُ فهو لا يقاتل مستقتلاً كمن وقع في فشل او ذعر من الخوف بل يفترش فروتهُ ويجلس عليها الى ان يأتي العدو فيقتله او يأسره وهذا الخلق انما نراهُ في عرب النيل وشرق السودان وامثلتهُ في التاريخ كثيرة اما عرب غربي السودان ففارسهم يقاتل حتى يقتل او يفر

ومما هو مشهور من اخلاقهم فيدل على النجدة واحترام العرض انهُ اذا قصدت امرأة سيداً منهم فكشفت عن رأسها وتشفعت له بأمرٍ وجب عليه قضاء ذلك الامر او بذل اقصى الجهد في قضائهِ مهما كلفهُ ذلك من المشقة والعناء

ومما يدلُّ على حبهم للضيافة ان لهم في كل بلدة منزلاً خاصاً بالضيوف يسمونهُ « الخلوة » فاذا نزل فيها ضيوف طبخت كل ربة بيت طعاماً وارسلتهُ اليهم وذهب الرجال للترحيب بهم وتناول الطعام معهم . ذلك في الجزيرة وشرق السودان واما في غرب السودان فكل منزل معدٌّ لقبول الضيوف واقرائهم من طعامهِ الخاص كثروا اوقلوا

وهم يتبارون في افراحهم على الخيل أو الهجن وبرفع السيف بالاصابع الثلاث الاولى وذلك بوضع قبضتهِ بين السبابة والوسطى والضغط على رأسها بالابهام ورفع السيف افقياً . وترى لهم في ساحة كل بلد حجراً يعرف بحجر الصبيان يتناظر الشبان في رفعهِ بكلتا اليدين الى الصدر او الكتف او فوق الرأس ونحو ذلك من المناظرات الرائجة في مصر والشام

﴿ البطان ﴾ ومن اشهر عاداتهم التي اصبحت خلقاً لهم عادة "البطان" وهي من نوع الدوالو عند الافرنج فاذا تنافر شابان لسبب من الاسباب طلب احدهما الآخر للبطان فان ابى عدَّ جباناً ورفضت البنات زواجه واذا رضي اخذ كل منهما سوطاً وعمدا الى عنقريب (سرير) جعلوهُ بينهما ووقف الواحد تجاه الآخر ثم خلع كل منهما ثوبهُ وتجرَّد الى وسطهِ واجتمع الناس للشهادة فيبدأ احدهما بجلد الآخر سوطاً على ظهرهِ ثم يصبر فيجلدهُ رفيقهُ سوطاً

وهكذا يتناوبان ضرب السياط وهما لا يتحركان من مكانيهما بل لا يحركان كتفاً او جفناً الى ان يقع احدهما من شدة الضرب فيحمله اقاربهُ الى بيتهِ فيزورهُ مصارعهُ ويصالحهُ . وهي عوائد العامة فلا تشترك فيها الخاصة ثم هي محصورة في اولاد ابي مرخة دون غيرهم من عرب السودان ولكن تناول رقيقهم هذه العادة ففاقهم فيها . واهمّ اسبابها النساء فاذا احب شاب فتاة فزاحمهُ آخر عليها طلبهُ للبطان واخذها الغالب

وقد يكون البطان لمجرد المباهاة بالقوة والجلد على الضرب فيدخل فيهِ اذ ذاك اكثر من اثنين ويكون على ضرب الدلوكة فكل من اراد البطان يأتي الى النساء اللواتي يضربنَ الدلوكة فيهز سوطهُ فوق رؤُوسهنَّ ويقول " ابشرنَ بالخير انا اخو البنات عشرة " ويقف الكل صفاً واحداً ثم يبرز احدهم فيضرب كل من في الصف سوطاً ويرمي السوط ويعود الى الصف فيبرز آخر فيتناول السوط ويفعل فعل الاول وهكذا حتى يأخذ كل منهم نصيبهُ ضارباً ومضروباً

واذا اعجبت فتاة بشاب من الحضور ووقع حبهُ في قلبها نزعت من معصمها سواراً والبستهُ اياهُ فيأخذ الشاب اذ ذاك سوطهُ ويهزهُ فوق رأسها ويقول " ابشري بالخير أنا اخو البنات عشرة " فاذا كان لهُ بين الحضور مناظر في حب الفتاة ورأى سوارها في يدهِ انبرى لهُ وطلب مبارزتهُ فيقف لهُ حامل السوار واضعاً يدهُ اليمنى فوق رأسهِ فيجلدهُ بسوطهِ الى ان يكلّ فيرمي السوط فيجلدهُ حامل السوار في نوبتهِ بما اعطي من القوة ويقف المضروب في حالة الضرب جامداً لا يتحرك ولا يطرف لهُ جفن كأنهُ صخر اصم ومن بدت عليهِ ظواهر التألم بل من بدت منهُ اقل حركة كهز الكتف او طرف الجفن لبس العار ولم يعد لهُ من البنات نصيب

واذا أحب شاب فتاة ولحظ من احد الحضور ميلاً اليها تأخذهُ الغيرة فيستل سكينهُ من ذراعهِ ويأتي الى حبيبتهِ ويهز السكين فوق رأسها وينادي « ابشري بالخير انا اخو البنات عشرة » ثم يشرع في تشريط ذراعهِ وصدرهِ الى ان يلطخ رأسها وثيابها بالدم فيأتي احد الحضور ويمنعهُ من ذلك ويأخذ النساء من دمهِ فيلطخن بهِ جبين حبيبتهِ وهي تتمايل تيهاً ودلالاً معجبة باستهلاك حبيبها في حبها فتصدقهُ الحب ولا تعود تلتفت الى أحد سواه . وقد رأيت كثيراً من الشبان مجرحي السواعد والصدور بسبب هذا الحب البربري * قيل وعشاق البادية لا يأكلون لحم الغزلان لانهم يشبهون حبيباتهم بها فلا يطيقون ذبحها او تعذيبها واذا راوا غزالة في يد صياد افتدوها بالمال واطلقوا سراحها . وفارسهم يتكنى باسم حبيبتهِ ويتباهى بحبها وعند اللقاء في الحرب يقتحم غمرات الموت بجوادهِ وسيفهُ مسلول في يدهِ وهو ينادي " لعيني فلانة " على ما هو مشهور عند اهل بادية الشام

﴿ طبهم ﴾ وطبهم عرفيّ يتوارثهُ الخلف عن السلف فاذا مرض احدهم زارهُ اهلهُ وجيرانهُ ووصف لهُ كل منهم علاجاً فيتخذ المريض العلاج الذي يظنهُ انفع لهُ وقد تقدم لنا ذكر اشهر الامراض الخاصة بالسودان وطرق معالجتها عندهم ونذكر تحت هذا الباب علاجهم للجروح وذلك انهم يصبون عليها السمن مغلّى ثم يغمسون قطنة في السمن البارد ويضعونها عليهِ ويربطونها ويكررون ذلك كل يوم مع مراعاة النظافة التامة الى ان تبرأ . هذا في الجروح البليغة . واما الجروح الخفيفة فيعالجونها برشها بالملح او البارود او البن ثم بالقطنة والسمن البارد . وتشفى الجروح بسرعة لا تكاد تصدق . واذا شكا عليلهم ثقلاً في رأسهِ وعينيهِ طلب الحجام لحجمهُ في نقرتهِ او في قمة رأسهِ . واهم شرباتهم شربة السمن وهي مقدار رطل مصري من السمن يسخن و يشرب على الريق ومنهم من يكرر ذلك خمسة ايام متوالية ولا يشربون ماء بارداً معها لئلا تولد زحيراً . وشربة السنامكي يشرب منقوعها مع منقوع التمر الهندي والسكر . وفي جزيرة مغرات تراب معدني يعرف بالجردقة يعالجون بمنقوعهِ المغص ووجع المعدة والامعاء ويمزجون التربية بالبوزة والمقويات ويعالجون بها داء الزهري . واشهر مقوياتهم مزيج مركب من العسل والسمن والثوم والبلح على هذه الصورة : تغلى ثلاثة ارطال عسلاً الى ان ترغو فيضاف اليها ثلاثة ارطال سمناً بقرياً و يغلى المزيج ثم يجعل فيهِ نصف رطل ثوماً بعد تقشيرهِ و يغلى الى ان يحمر الثوم فيخرج منهُ ويعوض عنهُ بنحو ١٥٠ بلحة من البلح الابريمي بعد نزع نواهُ ويؤكل منهُ على الريق وقبل النوم ولا يؤكل معهُ المفلفلات ولا اللحم البقري فيكون معهُ عافية وقوة . وهم يعالجون السل والبواسير بهذا المركب : رطل فلفل اسود وابيض ونصف رطل زنجبيلا وربع رطل خولنجان وسدس رطل قرفة ورطلان سكراً تدق جميعاً وتنخل وتؤخذ مع الشاي سفوفاً على الريق . و يعالجون السل بالشطة وحدها بأخذها مع كل طعام بدل الفلفل . ويعالجون الخنازيري (التهاب الغدد الليمفاوية) بشقها وذرّ الزرنيخ على الجرح

وعندهم كثير من الدجالين يعالجونهم بالتعزيم وكتابة الاحجبة فهي علاج لكل داء عياء وقلما تجد احداً من اهل السودان ولاسيما النساء الا حاملاً حجاباً او اكثر . ومن علاجاتهم ان يكتبوا سوراً من القرآن على لوح ثم يغسلون الكتابة بماء ويشربون الماء للاستشفاء بهِ

ويهتمّ بالمريض امهُ وزوجتهُ واختهُ وعمتهُ وخالتهُ . وفي سوء الهم عنهُ يقولون عسى طيب النهار دا . المولى يعفو عنهُ ان شاء الله وعند تفشي امراض وبائية يذبحون الذبائح ويوزعونها على الفقراء والمساكين رجاء رفع الاوبئة عنهم والذين لا قدرة لهم على ذبح الذبائح يسلقون الذرة و يوزعونها و يعتقدون ان الوباء يذهب مع البخار الذي يتصاعد منها ولا يسلقونها الاَّ

عند طلوع الشمس وغروبها . وبعد اكل الذرة يطوف الاولاد في الشوارع منادين : " يا لطيف لم تزل الطف بنا فيما نزل " او ينادون " يا خالقنا نحن ضقنا "

ومن عاداتهم عند رؤية الهلال ان يقولوا " اللهم اعطنا خيره واكفنا شره " ثم يوقدون النار امام منازلهم ويهنئون بعضهم بعضاً فيقول الواحد « الشهر مبارك عليكم » فيجيبهُ الآخر " علينا وعليكم " ثم يقول الاول " اعفوا عنا " فيجيبهُ الثاني " عافين عنكم " وهذه عادتهم في ايام المواسم والاعياد وهي من اجلّ عاداتهم

وقد اقتبسوا عادة الاحتفال " بشم النسيم " من المصريين وتقلدوهم في سحق رؤوس البصل وصبغ البيض والاستحمام في النيل والخروج للتنزه في البساتين

ومن عاداتهم في الحروب انهم يأخذون كبار قتلى اعدائهم فيقطعون رؤوسهم ويعلقونها في الشوارع العمومية اشهاراً للنصر . واما السود فيقطعون ايدي قتلى الاعداء ويضربون بها النقارة الى ان تنتن فيرمونها . ومن قتل وحشاً مفترساً جرّدوه من ثيابه والبسوه ثياب النساء وحلاهنَّ من عقود الخرز وغيرها وضفروا شعره ضفائر دقيقة كضفائر النساء وحبسوه في بيت مظلم سبعة ايام ثم اخرجوه الى النيل للاستحمام به ووسموه في جبهته او كتفه علامة لقتله الوحش المفترس وتغييراً لسحنته ثم اولموا وليمة فاخرة فرحاً بسلامته

" وقيودهم " الشعبة والمكية اخذوها عن السود والزنجير المعروف والقيد وهو على صورة المكية الاَّ انهُ اخف منها ولا يقفل بمفتاح

" والعابهم " الخاصة بهم : السيجة وهي تشبه الداما والطاب وغيرهما وعندهم من العابنا الداما والمنقلة والنرد (الطاولة) والدومنو والورق

❖ خرافاتهم ❖ واما خرافاتهم فعلى نحو خرافات العرب في مصر والشام الاَّ انهم اشد تمسكا بالخرافات من العرب في كل زمان ومكان . فعندهم السحرة والدجالون والمشعوذون من الرجال والنساء . ومن معتقداتهم السحر والزار والمندل والرمل وضرب الودع والعقدة وكشف الدفائن وتفسير الاحلام والخيرة وكتابة الاحجبة والاصابة بالعين والتشاؤم والتفاؤل ووجود الجن والعفاريت ونحو ذلك من الترهات التي لا طائل تحتها

اما الزّار فقد دخل السودان من مصر وكثر استعمالهُ في بلاد سواكن وبربر والخرطوم . واكثر اعتمادهم في تفسير الاحلام على كتاب بن سيرين . وفي الخيرة على كتاب محيي الدين ابن العربي . واما الرمل والمندل وضرب الودع وكشف الدفائن وعلم التنجيم فاكثر المشتغلين فيه هم السحرة والمشعوذون من التكارنة وغيرهم

واما العقدة فيشتغل بها فرع من بشاري الانبرة يعرف بالقرَّب فاذا ارادوا عقد انسان في مكان عزَّموا عليهِ فبقي في مكانهِ لا يبرحهُ حتى يحلوهُ واذا وضع امامهُ طعام وعقدوهُ لم يستطع ان يمدَّ الى الطعام يداً . قيل واذا سخرلهم جمل عقدوهُ فيبرك ولا يقوم

السلُّ

سببهُ وعلاجهُ

كتب بعض اطباء نيويورك رسالة الى جريدة "السينتفك اميركان" في السل وسببهِ وعلاجهِ فقال فيها ان علم الطب يقول ان وجود باشلس التدرن في الرئتين هو السبب الجوهري في مرض السلّ . واجمع الاطباء طرًّا بعد طول البحث والامتحان على ان العقاقير الطبية لا تفيد في علاج هذا الداء . والظاهر انهم قصروا البحث على اكتشاف واسطة لاهلاك جراثيم السلّ في الرئتين بدلاً من ازالة بعض الاسباب الجوهرية التي تمكن الجراثيم من المعيشة فيهما. واخفاق المساعي التي بذلت لمعالجة هذا الداء يدلُّ على ان الاطباء لم ينبهوا لبعض العلل الاصلية التي يتسبب السلُّ عنها. فقد قال بعض الاطباء ان سوء التغذية سبب السلّ ولكنَّ كثيرين اصيبوا بسوء التغذية وبرَّحهم الداء ولم يصابوا بالسل . والحقيقة انهُ لا يصاب احد بالسلّ ما لم تكن رئتاهُ ضعيفتين صالحتين لسكن ميكروب السلّ ونموّهِ

والشروط الصالحة لنمو هذا الميكروب نسيج ضعيف وكمية معلومة من الرطوبة . وسبب اصابة الرئتين بهذا الداء هو ان قصبتيهما قلما تمتلئان هواءً فيضعف نسيجهما هناك . واذا استقرَّ المكروب فيهِ فلا يمنع نموَّهُ دواءٌ من الادوية المعروفة الى الآن . اما القوي الرئتين فانهُ يستنشق مكروبات السلّ ولا تضرُّ بهِ

اذًا ليس الميكروب كلَّ السبب في السلّ بل ان بعض السبب ضعف نسيج الرئتين لاسباب عديدة ونموّ الميكروب على اثر ذلك . فلا يوجد السل بلا وجود الميكروب ولا يوجد الميكروب وينمو بلا وجود نسيج ملائم لنموهِ . ولو فرض ان الميكروب وجد تربة ملائمة لنموهِ فان المرض لا يتقدم مالم تنحطَّ قوة المريض بسبب اجهاد قواهُ العقلية او العصبية فالميكروب اذًا سبب من الاسباب واما السبب الجوهري فهو حالة العقل وما يتبعها من انحطاط قوى العليل وهذا هو الامر الذي لم ينتبه الاطباء لهُ حتى الآن

ولست اريد بهذا القول ان حالة العقل هي السبب المباشر للسل ولكنها الشرط الاهم الذي

يجب الانتباه له في علاج هذا الداء . فان سبب السلّ ضعف اعصاب الحركة في الرئة وغيرها من اعصابها . وضعف اعصاب القلب والمعدة وغيرها من الاعضاء الداخلية التي لها علاقة بهضم الطعام وتمثيله . ولما كان العقل متسلطاً على اعصاب الحركة وغيرها تمام التسلط فان فيه سبب الخلل الاصلي . فاذا اجهد العقل بشدة الهم او الخوف او غيرها من المهيجات الطبيعية او العقلية دبّ الخلل اليه وتطرق منهُ الى الجهاز العصبي كلهِ . واذا طال الاجهاد بات العقل ضعيفاً وفقد سلطتهُ على الجسم فتختل الاعصاب وتعود غير كفوءة للقيام بوظيفتها الاصلية

فاذا اضطرب العقل او تهيج تغيَّر عمل القلب والمعدة وغيرها من اعضاء الجهاز الهضمي فيتعطل الهضم والتمثيل ويعقب ذلك سوء التغذية فالهزال الذي يصاحب هذا المرض عادة وتضعف اعصاب الحركة التي في الرئتين فيتعذر عليهما قذف المادّة التدرنية التي تجمعت فيهما والتي لا تزال تتجمع بسرعة عظيمة للسبب عينهِ . واذا ضعف القلب فضعفت الدورة الدموية وضعفت المعدة وسائر اعضاء الهضم فصارت عاجزة من هضم الطعام وتمثيله كما يلزم وضعفت الرئتان فصارت عاجزتين عن قذف المادة التدرنية فلا عجب اذا تجمع الصديد فيهما وتكاثرت المكروبات وأسرع نبض العليل وارتفعت حرارتهُ

وقد ظهر من التجارب الحديثة انهُ اذا أُصلحت الاسباب الحقيقية وزاد عمل القلب عاد النبض والحرارة سريعاً الى مجراها الطبيعي وبقيا كذلك ولو كان في الرئتين كمية كبيرة من المادة التدرنية . وندر ان يسرع النبض وترتفع الحرارة بعد ذلك ما لم يستولِ على العليل اضطراب عقليّ . اما المادة التدرنية التي تبقى في الرئتين فتقذفها الرئتان حالما يقوى نسيجهما واعصاب الحركة التي فيهما

واهمُّ ما في السلّ امر علاجهِ . ولما كانت احوال المرض تختلف كثيرًا باختلاف المرضى بهِ فلا يمكن تعيين علاج واحد للجميع على ان الارشادات التالية تفيد في اغلب حالات المرض وتلائم المسلولين الذين تقدَّم سير المرض فيهم بنوع خاصّ

قالوا ان هذا المرض لا يشفى اذ ليس للمريض قوة حيوية كافية ولا قوة عصبية لمقاومة المرض . ولما كان الامر كذلك فاول ما يجب الانتباه له المحافظة على ما بقي للمريض من القوة العصبية وابعادهُ عن كل ما يسلب تلك القوة منهُ . ولبلوغ ذلك يجب ان يعلم كيف يفتكر ويتنفس ويتحرك على اسلوب منتظم . فقد عرف ان بعض الاطباء نجح نجاحاً واضحاً في معالجة المسلولين بتعليمهم التنفس العميق المنتظم . وسبب النجاح هو اولاً تفتيح خلايا الرئتين وادخال الهواء الني اليها وثانياً انهُ اذا اخذ العليل يتنفس تنفساً منتظماً صار تفكرهُ وتحركهُ

منتظمين ايضاً فاستراح العقل وجميع اعصاب الجسم

ثم انهُ اذا كان المرض متقدماً فليقم المريض في غرفة واسعة تدخلها الشمس ولتبق شبابيكها مفتوحة ليلاً ونهاراً وليخبر بالسبب الحقيقي الذي افضى الى مرضهِ وان شفاءهُ يتوقف على ما يبذل من السعي للتسلط على افكارهِ وعقلهِ فيجتنب كلَّ ما من شأنهِ ان يثير عوامل الخوف والهمّ وغيرهما من الامور التي تهيج عقلهُ او تتلف قوتهُ العصبية . وليعلَّم التنفس البطيء العميق المنتظم فيعدّ عدداً معلوماً عند كلّ تنفسٍ ثم يزاد العدد باتساع رئتيهِ وازدياد قوتهِ

وليحذر اهل بيتهِ ان يسألوهُ عن صحتهِ وان يعترضوا عليهِ كلما سعل لان سعالهُ امر اضطراري وليس في وسعهِ ان يجتنبهُ ولا يسمح للعوَّاد الذين يهيجونهُ باقوالهم ان يعودوهُ . ولا يلحوا عليهِ في الخروج للتنزه في الايام المشمسة بل ليتركوهُ يتنفس الهواء النقي ويتمتع بنور الشمس وحرارتها بلا حركة ولا تعب . اما التنزه خارجاً فيلجأ اليهِ متى استعاد قوتهُ البدنية والعصبية فبات وهو يستطيع التنزه من غير ان يلمَّ بهِ ضعف بعد ذلك . والدلك يقوم مقام الرياضة وكثيراً ما يقلق المرضى بالبحث في حالة نبضهم وحرارتهم وخير ما يفعل ان يتناسى هذا الامر وخصوصاً في حضرتهم

واقول اخيراً ان الدلك يفيد فائدة عظيمة لانهُ يساعد القلب على عملهِ فتحسن الدورة الدموية . فليكن الدلك خفيفاً جدًّا ومنتظماً وسرعتهُ مثل سرعة النبض الاعتيادية . والاَّ فاذا زاد الضغط على جدران الاوردة والشرايين افضى ذلك الى زيادة احتقان الدم وتهيجهِ في المواضع الملتهبة

ومن اهم الامور في علاج السل ان يراح العقل من جميع المشاغل والهموم النواصب . فان الم الضرس كافٍ احياناً لاهاجة العقل ومنع سكونهِ وانتظامهِ . وليتذكر دائماً ان اعظم ما يحتاج العليل اليهِ سكون عقلهِ سكوناً تامًّا حتى يسترجع قوتهُ الاصلية ويستطيع ان تتم وظيفتهُ الطبيعية . انتهى

ولاندري كيف يعلل الكاتب حدوث السل في العجماوات ولاسيما القرود فان اكثر ما يوضع منها في بساتين الحيوانات يموت بالسل وهي لاتهتم اقل اهتمام عقلي وغاية مافي الامر ان ميكروب السل يصيب رئاتها بكثرة فلاتقوى عليهِ ولو اطلقت في الخلاء حيث تستنشق الهواء الخالي منهُ لتغلبت رئاتها عليهِ وشفيت منهُ فان كان للعقل تأثير فيكون تأثيرهُ في التغذية العامَّة وهي اذا ضعفت اتسع المجال لميكروب السل فيفعل فعلهُ الذريع

باب الزراعة

غسول مكدوجال

قرأنا عن فائدة هذا الغسول في شفاء البقر والغنم والجمال من الامراض الجلدية التي تصيبها وعن فائدتهِ ايضاً في وقايتها من القراد والذباب وما اشبه ثم التقينا باحد الذين جربوهُ فاكدَّ لنا فائدتهُ ويقول اصحابهُ " ان اكثر المزارعين الانكليز يغطسون اغنامهم فيهِ مرتين او اكثر في السنة ونتيجة ذلك ان داء الجرب يكاد يستأصل استئصالاً تاماً فضلاً عن ان هذا الغسول يستأصل شأفة الاوبئة التي تسببها الحشرات فلهُ فائدة كبيرة في انهُ يحسن نوع الصوف ويزيد في نموهِ . والصوف الذي غمس في غسول مكدوجال يبقى ناعماً . ومن خواص هذا الغسول انهُ يزيد في نمو الصوف نحو عشرين في المئة في بعض الاحيان وعلى كل حال فانهُ يزيد في نموهِ ما يفوق ثمن الغسول ويحسن لونهُ ولمعانهُ تحسيناً عظيماً بحيث يجد المزارع باباً للربح في استعمالهِ . ولم تخف هذه الحقائق على المزارعين واصحاب المواشي في بريطانيا العظمى ولاسيما في اسكتلندا وتبيّن لهم الربح الحاصل من الانتفاع بها فهم يغطسون كل اغنامهم في هذا الغسول مرتين او ثلاثة كل سنة " . وقد نشر وكلاء مكدوجال في القطر المصري رسالة وصفوا فيها الحشرات التي تسطو على المواشي من قراد وقمل وجرب ونعر فاقتطفنا منها ما يلي لما فيهِ من الفائدة

١ — القراد

القراد حشرات طفيلية شديدة البأس تمتص الدم مصاً . ويتولد القراد واحدة فواحدة ومع ذلك فانهُ يتكاثر بسرعة غريبة وهو يلتذ كثيراً بامتصاص الدم ولكنهُ يستطيع النمو والتكاثر بدونهِ ويعيش مدة غير محدودة على الارض الى ان تسنح لهُ اول فرصة يتمكن بها من التعلق بصوف الغنم والجمال وغيرها فيحمل عليها حينئذٍ حملةً شعواء فيفقدها راحتها ويكلفها عناء عظيماً

وجسم القرادة او بطنها يتألف من غشاء يمكن تمدُّده كانهُ كيس مطاط وهي تملأهُ بمقدار كبير من الدم الذي تمصهُ فتخزن ما يزيد عنها منهُ الى وقت الحاجة في المستقبل . ولما ست

ارجل متساوية في الطول وفي كلٍ منها سبعة مفاصل تنتهي بكلابات تمكنها من التمسك بصوف الحيوان وشعره

وتكون هذه الحشرة في الدور الاول من ادوار حياتها دودة تتكون في البيضة وهي في بطن امها . وتكون في بادئ الامر لينة صفراء اللون ولكنها تقسو حالاً ويصير لونها اسمر وهي بيضوية الشكل بطرف مسطح وتلتصق بالصوف بواسطة ما يفرزهُ جلد الغنم والجمال . واذا تمَّ نموُّها خرجت من البيضة قرادةً كاملةً تفترس وتتكاثر

٢ — القمل

القمل لا يلازم الغنم دائماً كالقراد ويندر وجودهُ حيث تعالج الماشية بالعلاج المناسب ويظن بعض الرعاة انهُ زال من اغنامهم ولكنهم كثيرًا ما يخطئون لانهُ يوجد في قطعان عديدة ويكون كثيرًا جدًّا . ويسمى غالباً بالقمل الاحمر واحياناً بالقمل الابيض لان رأسهُ وعنقهُ حديديا اللون وجسمهُ اصفر باهت اللون فيهِ خطوط سوداء

والقمل يفضِّل الوجه الداخلي من ساق الحيوان وجوانب العنق والصدر . ووجودهُ حول العنق وعلى الكتفين والظهر هو الذي يجعل الحيوان يُدخل عنقهُ بين قضبان الابواب الحديدية وغيرها ليحكها بها

فاذا رأيت الصوف قد سقط وزال في بعض الاماكن وكذلك اذا رأيت الخروف يعض كفلهُ او يخمش مرفقيهِ برجليهِ فافحص تجد هناك القمل يثقب الجلد ليمتص الدم

٣ — الجرَب

ان حيوان الجرب هو الذي يسبب الجرب في الغنم وفي الجمال والخيل وغيرها من الحيوانات . وهو صغير جدًّا لا يزيد حجمهُ على حجم الثقب الذي يثقب بطرف الدبوس ومع ذلك فهو يتكاثر تكاثرًا سريعاً جدًّا واذا لم تتخذ الوسائل الفعالة لدفع شرهِ الحق بالقطيع ضررًا بليغاً جدًّا . فهو يحفر في الجلد ويهيج اللحم تحتهُ . واذا ولد حيوان الجرب انثى على صوف الحيوان اسرعت الى جلدهِ فاخترقتهُ ودخلت فيهِ ولم تترك خارجاً سوى نقطة حمراء . وبعد مضي نحو عشرة ايام ترى انتفاخاً قليلاً في المكان الذي دخلت فيهِ ويتغيَّر اللون فيصير مخضرًّا . ثم تتكوَّن بثرة صغيرة ولا يمضي ستة عشر يوماً حتى تصير هذه الانثى امًّا فتخرج من مكمنها باولادها . وفي الحال تبدأ كلٌّ من الصغار بعيشة مستقلة عن اختها فتحفر في الجلد لنفسها وتكمن هناك وهي تقتات من لحم الحيوان كما فعلت امها قبلها . ويستمرُّ هذا الامر كذلك حتى يبلغ عددها

الالوف والربوات فتعذب الغنم والجمال عذاباً اليماً ولاسيما في الشرق حتى اذا لم تعالج المعالجة الصحيحة فقد تودي بحياتها

وافضل الوسائط لوقاية الماشية ان تحفظ دائماً في حال النظافة التامة هذا ما عدا تغميسها في غسول مكدوجال . ولا تفي العلاجات بالمقصود الا اذا اعتني بالغنم كل الاعتناء

وحشرة جرب الغنم التي تسبب هذا الداء صغيرة جداً لا يراها بالعين المجردة الا من كان متمرناً على رؤيتها ولكنها ترى بكل سهولة بواسطة نظارة مكبرة وهي تغور في اللحم وتقتات عليه وتكثر بسرعة عظيمة فتسبب التهاباً شديداً . واذا دخلت جسماً افرزت مصلاً يجف على الجسم بهيئة قشرة . وتعيش حشرات الجرب تحت هذه القشور فتضع بيوضها وتنمو وتتكاثر بسرعة عظيمة حتى اذا اصيب مكان بها فقد تنتقل الى مكان آخر من الحيوان نفسه . واذا اخذت احدى هذه القشور على طرف سكين وفحصتها بنظارة مكبرة رأيت حشرات الجرب تحتها ورأيت ايضاً بيوضها

وتبيض انثى حشرة الجرب من عشرين الى ثلاثين بيضة وتموت وتولد صغارها من البيض بعد نحو سبعة ايام لا يمضي عليها ثمانية ايام اخرى حتى تبدأ تبيض . فهنا حقيقة يجب على كل من يهمهُ هذا الامر ان يبقيها في ذهنهِ لانهُ اذا عولج الحيوان بالعلاجات الواقية ماتت كل الحشرات والبيوض التي يصل اليها الغسول اما البيوض التي تكون مطمورة تحت الجلد فلا يصلها الغسول وتبقى حية . فمن الواجب اذاً اعادة المعالجة بعد مرور عشرة ايام او اربعة عشر يوماً فتكون البيوض المخبأة في هذه المدة قد بلغت وخرجت صغارها من مكامنها ولكن لم يمضِ عليها وقت كافٍ لتبدأ في وضع بيضها

ومن خصوصيات بيوض الجرب انها تستطيع ان تبقى حيةً وقتاً طويلاً بعيدة عن جسم الحيوان . ولكنها اذا اتصلت بجسم حيوان سليم باية واسطة كانت فلا يمضي عليها وقت طويل حتى تتحول الى حشرات . ولذلك فكثيراً ما يصاب الحيوان بالجرب ولا يعلم صاحبهُ كيف اتصلت العدوى بهِ

يتبين من هذا الامر ومن كون المرض سريع العدوى جداً ان استئصالهُ والقاءهُ من اصعب الامور الا اذا اتخذت التدابير اللازمة وعمل بموجب الارشادات المذكورة

والحيوانات الجرباء كثيراً ما تحتك بكل ما تصل اليهِ كاعمدة التلغراف والاشجار وغيرها وبعملها هذا ينتقل منها شيء من حشرات الجرب او بيوضها او من النوعين فتبقى هناك وتنتقل الى الحيوانات السليمة وتعديها . وقد يتصل المرض بالعدوى من عربات النقل في السكك

الحديدية ومن الشوارع ومن الطرق ايضاً واذا اختلطت نعجة جرباء بقطيع سليم فقد تعدي القطيع كلهُ في اقصر وقت

اعراض الداء — اذا كان الجرب قد بلغ درجات متقدمة فلا يصعب الوقوف على اعراضهِ واما اذا كان لم يزل في اوائلهِ فالحكم في وجودهِ وعدمهِ من صعاب الامور · والحيوانات المصابة تصير قلقة منزعجة وتكثر من حك جسمها لتسكين الالتهاب · ثم يبدو الصوف في البقع المصابة رثًّا بالياً ثم يسقط ويبقى مكانهُ عارياً · واذا تقدَّم الداء في الدرجات ظهرت قشور الجرب فثبت الحكم بوجودهِ

الشفاء — ان شفاء الجرب ليس صعباً بشرط ان يعالج المعالجة المناسبة بالعلاج المناسب بدون تأخُّر . فاذا اصاب الجرب قطيعاً كاملاً اوحيواناً واحداً فيجب الاسراع في معالجتهِ بدون ابطاء

وفي معالجة الجرب في الخيل والجمال والمواشي يجب مراعاة الامور الآتية :—

١ استعمل انجع الادوية فقط واحذر السموم الضارَّة

٢ تحقق مقدار كل من الغسول والماء المستعمل لتعلم قوة المزيج بالتدقيق

٣ انتبه حتى يكون استعمال العلاج على اتمهِ

٤ كرر المعالجة بعد عشرة ايام او اربعة عشرة يوماً

٥ طهر الاسطبل او الزريبة او غيرها حيث كانت الحيوانات الجرباء وكذلك كل الاعمدة التي قد حكَّت جسمها بها والاَّ فانها تعود وتصاب ثانية بعد ان تكون قد شفيت

٦ لا تنسَ ان غسول مكدوجال قد أُعدَّ خصوصاً لشفاء هذا الداء العياء وهو افضل وانجع دواء من نوعه وصل العلم الى اكتشافهِ

٤ — النعر وذباب الخيل

يدخل تحت هذا الاسم ما لا يقل عن اربعة اجناس من الذباب الذي يسطو على لحم الغنم واشهر هذه الاجناس ما يسمى بالذباب الازرق وهذا لهُ صدر ازرق قاتم وجسم ازرق لامع والجنس الثاني ذباب رمادي الصدر لهُ ثلاثة خطوط سوداء على ظهرهِ وجسم رمادي مخطط خطوطاً طولية وقد يكون احياناً ناصع البياض · والجنس الثالث لهُ صدر ازرق لامع وجسم اخضر . والجنس الرابع جسمهُ اخضر لامع و يعرف باسم ذباب اللحم الاخضر

وهذه الحشرات خفيفة الحركة فلا تنقطع عن التفتيش على طعامها وعلى مكان مناسب تضع فيهِ بيضها . وقد تحقق ان الانثى الواحدة من هذا الذباب تبيض عشرين الف بيضة وهذه كلها تتحوَّل الى دود تلهم كلٌّ منها من اللحم اكثر من الحشرة البالغة . وقد وجدوا ان الدودة من هذا الدود اذا ساعدتها الاحوال يزيد ثقلها مئتي ضعف في مدة لا تتجاوز ٢٤ ساعة . وهي تقتات بكل انواع اللحم الفاسد واللحم الحي ايضاً اذا تمكنت من الوصول اليهِ . واذا ساعدتها الاحوال بتكامل بلوغها في خمسة او ستة ايام فتنقطع عن الاكل وتحفر في الارض الى عمق بوصتين او ثلاث وتقضي هناك الدور الثالث من ادوار حياتها . ثم لا يمضي عليها اسبوعان حتى تتمزَّق القشرة المحيطة بها فتخرج منها ذبابة لحم كاملة وتسعى وراء طعامها ومكانٍ ملائم تبيض فيهِ

ويضع هذا الذباب بيوضهُ على الغنم في انكلترا من شهر مايو الى شهر سبتمبر وخصوصاً في شهر اوغسطس واوائل سبتمبر . وتقوى هجماتهُ في الطقس الحار الممطر ويفضل وضع بيوضهِ حول الذيل وعلى الظهر . ومتى تحوَّلت هذه البيوض الى ديدان وبدأت تلتهم اللحم صار الصوف في ذلك المكان قذراً وانبعثت منهُ رائحة كريهة تجذب الذباب اليهِ ليضع بيوضهُ هناك وهكذا يستمر هذا العمل حتى اذا مضى على الخروف اربع وعشرون ساعة وهو على هذه الحال فقد لا يبقى رجاء من شفائهِ واذا مضى عليهِ ٤٨ ساعة فقد يموت متألماً . فاذ قد تبين ما لهذه الحشرات من الضرر البليغ على القطعان فيجب اتخاذ كل الوسائط الفعَّالة لوقايتها منها . والاغنام الضعيفة او ذات الصوف القذر معرضة للاصابة اكثر من سواها فيجب ازالة كل آثار الاسهال وتنظيف كل الجراح وتضميدها وربطها

موسم القطن

صلح الهواء بعد ما كتبناهُ في الشهر الماضي فجادت زراعة القطن في هذا القطر وفي اميركا جودة قليلة النظير فهبطت الاسعار جدًّا ولا تزال آخذة في الهبوط لانهُ اذا بلغ الموسم المصري سبعة ملايين بالة كما ينتظر زاد على المقطوعية الَّا اذا تحوَّلت بعض المعامل من غزل القطن الاميركاني الى غزل القطن المصري وذلك محتمل ومنوي . ثم اذا جاد الموسم الاميركي فبلغ اكثر من احد عشر مليون بالة فلا بُدَّ من ان تزيد الاسعار هبوطاً وتكون الخسارة عامة

محصول القطن في اميركا

القطن السي ايلند اغلى اصناف القطن الاميركي لانهُ اجودها ويعتني الاميركيون بزراعتهِ اكثر مما يعتنون بزراعة غيرهِ ومع ذلك لا يزيد حاصل الفدان منهُ على اربعة قناطير وكثيرًا ما لا يبلغ الحاصل قنطارًا ونصف قنطار والمتوسط قنطاران اوقنطاران ونصف. اما نفقات الزراعة فتبلغ ستة جنيهات ونصفًا وقد نشرت الحكومة الاميركية تعديل الحاصل والنفقات بعد ان بحثت في ذلك بحثًا دقيقًا فوجدت ان متوسط حاصل الفدان في بعض الاماكن ٢١٠ ارطال من القطن الشعر و ٧١٤ رطلاً من البزرة (او ١١٧ بشلاً) وبلغ ثمن القطن والبزرة ١٢٢٣ غرشًا وبلغت نفقات الزراعة ٦٤٨ غرشًا فيكون ايراد الفدان من السي ايلند ٥٧٥ غرشًا لا غير. والمتوسط في بلاد واسعة يقل عن ذلك كثيرًا وقد بلغ ٢٠٤ ارطال من القطن الشعر وبلغ صافي ايراد الفدان منها ٤٤٩ غرشًا. ولذلك لا يزيد ايجار الفدان هناك على ستين غرشًا ويبلغ ثمن السماد ١٤٠ غرشًا

وهاك جدول النفقات كما ذكرتها الحكومة الاميركية سنة ١٨٩٦

ايجار الفدان	٥٧	غرشًا
حرث	٥٠	"
تقاوي	١١	"
زرع	٠٩	"
ثمن سماد	١٣٩	"
وضع السماد	٦	"
عزق	٨٦	"
جمع	١٥٦	"
حلج وكبس	٩٩	"
خيش وحزم	١٢	"
شحن	٣٦	"
تصليح الادوات	١١	"
مصروفات أخرى	٣٤	"
	٧٠٦	

وثمن القطن والبزرة ١١٥٧ فيكون صافي الربح للفلاح ٤٥١ غرشاً

فاذا جاد هذا القطن في القطر المصري كما يجود في اميركا فلا نفع منهُ لان صافي ايراد الفدان من القطن العفيفي او اليئوفتش اكثر من ذلك كثيرًا ولا يندر ان يؤَجر فدان القطن بعشرة جنيهات

حشرتان

كتب المستر كارتريط في مجلة الجمعية الزراعية الخديوية ما ترجمتهُ :

زرت كفر الزيات فأروني نوعاً من الحشرات يفتك بثمر البرتقال ويوقع بهِ شرَّ التلف . وذلك انهُ بعد ما يصيب البرتقالة تسقط الى الارض قبل نضجها واذا ضغطت باليد ظهر انها لينة وتحت القشرة عدد من الدود يأكل الاجزاء اللينة من البرتقالة

وطول الدودة ٣/٨ البوصة ولونها ابيض مصفرٌ ورأسها اسود . فربيت بعضها فوجدت انها دود الحشرة المسماة "تريبتا كابيتاتا" وهي ذبابة صغيرة جميلة ذات جناحين تضرب الخوخ (الدراقن) كما تضرب البرتقال

وعند ما تترك الدودة البرتقالة تنزل الى الارض لتصير ذبابة . ولا يبعد ان هذه الحشرة تلد اكثر من مرة في السنة فلذلك تصعب معالجتها لا سيما وانهُ لا يعرف ما هو الطعام الذي تقتات بهِ حين لا يوجد برتقال

وهناك طريقتان لتخفيف ضررها الاولى ان تجمع الثمار الساقطة حالاً بعد سقوطها اي قبل خروج الدود منها الى الارض وتتلف اما باحراقها او باطعامها للخنازير

والثانية ان ترشَّ الارض تحت الشجر بمزيج يتألف من جزء من كبريتات الحديد و ٢٤ جزءا من الرمل ثم ترشَّ بالماء فيهلك بذلك الدود الذي يخرج من الثمار الساقطة

ولا حاجة الى القول ان من الواجب اتفاق اصحاب البساتين على ذلك اذ لا فائدة من ان يهلك الواحد الحشرات التي في بستانهِ على حين ان الآخر يهمل ذلك فان الحشرات تنتقل من المكان المصاب الى المكان السليم بسرعة

ومن الحشرات التي شاهدتها ذبابة القمح المسماة "هيليا كواركتاتا" . فقد شوهد ان بعض نبات الشعير المزروع في حقول المدرسة الزراعية اخذ يصفرُّ ويموت فكانت الورقة الوسطى تموت اولا ثم تتبعها بقية النبات . وعند الفحص ظهر ان البرعم الاخير أُكل وان آكلهُ دودة صغيرة طولها من ١/٤ بوصة الى ٣/٨ . فانها ثقبت ثقباً في الغلاف وسارت حتى بلغت طرف

القصلة فأكلتهُ ثم تركت هذه النبتة من الثقب نفسهِ او غيرهِ وانتقلت الى نبتة اخرى
وهي بيضاء اللون بلا ارجل ولها راس مروَّس وفم مؤلف من مشفرين معكوفين اسودين وعند ذنبها نقطتان سوداوان وفوقهما ثقوب التنفس تمتدُّ القصبة منهما الى داخل البدن وذنبهما مقسوم الى شعبتين لحميتين مسننتين وشعبتين اخريين ابسط تركيباً منهما



منزلة الشعر من التاريخ

الى منشئي المقتطف الاغر وناظمي عقود فرائده الغرر

ان لمجلتكما الغراء يداً على اهل الادب بيضاء فقد محصت الحق من الاقوال كما كشفت عنهُ حقائق الرجال وقد زرت قبيل تاريخ هذا الكتاب احد المشتركين في مجلتكم من الاصحاب فاحضر لي العدد الثالث والرابع من مجلد هذه السنة فبقيت انزه النظر في رياض مباحثهما والتقط فرائد فوائدها ورأيت في العدد الثالث منهما تحت عنوان رد على رد وانتقاد للفاضل الاديب امين خير الله افندي رد فيهِ على ما كنا كتبناهُ في التنبيه على ما كان من سهو قلمهِ ولابدع فان الجواد قد يكبو والصارم قد ينبو فرأيناهُ احسن الله اليهِ قد تلقى ذلك على غير ما كنا نأملهُ من امثالهِ الافاضل الاماثل وقطب وجههُ وحملهُ على غير محملهِ ولم يكن القصد الاَّ تمحيص الحق وصيانة مجلتكم الغراء من وصمات الخطاء ولعلهُ ايدهُ الله لم يظهر لهُ الصواب بعد وضوحهِ ولم يتبلج لهُ صبح الحق بعد ظهورهِ فلذلك تكلم بما تكلم ونحن نشكر فضلهُ على ذلك فان العلم كنز مفتاحهُ السؤَال

قد اشتمل كلامهُ على مسائل الاولى انهُ فسر قول حسان

تظل جيادنا متمطرات تلطمهنَّ بالخمر النساء

بقولهِ " ان الجياد كانت مسرعة اشد الاسراع بينما كانت النساء تنفض الغبار عنها " . ثم طلب الدليل على انطباق هذا الكلام على صورة واقعية ليكون التخريج مقبولاً . فنقول لهُ من فسر البيت بما فسرت ومن الذي ذكر ما ذكرت وانما الذي ذكرناهُ تفسير لفظ متمطرات وقلنا يقال مطرت الطير وتمطرت اسرعت في هويها وتمطرت الخيل ذهبت مسرعة وجاءت

متمطرة اي جاءت مسرعة يسبق بعضها بعضاً وهذا نص عبارة لسان العرب واستشهد على ذلك بعدة شواهد من كلام العرب ومنها بيت حسان هذا ثم قلنا ان الخُمُر بضم الميم جمع خمار لا كما وهم ولم نبين حاصل معنى البيت هناك اذ لم يكن غرضنا ذلك . ومعناهُ ما ذكرهُ السكري شارح ديوانهِ بعد ان فسر المتمطرات بالخوارج من جمهور الخيل لم تزل جيادنا مسرعات سوابق غيرها لدى الغارات مقرونة بالظفر على الاعداء . يستقبلهن" نساؤهم بنفض الغبار عن نواصيها وما اثرتهُ من النقع في الغارات . فقد حكم على الجياد بحكمين الاول سرعة الجري والثاني الظفر ونيل المقصد وهذا مما تعدد فيهِ الخبر في اللفظ والمعنى فهو مثل قولهِ

يناما باحدى مقلتيهِ ويتقي　　باخرى الاعادي فهو يقظان هاجع

فاي محذور في ذلك

المسئلة الثانية انهُ استشكل التوفيق بين كون حسان رضي الله عنهُ شاعر الاسلام وان الخمر يومئذ محرمة عليهِ وبين قولهِ "كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء" الى آخر الابيات التي ذكرها . والجواب عنها من وجهين الاول انهُ ظن ما يذكرهُ الشعراء من الغزل والنسب يحمل على حقيقتهِ وظاهرهِ ولم يعلم ان عادتهم كانت تصدير شعرهم بما يستفز السامع ويستلفتهُ الى الاصغاء مما يستلذ بهِ . ولابن رشيق القيرواني في باب المبتدا والخروج والنهاية من عمدتهِ كلام مسهب في هذا المعنى فليراجع فيهِ وهو يدلُّ على ان ما يذكر في النسيب والتغزل لا يحمل على حقيقتهِ

الوجه الثاني ماذكرهُ العلامة الشيخ عبد القادر البغدادي عند شرحهِ لهذه القصيدة من خزانتهِ في الشاهد ٧٣٢ وهذا نص العبارة "يروى ان حسان مرَّ بفتية يشربون الخمر في الاسلام فنهاهم فقالوا والله لقد هممنا بتركها فزينها لنا قولك

ونشربها فتتركنا ملوكاً　　واسداً ما ينهنهنا اللقاء

فقال والله لقد قلتها في الجاهلية وما شربتها منذ اسلمت ولذلك قيل ان بعض هذه القصيدة قالهُ في الجاهلية وقال آخرها في الاسلام انتهى المراد بآخر القصيدة كما قال السكري في شرح ديوانهِ وغير الابيات التي اولها في هجاء ابي سفيان قبيل الفتح

واما قولهُ ان الاديب بعمل يبلغ عملهِ الخ فكلام حق وكلٌّ يعمل على شاكلتهِ ولكن ليس من المروءة ان لاينبه المخطئ على خطائهِ والكامل مرآة اخيهِ وينبغي للاديب ان يصغي للحق ويذعن للصواب وكل احد يؤخذ منهُ ويرد عليهِ الا من عصمهُ الله . والاعتراف بالحق من شأن الكمَّل وعلى المستفيد ان يدعو لمفيدهِ وما احسن ما انشدوهُ

اذا افادك انسان بفائدة من العلوم فاكثر شكره ابدا
وقل فلان جزاه الله صالحة افادنيها والغ الكبر والحسدا
فالحر يظهر شكرًا للمعين له خيرًا ويحمده ان قام او قعدا

واما قوله "ولا اعلم من اين جاز له الحكم بخلو مقالتي من ابحاث وهي لم تزل تنشر فقرًا متلاحقة" فنقول فيه من امعن النظر فيما كتبناه علم ان المقصود التنبيه على وجوب تقديم الأهم فالاهم من مزايا الامة العربية وشؤونها واحوالها ولا سيما ماذكر في كتاب الاعياد لابي الحسن على ابن المهدي الاصبهاني وكتاب الاعياد لابن عباد اسمعيل الوزير وكتاب المطالع في اديان العرب وغير ذلك من الكتب التي ارشدنا اليها وعلمنا مافيها من المسائل المهمة في هذا الباب والاعراض عما هو من البداهة بمكان وانهُ من قبيل ان العرب كانت لهم عيون يبصرون بها وآذان يسمعون بها او انهم كانوا يأكلون الطعام و يمشون في الاسواق الى غير ذلك من الضروريات حتى البديهيات وان سلف الامة وائمة اللغة قد اعطوا هذا المقام حقهُ واستشهدوا على كل قانون لهم وعادة اعتادوها بشواهد من ديوان العرب صادقة عليها ومطابقة لها فاذا نقل الناقل ذلك من مظانهِ امن من مثل ان يجعل جمع الخمار خمرًا

الفقير اليهِ محمد رشيد
مأمور معاينة الكتب في بغداد



تاريخ السودان

الالياذة كتاب الشهر الماضي وتاريخ السودان كتاب هذا الشهر لم تبتدعهُ قريحة هوميروس ولا دبجتهُ براعة البستاني ولكن دأبت على جمعهِ وتبويبهِ وتنقيحهِ وتهذيبهِ همَّة تسهل الصعاب بجاهِ في نحو الف ومئة وخمسين صفحة بقطع يقارب قطع المقتطف وحرف يقارب حرفهُ وهو ينطوي على وصف بلاد السودان الجغرافي والطبيعي والاداري ووصف شعوبها وتاريخهم من اول ما يصل اليهِ التاريخ الى زمن الفتح المصري وذلك في الجزئين الاولين من اجزائهِ وهما يشغلان نحو اربع مئة صفحة ثم تاريخ السودان الحديث من زمن الفتح المصري

الى الآن . والكلام فيهِ مسهب ولا سيما على قيام المهدي وما جرى في عهدهِ وعهد الخليفة الى ان دالت دولة الدراويش ومحقت محقاً واستتب الأمن في بلاد السودان كلها

والذي نعلمهُ من امر المؤلف انهُ جمع كل الدلائل والاسانيد التي يمكن الوصول اليها حتى اجتمع لديهِ منها ما لو نشرهُ كلهُ لملأ مجلدات كثيرة ثم عكف عن تلخيصها وتمحيصها حتى وصل الى زبدتها فضمنها هذا الكتاب ولم يدَّخر وسعاً في تنقيحهِ وتهذيبهِ واضافة الصور والرسوم والخرائط اليهِ فاجتمعت فيهِ كل الفوائد التي يمكن جمعها في كتاب مثلهِ . واننا على كثرة مشاغلنا وقلة الوقت الذي نستطيع ان نشغلهُ بالمطالعة نطالع فيهِ الساعة بعد الساعة عن طيب نفس وقد نشرنا منهُ فصلاً في هذا الجزء للدلالة على بحثهِ الاجتماعي وسننشر فصلاً آخر منهُ للدلالة على بحثهِ التاريخي . ويقيننا انهُ سيلقى من القراء تمام الرضى فيحفظونهُ بين الكتب النفيسة التي تنافس بها اشهر المؤلفات الاوربية . فنشكر لحضرة مؤلفهِ الفاضل نعوم بك شقير ونتمنى ان يقتدي بهِ شباننا الذين يستطيعون الافادة بقلمهم فيقضوا اوقات العطلة في ماتبقى فائدتهُ وتحسن عائدتهُ

تاريخ اللغة العربية

لقد رأى رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان كما رأى غيرهُ من العلماء الذين لهم المام بعلم اللغات ان العربية نشأت وارتقت بالنمو من الداخل والاضافة من الخارج كما هو شأن غيرها فبحث في ذلك بحثاً دقيقاً ووضع خلاصة بحثهِ في كتاب سماهُ تاريخ اللغة العربية قال في مقدمتهِ " اننا نعدُّ ما كتبناهُ في هذا الموضوع الجديد خواطر سانحة فتحنا بها باب البحث لائمة الانشاء وعلماء اللغة فنتقدم اليهم ان يوفوا الموضوع حقهُ او يزيدونا منهُ لانهُ يحتاج الى بحث كثير ودرس طويل وقد اصبحت اللغة بعد هذه النهضة في العلم والادب والشعر غاية في الافتقار اليهِ — ليعلم حملة الاقلام ان اللغة كائن حيٌّ نامٍ خاضع لناموس الارتقاء تتجدَّد الفاظها وتراكيبها على الدوام فلا يتهيبون من استخدام لفظ جديد لمعنًى جديد لم يستخدمهُ العرب له "

وعندنا انهُ ليس لهذا المضمار الأ مؤلف هذا الكتاب فقد عني بدرس لغات كثيرة فوق ما امتاز بهِ من الميل الفطري الى البحث والاستقصاء فعسى ان يزيدنا بياناً في هذا الموضوع الجليل

وقد قسم تاريخ العربية الى ثمانية فصول وهي العصر الجاهلي والعصر الاسلامي والالفاظ الادارية في الدولة العربية والالفاظ العلمية في الدولة العربية والالفاظ الاجتماعية ونحوها والالفاظ النصرانية والالفاظ الاعجمية في دول الاعاجم والنهضة الحديثة . الأ ان الالفاظ

التي قال انها دخلت العربية في العصر الجاهلي لم يقم دليلاً على انها دخلت العربية في ذلك العصر ولا نظن ان اقامة الدليل عليها كلها او على اكثرها مما يستطيعهُ الكاتب في هذا العصر لانهُ لم يوضع كتاب في اللغة في العصر الجاهلي ولا دوّن كتاب عربي الاَّ بعد الهجرة بسنين كثيرة فكيف استدلَّ مثلاً على ان العرب عرفوا في الجاهلية الجلنار والدارصيني والخلنجين والقرسطون والاصطرلاب ونحو ذلك من الالفاظ الكثيرة

وقد حقَّق اصل كلمات كثيرة اشكل على علماء العربية معرفة اصلها ككلمة تاريخ . وبحث عن تاريخ كثير من الكلمات العربية وتنوعها في اللغات السامية فقال ان كلمة ابو مثلاً تدل على الثمر مطلقاً ثم قلبت الى عنبو وعنب واختصت بثمر الكرم في العربية والعبرانية والسريانية . وكلمة امرء اصل دلالتها على القوة ولا يزال معناها الرب في السريانية وهي من اصل قديم مشترك في امهات اللغات فانهُ في اللاتينية ڤير ونحوهُ في الهندية . وفصول الكتاب كلها على هذا النسق ويفتقر كثير منها الى زيادة في التحقيق مثل اكثر ما يذكر في علم اللغات لكنها بداءة جليلة لبحث مفيد فنشكر لحضرة واضعها ونتمنى ان يزيدهُ اسهاباً

الشاي والقهوة والدخان

اتحفنا حضرة العالم الفاضل الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي برسالة في الشاي والقهوة والدخان ذكر فيها اصل الشاي والقهوة وصفاتهما وكيفية اجتنائهما واعدادهما للشرب وخواصهما واقوال شعراء العرب في مدحهما . ثم استطرد الى الدخان فجعل الكلام عليهِ في سبعة فصول في منشإِهِ وتاريخ ظهورهِ بين العرب وادوات استعمالهِ ومضرات التدخين من حيث تأثيرهُ في الفم والمعدة والدم والمجموعين العصبي والعضلي ولطائف ما نظم فيهِ

وقد بعث الينا حضرة المؤلف بكتاب قال فيهِ عن رسالتهِ " وكنت من نحو اربع عشرة سنة اتلقف ما جمعتهُ فيهما من اسفار عديدة وقد اقتبست من مجلتكم العلمية مواضع لها واكتفيت بشهرتها عن تسميتها " فنشكر لهُ اتحافهُ ابناء العربية بهذه الرسالة المفيدة

ديوان الجوهر الفرد

اهدى الينا حضرة خليل افندي الخوري صاحب المكتبة الجامعة في بيروت ديوان الجوهر الفرد او الشعر العصري من نظم صاحب السعادة سليم بك عنحوري الشاعر الدمشقي المشهور وهو قصائد ومقاطيع ادبية في التربية والعوائد والاخلاق والحقوق والواجبات والفضائل والنقائص من ذلك قولهُ في الثبات

اثبت بمهنتك التي تختارها بعد التروي اذ تفوز وتنجح
واربأ بنفسك ان تزاول غيرها كل امرء متقلب لا يفلح .

والفرق بين البيتين كبير من حيث بلاغة التركيب حتى لا يكاد قارئهما يحسب ان ناظمهما واحد او انهُ نظمهما في وقت واحد . وقال في الصدق

ان خفت شيئاً لا تقل او قلت شيئاً لا تخف
ان الذي يحكي وينكر م عدَّ من اهل الخرف

وقال في الكذب

ايها الكاذب الملفق قل لي اي خير تنال من شر زورك
ليس فيهِ سوى الفضيحة والعا ر فدعهُ تجد علاج غرورك

وكثير من المعاني عصريٌّ كقولهِ في الفضول

يا من نراهُ باحوال الممالك مه تمّاً يحدث دوماً عن سياستها
دع السياسة للحكام تصلحها وانظر امورك وافكر في استقامتها

وقولهِ في المساواة المدنية

اصنع جميلاً ما استطعت ولا تكن ممن يميز مؤمناً عن جاحدِ
واحسب جميع الناس شخصاً واحداً ثم انعطف حبّاً لذاك الواحدِ

وقوله في التبكير

نم قبل نصف الليل وانهض باكراً للدرس والانشاء في الصبح المنيرْ
من كان يحيي ليلهُ بدروسهِ وينام صبحاً مات اعشى او ضريرْ

وقولهِ في اساس الثروة

تبذيرك المال الذي تعطاهُ من عدم السدادْ
ليس الفتى بزيادة ال ارباح بل بالاقتصادْ

وفي هذا الديوان قصائد حكمية جامعة بين الغثّ والسمين والمبتكر والمبتذل مثل غيرهِ من دواوين الشعر في كلّ قطر وعصر

نسمات الصبا

نسمات الصبا في منظومات الصبا من نظم حضرة الشاعر الاديب جرجي افندي شاهين عطيه محرر جريدة لبنان وقد اهداهُ الى حضرة والدهِ الفاضل المعلم شاهين عطيه وقال في اهدائهِ

اليك ارفع من نظمي ومن ادبي ما انت علمتني في سالف الحقبِ
لم ابغِ في نشرهِ فخرًا ولا شرفًا فقد كفاني فخرًا أن غدوتَ أبي

ومن قصائدهِ قصيدة يتغزل فيها بمحاسن لبنان الطبيعية واخرى في وصف المخترعات العصرية مطلعها

أما لابي البرية أن يُعادا فينظر كيف هذا الكونُ عادا

وقد اجاد في وصف تلك المخترعات من مثل البخار والتلغراف والكهربائية والبلون وغيرها . وكثير من القصائد في المدح والرثاء والتهنئة ومنها قصيدة في الحب قال فيها

ألا ان المحبة خير بردٍ ينزهُ لابسيهِ عن العيوبِ
وليس الحبُّ وجدك والتصابي على غزلان رامة والكثيبِ
وليس اخو المحبة من تردّى بثوب من تبرُّجهِ قشيبِ
فأوغلَ في المحارم والملاهي ومال الى التغزل والنسيبِ
ولكنَّ المحبة ان تواسي اخا النُّوب الملمة والخطوبِ
وانجاد الفقير على الرزايا ونصرة كلِّ ذي طرفٍ سكوبِ

ومنها قصيدة رقيقة في "الام والطفل" وقد اشار بها الى امرٍ قُتلت هي وطفلها في حادثة انهدام منزل ببيروت . وقصيدة عصرية في فتيان العصر وفتياتهِ وكلا القصيدتين جزل اللفظ حسن المعنى والتركيب

وفي الديوان مقاطيع لطيفة وحكم كثيرة وتواريخ محكمة فنثني على حضرة ناظمهِ عاطر الثناء

روايتان

امامنا روايتان للتقريظ احداها رواية "قلب الرجل" من قلم حضرة الكاتبة الفاضلة السيدة لبيبة هاشم وهي رواية ادبية غرامية اهدتها الى جمعية السيدات المارونيات لضم ما يتيسر من ريعها الى دخل الجمعية . وهي اريحيَّة للمؤلفة الفاضلة تذكر لتشكر اكثر الله امثالها بين ربات الاقلام

والاخرى رواية "الهناء بعد العناء" او مدام دي شمبلاوي من روايات اسكندر دوماس وقد عربها حضرة الاديب نجيب افندي مرقس اللاذقاني وطبعها حضرة الخواجه ابرهيم فارس صاحب المكتبة الشرقية على نفقتهِ

كتب وكراريس مختلفة

من الكتب التي بين ايدينا للتقريظ " المفرد العلم في رسم القلم " لمؤلفهِ الاديب الشيخ احمد افندي الهاشمي مدرس البيان والانشاء في القسم التجهيزي ومراقب مدارس فكتوريا الانكليزية وهو يبحث في كيفية رسم الحروف كالالف والهمزة سواء كانت في اول الكلمة او وسطها او آخرها . وفي ما يجب فصلهُ وما يجب وصلهُ وزيادة الهمزة والالف وهاء السكت والواو وحذف الياء والتاء وما اشبه ذلك من المباحث

ثم "كتاب الدليل النفيس الى اعمال الضبط والبوليس" بقلم حضرة الاديب محمود افندي لطفي احد موظفي قلم ادارة مديرية اصوان . ومن مواضيعهِ اوراق التشبيه والكشوف الطبية والصلح في مواد المخالفات والآلات البخارية والمحلات العمومية والحشيش والخمارة واللقطاء والكلاب الضالة والحرائق والاسلحة وغير ذلك من اعمال الضبط في جهات الادارة وما يتعلق بها من لوائح ومنشورات وما طرأ عليها من التعديلات

ثم كتاب "ميامر ثاودورس ابي قرة اسقف حران" وهو "اقدم تأليف عربي نصراني" عني بطبعهِ حضرة المحترم الخوري قسطنطين الباشا احد رهبان دير المخلص وهو كتاب دينيّ يبحث في حرية الانسان الادبية والتثليث وموت المسيح وصحة الانجيل وما جرى مجراها من المباحث الدينية

ومن الكراريس كراس في الدولة العلية وماليتها تأليف الكاتب العثماني الغيور (م . ق) وقد تكلم فيهِ على شورى الدولة ووزراء المعارف والجمارك والبلديات ووزارات الحرب والبحر والنافعة وسياسة الدولة الخارجية

وآخر في البورصة بقلم حضرة الاديب نسيم افندي العازار وقد بحث فيهِ عن حالات البورصة واعمالها وختمهُ برمل ظريف في البورصة واساليب المشتغلين بها قال في مطلعهِ

هذه البورصة اسم اعجمي   جلبت للشرق من غرب أبرْ
لفظها الناعم اشهى نغمة   من غنا الشحرور في ظل الشجرْ
جعلوها سوق ارزاق لكي   يسهل المتجر فيها للبشرْ
وهي لا قطن ولا بزر ولا   حنطة فيها ولا رسم الدررْ
لا ولا بنٌّ ولا فول وما   لصنوف الرزق فيها من اثرْ
انما ارزاقها اسماؤُها   وعلى القرطاس بالحبر تجر



اوجه القمر في شهر يوليو

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاخير	٦	٠	٥٤
الهلال	١٣	٧	٢٧
الربع الاول	١٩	١٠	٤٩
البدر	٢٧	١١	٤٢

السيارات

يختفي عطارد بنور الشمس في اوائل الشهر ثم يصير نجم المساء

ولا ترى الزهرة لقربها من الشمس

ويشرق المريخ قبل الشمس بساعة

ويشرق المشتري نحو نصف الليل ٠

وزحل نحو الساعة ٨ ونصف مساء

معادن كوريا

كوريا غنية بالمعادن واخصها الذهب والفضة والحديد والفحم الحجري والبترول ٠ فقد استخرج من الذهب من مناجمها ما بلغت قيمتهُ ١٢٠٠٠٤٠ ريالاً سنة ١٨٩٨ و ١٦٦٦٦٧٠ ريالاً سنة ١٨٩٩ و ١٨١٦١٠٠ ريال سنة ١٩٠٠ و ٢٥٥٨٧٠٠ ريال سنة ١٩٠١ و ٢٥٨٥٢٠٠ ريال سنة ١٩٠٢ ومعظم ذهبها يرسل الى اليابان

العلوم الطبيعية وغيرها

ادبت الجمعية الملكية الانكليزية مأدبة لاعضاء جمعية الاكاديميات المختلطة التي اجتمعت في لندن حديثاً فخطب اللورد غوشن ناظر البحرية السابق وقال انهُ منذ مئة سنة كان اهتمام الناس بالعلوم التي وراء الطبيعة يفوق اهتمامهم بالعلوم الطبيعية ولكن الحال انقلبت الآن عما كانت عليهِ في ذلك الاوان وظهر كأن العلوم الطبيعية ستسود العالم في مستقبل الزمان واخذت الامم تعدُّها محور نجاحها فالامة التي تعنى بتلك العلوم اكثر من سواها هي الفائزة في معترك الحياة ٠ ولكن يسرُّني ان اكثر الاكاديميات تعلّم العلوم الادبية والسياسية مثلما تعلم العلوم الطبيعية وان لم تكن نتائج الاولى مثل نتائج الثانية وضوحاً وجلاء ٠ وعندي انهُ يحسن بالجمعيات التي وقفت نفسها على ترويج العلوم الادبية والسياسية ان تثبت في مزاحمة العلوم الطبيعية ليتمَّ لها الفوز على الجمعيات التي تهتم بالعلوم الطبيعية وحدها دون غيرها

ثم تلاهُ الكونت دي فرانكفيل فقال ان العلم لا وطن لهُ وهو وطنية البشر كلهم وان كل اكتشاف علمي واعتقاد وخطوة في

سبيل التقدم والارتقاء تنبث في كل بلاد مثل اشعة الشمس التي تنير ارجاء العالم مهما اختلفت نحل العلماء ومواطنهم . ولامرٌ طبيعيٌّ ان يشترك الجميع في ما يعود بالخير عليهم كلهم

ترياق سمّ الافعى

ادبت جمعية الاطباء الاميركيين مأدبة حديثاً فأعلن فيها الدكتور متشل ان طبيباً يابانيًّا مشهوراً من اطباء مدرسة المصل في كوبنهاغن اكتشف ترياقاً لسمّ الافعى المعروفة بذات الاجراس واسم الطبيب نوجوتشي وانما اعلن الدكتور متشل خبر هذا الاكتشاف دون غيرهِ لانهُ سعى منذ اربعين سنة في اكتشاف دواء يشفي من لدغ هذه الافعى فلم يظفر بطائل . وقد ارسل الدكتور نوجوتشي كتاباً اليهِ يقول فيهِ انهُ استخرج المصل من دم المعزى والمرجح انهُ يمكن استخراجهُ من دم الخيل ايضاً كسائر المصل الذي يستعمل الآن . ووجد المكتشف انهُ اذا حقنت الخنازير بسم الافعى اثنتي عشرة مرة بحيث يبلغ مقدار السم الذي حقنت بهِ المقدار اللازم لموت الملدوغ ثم لقحت بالمصل المذكور لم تظهر فيها اعراض السم

خسارة اليابان البحريةُ

خسر اليابانيون بلا حرب اكثر مما خسروهُ بالحرب وكانت خسارتهم هذه كلها بحرية فانهُ بينما كانت النسافات اليابانية تطهر مدخل خليج كر من الالغام المنصوبة فيهِ مست احداها لغماً فأطارها . والمصائب لا تأتي فرادى فلم يمضِ على ذلك بضع ساعات حتى مست مدفعية من مدفعياتهم لغماً فنسفها . وبعد ذلك بايام قليلة صدم الطراد المدرع كاسوجا الذي اشترتهُ اليابان من جمهورية شيلي الطراد المحمي يوشينو فاغرقهُ هو ومعظم بحارتهِ ومست البارجة هتسوسي اليابانية لغماً فاغرقها وغرق معها اكثر من نصف بحارتها وهذه البارجة اعظم بوارج اليابان واجملها بعد البارجة ميكاسا بل هي من اعظم بوارج الدنيا . ولم يمضِ على ذلك زمن طويل حتى غرقت لم متلفة للتوربيد اسمها اكاتسوكي

ومحمول هذه السفن ٢١٤٧٠ طنًّا ومحمول سفن الاسطول كلها ٢٣٨٠٠٠ طنٍ ويقال ان الاسطول الياباني فقد ١٥ في المئة من قوتهِ الاصلية وهي خسارة تذكر

اما الطراد يوشينو فقد صنع سنة ١٨٩٢ وتفريغهُ ٤١٥٠ طنًّا وسرعتهُ اكثر من ٢٣ ميلاً بحريًّا في الساعة . واما البارجة هتسوسي فمحمولها ١٥ الف طنٍ وعدد ضباطها وبحارتها ٧٤١ وقوة آلتها البخارية ١٦١١٧ حصاناً وسرعتها ١٩ ميلاً بحريًّا في الساعة

قتلى سكة الحديد والحرب

يؤْخذ من بعض الاحصاءات ان عدد

الذي قتلتهم سكة الحديد في الولايات المتحدة الاميركية في اكتوبر ونوفبر وديسمبر من سنة ١٩٠٣ بلغ ١١٦٦ نفساً وعدد الذين اصيبوا ولم يقتلوا ١٣٣١٩ نفساً فالمجموع ١٤٤٨٥ نفساً قالت الجريدة التي نقلت هذا الخبر ولا نعلم عدد الذين قتلوا وجرحوا في حرب روسيا واليابان الى الآن (٢٨ مايو) ولكننا لا نخطئ اذا قلنا انهم اقل من المجموع المتقدم ذكرهُ . على ان احصاء قتلى سكة الحديد وجرحاها انما هو عن ثلاثة اشهر فقط واما حرب روسيا واليابان فقد مضى عليها ثلاثة اشهر وثلاثة اسابيع الى الآن

كرات النجاة

تحمل السفن الكبيرة قوارب صغيرة تسمى قوارب النجاة والغاية منها انقاذ الركاب فيما لو انكسرت السفينة او اصابتها مصيبة تعوقها عن المسير. ولكنَّ تلك القوارب كثيرًا ما لا تفي بالغرض الذي وضعت لهُ اما لوقوع النكبة فجأة فلا يكون ثمة فرصة كافية لانزال القوارب الى البحر وانزال المسافرين اليها واما لاشتداد النوء فيسلم الركاب من الخطر العاجل ليقعوا في الخطر الآجل يسلمون من الغرق مع السفينة لتتقاذفهم الامواج وتتلاعب الانواء بهم وبقواربهم ثم تلقيهم في قرار اليمّ بعد ما تذيقهم العذاب الاليم

وقد اخترع ضابط نروجي اسمهُ الكبتن دونيج آلة على شكل الكرة تقوم مقام قارب النجاة وتفضلهُ من جميع الوجوه وجرَّبها منذ سنة ثم عاد فجرَّبها اخيرًا فجاءت وافية بالغرض المقصود منها والكرة مصنوعة من الحديد سمكها بين ٥ بوصات و ١٦ بوصة من اسفلها و ٣ بوصات من جوانبها و ٨/١ بوصة من اعلاها وطول قطرها الافقي ثماني اقدام وعلوها ٦ ١/٢ قدم ولها قعر مزدوج وثلاثة ابواب تقفل فلا ينفذها الماء . وفيها آنية كبيرة للماء العذب تسع ١٥٠ جالونًا وطعام محفوظ في صناديق وعلب . وفي وسط الغرفة الداخلية انبوبة كبيرة لتجديد هواء الكرة

وفي اعلى الكرة ثلاث نوافذ صغيرة لدخول النور وارسال الاسهم النارية في الفضاء استنجادًا بالسفن المارة . وفيها دفة ومجاذيف وعلى دائرها من الخارج منطقة من الفلين يقف عليها المجذفون . وفيها مرساة واشرعة وغير ذلك من الادوات التي تكون في السفن الشراعية عادة . وثقل الكرة كلها طنان اي قدر ثقل قارب النجاة الكبير وثمنها مئة جنيه وهي تسع ٢٠ نفساً وتشغل على ظهر السفينة حيزًا أضيق مما يشغلهُ قارب النجاة

وقد جرّبت هذه الكرات والنوء شديد والبحر عجاج فنجحت التجربة كل النجاح. وشهد الخبيرون انها جاءت طبق المرام في احوال لا تصلح قوارب النجاة العادية فيها ولا تجدي

نفعاً. ولا حاجة الى انزال هذه الكرات الى البحر عند وقوع الخطر بل انها تطفو من نفسها وقت غرق السفينة

الكهربائية في المدن الكبيرة

خطب الاستاذ سمث الاميركي خطبة في مستقبل المدن الكبيرة والكهربائية فقال ان ثمن قوة حصان واحد من المجرى الكهربائي لاحداث الحركة والنور في الساعة كان ثلاثة غروش في مدينة سان فرنسسكو منذ سنوات قليلة . اما اليوم فقد نقص الى سبع ما كان عليهِ وانهُ يمكن ادارة المعامل التي على ساحل الاوقيانوس الباسيفيكي بقوة تأتيها من حيث يذوب الثلج على الجبال الصخرية بنفقة اقل من نفقة البخار ولو كان الوقود يقدم اليها بلا ثمن . وقد قدروا ان مقدار الحامض الكربونيك الذي يقذفهُ اهالي مدينة نيويورك من رئاتهم يبلغ ٤٥٠ الف طن في السنة وان هذا المقدار اقل من ٣ في المئة من الحامض الكربونيك الذي يتصاعد عما يوقدهُ الاهالي من النار في السنة . فاذا امكن ابدال النار والبخار بالكهربائية في الاعمال تحسن هواء المدن الكبيرة لقلة ما يقذف من الحامض الكربونيك

الدكتور كوخ والسل

قالت اللجنة الملكية الانكليزية التي انتدبت لدرس داء السل في تقريرها ان هذا الداء واحد في الانسان وسائر الحيوان فناقضت بذلك رأي الدكتور كوخ وهو ان السل الذي يصيب الانسان غير السل الذي يصيب البقر . وقد قابل بعضهم الدكتور كوخ واستطلعهُ رأيهُ في ذلك فقال اني لا ارى ثمة سبباً يحملني على تغيير رأيي الاول الذي توصلت اليهِ بعد طول البحث والامتحان وهو انهُ ليس عندنا دليل يثبت ان الناس يصابون بالتدرُّن الذي يصيب البقر الا اصابة خفيفة جدًّا . ولقد درست اللجنة نصف المسألة غير المهم فقط ونبذت النصف المهم . فان كان قولها صحيحاً فمن العجيب ان لا يعرف الاطباء حادثة واحدة انتقلت فيها عدوى التدرُّن الى الملايين الكثيرة من الرجال والنساء والاولاد الذين يأكلون لحم البقر المصابة بالتدرن ويشربون لبنها . والخلاصة ان هذه الجلبة التي اقاموها على اللبن في مقاومة التدرن قليلة الجدوى وكان الاولى بهم ان يهتموا بالاسباب الجوهرية التي ينشأ الداء عنها مثل بصاق المسلولين وسكن المنازل غير الصحية

الكهربائية في كوريا .

قد يظن لاول وهلة ان بلاد كوريا في اقصى المشرق خالية من كل آثار الحضارة لكن من يطالع المقالة المدرجة في اوائل هذا الجزء في "فضل الشرق على الغرب" يجد

ان الكوريين سبقوا غيرهم من امم الارض الى استنباط الطباعة بالحروف المنفصلة · وقد وقف عمرانهم فلم يتقدم كما تقدم العمران الاوربي ولكن الاهالي ميالون الى اقتباس اساليب العمران وعاصمتهم سيول سبقت عاصمتنا القسطنطينية الى استخدام المستنبطات الحديثة فان في سيول شركة كهربائية مهندسها المستشار رجل ياباني درس في اميركا وهذه الشركة تنير المدينة شوارعها ومنازلها بالنور الكهربائي وتسيّر فيها سكة كهربائية من نوع الترامواي · وفي شملبو احد ثغور كوريا معمل كهربائي لانارة المدينة وادارة الآلات المختلفة · وفي فوزان شرقي كوريا معملان كهربائيان وكان في النية مد سكة حديد كهربائية منها الى مترمبو وتنجي · والتلفون شائع في سيول ايضاً وهو يزيد انتشاراً فيما بعد احتلال اليابانيين لها · فبلاد ارضها غنية بالمعادن والخيرات وشعبها لا يأنف من اقتباس المعارف والمخترعات لا يبعد ان تفوقنا بعد سنين قليلة كما فاقتنا بلاد اليابان اذا بقينا على ما نحن فيه من الجمود

احتراق باخرة

من حوادث الشهر الماضي المشؤمة حادثة لا يشبهها في شدة هولها الأ حادثة احتراق مرسح التمثيل في شيكاغو منذ نحو اربعة اشهر. والمصيبتان من نوع واحد— فان سببهما النار ومعظم الذين احترقوا فيهما من النساء والاولاد وقد كانت غاية الفريقين النزهة وتسلية الخاطر · فانقلبت تلك النزهة ناراً حامية تصهر النفوس قبل الاجسام

وتفصيل الحادثة ان باخرة اسمها "الجنرال سلوكم" خرجت صبيحة يوم ١٥ الماضي من مكان قرب مدينة نيويورك اسمهُ "ايست رفر" وهي تقلُّ ١٨٠٠ امرأة وولد من اعضاء مدرسة الاحد التابعة لكنيسة ماري مرقس الانجيلية اللوثرية الالمانية خرجوا يطلبون النزهة وكانوا لابسين ابهى ملابسهم وحاملين الرايات والاعلام بايديهم

وبعد سفر الباخرة بساعة شبت النار فيها وهي مارة في مكان ضيق تحفُّ بهِ الصخور عن الجانبين يسمى "باب جهنم" فاراد ربان الباخرة ان يعود بها فلم يستطع بسبب ضيق المكان فضاعف سرعة الباخرة فزادت النار تاججاً فبات الركاب بين موتين فاما الموت بالنار حرقاً او بالبحر غرقاً فالذين سلموا من النار لم يسلموا من اللجج · وبلغ عدد الذين قتلوا نحو الف نفس . وكثيرون من الذين نجوا جنّوا من هول ما رأوا

وقد قال ربان الباخرة ان الرجال الذين يتولون ادارة الباخرة في غرفة الآلات لم يلبوا اشارتهُ ولو فعلوا لادار الباخرة وسار بها الى اقرب مكان في البرّ

الفصل الثامن عشر

لعب الايكرتيه

وبعدما فرغت من كلامها دخلت غرفة البلياردو ومعها كرتر وبركز والسيدة ارلنفورد التي تبعتها لتحول دون اتمام مرادها . وهمّ غودارد ايضاً بالدخول لكنّ ارلنفورد انتهز فرصة الكلام معهُ فاوقفهُ قائلاً لهُ : — انك ياغودارد صديق قديم لالس فاروم منك ان تشير عليها بان تكون البن عريكة مع السيدة دشتون

— يجب عليك ان تطرد هذه الخليعة من بيتك

— باي حق تتعرض لما يتعلّق بي وحدي

— بحق القرابة والصداقة

— انظر ياغودارد لم يعد يمكنني الصبر . ويشقُ عليّ ان أراك تحبُ امرأتي على مسمع مني ومرأى وسأمنعك ان تراها بعد الآن

— أحبها ؟ أنا — اه يا كلب الرجال ونذل الانذال . ولولا حرمتها وخوف تكديرها لاريتك عاقبة هذا الكلام في الحال ولكن ليس هنا مشهد الانتقام منك فقريباً نلتقي

وقد فاه بهذه الجملة الاخيرة على مسمع الآخرين فخرجوا على الفور من غرفة البلياردو . واسرعت الس للفصل بينهما وقالت : — ماذا حدث ؟ اراكما تختصمان !

فاجابها غودارد : — لا . لا . بل هي محاورة خفيفة . وقال زوجها

— اختلفنا على شيء في لعبة الايكرتيه وسنفصلهُ الآن ان شئت ياغودارد . اني اراهنك على صحة قولي بمئة جنيه .

— قبلت وسنرى من منا هو المصيب

وجلسا على مائدة وظلَّ البرنس يقلّب الصور ولم يخفَ عليهِ ماحدث وجلس كرتر وبركز يتحادثان والس بجانب النار وكتي على البيانو .

وما شرعا في اللعب حتى انسلّت املي من غرفة البيانو فنظر سكولوف الى ساعتهِ واذا هي احدى عشرة . وكان على غودارد ان يذهب بعد ربع ساعةٍ فدنت املي من ارلنفورد وامرّت اليهِ : — لقد عيل صبر البرنس سكولوف فهل اشرع في العمل ؟

— البسي القلادة

— اذًا تتأخر الرسائل وتنال انت مطلوبك فطب نفساً وقرّ عيناً

واذ ذاك اقترب البرنس سكولوف من السيدة ارلنفورد وقال

— أراك شاحبة اللون فعسى ان لاتكوني متألمة من مرض. وعندي انك تغادرين لندن طلباً للتنزه. وعلى اللورد ارلنفورد ان يذهب بكِ الى نيس.

وحينئذ دخلت املي وفي عنقها قلادة من الدر الفاخر تسطع كالنجوم الزواهر فلما رأتها الس اجفلت مذعورة واماسكولوف فقال بلهجة دلّت على خلو ذهنهِ من هذه المسألة : —

— يالها من قلادةٍ نفيسة ! عفواً ايها السيدة املي فاني لم انظرها في عنقك قبلاً

— نعم انها جميلة الى الغاية وقد أُعطيتها هديّة

فالتفت غودارد ونظر الى القلادة. اما الس فبالجهد استطاعت الجلوس على كرسيها.

فامرّ غودارد الى ارلنفورد الجالس مقابلهُ على المائدة قائلاً :

— يالك من نذلٍ مهان

— اراك ظهير زوجتي فناضل عنها ان استطعت

فقالت املي لسكولوف : —

— تعال ايها البرنس وكن من جملة اللاعبين بمشاهدة اللعب

ثم تقدمت نحو اللاعبين يتبعها المستر بركز واخوها كرتر. وفي اثناء ذلك اقتربت الس من المائدة وانحنت الى اسفلها والتقطت من تحتها احدى الاوراق التي لم يستعملها اللاعبان "جويزة السباق" وكتبت عليها بمزيد السرعة ما معناهُ : —

"لم اعد استطيع البقاء في هذا البيت ساعة واحدة ولا بُدَّ من ذهابي معك"

وكانت املي دشتون تترقبها. أما الس فدنت من غودارد والقت الورقة التي كتبت عليها تلك الجملة في حضنهِ. فأخذها بخفة زائدة واخفاها غير عالم ان املي مترصدة كل حركة حدثت فاسرعت الى جهة ارلنفورد واطلعتهُ سرّاً على ماجرى فرفع نظره الى غودارد وسألهُ : ماذا اخفيت

— انا — انا ؟ لم افهم معناك

— اظهر الورقة التي معك

— ليس ذلك في امكاني

— هكذا ظننت

ثم القى من يدهِ ورقة الى يد املي دشتون باسرع من وميض البرق بحيث لم يتمكن احدٌ

من رؤيتهِ ونثر بقية الاوراق على المائدة وقال

— انظر فإن ورقة " ألروا " او (الرية) ليست معي

فصاح غودارد وهو يكاد يتميز غيظاً : —

— ماذا تعني بهذا

— اعني اني لا العب مع رجل خدّاع !

فنهض غودارد على قدميهِ وصرخ ضاغطاً صدغيهِ بيديهِ : — يا وبلاه !

ثم دخل رجل طاعن في السن عليهِ شارة العسكرية وهو الجنرال سافيل فقال : —

— كيف حالكم جميعاً ؟ بشراك يا غودارد فان الدوك اجاب طلبي من جهة ترقيتك وبعد رجوعك من سفرك تكون اركان الحرب

ثم لاحظ هذا الجنرال السكوت المستحوذ على الجميع والامتقاع العابث بوجوه اكثر الحاضرين فسأل : —

— ماذا عسى ان يكون ؟ ولمَ اراكم جميعاً سكوتاً ؟

فأعاد ارلنفورد جملتهُ الاخيرة وزاد عليها بعض الشيء قائلاً : —

— أُعيد القول ان تصرّفك هذا لا يسمح لمن كان نظيري أن يلعب معك واطلب خروجك من بيتي في الحال

فصاح الجنرال سافيل : —

— ارلنفورد ! كيف تجاسرت على مثل هذا الكلام . زدني ايضاحاً والاّ فانت مختل العقل

— هاك الايضاح — ان القائد غودارد اخفى ورقة ليست لهُ وابى اظهارها وهي " روا السباتي "

— فنِّد يا غودارد كلامهُ وبيّن كذبهُ أجب في الحال

— انهُ محض افتراء

— فقال ارلنفورد : — اذاً ارنا الورقة

وصرخ الجنرال : —

— نعم اظهرها

— لا اقدر

ثم استولى على الجميع سكوت عميق اعترضهُ صوت سقوط وذلك ان السيدة ارلنفورد كانت في اثناء هذه الحادثة تجهد نفسها في التكلم فلم تستطع اليهِ سبيلاً كأنَّ كمامةً من حديد

وُضعت على فمها . ولمّا تكلم غودارد كلمتهُ الاخيرة سقطت مغشيًّا عليها . فقال الجنرال بلسان الغيظ والحنق : —

— اعلم يا غودارد انهُ لم يبقَ لك سوى الاستقالة من الرسالة التي كنت مزمعًا ان تسير فيها وقد أُقلتك مذ الآن . ولو كنت يا بنيَّ قاتلاً لكان ذلك ايسر عندي خطبًا مما شهرتَ فيهِ هذه الساعة !

ثم اشاح بوجههِ عنهُ واذ رأى سكولوف تقدَّم اليهِ . فصرخ غودارد

— يا تلفي ويا خرابي !

وخرج

وبعد ساعة ذهب سكولوف الى بيت املي دشتون واعطاها عشرة آلاف جنيه حوالة على بنك انكلترا

الفصل التاسع عشر

في مرقب سياسي

ان الحوادث السياسية التي بدأت عام ١٨٧٦ بلائحة الكونت اندراسي انتهت بمؤتمر الاستانة في شهر يناير عام ١٨٧٧ وفي اواسط هذا الشهر ذاع في عواصم اوربا خبر رفض الاقتراحات التي عُرضت على الباب العالي في المؤتمر المذكور . وفي آخر مارس ارسلت الدول بلاغاتها الاخيرة الى جلالة السلطان وفي ٢٤ ابريل اضطربت اوربا اذ سمعت ان روسيا شهرت الحرب على تركيا وفي شهر اوغسطس — وقت عود قصتنا على بدءٍ — أُنشئ مرقب روسيا السياسي في قرية دوه كوي في البلقان بين اسكي زهرة وادرنه واقام فيهِ البرنس سكولوف والشيطانة الجميلة يراقبان مجاري الحوادث السياسية

وقبل هذا الوقت باسابيع قليلة جاءت اليهما املي دشتون فانها عانت كثيرًا من ضروب المشاق والاتعاب في إخفاق مساعيها وخيبة آمالها بعدما فارقناها في لندن وقد طرأت اختلافات مهمة وتغيُّرات ذات شأن على حياة اكثر ممثلي هذه الرواية الذين اشتركوا في تمثيل ذلك الفصل في بيت ارلنفورد في تلك الليلة التي قضت على غودارد بالوقوع في الشرك الذي أُخفي لهُ

اما السيدة ارلنفورد فظلَّت اياماً طوالاً على فراش النزع تراوح بين الموت والحياة وكانت

في أثناء بحرانها وذهولها تهذي كثيرًا وتشير الى حادثة تلك الليلة الهائلة . ولما شفيت من الم هذه الضربة الثقيلة وثاب اليها رشادها كان غودارد قد اختفى اختفاء طمس عن العيون آثاره وقطع عن الآذان أخباره. ثم انتقلت السيدة ارلنفورد الى بيت امها حيث عملت كتي مدلتون على ملازمتها وتسليتها ووقفت منها على باطن تلك القصة واحاطت علمًا بكل ما يتعلق بها . فاخذتا تقلبان الافكار وتتبادلان الآراء في هذا الحادث الجلل . وبعد امعان النظر رأتا انهما اذا نشرتا حقائق هذه المسألة بين ظهراني القوم في غياب غودارد تعرّضتا لاتهام الناس اياهما بانهما اخترعتا ما كتبتاه اختراعًا لتبرئة من حاول ارلنفورد اتهامهُ بمحبة زوجتهِ . وبناء عليهِ اجمعتا على التأني لعلهما تسمعان خبرًا عن غودارد فتدعواه الى مساعدتهما على تبرئة ساحتهِ من التهم التي رماهُ بها اللورد ارلنفورد واملي دشتون واخوها الماجور كرتر

وقد انتهت مسألة لبس القلادة وما تبعها من حوادث تلك الليلة الى غاية تعذّر تعديها وانتجت نتيجة لم يمكن تلافيها ألا وهي طلاق اللورد ارلنفورد الذي تمّ بحكم غيابي عليهِ اذ لم يجب دعوة المحكمة بالحضور امتثالاً لاشارة املي دشتون . وبعد اختفاء غودارد لاحظ ارلنفورد ان الناس اخذوا ينظرون اليهِ في الاندية والمجتمعات العامة نظرات ابرد من رياح الاصقاع القطبية وابوا عليهِ التفوه باسم "غودارد" وخيبوا مساعيهُ في تذنيب ذلك القائد وتعظيم جنايتهِ حتى ملَّ الاقامة في لندن فهاجرها وخرج يجول في نيس ومونت كارلو . ولم تبطئ املي دشتون ان لحقت بهِ وقضت معهُ وقتًا لم تصب فيهِ عيشًا اغراها بالبقاء واطالة شقة المكث . ولهذا لم تلبث ان لبت دعوة البرنس سكولوف لها الى شبه جزيرة البلقان اذ توسمت في هذه الدعوة فرجًا تنشط بهِ من عقال القنوط والفشل وتنسمت ريحًا مثقلة باطياب الرجاء والامل . ولما بلغت المرقب السياسي اعلنت رغبتها في القيام بخدمة سكولوف وذكرتهُ ما لهُ عليها من سالف الفضل وسابق المعروف

وقد صاقب طلاق السيدة ارلنفورد وقت اقتران كتي مدلتون بدك سافيل. اما الانباء عن غودارد فكانت في الاول الامر قليلة جدًا ثم انتشرت ملتبسة مقلقة واخيرًا ذاعت ناعية محزنة فانهُ بعد خروجهِ من منزل ارلنفورد ذهب بالرسائل التي كان مندوبًا للسفر بها وسلمها الى رئيسهِ رافعًا اليهِ استقالتهُ من منصبهِ فحملها رسول آخر مع بريد الساعة العاشرة في صباح اليوم التالي ثم خلا في ذلك اليوم وقتًا طويلاً بالجنرال سافيل ولما خرج من لدنهُ كانت الدموع ملء عيني ذلك الشيخ الجليل أسفًا على سوء مصير غودارد . وقد اوضح اسفهُ هذا على مسمع كثيرين في احد الاندية بقولهِ :—

— مهما يكن من هذه الرزيئة الفادحة التي اصابت غودارد فاني لا انفك احبهُ واعجب بهِ اعجاباً لا مزيد عليهِ . نعم انهُ لم يطلعني على شيءٍ من خفايا تلك الحادثة لكني أُقسم لكم انهُ منقطع النظير في عزة النفس وطهارة الضمير . ولا بد اننا نقف يوماً على كنه هذا الحادث الجلل أما الآن فليس لنا غير الصبر وتوقع تحقيق الامل

وفي اليوم التالي سافر غودارد الى اميركا . وفيها شاع انهُ انتظم في سلك الخدمة العسكرية وشهد موقعة في الثورة التي نشبت حينئذ في داخليتها فاصابتهُ رصاصة اوردتهُ حتفهُ

ولنرجع الى تتبع حوادث قصتنا فنجد البرنس سكولوف جالساً في غرفتهِ الخاصة في مرقبهِ السيامي مكبًا على مطالعة ما لديهِ من الرسائل وامامهُ خريطة يمعن نظرهُ فيها من وقت الى آخر . وعلى يساره كاتم اسراره دمتري كيراتيف ينتظر فراغ رئيسهِ وانتباههُ اليهِ . فرفع سكولوف نظرهُ من الخريطة وخاطبهُ قائلاً : — هات ما عندك من الانباء

— ان السيدة دشتون حاولت هذا الصباح فتح كيس البريد بدعوى انها وضعت فيهِ رسالةً سهوًا . وقد فتحتهُ لها فلم يكن فيهِ شيءٌ مما ادعتهُ . والبارونة التدروف بعثت الى سموكم برسالة مع رسولها الخاص قبل الفجر

— هل عرفت مضمونها ؟

— كلاَّ لاني لا اتعرض لما يرد منها او يصدر اليها

— هل راقبت رسولها عند رجوعهِ ؟

— نعم وقد سار في جهة اسكي زهرة

— ألم يرجع بعد ؟

— كلا

— هل من شيءٍ آخر

— كلفتني السيدة دشتون اهداء احترامها اليكم وطلب الاجتماع بكم متى شئتم

— اين هي الآن ؟

— خارجاً تتمشى في الرواق

— أُدعها اليَّ حالاً

فخرج دمتري يدعوها وفي غيابهِ قال البرنس سكولوف في نفسهِ كأنهُ يخاطب أملي دشتون

— حقًا يا أملي انك لاتستطيعين ان تمسكي نفسك من الاستغراب لانك متشوقة جدًا الى الاطلاع على اسباب دعوتي اباك من مونت كارلو الى هنا . فاحذري ! نعم احذري !

انك خادمة نشيطة . لكنك اصغر جداً من التسلط واستلام زمام الترأس . وقد حاولت الاطلاع على رسائلي ! فما هذا النشوز ! أ الى هذا الحد بلغت بك القحة والجرأة ؟

ثم استلقى على كرسيهِ واوغل في الضحك . ودخلت املي اذ ذاك فقالت :—

— ماذا ؟ على انفراد وفي سرور ؟ يالك من رجل سعيد!

— ان أولي الحزم والدراية لايتكلون على احدٍ في شيء ولو كان مما يبعثهم على المسرة والانبساط

— اصبت . ولكن هل انت واثق انك حرٌ ومستقلٌ بقدر ما تظنُ ؟

— تلك دروس املاها عليَّ اساتذة التجربة والاختبار في مدرسة هذه الحياة .

— اراك نظيراً اكثر طلبة هذه المدرسة الذين أولعوا بدرس الآخرين فقضوا وقتهم فيهِ وشغلوا بهِ عن درس انفسهم . تخلَّ عنك هذه التعللات الباطلة واتركها لحمقى نظيري

— هذا ما كان من قبيل سروري . فلننظر في ما يتعلق بكِ . بلغني انكِ ترومين الاجتماع بي

— نعم لاني لم ارتضِ بنتائج تلك الحادثة وقد وعدتني المساعدة وبناء على وعدك هذا اتممتُ ما اقترحتَ عليَّ اتمامهُ . ولم ارتب في ان السيدة ارلنفورد عندما تنظرني لابسةً القلادة أُقدم على فعل ما يُسبب عاقة غودارد وكان كما توقعت . لكنني لم انل شيئاً مما رجوتهُ ولا زدت اقتراباً مما عللت نفسي بالوصول اليهِ والحصول عليهِ . حتى سئمت السعي ولم يعد لي طاقة على تحمل المشقة والنصب فجئتك التمس منك ان تفرج كربي وتهبني راحة من العناء والتعب

— واعجبا ! أيصحُ في شرعكِ وقضائكِ ان أوخذ بخطائكِ ؟ نعم اني اقترحتُ عليكِ السعي في عاقة غودارد واعداً اياكِ باحسن جزاء فاقدمتِ على عاقتهِ فنجحتِ فنلتِ الجزاء مبلغاً فاحشاً أليس كذلك ؟ اذاً من اللورد ارلنفورد شكواكِ وعدم رضاكِ لا مني . قولي لي صريحاً ماذا وعدكِ ؟ مالكِ ساكتةً لا تجيبين ؟ لكني اعلم . وعدكِ انهُ اذا امددتهِ بالمال يطلِّق زوجتهُ او يكرهها على طلب الطلاق ويتزوجكِ . فقد انجز القسم الاول من وعدهِ واخلف القسم الثاني

— كيف عرفت هذا ؟

— لم اعرفهُ من احدٍ سواكِ . لكنك اخطأت في تعليل نفسكِ بهذه المطامع فكامرأة تكونين عندهُ مطلوبة محبوبة واما كزوجة فمكروهة ممقوتة

— او تظنني لتوغلي في معاناة مشاق هذه الحياة عدمتُ الشعور الى هذا الحد ؟ . كلا لست كذلك . ارعني سمعك . اني مغرمة بجاه ارلنفورد ولست اجهل نكد طالعهِ وسوء مصيرهِ

ولعل هذا من اكبر البواعث التي حملتني على حبهِ . ولا يمكني ان اصدق عدم اهتمامهِ بي . ولو لم تجرِ رياح الامور على خلاف مشتهاهُ لما تأخر عن ان يبرَّ بوعدهِ . ولكن بعد الطلاق التوى القصد وساءت الاحوال حتى أُكرِه على مزايلة لندن فصحبتهُ الى نيس وهناك افلس ولم يعد في طاقتهِ ان يأتي حراكاً بلا مال والعياذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء

فاجابها باسماً :— اسمحي لي ان ابين لكِ انهُ لن ينجز وعدهُ مهما حسنت حالهُ

—كيف ؟ أمرادك انهُ لا يهتمُّ بي اهتماماً حقيقياً ؟ لو ظننت —

فاعترضها قائلاً :— ان اللورد ارلنفورد ساع الآن في الاقتران بسيدة اميركية غنية وهي ابنة عم المستر بركز الذي اجتمعنا بهِ في تلك الليلة فلا يبالي بسوى المقامرة وسيكون ميلهُ اليكِ دائماً على قدر الدراهم التي تجمعينها لهُ . فاخبريني الآن بالمبلغ الضروري— لسعادتك ورفاهيتكِ واخدميني فيهِ بسعي صادق في سبيل الوقوف على بعض التفاصيل عن موت القائد غودارد لأنَّ ذلك يهمني جداً

— غودارد ؟ اين آخر عهدنا بهِ ؟ مهلاً اين آخر عهدنا بهِ ؟ الآن تذكرت . بعد ما ألمّت بهِ تلك الفضيحة سافر الى داكوتا في اميركا وهناك تجنَّد في إخماد الثورة وقُتِل اليس كذلك؟

— لكني اروم الوقوف على التفاصيل بجائزة حسنة فهل لي أن استعين بكِ على ذلك ؟ اني ارى تغييراً عظيماً في الشيطانة الجميلة فلم تعد تبالي بشيء ولم ادرِ السبب

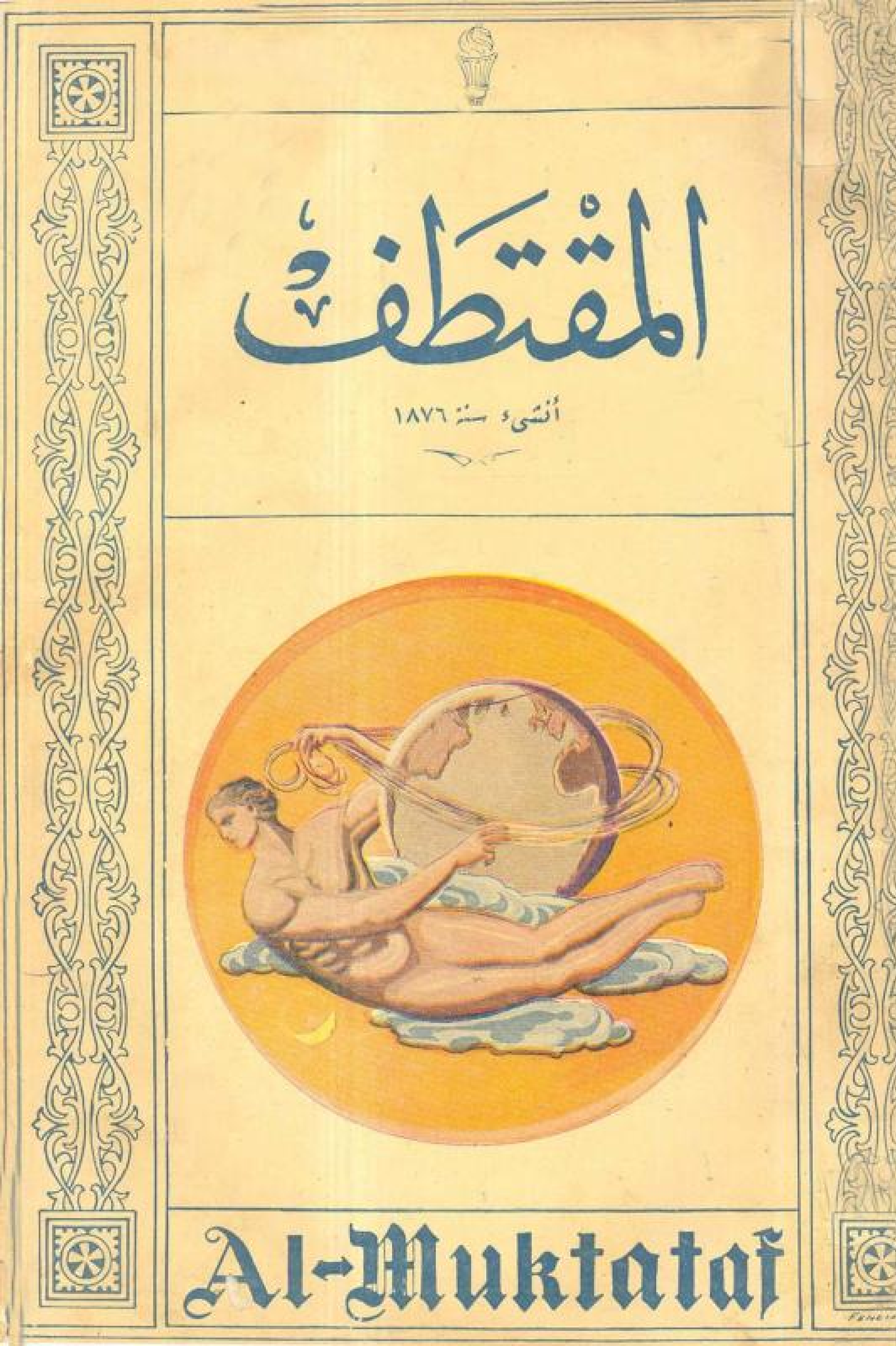
— قلت مرة " ان الشيطانة الجميلة لا تطلع احداً على ما تروم كتمهُ " وهذا هو جوابي الآن لك فاني امرأة عصبية المزاج شديدة التأثر و— هو ذا الشيطانة الجميلة خارجاً تمشي ولعلها تروم الدخول . وقبل خروجي اقول لك اني مستعدة على الدوام ان ابذل جهدي في مساعدتك . فهل اذهب الآن ؟

— كلا

ثم نهض لملاقاة الشيطانة الجميلة وهو يقول في نفسهِ عنها :—

— من ذا يرى وجهها الجميل السائل برقة الملاحة ويصدّق انها صلبة يتعذر استمالتها؟ فقد قضيت الآن نحو سنة وانا اشبه بفراش حول لهيب جمالها الساحر وحسنها الباهي الباهر — نعم انا — الكسس دورسكي !

فهرس الجزء السابع من المجلد التاسع والعشرين

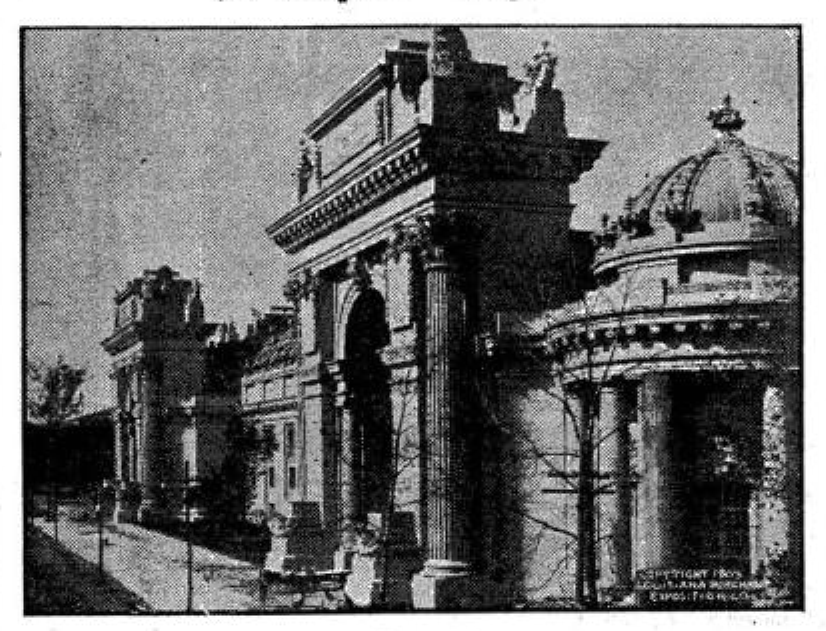

المقتطف
أنشىء سنة ١٨٧٦
Al-Muktataf

المقتطف

الجزء الثامن من المجلد التاسع والعشرين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٨ جماد الاول سنة ١٣٢٢

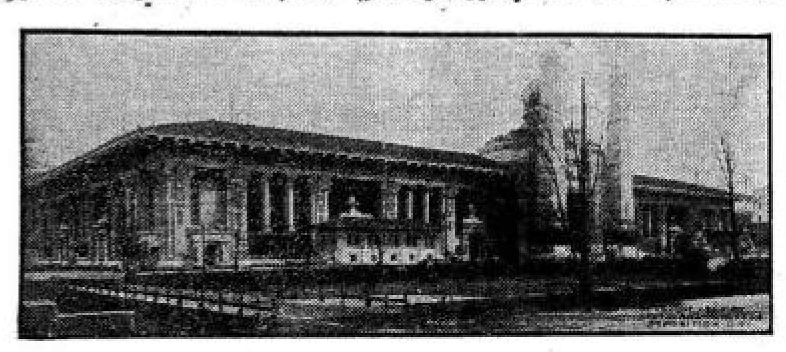
المعرض الاميركي ومبانيهِ



زاوية قصر الفنون

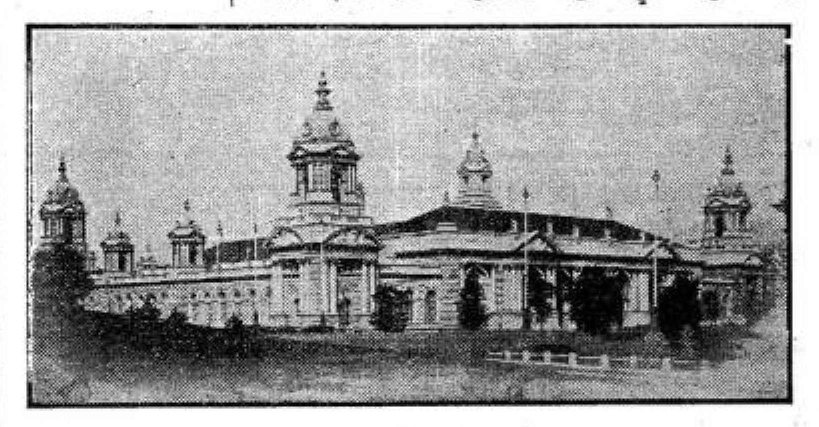
لابدع اذا افاضت المجلات العلمية والجرائد السياسية بعد الآن في وصف هذا المعرض وذكر غرائبهِ فانهُ اعظم معرض انشىء حتى الآن ولا بدَّ من ان تكون فوائده كثيرة وغرائبهُ مدهشة . ولقد انشىء تذكارًا لامر لهُ شأن كبير في تاريخ الولايات المتحدة الاميركية ألا وهو ابتياع بلاد مساحتها اكثر من مليون من الاميال المربعة

ولا شبهة في ان الذين ابتاعوا تلك البلاد واضافوها الى الولايات المتحدة نظروا بعين الروية الى لزومها لها في المستقبل ولو لم يخطر ببالهم ان بلادهم سترتقي هذا الارتقاء المدهش فقد كان عدد اهاليها سنة ١٨٠٣ اي حين اضيفت اليها تلك البلاد خمسة ملايين ونصف مليون



قصر المعادن والتعدين

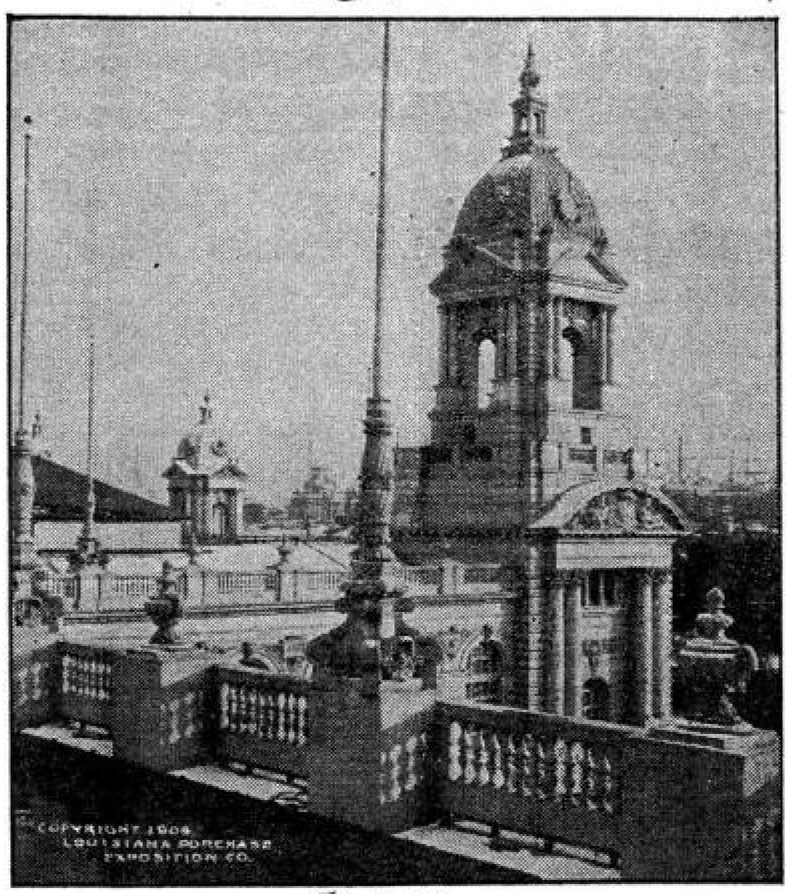
من النفوس فزاد عددهم حتى بلغ سنة ١٨٨٠ اكثر من خمسين مليونًا وهو الآن نحو ثمانين مليونًا وكان لانضمامها الى الولايات المتحدة شأن كبير في ازدياد السكان بالمهاجرة لان اكثر المهاجرين كانوا يذهبون اليها وكان مركزهم ينتقل غربًا بزيادة عددهم كأن اكثر الزيادة في الجهات الغربية التي يحتفل الاميركيون الآن بانضمامها الى بلادهم



قصر الآلات

ويقول الذين شاهدوا هذا المعرض ووصفوهُ انهُ جدير بان يكون تذكارًا لامر لهُ هذا

الشأن في تاريخ الولايات المتحدة وارتقائها فان اتساعهُ وفخامة مبانيهِ وحسن اتساقها وزخرفها والقناطير المقنطرة التي انفقت عليها بسخاء الحكومة الاميركية وسخاء ولاياتها وانواع المعروضات ومقاديرها وحسن تبويبها واشتراك ممالك الارض فيها كل ذلك يجعلهُ غاية ماوصلت اليهِ ارقى الامم واقدرها وما انتجهُ عقل الانسان حتى العام الرابع من القرن العشرين



برج من ابراج قصر الآلات

وقد ذكرنا في عدد سابق ما انفقتهُ الولايات المتحدة على هذا المعرض وهو نحو خمسين مليونًا من الريالات ويضاف الى ذلك ما انفقتهُ ممالك الارض المختلفة فان فرنسا مثلاً انفقت

مليون ريال ومثلها المانيا وانفقت برازيل ستمئة الف ريال وكلٌّ من بريطانيا والمكسيك والصين واليابان اكثر من خمس مئة الف ريال. ومباني المعرض غاية في الاتساع والفخامة فقصر الفنون طولهُ ٧٥٠ قدماً وعرضهُ ٥٢٥ قدماً ومثلهُ قصر المعادن والتعدين وقصر الحكومة بقبتهِ العالية طولهُ ٨٠٠ قدم وعرضهُ ٢٦٠ قدماً . وقصر الآلات طولهُ ١٢٠٠ قدم وعرضهُ ٥٢٥ قدماً وكذلك قصر الصنائع المختلفة · وقصر الصادرات طولهُ ١٣٠٠ قدم وعرضهُ ٥٥٩ قدماً وقصر الزراعة والآلات الزراعية طولهُ ١٦٠٠ قدم وعرضهُ ٥٠٠ قدم

والمعرض في ارض فسيحة مساحتها ١٢٠٠ فدان مملوءة بالغابات وفيها الآن نحو الف بناء الكبرى منها اثنا عشر بناء وهي تشغل ارضاً مساحتها ١٢٨ فداناً وقد نشرنا صور بعضها في هذه المقالة اظهاراً لما في ظاهرها من حسن الانتساق واحكام الصنعة وجمالها وسننشر غيرها في الاجزاء التالية وقد أرسلها الينا حضرة مكاتب المقطم الخصوصي في المعرض

مصير الانسان

يظن الجمهور ان معرفة مصير الانسان غير مقدورة لبني آدم الاَّ اذا كان هذا المصير مرتبطاً بامور ماضية او حاضرة ارتباط المعلول بالعلة وكانت هذه الامور معلومة . لكن اذا تعذَّر علينا ان نعرف ما يصير اليهِ كل انسان على حدتهِ فقد لا يتعذَّر علينا ان نعرف ما يصير اليهِ النوع كلهُ بالاجمال · مثال ذلك اذا اتيتَ بعربة مملوءة رملاً لتفرغها في دارك فانك لا تستطيع ان تضع يدك على حبة من حبوب ذلك الرمل وتعين مصيرها وتقول الى اين تصل بعد وقوع الرمل من العربة · ولكن لا يصعب عليك ان تعلم كيف يكون شكل الرمل كلهِ بنوع عام بعد وقوعهِ فانهُ لا يقع منبسطاً في سطح مستوٍ ولا مائلاً في شكل هرم ولا قائماً في شكل موشور او اسطوانة بل يكون اكمة هذلولية . تعلم ذلك ولا يتعذَّر عليك اثباتهُ بالدليل الهندسي . وهكذا مصير نوع الانسان فان معرفتهُ بوجه عام لا تتعذَّر على الناقد البصير

طالعنا بالامس مقالة في هذا الموضوع للمستر وأس احد مشاهير الكتَّاب قال فيها ان الناس من حيث النظر الى مصيرهم فريقان الفريق الاول وهو الاكبر لا يهتمُّ بهذا المصير مطلقاً لانهُ يقول ان المستقبل محجوب بحجب الغيب فلا سبيل للوصول اليهِ وكأنهُ ينطق بلسان الشاعر العربي القائل

واعلمُ علم اليوم والامسِ قبلهُ ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

والفريق الثاني اقل عدداً من الاول وهو في الغالب من الشبان اهل العصر الجديد يهتمّ بمستقبل الانسان اكثر مما يهتم بماضيهِ ويبحث عن مصيرهِ كما يبحث عما كان فيهِ . فالفريق الاول ينظر الى الحاضر من حيث علاقتهُ بالماضي والفريق الثاني ينظر اليهِ من حيث علاقتهُ بالمستقبل . الاول من اهل الذكر الذين لا تنجلي لهم الامور الاَّ اذا قارنوها بما تقدَّمها وعرفوا ارتباطها بما يتذكرونهُ . والفريق الثاني من اهل النظر الذين يحسبون الحاضر اساساً للمستقبل فلا يكتفون بهِ بل يبحثون دواماً عما سيبنى عليهِ . الاول ينظر الى الحياة الحاضرة من حيث هي ثمرة الحياة الماضية والثاني ينظر اليها من حيث هي شجرة تثمر اثماراً مقبلة . وكأن عقل الفريق الاول عقل قاضٍ يطبّق احكامهُ على الشرائع التي تعلَّمها والقوانين التي اطَّلع عليها ولا يقبل حكماً ما لم يكن منطبقاً على قانون مقرر . واما عقل الفريق الثاني فكعقل المشترع الذي يسنّ القوانين وينقحها بالتغيير والزيادة والنقصان حاسباً ان سلطتهُ فوق سلطة القانون لان تغييرهُ في يدهِ

ومن رأي المستر ولس ان العقل الاول عقل اهالي المشرق بنوع عام والعقل الثاني عقل اهالي المغرب ونخاف ان يكون رأيهُ صحيحاً فانك اذا محَّصت اكثر ما يكتبهُ ابناء الاقطار الشرقية تجدهُ مفاخرةً بالآباء والاجداد بمجد العرب والمصريين والفينيقيين . كأنهم نسوا قول مَن قال

وما الفخر بالعظم الرميم وانما فخار الذي يبغي الفخار بنفسهِ

والفرق واضح بين العقل القضائي والعقل التشريعي يقول الاول اننا على ما نحن عليهِ لامور اقتضت ذلك رأينا آباءنا فيهِ وبهديهم نحن مهتدون . ويقول الثاني اننا على ما نحن عليهِ استعداداً لامور ستحدث وتمهيداً لما سيصل ابناؤنا اليهِ

الاَّ ان جمهور الناس لا ينقطع للتفكير بالماضي وحدهُ او بالمستقبل وحدهُ بل يفكر كثيراً بالماضي وقليلاً بالمستقبل او كثيراً بالمستقبل وقليلاً بالماضي حسب استعدادهِ . واضطراب الناس في احكامهم حادث في الغالب عن مزجهم امور الماضي بامور المستقبل او عدم تمييزهم بين الاولى والثانية فترى الذين ينظرون الى الماضي يبحثون عن الاسباب والذين ينظرون الى المستقبل يبحثون عن النتائج والذين ينظرون الى الماضي والمستقبل معاً تتشوش عليهم الامور فيخلطون بين الاسباب والنتائج

كان الناس يقيسون الامور الادبية ببعض الاحكام والقواعد المقرَّرة فيقولون مثلاً ان السرقة حرام لانهُ قيل في الوصايا العشر "لا تسرق" غير ناظرين الى عواقب السرقة في امور

الناس ولا يزال كثيرون يحسبون انهُ لابدَّ من الجري على هذه الاحكام كيفما كانت الحال لانها احكام ادبية مقرَّرة · لكن قام البعض وانكروا انها احكام ادبية واجبة الاتباع دائماً وحكموا بانهُ لابدَّ من النظر الى النتائج ولان النتيجة تبرر الواسطة او تخطئها والجمهور مضطرب بين القولين يتبع هذا مرة وذاك أخرى ولكن اعتبار النتائج آخذ في الشيوع فقد قام فريق من الناس يعدُّ قيمة الاعمال الادبية على حسب النتائج التي تنتج عنها ويقول ان القوانين الادبية وسائط لغايات فلا شأن لها لذاتها وانما شأنها في ما تؤدي اليهِ من الغايات فاذا حسنت نتيجتها فهي واجبة الاتباع والاَّ فلا · والجمهور بين بين يتمسك بالقوانين الادبية نظراً مدعياً انها احكام مقرَّرة لا تتغير ويجري على ضدها عملاً اذا اقتضت مصلحتهُ او مصلحة بلادهِ ذلك · مثالهُ ان تَعِدَ امة من الامم انها تفعل فعلاً ما وتؤكد وعدها بالقسم او بغيرهِ من وسائط التأكيد ثم تجد ان الوفاء بهذا الوعد يضرُّ بها او بغيرها من الامم او الجمهور من الناس وان الحنث ينفعها او ينفع غيرها ولا يضرُّ احداً او ان نفعهُ اكثر من ضررهِ فتخلف وعدها وتحنث بيمينها حاسبة ان النتيجة هي الغرض المقصود من الوعد والعهد ومصلحة النوع تقتضي جلب النفع الاكبر بالضرر الاقل · هذا اذا كان وجه النفع من إخلاف الوعد ظاهراً ولكنهُ اذا لم يكن ظاهراً اختلف الناس في السبيل الذي يتبعونهُ فصاحب العقل القضائي يقضي باتباع السنَّة القديمة ويقول بعدم اخلاف الوعد مهما كانت النتيجة واما صاحب العقل التشريعي فلا يصعب عليهِ كسر السنَّة القديمة وسن سنَّة أخرى بدلاً منها فيقول ان الامور بمقاصدها والغاية تبرر الواسطة · والمتقلب الذي لا رأي لهُ يتبع الخطة الاولى تارة والثانية اخرى حسب العوامل التي تؤثر فيهِ

وقد بلغ الاضطراب في الاحكام غاية في الغرابة مثال ذلك ما حدث في هذه الحرب الاخيرة وفي اكثر الحروب الحديثة فانهُ اذا خالف احد الخصمين عادة متبعة سخط الناس اجمع فاتهموهُ بالغدر والخيانة وانتهاك المحارم ولو كان ما فعلهُ قاصراً على قتل سفير او تمزيق راية ولكن اذا نشبت نار الحرب واثخن احد الخصمين في الآخر فقتل منهُ في وقعة واحدة عشرة آلاف نفس اعظموا فعلهُ ومجدوهُ وضفروا لهُ اكاليل الظفر غير ملتفتين الى ما ينتج من قتل عشرة آلاف نفس من المضار لعشرة آلاف بيت · ولكن يقال بنوع عام ان الناس صاروا يقيسون الحروب والخصومات بما تأول اليهِ في مصالح الامم لا بعلاقتها بمصالح الافراد ولا بارتباطها بالقوانين والمعاهدات الماضية كأن مستقبل الامم بنوع عام هو الغرض المقصود بالذات

ونظر المستر ولس في السبب الذي يحمل اكثر الناس على الالتفات الى الماضي وعدم

الالتفات الى المستقبل فقال انهُ حب السهولة والراحة فان الالتفات الى الماضي سهل لايدعو الى نظر كثير وتفكير طويل واما النظر الى المستقبل فعسير لا يسهل تناولهُ على كل واحد والقوى العقلية تجري في الطريق الذي تجد فيهِ المقاومة القليلة كالقوى الطبيعية . والماضي معروف محقق واما المستقبل فمجهول يصعب تحققهُ فاذا وقف الانسان بين سبيلين احدهما سهل نتيجتهُ معلومة والآخر صعب نتيجتهُ غير معلومة اختار الاول على الثاني لكن ذلك لايصرفهُ عن الرغبة في معرفة المستقبل ولو بواسطة المنجمين والمتكهنين وقارئي أسرّة الجبهة واسرار الكف

اذا دققت النظر وجدت ان الناس يعلمون من امور الماضي اقل مما يدعون ومن امور المستقبل اكثر مما يظنون . فالمحفوظ في الذاكرة من امور الماضي لا يعتمد عليهِ دائمًا لان الذاكرة لا تعي كل شيء ولا تحسن حفظ ما تعيهِ بل تشوشهُ وتضيف اليهِ امورًا ليست منهُ . ومهما اشتدَّت ثقة المرء بذاكرتهِ فانهُ اذا قاسها بما يحفظهُ في القرطاس وجد البون شاسعًا بين ما يحفظ فيها وما يحفظ فيهِ . ولقد امتحنا فعل الذاكرة مرارًا فكنا نتلو خبرًا على جماعة ثم نطلب منهم ان يكتبوا ما وعوهُ منهُ في ذاكرتهم فلا نجد اثنين يتفقان

ثم ان جانبًا صغيرًا من معارف الانسان مبني على مدركاتهِ الذاتية والجانب الاكبر على ما قرأهُ او سمعهُ اي على مدركات غيرهِ ولكن ما آفة الاخبار إلاَّ رواتها فقد يتلاعب الرواة في الاخبار لغرض واذا قصدوا الصدق في الرواية فان الذاكرة تخونهم كما تقدم ولا تحفظ الاَّ ماتشاء وكما تشاء ولذلك يقع التضارب في الاخبار الى حد تضيع معهُ الحقائق حتى اذا بعُد السند وكثر التواتر كثر الاختلاف وانقلبت الاخبار عن صورتها الاصلية الى صور اخرى مضادَّة لها وصار الانباء بامور المستقبل اصح من الانباء بامور الماضي ما دام الماضي معتمدًا على الاحاديث والاسانيد . ولكن اذا كان للماضي شواهد عيانية ثابتة ومُحِصت شواهدهُ تمحيصًا علميًّا فدلالتها يقينية مثل الاستدلال على سكان الارض في العصور الجيولوجية ومثل الاستدلال على احوال البابليين والاشوريين والمصريين من آثارهم المنقوشة في الصخور . واننا لنعلم الآن من تاريخ الارض قبل ظهور الانسان عليها اكثر مما نعلم من تاريخها منذ ظهورهِ الى الآن ونعلم من احوال الامم الغابرة قبل زمن التاريخ اكثر مما نعلم من احوال الامم الذين قاموا في زمن التاريخ بل اكثر مما نعلم من تاريخ آبائنا واجدادنا الى الف عام . وهذا العلم لم يحدث بالالهام والمكاشفة بل بالبحث العلمي الدقيق . بالبحث في الصخور والتلال والركام والانقاض . بالبحث والتنقيب والقياس والتقدير والانتقاد والتمحيص من غير معارف سابقة ولا قواعد مقررة بل في وجه عقائد مناقضة واحكام تقيّد العقل وتمنع البحث

فان كان البحث عن الماضي البعيد الذي تحجبهُ عنا ظلمة العصور الغابرة تكلل بالنجاح فكيف لاينجح البحث عن الامور الآتية اذا جرى على الاساليب العلمية . وقد فعل الانسان شيئاً من ذلك فانبأ هكسلي مثلاً بان توجد آثار الفرس ويكون في قوائمهِ اصابع كما في قوائم غيرهِ من الحيوانات الفقرية فصدقت نبوءتهُ ووجدت في طبقات الارض آثار خيل في قوائمها اصبعان او ثلاث او اربع اوخمس. وانبأ مكسول بأن النور والحرارة والكهربائية شيء واحد يتحول كل منها الى الآخر فصح ما انبأ بهِ. وانبأ بعض الكيماويين بوجود عناصر غير معروفة وعينوا ثقلها النوعي والجوهري وبعض خواصها الكيماوية فكشفت تلك العناصر ووجدت كما انبأوا عنها . هذا والعلماء غير مهتمين بالبحث عن المستقبل ولا حاسبين انهُ يمكن الوصول الى معرفتهِ فكيف لو اهتم كبارهم بذلك وانضوا اليهِ عزيمتهم

نعود الآن الى النظر في مصير الانسان على هذه البسيطة فمن الامور المقررة علماً ان حرارة الشمس ستنفد يوماً ما فتبرد الارض ولا تعود صالحة لمعيشة الانسان فينقرض نوعهُ منها ولكن ذلك لا يحدث قبل الوف بل ملايين كثيرة من السنين والانسان ابن الامس لا يطامع بالانباء عمَّا يصير اليهِ بعد هذا العدد العديد من السنين لاسيما وان سيرهُ غير جارٍ على نسق واحد بل هو يتقدَّم الآن في سنة اكثر مما كان يتقدَّم قبلاً في مئة سنة

ومن الامور المقررة ايضاً ان عوالم كثيرة مثل عالمنا وارضاً مثل ارضنا تصطدم وتحترق من وقت الى آخر فيحتمل ان يصيب ارضنا ما اصابها وهذا الاحتمال بعيد ولكن لا شيء ينفي حدوثهُ وليس في طاقة الانسان الانباء بزمنهِ فلا يتعب بالبحث عنهُ

ومنها ان انواعاً مختلفة من الحيوان عاشت على وجه الارض في العصور الغابرة وملأتها ثم انقرضت منها اما بتغير الفصول او باسباب اخرى غير معروفة فلا شيء يمنع ان يحلَّ بنوع الانسان ما حلَّ بهِ او يتنابهُ مرض وبائي يقرضهُ قرضاً ولكن النظر في احوال المخلوقات من اول حيوان ظهر منها وخرج من حمأتها يتمعج ويتلوَّى ويجاهد في طلب المعيشة والنمو والارتقاء الى الانسان ابن القرن العشرين الذي فاق كل من تقدمهُ بمراحل كثيرة يحدو بنا الى الظن بل الى الترجيح او التأكيد ان سلسلة هذا الارتقاء لا تنقطع وانهُ سائر سيراً مستمرًّا على سلسلة متزايدة والأَّ فلا معنى لهذا الوجود. واذا كان الامر كذلك فمصير الانسان الى حالة ارقى من حالتهِ الحاضرة ودلائل الحال تؤيد ذلك . وسيهتدي الناس الى ما يزيد راحتهم ورفاهتهم ويمنع الشرور والمفاسد والآلام . هذه هي الحالة العامَّة التي يصير اليها نوع الانسان

حملة هكس باشا

من كتاب تاريخ السودان

هكس باشا من ضباط الانكليز النابغين وقد انتظم في الجيش الهندي سنة ١٨٤٩ وشهد عدة وقائع حربية في الهند والحبشة وتقاعد برتبة كولونل . وفي سنة ١٨٨٢ قدم الى مصر فسمي رئيس اركان حرب الجيش المصري ولما الغي جيش عرابي وصدر الامر بارساله مددًا الى السودان سمي رئيس اركان حرب الجيش في السودان فبرح مصر في ٧ فبراير وسار بطريق سواكن فوصل الخرطوم في ٧ مارس سنة ١٨٨٣

وتبعهُ جيش عرابي في هذه الطريق عينها وكان مؤلفًا من اربعة آلايات في كل آلاي ثلاث اورط ومجموعهُ نحو عشرة آلاف رجل عليهم اربعة ضباط مصريين عظام وهم : الميرالاي سليم بك عوني قومندان ١ جي الاي والميرالاي حسين بك مظهر قومندان ٢ جي الاي والميرالاي ابرهيم بك حيدر قومندان ٣ جي الاي والميرالاي رجب بك صديق قومندان ٤ جي الاي فاقام هذا الجيش في ام درمان وبنى فيها رجب بك صديق طابية اشتهرت في حصار الخرطوم

(واقعة المرابيع في ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٣) وكان اول ما اقرّ عليهِ هكس باشا بعد وصولهِ الخرطوم ان يجرّد حملة على ود برجوب الذي كان لم يزل شاهرًا العصيان في الجبلين وقد اجتمع اليهِ الزعماء الذين خذلهم عبد القادر باشا كود الصليحابي واحمد المكاشف واخيهِ عامر وغيرهم . فلما كان يوم ٣ ابريل خرج من الخرطوم مع سليمان باشا نيازي القومندان العام وجمع في الكوة نحو ٥٦٠٠ مقاتل فيهم الميرالاي حسن بك مظهر والميرالاي ابرهيم بك حيدر ومع كل منهما ثلاث اورط واليوزباشي حسن عزمي قومندان الطوبجية ومعهُ سبعة مدافع و٦٠ رجلاً وسنجقان من سناجق الاتراك مع كل منهما ٤٠٠ رجل وسار بهذه القوة قاصدًا الجبلين . وخرج ود برجوب لقتالهِ بنحو ٥٠٠٠ مقاتل فالتقى الجيشان في المرابيع جنوبي أبا في ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٣ وكان هكس قد نظم جيشهُ مربعاً فجعل حملة الجمال والمعدات في الوسط ولم يجعل المدافع في الزوايا كجاري العادة بل جعلها بارزة عنها ووصل اضلاع المربع وصلاً تامًا حتى لا يبقى الى العرب سبيل الى دخولهِ ثم نثر حول المربع قطعاً صغيرة من الحديد ذات اربعة رؤوس محددة تقف على ثلاثة منها . ولم يتم تنظيم المربع على هذه الصورة حتى اقبل الدراويش وفرسانهم في ساقتهم مهاجمين بهيئة قوس فلما صاروا على مرمى الرصاص صدرت الاوامر للعساكر فامطروهم سحابة من الرصاص برّحت بهم تبريحاً وخاف فرسانهم

وكبراؤهم ان يثنيهم ثقل الرصاص عن متابعة الهجوم فصاحوا بهم وحملوا في مقدمتهم بقلوب لا تهاب الموت فكنت ترى الفارس مجرداً سيفهُ ومطلقاً عنان جوادهِ قاصداً اختراق المربع فيصيبهُ الرصاص فيقع فيضمد جرحهُ بيدهِ ويعيد الكرة راجلاً حتى يصرعهُ الرصاص الى ان ملئت الارض من قتلاهم فولوا الادبار وقد قتل من كبارهم ١٢ رجلاً فيهم احمد المكاشف وجرح عامر المكاشف جرحاً بالغاً وجرح ود برجوب جرحاً اقعدهُ حتى صار يحمل على سرير. اما جيش هكس فقد قتل منهُ رجلان وجرح عشرون وتقدم هكس بجيشهِ الى الجبلين فوجد ديم الدراويش خالياً فعاد الى الدويم فترك جيشهُ فيها وتقدم الى الخرطوم ليعد نفسهُ للحملة على المهدي في كردوفان . وقد اختار الدويم النقطة الاساسية لهذه الحملة لانها ميناء حسن على النيل الابيض وبها شونة قديمة ومنها تتفرع الطرق الى كردوفان

(حملة هكس باشا على كردوفان) وكان عبد القادر باشا اذ ذاك قد عاد الى مصر قيل فالحَّ على الحكومة ببقاء الجيش محافظاً على النيل الابيض من الخرطوم الى فاشودة لمنع امتداد الثورة الى جزيرة سنار وترك المهدي وشأنهُ في كردوفان الى ان يظهر للناس نفاقهُ او تضيق بهِ البلاد فيضمحل من نفسهِ وكان هذا رأي الكثير من ساسة الانكليز ولكن الحكومة لم تزل مصممة على سحق المهدي في كردوفان خوفاً على دارفور وبحر الغزال فامرت هكس باشا بالزحف على المهدي في الحال فكتب تلغرافاً في ٣ مايو الى حكومة مصر يقول انهُ لا يحمل مسئولية الحملة الأَّ اذا كانت لهُ القيادة العامة عليها ولما لم تلتفت الى طلبهِ قدم استعفاءهُ في ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٣ فاهتمت اذ ذاك بالامر ونقلت سليمان باشا نيازي محافظاً على عموم شرقي السودان وجعلت هكس قومنداناً عاماً على الحملة وامرت علاء الدين باشا بمرافقتهِ كقومندان ثانٍ للحملة وجعلت حسين باشا سرّي وكيلاً عنهُ في الخرطوم

فشرع هكس باشا في تجهيز الحملة . وكان اول ما لزمهُ الاهتمام بهِ وسائط النقل فارسل علاء الدين باشا الى شرقي النيل الازرق فاشترى ٤٠٠٠ جمل وكان عندهُ ١٥٠٠ جمل فاجتمع للحملة ٥٥٠٠ جمل . ثم ارسل علاء الدين باشا الى الدويم وشرع في ارسال الجند تباعاً من الخرطوم وام درمان . وفي ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٣ سار بقية الجيش الى الدويم فوصلها في ٢٠ من الشهر المذكور فاجتمع عندهُ فيها اربع اورط مصرية وخمس سودانية فيها ٧٠٠٠ من المشاة المنظمة و ٥٠٠ من الفرسان المنظمة و ٥٠٠ من الفرسان الباشبوزق و ١٠ مدافع جبلية و ٤ كروب و ٦ من نوع النوردنفلت . ما عدا ٢٠٠٠ من الاتباع و ٥٥٠٠ جمل و ٣٠٠٠ بغل و ١٠٠٠٠ حمار و ٥٠٠٠ فرس

واما ضباط الجيش العظام فهم الميرالاي سليم بك عوني قومندان الآلاي الاول والسيد بك عبد الخالق قومندان الآلاي الثاني وحسين بك فهمي قومندان الآلاي الثالث ورجب بك صديق قومندان الآلاي الرابع ما عدا السناجق الباشبوزق . واما حسين بك مظهر قومندان الآلاي الثاني السابق فقد رقي الى رتبة لواء ورافق الجيش قومنداناً على الآلايات الاربعة واما ابرهيم بك حيدر قومندان الآلاي الثالث السابق فقد رُقي ايضاً الى رتبة لواء

وصحب هكس من الضباط الافرنج الكولونل فركوهار رئيس اركان حرب و ٨ ضباط اركان حرب وسكرتيره الخاص ميخائيل افندي ناصيف اللبناني شقيق سليمان بك ناصيف من كبار موظفي الحربية بمصر وجورجي بك الحكيم الرومي ومكاتبو التيمس والدالي نيوز والغرافيك وكلهم من الانكليز . وصحبهُ من الخبراء صالح غانم وابرهيم محجوب وآوا * ومن الملكية الوطنيين الذين استصحبهم من الخرطوم ليأمن شرهم ويوليهم امر كردوفان في حالة النصر قناوي بك ابو عموري التجاري الشهير وبساطي بك الحسي باشكاتب الخرطوم وحمد بك التلب الجعلي رئيس مجلس الاستئناف ومحمود بك احمد اغا الكنزي مدير الخرطوم وعبد الرحمن بك بان النقا الجعلي من عمد التجار . وابقى الكولونل ده كوتلوجن من اركان حربهِ في النيل بين الخرطوم وفاشودة لمنع مهاجرة الناس من الجزيرة الى المهدي

وفي حال وصولهِ الى الدويم اجتمع بعلاء الدين باشا ونظرا في طريق الحملة فللابيض من الدويم طريقان شهيرتان : طريق بارة طولها ١٧٦ ميلاً وماؤها قليل وتصل الابيض من الشمال . وطريق شات طولها ٢٦١ ميلاً وماؤها كثير وتصل الابيض من الجنوب . فقال هكس بطريق بارة لانها اقصر وقال علاء الدين بطريق شات لان ماءها اغزر يكفي الحملة فقرَّ الرأي على قول علاء الدين . وسارت الحملة من الدويم في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٣ فمرَّت بشات وتركت فيها حامية صغيرة لحفظ خط الاتصال مع النيل ثم تقدمت الى ابار زريقة وقبل الوصول اليها وقع اختلاف شديد بين هكس وعلاء الدين في شان خط الاتصال فاراد هكس ان يجعل في كل منهل حامية عسكرية مؤلفة من ٢٠٠ رجل لحفظ خط الاتصال مع النيل وقد ترك حامية في شات لهذه الغاية فاعترضهُ علاء الدين وقال ان هذه الحاميات لا تستطيع حفظ نفسها فضلاً عن خط الاتصال اذ البلاد كلها قد سلمت للمهدي فلا نترك حامية في منهل حتى تحيط بها العربان وتأخذها عنوة فنكون بذلك قد اهلكنا جانباً من رجالنا ولم نستفد شيئاً فعقد هكس باشا مجلساً من الضباط الافرنج والمصريين للحكم في الامر فاجمعوا على قول علاء الدين وسار الجيش من ذلك الحين كانهُ جسم واحد متأهب للقاء العدو في كل لحظة . وكان

سيرهُ بهيئة مربع عظيم في مقدمتهِ الدليلان فالطلائع فالضباط العظام فاركان الحرب ثم المربع وهو مؤَلف من المشاة في وسطهِ الطوبجية وفي ساقتهِ الفرسان ثم الجمال والاحمال ثم الفرسان الباشبوزق وهم وراء الكل

وكان المهدي لا يغفل طرفة عين عن مراقبة حركات الجيش فلما اتاهُ خبر قيام هكس من الدويم امر اصحابهُ فخرجوا من الابيض الى ساحة في شرقي المدينة ثم خرج بنفسهِ ونزل تحت شجرة شهيرة من شجر التبلدي وانتدب اربعة من كبار قوادهِ وهم : محمد عثمان الشهير بأبي قرجة والشيخ فضلو احمد وعبد الحليم مساعد وعمرود الياس باشا ومعهم نحو ٣٠٠٠ رجل وامرهم بالتوجه الى حيث تكون الحملة وتعقُّب حركاتها وعدم محاربتها في واقعة بل ان يناوشوها القتال ويمنعوا اهل البلاد من الانضمام اليها ويوافوهُ بالاخبار تباعًا · فصدعوا بالامر ووافوا الحملة بالقرب من العقيلة في ١١ اكتوبر فلازموها من ذلك الوقت وصاروا اذا سارت ساروا وراءها وطمروا الآبار بعدها واذا وقفت وقفوا بعيدًا عنها وناوشوها القتال وما تطرف احد منها الاَّ قتلوهُ حتى ان الجمال لم تستطع المرعى لانحصارها في المربع فجاعت واكلت قش رحالها وخارت قواها فمات كثير منها وبدأ اللغط في الجند من ذلك الوقت فايقنوا بالخذلان وتوقعوا العواقب الوخيمة وصاروا كلما توغلوا في البلاد زاد خوفهم ولغطهم حتى رأَوا انهم سائرون حتمًا الى حتفهم وما زالوا كذلك حتى وصلوا الى منهل الرهد في ٢٠ اوكتوبر سنة ١٨٨٣ فنزلوا في جنوبيهِ ونزل امراء الدراويش قبالتهم في شماليهِ وذهب احدهم عبد الحليم الى الابيض فاخبر المهدي بما كان من امرهم

وفرَّ من الحملة قبل وصولها الى الرهد بقليل خادم مكاتب الدالي نيوز وهو صف ضابط الماني اسمهُ كلوتس فذهب الى المهدي في الابيض واخبرهُ ان الحملة في يأس وخوف شديد فايقن المهدي انهُ غالب لا محالة وامر كلوتس باعتناق الاسلام ففعل فسماهُ مصطفى وبقي في الاسر الى ان حاول النجاة من القلابات فمات في الطريق

واقام هكس في الرهد ستة ايام ينظر في طريق الحملة الى الابيض ولم يكن للابيض من الرهد الاَّ طريقان : طريق الملبس وطريق البركة فقر الرأْي على اختيار طريق البركة لانها اغزر ماء فسار بالجيش قاصدًا المنهل المذكور وارسل في الطريق احد الخبراء ومعهُ عبد الى الابيض للاستعلام عن قوة المهدي ووجهتهِ ووصل بالجيش الى منهل علوبه الاثنين في ٢٩ اوكتوبر فوجد فيهِ ماء غزيرًا فأقرَّ على البقاء فيهِ الى ان يعود الخبير بخبر المهدي * فلما كان يوم الخميس ١ نوفمبر عاد العبد وحدهُ ومعهُ ١٥٠٠ نسخة من كتاب كتبهُ المهدي الى هكس وجنودهِ وهذه صورتهُ

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم
" وبعد فمن عبد ربهِ الفقير المعتصم بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى من يسمع من اهل الجردة ممن لهُ عقل فانهُ لايخفى على ذي عقل الامر بيد الله لايشاركهُ في ذلك بنادق ولامدافع ولا صواريخ ولا عصمة لاحد الاَّ من عصمهُ الله تعالى فاذا فهمتم ذلك فاعلموا ان الله واحد فلا تغتروا بأسلحتكم ولا بجنودكم التي تريدون ان تقاتلوا بها جنود الله فان لاقوة لشيء دون الله وان قلتم ان مهديتنا مكذوبة فاعلموا الكذب انما يصدر ممن يحب الدنيا ويخاف المخلوق و يستعجز قوة الله فاذا فهمتم ذلك فلا تغرَّنكم اقوال علمائكم فان الترك الذين قتلتهم شكوا للحق عزَّ وجلَّ وقالوا يا الهنا ومولانا ان المهدي قتلنا فأقول انذرتهم يارب فلم يسمعوا وحضر على ذلك شاهداً سيد الوجود (صلعم) وقال لهم الامام المهدي انذرتكم فلم تسمعوا لهُ وسمعتم قول علمائكم فذنبكم عليكم فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى اذ جاءكم بل كنتم مجرمين فان كان لكم نورٌ تؤمنون بالله ورسولهِ والدار الآخرة وتصدقوا بمهديتنا وتخرجوا الينا مسلمين ومن سلم يسلم وان ابيتم الاَّ الجحود والاغترار بالمدافع والبارود فأنتم مقتولون كما اخبر سيد الوجود واسوتكم بمن سبقكم من الجنود والسلام "

فلما اطلع هكس على الكتاب مزَّقهُ واحرق نسخهُ كلها . وسأل العبد عن الخبير فقال ان المهدي امر بقتلهِ وهو يستعد لمقابلة الجيش بطريق البركة

(واقعة شيكان في ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣) ولما كان يوم الخميس ١ نوفمبر وهو يوم وصول العبد الى علوبه استعمل المهدي على الابيض احد اقاربهِ عبد الله ود الصمد وخرج بجيش ينيف عن ٥٠ الفاً قاصداً البركة فسار حتى نزل بمنهل فرتنقول وهو منهل قليل المياه جداً حتى ان المسافرين كانوا اذا نزلوا بهِ لايكاد يكفي العشرين منهم فضلاً عن دوابهم. قالوا فلما نزل المهدي بهِ ورأى قلة الماء صفر فخرج منهُ ماء غزير اروى تلك الجيوش وفاض حتى سقوا رواحلهم وملأوا قربهم !!!

ثم بلغ المهدي وهو بالمنهل المذكور ان الجيش قاصد منهل البركة وجادٌّ السير ليسبقهُ اليهِ فأمر في الحال محمود بن عبد القادر من اقاربهِ وضوء الدين بن عبد الله رئيس النواب ومن معهما من اهل رايتهما فجدوا السير حتى وصلوا المنهل المذكور الجمعة في ٢ نوفمبر ثم ارتحل المهدي بباقي اصحابهِ صبيحة يوم السبت ٣ نوفمبر من منهل فرتنقول وفي ظهر ذلك اليوم نزل بمنهل البركة وكان هكس لما علم من العبد ان المهدي قصد البركة ارسل اليها رسلاً من علوبه

لتحقيق الخبر فعادوا واخبروا ان الدراويش قد احتاوها فجمع هكس اذ ذاك الضباط والخبراء فعدلوا عن طريق البركة واقروا على الطريق الملبس التي تمر بشيكان فخرجوا من علوبة فجر السبت في ٣ نوفمبر وساروا عشرة اميال ثم وقفوا وزربوا زريبة متينة وباتوا فيها الى صباح الاحد وبات الدراويش المطاردون لهم بالقرب منهم

اما المهدي فانهُ عند وصولهِ الى البركة ظهر يوم السبت كما مرَّ اتاهُ ابرهيم الحاج الشهير بالترجاوي ومعهُ جماعة وقالوا لهُ ياسيدي يقول الناس ان الترك عدلوا عن طريق البركة وقصدوا مدينة الابيض ليستاصلوا من فيها ويحوزوا النساء والذرية حتى شاع الخبر في الجيش وارجف الناس بذلك فلنتوجه الى الابيض قبل الترك . فالتفت المهدي وقال ايها الناس أنصتوا ثم بصق في كفهِ اليسرى وقال اي شيء هذا قالوا بصاق ياسيدي ثم طرحهُ على الارض فشربتهُ في الحال فقال للناس هل ترون لهذا البصاق أثرًا فقالوا لهُ لا فقال نحن كالارض والترك كالبصاق . ثم قال اذا طار طائر فاين ينزل فقالوا لهُ على الارض فقال لهم ان الترك كالطائر ونحن كالارض ايها الناس اثبتوا واطمئنوا ونزلوا رواحلكم واستريحوا فان الترك لا قدرة لهم مع قدرة الله ثم قال غدًا يوم الاحد نتوجه اليهم وفي صبيحة الاثنين بعد ان نأمركم بمحاربتهم اذا تأخر احدكم لاصلاح نعلهِ لم يدركهم احياء . ثم جمع المهدي جميع الفرسان واهل الاسلحة النارية فضمهم الى ابرهيم الترجاوي المذكور وارسلهم نجدة للسرية المطاردة الجيش في عشية ذلك اليوم (السبت) فوصلوها صباح الاحد في ٤ نوفمبر فوجدوا اخوانهم محيطين بالجيش من كل جانب احاطة السوار بالمعصم فزادوا في حصرهِ . وفي هذا اليوم قبيل الصبح ارتحل المهدي بكل جيوشهِ قاصدًا الجيش ونزل في منهل شيكان عند الضحى ويسمى هذا المنهل ايضًا بمنهل ام مصارين فلما نزل المهدي بهِ قال لهُ بعض اصحابهِ ياسيدي هذا المحل يدعى بمنهل ام مصارين فقال ان مصارين الترك تصب فيهِ

وكان هكس لما اصبح صباح الاحد المذكور قد خرج من الزريبة التي كان بائتًا فيها واستطرد السير نحو منهل شيكان وهو لا يدري ان المهدي قد احتلهُ بجيوشهِ فما سار ساعة حتى خرج من جيش المهدي حمدان ابو عنجه وعبد الله ود النور وفوزي احد كتّاب المهدي بن معهم من الانصار المسلحين بالاسلحة النارية وبينهم عدد وافر من الفرسان وحملوا حملة صادقة على ساقة الجيش حيث المهمات والذخائر فاختلطوا بالعساكر فدارت عساكر المقدمة عليهم وهزمتهم ولكنهم تمكنوا من اخذ بعض الخيول والجمال والازواد وقد قتل منهم في تلك الهجمة اربعة بينهم فوزي كاتب المهدي وجرح عبدالله ود النور وقتل من الجيش رجب

بك قومندان الآلاي الرابع ونفر من العساكر . وزرب الجيش في محل الواقعة زريبة من شوك واقام فيها . قيل ولما رأى اصحاب المهدي ما حل بالجيش من التزلزل والاضطراب رغبوا الى المهدي ان يأذن لهم في الحملة عليهم مرة واحدة في ذلك اليوم فقال لهم اخبرني سيد الوجود ان الترك لا يموتون كلهم اليوم وانما هلاكهم يكون غداً الاثنين . وبقي اصحاب الاسلحة النارية منهم محيطين بالجيش يرمونهُ بالرصاص بقية ذلك اليوم وليلة الاثنين الى الصباح فحملوهُ خسارة تذكر وكان في جملة من قتلوهُ جورجي بك الحكيم . فرأى هكس ان الاقامة في تلك الزريبة لاتجدي نفعاً ولم يكن يدري اي سبيل يتبع فجمع مجلساً من الضباط العظام والملكية الذين صحبوهُ فلم يقروا على رأي وكثر اللغط بين الجند وتسلط الرعب على قلوبهم واشتد بهم العطش لبعدهم عن الماء فايقنوا بالهلاك . فعوَّل هكس اذ ذاك على المسير تحت رحمة الله نحو منهل شيكان . وقيل ان الخبراء الذين كانوا معهُ كان بينهم وبين المهدي مواطأة سرية فقادوا الجيش في الطريق التي دلهم عليها المهدي

فلما كان ضحى الاثنين ٥ نوفمبر ١٨٨٣ خرج هكس بجيشهِ من الزريبة بثلاثة مربعات على شكل مثلث متساوي الاضلاع في كل زاوية مربع وبين المربع الواحد والآخر ٣٠٠ ياردة وفي وسط كل مربع معداتهُ وذخائرهُ . وسار هكس واركان حربهِ في مقدمة الجيش يتبعهُ بعض الطوبجية باربعة مدافع ومن وراء المدافع المربع الاول ثم المربعان الآخران واحد الى اليمين وواحد الى اليسار وكان السواري يحمون المؤخرة والجوانب المكشوفة من المربعات وما سار الجيش على هذا الترتيب نصف ساعة حتى دخل وادياً مفتوحاً شائكاً وعلى كل من جانبيهِ غابة كثيفة فجعل المهدي معظم جيشهِ في تينك الغابتين عن يمين الجيش وشمالهِ وجعل الباقي في وسط الوادي في طريق الجيش وعليهم عبد الرحمن النجومي وكان محمد قرجه ومن معهُ من الانصار لم يزالوا متتبعين الجيش من الوراء فاصبح الجيش مكتنفاً بجيوش الدراويش من الجهات الاربع . وكان المهدي لما رأى الجيش من بعيد جمع امراءهُ لآخر مرة وصلى امامهم ثم رفع سيفهُ ونادى الله اكبر عليهم ثلاثاً ثم قال احملوا عليهم ولا تخشوا نيرانهم فان ارواحهم مزملة ونيرانهم لا فعل لها وانكم لظافرون عليهم باذن الله فما دخل الجيش ذلك الوادي حتى حملوا عليهِ حملة واحدة من كل جهة فاخترقوا صفوفهُ واوقعوا الفشل في العساكر واخذوا يقتلونهم طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف واستفرسوا في القتال فلم يمضِ ساعة حتى قتل الجيش برمتهِ وفيهم هكس واركان حربهِ وعلاء الدين باشا وجميع الضباط المصريين والافرنج وقد تراكمت جثث القتلى في محل الواقعة كالتلال ولم ينجُ من الجيش كلهِ الاَّ ملازمان

(وهما محمد افندي صلّي من المنصورة وقد فرَّ بعد ذلك من الخرطوم الى مصر واحمد افندي عزمي وقد مات في كردوفان) ونحو ثلاثمائة جندي اختبأوا بين الاشجار ودواب الحملة والقتلى فوقعوا كلهم في الاسر . وعند نهاية الواقعة قطعوا رأس هكس وحملوهُ الى المهدي وقد قاتل هكس واركان حربهِ وجميع رجال الجيش ما استطاعوا الى القتال سبيلاً وماتوا موت الابطال بعد ان قتلوا من الدراويش نحو مئتي رجل منهم ابو اميَّة والطاهر وغيرهما من اقارب المهدي وضوء الدين بن عبد الله رئيس النواب وهو من اصحاب المهدي السابقين ومحمد وعبد الرحمن ابنا النصري وعثمان ابن عم الخليفة محمد شريف وعبد الرحيم احد المادحين للمهدي وغيرهم فنقلوا الى محل المهدي فامر بدفنهم بما عليهم من الثياب . ثم امر المهدي فجمعت الغنائم ونقلت الى البركة فكان منها شيء كثير من الاسلحة والجبخانة والمدافع والميرة . واقام المهدي بشيكان الى يوم الاربعاء ثالث يوم الواقعة ثم خرج منها عائدًا الى منهل البركة فأقام فيهِ بضعة عشر يومًا وهناك فرَّق الغنائم بين اصحابهِ بعد اخراج الخمس منها لنفسهِ ثم عاد الى الابيض بالمدافع والذخائر والاموال فدخلها باحتفال شائق وكتب الى عمالهِ في الجهات مبشرًا اياهم بالنصر الذي اتاهُ الله عن يدهِ في قتلة هكس وهذه صورة ما كتبهُ الى عثمان دقنه في ١٠ ربيع اول سنة ١٣٠١ و٩ يناير سنة ١٨٨٤

" ومن خصوص الجردة المصرية التي بلغكم انها حضرت الينا من طريق الخرطوم وصلتنا وحصل الظفر عليها بأمر الله تعالى وقتلناها عن آخرها شر قتلة بما فيها من الرؤوس الكبار احدهم علاء الدين باشا والثاني هكس النصراني والثالث حسن وغيرهم من الضباط والآن جميع مدافعهم واسلحتهم بيدنا وهي شيء كثير جدًّا وكان هلاك المذكورين في يوم الاثنين ٤ محرم سنة ١٣٠١ هـ بجهة علوبة (شيكان) وعددهم كما قيل ستة وثلاثون الفًا (؟) فانقرضوا في اقل من ساعة واشتعلت النار في اجسامهم بأمر الله السماوي هذا وافيدونا باحوالكم والسلام " اه (اخلاء السودان) وكان هذا الانخذال العظيم الذي اصاب الحكومة في شيكان قد قضى على نفوذها في السودان القضاء المبرم فان عقلاء اهل الجزيرة وغالب اهل الخرطوم والسودان كانوا قبل هذه الواقعة يترددون في اتباع محمد احمد وينتظرون حربهُ مع هكس فلما علموا بما اصاب هكس وجيشهُ ورأوا عجز الحكومة عن اذلالهِ انقطع كل رجاء لهم في الحكومة ووفدوا على المهدي بالابيض افواجًا يبايعونهُ وفي جملتهم الملك آدم أم دباله ملك جبال تقلي . وانتشر خبر المهدي في العالم الاسلامي كلهِ فجاءتهُ الوفود من الحجاز والهند وتونس ومراكش لزيارتهِ وتحقيق دعوتهِ

قوانين يوستنيانوس

(تابع ما قبلهُ)

(٤) من اوصى وصية غير قانونية قبل ان يتجند ثم تجند ودخل في القتال فلهُ ان يفتح كتاب الوصية ويزيد عليهِ او يحذف منهُ بعض شروط ولهُ ان يصرح بارادتهِ الاخيرة بانهُ اقام هذا الصك مقام كتاب الوصية وينبغي ان يعد كوصية جديدة صادرة من جندي

(٥) وصية الجندي لا تبطل بتغير الحالة

(٦) اعلم انهُ لما منحت القوانين الاساسية بعض اشخاص مالاً كالذي يوفرهُ الجندي* اجاز قانوننا لكل احدٍ ان يوصي بما عندهُ من المال الشبيه بما يوفرهُ الجندي لكن هذا يحسب القانون العام

الفصل الثاني عشر فيمن لا يؤذن لهم ان يوصوا

ليس لمن هم تحت ولاية الغير ان يوصوا ما خلا الذين سبق لنا ذكرهم

(١) لا يجوز للقاصر ولا للمجنون ان يوصيا الاَّ ان المجنون اذا افاق جاز لهُ ان يوصي

(٢) لا يجوز للمسرف ان يوصي

(٣) يجوز للاصم والابكم ان يوصيا في بعض الاحوال وبشروط معينة

(٤) يجوز للاعمى ان يوصي بشرط ان يجري على الصور التي وردت في شريعة يوليانوس

(٥) وصية من هو اسيرٌ عند العدوّ باطلةٌ . وكذا ما فعل هنا لك

الفصل الثالث عشر في حرمان الاولاد من الميراث

من كان لهُ ابن تحت ولايتهِ فيجب إما ان يقيمهُ وارثاً واما ان يحرمهُ الميراث صريحاً والاَّ فالوصية لاغية لا فائدة لها . واما البنات وسائر الاولاد النازلين من الذكور سواءٌ كانوا ذكوراً او اناثاً فهذا الحكم لم يكن جارياً في حقهم قديماً

(١) المولود بعد وفاة ابيهِ لا يخلو إما ان يكون قد أُقيم وارثاً واما ان يكون قد حرم من الميراث . واما البنت المولودة بعد وفاة ابيها فكانت تحرم الارث اما بقولهِ لا أُورث الولد الذي يولد لي بعد موتي . وقد قرر ان الذكر المولود بعد موت ابيهِ لا يحرم من الميراث قانونياً الاَّ اذا قال الوالد ان الذكر الذي يولد بعد موتي لا يرث شيئاً من تركتي

(٢) في حكم المولودين بعد وفاة آبائهم من يقومون مقام ذوي الميراث فهؤلاء يصيرون بكونهم اشباه ذوي القرابة المدنية ورثةً للاصول الصاعدين

(٣) اما الاولاد المأذونون فليس من الضروري بحسب الشرع المَدَني ان يقاموا ورثة ولا ان يحرَّموا من الميراث لانهم ليسوا ورّاثاً .

(٤) الاولاد المتبنَّون هم ما بقوا تحت الولاية إما مقامون ورثة واما محرومون من الارث أما المأذونون فلا يدخلون في عداد الاولاد بالشرع المَدَني ولا بالحق المترتب على حكم القاضي

(٥) انَّ قانوننا لا يفرق في حق من هذا القبيل بين الذكور والاناث ولذلك حكم ان كلاً منهم اما ان يقام وارثاً . واما ان يحرَّم من الميراث صريحاً سواءٌ كان قد وُلد او كان جنيناً لم يُولد بعد

(٦) ان الجنديَّ اذا أوصى وهو في الغزاة ولم يذكر اولاده وهو عالم بانَّ لهُ اولاداً يعدّ اغفال ذكرهم كحرمان لهم صريح من ارثهِ

(٧) الام والجدّ يجوز لهما ان يغفلا ذكر الاولاد

الفصل الرابع عشر في اقامة الوَرَثة

يجوز للانسان ان يورّث من شاء من الاحرار والعبيد سواءٌ كانوا عبيده او عبيد غيرهِ ولهُ في ايامنا ان يورّث عبيدهُ ولو لم يعتقهم واما عبد الموصي فهو من ملك الموصي رقبتهُ دون منفعتهِ واما عبد الغير فهو من كان للموصي حقّ الانتفاع بخدمتهِ فقط

(١) العبد اذا اقامهُ سيدهُ وارثاً تحرَّر وصار وارثاً ضرورياً لهُ . واما العبد الذي اعتقهُ الموصي في حياتهِ فلهُ ان يستلم الميراث وان لا يستلمهُ . واذا كان هذا العبد قد بيع فيجب امتثالاً لأمر مولاهُ الجديد ان يتسلَّم الميراث واما عبد الغير المقام وارثاً فان كان باقياً على حالهِ وجب ان يأخذ الميراث بأمر مولاهُ . وان كان قد بيع في حياة الموصي أو بعد موتهِ وقبل استلام الميراث وجب ان يستلمهُ بأمر مولاهُ الجديد . وان كان قد حرّر قبل الاستلام كان بالخيار بين ان يستلم ميراثهُ وأن لا يستلمهُ

(٢) عبد الغير هو المقام وارثاً شرعاً بعد وفاة مولاهُ

(٣و٤) للانسان ان يقيم من الوَرَثة ما شاء

(٥) تقسم التركة الى اثني عشر قيراطاً وهي تعادل اصل التركة المسمَّى (عندهم أساً) وليس الأس بمحصر في هذا العدد بل هو يحتمل ان يجزأ على قدر ما يريد الموصي ان يجزئهُ

(٦) متى تعدَّد المُوَرَّثون وجب تقسيم التركة ان لم يُرد الموصي ان تكون حصصهم متساوية . واذا كانت السهام معيَّنة لعدد من الوَرَثة ثم أُقيم وارث آخر ولم يُعيَّن لهُ سهم

فان كان قد بقي من اصل التركة كسر فيصير هذا المورّث وارثَ ذلك الكسر وان تعدّد المورّثون قسّم ذلك الكسر بينهم واذا استغرقت السهام التركة فذوو السهام المعيّنة يأخذون نصف التركة. واما الذي او الذين ليس لهم سهامٌ معيّنة فيأخذون النصف الآخر كلهُ

(٧) واذا لم تستغرق السهام التركة يُقمْ وارث من دون سهم فالسهم الزائد يوزّع على الورثة بقدر حصة كلٍّ منهم من التركة [١]

واذا تعدّد المورّثون المسمّى لهم سهام فيقع النقص في سهم كلٍّ منهم [٢]

(٨) اذا وُزّع اكثر من اثني عشر قيراطاً فمن وُرّث ولم يُعيّن لهُ سهم يكن لهُ بقية الاصل الثاني

(٩) قد يقام الوارث مطلقاً وقد يقام بشرط لكن لا اعتبارًا من زمن معيّن ولا الى زمنٍ معيّن

(١٠) الشرط المستحيل يُعد غير مكتوب

(١١) اذا اشترط عدّة شروط معاً وجبت رعايتها جميعها واذا اشترط شرط منها على حدةٍ فيُراعى منها ما يُراد

(١٢) يحق للموصي ان يقيم وارثاً من لم يرهُ

الفصل الخامس عشر في الايصاء العام

لكل من الناس ان يقيم بكتاب وصيّتهِ ورثةً مختلفي الدرجات

(١) ولهُ ان يقيم عدّة اشخاصٍ مقام واحدٍ او واحدًا مقام عدّة اشخاصٍ او واحدًا مقام واحدٍ او ان يجعل بعض من اقام من الورثة مقام بعضٍ

(٢) اذا ورّث جماعةً وجعل لهم سهاماً غير متساوية ثم عدل عن توريثهم وورّث غيرهم مكانهم ولم يذكر لهم سهاماً فيأخذ هؤلاء المورّثون السهام التي كان قد عيّنها لمن رجع عن توريثهم

(٣ و ٤) يراد بهذه العبادة " اذا لم يصرِ وارثاً " نظرًا الى من اقامهُ الموصي وارثاً وهو يعلم انهُ تحت ولاية الغير يُراد بها انهُ اذا لم يصر وارثاً بنفسهِ او بغيرهِ . واماً نظرًا الى

---

(١) هذا يسمى في علم الفرائض الرد وهو ان تزيد التركة على السهام فيردّ الفاضل عليهم بقدر سهامهم

(٢) هذا ما يسميهِ علماء الفرائض بالعول وهو زيادة السهام على مخرج الفريضة ليدخل النقص على كلٍّ منهم بقدر فرضهِ كنقص ارباب الديون بالمحاصة واول من حكم بالعول عمر فانهُ وقع في صورةٍ ضاق مخرجها عن فروضها فشاور الصحابة فاشار العباس الى العول فقال أعيلوا الفرائض ومن صور العول ان تموت امرأة عن جوز وشقيقتين فللزوج النصف وللشقيقتين الثلثان واصل المسئلة من ستة فالنصف ثلاثة والثلثان اربعة ومجموع ذلك سبعة فالفرائض زادت على المخرج وعالت الى سبعة (الدر المختار)

المقام وارثاً المعتبر كريب يت فيراد بها انهُ اذا لم يحرز التركة بنفسهِ ولا بمن ربما يكون تحت ولايتهِ فيما بعد

الفصل السادس عشر في اقامة وارث للوارث القاصر

قلنا انهُ يجوز لكل من الناس أن يقيم أوصياء لولدهِ غير البالغين الذين هم تحت ولايتهِ ويجوز له ايضاً ان يفعل ذلك بحيث ان هؤلاء الأولاد بعد ان يحرزوا التركة وهم غير بالغين عند موتهِ يكون لهم شخص يرثهم

(١) قد وضعنا قانوناً يجوز بمقتضاه لمن لهم اولاد او حَفَدَة اوسلالة محرومة بسبب صوابي ان يقيموا لهم اشخاصاً معيَّنين سواء كانوا من الذكور او الاناث ومن ايَّة درجة كانوا من هؤلاء النازلين وان كانوا لذلك الحين غير بالغين

(٢) وكذا يكون في اقامة وارثٍ للوارث القاصر كتاب وصيَّة واحد لتركتين

(٣) اذا خشي احد ان ابنهُ القاصر يكون عرضة بعد موتهِ لمكايد خطرة متأتية من تعيينهِ وارثاً لابنهِ اذا مات فيجب عليهِ في القسم الاول من كتاب وصيتهِ ان يعمل الايصاء العام . واما النص الذي بهِ يقيم وارثاً لابنهِ فيما لو توفي بعد أخذ الميراث وقبل ان يبلغ فيجب عليهِ ان يكتبهُ في الجزء الاسفل من كتاب الوصية على حدَةٍ وان يطبق هذا الجزء الاخير ويربطهُ برباط من جنسهِ ويختمهُ بشمع خاصٍ ويمنع في الجزء الاوَّل من كتاب الوصيَّة فتح الجزء الثاني في حياة ابنهِ اذا كان بعد قاصراً

(٤) يحق للآباء ان يقيموا ورثة لأولادهم القاصرين المورَّثين بل للمحرومين منهم والمولودين بعد وفاة آبائهم

(٥) مامن احد يعمل كتاب وصيَّة لأولادهِ من دون ان يعملهُ ايضاً لنفسهِ

(٦) يجوز للانسان ان يقيم وارثاً لكلٍ من اولادهِ او للاخير منهم فقط الذي يموت قاصراً

(٧ و ٨) حدُّ البلوغ السنة الرابعة عشرة للذكر والثانية عشرة للانثى

(٩) ليس لاحدٍ ان يقيم وارثاً على الوجه المذكور لاجنبيٍ او لابن بالغ أُقيم وارثاً وغاية ما يجوز للمورّث ان يفعل انما هو الزامهم على سبيل الاستيداع بتسليم كل تركتهِ او بعضها الى ثالث

الفصل السابع عشر في ايّ الوجوه تبطل الوصايا

ان الوصية الجارية على الوجه الشرعي شرعية حتى تُنقض او تبطل

(١) تفسخ الوصية اذا وُجد حقٌ الوصية نفسهُ معيباً ولو لم يطرأ على الموصي تغيُّر الحالة

(٢) الوصية الشرعية المتأخرة تبطل وصية متقدِّمة

(٣و٤) الوصايا الشرعية تبطل متى تغيَّرت حالة الموصي

(٥) في هذه الحال يقال ان الوصايا قد أُبطلت

(٦) ان الوصايا لا تكون مع ذلك غير مفيدة تماماً لانهُ اذا أُيدت بختم سبعة شهود فللورثة بحسب الواح الوصية ان يضع يدهُ علي الاملاك بشرط ان يكون الموصي ابن الوطن الروماني وتحت السلطة الرومانية عند وفاتهِ

(٧) لا يصحّ ابطال الوصية بهذا وحدهُ وهو ان الموصي لم يُرِد فيما بعد ان الوصية تكون شرعية

الفصل الثامن عشر في الوصية غير الرسمية

يقبل من الاولاد الذين لهم ان يشكوا لحرمانهم الارث ظلماً او للاحزاب عن ذكرهم جوراً الاعتراض على الوصية غير الرسمية بان الموصي لم يكن في صحة عقلهِ عند ما أُوصي

(١) يجوز للاصول ان يعترضوا على وصية الاولاد بانهما غير رسمية والاخ والاخت يفضلان بحسب القوانين العاهلية على الاوشاب المقامين ورثة

(٢) للاولاد الطبيعين والمتبنين ان يعترضوا على الوصية بانها غير رسمية ان لم يكن لهم وسيلة ما شرعية للرجوع على تركة الميت

(٣) ولا سيما ان لم يترك لهم شيء بكتاب الوصية لكن الامر على ضد ذلك اذا ترك لهم جزء من التركة او شيء معين فاعتراضهم على الوصية انها غير رسمية يبطل باتمام ما ينقصهم ويوصلهم الى ربع حصتهم الشرعية

(٤ و ٥ و ٦) كذلك من حصل على ربع ما كان يجب لهُ لا يحق لهُ ان يعترض على الوصية من حيث هي غير رسمية سواء كان واحداً او جماعة

الفصل التاسع عشر في صفة الورثة واختلافهم

الورثة اما ضروريون او حقيقيون وضروريون معاً او اجانب

(١) الوارث الضروري هو العبد المقام وارثاً وانما قيل لهُ ضروري لانهُ عند وفاة الموصي يصبح حرّاً ووارثاً بلا اعتراض

(٢) الورثة الحقيقيون والضروريون معاً هم الاولاد الذين كانوا تحت ولاية الميت عند وفاتهِ وانما قيل لهم حقيقيون لاعتبارهم بوجه ما كأصحاب الملك حتى في حياة الاب . وانما قيل لهم ضروريون لانهم يصيرون ورثة عند موت الموصي طوعاً او كرهاً ذكروا في الوصية او لم يذكروا ومع ذلك فمتى ارادوا التخلي عن التركة فالقاضي يأذن لهم في ذلك

(٣) كل من عدا هؤلاء من الورثة فهم ورثة اجانب

(٤) اما الورثة الاجانب فيتعين ان تعمل الوصية بعلمهم ولا بدَّ من رعاية هذا الشرط في وقتين الاول وقت الايصاء وذلك لتكون اقامة الوارث مشروعةً والثاني عند وفاة الموصي وذلك لاجل التنفيذ واضف الى هذا وجوب الايصاء بمعرفة الوارث الاجنبي حين يستلم الميراث ومن يصر اهلاً بقوة وصية الغير لان يرث لنفسهِ او لغيرهِ فلهُ حق الايصاء

(٥) للورثة الاجنبيين الخيار ان يقبلوا الميراث او يردُّوهُ فهؤلاء ان قبلوا الميراث او ردُّوهُ فليس لهم بعد ذلك حقٌّ الرجوع عن القبول او الردّ ما لم يكونوا قاصرين

(٦) مع ذلك قد دعانا الرفق الى وضع قانون ما لهُ انهُ يجوز قبول الميراث مع التعهُّد بما لا يزيد على قيمة التركة

(٧) الوارث الاجنبيُّ المقام او المسهم لهُ في تركة شرعية يصير وارثاً سواءٌ كان ذلك بقبول الارث او بمجرَّد التصريح بعدم قبول الميراث وكما يصير الاجنبيُّ وارثاً بمجرَّد التصريح بقبولهِ كذلك يخسر حقوقهُ في التركة بمجرَّد الردّ

الفصل العشرون في الموصى بهِ

لنأخذ الآن في ذكر الموصى بهِ

(١) الموصى بهِ هبة يتركها الميت ليسلمها وارثهُ الى الموصى لهُ

(٢) قد وضع القدماء الفاظاً لكل نوع من انواع الموصى بهِ وبهذه الالفاظ كانوا يفرقون بين الانواع المختلفة وقد قرَّر قانوننا ان ما يوهب بالوصية يُعدُّ كلهُ جنساً واحداً وانهُ يؤْذَن للموصى لهُ ان يأخذ الموصى بهِ بالمطالبات الشخصية والعقارية والرهنية بدون التفريق بين ما كان يستعمل من الالفاظ للايصاء

(٣) وزد على ذلك انا نحكم ضرورةً بان يضاف الى الموصى بهِ كل ما بهِ المصلحة من احكام لوديعة كما نحكم ان يضاف الى حكم الوديعة كل ما يحتمل ان يكون اكثر مطابقة للموصى بهِ

(٤) شيء الوصيّ او شيء الوارث او شيء الغير يصحّ ان يوصى بها بحيث ان الوارث يكون مكرهاً على ان يشتريها واذا لم يتسنَّ لهُ اشتراؤُها فيؤدي ثمنها وذلك مشروط بأن يكون المتوفى عالماً ان الشيءَ كان ملك الغير . والبيِّنة على المدعي

(٥) متى اوصى بشيء مرهون عند الدائن يتعيَّن على الغريم أن يفكهُ اذا علم انهُ كان مرهوناً

(٦) اذا كان قد اوصى بشيء الغير ثمَّ ملكهُ الموصى في حياة الموصي كان لهُ ان يأخذ ثمنهُ بحكم الوصيَّة

(٧) ان الشيء غير الموجود يصح الايصاء بهِ شرعاً اذا كان من الممكن أن يوجد يوماً ما قد أوصي لهُ بعين ذلك الشيء واما اذا كان قد أوصى لهُ بالانتفاع بهِ فقط ولم يوص لهُ بملكية عينهِ لم يكن لهُ أخذ ثمنهِ

(٨) متى أوصي بشيء واحد لاثنين اما على انفراد او معاً وجب ان يقسم بينهما اذا استلم الاثنان الموصى بهِ فيأخذ شريكه كل الوصية اي الموصى بهِ

(٩) اذا اوصي بارض الغير لمن اشترى عينها ولمن صار يستغلها فالموصى لهُ يتصرف فيما بعد بقوة الوصية وقد حكم جوليان ان تصرفهُ قانوني وان لهُ ان يأخذ الأرض

(١٠) اذا اوصى لشخص بشيء كان لهُ فالوصية غير مفيدة

(١١) اذا أوصى شخص بشيء معتقداً انهُ لغيرهِ فالوصية شرعية . وكذا ان اعتقد انهُ أوصى بشيء الموصى لهُ

(١٢) اذا الموصي أوصى بشيء لهُ خاص ثم باعهُ فعند سِلس ان كان البيع باتاً فالشيء الموصى بهِ مستحق للموصى لهُ وان لم يبع بعض الموصى بهِ فالباقي مستحق بلا اشكال وكذلك البعض المبيع ان لم يبع بيع وفاء

(١٣) من أوصى لمديونهِ بمال عليهِ فوصيتهُ شرعية

(١٤) اذا المديون اوصى لدائنهِ بما لهُ عليهِ فالوصية غير مفيدة ان لم يكن الموصى بهِ اكثر من الدين

(١٥) اذا الزوج اوصى لزوجتهِ بمهرها فالوصية شرعية

(١٦) اذا هلك الموصى بهِ بدون تعدٍ من الوارث هلك على الموصى لهُ

(١٧) اذا اوصى شخص بإماء مع اولادهن وبالاولاد حين تكون الامهات ميتات يدخلن في الموصى بهِ . واذا اوصى بعبدٍ مع مالهِ والعبد ميت او محرَّر او مبيع فالوصية بالمال تلغو واذا اوصى ببيت مع اثاثهِ وامتعتهِ ومواعينهِ وكان البيت قد بيع صارت الوصية بالامتعة والمواعين لاغية

(١٨) اذا اوصى بقطيع ثم نقص القطيع حتى لم يبقَ الاَّ نعجة واحدة فالباقي يصح ان يسترد

(١٩) ما أُضيف بعد اتمام الوصية الى الابنية الموصى بها فهو بحسب حكمنا داخل في الموصى بهِ

(٢٠) اذا أُوصي بمال وفرهُ العبد فما زاد عليهِ او نقص منهُ في حياة الموصي فالزيادة للموصى لهُ والنقص عليهِ . ومال العبد اذا لم يكن قد أُوصي لهُ بهِ فلا يجب للمحرر ولو كان

يكفيهِ ان لا يجرد منهُ وهو حيٌّ

(٢١) كما يجوز الايصاء بالعروض والعقاد والحقوق والمرافق يجوز للميت ان يوصي لأيٍّ كان بما يجب لهُ عليهِ

(٢٢) متى أُوصي بشيءٍ على وجه الاجمال فالخيار للموصى لهُ ما لم يكن الموصي قد أوصى بخلاف ذلك

(٢٣) اذا تعدَّد الموصى لهم المفوَّض اليهم الاختيار ولم يتفقوا على الشيء الذي فُوّض اليهم اختيارهُ او تعدَّد ورَّاث الموصى لهُ الواحد ولم يتفقوا على الاختيار فيقترع حينئذٍ فمن اصابتهُ القرعة كان الاختيار لهُ

(٢٤) لا يصحُّ ان يوصى الاَّ للذين يجوز ان يوصى لهم

(٢٥) ما كان يجوز قديماً ان يترك الموصى بهِ ولا الوديعة في ايدي مجهولين. واذا عرف شخص بعض التعريف كانت الوصية لهُ شرعية. ثم ان الموصى بهِ والوديعة المتروكين للاشخاص غير معينين والمسلمين لهم خطأً لا يمكن ان يستردا

(٢٦) الوصية الموصى بها للغريب المولود بعد وفاة والدهِ باطلة

(٢٧ و ٢٨ و ٢٩) متى غلط الموصي في اسم العائلة واللقب واسم الشخص وتكملة اسم الموصى لهُ فلا تزال الوصية شرعية ان لم يقع شك في هويّة الشخص

(٣٠) ان التعريف المغلوط غير مبطل للوصية تبعاً لقاعدة شرعية

(٣١) وباقوى حجة ان السبب الكاذب المضاف الى الوصية لا يبطلها

(٣٢) الوصية التي تبطل لو مات الموصي في الحال فلا تصحُّ ولو عاش الموصي زماناً أطول

(٣٣) العبد حين يقام وارثاً يوصي شرعاً لمولاهُ تحت شرطٍ

(٣٤) ان شريعتنا تجيز ان يوصى قبل اقامة الوارث وبين التوريثات المختلفة

(٣٥) الوصية المعمولة لتسلم بعد موت الوارث او موت الموصى لهُ كلتاهما لا فائدة لها فنحن قد صححنا هذا الشرط. وجعلنا الوصيات التي من هذا القبيل في حكم الوديعة

(٣٦) انهُ كان من الباطل قديماً الوصية المعمولة او المبطلة او المحوَّلة بحجة القصاص وكذلك لم يكن جائزاً الاعتاق بحجة القصاص واضف الى ذلك انهُ لم يكن سائغاً ان يزاد على عدد الورثة بحجة القصاص واما نحن فقد حكمنا ان الاشياء التي يوصى بها معطاة كانت او مزالة او محوَّلة الى آخر بعلة القصاص حكمها حكم سائر الوصيات الاَّ انهُ يستثنى ما يكون مستحيلاً الممنوع بالشريعة والمضاد الآداب

(سعيد الخوري الشرتوني)

القوة في الشيخوخة

من مقالة للدكتور مديصن تيلر الاميركي

يظهر لاول وهلة ان درس حالات الجسم البشري وما يطرأ عليهِ من التغير بعد من الكهولة امرٌ جدير بالعناية والاهتمام وهو كذلك فان المبدأ الاساسي في الاقتصاد ليس مقدار ما نكسبهُ من تجارتنا او صناعتنا بل مقدار ما نذخرهُ من ذلك المكسب او نوفرهُ فان فائدة يجنيها الولد من العناية بتربيتهِ او اليافع من ترقية قواه العقلية والبدنية لا تحسب بالامر الكبير ان كانا لا يتمتعان بها الا مدة قصيرة من العمر . وكذلك فائدة الوسائط التي تمكننا مع التمتع بملذات هذه الحياة على حسب ما تعلمناهُ بطول الاختبار وحسن الاختيار لا تعدُّ امرًا كبيرًا اذا كانت لا تدوم طويلاً

الشيخوخة لفظ نسبيٌّ فان من الناس من ترى آثار الهرم بادية عليهم وهم لا يزالون صغار السنّ ومنهم من تزينهم نضارة الشباب وان تجاوزوا سن الكهولة او بلغوا من الكبر عتيًا . ولا بد من فائدة كبيرة من توجيه العناية الى مقاومة التغيير الذي يطرأ على الجسم كما تقدم في السن . وقد تمَّ شيءٌ من ذلك كما يظهر من زيادة متوسط العمر عمومًا

واساس اطالة العمر الاهتمام بتربية الاطفال والاعتناء بطعامهم وصحتهم في الاشهر الاولى من ولادتهم . فاذا كان الاساس مكينًا سهل جعل البناء مكينًا ايضًا . ولا فائدة من تسهيل سبل النمو والارتقاء في وجه الامة اذا أُهمل امر اطفالها وهم في اشهرهم الاولى من عمرهم لان العقاقير والادوية لا تصلح الخلل الذي يطرأ على الاجسام بسبب اهمالها في اوائل الحياة

وهناك قضايا مقررة في اطالة العمر وهي ان تغذية الطفل الطبيعية تفضل التغذية الاصطناعية وان الشيوخ الذين بلغوا سن الهرم قضوا اوائل عمرهم في الاماكن غير المزدحمة بالسكان وان الذين يقطنون الاماكن المزدحمة لايكونون اقوياء البنية الا اذا كانوا قد قطنوها حديثًا واما اولادهم واولاد اولادهم فيكونون اضعف منهم . وقد ظهر من احصاء السكان في مدينة لندن ان اولاد الاحفاد ينقرضون من الاحياء المزدحمة . والنتيجة ان السكن خارج المدن شرط لازم من شروط طول العمر . فان الولد الذي يولد وينشأ في المدينة عرضة لآفات كثيرة تتلف بنيتهُ بتحميل اعضاء الحسّ ماهو فوق طوقها مثل الاصوات الكثيرة وزيادة الانتباه الى ما حولهُ . وزد على ذلك الهواء الفاسد مما يشوبهُ من الغازات المضرة والغبار الحامل لجراثيم الامراض وما شاكل . فهذه الامور وغيرها ترجح على ما في المدن من المزايا التي لا تنكر

من مثل شوارعها المبلطة وقلة تعرضها للرياح واتقان منازلها وما اشبه من المزايا التي تمتاز بها المدن على القرى . اما الذين ينفقون عن سعة ويستطيعون الانتقال من المدن الى الارياف للتمتع بعيشة الخلاء والسكون فليس ما يقال في امرهم . والذين بلغوا سنَّ الكهولة وباتوا يضنون بقوامهم ان تضيع سدى لا يصعب عليهم ان يحافظوا على تلك القوى بالتنزه عن هموم الحياة ومشاغلها والابتعاد عن الاشغال والاعمال حين الاقتضاء وتقليل الطعام والامتناع عن المنبهات والمخدرات وقضاء مدد طويلة من غير عمل وتقليل الملاهي والاشتراك فيها اذا جاءت من نفسها من غير سعي اليها

هذا وقد عرفت عدداً من الرجال والنساء انهمكوا في الالعاب المعروفة اغتناماً للسرور فانهكوا قوامهم وقطعوا حبل حياتهم بايديهم . وما من احد بيننا الاَّ ويعرف اناساً جدُّوا حتى احرزوا المال والجاه وهم متمتعون بالصحة والشباب ثم انهمكوا في الملاهي فحملوا اجسامهم فوق ما تحتمل ففناء بهم الحمل

وربما كان اهمُّ الشروط اللازمة لاطالة العمر ان يكون الانسان رزيناً رابط الجأش عند حلول المصايب وبعبارة اخرى ان دماثة الخلق خير الوسائط للتعمير . ولقد اصاب من عرَّف السماء بانها حالة يعرف المرء فيها ما يحتاج اليهِ ويستطيع ان يتمتع بهِ عند نيلهِ . فجهنم اذاً حالة لا يعرف المرء فيها ما يحتاج اليهِ ولا يستطيع التمتع بهِ ولو نالهُ

ومن اهم شروط اطالة العمر في الكهولة ان يعرف الانسان كيف يتولى قياد نفسهِ . وكلُّ عناية تبذل في هذه السبيل تنال جزاء عاجلاً مهما صغر قدرها . خذ مسألة الطعام مثلاً فان الحكمة تقضي ان يمتنع الانسان في كهولتهِ وشيخوختهِ عن تناول مواد الطعام المهيجة التي يعتادها في زمن الشباب . ومن الامور التي تكاد تكون اولية في اطالة العمر انهُ كما قللنا الطعام وقللنا الوانهُ كان ذلك أدعى الى طول العمر . فان الشرط الرئيسي لحفظ الشباب والذي بفقدهِ تبتدئ الشيخوخة انما هو مرونة انسجة الجسم . ولحفظ تلك المرونة اشار بعض الاطباء بالامتناع عن الاطعمة التي تزيد رسوب املاح الجير (الكلس) في الانسجة وتقلل الابراز والافراز . وربما كانت آراء الشيوخ المعمَّرين مفيدة في الاهتداء الى انواع الطعام التي تفضي الى هذا الامر . ولكنَّ هناك اختلافاً في الامزجة بين الناس لا يصحُّ السكوت عنهُ . كما ان لطوائف البشر عادات مختلفة في المآكل والمشرب فما يلائم طائفة قد لا يلائم الاخرى فلا يصحُّ ان تقاس هذه بتلك من جميع الوجوه ولكن المبادئ واحدة على الغالب

وهذه المبادئ هي تفضيل الخضر والاطعمة الشبيهة بالحيوانية على اللحوم . اما من جهة

الخبز فقد سمعت بعضهم يقول عنهُ انهُ اعظم ما يقلل المرونة من انسجة الجسم ولست اعلم مقدار ما في هذا القول من الصحة ولكني اعتقد انهُ قول جدير بالاهتمام والالتفات · وهناك مسألة المسكرات وما اذا كان شربها يجوز او لا يجوز من حيث اطالة العمر وعندي انها ضارةٌ وان كنت اعتقد انها محمودة في بعض الحالات المرضية

وقد اختلفت اقوال المعمرين في ما يجوز اكلهُ وما لا يجوز لاطالة العمر ولكن اقوالهم ظنون لا يركن اليها ولا يعوَّل عليها فقد اخبرتني سيدة كبرت وشاخت وهي في صحة العقل والجسد ان سيدة اخرى سألتها ذات يوم عن السبب في طول عمرها وتمتعها بالصحة فأجابتها مازحة ان اكل الملح هو السبب في ذلك فذهبت الامرأة من عندها وقد عقدت النية على ان تأكل من الملح ما استطاعت ولم تنتبه لما في كلام صاحبتها من المزل

ولا يبرح عن البال ان كبر السن لفظ نسبيٌّ · فقد ابانت الاحصاءات ان الاعمار في القرون المتوسطة كانت اقصر مما هي عليهِ الآن · وقد بذلت المساعي الكثيرة في عهدنا وخصوصاً في الربع الاخير من القرن الماضي لاطالة الاعمار فجاءت بنتائج اعظم مما امَّل المؤملون

ومما يضعف الجسم ويتلف الصحة في الشيخوخة اهمال عضو من الاعضاء طرأ عليهِ ضعف في الشباب او الكهولة كالاذن والانف والحلق والعين والجهاز الهضمي · فقد أبان بعضهم ان كثيرين من كبار العلماء والمشاهير ذاقوا غصص الآلام وابتلوا بالامراض في شيخوختهم من اهمال امر عيونهم في شبيبتهم

وعيشة الخلاء شرط من الشروط اللازمة لاطالة العمر وخير ضامن للصحة · وخير للشيوخ ان يعجلوا في المنام ويبكروا في القيام · واغتنام ساعات الصبح الباكر يلائم جميع الناس على اختلاف اعمارهم ولكنهُ ضروري للشيوخ لانهم لا يحتاجون الى النوم الكثير الاَّ اذا وجدوا من نفوسهم ميلاً الى الاستزادة منهُ كما هو شعور معظم الشيوخ اذا آذنت شمس حياتهم بالمغيب · والقيلولة (نوم النهار) مفيدة منعشة لهم

هذا من جهة النوم واما من جهة اللباس فان الشيوخ يميلون الى تثقيل ملابسهم التحتانية لكي لا تتعرض بشرتهم للهواء وخصوصاً المجاري الهوائية · والسبب في ذلك بطء الدورة الدموية في سطح الجلد وضعف خلايا الجلد عن المقاومة وضعف القوة المكوّنة للدم كما ان للعادة علاقة بذلك لا تنكر فان سرعة تعرّض الشيوخ للبرد عائدة في الاكثر الى العادة لا الى السن

***

مما يهمُّ ذكرهُ في هذا الصدد كيفية انحلال الجسم مقدمة للموت الذي لا مناص منهُ

بانحلال الاعضاء الرئيسة كالقلب والشرايين والرئتين والكليتين والجهاز الهضمي والدماغ

القلب

يطرأ الكلال على قلب الانسان المتقدم في السن بسبب ضعف اعصابهِ وان كان صحيح الجسم فيصير النبض اسرع مما كان عليهِ في زمن الكهولة واقلَّ انتظاماً · ومن اكثر اعراض الشيخوخة ظهوراً قصر النفس عند اجهاد الجسم ومعظم السبب في ذلك ضعف الدورة الدموية والاعصاب التي تحرك الاوعية الدموية لا ضعف الرئتين فيصير القلب رخواً ليناً وانقباضهُ خفيفاً وليس في ذلك ما يوجب الخوف والقلق الاَّ اذا تفاقمت الحال فان ذلك يدل على تغير مهم فيجب ان يستشار الطبيب حينئذٍ · ومن العوارض التي تصيب الشيوخ وتولد فيهم الروع الشديد المٌ في الصدر يخيل لصاحبهِ ان منيتهُ حانت. وهذا الالم قد يصيب الشيخ فجأة بلا انذار سابق ولكنهُ يزول غالباً و يعود فيتجدد مراراً وقد يكون دليلاً على مرض مزمن في المصراع الفؤادي

الرئتان

اما التغيرات التي تطرأ على رئتي الشيخ المسن فطبيعية لا علاقة لها بما يكون قد طرأ عليهما من الخلل سابقاً . والرئتان كالقلب عرضة لطوارئ تصيبهما فتضيق صدر صاحبهما · واهمُّ تلك الطوارئ الربو (الازما) وذات الرئة المزمنة والتهاب الشعب · اما ذات الرئة فداء ذو خطر في الشيوخ و يقال ان ذات الرئة الشعبية سبب معظم الامراض التي يموت بها الشيوخ او مصاحبة لها

اعضاء الهضم

تختل اعضاء الهضم احياناً ويبطل عملها على حين ان بقية اعضاء الجسم تبقى سليمة · واذا لم ينتبه لتقليل الطعام كانت النتيجة وبالاً على الدوام وقد قال الدكتور السر وليم طمسن ان سقوط الاسنان في الشيخ علامة على العودة الى طفولة ثانية فمن ثم يجب ان يكون نوع الطعام مما لا يحتاج فيهِ الى الاسنان في مضغهِ . ونصح للشيوخ ان لا يستعملوا الاسنان الاصطناعية خشية ان يتناولوا من الطعام ما لا طاقة لهم عليهِ · ولما كانت اعضاء الجهاز الهضمي في اوائل اعضاء الجسم التي يدبُّ الانحلال اليها وجب ان يكون طعام الشيوخ بسيطاً في نوعهِ فلا تحمَّل تلك الاعضاء فوق طوقها. فان العصارة المعدية والصفراء وعصارة البنكرياس والامعاء يقلُّ افرازها · واذا قلَّ افراز الصفراء تسلط القبض على الامعاء وتكونت حصى المرارة وتعطَّل عمل الامتصاص والتمثيل . ثم ان الكليتين وهما العضوان اللذان يفرزان سموم الجسم وفضوله الفاسدة تضعفان ايضاً فلا يجوز انهاكهما بكثرة العمل الذي يطلب منهما ولا بصنعتهِ

الدماغ

اما الدماغ فربما كانت آثار الشيخوخة والهرم اظهر فيهِ منها في غيرهِ فيكثر نزف الدم فيهِ وتلين مادَّتهُ وتتغير الحالة العقلية ويكون ذلك كلهُ مقدمة لتغيرات اعظم شأنًا واشدّ تأثيرًا

واوَّل الوظائف التي يؤَثر كبر السنّ فيها ويضعفها الوظائف التي لها العلاقة الكبرى بتجديد خلايا الجسم وترميمها وهي اربع الاولى مباشرة الخلايا للمواد الغذائية والثانية اخذ الخلايا لتلك المواد ويسمى التمثيل والثالثة التغيرات التي تطرأُ على المواد الممثلة . والرابعة افراز المواد التي لم تمثَّل . ففي الشيخوخة يظهر التغير الاول في التمثيل فتقلُّ قوة الخلايا على تجديد نفسها وتقلُّ كمية المواد المهيأة لذلك التجديد وتضعف قوة الخلايا عن المقاومة فيفضي ذلك الى تصلب انسجة الجسم وخلاياهُ تصلبًا طبيعيًّا . ثم انهُ يصعب قذف الفضول المتجمعة بسبب التأكسد غير التام فيضر ذلك بتركيب انسجة الجسم . وزد على ما تقدَّم ان التغيرات الكيماوية تصير ابطأ مما كانت عليهِ فيتكون في الجسم سموم اكثر مما يستطيع افرازهُ وتنشأ عن ذلك امراض مختلفة كالنقرس وداء المفاصل واشباههما

هذا وان صحة المرء تجري مجراها الطبيعي ما دامت عناصر الجسم الاولية تفوق العناصر الثانوية في عملها ونشاطها . والعناصر الاولية هي الخلايا التي تفوق غيرها في اتمام وظائف الاعضاء والثانوية دونها في ذلك . ولما كان يتعذر تجديد تلك العناصر على النسبة اللازمة فان الخلل يتطرق الى الوظائف المذكورة وحينئذٍ يبدأُ طور الانحلال او الشيخوخة

على ان الانحلال لا يسير سيرًا منتظمًا سواءٌ كان ذلك في الجسم نفسهِ او في احد اعضائهِ لان العناصر التي يتألف منها لا تعيش عمرًا واحدًا وهي في تجدُّد مستمر فالكبيرة تموت وتندثر لتقوم الصغيرة مقامها . ومن المؤكد ان هذا التغير الذي يحدث لا يدوم على الحال المتقدمة بل يفضي الى تغير محسوس في حركة دقائق الجسم . وهذا التغير هو ما يسمى بالمرض

ومن الامور المشاهدة ان علامات الشيخوخة تبدو على بعض الناس قبلما تبدو على غيرهم ولا يرافق تلك العلامات انحطاط كثير بسبب قوة بنيتهم . وكما ان النمو التدريجي يوصل الى البلوغ والارتقاء فكذلك الشيخوخة توصل الى الموت بنقص القوى الحيوية شيئًا فشيئًا . فالموت اذًا وظيفة طبيعية وهو خالٍ من الالم عادة

هذا وان من العوارض التي تعتري الكهول والشيوخ كما تعتري غيرهم كثر السمن ولكن سمن الاحداث يختلف عن سمن المتقدمين في السن . فان سبب السمن في الاولين غالبًا حسن الهضم وقلة الافراز والابراز وعلاجهُ تقليل الطعام وتكثير الرياضة . واما السمن الذي

يعتري بعض المتقدمين في السمن وبعض الاحداث فلا علاج له وكثيرًا ما يفاجئ السمن النساء خصوصاً ويبلغ فيهن مبلغاً عظيماً حتى يضايقهن وينهك قواهن. فان كان يصحبهُ عارض من العوارض غير الطبيعية فيستصوب معالجتهُ والالتفات الى امر الطعام والرياضة. اما الذين ليسوا اقوياء كالمصابين بفقر الدم مثلاً فيجب ان ينظر فيما اذا كانوا مصابين بمرض وان يعالج مرضهم

واول ما يجب الانتباه لهُ في علاج هذا النوع من السمن ان يتولى الطبيب بنفسهِ علاج المصابين بهِ فانهُ اسلم عاقبة. فاذا كان القلب والدورة الدموية ضعيفين كما يحدث غالبًا وجب اتخاذ التحوط اللازم لما عسى ان يطرأ. ومن الامور المسببة للخطر ان يتولى المصاب علاج نفسهِ بتعاطي العقاقير والادوية لما قد يعقب ذلك من الضرر الذي يتعذر تلافيهِ فيما بعد. ولكن لا اعتراض على تخفيف الطعام وزيادة الرياضة البدنية وجعلها منتظمة لتزيد المرونة في انسجة الجسم. ومن رأي احد كبار الاطباء انهُ وان كان القلب ضعيفاً والدورة الدموية مضطربة الأ انهُ يمكن علاج ذلك بزيادة الرياضة البدنية زيادة مطردة. وخير رياضة يلجأ اليها التصعيد في الجبال وفائدة ذلك انهُ يساعد الجلد على افراز الرطوبة ويحرك التنفس على العمل اكثر من سائر الرياضات

غير ان علاج السمان المصابين بالانيميا (فقر الدم) يستلزم عناية اشد لان قلوبهم تكون شحمة والالياف العضلية فيها غير مرنة فيجب ان تمرّن حتى تعود مرونتها اليها ويسهل الانقباض عليها. وصعود الدرج ونزولهُ يكفيان في بادىء الامر على شرط ان يكونا منتظمين وبسرعة معتدلة

ومن القواعد الجوهرية في هذا الصدد ان مدة العلاج لا تقاس بالاسابيع ولا بالشهور بل بالسنين. ولا يضاح ذلك اقول انني كنت اعالج رجلاً مصابًا بالسمن عمرهُ ٦١ سنة وكان قد تعلم ركوب الدرّاجة ولكنهُ رأى انهُ لا يستطيع مزاولتهُ كثيرًا لما كان يصحبهُ من عسر التنفس فنصحت لهُ ان يركب الدراجة على اطراد مدة قصيرة في الطرق المستوية. ففعل وبعد مضي عدة اشهر لم يبقَ يشعر بعسر التنفس. وبعد سنة صار يستطيع ركوب الدراجة طويلاً ولكنهُ كان يضطر ان ينزل عنها كلما استقبل منحدرًا سواء كان كبيرًا او صغيرًا وبعد سنة اخرى صار يستطيع ركوبها في المنحدرات الصغيرة. وفي نهاية السنة الثامنة صار يركبها وهو لا يشعر باقل انزعاج. وفي نهاية الثالثة كان يركبها ايان شاء مدة ساعات متوالية على شرط ان تكون الطرق سهلة. ولم يكد يظهر في السنتين الاوليين ان ثقلهُ قلَّ ولكنهُ قلَّ بعد ذلك قلة ظاهرة وقد بلغ السنة السادسة والسبعين من عمرهِ وهو يشعر انهُ اصغر مما هو عليهِ بعشرين سنة

ستأتي البقية

حكاية حال

(المقتطف · انسنا بلقاء شاعر دمشق العصري صاحب السعادة سليم بك عنحوري قدم العاصمة زائرًا واتحف المقتطف بهذه القصيدة عن حادثة جرت في احدى مدن سورية)

سرق اللصُّ لاضطرارٍ وفقرٍ   بعض مالٍ من جيب رب الثراء
باحتيالٍ ودربة واحتراز   كان منها اليفَ الفِ عناء
لبس الخوف وارتدى الرُّعبَ الّتي   يديهِ حبائةً للبلاء
كل هـذا التماسَ قوت عيالٍ   ضاقَ منها بالتعس رحب الفضاء
يالحي الله خلَّة مذ ألمّت   دفعتهُ للخطة الشنعاء [1]
لا لعمري ما كان ذيّاك لصًّا   لو تربّى من معشرٍ فضلاء
هذبوهُ واكسبوهُ نشاطًا   واجتناب الاضرار والاسواء
علموهُ على النفوس اعتمادًا   بتغي الجدّ للغنى والنماء
ان جرثومة الرذائل فينا   ولدت من تهامل الآباء

***

صبية بعضهم يسبق البعض هزالاً بفعل سوء الغذاء
وبنات مثل الملائك حسنًا   عاريات يندبن حال الشقاء
حولَ أمٍ تقرّحت مقلتاها   من دواهي الزمان والارزاء
تشتكي البرد لاكساء يقيها   لذعة القرّ لا وقود اصطلاء
كم نهارٍ كم ليلةٍ قد قضتها   بين نوحٍ وحسرةٍ وبكاء
ظلماتٌ صواعق وبروقٌ   ورياحٌ تهبُّ فصلَ الشتاء
لا بساط ولا فراش وثيرٌ   لا سراج ينيل بعض الضياء
شرفاتٌ بلا سدولٍ وسقفٌ   دام بالوكف ممطرًا سيل ماء
عجز الزوج عن تعلُّم صنعٍ   فيهِ كسبٌ كسائر البلداء
صار لصًّا يرجو بذاك نجاةً   من بلاء الاعسار واللأْواء
راقب الصيرفيَّ بعد انصرافٍ   وهو يمشي في السوق قرب العشاء
فدنا منهُ والفؤاد هلوعٌ   في طريقٍ خلت من الرقباء
مدَّ كفًّا بخفّةٍ نحو كيسٍ   فيهِ الف من فضةٍ بيضاء

(١) الخلة الفقر ومنه المثل (الخلة تدعو الى السلة) اي الفقر والحاجة يدعوان الى السرقة

سلب المال ثم غادر يعدو بين يأسٍ وخشيةٍ ورجاء
بلغ البيت بعد جهدٍ مذيبٍ آمناً من سعاية الاعداء
بفؤاد يبغي الكفاف ليحيي وضميرٍ يخاف سخط السماء
ولج الدار طافح الوجه بشراً حاسباً نفسهُ من الاغنياء
افرغ الكيس ضاحكاً بين ايدي فتيةٍ يجهلون طعم الحساء (١)
فرح الكلُّ بالغنى بعد فقرٍ ثم ناموا بغبطة وهناء

***

اشرف الجار بغتةً فوق سطح مذ وعى الشر عاد كالحرباء
كم لئيم من مثل ذا يتزيى زيّ اهل الوفاء وهو مرائي
يزرع الشر موضع الخير بغياً انما البغي ديدن اللؤماء
راح يسعي بجاره دون نفع لذوي الحكم تحت ستر الخفاء
قرع الباب شرطة بعد نصف الليل هبَّ النيامُ كالبلهاء
عاينوا الطرق غاصة بالوفدِ يزعجون الآفاق بالضوضاء
خرجوا من بيوتهم دون سترٍ غير ستر السماء في الظلماء
بعضهم بالزحام يسحق بعضاً سائلين الشرطيّ بالايماء
اي ويلٍ واي خطب دهانا تلك حال الفضول في الجهلاء

***

امسكوا اللصّ بعد ضرب وشتم كبّلوهُ ساقوهُ للايذاء
بين ندبٍ يفتت القلب حزناً وعويلِ الاولاد بعد النساء
ليس يدري ايقظة ام منامٌ ما رأى من مصيبةٍ وبلاء
طرحوهُ في السجن بين مئاتٍ من رجال زعانفٍ سفهاء
حرّضوهُ على ارتكاب الدنايا والمعاصي حتى بسفك الدماء
كان قبلاً يخاف سرقة مالٍ اصبح اليوم اعظم الاشقياء
تلك حال السجون من الف عام في بلاد الجهال والاغبياء

***

انما السجن زاجرٌ لذويهِ عن فعال الطغام والاردياء (٢)

---

(١) المائع من الاطعمة كالمرق ونحوه من الغذاء (٢) الطغام اوباش الناس ورعاعهم

فيهِ علمٌ صنائعٌ واشتغالٌ يكسب المرء شيمة الادباء
محكم الوضع متقن الصنع زاهٍ صالح العيش جالب للهناء
فيهِ كتب تهذب الخلق قسرًا فيهِ طب يزيل اعضل داء
فيهِ قومٌ ليرشدوا كل غاوٍ بحديثٍ ذي حكمةٍ وجلاء
هكذا السجن في بلاد حباها مالكوها ذرائع الارتقاء (١)
لا كسجن حوى جحيم شرور فيهِ تنمو نقائصُ الادنياء

***

زوجة اللص بادرت بعد شهرٍ نحو مغنى رئيس رهط القضاء (٢)
حالَ دون اللقاء حُجّابُ بابٍ نفحتهمْ (بليرةٍ) صفراء (٣)
ادخلوها مقصورة ذات عرش فوقهُ ماكرٌ كثير الدهاء
قبلت هدب ذيلهِ ثم خرّت فرماها بنظرة الكبرياء
سألتهُ فكاك زوج أثيم رحمة بالبنات والابناء
وحبتهُ بعض المئات نقودًا فاحتواها بغلظة وجفاء
قال هلاَّ اقنعتِ بعض رفاقي فقوام الرؤوس بالاعضاء
خرجت تذرف الدموع غزارًا نحو عضوٍ يعزُّ بالفحشاء
رام منها لكي تنال رضاهُ ما اليهِ تشير بالايماء
هالها الامر اعولت ثم ولت دون جدوى من فاسد الحوباء

***

لزم السجن زوجها ورجال البغي فازوا بسؤدد وعلاء
واللصوص الكبار صاروا قضاةً واللصوص الصغار اهل الشقاء
سلبوا المال رشوةً واستباحوا العرض جهرًا وهم من العقلاء
واذا قيل من لنيل المعالي قبل هذا وذاك دون امتراء
واذا عدَّ معشر الفضل يومًا حسبوهم من افضل الاذكياء
أَبهذا ومثل هذا صلاحٌ لا ورب الانباء والانبياء

سليم عنجوري

(١) راجع المقالة المثبتة في المقتطف (مجلد ١٣ : ص ٢٤٩) تحت عنوان سجن جديد في كاليفورنيا
(٢) المغنى المنزل والرهط الجماعة من الثلاثة الى العشرة (٣) الليرة في الاصطلاح الدينار

سل البقر وسل البشر

وتقرير اللجنة الانكليزية

لما خطب الدكتور كوخ خطبتهُ المشهورة في مؤتمر السل الذي عقد في مدينة لندن منذ ثلاث سنوات فرق فيها بين سل البقر وسل البشر قائلاً ان سل البشر يختلف عن سل البقر ولا يمكن نقلهُ اليها . وان انتقال السل من البقر الى البشر لا يمكن اثباتهُ بالامتحان واذا كان ممكناً فهو قليل جدًّا ليس اكثر من انتقال السل بالوراثة . الى ان قال " ولا احسب ان العدوى من اكل لحم البقر المصابة بالسل وشرب لبنها واكل الزبدة المصنوعة منهُ اكثر من العدوى بالوراثة ولذلك لا ارى موجباً للاهتمام بمقاومتها "

ولا يخفى ان اكثر علماء الطب خالفوا الدكتور كوخ حينئذٍ في انتقال عدوى السل من البقر الى البشر وعين الانكليز لجنة ملكية للبحث المدقق في هذا الموضوع وقام كثيرون من العلماء يبحثون وينقبون وفي جملتهم الاستاذ بهرنغ الشهير تلميذ كوخ فخالف استاذهُ وقال ان اكثر اصابات السل ناتج عن عدوى الاطفال بلبن البقر المصابة بالسل

وكان غرض اللجنة المشار اليها البحث في الامور الثلاثة التالية وهي

الاول　هل السل الذي يصيب الناس والذي يصيب البهائم نوع واحد

الثاني　هل يعدى بهِ الناس والبهائم كلٌّ من الآخر اي تنتقل العدوى من الانسان الى الحيوان ومن الحيوان الى الانسان

الثالث　اذا كان هذا الداء ينتقل من الحيوان الى الانسان ففي اي احوال ينتقل وما هي الامور التي تسهل انتقالهُ او تمنعهُ

فالامر الاول حققتهُ اللجنة على هذه الصورة : اخذت عشرين مستحضرًا من السل البشري من عشرين مسلولاً وطعمت بها اجسام البقر بادخالها الى قناتها الهضمية او بالتلقيح تحت جلدها واوصلت ميكروب السل البقري الى اجسام ابقار اخرى فسبعة طعوم من السل البشري احدثت السل الحاد في البقر التي طعمت بها حالاً وانتشر ميكروب السل في ابدانها والطعوم الباقية وهي ١٣ طعماً كانت نتيجتها اقل شدةً فانحصر التدرن حيث أُدخل الطعم او انتشر قليلاً حولهُ على مسير الغدد اللمفاوية وظهر قليل من ميكروب السل في الرئتين والطحال

والبقر التي طعمت بطعوم مأخوذة من بقر مسلولة ظهر السل في خمس منها وكان قويًّا جدًّا وظهر في البقية وكان ضعيفاً

والنتيجة ان البقر تعدى بداء السل على نسق واحدة من الشدة والضعف سواء كان لقاح السل من البشر او من البقر . وقد عجزت اللجنة عن اكتشاف ما يفرق بين سل البقر وسل البشر من هذا القبيل

هذه خلاصة تقرير اللجنة وفيهِ نقض صريح لما قالهُ كوخ من ان سل البشر لا ينتقل الى البقر مع انهُ قال انهُ جرَّب تجارب كثيرة ولا بدَّ من ان يعيد البحث والتنقيب فيؤيد قولهُ او يذعن لقول غيره

اما الامران الآخران وهما انتقال عدوى السل من البقر الى البشر والاحوال التي تنتقل فيها والامور التي تسهل هذا الانتقال او تمنعهُ فلم تحققهما اللجنة حتى الآن على ما يظهر

انسان الارض والسماء

من مقالة لشارلس موريس نشرت في مجلة العلم العام الاميركية

في السماء عدد عديد من السيارات التي ترى والتي يتصور العقل وجودها حتى لا يكاد يصدَّق انها خالية من خلائق عاقلة شبيهة بالناس وان الارض وحدها خصت بسكن المخلوقات العاقلة دون غيرها من الاجرام السموية على حقارة الارض وصغر جرمها بالنسبة الى ذلك الفلك المدار الذي تحار فيهِ البصائر والابصار . ويحتمل ان تكون سيارتان او ثلاث من السيارات التي تدور حول الشمس صالحة لسكن الانسان كما يحتمل ان تكون الارض وحدها صالحة لسكنهِ دون غيرها . وكذلك ان تكون سيارات الشموس الاخرى مثل سيارات شمسنا اي ان يكون بعضها صالحاً لسكن المخلوقات العاقلة . ولما كانت السيارات التي يمكننا تصوُّرها كثيرة العدد فالمرجَّح ان السيارات التي تحوي مخلوقات عاقلة كثيرة أيضاً . ومما يرجح وجود المخلوقات العاقلة في غير الارض من كواكب السماء ان الكوكب الوحيد الذي نعلم احوالهُ وهو الارض مسكون بها ولا يعترض على ذلك الأ بان وجود الانسان على وجه الارض محصور في زمن قصير لانهُ لا يعيش فيها الأ حينما تكون حرارتها على الدرجة التي هي فيها الآن وهي لا تكون كذلك الأ في زمن قصير من عمرها

ومما لهُ علاقة بالموجودات العاقلة شكلها الطبيعي أهي شبيهة بالانسان اينما وجدت ام كلُّ سيارة من السيارات تحوي اشكالاً وانواعاً خاصة بها تجمعها جامعة الفكر والادراك . فمؤلفو الروايات افترضوا الامر الاخير في رواياتهم التي كتبوها عن الزهرة والمريخ وغيرهما من

السيارات والسكان الذين زعموا وجودهم فيها · ولكن النظر في الانواع الحية التي ظهرت على وجه هذه الارض يؤيد الرأي الاول وهوان الخلائق العاقلة يجب ان تشبه الانسان جسماً وعقلاً حيث وجدت وأيان نشأت وعليهِ يستنتج انهُ اذا أُتيح للانسان ان يجوّل في عرض هذا الفضاء الواسع رأى مخلوقات تشبههُ في اطراف الكون النائية

وشروط الحياة على الارض قد لا توجد في غيرها من السيارات . فان درجة الحرارة التي تصلح للحياة هنا هي بين درجة الجليد ودرجة الغليان وهناك شروط لازمة ايضاً للحياة مثل نوع التربة والهواء والعمل الكيماوي وغيرها · وليس ثمت ما يثبت ان الشروط اللازمة للحياة على الارض لازمة في كل مكان آخر · اذ لا يبعد ان يوجد في السيارات الاخرى مخلوقات حية ولو اختلفت احوال الحرارة والجاذبية والعمل الكيماوي فيها عما هي عليهِ في الارض . نعم انهُ اذا كانت العناصر الكيماوية واحدة في جميع الاجرام السموية كما يظهر بالتحليل الطيفي لم تختلف شروط الحياة اختلافاً عظيماً فيها ولكن اذا كانت العناصر التي هي اكثر وجوداً واعظم فعلاً في جرم من الاجرام تختلف عما هي عليهِ في الارض لم يبعد ان تختلف شروط الحياة فيهِ باختلاف تلك العناصر وتوجد المخلوقات الحية حيث يوجد عمل كيماوي وحرارة غير معروفين عندنا . والامر الضروري في كل حال من احوال الحياة وسط يلائم بناء الجسم الحي

على ان هذه الامور كلها لا علاقة ضرورية لها بمسألة صور الحيوانات واشكالها . فاذا استطاع الانسان ان يعيش في سيارة من السيارات درجة حرارتها الف بميزان فارنهيت بدلاً من مئة وكان جسمهُ مركباً من بروتوبلازم يختلف في تركيبهِ الكيماوي عن البروتوبلازم الذي يتركب منهُ انسان هذه الارض لم يبعد ان يشابهنا جداً في صورتهِ وطرق عملهِ لان اشكال الحيوانات الخارجية تتبع الاحوال الطبيعية لا الكيماوية وهي في الاكثر نتيجة تنازع الحيوانات على البقاء وما تبذلهُ من الجهد للحصول على صورة اكثر ملاءمة لهذا الجهاد المستمرّ · هذه هي الحال حيثما تظهر الحياة وترتقي واينما توجد الحرارة او العناصر الكيماوية الفعالة . وكذلك يقال عن التغير الداخلي ففي كلّ طور من اطوار الحياة المتقدمة نرى ان الحركة الحيوانية نتيجة التغير الكيماوي الناشيء عن عمل يشبه تأكسد الانسجة . ولا بدَّ من وجود وسائط فعالة لتقديم الغذاء الجديد الى الانسجة المندثرة مثل اعصاب الحس وعضلات الحركة واعضاء الافراز والتجديد وسائر الاعضاء الآلية التي تشبه ما يوجد في اجسامنا

هذا ولما كانت ارضنا لا تكاد تذكر في جنب السيارات الاخرى سواء كان ذلك من جهة جرمها او من جهة قدمها فقد يسوقنا هذا الامر الى الحط من قدرها وتنزيل ارتقاء الحياة

فيها دون منزلتهِ الحقيقية · فان ارتقاء الحياة فيها عمل كبير في حدّ نفسهِ وان ظهر صغيرًا وانتهاؤُهُ بالانسان لا يصحّ ان يعدّ عملاً من اعمال الصدفة بل هو نتيجة لازمة عن تغيرات متنوعة· وقد بدأت مظاهر الحياة وصورها على الارض منذ ملايين كثيرة من السنين فكانت الاحياء الاولى بقعاً مكرسكوبية هلامية ثم ارتقت تدريجاً حتى انتهت بالانسان · ومثل هذا جرى في كل سيارة ظهر عليها مخلوقات عاقلة— بدأت الاحياء فيها بصور بسيطة دنيئة ثم ارتقت شيئاً فشيئاً وقد تكون نهاية ذلك الارتقاء هناك مختلفة عما هي عندنا وان يكن لدينا اسباب تحمل على الاعتقاد انها تشبه ما هو عندنا كلّ الشبه

ونتيجة الارتقاء الآلي تتوقف كثيرًا على العلائق الخارجية او الوسط وعلى علاقة المواد الآلية بالاحوال الكيماوية التي في ذلك الوسط · فان الماء والهواء وتأكسد المواد الآلية شروط لازمة لوجود النبات والحيوان وقد كانت كذلك منذ ظهرت الحياة على سطح الارض · واما فيما سوى ذلك فقد تغيّر الوسط كثيرًا · فقد كان في بادىء الامر طبيعياً فصار فيما بعد حيويًا وكانت المخلوقات الآلية تقاوم العناصر غير الآلية في جهادها لاجل الحياة فظلّت فيما بعد تقاومها واخذت تقاوم بعضها بعضاً ايضاً · وكلما كانت صور الحياة تزداد تنوعاً ووظائفها تعددًا كان الوسط يجاريها على ذلك · فصارت نتائج الحرارة والبرد وثوران العناصر الطبيعية وسكونها والمآكل السامة والمغذية وغيرها من العوامل غير الآلية اسباباً ثانوية للارتقاء بالنسبة الى تنازع الاجسام الحية على الغذاء تنازعاً شديدًا . واعظم عوامل الانتخاب في الارتقاء الآلي زيادة طلب الحيوانات للحوم وما ترتب على ذلك من ظهور وسائط النجاة او الدفاع في الحيوانات الضعيفة . وهذا العامل هو السبب الاعظم في تعدد الانواع المرتقية التي نراها الآن ·ولم يقتصر هذا النزاع على مهاجمة الحيوانات القوية للضعيفة بل ان الاحياء الدنيا تهاجم الاحياء العليا وتعتدي عليها فان اشد اعداء الانسان الآلية باساً واصعبها مراساً واعظمها خطرًا انما هي المكروبات المسببة للامراض وهي ادنى اشكال الاحياء

⁂

لو حاولنا مراجعة سير النشوء الآلي على الارض لوجدنا امامنا اشكالاً حيوية متعددة ومختلفة في طرق عملها ودرجة حيويتها حتى نرى مجال البحث يضيق عن استيفائها فنكتفي بالالماع اليها

مرّ على النشوء الآلي زمن طويل كانت الاحياء في بداءتهِ تتألف من خلية واحدة وتلا ذلك احياء تتألف كل منها من عدة خلايا · وتفرع عن ذلك مملكتان آليتان عظيمتان وهما

المملكة النباتية والمملكة الحيوانية والاولى ذات اشكال ساكنة تعيش على المواد غير الآلية . والثانية ذات اشكال متحركة تعيش على المواد الآلية وهي مقدمة على الاولى . ولم يكن للعوامل غير الآلية سوى شأن قليل في ارتقاء المملكة النباتية فان اشكال النبات العائشة تحت الماء قلما ارتقت لانها قليلة التعرض لغارات الحيوان واما العائشة على وجه الارض حيث هجمات الحيوان شديدة متنوعة فقد كان ارتقاء اشكالها عظيماً ولكنهُ لم ينتقل في حال من الاحوال من طور طبيعي محض الى طور حسي

ومن هنا ابتدأ عمل الانتخاب الطبيعي فان الانواع اخذت تتعدد وتتشكل حتى فاقت العد والحصر وكلٌّ منها يكيف نفسهُ على حسب الوسط الذي يحيط بهِ . وانقسمت الى قسمين قسم منها ساكن لا يتحرك من موضعهِ بل كلٌّ ما يتحرك منهُ اطراف او قرون يتخذها سلاحاً للهجوم والدفاع . وقسم آخر متحرك واصلح للارتقاء الطبيعي والعقلي لان حركتهُ تسهل عليهِ الانتقال من وسط الى آخر . وكلما كان الحيوان نشيطاً تنوعت قوى انتقالهِ وقويت اعضاء حسهِ وصار ارقى درجة في سلم الحياة واكثر قبولاً للتقدم والارتقاء ولا بدَّ من ان تكون هذه القاعدة شائعة في الكون كلهِ كما هي في الارض

وما قيل في الحيوانات الساكنة من حيث قلة قبولها للارتقاء بالنسبة الى الحيوانات المتحركة يقال في الحيوانات البطيئة الحركة . فكلُّ ما يمنع سرعة الحركة وتعددها يقف في سبيل الارتقاء . وعليهِ فان سرعة الحركة لازمة لقوى الحيوان في الهجوم وعلى هذه القوى تتوقف درجات الارتقاء العليا ولكن اشكالاً كثيرة من الحيوان اتخذت الدفاع بدل الهجوم واخصها ذوات الاصداف ويضاف اليها الحيوانات التي تختبئ من غيرها اما بالحفر في الارض او بوسائط اخرى . وهذه الحيوانات بطيئة الحركة ضرورة اما لثقل اصدافها او لاعتيادها الاختباء فراراً من الحيوانات التي تسطو عليها . وهي تعيش على ما تجدهُ امامها من الطعام . والوسط المحيط بها محدود واتصالها بالطبيعة قليل وقوى الحس والشعور فيها قاصرة

على انهُ ان كانت سرعة حركة الحيوان وليونة بدنهِ مفيدة لهُ فالحيوانات السبوحة اسهل حركة والين بدناً من الزحافات وكذلك الحيوانات العارية من الاصداف تفضل ذوات الاصداف من هذا القبيل . ومثلها الحيوانات التي تقلُّ اعضاؤُها عدداً وتكثر قوة وهذا يوصلنا الى ذوات الفقرات وهي اسمى انواع الحيوانات التي ظهرت في مياه الارض وتراها بيضية الشكل واعضاء حركتها اقوى من اعضاء الحركة في سائر انواع الحيوان واعضاؤُها الحيوية مفردة بسيطة على قدر الامكان وهيكلها داخلي لا خارجي ووظيفتهُ ان يدعم بدن الحيوان لا

ان يقوم مقام الدرع له كما في ذوات الاصداف

والحيوانات المائية اصل الحيوانات البرية ولم يمكن ظهور الاحياء على اليابسة رأساً لانها غير صالحة لها في اطوارها الاولى بل لم يكن هناك بدٌّ من ظهورها في الماء اولاً فمنها ما بقي في الماء ومنها ما تفرعت منهُ فروع عاشت في اليابسة كذوات الاصداف والدود والحشرات وذوات الفقرات . فالصنفان الاخيران طاب لهما المقام على اليابسة فعاشا فيها واينعا ولكن الاول منهما كان دون الثاني تركيباً فلم يقوَ على مزاحمتهِ. وارقى انواعهِ النحلة والنملة . ومع ماهناك من التغير العظيم الذي طرأ على ذوات الفقرات فاختلفت بهِ عن الاسماك الاَّ أن اوجه الاختلاف بين الفريقين ليست كثيرة واهمها تحول الزعانف الى اعضاء والخياشم الى رئات . ولكن لايزال هناك انواع من السمك تتنفس الهواء احياناً ولها اربعة اطراف تجذف بها

وحيوانات البر اكثر تعرضاً للطوارىء الطبيعية من حيوانات البحر . ومع ان اشكالاً كثيرة مختلفة ظهرت الاَّ ان اساسها واحد ومرجعها الى شكل واحد اصلي وهو شكل السمك ولكن اعضاءها الداخلية اكثر حركة واشدُّ فعلاً والدم الحار فيها يحلُّ محلَّ الدم البارد في السمك وهي ولود والسمك بيوض وغير ذلك من التغيرات الداخلية . ثم ان التغيرات الخارجية كثيرة فمنها حيوانات تعدو وأخرى تطير وأخرى تسبح وغيرها تزحف . ومنها مايغطي بدنهُ فلوس او شعر او ريش اودروع . هذا بدنياً واما عقلياً فان ذوات الفقرات العليا التي تعيش على اليابسة ارقى كثيرًا من حيوانات البحر العليا ولكن قوة الفكر فيها خامدة وليس ثمة مايدلُّ على ان ذوات الاربع ترتقي في الفكر عن حدٍّ محدود

فاذا كانت هذه هي الحال في الارض فالمرجح انها كذلك في سائر الكواكب ولكن تغير الاحوال الكيماوية والطبيعية في الكواكب قد يغير النتيجة وان كان لايغير مبادىء العمل العمومية لان ارتقاء اعضاء الحيوانات يسير في منهاج واحد وكذلك الشكل الخارجي فان تنازع البقاء يسير في خطة واحدة ويفضي الى نتيجة واحدة على مايرجح

فلنأخذ رأس حيوان من ذوات الاربع مثلاً ولننظر الى سهولة حركتهِ وآلات مضغهِ وحواسهِ ومركز اعصابهِ ولنسأل هل يستطيع احد ان يشير بادخال اصلاح في وضع تلك الاعضاء وهو الوضع الذي توُصل اليهِ بعد ملايين من التجارب فان المنخرين موضوعان فوق الفم في احسن مكان ليستدل صاحبهما بهما على الطعام من رائحتهِ . والعينين موضوعتان في اعلى الرأس الى الامام وهو احسن مكان تقضيان منهُ وظيفتهما . والاذنين موضوعتان بحيث تدخلهما امواج الصوت من الخلف والامام وخصوصاً من الامام . والدماغ مجاور لهذه

الاعضاء ليساعدها على الاسراع في اتمام عملها · وكلُّ اعضاء الرأس مرتبة بحيث تتم وظائفها الخصوصية واذا قابلناها باعضاء الحيوانات الدنيا رأينا بين الفريقين اختلافاً عظيماً في حسن الترتيب والتركيب مما ادت اليهِ التجارب الطبيعية الكثيرة · ومثل هذا القول يصحُّ في اقسام الجسم الاخرى داخلية كانت او خارجية

على ان ذلك كلهُ لم يوصلنا الى الحيوان العاقل أي الحيوان الذي يعتمد في الغالب على قواهُ العقلية دون الطبيعية · نعم ان كلَّ صنف من اصناف الحيوانات المتقدمة ارتقى بعض الارتقاء في القوى العقلية وخصوصاً ذوات الثدي ولكن ارتقاءها انتهى عند درجة واطئة وهذا واضح من مقابلة حيوان من ذوات الاربع بالانسان فان الاول يعتمد على قوتهِ البدنية في الغالب والثاني على قوتهِ العقلية · اما الكواكب فلا بدَّ من ارتقاء ما فيها من الحيوان الى ما فوق ذوات الاربع لبلوغ النتيجة المتقدمة — اي حتى يكون فيها حيوان عاقل · ففي الارض انتهى الارتقاء بالانسان افلا يكون ذلك الارتقاء مختلفاً في السيارات الاخرى التي انتهى فيها بمخلوقات عاقلة تختلف عن انساننا في شكلها وعلاقة اعضائها بعضها ببعض

والجواب عن هذا السؤَال يتوقف على الصفات الخصوصية التي تميز الانسان عن سائر الحيوان اينما وجد · اما الفرق الطبيعي بينهُ وبين الحيوانات التي هي ادنى منهُ فليس عظيماً واهمهُ انتصاب قامتهِ وكونهُ يمشي على قائمتين بدل اربع وقدرتهُ على مسك الاشياء بيديهِ · على ان في هذا الفرق الطبيعي الذي بينهُ وبين سائر الحيوان سرَّ ما بينهما من الاختلاف العقلي · فان الحيوانات التي تحت الانسان تعتمد على اعضائها دون غيرها لانها لا تستطيع ان تستخدم الاشياء الطبيعية لمساعدتها · ولا يخرج عن هذا الاَّ الفيل والقرد فان الاول يدير خرطومهُ كيف شاء والثاني يطبق كفهُ بعض الاطباق مثل الانسان . اما الانسان فانهُ استطاع بتحرر ذراعيهِ من حمل جسمهِ والانتقال عليهما من مكان الى مكان وتطبيق كفيهِ ان يستخدم بهما قوى الطبيعة ويصنع سلاحاً وآلات من الجماد فصار بذلك حلقة جديدة من حلقات الارتقاء لم يبلغها غيرهُ من انواع الحيوان

ثم ان استخدام الآلات والاسلحة غير التي جهزت الطبيعة جسمهُ بها يستلزم تمرين القوى العقلية فشرع يروض عقلهُ . واستمرَّ ذلك كذلك حتى انتهت الحال بالانسان كما هو الآن — اي صار كائناً يتسلط عقلهُ على اعمال جسمهِ وعلى سائر المخلوقات الارضية

فلو فرضنا ان حيوانات تشبه ذوات الاربع التي عندنا في تركيبها العمومي ظهرت في سيارات اخرى وان كائناً عاقلاً يشبه الانسان ظهر في احداها فمن الصعب ان يتصور العقل

انهُ ارتقى بطريقة مختلفة كثيرًا عن الطريقة التي ارتقى انساننا بها اي ان ارتقاء الحيوانات العاقلة في اي كان من السيارات لا بد ان يكون قد توقف على استخدام قوى الطبيعة واول خطوة الى ذلك ظهور حيوان منتصب ولهُ ذراعان وكفان مثل الانسان

وعليهِ فالدلائل كثيرة على ان الحيوانات العاقلة التي في السيارات تشبه الانسان في شكلها الطبيعي وقد تختلف عنهُ في بعض الامور الجزئية وتكون سليمة من الضعف الآلي المختص بالانسان ولكن يظهر انهُ لو استطاع انسان الخروج من هذه الارض والتجوال في اقصاء الكون الشاسعة لرأى مخلوقات تشبههُ وترحب بقدومهِ في الوف من كواكب السماء

تمثال الدكتور بلس

(المقتطف تعريب الخطبة التي خطبها نسيم افندي برباري مندوب اللجنة في الاحتفال برفع الستار عن تمثال الدكتور بلس)

ان انتدابي للنيابة عن متخرجي الكلية المقيمين في مصر والسودان في هذا الاحتفال لاعظم شرف نلتهُ الى الآن فقد جمعتنا في هذا المكان جامعة الاخلاص والاحترام لتقديم واجب الاكرام والشكر الى رجل وقف عمرهُ على انبل المقاصد — ألا وهو تقدُّم نوع الانسان. وعملنا هذا واجب مقدَّس ينبهّ فضاوءُ فينا شوقًا الى اسمى الغايات لانهُ يضع نصب اعيننا صفحة عريضة تتضمن اعمالاً عظيمة وفوزًا مبينًا في جانب المروءة والمدنية. وهذه الصفحة هي واحدة من الصفحات القليلة التي تفتخر بها الامم في كل زمان ومكان

وليس قصدي الآن ان اتكلَّم في تأسيس الدكتور بلس لهذا المعهد العلمي فان تاريخ اتعابهِ في الخمسين سنة الماضية وغيرتهُ على انجاز مشروعاتهِ وحسن معاملتهِ للذين حولهُ وثباتهُ وبعد نظرهِ في اعمالهِ — كلها اشهر من ان تذكر. ولكن اذ اقف اليوم بين مناظر الفتها في صباي وفي ظلِّ البرج الذي تدق الساعة منهُ الآن كما كانت تدق في الماضي أعود بعين الخيال الى الايام التي كنت فيها تلميذًا فيتمثل الدكتور بلس لي مشيرًا صالحًا وصديقًا صدوقًا وابًا حنونًا لا رئيسًا رهيبًا في يدهِ مقاليد الكلية وزمام امورها. هذه هي الصورة التي احب ان اتذكر الدكتور بلس بها لا كما يراهُ الخارجون عن المدرسة بل كما تراهُ عائلتهُ الكبيرة التي نحن اعضاؤها. وما اكثر التذكارات البهجة التي تتبع ذلك. قال الاسكندر "اني مدين لأبي بوجودي ولاستاذي بنجاحي" وهذا صدى ما يقولهُ كلٌّ من ساقهُ حسن الحظ فقضى

ربيع عمرهِ في هذا المكان · فان كثيرين منا لم يدركوا اسرار العلوم الرياضية وغيرهم نسوا مبادئ العلوم الطبيعية وسط مشاغل الحياة ولكن وان كنا قد نسينا الطبيعيات والرياضيات افننسى تعاليم الكتاب المقدس التي أوضحت لنا بها الحقائق العظيمة الاساسية المختصة بوجودنا وغايتنا من هذا الوجود على طريقة لاينكرها اهل الشك والجحود · أو ننسى الخطب التي أُلقيت علينا في "سنة المحبة والمحبة سنة" و بسطت فيها واجباتنا نحو انفسنا وقريبنا وخالقنا. بل أننسى المواعظ والخطب المملوءة بالنصائح لارشادنا في سلوكنا وتشجيعنا في ساعة التجربة . أم ننسى نصائح الوداع التي كانت تتلى علينا قبل تفرقنا في آخر السنة وخروجنا من الميناء لنخوض بحر هذا العالم الكبير

نعم ايها الاصدقاء ان هفوات تلك الايام ومساوئها لها تذكارات حلوة عندنا لانها كانت السبب في تلك الارشادات التي كان الحبُّ والحنوُّ الوالدي يمليانها علينا غيرة على خيرنا ورفاهنا و في نظرات الاسف والشفقة التي كانت تحملنا على الاعتراف بذنوبنا وتصبغ وجوهنا بحمرة الخجل وفي كلمات التوبيخ التي ساعدتنا على تهذيب اخلاقنا وتأهيلنا لما وراء الحياة · فلا عجب وعواصف الشك تثور علينا وامواج التجربة تتقاذفنا في يمّ هذه الحياة العجاج اذا فكرنا في تلك الكلمات كلمات الرجاء والسرور وتطلعنا بعين الحب الى الوراء حيث الميناء الامين الذي اقلعنا منهُ بعد ان قضينا فيهِ ايام الشباب السعيدة بعيدين عن هموم هذا العالم ومشاغلهِ

هذا وان عمل الدكتور بلس الاعظم لم يكن انشاء ابنية فاخرة ولاتهذيب الالوف الذين خرجوا منها تهذيباً علميًا · وليس السبب الوحيد في نجاحهِ تعليمهُ ووعظهُ · بل ان عملهُ الاعظم اشراب عقول التلامذة المبادئ الصحيحة وارشاد ارجلهم الى حيث يأمنون العثار والزلل في زمن الشباب وتهذيب نفوسهم وتربية روح الرجولية والاستقلال فيها · وسبب نجاحهِ الاعظم المثال الشريف الذي وضعهُ امامهم. فان لطفهُ وحسن استجلابهِ للناس قرّباهُ من القلوب · وقوة ارادتهِ ونشاطهُ اظهراهُ بمظهر رجل حرّ قوي ساعٍ في طلب الحق والتدرع بهِ وادعيتهُ الحارة الى الله بحفظ الذين نالوا شهادة المدرسة والذين يتعلمون فيها كانت تمسُّ قلوب سامعيهِ وتأخذ بمجامعها · و بالاختصار فقد كان لنا " رسائل حية معروفة ومقروءة من جميع الناس "

نعم ايها السادة والسيدات كلنا صائر الى الزوال · وهذه الابنية تتغير على كرور الايام ولكن عمل الدكتور بلس الخالد يبقى مطبوعاً على نفوس اهل هذه البلاد واخلاقهم الى الابد بعد ان نسير نحن في اثر الذين سبقونا ويحلُّ محل هذه المباني مبانٍ اخرى

على ان ذكر حياة الدكتور بلس لايتمُّ الا اذا ذكرت معهُ تلك السيدة الفاضلة التي كانت

شريكة عمرو ومدبرة امور بيته ومشيره ومعينه. ولا يفوق دَيْننا لها الاّ دَيْننا لقرينها. أليس حسن مشورتها وعظم مساعدتها وشدة غيرتها هي الامور التي مكنته من انجاز ما انجز من الاعمال. أو ليست امّ ابنه وخلفه. أوليس حسن تربيتها لابنها وتعليمه في اوائل عمره هو الذي أهلّه للارتقاء الى المنصب السامي الذى خلا بتنازل ابيه عنه. فقد كانت مسز بلس للتلامذة صديقاً وملاكاً حارساً وامّا فعلت نصائحها وتعاليمها وصداقتها مالم يفعله شيء آخر لتنبيه العواطف الشريفة في الصدور. وصفوف مدرسة الاحد التي كانت تعلمها واستقبالاتها والدقائق الثمينة التي قضيناها في حضرتها كانت اشعة منيرة تنير العيشة المدرسية وتبث الحرارة فيها وذكرها الآن يهيج فينا تذكارات بهجة عن الايام الماضية التي قضيناها هنا

فيحق للدكتور بلس وقرينته ان يفتخرا بنتيجة اتعابهما ونموّ هذا الولد الذي وقفا عليه حياتهما ومواهبهما واختبارهما. وليقيض لهما الله الافتخار بالرجال الذين رباهم واهدياهم الى العالم. فان كان بناة الآثار القديمة قد حاولوا تخليد اسمائهم ببناء الاهرام والهياكل فأحرِ بالدكتور بلس وقرينته ان يخلدا اسميهما باقامة آثار هي اشرف بنياناً واخلد زماناً ألا وهي اهرام يذخر العلم والمعرفة فيها وهياكل يعبد الله منها. قال الشاعر

" ان الهياكل المبنية من الخشب والحجر تخرب وتضمحل ولكنّ هناك بناء غير منظور لا يخرب ولا تراه الاّ الاعين الخالدة كاملاً في جميع اجزائه ألا وهو البناء المبني من حجارة حية — هيكل القلوب "

هذا وان قلوب نائلي شهادة المدرسة الذين انوب عنهم تفيض الآن شكراً لله ودعاء حارًا بدوام الهناء للدكتور بلس وقرينته والخير للمدرسة. فليعش الدكتور بلس وقرينته طويلاً حتى يريا نمو عملهما نموًا مستمرًا سنة فسنة ولتثبت المدرسة الى الابد اثرًا يدل على حياتهما المفيدة. ولتبقَ ركناً للتهذيب والتثقيف ومنارة تنير ظلمات العالم ويأتمّ بها الهداة الذين اضناهم التعب وانهكتهم مشقات الاسفار. وهيكلاً تحفظ فيه اسرار الحكمة والفهم المقدسة ومزارًا يحجه طالبو الحق. وليقدر الله لها ان لا يكسف ماضيها السني الاّ مستقبل اسنى مجدًا واعظم بهاء

فياحضراتِ الرئيس وعمدة المدرسة. اني اقدم اليكم هذا التمثال الذي نصبناه للدكتور بلس لتحفظوه دليلاً على اعترافنا بالدَّين العظيم الذي لا نستطيع ايفاءه وتذكارًا لحياة الذي كرس نفسه لتهذيب نفوس الآخرين ولما بذله من الاتعاب في ذلك السبيل. واننا نريد ان يقام في هذه المدرسة حيث يراه الجميع — يراه المعلمون فيستفيدون بقدوته و يتبعون خطواته

ويقتفون اثرهُ · ويراهُ التلامذة عند دخولهم الى هذا المكان فيشاهدون فيهِ شبهاً لمؤسسهِ العظيم · ويخرجون منهُ وفي نفوسهم اثر من العمل العظيم الذي عملهُ · ويراهُ الجمهور فيتمثلون صورة العامل العظيم الذي لهُ اليد الطولى في احياء العلم في الشرق · واخيرًا ليقدرنا الله نحن تلامذة هذه المدرسة الذين خرجوا منها في الماضي والذين يتعلمون فيها الآن وسيتعلمون في مستقبل الزمان — ان نكون اثرًا حيًّا لعمل الدكتور بلس في هذه البلاد اثرًا اعظم شأنًا واسمى منزلةً واخلد مدة · انتهى

(ويوم نصب التمثال احيت المدرسة الكلية ليلة ادبية في منتداها الكبير تكلم فيها بعض الطلبة بالنيابة عن اقسام المدرسة الخمسة وفي جملتهم حضرة فؤاد افندي خليل سالم فتلا القصيدة التالية نائبًا عن قسم الصيدلة)

بلادَ الشآمِ مقرَّ الكرامْ سلام عليك والف سلامْ
فقد كنتِ مطلع شمس العلوم وقد كنتِ مطلع شمس العظام
وقد كنتِ مهبط اهل اليراعِ وقد كنتِ مهبط اهل الحسام
وقد كنتِ زينة تلك القصور وقد كنتِ مصباحَ ذاك الظلام
وقد كنتِ للناس خير مقامٍ وسوف تكونين خير مقام
بلاديَ ماذا اقول وإني ليرتج فيك عليَّ الكلام
اراقبُ خلف العصور سماكِ سماءٌ تلبَّد فيها القتام
فانظرُ بدرًا يُنيرُ السبيل ونجمًا يسير بحكم النظام
وانظر شمسًا تطلُّ صباحًا يقابلها الوردُ بالابتسام
فيمضي زمان ويأتي زمانٌ وفيهِ تحجَّبُ تحت الغمام
فيا ارز لبنان يا بعلبك ويا دار كلِّ عليِّ المقام
ويا ارض تدمرَ يا ارض صور ويا ارض بغداد دار السلام
ويا ارض عيسى ويا ارض موسى ويا ارض نوحَ ويا ارض حام
ويا ارض كانت مقر القصور فصارت لِتُضربَ فيها الخيام
احييك بالقلب قبل اللسانِ واجثو لديك بكلِّ احترام
وأكرمُ كلَّ كريمٍ يغار عليكِ كذلك تجزى الكرام
وألعنُ كل لئيم يريد اذاكِ كذلك تجزى اللئام
أكليةٌ ما خطت خطوةً بهذي البلادِ لغيرِ الأمام

عليك وقفنا القلوب قلوباً احبتك كالأمّ منذ العظام
تغارُ عليك وتسعى لديك وتنشر فضلك بين الأنام
وتذكرك الدهر بالاحترام وتدفع عنك شرور الطغام
فلولاك لم ندرِ معنى الاخاء ولولاك لم ندرِ معنى الوئام
ولولاك ما حركت ساكناً رجال اتت بالأمور الجسام
رأيناك تجرين مجرى الدماء لقلب الأنام وقلب الشآم
فيمسي اصفرار الوجوه احمراراً وينعش جسمٌ عراهُ السقام

**

فيا رجلاً شاد هذا المقام وشيّد فيهِ الصروح الفخام
وعلّم انّ الحياةَ جهادٌ وقال ألا استيقظوا يا نيام
بماذا نجازيك يا دانيالُ وفضلك يزداد عاماً فعام
تنزّهت عن كلّ عيب وفيك صفاتٌ تفوح كريح الخزام
فانتَ الغيور وانتَ الصبورُ وانت الجسور وانت الهمام
وانت الكريمُ وانت الحليمُ وانت الحكيم وانت الإمام
فيا قاطني مصر ابناءهُ ويا قاطني ما وراء الأكام
أقمتمُ ياقوم أجمل ذكرٍ بتمثالكم فهو ما دامَ دام
فعش ناعمَ البال يامن سعيتَ وقمت بسعيك حقّ القيام
فتمثالك الحيُّ ينطق عما فعلتَ وإن كان صنع الرخام

التنبيه والحس في النبات

من قلم الدكتور رينلدس جرين عضو الجمعية الملكية الانكليزية

اذا نظرنا في صور النباتات وتراكيبها المتعددة وطلبنا معرفة الاسباب التي افضت الى هذا التعدد والاختلاف اتضح لنا ان المسألة مسألة نزاع واضطرار نتيجتهما التوفيق بين النبات والوسط الذي هو فيهِ فيستفيد النبات من كل ما يقدمهُ الوسط اليهِ ويتغلب على العوامل

الضارة بهِ التي لا بدَّ من تأثيرها فيهِ. وعليهِ فاختلاف الوسط يفضي الى اختلاف التركيب. ولما كان الوسط دائم التغير كان النبات دائم الجهاد مطاوعة لذلك التغير ومتى فقد القوة التي يحفظ بها علاقتهُ بالوسط بيت ضعيفاً مريضاً ثم يموت. فصحة النبات اذاً تقوم بحفظ التوازن بينهُ وبين الوسط المحيط بهِ

هذا ولما كان من المرجح بل من المؤكد ان جميع النباتات المعروفة الآن متسلسلة من صورة اصلية فاننا نجد في تاريخ الانواع المختلفة عظم التأثير الذي يؤثرهُ جهادها الطويل مطاوعة لتغير الوسط. ولا ينكر ان تأثير التغير في النبات الواحد يكون قليلاً ولكن طول تعرض النوع اجيالاً كثيرة لذلك التأثير يأول الى تغير كثير على انهُ وان كنا لانرى سوى تغير طفيف في النبات الواحد الاَّ انهُ لا يطرأ على النوع تغير عظيم مالم تتغير الافراد التي تتألف منهُ على التوالي. وعليهِ فلا بدَّ من ان ندقق النظر في الفرد لنرى ما هي الخصائص التي تؤدي الى تغيير الصور والتراكيب التي نراها بعد مرّ السنين. وللوصول الى ذلك يلزمنا ان ندرس طريقة تكييف النبات نفسهُ مطاوعة للوسط المحيط بهِ. ولذلك طريقان فاما ان النباتات التي لايلائم تغير الاحوال تراكيبها تموت وتندثر ولا يبقى الاَّ النباتات الاصلح منها للبقاء ولحفظ النوع وهذا يفترض ان النباتات الخاصة بجيل من الاجيال تتغير تغيرًا طفيفاً في خصائصها الفسيولوجية وإمَّا ان يكون للفرد من النبات قوة يستطيع بها الشعور بالتغير الذي يطرأ على الوسط المحيط بهِ وتكييف نفسهِ مطاوعة لذلك

ولا يبعد ان يكون هذان المذهبان صحيحين الى حدٍ محدود وانهما يتعاونان معاً للوصول الى النتائج التي نراها امامنا. على ان اسباباً قوية تؤيد ان للمذهب الثاني اليد الطولى في التغير الماضي. ثم اننا نرى تغيرات عديدة تجري امام اعيننا ويمكن تعليلها بالمذهب الثاني ولا يمكن تعليلها بغيرهِ. فان كلَّ نبات معرَّض لتأثير عامل محدود من العوامل الخارجية يكيف نفسهُ على طريقة محدودة موافقة لذلك العامل. ومن الصعب ان ننكر على النبات قوة الاحساس بالمؤثرات التي تطرأ عليهِ وتأثير تلك المؤثرات يسمى في الاصطلاح تنبيهاً والشعور بهِ يسمى حسّاً فامامنا اذاً امران يجب البحث فيهما الواحد خارج عن النبات والآخر داخل فيهِ

وهنا مسألة عويصة تصعب الاجابة عنها وهي هل الاحساس بذلك التنبيه يتضمن شيئاً من الشعور. ولا يمكننا ان نجيب عن هذا السؤال بالايجاب لان الشعور ينطوي على الفكر فمن الصعب ان يقال ان تأثر النبات يتضمن شيئاً من الارادة لان الفكر والارادة من وظائف مراكز الاعصاب في اعظم الحيوانات ارتقاء ولكن بعض الدلائل تدلُّ على وجود قدر محدود

من الشعور في النبات بمعنى انهُ يشعر بطبيعة الوسط المحيط بهِ

وليس غرضنا من هذه المقالة الاطالة في هذا الموضوع وانما نقتصر على مسألة التنبيه والحس كما نراها في حياة النبات العادية صارفين النظر الآن عن تعليل العلاقة التي بينهما . واول مايهمنا في التنبيه معرفة طبيعتهِ . ولنفرض جدلاً ان لكل نبات حالة يكون التوازن عندها على اتمهِ بين النبات والوسط الذي يكتنفهُ اي انهُ يجد حولهُ مايحتاج اليهِ من الحرارة والنور والرطوبة وسائر مايؤَثر فيهِ فتكون حياتهُ حينئذٍ على احسن مايرام . ولكن حالة مثل هذه وقتية لا تدوم لان الوسط في تغير دائم من جهة هذه الامور ومادة النبات الحية في تحرك دائم . ولحفظ الصحة ولحفظ الحياة في النبات يقتضي ان يكون النبات قادراً على تكييف نفسهِ مطاوعة للطوارىء التي تطرأ على الوسط المحيط بهِ . وعجزهُ عن حفظ الموازنة الدائمة بينهُ وبين الوسط هو سبب انقطاع الحياة او الموت

فتغير الوسط تغيراً مثل هذا هو ما يسمونهُ بالتنبيه وهو يؤَثر في النبات من اوجه عديدة ويسبب تأْثيرات متنوعة مختلفة في درجة شدتها

وهناك امور أُخرى تؤَثر في حياة النبات ولا تسهل مشاهدتها فانهُ قد يطرأ على مادتهِ الحية تغير سببهُ وقوع الخلل في داخلها . ويطرأ على العمل الكيماوي المصاحب لعمل تغذية الجسم تغير سببهُ اما انحراف مجرى الغذاء في داخل النبات او اختلاف توزيع الغذاء فيهِ . ثم ان الحاق الضرر بالنبات نفسهِ قد يحدث اختلافاً في توزيع القوة او المادة داخلهُ فيؤَثر ذلك تأْثيراً عظيماً في مجرى الوظائف الحيوية . وكذلك كمية الغذاء التي يجدها النبات فانها قد تكون قليلة جداً فيبيت جائعاً طاوياً او تكون كثيرة فتورثهُ التخمة وكلا الامرين قد يفضي الى تغير عظيم في حياتهِ الظاهرة وفي المواد التي يفرزها في اثناء تغذيتهِ وفي القوة التي تتولد منهُ . فاذا قل الاكسجين مثلاً عن القدر اللازم لهُ فان ذلك قد يحدث تغيراً كيماوياً جديداً في توليد تلك القوة . فهذه العوامل المختلفة وغيرها تعدُّ منبهات او مؤَثرات . نعم ان منها ماهو داخليٌّ ولكنها كلها حقيقية يشعر النبات بها كما يشعر بالمؤَثرات الخارجية الظاهرة

ولندرك جلية فعل التنبيه في حياة النبات نبحث في بعض المنبهات او المؤَثرات التي هي اكثر ظهوراً من غيرها مثل وقوع اشعة النور الجانبية على بزرة نبات في اوائل نموها او على نبتة صغيرة فاذا وضعت النبتة بحيث تقع اشعة النور على جانب من ساقها دون الآخر تحدب الجزء الذي هو اكثر نمواً وقد يزداد التحدب الى حدّ ان يصير محور النبات موازياً لجهة اشعة النور وليس ذلك مقصوراً على النبتات الصغيرة بل قد يظهر في اجزاء من النباتات الكبيرة .

ومن الامور المشاهدة عموماً ان بعض النباتات التي نزرعها في اصصنا تنحني نحو الجانب الذي تصيبهُ اشعة النور . وجذور بعض النبات تتأثر من اشعة النور اذا تعرضت لها وتنحرف بحيث تصير موازية لها ولكن رؤوسها تنمو في الجهة المخالفة لجهة اشعة النور وكذلك الاوراق وغيرها من الاعضاء . اما الاوراق فتنحرف بحيث تقع اشعة النور عمودية عليها

ومما يشاهد في الجذور وهي تنمو في التربة انها اذا صادفت شيئاً لا تستطيع ان تخرقهُ دارت حولهُ واستمرت في نموها . وكلُّ ما يمسُّ رؤوس الجذور الصغيرة وهي تنمو يحرفها عن الخط المستقيم الذي تنمو فيهِ

ولا بدَّ من درس طبيعة التأثر الذي يتأثرهُ النبات قبل الحكم في علاقتهِ بالمؤثر ومن تبيين تلك العلاقة اذا اردنا ان ننسب الحس اليهِ . واول ما يستوقف النظر في هذا الصدد ما في تأثر النبات من القصد الظاهر . فان انحراف اوراق النبات بحيث تقع اشعة الشمس الجانبية عمودية على سطوحها انما يقصد منهُ ايصال تلك الاشعة الى سطوح الاوراق كلها على السواء . فترى الاوراق على زوايا متساوية بالنسبة الى السوق والجذوع . وعليهِ فاذا كانت ساق النبات موازية لاشعة نور الشمس اصاب معظم النور سطوح النبات الخضراء حيث يتكوَّن السكر بفعل النور . اما توجه رؤوس الجذور الى الجهة المقابلة لجهة اشعة النور فالقصد منهُ حفظ الجذور في التربة حيث يسهل عليها امتصاص الغذاء . والتواء عساليج النباتات يعينها على التعلق بما حولها لكي لا تداس سوقها الضعيفة ولكي يصل النور والهواء الى اوراقها

ومن الاعتبارات في هذا الشأن ان اجزاء النبات التي يصيبها التنبيه او التأثير محصورة في بعض الاماكن فقط فهي في الجذور خلف رؤوسها . وفي الفرخ الصغير تحت رأسهِ اي انها في مكان يختلف عن المكان الذي يدير حركة النبات

ومنها ان اقل المنبهات او المؤثرات قد يسبب تأثيراً عظيماً وانهُ لا نسبة بين التنبيه ومقدار التأثر الناتج عنهُ . والخلاصة ان بين التنبيه والحس علاقة سببيَّة وان تأثر النبات دليل عليهما كليهما

اصلاح النسل

تعريفهُ ومجالهُ وغايتهُ

ملخص من خطبة القاها الدكتور فرنسيس غلتون على الجمعية الاجتماعية في لندن

عند الغربيين علم يسمى بعلم اصلاح النسل وهو يبحث في جميع العوامل التي من شأنها ان تحسن غرائز النسل وترقي مزاياهُ الفطرية بصرف النظر عن المزايا الادبية . ومقتضيات هذا العلم سهلة التعريف والتعيين فان الكلّ متفقون على ان الصحيح يفضل المريض والقوي يفضل الضعيف والملائم للبقاء يفضل غير الملائم لهُ . وبعبارة اخرى ان كلَّ حيٍّ يفضل ان يكون زبدة نوعهِ على ان يكون ثفلهُ مهما يكن ذلك النوع . ففرض هذا العلم ان يستخلص من كل نوع زبدتهُ وينتقي احسنهُ ليصح اتخاذ ذلك الاحسن مثالاً لهُ وليحمّل فوق ما فرض عليهِ في رفع شأن النسل الذي يعقبهُ ولذلك خمس طرق

(١) ان يهتم اولو الشان بنشر النواميس الثابتة المختصة بالوراثة والتعمق في درسها فان قليلين يعلمون ما بلغهُ علم الوراثة من التقدم في السنين الاخيرة حتى صارت الاحصاءات المتعلقة بهِ لا تقل عن احصاءات المواليد والوفيات دقة وضبطاً

(٢) ان يبحثوا بحثاً تاريخياً في قيمة الخدمة التي خدمت بها طبقات الهيئة الاجتماعية اوطانها قديماً وحديثاً . فان هناك ما يحمل على الاعتقاد ان قيام الامم وانحطاطها لها علاقة شديدة بهذا الامر

(٣) ان يبحثوا بحثاً مطرداً في الاحوال التي نشأت العائلات الكبيرة فيها وأثرت . وليس من الصعب على الذين يهمهم هذا العلم ان يجمعوا من حقائقهِ ما يفيد رجال الاحصاء والامر الذي يجب تحقيقهُ هو حالة الوالدين عند زواجهم ويجب ان تبين الاسباب في اثراء الاولاد

(٤) ان يبحثوا في العوامل المؤثرة في الزواج . قال اللورد باكون في كلامهِ على الموت وتحقير قدرهِ في النفوس ما يأتي " ليس في صدور الناس عاطفة مهما صغر شأنها وضعف فعلها الاَّ وتستخف بالموت وتكسر شوكتهُ وتزيل رهبتهُ من النفوس . فالانتقام ينتصر عليهِ والمحبة تحتقرهُ والشرف يتمناهُ والحزن يجري اليهِ والخوف يسابق عليهِ " . وما قالهُ اللورد باكون في الموت يصح ان يقال في الزواج . فان عاطفة الحب تتغلب على غيرها من العواطف حتى يظنّ ان من الحمق تحويلها عن مجراها ولكن الحقائق المعروفة لا تؤيد هذا الظن لان للعوامل

الاجتماعية تأثيرًا عظيمًا وهي متعددة الانواع فلو حرّمت عقود الزواج غير الملائم من الهيئة الاجتماعية او نظر اليها بعين الاشمئزاز التي ينظر بها بعضهم الى الزواج بين الاقارب لقلّ عددها كثيرًا

(٥) ان توضح اهمية اصلاح النسل في مصير الامم

ولا بد من النظر في ثلاثة امور قبلما يشيع اتباع مبادىء هذا العلم . وهي اولاً يجب ان يعدّ من المسائل المألوفة حتى تدرك حقيقة اهميتهِ . ثانيًا يجب ان يعد موضوعًا يسهل الجري عليهِ فعلاً . ثالثًا يجب ان ينقش على ذهن الامة كأنهُ دين جديد وهو يستحق ان يصير فرضًا دينيًا واجب الاداء في المستقبل لانهُ يعاون الطبيعة على وجوب اختيار الاصلح من طوائف الانسان ليمثّل النوع كلهُ . على ان الطبيعة تتمّ مهمتها من هذا القبيل وهي عمياء بطيئة عديم الشفقة واما الانسان فرائدهُ في ذلك بعد النظر والسرعة والرفق

ويقال بوجه الاختصار ان تحسين النوع من اسمى الغايات التي يرمي الانسان اليها . فاننا نجهل مصير النوع الانساني ولكننا نشعر ان السعي في رفع شأنهِ عمل شريف سامٍ كما ان تخفيض منزلتهِ عمل دنيء حقير . ولست ارى ما يمنع صيرورة هذا العلم واجبًا دينيًا محتمًا قضاؤهُ . واول ما يجب عملهُ في هذا الصدد ان تبين اهمية هذا العلم للناس ثم تترك مبادئهُ تنغرس في قلوب الامم وتنطبع على صفحات اذهانهم فيفضي ذلك شيئًا فشيئًا الى ظهور النتائج الفعلية من تلك المبادىء الخيالية بطرق لا نستطيع الاحاطة بها الآن

هذه خلاصة ما قالهُ العلامة الدكتور فرنسيس غلتون الذي يعدُّ واضعًا لهذا العلم لانهُ اول من بحث فيهِ بحثًا مستفيضًا مبنيًا على الاستقراء . ولما اتمّ خطبتهُ تعقَّبهُ بعض العلماء الباحثين في هذا الموضوع وامثالهِ فقال الدكتور ريد "ان للوراثة الشأن الاول في حالة النسل فهي الاساس لكل فضيلة ورذيلة ولكل صفة ادبية واجتماعية وسيبقى الناس يخبطون خبط عشواء الى ان تعلم نواميس الوراثة حقّ العلم"

وقال بنيامين كد Kidd المشهور ببحثهِ في اسرار الاجتماع ان ما يعد انحطاطًا في بعض الشعوب الدنيا انما هو نقص في القواعد الاجتماعية وليس هو انحطاطًا في قوام العقلية . وود ان يُعلم علم الاجتماع الانساني تمامًا قبل ان توضع القواعد لاصلاح النسل كأنهُ لا يُسلّم بان المزايا التي يمتاز بها المتمدنون الآن كلها من الحسنات التي يجب حفظها لاصلاح النسل

وقال المستر جورج برنردشو ان الناس يعتنون باختيار عملائهم وطباخيهم اكثر مما يعتنون باختيار ازواجهم وزوجاتهم فاما ان نتركهم وشأنهم او نلقى منهم من النفور والعناد اكثر مما ننتظر

وقال المستر ولس ان كثيرين من المشهورين بارتكاب الجرائم فيهم من الفطنة والذكاء وحسن النظر اكثر مما في القضاة الذين يحكمون عليهم

صوم الحيوان

لا يخفى ان القواقع (البزاق) تصوم فصل الصيف كلهُ وجانباً من فصل الربيع والخريف فتسدل حجاباً صفيقاً على فم قوقعتها وتنزوي في جوفها من غير حراك وتبقى كذلك الى ان يقع المطر ويبلل التراب ويسهل عليها سبيل الاغتذاء فتنزع الحجاب عن بابها وتسعى في طلب الرزق . ويعلم الذين يأكلون البزاق انهم يجدون فيهِ في آخر فصل الشتاء جسماً دهنياً غروياً يكاد يكون شفافاً يبلغ طولهُ سنتمترين او اكثر وثخنهُ نحو سنتيمتر . واما في اول فصل الشتاء حينما يخرج البزاق من مخبإهِ فيكون هذا الجسم قد ضمر ولم يبقَ منهُ الاَّ شيء دقيق كأَنهُ مؤُونة عاش الحيوان عليها وهو صائم فكفتهُ للتنفس البطيء الذي كان يتنفسهُ فنفد اكثرهُ

واكثر الحيوانات التي تشتو تصوم في فصل الشتاء لكنها تذخر في اجسامها من الغذاء ما يكفي لقيام حياتها فكانها النمل يجمع في قراهُ الطعام الذي يكفيهِ فصل الشتاء . ولاغرابة في ذلك لان هذه الحيوانات تقلُّ حركتها في الشتاء او تنقطع عن الحركة تماماً فلا يبقى منها الاَّ التنفس البطيء وهذا يكفيهِ قليل من الغذاء او من المواد الدهنيَّة التي تحترق رويداً رويداً لئلا ينطفئ سراج الحياة فيسهل عليها الصوم لقلة حركتها

لكن من الحيوانات ما يصوم في الزمن الذي يحتاج فيهِ الى الحركة الكثيرة والجهاد العنيف وهو الحيوانات المعروفة باسود البحر ودابابهُ والسمك المعرف بالسامون

اما اسود البحر ودابابهُ وهما نوعان من الفقمة فان اناثها تصعد على الجزائر التي تلد فيها وتبقى هناك عشرة ايام الى اثني عشر يوماً منقطعة عن الطعام لانها لا تجد هناك طعاماً تأكلهُ . والذكور الكبار تصعد الى الجزائر في اوائل شهر مايو وتبقى هناك الى اواخر شهر يوليو ثلاثة اشهر تقضيها صائمة من غير طعام وتكون في اول الامر سمينة كثيرة الدهن فتنحف وتدقُّ رويداً رويداً الى ان ينقضي فصل المزاوجة ولكن قوتها لا تفارقها فتبقى تحارب وتتصارع على الاناث الى ان ينتهي فصل المزاوجة وتنزل الى الشاطئ وحينئذٍ يظهر عليها الضعف والسكينة ويصير صيدها سهلاً كأنها تكون قد قضت غرضها من الحياة ولم يعد لها مأرب فيها

واما سمك السامون الكثير في انهار اوربا و بحارها و بحيراتها وهو الذي يوضع لحمهُ في علب من الصفيح ويؤتى بهِ الى هذه البلاد ولونهُ برتقالي فقد علم منذ أكثر من عشرين سنة ان ما يعيش في الجرمنة لا يأكل شيئاً وهو في الانهار وتبين انهُ يصوم من حين يخرج من البحر الى ان ينقضي فصل المزاوجة والتوليد فأنهُ يصعد من البحر الى الانهار المتصلة بهِ ويتزاوج فيها ويبيض ويفرخ ويكون جيوشاً جرارة لا تجد ما يكفيها من الطعام لو شاءت الاكل ولان الزمن قصير لا يسعها لتأكل وتشرب وتتزاوج وتتوالد فتفضل الاهم على المهم وتنقطع عن الطعام لكي لا تنقطع عن قضاء الواجب الاهم لحفظ النوع وهو إخلاف النسل . ويكون في اجسامها من الغذاء ما يكفيها ولو بالتقتير حتى اذا تزاوجت وقضت الغرض من وجودها تكون قد نحفت تماماً واحاط بها الصيادون من كل ناحية فلا يصل منها شيء الى البحر. وليس كذلك السامون الذي يعيش في الانهار والبحيرات العذبة الماء فانهُ يأكل في فصل المزاوجة كما يأكل في غيرهِ ويعلل ذلك بان السامون الذي يعيش في البحر لا يجد الطعام في الانهار كافياً ولا مناسباً لذوقهِ فيصوم ولكن لا يضيع الوقت في التفتيش عن طعام قلما يجدهُ . ولا يبالي بالحياة بعد ذلك لانهُ يكون قد قضى الغرض من وجودهِ وهو اخلاف النسل فتعود صغارهُ الى البحر وتنمو فيهِ الى ان تبلغ اشدها فتصعد في النهر وتتزاوج كما فعل اسلافها من قبلها وتخلف نسلاً وتموت وهلمَّ جرًّا الى ما شاء الله

الشفاء بالهواء

من الامور المقرَّرة المتعارفة ان الذين تعمل لهم عمليات جراحية في قفار افريقية وصحاري بلاد العرب تلتئم جراحهم ويشفون حالاً . واذا أُلقيت جثة انسان او حيوان في العراء لم يحلَّ بها الفساد بل جفت جفافاً كاللحم المقدَّد . واللحم يعلَّق في الهواء في تلك الاماكن فيبقى اياماً كثيرة من غير ان يفسد . وسبب ذلك كلهِ نقاوة الهواء هناك وقلة وجود الميكروبات فيهِ

ومن المقرَّر ايضاً ان الحيوانات التي تصاب بداء السل وهي في بساتين الحيوانات كالقرود لا تصاب بهذا الداء ابداً وهي في قفارها واذا اصيبت بهِ وهربت الى القفار شفيت منهُ ولو كان قد اتلف نصف رئاتها وهذه الامور وامثالها رسخت في الاذهان ان الهواء النقي يمنع الفساد ويشفي من بعض الامراض

وقد شاعت الآن معالجة المسلولين بالهواء النقي بوضعهم في مصاحٍ نقية الهواء وترويض

ابدانهم رياضة معتدلة واطعامهم المآكل المغذية وتنويمهم في غرف مفتوحة الكوى مطلقة الهواء . ومدار الفائدة في ذلك كلهِ على الهواء النقي وعلى كثرته

ولدت طفلة بالامس واصيبت بعسر في التنفس لسبب غير معروف فبطل تطهر دمها وازرق بدنها وكادت تموت اختناقاً . ودعي لها الاطباء فحاولوا إنعاشها بالتنفس الصناعي فافاد بعض الفائدة ولكن بقيت نوب عسر التنفس تتردَّد عليها حتى قُطع الامل من نجاتها . فعولجت بمزج الهواء الذي تتنفسهُ بالاكسجين الصرف فتطهر دمها ولم يطل عليها المطال حتى اصطلح تنفسها وشفيت مما اصابها . ويتضح من ذلك ان الهواء النقي لا يكفي وحدهُ في بعض الاحوال المرضية مهما كثر مقدارهُ بل لا بد من معالجتهِ على اسلوب يزيد بهِ فعلهُ كما ان الماء لا يكفي وحدهُ مهما كان نقيًّا بل تضاف اليهِ مواد دوائية اذا اريد استعمالهُ علاجاً ويقال ان الهواء في بعض الاماكن يشفي من بعض الامراض فيقصدها الاغنياء للاستشفاء بهوائها . فاذا كان نافعاً شافياً كما يقال فلا بدَّ من انهُ يحوي شيئاً يجعلهُ كذلك فاذا بحث العلماء فيهِ بحثاً مدققاً فلا يبعد ان يكتشفوا ذلك الشيء ويصيروا يضيفونهُ اليهِ ويعالجون المرضى بهِ . ولم يبق ذلك في حيز الظن بل قد صار العمل بهِ فانشىء مستشفى يعالج فيهِ المرضى ولا سيما المسلولون بالهواء المعالج بالاكسجين والاوزون فظهرت فائدتهُ في خفض الحرارة وتقليل العرق ولكن لا يبعد ان يبقى للاماكن المشهورة بطيب هوائها مزية كبيرة لان فيهِ اشياء أُخرى لم تعلم حقيقتها حتى الآن . فقد ظهر ان الماء المعدني الذي يستعمل علاجاً في بعض الامراض لا يفيد اذا صنع صنعاً او اذا نقل من بلاد الى أُخرى ولم يعلم سبب ذلك قبلاً بل ظن الكثيرون انهُ من قبيل الوهم ولكن ظهر الآن ان في الماء المعدني شيئاً يفيض منهُ كما تفيض الاشعة الكهاوية من عنصر الراديوم وهذا الشيء ينفد منهُ بعد مدة غير طويلة . وكذلك ظهر من البحث في هواء الجبال في سويسرا ان فيهِ من قوة الاشعاع هذه اضعاف باقي هواء الاودية . فاذا ثبت ذلك بعد تكرار البحث فلا يبعد ان يكشف السبب الذي يجعل الهواء في بعض الاماكن صحيحاً منعشاً للابدان شافياً من الامراض فتسهل معالجة الهواء بهِ في كل مكان وتصير المواد الشفائية تمزج بالهواء وتستنشق معهُ كما تمزج المواد الدوائية بالماء وتشرب معهُ لكن هذا الامر يقتضي درساً كثيراً وبحثاً طويلاً وهو منوط بالعلماء الطبيعيين ولا بدَّ من ان يحققوهُ ويضعوهُ على اساس متين فيصير الاستشفاء بالهواء امراً مألوفاً كالاستشفاء بالدواء . والبحث يولد الغرائب

نظارة المعارف والكتاتيب

اصدرت نظارة المعارف تقريرًا عن حالة الكتاتيب في سنة ١٩٠٣ وصدرتهُ بمقدمة بينت فيها انواع الكتاتيب وما يعلم فيها فاتضح منها ان عدد الكتاتيب التي كانت موجودة في القطر المصري في سنة ١٨٩٧ بلغ ٩٤٠٤ منها ٨٨٩٧ اسلامية و ٥٠٧ قبطية وان عدد تلامذتها ١٧٧٣٢١ منها ١٧٣٦٤٠ ذكرًا و٣٦٨١ انثى

وقد بدأَت الحكومة بتوجيه عنايتها الى الكتاتيب منذ سنة ١٨٦٩ حيث صدر امر عالٍ بجعل كل كتاتيب القطر خاضعة لتفتيش نظارة المعارف العمومية ثم صدر قرار مجلس النظار في سنة ١٨٨٩ بان تحال على نظارة المعارف جميع الكتاتيب التي آل امرها الى ديوان الاوقاف

وصدر امر عالٍ آخر سنة ١٨٩٠ بجعل جميع الكتاتيب الاهلية التي في العاصمة والاسكندرية وعواصم المديريات وجميع الكتاتيب التي تفتح بعد صدور الامر العالي المذكور باي جهة من جهات القطر خاضعة لنظارة المعارف ولا يمكن فتح اي محل للتعليم الاَّ اذا اذنت النظارة في فتحهِ ولكن هذا الامر العالي اهمل ولم يعمل بهِ اصلاً ثم سنت الحكومة سنة ١٨٩٧ طريقة اخرى لتفتيش كتاتيب القطر واصلاحها وذلك بتعيين مقدار من النقود يعطى اعانة للكتاتيب التي تخضع لتفتيش نظارة المعارف وتتبع ارشاد المفتشين

فقسمت الكتاتيب التي تفتشها نظارة المعارف من حيث الادارة الى قسمين وهما اولاً كتاتيب الحكومة التي تديرها نظارة المعارف ولها عليها السلطة التامة . وثانيًا الكتاتيب الحرة التي خضعت باختيارها لتفتيش نظارة المعارف طمعًا بالاعانة و بلغ عدد الكتاتيب التي تديرها نظارة المعارف الآن ٩٣ كتابًا منها ٧٥ في العاصمة و ٨ في الوجه البحري و ١٠ في الوجه القبلي ثم ان ٨٨ مكانًا من اماكن الكتاتيب المذكورة تابعة للاوقاف وخمسة لنظارة المعارف وواحدًا للدائرة السنية واربعة مستأجرة . وكان اكثرها متخربًا فرم بمساعدة ديوان الاوقاف ولكنها مع ذلك لا تزال غير صالحة للغرض المطلوب منها وحالها غير صحية ولا يمكن حل مسألة هذه المباني حلاً مرضيًا الاَّ بانشاء مبانٍ جديدة في مواضع مناسبة تكون موافقة لحاجات التعليم الحديثة وتوزيعها توزيعًا جغرافيًا منظمًا مع مراعاة العادات والشعائر القومية لان العلاقة بين الكتاتيب والمساجد والاسبلة قديمة جدًّا في التاريخ الاسلامي ولذلك يجب عمل ما في الوسع لابقاء هذه العلاقة على قدر الامكان وقد بدأ ديوان الاوقاف هذا المشروع ببناء كتاب

جديد في العباسية بجوار قبة الفداوية وهذا الكتاب لا يمكن بناء غيره على مثاله لانهُ ارقى مما يلزم للكتاتيب وسيكتفى في المستقبل ببناء كتاتيب اخرى تكون ابسط شكلاً واقل نفقة

ويظهر مما نشرهُ سعادة علوي باشا عن انتشار مرض العيون في الكتاتيب ان التلامذة المصابين بالرمد الحبيبي كانوا ٧٥ في المئة في سنة ١٩٠٢ مقابل ٨٠ في المئة في السنتين السابقتين و ٨٥ في المئة في سنة ١٨٩٩ و ٩٦ في المئة في سنة ١٨٩٨

وقد تحسنت حالة معلمي الكتاتيب بعد ان وضعت نظارة المعارف النظام الجديد المتعلق بامتحانهم واستبدال المدرسين غير الاكفاء بغيرهم من الاكفاء فنتج عن ذلك تحسين سريع في نظافة التلامذة والاماكن ولربما يكون عدد المعلمين غير الاكفاء عظيماً ولكن الكثير منهم متقدمون في السن وعلى كثير من التقى والصلاح وحسن الخلق فليس من الحكمة استبدالهم بغيرهم لما يلحقهم من الضرر

ثم ان النظارة تدفع ١٤٠ غرشاً في الشهر لكل فقيه نجح في الامتحان و ٧٠ غرشاً لكل عريف او عريفة اما المعلمون غير الاكفاء فتصرف لهم المرتبات التي خصصها لهم ديوان الاوقاف وهي في الغالب اقل بكثير من مرتبات النظارة وزد على ذلك ان الفقهاء والعرفاء يقتسمون بينهم ما يحصل من مصروفات التلامذة

وبلغ عدد تلامذة الكتاتيب التي تديرها النظارة ٥١٦٦ تلميذاً منهم ٣٩٤٠ ذكراً و ١٢٢٦ انثى وفي كل من كتابي شيخون و بولاق قسم للعميان ولكن عدد التلامذة يتناقص في هذين القسمين عاماً فعاماً والتعليم فيهما لا يكاد يكون شيئاً مذكوراً وقد كانت قلة المال الى الآن مانعاً من الالتفات اليهما فحالتهما الآن تستوجب البحث في ما يلزم لهما من الاصلاح ويجب ان يقتصر التعليم فيهما على العلوم الموصلة الى الاغراض النافعة

وقد جعلت الدراسة في الكتاتيب على ثلاث فرق يتمها التلميذ عادة في ثلاث سنين ويتفرغ بعد ذلك للاشتغال بالحرف او الصنائع او غير ذلك وسنت طريقة في سنة ١٩٠٢ يتعلم التلميذ بمقتضاها نصف النهار بالكتاب ثم يتعلم احدى الصناعات في النصف الآخر منهُ وانتخب بعض التلامذة لذلك

وخلاصة القول ان الكتاتيب تقدمت تقدماً بيناً فتحسنت ابنيتها وحالتها الصحية بعض التحسن وزاد عدد المعلمين بها وارتفعت حالتهم وانشئت مدرسة لتعليم معلمات للكتاتيب واتخذ بعض الطرق لايجاد وصلة بين التعليم في الكتاتيب وتعليم الصناعات . وقسم التلامذة الى فرق وترقت حالة التفتيش والتلامذة وزادت درجة النظافة والترتيب في المباني والامتعة

والادوات حتى صار من الظاهر ان الكتاب يكون عما قليل ركناً قوياً من اركان التعليم في مصر

ووجهت نظارة المعارف عنايتها الى اصلاح كتاتيب الاعانة بطريقة اختيارية وهي طريقة التفتيش والاعانة وذلك ان تعطي كل كتاب اعانة قليلة على شرط ان يعلم فيهِ المطالعة والاملاء والخط والحساب بحسب جدول تقررهُ النظارة وان يصل الكتاب الى درجة مقبولة والاعانة على درجتين درجة اولى قدرها ١٥ غرشاً و ٣٠ غرشاً عن كل تلميذ ودرجة ثانية قدرها ١٠ غروش و ٢٠ غرشاً عن كل تلميذ وتقسم النظارة الاعانة بين الفقهاء والعرفاء فيكون نصيب الفقيه ضعف نصيب العريف وهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن اتباعها في ترقية شؤُون الكتاتيب. وقد بلغ عدد الكتاتيب التي استحقت الاعانة ١٥١٢ كتاباً في سنة ١٩٠٣ ومجموع الاعانة التي صرفت في هذا العام ٦٧٥٢ جنيهاً

وتقدم مشروع تنظيم الاعانة تقدماً عظيماً . ففي سنة ١٩٠٢ عدلت اللائحة واعيد طبعها واسقط من الكتاتيب ما قل عدد تلامذتهِ عن ١٥ وتقرر اتباع طريقة سهلة في توزيع الاعانات بين المعلمين وتحويل الكتاتيب الى مدارس قروية ووضع بروجرام لما يجب تعليمهُ فيها وانشئ فيها تفتيش مخصوص وزيد عدد المفتشين . ولا بد من السعي لاقناع الاهالي باعانة الكتاتيب على قدر الاستطاعة فقد اظهر سكان الارياف استعداداً لمساعدة الكتاتيب واصلاحها وهذا الاستعداد يفتح باباً واسعاً للامل باتمام هذا الاصلاح رغماً عما يعترضهُ من المصاعب لكثرة هذه الكتاتيب ولان ٩٠ في المئة من اماكنها غير صالح بالمرة للتعليم وزد على ذلك انها كلها خالية مما هو ضروري من الاثاث المدرسي وقلة مرتبات التلامذة لا تسمح للمعلمين ان يقصروا اوقاتهم على التعليم في كتاتيبهم . والمظنون انهُ لا يمكن الحصول على معلمين اكفاء لها في المستقبل اذ لو فرضنا ان الحكومة دفعت خمسين غرشاً لكل معلم من معلمي الكتاتيب التي يبلغ عددها نحو خمسة عشر الفاً لزاد مقدار الاعانة في كل عام عن تسعين الف جنيه وهذا ما لا يمكن ان تقوم الحكومة بهِ الآن فضلاً عن انهُ لا يحسن مطلقاً تعليم الاهالي الاتكال على الحكومة اتكالاً كلياً للقيام بالاصلاح الذي يستطيعونهُ فالواجب ان يقرن مشروع الاعانة بمساعدات محلية كما حدث في مركز اسنا فان ماقام بهِ اهلهُ من اصلاح الكتاتيب انما هو خير قدوة لاهالي الجهات الاخرى فينبغي الحث على تاليف جمعيات محلية والاخذ بناصرها مع تعيين الاعمال المناسبة لها

وقد بلغ عدد الكتاتيب التي فتشت في سنة ١٩٠٣ — ٢٦٢٣ اسقط منها بعد التفتيش ٥٩١ لانها لم تكن مستوفية للشروط اللازمة للاعانة وفتشت الكتاتيب الباقية فاستحق ٢٠٠ منها

اعانة من الدرجة الاولى و ١٣١٢ اعانة من الدرجة الثانية وكان متوسط ما استحقهُ الكتاب من كتاتيب الدرجة الاولى ١٠٠١ غرش ومتوسط ما استحقهُ الكتاب من كتاتيب الدرجة الثانية ٣٦٢ غرشاً . واكثر ما صرف من الاعانات وخصوصاً لكتاتيب الدرجة الثانية كان على سبيل التشجيع لا عن استحقاق

وبلغ عدد فقهاء الكتاتيب التي فتشت ٢٠٤٧ وعدد الفقيهات ٨ وعدد العرفاء ١٢١٣ وعدد العريفات ١٥ فمن ذلك ٢٩٨ فقيهاً وفقيهة لهم بعض الكفاءة لتعليم جميع العلوم التي تعلم في الكتاتيب و ١٢١١ لهم بعض الكفاءة ايضاً لتعليم بعض العلوم فقط و٣٨٦ غير اكفاء على الاطلاق و١١٧ عريفاً وعريفة لهم بعض الكفاءة لتعليم جميع العلوم التي تعلم في الكتاتيب و٧٩٥ لهم بعض الكفاءة لتعليم بعض العلوم و٢٧٣ غير اكفاء على الاطلاق او بعبارة اخرى ان ٢١ في المئة منهم لا يصلحون للتعليم ولا يمكن ان يكون التقدم في الكتاتيب كبيرًا الاَّ اذا وجدت طريقة لتربية المعلمين او لتربية من يساعدهم على التعليم

وقد اجتهدت النظارة سنة ١٩٠٢ في ترقية حالة المعلمين فانشأت فرقاً لتعلمهم مجاناً اللغة العربية والخط والحساب وفن التربية بعد ظهر يوم الخميس وفي صبيحة يوم الجمعة من كل اسبوع في ثلاث مدارس من مدارس العاصمة الابتدائية وفي ١٩ مدرسة من المدارس الابتدائية في الاقاليم وخمسة كتاتيب من كتاتيب الحكومة فبلغ عدد الذين قيدت اسماؤهم بهذه الفرق ١٤٠٧ سنة ١٩٠٣ مقابل ٧٢٠ في السنة التي قبلها . وانشاء هذه الفرق انما هو مقدمة موقتة لعمل اخر يكون كافلاً لتخريج العدد الكافي من المعلمين للتعليم في الكتاتيب بالمستقبل

واقرب الطرق الموصلة لذلك هو ان يربى عدد من المعلمين الصغار السن القادرين على تأدية وظائف العرفاء بالكتاتيب ثم يشجعوا في مدة تأدية عملهم في الكتاتيب على اتمام حفظ القرآن الكريم وتجويده حتى يتمكنوا في المستقبل من فتح كتاتيب خاصة بهم او يعينوا فقهاء في الكتاتيب التي ينفقها الاهالي

وتحتاج نظارة المعارف الى تأسيس عدد مناسب من المدارس الاهلية المرتقية التعليم في انحاء البلاد بحيث تكون ارقى بكثير من الكتاتيب الحالية ولا تحتاج الى ما تحتاج اليهِ مدارس الحكومة الابتدائية من النفقات ويكون تلامذتها من البلاد المجاورة فيجعل بكل مركز مدرسة من هذا النوع تكون مدة التعليم فيها خمس سنوات باللغة العربية فيدخلها التلميذ بين السادسة والسابعة من عمره ويخرج منها بين الحادية عشرة والثانية عشرة ثم يجب ان يكون

التعليم فيها تاماً لذاتهِ ومرتباً ترتيباً يفيد طبقات الامة التي تعلم اولادها فيها وقد سبقت صاحبة الدولة والدة الجناب العالي الى انشاء مدرسة من هذا القبيل في العاصمة ومن جملة ما ترمي اليهِ تلك المدرسة اعداد المعلمين الاكفاء للكتاتيب فالواجب على الحكومة ان تبدأ بهذا المشروع فتفتح في كل بلد فيهِ مدرسة ابتدائية مدرسة من هذا النوع تكون مرتبطة بالمدرسة الابتدائية وبعد ان يتم التلامذة دروسهم في هذه المدارس توضع لهم دروس مخصوصة لاعدادهم في المستقبل لوظائف العرفاء في الكتاتيب المجاورة لهم

اما المدارس التي يجب انشاؤُها من هذا النوع فتسعون مدرسة وهي ستٌ في العاصمة وثلاث بالاسكندرية وواحدة في كل مركز ويمكن تحويل بعض مدارس الحكومة الحالية التي قسمت بها الدراسة على اربع فرق الى مدارس من هذا القبيل . وبتنفيذ هذا المشروع يكون في كل قرية كتّاب وفي كل مركز مدرسة اهلية منتظمة وفي مراكز المديريات والمحافظات مدارس الحكومة على الطرز الاوربي وفي المدن الرئيسة مدارس الصنائع والمدارس الثانوية وفي العاصمة المدارس العالية والمدارس الخصوصية وعلى ذلك تكون الكتاتيب في كل مركز مساعدة للمدرسة الاهلية فيهِ

والذين يخرجون من مدارس المراكز يدخلون مدارس المعلمين ويقضون فيها سنة ليكونوا معلمين للكتاتيب وخمس سنوات ليكونوا معلمين بالمدارس الابتدائية ثم يخرج من مدارس المراكز ايضاً الذين يدخلون في مدارس الصنائع ومدرسة الزراعة فتكون مدارس المراكز ممهدة للتعليم النافع للذين لا يقدرون على اتباع التعليم على الطريقة الاوربية وعليهِ فان الحلقة المفقودة من سلسلة التربية بمصر هي مدارس المراكز وقد شرعت النظارة في فتح مدرسة في العاصمة لمعلمي الكتاتيب الى ان يتيسر لها انشاء المدارس المذكورة

ويحتوي هذا التقرير على كثير من الكشوف ببيان الكتاتيب التي استحقت الاعانة وعدد تلامذتها ومقدار الاعانة التي دفعت لها وغير ذلك من الفوائد الاخرى

اما الاعانة التي دفعت الى كتاتيب القاهرة فبلغت ٢١٩,٩٠ جنيهاً مصرياً سنة ١٨٩٨ يقابلها ١٩٥,٢٥ ج ٠ م سنة ١٨٩٩ و١٩٥,٢٠ ج ٠ م سنة ١٩٠٠ و٢٦٢,٣٥ ج ٠ م سنة ١٩٠١ و٤٥٠,٧٠ سنة ١٩٠٢ و٥٩٤,٥٠ سنة ١٩٠٧

وبلغ ما دفع من الاعانة الى كتاتيب الوجه البحري ومن ضمنها كتاتيب الاسكندرية ١٣٤,٣٥ ج ٠ م سنة ١٨٩٨ يقابلها ٢١٤,٨٥ ج ٠ م سنة ١٨٩٩ و٣١٨,٨٥ سنة ١٩٠٠ و٩٩٤,٩٠ سنة ١٩٠١ و١٢٨٦,٩٥ سنة ١٩٠٢ و٣٤٠٥,٣٥ سنة ١٩٠٣

وبلغ ما دفع من الاعانة الى كتاتيب الوجه القبلي حتى اصوان ٠٠و١٤١ ج٠م سنة ١٨٩٨ و٨٠و٣٠٩ سنة ١٨٩٩ و٩٥و٤٨٥ سنة ١٩٠٠ و٣٥و٨٨١ سنة ١٩٠١ و٢١و١٤٠٨ سنة ١٩٠٢ و٠٠و٢٧٥٢ سنة ١٩٠٣ . فيكون مجموع الاعانة التي دفعت الى كتاتيب القاهرة والوجهين البحري والقبلي معاً ٨٥و٦٧٥١ ج ٠ م في السنة الماضية

نبأ من اليابان

لقد كان المقتطف اول مجلّة عربية نوهت بذكر اليابان وكتبت عنها المقالات الضافية معجبةً بتقدُّمها السريع . ولم نخطئها الأ في اشتباكها مع الروس في حرب تعود عليها بالوبال سواء خرجت منها مغلوبةً او غالبةً لانها ستضطرُّ ان تستدين الاموال الطائلة من اوربا فتحمل جميلها وترضخ لسيطرتها . فان ابتعادها عن ذلك حتى الآن هو الذي سهَّل عليها السير السريع في مراقي العمران كما قال لها الفيلسوف سبنسر في نصيحتهِ لها وارتطامها في حمأة الدين من الماليين الاوربيين سيغلُّ يديها و يعرقل مساعيها الأ اذا كان في شعبها من القوى الادبية الراسخة في نفوسهم ما يجعلهم امنع من عقاب الجو . و يظهر من المقالة التالية ان ذلك يكاد يكون شأنهم اذا كان كاتبها منزهاً عن الغرض ولم يكن قد اقتصر فيها على ذكر الكمالات مغضياً عن النقائص تمهيداً لقرض جديد يريد ان يقنع الماليين بالاقدام عليهِ . ومهما يكن من امرو فالمقالة حرية بالنشر لانها تدلُّ على فضائل حقيقية في الامة اليابانية وتكشف الستار عما كنا نودُّ معرفتهُ من امرها وهي للكاتب الترباشر وقد نشرت في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية . قال كاتبها ما خلاصتهُ

قال احد كتَّاب اليابانيين منذ عهد غير قريب "من جهل شيئاً عاداه" وهذا شأن اليابانيين فانهم كانوا يجهلون الاوربيين والاميركيين ولذلك كانوا يحسبونهم برابرة و يسيئون الظن فيهم وكذلك يحسب الاوربيون ان عمران اليابان سطحي حديث النشأة وسيزول سريعاً كما نشأ ويخلع اليابانيون الرداء الاوربي الذي تردَّوا بهِ و يعودون الى عنصرهم الاول

والحقيقة التي لا ريب فيها ان الاساس الذي بنى اليابانيون عمرانهم عليهِ قديم جداً اسَّسوهُ لما كان الاوربيون في مهدهم وظلوا يبنون فيهِ حجرًا بعد حجر الى ان اتموهُ بما اقتبسوهُ حديثاً من الاوربيين . فالاوربي والاميركي اللذان ينظران الى الامور نظرًا سطحياً من غير امعان يحسبان هذا العمران سطحياً قريب الغور نشأ بالامس من غير مسوّغ واما اليابانيون

فيعلمون ان ما بلغتهُ بلادهم الآن امر طبيعي لابدَّ منهُ وهو مبنيٌّ على اخلاق الشعب وتقاليدهم"

واذا اردنا ان نعرف كيف تمكَّن اليابانيون من اصلاح امورهم بهذه السرعة الغريبة وما هو الغرض الذي يرمون اليهِ وجب ان ننظر في شؤونهم من وجهتهم ونطَّلع على احوالهم مما كتبوهُ هم عنها. ولقد نلقى هناك ما تستفيد منهُ اوربا واميركا مقدار ما استفادت اليابان منهما

قال الكاتب الياباني المشار اليهِ آنفاً ما ترجمتهُ

" لقد تعلَّمنا الملاحة (سلك الابحر) منذ عشرين سنة ولكن تدرُّب قوانا العقلية الذي مكننا من تعلُّمها لم يتم في عشرين سنة ولا في مئتي سنة بل تمَّ هو وغيرهُ في مئات والوف من السنين والفضل فيهِ لاسلافنا الذين واظبوا على ما يرقي قوى العقل

" ولقد كنا دائماً امَّةً متمدنة وكان عمراننا مرتقياً وانما كان ينقصنا ان نطبِّقهُ على مطالب هذا العصر لذلك يجب علينا ان لا نكتفي بتعلم الملاحة بل يجب ان نتعلَّم ايضاً كل فرع من فروع المعارف الاوربية مهما كان طفيفاً وتمسك بالنافع منها ونترك ما لا نفع منهُ فنزيد قوة ومنعةً

" لندخلنَّ ميدان هذا العالم ونخاضرنَّ فيهِ بالصبر ونبارِ الامم الاخرى في العلوم والفنون ونبيِّنَ لهم مقدرتنا فنقوى بلادنا وتستقل وهذا غاية منانا "

هذا ما قالهُ هذا الكاتب منذ عشرين سنة حينما كان الاوربيون يحسبون اليابان مثل سيام وليبريا وغيرهما من ممالك المشرق المنحطة . ولقد تكلل سعيهُ وسعي غيرهِ من المصلحين بالنجاح فرقوا بلادهم وجعلوها من مصاف الدول الكبرى . والآن نلتفت الى ماضي اليابان والى كيفية انتقالها السريع متوخين الاختصار التام

ان تاريخ اليابان القديم غامض لا تعلم حقيقتهُ لكن من المقرَّر ان ملكها الحالي من اسرة قديمة جدًّا حكمت البلاد منذ ٢٥٠٠ سنة من غير انقطاع . ويستدلُّ من ذلك وغيرهِ على انها كانت مملكةً منتظمة قبل الاسكندر المكدوني بثلاثمئة سنة . وكانت سفنها تسير الى كوريا قبل المسيح بسبع مئة سنة فكان اليابانيون امة بحرية حليفة اسفار من ذلك العهد . واحصى الملك سوجن عدد السكان سنة ٨٦ قبل المسيح ثم امر الملك كوتوكو سنة ٦٤٥ ان يعاد هذا الاحصاء مرة كل ست سنوات

ووضعت اليابان نظام البريد سنة ٢٠٢ للميلاد وانتظمت شؤونها في القرن السابع والثامن وسنت حينئذٍ القوانين التي رسخت في اذهان اليابانيين الغيرة الوطنية واكرام النفس من غير اثرة واللطف والدعة والطاعة ومنها قوانين الامير شوتوكو التي ينظر اليها اليابانيون حتى الآن كما ننظر نحن الى وصايا موسى العشر وهي

" الاتفاق والوئام يفوقان كل ثمن والطاعة للقوانين المقرَّرة اول واجبات الانسان . لكن لكل فريق من الناس آراء تخالف آراء غيره فنشأ من ذلك عصيان الملوك وعقوق الآباء والخصام بين الجيران والاقارب. ولا يستقيم حال الامة ولا تثبت على اساس مكين مالم يتفق الكبراء بعضهم مع بعض ويتصافوا مع الذين دونهم ويفصلوا كل خلاف وخصومة بالتحكيم

" يجب ان تطاع اوامر الملك وان يكون لشعبهِ مرشدًا اميناً والأَساءت حال الامة وتولاَّها الخراب والاضمحلال

" يجب ان يحترم الوزراء وسائر رجال الدولة و يعطى كل ذي منصب حقهُ من الاكرام

" خير شرائع البشر ان يجازي المحسن و يعاقب المسيء . من احسن عملاً فلهُ جزاؤُه ومن اساء فلهُ العقاب . التدليس والخداع يقوضان الدولة ويزهقان روح الامة

" لا عون بلا ثقة والثقة لازمة لكل عمل ولا يمكن حلُّ مشكل من المشاكل من غير ثقة . اذا وثق رجال الدولة بعضهم ببعض سهل عليهم تدبير المهام واذا زادت الثقة من بين الحاكم والمحكوم فسدت الامور كلها

" الجم الغيظ واطرح الغضب واقلْ عثرة اخيك

" اذا آخذتَ المرء بهفواتهِ لم يمنعهُ ذلك من ارتكابها ثانية والمؤاخذ لا يسلم من الخطإ . وسبيل النجاح هو السبيل الذي يسلكهُ الجميع متحدين

" لا يحمل الحقد من تعلو بهِ الرتبُ ولا ينال العلى من طبعهُ الحسدُ

" البغضة تولد البغضة والغيرة عمياء

" على كل امرء ان يضحي مصلحتهُ الخاصة لاجل مصلحة بلادهِ فان الاثرة تمنع الاتحاد ولا يعمل عمل عظيم من غير اتحاد "

هذه الاقوال كتبت منذ الف وثلثمئة سنة وهي ادلُّ شيء على اخلاق اليابانيين فانهم اوجبوا على انفسهم تعلمها والجري عليها منذ ثلاثة عشر قرنًا الى الآن فرسخت في نفوسهم واليها ينسب ارتقاؤُهم ولذلك لا يستغرب قولهم ان تمدنهم قديم ولا ما يُرى فيهم من التفاني في حب وطنهم واعلاء شأنهِ واندفاعهم كلهم نحو ذلك من الامير الى الصعلوك وانتفاء كل حسد وضغينة من بينهم وتمهد المناصب كلها للمستحق منهم من غير تمييز مهما كان اصلهُ وضيعاً . وهذه الحكم التي تضارع حكم ليكرغس وصولون تبيّن ما يرى في اليابانيين من الشجاعة والتعاون وحب الوطن والاعتماد على النفس وتفانيهم في ذلك كلهِ الى حد ادهش العالم

ولما كان الانتقال من بلاد الى أُخرى كثير المشقة كانت البلدان المرتقية تحسب نفسها

ارقى من غيرها وتحسب اهالي سائر البلدان برابرة فتقوى في نفسها الاثرة والتمسك بما عندها والتعصُّب لهُ فيدعو ذلك الى تأخرها . ولقد كان ذلك في مصر وبابل وفارس وفلسطين واليونان والصين وغيرها من البلدان القديمة فلا عجب اذا حسب اهالي اليابان الاولون ان بلادهم مركز المسكونة اوجدتها الآلهة لهم وان ملكهم ابن السماء وانهُ من نسل الشمس التي يعبدونها . لكن هذه الدعوى وهذا الاعتداد بالذات لم يغلقا عقول اليابانيين بل بقوا مستعدين للتعلُّم من غيرهم ولاقتباس انوار المعارف من سواهم فغلبوا كوريا واقتبسوا منها المذهب البوذي واقتبسوا من الصين كثيرًا من المعارف والصنائع وادخلوا دود الحرير الى بلادهم سنة ١٩٥ للميلاد واتوا منها بحاكة الحرير فانتشروا في البلاد يعلمون الاهالي وادخلوا منها زراعة الشاي سنة ٨٠٥ . ويظهر من ذلك ان اليابان كانت مستعدة دائمًا لتقتبس من الغير ولكنها كانت تتصرَّف في ما تقتبسهُ حتى يناسبها ولا تتقيَّد بهِ تقيدًا اعمى

وتسلطت الديانة البوذية على اليابانيين حتى حسبوا الصينيين ارقى منهم علمًا فلما قامت قيامة البوذيين على دعاة الديانة المسيحية من البرتغاليين في القرن السادس عشر رأت اليابان ان تقفل ابوابها دون الاوربيين وظلت ابوابها مقفلة من سنة ١٦٣٨ الى سنة ١٨٥٣ وهي سكرى بخمرة الاستقلال لكن مدافع الكومودور بري ايقظتها من سكرتها فانهُ اتاها باسطولهِ سنة ١٨٥٣ طالبًا منها ان تفتح ابوابها للتجارة والاَّ فتحها عنوةً . وكانت تحسب نفسها منيعة الجانب بعيدة عن الاجانب فعدَّت تطاولهُ عليها ذنبًا لا يغتفر ونفرت من هذا الطلب نفورًا هزَّ اركانها . والشعور الوطني في بلاد اليابان اشدُّ تأثرًا منهُ في سائر البلدان . وقد وصف ذلك احد اليابانيين المعاصرين قال ما ترجمتهُ

"جاءنا رجل اميركي اسمهُ بري مدعيًا انهُ موفد من قبل الولايات المتحدة الاميركية ودخل الى اوراغا في ولاية سجامي باربع بوارج حربية وقال ان معهُ كتابًا من بلادهِ مرسلاً الى اليابان ويريد ان يسلمهُ الى ملكنا بيدهِ ولما بلغ والي الولاية ذلك اضطرب وذهب بنفسهِ ليسمع ما يقولهُ هذا الرجل فرأى انهُ يطلب ان يسلم الكتاب الى احد الوزراء ويبين لهُ غرضهُ من زيارتهِ فارسل الوالي رسولاً الى القصر في يدو يخبر بما توقع ثم تلتهُ رسل اخرى فاضطرب الشوغن[1] ايوشي واستدعى مشيريهِ اليهِ ليستشيرهم في الامر

وقد جاءهم هذا الخبر فجأةً فادهشهم وحصروا عن الكلام في اول الامر ثم ارسلت الاوامر الى رؤساء القبائل ليحفظوا الثغور مخافة ان تهاجمها سفن البرابرة . وأرسل احد

---

(١) الشوغن قائد الجيش العام في بلاد اليابان وقد عظم شأنهُ حتى كاد يكون مستقلاً بالامر والنهي

العلماء الصينيين الى اوراغا فقابل الرسول الاميركي وعاد ومعهُ الكتاب الذي اتى بهِ وفيهِ تُعرب الولايات المتحدة عن رغبتها في ربط رُبط الصداقة والتجارة مع اليابان سلماً او حرباً

" فاضطرب الشوغن من جراء ذلك وعقد مجلسهُ واستشار امراءهُ في ذلك فاقاموا يتذاكرون النهار كلهُ وليلتهُ · وأُخبر اعيان المدينة انهُ يباح لهم ان يبدوا ما يرونهُ من الآراء في هذا الشان فاختلفت آراؤهم جدًّا حتى لم يقروا على قرار

" وكان الجنود قد اهملوا صناعة الحرب وعكفوا على الملاهي والملاذ ومضت سنون كثيرة من غير ان يتقلد احد سلاحهُ ولذلك قلقوا اشد القلق لما بلغهم ان الحرب قد نشبت حالاً وجعلوا يفتشون عن اسلحتهم واضطربت مدينة يدو كلها والقرى المجاورة لها حتى اضطرَّ الحكام ان ينشروا المنشورات لتسكين الاهالي · هذا كلهُ والرسول يلحُّ في طلب الجواب "

واتفق ان الكومودور بري وصل الى بلاد يابان وهي في اشد ازمة من تاريخها فان الجنود او الفريق الحربي من الاهالي كان قد قبض على ازمة الحكومة منذ سنة ١١٩٢ للميلاد ولم يكن الشوغن سوى قائد للجيش يعينهُ الميكادو فصارت ادارة البلاد في يدهِ وصار صاحب الامر والنهي واصبح الميكادو ملكاً بالاسم لا بالفعل (كما صار الخلفاء العباسيون في آخر عهدهم) وبقي لهُ المقام الرفيع ولكنهُ كان في الحقيقة اسيرًا في قصرهِ في كيوتو · وكانت البلاد مقسومة الى امارات يتولاها امراؤُها وكل امارة مستقلة عن غيرها وعن البلاد كلها في جنديتها وماليتها وقوانينها وكان هولاء الامراء مستبدين يظلمون الرعية ويمتهنونها ويدسون الدسائس بعضهم لبعض الاَّ ان كثيرين منهم كانوا يكرمون ارباب العلوم والفنون ويجلُّون قدرهم فصارت قصورهم محط رحال العلماء ومنها نشأَت الثورة التي ثارتها البلاد على الشوغن

وسنة ١٧١٥ اتمَّ الامير ميتو كتابةُ تاريخ اليابان فانتشرت نسخهُ في البلاد وفيهِ وصف مسهب لما حلَّ بسلطة الميكادو من الضعف واغتصاب الشوغن لمقاليد الاحكام فلما اطَّلع عليهِ الناس زاد نفورهم من الشوغن وكان ذلك اكبر باعث لهم على نزع السلطة من يدهِ وارجاعها الى الميكادو

وتلا هذا التاريخ تاريخ آخر ألَّفهُ المؤرخ راي سانيو من كبار الكتاب والشعراء حمل فيهِ على الشوغن وابان ظلمهُ في اغتصابهِ مقاليد الاحكام من اربابها وعزَّز اقوالهُ بالادلة التاريخية والمنطقية وتتبع تاريخ اليابان الى مبداهِ وتاريخ الاسرة الملكية ونسب كلَّ ما حلَّ بالبلاد من الاوهن الى نزع السلطة من يد الميكادو وانتشر هذا الكتاب حالاً واقبل الناس على قراءتهِ فاقنعتهم ادلتهُ وقوي بهِ حزب الميكادو · وكان كهنة شنتو يحسبونهُ معبوداً لهم ومصدراً لكل

الفضائل وكانت ديانتهم قد تولاَّها الخمول منذ عهد طويل فانتعشت حينئذٍ وهبَّ اصحابها لنصرة الميكادو وهم الفريق الاكبر من الاهلين لانها ديانة البلاد وطلبوا رد السلطة اليهِ

ووقعت البلاد حينئذٍ بين نارين نار الوعيد والتهديد من الاسطول الاميركي ونار الثورة الداخلية . لكن شعور الامة رجح على الثورة واقنعها بانهُ لا بدَّ لها من الاتحاد لكي تقوى على مقاومة العدو الخارجي الذي تطاول عليها . وزاد غيظها وزادت انفتها لما علمت ان الشوغن وافق الاجانب وامضى المعاهدة التي طلبوا منهُ امضاءها رغماً عن تحذير الميكادو لهُ ان لا يفعل . وقد امضاها خوفاً من الاجانب ففتح البلاد لهم وصار همُّ الاهلين حينئذٍ هل يسمحون للاجانب بالاقامة في بلادهم او يستأصلون شأفتهم منها . ورأى جمهورهم ان لا بدَّ من طرد كل اجنبي فوقف الشوغن عندهم موقفاً حرجاً لانهُ امضى تلك المعاهدة رغماً عن الميكادو . ونشر الميكادو حينئذٍ امرًا ملكيًّا قال فيهِ " ان مصادقة الاجانب ومعاملتهم جلبتا العار على البلاد فيحسن بمدينة كيوتو ومدينة يدو ان تتحدا وتحاربا حروب المملكة " وشاع هذا المنشور في البلاد كلها ودوت لهُ من اقصاها الى اقصاها وصرخ السكان قائلين ابطلوا الشوغنية وردوا الميكادو الى عرشهِ

وزاد حقد اليابانيين على الاجانب فقتلوهم من غير سبب واطلقوا المدافع من الثغور على السفن الاجنبية فدعا ذلك الى اطلاق القنابل على كوجوشيما في ١١ اغسطس سنة ١٨٦٣ وشيمونوسكي في ٥ سبتمبر سنة ١٨٦٤ . وحاول اليابانيون الدفاع فرأَوا ان مدافعهم دون مدافع خصومهم فقالوا لا بدَّ لنا اذًا من مدافع مثلها لكي نستطيع محاربتهم . وكتب الميكادو الى الشوغن يقول

" عقدت مجلساً بالامس مع مشيريَّ فوجدت ان سني السلم التي مرَّت علينا جعلتنا غير قادرين على اذلال اعدائنا بالسلاح واذا قابلنا بين بوارجنا ومدافعنا وبوارج البرابرة ومدافعهم وجدنا ان ما عندنا لا يكفي لارهاب اعدائنا البرابرة ولا لتمجيد اسم اليابان في البلدان الاجنبية وانما نجعل انفسنا هزءًا في عيونهم اذا قاومناهم بها "

ولم تكن الخسارة كبيرة من اطلاق المدافع على تينك المدينتين ولكن اليابانيين استعظموها ولم يستخفوا بها لانهم رأَوا فيها اذلالاً لهم ودوساً لاستقلالهم فرأَوا ان زمن الانقسام والعزلة قد مضى وانهُ لا بدَّ لهم من الاتحاد داخلاً والاختلاط بغيرهم من الامم خارجاً . وقد كتب الاستاذ توبوكيشي ايناغا في هذا الصدد ما ترجمتهُ

" ان اطلاق المدافع على مدننا ارانا ان لا بدَّ من اتحادنا لكي نقابل الاجانب بالقوة

سواء رحبنا بهم او اقصيناهم عنّا وهذا يستدعي تغييرًا عظيماً في نظام البلاد الداخلي فيجب ان ترد الاموال الاميرية كلها الى خزينة واحدة وتحسب للامة وان تقوّض اركان الحكومة الاقطاعية من البلاد ولا يعترف الاَّ بحاكم واحد لها اليهِ المرجع في كل الامور . وقد دعا ذلك الى تنظيم الحكومة الذي تمَّ سنة ١٨٦٨ فكان لاطلاق المدافع على كاجوشي وشيمونوسكي يد في هذا التنظيم لان التهديد والوعيد اوجبا الاستعانة بالامة كلها والاستعانة بها دعت الى مشورتها والوقوف على رأيها بعد لم شعثها فعقدت مجالس الشورى واجتمع فيها الامراء والرؤساء والوجهاء للنظر في دفع العدو عن البلاد "

ولما رأى الشوغن ان الاتحاد وردَّ السلطة الى الميكادو لازمان لحفظ استقلال البلاد عمل عملاً لا مثيل لهُ في تاريخ الامم فتغاضى عن مصلحة نفسهِ ومجد اسلافهِ الذين حكموا البلاد منذ مئات من السنين وقال ان المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة فاستعفى من منصبهِ في التاسع عشر من شهر نوفمبر سنة ١٨٦٧ ونشر منشورًا يُعدُّ مثالاً للغيرة الوطنية قال فيهِ

" لقد رأينا لدى امعان النظر في الشؤون المختلفة التي تقلبت عليها السلطنة انهُ لما انحطت سلطة الملوك انتقلت القوة الى ايدي الوزراء ثم انتقلت منها سنة ١١٥٦ الى ايدي الجنود. ولقد نال سلفي الاول من الثقة ما لم ينلهُ قائد قبلهُ وجرى خلفاؤهُ بعدهُ في خطتهِ اكثر من مئتي سنة وقد سرت انا في خطتهم ولكن مصالح البلاد لم تقُم ولم توفَ الاحكام حقها ولذلك فاني اعترف بالاتضاع التام ان قصوري سبَّب المشاكل الحاضرة . ثم ان معاملاتنا مع الاجانب اتسعت رغماً عنا ولا يسعنا ان يكون لنا سلطة عليها ما لم نستعن بقوة البلاد كلها. فاذا تغير النظام القديم ورُدَّت السلطة الى المجلس السلطاني وجُمع رجال الشورى من البلاد كلهم واعتمدت الحكومة على مشورتهم واذا اتحدنا كلنا قلباً وقالباً لحماية بلادنا امكننا ان نجاري امم الارض. وهذا يشمل كل ما يجب علينا نحو بلادنا "

وهذا الاعلان الصريح يوافق ما قالهُ الشوغن للسر هنري باركس ولسفير فرنسا وهو

" لقد ثبت لي منذ الخريف الماضي ان البلاد لا تفلح ما دامت السلطة مقسومة بيني وبين الامبراطور (امبراطور اليابان او الميكادو) لذلك اعلنتُ اني تنازلت عما لي من السلطة رغبةً في خير البلاد على شرط ان يجتمع مجلس الوجهاء ويحكم كيف تدار شؤون البلاد في المستقبل ومن يديرها . وبفعلي هذا اغضيت عن مصلحتي الخصوصية وتركتُ السلطة التي تسلمتها من اسلافي في سبيل المصلحة العمومية فخرجت من ميدان النزاع بدلاً من ان اقاوم

القوة بالقوة · اما مَن هو ملك اليابان الحقيقي فهذه مسألة لا يختلف فيها اثنان من اليابانيين لان الامبراطور هو الملك الحقيقي

ولقد كان غرضي من اول الامر ان اجري حسب مشيئة الشعب فاذا شاء ان اتنازل عن حقوقي فانا اتنازل عنها رغبة في خير بلادي وليس لي غرض غير هذا وهو ان اتنازل عن حقوقي الموروثة من اسلافي بشرط ان يجتمع وجوه البلاد وعظماؤُها ويبحثوا في الامر بحثاً خالياً من الغرض ويعمل برأي الاكثرية في اصلاح الحكومة والدستور"

فقضي الامر وفُصل الخلاف بين الميكادو والشوغن لا بحرب اهلية تمزق البلاد وتزيل ما فيها من الرمق بل بحب الوطن الذي يدعو الى تضحية المصلحة الخصوصية في سبيل المصلحة الوطنية

فقبل الميكادو استعفاء الشوغن واقام الوزراء وقلدهم شؤُون الدولة فكان اول شيءٍ فعلوه ان رفعوا اليهِ عريضة يقولون فيها

" اننا نخشى ان نكون سائرين في خطة الصينيين الذين توهموا انهم الشعب الوحيد الذي يستحق الاكرام وان الاجانب كلهم لا يستحقون الاَّ الاحتقار فتغلب الاجانب عليهم واذلوهم

" ويظهر لنا بعد امعان النظر انهُ يجب علينا كلنا رفيعنا ووضيعنا ان نتحد في فهم مطالب هذا العصر وفي وجوب العمل بما يصلح البلاد

" لقد كانت بلادنا حتى الآن منعزلة عن سائر البلدان وجاهلة ما في العالم من القوى ولم يكن لنا غرض الاَّ تجنب المشاق التي تنشأُ عن امتزاجنا بغيرنا فكنا نزيد تأخرًا يوماً بعد يوم حتى صرنا في خطر من ان تتسلط علينا دولة اجنبية

" ولكن اذا مضينا الى البلدان الاجنبية ونظرنا الى ما فيها من الفوائد وقابلنا تقدمها المستمر · ونظام حكوماتها الجاري بحسب مقتضيات العقل · وكفاءة جنودها وسائر قواها الحربية · وكثرة الاقوات لشعوبها اذا قابلنا ذلك بما في بلادنا اتضحت لنا جليًّا اسباب التقدم والتأخر

" ولا بد لنا من طرح التعصب الذي كان متسلطاً علينا حتى الآن اذا اردنا ان نردَّ مملكتنا الى مجدها السابق ونرفع مقامها في عيون الاجانب

" ونرجو ان يفتح رجال بلاطكم عيونهم ويتحدوا مع الذين دونهم ويتفقوا معهم على ما بهِ مصلحة المملكة ويستعينوا بالاجانب في ما هم ادرى منا بهِ فتتوطد اركان مملكتنا ابد الدهر·

ولنطرحنّ جهلنا السابق الذي كان يحملنا على تلقيب الاجانب بالكلاب والجداء والبرابرة ونصلحنّ رسوم البلاط التي اقتبسناها من الصينيين فنسمح لسفراء الدول بدخوله حسب الرسوم المتبعة في بلادهم . وليُعلَنّ ذلك في المملكة كلها حتى يعلم العامة كيف ينظرون الى هذه الامور . هذا ما نتوسل به نعرضهُ بالاحترام والاتضاع »

ولقد كان من حظ اليابان ان الميكادو نفسهُ رأى الحاجة ماسَّة الى الاصلاح . ولو كان متوسط المدارك او لم يحط به رجال واسعو الخبرة بعيدو النظر في العواقب لكان اكتفى باسترجاع السلطة التي فقدها اسلافهُ منذ قرون كثيرة وظلَّ الى الآن مستقلاً مستبدًا او لاكتفى بتحصين بلاده حتى تعود الى العزلة التي الفها شعبها وتطرد الاجانب منها . ولكن كان من حظ اليابان ان ملكها هتسو هيتو وافق المصلحين قلباً وقالباً واقسم امام رجاله في السابع عشر من شهر ابريل سنة ١٨٦٩ انهُ يفعل الامور الخمسة التالية وهي

اولاً ان تنشأ في البلاد جمعية عمومية ويكون الحكم في الامور حسب الرأي العام

ثانياً ان تدرَّس مبادئ العلوم الاجتماعية والادارية يدرسها الشعب كلهُ خاصتهُ وعامتهُ

ثالثاً ان يُسهل لكل احد ان يعمل كل ما هو صالح وجائز

رابعاً ان تلغى كل الرسوم والشعائر القديمة التي لا تنطبق على قوانين العقل ويجرى في ادارة البلاد على حسب النواميس الطبيعيَّة والاجتماعيَّة

خامساً ان يفتَّش عن العلم والحكمة في كل اقطار المسكونة لكي يُقتبسا ويجعلا اساساً لبناء السلطنة

فوقف موقف المصلح واقسم ان يسير بامته في اوسع طرق الاصلاح وبرَّ في قسمه ومن ثم جعلت الامة كلها تتسابق الى الاصلاح المطلوب وتتنافس فيه وغرضها كلها واحد — توحيد السلطة وترقية المملكة

والناظر في احوال اليابان حينئذٍ يرى فيها شوغناً تخلَّى عن منصبه الرفيع وتنازل عن حقوقه الموروثة وسلَّم مقاليد البلاد للميكادو . ويرى الميكادو ترك تقاليد آبائه واجداده وتنازل عن عرش التأله الذي كانت رعيتهُ تحلهُ فيه وعن الحكم المطلق الذي كان لاسلافه . والامران على عظمهما لا يستحيلان لانهما متوقفان على ارادة رجلين ولكن النظام الاقطاعي كان راسخاً في البلاد كلها فكانت اقساماً كثيرة وعلى كل قسم منها امير او رئيس مستقل باعوانه وجنوده فهل كان في الامكان نزع السلطنة من ايدي هؤلاء الامراء والرؤساء وتوحيدها في شخص الميكادو ومجلس الامة . لكن ما تقدَّم من حب اليابانيين لوطنهم سهَّل عليهم كل عسير فقام

داميو اكدزوكي رئيس الكوجيشو (اي مجلس رؤساء القبائل) ورفع خطاباً الى الميكادو قال فيهِ

"لقد استخدم الامراء بلادهم ورجالهم لاغراضهم واختلفت الشرائع والقوانين التي يسوسون اقطاعاتهم بها حسب اختلافهم

"ولقد مثّلوا سياج الدولة وهم سبب انقسامها وانحطاطها فكيف تجاري بلادنا الصغيرة سائر البلدان التي وراء البحر وكيف تفلح وتنجح

"من كان منا اميناً لبلادهِ محباً لوطنهِ ساعياً في رفع شأنهِ وتعزيز اركانهِ فليفعل ما يأتي

(١) يرد الى الامبراطور الاقطاعة التي اخذها ويعود عضواً في بلاد دستورية غير منقسمة

(٢) يترك القابهُ كلها ويكتفي بلقب كوازوكو (وجيه) وبعقار يقوم بمعيشتهِ

(٣) يترك ضباط جنود القبائل القابهم ويسمون انفسهم ضباط الامبراطور فتعطى لهم رواتب توازي املاكهم

ليُعمل بهذه الامور الثلاثة فتقوم دعائم السلطنة على اسس راسخة"

فجعل الامراء والرؤساء يتبارون في نزع القابهم وتسليم املاكهم واموالهم للميكادو وكان عدد هؤلاء الامراء والرؤساء ٢٥٨ فتنازلوا كلهم عن املاكهم وكانت واسعة كثيرة الريع حتى ان املاك ١١٨ منهم بلغ ريعها السنوي من الارز ما يساوي ٢٤ مليوناً من الجنيهات فمتوسط دخل كل واحد منهم مئتا الف جنيه في السنة . وفي التاسع والعشرين من اغسطس سنة ١٨٧١ صدر امر ملكي يقال فيهِ "أُلغي النظام الاقطاعي وأُقيم بدلاً منهُ ولاة لحفظ الامن"

وكان الجنود ورؤساؤهم يتقاضون ما يساوي مليوني جنيه كل سنة فتنازلوا عنها واكتفوا بمعاش طفيف يسد الرمق واضطرت الحكومة الجديدة ان تستدين من شعبها اربعين مليوناً من الجنيهات لكي يعطى منها المعاشات والرواتب للامراء والرؤساء والجنود الذين تنازلوا عن كل ممتلكاتهم . وتُوّج هذا الانقلاب العظيم بالدستور الذي منحهُ الميكادو لبلادهِ سنة ١٨٨١ واوجب العمل بهِ من سنة ١٨٩٠ . وسنعود الى تفصيل ذلك في فرصة أُخرى

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المرأة في كوريا

ان ما يعلَم عن نساء كوريا اقل مما يعلم عن المرأة في كل بلاد أُخرى ولا غرابة في ذلك لانهُ لم يضيَّق الحجاب عليها في بلد من البلدان كما ضُيّق في تلك البلاد فلا يراها احد من الذكور غير زوجها . وكل ما يُعلم من امرها الآن منقول عن امرأة يابانية دخلت حرم النساء في كوريا ووصفت احوال معيشتهنَّ فيهِ

ويستنتج مما كتبتهُ انهُ اذا حانت ولادة المرأة اعتنى بها زوجها اعتناء خاصًّا وربط حبلاً على باب بيتهِ فاذا ولد لهُ ذكر ربط بالحبل ورقة وفحمة واذا وُلد لهُ انثى لم يربط بهِ شيئًا

ولا تُعَد البنات بين الاولاد فاذا سئل رجل عن عدد اولادهِ عدَّ الذكور منهم ولم يعد الاناث ولعلَّ تخصيص الولد في القطر المصري بالذكر دون الانثى ناتج عن عادة مثل هذه لان العربية لا تقتضي ذلك ولا هو كذلك في بلاد الشام حيث يُطلَق الولد على الذكر والانثى كما في اللغة

ويكون للبنت اسم خاص بها في كوريا الى ان تبلغ السابعة من عمرها فيلغى وتصير تسمَّى باسم ابيها او اخيها او زوجها فيقال ابنة فلان او اخت فلان او زوجة فلان

ويعلَّم البنات والصبيان في مدرسة واحدة الى ان يبلغوا الثامنة من العمر فيُفصَل بينهم ويتوسَّع في تعليم الصبيان فيعلَّمون العلوم اللازمة لما سيتعاطونهُ من الاعمال واما البنات فيقتصر على تعليمهنَّ بعض القواعد الادبية والرسوم الدينية اللازمة في عبادة الاسلاف واذا كنَّ من الفقراء اقتصر على تعليمهنَّ الخياطة والحبك وسائر اشغال الابرة . ونساء الفقراء بارعات في ذلك كما يظهر مما في ثياب اليابانيين من التطريز

والابيض علامة الحداد عند اليابانيين فاذا مات لهم قريب لبسوا البياض عليهِ ثلاث سنوات متوالية وكذلك اذا مات ملكهم واتفق ان مات ثلاثة من ملوكهم في عشر سنوات فاضطروا ان يلبسوا البياض مدة السنوات العشر فصاروا يقتصرون عليهِ اقتصادًا في النفقة

والنساء يخطنَ الثياب ويفتقنها كلما اردنَ غسلها ثم يخطنها ثانيةً وهي من الحرير فيخيطنها بالخايط حين غسلها لكي يظهر لمعانها

والذكر يبلغ قبل الانثى في كوريا وهذا من الغرائب . ولذلك تكون المرأة اكبر من زوجها سنًّا

ويجرون في الزيجة على هذه الطريقة . اذا اختار الشاب فتاة ليتزوج بها ارسل يخطبها الى ابيها كتابةً بيد رجل من اصدقائهِ فاذا قُبل طلبهُ جاءهُ الجواب كتابة واتفق الفريقان على تعيين يوم العرس بحساب الطوالع فيحسبون طالع الزوج وطالع الزوجة من ساعتي ميلاديهما ويستخرجون اليوم الذي يصلح ان يقترنا فيهِ

وفي اليوم المعين يحتفل في بيت ابي العروس ويأتي العريس اليهِ راكبًا مع والدهِ وينزل عند مدخل البيت ويمشي ووجههُ متجه الى الشمال حيث يراد اقامة الاحتفال بالعرس ويجثو هناك على ركبتيهِ ويقدم الهدية الى العروس وهي بطة برية رمزًا الى امانة الزوجة لزوجها . وحكاية ذلك عندهم ان صيادًا اصطاد مرة بطة ذكرًا فظلت الانثى تتردد على المكان الذي اصطيد فيهِ ذكرها الى ان قضت نحبها . ويتعاهد الفريقان بقولهما ان شعرنا اسود الآن كريش البط البري ولكننا سنبقى محتفظين بعهد الامانة كلٌّ منا للآخر ولو ابيضَّ وصار كجذور البصل

وتلبس العروس يومئذٍ لبس النساء الكوريات وتبيض وجهها وتزجج حاجبيها وتعصفر شفتيها وتضع في رأسها ثلاثة دبابيس عليها صور طائر الجنة من الذهب وتلبس حلة وتضع على كتفيها وشاحًا احمر وتتمنطق بمنطقة بيضاء وتلبس كفين ابيضين وجوربين ابيضين وحذاء من الحرير الاحمر او الازرق او الاخضر . وتنزل عن سلم بيت ابيها ومعها ثلاث نساء ممسكات بها وتمشي الى مكان الاحتفال ووجهها محجوب بمروحة وتلتفت الى الشرق وتنحني امام العريس فيقابلها بالانحناء . ويملأ لهما كاسان خمرًا ويقدمان لهما فيمتصُّ كلٌّ منهما مصةً من كاسهِ فيتم عقد الزيجة . ثم يدعى العريس وابوهُ الى وليمة يولمها لهما ابو العروس وذووهُ ويعود العريس الى بيتهِ ولا ترسل اليهِ العروس الاَّ في يوم آخر من الشهر يوافق طالعهُ يوم الاقتران وتُحجَب من ذلك اليوم فلا يعود يراها رجل الاَّ زوجها

وكانت العادة ان تقفل الابواب في المساء ولا سيما في سيول ويدخل الرجال بيوتهم ولا يعودون يخرجون منها الاَّ في الصباح لان نساء الاغنياء كنَّ يخرجن ليلاً ويزرنَ بعضهن بعضًا لكن لما ضعفت الاحكام صار اللصوص يترصدون النساء ويسلبونهنَّ حلاهنَّ فلم يعدنَ يخرجن ليلاً . والآن يخرج بعض النساء ليلاً مع رجالهنَّ وهنَّ محجبات تمام التحجب .

ونساء الفقراء يخرجن في النهار ايضاً بعض الاحيان ولكنهنَّ يكنَّ متحجبات ايضاً . انتهى مقتطفاً من مقالة في مجلة القرن التاسع عشر وما بعده

هذا وبلاد كوريا من اشد البلدان خصباً واوفرها غنى بالمعادن واكثرها مرافئ امينة للسفن وسكانها اصحاء الابدان . وقد قال الذين وقفوا على احوالها ان لتأخرها سببين لا اكثر حالة المرأة فيها وحالة الصناعة . ولا تفلح بلاد والمرأة والصناعة محتقرتان فيها مهما كان غناها الطبيعي وافراً

المرأة في استراليا

رأينا بعد كتابة ما تقدم عن حال المرأة في بلاد كوريا مقالة للسيدة ڤيدا جلدستين احدى زعيمات النساء في استراليا (البلاد التي عمرها الانكليز بالامس ففاقت بلدان الارض عمراناً على قلة سكانها) وصفت فيها قيام النساء في تلك البلاد وطلبهنَّ الحق في انتخاب النواب وانتخابهنَّ نواباً عن الشعب مع الرجال وقالت ان الغرض من وجود النواب في مجلس الامة المدافعة عن الحقوق والمصالح كل نائب يدافع عن حقوق منتخبيهِ ومصالحهم لئلا تضيع مع مصالح غيرهم ويشترط ان يكون النائب عارفاً بهذه المصالح حتى يدافع عنها والاولاد نصف الشعب والنساء نصف النصف الآخر ولا يعلم مصالحهم ومصالحهنَّ غير النساء ولذلك يجب ان يكون من النساء نواب في مجلس النواب لكي يدافعن عن مصالح النساء والاولاد . وقد زادت على ذلك فقالت ان الرجل الذي يعجز عن تنظيم بيتهِ لا ينتظر منهُ ان ينظم بيت الامة التنظيم الواجب فلو دخلت النساء مجالس النواب لانتظمت امورها وامور البلاد كلها . انظر ما يفعلهُ الرجل في بيتهِ ومكتبهِ فانهُ يخرج من الحمَّام والماء فيهِ الى الكاحل ويرمي ثيابهُ في غرفتهِ كيفما اتفق ويترك المواسي والواح الصابون والشعر المحلوق والمناشف في غير اماكنها وتجد الاوراق والاقلام والمحابر على مكتبهِ مختلطة اختلاط الحابل بالنابل لا نظام ولا ترتيب فهو كذلك في بيتهِ ومكتبهِ وهو كذلك في ادارة الحكومة يهتم بالكبائر ويترك الصغائر ولا تستقيم اموره ما لم تتبعهُ زوجتهُ وترتب لهُ ما شوشهُ . وهي تستطيع ان تفعل ذلك في شؤون الحكومة اذ أُبيح لها الدخول مع الرجل فيها وتفعل ما هو اعظم منهُ لانها تربي اولادها على تنظيم امور الحكومة وسياسة البلاد

ويظهر لنا مما كتبتهُ هذه السيدة ومما نطالعهُ يوماً بعد يوم في مجلات النساء الاميركيات انهُ رسخ في عقول النساء ان المرأة التي تستطيع ان تدير مهام البيت لا يصعب عليها ان تدير

مهام المملكة وان الرجل الذي يعجز عن ادارة مهام بيتهِ لا يُنتَظر منهُ ان يدير مهام مملكة . وهنَّ يجاهرن بذلك الآن ولا يمنع نجاحهنَّ الاَّ كونهنَّ غير مجمعات عليهِ فان المرأة شديدة الغيرة فيصعب عليها ان تسلم قيادها لاختها او لجارتها ويستحيل ان يكون النساء كلهنَّ منتخبات ونائبات ويصعب عليهن ان يتنازلن بعضهنَّ للبعض الآخر عن هذا الحق . لكن الكاتبة المشار اليها آنفاً تظن ان ذلك لا يطول ولا يمضي وقت طويل حتى تصير المرأة تتساهل لاختها وتفضل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وكذلك يرى بعض النساء ان في خدمة البلاد مشقة كبيرة فيحجمن عنها تخلصاً منها وتفضيلاً للراحة على التعب ولكن اذا قامت بينهنَّ امرأة وبينت بالحجج والادلة ان مصلحة البلاد تقتضي خدمتهنَّ لها سلمن بذلك

وأريد انتخاب الكاتبة لمجلس النواب الاسترالي وكان المرشحون للانتخاب ثمانية عشر والاصوات اللازمة للانتخاب ٨٥٣٨٧ صوتاً فنالت ٥١٤٩٧ صوتاً وزادت اصواتها على اصوات رجل كان وزيراً وعلى اصوات رجل آخر كان قاضياً مدة ٢٦ سنة فان الاول نال ٢٤٣٢٧ صوتاً والثاني ٣٢٤٣٦ صوتاً

والبلدان الثلاث التي تعطي حق الانتخاب للنساء وهي اميركا (الولايات المتحدة) واستراليا وزيلندا الجديدة قد فاقت سائر البلدان ولا عجب اذا رأى ابناء هذا القرن نصف النوَّاب في مجالس النواب من النساء. هذا في البلدان التي اراد الله السبق لها اما البلدان التي لم يرِد لها الاَّ الخراب فتبقى نساؤُها داخل الحجاب

لعب الاولاد

اللعب لازم للاولاد لتسليتهم وتقوية ابدانهم . وقد تقوّي الالعاب عقولهم كما تقوي ابدانهم فيباح لهم الوثب والركض والصراخ وكل ما يقوي اعضاء الجسم الظاهرة والباطنة كما يباح لهم ان يلعبوا الالعاب التي تمرّن قواهم العقلية وتروضها وتدربهم على تحكيم الحركات كالرماية واللعب بالكعاب والاكر والدوَّامات . ولكن قد لا يقتصر والدوهم واقاربهم على اعطائهم هذه اللعب بل يعطونهم لعباً اخرى تقلق السكان بصوتها كالطبول والزمور وما اشبه ويسرُّ الولد بها لانهُ يسر بكل ما صوتهُ جهوري ولكنهُ لا يستفيد منها غير اعتياد الاصوات المزعجة واحتقار راحة الناس فحذار من اعطاء الولد لعبةً تندم بعد قليل على اعطائهِ اياها . ومن هذا القبيل ما قد يأول الى جرح يديهِ وحرق ثيابهِ كالسكاكين والالعاب النارية . اما الالعاب التي تقتضي حركةً كثيرة فكلها مسلٍ وكلها نافع

تعليم البنات في اميركا

في الولايات المتحدة الاميركية ٣٣٥ مدرسة كلية حيث يتعلم الفتيان والفتيات معاً وفيها ١٥٠ مدرسة كلية للبنات خاصة و٢٢ الف بنت يتعلمن في المدارس الصناعية و١٥ الف بنت في المدارس الكلية . الا ان البنات الاميركيات تطرفن جداً في تشبههن بالصبيان ويقول الباحثون في امرهن ان هذا التشبه لا يعود بالنفع على البلاد بنوع عام . وكذلك انتظام البنات في سلك العمال في المعامل لم يأتِ بالفائدة المطلوبة بل اتى بالضرر لانهُ رخص اجور العمال وازال الانتظام من المعامل فان الفتاة اذا تزوجت تركت العمل حالاً كما هو جارٍ في مدارس البنات في هذا القطر فقد اتفق ان بعض المعلمات اللواتي أُتي بهن من بلاد الانكليز للتعليم في مدارس الحكومة خُطبنَ على الطريق فتركن صناعة التعليم . وكل تعليم يقصد بهِ صرف المرأة عن ادارة البيت وولادة الاولاد لا يفيد البلاد بل يضرها ويأول الى انقراض النسل

اختراع القصص

يأتيك الولد احياناً بقصةٍ غريبة يقصها عن اترابهِ من اولاد المدرسة اذا بحثت عنها وجدتها مختلقة من اولها الى آخرها او وجدتَ الصدق فيها حبةً والكذب قبةً فاذا أُهمل امر ذلك الولد شبَّ على الكذب واختراع الاكاذيب وحب التلفيق ولاسيما اذا كان ابنةً فعلى الوالدة ان تنتبه لكل خبر يخبرها بهِ اولادها وكل قصة يقصونها عليها حتى اذا كان في كلامهم اقل كذب او اختلاق او مبالغة نهتهم عنهُ وبيّنت لهم ضررهُ . ولا تفلح في ذلك اذا نهتهم عن خلُق وفيها ضدهُ فيجب عليها ان تحترس من ان يكون في كلامها شيء مما تنهاهم عنهُ والاَّ اهملوا وصاياها وشبُّوا على الاختلاق ولا يكفي ان تنهاهم عن اختلاق الاخبار والمبالغة فيها بل يجب ان تنهاهم ايضاً عن ذكر عيوب الناس والاشارة اليها فانك اذا لم تستطع ان تصلح عيب غيرك فلا تضرهُ بتشهيرهِ وحسبك ان ترى ذلك العيب وتبتعد عن مثلهِ

قدوة الوالدين

كثيراً ما تجد والداً يبذل الجهد في الكسب والتقتير على نفسهِ لكي يجمع لاولادهِ ثروةً طائلة . يحرم نفسهُ كل لذة ويعيش في الفقر لكي يغني اولادهُ وفي التعب لكي يريحهم ومع ذلك تراهم لا يكرمونهُ ولا يحبونهُ بل يتوقعون يوم وفاتهِ حتى يرثوا الاموال التي جمعها لهم . وقد

بلغ العقوق من بعضهم ان قتلوا والدهم حتى يرثوا امواله باسرع ما يمكن . فهل ذلك لفساد في طباع الاولاد ولؤم في اخلاقهم او هو ناتج عن خطإ ارتكبهُ والدهم . الغالب ان يكون الثاني هو السبب لا الاول لان الرجل الذي يسهل عليهِ ان يحرم نفسهُ كلَّ ملذة لاجل اولادهِ لا ينتظر ان يورث اولادهُ خلق الاثرة . اما الخطأُ فعلاقتهُ بالنتيجة التي نتجت اقرب لان الوالد قد يضحي نفسهُ لاجل اولادهِ ولا يعيش لهم اي انهُ يعيش امامهم عيشة الطمع والاعتداء على حقوق الغير ومحاولة الكسب بطرق غير محللة ولا يعيش عيشة الفضيلة والانصاف والترفع عن الدنايا فلا عجب اذا اقتبسوا الاخلاق الدنيئة منهُ وحسبوا وجودهُ حائلاً بينهم وبين المال الذي جمعهُ لهم . والد مثل هذا لا يلومنَّ الاَّ نفسهُ اذا رأى العقوق من اولادهِ

وما يطلق على الوالد يُطلق على الوالدة ايضاً فانها اذا رأت من اولادها غير ما تريدهُ فيهم فلتفتش عن ذلك في اخلاقها وفي اسلوب تربيتها لهم تجد ان العلَّة الكبرى منها لا منهم فاذا اصلحت نفسها وكانت خير قدوة لهم اقتدوا بها وصاروا كما تريد



زرعة القطن المصري في اميركا

ذكرنا غير مرة ان الحكومة الاميركية اهتمت باخذ تقاوي القطن من هذا القطر وزرعها في بلادها فنبت القطن فيها ولكنهُ جاء دون ما هو عليهِ في القطر المصري من حيث مقدار المحصول وجودة القطن . لكن الاميركيين لم يقنطوا بل اعادوا التجارب مراراً وقد وقفنا الآن على خلاصة هذه التجارب وجاء فيها ما تعريبهُ " ان القطن المصري يشبه قطن السي ايلند من اكثر الوجوه ويفرق عنهُ في ان شعرتهُ اخشن من شعرة السي ايلند واكثر منها تجعداً . واجود التقاوي التي أُتي بها من القطر المصري وزرعت في اميركا نتج منها في السنة الاولى اشجار عالية جداً قليلة اللوز وقد جرب ذلك في تقاوي الاشموني والعباسي والميت عفيف وغوردون باشا واليونوفتش والستام فكانت النتيجة غير مرضية مطلقاً ورسخ في اذهان المزارعين ان القطن المصري لا يجود في اميركا

وقد زرع الكاتب بعض الاشجار من القطن الاشموني سنة ١٨٩٩ فكبرت كثيرًا وتفرّعت ولكنها لم تحمل الاّ قليلاً من اللوز وصارت شعرتها منبسطة قليلة التجعُّد وزادت بياضاً فاختار الاشجار الكثيرة اللوز ونظنها اشبه بقطن الاشموني واخذ التقاوي منها وزرعها سنة ١٩٠٠ وفعل مثل ذلك سنة ١٩٠١ و ١٩٠٢ فبلغت غلة الفدان في السنة الاخيرة ٤٧٩ رطلاً من القطن الشعر وكانت شعرة هذا القطن مثل شعرة القطن الاشموني تماماً واطول منها قليلاً

وزرع القطن الميت عفيف كذلك وكرّر زرعهُ وانتقاء التقاوي كما كرّر زرع الاشموني وانتقاء تقاويهِ فبلغت غلة الفدان اخيرًا من القطن الميت عفيف ٣٤٦ رطلاً فقط من القطن الشعر" انتهى

والظاهر ان هذا غاية ما وصلت اليهِ زراعة القطن المصري في اميركا . فان كان الامر كذلك فلا يجود القطن المصري هناك كما يجود في هذا القطر لان محصول الفدان يبلغ هنا ثمانية قناطير او اكثر

انواع القطن

يعرف للقطن اربعون نوعاً مختلفاً بعضها انجم صغيرة لا يزيد ارتفاعها على قدم و بعضها اشجار كبيرة يبلغ ارتفاعها عشرين قدماً وتختلف ايضاً في شكل ورقها وحجمهِ وفي شكل زهرها ولونهِ وفي طول قطنها ودقتهِ ومتانتهِ ولونهِ ولمعانهِ وتجعدهِ وخلوهِ من العقد . ومزايا القطن واضحة جدًّا حتى ان الخبير بها يعلمها من مجرد لمسهِ القطن ولو في الظلام

والقطن سلولوس صرف يشبه النشا في تركيبهِ الكيماوي وكل شعرة من شعرهِ قدَّة رقيقة ملتفة كالولب ولذلك يشتبك بعضهُ ببعض وقت غزلهِ فتكون خيوطهُ متينة

القطن السي ايلند

في الرطل من القطن الاميركي المعروف بالسي ايلند اكثر من ثلاثة عشر مليون شعرة . ولدقة هذا الشعر اذا وضعت ثماني مئة شعرة منهُ الواحدة الى جانب الاخرى لم يزد عرضها على سنتمتر واحد . وقد غزل من الرطل الواحد خيط طولهُ ١٠٢٦ ميلاً

ثمن القطن السي ايلند

بلغ ثمن القنطار من القطن السي ايلند في العام الماضي من ٥٢٧ غرشاً الى ٨٥٣ غرشاً

العلف من الكسب

لقد ثبت بالامتحان انهُ اذا مزج عَلَف المواشي بكسب بزر القطن سمنت وزاد لبنها وسمنها وكان مربو المواشي يطعمونها البزر قبل عصر الزيت منهُ اما نيئاً او محمصاً او مهبلاً او مسلوقاً ولكن لما صار الزيت يعصر من البزر صاروا يكتفون باطعام المواشي قشر البزر ولبهُ بعد عصر الزيت منهُ وهو المعروف بالكسب

لكن الكسب كثير الغذاء فلا يُطعم وحدهُ بل يمزج بغيرهِ من العلف كالدريس والتبن فاذا اريد ان تبقى الماشية على حالها فيكفي ان يضاف رطل من الكسب الى كل سبعة ارطال من قشر البزر او من الدريس واذا اريد تسمينها للذبح يضاف رطل من الكسب الى كل رطلين من الدريس او نحوهِ . والكسب يزيد لبن البقر كما يزيد دهنها

دود القطن

شاع في اواسط هذا الشهر (يوليو) ان دود القطن ظهر في بعض الزراعات في هذا القطر . والدود معروف ولكن الاطوار التي يتقلب عليها قد يجهلها بعض المزارعين فلا بأس باعادة وصفها فنقول

ان دود القطن الذي يأكل ورقهُ يتقلب على اربعة اطوار فيكون في اول امرهِ فراشاً يتزاوج ويبيض بيضهُ على اسفل الورقة من ورق القطن والبيض صغير جداً كحبوب الرمل والغالب ان يكون مجموعاً كلهُ معاً وقد يكون بعضهُ متفرقاً ويكون معهُ مادة شعرية رمادية ويخرج من هذا البيض دود صغير اسود طول الدودة منهُ حين خروجها من البيضة نحو مليمترين او اقل وحينما يخرج هذا الدود من البيض يشرع يأكل المادة الخضراء من الورقة ويكبر سريعاً ومتى كبر يصير ينزل عن الشجرة وقت حر الظهيرة ويغور في التراب هرباً من الحر ومتى بلغ اشدهُ يستحيل الى زيز وهو مطمور في التراب ويصير الزيز فراشة تطير وتتزاوج وتبيض على الورق وهلمَّ جرًّا

وقد ظهر بالتجارب ان اسهل الوسائل وافعلها لاتلاف هذا الدود تنقية الورق الذي عليهِ البيض وحرقهُ واذا قصرت هذه الواسطة عن المطلوب وظهر الدود على شجر القطن فخير الوسائل لامانتهِ رش الاشجار بمسحوق اخضر باريس وهو سام جداً فالقليل منهُ يميت الدود . واهالي اميركا يضعون هذا المسحوق في كيس من الخيش ويربطونهُ بعصا طويلة ويمرون بين اشجار القطن

ويمزونهُ فوقها فيتخلل منهُ على الاشجار ما يكفي لامانة الدود الذي عليها · وقد يمزجون اخضر باريس بالجير الناعم رطلاً من الاول بستة ارطال من الثاني . واذا لم يوجد اخضر باريس فينوب عنهُ زرنيخات الرصاص يذاب الرطل منهُ بسبعين رطلاً من الماء وترش بهِ اشجار القطن بمضخة تلقيهِ على الاوراق نقطاً صغيرة جدًّا ويقال انهُ افعل من اخضر باريس

وقد يذاب اخضر باريس بالماء فيذاب الرطل منهُ بمئة وخمسين رطلاً من الماء ويضاف اليها رطلان من الجير او يمزج الرطل منهُ بمئة رطل من الماء وترش بهِ اشجار القطن رشًّا بمضخة كما تقدم

حشرات دود القطن

لا يخفى ان الحشرات تسطو احياناً على المزروعات وتكثر عليها حتى يظن انها ستتلفها كلها ولا تبقي ولا تذر ثم تزول من نفسها من غير سبب ظاهر كانها زالت بالسحر والحقيقة ان لكل شيء آفة من جنسهِ فكما تسطو الحشرات على النباتات تسطو عليها حشرات اخرى فتأكلها او تمرضها وتميتها . وقد اهتم علماء الحشرات منذ عهد غير بعيد باكتشاف الحشرات التي تسطو على دود القطن في اميركا فوجدوا بعضها وهم يربون هذه الحشرات الآن ويطلقونها في الاماكن التي ينتشر فيها دود القطن فتفتك بهِ ويقال انها تفتك بسبعين في المئة منهُ وكل العلاجات الكيماوية تميت ثلاثين في المئة فقط · فعسى ان تهتم الحكومة المصرية او الجمعية الزراعية بالبحث عن الحشرات التي تميت دود القطن وتربيها في هذا القطر

النباتات الشتوية

ما دام القطن يجود في اطيان القطر المصري وما دام ثمنهُ غالياً فلا باب للتفكير في زراعة اخرى غيرهُ مع ما يتعاقب الآن على الارض من المزروعات كالقمح والذرة والفول والبرسيم ولكن اذا كثر استعمال المحاريث البخارية فقل استخدام المواشي وقل زرع البرسيم واذا رخص ثمن القطن كثيرًا فلا بد من توجيه النظر الى مزروعات اخرى تزرع بها بعض الاطيان احياناً ومن ذلك المزروعات الشتوية على انواعها لانها تستعمل طعاماً ويستخرج منها النشا وسوقهُ رائجة دائماً · ومن هذه المزروعات

١ — اليام

وهو نبات في جذورهِ ثآليل كالبطاطس وهذه الثآليل كثيرة المادة النشوية وتؤكل مسلوقة او يستخرج النشا منها كما يستخرج من الاروروط · ونشاها اجود من نشا الاروروط

ويمكن تقطيع التأكيل وتجفيفها وطحنها فيكون فيها دقيق جيد . ويبلغ النشا ١٥ في المئة من التأكيل . وزراعة اليام سهلة جداً ويبلغ محصول الفدان نحو مئة قنطار كل سنة وهو مغذٍ اكثر من البطاطس

٢ — البطاطا الحلوة

وهي نبات معروف في هذا القطر يزرع في مصر حول حديقة الجيزة وتبلغ غلّة الفدان منهُ مئة قنطار او اكثر الى مئة وخمسين قنطاراً ويختلف مقدار النشا فيهِ من ٢٢ في المئة الى ٢٨ في المئة فاذا اخذنا المتوسط وهو ٢٥ في المئة وحسبنا محصول الفدان مئة قنطار فقط فيخرج من الفدان الواحد ٢٥ قنطاراً من النشا

٣ — الكسافا

الكسافا وهي نوعان الحلوة والمرَّة . والمرَّة اكثر نشاء من الحلوة فانهُ يبلغ فيها ٢٠ الى ٣٠ في المئة وقد وصفنا هذا النبات في المجلد السابع والعشرين من المقتطف صفحة ٦٠٤

٤ — القلقاس

القلقاس نبات معروف يزرع كثيراً في هذا القطر طعاماً وتبلغ غلة الفدان منهُ ثلاثين او اربعين جنيهاً ولا يكثر ارباب الزراعة من زراعتهِ لصعوبة خدمتهِ ولان مقطوعيتهُ محدودة لانهُ لا يستعمل الآ طعاماً فاذا استعمل لاستخراج النشا امكن التوسع في زراعتهِ جداً

٥ — الارورُوط

جُرّبت زراعتهُ في اراضي المدرسة الزراعية بالجيزة . واستخراج النشا منهُ سهل لكنهُ يقتضي غسلاً كثيراً وقد وصفنا كيفية زراعتهِ غير مرة

٦ — الموز

الموز نبات معروف وهو كثير النشا قبل ان ينضج ويتحول نشاهُ الى سكَّر ومنهُ نوع كبير الثمر لا يحلو كثيراً لكنهُ كثير النشا جداً وكثير الغذاء ايضاً فيبلغ مقدار النشاء فيهِ ٢٢ في المئة اذا كان طرياً و٥٣ في المئة اذا كان جافاً لكن استخراج النشا من الموز صعب لسرعة اختمارهِ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) المشروبات الروحية

السنطة . فؤاد افندي سليم

يقال ان الجعة (البيرا) ممزوجة بكمية قليلة من الافيون فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ ولا داعي لمزجها بالافيون ولا يحتمل انهم يفعلون ذلك من باب تجاري ولكن ظهر بالامتحان ان في بعض انواع البيرة قليلاً من الزرنيخ يأتيها عرضاً من الحامض الكبريتيك الذي يستعمل احياناً لتحويل سكرها

ومنهُ . هل الاكثار من شرب الجعة مضر او مفيد

ج مضرٌّ مثل الاكثار من كل شيءٍ حتى من النافع

ومنهُ . ما هي المشروبات التي يزيد ضررها على ضرر غيرها

ج ان العنصر الضار في المشروبات الروحية هو الالكحول فكلما زاد فيها زاد ضررها وهو كثير في الكنياك او البرندي والعرقي وقليل في البيرا ومتوسط في الخمر ولا فائدة منها كلها الاَّ اذا وصفها الطبيب في بعض الاحوال المرضية وضررها اكيد ولاسيما الكثيرة الالكحول منها

ومنهُ . هل الاكثار من شرب النبيذ العتيق يزيد نمو الدم كما يقولون

ج في النبيذ وفي كل الاشربة الروحية شيءٌ من الغذاء للجسم ولكن الغذاء في كاس الخمر ليس اكثر من الغذاء في لقمة الخبز وثمن الكاس اضعاف ثمن اللقمة

(٢) كثرة النوم

ومنهُ . لي صديق اذا نام استغرق في سبات عميق وتتجاوز مدة نومهِ احياناً احدى عشرة ساعة اذا سهر الى ما بعد نصف الليل فهل ذلك مضر بصحتهِ . وهل هو مصاب باحد الامراض

ج النوم الكثير لا يضرُّ بالصحة ولكنهُ يضيع الوقت على غير فائدة فضررهُ ادبي لا صحي ولا تدلُّ كثرة النوم هذه على وجود مرض غير مرض الكسل والخمول اذا صحَّ ان نسميهما مرضاً

---

(٣) الشعر والفلسفة

نيو يورك . متري افندي نجار . هل تجتمع موهبتا الشعر والفلسفة معاً اي هل يمكن ان ينبغ شخص واحد في الشعر والفلسفة في وقت واحد

ج انا لا نرى مانعاً يمنع اجتماعهما فقد كان ابو العلاء المعري شاعراً وفيلسوفاً كما يظهر من اشعاره واقواله المحفوظة

(٤) عدد الناطقين بالعربية

ومنهُ . اختلف الجغرافيون والمؤرخون في تقدير عدد الناطقين بالعربية فما هو اقرب تقدير الى الحقيقة

ج ان البلدان التي يتكلم اهاليها العربية كمراكش وبلاد العرب وبلاد السودان لا يعرف عدد سكانها فاهالي مراكش مثلاً يختلف تقديرهم بين ٤ ملايين و١٢ مليوناً واهالي بلاد العرب بين خمسة ملايين وعشرة ملايين واهالي السودان وما يليهِ بين عشرة ملايين وعشرين مليوناً ولا يعلم بالتحقيق الأَ عدد اهالي القطر المصري واهالي تونس والجزائر ولعل المتكلمين بالعربية كلهم لا يقلون عن اربعين مليوناً ولا يزيدون على ستين

(٥) اجود الصابون

ومنهُ . ما هو افضل نوع من الصابون لغسل الرأس وتليين الشعر

ج . ان اجود الصابون ما قلت فيهِ المادة القلوية ولكن من الشعر ما تكون المادة الدهنية كثيرة فيهِ ومنهُ ما تكون هذه المادة قليلة فان كانت كثيرة فلا بأس بغسلهِ بصابون كثير المادة القلوية او سائل فيهِ نشادر واذا كانت المادة الزيتية قليلة فيهِ فلا يحسن غسلهُ بصابون كثير المادة القلوية . والصابون الذي تضعهُ في فمك فتشعر بطعم حرّيف هو كثير المادة القلوية

(٦) المبرية

ومنهُ . ما افضل واسطة لازالة القشرة من الرأس

ج ان اسباب القشرة (المبرية) مختلفة اكبرها اهمال غسل الرأس وقد تحدث من استعمال الادهان المهيجة للرأس او من المشط بمشط دقيق الاسنان يؤلم الرأس وقد يكون سببها التهاب في جلدة الرأس او مرض حمي . فيجب ان لا يمشط الشعر بمشط دقيق الاسنان جدًّا واذا لم يكن السبب مرضياً فالغسل بالماء السخن والصابون يوماً بعد يوم يكفي لازالة المبرية واذا كان مرضياً يدهن الرأس بين الشعر بزيت الزيتون او زيت السمك ويترك الزيت عليهِ ١٢ ساعة حتى تلين القشرة جيدًا ويسهل نزعها ثم يغسل الرأس بالماء السخن والصابون ويغسل بعد ذلك بماء فيهِ مادة قابضة مثل الحامض التنيك . واذا عادت القشرة بعد ذلك فيبدل الصابون بمادة قلوية يفرك بها الرأس ثم يغسل وينظف جيدًا ويكرر ذلك اذا لزم الامر

(٧) عدد النساء في انكلترا

مصر . امين افندي علي . بلغنا ان عدد النساء في البلاد الانكليزية اكثر كثيرًا من عدد الرجال فهل ذلك صحيح

ج نعم ويزيد عدد الاناث على عدد الذكور في انكلترا وويلس فقط نحو مليون لكنَّ عدد الاناث اقل من عدد الذكور في المستعمرات الانكليزية ففي كندا يزيد عدد الرجال على عدد النساء تسعين الفًا وفي استراليا يزيد عددهم على عددهنَّ مئة وثمانين الفًا

(٨) رش الماء وبرودة الهواء

ومنهُ . نرى ان رش الشوارع في ايام الحر يبرد الهواء فهل يبرد الهواء ولو لم يكن الماء الذي ترش بهِ الشوارع باردًا لاننا نرى مركبات الرش تأخذ الماء من الحنفيات رأسًا وهو ليس باردًا كما لا يخفى وقد يكون سخنًا

ج اذا كان الماء سخنًا او فاترًا فلا ينتظر انهُ يبرّد الهواء ولكنهُ لا يكون كذلك واذا صبَّ الماء من حنفية فالقليل الذي يصبُّ منهُ اولًا يكون سخنًا او فاترًا واما ما بقي فيكون باردًا ثم ان الماء لا يبرّد الهواء ببرودتهِ بل بسرعة تحولهِ الى بخار فان تحوُّلهُ الى بخار يقتضي استخدام جانب كبير من حرارة الارض والهواء فيخسرها الهواء وتخسرها الارض ولذلك تهبط الحرارة بعض الدرجات على اثر رش الماء

(٩) ليالي مصر والاسكندرية

ومنهُ . لماذا تكون الليالي في مصر ابرد منها في الاسكندرية مع ان الحرارة تكون في النهار اشد في مصر منها في الاسكندرية

ج لان هواء الاسكندرية ارطب من هواء مصر والبخار الذي فيهِ يحمل جانبًا كبيرًا من الحرارة فلا تعود الحرارة تشع من الارض بسهولة واما هواء مصر (القاهرة) فجاف نوعًا فلا يعوق حرارة الارض عن الاشعاع والتبدُّد بسرعة ولو كان هواؤُها اجف مما هو الآن لكانت لياليها ابرد مما هي الآن والايام الجافة الهواء لياليها ابرد من الايام الرطبة الهواء

---

(١٠) الدود في الثلج

مصر . عطا افندي فهمي . هل يتولَّد دود في الثلج كما يتولد في الجبن والماء وهل هذا الدود مضرٌّ وما شكلهُ ولونهُ وكيف يتغذَّى ويعيش وهل يمكن نقلهُ الى محل غير المحل الذي هو فيهِ وهل يبرّد الماء اذا وضع فيهِ

ج نعم قد يتولَّد دود في الثلج اي ان بعض الحشرات تبيض في الثلج كما يبيض غيرها في الجبال ويخرج دود من بيضها ولون هذا الدود ابيض وقد يكون احمر فيظهر كأَنَّ سطح الثلج احمرَّ بهِ . وقد يكون في الماء ميكروبات مرضية فتبقى في الثلج الذي يصنع منهُ وتبقى ضارَّة ايضًا ويقع على الثلج كثير من دقائق المباء المتطاير في الهواء وهي تكفي طعامًا للدود الصغير واذا وجدت دودة في قطعة ثلج فيمكن نقلها منها الى غيرها وطبعًا

تكون باردة في اول الامر مثل الثلج الذي كانت فيهِ فاذا وضعت في نقطة ماء انخفضت حرارتها

(١١) تأثير الشمس والقمر في المد والجزر

مصر. ناشد افندي فريد. ما سبب تأثير الشمس والقمر في المد والجزر دون باقي الاجرام السموية

ج السبب قرب القمر وكبر الشمس بالنسبة الى بعدها عن الارض فان التأثير المشار اليهِ ناتج عن جذب الشمس والقمر للارض وقوة الجذب تزيد وتنقص حسب مربع البعد والقرب وحسب مادة الجسم الجاذب فاذا وُضع جسمان متساويان على بعدين مختلفين من جسم ثالث وكان بُعد احدهما عنهُ ميلاً واحداً وبعد الثاني خمسة اميال فجذب الاول لهُ اكثر من جذب الثاني خمساً وعشرين مرةً اما اختلاف الجذب باختلاف المادة فلا اشكال فيهِ

(١٢) سكة الحديد تحت البحر

سان بولو برازيل. الخواجه جبران قودم. هل يمكن عمل سكة حديدية تحت البحر تقطع من جهة الى اخرى كان تكون تحت بحر المانش تصل بين فرنسا وانكلترا مع ان ماء البحر نبع لاحد لهُ ولا قرار

ج ان بحر المانش قريب القاع جدًّا وتحتهُ صخر وقد ارتأى كثيرون خرق سرب فيهِ بين فرنسا وانكلترا ومد سكة حديدية فيهِ او نصب انبوب كبير من الحديد في قاعهِ ومد السكة الحديدية فيهِ ولولا اعتراض الحكومة الانكليزية لتمَّ العمل وعمل الاسراب تحت البحر سهل لان الصخور التي تحتهُ كالصخور التي تحت البر واذا رشح الماء في بعض الاماكن سُدَّ مكان الرشح بالبناء او بصفائح الحديد. والاسراب محفورة تحت كثير من الانهار ولا يرشح الماء اليها

(١٣) لون الجو

ومنهُ. اذا نظرنا الى الجو في يوم راقت سماؤُهُ رأيناهُ ازرق شديد الزرقة فما سبب هذا اللون

ج اذا وقفتم حينئذٍ في مكان عالٍ جدًّا كما على رأس جبل عالٍ او في بالون يعلو عن الارض خمسة آلاف متر او اكثر رأيتم السماء سوداء ليس فيها شيءٌ من اللون الازرق الذي تشيرون اليهِ لان اكثرهُ حادث من البخار المائي الذي في الهواء المجاور للارض. ولون الماء ازرق كما ترون في لون البحر ويظهر لكم ذلك ايضاً اذا صببتم ماء في اناء طويل من الزجاج الصافي واوقفتموهُ فوق ورقة بيضاء فانكم اذا نظرتم اليهِ عموديًّا ترون الورقة تحتهُ زرقاء او ضاربًا لونها الى الزرقة وهذا اللون هو لون الماء ولا يظهر كذلك الا اذا كان مقدارهُ كثيرًا. والهواء الكثير لونهُ ازرق ايضاً

(١٤) اوقات الزلازل

ومنهُ. هل يمكن تعيين الاوقات التي

تحدث فيها الزلازل كما يمكن تعيين الاوقات التي يحدث فيها الخسوف والكسوف

ج لا يمكن ذلك حتى الآن ولكن لا يبعد ان تكشف النواميس المتسلطة على الزلازل فيصير تعيين زمانها ممكناً . والآن يمكن الانباء بحدوث الزلزلة قبل حدوثها بدقائق قليلة او حين ابتداء الهزات الاولى التي تسبق الهزة الكبيرة

(١٥) شعر السود

ومنهُ . لماذا لا ينمو شعر السود كما ينمو شعر البيض

ج ان نمو الشعر في البدن او في اقسام مخصوصة منهُ تابع الآن لناموس الوراثة . وقد اختلف الناس بعضهم عن بعض في نمو الشعر لانهم سكنوا اقاليم مختلفة وجروا على اساليب مختلفة في تربية الشعر وفي الانتخاب الجنسي . فاولاً ان الاقاليم الباردة يطول بها الشعر اكثر مما يطول في الاقاليم الحارة لانهُ الزم في الباردة لتدفئة الجسم ولذلك يطول صوف بعض الحيوانات شتاء وثانياً ان بعض الناس اهتمَّ بتربية الشعر وبعضهم اهتم بنتفهِ واضيف الى ذلك الانتخاب الجنسي اي صار طوال الشعر حيث يستحب الشعر الطويل يُفضلون على غيرهم في التزوج كما يفعل قصار الشعر حيث يستحبُّ الشعر القصير فزاد الاختلاف بين طوائف الناس ورسخ فيهم

(١٦) قوة الطربيد واللغم

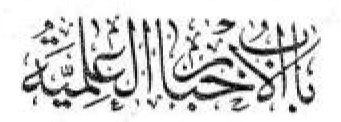
مصر . احمد افندي علي . فهمنا مما كتبتموهُ عن الطربيد واللغم انهما صغيرا الحجم جدًّا بالنسبة الى البوارج التي ينسفانها فمن اين تأتيهما القوة لنسف تلك البوارج

ج ان المواد المتفرقعة كقطن البارود يكون حجمها صغيرًا واذا اشتعلت تحوَّلت الى غاز كبير الحجم جدًّا فيدفع كل ما امامهُ فجأة ولا فرصة لانتقال فعلهِ من دقيقة الى اخرى وتوزعهِ فينحصر في ما امامهُ من الماء او من السفينة فيقلبها ويثغرها كما ان البارود يشتعل فيدفع الرصاصة من البندقية او القنبلة من المدفع او يشقُّ البندقية والمدفع اذا لم يستطع دفع الرصاصة والقنبلة

(١٧) شبكات الطربيد

ومنهُ . أصحيح انهُ توجد شبكات تلقى على جوانب السفن فتمنع وصول الطربيد اليها ولماذا لا يستعمل الروس هذه الشبكات لوقاية بوارجهم

ج نعم توجد شباك حلقها من الحديد تلقى حول السفن فتمنع وصول الطربيد اليها ولكنها قد تكون قصيرة لا تصل الى اسفل السفينة فيدخل الطربيد من تحتها ولا نعلم لماذا لا يستعمل الروس هذه الشبكات فان الانكليز يستعملونها وقد شاهدناها مع مدرعاتهم



الاسطول الانكليزي في بحر الروم

اتى الاسطول الانكليزي المقيم في بحر الروم الى الاسكندرية في الثاني والعشرين من الشهر فوصلها بين الساعة العاشرة والحادية عشرة صباحاً وكان منظره رهيباً يجري بعضهُ وراء بعض كالجبال الطافية في الماء او قطع الغمام في كبد السماء وفيهِ اثنتا عشرة بارجة تفريغ كل منها اربعة عشر الف طن او خمسة عشر الف طن فرست كلها خارج المرفإ الداخلي وفيهِ سبع سفن اخرى اصغر منها وهذا وصف مجمل لكلٍّ منها

(١) البارجة بُلْوُرْك وهي سفينة الاميرال تفريغها ١٥٠٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٥٠٠٠ حصان وفيها ٤٨ مدفعاً و٥٧٠ ضابطاً وبحارًا

(٢) البارجة فنرابل وهي سفينة نائب الاميرال وتفريغها وسائر اوصافها مثل البارجة الاولى

(٣) البارجة منتاجي تفريغها ١٤٠٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٨٠٠٠ حصان وفيها ٤٢ مدفعاً و٧٥٠ من الضباط والبحارة

(٤) فورميدابل و(٥) امبلاكابل و(٦) كوين و(٧) برنس اوف ويلس و(٨) ارزستبل و(٩) لندن . وكلها مثل البارجة بلورك اي تفريغ كل منها ١٥٠٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٥٠٠٠ حصان وعدد ضباطها وبحارتها ٧٥٠

(١٠) دنكن و(١١) البرمل و(١٢) كورنولس وكلها مثل البارجة منتاجي اي تفريغ كل منها ١٤٠٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٨٠٠٠ حصان وفيها ٧٥٠ من الضباط والبحارة

ثم مخزن الطربيد فلكان وتفريغهُ ٦٦٢٠ طناً وقوة آلاتهِ البخارية ٧٢٠٠ حصان وسرعتهُ ٢٠ ميلاً بحريًا في الساعة[1] وفيهِ ٢٠ مدفعاً . والطراد يونيز تفريغهُ ٢٢٠٠ طنٍ وقوة آلاتهِ البخارية ٥٠٠٠ حصان وسرعتهُ ٢٠ ميلاً بحريًا وفيهِ ١٩ مدفعاً

ومتلفة الطربيد اكس وتفريغها ٥٦٠ طناً وقوة آلاتها البخارية ٧٠٠٠ حصان وسرعتها ٢٥ ١/٢ ميل بحري في الساعة وفيها ٦ مدافع

والمتلفة هارد تفريغها ٢٧٥ طناً فقط وقوة آلاتها البخارية ٥٧٠٠ حصان وسرعتها ٣٠ ميلاً بحريًا في الساعة وفيها ٦ مدافع

(١) الميل البحري اطول من الميل الجغرافي بنحو ١٥ في المئة او ٧٩٠ قدماً

والبريد سريزيز وتفريغهُ ١٦٥٠ طناً وقوة آلتهِ البخارية ٢٠٠٠٠ حصان . وكان معها سفينتان اخريان وهما فيوربوس وفينس سبقتاها الى بورت سعيد

ثم جاءت سفن أُخرى صغيرة بعد الظهر وفي اليوم التالي

اثار كريت

ذكرنا غير مرة ان الدكتور افانس بن السرجون افانس اكتشف قصر ملك كريت ووجد فيهِ كثيراً من الآثار الدالة على حضارة واسعة وعمران راسخ . وقد عاود النقب والبحث فوجد من الآثار القديمة ما يفوق في دقة صنعهِ آثار مصر وبابل على قدم عهدهِ فانهُ من القرن الثالث عشر قبل التاريخ المسيحي . من ذلك انهُ وجد غرفة الملكة مقسومة الى قسمين القسم المقدَّم منها يوصل اليهِ من ايوان قائم على اعمدة وجدرانهُ مغطاة بصور الاسماك والحيتان والقسم المؤخر فيهِ اعمدة تعلَّق بها الستائر ويتصل بهِ حمام ارضهُ مرصوفة بالبلاط . وفي الرواق الخارجي صورة فتاة قائمة ترقص وقد لبست درَّاعة (سلطة) مثل الدراعات التي تلبسها الفتيات الروميات الآن وعلى حواشيها تطريز ازرق واحمر وشعرها اسود وغدائرها طائرة في الهواء من سرعة حركتها ويتصل بهذه الغرفة سرداب يوصل الى غرف اخرى يظهر انها لجواري الملكة وبينها غرفة صغيرة فيها مرتفق سياقة مصنوع كما تصنع السياقات في هذه الايام . وكل مرافق القصر متقنة على هذه الصورة كأنها مصنوعة على احدث الطرق الصحية

ومما كشف في هذا القصر غرفة متينة البناء جدًّا يظن انها كانت خزانة لخزائن الملك وجواهره وجواهر الملكة وحلاها وقد وجد فيها كثير من حلي الذهب والعاج والبلور بديعة الصنعة ووجدت فيها ادوات من العاج ملبسة بالذهب وقطع اخرى من العاج منقوشة عليها اشكال العذاري وهن في ميدان صراع الثيران . والنقش غاية في الاتقان

وترتيب الغرف وحسن التدابير الصحية فيها ودقة نقشها ونقش ما فيها من التحف كل ذلك يدل على درجة عالية جدًّا من الحضارة

فهم الحيوانات

في باريس معهد علميٌّ لدرس طبائع الحيوانات غير العاقلة وقياس مداركها ومديرهُ المسيو هاشه سوبله . وقد قسم الحيوانات الى ثلاثة اقسام بهذا النظر قسم قابل للتهييج والتأثر وقسم لهُ غرائز لا تتحول عن مجراها الا بقوة الاكراه وقسم لهُ ادراك يقبل التعليم والتدريب . فمن القسم الاول الحشرات الدنيئة . ومن الثاني الحشرات التي هي ارقى منها مثل النحل والنمل وكثير من الطيور وذوات الاربع . ومن الثالث ذوات

الاربع التي هي اكثر ارتقاء من غيرها والهر والكلب والسعدان في مقدمتها . فقد علّم هرٌ ان يفتح باباً مقفلاً بادارة زرّ متصل بهِ ومرّن كلب على لعب الكرة حتى صار يحسن الاصابة بها . وركب بعضهم دراجةً بثلاثة عجلات امام سعدان مرة واحدة فتعلم السعدان ركوبها وجعل يركبها كما شاء

ومن التجارب التي عملها المسيو سوبله للدلالة على قوة الغريزة في بعض الطيور تجربة في حمام الزاجل . فقد قال بعضهم ان هذا الحمام يهتدي الى طريقهِ والمكان الذي أُفلت منهُ بواسطة المجاري المغنطيسية والهوائية ولكن المسيو سوبله أفسد هذا القول بالامتحان الآتي وهو انهُ استحضر صندوقاً خشبياً ووضع فيهِ حمامة وآلة كهربائية تكهرب الهواء الذي في الصندوق ثم اقفل الصندوق فباتت الحمامة فيهِ بعيدة عما يطرأ على الهواء الخارجي من التغير في المجاري الكهربائية . ثم اخذ الصندوق الى مكان خارج باريس لم ترهُ الحمامة قبلاً واطلق سراحها فعادت من حيث جيء بها بعد عشرين دقيقة من افلاتها . وجرّب مثل ذلك في احد عشر نوعاً من الطيور فاهتدت كلها الى اماكنها في مدة قصيرة

اشعة بلندلو

لا يزال العلماء الباحثون عن هذه الاشعة فريقين فريقاً يثبت وجودها لانهُ يرى افعالها عياناً . وفريقاً ينكر وجودها لانهُ لا يرى افعالها مطلقاً فيقول ان ما يراهُ الفريق الاول وَهمٌ يُخيَّل لهُ تخيُّلاً . وقد قال بعضهم حديثاً انهُ ان كان ما يراهُ الفريق الثاني من قبيل الوهم فهو حريٌّ بالبحث كما لو كان حقيقةً لأن امرًا يوهم فريقاً من العلماء برؤية ما لا حقيقة لهُ غريب لذاتهِ ويستحق ان تعلَم حقيقتهُ كما لو كان حادثاً طبيعياً او ناموساً من نواميس الكون

الذهب وسائر المعادن

يعجب الناس من غلاء الاسعار ويختلفون في اسبابهِ . ومهما كانت هذه الاسباب فالغلاء نسبي سببهُ الاكبر رخص الذهب او كثرتهُ . فان الذهب مقياس الاثمان فاذا قلَّ أُعطي القليل منهُ بدل ما يثمن بهِ من عقار وبضاعة وما اشبه فيظهر كأن هذه الاشياء رخيصة الثمن واذا كثر أُعطي الكثير منهُ بدلاً منها فظهر كأنها غالية . ومن المقرَّر ان الذهب الذي استخرج من مناجم الارض كلها سنة ١٨٨٩ بلغ ١٨٢ طناً فقط ثم زاد رويداً رويداً حتى بلغ ما استخرج منهُ ١٩٠٢ لا اقل من ٤٤٧ طناً او نحو ستين مليوناً من الجنيهات اي زاد نحو ضعفين ونصف ضعف فالذين يظنون ان اثمان الاشياء ستهبط وتعود الى ما كانت عليهِ منذ خمس سنوات وست يخطئون في ظنهم ولا يرخص الا ما يكثر وجودهُ او

يسهل استخراجهُ كالحديد او ما تستنبط طرق جديدة لعمله قليلة النفقة كالصلب (الفولاذ) اما الارض وحاصلاتها واجور العمال فتزيد غلاءً كلما زاد المستخرج من الذهب

وزاد المستخرج من سائر المعادن على ما ترى في هذا الجدول وقد ذكرت فيهِ اوزان المعادن بالطن

	سنة ١٨٨٩	سنة ١٩٠٢
الحديد	٢٦٠٠٠٠٠٠	٤٢٦٦٩٠٠٠
الفضة	٠٠٠٠٣٩٠٠	٤٧٥٣
النحاس	٢٦٦٠٠٠	٥٧٢٠٠٠
الرصاص	٥٤٩٠٠٠	٨٠٣٠٠٠
الزنك	٣٣٥٠٠٠	٥٠٣٠٠٠
القصدير	٥٥٠٠٠	٠٩٣٠٠٠

ومما يذكر مع المعادن الفحم الحجري فقد بلغ المستخرج منهُ من المسكونة كلها اكثر من ٨٠٠ مليون طن . وزيت البترول وبلغ المستخرج منهُ ٢٣ مليون طن . والملح وبلغ المستخرج منهُ ١٣ مليون طن . والماس وبلغت قيمة المستخرج منهُ من مستعمرة الراس فقط نحو خمسة ملايين من الجنيهات . والكبريت وبلغت قيمة المستخرج منهُ من ايطاليا مليونًا و ٧٠٠ الف جنيه . ونيترات الصودا وبلغت قيمة المستخرج منهُ من بلاد شيلي تسعة ملايين ونصفًا من الجنيهات وهو يستعمل سمادًا للارض . واملاح البوتاسيوم وبلغت قيمة المستخرج منها من املاك المانيا مليونًا جنيه . والفصفات وبلغت قيمة المستخرج منها من الولايات المتحدة مليون جنيه

وبلغ عدد المشتغلين باستخراج المعادن في كل المسكونة اربعة ملايين ونصف من النفوس

سرعة الريح وارتفاع الامواج

ثبت من الارصاد الفرنسوية مدة سنين كثيرة انهُ اذا كانت سرعة الريح عشرة اميال في الساعة بلغ ارتفاع موج البحر خمس اقدام واذا كانت سرعة الريح عشرين ميلاً في الساعة بلغ ارتفاع الموج عشر اقدام واذا كانت سرعة الريح خمسين ميلاً في الساعة بلغ ارتفاع الموج ٢٥ قدماً . اي ان ارتفاع امواج البحر اقداماً يساوي نصف سرعة الريح اميالاً وذلك بوجه التقريب كما يظهر من هذا الجدول

سرعة الريح اميالاً	ارتفاع الموج اقداماً
٥،٥	٣،٢٨
١٠،٠	٤،٩٣
١٢،٤	٦،١٧
١٨،٠	٩،١٢
٢٥،٠	١٣،١٢
٣٤،٠	١٥،٤٢
٤٤،٠	٢٠،٦٧
٥٢،٢	٢٥،٤٣
٥٨،٢	٢٨،٥٤

الشموز

الشموز او البارود الياباني اشد فعلاً من الديناميت ومن قطن البارود . ومن مزاياه انهُ لا يشتعل بالنار ولا بالتطريق بل بنوع خاص من الكبسول واذا اشتعل نسف ما حولهُ نسفاً من كل ناحية

منع دوار البحر

استنبط مهندس الماني اسمهُ شلك اسلوباً ميكانيكياً يمنع نودان السفن السريع في البحر فيمنع الدوار الذي يصيب ركابها وهو دولاب كبير يوضع على ظهر السفينة ويتحرك معها فيكيف حركتها تكييفاً يمنع الدوار

حياة الميكروبات

ظهر من بعض التجارب الحديثة ان ميكروب البشرة الخبيثة (الانثركس) يعيش ثلاث سنوات ونصف سنة وميكروب التيفويد يعيش اكثر من ٥٠٠ يوم وتبقى فيهما خواصهما المرضيَّة

ما يفقدهُ اللحم بالطبخ

ثبت للاستاذ كلندلي الاميركي انهُ اذا سلق لحم البقر سلقاً خسر من المواد النيتروجينيَّة التي فيهِ من ثلاثة وربع في المئة الى ١٢ وثلثين في المئة ومن المواد الدهنية من نصف في المئة الى ٣٧ ونصف في المئة ومن المواد الملحيَّة ونحوها من ٢٠ في المئة الى ٦٧ في المئة . والمواد التي يخسرها تنتقل الى الماء الذي يسلق فيهِ . واذا قلي قلياً (اي طبخ روستو) خسر اقل من ذلك كثيراً فيخسر من المواد النيتروجينيَّة من ربع في المئة الى اربعة ونصف. ومن المواد الدهنية من اربعة ونصف في المئة الى ٥٧ ونصف في المئة ومن المواد الملحيَّة من ٣ ونصف في المئة الى ٢٧ وخمس في المئة. وهذه المواد تنتقل الى المرق الذي يتحلَّب منهُ. والغالب ان القطعة الكبيرة من اللحم تخسر بالطبخ اقل مما تخسرهُ القطعة الصغيرة . واللحم الذي يستخرج عصارهُ ويطعم للمرضى يفقد قليلاً من موادهِ المغذية ولو فقد كل طعمهِ

دوران عطارد

السيار عطارد يدور على نفسهِ كالارض وقد حسب علماء الفلك الذين رصدوهُ في غرة القرن الماضي انهُ يدور على نفسهِ دورة تامة كل ٢٤ ساعة واربع دقائق او خمس دقائق وظلوا على هذا الحساب الى ان قام شبارلي الفلكي الايطالي وحسب مدة دورانهِ على نفسهِ ٨٨ يوماً اي انهُ قال انهُ يدور مرة واحدة على نفسهِ كما اتمَّ دورتهُ حول الشمس لكن ظهر الآن للفلكي مكهرج من رصدهِ لهُ في شهر ابريل الماضي انهُ يتم دورتهُ على نفسهِ في ٢٤ ساعة و ٨ دقائق

غنى كندا

يقال ان في بلاد كندا من الارض الصالحة لزرع الحنطة ما لو زرع كلهُ لبلغت غلتهُ السنوية ٨٠٠ مليون بشل على الاقل فيكفي سكان كندا ولو بلغ عددهم ثلاثين مليوناً من النفوس ويكفي اهالي انكلترا ايضاً ولو تضاعف عددهم

العصفور الدوري

اختلفت آراء الباحثين في العصفور الدوري وهل هو مفيد للزراعة او مضر بها اي هل اكثر طعامهِ من الحشرات او من الحبوب فثبت بعد البحث في الوف من العصافير ان اكثر طعامها من الحبوب وان اكثرها لا يأكل شيئاً من الحشرات والقليل منها الذي يأكل الحشرات لا يأكل الا قليلاً منها . فاوجبت دور الامتحان الزراعي في انكلترا واميركا صيد العصفور الدوري واستئصالهُ . وعدا ذلك اثبت بعض العلماء ان هذا العصفور ينقل عدوى الامراض من مكان الى مكان حتى ان مرض الدجاج الذي تفشى في هذا القطر في العام الماضي كانت العصافير السبب الاكبر لانتقالهِ وانتشارهِ في البلاد لانها تقع على طعام الفراخ السليمة فتنقل العدوى من الاولى الى الثانية فجدير بالحكومة المصرية ان تساعد الذين يصطادون العصافير الدورية بكل واسطة ممكنة

بعض الرواتب الكبيرة

ان راتب المستردُذ محامي شركة زيت البترول المعروفة بشركة الستندرد خمسون الف جنيه في السنة وراتب المستر رجرس مدير شركة النحاس عشرون الف جنيه وكذلك راتب المستر هفمير مدير شركة تكرير السكر الاميركية . وراتب المستر مكول رئيس شركة تأمين نيويورك ثلاثون الف جنيه

اما النساء اللواتي يتعاطين الاعمال فاكبر راتب تتقاضاهُ الواحدة منهنَّ الف جنيه في السنة الأمسز مكرثي وهي مديرة معمل كبير لعمل الثياب فان راتبها الفا جنيه وتأخذ فوقهُ قسماً من الارباح

نقيضان حسب الظاهر

قال بعضهم ان الترتيب والنظام لازمان للنجاح في كل امر وقال غيرهُ ان الترتيب والنظام اذا لم يتحكم فيهما المرء صارا لهُ كالسلاح الثقيل الذي يمنعهُ من الحركة

الاستدلال بالاسنان

كتب احد اطباء الاسنان مقالة في مجلة العلم العام الانكليزية بيَّن فيها انهُ يسهل الاستدلال على الانسان من اسنانهِ ولو بعد الموت وعندهُ انهُ يمكن ان يوضع علم في دلالات الاسنان واختلافاتها كما وضع علم علامات الاصابع الذي استخدم الآن لتحقيق شخصية الجانين

اقدم الجرائد الانكليزيَّة

في بلاد الانكليز خمسة آلاف جريدة ٢٣٢ منها يومية واقدم جرائدها لندن غازت أُنشئت في اكسفرد سنة ١٦٦٥ ونقلت الى لندن سنة ١٦٦٦

طبع الكتب

يطبع من الكتب في فرنسا اكثر مما يطبع في غيرها بالنسبة الى عدد السكان فانهُ يطبع فيها كتاب لكل ١٦٠٠ نفس من سكانها وتتلوها في ذلك انكلترا ثم هولندا فالدنمارك فنروج فاسوج فايطاليا فالمانيا وبلغ عدد الكتب في المانيا بالنسبة الى عدد السكان واحداً لكل ١٨٠٠ نفس ولو كانت النسبة في القطر المصري كما هي في المانيا لوجب ان يطبع فيها ٣٦٠٠ كتاب مختلف كل سنة

فائدة رماد التبغ

بينت جريدة اللانست الطبية ان رماد التبغ مفيد جدًّا للزراعة واسفت لانهُ لا يعتني بجمعهِ واستعمالهِ وفاتها ان الرياح تبددهُ وتعيدهُ الى الارض فان كان فيهِ فائدة فالفائدة لا تضيع

فاكهة جديدة

اهتمَّ بعضهم بتوليد فاكهة جديدة فجعل يلقح ازهار بعض الاشجار بلقاح من ازهار اشجار اخرى فيتولد منها اثمار جديدة فيعتني بزرع بزورها وتلقيحها حتى تولد عندهُ انواع جديدة من الفاكهة لم تكن معروفة من قبل

صور للفانوس السحري

يؤتى بلوح خشن من الزجاج ويرسم عليهِ بقلم صلب من الرصاص ويدهن ببلسم كندا ويلصق عليهِ لوح آخر من الزجاج فيصير شفافًا ويظهر عليهِ الرسم واضحًا جدًّا

بيضة الاوك

بيعت بالامس بيضة من بيض الاوك المنقرض بمئتي جنيه وقد بيعت هذه البيضة نفسها سنة ١٨٣٨ بجنيهين فقط ثم بيعت سنة ١٨٦٩ باربعة وستين جنيهًا

فوائد التبغ

كتب بعضهم فصلاً طويلاً في فوائد التبغ في مجلة مكملن قال فيها ان دخانهُ يقي من الامراض الوبائية لانهُ يقتل الميكروبات حتى ان الجنرال روبرتس وقى جنودهُ من الاوبئة وقت حملتهِ على كوماسي بالتبغ الذي وزَّعهُ عليهم وامرهم بتدخينهِ . ويقال ان دخان التبغ يميت ميكروبات الكوليرا وميكروبات ذات الرئة مهما كان نوع التبغ ويميت ايضًا الميكروبات التي تلتصق بالانسان عادة وتتلفها . واذا صفَّر الاسنان فرمادهُ يجلوها اذا فرُكت بهِ

مدافن بني حسن

بلغ عدد القبور المصرية القديمة التي كشفت حتى الآن في بني حسن ٨٨٧ قبرًا وبعضها كبير جدًّا وفي بعضها من الادوات والتحف ما يدل على احوال المصريين وطرق معيشتهم في العصر الذي صنعت فيهِ تلك المدافن

خزان اكبر من خزان اصوان

في نية حكومة الهند ان تبني سدًّا لاحد انهرها طولهُ ميل وارتفاعهُ نحو خمسين مترًا تكوَّن فوقهُ بحيرة طولها اربعون ميلاً ويخزن بهِ من الماء ما مقدارهُ نحو ستة آلاف مليون متر مكعب اي نحو خمسة اضعاف ما يخزن بخزان اصوان. وقد قدِرت نفقات انشاء هذا السد بثلاث كرات ونصف من الربيات اي نحو مليونين وثلث من الجنيهات

السود وحرية الانتخاب

كتب المستر بويل من اساتذة كلية وسكنسن في اميركا مقالة في احدى المجلات العلمية قال فيها ان من اعظم الغلطات ان يخوَّل السود الذين يحرَّرون من العبودية حرّية الانتخاب وانهُ لا يجوز السماح لهم بذلك حتى يخطوا خطوة اخرى في ميدان التمدُّن لان التجارب دلت على ان السود لا يستطيعون الاشتراك في ادارة شؤُون الجمهوريات ولو بعد تحررهم بزمان طويل

سباق البلونات في معرض سنت لويس

سيقام سباق في معرض سنت لويس باميركا تتسابق فيهِ البلونات بدل الجياد وتجري ثلاثة اشواط ويعطي صاحب البلون المجلّي في حلبة السباق ٢٠ الف جنيه. والميدان على شكل زاوية قائمة فيبدأُ السباق من الزاوية ويقام بلونات عندها وعند طرفي الميدان لتعيين الوقت والتحكيم. فتعطى الجائزة لاسرع البلونات بشرط ان لا يقلَّ متوسط سرعتهِ في كل شوط عن ٢٠ ميلاً في الساعة

جائزة نوبل

أُعطيت جائزة نوبل حديثًا لعالم اسمهُ الاستاذ فنسن بسبب اكتشافاتهِ الطبية واهمها شفاه بعض الامراض بالنور الاحمر وخصوصًا الجدري او تخفيف وطأَتها. وشفاه بعض الامراض الجلدية الشديدة بواسطة الاشعة الكيماوية من غير ان يضرَّ ذلك بالجلد بعد ان اثبت ان النور يقتل البكتيريا التي في الجلد اما بنفسهِ او بالالتهاب الذي يحدثهُ فيهِ

ولما أُعطيت الجائزة لهُ ابى ان يأْخذها واراد ان يقفها على المستشفى المعروف باسمهِ على شدة فقرهِ وفاقتهِ واخيرًا اقنعوهُ بابقاء نصفها لهُ ولعائلتهِ بعد الجهد الكثير. وقد زارهُ ملك انكلترا وملكتها وامبراطور المانيا وام قيصر روسيا. ولما زارهُ امبراطور المانيا قال لمن حولهُ " يجب ان يقام لهذا الرجل تمثال في

حياتهِ" وهو مريض سقيم مصاب بالاستسقاء وعمرهُ ٤٢ سنة وقد مرَّ عليهِ ٢٠ سنة يقاسي آلام الامراض ويقضي معظم الوقت مضطجعاً على فراشهِ لا يرى احداً حتى افراد عائلتهِ وحرارة بدنهِ اقل من الدرجة الاعتيادية . ولم يزر المستشفى المعروف باسمهِ منذ اكثر من سنة مع انهُ لا يبعد سوى خطوات قليلة من منزلهِ

الانارة بالكحول

أشار احد العلماء باستخدام الكحول للنور قائلاً ان لهُ مزيتين على المواد المستعملة للانارة الاولى ان الحرارة التي تتولد منهُ اقل من الحرارة التي تتولد منها والثانية ان غاز الحامض الكربونيك الذي يتولد من اشعالهِ اقل ايضاً من الغاز المتولد من اشعال زيت البترول مثلاً فانهُ يتولد من حرق ١٠٠ جرام من الكحول ١٦٣ جراماً من غاز الحامض الكربونيك ومن حرق ١٠٠ جرام من زيت البترول ٣١٢ جراماً من الغاز اي ان مصباح البترول اسرع في سمّ الهواء وافسادهِ من مصباح الكحول

فائدة الملح

قال المسيو لنوسيه من اعضاء جمعية فرنسا البيولوجية ان تناول كميات معتدلة من الملح مفيد للمعدة بل لازم كل اللزوم لها . وعليهِ يجب ان لا يقتصر على اضافة الملح الى الطعام بل ان يؤخذ على حدة كما يؤخذ الدواء . وقد استند في قولهِ هذا الى تأثير ملح البحر في الهضم الاصطناعي

سلطة العقل على المادة

كتب المستر جون نيومان مقالة في التنويم المغنطيسي ذكر فيها اموراً مدهشة عن سلطة امام تبت الملقب باللاما على الاشياء الطبيعية فقال

يروي السياح انهم وجدوا اناساً في كوشين شين يديرون الموائد في اماكنها ويجرون القوارب الكبيرة حذاء الشاطئ بمجرد قوة ارادتهم وقد اكَّد لنا المرسلون الجزويت الذين اوغلوا في بلاد تبت ان ائمتها يستطيعون ادارة الموائد ورفعها عن الارض رويداً حتى تغيب عن الابصار صعداً . وقال احد سياح الروس وهو ممن شاهد هذا العمل ان امام تبت يلجأ اليهِ غالباً عند ارتكاب سرقة او قتل قصد الاهتداء الى الجاني . ففي اليوم الموعود يجلس الامام على الارض تجاه مائدة صغيرة مربعة ويضع احدى يديهِ عليها ويقرأ في كتاب معهُ بصوت خافت . وبعد نصف ساعة ينتصب واقفاً على قدميهِ ويرفع يدهُ عن المائدة ويمدُّ ذراعهُ ويبقيها كذلك هنيهة من الزمان فتأخذ المائدة ترتفع تبعاً لحركة يدهِ حتى تصير على مساواة عينيهِ ثم يتحرك من موضعهِ فتتبع المائدة حركتهُ وتزيد سرعتها حتى يعسر عليهِ ادراكها

وهو يعدو ثم تخطر ذهاباً واياباً وتسقط الى الارض . ويقول اهل البلاد ان المائدة تستقرُّ غالباً وهي مائلة الى الجهة التي يجب التفتيش فيها عن الجاني . قال السائح الروسي الذي روى ما تقدَّم وقد شاهدت هذا العمل اربع مرات فاخفق الامام في المرات الثلاث الاولى وقال انهُ لم يهتد الى الجاني . واما في المرة الرابعة فان المائدة دارت في حركة لولبية وسقطت في بقعة معلومة ففتشوا فيها عن الشيء المسروق فلم يعثروا عليهِ . وفي اليوم التالي انتحر رجل في تلك الناحية فاشتبهوا في امرهِ ونقبوا منزلهُ فوجدوا المسروق فيهِ . وقد دققت النظر في المائدة واكثرت من التفتيش فلم اعثر على شيءٍ يوصل بينها وبين اللاما

قال المستر نيومن وعندي انهُ يحسن بجمعية البحث في الآثار العقلية ان تنتدب من قبلها من يرافق الحملة الانكليزية في تبت لتحقيق هذه الامور واشباهها . وعبيد الاوهام يصدق بعضهم بعضاً

الحرارة والارتفاع عن الارض

ظهر من بعض التجارب التي عملتها جمعية بلتيمور الجغرافية بالطيارات ان الحرارة قلَّت درجة واحدة بمقياس فارنهيت لكل مئة قدم عند ارتفاعها حتى بلغت ٥٠٠ قدم في العلوّ . ثم اخذت تنقص درجة واحدة لكل ١٤٣ قدماً حتى علوّ الف قدم . ودرجة لكل ١٦٧ قدماً حتى علو ١٥٠٠ قدم . ودرجة لكل ١٩١ قدماً بين علو ١٥٠٠ و٤٠٠٠ قدم . اما درجة الرطوبة فزادت زيادة مستمرة فكانت على سطح الارض ٧٣ في المئة فصارت ٩٦ في المئة على علو ٤٠٠٠ قدم

نصائح لمقاومة السل

نشر مجلس الصحة في نيويورك النصائح التالية للمسلولين

لا تنم في غرفة حارة او مزدحمة ولا تقم فيها

ابقِ شباكاً على الاقل مفتوحاً في الغرفة التي تنام فيها

نمْ في الغرفة وحدك واذا لم يكن ذلك ممكناً فنم في السرير وحدك

تجنب مجاري الهواء والرطوبة والغبار والدخان . واعلم ان الغبار والدخان اشدُّ ضرراً من المطر والثلج

اذا كنت في البيت فاقم في الغرفة المعرضة للشمس اكثر من غيرها والتي هواؤُها مطلق ولكن خالية من البسط والسجاجيد

لتبقَ قدماك ناشفتين ودافئتين

نمْ باكراً ولكن مدة نومك ثماني ساعات على الاقل

اذا كان لابد لك من الشغل فاسترح على قدر الامكان

تجنب الاكل وانت متعب جسداً او

عقلاً وكذلك تجنبهُ واعصابك متهيجة

كلْ كثيرًا من الطعام الجيد المغذّي واشرب رطلين من اللبن كل يوم فوق طعامك وكلْ ايضًا ثلاث بيضات الى ست بيضات من البيض الجديد وكثيرًا من الزبدة والسكر

اشرب كثيرًا من الماء النقي بين طعام وطعام

لاتقبل احدًا في فيهِ

ان الاعتماد في معالجة السل على الهواء النقي والطعام الجيد وحسن المعيشة اهم من الاعتماد على الدواء

لاتخف من البرد

نمو مدينة لندن

كان سكان مدينة لندن سنة ١٨٤٥ اي منذ اقل من ستين سنة ١٩٤٩٢٧٧ اي اقل من مليوني نفس وبلغ عددهم بعد خمس وثلاثين سنة ٣٨٣٠٢٩٧ اي نحو اربعة ملايين نفس فتضاعفوا في خمس وثلاثين سنة وبلغ عددهم منذ ثلاث سنوات ٤٥٣٦٥٤١ اي اكثر من اربعة ملايين ونصف مليون. وجانب كبير من هذه الزيادة ناتج عن مهاجرة الناس من داخلية البلاد. وكان فيها سنة ١٨٤٥ ثماني محطات من محطات سكك الحديد فصار فيها الآن ٢٧٥ محطة وكان فيها نحو ٣٠ ميلاً من سكك الحديد فصار فيها الآن نحو ٣٠٠ ميل

نفقات المسكرات

ينفق الشعب الانكليزي على المسكرات اكثر من مئة وستين مليون جنيه كل سنة ثلثاها من العمال الفقراء والربح الناتج من بيع المسكرات يذهب اكثره الى عدد قليل من الاغنياء اصحاب المعامل والحانات فيربح هؤلاء الملايين الكثيرة كل سنة ثم يتصدقون بجانب صغير من ربحهم على المساكين الذين افقروهم بتسهيل شرب المسكرات لهم يسلبونهم دينارًا ويجودون عليهم بدرهم فيعدّون من كبار المحسنين. وقد اهتم الانكليز الآن باقفال بعض الحانات وابدال المسكرات باشربة تنعش ولا تسكر لكن الذين يربحون من عمل المسكرات وبيعها لا يسلمون بترك ربحهم عفوًا

الوصول الى تبت

ابان احد الكتاب في مجلة القرن التاسع عشر ان الوصول الى بلاد تبت والى لاسا عاصمتها سهل جدًا من بلاد الروس خلافًا لما يظهر من رحلات سفن هدن فانهُ لما استولى التتار على لاسا في اوائل القرن الثامن عشر وجدوا فيها اميرة كرجيَّة وابنها وكانت هذه الاميرة قد اتت من بلادها استراخان الى بلاد تبت بسماح من الحكومة الروسية. وكان في لاسا قبل استيلاء التتار عليها اناس من النصارى جاؤوها لجمع المعلومات اللازمة لعمل

خريطة بلاد تبت

جريدة تلغراف مركوني

انشئت جريدة في السفينة كمبانيا التي تمخر بين اوربا واميركا تأتيها الاخبار من اوربا واميركا وهي في عرض البحر بتلغراف مركوني وهي ثماني صفحات وفيها كثير من الصور تنشأ وتطبع في تلك السفينة وتوزع على الركاب وثمن النسخة منها بنسان ونصف (نحو غرش)



الشيخ كروجر

نعى البرق في اواسط الشهر الماضي الشيخ كروجر رئيس جمهورية الترنسفال السابق توفي في كلارنس بسويسره وله من العمر ٧٩ سنة غير كاملة فانهُ ولد في ١٠ اكتوبر سنة ١٨٢٥ . ولا حاجة بنا الآن الى ذكر تاريخ حياتهِ مطولاً وتعريفهِ للقراء فانهُ بات اشهر من ان يعرَّف بعد حرب الانكليز والبوير الاخيرة . وغاية ما نقولهُ هنا انهُ عين رئيساً لجمهورية الترنسفال لاول مرة بعد موقعة ماجوبا هل التي اقتتل الانكليز والبوير فيها فانتصر البوير ونالوا استقلالهم وكان ذلك في فبراير سنة ١٨٨١ وجدد انتخابهُ رئيساً المرة بعد المرة

وقد ابنتهُ الجرائد الانكليزية وفي مقدمتها التيمس فأطالت في بيان محاسنهِ ومساوئهِ وقالت انهُ لم يكن بطلاً ولا قديساً وانكرت عليهِ ما وصفتهُ الجرائد الاوربية بهِ في اثناء الحرب من الذكاء وكبر العقل وقالت انهُ كان فلاحاً بسيطاً ساذجاً لم يتعلم شيئاً جديداً ولا نسي شيئاً قديماً . ولكنهُ كان رجلاً بجميع معاني هذه الكلمة وانكلترا تحب الرجال . وقد كانت شجاعتهُ وصلابة رأيهِ محل اعجابنا كلنا ولو كان اكثر استقامة وصدقاً في معاملتهِ لنا واكثر حرية في كلامهِ عنا ومعنا لاحللناهُ المحل الاسمى من قلوبنا . انتهى

ومهما يكن من اقوال الجرائد فيهِ فلا ريب انهُ كان مثال الوطنية الصادقة والغيرة على نجاح بلاده وامتهِ وحفظ استقلالها وقد مات غريب الدار مكسور الخاطر بعد ما انتصر الانكليز على قومهِ وسلبوا الترنسفال استقلالها وضموها الى مستعمراتهم وجفاهُ الملوك والكبار الذين كان يؤمل الخير عن يدهم

الفصل العشرون

قائد الفرقة الطيّارة

وما دخلت الشيطانة الجميلة ومدّت يدها للسلام على سكولوف حتى دوّت هاتيك الانحاء بصوت مدفع بعيد أُطلِقَ طلقتين متواليتين فقالت الشيطانة :—

— هذا من اسكي زهرة ومنهُ يتحقق ان الفرقة الطيّارة أصبحت قريبة منّا

فاجابها البرنس ناظرًا الى ساعتهِ :—

— هكذا يظهر وهو مطابق للانباء التي بلغتني منذ بضعة ايامٍ وحينئذٍ اخذت السيدة دشتون في حديث طويل تخلصت منهُ الى هذه الجملة :—

— حقًّا ان هذه الانحاء موحشة جدًّا لخلوها من مظاهر المدينة ووسائط الحضارة . وعندي ان الوصول اليها أصعب — أصعب — أصعب من مقتل غودارد المسكين

وقد نطقت بهذه العبارة الاخيرة بجلجلة لا مزيد عليها كأنها تجهد قريحتها في استخدام تشبيهٍ مناسب . فلما اتمتها انتفضت الشيطانة الجميلة من سماعها لكنها تغلبت على نفسها بجهد عنيف لم يخفَ على البرنس سكولوف فقال :—

— يالها من مشابهة !

فقالت املي :—

— لاادري كيف خطر مقتلهُ على بالي في هذه الدقيقة ومن العجيب الغريب ان انسانًا نظيرهُ يخرب بناء رجائهِ بغتةً حين كان يرجى لهُ احسن مستقبل . وقد عرفتهُ جيدًا ولكن ما الفائدة من ذكرهِ امامكما وانتما تجهلانهِ ولما تعرفان عنهُ

فخان الشيطانة الجلد واقدمت على السؤَال بمزيد الاهتمام لكنها شعرت بطيشها وعدم تثبتها فتلافت امرها من نصف كلامها الآتي :—

— تعرفينهُ ؟ ما اسمهُ ؟

— او بين غودارد .سوف اطلعكِ على قصتهِ بالتفصيل حين ازوركِ في غرفتك الخاصة

فقال سكولوف :—

— اراكِ مهتمة لهذا الرجل

— نعم . لان من يخرب بناء مستقبلهِ في الدقيقة التي ابتدأت فيها حياة تقدمهِ وترقيهِ

يكون سببهُ اعتيادياً — امرأة . ولا بُدَّ ان تكون قصتهُ ذات شأن

— اذًا رأيكِ انهُ حينما يسقط رجل في مهاوي التلف يكون سبب سقوطهِ دائماً امرأة

— ليس كما قدمت واستنتجت فقد تسوء حال الانسان لاسبابٍ كثيرة ولكن حينما يسوق الجواب الى نفسهِ يتوقع الآخرون ان يكون السبب امرأة

— لنرجئْ هذا البحث الى وقتٍ آخر فقد حان قدوم زائريَّ فسألتهُ املي : —

— من هما ؟

— سوف تعرفينهما

— اذًا انت تُعِدُّ لي سبباً كبيرًا للدهشة والابتهاج ولهذا يترتب عليَّ عدم اللجاج في السؤال . فالى الملتقى .

وبعد خروجها سألتهُ الشيطانة : —

— من هما زائراك فلم تخبرني شيئاً عنها

— لانهُ لم يكن لي شيء اقولهُ عنهما حتى هذا الصباح . فهما المستر سافيل وقرينتهُ ولسوف تسرّين كثيرًا برؤيتهما لانهما اهل ادبٍ شائق ولطفٍ رائع . وقد بلغا هذه التخوم منذ يومين وارسلا يطلبان مني جواز المرور . وفي الليل الماضي وصلا اسكي زهره واليوم يقدمان علينا . على ان اقتراب الفرقة الطيارة جعلني في شغل شاغل من نحوهما

— قل لي لماذا دعوت تلك المرأة – السيدة دشتون – من نيس الى هنا ؟

— لانني ظننت انك تسرّين بالاجتماع بها

— بل لانك توقعت انها تفيدك شيئاً عني !

— اذًا لم سألتني ؟

— لارى هل تخلصين في الجواب فاتحقق صدقك وامانتك . وليس يخافٍ عليك اني اكره الكذب وابغض مايولدهُ الجبن والخوف . فاسأليني عما تروم معرفتهُ فهل نقصتني قط شجاعة في الكلام

— اراكِ مغتاظة جدًا ايها البارونة . ولقد طالما كنت صبورًا عليك غير جازعٍ

فادركت الشيطانة انها جرحتهُ بالكلام واسرعت في الاعتذار فقالت : —

— عفوًا ياسيدي البرنس ان ضعفي يوشك بعض الاحيان ان ينسيني مالك عليَّ من الجميل لاني لست سوى امرأةٍ

— قد كنت ولاازال ارجو ان أُنسيك اسباب ضعفك فالى كم يبقى هذا الرجاء باطلاً ؟

او لا تطرحين عنك الاهتمام بما اراكِ وقفتِ حياتك على مصارعتهِ من الخطوب وتعيرين جانب الالتفات الى ضياء السعادة الساطع الاشراق ولكِ ان تملكي ناصية التمتع بهِ منذ الان بحق المحبة الذي لا ينازعكِ فيهِ احد ؟

— اظنك تذكر ان اتفاقنا كان واضح المبدإ ولا تحتاج الى التذكير . وعند ما وطنتُ نفسي على القيام بخدمتك علمتُ اني عرّضت نفسي لامر خطرٍ وقد بعتكَ تلك الحياة — اذا مسّت الحاجة الى الموت لكنني لم أبعك نفسي

— ولكنكِ تهبينها هبة · ان الحصول على الشفقة ام المحبة يتطلّب قرع باب الجودة — كاريتا [1] ما احلاها اسماً ! ولهذا اودّ ان ادعوك بهِ

— هو اسم امي ولذلك تجدهُ مقدساً عندي ولكن دعنا من هذا ! ولا حاجة بنا الى التكلّم بالغازٍ . انك تعرف جانباً من دخيلة امري وتروم ان تعرف شيئاً اكثر. ولكن اقول لك صريحاً انك لست مستطيعاً ان تعرف عني شيئاً بواسطة تلك المرأة · ولك الآن احسن فرصةٍ تنتهزها . إسألني ما شئت ولي ان اكتم عنك ما أريد لكني لا اكذب

— هل يهمكِ امر الرجل غودارد ؟

— الى الغاية

— لم اسمعك قطّ تذكرينهُ

— كل ما هو في سويداء الفؤاد بعيدٌ جدًّا عن الشفتين

— وهل تعلمين ما المّ بهِ ؟

— اعلم انهُ مات ان صدقت تلك المرأة · وخيرٌ لك ولمصلحتك ان يكون موضوع اهتمامي في راحتهِ الابدية . فربي تجدني طوع بنانك وانما دعني اتولّى جهة غلطاتي الفادحة واتعرّض لنشق سمومها اللافحة. وقد قلتُ لك اني أطلعك على انباء جديدة. فعندي الآن نبأ يقصّر عن وصفِ غرابتهِ الكلام — نبأ حذقٍ وبسالةٍ وإقدام

— ماهو

— ان جيوشنا لقيت في طريقها موانع عظيمة والى الآن لم نستفد شيئاً كبيرًا من مرقبنا السياسي لان ماتوقعناهُ من ورائهِ خيبتهُ حركات الفرقة الطيارة التي نسمع عنها كثيرًا ونرى منها قليلاً اليس كذلك ؟

— بلى فان كلامك هذا طبق انباء سكوبيلف الاخيرة ·

(١) معنى «كاريتا» الجودة او الاحسان

— وقائد هذه الفرقة يكون هذه الليلة في قبضة يدي . فكم يساوي اسره

فاجابها البرنس بتعجب لا مزيد عليهِ

— قائد الفرقة الطيارة هنا ؟ هذا مستحيل

— تقول هذا لانك غير قادر قوة سحري حق قدرها فضلاً عن مهارتي في المسائل السياسية

— ابجد تقولين هذا ؟

— نعم فقد رأيت بعد جهد التأمل انا في حاجة شديدة الى ازالة هذا القائد من طريقنا فمهدت له السبيل واعددت الوسائط الفعالة

— ولكن هذا ليس بسهل عليك

— نعم ولكن النتيجة ستكون وفق المراد . ولا يخفى عليك اني بقوة فراستي اخترت هذا المكان منشأ لمرقبنا السياسي قبل شهر الحرب بثلثة اشهر وما لبثت بعد ذلك ان سعيت في ابلاغ ذلك القائد انني تمكنت بسبب ضعفك — ضعفك انت — من الوقوف على اسرار تتعلق بالمسائل الحربية ثم اطنبت كثيراً بيسالتهِ وشدة اقدامهِ فاثر فيهِ هذا الاطناب تأثيرا بليغاً وارتاح من جرائهِ الى الاطلاع على هذه الاسرار من غير معاناة شيء من الاخطار . وقد خيم بفرقتهِ ليلة امس على مقربةٍ من اسكي زهرة وهو في اشد الاحتياج الى الزاد ويهمهُ جداً الالمام بحركاتنا . ومن هذا يتضح لك اني بحسن تدبيري اغريتهُ بان ينصب لي شركاً لا بد ان آخذهُ فيهِ

— وحق مار نيقولا ! ان الشيطانة الجميلة آية في الحذق والذكاء ومنقطعة النظير في السياسة والدهاء . وعندي ان هذا هو الشرك الوحيد الذي بهِ تتمكنين من اصطيادهِ . ولكن هل انت واثقة بقدومهِ ؟

— اتوقع على يد رسولي الخاص علماً يثبت ما اقول

— وكيف توفقت الى هذا المسعى الحميد ؟

فاطرقت هنيهة ثم اجابتهُ بلهجةٍ شفت عن مزيد الاسف

— كل ذلك لكي اربح مسرتك واغنم رضاك وافوز بحربتي . انني عللت نفسي بالمنى والمطامع حتى خيبت تلك الخبيثة آمالي وكذبت ما كنت احملهُ من الاجتماع بذلك العزيز الغالي . ولستُ اوجس بعد فقدهِ خوفاً ولا ارهب خطراً ولا ارى امامي ما يقتضي احترازاً او يستوجب حذراً . وسأظل كاليهودي التائه جوابة آفاق واقطار اقضي حياتي بالرحلات والاسفار هاجرة مضاجع الحب والراحة والسلام ورائدة فيافي القلى والقلق والخصام حتى اجد

الى قضاء وطري سبيلاً او يقضي الله امراً كان مفعولاً

ولست أبالي ما يكن فليكن وهل بكون به موتي فذا منتهى الامل

ثم وارت وجهها بين يديها وقد أرتج من شدة التأثر عليها . وانقطع حديثها بدخول خادم يرفع بيده رقعة الى البرنس سكولوف فتلا فيها اسم المستر رتشرد سافيل وقرينته وقال

— هوذا ضيفانا المنتظران قد حضرا ايها البارونة وهما المستر سافيل ابن الجنرال سافيل المقترن حديثاً بكاترينا مدلتون ومتى اجتمعت بهما ورأيت ما فيهما من خفة الروح وظرافة المعشر عجبت من لياقة اقترانهما وقلت " وافق شن طبقة "

ثم التفت الى الخادم وقال : —

— اخبر المستر سافيل وقرينته ان البرنس سكولوف والبارونة التدورف في انتظار تشريفهما



الفصل الحادي والعشرون

دك سافيل

وبعد ظهر ذلك اليوم جلس المستر سافيل وقرينته في قاعة قصر كرستوف في دوه كوي قرب اسكي زهره عند مضيفيهما البرنس سكولوف والشيطانة الجميلة . وبعد الفراغ من عبارات التعرف والتحيات المعتادة قال سكولوف مخاطباً السيدة سافيل

— في اجتماعنا الليلة الاخيرة ايها السيدة بذلت جهدي في ان انال منك وعد تشريفك لي في نيس . ولم اكن اتوقع انك تطوفين العالم حتى توفيني الوعد هنا . على ان هذا لا يحول دون استقبالك بالترحيب والتأهيل وايفائك حقك من الثناء الجميل

— شكراً للطفك العظيم ايها البرنس ولقد قدمنا عليك لاجل تذكيرك الوقت الذي شرت اليه لعلك تود ان تلقي دلوك معنا في الدلاء وتشاركنا في ما وقفنا له زهرة عمر المسرة وغرة ايام الصفاء

فاجابها البرنس : —

— اني مستعد لامتثال كل امر منكما واظنني انوب في هذا عن حضرة البارونة ايضاً

— بلا ريب

فقال دك سافيل : —

— لايخفى عليكما اني برّا بعهد الصداقة المكرم واحتراماً لشأن الاخاء المقدس اتيتكما مستقصياً مستنجداً . وقد المع البرنس الى اجتماعِ الاخير بقرينتي وليانتذرِ مثلت فاجعةٌ صادعة انجلت عن تلف احسن رجل في العالم — اعني بهِ القائد او بين غودارد

فقالت الشيطانة الجميلة : —

— غودارد !

ثم انحنت الى الامام وحدقت في وجهِ دك سافيل بعين ترجمت عما تعجز عن بسطهِ الاقلام

فقالت كتي : —

— لعلكِ سمعتِ عن هذه الحادثة ايها البارونة اما انا فقد شهدتها وحقاً انها كانت هائلةً جداً

نحنت البارونة رأسها ولم تفه بكلمة واستأنف سافيل كلامهُ : —

—ولاجل تنزيهِ ذكر صديقي الميت من اوضار هذه الوصمة وتطهير اسمهِ من اقذار تلك التهمة وطنتُ نفسي على السعي في اثبات جناية متهميهِ الاشرار في شر مكيدة وافظع ائتمار . وليس بخافٍ عليكما ان القائد غودارد كان قد اتهم بالخداع في اللعب بمنزل اللورد ارلنفورد

فقالت الشيطانة الجميلة — :

— لكنهُ كان يسهل على القائد غودارد ان يبطل هذه التهمة

فاجاب دك سافيل : —

— وهنا سرُّ المسألة . اذ ظهر بعد الفحص انهُ كان معهُ ورقة ابى اظهارها . واختفاء " روا السباقي "— لانهما كان يلعبان " الايكرتيه "— قوّى جانب التهمة مع ان كل واحدٍ منا تحقق ان اللورد ارلنفورد كان مطلعاً جيداً على تنقية الورق فضلاً عن انفتاح عيون مساعديهِ في المراقبة والملاحظة وهما الماجور هوبر كرتر وشقيقتهُ السيدة املي دشتون

فقالت الشيطانة الجميلة — :

— املي دشتون ! انها هنا عندنا

— هنا ! الآن ! ارجوكما ان لا تطلعاها على شيء من غرضنا في مجيئنا اليكما

فقال البرنس مسكولوف : —

— ساسعى في حراسة الباب لكي لا يدخل احدٌ علينا فجأةً

ثم نهض سائراً نحو الباب وفي اثناء مرورهِ بالشيطانة الجميلة أسرَّ اليها قائلاً " انفذت

امرًا الى كايبودوفتش ان يُعدّ حرساً يستقبل زائرنا هذه الليلة "

فقالت الشيطانة لدك سافيل :—

— اراك موجهاً تهمة قوية نحو اللورد ارلنفورد

— اني على يقين من كل ما عندي عليهِ — على يقين تام ولكني احتاج الى بينات تحمل غيري على الاقتناع نظيري ولي امل انكِ ايها البارونة تأخذين مع البرنس ليدي وتعضدين مساعي فتغنيان من اهل الانسانية ثناء وشكرًا . ومن الله ثوابًا واجرًا

— لكنني لم اسمع قط باللورد ارلنفورد فبماذا افيدك ؟

— نعم ولكنني عن تاريخ جون فاين في بطرس برج اطلب افادتكما

فقالت الشيطانة متنفضة :—

— جون فاين !

قالت الشيطانة هذا ولكن ليس بمزيد التعجب فقط بل بشهقةٍ شديدة روّحت نفسها بانفاس الرجاء وقشعت عنها سحب الغم والكآباء . فوقف سكولوف يرقبها وقد غشيتهُ سحابة قلقٍ كثيفة . ثم سألها سافيل :—

— هل تعرفينهُ ؟

— اعرفهُ ! آه تمامًا ! لانهُ كان سبب فاجعةٍ هائلة وقد كفر بها بحياتهِ عن خيانتهِ في كل وادٍ اثرٌ من ثعلبة

— لقد اصبتِ في جملتك الاخيرة واما قولك انهُ كفَّر عن خيانتهِ بحياتهِ فليس بصحيح لانَّ جون فاين حيٌّ وهو الآن اللورد ارلنفورد ومن المحقق انهُ انتحل هذا اللقب انتحالاً او هذا الرجل الذي جرَّ الوبال على القائد غودارد ؟ ففي بطرس برج اسلم رجلاً بريئًا لموت — رجلاً كان محبوبًا من الجميع ولم يرتكب قط اثمًا — وصرع امرأتهُ وولدها بالضربة نفسها . فحسنًا فعلتما بمجيئكما اليَّ لاني استطيع ان افيدكما كل ما انتما في حاجة اليهِ

واذ ذاك دخل خادم واخبرها برجوع كاتم اسرارها فطلبت دخولهُ ولما جاء قدَّم اليها رقعة فقرأتها وأشارت اليهِ بالانصراف ثم التفتت الى دك سافيل وقالت :—

— ارجوكما ان تمهلاني الى غد فاطلعكما على جميع التفاصيل المهمة اذ قد عرض لي شغل شاغل حال دون تفرغي لاجابة سؤلكما في الوقت الحاضر فمعذرة منكما

ثم اهابت بالخادم وقالت لهُ :—

— اذهب بالمستر سافيل وقرينتهِ الى مخدعيهما — الى اللقاء ايها الضيفان المكرمان

وبعد خروجها التفتت الى البرنس وقالت :—

— هوذا قائد الفرقة الطيارة على الباب خارج الدار فاتبعني

ثم سارت الى غرفتها الخاصة وسار البرنس في اثرها وكانت هذه الغرفة فسيحة تشرف على دكة او سطح وقد أنيرت بمصباحين كبيرين اتقدا اتقادًا ساطعاً وحولا ظلام الليل نورًا لامعاً

وبعد ما اغلقت البارونة الباب قالت للبرنس :—

— هوذا القائد المعهود هنا وسأدخلهُ من هذا الشباك فعليك ان تجعل رجال كابيودوفتش يحيطون بالبيت حتى اذا فرغت من الوقوف على كل مقاصدهِ ابديت لكم علامة بطلقةٍ من غداراتي هذه

ثم دنت منهُ وسألتهُ ممعنة نظرها فيهِ :—

— قل لي الآن ماذا تعطيني جزاء اسر هذا الرجل ؟

فاجابها سكولوف :—

— لاعطينَّكِ مهما اردتِ فقولي ماذا تبتغين ؟

— اروم منك حياة انسان — اعدامها او العفو عنها — حينما أريد وكيفما اشاء !

— ايتها البارونة !

— خلِ عنك الآن الدهشة والتعجب وعدني — رحماك — عدني بحق كل مقدَّس عندك

— وتربة اجدادي الكرام لاعطينك ما طلبتهِ على التمام

— اذهب الآن وادعُ لي بنجاح المسعى

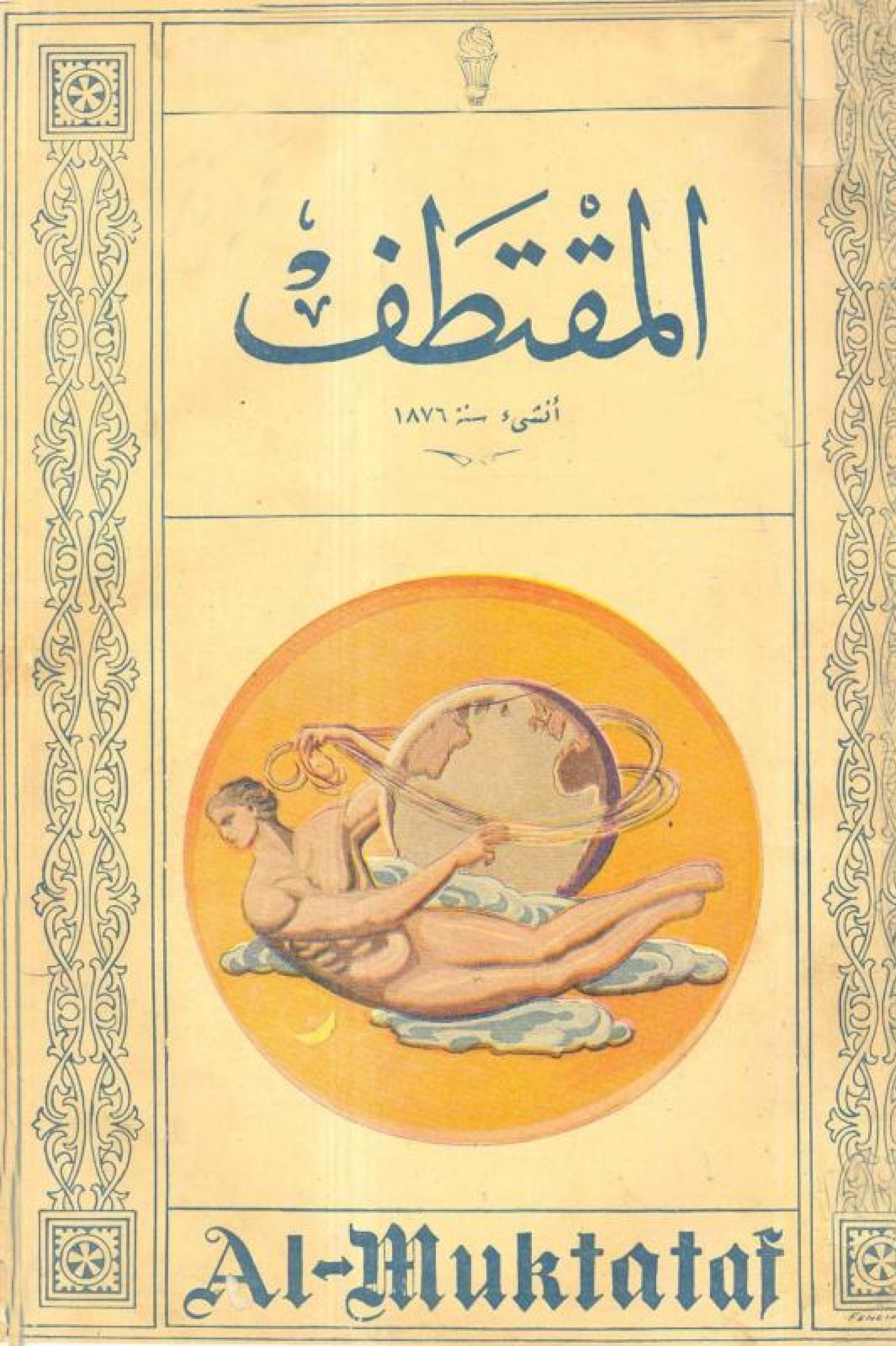


امبراطور اليابان



امبراطورة اليابان

فهرس الجزء الثامن من المجلد التاسع والعشرين


المقتطف
أنشىء سنة ١٨٧٦
Al-Muktataf

المقتطف

الجزء التاسع من المجلد التاسع والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٤ — الموافق ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٣٢٢

نساء اليابان

من الاقوال المأثورة عند الاوربيين قولهم باللغة الفرنسوية Cherchez la femme وترجمتهُ فتش عن المرأة يريدون بهِ انها علة كل الشرور او انها علة كل الحوادث من غير تخصيص . ومعلوم انهُ لا يحدث حادث مّا للناس يد فيهِ الاَّ ويكون سببهُ الرجال او النساء فلا عجب اذا كان لهنَّ يد في نصف الحوادث الاَّ ان اثرة الرجال تجعلهم يحسبون ان لهم اليد الطولى في كل الاعمال فاذا رأوا للنساء يدًا فيها استغربوا الامر واكبروهُ واشاروا اليهِ

ومعلوم انهُ اذا حدثت الحوادث الغريبة جعل الناس يفتشون عن اسبابها واغرب حوادث هذا العام بل اغرب الحوادث التي مرَّت منذ اعوام كثيرة الى الآن ظهور دولة اليابان في مظهر دولة حربية من الطبقة الاولى برًّا وبحرًا وظهورها هذا ادهش اوربا كلها حتى انكلترا وهي اعلم بها من سائر الدول . والناس يبحثون الآن عن سبب هذا النجاح الفائق والفوز الباهر الذي فازت بهِ اليابان على دولة الروس . فنشرنا في الجزء الماضي من المقتطف مقالة مسهبة ظهر منها بأجلى بيان ان في طبع اليابانيين خلقين راسخين وهما حب الوطن والاستبسال في سبيلهِ وقد عثرنا الآن على سبب آخر يُعَدُّ من دعائم الشجاعة والجرأة اللتين ابداهما اليابانيون في هذه الحرب وفي تأهبهم لها . وهو ان نساء فريق كبير منهم وهو الفريق الحربي يتقلدن الاسلحة ويحاربن كالرجال وهذا شأنهنَّ من قديم الزمان فلا عجب اذا وُلد اولادهنَّ والشجاعة والبسالة من اخلاقهم لانهم يرثون الشجاعة من ابائهم ومن امهاتهم "والعرق دساس من الطرفين" والاَّ فلو كان آباؤهم اهل شجاعة ونجدة وامهاتهم قعيدات ضعيفات لاهمَّ لهنَّ الاَّ ولادة الاولاد وادارة البيت والتحلي والتجمل لضعفت اخلاق الآباء بما تمتزج بهِ من اخلاق الامهات وجاء اولادهم بين بين او لم يفق الابناء ما كان عليهِ الآباء . اما والنساء كالرجال في البسالة وإباءة

الضيم ورباطة الجاش فلابد من ان ترسخ هذه الاخلاق في النسل وتقوى فيهِ رويدًا رويدًا

والمرأة في اليابان كالمرأة في كل البلاد الشرقية مطيعة لزوجها وحميها وحماتها تعمل اعمال البيت كلها من غير تذمر تطبخ وتغسل وتبتاع الاطعمة وتخدم اباها وامها ثم تخدم زوجها واباهُ وامهُ من غير تذمر. ولا يعفى من هذه الاعمال الا بنات الكبراء الاغنياء الذين عندهم كثير من الخدم والحشم

وابو الابنة هو الذي يختار لها الزوج حالما تبلغ سن الزواج وهي تعلم ذلك وتحسب انهُ امر محتوم فلا تنتظر سواهُ وحينما تتزوج تسكن هي وزوجها في بيت ابيهِ ولا يصير لها بيت خاص بها الا بعد موت حميها وحماتها وتكون قد اكتهلت حينئذٍ وقام بناتها وكنائنها على خدمتها كما كانت هي قائمة على خدمة امها وحماتها . ومقام الزوج اعلى من مقام الزوجة ولكن ادارة البيت في يدها لا في يدهِ فتنهض قبلهُ في الصباح وتطفىء المصباح الذي يكون موقدًا الليل كلهُ وتغسل وجهها وترتب شعرها وتلبس ثيابها وتُلبس اولادها وتوقظ خدمها وتساعدهم في اعداد الفطور ثم توقظ زوجها وتلازمهُ الى ان يخرج من البيت فتخرج معهُ الى الباب وتسلمهُ عصاهُ او مظلتهُ او كتابهُ

والغالب ان تبدو عليها آثار الشيخوخة وهي كهلة لكنها ترحب بها ولا تحاول اخفاءها فتقص شعرها وتلبس ثيابها على اسلوب يظهر بهِ عمرها حسب مصطلحات اليابانيين وتكون قد زوجت ابناءها وصارت حماة وقامت كنائنها على خدمتها فتتمتع بالراحة والاكرام

وليس في ذلك كلهِ ما تمتاز بهِ المرأة اليابانية على اكثر نساء المشرق ولو لم يتصل بنا من امر نساء اليابان غيرهُ لما وجدنا سبيلاً للتنويه بذكرهنَّ ولكننا نجد في تضاعيف ما ينشرهُ الثقات عن اليابانيات في هذا العصر ثلاثة امور حرية بالذكر لان لها شأنًا كبيرًا في ارتقاء اليابان

الامر الاول عدم تقيُّد اليابانيات بالعادات. خذ مثالاً لذلك مسألة اللباس فان لباس النساء في اليابان مثل لباسهنَّ في اكثر بلدان الشرق فلما اقتبس رجال اليابان الازياء الاوربية تبعهم نساؤهم ولا سيما نساء الكبراء حتى اذا اجتمعن معهم في المنتديات والحفلات لا يكون فرق ظاهر بين الاوربيات واليابانيات. ولا ينظر الاوربيات شزرًا الى اخواتهنَّ اليابانيات كما ينظر الانسان عادة الى من يراهُ مرتديًا ثيابًا دون ثيابهِ ولا يشعر اليابانيات انهنَّ دون الاوربيات في مجاراة ازياء العصر . وقدوتهنَّ في ذلك امبراطورة اليابان كما ترى من صورتها في مقالة اخرى من هذا الجزء فانها تظهر فيها كملكات اوربا في حللهنَّ وهي تحضر الحفلات الرسمية وتقابل النساء والرجال كما يقابلنهم ملكات اوربا. وبلاد لا يرى رجالها ونساؤها عارًا في التمثل بالمفلحين من البشر بل يرون في ذلك عين الصواب لحرية بان تتمثل بالمفلحين في كل

شيء. وازنْ بين ذلك وبين ما يفعلهُ اهالي كوريا فان المرأة لا تزال عندهم اسيرة محجبة لا تخرج من بيتها مطلقاً بل تدفن فيهِ دفناً مدى العمر ورجالهم لم يغيروا ازياءهم حتى ملكهم لا يزال في زيهِ القديم كما ترى في مقالة اخرى من هذا الجزء. وتدل هيئتهُ على تمام السكينة والوقار كأنهُ زاهد من الزهاد بخلاف امبراطور اليابان فانهُ قلما يرى الاَّ باللباس العسكري كما ترى في صورتهِ في المقالة التالية وهي منقولة اصلاً عن صورة فوتوغرافية. ولا يخفى ان قواد اليابان وجنودها لابسون كلهم اللباس الاوربي كما ان بوارجهم ومدافعهم وبنادقهم وحركاتهم العسكرية وكل لوازم الحرب برًّا وبحرًا جارية على الاساليب الاوربية وعلى احدثها بل ان بنادقهم وبارودهم وبعض اساليبهم فاقوا بها ما عند الاوربيين والاميركيين

والامر الثاني استبسال اليابانيات فبينا ترى المصريات مثلاً يبكين ويولولنَ اذا أُخذ اولادهن او ازواجهنَّ للخدمة العسكرية ترى اليابانيات يحسبن الخدمة العسكرية اشرف عمل لاولادهنَّ وازواجهن ويتباهين بمن يقتل في الذود عن وطنهِ ويفضلن من مات قتلاً على من مات حتف انفهِ كأنهن يرددن قول السموأل الذي كان يفتخر بقولهِ

وما مات منا سيدٌ حتف انفهِ ولا طُلَّ يوماً حيث مات قتيلُ

تسيل على حد الظبات نفوسنا وليس على غير الظبات تسيلُ

قيل انهُ لما نشبت الحرب البحرية بين الصين واليابان كان في احدى السفن اليابانية ربان اسمهُ سكاموتو فقتل فيها مع من قُتل وأُرسل نعيهُ الى بيتهِ ولما وصل الناعي رأى ام القتيل واخبرها بما جرى فنظرت اليهِ والعظمة وعزَّة النفس ملء عطفيها وقالت لهُ "اذًا قد خدم ابني وطنهُ بدمهِ فاحسن عملاً"

وامرأة اخرى مضى زوجها الى تلك الحرب وهي شابة في العشرين من عمرها وجاءها نعيهُ بعد قليل فصرفت خدمها من بيتها وكتبت الى اصدقائها تودعهم ولبست حلَّة عرسها وركعت امام صورة زوجها وطعنت صدرها بخنجر لكي تلحق بهِ في اقرب وقت. والانتحار شائع في بلاد اليابان لاينظر اليهِ بالازدراء ولايؤتى خوفاً من المكاره بل محوًا للعار او رغبة في اختصار السبيل الى الآخرة

والثالث اعتياد نساء الجنود حمل السلاح واستعمالهُ. والجنود فريق كبير من اليابانيين وكان نساؤهم يحمين مقامهم اذا غابوا عن اوطانهم في حماية قصور اسيادهم زمن الحكم الاقطاعي ولاتزال الاخلاق العسكرية راسخة في كثيرات من نساء اليابان ولذلك شأن كبير في ما يرى من البسالة في اخلاق الامَّة اليابانية كما تقدم

امبراطور اليابان وامبراطورتها

بينما كنا نكتب السطور السابقة عن نساء اليابان وقع نظرنا اتفاقاً على فصول للمسنيور الكونت واي ده وايا الجري اثبتها في يوميته ووصف فيها مقابلتهُ لامبراطور اليابان وامبراطورتها ولامبراطور كوريا فرأينا في هذا الوصف ما ينطبق على ما اشرنا اليهِ في تلك المقالة ولذلك اقتطفنا منهُ ما يلي . قال السيد المشار اليهِ :

" ارى الثلج من كوة غرفتي متساقطاً من السماء والرياح تعبث بهِ وقد غطى سطوح البيوت واغصان الاشجار . و الشوارع فارغة لا احد فيها كأن المدينة كلها نائمة نوم الشتاء ولا اكاد اصدّق اني في بلاد مطلع الشمس ولا اني في عاصمتها . ولقد ساءني ان أصبح هذا الصباح والبردُ شديد لانهُ اليوم المعدّ لمقابلتي جلالة الامبراطور وحبذا لو كان من ايام الربيع حين تكون اليابان في ابهى حللها وحلاها

وصلت الآن المركبة من دار السفارة لتنقلني الى القصر يجرها جوادان يابانيان كريمان ولقد تعبا في عبورها الشوارع من كثرة الثلج المتراكم فسرت فيها ومررنا في شارع واسع تختفي البيوت على جانبيهِ لصغرها واتساعهِ ولكن بعضها حديث فخيم مبني على الاسلوب الاميركي من الحديد الصلب والاجر المشوي هذه هي المباني العمومية البنوك وبيوت التجار ومررنا بجانب ترعة جمد ماؤُها من شدة البرد

وقفنا امام باب كبير فانفتح حالاً ورأينا امامهُ فصيلة من الجنود فأدّت التحية العسكرية ثم مررنا على جسر من الحجر بديع الزخرفة وسرنا بين صفين من الاشجار الكبيرة وقد شاخت من طول عهدها واكتست جذوعها حللاً من الطحالب واشتبكت اغصانها كالقباب فوق الرؤُوس وهذا المرجزء من الشارع الطويل الواصل بين كيوتو وطوكيو بين بلاط الشوغن وبلاط الميكادو حيث كان امراء اليابان ينتقلون من البلاط الواحد الى الآخر بمواكبهم الفاخرة . وسرنا على هذا النسق الى ان بلغنا ساحة كبيرة امام القصر وهو طبقة واحدة ليس في ظاهرهِ شيء من الفخامة والزخرفة ووقفت المركبة امام درج تصل الى غرفة رحبة فيها مائدة كبيرة عليها الدفاتر التي يكتب الزائرون فيها اسماءهم وهناك بعض الخدم لابسون اللباس الفرنسوي الرسمي . وسير بي في رواق طويل خشبهُ منقوش نقشاً بديعاً الى غرفة من غرف الاستقبال الكبيرة اثاثها مثل اثاث غرف الاستقبال في قصور اوربا واميركا لاتمتاز عنها الاَّ بخزانة يابانية قديمة لاتثمن . وحبذا لو كانت اثاث الغرفة كلها على النسق الياباني مثل هذه الخزانة . وقابلني هناك

البارون ... وهو يحسن الانكليزية وقد درس في انكلترا وتزوج سيدة انكليزية فجعلت بيتهُ ناديًا لنخبة الاوربيين المقيمين في هذه العاصمة وبيتهُ جميل مثل القصور الانكليزية يطل على اجمل بقعة من خليج طوكيو وفيهِ كثير من الكتب الانكليزية والتحف اليابانية وهو من البيوت القليلة التي يسرُّ الانسان بتذكرها ويود العودة اليها

والبارون على جانب عظيم من الرقَّة ودماثة الاخلاق وهو السر تشريفاتي لجلالة الامبراطور وتراهُ يقوم بما يطلب منهُ كأنهُ يجد في ذلك مسرتهُ العظمى ورأيت هناك غيرهُ من رجال البلاط وكلهم بالملابس الرسمية

ثم سير بي في اروقة كثيرة باردة الهواء الى ان وصلنا الى الغرفة التي فيها الامبراطور. والغرف التي كنا فيها قبلاً تدفأ كلها بالماء السخن واما هذه فلا تدفأ بهِ بل بالكوانين اليابانية وقد استقبلني جلالة الامبراطور في غرفتهِ الخاصة وهي صغيرة يابانية في شكلها وكان واقفًا في وسطها وعليهِ حلة جنرال السترة زرقاء كحلية والبنطلون احمر قاتم وقد تقلد الوسام المجري المرصع اكرامًا لي وحولهُ رجال حاشيتهِ وكلهم بالملابس الرسمية. فصافحني وافتتح الحديث حالاً فسألني قائلاً "منذ كم يوم خرجت من بلادك وكيف جلالة امبراطوركم الكريم (امبراطور النمسا) وبأي طريق اتيت وهل رأيت السفر في خط سيبيريا سهلاً وكم اقتضى لك حتى قطعت منشوريا وكيف رأيت كوريا. ان الآتي من اوربا يرى في هذه البلاد امورًا كثيرة يستغربها فعسى ان تكون سررت بما رأيتهُ وعسى ان ترى كل ما يسرك في بلاد يابان وسيظهر لك اننا باذلون اقصى الجهد لاقتباس اساليبكم . ويسرني ما بلغني عنك من انك تهتم بأمر التعليم العمومي واظن انك ستسرُّ بمدرستنا الجامعة ومكتبتنا ومطابعنا الجديدة . واشير عليك بأن ترى بعض مدن الارياف ايضًا ومقدار الهمة التي يبذلها سكانها في توسيع نطاق التجارة . ولا تغفل مشاهدة اوساكا وسأذهب اليها في الشهر المقبل فعسى ان التقي بك هناك"

هذه المسائل سألني اياها فاجبتهُ عنها وظهر لي انهُ كان مسرورًا جدًّا بالحديث وقبل ان خرجت من حضرتهِ ارسلت جلالة الامبراطورة تطلب مقابلتي فسرت الى الجانب الذي تقيم فيهِ من القصر فقابلتني في غرفة استقبالها واثاث هذه الغرفة من الطراز الفرنسوي وكواها تطلُّ على حديقة يابانية غناء وكانت لابسة حلة اوربيَّة وكان معها اثنتان من الوصائف وهما باللباس الاوربي ايضًا . وحالما وقع نظري عليها رأيت في وجهها امارات البشاشة والدعة وهي نحيفة الجسم صفراء اللون تدلُّ الدلائل على انها كثيرة التفكر وكان مدار الحديث على اعمال البر كالمستشفيات وملاجيء الايتام والمنقطعين وقد جعلت جمعية الصليب الاحمر في اليابان تحت

رعايتها واصغت الى ما اخبرتها بهِ عن اعمال اخوات الرحمة وسألتني مئات من المسائل عن ملاجيء الفقراء وكانت تطلب مني التفصيل بالاسهاب واعربت لي مرارًا عن سرورها بما كنت اذكرهُ لها عن اعمال البر التي يفعلها خدمة الدين المسيحي في بلادها وخرجت من لدنها وانا واثق انها خير قدوة لنساء اليابان

امبراطور كوريا

قال المنسنيور الكونت واي ده وايا حملني ثمانية رجال في محفَّة الى قصر الامبراطور الجديد في هذه المدينة البيضاء وهي احرى بهذا الوصف من كل مدينة لان بيوتها بيضاء



ولباس سكانها ابيض ولم ارَ حولي شيئًا لهُ لون الاَّ المحفة التي كنت فيها فانها كانت مغطاة بجف من الحرير الاخضر وثياب الحمالين فانها من اللون القرمزي

وفي سيول اربعة قصور القصر الشرقي والقصر الشمالي والقصر الغربي والقصر الذي ذهبت اليهِ الآن . واني اعرف هذه القصور وقد قضيت اوقاتاً طويلة في حدائقها اتمتع بمشاهدها البديعة وارى آثار الصناعة الكورية القديمة التي قضي عليها واخشى ان لا تقوم لها قائمة بعد الآن بل تزول كما زال عمران كوريا القديم ولم يبقَ منهُ الاَّ بعض الآثار الفخيمة الدالة عليهِ

ووُضعت المحفة امام رواق كبير قائم على اعمدة من الحديد ومسقوف بالزجاج كأنهُ محطة من محطات سكك الحديد الكبيرة (ثم وصف القصر وانتقد بناءهُ وذوق الذين فرشوهُ لانهم اتبعوا فيهِ النسق الاوربي فجمعوا فيهِ اسخف ما في الاساليب الاوربية ولم يتموهُ حتى الآن بل ابقوهُ ناقصاً ليبقى ما كلة لكل افاق يطلب تتيمهُ الى ان قال)

واخيراً استيقظ الامبراطور من قيلولتهِ وارسل فدعاني اليهِ والخدم الذين دعوني لابسون ثياباً كورية الزي من المضام (البزر) كانهم اموات مكفنون والمضام يكاد يكون لباس الكوريين الوحيد وهم يبطنونهُ شتاء بالفراء او بالقطن المندوف وفي كوريا عشرة ملايين نفس يبتاعون المنسوجات القطنية وستشتدُّ المناظرة بين منشستر واليابان في هذا المضمار ولا يعلم لمن يكون الفوز اخيراً . وسرت الى ان بلغت غرفة الامبراطور وهي ساذجة مبطنة بالورق الملون وفيها مائدة وستار وكان الامبراطور واقفاً بينهما ولما وقع نظري عليهِ لم اصدق اني واقف في حضرة رجل يؤلههُ اهل بلادهِ ويعبدونهُ عبادةً ويحسبون شخصهُ مقدساً وكلمتهُ شريعةً ولهُ البلاد كلها وما تحويهِ واذا لمستهُ يد انسان فقد اثم اثماً فظيعاً واستوجب القتل بل لايجوز لاحد لمسهُ بعد موتهِ فيرفع بآلة ويوضع في تابوتهِ واذا لمس هو انساناً صار ذلك الانسان مقدساً . ولا يتلفظ احد باسم الامبراطور الاَّ همساً ولا يجوز لاحد ان يصورهُ

وقد رأيت في وجههِ مهابة ودعةً ولا يظهر عليهِ انهُ قوي الارادة وكان لابساً ثوباً كورياً اصفر اللون ومنطقاً بمنطقة من الجاد (حجر صيني ثمين جداً يزعم ان التمنطق بهِ ينفع من امراض الكلى والخواصر)

وسألني مسائل كثيرة مثل قولهِ متى قمت من بلادك وكيف وجدت الطريق وفي كم يوم وصلت الى هنا وكيف وجدت البلاد التي مررت فيها . وظهر لي انهُ شديد الرغبة في معرفة احوال بلادي وسألني قائلاً هل بلادكم كثيرة الجبال وهل سكانها اهل فلاحة وهل عاصمتها جميلة . سمعت ان بلاط امبراطوركم فاخر جداً وان موكبهُ من اعظم المواكب ويقول سفرائي الذين عادوا من اوربا ان بلادكم عظيمة جزيلة الغنى وقد اتوني بكثير من التحف والهدايا والصور ويسوءني ان شيخوختي تمنعني من السفر والاَّ لكنت اسافر بنفسي لارى بعيني ما سمعتهُ اذني

وكانت مسائلهُ ترد عليَّ تباعاً حتى لم اكد استطيع ان اجيب عليها كلها . وتقضي الرسوم في كوريا كما في كل البلدان الاوربية ان لا يتكلم احد امام الملك الاَّ جواباً عن سؤَال يسألهُ اياهُ الملك . ثم قال لابد من انك سررت جدًّا حينما رجعت الى سيول ووجدت ان اجمل بناء فيها هو كنيستكم ببرجها الرفيع وقد قيل لي انها جميلة جدًّا فمن هو المهندس الذي هندسها لكم وكم انفقتم على بنائها . ثم سألني عن ملجإِ الايتام الذي بجانب الكنيسة وسرَّ لما اخبرتهُ ان فيهِ مئتي يتيم واراد ان يعرف ما هو رأْيي في الكوريين واولادهم وسر جدًّا لما اخبرتهُ ان الاولاد اذكياء العقول جدًّا اقوياء الذاكرة

وكان ولي العهد جالساً الى جانب الامبراطور وهو رجل في الثلاثين من العمر لا يبدو عليهِ شيءٌ من مخايل النجابة وهو متزوج ولكن لا اولاد لهُ . ولهُ اخ اصغر منهُ يدرس الآن في اميركا ويقال انهُ نجيب جدًّا وهو يدرس الآن علم الادارة ويرجى ان ينفع بلادهُ بعلمهِ . ووراء الامبراطور وابنهِ خصي اسود كبير الجثة وهو رئيس الخصيان ولهُ شان كبير جدًّا وكلمتهُ مسموعة في بلاط الامبراطور

واهالي سيول حزبان حزب مع اليابان يكره روسيا وحزب مع روسيا يكره اليابان ولكن ليس فيها حزب لكوريا نفسها

هذا ما كتبهُ هذا الحبر النبيل قبيل نشوب الحرب بين روسيا واليابان وقبل ان كثر تحدث الناس في اخلاق اليابانيين والكوريين كتبهُ في يوميتهِ الخصوصية غير قاصد ان يطلع احدًا عليهِ فلما دارت رحى الحرب طُلِبَ منهُ نشرهُ فنشرهُ . ويظهر مما اقتطفناهُ منهُ ومما لم نقتطفهُ انهُ معجب باليابانيين عارف بقدرتهم حاسب العمران الذي جروا عليهِ ليس سطحيًّا قليل الغور سريع الزوال بل مؤسس على اسس وطيدة . وانهُ كان في بلاد كوريا عمران عالي الذرى لكن تقوَّضت اركانهُ وزال منها وبعيدٌ ان يعود اليها مادامت مطمحاً لغيرها من الدول . وقد قابل جلالة قيصر روسيا وكتب عن مقابلتهِ لهُ وسننشر بعض ما كتبهُ اتماماً للفائدة

بنك رويستون

كانت الغلبة للقوة البدنية وكان الناس يفاخرون بقتل خصومهم وسلب اموالهم فصارت للقوة المالية وصاروا يستحلون كل طرق الغش والخداع لكسب المال. وفي الفترة بين الحالين سنت الشرائع والقوانين فحرَّمت القتل والسلب والغش والخداع ولكن سلطتها لاتتعدى الظواهر فما كُشف امرهُ وقامت الادلة على ثبوتهِ طبقت القوانين عليهِ وما بقي مستورًا ولم تثبتهُ الشواهد والقرائن بقي صاحبهُ بريئًا ولو كان من شر الموبقات حتى ان القاضي لايحكم على القاتل والسارق ولو رآهما يقتلان و يسرقان مرأى العين ما لم يقم غيرهُ الادلة على ادانتهما. وانكى من ذلك ان يكرم اللص ويدخل بيتك فترحب بهِ كأنهُ من جلة القوم ويدان خادمهُ ويُسجن اذا سرق حفنةً من الشعير من عليق فرسهِ. وتنهال الرتب والنياشين على الذين يزيّفون النقود والاموال ويؤاخذ من يشتمهم بكلمة و يقضى عليهِ بالعقاب. حالة يراها الناس بعيونهم ويغضّون الطرف عنها كأنها من مألوف العادات

وقفنا على قصَّة موضوعة تبين هذه الاحوال على اسلوب جلي في شكل رواية فكاهيَّة لكاتب اسمهُ جوليان هوثورن فرأينا ان نترجها ببعض الايجاز قال

كان رجل اسمهُ جمس النهام وهو كهل في الستين من عمرهِ شديد العصب سريع الخاطر ينظر في الامور بعين البصيرة فيدرك غوامضها ويقابلها بعين المزدري فلا تظهر على وجههِ امارات الاهتمام بها

تلقى العلوم في احدى المدارس الجامعة وقرأ كثيرًا من الكتب العلمية والادبية ووقف على آراء رجال العصر ولم يتابع غيرهُ بل بقي مستقلاً في رأيهِ وهو مع ذلك لين العريكة حسن المعاشرة يتقن ملابسهُ ولا يظهر عليهِ التأنق فيها. ورث مالاً طائلاً عن ابيهِ واشتغل بالصرافة وانشأ بنكاً منذ خمس وعشرين سنة فزادت ثروتهُ. وتوفيت زوجتهُ وهو شاب فتزوج باخرى وعمرهُ اربعون سنة وولدت زوجتهُ الثانية لهُ ابنة صار عمرها الآن ثماني عشرة سنة وزوجتهُ من اهل التقى والصلاح وهي دونهُ ذكاء

وكان اهل مدينتهِ يجلُّون قدرهُ ويحسبونهُ الاول بينهم وعرضوا عليهِ بعض المناصب فرفضها وكان بنكهُ الاول بين بنوك المدينة وجلَّة اهاليها يودعون اموالهم فيهِ

وابنتهُ واسمها اوليبا على جمال فائق وبساطة شديدة ومحبة تقرب من العبادة وتعرَّف بها طبيب شاب اسمهُ بنتنك فخطبها الى ابيها قُبيل الحوادث الآتي ذكرها وكان ذلك في شهر

يونيو واتفقا على ان يكون اقترانهما في اكتوبر

وكان النهام ذات يوم في غرفتهِ الخاصة بعد انصراف العال لان الصراف واسمهُ كلفري طلب ان يكلمهُ على انفراد . وكلفري هذا كهل في الاربعين من عمرهِ دخل البنك في حداثتهِ كاتباً وبعد خمس عشرة سنة صار صرافاً وهو ذكي امين جداً يجري في امورهِ واعمالهِ على غاية الانتظام والتدقيق لكنهُ كثير التأني يسير سير السلحفاة بينما النهام يثب وثب الايل وكان النهام يقدرهُ قدرهُ ولا يبخسهُ حقهُ ويمزح معهُ احياناً ويتهكم عليهِ لكن كلفري لا يتعدى منزلتهُ ولا يكلمهُ الا بالوقار والاحترام

وكان النهام يعلم ان كلفري يحب ابنتهُ اوليا ولكنهُ ينظر اليها نظر العابد الى المعبود غير طامع بالاقتران بها وكانت هي تنظر اليهِ بعين الدعة واللطف ولم يخطر ببالها قط ان حبها كان متملكاً فؤادهُ فلما بلغهُ ان بنتنك خطبها لم يقل شيئاً بل زادت سكينتهُ وزاد انعكافهُ على عملهِ

وقد رأى حديثاً ان الاموال قلت في البنك رويداً رويداً ولم يبقَ فيهِ الا مبلغ زهيد لا يفي بجزءٍ مما يُطلب منهُ فاذا طلب الوادعون اموالهم اضطرَّ ان يشهر افلاسهُ حالاً فاخبر المدير بذلك وطلب اوامرهُ في هذا الشأن وهذا هو الغرض الذي طلب ان يقابلهُ فيهِ

فالتفت المدير اليهِ باسماً وقال لهُ اظنك قلقاً من جراء ذلك فان خفت من الغرق معنا فما عليك الا ان تسبح الى الشاطئ وتنجو بنفسك ولا يصعب عليك ان تجد لك عملاً في بنك آخر

فقال كلفري نغرق كلنا او ننجو كلنا بل افضل ان اغرق وحدي او افعل اي امر آخر اذا امكنني ان انفعك او انفع من لك

فنظر المدير اليهِ وقال لهُ باسماً هَبْ انك تشرع من الآن تزوّر الدفاتر قبل ان يطلع عليها مأمورو الحكومة . فقال كلفري وهو يحسب ان المدير يتهكم عليهِ اني لا انتظر ان تثق بي اكثر مما استحق وعلى كل حال فالبنك بنكك وانت المسؤول عنهُ ولم اقصد في ما ابتهُ لك الا اطلاعك على حقيقة الحال لكي ترشدني الى امر افعلهُ مخافة ان نؤخذ على غرَّة

فقال المدير احسنت ولعلك خفت ايضاً على اوليا لعلَّ خطيبها يتركها وتضطر الى التسوُّل

فاحمرَّ وجه كلفري وتنهَّد ولم يقل شيئاً

فقال المدير الا تزوّر الدفاتر اكراماً لاوليا فان الضرورات تبيح المحذورات ولكنني اظن ذمتك تمنعك من ذلك

فانغض كلفري رأسهُ وبقي صامتاً

فقال المدير يظهر لي انك لا تحب المزاح فهل لك شيء آخر تقوله لي

فقال كلفري كلاَّ ولكن اتضح لي انك لا توجس شرًّا فاطمأن بالي

فقال المدير لقد قلتَ لي انهُ لم يبقَ في خزائن البنك سوى مئة وخمسة وستين الفاً من الريالات ويبقى يساوي ضعفي ذلك واثاثهُ يساوي مئة الف والاملاك والديون التي لنا تساوي مليون ريال وعلينا من الديون مليونان على الاقل فعلينا اكثر مما لنا . واذا اظهر ذلك مراجع الحسابات تداولتهُ السنة الجرائد وصرنا مضغة في افواه الناس يقولون فلان خرج صفر اليدين بعد ما اشتغل خمساً وعشرين سنة واضاع امواله واموال الناس . لي سؤال القيهِ عليك يا كلفري واطلب منك الجواب عنهُ قل لي اي سن يصل اليهِ المرء حتى يصير بمأمن من ان يرتكب التزوير ويُعدَّ مع الجناة

وكان كلفري قد سار نحو الباب لانهُ رأى المدير غير مهتم بالامر ولا اجابة الاَّ بالمزاح والتهكم فلما سمعهُ يقول هذا القول بلهجة الجد وقف حائرًا في امره ولم يعد يخرج

فقال لهُ المدير تعال قل لي هل كبرتُ عن السرقة والاختلاس بعد ان عشت هذا العمر كلهُ سالكاً سبل الامانة

فنظر اليهِ كلفري مدهوشاً وقال لهُ بصوت متقطّع " السرقة والاختلاس " صار لي معك عشرون سنة وانا ارى فيك مثال الصدق والامانة فلا استطيع ان اتصور انك تُقدم على شيء مثل هذا لا تؤاخذني انك تمزح معي وتتهكَّم عليَّ

فرفع المدير رأسهُ وانحنى في كرسيهِ الى الوراء وضحك وقال احسنتَ اذهب الآن الى بيتك ونَم مطمئن البال فان احوال البنك على ما يرام ولا خوف علينا . اذهب بسلام

فودعهُ كلفري وهو يطلب المعذرة منهُ ويقول في نفسهِ ما اوسع حيلة هذا الرجل وما اقدرهُ على ادارة الاعمال

***

بقي المدير في مكانهِ هنيهة يفكر في امرهِ ثم تنفس الصعداء وقام ومضى الى بيتهِ وهو طلق المحيَّا كأنهُ لا يهتمّ بشيء

وجلست عائلتهُ للعشاء هو وزوجتهُ وابنتهُ وخطيبها . وكان هذا الخطيب بهي الطلعة بشوش الوجه نحيف الجسم شديد العضل وكان بارعاً في صناعتهِ متضلعاً من العلوم المتعلقة بها تظنهُ من اول وهلة بعيداً عن الناس لا يميل الى معاشرتهم لكنك اذا خبرتهُ ووثق بك رأيتهُ على جانب كبير من الدعة والانس ثم ترى تحت ما في وجههِ من البشاشة وفي اعطافهِ من

الاين اعصابًا كالفولاذ وعضلات كالحديد تريك انهُ جبار عند الشدَّة مصداقًا لقول من قال

ان الرجال صناديق مقفلةٌ وما مفاتيحها الاَّ التجاريبُ

وجرى الحديث في شؤُونهِ وهم على المائدة فقالت مسز النهام قرأت الآن عن حادثة أُخرى من هذه الحوادث المشومة — صراف سرق مالاً طائلاً من البنك وهرب بهِ ويقال انهُ كان معدودًا من اهل التديُّن الذين يكثرون التردُّد على الكنيسة . لا بدَّ من ان ينتقم الله منا لاجل هذه الشرور لان خوفهُ زال من قلوب الناس . فالتفت زوجها الى الدكتور بنتنك خطيب ابنتهِ وقال لهُ ما قولك في ذلك هل زاد الصلاح في الدنيا او زاد الشرُّ فيها

فقال بنتنك اني ارى الرياء شر المآثم فهذا الرجل كان مرائيًا وقد تعب من حسبان الناس لهُ دينًا وهو لص ففضَّل ان يجاهر بامرهِ . والمجتمع الانساني تعتريهِ الآفات مثل جسم الانسان والآفة الظاهرة اقل ضررًا من الباطنة لان الاولى شفاؤُها مأْمول واما الثانية فلا يرجى لها شفاء

فضحك النهام وقال هذا ضربٌ من ضروب الحكمة مفادهُ ان من كان شرَّ الناس حسب الظاهر فهو افضل الناس . أُحسنت أُحسنت

فالتفتت اوليا الى خطيبها وقالت لهُ لا تصدق ما يقولهُ ابي لانهُ ليس اكرهَ للخداع منهُ . فلم يجبها بل قال ان الغنى امر جديد في الدنيا لم يدرك الناس كنههُ حتى الآن فيظنونهُ كلَّ مطلب ويضحون كل شيء في سبيلهِ وقد قسم الناس الى فريقين الى شرذمة من الجبابرة وهم الاغنياء بين جيوش كبيرة من الاقزام وهم المتوسطون والفقراء ولكل جديد بهجة فمتى الف الناس الغنى لا يعود احد يهتم بان يكون جبارًا فتزول التجارب التي تجرّب الناس الآن لاكتساب الغنى والشرور التي يرتكبونها في سبيلهِ . والانسان ابن الاختبار فمتى اختبر الغنى وعلم متاعبهُ عافتهُ نفسهُ كما تعاف المآكل اذا شبعت منها

فقال النهام ان الانسان مطبوع على الشر وهو ظالم بالطبع ويطلب دائمًا ان يكون فوق غيرهِ وما دام الناس يحسبون التفوُّق لاهل الغنى فلا بدَّ من سالب ومسلوب وظالم ومظلوم لان الناس لا يستطيعون ان يغتنوا كلهم ولا يغتني رجل الاَّ اذا افتقر رجال . وما دمنا نكرم الغني ونجل قدرهُ وكل امرء يود ان يكرَّم ويجل فكل امرء يحاول ان يغتني مهما كلفهُ ذلك وسواء كانت الطرق الموصلة الى الغنى محللة او محرَّمة . اما من حيث الرياء فاكثر الذين يراؤُون يراؤُون لاجل نسائهم واولادهم فان الرجل يرى زوجتهُ واولادهُ يعتقدون فيهِ الفضل والكمال فلا يتجاسر على نزع هذا الاعتقاد منهم

فقالت لهُ اوليبيا ألا يجب اذاً عقاب المجرمين

فقال نعم اذا امكن اثبات الجريمة عليهم وحينئذٍ يكون عقابهم لا لجريمتهم بل لانهم لم يكونوا ماهرين في اخفائهم فاذا اخفوها حتى لا تظهر او لا تثبت عليهم لم يعاقبوا . فالضعيف او الجاهل الذي لا يستطيع ان يخفي ذنوبهُ هو الذي يعاقب عليها ونحن كالذئاب كما سقط منا واحد اكلناهُ

فنظرت زوجتهُ اليهِ نظر الغيظ وقالت لهُ لا يحسن بك ان تمزح هكذا امام ابنتك وصهرك فانهما لا يزالان صغيرين قليلي الاختبار فتشوش افكارها

وقامت اوليبيا وقبَّلت وجههُ وطوقت عنقهُ بذراعها وقالت ان ابي لا يشوش افكاري وهو احسن الناس كلهم

فالتفت النهام الى صهرهِ وقال لهُ انظر كيف يضطر الانسان الى الرياء

ودخل الخادم حينئذٍ وقال اتى رجل يقول انهُ حضر بطلب منك وقد عينتَ لهُ هذه الساعة لتقابلهُ فيها فهل ادخلهُ الى غرفة الاستقبال

وكانوا قد اكلوا وشبعوا وجلسوا يتنقلون فوقف النهام ومسح شفتيهِ بمنديلهِ وقال للخادم ادخلهُ الى مكتبتي وقل لهُ اني سأحضر حالاً

فقالت اوليبيا على الذين لهم شغل معك ان يقابلوك في البنك لا في البيت اما في البيت فانت لنا لا للشغل ولذلك سندخل المكتبة ونمنعكم عن الكلام

فقال ابوها ان امر هذا الرجل خصوصي ولا يحسن ان يُرى في البنك وهو من كبار الماليين فاذا خفنا من الافلاس فهو الرجل الذي يساعدنا ولكن اذا علم انني اجتمعت بهِ وتآمرنا على امر هجم الناس علينا غداً يطلبون اموالهم المودعة عندنا فلا اعود قادراً على تجهيزك

فقالت ان قلبي يوجس شرّاً من هذا الرجل فاطردهُ من هنا او دعني ادخل المكتبة واسمع ما يقول

قالت ذلك وهي ممسكة بيدهِ فنظر اليها وكأنهُ تردَّد في امرهِ ثم نزع يدهُ من يدها وقال قضي الامر ولا بدَّ لي من ان اوقع اسمي في دفترهِ اذهبي العبي مع خطيبك وسأعود اليكم سريعاً

قال ذلك وسار مسرعاً فقطع الدار ثم التفت الى ورائهِ فرأى بنتك خطيب ابنتهِ سائراً مع زوجتهِ وابنتهُ سائرةً الى جانب خطيبها وهي تقبل يدها وتشير اليهِ بها كأنها تقبلهُ عن بعد وقالت لخطيبها لا بدَّ من ان يكون هذا الرجل آتياً يستعطي من ابي لان كثيرين يقصدونهُ لهذه الغاية وهو يتصدَّق اكثر من كل احد ولا مثيل لهُ غيرك يا حبيبي

وكان الرجل الذي اتى زائرًا واقفاً في غرفة المكتبة يرى ولا يُرى لانها كانت مظلمة لا نور فيها فرأى ذلك الشاب بين خطيبته وامها فسرَّهُ ذلك المنظر وانطبعت صورتهُ في ذهنهِ ووصل اليهِ النهام حينئذٍ ودخل واغلق الباب وفتح النور الكهربائي فاضاءت المكتبة بنور ساطع

***

ان الذين يفلحون في هذه الحياة يظنون ان الفلاح جاءهم بغتةً والذين يفشلون يظنون ان الفشل جاءهم عفوًا والحال ان للنجاح والفشل درجات يتدرجان فيها لكن الانسان لا يتذكر الدرجة الاخيرة منها . والحالة التي وصل النهام اليها الآن لم تفاجئهُ مفاجأةً بل قد تدرَّج اليها تدرُّجاً لكن طرق الشر لا تكون جليَّةً في مبادئها فلا يوجس الانسان منها شرًّا ولا يرى اعوجاجها وابتعادها عن طرق الاستقامة الاَّ متى اوغل فيها وتعذَّر عليهِ الرجوع عنها . والآن لم يكد النور الكهربائي ينير تلك الغرفة حتى أُطفئ النور الداخلي من قلب النهام فاظلم ظلمة دامسة

وقف النهام والرجل الذي جاء لزيارتهِ . وقفا متواجهين وكلٌّ منهما ينظر الى الآخر ويتفرَّس في وجههِ . وكانت غرفة المكتبة ادلَّ على اخلاق صاحبها من كل ما في بيتهِ لانهُ رتبها على ذوقهِ . كانت فسيحة مملوءة بخزائن الكتب على جدرانها الاربعة والخزائن بديعة الصنعة وفوقها صور كثيرة مختلفة الاشكال منها ما يمثل الجمال ومنها ما يمثل الحب ومنها ما يمثل العظمة وفي جانب من الغرفة مائدة عليها كثير من الجرائد والمجلات وفي جانب آخر موقد على رفهِ آنية مختلفة من الزجاج البندقي وبين الكتب تماثيل غريبة منها تمثال ياباني يمثل رجلاً ينتحر يبقر بطنهِ على ما كانت الجنود اليابانية تفعلهُ اذا خافت العار . والكتب حسنة التجليد والتذهيب ولكن بعضها لمؤلفين مشهورين بالمجون . وفي الغرفة زاوية فيها مائدة وادوات كيماوية كثيرة وسموم مختلفة وهلمَّ جرًّا مما يدل لاول وهلة على ان عقل ذلك الرجل كان ميالاً الى الاطلاع على كل ما في الدنيا من صالح وطالح وطيب وخبيث ولكن اذا امعن النظر فيهِ بان منهُ ان الرجل يتقصَّد الشر تقصُّدًا ويتوخاهُ حتى في الطيبات ومن كان كذلك ألف الشرَّ اخيرًا ولو تكلَّفهُ في اول الامر تكلفاً فصار ديدناً لهُ . لم يكن الشر من طبعهِ لكنهُ طوَّح نفسهُ فيهِ تطويحاً فصار عبدًا لهُ ثم صار سيدًا عليهِ

والرجل الزائر ربعة مجدول العضل اسود الشعر اجعدهُ واضح تقاطيع الوجه يداهُ صغيرتان لكنهما قويتان يحمل عصاً من الابنوس مقبضها من الذهب تنظر الى وجههِ كما تنظر الى لغز لا تستطيع ان تفهم منهُ شيئاً كأنهُ يخفي اغراضهُ قصدًا لا يفتح عينيهِ على ملئهما لكنهُ يعي بهما كل ما يراهُ ولو لمحهُ لمحة واحدة

تفرَّس فيهِ النهام هنيهة ثم قال لهُ أأنت المستر دكستر غون الممتاز على اقرانهِ فقال نعم اني اسمّي نفسي بهذا الاسم ولي بعض المزايا على اقراني كما لك بعض المزايا على اقرانك · وكان كلامهُ صريحاً خالياً من كل غنة · فوقف النهام هنيهة أُخرى يتفرَّس في وجههِ كأنهُ يريد ان يطبع صورتهُ في ذهنهِ ثم قال لهُ انني اقفلت الباب فلا يسمع احد ما نقولهُ فتفضل واجلس واجتماعنا امرٌ محتوم لابدَّ منهُ ولقد فضَّلتُ ان يكون بدعوة مني لك · ماذا تريد ان نشرب الخمرَ ام شراباً آخر

فقال لا اشرب شيئاً الاَّ بعد ان ننتهي من شغلنا ولكنني ادخن سيكاراً اذا اردت

ففتح النهام درجاً واخرج منهُ صندوق السيكار وفتحهُ امام ضيفهِ واخذ منهُ سيكاراً اشعلهُ ومص منهُ مصتين ثم وضعهُ في المنفضة وجلس على جانب المكتب لا على كرسي وبدت عليهِ دلائل الاضطراب لان افكاراً مختلفة تنازعتهُ في تلك الساعة وضيقت انفاسهُ تخفق فؤادهُ واضطربت رئتاهُ وشعر كأن الضغط الادبي زال عنهُ فجاشت نفسهُ كما يجيش الماء في اناء زال ضغط الهواء عنهُ ولو لم تكن حرارتهُ شديدة ثم جعل يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً وهو يجبر نفسهُ على جعل خطواتهِ متساوية لكي يشتغل ذهنهُ بشيءٍ عما كان قائماً في نفسهِ من الاضطراب ثم صار يلتفت الى ما حولهُ في الغرفة لكي يتلهى بهِ فرأى كأنَّ كل ما فيها انقلب عن وضعهِ وحانت منهُ التفاتة الى مرآة في الحائط فرأى صورتهُ فيها واستغرب لما رأى نفسهُ بثياب فاخرة ولحية منتظمة كأنهُ كان ينتظر ان يرى نفسهُ في ثياب الجناة وشكلهم الزري وحاول النطق فعصاهُ لسانهُ وارتجفت شفتاهُ وشعر انهُ سائر في سبيل كثير المزالق لا تؤمن عاقبة السير فيهِ فقال لا بدَّ من ان تبقى الدفة في يدي سواءٌ سرت او لم اسر. ثم عاد الى نفسهِ فرأى انهُ لا يزال واقفاً امام دكستر غون ودكستر يدخن السيكار ولا يبدي حراكاً وشعر كأن تلك اللحظة سنة مرَّت بهِ فجمع قواهُ كلها وقمع عواطف نفسهِ التي كادت ثورتها تتغلَّب عليهِ وقال

لا بدَّ من انك سُجنت وذقت الاشغال الشاقة ولقد كان ذلك شأني ولم اخرج من سجني واذق طعم الحرية الاَّ الآن واذا نجحت حيلتنا كانت الاخيرة من نوعها

فقال لهُ غون اراك قلقاً دعنا نتكلم في شغلنا فيهدأ روعك

فجلس النهام في كرسي كأنهُ غصباً عنهُ وسكَّن جاشهُ وقال لقد راجعت فكري وصممتُ نيتي قبلما دعوتك ولم يبقَ وجه للاعتذار والتأويل · اظن انك فهمت مرادي من دعوتي لك

فاشار غون بحاجبيهِ ولكنهُ لم يتكلَّم

فقال النهام لابأس باطلاعك على كل شيءٍ ولا خوف من انك تكشف سري لاحد لانهُ

ليس معنا ثالث واذا شكوتني وانكرتُ فما من احد يصدق دكسترغون رئيس اللصوص ويكذب جمس النهام مدير بنك رويستون المعروف بالنزاهة والاستقامة في كل هذه البلاد

فقال غون افصح المقال واخبرني بمرادك

فقال النهام اريد منك ان تسرق البنك. قال ذلك وكاد صوتهُ يبح حينما نطق بهذه الكلمة

فقال غون مهلاً يا صاح ولا تتعجل في الكلام فان للصوص آداباً كما لمديري البنوك وانا اعرف من امر البنوك كما تعرف انت ولو على اسلوب آخر ويظهر لي انك ضاربت فخسرت ورهنت بيتك وامتعتك ولكن بقي البنك مديوناً باكثر ما فيهِ وتخاف ان ينفضح امرك فلماذا تلجأ اليَّ ولا تفرُّ وتنجو بنفسك

فقال النهام لان لي زوجة وابنة وسأصير حميًّا عن قريب والهرب لا ينجيني من العار فصمت غون هنيهة ثم قال اتعني تلك الفتاة التي رأيتها والشاب الذي كان معها

فقال النهام مالنا ولهما الآن

فقال غون ولكن ان كان شأن ابنتك يهمك فليس الامر سهلاً كما تظن لانها اذا اوجست شرًّا ونظرت اليك نظرة واحدة فقد تثنيك عن عزمك. فصمت النهام قليلاً كمن ينظر في معنى خصمهِ ثم لاحت على وجههِ امارات الحزن فقال انت حرٌّ ان تفعل اولا تفعل فتخسر ربحاً طائلاً أو تظنني سهل الانقياد الى هذا الحد

فقال كلاَّ ولكنني اعرف الناس الذين مثلك اذا انحرفوا مالوا كل الميل فهل هذه اول خطوة خطوتها في هذا السبيل

فاغتاظ النهام من هذا الكلام وانقبضت عضلات يديهِ لكنهُ عاد فملك طبعهُ وقال نعم هذه اول خطوة

ففكر غون قليلاً ثم قال اني لا استحسن هذا العمل ولكن قل لي كم لي منهُ

فأُفرج عن النهام وقال ان في خزنة البنك مئة وخمسة وستين الف ريال من الاوراق المالية وهي اجرتك اذا وصلت اليها ولكن لابدَّ لك من كسر الخزنة وانا ادَّعي انك نهبت منها ملايين ثم أستدعي مجلس المديرين ونسوّي المسألة فما رأيك في ذلك

فقال هل يعلم احد بذلك غيري وغيرك — هل يعلم بهِ صرَّافك كلفري

فقال النهام كلاَّ ولو امكنني ان اخبر احدًا ما كنت دعوتك الى هنا ولم تشتدَّ الازمة عليَّ الاَّ قريباً وقد بلغتني مهارتك وما فعلتهُ ببنك نيويورك منذ سنة او سنتين وها نحن كما ترى

فقال غون اني اعرف رجلاً من مديري البنوك وقع في ما وقعت فيهِ انت فجعل صرّاف البنك يهرب بقليل من المال وادّعي عليهِ انهُ سرق اموال البنك كلها وفرّ بها ولكن ان لم يكن كلفري من هذا القبيل فلا بدّ من طريقة اخرى

فقال النهام ولا يحل لي ان اوقع رجلاً بريئاً في هذه الورطة اما انت فامرك معلوم

فنظر اليهِ غون نظر الازدراء وقال لهُ اعلم اننا اذا قابلنا مديري البنوك باللصوص الذين يسرقون البنوك لم نجد المديرين افضل من اللصوص بل نجدهم ادنى منهم واجبن فاننا نحن نسرق البنوك تحت انوف الحراس ونسقط او نقوم ولا نتظاهر بالخير ونحن نبطن الشر . واما انتم فتتنعمون في قصوركم وتهزأون بالدنيا وتختلسون اموال الناس اغنياء وفقراء على حدٍ سوى واذا درى بكم الحراس او القضاة تعرفون كيف ترشونهم وتنجون . وعندي شيء آخر اقولهُ لك فاجلس واستمع لانهُ قلما يتفق لي ان اكلم رجلاً مثلك . هوذا ابنتك فتاة جميلة المنظر طلقة المحيا ولا شبهة عندي في انها طاهرة السيرة والسريرة وستقترن عما قليل بشاب مهذب وهما يظنان انك عين الكمال وانا يقول الناس اني رجل شرير ولا اخالفهم في ذلك واذا قبضتَ عليَّ وانا متلبس بالجناية ولم اجد لي سبيلاً الى النجاة الاَّ بقتلك قتلتكَ ولم ابالِ . وقد رأيتك منذ ساعة آتياً اليَّ وابنتك وراءك تقبل يدها وتشير اليك بها وحينما تنتهي من شغلك معي تعود اليها وتقبل وجنتيها وانت لص ومختلس مثلي ولا تستحق ان تحسن الظن بك اكثر مما تحسن الظن بي . لقد عشتَ عيشة الرخاء كل عمرك ودرست في احسن المدارس وتربيت على الصلاح وانا مجرم عشتُ مع المجرمين ولم اتعلم الاَّ ما يسهل عليَّ الكلام والتعبير عن افكاري ولكن اذا نظرت اليَّ فتاة مثل ابنتك كما تنظر ابنتك اليك قلقتُ لاني ارى من نفسي اني لا استحق ذلك ولا اجسر عليهِ . واني لأخبرك بما لا تعلمهُ وما قد لا تصدقهُ وهو اننا نحن معاشر اللصوص نضع لانفسنا حداً لا نتخطاهُ فلا نتظاهر بالفضيلة ولا نخدع غيرنا حتى يعتقد فينا غير ما نحن اما انتم وجهاء القوم فلا حدَّ عندكم لشيء تتظاهرون بالصلاح والوجاهة وانتم فاسدو السيرة والسريرة وهذا الذي اعتقدهُ فيك يا مستر النهام ولا سيما بعد ان قلتَ لي انهُ لايحل لك ان توقع رجلاً بريئاً في هذه الورطة ولكن يحل لك ان تستأجر لها لصاً مشهوراً باللصوصية مثلي . فلقد صدق ظني فيك انك تقيم من نفسك الخبيثة صنماً تعبدهُ ابنتك ويعبدهُ خطيبها وتتظاهر امام الذين نهبت اموالهم انك الرجل الذي نهبتْ اموالهُ وهذا هو الذي يجعلني ازدري توبيخك لي وسافعل ما طلبتهُ مني لانهُ قلما يقع لي مثل هذا المبلغ من المال بهذا المقدار من السهولة . ولكن اذا ساءت احوالك بعد ذلك

وانتظمتَ في سلك اللصوص فاعلم ان اللصوص الذين مثلي يترفعون عن مشاركتك وها قد افرغت لك ما في نفسي

***

لما كان غون يتكلم بهذا الكلام كانت القوة الغضبية في النهام تجيش وتثور وهو يحاول اخمادها لانهُ رأى نفسهُ في قبضة هذا اللص وسمعهُ ينتقد اخلاقهُ انتقادًا كشف لهُ القناع عن حقيقة امرهِ وحاول الضحك استهزاء بكلام خصمهِ فابت نفسهُ عليهِ ذلك وحثتهُ على الانتقام منهُ ولكنهُ عجز عن الامرين فقد كان في كل ما مضى عليهِ من السنين وليَّ امرهِ ووليَّ امر غيرهِ لا يُناقَض ولا يعاند في شيء فلما ترك منزلتهُ التي كان فيها رأى نفسهُ امام هذا اللص كالمرؤوس امام الرئيس وزاد في خستهِ اهتمامهُ بحفظ مقامهِ بين الناس فاضاع منزلتهُ التي كان يحتمي بها كما بترس منيع ورأى سيف اخلاقهِ مثلمًا في يدهِ لا يقطع شيئًا فوقف امام اللص اعزل لا درع يقيهِ ولا سلاح يدافع بهِ ولم يعد يجسران يقطع الحديث وينقلب لان زمامهُ صار في يد خصمهِ. فقال في نفسهِ لقد استطيع ان انتقم منهُ في فرصة اخرى فارتاح الى هذا الخاطر وكظم غيظهُ واقرَّ بفشلهِ وقال لغون اراك قويَّ الحجة جدًا وانا واقع في ورطة كما ترى ولا بدَّ لي من ان اضحي كل شيء للنجاة منها الاَّ مقامي بين الناس ولا اهتم بهذا المقام الاَّ حبًّا بزوجتي وبنتي ولا شبهة ان منزلتك في هذه المسألة احسن من منزلتي ومهما يكن من الامر فانا لاجيء اليك طالب مساعدتك ولك من الجزاء ما يرضيك

فاشار غون برأسهِ علامة القبول وقال لهُ اشرح لي بعض التفاصيل

فقال اني اعطيك مفاتيح البنك وأبعد عنهُ الحارس وعليك ان تدبر امر الخفير وهوارلندي من رجال البوليس ولا بدَّ لك من كسر الخزنة . واصلح الاوقات لذلك غدًا ليلاً

فوقف غون وقال ان المبلغ الذي فيها مئة وخمسة وستون الف ريال الم تقل كذلك

فقال النهام وقد يُسحَب منهُ شيء قليل او يضاف اليهِ شيء قليل غدًا في بحر النهار

فنظر غون نظر المستفحص المسترِيب وادرك النهام مرادهُ فاغتاظ منهُ ولكنهُ لم يظهر الغيظ بل اخفاهُ بالتبسم

فقال غون اني اعتمد على قولك ثم دار ليذهب

فقال لهُ النهام ألا تشرب الآن كأسًا من الشراب ثم فتح خزانة واخرج زجاجة منها وصبَّ كاسين فتناول كلٌّ منهما كأسًا وشربها وقال غون هذا الشراب طيب واذا تم كلُّ شيء على ما احب تركتُ اللصوصية لانني مللتها وذهبتُ الى البلدان الجنوبية واقمت فيها آمنًا

ولكن لا تدع ابنتك تعلم شيئًا مما جرى بيننا

فقال النهام الله يوفق . وخرج غون من الغرفة فسمع اوليبيا تنادي ابيها وتقول لهُ قل لضيفك ان يتفضل و يشرب فنجان شاي معنا

فالتفت الى غون وقال لهُ ادخل اشرب فنجان شاي لماذا لا تدخل . فنظر اليهِ غون شزرًا وقال لهُ اتدَّعي انك تهتم بامرها ثم تركهُ وسار وخرج من البيت وكأنهُ رماهُ بسهم صائب بتلك النظرة

ولما وصل الى الشارع الذي امام الباب مرَّ بهِ رجل مُنحني الرأس غائر العينين وهو كلفري صراف البنك كان من عادتهِ ان يمشي امام بيت المدير حيث تقيم الفتاة التي علق حبها قلبهُ . ولم يلتفت غون الى كلفري ولكن كلفري رآهُ جيدًا فرسخت صورتهُ في ذهنهِ (ستأتي البقية)

بورت آرثر والحرب الحاضرة

من يرم بنظرهِ دقيقة واحدة على خارطة اوربا يرَ ان روسيا على اتساع مساحتها لا ميناء بحريًا لها الأعلى البلطيك حيث يبقى الجليد نحوًا من عدة اشهر يمنع من حركة البواخر والسفن ولما كان وجود الموانئ البحرية في الدول من اهم عوامل تقدمها واسباب عظمتها حاولت روسيا مرارًا ان تصل الى البحر المتوسط فما افلحت ووجدت من الصعوبات والمقاومات ما ايأسها وكاد يذهب بامانيها . فمن ثم وجهت نظرها الى الشرق الاقصى فكان احسن ميناء وجدتهُ هناك ميناء فلاديفوستك . الأ انهُ في اقصى المعمور من جهة المشرق على تنحيهِ عن طرق التجارة العامة وفوق ذلك فان الجليد يلازمهُ اكثر ايام السنة . ومع ذلك رضيت بهِ مدة وفقًا للقول المأثور اذا لم يكن ما تريد فاردْ ما يكون وعللت نفسها ان كوريا قريبة من هذا المرمى فلا بُدَّ من ان يسعدها الحظ فتنتهز فرصة للمداخلة في امور هذه البلاد فتستولي عليها اوعلى الاقل تكون تحت حمايتها وتتوصل من ثم الى ميناء فيها يغنيها عن فلاديفوستك ويفتح بابًا لتجارتها في الشرق الاقصى

الأ ان الدولة الروسية كانت تعلم الصعوبات التي تحول دونها ودون متمناها هذا . واقلّ هذه الصعوبات معارضة الصين وربما اليابان لانها لم تكن اذ ذاك تحسب حسابًا لليابانيين لحداثة عهدهم بالظهور بين الدول التي يُؤْبَهُ لها . وكان معظم خوفها من معارضة الصين راجعًا الى ما بينها وبين كوريا من ترامي المسافات وصعوبة المسالك التي تحول دون ايصال قواتها

البرية الى تلك الاصقاع النائية . ومعلوم انها ان لم تُعِدَّ العدَّة للتغلب على هذه الصعوبة فلا يبعد ان يحلَّ بها الفشل ولا سيما اذا اتفقت الصين واليابان معاً على مناوأتها

وواضح أنَّ اهمَّ ما كانت روسيا تُعدُّه انما هو تقريب المسافات وتذليل وعورة المسالك وبعبارة اخرى مدّ السكك الحديدية تسهيلاً وتعجيلاً لنقل قواتها الحربية التي يتوقف عليها فوزها في العراك الذي كانت تقدّر وقوعهُ قبل ان تضمّ كوريا الى املاكها او تستولي على ميناء من موانيها يفي بحاجتها التجارية وما الى ذلك من اغراضها السياسية

وعليهِ فكان في حوالي سنة ١٨٨٤ ان المرحوم القيصر اسكندر الثالث اصدر امرهُ بمدّ سكة حديد سيبيريا لتصل بين املاكها في اوربا وبين ميناء فلاديفوستك وان يتصل هذا الخط العظيم بخط موسكو مارًّا في شمالي الاملاك الصينية ومن جملتها منشوريا . ولما كان هذا الخط من اطول الخطوط الحديدية في الدنيا ويقتضي من النفقات ما تنوء تحتهُ اعظم الشركات المالية التجارية فضلاً عن ان فائدتهُ التجارية لذلك الحين ولحد هذه الساعة كانت بحيث لا يخطر ببال شركة من الشركات ان تباشر مدَّهُ على نفقتها — باشرت الدولة الروسية مدَّهُ على حسابها

وكثرت التقوُّلات حينئذٍ في شأن هذا الخط وارجف بهِ الكثيرون وبالغاية التي من ورائهِ وهوَّلوا بكثرة نفقاتهِ حتى صرَّح بعضهم ان الدولة الروسية تعجز عن مدّهِ وأن لابدَّ لها من الوقوف دون اتمامهِ كل ذلك ليثنوا عزمها عن مدّهِ او اقلهُ ليثبطوها سنيناً عديدة عن نجازهِ لكنَّ الروس ما زالوا على عزمهم فيهِ وما فتئت دواتهم تجعل لهُ في ميزانيتها سنة بعد سنةٍ مخصصًا كما كانت تجعل لجيوشها البرية او لاساطيلها البحرية الى ان توفي المغفور لهُ اسكندر الثالث سنة ١٨٩٤ وكان قد نجز معظم هذا الخط الأَّ اجزاء منهُ بين فلاديفوستك وبحيرة بيكال وتجلّى لعيون الكثيرين أنَّ ما كان في عداد الاوهام او خيالات الاحلام اصبح من حقائق اليقظة

وفي سنة ١٨٩٤ تولّى اريكة العرش الروسي جلالة القيصر الحالي نقولا الثاني وكان الخط كما قلنا بلغ حدود منشوريا شمالي خربين فما انحرف فيهِ عن خطة والدهِ شعرةً واحدة الأَّ ما كان من تغيير خط مسيرهِ فانهم كانوا بادي بدءٍ ينوون بهِ ان يسير في الاملاك الروسية مجاريًا نهر عامور فبدا لهم ان يعدلوا عن هذا التخطيط ليمروا بهِ في منشوريا الصينية راساً الى فلاديفوستك مارًّا بخربين . وبعد مخابرة دولة الصين وبذل الوسع في اقناعها تم لعمال القيصر ما ارادوهُ ومرَّ الخط على خربين في شمالي منشوريا على ما تراهُ مرسوماً في الخرائط الحالية

ماذا كان يجري في اليابان

لنترك الآن عمال الروس يخابرون دولة الصين في ان تسمح لم بمد هذا الخط في املاكها تارةً يهولون عليها وتارةً يحاسنونها ويتزلفون الى اصحاب الحل والعقد فيها على عادة الروس وغيرهم من الدول الاوربية في الشرق ولنرجع الى ما كان يجري في اليابان

كانت هذه الامة قد انتبهت من غفلتها الشرقية ورأت ما هي عليهِ هي والصين من الضعف بازاء الدول الاوربية الكبرى. ورأت ان ضعفها لم يكن من حيث تأخر اهلها في الصناعة والزراعة — فان الصين واليابان من هذه الحيثية كانتا ولا تزالان في مقدمة العالم اجمع — انما كان ضعفها من حيث تأخرها في الجندية البرية والبحرية. وهنا نقول ان تفوّق الممالك الغربية على الممالك الشرقية واستتباعها لها والسيطرة على رؤسائها سببهُ قوة جنديتها وانتظامها وبلوغها في ذلك اعظم المبالغ بما أُدخل اليها من قوة العلم الطبيعي والرياضي والميكانيكي. ولو ان اوربا اقتصرت في تمدنها على ترقية زراعتها وصناعتها فقط وضربت من حولها سورًا يمنع ما يجاورها من الامم من شنّ الغارة عليها كما فعلت الصين منذ مئاتٍ من السنين لكانت رجال التعايشي مثلًا اجتازت اليها البحر المتوسط ولم تبقِ في ديارها دارًا الاَّ دوّختها واعملت فيها السيف والنار حتى تركتها قاعًا صفصفًا

فلما استفاقت اليابان من غفلتها بما نبهتها المدرعات الاميركانية اولًا ثم الانكليزية ثانيًا وكانت قد رأت ما حلَّ بجارتها الصين على ضخامة ملكها وكثرة عدد سكانها وقوة رجالها فلم يغنِ ذلك عنها شيئًا بازاء الدوارع الانكليزية رأت ان تتلافى ما نقصها من هذا التمدن الحربي بتقليد اهلهِ فيهِ والجري على خطتهم في جميع مقوّماتهِ فاستدعت اليها الضباط الحربيين من فرنسا والمانيا اولًا ثم اخذت في ارسال الوفد بعد الاخر من ابنائها الى انكلترا واميركا وفرنسا والمانيا حيث درسوا العلم الحربي وما هو من متعلقاتهِ على اهلهِ وتعلموا لغتهم وقرأوا كتبهم وجرائدهم فعرفوا اغراضهم وما تنزع اليهِ نفوسهم من الاثرة والسلطة وعادوا الى بلادهم بما تعلموهُ فعلموهُ واذاعوهُ في بلادهم شرقًا وغربًا وقرنوا العلم بالعمل

وأول ما توجهت اليهِ همّتهم انهم باشروا في تنظيم جيوشهم البرية والبحرية على الطريقة الاوربية وما زالوا يدأبون على ذلك نهارًا وليلًا حتى تمَّ لهم هذا التنظيم على ما يريدون واوربا في غفلةٍ عنهم اولًا لبعدهم عنها وثانيًا بمجاملتهم دولها وتغافلهم عن مطامعها وفتح بلادهم لتجارتها من غير ان يفتحوا لها بابًا للمداخلة في شؤونهم الخاصة فلم يشعر اهل اوربا الاَّ وعند اليابان جند منظَّم كاحسن ما يكون من الجند عندهم

فلما تمَّ لليابانيين كل ذلك احسوا بالقوَّة وسمت نفوسهم الى ما تسمو اليهِ امةٌ مستقلة يبلغ عدد سكانها خمساً واربعين مليوناً لسانها واحد ودينها واحد وعوائدها وتقاليدها واحدة ولا اقول شيئاً عمَّا وُفقوا اليهِ في بلادهم من الانقلاب السياسي العظيم وقيام الميكادو الحالي ومن حولهِ نخبة من رجال الامة اجتمعت كلمتهم على رأي واحد وانصرفت وجهتهم الى تعزيز شأن بلادهم فاخلصوا لمليكهم واخلص مليكهم لهم وعزز كل منهما شأن صاحبهِ اولئك نظموا وسنُّوا وذاك بما لهُ من نافذ السلطة امر ان يوضع ما نظَّموهُ وسنُّوهُ لخير البلاد موضع الاجراء والعمل بموجبهِ من غير تردُّدٍ او حفيظةٍ . وكل ذلك تمَّ لليابان قبل ان أتمَّ الروس مدَّ خطهم الحديدي الى فلاديفوستك ولا شك انهم علموا ما كان بعلمهِ غيرهم من غاية روسيا بمدِّ هذا الخط فانهُ كان اظهر من الشمس انهم كانوا يريدون بهِ فتحاً في كوريا ومنشوريا ليتوصلوا الى ميناء بحري في تلك الاصقاع لا يتسلط عليهِ الجليد فيعزز نفوذهم في الشرق الاقصى ويربط تجارتهم بتجارتهِ

وكانت اليابان اصبحت تطمع فيما تطمع بهِ الدول الاوربية من السطو على الصين فوجهت مطامعها الى كوريا وهي اقرب اقسام هذه المملكة اليها ليس بينها وبين بعض جزرها ما يزيد على التسعين كيلو متراً وكوريا هذه بلاد خصيبة التربة غنية بالمعادن الثمينة والفحم الحجري وفيها من النفوس نحو من سبع ملايين او يزيد

وكان اول ما حاولتهُ اليابان ان تسلخ هذه البلاد عن الصين ليتهيأ لها ضمها اليها في المستقبل او على الاقل السيطرة عليها دون الصين والانتفاع بخيراتها . وللتوصل الى غايتها هذه ارسلت في سنة ١٨٧٦ معتمدين من قبلها الى عاصمة كوريا واظهرت الغفلة عما للصين من السيادة عليها بان عقدت معها معاهدة من اول بنودها ان كوريا بلاد مستقلة متمتعة بجميع الحقوق التي تتمتع بها اليابان فكانت هذه المعاهدة اول خطوة خطتها اليابان لتفتح لها باباً للمداخلة في احوال كوريا

امَّا الصين فلغفلتها وجمودها لم تعترض صراحةً على ما فعلتهُ اليابان واكتفت بان ارسلت من قبلها وكيلاً سياسياً الى سيول عاصمة كوريا وجرَّت على نفسها بغفلتها ويلاً طويلاً لان اليابان لم تلبث بعد هذه المعاهدة ان اقامت لها سفارة في كوريا واخذت في دس الدسائس منها بين الكوريين حتى صارت سفارتها هذه خليَّةً لاهل الفتنة والثوَّار من الناقمين على الاسرة المالكة في كوريا . واشتدَّ الحال سنة ١٨٨٢ بالكوريين حتى ثار ثائرهم على اليابانيين فهجموا على سفارتهم واضطروا من فيها الى الهرب بحياتهم الى حيث جاءوا فتذرَّعت اليابان

بهذا الحادث وارسلت من قبلها جنوداً الى كوريا تحمي سفارتها ورعاياها من تعدي الكوريين عليهم كما زعمت وما زالت على خطتها هذه تحذو حذو الاوربيين في نصب الفتن توصلاً الى ما تقصد الى ان كانت سنة ١٨٨٣

وفي هذه السنة تفاقم الخلاف بينها وبين الصين على كوريا الأ انهُ انتهى بعقد المعاهدة الآتية

(اولاً) ان تعترف اليابان بتقدم الصين عليها في كوريا

(ثانياً) ان تسحب جنودها من كوريا

(ثالثاً) اذا حصل لليابان ما يدعو الى ارسال عساكرها الى كوريا فعليها قبل ارسالها ان تعالن الصين بذلك

(رابعاً) اذا حصل في كوريا ما يدعو الصين الى ارسال جنودها اليها فعليها ايضاً ان تعالن اليابان قبل ارسالها

والظاهر ان الصين رضيت بهذه المعاهدة غفلةً منها واعتماداً على ما تعلم من ميل الكوريين اليها ونفورهم من اليابانيين من جهة واستخفافاً بقوة اليابانيين وسياستهم من جهة اخرى . واما اليابان فكانت على بينة مما تسعى اليهِ عالمة الى اين ينتهي بها المسير . وهكذا انقضى الخلاف بين الدولتين الى حين

فلما كانت سنة ١٨٩٤ وكان الخط الروسي الحديدي وصل الى بيكال ومدَّت بعض اقسام منهُ بين بيكال وفلاديفوستك وتوجهت خواطر عمال الروس الى ان يمروا بهذا الخط في شمالي منشوريا من ارض الصين الى مينائهم شرقي كوريا قامت اليابان تحول دون الروس ودون ما ينوون وزعمت انها تميت عليهم ثمرات هذا الخط في المستقبل وتوهمت انها كفوء لذلك وجرَّأها على ذلك ما رأت من التحاسد والتغاير في المصالح بين الروس وبين بريطانيا العظمى فاوجدت بعض المشاغب في كوريا حتى اضطرت هذه الى طلب مساعدة الصين فارسلت اليها الصين جنودها واعلنت اليابان بذلك وفقاً للمعاهدة التي اشرنا اليها آنفاً . وبعد ان وصلت جنود الصين الى كوريا اخذت اليابان تختلق المعاذير والاسباب حتى شهرت الحرب على الصين واظهرت انها لا تنوي ضم شيء من هذه المملكة الى بلادها انما تريد مجرَّد اصلاح الحال في كوريا

الأ ان اليابان لم تحسن تقليد الدول الكبيرة فيما فعلت ونظرت الى القريب دون البعيد فلم تفطن لمعنى المثل القائل " قدّر لجنبك قبل النوم مضطجعا " لانهُ فاتها بحسب الظاهر انَّ في عملها هذا مناواةً لروسيا وأن روسيا مثلها ان لم تكن اشدَّ منها دهاء . ومن تلك الساعة

ابتدأت سلسلة اغلاطها المتوالية التي دفعتها اخيرًا الى حربها الحاضرة فسعت الى حتفها بظلفها وهي لا تعلم . وكان عليها ان تتروَّى في الامر فان بريطانيا العظمى كانت مثلها تعرف ان القصد من مدّ روسيا خطّها الحديدي انمَّا هو التوصل الى فرضةٍ في البحر الصيني تسهيلاً لتجارتها هناك ومحطًّا لاساطيلها وهذا امر يهمّ بريطانيا العظمى كما يهمها هي ان لم يكن اكثر منها ومع ذلك لم تندفع بريطانيا العظمى الى ما اندفعت اليهِ اليابان وكان يمكنها مثلها ان تختلق اسبابًا وتحلّ في كوريا ومنشوريا وتحول دون الروس وما ينوون . ولكنها (اي بريطانيا العظمى) ادركت ان فعلها هذا يكون سببًا للحرب بينها وبين الروس في المستقبل فاحجمت عن مناوأتهم واندفعت اليابان الى ذلك اغترارًا وهي دون بريطانيا العظمى بمراحل منعةً وقوةً في المال والرجال وضخامة الاساطيل البحرية

ووجه غلطها انها لم تنظر الاَّ الى الحاضر ولم تتدبَّر ما يكون من روسيا بعد الحرب مع الصين واكتفت بما كان يظهر لها من انَّ روسيا لا تستطيع ان تفتح عليها حربًا الاَّ بسبب ظاهر تجيزهُ لها القوانين الدولية ولمَّا لم يكن يظهر لها سبب اكتفت بهذا القدر ولم تفطن او لم ترد ان تفطن الى ما يكون من دهاء الروسية عند نهاية الحرب ولا الى ماذا تستطيع ان تفعلهُ لتحول بينها و بين الحلول في كوريا ومنشوريا فبدأت الحرب الصينية والظفر حليف لها والآمال ملء صدرها ليس ثمَّت بحسب الظاهر ما يوجب سوء المغبة وظنَّت انها خدعت الروس وحالت بينهم وبين ما ينوون

فلما تمَّ لها الغلب وتربَّعت في كوريا ومنشوريا اذا بروسيا وقفت في وجهها وفرنسا والمانيا معها احداها عن يمينها والاخرى عن شمالها وملامح الغفلة عما اكتنفَ اليابان بادية على وجوه سفراء هذه الدول فاظهروا لها انهم اعتقدوا ويعتقدون ان السبب الظاهر الذي قدمتهُ عذرًا لها عن نزولها ساحات هذه الحرب هو السبب الحقيقي اي انها حاربت لخدمة المدنية والانسانية لاطمعًا في ارض الصين ولا رغبةً في التسلُّط على كوريا وشكروا لها باسم الانسانية عملها وغبطوها على ما فعلتهُ في سبيل هذه الخدمة الجليلة المبرورة وابلغوها بالنيابة عن القيصرين والجمهورية الفرنساوية مزيد الثناء على خدمتها هذه التي قامت بها بكل خلوص نحو التمدن الانسانية وسألوها ان ترجع الى بلادها لانهُ لا حاجة بعد الى خدمتها لانها تمت . فبُغتت اليابان وكأَنها لم يكن يخطر لها في بال ان الروسية تحاربها بمثل هذا السلاح فوقفت لا تحير جوابًا فلا هي تستطيع انكار ماصرَّحت بهِ عند اشهار الحرب ولا هي في وسعها ان تكشف عما كانت تخفي من معارضة الروس والحيلولة بينهم وبين مامدُّوا الخط الحديدي من اجلهِ .

وحينئذٍ تبين لها ان الروس كانوا امكر منها وادهى . ولو كانت اليابان اتقنت دهاء السياسة كالاوربيين لأعدّت لمثل هذا الاعتراض عُدَّتهُ من المال والرجال وفخامة الاساطيل فكان ذلك جوابها كما يفعل الاوربيون في مثل هذه الحال او لكانت اقلهُ اعتمدت على دهاء السياسة فلم تخض غمار هذه الحرب الا بعد ان اتّفقت مع انكلترا واميركا على ان تقفا معها في وجه الروس من جهة ودرت من قبلُ على منع اجتماع الروس والالمان والفرنساويين عليها من جهة اخرى ولكنها لم تفعل شيئاً من كل هذا واكتفت ان خدعت نفسها بان خداعها ينطلي على غيرها وان الروس لايجدون اعتراضاً في نهاية الحرب على ما قدَّمتهُ من الاسباب لمحاربة الصين واحتلال كوريا ومنشوريا فاضطرّت ان تضع خرج خداعها على كتفها وترجع من حيث جاءت

فان قيل وماذا كان يجب ان تفعل اليابان قلت لو كانت من دهاء السياسة على ما هي عليهِ الدول الكبرى لكانت دفعت انكلترا واميركا الى هذه الحرب بدلاً من ان تندفع هي اليها فان انكلترا اهمها امر هذه السكة اضعاف ما اهمّ اليابان وذلك ظاهر من المقالات التي كانت تحبّرها جرائد هذه الامة العظيمة لتثبط هذا المشروع ولما هو معلوم من تنازع هاتين الدولتين النفوذ في الشرق وما رسخت عليهِ تقاليدهما من ان كل دولة منهما تسعى في وضع حدّ لنفوذ الاخرى وتتربص بها الفرص . ولو صبرت اليابان كما تصبر روسيا او انكلترا او فرنسا مثلاً لكان المرجح ان تأخذ انكلترا وحدها او بالاتفاق مع غيرها على نفسها ما اخذتهُ هي من معارضة الروس في مشروعهم هذا وهي اقدر منها على ذلك من كل الوجوه واعرف وتجارتها الواسعة في الصين وخوفها من تغلُّب النفوذ الروسي هناك على نفوذها وخسارتها الكبيرة من جراء ذلك اضعاف ما تخسرهُ اليابان كل ذلك كان داعياً لانكلترا (لو صبرت اليابان) الى ان تأخذ على نفسها تحمُّل الحمل الذي اخذت اليابان نفسها بحملهِ وهي تعجز عن النهوض بهِ

ولو ان اليابان نظرت نظر متأمل الى ما كان بين هاتين الامتين اعني الروس والبريطان من المنازعات الشديدة على كل شبرٍ من الارض في اوربا واسيا والى ما تولد بينهما بسبب ذلك من الاحقاد الشديدة لعلمت عن يقين ان روسيا لا تقصد الاَّ مناوأة انكلترا والحط من نفوذها والتضييق على تجارتها الواسعة في مملكة الصين انتقاماً منها على ما كان من معارضتها اياها واخذها بالخناق في كل موضع طمحت اليهِ ببصرها ولا سيما في اوربا . واذا كانت بريطانيا العظمى هي المقصودة فكان الاولى باليابان ان تتركها تقلع شوكها بيدها وبريطانيا اخبر منها

بمعارضة الروس وتعرف كيف واين ومتى تعارضها وكان لابد لها من ان تبذل آخر ما في وسعها لمنع ما تتوقع حدوثهُ من غوائل هذا الخط على نفوذها · ولكن حديث النعمة بالغنى او بالقوة كثيرًا ما يبطر ويسيء استعمال غناهُ وقوتهُ فيضيع ما حصلهُ ويشمت بهِ جيرانهُ بعد اذ تدور عليهِ الدوائر · وبالاجمال فاليابان تعرَّضت لما كان اولى بها ان تترك لمن هو اقوى منها التعرُّض لهُ والذود عنهُ

الحوادث التي تلت انتصار اليابانيين وحلولهم في منشوريا

فبيَنا كانت روسيا تخابر الصين لتسمح لها أن تمرَّ بخطها الحديدي في شماليّ بلادها الى فلاديفوستك لا تطمع باكثر من ذلك اذا باليابان اشهرت الحرب على الصين فابرقت للروس بوارق امل فاستبشروا ووقفوا يرقبون سير الحوادث لا يلعنون ولا يباركون واليابان تظنُّ انهم مخدوعون ولاسيما بعد أن ظفرت المرة والمرتين ولم ترَ من تلك الدولة اعتراضًا · واخيرًا تمَّ لها النصر ووقفت على ابواب بكين وقفة الظافر حتى اضطرَّت الصين الى طلب الصلح وعيَّنت المفوَّضين لهُ من قبلها واخذوا بوضع شروطهِ وروسيا كل هذه المدة لا تبدي ولا تعيد · فلما لم يبقَ الاَّ التوقيع على عهدة الصلح نفضت عنها غبار سكونها ووقفت كأنما بغتةً في وجه اليابان هي والمانيا وفرنسا فهدموا كل ما كانت اليابان قد بنتهُ

وبيانهُ ان الصينيين كانوا وما زالوا ينظرون الى اليابانيين بعين الاستصغار يرونهم دونهم في العلم والصناعة والقوَّة ودهاء السياسة ويطلقون عليهم اسم الاقزام ازدراء وتحقيرًا · والحق انَّ اليابانيين كانوا الى ما قبل نهضتهم الاخيرة ينظرون الى الصينيين نظرتنا نحن الى اوربا واميركا يرونهم ارقى تمدنًا واضخم ملكًا وادهى سياسةً ويقلدونهم كما نقلد نحن الاوربيين ويرسلون شبانهم لاخذ العلم عنهم فلما نهضوا نهضتهم الاخيرة وطرحوا عنهم جانبًا تقليد الصين وامتدَّت اعناقهم الى مزاحمة هؤلاء النفوذ في كوريا والتطول عليهم في العلم والسياسة ابغضهم الصينيون بغضًا شديدًا فلما غَلَب اليابانيون واكرهوا حكومة بكين على عقد صلح شائن من جملة موادهِ ان يتخلوا لليابان عن منشوريا اكرم ولاية على البلاط الصيني لانها منشأ الاسرة المالكة صعب الامر جدًّا على الصينيين حتى فضَّل سياسيهم الشهير لذلك العهد "لي هنغ شنغ" ان يستسلم للدول الثلاث الاوربية روسيا وفرنسا والمانيا يقتطعهم من بلادهِ ما كنَّ يطمعن باخذهِ ولا يحلمن ان تسنح لهنَّ الفرصة القريبة فيهِ من ان يرى اليابان في كوريا ومنشوريا في مقام السائد والمسيطر عليهِ وعلى مليكهِ · وعليهِ لم يتردَّد في اجابتهنَّ الى ما طلبنَ ووقَّع سرًّا على ما اقترحتهُ عليهِ من المطاليب على ثقلها بشرط ان تسرع هذه الدول الى ازاحة اليابان عن

منشوريا وكوريا فاسرعنَ الى اجابتهِ وارسلنَ الى اليابان بلاغهنَّ أن اتركي منشوريا وكوريا كما المعنا الى ذلك فلم يكن لها بدٌّ من الاجابة ولم يسع انكلترا واميركا ان تأخذ بناصرها على هذه الدول الثلاث وذهبت حينئذٍ احلامها في احتلال كوريا ومنشوريا ضياعاً ومساعيها في الحيلولة بين روسيا وبين حلولها في منشوريا ادراج الرياح . بل تبيَّن لليابانيين انهم كانوا اكبر مساعد في حربهم هذه على تمكين الروس من احتلال البلاد التي كانوا يحلمون باحتلالها ولا يصدقون امكان ذلك في الزمن القريب

وهنا نسال ولماذا لم تشرك هذه الدول معها انكلترا في الاتفاق مع الصين على اليابان قلنا ان هذه الدولة العظيمة القديرة ما كانت لتؤخذ بدهاء غيرها بل هي ادهى من ان تُدهى ولقد عرضنَ عليها ان تشترك معهنَّ فوجدنها واقفةً لهنَّ بالمرصاد تأخذهنَّ بظاهر مدعاهنَّ كما اخذن هنَّ اليابان بظاهر مدعاها وتعلُنُهنَّ حرباً وثبوراً اذا هنَّ اردن تجزئة الصين فلم يسعهنَّ الاَّ اخفاء ما اخفينهُ من معاهدة " لي هنغ شنغ " الى ان يتمَّ لهنَّ استرضاؤها

وبماذا يتم استرضاء بريطانيا العظمى ايبذلنَ لها جانباً من الصين ووادي ينغتسي العظيم الداخل ضمن دائرة نفوذها ام يبذلن لها شنغاي وهنكوك وهذه الشطوط البحرية في يدها منذ زمن طويل . ليس في الصين الواسعة الارجاء ما يسترضي بريطانيا العظمى وهيهات ان يُفتات عليها وتغضي مع ذلك على القذى وهي ملكة البحار وفي يدها مفاتيحها من بوغاز جبل طارق الى خليج بتشيلي فلا تستطيع المانيا ولا كذلك روسيا ان تخطوا في البحر خطوةً واحدة لتستوليا على املاكهما الجديدة الاَّ بعد اذن بريطانيا وسماحها . نعم ان روسيا يمكنها ان تمد خطها الحديدي في منشوريا الى فلاديفوستك بدون اذن بريطانيا اما ان تتقدم خطوةً واحدةً الى ما تعنَّت بمد هذا الخط من اجلهِ اعني الى بورت ارثر ودلني فلا . واما المانيا فاعجز من فتيل الدخان مع بريطانيا . وقد كان من حسن حظ بريطانيا ان دخلت المانيا في محالفة الروس وفرنسا لانها بدخولها تحتم على فرنسا وروسيا ان تسترضيا بريطانيا بما لم تكونا لتسترضياها بهِ لولا المانيا كما انهُ كان من حسن حظها ايضاً ان دخلت فرنسا مع روسيا فان فرنسا بدخولها مع روسيا قضي عليها ان تسترضي بريطانيا بما لم تكن لتسترضيها بهِ لولا روسيا كما سيظهر لك ذلك بعد قليل

فان قلت فلماذا تعنت روسيا لادخال هذه الدول معها قلت خوفها من انكلترا ان تتصدى لمانعتها دون الوصول الى رغائبها وهذه الدول مع انكلترا عليها فان هاتين الدولتين لو فرضنا ان روسيا كانت حالفت الصين بدون مشورتهما على ان تخرج اليابان من منشوريا لتحتلها هي كانتا

على الراجح في جانب انكلترا عليها واذا اتفقت كلمة هذه الدول الثلاث لم يكن للروس في الشرق الاقصى الاَّ الانخذال والصبر على مضض الخيبة والفشل الى ما شاء الله من الزمان

والخلاصة ان روسيا سبقت انكلترا الى الاتفاق مع فرنسا والمانيا ولم تكن انكلترا تستطيع سبقها الى محالفتهما لانها لو تصدت لذلك ابتداء ما وافقتاها على الراجح من جهة ولظهر طمعها واعتداؤها على اليابان وعلى الروس معاً من جهة اخرى

الاَّ انهُ بعد اتفاق الدول الثلاث على اليابان واخراجها من منشوريا وكوريا على ان روسيا تحتل بورت ارثر ويكون لها النفوذ في منشوريا وكوريا وعلى ان تحتل المانيا خليج كيوتشو في ولاية شانونغ وفرنسا بعض جهات التونكين الخ بعد ان تمَّ كل ذلك واصبح الرجوع يعدّ فشلاً وايماً فشل على هذه الدول الثلاث معاً قامت انكلترا في وجه هذه المعاهدة تبرق وترعد وأعدَّت اساطيلها الضخمة فجعلتها على قدم الدفاع عن الشرق الاقصى واعادت الكرة على الصين والزمتها ان تسلّمها "واي هاي واي" وهي الى ستين ميلاً جنوبي بورت آرثر وربما هي امنع منها حصناً واوسع مرفأً للبوارج والسفن وستبقى هذه المدينة في يدها ويبقى نفوذها على البلاد المحاذية لها ما بقيت روسيا في بورت آرثر وبقي نفوذها في منشوريا

وسافرت مراكب الفرنسويين على التونكين وتلاها المراكب الالمانية على خليج كيوتشو وآخر الكل ذهبت العمارة الروسية الى بورت آرثر واحتلتها وذلك في سنة ١٨٩٨ وكانت العمارة الانكليزية مرابطة هناك فاظهر اميرالها المعارضة للروس لكن لم يلبث ان جاءهُ البرق من عاصمة بلادهِ ان اترك بورت آرثر وخلِّ الروس وشأنهم فيها . وكتاب الانكليز يتجاهلون ويلوِّمون حكومتهم لانها امرت اسطولها بالخروج من بورت ارثر وتسليمها للروس

بورت ارثر في يد الروس

يستحيل ان تكون روسيا استأجرت بورت ارثر لوحدهِ بدون ان يكون بينهُ وبين سكنها في الشمال اتصال يربطهُ ببلادها بحيث يمكنها الانتفاع بهِ ولذلك لم تلبث ان ارسلت اليهِ عمارتها حتى باشرت بمد الخط الحديدي من خربين اليهِ والى دالني مارًّا بموكدن ولياونغ وكبنغ واظهرت في ذلك مزيد الهمة والسرعة وكل ذلك لم يكن مجهولاً لدى الحكومة الانكليزية الاَّ ان الامة الانكليزية لما رأت الروس يجدون في تحصين بورت ارثر وقد وصلوا بينهُ وبين خربين بسكة حديدية حربية تخوفت على تجارتها ونفوذها في شمالي الصين فاخذت رسائل كتابها هناك وتقاريرهم ترد على البلاد الانكليزية وكلها تصرخ بصوتٍ واحد ان روسيا ابتلعت منشوريا وشمالي الصين واصبح النفوذ الانكليزي والمصالح الانكليزية على وشك الانعدام

امام النفوذ الروسي والمصالح الروسية وسواء كانت تقريراتهم هذه صحيحة ام مبالغ فيها فذلك مما لا نتعرّض لهُ انما نقول ان الغرفة التجارية العليا في بريطانيا ارسلت اللورد تشارلس برسفرد وهو من امراء البحرية ورؤساء الجند الى الصين وظاهر هذه الرسالة انها للتفحص عن احوال التجارة خلوًا من كل صبغة سياسية الاَّ ان المطلع على تقرير هذا اللورد يرى انهُ زار ولاة اغلب الولايات الصينية المهمة وزار القلاع والحصون واستعرض الجيوش ووقف على عددهم وانواع اسلحتهم ونظامهم وما في الولايات من الذخائر والمون الحربية وعرف ما بين الولايات من العلاقات والارتباطات الى آخر ما يمكن لمثلهِ ان يعرفهُ . وغاية ما وصل اليهِ وهو من اهم الحقائق لامتهِ ان الجندية الصينية لا تستطيع ان تقف في وجه الروسية ولا يمكن لانكلترا ان تعوّل عليها لا في الحال ولا في المستقبل القريب في كبح جماح الروس والغضّ من تطوّلهم على النفوذ البريطاني هناك . ومن ثمَّ وجَّه هذا اللورد والقائد الشهير وجهتهُ صوب اليابان فتلقاهُ رجالها على الرحب والسعة واطلعوهُ على حال جيوشهم البرية والبحرية فعرف عددها واسلحتها ومبلغ تدريبها وما الى ذلك من وسائل النقل ومقدار الذخائر والمون فاعجبهُ كل ذلك ورجع الى بلادهِ في اوائل سنة ١٨٩٩ بعد ان مرَّ بالولايات المتحدة وهو على علم من احوال اليابان وما تستطيعهُ هذه الدولة من معارضة الروس برًّا وبحرًا والرضا مالىء قلبهُ ووجههُ وقد ادرك ان ضالة امتهِ التي تنشدها في معارضة النفوذ الروسي وكبح جماحهم انما هي في اليابان لا في الصين

والظاهر ان تقريرهُ حاز قبولاً عند امتهِ فانهُ مذ ذلك الحين اخذ الكتاب الانكليز يكتبون الفصول الطوال عن الامة اليابانية و يطرون ما وصلت اليهِ من العزَّة والمنعة واخذت جرائدهم على اختلاف نزعاتها من سياسية وعلمية تحبّر المقالات الانكليزية الرنانة عن اليابان وجنديتها البرية والبحرية وما بلغت اليهِ من حسن النظام ومزيد الضبط والتدقيق في جميع اداراتها حتى ان اللورد سالسبري لم يتمالك مجاراةً لاميال امتهِ ان كتب بعد حرب البوكسر كتابهُ المشهور الى حكومة اليابان قال في كتابهِ هذا ما معناهُ " ان حكومة جلالة الملكة لتعجب شديد الاعجاب بما بدا من الجنود اليابانية من الكفاءة والبسالة في الحرب الحديثة وكان لها من ثم اليد الطولى في نجاح هذه الحملة "

واشهر الكتاب الذين كتبوا في احوال اليابان ابن الكاتب المشهور ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية فان هذا الرجل ذهب الى اليابان فاستقبلهُ اهلها احسن استقبال حتى انهم خالفوا فيهِ قوانين بحريتهم ونقلوهُ بامرٍ سامٍ على دارعة من دوارعهم وهي حفاوة لم يسبق

لغيره ان عومل بمثلها . فلما عاد الى بلاده اخذ يحبر المقالات البديعة عن اليابان واليابانيين فاقبل القوم على كتاباته وحملوها محمل الحقيقة والصحة فتوهموا في انفسهم ما توهمهُ عنهم من العزَّة والمنعة كل من اطلع على هذه المقالات

ومن العجيب ان الانسكلوبيذيا البريطانية في ملحقها لسنة ١٩٠٢ جرت مجرى بقية كتاب الانكليز في الوجهة التي اتخذوها من الاعجاب باليابان والامتداح من سياستها وجميع تدابيرها التي دبرتها ولاسيما في حربها مع الصين وغطت شيئاً على ما كان من مقاصدها في هذه الحرب كتوهم انها عادلة اقامت بها هذه الدولة حباً بالمدنية والانسانية وان الروس بخستها حقها وعمدت بغياً الى اذلالها وانتزاع ثمرة انتصارها منها

ولا بدَّ لي من الاشارة هنا الى ان رجال الانكليز في اليابان اخذوا منذ سنة ١٨٩٥ في ان يثيروا خواطر اليابانيين على الروس ويوَصلوا بينهم الضغائن اي بدأُوا بذلك حال انعقاد المحالفة الثلاثية على اليابان واخراجها من منشوريا وبورت ارثر . والذي حاولوهُ في كتاباتهم ورموا اليهِ جميعهم عن قوس واحدة هو ان كوريا ومنشوريا ضروريتان لكيان اليابان لا تقوم لها قائمة بدونهما وان الروس باخراجهم منهما تعمدوا الضرب على اصول كيانهم وحياتهم وان وضع منشوريا تحت سيطرة روسيا هو وهدم استقلال اليابان شيء واحد ونجحوا في ذلك حتى لم يبق احد في اليابان لهُ قول الا ويقول بهذا القول ولم يقف الكتاب الانكليز عند هذا الحد بل اخذوا ينشرون المقالات الضافية الذيول عن الروس وعنف سياستهم وما في اداراتهم من الخلل والفساد وما بين رجالهم وشعوبهم من الضغائن والاحقاد ولا سيا عما في ماليتهم من الوهن والعجز حتى يخيل لمن يقرأ بعض هذه المقالات ان الروس على شفا من الافلاس . وآخر مقالة لاحد كتابهم المشهورين في مجلة القرن التاسع عشر عنوانها تاريخ بورت ارثر صرَّح فيها هذا الكاتب ان اليابانيين بواسطة جواسيسهم الكثيرين عرفوا كنه الروس وما فيهم من الضعف والوهن وانهُ لا يلبث ان يكشفوا لاهل العالم اجمع عن ظاهر الامة الروسية المموَّه وباطنها المشوَّه ما كشفوهُ عن ظاهر الصين وباطنها في حربها الاخيرة معها

وخلاصة ما يقال ان الكتاب الانكليز في مدى سنين قلائل اصَّلوا في نفوس اليابانيين اشد الكره للروس وجرَّأُوهم عليهم بما هوَّنوا من امرهم وما كشفوهُ عن مواطن الخلل والضعف في ماليتهم وجنديتهم ولا سيا الاخيرة لما يعترض دونها من بعد المسافات وصعوبة النقل والتموين وجاؤُوا على ذلك من الادلة والبرهين الظاهرة ما يخيل لكل من وقف على كتاباتهم ان الامر كما ذكروا . والظاهر ان جمهور الامة اليابانية اعتقدوا كل ذلك ولم يبقَ شيء

يحذرونهُ او يخشونهُ في محاربة الروس الآ اتحاد فرنسا معهم وانضمام اسطولها الى اسطولهم وهذا ما دفع الحكومة اليابانية الى الالتجاء الى الحكومة الانكليزية وعقد معاهدتها المشهورة معها فضمنت لم هذه غوائل هذا المحذور ووعدتهم انها تكون معهم تحارب بازائهم فيما لو انضمت دولة اخرى (اي فرنسا) الى روسيا وحاربت معها

ماذا كان بعد ان احتلت روسيا بورت آرثر

لا نحتاج ان نعيد ما كان من مقاصد روسيا ولا ما كان من اليابان في معارضتها لها انما نقول انهُ لما اتفق الدول الثلاث مع الصين واخرجن اليابان من كوريا ومنشوريا أُكرهت انكلترا اكراهاً على التسليم بالمعاهدة الثلاثية الصينية التي من مقتضاها ان تستأجر روسيا بورت آرثر على مئة سنة وان توصل بينها و بين املاكها في اسيا بسكة خربين ولم يكن يخفى شيء من كل هذا على انكلترا ولا ان روسيا تغفل عن تحصين بورت آرثر وجعلها من القوة والمنعة بمكان

الا ان روسيا لم تقف عند هذا الحد فان حوادث البوكسر سنة ١٩٠٠ مهدت لها السبيل الى خرق اكثر ما وعدت بهِ في شأن منشوريا وذلك ان الحكومة الصينية المنشورية اشهرت الحرب على روسيا فتذرعت روسيا بهذه الوسيلة الى ارسال عساكرها الى منشوريا واخضاع الثوار فيها وانجلى الامر عن عقد اتفاقية بين معتمدها في منشوريا و بين الجنرال تسانغ التتري في موكدن مودّاها ان تكون منشوريا سياسيّاً وعسكريّاً تحت سلطة روسيا. ثم لم تقف عند هذا الحد بل كان منها في فبراير (شباط) سنة ١٩٠١ ان عقدت بينها و بين الصين بواسطة سفيرها في بطرسبرج معاهدة سرية لم ترد روسيا ان تشهر شيئاً من موادها والظاهر انها كانت تثبيتاً للاتفاقية التي انعقدت بين معتمدها في موكدن و بين الجنرال التتري هناك والمرجح ايضاً ان من موادها ان يكون لروسيا معاملة ممتازة عن غيرها من الدول في كل الاملاك الصينية المتاخمة للاملاك الروسية ومن جملتها منشوريا

كلمة نقولها هنا في شان روسيا وانكلترا

انهُ لا يخفى على احدٍ ما بين هاتين الحكومتين من التغاير في المصالح ومنازعة السلطة والسيادة في الشرق اجمالاً وفي الولايات الصينية الشمالية خصوصاً . واشتدت هذه المنازعة بعد استيلاء روسيا على بورت آرثر فانها ولا شك عزمت على ان تجعل هذا الميناء القوي محطاً لاساطيلها في البحر الصيني تهدد بهِ انكلترا وسلطتها البحرية في تلك الجهات وتنازعها السيادة والغلبة هناك وذلك مالا تصبر عليهِ انكلترا ثم لم تكتفِ روسيا بما سوغتهُ لها المحالفة الثلاثية بل اغتنمت انشغال الانكليز في حرب الترنسفال فاحتلت منشوريا احتلالاً سياسيّاً وعسكريّاً

واشهرت احكامها العرفية في تلك البلاد الواسعة وزادت ايضاً على ذلك معاهدتها السرية بينها و بين الصين ففرغ لذلك صبر انكلترا . لكن كان قد فات الفوت عليها بمعنى انهُ لم يعد في امكانها ان تمنع احتلال روسيا في منشوريا ولا ان تقف دون تحصين بورت ارثر ولا دون مد الخط الحديدي في منشوريا الذي يربط بورت ارثر ومنشوريا معاً بعاصمة الروس في اوربا . فماذا تفعل انكلترا ؟ انها الحكومة اخذت في الاحتجاج على الروس واخذت معها في جانبها حكومة الولايات المتحدة وما زالت الدولتان في لجاج مع دولة الروس حتى اضطرتاها الى ان تفتح دلني ونيوشوانغ للتجارة العامة وان تخفض شيئاً من غلواء معاهدتها الاخيرة مع الصين . هذا ما فعلتهُ انكلترا من حيث هي حكومة واما من حيث هي امة فانها فعلت اضعاف اضعاف ذلك وبيانهُ

ان هذه الامة النشيطة لما رأت ما يتهدد تجارتها ونفوذها في المستقبل فيما لو تُركت روسيا وشأنها بدون ان يصيبها صدمة تكسر من حدة شوكتها اشهرت حرباً عواناً على الروس كانت فيهِ الامة الاميركية على جانبها ايضاً لكن كان المحار بين في هذه الحرب كتّابها وتجارها ومرسلوها ووكلاؤها جملةً على اختلاف انواعهم وطبقاتهم فان جميع هؤلاء قاموا قومة رجل واحد على الروس فاثاروا احقاد اليابان عليهم بما الفوا من الكتب وخطبوا من على المنابر ونشروا على صفحات الجرائد يظهرون من معائب الروس ومطامعهم حتى خيَّلوا لليابان كما المعنا الى ذلك سابقاً انهم ان لم يبادروا الى كبح جماح هذه الامة المعادية في القريب العاجل فلا أمل لهم بالنجاة من مخالبها في المستقبل وما زالوا يفتلون منها في الذروة والغارب حتى اداروها الى عقد محالفة مع دولتهم فذهب المركيز ايتو السياسي الياباني الى لندن وهناك امضيت المحالفة الانكليزية اليابانية المشهورة . والحق ان الشعب الانكليزي هو الذي عقدها مع الحكومة اليابانية وأبقى حكومتهُ على ولاء مع حكومة الروس فان قلت وكيف يكون ذلك قلت ان الحكومة الانكليزية لم تعاهد اليابان على حرب الروس وان كانت تعرف انهُ سيعقب هذه المحالفة الحرب بين هاتين الدولتين بل عاهدتها على ان تمنع حليفة الروس اعني فرنسا من انجادها باساطيلها وهذا مما تصرّح بهِ الحكومة البريطانية لاتكتم بهِ ولا توارب فيهِ وتصرح معهُ ايضاً وهي صادقة انها على الحياد التام في الحرب الحاضرة . ولنمسك الآن عنان القلم فان الكلام قد طال وفيما ذكرنا ما ينبّهُ الى كثير مما لم نذكر وربما عدنا الى ذكر ملاحظاتنا عن هذه الحرب ونتائجها في عدد آخر والسلام

م . ع . ج

عدوى السل والوقاية منه (١)

سيدي الرئيس واساتذتي الكرام . افتتح الكلام بالثناء عليكم لما اوليتموني من الشرف العظيم بانتخابي لتقديم هذا الخطاب . غير اني أودُّ لو كنت من السامعين وكان مكاني من هو كفوء لهذا المقام . وما اخرني عن الاعتذار سوى خوفي ان يُعدَّ ذلك عصياناً لامر من وجبت عليَّ طاعتهُ وبخلاً بخدمة مدرسةٍ غمرتني بالفضل والاحسان . ولذا فقد لبيتُ الطلب وانا اعلم الناس بقصر باعي وبعد المطلب

ان ما جرَّأني على الوقوف لديكم ايها السادة والسيدات على الاكيد بأن هذا المحفل يضمُّ نخبة اهل العلم والادب . فيترفقون برجل عزم ان يبذل الجهد المستطاع في سبيل رضائهم وان كان لا يطمع ان يفوز بالمرام فالرفق والحلم من شؤون الكرام . ولي كلمةُ اعتذارٍ أخرى عن موضوع الخطاب وهي انهُ قديمٌ مبتذل وقد بحث فيهِ من قبلي من هو اجدر بالخوض فيهِ مني ومع هذا فقد اقدمتُ عليهِ لاسباب جمَّة أخُصُّ بالذكر منها ثلاثة

الاول ان مرض السل كان ولم يزل يشغل افكار اعاظم الرجال وعليهِ مدار البحث في اكثر الجمعيات الطبية وهو يفتك بالناس فتكاً ذريعاً فكم من عين ابكاها وكم من قلبٍ ادماه فقد قدروا ما يهلكهُ في انكلترا وويلس فقط باربعين الف نسمة في السنة الواحدة. وان في فرنسا اليوم اكثر من خمس مئة الف مصاب اي واحداً من ثمانين من عدد سكانها . وان نصف الذين يمرضون في المانيا من قطاعي الحجارة والبنائين وحفاري المعادن يصابون بهذا الداء . قال الدكتور براموَل ان عدد الذين يموتون بالسل في اوربا بقدر عدد الذين يموتون بسائر الامراض المعدية . وقال الدكتور هاي وَرد لولا السل لكان متوسط حياة كل مولود يزيد سنتين ونصفاً عن متوسطهِ الحاضر واذا عملنا هذا العديل بعد سن الخامسة عشرة تكون الزيادة ثلاث سنوات وربعاً

الثاني ان هذا الداء الفتاك وان اشتدَّت وطأتهُ وجُهلت للآن طرق علاجهِ وادويتهُ فهو قابل الاستئصال وتجنُّبهُ هيّن وان كان الشفاء بعد تمكنهِ من الجسم ضرباً من المحال فقد قرر بعض المدققين ان وفيات السل في بلاد الانكليز نقصت نحو ٥٠ في المئة مدة الخمسين سنة الاخيرة بتحسين التدابير الصحية فقط . وبعد هذا اهتم الناس كثيراً بأمرهِ فألفوا الجمعيات

(١) الخطبة السنوية في احتفال المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت تليت في ١٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٤

الكبيرة وصرفوا الاموال الباهظة لقطع دابره وشادوا المباني العظيمة لعزل المصابين ومعالجتهم بالهواء النقي والتعرض لنور الشمس وحرارتها فأتي ذلك ببعض الفائدة ولكن دون المنتظر. واخيرًا اجمع الكل على ان افضل الوسائط لنيل المرغوب تعليم العامة احسن طرق الوقاية

الثالث وهو اهمّ ما حداني الى انتقاء هذا الموضوع ما اراهُ في بعض مواطنيَّ من الخوف العظيم من عدوى السل حتى انهم لايدخلون بيتاً فيهِ مسلول ويهربون من وجه ذلك المسكين اذا صادفوهُ في الطريق كما يهربون من الافعى فساءت حالة المصاب بينهم الى حدٍ يرق له قلب الجماد ويفرض على محبي الانسانية النهوض لنصرتهِ والتخفيف من بليتهِ. والبعض الآخر يخالفونهم كلّ المخالفة فهم لا يعتقدون بالعدوى اصلاً ولا يستعملون اقلّ وسائط التوقي فتفشى الداء بينهم وازدادت الاصابات وباتوا في خطر يستوجب النظر والاهتمام ولذا انتهزت هذه الفرصة لعلّ صوتي الضعيف يحرك في قلوب اهل المكانة والاريحية واصحاب الجرائد والاقلام غيرةً وحميةً فيواصلوا السعي في التحذير والنصح حتى تتنوَّر عقول العامة ويدركوا اهمية الاعتناء بالصحة ونظافة البيوت ويعتدلوا في خوفهم

ولما كان الوقت المعين لهذا الخطاب وجيزًا فسأقصر البحث على عدوى السلّ الرئوي فقط واذكر لمحة في الوقاية منها بوجه الاختصار غير متعرض للكلام عن العدوى الثانوية التي تتصل بالرئة احيانًا بعد التدرن المعوي وتدرُّن العظام والغدد اللمفاوية (وهو ما يسميهِ العامة بالخنازير) واضرب صفحًا عن انتقال ميكروب السل من الحيوان الى الانسان وعمَّا حدث من الاختلاف في هذا الشأن اذ لو ثبتت دعوى الذين يؤيدون هذا الرأي لكان انتقال الميكروب الى جسم الانسان يتم باكل لحم او لبن الحيوان المصاب ويتسبب عنهُ التدرُّن المعوي اولاً وهو خارج عن موضوعنا الآن

اتَّفق جمهور الاطباء على ان السلّ في الانسان يحدث من استنشاق باشلس كوخ (اي ميكروب السل) مع الهواء وتوطنهِ في رئة من توفَّرت فيهِ بعض الاسباب الآتية

اولاً انتهاك القوى الحيوية بسبب مرض مزمنٍ اعترى الجهاز الهضمي حتى لم يعد يقوى على اعطاء الجسم ما يلزمهُ من الغذاء

ثانيًا الاصابة بمرض في الدماغ. وهو الآلة التي تدير الجسد وتصونهُ من كل شرّ وضرر وكأني بهِ مثل حارس على باب حصنٍ منيع اذا غفل عن حراستهِ يسهل فتح الحصن لجيش العدو وهذه حقيقة تؤيدها كثرة الاصابات بالسل بين المجانين

ثالثًا اهمال الرياضة البدنية فتضعف عضلات الصدر ويصبح التنفس قصيرًا فلا يتبدَّل

الهواء في الرئتين تبدلاً كافياً وتقف حركة قمتيهما تقريباً فيسكن الميكروب فيهما آمناً مطمئناً

رابعاً الافراط في شرب الخمر واطالة السهر وادمان عادة سيئة لا يسعني سوى الاشارة اليها في مثل هذا المقام والازدحام في بيوت رطبة لا تدخلها الشمس ولا يتبدل فيها الهواء وعدم الحصول على الغذاء والملابس الضرورية والزروح تحت اثقال الهموم والاحزان مع الافراط في الاشغال العقلية الى ما شاكل هذه من الامور التي تؤثر في الجهاز العصبي والهضمي معاً وتسبب فقر الدم والهزال

خامساً ان الامراض الصدرية كالنزلة الوافدة وذات الرئة وذات الجنب وغيرها اذا اهملت معالجتها وطال زمن النقاهة منها تترك في الرئة قروحاً وضعفاً تلائم نموّ الميكروب

سادساً ان يكون في المصاب استعدادٌ موروث وهذا لم تفهم حقيقتهُ جلياً الى الآن الاّ انهم يعتقدون انهُ يقوم بضعف في البنية وفي جوهر الرئتين يجعلها قابلتين لنمو ميكروب السل بنوع خصوصي وقد قرروا ايضاً ان من الممكن السهل التغلُّب على هذا المزاج او الاستعداد بملاحظة كل ما من شأنهِ تقوية الجسم والعضلات

سابعاً واخيراً الخوف. ولولا خشية الانتقاد لوضعت هذا البند اولاً ومن منكم لايعلم تأثير الخوف في زمن انتشار الامراض الوبائية وكم يسبب فيها من الوفيات وكثيراً ما يكون مفتاح السل ومجلبهُ على ان ضيق المقام يمنعني من تأييد ما قلت بالبرهان

هذا واني أرى في وجوه البعض علامات الدهشة والريبة وكأني بكم تقولون كم شاهدنا من اصحاب الاجسام القوية الذين ذهبوا ضحية هذا الداء المشؤوم . نعم ان ذلك قد يحدث احياناً ولكن لابُدَّ ان يسبقَ اليهِ شيءٌ من الشروط المار ذكرها . ولو تفحصتم الامر بالتدقيق لتأكدتم صدق مقالي. واعلموا ان هذه حقائق وصل اليها كبار العلماء بعد البحث الطويل فان ميكروب السل وان كان كثيراً منتشراً في الهواء فهو ضعيف لا يقوى على الاقامة في الجسم الصحيح ولأزيدكم اعتقاداً بصحة ما اقول واسكن جاش من يخاف بطش هذا الداء الهائل أُتحفكم باقوال اشهر الاطباء في هذا الصدد

قال العلامة الدكتور كوخ في خطابهِ المشهور في لندن سنة ١٩٠١ ان من الغلط الواضح ان تعدَّ عدوى السل مثل عدوى الجدري. وقال الدكتور باين ان العدوى في الامراض الوافدة تختلف باختلاف قصر مدة المرض وطولها فما كان منها قصير الاقامة تكون عدواهُ شديدة وسريعة كما هي الحال في الحصبة والكولرا والعكس بالعكس كما في السل والجذام وذلك على مبدإ حفظ النوع فالميكروب الذي تكون اقامتهُ في جسم المصاب طويلة لهُ فرصة طويلة

للانتقال الى جسم آخر ولانتقاء من نتوفر لهُ في اجسادهم اسباب النمو والمعيشة وبعكسهِ ما كانت مدتهُ قصيرة فيكون اشد هجوماً ويقتحم كلَّ من يلقاهُ في طريقهِ خوفاً من فوات الوقت وانقراض نوعهِ

وقد نشرت الجمعية الطبية البريطانية منشوراً على اعضائها تسأَلم فيهِ عن رأيهم في عدوى السل فورد عليها نيف والف جواب استنتجت منها ان العدوى في هذا المرض لا تتم الاَّ بعد المخالطة الطويلة التامة كما بين الزوج والزوجة فيما اذا كان المعدى مستعداً لقبول المرض واهمل الاحتياطات اللازمة لوقاية نفسهِ . وفي مستشفى فريدرختين في برلين المختص بمعالجة المسلولين ٤٥٩ مستخدماً بين ممرض وخادم وطبيب خدموا فيهِ مدات متفاوتة فلم يسرِ المرض الاَّ الى اربعة منهم واثنان كانا مصابين قبل دخولهما في خدمة المستشفى . في ڤنتنور يسكن المستخدمون البناء الذي يسكنهُ المرضى وقد عالجوا ١٥٥٠٠ مريض في مدة ٢٣ سنة وخدم ٦٧٨ شخصاً منهم ٦٢ طبيباً بقوا كلهم اصحاء و ٢٠٨ اشخاص بين ممرض وممرضة اصيب منهم ثلاثة فقط و ٤٠٧ من الخدمة لم يصب احدهم بضرر وهكذا في مستشفيات اخرى

ومما يزيدكم دهشة وذهولاً ان الدكتور اوسلر الطائر الصيت احصى عدد الميكروبات الموجودة في بصاق مريضٍ واحد في مدة ٢٤ ساعة فوجدها تتراوح بين ١٥٠٠ مليون و ٤٣٠٠ مليون. تصوروا كم من ملايين الملايين تخرج من صدور خمس مئة مريضٍ في منزل واحد وكيف ينجو المئات من الخدمة الذين يقيمون بينهم نهاراً وليلاً مدة ايام وسنين طوال

اما طريقة انتقال هذا الميكروب من انسان الى اخر فقد اختلف فيها الباثولوجيون فمنهم من قال ان جراثيم العدوى موجودة في بصاق المريض فقط وهذا متى جفَّ يتطاير منهُ الميكروب مع الغبار فيدخل الرئتين مع الهواء وهو رأي كورنه واتباعهِ . اما فلوك واتباعهُ فقد اثبتوا ان الخطر الاكبر من النقط الصغيرة المتقذفة من فم المصاب وقت السعال اذ هي تنتشر حالاً في الهواء ووافقوا على الرأي الاول ايضاً وهو القول الصحيح المعوَّل عليهِ اليوم

بقي عليَّ الآن ان اذكر لحضراتكم افضل وسائل التوقي فاقول . يجب على كل من كان فيهِ استعداد موروث او مكتسب ان يصرف جلَّ اهتمامهِ لتقوية بنيتهِ عموماً وعضلات صدرهِ خصوصاً وهذا يتم بواسطة التمرين بالجمناستيك والرياضة في العراء والاعتناء باللبس والطعام وبترك الاشغال المضرة التي تجبرهُ ان يتنشق كميةً وافرةً من الغبار او تقيدهُ بالاقامة في دكان او مكتب فاسد الهواء واذا اصابهُ مرض صدري وجب عليهِ ان يعالجهُ حالاً وان يسكن بيتاً ناشفاً نظيفاً معرضاً لحرارة الشمس ونورها وان ينبذ كلَّ إفراط في المعيشة ويتجنب مخالطة

المسلولين مخالطةً طويلة

واما ما ينبغي استعمالهُ في غرفة المصاب فقد جمعهُ الدكتور نيوز هولم في خطاب القاهُ على المتخرجين في مستشفى مونت فرنون فقال

ان السل مرض معدٍ لدرجةٍ محدودة ينتشر بالاخص باستنشاق باشلس كوخ فعلى المصاب ومن التزم تمريضهُ رعاية الامور الآتية حبًّا بمصلحة الفريقين لان المريض قد يصاب ثانية بتعرُّضهِ لعددٍ غفير من الميكروب

اولاً ينبغي ان يبصق المصاب في اناء مخصوص وضع فيهِ كمية من سائل يصفهُ الطبيب لهذه الغاية وعند امتلاء الاناء تتلف محتوياتهُ بان يضاف اليها قليل من محلول السليماني او غيرهِ ثم تدفن في الارض او تحرق ويطهر الاناء بالماء المغلي قبل ارجاعهِ لغرفة المريض وان يضع المريض امام وجههِ منديلاً لالتقاط النقط الصغيرة التي تخرج من فمهِ وقت السعال وهذا اذا كان من ورق ياباني يحرق وان كان من قماش يوضع في الماء المغلي او في محلول سامّ بعد استعمالهِ ببضع ساعات واذا خرج المريض بقصد التجول في ازقة البلد او السفر في مركبة عمومية فعليهِ ان يحمل زجاجة خصوصية لوضع البصاق تكون ذات فمٍ واسعٍ وسدادةٍ محكمة

ثانيًا انهُ لا يكتفى بازالة الغبار وكناسة غرفة المصاب على الطريقة المألوفة بل يجب ان تمسح جدرانها وارضها بخرقة مبللة بالماء

ثالثًا ان اشعة الشمس والهواء النقي ألد اعداء باشلس كوخ وعليهِ يجب ان تكون غرفة المريض معرضة للشمس وان تبقى نوافذها مفتوحةً في الليل والنهار بشرط ان لاينام المريض في مجرى الهواء

وانا اضيف اليها بندًا آخر فات الدكتور المومأ اليهِ وهو ان لا يبلع المصاب شيئًا من البصاق الذي يخرج من صدرهِ خشية انتقال المرض الى امعائهِ

واضيف ايضًا ملاحظتين مهمتين الاولى ان نفس المصاب خالٍ من الميكروب الا وقت السعال والثانية ان ذوي الاجسام الصحيحة الذين يوجدون في ظروفٍ كهذه لا خوف عليهم من العدوى البتة

وقد طبعوا هذه البنود ومثلها على وريقات وزعوها بين الناس في اكثر البلدان المتمدنة فحبذا لو اقتدينا بهم في مثل هذا العمل البسيط المفيد كما نقتدي بهم في الازياء والعادات ولي الرجاء ان كلامي هذا ينبه جرائدنا الوطنية للاهتمام بهذا الموضوع الخطير

علي علم الدين

كلام في التربية[1]

ايها المحفل الكريم

اذا جريت على عادة خطبائنا المألوفة جعلت مقدمة خطابي الشكر والاعتذار — الشكر للحضور والاعتذار عن القصور

اما الشكر فواجب آخذُ بهِ واقدمهُ عن طيبة خاطر اولاً لمن ظنوا بي حسناً فدعوني للخطابة في هذه الحفلة الوقورة وثانياً لمن تكرموا بالحضور للاستماع

واما الاعتذار عن القصور وعدم الاهلية وما جرى مجراها فاني احسبهُ مظهرًا من مظاهر المداهنة يأخذ بهِ الخطيب افتخارًا لا اعتذارًا واذ ذاك فاني اعدل عنهُ الى الالتماس من كل كريم مستمع ان ينبهني في النهاية الى كل ما غاير مفتكرهُ في كلامي فان في ذلك ازدياد التفاهم وتبادل الفوائد

ايها السادة والسيدات

حول مدينتكم الزاهرة صيداء بقعة غيباء لاتكاد العين تأخذ اطرافها . جنائن ناضرة وبساتين عامرة يتعهدها اصحابها فيسقونها ويحرثونها ويهذبونها ويسمدونها ويستأصلون منها مايضر ويدخلون عليها ما ينفع وبذلك كلهِ يتسنى لهم ان يستغلوها ويجنوا اثمارها المشهورة كالبرتقال والمشمش والموز والرمان وغيرها

سقي وحرث وتسميد وتهذيب واستغلال — كل ذلك من مقتضيات التربية في عالم النبات والناظر الى الشجرة الكبيرة ينسى انها كانت بادئ بدء بزرة صغيرة لا قيمة لها حسب الظاهر مع ان في طيها جوهر الشجرة وهيئتها ونسب اجزائها بعضها الى بعض وهي لم تصل الى ماوصلت اليهِ من النمو والتكامل الاَّ بعد ان تمكنت من التربة وتعرضت لفعل الماء والشمس والهواء .

والانسان ايها السادة مثل الشجرة يولد طفلاً لا عقل لهُ حسب الظاهر ولا ادراك انما في طيات دماغهِ الصغير قد اودع جوهر الرجل الكبير بقواهُ واميالهِ التي تتجلى في مدى الحياة وهذه القوى والاميال قابلة الارتقاء وارتقاؤها يسير على نظام محدود بحسب ما تتعرض لهُ من احوال التربية الموافقة او غير الموافقة

والغريب ان الواحد منا يربي بستانهُ ويربي فرسهُ لكنهُ قد يغفل تربية اولادهِ وهم اثمن

(1) خطبة تليت في احتفال مدرستي الصبيان والبنات الاميركيتين في صيدا

شيء عنده واعز ملك لديهِ . يختار ابرع بستاني فيسلم اليهِ ادارة بستانهِ ولكنهُ قد يسلّم ادارة بيتهِ الى امرأة لا تحسن ادارة ويلقي تربية اولادهِ الى مرضع او الى مربية لا تعرف عن التربية القويمة شيئاً . هذا ما حداني الى الكلام عن التربية في هذه الليلة — التربية التي يعتمدها اهل التهذيب في البيوت والمدارس

والموضوع يا سادتي اوسع من ان يلم باطرافهِ باحث واعمق من ان يسبر غورهُ مستقصٍ ولكن ما لا يدرك جلهُ لا يترك كلهُ وعلى هذا فاني قد طويت في خطابي بعض ما اجمع عليهِ مديرو التهذيب من اوجه التربية المفلحة التي تتناول طبائع الانسان الجسدية والعقلية والادبية

كان الناس يعتقدون ان الانسان هو المخلوق العظيم الذي من اجلهِ تشرق الشمس ويطلع القمر والنجوم وتهطل الامطار وتنبت الارض اما اليوم فقد زال هذا المعتقد وعرف الانسان انهُ من خلائق الله العاقلة خلقهُ الله في الطبيعة ليفهمها ويدرس يد الله فيها ويدرك نواميسها وقواها ويستخدمها لمنفعتهِ

عرف ان الطبيعة عادلة في احكامها واعمالها لا تحابي بالوجوه ولا تترك الزلات بل تجازي كل واحد حسب اعمالهِ سواءٌ كان المالك او المملوك الكبير او الصغير

عرف ان نواميس الخالق تقرأ في كتاب الطبيعة كما تقرأ في كتاب الوحي وانها ثابتة في الكتابين لا تغيرها اراء الناس واحوالهم فالنار تحرق والجاذبية توقع وتغرق كما ان الخطيئة تؤذي والشر يضر

عرف ان التربية القويمة هي التي توفق بين الانسان والطبيعة وتجعل الانسان العاقل يحتال في صحبة الطبيعة غير العاقلة فيجتنب اذاها وينتفع بقواها

وقف على الراي القديم ان الفرد هو لا شيء بالنسبة الى الجماعة وان كل مصالحهِ وقواهُ واملاكهِ ينبغي ان تضحى لاجل مصلحة الجموع وقيام الهيئة التي هو فيها وقابلهُ بالراي الحديث الذي رن في شوارع باريس سنة ١٧٩٤ وهو ان كل فرد هو المتصرف المطلق بنفسهِ وحظوظهِ يتمتع بالحرية التي يريدها ولا يحق لاحد ان يعترضهُ . ثم وفق بين الرايين واختار اوسط الطرفين وقال ان الحياة القويمة هي التي تعتبر فيها حياة الفرد جزءاً من حياة الجمهور

رأى الناس في العصور الخوالي وتتبع سيرهم في العصور المظلمة وراقب نهضتهم في العصور الحديثة . راقب هبة العلم وتغلبهُ على الاوهام . راقب المرؤوس يطالب بحقوقهِ الرئيس . راقب قيام دولة وسقوط اخرى ورافق الدول الحديثة في سيرها يبحث عن دواعي تقدمها

نعم رأى كل ذلك وحكم ان عمران البلاد ليس الا مظهراً مجملاً للتربية التي تعتمدها تلك

البلاد وخير التربيات ما كان قائماً على اسس العلم مدعوماً بعمد العمل وهذا ما نسميهِ بالتربية المفلحة

كيف يربى الولد في البيت ؟ كيف يربى في المدرسة حتى اذا خرج الى العالم لينشئ بيتاً مستقلاً او يتعاطى عملاً ما عرف كيف يتصرف التصرف الحسن الذي يعود عليهِ بالفلاح ؟ هذا سؤال لا يجيب عليهِ المسؤول المدقق ما لم يسأل ما هي الغاية من التربية لان الوسائط تتوقف على الغاية

فاذا شئت ان تربي ابنك على الفروسة وحب الغزو والنهب والمعيشة الاستقلالية كما يتربى اهل البادية فلذلك طرق ووسائط

واذا شئت ان تنشئهُ على حب التنسك والزهد في الدنيا والانقطاع عن الناس للتقشف والتبتل فان لذلك وسائط ايضاً

واذا شئت ان تنشئهُ على التعصب في الدين فتبغضهُ الى غيرهِ ممن ليس على دينهِ وتضيق عقلهُ حتى لا يرى الفضل الا في دينهِ وتابعيهِ فان لك وسائط لذلك

واذا شئت ان تربيهُ على حب العظمة والجاه والفخفخة في اللباس ومظاهر الزينة والحلى والافتخار بالحسب والنسب والتكبر على الغير فان لك وسائط لذلك ايضاً

واذا شئت ان تربيهُ على فهم نفسهِ وادراك ماحولهُ وتغذيهُ بالمعارف والاختبارات التي تحملها طبيعتهُ وتدربهُ على اكرام غيرهِ والمحافظة على حقوقهم وتنشئهُ على حب الفضيلة وكره الرذيلة والتمسك بالصدق في اقوالهِ واعمالهِ والطاعة للخالق وخدمة المخلوق فان لك وسائط لهذا ايضاً

والخلاصة ان الغاية من التربية هي ما يختلف فيهِ الناس وبذلك تختلف وسائطهم واختلاف الغايات نتيجة اختلاف الطبائع ومقتضيات الاحوال

سهل ايها السادة على الغربي الذي يأتي بلادنا ويجول بين اهلها ويرى تباغضهم الطائفي وتعصبهم المذهبي وتلاعبهم في معاملاتهم ان يحكم عليهم بفساد التربية . سهل عليهِ ان يلطخهم بالكذب والمداهنة وعدم الدقة في اعمالهم . سهل عليهِ ان يقول ما يشاء ويشاؤهُ تسرعهُ بالحكم لانهُ لم يدرس طبيعة البلاد ولم يقف على تاريخ اهلها فيما مضى ولو فعل ذلك لابرم حكمهُ على اسلوب بعض ما يقال عنهُ انهُ دقيق محكم . فسورية التعيسة ساحة القلاقل السياسية ومعترك الحروب الدولية ومقر الاختلافات الطائفية ومعرض الفتن الاهلية هي التي ولدت اولادها وربتهم على حب التعصب والتشيع فحكم عليهم الغربي بما حكم

اما سورية السعيدة فهي الارض الممتدة من حلب شمالاً الى عريش مصر جنوباً الى الصحراء شرقاً . جبال شامخة وسهول واسعة . انهر واودية . حراج وجنائن . جوٌّ صافٍ وشمس مطهرة هي الارض التي تفيض لبناً وعسلاً

هذه سورية السعيدة بسمائها ومائها وهوائها لا بسكانها هبت عليها نفحة من التمدن الغربي والقت فيها مع ما القت بزورًا من اثمار التربية الحديثة فنبتت وكبرت واخذت تثمر من سنة الى سنة حتى ظننا ان العمران قد زحف الينا بخيلهِ ورجلهِ وانهُ لا يطول على سورية الزمان حتى نراها بفضل التربية الحديثة زاهية زاهرة . على ان هذا الظن ما لبث ان تحول الى شك عندما شاهدنا ان سوق هذه التربية لا تروج في سورية وان ابناءها مضطرون الى السعي وراء رزقهم حيثما تسموهُ وهكذا باتت سورية وكثير من خيرة ابنائها بعيد عنها في مصر والسودان واميركا واستراليا . افننقم من التربية الحديثة لانها حملت البنين على هجر الوالدة ام نلقي اللوم على الوالدة لانها لم تحسن القيام على البنين ؟ هذا سؤَال يتعذَّر الجواب عليهِ فاتركهُ لكم واسأل ما هي التربية التي تعوزنا اذًا ؟ ما هي التربية التي اذا اعتمدناها نحن نخطو في سبيل الفلاح سواء عشنا في سورية او غيرها ؟ وعلى هذا اجيب

للتربية ثلاث وجهات وجهة جسدية ووجهة عقلية ووجهة ادبية او اجتماعية ففي الوجهة الجسدية يتدرَّب الانسان منذ الصغر على الاعتناء بجسمهِ وصحتهِ . هذا الجسد الغريب الصنع والتركيب اثمن ما يملكهُ الانسان على هذه الارض وقد لا يملك شيئاً سواهُ ومع ذلك فانهُ كثيرًا مايتصرف بهِ تصرفاً يضرهُ . من اين الاوجاع والآلام والامراض والعلل الجسدية على اختلافها ؟ أليست من جهل الانسان وتماديهِ بامور تضر بهِ ؟

وعليهِ فان من اول واجبات الانسان ان يتربى على معرفة المحافظة على جسدهِ وصحتهِ ويتعود العوائد التي تكفل لهُ حسن الصحة والتمتع بمحاسن الطبيعة وجمالها

نسمع بالحرب وفظائعها وقتلاها فنستكبرها ونقدح فيمن سببوها ولكن ليكن معلوماً ان عدد الذين يقتلون نفوسهم اضعاف اضعاف الذين يقتلهم الناس ولا اعني بقتل النفس الانتحار بل عمل ما يسبب الموت جهلاً لنتيجة العمل

وهنا نرجع الى الطفولة مغرس العوائد والاكتسابات ونقول ان من واجبات الام ان تعرف كيف تربي الاطفال ليشبوا اقوياء البنية ميالين للحركة والرياضة الجسدية . والام التي تنهى ابنها عن كثرة اللعب خوفاً عليهِ من المرض او من ان يقع ويكسر يدهُ هي ام تجهل اسباب المرض وكسر اليد والاب الذي يكون في البيت ويرى اولادهُ يلعبون ويضجون ويزعم

ان هذا مما يحط من هيبتهِ كاب فيصرخ بهم بلهجتهِ العنيفة ليسكتوا هو اب يجهل معنى الابوة

قال احد علماء التربية ان كلمة اهدأ يجب ان لا تقال للولد والمعنى انهُ اذا كان الولد يلعب او يلهو بشيءٍ ما فهو يفعل ذلك مدفوعاً بطبيعتهِ التي من قوامها ان تطلب اللعب والحركة الكثيرة وهدوءهُ ينبغي ان يتسبب من الداخل من اكتفاء تلك الطبيعة بمقدار الحركة لا من الخارج من شخص متسلط على الولد ينهاهُ عن اللعب لانهُ لا يشعر معهُ بلزومهِ

مشهد ايها السادة من مشاهد التربية الجسدية

في الصيف الماضي قصدت عبيه لزيارة رئيس المدرسة الكلية فقيل لي انهُ خرج مع عائلتهِ للنزهة على عدوة واد قريب فتبعتهُ على الاثر واذا هو وامرأتهُ واولادهُ مشمرون عن سواعدهم وبيد كلٍ عصا طويلة يستعين بها على هبوط الوادي · فانضممت اليهم ومشينا معاً حتى بلغنا محلاً مشرفاً على ما حولهُ فجلسنا نستريح وكان هناك شجرة باسقة لا يزيد قطر بدنها عن عشرة قراريط فعمد اليها ابن الرئيس وهو في الخامسة من عمرهِ وطوقها بذراعيهِ واخذ يتسلقها وابواهُ ينشطانهِ الى ذلك غير مبالين بالهوة التي تحت الشجرة حتى تعب فنزل وقامت اختهُ وهي اكبر منهُ وحاولت ان تتسلق الشجرة مثلهُ فلم تستطع ثم قامت اختهُ الثانية فحاولت الطلوع وفازت فصفقوا لها استحساناً

رأيت هذا المنظر فقلت في نفسي من هو الوالد الشرقي او من هي الوالدة الشرقية اللذان يريان اولادهما يتسلقان الاشجار فينشطانهم الى ذلك لتقوى اعصابهم وتنفتل عضلاتهم · هذا سر من اسرار تقدم الام السكسونية سر تربية الصغار وتنشئتهم على الاعمال التي تقوي ابدانهم وعقولهم وتجعلهم يميلون الى الاستقلال منذ الصغر

نحن لا ننتظر من الجيل القديم الاَّ ان يبقى على قدمهِ اما من هذا الجيل فاننا ننتظر الاصلاح من بني التربية الحديثة وبناتها منكم انتم ايها الفتيان والفتيات نتوقع اصلاح البلاد باصلاح التربية فيها

ومع تربية الجسد ينبغي ان يربى العقل فكما ان الجسد يستلزم الغذاء والحركة الذاتية لنموهِ وصحتهِ هكذا العقل يستلزمهما ايضاً · وغذاء العقل ما يلقى اليهِ من المعارف والاخبارات من القصص والحكايات من اجوبة الاسئلة التي يوجهها الولد الى مربيهِ وتمرينهُ يتم بان يسال عما تعلم وعما يجيب على هذا السؤال وتلك القضية وما شاكل ذلك من التمارين العقلية

ولا يمكنني ان اطيل الكلام في هذا . انما خلاصة ما اقولهُ ان غذاء العقل كغذاء الجسم ينبغي ان يكون معتدلاً قابلاً للهضم والتمثيل · وما مثل الذي يكلف الصغير حفظ ما لا

تحمله طبيعته الا مثل من يقدم اللوزة للطفل الصغير و ينتظر منه ان يأكل لبها فيضعها في فمهِ ويبلها بريقهِ ثم يبصقها الى الارض ولو قدمت تلك اللوزة الى ولد اكبر لعرف كيف يستخرج لبها وتلذذ بأكلهِ

هل تتصورون ايها السادة ان من الناس من يحشو معدته بالمواد العسرة الهضم ويبقى سالماً ؟ هل رأيتم ولداً يطعم ما يكره على ابتلاعهِ دون ان يمرض

ولكن هل رأيتم معلماً يحشو ذاكرة تلاميذهِ بالفاظ وعبارات لا يفقهون لها معنى دون ان تقل رغبتهم في الدرس ؟ هل رأيتم معلماً يرسم اعمال الحساب على اللوح الاسود ثم ينقلها الى دماغ التلميذ بضربهِ على يديهِ او قدميهِ. لماذا يجرّ بعض الاولاد جرًّا الى المدرسة ؟ مم يخافون وماذا يكرهون ؟ ايخافون الجلوس على المقعد وفتح الكراسة ذات الصور ؟ أيكرهون القراءة والكتابة ام يخافون المعلم وقضيب الرمان ويكرهون الكف وفرك الآذان ؟

من منا يسلم ادارة بستانهِ الى بستاني غير خبير ؟ ولكن كم هم الذين يسلمون اولادهم الى معلم لا يعرف من التربية الا اطرافها يستقرئ الولد او يستكتبهُ فاذا جاء بالمطلوب فيهِ والا ضربهُ فكأن التعليم ينال بالضرب وقسر الارادة لا بفهم طبيعة التلميذ واستخدام الطرق المناسبة لها

نسمع التلامذة عادة يشكون من صعوبة اللغة العربية ولا يميلون الى درسها والذنب في ذلك ليس على اللغة بل على المؤلف اولاً وعلى المعلم ثانياً لانَّ تآليفنا اللغوية عبارة عن مجموعة قواعد للاستظهار معظمها تافه ويزيد المعلم طينتها بلة بانهُ يجري عليها حرفاً حرفاً على منوال واحد فكأنهُ ينسى ان مطالب هذا العصر غير مطالب العصور السالفة ودخول اللغات الاجنبية زاحم لغتنا وتركها في مقام حرج في المدارس العالية

فمن لنا بمدرسين يتخذون صناعة التدريس لا لسهولتها بل لسموها وما يترتب على اتقانها من التأثير البليغ في عقول التلامذة واخلاقهم واذ ذاك فلا يكتفون بالنسج على المنوال القديم بل ينصبون على درس اصول التربية واساليبها القديمة والحديثة ويجعلون همهم الاول فهم طبيعة التلميذ ودرس اخلاقهِ وامياله وملاحظة نموهِ في القوى العقلية ثم يستخدمون الاساليب التي توافق تلك الطبيعة وتزيد التلميذ رغبة في الدرس والاستفادة

ليعلم المعلم انهُ هو طباخ التلاميذ يطبخ لهم الطعام العقلي ويقدّمهُ اما رديئاً يعسر هضمهُ ويؤلم واما جيداً يلذ طعمهُ ويغذي واذ ذاك فمن واجباتهِ ان ينوّع مطبوخاتهِ ويناولها كميات تناسب سن التلميذ وذوقهُ ومقدرتهُ على الهضم والتمثيل . وكما ان الجسم لا يكتفي بالغذاء بل يطلب معهُ الحركة والتمرين هكذا على المعلم ايضاً ان يحرّك دماغ التلميذ باسئلتهِ ويمرّنهُ على

الافتكار والاستنتاج العقلي وتمييز الصحيح من الغلط · هذا ما ينبغي على المعلم ان يتوخاه وهذا هو مرمى التربية العقلية

اما التربية الاجتماعية فهي من اوجه شتى اهم من غيرها · كيف نعيش . قال سبنسر ليس السؤال المهم لنا كيف نعيش بالمعنى المادي بل باوسع معنى كيف نعامل الجسد ؟ كيف نعامل العقل ؟ كيف ندير اعمالنا ؟ كيف نربي العائلة ؟ كيف نسلك كمدنيين ؟ كيف نستخدم مصادر السعادة التي تجهزها لنا الطبيعة ؟ كيف نستعمل قوانا كلها لمنفعتنا ومنفعة الغير ؟ وبعبارة اخرى كيف نستكمل المعيشة ؟ اسئلة كثيرة يرد جوابها هربرت الفيلسوف الالماني بقولهِ « ان الغاية من التربية بنيان القوى الادبية في الانسان » هنا ملتقى التربية البيتية والمدرسية استكمال المعيشة باستكمال القوى الادبية ·

وعليهِ فسواءٌ تربّى الفرد ليكون صانعاً او تاجرًا او زارعاً او جنديًّا او حاكماً او غير ذلك فليتربَّ على الرجولة الحقة ولكن هذه مركزًا تدور عليهِ علومهُ وصنعتهُ ومعاملاتهُ مهما كانت والرجولة الحقة صورة كمالية اساسها معرفة النفس ونسبتها الى الخالق والمخلوق واتصافها بالصفات الحسنى التي تصدر عنها الحكمة في الاقوال والافعال · الرجولة الحقة حياة منظمة تنقضي ساعاتها في العمل المفيد · هي حلقة من سلسلة الوجود النافع تتصل بغيرها فتقرّب الانسانية المتجسدة من نقطة الكمال

فاليكم ايها المربون كبارًا وصغارًا اوجه كلماتي الاخيرة · انتم مدبرو الهيئة وقادة العقول · انتم مصلحو الجنس وخدمة الانسانية فلا تستصغروا مهنتكم الشريفة بل ثقوا بافضليتها وتناولوا الذين تربونهم بيد الحكمة والتعقل غير ناظرين الى الولد الصغير بل الى الرجل الكبير الذي سيكون منهُ

عوّدوا الذين تربونهم الاعتناء باجسامهم واكتساب العادات التي تكفل لهم حسن الصحة · وربوهم على الاعتدال في المآكل والمشارب على الرياضة في الهواء النقي على حب العمل وكره البطالة

ربوهم على احترام الامهات والاخوات واشربوهم منذ الصغر معنى المثل العربي المأثور ان " كل ذات صدار خالة "

ليترفع كلٌّ منَّا عن سماع القصص السافلة التي تغض من قدر المرأة وليشب على احترامها وحسن الظن بها

وانتم ايها الاباء والامهات ربوا اولادكم على عدم التعصب الديني · هذا هو الداء الذي ئش

منهُ سورية وهذا علة تأخرها · هذا هو بلية بيروت زهرة المدن السورية . فما اجهلك ايها المسلم الذي تقوم على اخيك المسيحي · وما ابعدك ايها المسيحي الذي تنشأ على بغض اخيك المسلم عن جادة الدين القويم دين المحبة والسلام · الست انت والمسلم واليهودي من طينة واحدة ؟ ألا تضمكم بلاد واحدة ولغة واحدة ودولة واحدة ؟ فما اجدركم ان تعيشوا بالوفاق والالفة وتعملوا معاً على النهوض تشبهاً بالامم الجارية في سبل المدنية والعمران

ربوا اولادكم على احترام العمل والعاملين " (١) لانهُ قد مضى الزمن الذي كان الشرقي يعد الصناعة فيهِ عاراً وصغاراً و يترفع عن مخالطة صناع بلادهِ ازدراء واحتقاراً واصبح عقلاء الشرقيين يقدرون الصناعة قدرها علماً منهم بفعلها في ترقية شؤون الاوربيين وبفضلها في رفاهة عيش المتمدنين فلا يفرقون اليوم بين ابن الحائك وابن الملك "

ليرَ الواحد منا بالفاعل الذي يتصبب العرق من وجههِ ويحييهِ بقولهِ الله يعطيك العافية يخاطبهُ بنظرهِ قائلاً انت الذي تعلمني مثالة لا تعلمنيها الكتب ولا اراها في غرفة الدرس بمظهرها الطبيعي انت تعلمني شرف العمل والامانة فيهِ · انت تذكرني بقول الكتاب بعرق وجهك تأكل خبزك

نعم ليعلم الناس اجمع ان المدرسة مهما زرعت في رأس التلميذ من المعارف والاختبارات فهي لا تخلط معها بزور كره العمل والاحتراف . المدرسة لا تربي التلميذ على التأنق الزائد في اللباس وحمل العصا الافرنجية وتجعل منهُ صورة مكتوباً على جبينها انا ابن مدرسة اعرفوني من هيئتي

نددوا ايها المربون بعادة التشبُّه بما لا طاقة لنا بهِ واغرسوا في عقول الذين تربونهم ان جمال النفس يستغني عن جمال الثياب وان افضل طريق للحياة الحسنة هو العمل الحسن

ربوهم على سعة النظر والمبادىء الحرة · على حسن استخدام الوقت والدقة في الاعمال

انزعوا عبارات " مايسايل وما عليش ومشّي الحال " من دفتر التربية لانها آفة كبيرة في الشرق

واعلموا ان الانسانية الحقة لا تولد مع الانسان بل تنمو فيهِ وتتجسد عليها ويتدرب على القيام بمطالبها · هذا هو مرمى التربية وعمل المربين فالسلام على التربية والسلام على المربين

بولس الخولي

(١) مقتطف الجزء السادس صفحة ٤٧٥

الملح

من مقالة للاستاذ تشارلس سوبر نشرت في مجلة العلم العام الاميركية

من الامور الثابتة ان الانسان الحالي مهما اختلفت منزلتهُ في سلّم التقدم الاجتماعي يتناول الملح مع طعامهِ · وربما صحّ هذا القول ايضاً في الانسان الماضي. فقد وجدوا الملح بقرب جميع الاماكن التي قطنها الانسان قديماً او حيث كان يستطيع الوصول اليهِ بلا مشقة كثيرة والحيوان مثل الانسان في ذلك فان معظم الحيوانات الداجنة مولعة بهِ وكذلك بعض الطيور وآكلة العشب تحبُّ اكلهُ بنوع خاصٍ سواء كانت اهلية او برية · ومن الامور المشهورة ان هنود اميركا وبيضها كانوا يصيدون الغزال والجاموس وغيرهما من آكلة الاعشاب قرب البحيرات المالحة في اميركا لان تلك الحيوانات كانت ترد البحيرات لتتعلّل بمياهها وقد وجدوا عدداً عظيماً من جثث الحيوانات مدفوناً فيها وعلّلوا ذلك بان بعض الحيوانات كان يوغل في البحيرات طلباً لماء الملح حتى يبلغ مكاناً عميقاً فتغور قوائمهُ في قعر البحيرة بمجرد ثقل بدنهِ ولا يستطيع انقاذ نفسهِ فيهلك جوعاً · وبعضها كان يزحمهُ غيرهُ من خلفهِ فيسقط في الماء ويموت اختناقاً

على ان هناك شواهد كثيرة تدلُّ على ان بعض اصناف الناس لم يكن يتناول الملح في طعامهِ · فقد قال المؤرخ سالست ان اهالي نوميديا كانوا يقتاتون باللبن ولحوم الحيوانات البرية ولم يأكلوا الملح ولا غيرهُ مما يسيغ الطعام ويهيج الشهية ويقال ان كلمة الملح في لغة اهالي فنلندا مشتقة من الاصل الهندي الاوربي فاذا صحّ ذلك كان دليلاً على ان اهالي فنلندا لم يكونوا يعرفون الملح قبل امتزاجهم بالسلاف وعنهم اقتبسوا الملح واسمهُ · وقد ورد في قصائد هوميروس المعروفة بالاودسي ان العرّاف تيرسياس امر عولس بالسفر حتى يصيب قوماً لا يعرفون البحر ولا يأكلون لحماً مطيّباً بالملح · وروى المؤرخ الشهير تاسيتس ان قبيلتين سماها اقتتلتا في اواخر القرن الاول من التاريخ المسيحي قتالاً شديداً على امتلاك نهر يتولد منهُ الملح اعتقاداً منهما ان السماء قريبة منهُ وانهُ خير مكان لرفع ادعيتهم وابتهالاتهم الى الآلهة · وكانوا يستخرجون الملح من مائهِ بصب الماء على حزمة حطب مشتعلة فكان الملح يرسب في الاسفل · والسبب في تقديسهم ماء النهر اعتقادهم ان الملح من مولدات البحر فاذا تولد عن غيرهِ كان ذلك بتوسط من الآلهة

وكانت قوانين الملح في المانيا اكثر صرامة منها في فرنسا . وبقيت الحكومة محتكرة لهُ الى سنة ١٨٦٧ . اما النمسا فلا تزال حكومتها تحتكرهُ الى الآن مثل ايطاليا وغيرها وهو اغلى فيها منهُ في المانيا . واما الولايات المتحدة الاميركية فلم تضرب على الملح ضريبة ولا جمعت منهُ ايرادًا لخزينتها ولكن لما وضع مجلس الامة فيها قانون حكومة الولايات الغربية وبيع الاراضي فيها اشترط ان تبقى مناجم الملح للحكومة خشية ان يستبدّ ارباب الاملاك بهِ ويحتكروهُ فيقع معظم الحيف والظلم على الفقير من الاهالي

وكان بعض الامم القدماء يضيفون الملح الى ذبائحهم التي يحرقونها للآلهة مثل الاسرائيليين كما نصَّ عليهِ سفر اللاويين اما المصريون القدماء فكانوا يتنجسون بهِ فقد قال فلوطرخس ان كهنتهم كانوا ينبذون الملح عن موائدهم ويأنفون مكالمة ربّان السفينة لانهُ يعمل في البحر ولا يأكلون السمك لانهُ يخرج منهُ . وعاد فقال في موضع آخر ان الكهنة كانوا يمتنعون عن اكل الملح لانهُ يهيج الشهية الى الطعام والشراب ولكن شهادة اليونان عن مصر مجروحة لا قيمة لها لان مصر كانت في اعين اليونان بلاد العجائب والغرائب . فقد كانت بلاد شمال افريقية منذ القدم مستودعًا كبيرًا للملح . قال هيرودوتس وعلى سفر عشرة ايام من طيبة عرم كبيرة من كتل الملح على التلال ومن رؤُوس تلك التلال تنفجر عيون الماء الملح . ويقطن تلك البقعة قوم يسمون بالامونيين وعندهم هيكل جوبتر امون المشهور . والواحة التي هناك كانت فيما عبر قعر بحيرة من الماء الملح ولا يزال فيها ينابيع الماء الملح الى الآن والمرجح ان العقار المعروف عند اهل الكيمياء باسم "ملح الامونيا او ملح النشادر" مأخوذ اسمهُ من اسم البقعة المذكورة آنفًا اما لانهُ اول ما صنع فيها او لانهُ وجد في حالتهِ الطبيعية هناك

ويكثر وجود الملح في اماكن عديدة من شمال افريقية وعلى مسافة بعيدة من الساحل والاهالي يستخدمون حجارة الملح لبناء منازلهم لا لقلة الحجارة بل لان حجارة الملح اسهل نحتًا ولا خوف عليها من الذوبان لقلة سقوط الامطار هناك وهي ليست من الملح النقي بل مشوبة بالتراب . وبعض اقسام الصحراء مغطى بطبقة من الملح على مسافات طويلة يظهر بها سطح الارض ابيض كأنهُ مغطى بالثلج . ومهما يكن في بعض اقوال هيرودوتس وغيرهِ من الكتاب الاقدمين من المبالغة في هذا الصدد الا ان ابحاث المكتشفين الحدثين تؤَيد كثيرًا من اقوالهم فقد قال المسيو ديبوى في كتابهِ المسمى «غرائب تمبكتو» ان الملح ذو قيمة عظيمة في تلك الجهات مع كثرتهِ واكتشف مناجم ملح في قلب الصحراء وقال ان الاهالي يبنون بيوتهم من حجارتهِ ويسقفونها بجلود الجمال . وهو يوجد في الارض مغطيً بطبقة رقيقة من الرمل

فيستخرج منها كتلاً كبيرة تنحت قطعاً طول الواحدة منها ثلاث اقدام ونصف وعرضها قدم وربع ومنظرها كمنظر الرخام الاحمر وفيهِ عروق رمادية اللون ثم تدمغ بدمغة التجار المختلفين ومتى اخذت الى تمبكتو رسموا عليها نقوشاً سوداء وكتبوا عليها اسماء بعض الاولياء بأحرف عربية ثم ربطوها حزماً وباعوها . والبيضاء منها تفضل الحمراء . والسوداني يبذل كل ما عندهُ قياضاً بكتلة من الملح وهو عندهُ اعزُّ من الذهب واغلى

والمالحة دليل الوداد وحسن الضيافة عند القدماء والمتأخرين ولا تزال قبائل السلاف تكرم الضيوف بتقديم الملح والخبز اليهم . والعربي يستحلف خصمهُ بالخبز والملح اللذين بينهما اذا اختلفا على شأن من الشؤُون . ومن النصائح القديمة قولهم "قبلما تصطنع صديقاً كلْ معهُ كيلاً من الملح" وقد ذكرها ارسطو وشيشرون في كتاباتهما . وقال احد الشرّاح الاقدمين في شرح هوميروس انهم كانوا يعدون الملح اصدق علائم الوداد اما لانهُ كان يقدم الى الضيوف قبل غيرهِ او لانهُ مضادٌّ للفساد . وورد في سفر العدد ذكر الملح بين التقدمات التي كانت تقدم الى الله عند ابرام العهود والمواثيق

وكان الرومانيون يعدُّون الملح ضرورياً لجيوشهم فكانوا يقدمون الى كلّ جندي جراية خصوصية منهُ او مالاً مقابلها يشتري الملح بهِ لنفسهِ . وفعلوا مثل ذلك مع موظفي الحكومة في اسفارهم المختصة باشغالها ثم لما صار الحصول على الملح سهلاً استبدلوهُ بالدراهم وتقدوهم اياها عوضاً عنهُ . ومن ذلك اشتقت لفظة "سلري" في اللغات الاوربية ومعناها راتب او اجرة شهرية

هذا ولا يزال العلماء في خلاف على ما اذا كان الملح ضرورياً للحياة الحيوانية او لا . فاذا صحَّ ان الحيوانات البحرية اصل الحيوانات البرية فمن الصواب ان نفرض ان مبدأ الرجوع الى ذلك الاصل يهيج في الحيوانات ميلاً طبيعياً الى الملح ليس اكثر . ويقول بعض العارفين من الجهة الاخرى ان آكلة الاعشاب من الحيوانات تجد في طعامها كمية كافية من الملح لسدّ مطالب الجسم الطبيعية ومنها تنتقل الى آكلة اللحوم . والذين يقولون ان الحيوان يتناول كمية كافية من الملح بواسطة طعامهِ يقولون ايضاً ان شدة ولوع معظم الناس وبعض الحيوانات الاخرى بالملح ناشئة عن انحراف في الذوق ويستشهدون على صحة ذلك بشدة ميل الكلاب وغيرها من البهائم الى اكل الحلوى مما يدل على انحراف في الذوق يفضي الى الاضرار بها . ومن المؤكد انهُ ليس بين المواد المعدنية مادة يأكلها الناس بشراهة مثل الملح والمرجح ان مقدار ما يؤكل منهُ آخذ في الازدياد على التوالي . اما اذا كانت الحياة الحيوانية تقوم بلا ملح اولا فمسألة لا يمكن الجزم بها ولا نفيها بما لدينا من وسائط العلم والمعرفة

قوانين يوستنيانوس

(تابع ما قبله)

الفصل الحادي والعشرون في ابطال الوصيَّات

إبطال الوصيَّات شرعي وهو يقع اما بالألفاظ التي هي نصٌّ في الابطال او بما يدلُّ عليهِ وقد يقع باستعمال سائر انواع اللفظ

(١) الوصيَّة يجوز ان تحوَّل عن شخص الى آخر اما بكتاب الوصاية نفسهِ او بملحقٍ بهِ وهو المعروف بالكُتيّب

الفصل الثاني والعشرون في شريعة فلسيديا

ان شريعة فلسيديا قد وُضعت لأن تمنع الايصاء بما فوق ثلاثة أرباع التركة(١) وذلك ليبقى الربع للوارث او للورثة سواءٌ أُقيم وارثٌ واحد او ورثة متعددون

(١) يجب انفاذ شريعة فلسيديا لكل من الورثة على حدتهِ

(٢) قيمة التركة تُثمَّن وقت الموت

(٣) انهُ بحسب ترتيب شريعة فلسيديا يبدأ بوفاء الدين وتجهيز الميت واداء ثمن العبيد المحرَّرين وهلمَّ جرًّا بحيث يبقى الربع للوارث والثلاثة الارباع تُوزَّع بين الموصى لهم على مقدار النصيب الموصى بهِ لكلٍّ منهم (٢)

الفصل الثالث والعشرون في التركات الاستيداعية

(١) اعلم انهُ في ايام القدماء لم يكن على الودائع رسم ثم ان اغسطوس أمر القناصل ان يدخلوا في مسائل الودائع فاصبح ذلك سلطةً اعتيادية حتى أُقيم قاضٍ خاص ينظر في طلب الاستيداع ويجيب اليهِ

(٢) من المعلوم انهُ قبل كل شيءٍ ضروري ان يقام بواسطة كتاب الوصية الشرعي شخص كوارث صريح لكي يصحَّ ان يفوَّض الى ذمتهِ الميراث المكلَّف ان يسلمهُ الى ثالث ويجوز ان يكلف وارثهُ الجزءي . ولهُ ان يترك الوديعة اما مطلقاً او تحت شرط او الى اجل محدود

(١) وفي الفقه لا تجوز الوصية الاَّ بثلث التركة وليس لهُ ان يوصي لوارثٍ الاَّ باجازة الورثة

(٢) في الفقه الاسلامي " من اوصى وعليهِ دين محيط بمالهِ لم تجز الوصية لان الدين مقدَّم عليها لانهُ فرض وهي تبرُّع " وهذا مما لا يقع الاختلاف فيهِ في شريعةٍ من الشرائع العادلة

الكتاب الثالث

الفصل الاول في التركات غير الموصى بها

الميت غير الموصي من لم يعمل وصيةً . او من اوصى ولم يتبع في وصيتهِ الاحكام المرعية او من فسخت وصيتهُ . او ابطلت . او لم يقم بها وارث

(١) تركات من ماتوا ولم يوصوا هي بحسب شرع الالواح الاثني عشر[١] للوَرَثة الشرعيين

(٢) الوَرَثة هم الذين كانوا تحت ولاية الميت عند وفاتهِ . ولا فرق بين ان يكونوا طبيعيين او متبنين او مسلمين للمجلس البلدي[٢] (هذا شبيه بما يسميهِ المصريون المجلس الحسبي)

(٣) الوَرَثة يصيرون حقيقيين ولو لم يعلموا

(٤ و ٥ و ٦) متى وُجد ابن او ابنة مع ابن ابن . او ابنة ابن نازلين من أبٍ آخر فكلهم يشتركون في ميراث الجد . واقربهم لا يحجب ابعدهم ومن الموافق كما يظهر ان تقسم التركة من الجد الجامع[٣]

(٧ و ٨) متى أُريد معرفة ايّ يكون الوارث الحقيقي وجب البحث عن الوقت الذي توفي فيهِ المورث من دون وصيةٍ . هذا ما ينبغي عملهُ لعدم وجود الوصية . وذلك بشرط ان يكون جنيناً في حياة جدهِ . فالحفيد يضحي وارثاً متى توفي ابوهُ ثم مات جدهُ ولم يوصِ

---

(١) المراد بالالواح الاثني عشر مجموع الشرائع التي انتشرت في رومة بأمر الحكام العشرة ونقشت في الواح نحاس

(٢) في الفقه الاسلامي "المجمع على توريثهم من الذكور فرضاً او تعصيباً او بهما عشرة الابن . وابن الابن وإن سفل بمحض الذكور . والاب . والجدّ ابو الاب وإن علا بمحض الذكور . والأخ مطلقاً . وابن الأخ الشقيق او لأبٍ وإن سفل بمحض الذكور . والعمّ الشقيق او لابٍ . وابن العمّ وإن سفل . والزوج . ومولى النعمة اي المعتق

والاناث المجمع على توريثهن سبع . البنت . وبنت الابن وإن سفلت بمحض الذكور . والام . والجدة لامّ او لأبٍ وإن علت ما لم تدلِ بجدٍّ فاسدٍ . والأخت مطلقاً . والزوجة . ومولاة النعمة اي المعتقة" (شرح القدوري) ببعض حذفٍ

(٣) هذا مغاير بالمرة لما ورد في علم الفرائض الاسلامية فان الاقرب يحجب الأبعد بلا خلافٍ . واعلم ان الحجب حجبان . حجب نقصانٍ وذلك مثل حجب الولد الزوجة فنرضها مع عدم الولد او ولد الابن الربع من تركة الزوج وفرضها معهُ الثمن . وحجب حرمان وذلك كسقوط الجدّ والاخوة والاخوات مطلقاً بالأب فاذا مات عن جدٍّ وابٍ واخوة واخوات فتركتهُ كلها للأب ولا شيء منها للبقية لان الاب حجبهم جميعاً حجب حرمان

(٩) المأذونون من الاولاد ليس لهم من حق في تركة والدهم بحسب الشرع المدني لكن القاضي المتصرف بمقتضى المساواة الطبيعية يجيز لهم وضع اليد كما لو كانوا تحت ولاية الاب حال موته

(١٠) الاولاد الذين يأذن لهم ابوهم . والاولاد الذين يسلمون انفسهم للتبني لا يقبلون كأولاد في تقسيم املاك الأب الطبيعي ان كانوا وقت وفاته في العائلة المتبنية . واما الاولاد المأذونون من الأب المتبني بعد موت الاب الطبيعي فيبقون ابدًا اجانب عن املاك الاب المتبني . واملاك الاب الطبيعي فلا يصيبهم منها زيادة على حقوق الاولاد

(١١) حقُّ المتبنين اذن اقلُّ من حق الطبيعيين

(١٢ و ١٣ و ١٤) قد جرى تعديل هذه الشروط بأسرها . فقد قرَّرنا انهُ متى كان الاب الطبيعي قد سلَّم ابنهُ للتبني تبقى حقوق هذا الابن محفوظةً كأنهُ باقٍ ابدًا تحت ولاية أبيهِ الطبيعي كما لو لم يقع التبني لانهُ لا يمكن أن يتوصل الى تركة الاب المتبني الاَّ في حالة واحدة وهي ان يموت غير موصٍ . لكن اذا الاب المتبني عمل وصيةً فلا يحق للمتبني بمقتضى الشرع المدني ولا بمقتضى الشرع القضائي ان يحرز شيئًا من تركة المتبني ويستثنى من ذلك من تبنَّاهُ ابوهُ الطبيعي

(١٥) ان الشرع القديم ايضًا كان يورث الاحفاد والحفيدات النازلين من الذكور كأنهم وَرَثة حقيقيون . والعاملون قد جعلوا في هذا المقام وفي هذه الدرجة من الوراثة النازلين سواء كانوا نازلين من الذكور او من الاناث لكن مع هذا الاختلاف وهو أن يُعطوا ثلثي ما تستحق امهم او جدَّتهم او ابوهم او جدُّهم صحيحًا او فاسدًا . وذلك حين تقسم تركة المرأة بعد وفاتها

(١٦) اما نحن فقد قرَّرنا انهُ متى وُجد مثل هؤلاء الاحفاد او اولاد الاحفاد وهلمَّ جرًّا فلا حظَّ للعصبة من ميراث المتوفى وذلك حتى لا يُفضَّل النازلون بخطٍ مستقيم . وكما ان الشرع القديم كان قد حكم ان يُقسَّم الميراث بين الاولاد والاحفاد النازلين من ابن آخر لا على عدد الرؤوس بل من الجد الجامع كذلك نحن قد أمرنا ايضًا ان يتبع هذا النوع من التقسيم بين الاولاد والاحفاد النازلين من بنتٍ او بين جميع الاحفاد والحفيدات وبين اولاد الاحفاد و بنات الحفيدات وهلمَّ جرًّا بحيث ان كلَّ فرع يحرز نصيب الام او الاب ونصيب الجدَّة او الجدّ دون اقلّ نقصان

الفصل الثاني في وراثة العصبات الشرعية

متى لم يوجد وارث ولا شخص ممن القاضي او القوانين يحصونهم في عداد الورثة لاحراز التركة تعين الارث لاقرب العصبات[1]

(١) ان الشريعة تُعطي التركة من هو من العصبات اقرب الى الميت متى ثبت ان المتوفى مات ولم يوصِ

(٢) حق القرابة العصبية يتقرر بالتبني فيما بين الاولاد الطبيعيين ومن تبنَّاهم ابوهم

(٣) ان الميراث بحق القرابة العصبية[2] بين الذكور ينتقل حتى الى الابعد. وأما النساء فكان قد تقرر انهنَّ لا يحرزن الميراث بقوة حقهن من القرابة الابوية العصبية الاَّ بانفسهنَّ ومتى كنَّ اخواتٍ . لكن ليس ذلك وهنَّ في ابعد درجة من الميت فالذكور يحرزون تركة النساء (ولو كانوا في الدرجة القصوى) وأما نحن فقد قرَّرنا ان كل النازلين من الذكور يكونون بلا تفريق حائزين حقوق الوراثة الشرعية لمن توفي ولم يوصِ بحسب قرب درجتهم منهُ

(٤) ينبغي ايضاً ان تقرر ان الأقارب الذين تجمعهم درجة واحدة ينتقلون من طبقة ذوي الارحام الى الوراثة الشرعيَّة

(٥) متى تعدد العصبات وكانوا مختلفي الدرجات فالشريعة تورث الاقرب[3] وان تعدَّدوا واستوت درجة قرابتهم فكلهم يرثون

(٦) يُعدّ اقرب درجةً من كان كذلك عند وفاة الميت هذا فيما اذا توفي صاحب التركة ولم يوصِ ولكن اذا مات وقد أوصى فيعد الاقرب من كان اقرب الناس الى الميت يوم ثبت انهُ لم يوجد وارث ما بالوصيَّة

(٧) كان يراد منع انتقال الارث في مثل هذه التركات . واما نحن فقد قرَّرنا جواز انتقال الارث في العَصبات

---

(١) قد جاء في كتب الفرائض ان " اقرب العصابات الى الميت البنون ثم بنوهم وان سفلوا بمحض الذكور ثم اصله وهو الاب ثم الجدّ وان علا بمحض الذكور ثم بنو الاب وهم الاخوة لأبوين او لأبٍ عند عدم وجود الاخوة لأبوين ثم بنوهم وان سفلوا بمحض الذكور ثم بنو الجدّ وهم الاعمام لأبوين او لأب عند عدم الاعمام لأبوين ثم بنوهم كذلك وان سفلوا بمحض الذكور . ثم بنو أب الجدّ وهم اعمام أب الميت لأبوين او لأب ثم بنوهم كذلك وان سفلوا "

(٢) الارث في الشريعة الاسلامية بالفرض واما بالتعصيب اما الاوَّل فكارث الزوجة من تركة زوجها واما الثاني فكارث الابن تركة ابيه

(٣) هذا موافق لما في علم الفرائض حيث قالوا و يقدَّم الاقرب فالاقرب

(٨) كذلك يجوز الوراثة الشرعيَّة الأَصلُ الذي يأذن ابنهُ او ابنتهُ وهلم جرًّا لكنما تلك الوراثة على سبيل الاستيداع ليس الأ

الفصل الثالث في مرسوم ترتوليانوس

ان شريعة الالواح الاثني عشر قد وضعت في الدرجة الاولى ذريَّة الذكور

(١) ان العاهل قلوديوس [١] تخفيفاً لرزء الام في اولادها نقل اليها حقَّ ميراثهم الشرعيّ . قد جاء في مرسوم ترتوليانوس بعد ذلك ان الحرَّ متى أخذ حقَّهُ من عدد ثلاثة اولاد . واخذهُ المحرَّر من عدد اربعة اولاد يكون لهُ الحقّ في املاك بنيهِ او بناتهِ الذين ماتوا وهم تحت ولاية الاب ولم يوصوا

(٣) قد آثروا على الامّ أولاد المتوفى او المعدودين كأولادهِ سواءٌ كانوا في الدرجة الاولى أم في درجة أبعد

(٤) اما نحن فقد منحنا الامهات حقًّا تامًّا في الوراثة الشرعيَّة (سواءٌ كنَّ حرائر ام محررات) وذلك ان لم يكنَّ قد ولدنَ ثلاثة أولادٍ او اربعةً

(٥) قد ظهر لنا مناسباً ان نفضل الامَّ على سائر الاشخاص الشرعيين ونجعل لها الوراثة بدون اسقاط شيءٍ ما اللهم ان لم يكن لمنفعة اخٍ او اخت سواءٌ كان من جهة الاب او كان من ذوي الارحام فقط . وذلك اذا لم يكن الأَ أخوات لأَبوين او لاب او ذوات ارحام آتيات مع ام المتوفى او المتوفاة . ففي مثل هذه الصورة نصف التركة للامّ والنصف الآخر لكل الأَخوات . واذا مات عن امٍ وأخٍ اوعدَّة اخوة وحدهم او معهم أخوات وكانت الامّ آتية بحقوق شرعيَّة زاحمت [٢] في ميراث المتوفى او المتوفاة اللذين لم يوصيا فتقسم التركة بينهم على عدد الرؤوس

الفصل الرابع في مرسوم اورفيتيانوس

الأَولاد يرثون اموال الأُمهات المتوفيات غير موصيات بحسب مرسوم اورفيتيانوس ويُفضَّلون [٣] على العصبات وعلى عصبات الام المتوفات

(١و٢و٣) ان هذا الحق ايضاً للاولاد المولودين من ابٍ غير معيَّن

(١) عاهل رومانيّ تولى من سنة ٢٦٨ الى سنة ٢٧٠ كان ذا رأي وحكمة في قيادة الجيوش . مات في الطاعون وخلفهُ أورليانوس

(٢) هذه المزاحمة بمثابة حجب النقصان كما ذكرنا في تعليقة سابقة

(٣) هذا التفضيل هو في عرف الفرضيين حجب الحرمان

الفصل الخامس في وراثة ذوي الارحام

ان لم يكن ورّاث حقيقيون ولا ورّاث شرعيون فالقاضي يورّث اقرب ذوي الارحام الى الميت

(١) انما يعتبرون في هذا الشان القرابة الطبيعية

(٢و٣) ان الاولاد الذين هم في عائلةٍ متبنّاة يرثون بحسب هذا القانون نفسهِ تركة ابيهم الطبيعي

(٤) من الواضح ان لا عصبة للاولاد المجهولي الاباء

(٥) يجب التنبيه انهُ نظرًا الى ذوي الارحام يُسهَم للقريب في التركة ولو في الدرجة العاشرة . والقاضي يتعهد بوضع اليد على الاملاك بعلّة القرابة حتى الى الدرجة السادسة من قرابة المصاهرة

الفصل السادس في درجات ذوي الارحام

نقول ان القرابة النسبية تنقسم الى صاعدة ونازلة ومنحرفة فالصاعدة قرابة الاب والام . والنازلة قرابة الاولاد والمنحرفة قرابة الاخوة والاخوات او قرابة منٍ وُلدوا من هؤلاء او من أولئك . فالصاعدة والنازلة تبتدئان من الدرجة الاولى . والمنحرفة تُعتبر من الدرجة الثانية

(١و٢و٣و٤و٥و٦و٧) كل شخص مولود يضيف دائمًا درجةً جديدة

(٨) درجات القرابة العصبية تجري على هذا القياس نفسهِ

الفصل السابع في المصاهرة المنعقدة في العبودية

قد أجزنا بقانوننا الامر الآتي . وهو من كان لهُ وهو في حال العبودية ولدٌ او اولادٌ من حرّةٍ او أمةٍ او بالعكس اذا كان لأمةٍ اولادٌ من حرٍ اوعبدٍ ففي هذه الحال اذا تحرّر الاب والام فاذا كان الاولاد قد ولدوا من أمةٍ يصيرون احرارًا . واذا كانوا قد ولدوا من أمٍ حرّةٍ وأبٍ عبد فالاب يحرر فيما بعد وكل هؤلاء الاولاد يخلفون الاب أو الام . وحيث يزول حق الولاء في هذه الحال نحن نجعل لهم الوراثة المتبادلة بان يكون بعضهم وارثًا لبعض كما تكلمنا اما في التفضيل لمن هو اقرب درجةً في قرابة المصاهرة . واما في مزاحمة ذوي الارحام نفترض انهُ لا يوجد وارث حقيقيٌّ . ولا من يُعد كوارث . ولا من لا بدَّ من تفضيلهِ بحق المصاهرة الأ الاخ والاخت المأذونان اللذان ينزلان منزلة الاخوة والاخوات ويفضلان على العصبة من درجةٍ أبعد

الفصل الثامن في وراثة المعتقين

قديمًا كان للمعتق ان يغفل بلا حرج اسم مولاه في كتاب وصيتهِ

(١) ان مرسوم القاضي قد ازال هذا الظلم اذ أمر بان المعتق يترك نصف املاكهِ لمولاهُ . فان لم يترك لهُ شيئًا . او كان قد ترك لهُ اقلّ من النصف فنصف التركة يُسلَّم للمولى خلافًا لالواح الوصية[١]

قد قرر مؤخرًا انهُ متى كانت تركة المعتق مائة الف سسترس[٢] وورثتهُ اقل من ثلاثة اولاد وجب للمولى سهم رجلٍ

(٣) مع ذلك قد قرَّر قانوننا بوجهٍ باتٍّ ما يأتي . وهو متى ترك المعتق او المعتقة اقلّ من مائة ريال[٣] ذهب فليس للمولى حق في تركتهما ان اوصيا . واما اذا كان الامر على الضدِّ من ذلك بان ماتا ولم يوصيا ولم يخلفا ولدًا فحقّ المولى والحال هذه يحفظ بتمامهِ . ومتى تركا اكثر من مائة ريال ذهب فان كان لها اولاد كورثة او اصحاب املاك جعلنا تركتهما لهؤلاء الاولاد. وان كان الامر على الضدّ من ذلك اي اذا ماتا وليس لها اولادٌ فان لم يوصيا جعلنا التركة كلها بين الموالي والموليات . وان أوصيا ولم يذكر في كتاب الوصيَّة مواليهم ولا مولياتهم فللموالي ثلث املاك المعتق وان كانوا قد اخذوا ما دون الثلث فيجب ان يُعطوا تتمة الثلث ولا يجوز ان يسقط من هذه الحصَّة شيءٌ بعلة الرسوم ولا ان يؤخذ منها شيءٌ ليدفع رسمًا عن الموصى بهِ او الوديعة الراجعين الى اولاد المعتق او المعتقة اذ ان هذه الكلف تقع على شركاء الموالي في الميراث[٤]

الفصل التاسع في استحضار المعتق لدى القاضي

لابدَّ لنا ان ننبه انهُ يؤذن للاب ان يستحضر معتقهُ لدى القاضي لأحد بنيهِ ليجعل هذا الابن مولى ذلك المعتق

(١و٢و٣) لا فرق بين ان يكون هذا بكتاب وصيَّةٍ او بدونهِ

(ستأتي البقية)

---

(١) لاذكر لشيء من هذا الحكم في الفرائض الاسلامية بتة (٢) نقد روماني يساوي ٢١ سنتيمًا

(٣) نقد روماني قيمتهُ خمسة فرنكات او ربع ليرة فرنسوية

(٤) قال صاحب الدرّ المختار " المعتق مقدَّم على الردّ وعلى ذوي الارحام مؤخر عن العصبة النسبية فان مات المولى ثم المعتق ولا وارث له نسبيّ فميراثهُ لأقرب عصبة المولى المذكور "

القوة في الشيخوخة

تابع ما قبلهُ

طور اليأس في المرأة

ما تقدم الكلام عليهِ يشمل الرجل والمرأة على السواء ولكن المرأة تنفرد بأمر واحد وهو انهُ يمرُّ عليها طور من اطوار الحياة في اواسط عمرها يسمى بسن اليأس ويظنُّ انهُ محفوف بالمكاره والاخطار وهو ظنٌّ مبالغ فيهِ كل المبالغة . فان الرجل يبلغ غاية النموّ العقلي والبدني في الحادية والاربعين من عمرهِ والمرأة في التاسعة والثلاثين على وجه التغليب ويتلو ذلك سبع سنوات او عشر يصحُّ تسميتها بطور القوة فان انسجة الجسم تكون فيهِ ثابتة وتغذيتهُ على احسنها وهو احد اطوار النمو ويرافق بعوارض خصوصية . واطوار النمو في الرجل ثلاثة وهي طور التسنين وطور البلوغ وطور الانحلال . ويزاد في المرأة عليها طور انقطاع الحيض او ما يسمى عادة بطور اليأس وهو زمان تراقبهُ المرأة بعين الخشية لانها تنتظر فيهِ بلايا واضطرابات مختلفة فاذا كانت عزباء استيقظت بغتة كما من رقاد طويل وتولاها فكر ان زمن الشباب فات . واذا كانت متزوجة تمكن منها اليأس والخيبة بعد طول التعلل بالآمال وكثيرًا ما يؤثر ذلك في صحتها . وخلاصة القول انهُ اذا اهتمت المرأة عزباء كانت او متزوجة بالمحافظة على قواها البدنية والعقلية وجعلت تنظر الى امور هذه الدنيا بعين قريرة ووجه باسم وتناست كل ما يولد السوداء والكآبة فيها فلا تخش بأسًا وشمس الحياة تؤذن بالافول

***

تدلُّنا مراجعة العلامات التي تميز الكهول والشيوخ كما تقدم معنا على الطرق التي يمكن اتباعها لتأخير سير تلك العلامات على قدر المستطاع . ولا ينتظران يتعاون عدد كبير من الناس على اتباع تلك الطرق ولو تعاونوا لنشأ عن ذلك فوائد جمة لهم . وجهد ما يمكن في هذا الصدد الارشاد الى بعض النصائح عسى ان ينتصح بها الذين يهمهم خير انفسهم

يقول الذين درسوا هذا الموضوع حقَّ الدرس ان الرياضة البدنية مفيدة لا مضرة كما يزعم البعض لانهُ اذا لم يتروض الجسم دبَّ الانحلال سريعًا في انسجتهِ المختلفة . واما من جهة الأكل فالمتفق عليهِ ان الطعام الذي يتناولهُ من جاز سن الكهولة يجب ان يكون اقلَّ مما كان يتناولهُ قبل ذلك السن وان يغير نوعهُ فيقلل من تناول المواد التي تتكون انسجة الجسم منها وان يقلل ما امكن من اكل المواد المهيجة التي تتناول عادة لتهييج القابلية

لا لانها ضرورية . ولتكن القاعدة ان لا يأكل الانسان اكثر مما تطلبهُ قابليتهُ وهي في حالها الطبيعية وان يقتصر على نفسهِ في تناول المواد التي انما تؤكل للذة في طعمها ومتى بلغ الانسان سن الشيخوخة اي سن السبعين او نحوهِ فليكن طعامهُ بسيطاً جداً وليأكلهُ بتأنٍ كثير . والقاعدة العمومية هي انهُ كلما كان طعام الشيخ بسيطاً بحيث لا يتعدى الخبز واللبن والاثمار طال عمرهُ متمتعاً بالصحة والعافية . ولا ينكر ان لهذه القاعدة شذوذاً فاذا طرأ على صحة الشيخ طارئ افقدهُ قوتهُ فلا بأس من زيادة الوان طعامهِ ومقدار ما يتناولهُ منها حتى تعود اليهِ قوتهُ الطبيعية

ومن الشيوخ من يلائمهُ اطالة الفترة بين طعام وطعام . ومنهم من يلائمهُ تناول كميات قليلة في فترات قصيرة . ولما كانت امعاؤهم ميالة الى القبض فلا يهيجوها بتجرع المسهلات بل بالوسائل الطبيعية مثل اكل الاطعمة الملينة التي لا تولّد عفونة واختماراً في الامعاء . وهذه الاطعمة هي الاثمار والحبوب والخُضَر التي تستعمل للسلطة واحسن شراب لهم اللبن فانهُ نافع للامعاء والكلى . والذرة احسن الحبوب لعمل الخبز منها وطبخها باللبن . والخبز الكثير الاختمار مضرٌّ فانهُ يزعج الهضم ويزيد توتر العضلات . واما اللحم فيختلف امرهُ باختلاف الامزجة والعادات ولكن الحاجة اليهِ قليلة بل انهُ لا حاجة اليهِ البتة عادة . اما السوائل فلا بأس ان يكثر الشيخ من شربها ولكن اذا كان قلبهُ ضعيفاً فلا يستصوب شربها قبل ترويض الجسم لانها تضغط ناحية القلب وتعرضهُ للخطر

ومن اهم الامور للشيوخ الاعتناء بالجلد وفركهُ بفرشاة من قمة الرأس الى اخمص القدم فركاً جيداً مطرداً . ولما كانت بشرة الشيوخ جافة يابسة فيحسن ان تدهن بنوع من انواع الزيت بعد فركها كما تقدَّم . وربما كان زيت الزيتون او دهن جوز الهند خير دهان لذلك ولا يفوقهما الاَّ مستحضرات تحتوي على اللانولين لاسيما اذا أُريد زيادة ثقل الجسم وسمنهِ . وقد يستعمل زيت البترول لهذه الغاية ايضاً اذا أُريد تهييج سطح الجلد

والشيوخ شديدو الشعور بالبرد لان قوة الجلد على المقاومة خفَّت فيهم وكذلك قوة توليد الحرارة ولذلك تراهم ميالين الى الجلوس في منازلهم وتثقيل ملابسهم حتى لا تتعرض ابدانهم للبرد وهذا خطأٌ كبير وعادة يجب ان يقلعوا عنها رويداً ويقيموا في الخلاء على قدر ما يستطيعون . ويجب ان تكون ملابسهم التحتانية خفيفة ذات مسام ويفضل الكتان على غيرهِ وان يلبسوا فوقها قمصاناً من الصوف طبقاً لحرارة الهواء . والخروج من المنازل ضروري لاتمام التأكسد بواسطة الرئتين والجلد . والشعور بالبرد بعد الرياضة اكثر حدوثاً اذا كان الجسم مثقلاً باللباس

التحتاني مما لو لم يكن متقلاً بهِ وعواقب الاول اوخم من عواقب الثاني بكثير . واذا تبللت الثياب التحتانية بعد الرياضة يجب تغييرها حالاً وكذلك يجب تغيير الجوارب مراراً لتهوية الاقدام

واهم ما يجب الالتفات اليهِ لتأخير الانحلال المرافق لكبر السن ولاستعادة كثير من النشاط الطبيعي اشكال الرياضة وصفاتها . فقد أبنت فيما سبق انهُ كلما تقدم الانسان في السن اخذت انسجة الجسم تتصلب وتفقد مرونتها كالحبل الشوكي واربطة المفاصل والجلد واغلفة العضلات ونسيج الاوعية الدموية . واشد خطراً من ذلك كلهِ تصلُّب الاعضاء الموكلة بتغذية الجسم والحواس الخاصة (الحواس الخمس) وهذا ما لم يُشر اليهِ احد قبلي على ما اعلم . ولبيان ذلك اقول انهُ كلما تقدم الانسان في السن اخذت وظائف الحواس الخاصة تفقد حيويتها فيظلم البصر وينبو السمع ويبلد الذهن ويفتر الطبع . وكثير من ذلك لا بدَّ منهُ وبعضهُ يمكن تأخيرهُ حتى الموت . فان الانسجة التي حول رقبة الشيخ مثلاً تفقد كثيراً من مرونتها حتى تتصلَّب رقبتهُ وخصوصاً عند نقرتهِ وقد ظهر لي ان تحريك الرقبة وما حولها من العضلات بالتمرين افضى الى تحسن السمع والبصر وعمل الدماغ وسير الدورة الدموية فيهِ مدة النوم . وجربت ذلك في كثيرين من الذين اصيبوا بضعف في الحواس المذكورة فصلحت حالهم وتحسنت تحسناً ظاهراً

وما يصحُّ في هذه الحواس يصحُّ في الجهاز الهضمي ايضاً . فان كثيراً من الامراض التي تعتري اعضاء الهضم حتى في اواخر الشباب ناشئ عن ارتخاء الانسجة التي تدعمها . فقد قدَّروا ان ٦٠ في المئة من البالغين مصابون بتمدد المعدة وارتخائها وكثيراً ما لا يرافق ذلك اعراض تدلُّ عليهِ ولكن اذا كان هناك اعراض فان سببها فقد المعدة لبعض قوتها العضلية . واذا كانت جدران البطن ضعيفة مالت اعضاء الهضم الى الارتخاء والهبوط . فتتغير بذلك نسبة الاعضاء بعضها الى بعض وخصوصاً الاوعية الدموية والانسجة التي لها علاقة بوظيفتها فان الكليتين اللتين تسندهما الاوعية الدموية الداخلة اليهما والخارجة منهما كثيراً ما تنفتل الانسجة التي تتعلقان بها فينقطع بذلك مرور فضول الجسم ويتعطل عمل الاعصاب الى حد ان يحدث عن ذلك ألم وتتعطل وظيفتهما . والمرأة التي حبلت وولدت الاولاد تتمدد جدران بطنها كثيراً او قليلاً فيفضي ذلك الى ضررها ويحدث مثل ذلك في الرجل ايضاً اما المرأة فتلجأ الى لبس المشدّ على انواعهِ المختلفة تخلصاً من الضرر. ولما كان المشد شائع الاستعمال كثيراً فاننا مكرهون على قبولهِ بحكم الضرورة وان كنت اعتقد ان الاستغناء عنهُ ممكن لو سلَّم النساء معي

بذلك ولكن الامر المهم اقناع النساء بلبس المشدات التي هي اقل ضررًا من غيرها فاذا ارتخت جدران البطن كثيرًا وجب دعمها بالمشد الى ان تعود تصلح للعمل الذي وجدت لهُ . ومن الاوليات في الطب ان غاية الدعائم الاصطناعية معاونة الاعضاء على اتمام وظيفتها حتى تعاد انسجتها الى حالها الطبيعية . واول ما يجب عملهُ لتلافي هذا الخلل ان يعوَّد الشخص المصاب بارتخاء البطن الوقوف منتصبًا والجلوس منتصبًا على كل حال . فاذا كانت عظام العنق عمودية والاضلاع مرتفعة اتصل الضغط الى جدران البطن فحفظت المعدة والامعاء ضمن حدود الجذع

والذين يقفون ويجلسون منتصبين اقوى بنية من غيرهم . نعم ان كثيرين من الذين يحنون ظهورهم عند الوقوف والجلوس صحيحو البنية سليمون من المرض ولكنهم ليسوا كما يجب ان يكونوا وهم معرضون لخطر ابتعاد اجهزتهم الهضمية عن حماية الجهاز العصبي المركزي بخروجها عن حدودها . اما اعضاء الصدر فان اخطارها اقلّ من اخطار اعضاء البطن لانَّ لها من الاضلاع حاجزًا حصينًا يقيها الضرر ولكنَّ الرجل الذي ينحني الى الامام بحيث تهبط كتفاهُ وتبرزان وتدخل اضلاعهُ في صدرهِ نحو العمود الفقري يقصر قطر صدرهِ المرسوم من الامام الى الوراء عقدتين الى خمس عقد ولا حاجة الى بيان ان الرئتين والقلب والاوعية الدموية الكبيرة وغيرها من الاعضاء الرئيسة التي في الصدر لا تعيش ولا يصلح عملها في احوال مثل هذه . وزد على ما تقدم ان تدارك هذه الاحوال في حينهِ يحسن الصحة العمومية ويحفظ نظام وظائف الجسم ويؤخر علائم الشيخوخة

ولا بدَّ لي من كلمة اقولها في قلوب الشيوخ . فمن المشهور ان الشيوخ لا يصلحون للعمل الشاق والسعي وانهُ يجب عليهم ان يعملوا قليلاً او ان لا يعملوا شيئًا بل يبقوا كالاخشاب المسندة لانهم لا يجدون من انفسهم ميلاً الى العمل . وعندي ان عدم ميلهم الى العمل ناشئ عن قلة التأكيد لا عن دافع غريزي يدفعهم الى الفنّ بالبقية الباقية من القوى المذخورة فيهم . ومن المشاهد ان الشيوخ النشيطين هم احسن صحة وادمث خلقًا من غيرهم . فقد عالجت كثيرين من الذين ظهرت عليهم اعراض تغيرات في الدماغ مثل الدوار وضعف الذاكرة واضطراب السمع والبصر وفقد الوجدان مدة قصيرة وقد بلغوا السبعين من العمر او اكثر . والعلاج الذي يوصف لهم عادة ان ينقطعوا عن كل حركة ويأووا الى منازل دافئة اما انا فعالجتهم بفرك الجلد ودهنهِ بالزيت ودلكهِ والرياضة البدنية على نحو ما اشرت اليهِ آنفًا واخيرًا اشرت عليهم بالسكن في الخلاء ومداومة الحركة . وبعضهم جاوز حدَّ الثمانين ولا يزال قوي

الجسم حسن الصحة

هذا وان ما يصيب الشيوخ من الاعياء بعد اجهاد القوى لايمكن ازالتهُ منهم تماماً وعليهِ فلا يجوز ان يطيلوا العمل الشاق بل يجب ان يستريحوا فترة بعد اخرى واذا كانت قلوبهم ضعيفة يجب ان يستلقوا عند طلب الراحة. ثم انهُ يجب عليهم ان يمتنعوا عن اجهاد العضلات برفع الاثقال او ما شاكل من طرق الرياضة لان عظامهم تصغر حجماً فتخف ثقلاً وترق جدرانها من الداخل وخصوصاً عند اطرافها فيسهل انكسارها ويجب ان تكون رياضتهم بطيئة خفيفة

اما استعمال العقاقير والادوية فقلما يخفف اوصاب الشيخوخة الاَّ ان شرب المياه المعدنية امرٌ لجأ الناس اليهِ منذ قديم الزمان فافاد فائدة لاتنكر. وقد ثبت من التجارب الحديثة فائدة معالجة تصلُّب الشرايين بحقن الجسم ببعض الاملاح مثل فوصفات الصودا وفوصفات المغنيسيا فتحلل فوصفات الكلس الذي يسبب تصلُّب الشارين فادى ذلك الى نتائج حسنة واشار بعض الاطباء بشرب الاملاح المذكورة فلم تقل فائدة ذلك عن فائدة الحقن بها

ومما يجب على الشيوخ اعتيادهُ التنفس الطويل زفيرًا وشهيقاً اذ تضغط عضلات البطن بذلك الاحشاء وخصوصاً الكبد والاعضاء الكبيرة فتساعد على الافراز والابراز. وهذه الواسطة تكفي وحدها احياناً كثيرة لتنظيم عمل الامعاء والكليتين

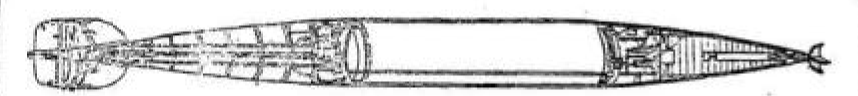
البوارج والطرابيد

لما استنبط الطريد وثبت فعلهُ الذريع اوجس الناس منهُ شرًّا وقالوا انهُ سيكون القضاء المبرم على البوارج وسائر السفن الحربية. ولم تنشب حرب بحرية كبيرة بعد ذلك الاَّ الحرب الاميركية الاسبانية لكن لم يلجإ الاسبانيون ولا الاميركيون الى نسف البوارج بالطرابيد واللغوم ولاظهر للغم والطريد فعل يذكر الاَّ في هذه الحرب الناشبة الآن بين الروس واليابان فقد اتضح منها جليًّا ان اللغم قد ينسف اكبر البوارج ويوردها حتفها في لحظة من الزمان وان الطريد يثغرها فيعطلها او يغرقها في دقائق قليلة وثمن البارجة مليون جنيه الى مليون ونصف وقد يغرقها اللغم او الطريد هي ورجالها ولا يقلُّ عددهم عن سبع مئة الى تسع مئة نفس واما اللغم والطريد فلا يزيد ثمن الواحد منهما على مئات من الجنيهات

لما اتضحت هذه الحقيقة وقفت الدول صاحبة البوارج الكبيرة حيرى في امرها تضرب

اخماساً لاسداس وهي مترددة في اتباع خطتها من بناء السفن الحربية او الانتظار الى ان يُكشَف سبيل لوقايتها من اللغوم والطرابيد . والظاهر ان الاميركيين عزموا ان يكفّوا عن بناء البوارج الآن الى ان يروا ما يكون من امر هذه الحرب

قلنا ان ثمن البارجة من مليون الى مليون ونصف من الجنيهات يكون فيها من الضباط والبحارة من ٧٠٠ الى ٩٠٠ نفس لكن هذا المبلغ من المال وهذا العدد من الرجال ليس كل ما يفقد بها بل ان نفقتها كبيرة في الحرب وفي السلم ايضاً فان مدافعها كثيرة وقنابلها ثمينة ولا بد من تمرين بحارتها على اطلاقها في زمن السلم . واذا نشبت الحرب اضطرت ان تطلق مئات من القنابل قبلما تصيب العدو بواحدة منها . ولكبر جسمها وثقلهِ لا تجري ولا تسرع ما لم يوقد فيها الوف من قناطير الفحم الحجري ولذلك لا يستغرب انفاق الدول البحرية عشرة ملايين من الجنيهات او عشرين مليوناً او ثلاثين مليوناً على سفنها الحربية وبحارتها كل سنة لان بوارجها وطرَّاداتها كثيرة النفقة فاذا مرَّ على بارجة خمس سنوات فتكون قد بلغت نفقات بنائها وتسليحها وتعليم رجالها وتمرينهم نحو ثلاثة ملايين ونصف من الجنيهات فتمحق كلها في لحظة من الزمان يمحقها طربيد لا تبلغ نفقتهُ ٣٥٠ جنيهاً اي ان الجنيه الواحد يتلف عشرة آلاف جنيه في لحظة من الزمان



واشهر انواع الطرابيد طربيد هويتهد المرسوم في هذا الشكل وهو يسير الآن بقوة الهواء المنضغط الذي فيهِ بسرعة نصف ميل في الدقيقة فانهُ يدير اللولب الذي في مؤخرهِ فيسير بهِ بهذه السرعة الفائقة ثم تقل السرعة رويداً رويداً بقلة الهواء المنضغط حتى اذا وصل الى جنب البارجة ولطم رأسهُ بها اشتعل ذخيرهُ فانفجر ما فيهِ من قطن البارود وفعل فعلهُ الذريع . ولقد بلغ هذا الطربيد حد الكمال المطلوب من حيث السرعة وشدَّة الفعل ولكنهُ اذا لم يسدَّد الى الغرض تسديداً محكماً جدًّا او اذا مال الغرض من وجههِ قبل وصولهِ اليهِ او اذا القت البارجة حولها شبكة من الزرد كما تفعل البوارج الانكليزية او اذا كان في آلتهِ او سطح انبوبهِ اقل خلل او تجعد فلا فائدة منهُ بل يكون منهُ ضرر على السفينة التي تطلقهُ لانهُ قد يسير في دائرة فيعود اليها وينفجر تحتها فينسفها نسفاً ولذلك بلغ من اعتنائهم بالطرابيد ان صاروا يمتحنون سيرها مرة كل شهر ويزنون ما فيها من قطن البارود ويمتحنونهُ مرة كل سنة ويمتحنون مكان الهواء

المنضغط مرة كل ثلاث سنوات . ويلحقون كل طريد بخريطة يكتبون فيها تاريخهُ من حين نشأتهِ . ومع ذلك بقي معرَّضاً للخطاء وللاضرار بطلقيهِ كما تقدم فضلاً عن ان القوارب التي تطلقهُ تضطرُّ ان تدنو من البوارج جدًّا فتكون عرضة لقنابلها والقنبلة الصغيرة منها ترسل القارب ومن فيهِ الى اعماق البحر

ولما ثبت انهُ يسهل ارسال المجاري الكهربائية من مكان الى آخر من غير اسلاك معدنية جعل المخترعون يفكرون في استخدامها لتسديد الطرايد وهي تحت الماء ويقال ان المستر تربتن ارمسترنج تمكن من ذلك فوضع في الطريد آلة كهربائية تتأثر بمجاري مركوني ووضع على البر او في السفن آلة كهربائية ترسل منها الامواج الكهربائية الى الطريد فتتحكم بحركتهِ ويكون في هذا الطريد انبوب يندفع منهُ مجرى من الماء من وقت الى آخر فيستدلُّ مطلقهُ على موقعهِ ويوجه الامواج الكهربائية اليهِ واذا درى بهِ العدو وصبَّ عليهِ سيلاً من القنابل يغرقهُ قبل وصولهِ الى البارجة فالذي اطلقهُ يرى ذلك ويجعل الامواج الكهربائية تبعد بهِ عن موقف الخطر واذا رأى البارجة تحوَّطت لهُ والقت حولها شبكة الزرد حتى يشتبك بها ولا ينفجر جعلهُ يعود ثم يغوص في الماء وينزل الى تحت اطراف الشبكة ويصل الى قاع البارجة الاسفل وينفجر هناك

ولقد دعا استنباط الطريد الى استنباط اشياء كثيرة تقي منهُ او تقوي فعلهُ كالشباك المذكورة آنفاً وقاطعات الشباك التي تمزقها وتسهل على الطريد الوصول الى البوارج وخاطفات الطريد التي تسرع اكثر من قوارب الطريد وتكسرها ومتلفات الطريد التي قامت مقام الخاطفات لانها اخف منها واسرع وارخص . والآن قامت كهربائية مركوني التي ترشد الطريد في سيرهِ حتى يصل الى الغرض المطلوب فاذا وفت بالمراد ولم يوجد سبيل يقاومها ويمنع فعلها فقد قضي على البوارج الكبيرة ولم تعد منها فائدة تذكر

الاَّ ان رجال البحرية لم يعترفوا حتى الآن بفائدة الكهربائية في تسديد الطريد على ما يظهر فقد زرنا بالامس الاسطول الانكليزي الذي جاء مدينة الاسكندرية في اواخر الشهر الماضي ودخلنا السفينة فلكان التي هي مخزن الطرايد وقواربها ورأينا قوارب الطريد مصفوفة على ظهرها مستعدة للنزول في البحر عند اول اشارة وهي مجهزة بكل ما يلزم لها ورأينا الانبوب الذي تدفع منهُ الطرايد بالهواء المنضغط والطرايد مصفوفة على جانبيهِ وشبكة الزرد معلقة بالسفينة ومطوية حولها يسهل نشرها في دقيقة من الزمان فتحول بينها وبين ما ترمى بهِ من الطرايد . وسألنا ربان السفينة عن طريد ارمسترنج ومايُنتظر منهُ فاظهر الريب فيهِ والاستخفاف

بهِ . وقد لايكون عالماً بما وصل اليهِ هذا الطربيد الآن لانهُ يقال ان الحكومة الانكليزية والحكومة الاميركية مهتمتان بامرهِ اشد الاهتمام · واخو الانسانية يفرح باتقان ادوات الهلاك لانها قد تضطر الناس اخيرًا الى ترك القتال

الماء في الطعام

من الاطعمة ما يُرى الماء فيهِ كالمرق والعنب والبرتقال ومنهُ ما لا يرى فيهِ ماء جافًا كان كالخبز او طريًا كاللحم ولكن لا يخلو طعام من الماء مهما كان جامدًا فالخبز تراهُ جامدًا لا ماء فيهِ وتلمسهُ لا تشعر ان فيهِ نقطة ماء ولا سيما اذا كان جافًا يابسًا وهو في الحقيقة مشبعون بالماء لا يقل الماء فيهِ عن ثلاثين في المئة وقد يبلغ اربعين في المئة او اكثر . والدقيق الذي يُصنع الخبز منهُ يكون فيهِ ١٧ في المئة من الماء · ففي كل مئة درهم دقيقًا ١٧ درهمًا ماء واذا عُجنت وخبزت بلغ وزن خبزها ١١٧ درهمًا الى ١٢٣ درهمًا فيزيد وزن الخبز على وزن الدقيق حتى ان الخباز الذي يأخذ منك رطلاً من الدقيق ويرد اليك رطلاً من الخبز يكون قد ربح منك اوقيتين او اكثر سواء عرفتَ ذلك او لم تعرفهُ · ومعلوم ان الماء في الخبز الجاف اقل منهُ في الخبز اللين وفي القشرة الظاهرة اقل منهُ في اللب الباطن . ويبقى الماء في الخبز من يوم الى آخر ولو جفَّ ويبس لانك اذا وضعتهُ على النار لان حالاً وظهر فيهِ بخار الماء ولكنهُ اذا حُمّص حينئذٍ زال اكثر الماء منهُ

واللحم كثير الماء لكن الماء في الدهن اقل منهُ في الهبر ولهذا تجد الهبر ثقيلاً لكثرة ما يحوي من الماء واما الدهن فيكون خفيفًا . ويختلف مقدار الماء في اللحم باختلاف نوعهِ وموضعهِ من الحيوان وكون الحيوان سمينًا او هزيلاً · ففي لحم الغنم عادة ٧٥ في المئة من الماء اي في كل رطل من لحم الغنم تسع اواقي من الماء وثلاث اواقي فقط من المادة اللحمية · وان كان الخروف حَمَلاً سمينًا فالماء في لحمهِ اقل من ذلك يبلغ نحو ٦٤ في المئة واذا كان خنزيرًا سمينًا جدًا فالماء فيهِ ٥٠ الى ٥٥ في المئة واذا قدّد وجفّ لم يبق فيهِ الاَّ ٢٢ في المئة من الماء ولذلك يغلو ثمن اللحم المقدد اذا بيع بالوزن لان ثقلهُ يخفّ بتقديدهِ · والماء في لحم الطيور من ٧٥ في المئة الى ٣٨ في المئة حسب نحافتها وسمنها ففي الحمام ٧٥ في المئة وفي الدجاج والبط وصغار الديوك الرومية ٧٠ في المئة وفي الاوز السمين ٣٨ في المئة · واذا زاد ثمن الطيور قل الماء في ابدانها مثل سائر الحيوانات

وفي البيض الجديد ٦٥ في المئة من الماء فاذا عتق تبخر بعض مائهِ فلم يعد مافي البيضة يملاها ولذلك يظهر جانب من البيضة العتيقة فارغاً اذا سُلقت لكن طعمها يفسد ولو قل ما فيها من الماء بالنسبة الى الغذاء

والزبدة لاتخلو من الماء ويبلغ مقدار الماء فيها من ٢٠ في المئة الى ١١ في المئة واذا أُحسن استخراجها لم يزد ماؤُها عن ١١ او ١٢ في المئة وما زاد على ذلك يترك فيها احتيالاً

واللبن كثير الماء كما لايخفى ولو لم يمزج بهِ غشاً ويبلغ الماء فيهِ نحو ٨٧ في المئة ولبن المساء اقل ماء من لبن الصباح فهو اكثر منهُ غذاء

والسمك كثير الماء كاللحم واجوده ُ اكثره ُ ماء ويختلف مقدار الماء فيهِ من ٧٨ في المئة الى ٤٠ في المئة حسب نوعهِ ومقدار الدهن فيهِ

والخضر والبقول كثيرة الماء جدًّا ففي الخيار والقثاء ٩٥ في المئة من الماء وفي الخس ٩٢ في المئة وفي اللفت ٩٠ في المئة وفي الكرنب ٧٨ في المئة وفي البطاطس ٧٤ في المئة

ويختلف مقدار الماء في الجبن حسب انواعهِ من ٣٠ في المئة فقط الى ٦٣ في المئة

والفاكهة كالخضر في كثرة الماء ففي التفاح ثمانون في المئة ماء . والعنب يظهر اكثر مائيةً من التفاح لكن الماء فيهِ ليس اكثر منهُ في التفاح والفرق بينهما ظاهري فقط من هذا القبيل واغرب من ذلك ان يكون الماء في الخيار اكثر منهُ في العنب كما رأيت ولذلك يتغذى الجسم من العنب اكثر مما يتغذى من غيرهِ من الفواكه والبقول والخضر

وواضح مما تقدم ان كل ما نأكلهُ لا يخلو من الماء مهما كان جافًا والماء كثير فيهِ غالباً يزيد على نصف وزنهِ واذا لم يكن الماء كثيرًا في الطعام فلا بد من طبخهِ بالماء ومزجهِ بهِ كما نطبخ الارز والحبوب على انواعها بل نزيد الماء في ما فيهِ ماء كثير لكي يسهل مضغهُ وهضمهُ ثم اننا نشرب كثيرًا من الماء وكل ما نشربهُ من الاشربة اكثره ُ ماء واذا كان الفصل صيفاً والهواء حارًّا جافًّا فقد يشرب الواحد اقة او اقتين من الماء في يومهِ ولا غرابة في ذلك لان اجسامنا مثل اجسام الحيوانات التي نأكلها كثيرة الماء والماء عنصرنا الاكبر ولا بدَّ منهُ لاجسامنا كما لابدَّ منهُ لهضم الاطعمة التي نأكلها وتذويبها . والذين لايشربون ماء يشربون ما يقوم مقامهُ من الاشربة الكثيرة الماء او يأكلون كثيرًا من الخضر والبقول وكلها كثيرة الماء

باب الزراعة

تقرير جارستن

والمشروعات المنتظرة

لما تم الاتفاق بين انكلترا وفرنسا على ان المالية المصرية تطلق من قيودها القديمة فيتاح لها استعمال الاموال المتوفرة لديها واستعمال ما يزيد من ايراداتها على نفقاتها سنة بعد سنة في ما يعود على القطر المصري والامة المصرية بالخير عقدت الآمال بان جانباً كبيراً من تلك الاموال ينفق على اعمال الري والصرف حتى تصل المياه الكافية الى كل بقعة يمكن زرعها في هذا القطر وفي الاقطار السودانية ايضاً · وشاع منذ عهد قريب ان جناب السر وليم جارستن وكيل نظارة الاشغال العمومية اخذ يدرس مشروعات الري المختلفة التي اشار بها هو والسر وليم ولككس وغيرهما من كبار المهندسين وانهُ وضع فيها تقريراً مسهباً . واختلفت الآراء في فحوى هذا التقرير وما يؤيدهُ من المشروعات وما ينقضهُ منها ولم يبح لاحد الاطلاع على ما فيهِ الى ان نشر بالامس فاذا هو كتاب جليل فيهِ اكثر من ثلاثمئة صفحة كبيرة ومئات من الصور والاشكال والخرائط يوصف فيها تسع مشروعات كبيرة للري والاماكن التي يراد عملها فيها ولاسيما المشروعات الكبيرة التي يراد بها تكثير ماء النيل بتكثير ما ينصبُّ اليهِ من البحيرات الاستوائية وتقليل ما يضيع منهُ بالتبخر ونحوهِ في تلك الجهات

وقد تكلم السر وليم جارستن على هذه المشروعات بالاسهاب التام واضطرَّ ان يزور اعالي السودان بنفسهِ ويرسل وكلاءهُ الى بعضها حيث تعذَّر عليهِ الذهاب واستقصى مباحث الذين سبقوهُ اليها من قديم الزمان الى الآن من فرنسويين وانكليز والمان وغيرهم وجمع من المعلومات والحقائق ما ملأَ مئتي صفحة كبيرة ثم لخص ذلك كلهُ في فصل قال فيهِ ما ترجمتهُ

" ان مصالح مصر مرتبطة بمصالح السودان في كل الاعمال التي يراد بها تدبير النيل حتى يتعذَّر الفصل بينهما فان البلادين تستمدان ماءهما من مصدر واحد وتعتمدان عليهِ في زراعتهما ولذلك يتعذَّر ان ينظر في مشروع كبير للري يتعلق بالبلاد الواحدة من غير نظر الى البلاد الاخرى "

ثم بيّن ان المشروعات الكبيرة المتعلقة بالسودان خاصة لاتدعو الحال الى تقديمها على غيرها لان بلاد السودان لم تزل محتاجة الى كثرة السكان ولان المشروعات نفسها لم تدرس الدرس الكافي حتى الآن . ومن هذه المشروعات اربعة تستحق ان يشرع في درسها في اول فرصة ممكنة اثنان متعلقان بالبحر الازرق واثنان بالبحر الابيض فالمتعلقان بالبحر الازرق احدهما التحكم بنهر القاش وفيضانهِ والثاني انشاء سد كسد اصوان او قناطر كالقناطر الخيرية على البحر الازرق نفسهِ وهذان المشروعان يفيدان بلاد السودان خاصة بخلاف المشروعين المتعلقين بالبحر الابيض فان فائدتهما تعود على القطر المصري بنوع خاص احدهما حفر مجرًى جديد للنيل في البطائح الاستوائية بين بور ونهر السبَت تقصر بهِ المسافة ويقلُّ التبخر جدًّا ويحفظ ما يضيع الآن من ماء النيل بانتشارهِ في بطائح فسيحة لا فائدة منها . واذا كانت طبيعة الارض لا تأذن بحفر هذا المجرى فيها اما لارتفاعها الكثير او لانخفاضها الكثير فيلجأ الى اصلاح المجرى المعروف الآن ببحر الزراف . هذا هو المشروع الواحد والمشروع الثاني التحكم بمياه بحيرة فيكتوريا و بحيرة البرت حتى ينصبَّ منهما المقدار الكافي من الماء في الوقت المطلوب من السنة

وقد قدَّر نفقات المشروع الاول من مشروعي البحر الازرق بنصف مليون جنيه ونفقات المشروع الثاني بمليون جنيه ونفقات مشروعي البحر الابيض بخمسة ملايين ونصف من الجنيهات وقال انها قد لا تزيد على ثلاثة ملايين واربع مئة الف جنيه

اما المشروعات التي يراد عملها في القطر المصري نفسهِ فأخصها خمسة اولها تعلية خزان اصوان وتبلغ نفقات ذلك نصف مليون جنيه وثانيها اصلاح فرعي رشيد ودمياط حتى يؤمن بهما الغرَق وتبلغ نفقات اصلاحهما تسع مئة الف جنيه وثالثها عمل ما يلزم من الترع في الوجه البحري لارواء ما فيهِ من اراضي البور ونفقات ذلك نصف مليون جنيه ورابعها عمل ما يلزم من الترع في الوجه القبلي لاتمام الري الصيفي فيهِ ونفقات ذلك مليونان ونصف مليون من الجنيهات وخامسها اقامة قناطر على النيل بين اسيوط وقنا ونفقاتها مليون جنيه

وقد بقيت مشروعات أُخرى تقتضي أكثر من ثمانية ملايين من الجنيهات اشار السر وليم جارستن بتركها الى ما بعد اتمام المشروعات الاولى

والمشروع الاول الذي يتشوَّف اليهِ جمهور القراء هو مشروع تعلية الخزان فقد قال السر وليم ولككس انهُ اذا علي ستة امتار فقط تضاعف ما يخزَن بهِ الآن من الماء . وقال السر وليم جارستن في تقريرهِ هذا انهُ كان يعارض دائمًا في تعلية الخزان اما الآن فيعدل عن المعارضة اذا عملت اعمال أُخرى تزيد بها المياه ويؤمن الغرَق اي اذا كانت تعلية الخزان جزءًا من

مشروع كبير يراد بهِ تكثير ماء النيل والتحكم بهِ وقت الفيضان ولا يقتصر على ابطال المعارضة حينئذٍ بل يشير ايضاً بهذه التعلية ويقول انها تصير مفيدة جداً . وذا عزمت الحكومة المصرية على تعلية الخزان فعليها في الوقت نفسهِ ان تعزم على عمل الاعمال الاخرى التي يزاد بها الماء الجاري في النيل الآن ويؤمن بها الضرر من الفيضان الغزير ولاسيما بعد ان يبطل ريّ الحياض في الوجه القبلي ولا يعود لمياه الفيضان مصرف الاَّ النيل نفسهُ . قال وكنت اولاً اعترض على تعلية الخزان لخمسة اسباب الاول لانهُ لم تكن الحاجة ماسة الى تعليتهِ والثاني لانهُ لم يكن في الامكان ايجاد الاموال اللازمة للمشروعات المتعلقة بتعليتهِ الاَّ بعد اتمامهِ وتحقق نجاحهِ والثالث لان خزن الماء الكثير في الخزان قبل تكثير الماء في النيل يقلل الماء في مجرى النيل تحت الخزان ويضرُّ الملاحة في شهور الشتاء والرابع لانهُ لا سبيل لتصريف مياه الفيضان التي ستزيد غزارة بعد ابطال ري الحياض (المترتب على تعلية الخزان) وخامساً لان هذه التعلية تزيد ما يغمر من هياكل انس الوجود

وشرح هذه الاسباب وقال انهُ ثبت الآن ان غمر الهياكل لايضر بحجارتها . ويكون منهُ شيء من الضرر فوق حد الماء يمكن تلافيهِ بغسل الحجارة هناك من الاملاح التي ترسب فيها

والتفت الى مشروع وادي الريان الذي اشار بهِ السر وليم ولككس واشار بهِ قبلهُ المستر كوب هوايتهوس . وقال ان نفقاتهِ تزيد كثيرًا على ما قدرهُ السر وليم ولككس ويخشى ان المياه ترشح منهُ الى اراضي الفيوم فتتلفها ولا يمكن ان يقام دليل قاطع على اثبات هذا الامر او نفيهِ الاَّ بعد ان يمتلئ وادي الريان ماء وتمضي عليهِ عدة سنوات اي يجب ان تنفق خمسة ملايين من الجنيهات على هذا الخزان وينتظر بضع سنوات حتى يعلم ما اذا كان متلفاً لاراضي الفيوم او غير متلف لها فاذا كان الامر كذلك فلا يمكن ان يشير عاقل بعمل مثل هذا تنفق عليهِ القناطير المقنطرة من الاموال ثم يخشى من ضررهِ . وقد قال السر وليم ولككس انهُ لاخوف من رشح الماء بدليل انهُ لما كانت الفيوم مملوءة ماء اي كانت فيها بحيرة مورس لم يرشح الماء منها الى وادي الريان الاَّ ان السر وليم جارستن ترك الحكم في هذا الاستدلال الى علماء الجيولوجيا واستشهد بقول العلامة شوينفرث وهو انهُ اذا ملئ وادي الريان ذهب بعض مائهِ في الشقوق التي في اسفلهِ . وقال ان السر بنيامين باكر والمهندسين رفيقيهِ اعربوا عن خوفهما من هذا الارتشاح وقالوا انهُ اذا ملئ وادي الريان ماء فقد تنفجر منهُ عيون وينابيع في الاماكن السفلى من الفيوم ولم يشيروا على الحكومة المصرية بجعل وادي الريان خزاناً لهذا السبب

وقد اشار السر وليم ولككس باصلاح فرع رشيد من فرعي النيل حتى يصير عرضهُ واحداً

على طوله ولو دعت الحال الى توسيعهِ حيث يقرب جسراهُ احدهما من الآخر حتى اذا جاء الفيضان غزيرًا تصرَّفت زيادتهُ في هذا الفرع . فوافقهُ السروليم جارستن على ذلك . واشار السروليم ولككس ايضًا باصلاح فرع دمياط وجعلهِ ترعة كبيرة واجراء الماء فيهِ بالقسط من عند القناطر الخيرية ومازادعنهُ يحوَّل الى فرع رشيد وقد وافقهُ السروليم جارستن على ذلك ايضًا حتى لايجري في فرع دمياط الأَّما يجري فيهِ الآن في الفيضان المعتدل وقال ان هذا الفرع يحتمل ذلك الآن ولاسيما اذا انفقت الاموال اللازمة لتقوية جسورهِ واصلاحها وحسب ان المبلغ الذي قدَّرهُ السروليم ولككس لاصلاح هذين الفرعين وهو تسع مئة الف جنيه غير كثير

فقد وافق السروليم ولككس على تعلية الخزان وعلى اصلاح فرعي رشيد ودمياط ولم يوافقهُ على جعل وادي الريان خزانًا للماء . واشترط لتعلية الخزان ان يصلح مجرى النيل في بحر الجبل حتى يسلم جانب كبير من مائهِ من الضياع والاَّ فلا فائدة من تعليتهِ

وقال ان هذه المشروعات الثلاثة وهي اصلاح مجرى النيل في بحر الجبل في اعالي السودان وتعلية الخزان واصلاح فرعي رشيد ودمياط انما هي اجزاء من مشروع واحد كبير فلا تفيد الفائدة المطلوبة مالم تتم اجزاؤهُ الاخرى لان ازدياد الماء في القطر المصري يستلزم عمل اعمال أُخرى عظيمة من الترع والمصارف والاَّ فلا فائدة من ازديادهِ وهذه الاعمال تقتضي نفقات طائلة ولكن لاتدعو الحال الى عملها كلها في سنة واحدة بل يمكن توزيعها على عدة سنوات . ولذلك يُفرض على الحكومة المصرية ان تعلم ان تعلية الخزان لاتكفي ولا تفيد ما لم تعمل معها اعمال اخرى تقتضي نفقات كثيرة . فبين اسيوط وقنا ٧٥٠٠٠٠ فدان تروى الآن ريَّ الحياض ويجب تحويلها الى الري الصيفي وقد ظهر بالاختبار في المديريات الوسطى ان نفقات هذا التحويل تبلغ اربعة جنيهات لكل فدان واذا أُضيف الى ذلك مايلزم للترع الكبيرة بلغت النفقات سبعة جنيهات لكل فدان . ولا بدَّ حينئذٍ من انشاء صف من القناطر بين اسيوط وقنا مثل قناطر اسيوط ولا تقل نفقات انشائها عن مليون جنيه . والاصلح ان ينشأ صفان من القناطر فتكون نفقاتهما مليوني جنيه ونفقات الترع والمصارف اللازمة لتحويل ٧٥٠ الف فدان الى الري الصيفي ثلاثة ملايين من الجنيهات فتصير النفقات اللازمة بين اسيوط وقنا خمسة ملايين من الجنيهات

ثم ان جانبًا من المياه التي تزيد بتعلية الخزان يستعمل في الوجه البحري ويستلزم انشاء ترع ومصارف جديدة ويصعب عليَّ ان احدد المبالغ اللازمة لذلك الآن ولكنها قد لا تقلُّ عن مليون جنيه

والاعمال التي تعمل الآن في المديريات المتوسطة يقتضي اتمامها نحو مليون جنيه ٠ وهذا المبلغ الاخير من ضمن المشروع الذي قرّت عليهِ الحكومة المصرية ولذلك لايحسبهُ بين الاموال المطلوبة

والاعمال التي يجب عملها في السودان ستة وهي

(١) اصلاح مجرى النيل في بحر الجبل

(٢) انشاء قناطر على البحر الازرق

(٣) انشاء الترع اللازمة في بلاد الجزيرة

(٤) انشاء قناطر موازنة على نهر القاش

(٥) انشاء خزان في مكان جنوبي الرصيرص

(٦) انشاء قناطر موازنة في مخارج بحيرة فيكتوريا وبحيرة البرت

والعمل الاول والاخير تعود فائدتهما على القطر المصري وعلى وادي النيل شمالي الخرطوم والاعمال الاربعة الباقية تعود فوائدها على بلاد السودان خاصة

والعمل الاول يمكن اتمامهُ على اسلوب من اسلوبين الواحد انشاء مجرى جديد للنيل بين بور والسبت والثاني اصلاح بحر الزراف ٠ وقد قدّر ان انشاء المجرى الجديد تبلغ نفقاتهُ اربعة ملايين ونصفاً من الجنيهات على الاقل وهو يتم بالكراكات وان انشاء قناطر الموازنة لبحيرة فيكتوريا وبحيرة البرت تبلغ نفقاتهُ مليون جنيه فتصير النفقات اللازمة لتكثير المياه قبل تعلية الخزان خمسة ملايين ونصف مليون من الجنيهات ٠ اما اصلاح بحر الزراف فلا تبلغ نفقاتهُ مع نفقات قناطر الموازنة اللازمة لهُ سوى ثلاثة ملايين واربع مئة الف جنيه ولكن المشروع الاول افيد من المشروع الثاني جدًّا ولوكانت نفقاتهُ اكثر فاذا وُجدت الاموال اللازمة لهُ وجب ان يفضل على المشروع الثاني حتمًا ٠ ولم يقطع السروليم جارستن بمقدار النفقات اللازمة لهُ بل قال لابدَّ من البحث والتدقيق في اخذ المساحات والمناسيب قبل تقدير هذه النفقات تقديرًا صحيحًا

والاعمال اللازمة للسودان خاصة تبلغ نفقاتها خمسة ملايين وخمس مئة الف جنيه فاذا اضيف اليها النفقات اللازمة للقطر المصري خاصة بلغت النفقات كلها ١٩ مليون و ٣٠٠ الف جنيه او ٢١ مليون و ٤٠٠ الف جنيه فاذا وجدت هذه الاموال امكن اتمام الاعمال كلها في نحو عشر سنوات الى خمس عشرة سنة ٠ ثم قال انهُ يمكن الاستغناء الآن عن خزان الرصيرص وعن جانب كبير من الترع في بلاد الجزيرة والاكتفاء بصف واحد من القناطر بين اسيوط وقنا

تقدير الموسم الاميركي

عثرنا على الجدول التالي في جريدة البصير وفيهِ تقادير ديوان الزراعة الاميركي لموسم القطن منذ عشرين سنة الى الآن ومقدار المحصول اخيرًا

سنة	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	المحصول	المساحة
١٩٠٤	٨٣٫٠	٨٨٫٠	٩١٫٦	—	—	—	٣١٧٣٠٣٧١
١٩٠٣	٧٤٫١	٧٧٫١	٧٩٫٧	٨١٫٢	٦٥٫١	—	٢٨٩٠٧٠٠٠
١٩٠٢	٩٥٫١	٨٤٫٧	٨١٫٩	٦٤٫٠	٥٨٫٣	١٠٧٢٨٠٠٠	٢٧٨٧٨٠٠٠
١٩٠١	٨١٫٥	٨١٫١	٧٧٫٢	٧١٫٤	٦١٫٤	١٠٦٨١٠٠٠	٢٧٦٣٤٠٠٠
١٩٠٠	٨٢٫٥	٧٥٫٨	٧٦٫٠	٦٨٫٢	٦٧٫٠	١٠٣٨٣٠٠٠	٢٥٤٢١٠٠٠
١٨٩٩	٨٥٫٧	٨٧٫٨	٨٤٫٠	٦٨٫٥	٦٢٫٤	٩٤٣٦٠٠٠	٢٤٢٧٥٠٠٠
١٨٩٨	٨٩٫٠	٩١٫٢	٩١٫٢	٧٩٫٨	٧٥٫٤	١١٢٧٥٠٠٠	٢٤٩٦٧٠٠٠
١٨٩٧	٨٣٫٥	٨٦٫٠	٨٦٫٩	٧٨٫٣	٧٠٫٠	١١٢٠٠٠٠٠	٢٤٣٢٠٠٠٠
١٨٩٦	٩٧٫٢	٩٢٫٥	٨٠٫١	٦٤٫٢	٦٠٫٧	٨٧٥٨٠٠٠	٢٣٤٤٥٠٠٠
١٨٩٥	٨١٫٠	٨٣٫٣	٧٧٫٩	٧٠٫٨	٦٥٫١	٧١٥٧٠٠٠	٢٠١٩١٠٠٠
١٨٩٤	٨٨٫٣	٨٩٫٦	٩١٫٨	٨٥٫٩	٨٢٫٧	٩٩٠١٠٠٠	٢٣٦٨٨٠٠٠
١٨٩٣	٨٥٫٦	٨٢٫٧	٨٠٫٤	٧٣٫٤	٧٠٫٧	٧٥٥٠٠٠٠	١٦٦٥٦٠٠٠
١٨٩٢	٨٥٫٩	٨٦٫٩	٨٢٫٣	٧٦٫٨	٧٣٫٣	٦٧٠٠٠٠٠	١٦٥٧٢٠٠٠
١٨٩١	٨٥٫٧	٨٨٫٦	٨٨٫٩	٨٢٫٧	٧٤٫٧	٩٠٣٥٠٠٠	١٩٨٥٨٠٠٠
١٨٩٠	٨٨٫٨	٩١٫٤	٨٩٫٥	٨٥٫٥	٨٠٫٠	٨٦٥٣٠٠٠	٢٠٣٨٩٠٠٠
١٨٨٩	٨٦٫٤	٨٧٫٦	٨٩٫٣	٨٦٫٦	٨١٫٤	٧٣١١٠٠٠	٢٠١٧٥٠٠٠
١٨٨٨	٨٨٫٢	٨٦٫٧	٨٧٫٣	٨٣٫٨	٧٨٫٩	٦٩٣٥٠٠٠	١٨٩٣٧٠٠٠
١٨٨٧	٩٦٫٩	٩٧٫٠	٩٣٫٣	٨٢٫٨	٧٦٫٥	٧٠١٨٠٠٠	١٨٥٢٢٠٠٠

ويظهر من هذا الجدول ان السنة الحاضرة تشبه سنة ١٨٩٤ في تدرُّج التحسين في حالة المزروعات بل هي اجود من سنة ١٨٩٤ من هذا القبيل لان تلك كانت حالة المزروعات فيها ٨٨ في يونيو و ٨٩ في يوليو و٩١ في اغسطس واما هذه فحالة المزروعات فيها كانت ٨٣ في يونيو و٨٨ في يوليو و٩١ في اغسطس فالتحسُّن كثير فيها وكان المحصول سنة ١٨٩٤ نحو عشرة

ملايين بالة مع ان مساحة الاراضي المزروعة قطناً كانت ٢٣ مليون فدان اما هذه السنة فساحة الارض المزروعة قطناً تبلغ نحو ٣٢ مليون فدان فاذا استمرت حالة الزراعة هذه السنة على مثل ما كانت عليهِ سنة ١٨٩٤ فلا عجب اذا بلغ المحصول الاميركي ١٣ مليون بالة هذه السنة ولكن لا يعلم ما يصيب المزروعات من الآفات في شهر اغسطس وسبتمبر وعليهما يتوقف مقدار المحصول بنوع عام . وقد جاءت الاخبار منبئة ان شجر القطن نام نموًّا عظيماً ولكن لوزه قليل فان صحَّ ذلك ودام لم يأتِ الموسم كبيرًا كما دلت اوائلهُ

القطن

لاغرابة اذا شحنَّا باب الزراعة في كل جزء بالكلام على القطن لانهُ معتمد القطر المصري الآن وسيزيد اعتمادهُ عليهِ باتساع نطاق الري الصيفي على ما في المشروعات المشار اليها آنفاً

ويبلغ محصول القطر المصري من القطن الآن نحو ستة ملايين قنطار واذا تمت المشروعات التي اشار اليها السر وليم جارستن في تقريرهِ واصلحت الاراضي البور في الوجه البحري وتم الري الصيفي في الوجه القبلي كلهِ فلا يبعد ان يتضاعف محصول القطر المصري من القطن . ويضاف الى ذلك ما يمكن جنيهُ من السودان وهو قليل طبعاً لقلة السكان الذين يمكن ان يعملوا في زرع القطن ومع ذلك لاخوف من ان يزيد قطن القطر المصري على المقطوعية لان مقطوعية الناس للقطن تزيد مليونين ونصف مليون قنطار كل سنة فمهما زاد محصول القطر المصري من الآن الى عشر سنوات لا يزيد اكثر من زيادة المقطوعية في سنتين ثم تقف زيادة المحصول عند ذلك الحد . اما زيادة المقطوعية فلا حدَّ لها ما دام الناس يلبسون الثياب القطنية

وتبلغ غلة القطن في المسكونة كلها ١٦ مليون بالة (وكل بالة خمسة قناطير) وهي ١١ مليون بالة من القطن الاميركي و٣ ملايين بالة من القطن الهندي ومليون بالة من القطن المصري ومليون بالة من قطن سائر البلدان . وقد كان المحصول نحو ١٣ مليون بالة ونصف مليون منذ خمس سنوات فزاد نحو مليونين ونصف مليون بالة في خمس سنوات وستبلغ المقطوعية بعد عشر سنوات ٢١ مليون بالة

والاراضي الاميركية التي تصلح لزرع القطن واسعة جدًّا وزراعة القطن تزيد اتساعاً فيها سنة بعد سنة ولكن المحصول لم يزد بزيادة المساحة لاسباب كثيرة اهمها قلة العمَّال فان العاملين في زراعة القطن هناك اكثرهم من السود وهؤُلاء قد وجدوا لهم اعمالاً اخرى اربح من زرع القطن . ثم ان الارض نفسها قلَّ خصبها لتكرُّر زرع القطن فيها ومهما كان السبب فالمرجح ان الولايات المتحدة الاميركية لا تستطيع ان تزيد محصول قطنها على نسبة زيادة المقطوعية

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ملكة رومانيا

الملكة اليصابات ملكة رومانيا المانية الاصل وهي كاتبة شهيرة معروفة في عالم الادب باسم مستعار وهو "كارمن سلفا" والملك شارل زوجها من سلالة هوهنزلرن العائلة الالمانية المالكة على المانيا . ولما اقترنت بهِ واضطرت ان ترحل عن بلادها الى موطنها الجديد لم يكن ذلك بالامر اليسير عليها ولكنها عقدت النية ان تجعل بخارست كعبة العلم والفلسفة ففازت بامنيتها حتى لقبت بخارست باريس الشرق

وظهرت على جلالتها آيات الذكاء والميل الى الادب وهي لا تزال صغيرة السنّ وساعدها على النبوغ كثرة اسفارها في صباها الى فرنسا وايطاليا وروسيا واسوج ونروج وسويسرة واول عهدها بالملك شارل ايام زارت الملكة اوغسطا (امبراطورة المانيا الاولى) فانها كانت نازلة على درج القصر فزلَّت قدمها وسقطت بين يدي رجل كان يصعد الدرج وهو البرنس شارل . وسافرت بعد ذلك الى روسيا لتغيير الهواء فوافاها نبأ موت ابيها وكانت تحبهُ حبًّا شديدًا ثم توفي شقيقها فأثرت تانك النكبتان في صحتها ومرضت مرضًا ثقيلاً ولما اخذت تنقه اشار الاطباء عليها بالسفر فسافرت الى ايطاليا وسويسره برفقة عمتها الغراندوقة هيلانة الروسية . فشفيت في ايطاليا تمام الشفاء واخذت تدرس الموسيقى والتصوير وكانت قد درست الموسيقى في روسيا على روبنستين المشهور فبلغت فيها شأوًا رفيعًا

على ان شهرتها في هذا الفن لا توازي شهرتها في الشعر والانشاء . ومن احسن مؤلفاتها كتاب جعلت عنوانهُ "افكار ملكة" فنالت جائزة عليهِ من الاكادمي الفرنسوية . وألفت كتبًا كثيرة في الاساطير الرومانية واخلاق اهالي رومانيا وعاداتهم وسائر ما يتعلق بهم

ولها ايادٍ بيضاء على بلادها لما لها من الآثار الجليلة فيها ولكثرة المشروعات الخيرية التي انشئت برعايتها . ويحضر مجلسها كثيرون من رجال الادب والشعر والموسيقى والتصوير . ولما كانت تحسن الكلام بكثير من اللغات فان زوارها يسرُّون بعشرتها اذ تبحث معهم في جميع

ما يتعلق بالفنون الجميلة فتدهشهم بمعارفها وحسن ذوقها وكثيراً ما تتلو عليهم قصائد من نظمها فتسحر الباب سامعيها بسحر كمالها وعذوبة منطقها

مادام أدم

ما دام أدم الكاتبة الفرنسوية الطائرة الصيت الفت اول كتاب من كتبها ودارت على اصحاب جرائد باريس وكبار كتابها تستطلعهم آراءهم فيهِ قبل طبعهِ ونشرهِ فخذلوها ولم ينصرها احدٌ منهم متذرعين باوهن الحجج والاسباب فنهم من رفض الاطلاع عليهِ لانها جميلة وآخر لانها قبيحة في اعتقادهِ واسمعها البعض من عبارات الاستهانة والاستخفاف ما اذهب صبرها واوهن عزمها ومن هؤلاء العالم هتزل فانها ارسلت اليهِ كتابها ليطلع عليهِ وكان اذ ذاك منفياً في بروكسل عاصمة البلجيك فبعث اليها بجواب كلهُ انتقاد احدُّ من السنان . ومن جملة ما قالهُ فيهِ " إما ان كتابك من سقط المتاع او انهُ يجب عليك ان تستري حيرتك وارتباكك بمنديل وقليل من السعوط . وعندي انهُ لا يحق لامرأة خانها السعد وتبوأت من هذه الحياة مكان الظلِ والخفاء أن تشهر سيفاً لقتال برودون "

فساءها هذا الخطاب جدًّا ولكنها انتقمت لنفسها من هتزل بأن شرعت في طبع كتابها رغماً عما لقيت من المصاعب ومثبطات الهمم وارسلت اليهِ نسخة من نسخ الكتاب الاولى وقد كتبت عليها هذه العبارة " من امرأة جميلة الى رجل قبيح "

ولما عاد هتزل من منفاهُ اتفق انهُ التقى بها في منزل مادام فلبور ولم يكن يعرفها ولكنهُ افتتن بجمالها وطلاوة حديثها فطلب من مادام فلبور ان تعرفهُ بها فاجابتهُ الى سؤلهِ وقدمت كلاً منهما الى الآخر قائلة " مسيو هتزل . مادام جوليت لامسين مؤلفة آراء ضد مذهب برودون " قالت مادام أدم في وصف ذلك الملتقى " وما كادت مادام فلبور تنتهي من ذلك التعريف حتى قفز هتزل من كرسيهِ بصورة غريبة فلم نتمالك انا ومادام فلبور من الضحك واضطرَّ هو ان يستر حيرتهُ وارتباكهُ بمنديل من الشاش وقليل من السعوط "

وأراد هتزل ان يكفر عمَّا مضى فعرض عليها ان تنقح كتاباً أتمَّ تأليفهُ واخذ يسعى في طبعهِ ولما كان زوجها يضايقها و يضطهدها حسداً من سموّ منزلتها الادبية طلب هتزل منها ان تكتب ما تكتبهُ بامضاء " جوليت لامبر " وهو اسمها ايام كانت بنتاً

ومن اعظم مصائبها اكراه ابيها وامها وجدتها وخالاتها لها على الاقتران برجل لاتحبهُ وعمرهُ ضعفا عمرها وهو المسيو لامسين فلذلك عاشت معهُ عيشة ذلٍ ونكدٍ وشقاء الى ان

فرّق موتهُ بينهما فانتهى بذلك مصابها

وتعرَّفت اثناء اقامتها في باريس بالكونتس داجولت دانيال ستيرون وذلك ان الكونتس قرأت كتابها المذكور آنفاً ولم تكن تدري ان كاتبتهُ امرأة بل ظنت ان كاتب الكتاب رجل استعار اسم امرأة فكتبت اليهِ تقول " سيدي . ومما يوجب الدهشة والعجب انك تستعير اسم امرأة على حين اننا نحن النساء نستعير اسماء الرجال " فأجابتها مادام لامسّين انني لست رجلاً بل امرأة وانا متطرفة في مزايا النساء . وكان ذلك فتح باب المراسلة بينهما . ولما كانت مادام لامسّين شابة قروية وقد قطنت باريس حديثاً تمنت على الكونتس ان تساعدها لتصير باريسية صرفة في عيشتها فتمَّ لها ما تمنتهُ باسرع زمان وعلى اتم مرام . وعاشتا على وداد صافٍ لم يشبهُ سوى اعجاب لامسين بالكاتبة الفرنسوية المعروفة باسم " جورج سند " على ما كان بين هذه والكونتس من النفور والجفاء

وظلَّت مادام لامسين تشتهر يوماً فيوماً بحسن عناية الكونتس حتى حلَّت المحل الاول في عالم الادب والسياسة في الثلاثين سنة الاخيرة . ومما استحثها على اتخاذ الادب والانشاء حرفة ان نسيبة لها اضاعت كلباً فطلبت اليها ان تستشير المسيو ادمون العرَّاف الشهير في امرهِ لترى ما اذا كان يعود اليها فأجابها العرَّاف " ان الكلب سرق وأُصيب بضرر ولكنهم يعالجونهُ ويعتنون بهِ وسيفر بعد ستة اسابيع ويعود الى صاحبتهِ " . ثم حدق الى زائرتهِ وانتقل من الهزل الى الجدّ وقال " واني ارى أمامي كوكباً سينير العالم يوماً " فاجابتهُ بلهجة المنكر المتعجب " أَأَصير كوكباً في مستقبل الزمان " ثم مضت الايام وتناست ما كان

وفي اليوم الموعود عاد الكلب الى صاحبتهِ فتمت نبوءة ادمون وفطنت مادام لامسين لما قالهُ العرّاف عنها فانتعشت قواها وتشددت عزائمها بعد ما خارت مما لقيت من الصعوبات والعثرات في سبيلها وعادت الى الكتابة وكلها عزم وهمة

ولم يمضِ على هذه الحادثة سوى القليل حتى التقت بادمون أدم في منزل صديق لها فطلب من صاحب المنزل ان يقدمهُ اليها ولما درت بذلك قالت لصاحب المنزل " أياك ان تفعل " ولكن ادمون ادم لم يتحول عن عزمهِ وما زال يسعى في التقرب منها حتى صار من اخص اخصائها واعظم المقربين اليها . ولما توفي زوجها الاول رضيتهُ زوجاً لها وجنت من هذا الزواج اثمار الحب الحقيقي وبلغت غاية امنيتها من الادب والانشاء بلا حاسد ولا معارض

ثم انشأت مجلة سمتها " المجلة الجديدة " فالتفَّ حولها جميع اعيان البلاد وما زالت تعلو وتسمو حتى طبقت شهرتها الآفاق وكان لكتاباتها تأثير لا ينكر في مصير فرنسا واخلصت الودَّ

والحب لها واسفت لفقد الالزاس واللورين اكثر من سائر الفرنسويين ولم تتعزَّ عن فقدها الى الآن

وعظم شأنها في البلاد حتى صار حضور مجلسها امنية الكتاب والشعراء والمصورين والسياسيين وكرائم السيدات من كل ملة ونحلة . ولها بين ملكات اوربا صديقات مخلصات منهنَّ قيصرة روسيا السابقة (ام القيصر الحالي) وملكة البرتوغال واميرة الجبل الاسود وملكة ايطاليا

قواعد للأكل

افضل حالة يتناول الانسان فيها الطعام وهو جائع . على انهُ كثيرًا ما يجلس امام المائدة فاقد القابلية فيعمد الى شرب المقبلات مثل كاس من العرق او الوسكي او غيرهما من المشروبات او اكل بعض المآكل التي تقدم عادة قبل الاكل مثل السردين والخبياري وما شاكل . وقد ظهر لبعض الاطباء ان شرب كاس من الماء قبل الطعام بمدة وجيزة او سائل آخر يحتوي كثيرًا من الماء يزيد افراز العصارة المعدية ويزيد القابلية . ثم ان التمتع بالحديث الطلي وسماع الموسيقى على المائدة مما يهيج القابلية ايضًا

وعليهِ فان شرب المرق والشوربا قبل الطعام مستحسن لكثرة الماء فيهما ولان حرارتهما تزيد افراز العصارة المعدية وتساعد على الهضم

وخير ما يؤكل بعد الشوربا طعام جامد مثل السمك او اللحم او السمك واللحم معًا لاحتوائهما على المادة المكونة للجسم فان المعدة تهضم كثيرًا منها ولذلك يعدها الاطباء في مقدمة المواد اللازمة للتغذية

والمرجح ان هضم اللحم المطبوخ أعسر على المعدة من هضم اللحم النيء لان الحرارة تجعل اللحم قاسيًا يحتاج الى مضغ كثير . ويعسر الهضم ايضًا اذا اضفنا الى هذا الطعام موادَّ نشوية كالبطاطس والرقاق

اذًا فالاغلاط التي يرتكبها الناس على الطعام عادة ثلاثة الاول الاكل قبل الجوع . والثاني تهييج معدهم بالمقبلات فانها قد تورثهم امراضًا مختلفة كالاسكربوط والم الرأس وغيرهما . والثالث ادخال المواد النشوية على اللحم المطبوخ فان النشاء قد يؤخر هضم بروتييد اللحم فيتولد اختمار عن ذلك الا اذا مضغ الطعام جيدًا . ومضغ الطعام جيدًا يخفف كثيرًا من نتائج الاغلاط المتقدمة

وبعد السمك واللحم تؤكل الاطعمة النشوية والدهنية مثل الخضر المطبوخة باللحم او بالزيت ويحسن تناول السلطة مع اضافة قليل من الزيت وعصير الليمون الحامض اليها والليمون الحامض يفضل على الخل

وهناك غلط آخر يرتكبهُ الناس على المائدة وهو اكل الجبن في آخر الطعام فان اكلهُ حينئذٍ يلبك المعدة بسبب امتلائها وقلة العصارة التي تستطيع افرازها لهضم بروتييد الجبن . فاذا كان لابدَّ من اكل الجبن فليؤكل في اول الطعام

ولا يجوز اكل الاثمار مع الخضر وخصوصاً لمن كانت معدهم ضعيفة فالأولى ان تؤكل الاثمار وحدها او الخضر وحدها كأن تؤكل الاثمار مع الفطور والخضر مع العشاء

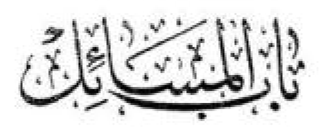
اما المشروبات فانها تهيج العصارة المعدية بما تحتويهِ من الماء ثم تضعفها وتبرد المعدة وخير ان تؤخذ قبل الطعام بمدة وجيزة من ان تؤخذ مع الطعام . والكحول يهيج العصارة المعدية و يوقف الاختمار والانزعاج اللذين يحدثان بعد الطعام ولكنهُ قد يضرُّ الجسم فيما بعد بطرق متعددة كما ظهر من المباحث العلمية . وهكذا يقال في القهوة والدخان فان تأثيرها حسن في الاول عموماً وعواقبهما وخيمة

اما تعدُّد انواع الطعام في أكلة واحدة فقد يضرُّ لانهُ يدعو الى الاسراع في الاكل وتحميل المعدة اكثر مما تستطيعهُ وعدم الهضم والاختمار

والاكثار من المقبلات والمنبهات قد يفضي الى الاعتياد عليها حتى لا يتم الهضم الاَّ بها

وخلاصة ماتقدم ان يأكل الانسان وهو جائع مسرور ويمضغ طعامهُ جيداً فان ذلك يحسن التغذية ويقلل الامراض ويطيل العمر

وقد قام في الولايات المتحدة الاميركية رجل اسمهُ فلتشر ووضع قاعدة للاكل خلاصتها ان يقلل الانسان كمية طعامهِ المعتادة وان يمضغ الطعام جيدًا وان يشرب كل ما يشربهُ على مهل ما عدا الماء . وقد اتبع فلتشر نفسهُ هذه القاعدة وظهرت نتيجتها فيهِ على احسنها فانهُ قارع كثيرين من معلمي الرياضة البدنية في الصبر على الاتعاب واحتمال المشقات فقرعهم . وهو يقول ان طعام الصباح فضلة يستغني البالغون عنها وان الجسم لا يحتاج الى الطعام قبل نصف النهار. واذا اكل طعامهُ مضغهُ وبالغ في مضغ اللقمة حتى يمتزج اللعاب بها جيدًا و يصير قوامها شبه قوام السائل فتهضم بسهولة وتُمثَّل كلها او جلها. ومن وصاياهُ المهمة ان يمتنع الانسان عن الاكل وهو في حال تهيج عقلي لان التهيج العقلي كالغضب والحزن والقلق يزعج الهضم و يضر الجسم



فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

---

(١) طبع الخرط الملونة

مصر · ناشد افندي فريد · ما هي طريقة طبع الخرط الجغرافية الملونة وكيف تكتب حروفها وهل تستطيع مطبعة في بلادنا الطبع والكتابة على هذه الصورة

ج ان الخرائط تطبع غالباً على مطابع الحجر · والرسم على الحجر يكون بالقلم ويكون بحروف الطباعة وتطبع الخريطة اولاً على بلاطة عليها الحدود والكلمات بحبر اسود ثم عن بلاطات اخرى على كل بلاطة لون من الالوان المطلوبة مرسوم في موضعهِ من الخريطة . وقد تطبع كذلك بالمطابع العادية بعد ان يحفر كل قسم منها ملون بلون واحد وحدهُ ويطبع وحدهُ بحبرهِ الخاص · وقد شاهدنا خرائط مطبوعة في مصر بالوان مختلفة وطبعها حسن جدًّا

(٢) فعل الالكحول

ومنهُ · ما الفرق بين فعل الالكحول الذي يتبخر في المعدة من الطعام وما يتبخر فيها من المشروبات الروحية

ج اذا كان الطعام ممزوجاً بالالكحول فلا فرق بين الكحولهِ والكحول المشروبات الروحية ولكن الطعام لا يمزج بالالكحول عادة · واذا اردتم ان الالكحول يتولد في المعدة من الطعام فذلك غير صحيح

---

(٣) الاسبستوس

مونتريول بكندا · الخواجه اسكندر قدمي . ارسلت اليكم مع هذا البريد قليلاً من معدن يستخرج من مكانين في كندا وهو اذا فُرك باليد او بآلة يتفكك الى خيوط كتانية كما ترون في ما ارسلتهُ اليكم · ويوجد هذا المعدن في ارض صخرية على عمق ٦ اقدام الى ٤٠ قدماً · وهو ينسج هنا كما ينسج الحرير والكتان فما هو نوعهُ

ج هذا هو معدن الاسبستوس الذي ترجم الى العربية بحجر الفتيلة لان القدماء كانوا يصنعون الفتائل منهُ وقد حققنا انهُ هو السمندل الذي ذكرهُ كتاب العرب وحسبوا انهُ حيوان لا يحترق بالنار · وهو حجر معدني

مركّب من السلكا والمغنيسيا والكلس واكسيد الحديد وقد يكون التصاق اليافها شديداً فلا تنفصل وقد يكون ضعيفاً فتنفصل بسهولة وهي مرنة لينة حتى يسهل غزلها ونسجها وتمتاز منسوجاتها على سائر المنسوجات بانها لا تحترق وكان القدماء ينسجونهُ ويلفون الموتى بهِ وقت حرقهم لكي لا يمتزج رمادهم برماد الحطب . والذي ارسلتموهُ الينا من اجود انواع الاسبستوس

---

(٤) استيطان الانسان لاميركا

كتا مركا بالارجنتين . الخواجه نجيب صوايا . دار الحديث منذ مدة بيني وبين احد العلماء المشهورين في هذه المدينة ولهُ كتب كثيرة عن آثار اميركا القديمة وعندهُ معرض كبير فيهِ كثير من هذه الآثار فسألتهُ كيف وصل الناس الى اميركا وباي طريق ساروا اليها فاجابني ان الانسان قديم في اميركا وقد وجد فيها قبلما وجد في القسم الشرقي من المسكونة واكبر شاهد على ذلك الآثار الاميركية فانها اقدم من آثار مصر وبابل واشور وقد وجدت منذ الوف كثيرة من السنين . فهل هذا القول حقيقي وما هي آراء غيرهِ من العلماء في ذلك

ج ذهب بعض العلماء ان الانسان وجد في اميركا قبلما وجد في نصف الكرة الشرقي كما قال صاحبكم ولكن جمهور العلماء لا يرون ذلك والاستاذ ونتشل الاميركي من اكثرهم بحثاً وقد جعل مهد الانسان الاول عند جزائر الهند الشرقية . وكل ما وقفنا عليهِ من مباحث العلماء يدل على ان الانسان وصل الى اميركا من اسيا اولاً ثم من اوربا ولم تزل هذه المسألة في معرض البحث فلم يقم دليل قاطع حتى الآن على ان الانسان وجد في اسيا قبلما وجد في اميركا ولكن هذا هو القول المرجح عند جمهور العلماء

(٥) سكان بيرو القدماء

ومنهُ ماذا تعرفون عن الانكاس سكان بلاد بيرو القدماء

ج الانكا لقب ملوك بيرو الاقدمين وقد كان ذلك لقب آخر ملك منهم حينما تغلّب عليهم بزارو الاسباني سنة ١٥٣١ وكانوا على جانب عظيم من العمران فكانوا يبنون بيوتهم ومعابدهم باللبن او بالاجر او بالحجر والحجارة صلبة جداً ولكنهم كانوا ينحتونها ويصقلونها حتى تتصل جوانبها بعضها ببعض ويقيمون السدود لجمع مياه الامطار والقنوات العالية لجرها وري الاراضي وينشئون السكك والجسور ولم تزل سككهم الى الآن افضل من السكك التي انشئت بعدهم . وكانوا يستخرجون الذهب والنحاس ويصنعون منهما الحلى والآنية ويطرقون الذهب ورقاً رقيقاً ويذهبون بهِ النحاس حتى لقد ظن الاسبانيون النحاس المذهب ذهباً صرفاً . وكانوا ماهرين في صناعة

الخزف و يصنعون من الخزف تماثيل على غاية الاتقان · وكانوا اهل زراعة وصناعة ولم يكونوا اهل حرب ولذلك لم يتقنوا عمل الاسلحة وكانوا يعتمدون على المقلاع والنبوت وسيف الخشب وكثيرًا ما يضعون في رأس النبوت قطعة كبيرة من الذهب زنتها عدة ارطال وكان عندهم رماح قصيرة سنانها من النحاس او الفضة · وكانوا ماهرين في صناعة النسج ونظموا حكومتهم احسن نظام ولكن استولى الاسبانيون عليهم كما تقدّم واذلوهم فانقرض سكان السواحل منهم

(٦) الف ليلة وليلة

ومنهُ · هل كتاب الف ليلة وليلة من اوضاع العرب او هو منقول عن كتب الفرس

ج بعض قصصهِ فارسي الاصل وبعضها هندي الاصل وبعضها عربي الاصل ويقال ان لبعضها اصلاً تاريخيًا حقيقيًا مثال ذلك القصة التي ذكرها ابن الجوزي في تاريخهِ المنتظم عن جارية شغب ام المقتدر فانها مثل حكاية من حكايات الف ليلة وليلة

(٧) جيش اليابان

ومنهُ · هل تقدر دولة اليابان على ارسال مليون عسكري الى ساحة الحرب

ج ان رجالها كثيرون ولا يصعب عليها ان ترسل هذا العدد منهم الى ساحة القتال فقد كان عدد جيشها منذ ثلاث سنوات ٦٣٢٠٠٠ والقواد والضباط الذين يكفون ٦٣٢ الفًا لا يصعب عليهم ان يقودوا و يضبطوا ثلثمئة الف فوقها اذا مسَّت الحاجة واستطاعت الحكومة ان ترسل اليهم زادًا يكفيهم

(٨) ابواب المنازل عند اليونان والرومان

مصر · عطا افندي فهمي · قيل ان اليونان والرومان كانوا يعملون ابواب بيوتهم تفتح الى الخارج حتى ان الواحد منهم كان اذا اراد الخروج من بيتهِ يقرع الباب من الداخل تنبيهًا للمارين ليبتعدوا عن الباب لئلا يصدمهم فهل ذلك صحيح

ج هذا صحيح عن اليونان لا عن الرومان اما الرومان فكان ذلك محظورًا عليهم فلم يكن يجوز لاحد منهم ان يجعل باب بيتهِ يفتح الى الخارج الاَّ باذن خاص

(٩) ماهية الروح

المنيا · بدران افندي احمد · ما هي الروح وما الذي تشابهُ واين مقرها من الجسم

ج ان كل ما يعرف معرفة يقينيَّة من هذا القبيل ان جسم الانسان يكون قادرًا على الاغتذاء والنمو والحركة ويقال حينئذٍ انهُ حيٌّ وان روحهُ فيهِ ثم يعرض لهُ عارض يمنعهُ عن الاغتذاء والنمو والحركة فيقال انهُ مات او خرجت الروح منهُ ولا يعلم هل كان فيهِ شيءٌ وخرج منهُ او ان حركات دقائقهِ المختلفة كانت تجري مجرى تظهر منهُ ظواهر الحياة · والفلسفة تثبت وجود الروح ولكنها لا تبين كيفيتها ولا تعين مقرها



اوجه القمر في شهر سبتمبر

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاخير	٣	٤	٥٩ صباحاً
الهلال	٩	١٠	٤٣ مساء
الربع الاول	١٦	٥	١٣ «
البدر	٢٤	٧	٥٠ صباحاً

يكون عطارد نجم المساء في اوائل الشهر ويقترب من الشمس حتى يعسر رصده ثم يصير نجم الصباح

وتظهر الزهرة في الغرب حتى ساعة بعد الغروب

والمريخ نجم الصباح يشرق نحو الساعة ٣ والدقيقة ٣٠ صباحاً

والمشتري يشرق الساعة الثامنة مساء ويبقى ظاهراً بقية الليل

وزحل يرى جنوباً الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ مساء ويغرب نحو الساعة ٣ صباحاً

الراديوم والزجاج

يؤثر الراديوم في الزجاج فيسوده لكن اسوداده لا يدوم بل يزول من نفسهِ بفعل الحرارة ويؤثر هذا التأثير في البلور وكل الاجسام الشفافة كالميكا والجبس وما اشبه

الكي بالراديوم

جرَّب الدكتور جول رنس الباريزي تجارب كثيرة ليعرف تأثير الراديوم في كي الجلد فوجد انهُ اذا وقعت اشعة جزء من الف وستمئة جزء من الاوقية على الجلد مدة خمس دقائق لم يظهر لها اثر في اول الامر ولكن لا تمضي اربع وعشرون ساعة حتى تظهر علامة حمراء حيث وقع النور وتبقى اسبوعين ثم تزول ويبقى مكانها ندبة كندبة الحرق واذا دام وقوع النور عشر دقائق ظهرت علامة بعد ثماني عشرة ساعة واذا دام وقوع الاشعة ساعة تقرَّح الجلد فاذا عولج حالاً شفي بعد شهر ونصف او شهرين واذا لم يعالج كثر فيهِ الصديد وطال عليهِ المطال ولم يبرأ فقد مرَّ على بعض الحروق ثلاثة اشهر ولم تظهر فيها علامة الشفاء الَّا ان اشعة الراديوم تزيل الخيلان والثآليل

ضرر المسكرات

طالما سمعنا احداث الاطباء يدعون ان في المسكرات غذاء لا غنى عنهُ وكنا نبين لهم ان في لقمة الخبز من الغذاء اكثر مما في الكاس من المسكر . وقد بحث احد الاطباء

في هذا الموضوع بحثاً مستفيضاً وبيّن ان الذين يدمنون المسكرات يموتون جوعاً احياناً كثيرة لان المسكر يؤثر في اعصابهم تأثيراً يمنع اغتذاء اجسامهم من الطعام فضلاً عن تأثيره في قواهم العقلية

الحك المقيد

استنبط المسيو هت الفرنسوي حكاً (ابرة مغنطيسية) يقيد نفسهُ فكلما تحرّك حرّك مجرى كهربائياً والمجرى الكهربائي يرسم علامة منظورة على خريطة فيعلم بها سير السفينة واتجاهها وسرعتها

الكحول في البطاطس

يستغل اهالي المانيا ٥٥ مليون طن من البطاطس كل سنة يأكلون منها نحو ٣٥ مليون طن والباقي يستعملونهُ لاستخراج الكحول

مخدّر جديد

اكتشف مخدر جديد من فصيلة الكوكايين اسمهُ بوكايين يمكن الجرّاح من عمل العمليات التي لايمكن عملها بمساعدة الكلوروفورم بسبب ماينشأ عن استنشاقهِ من الضعف في القلب . ومن مزاياهُ ايضاً ان الجرّاح لايضطر عند استعمالهِ ان يسرع في العملية كما يفعل عند استعمال الكلوروفورم وطريقة استعمالهِ ان يحقن منهُ تحت الجلد حيث يراد عمل العملية فيخدر الاعصاب ويمنع الالم . وقد استعمل حديثاً في عملية جراحية عملت في احد مستشفيات لندن ودامت ساعة ونصفاً فجاء على مايرام ونجحت العملية

اثاث من الفضة

قالت جريدة السينتفك اميركان ان ملكاً شرقياً لم تعينهُ اوصى معملاً في شفيلد (انكلترا) بعمل اثاث غرفة نوم من الفضة الخالصة والاثاث يتضمن سريراً وخزانة وطاولة للزينة (توالت) واثني عشر كرسياً وثلاثة حمامات وثلاثة آنية للماء الحار

قيصر الروس

راتب القيصر اعظم راتب يتقدهُ انسان فانهُ يكاد يبلغ مليون جنيه في السنة وهو يرسل اليهِ اقساطاً شهرية حوالات على بنك روسيا الاهلي . على ان ايرادهُ الخاص يبلغ نحو اربعة اضعاف راتبهِ فان لهُ مئة "تفتيش" ومئة قصر وقلعة . وعندهُ من الخدم اكثر من ٣٠ الفاً وهو اكبر عدد يخدم انساناً واحداً . وفي اصطبلهِ خمسة آلاف جواد

وهو ينهض من فراشهِ عادة الساعة السادسة صباحاً فيفطر فطوراً انكليزياً من لحم مقدد وبيض وخبز وزبدة وشاي ومربى وفي الساعة السابعة يبدأ بالشغل وينظر في الامور الحربية والبحرية والدينية والقضائية حتى اذا جاء الظهر جلس للغداء ثم يقضي نحو ساعتين في التسلية ولعب الالعاب المختلفة

وعشاؤهُ بسيط واذا انتهى منهُ قضى وقتاً يلعب لعبة روسية . وقبل النوم تقرأ القيصرة امامهُ غالباً في الجرائد او المجلات او الروايات الانكليزية وينام عادة الساعة الحادية عشرة

تقدم اليابان

يبلغ ثمن المنسوجات التي تصنع في معامل اليابان كل سنة نحو ٢٠ مليون جنيه وقد كان اقل من مليوني جنيه منذ عشرين سنة . واستخرج من اليابان نحو عشرة ملايين طن من الفحم الحجري في السنة الماضية وذلك ضعفا ما استخرج منها منذ عشرين سنة . وفيها نحو خمس مئة جريدة يومية

على ان الحالة الاجتماعية العمومية فيها ليست على ما يرام فان اجور العمال حقيرة لاتزيد على اجورهم في مصر فمتوسط اجرة العامل في معامل نسج القطن نحو ثلاثة غروش وفي معامل الزجاج نحو غرشين وساعات العمل في الاولى احدى عشرة وفي الثانية عشر . وليس في القوانين ما يمنع ارباب الاعمال من زيادة ساعات العمل على النساء والاولاد واستخدام الاولاد قبلما يبلغون سنّاً معلوماً

جسر فوق بحر المانش

سألنا بعضهم في العدد الماضي عمّا اذا كان يمكن مد سكة حديد تحت بحر المانش تصل بين فرنسا وانكلترا فأجبنا ان ذلك ممكن لولا اعتراض الحكومة الانكليزية عليهِ . وقد كتب احد الكتَّاب الفرنسويين حديثاً مقالة في مجلة العالمين الفرنسوية يبحث فيها عن امثل الطرق للوصل بين فرنسا وانكلترا أهي حفر سرب تحت البحر او صنع قارب نقال كبير ينقل قطرات سكك الحديد بركابها وما فيها من البضاعة او مدّ جسر (كبري) فوق البحر فقال ان حفر السرب رأي ضعيف لاسباب حربية ولصعوبة تجديد الهواء فيهِ . وصنع قارب نقال عمل عظيم في حد نفسهِ لولا ما هناك من صعوبات النقل عند اشتداد الانواء . وفي اعتقاد البعض ان الطريقة الاخيرة خير الطرق لذلك . وقد ظهر من فحص قاع البحر فحصاً جيولوجياً ان الارض صلبة تحتمل ضغط الدعائم العظيمة التي تلزم لمد جسر كبير . وفي سنة ١٨٧٠ اقترح بعضهم بناء جسر على ٣٤٠ دعامة ولكن قامت قيامة الناس عموماً على ذلك لما فيهِ من الخطر على الملاحة ولاسيما لان الضباب كثير الحدوث في بحر المانش حتى عدل عن ذلك الاقتراح . وتقدر نفقات بناء الجسر ووصلهِ بسكة الحديد عن الجانبين باربعة وثلاثين مليون جنيه

اما مشروع حفر السرب فقد جاء في الجرائد العلمية الاخيرة عنهُ انهُ مشروع قديم اقترحهُ رجل فرنسوي اسمهُ ماتيو سنة ١٨٠٢ وصادق عليهِ مجلسا الامة في البلادين ثم

انقضى كأن لم يكن . وقد تجدد البحث فيهِ حديثاً وكتب احد كبار المهندسين الفرنسويين تقريراً أبان فيهِ الفوائد التجارية العظيمة التي تعود على انكلترا وفرنسا من حفر السرب ولكن الانكليز لا يزالون ينفرون من هذا المشروع كما نفروا منهُ اولاً وحجة بعضهم انهُ يخشى ان تجرد فرنسا جيشاً تزحف بهِ على انكلترا من السرب سرًّا وتأخذها على غرة

العمال الصينيُّون

اخصُّ صفات الصينيين الاقتصاد البالغ حدَّ التقتير فان العامل الصيني ينفق في البلدان المتمدنة التي يهاجر اليها للعمل فيها ما يساوي ١٣ مليماً في اليوم بالنقود المصرية او سبعين بارة بالنقود الشامية ويقتصد نحو ٢٠ جنيهاً في السنة حتى اذا اراد العودة الى بلادهِ صرفها فضة وحملها في منطقتهِ . ويعود الى الصين نحو ٣٠ الف مهاجر سنويًّا من استراليا وزيلندا الجديدة واميركا فيكون متوسط المال الذي يوفرونهُ ويعودون بهِ الى بلادهم نحو ٦٠٠ الف جنيه

والربا فاحش في الصين والاطيان رخيصة واذا جمع الصيني عشرين جنيها تمكن من مشترى ارض يعيش بريعها مدى الحياة والصينيون يشترون الزوجات كلاً بعشرات من الغروش

سكان المانيا وفرنسا

كان عدد اهالي المالك الالمانية واهالي فرنسا متساويًا سنة ١٨٦٠ فصار عدد اهالي المانيا اليوم ٥٢ مليونًا واهالي فرنسا ٣٨ مليونًا ولا يزال الاولون يزيدون والآخرون ينقصون فقد بلغ عدد المواليد في فرنسا ٨٥٧٠٠٠ سنة ١٩٠١ يقابلهم ٨٤٥٣٧٨ سنة ١٩٠٢ ولو كان الفرنسويون يقتدون باهالي برتني احدى ولاياتهم لأثروا وزادوا وبلغت زيادتهم ٤٥٦٠٠٠ كل سنة ولكنَّ معظمهم يعدُّون الاقلال من الاولاد اسلم طريقة لاظهار حبهم لهم . وقد اخذ سائر الشعوب والامم ينحون هذا النحو ما عدا اهل روسيا والصين واليابان . ويرى بعض العلماء ان سبب ذلك انتشار المبادىء الجمهورية وتقديم المصلحة العمومية على المصلحة الخصوصية

وبناء على ذلك قام الفرنسويون يعقدون اللجان وينشرون المناشير ويكتبون المقالات الطويلة العريضة في الجرائد والمجلات تنبيهاً الى الخطر الذي يتهدد الامة من استمرار هذه الحال وحثًّا على مداواتها بالدواء الشافي منها او المخفف لوطأتها . واقترح بعضهم على الحكومة ان تسنَّ لائحة تفضيلية تفضل بموجبها استخدام اولاد كل رجل لا ينقص عدد اولادهِ عن ثلاثة في وظائف الحكومة

نفقة المعيشة في المانيا

رتّب بعضهم الالمانيين بالنظر الى دخلهم السنوي الى اربع طبقات . الاولى طبقة الاعيان والاغنياء وهم ٢٥٠ الف عائلة دخل كلٍّ منها اكثر من ٤٥٠ جنيهاً في السنة . والثانية الطبقة الوسطى العليا وفيها ٢٧٥٠٠٠٠ عائلة يتروح دخل كل منها بين ١٣٥ جنيهاً و ٤٥٠ جنيهاً في السنة . والثالثة الطبقة الوسطى السفلى ودخل كل عائلة من عائلاتها ٩٠ جنيهاً الى ١٣٥ والرابعة طبقة الفقراء ودخل كل من عائلاتهم لا يزيد على ٤٥ جنيهاً وعدد تلك العائلات اكثر من خمسة ملايين

وراتب ناظر المدرسة اليومية العالية في المانيا بين ٢٥٠ جنيهاً و ٣٠٠ في السنة عدا اجرة مسكنهِ وتعليم اولادهِ مجاناً . وراتب الضابط الذي برتبة الماجور بين ٢٠٠ جنيه و ٢٥٠ واجرة الكاتب في المحلات التجارية ٤٠ جنيهاً في السنة عادة حتى في المدن التي نفقة المعيشة فيها كبيرة مثل همبرج

توزع الالوان في الطبيعة

قال احد العلماء ان اللونين الابيض والاصفر هما اللونان الغالبان على ازهار الشتاء والربيع واللون القرنفلي لون ازهار الصيف والالوان الغامقة تغلب على ازهار آخر الصيف والخريف اما اللون الاصفر فلا يختص بازهار فصل دون آخر

وانتقل من النبات الى الحيوان فسأل قائلاً لماذا يندر وجود طيور بيضاء بين الطيور البرية ويكثر ذلك بين الطيور البحرية . ولماذا ترى غالب آكلة اللحوم من الحيوانات رقطاء الجلد او مخططتهُ خلافاً لآكلة الاعشاب . ولماذا نرى الطيور المغردة غامقة اللون غالباً على حين ان الطيور الباهية الالوان لا تحسن الغناء

المسيحيون في اليابان

يقدَّر عدد المسيحيين في اليابان بنحو مئة الف نفس اي انهم واحد في كل خمس مئة نفس من اهالي اليابان منهم نحو النصف كاثوليك و١٦ الثامن الارثوذكس والباقون انجيليون . وقد سمحت الحكومة اليابانية لبعض القسيسين المسيحيين الوطنيين بمرافقة الجيش الى الحرب وفعلت مثل ذلك في حرب اليابان والصين

فاكهة جديدة

ذكرنا في العدد الماضي تحت هذا العنوان ان بعضهم اهتمَّ بتوليد فاكهة جديدة بجعل بلقح ازهار بعض الاشجار بلقاح من ازهار اشجار اخرى فيتولد منها اثمار جديدة . وقد جاء في الاخبار الاخيرة عنهُ انهُ يأخذ ثمرة صغيرة تافهة الطعم ضامرة و يصيرها ثمرة كبيرة الحجم ذات نكهة في الطعم . ويأخذ زهرة

صغيرة لا رائحة لها ولا جمال فيصيرها عطرية جميلة وقد غيَّر لون زهرة صفراء مراراً فصيره مرة ابيض فضياً واخرى ازرق بنفسجياً واخرى احمر قرمزياً . وصنع الجوز رقيق القشرة حتى ان الطائر يثقبهُ بمنقاره ويأكل لبهُ . ولما رأى ان ذلك لا يفي بالمرام عاد فصلب قشره حفظاً للبهِ

نجاح الاطباء

ألَّف احد كبار الاطباء كتاباً في الطبيب واساس نجاحهِ فقال ان اعظم الاسباب لنجاح الطبيب اخلاقهُ الراضية وحسن معاملتهِ لمرضاه . ولا ريب ان تشاؤم الطبيب امام الذين يدعى لمعالجتهم يفعل ما لا يفعله امر آخر في كرههم لهُ ونفورهم منهُ وعدم دعوتهم اياهُ مرة اخرى . ثم ان كثيرين منهم يصفون لمرضاهم ادوية نادرة غالية الثمن على حين انهُ يمكن الاستعاضة منها بادوية تكون اقل ثمناً واكثر فعلاً . وهذا مما ينفر الناس من الطبيب ويقف عثرة في سبيل نجاحهِ

سمُّ الافعى والحيوانات المائية

جرَّب الدكتور نوجوشي الياباني (وهو الذي ذكرنا خبراكتشافهِ ترياق الافعى منذ عهد قريب) فعل سم الافاعي المعروفة بالكوبرا وذات الاجراس في الحيات الاخرى والضفادع والاسماك وغيرها من حيوانات الماء فوجد ان الحيات والضفادع تموت حالاً بسم الكوبرا دون غيرها من الافاعي وان السلحفاة اشدُّ تأثراً منها والسمك اشدُّ تأثراً من الفريقين اما الجندب والسرطان فلا يؤثر السمُّ فيهما البتة وكذلك معظم انواع الدود

سياسة الاقتصاد

عقدت جمعية الاقتصاد الانكليزية الملكية جلستها السنوية المعتادة في ١٤ يوليو الماضي برئاسة المستر بلفور رئيس الوزارة الانكليزية فخطب خطبة طويلة قال فيها اذا تكلم رجل من رجال العلم وترك الجمهور يظنون انهُ انما يتكلم لمصلحة حزبهِ لا لمصلحة العلم وان آراءهُ العلمية التي يفصح عنها ليست خالية من الصبغة السياسية لم يؤثر كلامهُ التأثير المطلوب فما دامت سياسة الاقتصاد علماً ولا انكر عليها ذلك فمن الواجب ان تكون مشتركة غير خاصة بامة دون اخرى . غير ان الناس لا ينظرون هذا النظر اليها بل تسمعهم يحدثونك بمدارس سياسة الاقتصاد الانكليزية والالمانية والفرنسوية والاميركية وذلك يدلُّ على ان سياسة الاقتصاد لا تعتبر عندهم علماً والاَّ لما فرقوا بين اقتصاد واقتصاد كما انهم لا يفرقون بين رياضيات ورياضيات فلا يقولون رياضيات انكليزية ورياضيات المانية . ثم حث على الاتحاد والتعاون في رفع شان هذا العلم لما في ذلك من الخير العام لبني الانسان

الفصل الثاني والعشرون

المكيدة

ولما خرج البرنس سكولوف وسمعت البارونة باذنها صوت اقدامهِ ينقطع خارج الرواق عمدت الى الشباك ورفعت زلاجه' وهي تقول :—

— اخيراً . اخيراً تمكنت من الانتقام وادركت غاية القصد ومنتهى المرام . انهُ حيّ ! جون فاين باق حياً ! واطربا . ولكن كيف نجا كل هذه السنين الطوال ؟ لا بأس ! آه لو كنتَ باقياً حياً ايها القائد غودارد فكنتَ ترى كيف أبرّرك مما اتهمتَ بهِ كذباً وبهتاناً وظلماً وعدواناً ! على انهُ حسبي تشفياً من ظالميك واثاراً من العادين عليك ان أري العالم ان شرفك الباذخ الذي يطاول الاطواد قدسلب منك على يد خائنٍ وغدٍ بل شرّ الخانة الاوغاد وسأقدم على ذلك من صباح غدٍ بملء التأهب والاستعداد . فلتبتهج عظامك داخل رمسك حيثهُ شآبيب الرحمة والرضوان ولتطب في عالم الارواح نفسك انها اطيب نفسٍ حلت في جسد انسان

ثم استوت على كرسيها بجانب النار وادارت ظهرها الى الشباك ووارت رأسها بين يديها واذا بالشباك قد رُفع من الخارج رفعةً صحبها صوت خفيف فانفتح ودخل منهُ رجل بلباس احد اركان الحرب مزرّراً الى عنقهِ ولثام مسدول على وجههِ . وكانت احدى ذراعيهِ مجروحةً وقد اسندها الى صدرهِ ورجلاه' مشدودتين الى الركبتين بنعلين عليهما آثار ركوب طويل شاق

فرفعت البارونة يديها عن وجهها والتفتت اليهِ على مهل متبسمةً ولما وقعت عيناها على عينيهِ اجفلت مذعورة ونهضت على قدميها صارخةً :—

— او بين غودارد ! أنت ! حيّ ! هنا وتدعي بياش مراد ! فما معنى هذا ؟

اما هو فلم يكن اقلّ منها دهشة ورعباً . ولذا تقدم نحوها صائحاً :—

— البارونة التدورف ! اصحيح هذا ؟ يالله : اذاً رأيتكِ ثانيةً ! افليس هذا حلماً ؟

نحفّت البارونة باسرع من وميض البرق الى الباب ومكنت ايصاده' ثم عمدت الى الشباك واعادت زلاجه' ورجعت الى غودارد واسرت اليهِ بتنهدٍ عميق :—

— ليتنا لا نستيقظ من هذا الحلم

فقال ما معرّبهُ :—

ولما التقينا بعد طول افتراقنا توهمت ان هذا اللقا يننا وهمي

فكلفتها اظهار ذلك قائلاً بعيشك قولي لي اما نحن في حلم
فقالت بلى . لا . لست أعلم فالذي توهمته لاشك عندي وفي زعمي
وان تك ضمتنا بحلم يد الكرى فطل يا كرى وارفع علينا يد الفهم

ثم اصابهُ ذهول أنساهُ الغرض الذي جاء لاجلهِ فقال :—

— آه لو علمتِ كم توسلت الى الله ان يفسح في اجلي حتى اراكِ مرة أخرى ! وقد كان هذا الرجاء شغلي الوحيد طول مدة افتراقي عنكِ وانقطاعي لمجالدة الخطوب ومعاركة الارزاء وقد لمتُ نفسي اشد اللوم ورميتها بالحمق والغباوة على اذعاني لقولكِ وعدم بحثي عنكِ . نعم بحثت ولكن بعد مافات الوقت وكنت في بحثي اخيب من قابض على الماء . ولما عزمتُ على الرجوع اليكِ لاعلن لكِ عدم استطاعتي انجاز ما وعدتك بهِ وجدتكِ قد ذهبت ولم تغادري وراءكِ اثراً يدلُّ عليك او علامة تشير اليكِ

— رحماك اغفر لي يا اوبين ! ليتني عرفت هذا ! دعني اتكلم —

ليس الآن ! ليس الآن . بل دعيني اخبرك اوّلاً — قبل أن تلمس شفتاي شفتيكِ — باني تلفتُ وامتهنتُ واصبحت مضغة الافواه وملاظة الالسنة والشفاه وتعرّيت مما كنت مزداناً بهِ من الصيت والجاه حتى شرفي — لا . لا . فهذا اطهر من ان تدنسهُ السنة الظالمين البغاة . لكنكِ تصدقينني اذا قلتُ لك اني لم اقترف ذنباً يستوجب هذا الخذلان وانّ كل ما اصابني محض ظلم وعدوان

خلِّ عنك هذا الكلام لانك تكسر بهِ قلبي

— الم يبلغكِ كيف هاجرت انكلترا ولِمَ ؟

— بلى — لكن الآن

— اتظنينني اثيماً فيما اتهمت بهِ ؟

— اني اعلم براءة ساحتك وكان العالم كلهُ يعلم هذا ايضاً لو جلوت المبهم ورفعت التهم

— ولكن الم تعلمي اني لم اقدر على شيء من ذلك ؟

— انك مخطئ ! ولا بدّ انك كنت حينئذٍ مختلّ الشعور حتى تغاضيت بهذا المقدار وجعلت سبيلاً لوقوعك بهذه الزلة واخذك بهذا العار . اجبني ! لماذا اراك ساكتاً ؟

ثم دنت منهُ والقت يدها على ذراعهِ المجروحة فعلت وجههُ في الحال صفرة الموت وتلوّى من شدة الالم . فصاحت :—

— ماذا ؟ امريض انت ؟

— لا . لا . لاشيءَ يوجب الخوف. أعطيني قليلاً من الماء . لقد اصابني جرح خفيف من بضعة ايام . وفيما كنت راكباً الى هنا عثر بي جوادي واذ لم استطع التحوُّط بسوى يدٍ واحدة سقطت عن ظهرهِ الى الارض واظن ان سقوطي هذا نكأ الجرح فأساله . ولكن لاتجزعي . فلست اشعر بالمٍ . ومن العيب ان كبوة طفيفة كهذه تعرضني للسقوط . ولعلّ ضعف جسمي بداعي النزيف حال دون تمكني على ظهر الجواد وافضى الى سقوطي . عمَّ سألتني ؟

— قل لي اولاً اما انت احسن حالاً الآن

— بلى . بلى . اسمعي . سألتني لماذا لم اجل المبهم واوضح كيف حصلتُ على تلك الورقة والجواب اني امسكت عن ذلك حرصاً على شرفي او على شرف امرأةٍ وقد نجم هذا عن مكيدة لم استطع بيانها بالدليل . وهذه المرأة كانت مظلومة الى حدٍّ يتظلم منهُ الظلم وتتصدع لهُ الصخور الصمّ . وقد عرفتها منذ الطفولية وهي بائسة لامنقذ لها ولا معين . افتعجبين بعد هذا من اني رضيت تحمل العار في سبيل خلاصها ؟

— لكنها هي اخطأت في قبولها بهذا . وكيف أمكنها الصبر على رؤية تلفك وسقوطك ؟ ان هذا منتهى القساوة !

لا لاتُسْرِفي في لومها لانها غير ملومة وهب انها كانت ملومة فلا فائدة منهُ الآن . وقد اطلعتك على هذا لاني لم اقوَ على الافتكار بوجود ما يوجب الحذر بيننا . فقد كان معي ورقة مكتوب عليها بخط يدها جملة ليست في ذاتها شيئاً ولكنها كانت كافية لتمكين الالى نصبوا لنا المكيدة من ادراك بغيتهم . وهذا هو سرُّ التهمة . فهل تثقين بي الآن ؟

— كما بالله !

— ياحبيبتي !

ثم تعانقا عناق اهل الاشواق وتشاكيا تباريح الفراق . لكنها اذ شعرت بألمهِ الذي نمَّ بهِ تضوُّرهُ على رغم تجلدهِ صاحت :—

— اراك متألماً شديداً لم تخفي متى تخفي ذلك عني ؟

— يظهر ان الجرح بالغ وقد آلمني اكثر مما ظننت وسببهُ نقصان الدم فلا تدني مني لئلاَّ يروعك الامر

واذ ذاك طرق اذنها صليل اسلحةٍ خارج الغرفة استدعى انتباهها فصاحت :—

— ويلاهُ دنا الخطر ! يجب ان تجهد نفسك وتوطنها على التجلد — على الفرار . ويلي فقد حاقت بك اسرار المكيدة ! الست قادراً على المشي ؟ اجتهد . تعالَ الى هنا الى مخدعي فليس

لك غير هذه الوسيلة للنجاة

— ما سبب وجودك هنا ? واين من جئت لكي اراها — الشيطانة الجميلة ? وما هذا السرّ الغامض ?

— خلِّ عنك محاولة فهمهِ الآن لانك ستفهمهُ فيما بعد · اتبعني على الفور

— ما مرادكِ بهذا ? فلستُ —

ثم ارتفع صوت شيء في الرواق · فقبضت البارونة باسرع من رجع النفس على ذراعهِ المجروحة فخرَّ الى الارض من شدة الألم وسقط مغشيًّا عليهِ لا يفيق ولا يعي · ولما رأتهُ على هذه الحالة اطلقت غدارتها طلقين واخرجت غدارتهُ من غلافها والقتها على الارض بجانبهِ وغطّت وجههُ بلثامهِ . وحينئذٍ قُرع الباب قرعًا شديدًا ودفع من الخارج بعنفٍ فانفتح ودخل البرنس سكولوف ولما راتهُ صرخت : —

— اغثني — بعيشك انقذني ! فانهُ لما رأى نفسهُ قد وقع في شركي حاول الفتك بي فاطلقت غدارتي واذ حاول الفرار ولم اقدر على صدهِ اطلقتها عليهِ ثانية فخرَّ صريعًا

— لقد اخطأتُ في تعريضكِ لخطر هذه المقابلة وحدكِ · وسأوصد الباب حتى لا يدخل احد قبل نقلهِ من هنا

وفيما هو متقدم نحو الباب بدا لهُ ما ارجعهُ فقال : —

— لعلهُ يكون مجروحًا فقط

قال هذا ودنا منهُ ووضع يدهُ على قلبهِ المنقطع عن الحركة وهمَّ بالرجوع عنهُ واذا بهِ نظر الغدارة على الارض فرفعها بيدهِ وصوبها نحو ذلك الصريع الذي لاحراك لهُ وقال : —

— الاصوب ان نتحقق موتهُ

— وفيما هو على اهبة اطلاقها وثبت الشيطانة ووقفت فوق الجسد المطروح وحالت بينهُ وبين البرنس وقالت : —

— لا · لا · كذبت عليك ! فقد خدعتكما كليكما !

ثم اماطت اللثام عن وجه غودارد فنظر اليهِ البرنس وصرخ :

— من هذا ! القائد غودارد !

— نعم ! نعم ! القائد غودارد ! اسمع · فلاجل أسرِ هذا الرجل وعدتني حياة انسان — اعدامها او العفو عنها حينما أُريد وكما اشاء ? فاطلب حياتهُ

الفصل الثالث والعشرون

وجهاً لوجهٍ

اما سكان المرقب السيامي فقضوا يومين كاملين في هياجٍ شديد واضطراب ما عليهِ مزيد وكان اول امرٍ اتاهُ البرنس سكولوف بعد رجوعهِ من عند الشيطانة الجميلة انهُ سعى على الفور في ارسال السيدة املي دشتون الى مدينة نيس. وقد اظهرت في البداءة عدم الميل الى هذه الرحالة لكن سكولوف تغلب عليها بما لديهِ من الوسائط وعللها بالاماني والآمال حتى اجابت طلبهُ بالطاعة والامتثال. ثم امدها بالوسائل اللازمة للرجوع باللورد اركنفورد الى لندن من غير ان يمكنها من معرفة ما حدث في مرقبهِ

اما دك سافيل وقرينتهُ فقد سرَّا بهذه الحادثة العجيبة سروراً يعجز القلم عن وصفهِ. وكان اول شيء فعلتهُ البارونة وكتي انهما انقطعتا للعناية بغودارد الذي قضى وقتاً ليس بقصير غائباً عن رشدهِ في هذيان عميق

اما البرنس فلزم السكوت ولم يلحّ في طلب ايضاح هذا المشكل ولا الحّ في رفع النقاب عن محيَّا هذه الخفايا بل صبر على الشيطانة صبر الكرام وانتظر حتى طارحتهُ الكلام

وكان ذلك بعد ما ابلَّ غودارد وتعافى فدعت البرنس اليها فدخل وهي جالسة امام النار فمدت اليهِ يدها فقبلها بكل احترام. ثم قالت: —

— اجلس ايها البرنس فقد حان أن أُطلعك على ما انت في اشتياق الى معرفتهِ من زمانٍ طويلٍ

— بشرط ان يكون ذلك عفواً منكِ بلا اضطرارٍ ولا اكراه

— ارعني سمعك فاحدثك بهِ بملء الرضى والمسرة

— تكلمي فكلي مسامع

— هل ترتاب في ان قائد الفرقة الطيَّارة واوبين غودارد كانا شخصاً واحداً؟

— كلاَّ

— الم تثق بانهُ ميت؟

— بلى

— وماذا كانت نتيجة اسرهِ هنا؟

— كانت بداءة الخاتمة ومنع الفرقة الطيارة من نيل مرادها في ايصال الذخائر والمؤن الى من هم في اشدّ الاحتياج اليها وذلك كلهُ نتج عن قبضنا على قائدها . ولا يخفى عليكِ ما ترتب على ذلك من الفائدة التي لا تثمن

— اذاً هو عمل عظيم جداً

— نعم وهكذا الثمن الذي بُذِل في سبيلهِ

— اي ثمن تعني ؟

— حياة قائد الفرقة — او بين غودارد — اعدامها او العفو عنها كما تريدين ومتى تشائين

— آه ان هذا كان من حسن طالع اللورد ارلنفورد ! فلو لم اطلب منك ان تُبقي على غودارد لطلبت منك إعدام ارلنفورد

— حقاً لقد اوقعتني ايها البارونة في بحر حيرةٍ عميق لاقرار لهُ . فعند قدوم المستر ساقيل وقرينتهِ اعلنتِ انك تجهلين اللورد ارلنفورد ولا تعرفينهُ . و بعد خمس دقائق احدث فيكِ ذكر اسمهِ ارتعاداً لم اعهد لهُ فيكِ نظيراً من قبل . اذاً اهتمامكِ مصروف نحو جون فاين — المدعو الآن اللورد ارلنفورد . و يظهر ان لديك اسباباً تبعثكِ على بغضهِ وحب الانتقام منهُ . فهل لكِ ان تطلعيني على هذه الاسباب لأني اقدر أن أساعدكِ وأريد

— أنت ؟

— نعم فاللورد ارلنفورد — او جون فاين — كان مستخدماً يوماً ما في بوليس بطرس برج السري —

— أعلم هذا !

— وقد طرد من منصبهِ لانهُ اتخذهُ وسيلة للانتقام —

— أعلم هذا !

— وقد اتهم رجلاً بريئاً بمواطأة دورسكي على المبادىء النيهلستية

— أعلم هذا !

— تعلمين ! تعلمين ! كيف تعلمين ؟

— تسألني كيف اعلم ؟ تسألني لماذا آليت على نفسي الانتقام من هذا اللورد ارلنفورد ؟ خلِّ عنك هذا كلهُ واسألني بالاولى ذلك السؤال الذي قضيت في سبيل حلهِ وقتاً طويلاً وانفقتُ من اجلهِ مالاً جزيلاً ولم تستطع اليهِ سبيلاً . اسالني عن نفسي لعلك تعلم من انا ؟

— لله انتِ ! فماذا تعنين بهذا ؟

— اعني اني انا البرنسس كاريتا غالتزن !

— يا قديسة كاترينا !!!

قال هذا البرنس سكولوف ونهض يتفقد الابواب لتحقق عدم وجود ثالث لها يسترق حديثهما ورجع الى جانبها وانحنى قليلاً واخذ يتفرّس في وجهها وبعد ما تأكد انها هي البرنسس كاريتا بعينها قبض على معصمها وقال لها بصوت منخفض واضح : —

— وانا الكسس دورسكي

ثم استحوذ عليهما سكوت دام بضع دقائق . فنهضت البرنسس غالتزن (لندعها الآن باسمها الحقيقي) وضغطت صدغيها بيديها وشخصت في ذلك الرجل الذي بعد ما أمنها على سرّ حياته العظيم عاد الى مكانه وخاطبها : —

— اذاً اتضح الان سرّ آلة الكتابة السرية

— وهل يعلم ابن ديمتري كيراتيف شيئاً عن هذا الامر ؟

— لا يعلم احدٌ سوى البرنسس غالتزن وسكولوف رئيس البوليس السري ولماذا أخبرتني ؟

— لان لي عندكِ رسالة

— نعم وهذه هي

ثم حلّت عرى صدرتها واخرجت طرساً مطوياً بحرص من غلاف صفيق وبعد ما نشرتهُ وضعتهُ امام سكولوف قائلة : —

— اما هو مكتوبٌ بخط يدك ؟

— فاجابها مصحح — بخط يد الكسس دورسكي النيهلستي وقد فقد من بين اوراق كيراتيف السرية . ولاجل الحصول عليهِ سعيت في ان خلفتُ ذاك الرئيس في منصبهِ . فانقطعت منذ ذلك الحين للتفتيش عن هذه الرسالة . ولهذه الغاية نفسها جعلت ابن كيراتيف كاتم اسراري . فلو عرفت من البدء انها عندكِ لأرحت نفسي من تحمل اتعابٍ كثيرة

— انها رهن امرك الآن

— الآن ؟

— قل لي بعيشك كيف اتفق أن يبقى جون فاين حياً مع انهُ شاع قبلاً انهُ قتل في تخوم بولاندا

— نعم هكذا شاع ولكنهُ اتضح اخيراً ان هذه الاشاعة كانت كاذبة وان الذي قتل

انما هو خادمهُ وقد قطعهُ اللصوص اربًا تعذَّر عندها معرفة القتيل . اما جون فاين فان علاقتهُ بفرقة البوليس الثالثة (السرية) مكنتهُ من الوقوف على المكيدة المنصوبة لهُ فركب سفينة طواف انكليزية من ظاهر قلعة شلسابرج ولما بلغ انكلترا استعان على اخفاء امرهِ بلقب اللورد ارلنفورد الذي انتحلهُ انتحالاً والغى بهِ اسم جون فاين . ولكنني وقفت نفسي على تأثرهِ حتى احطتهُ بشبكة الوسائط الفعالة ومتى حان وقت اقتناصهِ فلا يرى لهُ مفرًّا من يدي فابطش بهِ وانال مقصدي

— ومتى يكون ذلك ؟

— هل يهمك التعجيل بهِ ؟

— يهمني جدًّا واودُّ لو في الامكان ان يكون الآن

— وكيف صبرتِ هذه السنين الطوال ؟

— مكرهة غير مختارةٍ . هذا فضلاً عن اني لم اكن عالمة ببقاء هذا الاثيم حيًّا

— متى انتهت الحرب وصار القائد غودارد قادرًا على الذهاب معنا الى لندن فحينئذٍ نشرع في تمثيل الفصل الاخير من هذه الرواية . وقد ارسلت السيدة دشتون الى نيس وجهزتها بالمقدار الكافي من المال لاغراء ارلنفود وحملهِ على الرجوع الى لندن وجعلهِ في حوزتنا . وعهدت اليها بالبحث عن تفاصيل موت غودارد (الذي كان ميتًا فعاش) وحقًّا اني كنت مزمعًا ان أقضي عشر سنين في محاولة الحصول على ذلك لكي أُريك شدة رغبتي في اتمام ما يرضي الشيطانة الجميلة . لكي اريكِ اني وان لم اقدر ان اكون محبكِ استطيع ان ابقى صديقكِ وحليفك . وستدوم قوتي وقدرتي وكل مالي من النفوذ رهن اشارتك كما لو كنتِ انت لي . هذا ولست انا ممن قلبهم في كمهم ولكنني احبك ايها البرنس حبًّا يقصرُ عن وصفهِ ابلغُ الكلام . اما الآن فقد قضي الامر والأجدر بنا أن نطوي شقة هذا الحديث ونتكلم عن شيء آخر

ولما فرغ من كلامهِ نهضت الاميرة ودنت منهُ وجثت عند ركبتيهِ واخذت يدهُ بين يديها وقبلتها ذارفة عليها دمعةً أحرَّ من الجمر فعرا سكولوف هزة كما انتفض العصفور بلَّلهُ القطر

ثم رفعت رأسها ونظرت اليهِ فانحنى بملء الاحترام وقبَّل جبينها قبلة كانت الفاتحة والخاتمة

———



نبوليون بونابرت



اللورد روز بري

فهرس الجزء التاسع من المجلد التاسع والعشرين